هذا الجزؤ الثالث من حاشية شيخ زاده
على
تفسير القاضى البيضاوى

شيخ زاده ـ محمد بن مصلح الدين مصطفى القوجوى محى الدين الحنفى المعروف بشيخ زاده المدرس الرومى توفى سنة ٩٥١ احدى و خمسين و تسعمائة له من الكتب الاخلاصية فى تفسير سورة الاخلاص. تعليقة على شرح الهداية لابن مكتوم. حاشية على انوار التنزيل للبيضاوى مجلدات مطبوعة. حاشية اخرى على انوار التنزيل. شرح فرائض الراجية. شرح قصيدة البردة. شرح المشارق للصغانى. شرح مفتاح العلوم للسكاكى فى المعانى و البيان. شرح الوقاية فى مسائل الهداية.

قد اعتنى بطبعه طبعة جديدة بالاوفست

مكتبة الحقيقة



يطلب من مكتبة الحقيقة بشارع دار الشفقة بفاتح ٥٧ استانبول ـ تركيا

هجري قمري	هجري شمسي	ميلادي
١٤١١	١٣٦٩	١٩٩١



بسم الله الرحمن الرحيم

سورة يونس عليه الصلاة والسلام

مكية الاقوله ومنهم من يؤمن به ومنهم من لايؤمن به وربك اعلم بالمفسدين فانها مدنية نزلت فى اليهود
بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم (الر فخمها) اى قرأ بفتح الرآء على التفخيم ابن كثير وقالون وحفص وقرأ بكسر الرآء على الامالة ابو عمرو وحمزة والكسائى وابن عامر وابو بكر وقرأه ورش بين الفتح والكسر واختلف القرآء فى الحروف المقطعة التى فى اوآئل السور اذا كان آخرها الفا مقصورة وهى را وطا وها ويا وحا هل تقرأ بالامالة او بالتفخيم فامال * را * من جميع سورها امالة محضة الكوفيون الاحفصا وابو عمرو وابن عامر وامال الاخوان وابو بكر *طا * من جميع سورها نحو طس وطسم وطه وامال ابو بكر وحمزة والكسائى * يا * من يس وكهيعص ووافقهم ابن عامر فى امالة كهيعص دون يس وامال حمزة والكسائى وابو عمرو وورش وابو بكر *ها* من طه وكذلك امالها من كهيعص ابو عمرو والكسائى وابو بكر وابن ذكوان وامال ابو عمرو وورش وحمزة والكسائى وابو بكر وابن ذكوان *حا* من جميع ال حم (٧) السبع الان اباعمرو وورشا يميلان بين بين والباقين يميلون امالة محضة وقرأ ابن كثير وقالون وحفص وهشام حم بفتح الحاء فى جميع سورها وكلها الفات صحيحة على ان الاصل فى هذه الكلمات ترك الامالة لان الفاتها ليست منقلبة عن الياء ومن امالها فقد قصد بامالتها على انها اسماء لاحروف لانها اسماء للحروف المخصوصة وليست بحروف وقدم ان فى فواتح السور وجهين احدهما من جنس كلامهم او من جهة ورودها على لسان النبى صلى الله عليه وسلم **قوله** لاشتماله على الحكم على ان يكون الحكيم بمعنى ذى الحكم وقوله اولانه كلام حكيم على ان يكون وصف الكتاب بالحكيم من قبيل وصف الحكم بصفة من تكلم به على طريق الاسناد المجازى نحو نهاره صائم وليله قائم قال الاعشى

وغريبة تأتى الملوك حكيمة ❁ قد قلتها ليقال من ذا قالها

اى قصيدة غريبة مدحت بها الملوك حكيمة ليتعجب الناس ويقولوا من ذا قالها والبيت يصلح شاهدا لكل واحد من الوجهين فان حكيمة يحتمل ان يكون بمعنى النسبة وان يكون من قبيل الاسناد المجازى **قوله** او محكم آياته على ان يكون الحكيم فعيل بمعنى مفعول **قوله** على ان الامر بالعكس اى على ان تكون النكرة المحضة اسم كان الناقصة والمعرفة خبرها على حد قوله يكون مزاجها عسل وماء ويحتمل ان يكون ارتفاع عجب مبنيا

سورة يونس مكية وهى مائة وتسع آيات

(بسم الله الرحمن الرحيم الر) فخمها ابن كثير ونافع وحفص وامالها الباقون اجرآء لالف الرآء مجرى المنقلبة عن الياء (تلك آيات الكتاب الحكيم) اشارة الى ماتضمنه السورة او القرآن من الآى والمراد من الكتاب احدهما ووصفه بالحكيم لاشتماله على الحكم اولانه كلام حكيم او محكم آياته لم ينسخ شئ منها (اكان للناس عجبا) استفهام انكار للتعجب وعجبا خبر كان واسمه (ان اوحينا) وقرئ بالرفع على ان الامر بالعكس اوعلى ان كان تامة وان اوحينا بدل من عجب

(٧) (الحواميم) (نسخه)

واللام للدلالة على انهم جعلوه اعجوبة لهم يوجهون نحوه انكارهم واستهزآءهم (الى رجل منهم) من افناء رجالهم دون عظيم من عظمائهم قيل كانوا يقولون العجب ان الله لم يجد رسولا يرسله الى الناس الا يتيم ابى طالب وهو من فرط جماقتهم وقصور نظرهم على الامور العاجلة وجهلهم بحقيقة الوحى والنبوة هذا وانه عليه الصلاة والسلام لم يكن يقصر عن عظمائهم فيما يعتبرونه الا فى المال وخفة الحال اعون شئ فى هذا الباب ولذلك كان اكثر الانبياء عليهم الصلاة والسلام قبله كذلك وقيل تعجبوا من انه بعث بشرا رسولا كما سبق ذكره فى سورة الانعام (ان انذر الناس) ان هى المفسرة او المخففة من الثقيلة فتكون فى موقع مفعول اوحينا (وبشر الذين آمنوا) عمم الانذار اذ قلما من احد ليس فيه ماينبغى ان ينذر منه وخصص البشارة بالمؤمنين اذ ليس للكفار مايصح ان يبشروا به (ان لهم) بان لهم (قدم صدق عند ربهم) سابقة ومنزلة رفيعة سميت قدما لان السبق بها كما سميت النعمة يدا لانها تعطى باليد واضافتها الى الصدق لتحققها والتنبيه على انهم انما ينالونها بصدق القول والنية (قال الكافرون ان هذا) يعنون الكتاب وماجاء به الرسول عليه الصلاة والسلام (لسحر مبين) وقرأ ابن كثير والكوفيون لساحر على ان الاشارة الى الرسول صلى الله عليه وسلم وفيه اعتراف بانهم صادفوا من الرسول امورا خارقة للعادة معجزة اياهم عن المعارضة وقرئ ماهذا الا سحر مبين (ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض) التى هى اصول الممكنات (فى ستة ايام ثم استوى على العرش يدبر الامر) يقدر امر الكائنات على ما اقتضته حكمته وسبقت به كلمته ويهيئ بتحريكه اسبابها وينزلها منه والتدبير النظر فى ادبار الامور لتجئ محمودة العاقبة (مامن شفيع الا من بعد اذنه) تقرير لعظمته وعز جلاله ورد على من زعم ان آلهتهم تشفع لهم عند الله وفيه اثبات الشفاعة لمن اذن له (ذلكم الله) اى الموصوف بتلك الصفات المقتضية للالوهية والربوبية (ربكم) لاغيره اذ لايشاركه احد فى شئ من ذلك (فاعبدوه) وحدوه بالعبادة (افلا تذكرون) تتفكرون ادنى تفكر فينبهكم على انه المستحق للربوبية والعبادة لاما تعبدونه

على ان كان تامة وان اوحينا بدل منه بدل اشتمال اى أحدث عجب لان اوحينا احدث وحى والظاهر ان يكون حينئذ متعلقا بعجب على حذف لام العلة اى احدث عجب لان اوحينا اويكون على حذف من اى من ان اوحينا ﴿**قوله** واللام للدلالة على انهم جعلوه اعجوبة﴾ اى امرا عجيبا يتعجب منه يعنى ان اللام فى للناس للبيان كما فى هيت لك اى هذا الخطاب لك وليس متعلقا بقوله عجبا على طريق المفعولية كما فى قولك عجبت لسعى زيد فى حاجتى لان معمول المصدر لايتقدم عليه ﴿**قوله** من افناء رجالهم﴾ اى ممن لايعرف بجاه ومال ورياسة ونحو ذلك مما يعدونه من اسباب العز والجلال وليس المراد انه صلى الله عليه وسلم ليس من مشاهيرهم نسبا لان شرف نسبه عندهم اظهر من الشمس وافناء جمع فنى بوزن فتى او جمع فناء بوزن قباء وهو ناحية من الناس * الجوهرى فناء الدار مااتسع من جوانبها ويقال هو من افناء الناس اذا لم يعلم ممن هو ﴿**قوله** او المخففة من الثقيلة﴾ فيكون اسمها ضمير الشأن المقدر والاصل انه انذر الناس ولما تقرر فى النحو ان الجملة الطلبية لاتقع خبر ضمير الشأن وجب ان يكون تقدير هذا الاصل ان الشأن قولنا ان انذر الناس على ان يكون القول المقدر مبتدأ وتكون الجملة الطلبية محكية به خبرا عنه ويكون خبر ضمير الشان جملة اسمية ﴿**قوله** عمم الانذار﴾ حيث جعل متعلقه مطلق الناس لان الانذار يعم الناس اى الكل ليرتدعوا عن فعل مالاينبغى من الصغائر والكبائر وترك الأولى بخلاف التبشير فانه لايتعلق بالكفار اذ ليس لهم مايبشرون به ولم يذكر المنذر به للتعميم والتهويل وذكر المبشر به لتقوى رغبة المطيعين فيما يؤديهم اليه وقدم الانذار على التبشير لان التخلية مقدمة على التحلية وازالة مالاينبغى متقدمة فى الرتبة على فعل ماينبغى والمبشر به ماذكره بقوله تعالى ان لهم قدم صدق وحذف الباء من ان وان شائع كثير ﴿**قوله** سابقة﴾ يحتمل ان يكون مصدرا كالعاقبة والكاذبة ويكون المراد بها تقديم الله تعالى يوم القيامة هذه الامة كما قال صلى الله عليه وسلم * نحن الآخرون السابقون * وقال صلى الله عليه وسلم * الجنة محرمة على الانبياء حتى ادخلها ومحرمة على الامم حتى تدخلها امتى * ويحتمل ان يكون اسم فاعل بمعنى السعادة السابقة فى القضاء الاولى وهى المنازل الرفيعة الروحانية والجسمانية وماذكره فى بيان وجه اطلاق القدم على السابقة وهو قوله لان السبق بها يؤيد الاحتمال الاول وان كان القدم سببا للوصول الى المنازل السابقة كما انها سبب لنفس السبق ايضا ثم انه تعالى لما اجاب عن تعجب الكفار من الوحى والبعثة بقوله اكان للناس عجبا ان بعث خالق الخلق اليهم رسولا يبشرهم على الاعمال الصالحة بالثواب وينذرهم على الاعمال الفاسدة بالعقاب وكان هذا الجواب موقوفا على ثبوت امرين الاول ان يكون لهذا العالم اله قادر نافذ الحكم والتكليف والثانى ان يتحقق البعث بالحشر والقيامة حتى يحصل الثواب والعقاب اثبت الامر الاول بقوله تعالى ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فانها لكونها امورا محكية فى ذواتها وصفاتها محتاجة الى ما يرجح جانب وجودها واختصاصها بفلك معين ووصف معلوم وذلك المرجح يجب ان يكون واجب الوجود لذاته متحليا بجميع نعوت الجلال والجمال متخليا عن صفات العجز والنقصان واثبت الامر الثانى بقوله اليه مرجعكم جميعا * فان قيل قوله تعالى الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام يقتضى ان يكون كونه تعالى خالقا للسموات والارض فى ستة ايام امرا معلوما عند العرب وهم لايعلمون ذلك فكيف يحسن هذا التعريف * فالجواب ان ذلك امر معلوم مشهور عند اليهود والنصارى والعرب كانوا يخالطونهم والظاهر انهم سمعوه منهم فلهذا السبب حسن هذا التعريف ﴿**قوله** فى ستة ايام﴾ اى فى مقدارها لان اليوم عبارة عن زمان مقدر مبتداه طلوع الشمس ومنتهاه غروبها فكيف يكون يوم حين لاشمس ولاسماء ويحتمل ان يكون المراد بالايام الاوقات مطلقا كما فى قوله تعالى ومن يولهم يومئذ دبره اى وقتئذ واتفق المسلمون على ان فوق السموات جسما عظيما هو العرش المحيط بسائر الاجسام وقد يطلق العرش ويراد به الملك ويقال فلان على عرشه اى ملكه وقد يطلق على البناء كما فى قوله تعالى وكان عرشه على الماء اى بناؤه يدل على انه تعالى بنى السموات والارض على الماء ليعرف العقلاء كمال قدرته ونفاذ مشيئته فان الخلائق يبنون بناءهم فى المواضع الصلبة البعيدة من الماء لئلا ينهدم ومن بنى مثل هذه الاجرام العظام على الماء كان فى غاية العظمة وكمال القدرة فان كل بناء يسمى عرشا وبانيه يسمى عارشا قال تعالى ومن الشجر ومما يعرشون اى يبنون والمشهور عند جمهور المفسرين ان المراد من العرش المذكور هو الجسم المحيط بالعالم وقالوا قوله تعالى ثم استوى على العرش لايمكن ان يكون معناه انه تعالى خلق العرش بعد خلق السموات والارضين بدليل انه تعالى قال فى آية

(اليه مرجعكم جميعا) بالموت او النشور لاالى غيره فاستعدوا للقائه (وعدالله) مصدر مؤكد لنفسه لان قوله اليه مرجعكم وعدمن الله (حقا) مصدر آخر مؤكد لغيره وهو مادل عليه وعدالله (انه يبدأ الخلق ثم يعيده) بعد بدئه واهلاكه (ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط) اى بعدله او بعدالتهم وقيامهم على العدل فى امورهم اوبايمانهم لانه العدل القويم كما ان الشرك ظلم عظيم وهو الاوجه لمقابلة قوله (والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون) فان معناه ليجزى الذين كفروا بشراب من حميم وعذاب اليم بسبب كفرهم لكنه غير النظم للمبالغة فى استحقاقهم للعقاب والتنبيه على ان المقصود بالذات من الابدآء والاعادة هو الاثابة والعقاب واقع بالعرض وانه تعالى يتولى اثابة المؤمنين بمايليق بلطفه وكرمه ولذلك لم يعينه واما عقاب الكفرة فكانه دآء ساقه اليهم سوء اعتقادهم وشؤم افعالهم والآية كالتعليل لقوله اليه مرجعكم جميعا فانه لما كان المقصود من الابدآء والاعادة مجازاة الله المكلفين على اعمالهم كان مرجع الجميع اليه لامحالة ويؤيده قرآءة من قرأ انه يبدأ بالفتح اى لانه ويجوز ان يكون منصوبا او مرفوعا بما نصب وعدالله او بما نصب حقا (هو الذى جعل الشمس ضياء) اى ذات ضياء وهو مصدر كقيام او جمع ضوء كسياط وسوط والياء فيه منقلبة عن الواو وعن ابن كثير ضئاء بهمزتين فى كل القرآن على القلب بتقديم اللام على العين (والقمر نورا) اى ذا نور اوسمى نورا للمبالغة وهو اعم من الضوء كما عرفت وقيل مابالذات ضوء ومابالعرض نور وقد نبه سبحانه وتعالى بذلك على انه خلق الشمس نيرة فى ذاتها والقمر نيرا بعرض مقابلة الشمس والاكتساب منها (وقدره منازل) الضمير لكل واحد اى قدر مسير كل واحد منهما منازل او قدره ذامنازل او للقمر وتخصيصه بالذكر لسرعة سيره ومعاينة منازله واناطة احكام الشرع به ولذلك علله بقوله (لتعلموا عدد السنين والحساب) وحساب الاوقات من الاشهر والايام فى معاملاتكم وتصرفاتكم (ماخلق الله ذلك الا بالحق) الاملتبسا بالحق مراعيا فيه مقتضى الحكمة البالغة (نفصل الآيات لقوم يعلمون) فانهم المنتفعون بالتأمل فيها وقرأ ابن كثير والبصريان وحفص يفصل بالياء (ان فى اختلاف الليل والنهار وماخلق الله فى السموات والارض) من انواع الكائنات (لآيات) على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته (لقوم يتقون) العواقب فانه يحملهم على التفكر والتدبر (ان الذين لايرجون لقاءنا) لايتوقعونه لانكارهم للبعث وذهولهم بالمحسوسات عما ورآءها (ورضوا بالحياة الدنيا) من الآخرة لغفلتهم عنها (واطمأنوا بها) وسكنوا اليها مقصرين هممهم على لذآئذها وزخارفها او سكنوا فيها سكون من لايزعج عنها (والذين هم عن آياتنا غافلون) (لايرجون) لايتفكرون فيها لانهماكهم فيما يضادها والعطف اما لتغاير الوصفين والتنبيه على ان الوعيد على الجمع بين الذهول عن الآيات رأسا والانهماك فى الشهوات بحيث لاتخطر الآخرة ببالهم اصلا واما لتغاير الفريقين

اخرى وكان عرشه على الماء يدل على ان وجود العرش سابق على تخليق السموات والارض ولايتوهم ايضا من استوآئه على العرش كونه معتمدا عليه مستقرا فوقه بحيث لولا العرش لسقط ولنزل لان ذلك مستحيل فى حقه تعالى لاتفاق المسلين على انه تعالى هو الممسك للعرش والحافظ وانه لايحتاج الى شئ مماسواه بل المراد من الاستوآء على العرش والله اعلم الاستيلاء عليه ونفاذ التصرف وخص العرش بالاستيلاء عليه لانه اعظم المخلوقات قال الشاعر

* قداستوى بشر على العراق * من غير سيف ودم مهراق *

وقوله تعالى يدبر الامر حال من استوى او مستأنف لامحل له وقيل المراد بالعرش البناء وقوله تعالى خلق السموات والارض اشارة الى تخليق ذواتها وقوله ثم استوى على العرش اشارة الى تسطيحها وتشكيلها بالاشكال الموافقة لصالحها وماخلقت هى لاجلها وغير ذلك من الامور البعيدة المعتبرة فى تعريشها وان قيل المراد بالعرش الملك يكون استوآؤه تعالى على الملك عبارة عن وجود الاحوال المتجددة فى ذوات السموات كدوران الكواكب والافلاك وحصول الفصول الاربعة والاحوال المختلفة بسبب ذواتها ﴿قوله مصدر مؤكد لنفسه﴾ لكونه تأكيدا وتحقيقا لمضمون قوله تعالى اليه مرجعكم جميعا ولايحتمل لتلك الجملة غير كونه وعدا بخلاف قوله جميعا فانه ايضا وان كان تأكيدا لمضمون تلك الجملة الا انها لها محتمل غير الحقيقة ﴿قوله ليجزى﴾ متعلق بقوله ثم يعيده وبالقسط متعلق بيجزى ويجوز ان يكون حالا من الفاعل اى ليجزيهم منتصبا بالقسط او من المفعول اى ملتبسا بالقسط وهو العدل واليه اشار المصنف بقوله بعدالته او بعدالتهم وعدم ظلمهم انفسهم بارتكاب المعاصى ﴿قوله لكنه غير الاسلوب﴾ حيث لم يورد الجملة الثانية على صورة تعليل الابدآء والاعادة بمجازاة الكفرة بشراب من حميم وعذاب اليم بل ابتدأ بقوله والذين كفروا اخبر عنه بالجملة التى بعده مستأنفة لبيان جزآئهم لكنه خلاف الظاهر ووجه ماذكره من التنبيه انه تعالى ادخل لام التعليل على العقاب والثالث انه لم يعين ثواب المؤمنين وعين عقاب الكافر واشار المصنف الى وجه كل واحد من وجوه التغيير ﴿قوله ويجوز ان يكون منصوبا او مرفوعا﴾ عطف على قوله اى لانه ذكر لقرآءة انه يبدأ الخلق بفتح الهمزة ثلاث تأويلات الاول ان تكون مبنية على حذف لام الجر والثانى ان يكون فى محل النصب بالفعل الذى نصب وعدالله اى وعدالله وعدا بدآء الخلق ثم اعادته والمعنى اعادة الخلق بعد بدئه والثالث ان يكون فى محل الرفع بالفعل الذى نصب حقا اى حق حقا بدأ الخلق ثم اعادته ﴿قوله اى ذات ضياء﴾ قدر المضاف لان الشمس ليست نفس الكيفية التى تسمى ضوأ وكذا القمر ليس نفس النور ويحتمل ان يكون من باب تسمية الذات بالمصدر للمبالغة كما يقال فى الكريم الله كرم وجود كما اشار اليه بقوله اوسمى نورا للمبالغة لكن الظاهر ان يقال اذسمى بدل الواو وضياء مفعول ثان لجعل ان كان من الجعل بمعنى التصيير او حال من الشمس ان كان جعل بمعنى انشأ وخلق ﴿قوله على القلب بتقديم اللام على العين﴾ فوقعت الواو طرفا بعد الف زآئدة فقلبت همزة كما فى سائر وكساء ﴿قوله وهو اعم من الضوء﴾ فان النور اسم لاصل الكيفية الظاهرة فى نفسها المظهرة لغيرها والضوء اسم لهذه الكيفية اذا كانت كاملة تامة قوية وقيل الضياء اقوى من النور لان الضوء مابالذات كالكيفية التى على الشمس والنور مابالعرض كالكيفية التى على وجه الارض ومابالذات اقوى ﴿قوله اى قدر مسير كل واحد منهما منازل﴾ فعلى هذا منازل منصوب على انه ظرف مكان وعلى الثانى يكون ذا منازل مفعولا ثانيا على تضمين قدره معنى صيره ﴿قوله ولذلك﴾ اى ولرجوع ضمير قدره الى القمر خاصة فان بالقمر يعرف انقضاء الشهور والسنين لابالشمس وانما يعرف بالشمس اوقات الصلاة والفصول الاربعة التى ينتظم بها مصالح هذا العالم ومنازل القمر ثمان وعشرون منزلة وهذه المنازل مقسومة على البروج الاثنى عشر ولكل برج منزلتان وثلث فينزل القمر كل ليلة منزلة منها ويستتر ليلتين ان كان الشهر ثلاثين وليلة واحدة ان كان الشهر تسعة وعشرين وقرأ ابن كثير والبصريان وهما ابوعمرو ويعقوب يفصل بياء الغيبة جريا على اسم الله تعالى فى قوله ماخلق الله ذلك المذكور والباقون بنون العظمة التفاتا من الغيبة الى التكلم للتعظيم ومعنى التفصيل ذكر هذه الدلائل اى الدلائل الباهرة واحدة عقيب اخرى مع الشروح والبيان ثم انه تعالى لما اقام الدلائل الدالة على صحة القول بثبوت الاله الحكيم الرحيم وعلى صحة القول بالحشر والمعاد بعده شرع فى شرح احوال من يكفر بها فقال ان الذين لايرجون لقاءنا الآية ثم شرح احوال من يؤمن فقال ان الذين آمنوا الآية ﴿قوله واما لتغاير الفريقين﴾ اى لايكون من باب عطف الصفات بل يكون الموصول الثانى معطوفا على اسم ان اى ان الذين

لا يرجون وان الذين واولئك مبتدأ ومأواهم مبتدأ ثان وجهنم خبر الثانى والثانى وخبره خبر اولئك واولئك وخبره خبر الذين ﴿قوله ومفهوم الترتيب﴾ اى ترتيب الحكم على الموصول الذى صلته مجموع الايمان والعمل الصالح يفهم سببية المجموع ﴿قوله او حال من الضمير المنصوب على المعنى الاخير﴾ وهو يهديهم بسبب ايمانهم لما يريدونه فى الجنة من المآكل والمشارب وغيرهما فان جريان الانهار من تحت سررهم المرفوعة الموضوعة فى البساتين والرياض لايقارن هدايتهم لما يريدونه فى الجنة ﴿قوله اى دعاؤهم﴾ يعنى ان الدعوى بمعنى الدعاء ويدل عليه اللهم فانه نداء فى معنى ياالله دعا يدعو دعاء ودعوى كما يقال شكا يشكو شكاية وشكوى وسبحانك هو المنادى له وهو مصدر بمعنى التسبيح معمول لفعل لايجوز اظهاره واشار اليه المصنف بقوله اللهم انا نسبحك تسبيحا فلما حذف الفعل اضيف المصدر الى مفعوله لما وصف الله تعالى المؤمنين بالايمان والاعمال الصالحة ذكر بعد ذلك درجاتهم وكراماتهم ومراتب سعادتهم وهى اربع مراتب المرتبة الاولى قوله تعالى يهديهم ربهم بايمانهم الآية اى يهديهم بسبب ايمانهم الى سلوك مايؤديهم الجنة اولعلم مالم يعلموه من الحقائق او لما لايرونه فى الجنة والمرتبة الثانية ماأشار اليه بقوله تعالى دعواهم فيها سبحانك اللهم والمراد ان اهل الجنة يشتغلون بتقديس الله تعالى وتمجيده والثناء عليه لامن حيث انهم يلهمون اياه فينطقون به تلذذا وابتهاجا وسرورا به بناء على ان كمال حالهم لايحصل الامنه فان سعادة السعداء ونهاية درجات الانبياء عليهم الصلاة والسلام والاولياء استسعادهم بمراتب معارف الجلال والارتقاء فيها ابدا ولاسيما انه تعالى لما وعد المتقين بالثواب العظيم كما ذكر فى اول السورة فى قوله تعالى ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالسقط فاذا دخل اهل الجنة ووجدوا ماوعدلهم من تلك النعم العظيمة وشاهدوا كونه تعالى صادقا فيما وعده بسبب ايمانهم فعند ذلك قالوا سبحانك اللهم اى نسبحك عن الخلف فى الوعد والكذب فى القول والمرتبة الثالثة منها قوله تعالى وتحيتهم فيها سلام وهو من اضافة المصدر الى الفاعل ان كان المعنى وتحية بعضهم لبعض ومن اضافته الى المفعول ان كان المعنى وتحية الملائكة اياهم كما قال تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم او تحية الله تعالى اياهم كما قال سلام قولا من رب رحيم والمرتبة الرابعة وآخر دعواهم ان يقولوا الحمد لله رب العالمين قوله آخر دعواهم مبتدأ وان هى المخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشان المحذوف والجملة بعدها فى محل الرفع على انها خبرلها وان مع اسمها وخبرها فى محل الرفع خبر للمبتدأ الاول وقرئ ان الحمد لله بتشديد ان ونصب الحمد وهو يؤيد انها مخففة من الثقيلة فى قرآءة العامة ومعنى الآية ان اهل الجنة يفتتحون كلامهم بالتسبيح ويختتمونه بالتحميد ﴿قوله واثنوا عليه بصفات الاكرام﴾ وهى الصفات الاضافية واعلم ان معرفة ذات الله تعالى والاطلاع على كنه حقيقته مما لاسبيل للخلق اليه بل الغاية القصوى معرفة صفاته السلبية او صفاته الاضافية فهى المسماة بصفات الاكرام فلذلك كان كمال الذكر العالى مقصورا عليه كما قال تعالى تبارك اسم ربك ذى الجلال والاكرام ولما كان غاية سعادة السعداء معرفته تعالى بصفات الجلال والاكرام ذكر الله تعالى كون اهل الجنة مواظبين على هذا الذكر المقدس الذى كانت الملائكة المقربون مشتغلين به قبل ان يخلق آدم عليه وعليهم الصلاة والسلام الاترى انهم قالوا ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك فلذلك الهم السعداء من اولاد آدم عليه الصلاة السلام حتى اتوا بهذا التسبيح فى اول صلاتهم بان قالوا عند تكبير الافتتاح سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولااله غيرك واتوا بهذا الذكر بعينه بعد انقراض العالم فى دار الكرامة ﴿قوله وضع موضع تعجيله لهم بالخير﴾ يعنى ان المشبه بتعجيل الله تعالى لهم الشرهو تعجيله لهم الخير فعدل عنه الى ماعليه النظم وقد تقرر فى علم البلاغة ان كل مقام استحق ايراد لفظ لو عدل عنه الى لفظ آخر فلابد ان يكون العدول لفائدة فلذلك ذكر المصنف للعدول فائدتين الاولى الاشعار بسرعة اجابته تعالى اياهم بحيث عجل لهم الخير كما استعجلوه حتى صار استعجالهم الخير عين تعجيل الله لهم الخير ذلك فلذلك عبر عنه باستعجالهم بالخير والفائدة الثانية الاشعار بان المراد من الشر المعتبر فى جانب المشبه هو الشر الذى استعجلوه فان اهل مكة كانوا يستعجلون الشر كما يستعجلون الخير حيث يقولون اللهم ان كان محمد صلى الله عليه وسلم حقا صادقا فيما ادعاه من النبوة فامطر علينا حجارة فكان اصل الكلام ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله للخير حيث استعجلوه استعجالا كاستعجالهم بالخير فحذف منه ماحذف لدلالة الباقى عليه بمعونة المقام * قال الامام الذى يغلب على ظنى ان ابتداء هذه السورة فيه ذكر شبهات المنكرين للنبوة مع الجواب عنها الشبهة الاولى القوم تعجبوا من تخصيص الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم

والمراد بالاولين من انكر البعث ولم يرد الا
الحياة الدنيا وبالآخرين من الهاه حب
العاجل عن التأمل فى الآجل والاعتداد له
(اولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون)
بما واظبوا عليه وتمرنوا به من المعاصى
(ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم
ربهم بايمانهم) بسبب ايمانهم الى سلوك سبيل
يؤدى الى الجنة اولادراك الحقائق كما قال
عليه الصلاة والسلام من عمل بما علم ورثه الله
علم مالم يعلم اولما يريدونه فى الجنة ومفهوم
الترتيب وان دل على ان سبب الهداية هو
الايمان والعمل الصالح لكن دل منطوق
قوله بايمانهم على استقلال الايمان بالسببية
وان العمل الصالح كالتتمة والرديف له
(تجرى من تحتهم الانهار) استئناف اوخبر ثان
او حال من الضمير المنصوب على المعنى الاخير
وقوله (فى جنات النعيم) خبر او حال آخر
منه او من الانهار او متعلق بتجرى او بيهدى
(دعواهم فيها) اى دعاؤهم (سبحانك اللهم)
اللهم انا نسبحك تسبيحا (وتحيتهم) مايحيى به
بعضهم بعضا او تحية الملائكة اياهم (فيها
سلام وآخر دعواهم) وآخر دعائهم
(ان الحمد لله رب العالمين) اى ان يقولوا
ذلك ولعل المعنى انهم اذا دخلوا الجنة وعاينوا
عظمة الله وكبرياءه مجدوه ونعتوه بنعوت
الجلال ثم حياهم الملائكة بالسلامة من
الآفات والفوز باصناف الكرامات او الله
تعالى فحمدوه واثنوا عليه بصفات الاكرام
وان هى المخففة من الثقيلة وقد قرئ بها
وبنصب الحمد (ولو يعجل الله للناس الشر)
ولو يسرعه اليهم (استعجالهم بالخير) وضع
موضع تعجيله لهم بالخير اشعارا بسرعة
اجابته لهم فى الخير حتى كان استعجالهم به تعجيل
لهم اوبان المراد شر استعجلوه كقولهم فامطر
علينا حجارة من السماء وتقدير الكلام ولو
يعجل الله للناس الشر تعجيله للخير حين استعجلوه
استعجالا كاستعجالهم بالخير فحذف منه ماحذف
لدلالة الباقى عليه (لقضى اليهم اجلهم)
لاميتوا واهلكوا وقرأ ابن عامر ويعقوب
لقضى على البناء للفاعل وهو الله تعالى

بالنبوّة فازال الله تعالى ذلك التعجب بقوله اكان للناس عجبا ان اوحينا الى رجل منهم يقيم على عبادى دلائل وحدانيتى وتفردى بالالوهية والربوبية وانى سأعيدهم بعد الاماتة لاجازيهم على اعمالهم وابين المحسن والمسيء منهم ثم ذكر دلائل التوحيد ودلائل صحة المعاد والشبهة الثانية للمنكرين انهم كانوا يقولون اللهم ان كان امر محمد حقا فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم فاجاب الله تعالى عن هذه الشبهة بقوله ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير الآية وايضا اخبر الله تعالى فى آيات كثيرة ان هؤلاء المشركين متى خوّفوا بنزول العذاب فى الدنيا استعجلوا ذلك العذاب كقوله تعالى فامطر علينا حجارة من السماء وكما قال تعالى سأل سائل بعذاب واقع للكافرين وكما قال يستعجل بها الذين لا يؤمنون وغير ذلك ثم انهم لما توعدوا بعذاب الآخرة فى هذه الآية وهو قوله اولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون لعلهم استعجلوا ذلك العذاب كما قال تعالى فى هذه السورة بعد هذه الآية ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ﴿قوله عطف على فعل محذوف﴾ يعنى ان الفاء فى قوله فنذر يستدعى معطوفا ولا يجوز ان يكون نذر معطوفا على قوله يعجل الله وقوله لقضى اذ لو كان كذلك لدخل فى الامتناع الذى يقتضيه كلمة لو وتركهم فى طغيانهم يعمهون لم يمتنع بل واقع فهو معطوف على فعل محذوف دلت عليه الشرطية فان قوله تعالى ولو يعجل يتضمن معنى نفى التعجيل كانه قيل ولا يعجل ولا يقضى فنذرهم امهالا لهم اذ لا اصلاح فى اماتتهم واهلاكهم اذ ربما آمنوا بعد ذلك او ربما خرج من صلبهم من كان مؤمنا وذلك يقتضى ان لا يعاجلهم الله تعالى بايصال الشر اليهم المستلزم لاماتتهم واهلاكهم بناء على ان تركهم فى الدنيا لا يحتمل العذاب المتوعد به وسمى العذاب شرا فى هذه الآية لانه اذى فى حق المعاقب ومكروه عنده كما انه تعالى سماه سيئة فى قوله تعالى ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة * قال الامام فى وجه الانتظام فى قوله تعالى واذا مس الانسان الضرّ دعانا لجنبه بما قبله انه تعالى بين فى الآية الاولى انه لو انزل العذاب على العبد فى الدنيا لهلك ولقضى عليه فبين فى هذه الآية ما يدل على غاية ضعفه ونهاية عجزه ليكون ذلك مؤكدا لما ذكره من انه لو انزل عليه العذاب لمات والوجه الثانى فى وجه الانتظام انه تعالى حكى عنهم انهم يستعجلون فى نزول العذاب ثم بين فى هذه الآية انهم كاذبون فى ذلك الطلب والاستعجال لانه لو نزل بالانسان ادنى شيء يكرهه فانه يتضرع الى الله تعالى فى ازالته عنه ويدل على انه ليس صادقا فى هذا الاستعجال ﴿قوله تعالى لجنبه﴾ فى محل نصب على انه حال من فاعل دعانا ولذلك عطف عليه الحال الصريحة ﴿قوله او لاصناف المضار﴾ من الضرّ ما يغلب الانسان ويجعله صاحب فراش يضطرّه الى الاضطجاع ومنه ما يكون اخف من ذلك ويجعله بحيث يقدر على القعود ومنه ما يتمكن الانسان معه على القيام ﴿قوله كانه لم يدعنا﴾ اى اعتبر ضمير الشان لان حق الحروف المشبهة الدخول على المبتدأ والخبر سوآء اعملت او الغيت بالتخفيف فان التخفيف لا يبطل الا العمل وعلى هذا لا حاجة الى ضمير الشان فى قوله * كان ثدياه حقان * فالتمثيل به ليس الا لمجرد بطلان العمل بالتخفيف والنحر الصدر والضمير فى ثدياه يرجع الى النحر وحقان تثنية حقة والاصل حقتان فحذفت التاء على خلاف القياس وخفف كانّ فبطل عمله حيث روى ثدياه بالالف وروى ثدييه بالياء على انها اعملت فى الظاهر وهو شاذ وقوله تعالى كان لم يدعنا فى محل النصب على انه حال من فاعل مرّ اى مضى على طريقته مشبها من لم يدع الى كشف ضرّه ﴿قوله مثل ذلك التزين﴾ اشارة الى ان الكاف من كذلك فى محل نصب على المصدر والمراد بالتزين الاعراض عن الابتهال سمى الكافر مسرفا لانه مسرف فى امر دينه متجاوز الحد فى الغفلة عنه فانه لا شبهة فى ان المراد كما يكون مسرفا فى الانفاق فكذا يكون مسرفا فيما يتركه من واجب او يقدم عليه من قبيح اذا تجاوز الحدّ فيه فان من بذل ما انعم الله عليه به من الحواس والعقل والفهم لا كتساب السعادة الباقية الابدية فى تحصيل لذآئذ الدنيا وطيباتها الخسيسة كان قد انفق اشياء عظيمة كثيرة لاجل ان يفوز باشياء حقيرة خسيسة توجب ان يكون من المسرفين ﴿قوله تعالى وما كانوا ليؤمنوا﴾ الظاهر انه معطوف على ظلموا كانه قيل لما ظلموا واصرّوا على الكفر حقا بحيث لم يبق فائدة فى الامهال اهلكناهم فيكون السبب فى اهلاكهم مجموع هذين الامرين فان ظلمهم عبارة عن احداثهم التكذيب وما يتفرع عليه وهذا عبارة عن اصرارهم عليه بحيث لا فائدة فى امهالهم ﴿قوله استخلاف من يختبر﴾ اشارة الى جواب ما يقال قوله تعالى لهذه الامة ثم جعلناكم خلائف فى الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون يشعر بانه تعالى ما كان عالما باحوالهم قبل وجودهم وانه يحتاج فى العلم بها الى الاختبار والامتحان وهو محال * وتقرير

وقرئ لقضينا (فنذر الذين لا يرجون لقاءنا فى طغيانهم يعمهون) عطف على فعل محذوف دلت عليه الشرطية كانه قيل ولكن لا نعجل ولا نقضى فنذرهم امهالا لهم واستدراجا (واذا مس الانسان الضرّ دعانا) لازالته مخلصا فيه (لجنبه) ملقيا لجنبه اى مضطجعا (او قاعدا او قائما) وفائدة الترديد تعميم الدعاء لجميع الاحوال او لاصناف المضارّ (فلما كشفنا عنه ضره مرّ) مضى على طريقته واستمرّ على كفره او مرّ عن موقف الدعاء لا يرجع اليه (كان لم يدعنا) كانه لم يدعنا فخفف وحذف ضمير الشان كما قال * ونحر مشرق اللون * كان ثدياه حقان * (الى ضر مسه) الى كشف ضرّ (كذلك) مثل ذلك التزين (زين للمسرفين ما كانوا يعملون) من الانهماك فى الشهوات والاعراض عن العبادات (ولقد اهلكنا القرون من قبلكم) يا اهل مكة (لما ظلموا) حين ظلموا بالتكذيب واستعمال القوى والجوارح لا على ما ينبغى (وجاءتهم رسلهم بالبينات) بالحجج الدالة على صدقهم وهو حال من الواو باضمار قد او عطف على ظلموا (وما كانوا ليؤمنوا) وما استقام لهم ان يؤمنوا لفساد استعدادهم وخذلان الله لهم وعلمه بانهم يموتون على كفرهم واللام لتأكيد النفى (كذلك) مثل ذلك الجزآء وهو اهلاكهم بسبب تكذيبهم للرسل واصرارهم عليه بحيث تحقق انه لا فائدة فى امهالهم (نجزى القوم المجرمين) نجزى كل مجرم او نجزيكم فوضع المظهر موضع الضمير للدلالة على كمال جرمهم وانهم اعلام فيه (ثم جعلناكم خلائف فى الارض من بعدهم) استخلفناكم فيها بعد القرون التى اهلكناها استخلاف من يختبر (لننظر كيف تعملون) أتعملون خيرا او شرًّا فنعاملكم على مقتضى اعمالكم وكيف معمول تعملون فان معنى الاستفهام يحجب ان يعمل فيه ما قبله

الجواب ان المراد منه انه تعالى يقابل ويعامل العباد معاملة من يطلب العلم بما يكون منهم ليجازيهم بحسبه كقوله ليبلوكم ايكم احسن عملا وفي الحديث* ان الدنيا خضرة نضرة وان الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون* وعن قتادة رضي الله عنه صدق الله ربنا ما جعلنا خلفاء الا لينظر الى اعمالنا فأروا الله من اعمالكم خيرا بالليل وبالنهار فالكلام من قبيل الاستعارة التمثيلية المرتبة على استعارة تصريحية تبعية اما كونه من قبيل الاستعارة التمثيلية فظاهر لانه تعالى منزه عن حقيقة الاختبار لكونه شبه استخلافهم على الوجه المذكور بمعاملة من يختبر فاخرج على صورة كلام المختبر واما كونها مرتبة على استعارة تصريحية تبعية فلان النظر في اللغة عبارة عن تقليب الحدقة نحو المرئي طلبا لرؤيته فلاشك انه مستحيل في حقه تعالى من وجوه فلابد ان يجعل النظر في حقه تعالى مجازا عن العلم المحقق الذي لايتطرق اليه الشك والشبهة بان يشبه هذا العلم بنظر الناظر وادراك عين المرئي على سبيل المعاينة والمشاهدة ويطلق عليه لفظ النظر والرؤية على سبيل الاستعارة التصريحية فلما اشتق منه لفظ لينظر صارت هذه الاستعارة تبعا ﴿ **قوله** وفائدته ﴾ اى فائدة ايراد كيف اذ لايقال لينظر عملكم اخيرام شر مع انه اخصر منه الدلالة على ان العبرة في الجزاء بجهات الافعال فان كيف للسؤال عن الحال فكانه قال لينظر على اى حال تعملون ثم انه تعالى حكى عن المشركين نوعا ثالثا من كلماتهم التي ذكروها والطعن في نبوته صلى الله عليه وسلم *واجاب عنه وهو قوله تعالى واذا تتلى عليهم آياتنا بينات الآية روى ان خمسة من الكفار كانوا يستهزؤن بالرسول صلى الله عليه وسلم وبالقرءآن فقتل الله تعالى كل رجل منهم بطريق كما قال انا كفيناك المستهزئين فهذه نزلت في حقهم وقوله تعالى لايرجون لقاءنا عبارة عن كونهم مكذبين للحشر والنشر ومنكرين للبعث والقيامة ﴿ **قوله** بكتاب نقرؤه ليس فيه ما نستبعده ﴾ فسر ما اقترحوه بقولهم ائت بقرءآن غير هذا او بدله على وجه لايرد ان يقال انه صلى الله عليه وسلم اذا بدل هذا القرءآن بغيره فقد اتى بقرءآن غير هذا القرءآن وكذا اذا اتى بغيره فقد بدله واذا كان كذلك كل واحد من هذين الامرين عين الآخر ومما يدل على ان كل واحد منهما نفس الآخر انه صلى الله عليه وسلم اقتصر في الجواب على استحالة احدهما وهو قوله قل ما يكون لى ان ابدله من تلقاء نفسي وكون كل واحد منهما نفس الآخر ينافي ان يورد بينهما كلمة او الدالة على الترديد والتخيير ولما فسر الغيرية بعدم كون القرءآن المقترح على ترتيب هذا القرءآن المنزل ولا على نظمه وبكونه خاليا مما استبعدوه من امر البعث والجزاء ومما استكرهوه من ذم آلهتهم وتحقيرها وفسر التبديل بان يكون هذا القرءآن المنزل باقيا على ترتيبه ونظمه لكن يوضع مكان الآيات الدالة على ما استبعدوه واستكرهوه آيات اخر موافقة لهواهم وطريقتهم ﴿ **قوله** ولعلهم سألوا ذلك كى يسعفهم اليه فيلزموه ﴾ كانه جواب عما يقال كيف يصح من الكفار ان يقترحوا عليه صلى الله عليه وسلم ان يأتي من قبله تعالى بكتاب موافق لما يشتهونه وهم عقلاء جازمون باستحالته وكذا على سبيل الجد جازمون باستحالة ان يكذب نفسه ويأتي بما اقترحوه من قبل نفسه فيلزموه احد الامرين على طريق التخيير مع علمهم باستحالة كل واحد من الامرين طمعا منهم في ان يسعفهم اى ينشأه من قبل نفسه فيلزموه بان يقولوا قد تبين لنا انك كاذب في دعوى ان ما تقرأه علينا كلام الهي وكتاب سماوي اوحي اليك بواسطة الملك وانك تنزل من عند نفسك وتفترى على الله كذبا ويحتمل ان يقولوا ذلك على سبيل السخرية والاستهزاء لا على سبيل الجد ﴿ **قوله** وهو مصدر ﴾ يعني ان التلقاء مصدر كالقاء جاء على وزن تفعال ولم يجئ مصدر بكسر التاء الا التبيان وقرئ شاذا بفتح التاء وهو قياس المصادر الدالة على التكرار كالتطواف والتجوال ويستعمل ظرف مكان بمعنى القبالة والتجاه ﴿ **قوله** لو شاء الله غير ذلك ﴾ اى لو شاء الله ان لاينزل القرءآن على هذا النظم المتلو ما قرأته عليكم ولا انه اعلمكم الله به على هذا الوجه المعهود يقال دريت الشئ اى علمته وادريته غيرى اى اعلمته من الدراية بمعنى العلم روى عن سيبويه انه قال يقال دريته ودريت به ثم قال والاكثر هو الاستعمال بالباء والدليل عليه قوله تعالى ولا ادراكم به ولو كان على اللغة الاخرى ولا ادراكموه ﴿ **قوله** وقرئ ولا ادرأكم ﴾ بهمزة مفتوحة واسناد الفعل الى ضمير الغائب وهمزته اما مقلوبة من الالف والياء ان كان افعل من الدراية واما اصلية ان كان افعل من الدرء يقال درأته اذا دفعته وادرأته اذا جعلته دارئا اى دافعا وقرئ ايضا ولا ادرأتكم به بهمزة ساكنة واسناد الفعل الى المتكلم وفيه وجهان ايضا احدهما ان يكون من الدراية ويكون اصله ولا ادريتكم قلبت الياء الفا على لغة من يقلب الياء الساكنة المفتوح ما قبلها الفا فان اهل تلك اللغة

وفائدته الدلالة على ان المعتبر في الجزاء جهات الافعال وكيفياتها لا هي من حيث ذاتها ولذلك يحسن الفعل تارة ويقبح اخرى ﴿ واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لايرجون لقاءنا ﴾ يعنى المشركين ﴿ ائت بقرءآن غير هذا ﴾ بكتاب آخر نقرؤه ليس فيه ما نستبعده من البعث والثواب والعقاب بعد الموت او ما نكرهه من معايب آلهتنا ﴿ او بدله ﴾ بان تجعل مكان الآية المشتملة على ذلك آية اخرى ولعلهم سألوا ذلك كى يسعفهم اليه فيلزموه ﴿ قل ما يكون لى ﴾ ما يصح لى ﴿ ان ابدله من تلقاء نفسي ﴾ من قبل نفسي وهو مصدر استعمل ظرفا وانما اكتفى بالجواب عن التبديل لاستلزام امتناعه امتناع الاتيان بقرءآن آخر ﴿ ان اتبع الا ما يوحى الىّ ﴾ تعليل لما يكون فان المتبع لغيره في امر لم يستبد بالتصرف فيه بوجه وجواب للنقض بنسخ بعض الآيات ببعض ورد لما عرضوا له بهذا السؤال من ان القرءآن كلامه واختراعه ولذلك قيد التبديل في الجواب وسماه عصيانا فقال ﴿ انى اخاف ان عصيت ربى ﴾ اى بالتبديل ﴿ عذاب يوم عظيم ﴾ وفيه ايماء بانهم استوجبوا العذاب بهذا الاقتراح ﴿ قل لو شاء الله ﴾ غير ذلك ﴿ ما تلوته عليكم ولا ادراكم به ﴾ ولا اعلمكم به على لسانى وعن ابن كثير ولادراكم بلام التأكيد اى لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا علمكم به على لسان غيرى والمعنى انه الحق الذى لا محيص عنه لو لم ارسل به لارسل به غيرى وقرئ ولا ادرأكم ولا ادرأتكم بالهمز فيهما على لغة من يقلب الالف المبدلة من الياء همزة او على انه من الدرء بمعنى الدفع اى ولا جعلتكم بتلاوته خصماء تدرؤنني بالجدال

والمعنى ان الامر بمشيئة الله تعالى لا بمشيئتي حتى اجعله على نحو ما تشتهونه ثم قرر ذلك بقوله (فقد لبثت فيكم عمرا) مقدار عمر اربعين سنة (من قبله) من قبل القرآن لا اتلوه ولا اعلمه فانه اشارة الى ان القرآن معجز خارق للعادة فان من عاش بين اظهرهم اربعين سنة لم يمارس فيها علما ولم يشاهد عالما ولم ينشئ قريضا ولا خطبة ثم قرأ عليهم كتابا بذت فصاحته فصاحة كل منطيق وعلا عن كل منثور ومنظوم واحتوى على قواعد علمي الاصول والفروع واعرب عن اقاصيص الاولين واحاديث الآخرين على ما هي عليه علم انه معلم به من الله تعالى (افلا تعقلون) اى افلا تستعملون عقولكم بالتدبر والتفكر فيه لتعلموا انه ليس الا من الله (فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا) تفاد مما اضافوه اليه كناية او تظليم للمشركين بافترائهم على الله تعالى في قولهم انه لذو شريك وذو ولد (او كذب بآياته) فكفر بها (انه لا يفلح المجرمون ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم) لانه جماد لا يقدر على نفع ولا ضر والمعبود ينبغي ان يكون مثيبا ومعاقبا حتى تعود عبادته بجلب نفع او دفع ضر (ويقولون هؤلاء) الاوثان (شفعاؤنا عند الله) تشفع لنا فيما يهمنا من امور الدنيا وفي الآخرة ان يكن بعث وكانهم كانوا شاكين فيه وهذا من فرط جهالتهم حيث تركوا عبادة الموجد الضار النافع الى عبادة ما يعلم قطعا انه لا يضر ولا ينفع على توهم انه ربما يشفع لهم عنده (قل اتنبئون الله) اتخبرونه (بما لا يعلم) وهو ان له شريكا وفيه تقريع وتهكم بهم او هؤلاء شفعاؤنا عنده وما لا يعلمه العالم بجميع المعلومات لا يكون له تحقق ما (في السموات ولا في الارض) حال من العائد المحذوف مؤكدة للنفي منبهة على ان ما تعبدون من دون الله اما سماوي واما ارضي ولا شيء من الموجودات فيهما الا وهو حادث مقهور مثلهم لا يليق ان يشرك به (سبحانه وتعالى عما يشركون) عن اشراكهم وعن الشركاء الذين يشركونهم به وقرأ حمزة والكسائي هنا وفي الموضعين في اول النحل والروم بالتاء (وما كان الناس الا امة واحدة) موجودين على الفطرة او متفقين على الحق وذلك في عهد آدم عليه السلام الى ان قتل قابيل هابيل او بعد الطوفان او على الضلال في فترة من الرسل

تقلب ياء التثنية الفا وتجعلها في جميع الاحوال على لفظ واحد وتقول جاءني الزيدان ورأيت الزيدان ومررت بالزيدان وتقول في اعطيته وارضيته اعطاته وارضاته فصار ولا ادراتكم به وبه قرأ الحسن ومن قلب الالف المبدلة من الياء همزة قرأ ولا ادرأتكم به ﴿قوله تعالى عمرا﴾ مشبه بظرف الزمان فانتصب انتصابه اى مدة متداولة وهي اربعون سنة فانه صلى الله عليه وسلم لبث قبل الوحي اربعين سنة ثم اوحي اليه فاقام بمكة بعد الوحي ثلاث عشرة سنة ثم هاجر الى المدينة فاقام بها عشر سنين وتوفي وهو ابن ثلاث وستين سنة صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير هذه الآية اقمت افيكم اربعين سنة لا احدثكم بشيء من القرآن ولا آتيكم به افلا تعقلون انه ليس من قبلي قال الامام انما اقترحوا عليه صلى الله عليه وسلم احد الامرين لاجل انهم اتهموه بانه هو الذي يأتي بهذا الكتاب من عند نفسه لا من جهة الوحي فدفع هذا الامر بانهم شاهدوه من اول عمره الى ذلك الوقت وكانوا عالمين باحواله وانه ما طالع كتابا ولا تعلم من احد ثم بعد انقراض اربعين سنة على هذا الوجه جاء بهذا الكتاب العظيم الذي عجز عن معارضته العلماء والفصحاء وكل من كان له عقل سليم فانه يعترف ان مثل هذا لا يحصل الا بالوحي والالهام من الله تعالى وهذا خلاصة ما ذكره المصنف ﴿قوله مما اضافوه اليه كناية﴾ اى احترازا مما اضافوه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بقولهم ائت بقرآن غير هذا من انه صلى الله عليه وسلم افترى على الله تعالى كذبا بنسبة القرآن العظيم اليه تعالى وزعموا انه صلى الله عليه وسلم انما يأتي بهذا القرآن من عند نفسه فانهم لما نسبوا هذا القرآن اليه صلى الله عليه وسلم وهو من عند الله افتراء على الله تعالى قال فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا الآية فالمقصود من قوله فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا نفي الكذب عن نفسه وكانه قيل لو لم يكن هذا القرآن من عند الله تعالى لما كان احد في الدنيا اظلم على نفسه مني حيث افتريته على الله تعالى لكن الامر ليس كذلك لما مر من الدليل الباهر الدال على انه ليس الا وحي الهي لا من كلام من لبث فيكم اربعين سنة لم يمارس فيها علما ولم يشاهد علماء ولم ينشئ قريضا ولا خطبة ﴿قوله او تظليم﴾ عطف على قوله تفاد ويجوز ان لا يكون المقصود منه التبري كما اضافوه اليه صلى الله عليه وسلم بل المقصود تظليمهم بنسبة الافتراء والكذب اليهم فكانه قيل انى لا افتري على الله تعالى ولم اكذب عليه وانتم قد فعلتم ذلك حيث زعمتم ان لله شركاء وولدا وعبدتم الاوثان وكذبتم نبيه وما جاء به من عند الله تعالى ﴿قوله حال من العائد المحذوف مؤكدة للنفي﴾ اى لنفي ما زعموا من ان له تعالى شريكا وان هؤلاء شفعاء عنده فان المراد من نفي علم الله تعالى به تقرير نفيه في نفسه فيكون التقييد بحال كونه في السموات والارض مؤكدا بعدم تحققه في نفسه والمعنى اتنبئون الله بالامر الذي لا يعلمه الله كائنا في السموات ولا في الارض ﴿قوله عن اشراكهم﴾ على ان يكون كلمة ما مصدرية وقوله او عن الشركاء على ان تكون بمعنى الذي ﴿قوله وقرأ حمزة الى قوله بالتاء﴾ اى بتاء الخطاب والباقون بياء الغيبة واتى بيشركون مضارعا دون الماضي تنبيها على استمرار حالهم وعلى انهم على الشرك في المستقبل كما كانوا عليه في الماضي ثم انه تعالى لما ابطل القول بعبادة الاصنام وتوهم كونهم شفعاء عنده بين السبب بكيفية حدوث هذه المقالة الباطلة فقال وما كان الناس الا امة واحدة فاختلفوا في انهم كانوا امة واحدة واختلفوا ثلاثة اقوال القول الاول انهم كانوا امة واحدة في انهم خلقوا على فطرة الاسلام ثم اختلفوا في الاديان واليه اشار بقوله صلى الله عليه وسلم «كل مولود يولد على الفطرة وانما ابواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه» والقول الثاني انهم كانوا امة واحدة بان كانوا جميعا على الدين الحق ثم اختلف القائلون في هذا القول في انهم متى كانوا كذلك قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ومجاهد كانوا على دين الاسلام في عهد آدم عليه الصلاة والسلام وفي عهد ولده فاختلفوا عند قتل احد ابنيه الابن الثاني وقال قائل انهم ثبتوا على دين الاسلام الى زمن نوح عليه الصلاة والسلام ثم اختلفوا على عهد نوح عليه الصلاة والسلام فبعث الله تعالى اليهم نوحا عليه الصلاة والسلام وقال آخرون كانوا على دين الاسلام من عهد ابراهيم الى ان غير الدين نمرود فاختلفوا فعلى هذا القول يكون المراد من الناس في قوله تعالى وما كان الناس الا امة واحدة العرب خاصة ويكون انتظام هذه الآية بما قبلها انه تعالى بين فيها فساد القوم بعبادة الاصنام وبين في هذه الآية ان هذا المذهب ليس مذهبا للعرب من اول الامر بل كانوا على دين الاسلام وهو دين ابراهيم عليه السلاة والسلام وليس فيه عبادة الاصنام وانما حدث فيهم هذا المذهب بتسويل الشيطان واتباعه من الانام والغرض منه ان العرب اذا علموا ان هذا المذهب ما كان اصلا فيهم وانه حدث فيهم بعد ان لم يكن

(لم يتعصبوا)

لم يتعصبوا لنصرته ولم يتأذوا من تزييف هذا المذهب وابطاله والقول الثالث انهم كانوا امة واحدة في الكفر فقائدة ايراد هذا الكلام في هذا المقام هو انه تعالى بين للرسول صلى الله عليه وسلم انه لاتطمع في ان كل من تدعوه الى الايمان والاسلام يكون مجيبالك قائلا لبيك فان الناس كلهم كانوا على الكفر وانما حدث الاسلام في بعضهم بعد ذلك فكيف تطمع في اتفاق الكل على الايمان ﴿قوله فاختلفوا باتباع الهوى و الاباطيل﴾ مبنى على ان المراد من كونهم امة واحدة كونهم مخلوقين على فطرة الاسلام او متفقين على ماهو الحق من الاديان فان من اتبع هواه فقد خالف من لم يضيع فطرته واتبع سبيل الرشاد وكذا من اتبع الاباطيل من الاديان فقد خالف من اتبع الدين الحق وقوله او بعثة الرسل مبنى على ان يكون المراد به اتفاقهم على الضلال في فترة الرسل ولما وقع الاختلاف بين الناس وناسب تعجيل الحكم بينهم فيما اختلفوا فيه باهلاك المبطلين وتخصيص المحقين او بتعذيب المصرين على الضلال واثابة المهتدين اجاب الله تعالى عنه بقوله ولولا كلمة سبقت من ربك بتأخير الحكم والجزآء الى يوم القيامة لتميز دار التكليف من دار الجزآء لقضي بينهم عاجلا وقوله تعالى ويقولون لولا انزل عليه آية من ربه نوع رابع من مقالاتهم المتفرعة على انكار النبوة كان اهل مكة يقترحون شيأ سوى القرآن ليكون معجزة له صلى الله عليه وسلم مثل اليد والعصا وقولهم لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الآيات بناء على ما زعمه بعضهم من ان القرآن يمكن معارضته كما اخبر الله تعالى عنهم انهم قالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا ﴿قوله بجحودكم ما نزل عليه من الآيات العظام﴾ التي اعظمها واجلها القرآن العظيم وان ظهور مثل هذا الكتاب الشريف من مثل ذلك البشر الذي نشأ فيما بينهم ولبث فيهم اربعين سنة لم يطالع كتابا ولم يتلمذ الى استاذ ولم يتعلم حرفا ولم يصاحب عالما لايكون الا بالوحي ﴿قوله تعالى واذا اذقنا الناس رحمة الآية﴾ جواب ثان عن قول اهل مكة لولا انزل عليه آية من ربه * وتقريره ان مشركي مكة عادتهم المكر واللجاج والفساد وعدم الانصاف لانه تعالى سلط عليهم القحط سبع سنين ثم رحمهم وانزل الامطار على اراضيهم ثم انهم اضافوا تلك المنافع الجليلة الى الانوآء والكواكب او الى الاصنام واذا كان كذلك فبتقدير ان يعطوا ماسألوا من انزال معجزات اخرى فانهم لايؤمنون بل يبقون على كفرهم وجهلهم وانما ينفع انزال الآيات عليهم ان لو كان غرضهم من اقتراحها تحقيق الحق وطلب اليقين وليس كذلك وليس غرضهم الا التعنت واللجاج فلو ظهر لهم جميع ما طلبوه من المعجزات القاهرة فانهم لايقبلونها والحيا المطر العام ويكنى به عن الخصب والانوآء جمع نوء وهي ثمانية وعشرون منزلا ينزل القمر كل ليلة في منزل منها ويسقط في المغرب نجم واحد ويطلع رقيبه في ساعة من المشرق في مقابلة ذلك الساقط وهذا في غير الجبهة فان لها اربعة عشر يوما فينقضي الجميع مع انقضاء السنة اى مع انقضاء ثلثمائة وخمسة وستين يوما يقال ناء ينوء نوأ اى نهض بجهد ومشقة وناء اى سقط وهو من الاضداد يقال ناء بالحمل اذا نهض به مستثقلا وانما سمى النجم نوأ لانه اذا سقط الساقط منها بالمغرب فالطالع بالمشرق ينوء اى ينهض ويطلع وقيل انما سمى نوأ لسقوطه وغروبه قال ابو عبيدة ولم يسمع في النوء انه السقوط الا في هذا الموضع وكانت العرب تضيف الامطار والرياح والبرد الى الساقط منها وقال الاصمعي الى الطالع فيقول في سلطانه مطرنا بنوء كذا فلما انجاهم الله تعالى من القحط وامطرهم نسبوا الامر واضافوا ذلك الى الانوآء لا الى الله لئلا يشكروا الله ولا يؤمنوا بآياته فقيل هذا هو المراد بمكرهم في آيات الله تعالى ﴿قوله قد دبر عقابكم قبل ان تدبروا كيدكم﴾ يعني ان ما يأتيهم من العذاب اسرع في اهلاكهم مما اتوا من المكر في ابطال القرآن والنبوة روى عن مقاتل انه تعالى قتلهم يوم بدر وجازى مكرهم في آياته بعقاب ذلك اليوم فكان اسرع في اهلاكهم من كيدهم في اهلاكهم له صلى الله عليه وسلم وابطال آياته ﴿قوله وانما دل على سرعتهم المفضل عليها﴾ جواب عما يقال كيف وصف الله تعالى نفسه بكونه اسرع مكرا مع انه لم يصفهم بسرعة المكر ولا يعقل تفضيل بدون المفضل عليه * وتقرير الجواب ان كلمة المفاجاة تدل على سرعة مكرهم كانه قيل واذا رحمناهم من بعد ضرآء فاجأ وقوع المكر منهم وسارعوا قبل ان يغسلوا رؤسهم من مس الضرآء ﴿قوله وهو من الله اما الاستدراج او الجزآء على المكر﴾ فهو على الاول استعارة وعلى الثاني مشاكلة ﴿قوله وعن يعقوب يمكرون بالياء﴾ اي بياء الغيبة والباقون بتاء الخطاب نظرا الى قوله قل الله اذا التقدير قل لهم فناسب الخطاب لذلك ولما اوعدهم الله تعالى بقوله قل الله اسرع مكرا اوعدهم بعقاب الآخرة حيث قال ان رسلنا الآية ﴿قوله وقرأ ابن عامر ينشركم﴾ بفتح الياء وسكون النون من النشر وهو التفريق والبسط الذي هو ضد الطي وقرأ الباقون يسيركم من

(فاختلفوا) باتباع الهوى والاباطيل او بعثة الرسل فتبعتهم طائفة واصرت اخرى (ولولا كلمة سبقت من ربك) بتأخير الحكم بينهم او العذاب الفاصل بينهم الى يوم القيامة فانه يوم الفصل والجزآء (لقضى بينهم) عاجلا (فيما فيه يختلفون) باهلاك المبطل وابقاء المحق (ويقولون لولا انزل عليه آية من ربه) اى من الآيات التي اقترحوها (فقل انما الغيب لله) هو المختص بعلمه فلعله يعلم في انزال الآيات المقترحة مفاسد تصرف عن انزالها (فانتظروا) لنزول ما اقترحتموه (انى معكم من المنتظرين) لما يفعل الله بكم بجحودكم ما نزل عليه من الآيات العظام واقترا حكم غيره (واذا اذقنا الناس رحمة) صحة وسعة (من بعد ضرآء مستهم) كقحط ومرض (اذا لهم مكر في آياتنا) بالطعن فيها والاحتيال في دفعها قيل قحط اهل مكة سبع سنين حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم الله بالحيا فطفقوا يقدحون في آيات الله ويكيدون رسوله (قل الله اسرع مكرا) منكم قد دبر عقابكم قبل ان تدبروا كيدكم وانما دل على سرعتهم المفضل عليها كلمة المفاجاة الواقعة جوابا لاذا الشرطية والمكر اخفاء الكيد وهو من الله تعالى اما الاستدراج او الجزآء على المكر (ان رسلنا يكتبون ما تمكرون) تحقيق للانتقام وتنبيه على ان ما دبروا في اخفائه لم يخف على الحفظة فضلا ان يخفى على الله تعالى وعن يعقوب يمكرون بالياء ليوافق ماقبله (هو الذي يسيركم) يحملكم على السير ويمكنكم منه (٧) (في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك) في السفن (وجرين بهم) بمن فيها عدل عن الخطاب الى الغيبة للمبالغة كانه يذكره لغيرهم ليتعجب من حالهم وينكر عليهم (بريح طيبة) لينة الهبوب (وفرحوا بها) بتلك الريح (جاءتها) جواب لاذا والضمير للفلك او الريح الطيبة بمعنى تلقتها (ريح عاصف) ذات عصف شديدة الهبوب (وجاءهم الموج من كل مكان) يجيء الموج منه (وظنوا انهم احيط بهم) اهلكوا وسدت عليهم مسالك الخلاص كمن احاط به العدو (دعوا الله مخلصين له الدين) من غير اشراك لتراجع الفطرة وزوال المعارض من شدة الخوف وهو بدل من ظنوا بدل اشتمال

(٧) (وقرأ ابن عامر ينشركم بالنون والشين من النشر) . (نسخه)

لان دعاءهم من لوازم ظنهم (لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين) على ارادة القول او مفعول دعوا لانه من جملة القول (فلما انجاهم) اجابة لدعائهم (اذاهم يبغون فى الارض) فاجاؤا الفساد فيها وسارعوا الى ما كانوا عليه (بغير الحق) مبطلين فيه وهو احتراز عن تخريب المسلمين ديار الكفرة واحراق زروعهم وقلع اشجارهم فانها افساد بحق (يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم) فان وباله عليكم او انه على امثالكم وابناء جنسكم (متاع الحياة الدنيا) منفعة الحياة الدنيا لاتبقى ويبقى عقابها ورفعه على انه خبر بغيكم وعلى انفسكم صلته او خبر مبتدأ محذوف تقديره ذلك متاع الحياة الدنيا وعلى انفسكم خبر بغيكم ونصبه حفص على انه مصدر مؤكد اى تتمتعون متاع الحياة الدنيا او مفعول البغى لانه بمعنى الطلب فيكون الجار من صلته والخبر محذوف تقديره بغيكم متاع الحياة الدنيا محذور او ضلال او مفعول فعل دل عليه البغى وعلى انفسكم خبره (ثم الينا مرجعكم) فى القيامة (فننبئكم بما كنتم تعملون) بالجزاء عليه (انما مثل الحياة الدنيا) حالها العجيبة فى سرعة تقضيها وذهاب نعيمها بعد اقبالها واغترار الناس بها (كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض) فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضا (مما يأكل الناس والانعام) من الزروع والبقول والحشيش (حتى اذا اخذت الارض زخرفها) تزينت باصناف النبات واشكالها والوانها المختلفة كعروس اخذت من الوان الثياب والزينة وتزينت بها (وازينت) اصله تزينت فادغم وقد قرئ على الاصل وازينت على افعلت من غير اعلال كاعيلت والمعنى صارت ذات زينة وازيانت كابياضت (وظن اهلها انهم قادرون عليها) متمكنون من حصدها ورفع غلتها (اتاها امرنا) ضرب زرعها مايجتاحه (ليلا او نهارا فجعلناها) فجعلنا زرعها (حصيدا) شبيها بما حصد من اصله (كأن لم تغن) اى كأن لم يغن زرعها اى لم يلبث والمضاف محذوف فى الموضعين للمبالغة وقرئ بالياء على الاصل (بالامس) فيما قبله

التسيير والتضعيف للتعدية يقال سار الرجل وسيرته انا * فان قيل كيف جعل قوله تعالى حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة غاية لقوله يسيركم فى البحر وغاية الشئ تكون بعده والحال ان السير فى البحر يكون بعد الكون فى الفلك * قلنا اشار المصنف الى جوابه بقوله يحملكم على السير ويمكنكم منه * واجاب عنه صاحب الكشاف بان الغاية ليس مجرد الكون فى الفلك بل الغاية هى الكون فى الفلك مع ماعطف عليه من قوله وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها فان هذا المجموع بعد السير فى البحر وجرين يجوز ان يكون معطوفا على كنتم وان يكون حالا بتقدير ضمير جرين للفلك كانه جمع مكسر وان تغيره تقديرى بناء على ان ضمته كضمة اسد وبدن وضمة مفرده كضمة قفل وقرب والالتفات فى بهم للمبالغة والتقبيح * الجوهرى عصفت الريح اى اشتدت فهى ريح عاصف وقوله يجئ الموج منه صفة مخصصة لكل مكان ﴿قوله وهو بدل من ظنوا﴾ لان دعاءهم ملابس لظنهم الهلاك ملابسة الملزوم ويجوز ان يكون كلاما مستأنفا على انه جواب لمن قال ماذا كان عليهم وحالهم اذ ذاك فقيل دعوا الله واللام للقسم فى قوله لئن اى والله ان انجيتنا من هذه الريح العاصفة او من هذه الامواج المتلاطمة والشدائد الهائلة لنكونن من الشاكرين على نعمة الانجاء باتباع اوامرك والاجتناب عن مساخطك ولا نكفر نعمتك بعبادة غيرك فان اخلاص الدين والطاعة له تعالى عبارة عن ترك الشرك وان لايشركوا به شيأ من آلهتهم قيل هذا الاخلاص ليس سببا عن الايمان بل هو لاجل ان لاينجيهم من تلك الاهوال الا الله عز وجل فيكون ذلك جاريا مجرى الايمان الاضطرارى فانهم يدعون مع الله مايدعون فاذا جاءهم الضر والبلاء لم يتضرعوا الا الى الله على سبيل الاضطرار وقيل المراد بذلك الدعاء قولهم اهيا شراهيا فان تفسيره ياحى ياقيوم ﴿قوله فاجأوا الفساد فيها﴾ يعنى ان البغى وان كان يطلق بمعنى الطلب فيقال بغاه اى طلبه لكن المراد به ههنا الفساد والتكذيب والجرآءة على الله تعالى قيل معنى البغى قصد الاستعلاء بالظلم وقال الزجاج البغى الترقى فى الفساد * الجوهرى البغى التعدى بغى الرجل على الرجل استطال وبغت السماء استهل مطرها وبغى الوالى وكل مجاوزة وافراط على المقدار الذى هو حد الشئ فهو بغى فان قيل فما معنى قوله تعالى بغير الحق والبغى لايكون بحق * قلنا البغى بمعنى الفساد والافساد وابطال المنفعة قد يكون بحق وهو استيلاء المسلمين على ارض الكفرة وهدم دورهم واحراق زروعهم وقلع اشجارهم كما فعل صلى الله عليه وسلم ببنى قريظة والبغى الذى لايكون بحق هو البغى بمعنى الظلم ﴿قوله مبطلين﴾ اشارة الى ان قوله بغير الحق حال بمعنى ملتبسين بغير الحق ثم انه تعالى بين ان هذا البغى امر باطل يجب على العاقل ان لايحوم حوله فقال يا أيها الناس انما بغيكم على انفسكم ﴿قوله فان وباله عليكم﴾ اى على انفسكم متعلقا بقوله بغيكم خبر بغيكم بتقدير المضاف فى المسند اليه والانفس بمعنى الذوات وقوله او انه على امثالكم على ان يكون على انفسكم متعلقا بقوله بغيكم وان يكون انفسكم بمعنى امثالكم وبعض منكم كما فى قوله تعالى ولا تقتلوا انفسكم وقوله ولا تلمزوا انفسكم والمعنى انما بغى بعضكم على بعض وماتنالون به امر تتمتعون به فى الحياة الدنيا فهو متاع فى الدنيا فعلى هذا يكون متاع الحياة الدنيا خبر بغيكم وعلى الاول يكون خبر مبتدأ محذوف وان نصب متاع الحياة باحد الوجوه المذكورة يكون الخبر هو على انفسكم ﴿قوله حالها العجيبة﴾ سميت الحال العجيبة مثلا تشبيها لها بالمثل السائر فى الغرابة كما قال تعالى انما بغيكم على انفسكم متاع الحياة الدنيا ضرب هذا المثل لمن اغتر بالحياة الدنيا واعرض عن التأهب للآخرة قوله تعالى مما يأكل الناس حال من النبات اى كائنا مما يأكل وحتى كلمة غاية فلا بد لها من شئ معناه من شأنه ان يستمر ويبقى الى امر وهو الاختلاط ههنا كانه قيل اختلط نبات الارض الى ان يأتيها امرنا حين ما اخذت زخرفها وتزينت واخذت الارض زخرفها استعارة بالكناية شبهت الارض بالعروس واثبت لها مايلائم العروس وهو اخذ الزينة وهى قرينة الاستعارة بالكناية وازينت ترشيحها ﴿قوله وقرئ بالياء على الاصل﴾ لان الفعل مسند فى الاصل الى المضاف المقدر يقال غنى بالمكان اذا اقام به قال الليث يقال للشئ اذا فنى كأن لم يغن بالامس اى كان لم يكن وهو من باب علم وهذه الجملة يجوز ان تكون فى محل النصب على انها حال من مفعول جعلناها وان تكون مستأنفة لامحل لها من الاعراب جواب لسؤال مقدر ﴿قوله لانه من التشبيه المركب﴾ حيث شبهت الهيئة المنتزعة من اجتماع الحياة ونهايتها وسرعة انقضائها بالهيئة المنتزعة من اجتماع خضرة الارض ونضارتها وانعدامها عقيبها دفعة بآفة سماوية ومشيئة الهية كما فى قول الشاعر

* كأن مثار النقع فوق رؤسنا * واسيافنا ليل تهاوت كواكبه *

(حيث)

حيث شبه الاضوآء الحاصلة من هوىّ اجرام مشرقة مستطيلة متناسبة الاضوآء متفرقة فى جوانب شئ مظلم بليل سقطت كواكبه والكاف فى كذلك صفة مصدر محذوف اى مثل هذا التفصيل الذى فصلناه فى الماضى نفصل فى المستقبل ووجه ارتباط هذه الآيات انه تعالى لماقال واذا اذقنا الناس رحمة من بعد ضرّآء مستهم اذالهم مكر فى آياتنا وكان هذا كلاما كليا ضرب له مثالا لان المعنى الكلى لايصل الى الافهام الا بالامثلة فذكر ان الانسان اذاركب فى السفينة ووجد الريح الطيبة حصلت له المسرّة القوية ثم لو ظهرت علامات الهلاك من الرياح العاصفة والامواج المتراكمة فظن الهلاك وقع فى خوف شديد وبلاء عظيم فان هذه الاحوال توجب شدّة الخوف والبلاء اذا كان على سبيل الابتدآء فكيف اذا كان بعد الفرح العظيم ولاشك انه فى هذه الاحوال لايطمع الا فى فضل الله تعالى متضرّعا اليه ويقطع الطمع من جميع الخلق ثم اذا نجاه الله تعالى من هذه البلية العظيمة يرجع الى ماالفه واعتاد من العقائد الفاسدة والاخلاق الذميمة فهذا مكر الانسان بعد انتقال الانسان من الضرّ الى الرحمة ولماانساق الكلام الى ذكر انهم يسارعون الى ماكانوا عليه من البغى فى الارض بين ان بغيهم على انفسهم متاع الحياة الدنيا ثم مثل الحالة العجيبة لتلك الحياة من نهايتها وسرعة انقضائها بالحاصلة من اخضرار الارض بانواع النبات ثم انعدامها بالكلية بآفة سماوية ﴿قوله دار السلامة من التقضى﴾ اى الانقضاء بيان لوجه تسمية الجنة بدار السلام لمانفر الله تعالى عباده بالمثال المذكور عن الحياة الدنيا والركون اليها رغبهم فى الآخرة بهذه الآية روى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال «مامن يوم تطلع فيه الشمس الا وبجنبها ملكان يناديان بحيث يسمع كل الخلق الا الثقلين ياأيها الناس هلموا الى ربكم والله يدعو الى دار السلام» ﴿قوله وفى تعميم الدعوة وتخصيص الهداية﴾ يعنى انه تعالى عمم الدعوة لجميع الخلق وخصص الهداية بالمشيئة فالكل مأمور ولايريد من الكل الا الاهتدآء لان ظاهر يهدى من يشاء انه يهدى من يشاء هداه ورشده فلو شاء الله تعالى اهتدآء الكل كان هاديا للكل وليس كذلك ويلزم من ذلك على المعتزلة امران احدهما ان الامر غير الارادة والا لكان ارادة متعلقة بالكل وليس الامر كذلك والثانى ان من استمرّ على الضلالة لايريد اهتدآءه ولانه لواراد اهتدآء كل واحد من المهتدين ومن المستمرين على الضلالة لم يبق لتخصيص الهداية بالمشيئة وجه ثم انه تعالى لمادعا عباده الى دار السلام ذكر السعادات التى تحصل لهم فيها فقال للذين احسنوا الحسنى وزيادة روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه قال المراد باحسان المحسنين ذكر لااله الاالله وقال الاصم الذين احسنوا فى كل ماكلفوا بان يأتوا بالمأمورات كماينبغى ويجتنبوا عن المنهيات من الوجه الذى صارت منهيا عنها من ذلك الوجه وهذا اقرب الى الصواب لان الدرجات العالية لاتحصل الا لاهل الطاعات والحسنى فى اللغة تأنيث الاحسن والعرب تطلق هذا اللفظ على الخصلة المرغوب فيها وقال اهل التفسير المراد منها الجنة قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما للذين قالوا لااله الاالله الجنة وزيادة هى النظر الى وجه الله تعالى وروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قرأ للذين احسنوا الحسنى وزيادة وقال اذا دخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار نادى مناد يااهل الجنة ان لكم عندالله موعدا يريدان ينجزكوه فيقولون ماهذا الم يثقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة وينجينا من النار فيكشف لهم الحجاب فينظرون الى الله تعالى فماشئ مما اعطوه احب اليهم من النظر اليه وهو الزيادة ولايرهق وجوههم قتر ولا ذلة بعد نظرهم اليه ويؤكده قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة فاثبت لاهل الجنة امرين احدهما نضرة الوجوه والثانى النظر الى الله تعالى وروى عن علىّ رضى الله تعالى عنه ان الزيادة غرفة من لؤلؤة واحدة وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما الحسنى هى الجنة والزيادة هى عشر امثالها الى سبع مائة ضعف وعن مجاهد الزيادة مغفرة من الله ورضوان وقيل الزيادة ان تمرّ السحابة باهل الجنة فتقول ماتريدون ان امطركم فلا يريدون شيأ الا امطرتهم ﴿قوله والمعنى لايرهقهم مايرهق اهل النار﴾ ويرهقهم حالتان الاولى مااخبر الله عنه بقوله ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة والثانى مااخبر الله عنه بقوله وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة والغرض من نفى هاتين الصفتين نفى اسباب الخوف والحزن والذل عنهم ليعلم ان الذى ذكره الله تعالى خالص لايشوبه شئ من المكروهات وانه لايطرأ عليهم غير ماتحصل به صباحة الوجوه ويزيد مافيها من النضارة والحسن ﴿قوله اولا يرهقهم مايوجب ذلك﴾ على ان يكون الكلام كناية لان عدم غشيانهما لازم لعدم غشيان مايوجبهما فذكر اللازم لينتقل الى الملزوم ﴿قوله مذهب من يجوّز فى الدار زيد والحجرة عمرو﴾ اى على مذهب من يجوّز العطف على

معمولى عاملين مختلفين بشرط ان يتقدّم الجار ولايجوّزه اذالم يتقدم كما فى قولك ان زيدا فى الدار وعمرا فى القصر بمعنى وان عمرا فى القصر وفى المسئلة ثلاثة مذاهب احدها الجواز مطلقا وهو قول الفرآء والثانى المنع مطلقا وهومذهب سيبويه والثالث التفصيل الذى ذكرناه وتقدير الكلام للذين احسنوا الحسنى والذين كسبوا السيئات جزآء سيئة بمثلها لايزاد عليها ثابت للذين كسبوا السيئات ﴿قوله وفيه تنبيه﴾ اى وفى تقييد جزآء السيئة بكونه مماثلا لاجل السيئة غير زآئد عليها تنبيه على ان المراد من قوله وزيادة على المثوبة تفضلا اومازيد عليها من الاضعاف ووجه التنبيه ان المقصود من الآية الدلالة على الفرق بين الحسنات والسيئات بان الحسنات تجازى بالمثوبة الحسنى والزيادة عليها وان السيئات تجازى بالعقوبة المماثلة لها بدون ان يزاد عليها شئ ويفهم منه بقرينة المقابلة ان الزيادة على الثواب تكون من جنس المزيد عليه يزاد عليه تفضلا مع قطع النظر عن كونه ضعف المزيد عليه او أضعافه او يزاد عليه مقيدا بكونه عشر امثال الحسنات وذكر الزمخشرى هذا الوجه ثم قال وفى هذا دليل على ان المراد بالزيادة الفضل لانه دل بترك الزيادة على السيئة على عدله ولانه دل باثبات الزيادة على المثوبة على فضله ﴿قوله او كانما اغشيت﴾ عطف على جزآء فى قوله والخبر جزآء اى ويحتمل ان يكون قوله تعالى والذين كسبوا مبتدأ ويكون الخبر الجملة التشبيهية من قوله كانما اغشيت وكأن حرف تشبيه زيدت عليه كلمة ما لتكفه عن العمل وتهيئه للدخول على الفعل وعلى هذا الوجه فصل بين المبتدأ وخبره ثلاث جمل اعتراض وقوله او اولئك عطف عليه ايضا وعلى هذا الوجه قد فصل باربع جمل معترضة اوّلها قوله تعالى جزآء سيئة بمثلها والثانية وترهقهم ذلة والثالثة مالهم من الله من عاصم والرابعة كانما اغشيت وجوههم وينبغى ان لايجوز الفصل بثلاث جمل فضلا عن اربع ﴿قوله وقرئ بالياء﴾ من تحت لان تأنيث الذلة غير حقيقى والظاهر ان قوله تعالى وترهقهم ذلة معطوف على كسبوا جيئ على لفظ المستقبل لكون المقصود تعيينهم بوصفين الاوّل ان كسبوا السيئات فى الماضى والثانى سيرهقهم الذلة يوم القيامة ﴿قوله لانه العامل فى قطعا﴾ فان قطعا منصوب باغشيت مفعول ثانى له وقد اقيم مفعوله الاوّل مقام الفاعل ومن الليل فان كان من الليل صفة لقطعا المعمول لاغشيت كان من الليل معمولا لاغشيت ايضا بحكم ان العامل فى الموصوف هو العامل فى الصفة ايضا وحيث كان مظلما حالا من الليل يكون معمولا لاغشيت ايضا لان العامل فى الحال هو العامل فى صاحبها ويجوز ان يكون العامل فى مظلما على تقدير كونه حالا من الليل معنى الفعل فى من الليل اى قطعا كائنة من الليل فى حال كونه مظلما ﴿قوله وعلى هذا﴾ اى على ان يقرأ قطعا بسكون الطاء يصح ان يكون مظلما صفة له او حالا منه ولايجوز شئ منهما على قرآءة من قرأ قطعا بفتح الطاء لان قطعا جمع قطعة مثل دمنة ودمن وكسرة وكسر فكان يجب حينئذ ان يقال مظلمة لان الموصوف اوذا الحال لما كان جمعا وجب تأنيث الصفة والحال لوجوب المطابقة بين الصفة والموصوف وكذا بين الحال وصاحبها بخلاف ما اذا قرئ قطعا بسكون الطاء حينئذ فانه يكون اسم جنس ويجوز تذكير صفته نحو نخل منقعر وتأنيثها نحو نخل خاوية وكذا يجوز التذكير والتأنيث فيما انتصب منه على الحالية ويوم فى قوله تعالى ويوم نحشرهم منصوب بفعل مقدّر اى خوفهم او ذكرهم يوم والفريقان هم الذين احسنوا والذين كسبوا السيئات وجميعا حال ومكانكم اسم فعل اى اثبتوا مكانكم وحذف فاعله وانتقل اليه الضمير الذى اسند اليه عامله ولذلك اكد بقوله انتم وعطف عليه شركاؤكم وقوله تعالى فزيلنا بينهم وزنه فعلنا والتضعيف فيه للتكثير لا للتعدية لان ثلاثيه متعد بنفسه تقول زلت الشئ ازيله زيلا اى ميزته وفرقته ويقال زل ضانك من معزك وزلته منه وزيلته فتزيل اى فرقته فتفرق وقيل وزنه فيعلنا من زال يزول اصله زيولنا اجتمعت الواو والياء وسبقت احداهما بالسكون فقلبت الواو ياء والاوّل اظهر لان فعل اكثر من فيعل ولان مصدر التزييل لو كان وزنه فيعل لكان مصدره فيعلة كبيطرة لان فيعل ملحق بفعلل وهذا التزييل وان كان مما سيكون يوم القيامة الا انه لتحقق وقوعه صار كالكائن الآن فلذلك جاء بلفظ الماضى بعد قوله ويوم نحشرهم ثم نقول وكل منهما مستقبل كقوله تعالى ونادى اصحاب الجنة واضاف الشركاء اليهم لانهم جعلوا لهم نصيبا من اموالهم فصيروهم كأنفسهم فى تلك وقيل لان الاضافة يكفى فيها ادنى تعلق فلما كان هم الذين اثبتوا هذه الشركة حسنت اضافة الشركاء اليهم ﴿قوله مجاز عن برآءة ماعبدوه من عبادتهم﴾ جواب عما يقال كيف يتأتى للشركاء ان يقولوا ما كنتم ايانا تعبدون مع ان المشركين كانوا قد عبدوهم فيكون هذا الكلام من الشركاء على ارادة حقيقته وليس كذلك بل هو مجاز عن برآءة الشركاء من

والجرة عمرو او الذين مبتدأ والخبر جزآء سيئة على تقدير وجزآء الذين كسبوا السيئات جزآء سيئة بمثلها اى ان يجازى سيئة بسيئة مثلها لايزاد عليها وفيه تنبيه على ان الزيادة هى الفضل او التضعيف او كانما اغشيت او اولئك اصحاب النار ومابينهما اعتراض فجزآء سيئة مبتدأ خبره محذوف اى فجزآء سيئة بمثلها واقع او بمثلها على زيادة الباء او تقدير مقدر بمثلها (وترهقهم ذلة) قرئ بالياء (مالهم من الله من عاصم) مامن احد يعصمهم من سخط الله ومن جهة الله ومن عنده كما يكون للمؤمنين (كانما اغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما) لفرط سوادها وظلمتها ومظلما حال من الليل والعامل فيه اغشيت لانه العامل فى قطعا وهو موصوف بالجار والمجرور والعامل فى الموصوف عامل فى الصفة او معنى الفعل فى من الليل وقرأ ابن كثير والكسائى ويعقوب قطعا بالسكون وعلى هذا يصح ان يكون مظلما صفة له او حالا منه (اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون) مما يحتج به الوعيدية والجواب ان الآية فى الكفار لاشتمال السيئات على الكفر والشرك ولان الذين احسنوا يتناول اصحاب الكبيرة من اهل القبلة فلا يتناولهم قسيمه (ويوم نحشرهم جميعا) يعنى الفريقين جميعا (ثم نقول للذين اشركوا مكانكم) الزموا مكانكم حتى تنظروا مايفعل بكم (انتم) تأكيد للضمير المنتقل اليه من عامله (وشركاؤكم) عطف عليه وقرئ بالنصب على المفعول معه (فزيلنا بينهم) ففرقنا بينهم وقطعنا الوصل التى كانت بينهم (وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون) مجاز عن برآءة ماعبدوه من عبادتهم فانهم انما عبدوا فى الحقيقة اهوآءهم لانها الآمرة بالاشراك لا ما اشركوا به

عبادة المشركين حيث لم تكن تلك العبادة بامر الشركاء وارادتهم وانما الآمر بها هو اهواؤهم والشياطين فالمشركون فى الحقيقة انما عبدوا الشياطين واهوآءهم ويدل عليه امران الاوّل انهم استشهدوا بالله تعالى فى ذلك حيث قالوا فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم والثانى انهم قالوا ان كنا عن عبادتكم لغافلين فاثبتوا لهم عبادة الا انهم زعموا انهم كانوا غافلين عن تلك العبادة وقد صدقوا فى ذلك لان من اعظم اسباب الغفلة كونها جمادات لاحس لها ولاشعور البتة ﴿قوله وقيل الخ﴾ يعنى انهم اختلفوا فى المراد بهؤلاء الشركاء المتبرئين من عبادة المشركين فقال بعضهم هم الملائكة والمسيح استشهادا بقوله تعالى ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون وبقوله تعالى لعيسى عليه الصلاة والسلام أأنت قلت للناس اتخذونى وامى الهين من دون الله قال سبحانك الى قوله ماقلت لهم الاما امرتنى به ان اعبدوا الله وقال آخرون هم الشيطان حيث تبرأ ممن عبدوه بقوله ليس لى عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لى وقيل بل هم الاصنام والاصنام تقول هذا الكلام بان يخلق الله فيها الحياة والعقل والنطق ولا جرم ان تذكر هذا الكلام * فان قيل اذا احيى الله تعالى الاصنام فهل يبقيهم اويميتهم * قلنا الكل محتمل ولا اعتراض عليه تعالى فى شئ من افعاله واحوال القيامة لايعلم منها الا القليل الذى اخبرالله تعالى عنه فى القرآن وقيل قول الشركاء ماكنتم ايانا تعبدون يجرى على حقيقته بناء على ان ذلك الموقف موقف الدهشة والحيرة فذلك الكذب يكون جاريا مجرى كذب الصبيان والمجانين المدهوشين ولانهم مااقاموا لاعمال الكفار وزنا وجعلوها لبطلانها كالعدم فلهذا قالوا ماعبدونا ولان المشركين لما تخيلوا فيما عبدوه اوصافا كثيرة غير موجودة فى الشركاء كانوا فى الحقيقة انما عبدوا ذوات موصوفة بتلك الصفات ولما كانت ذوات الشركاء خالية من تلك الصفات صدق ان يقال ان المشركين ماعبدوا الشركاء وانما عبدوا امورا تخيلوها ولاوجود لها فى الاعيان ﴿قوله فى ذلك المقام﴾ يعنى ان هنالك باق على اصله الذى هو كونه ظرف مكان لان فى ذلك الموقف الدهش وقيل هو هنا ظرف زمان على سبيل الاستعارة كما فى قوله تعالى هنالك ابتلى المؤمنون اى فى ذلك الوقت ﴿قوله فتعاين نفعه وضرّه﴾ اشارة الى ان المراد باختبار النفس ماقدّمت من خير اوشرّ حدوث العلم لها بكون ماقدّمته من الاعمال خيرا اوشرّا بمعاينة نتائجها وآثارها فان الاختبار سبب لحدوث العلم فاطلق اسم السبب على المسبب مجازا ومن قرأ تتلو بتائين منقوطتين من فوق جعله من التلاوة او من التلوّ والمعنى على الاوّل ان كل نفس تقرأ ذكر ماعملته مسطورا فى صحف الحفظة وعلى الثانى تتبع كل نفس ماأسلفت لان ماعملته هو الذى يهديها الى طريق الجنة او الى طريق النار وقرأ عاصم نبلو كل بنون عظمة المتكلم المعظم نفسه ونصب كل على انه مفعول به وقوله ما اسلفت على هذه القرآءة يحتمل ان يكون فى محل النصب على اسقاط الخافض فيكون نبلو من البلاء اى العذاب بمعنى نعذبها بسبب ما اسلفت ويحتمل ان يكون منصوبا على انه بدل اشتمال من كل نفس لان تعرّف حال عملها من كونه حسنا او قبيحا سبب لتعرف انها سعيدة اوشقية فكان بينهما ملابسة السببية فالمعنى ان الله تعالى يقول فى ذلك الوقت نختبر كل نفس بسبب اختبار ما اسلفته من العمل على معنى انا نعرف حالها بمعرفة حال عملها ان كان حسنا فهى سعيدة وان كان قبيحا فهى شقية وحقيقة الاختبار لاتتصوّر منه تعالى فالكلام من قبيل الاستعارة كما اشار اليه بقوله نفعل بها فعل المختبر لحالها الخ ﴿قوله الى جزآئه﴾ او الى موقف جزآئه لابدّ هنا من تقدّم المضاف لان الرجوع الى ذاته تعالى ممالايتصوّر اى وردّ العابدون والمعبودون الى جزآء الله تعالى وحكمه الذى هو مولاهم فى الحقيقة لامولى لهم غيره يجازى كل واحد منهم على حسب ماهو وقرئ الحق منصوبا اما على القطع فان اصله الجرّ على انه تابع فقطع باعتبار أمدح اواعنى كقولهم الحمدلله اهل الحمد واما على انه مصدر مؤكد لمضمون الجملة المتقدّمة وهو ردّوا الى الله كما تقول هذا عبدالله الحق لاالباطل اى احق الحق ﴿قوله من ان آلهتهم تشفع لهم﴾ او من نفس شركائهم الذين كانوا يدعون فى حقهم انهم آلهة ثم انه تعالى لمابين فضائح عبدة الاوثان اتبعها بذكر مايدل على فساد مذهبهم فذكر امورا لايقدرون على ادعاء ان شركاءهم تقدر عليها وهو احوال الرزق واحوال الحواس واحوال الموت والحياة ﴿قوله باسباب سماوية﴾ كالامطار واختلاف الفصول المتفرع عليها او على حركة الكواكب والافلاك ولاشك انه تعالى يرزق عباده من المواد الارضية ايضا لان الغذآء لابدّ ان يكون نباتيا او حيوانيا والنبات لاينبت الا من الارض والحيوان محتاج الى الغذآء ولايمكن ان يكون غذآء كل حيوان حيوانا والا لزم الذهاب

وقيل ينطق الله الاصنام فتشافههم بذلك مكان الشفاعة التى يتوقعون منها وقيل المراد بالشركاء الملائكة والمسيح وقيل الشياطين (فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم) فانه العالم بكنه الحال (ان كنا عن عبادتكم لغافلين) ان هى المخففة من المثقلة واللام هى الفارقة (هنالك) فى ذلك المقام (تبلو كل نفس مااسلفت) تختبر ماقدّمت من عمل فتعاين نفعه وضرّه وقرأ حمزة والكسائى تتلو من التلاوة اى تقرأ ذكر ماقدّمت اومن التلوّ اى تتبع عمله فيقودها الى الجنة او الى النار وقرئ نبلو بالنون ونصب كل وابدال ما منه والمعنى نختبرها اى نفعل بها فعل المختبر لحالها المتعرّف لسعادتها وشقاوتها بتعرف ما اسلفت من اعمالها ويجوز ان يراد به نصيب بالبلاء اى بالعذاب كل نفس عاصية بسبب مااسلفت من الشرّ فتكون مامنصوبة بنزع الخافض (وردّوا الى الله) الى جزآئه اياهم بمااسلفوا (مولاهم الحق) ربهم ومتولى امرهم على الحقيقة لا مااتخذوه مولى وقرئ الحق بالنصب على المدح او المصدر المؤكد (وضلّ عنهم) وضاع عنهم (ماكانوا يفترون) من ان آلهتهم تشفع لهم اوماكانوا يدعون انها آلهة (قل من يرزقكم من السماء والارض) اى منهما جميعا فان الارزاق تحصل باسباب سماوية ومواد ارضية اومن كل واحد منهما توسعة عليكم

وقيل من لبيان من على حذف المضاف اى من اهل السماء والارض (ام من يملك السمع والابصار) ام من يستطيع خلقهما وتسويتهما

او من يحفظهما من الآفات مع كثرتها و سرعة انفعالهما من ادنى شئ (ومن يخرج الحيّ من الميت ويخرج الميت من الحيّ) ومن يحيي ويميت او من ينشئ الحيوان من النطفة والنطفة منه (ومن يدبر الامر) ومن يلي تدبير امر العالم وهو تعميم بعد تخصيص (فسيقولون الله) اذلا يقدرون على المكابرة والعناد في ذلك لفرط وضوحه (فقل افلا تتقون) انفسكم عقابه باشراككم اياه مالا يشاركه في شئ من ذلك (فذلكم الله ربكم الحق) اى المتولى لهذه الامور المستحق للعبادة هو ربكم الثابت ربوبيته لانه الذى انشاكم واحياكم ورزقكم ودبر اموركم (فماذا بعد الحق الا الضلال) استفهام انكارى اى ليس بعد الحق الا الضلال فمن تخطى الحق الذى هو عبادة الله تعالى وقع فى الضلال (فانى تصرفون) عن الحق الى الضلال (كذلك حقت كلمة ربك) اى كما حقت الربوبية لله او ان الحق بعده الضلال او انهم مصرفون عن الحق كذلك حقت كلمة الله وحكمه (على الذين فسقوا) تمرّدوا فى كفرهم وخرجوا عن حدّ الاستصلاح (انهم لايؤمنون) بدل من الكلمة او تعليل لحقيتها والمراد بها العدة بالعذاب (قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده) جعل الاعادة كالابدآء فى الالزام بها لظهور برهانها وان لم يساعدوا عليها ولذلك امر الرسول عليه الصلاة والسلام ان ينوب عنهم فى الجواب فقال (قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده) لان لجاجهم لايدعهم ان يعترفوا بها (فانى تؤفكون) تصرفون عن قصد السبيل (قل هل من شركائكم من يهدى الى الحق) بنصب الحجج وارسال الرسل والتوفيق للنظر والتدبر وهدى كما يعدّى بالى لتضمنه معنى الانتهاء يعدّى باللام للدلالة على ان المنتهى غاية الهداية وانها لم تتوجه نحوه على سبيل الاتفاق ولذلك عدّى بها ما اسنده الى الله (قل الله يهدى للحق افمن يهدى الى الحق احق ان يتبع ام من لايهدى الا ان يهدى) ام الذى لايهتدى الا ان يهدى

من قولهم هدى بنفسه اذا اهتدى او لايهدى غيره الا ان يهديه الله وهذا حال اشراف شركائهم كالملائكة والمسيح وعزير

الى مالانهاية له وذلك محال فثبت ان اغتذآء الحيوانات يجب انتهاؤه ومن المعلوم ان تولد النبات من الارض فلزم القطع بانه لاتحصل الارزاق الا من السماء والارض ومن المعلوم ان مدبر السموات والارض ليس الا الله وكذا احوال الحواس لايقدر عليها الا الله تعالى وكان علىّ رضى الله عنه يقول سبحان من ابصر بشحم واسمع بعظم وانطق بلحم ﴿**قوله** وقيل من لبيان من﴾ اى وقيل ان كلمة من فى قوله من السماء ليست لابتدآء الغاية بل هى لتبيين جنس من يرزق وام فى قوله تعالى ام من يملك منقطعة لانه لم يتقدمها همزة استفهام ولا همزة تسوية ولكن تقدر بل وحدها دون الهمزة بعدها وقد تقرّر أن المنقطعة عند الجمهور تقدر ببل وحدها وانما لم تقدر هنا ببل والهمزة لانه وقع بعدها اسم استفهام صريح وهو من فهو كقوله ام ماذا كنتم تعملون والاضراب هنا اضراب انتقال كما هو القاعدة المتقرّرة فى القرآن لا اضراب ابطال ﴿**قوله** ومن يحيى ويميت﴾ فان كل واحد من الاحياء والاماتة اخراج احد الضدّين من الآخر بمعنى تحصيله منه لان كثيرا ما يقال كان الخارج كذا بمعنى كان الحاصل كذا وايضا انه يخرج الانسان من النطفة وبالعكس ويخرج الطائر من البيضة وبالعكس وقيل المراد انه تعالى يخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن ﴿**قوله** وهو تعميم بعد تخصيص﴾ لانه تعالى ذكر اوّلا تدابير مخصوصة متعلقة بعلم الاجساد فان اقسام تدبير الله فى ملكه امور لانهاية لها وذكر كلها على التفصيل كالمتعذر فذكر بعض التفاصيل ثم عقبها بالكلام الكلى ليكون دالا على الباقى ﴿**قوله** هو ربكم الثابت ربوبيته﴾ اشارة الى ان ربكم الحق خبر ذلكم الله فان الجلالة صفة ذلكم وان الحق بمعنى الصادق اى الثابت ربوبيته ردّا لمن اتخذ مالا تحقق لربوبيته كانه قيل ان الذى يفعل هذه الاشياء هو ربكم الحق لا ما اشركتم معه ﴿**قوله** اى كما حقت الربوبية لله الخ﴾ يعنى ان الكاف فى كذلك فى محل نصب على انه صفة مصدر محذوف والاشارة بذلك الى المصدر المفهوم من الحق فى قوله ربكم الحق او الى حقية مضمون قوله تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال او الى حقية انهم مصروفون عن الحق بعد الاقرار به كما قال فسيقولون الله ﴿**قوله** بدل من الكلمة﴾ اى حق عليهم بانتفاء ايمانهم او تعليل لحقية الكلمة على ان يراد بالكلمة العدة بالعذاب وان الاصل لانهم لايؤمنون ﴿**قوله** تعالى قل هل من شركائكم الآية﴾ احتجاج آخر على بطلان مذهب عبدة الاوثان ﴿**قوله** جعل الاعادة كالابدآء فى الالزام بها﴾ جواب عما يقال المشركون ينكرون البعث والاعادة فكيف احتج عليهم بذلك * وتقرير الجواب ان الزام الخصم كما يصح بما يساعده ويعترف به يصح ايضا بما يعين حقيقته لقوّة برهانه وامر الحشر والنشر من هذا القبيل فان وجوب التمييز بين المحسن والمسئ برهان دال على تحقق وقوعه دلالة قاطعة لايمكن العاقل دفعه فصح الالزام به وان لم يساعده الخصم عليه ﴿**قوله** ولذلك الخ﴾ جواب عما يقال لم امر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم ان ينوب عنهم فى الجواب والالزام انما يصح ان لو اعترفوا به انفسهم * وتقريره كون الامر ظاهرا جليا مؤيدا بالبراهين القوية اغنى عن الاعتراف به وانيب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الجواب ﴿**قوله** والتوفيق للنظر والتدبر﴾ اى للنظر الصحيح والتدبر الصائب فان القول مضطرب والافكار مختلط وتعين الحق صعب ولايسلم من الغلط الا الاقل من القليل فاهتدآء ادراك الحقائق لايكون الا باعانة الله تعالى وهدايته وارشاده وهذا احتجاج آخر على فساد مذهب المشركين والاستدلال على وجود الصانع اوّلا بالحق وثانيا بالهداية عادة مطردة فى القرآن قال تعالى حكاية عن الخليل عليه الصلاة والسلام الذى خلقنى فهو يهدين وحكى عن موسى عليه الصلاة والسلام قوله تعالى ربنا الذى اعطى كل شئ خلقه ثم هدى * اعلم ان هدى يتعدّى الى اثنين اوّلهما بنفسه وثانيهما اما باللام واما بالى وقد يحذف حرف الجرّ تخفيفا وقد جمع بين التعديتين بحرف الجر هنا فعدى الاوّل والثالث بالى والثانى باللام وحذف المفعول الاوّل من الافعال الثلاثة والتقدير هل من شركائكم من يهدى غيره الى الحق والمصنف بين سرّ كل واحدة من التعديتين فقال يعدّى بالى ليدل على ان انتهاء الهداية مدخولها ويعدّى باللام ليدل على ان الهداية لاتتوجه نحو مادخلت عليه الا لاجل ان تؤدى اليه ويترتب عليها كما هو شان العلة والمعلل بها ﴿**قوله** ام الذى لايهتدى الخ﴾ اختار فى قوله ام من لايهدى الا ان يهدى قرآءة حمزة والكسائى وهو ان يقرأ قوله الا ان يهدى بسكون الهاء وتخفيف الدال على معنى يهتدى فان العرب تستعمل يهدى بمعنى يهتدى فتقول هديته فهدى اى فاهتدى ﴿**قوله** او لايهدى غيره﴾ عطف على قوله يهتدى فى قوله ام الذى لايهتدى ﴿**قوله** وهذا حال اشراف شركائهم﴾ جواب عما يقال من ان المراد من الشركاء فى هذه الآية الاصنام وانها

جمادات لاتقبل الهداية فكيف يصح ان يقال فى حقها الا ان يهدى وايضا كلمة من تستعمل فى ذوى العقول دون الجمادات فلايليق ان يقال فى حقها ام من لايهدى فلاقيل ان الله تعالى اكتفى فى بيان فساد مذهب مطلق اهل الشرك من عبدة الاوثان وغيرها بقوله تعالى قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده فانه لاشك ان المراد بالشركاء فيه مايتناول الاصنام وغيرها ثم بين فى هذه الآية فساد مذهب من يتخذ العقلاء الذين يقبلون الهداية اربابا كالملائكة والمسيح وعزير سقط الاشكال المذكور ﴿قوله والاصل يهتدى﴾ اى اصل كل واحدة من القرآءتين وهما قرآءة يهدى بفتح الياء والهاء وتشديد الدال وقرآءة يهدي بفتح الياء وكسر الهاء وتشديد الدال فلما ادغمت التاء فى الدال فيهما اجتمع الساكنان فحركت الهاء بفتحة التاء المدغمة فى احدى القرآءتين وحركت الهاء بالكسر فى القرآءة الاخرى لكون الكسر اصلا فى تحريك الساكن ﴿قوله وروى ابوبكر﴾ عن عاصم يهدى بكسر الياء والهاء اتباعا لحركة الياء بحركة الهاء وقيل هى على لغة تميم ﴿قوله وقرأ ابوعمرو بالادغام المجرد﴾ بان ترك الهاء ساكنة على حالها بعد ادغام التاء فى الدال فجمع بين الساكنين ونسب الامام هذه القرآءة الى قالون عن نافع ثم قال ابوعمرو بالاشارة الى فتحة الهاء من غير اشباع فهو بين الفتح والسكون والفتحة مختلسة على اصل مذهبه اختيارا للتخفيف ثم قال وذكر علىّ بن عيسى انه الصحيح والاجود من قرآءة نافع وقرئ الاان يهدى بضم الياء وفتح الهاء والدال المشددة على بناء المفعول من باب التفعيل ﴿قوله والمراد بالاكثر الجميع﴾ لان ابقاءه على اصل معناه يدل على ان اعتقاد بعضهم فيما ذهب اليه من قاعدة الشرك وان شركاءهم شفعاؤهم عندالله يستند على برهان وليس كذلك بل كلهم متفقون على اتباع الظن والتقليد ويجوز ان يكون الاكثر باقيا على اصل معناه ويكون التقييد به للاشارة الى ان الظن انما يتأتى ممن له نظر واستدلال وان بعضا منهم بمعزل عنه فضلا عن ان ينسب حكمه ومذهبه الى البرهان ﴿قوله تعالى وما كان هذا القرءآن ان يفترى﴾ لما تقدم قول اهل مكة ويقولون لولا انزل عليه آية وذكروا ذلك لاعتقادهم ان القرءآن ليس بمعجز وانه صلى الله عليه وسلم انما اتى بهذا القرءآن افترآء على الله تعالى وماهو وحى نازل عليه من عندالله تعالى احتج على صحة هذا الكلام بقوله قل فأتوا بسورة مثله وذلك يدل على انه معجز لايتأتى ان يكون من عند غيره تعالى ﴿قوله افترآء من الخلق﴾ اشارة الى ان قوله تعالى ان يفترى فى محل نصب على انه خبر ما كان وانه فى تقدير المصدر اى ماينبغى لهذا القرءآن ان يفترى به على الله تعالى لان المفترى هو الذى يأتى به البشر والقرءآن معجز على كل حال لايقدر عليه البشر والافترآء فى الاصل افتعال من فريت الاديم اذا قدرته للقطع ثم استعمل فى الكذب واحتج على ان القرءآن من عندالله تعالى بكونه مطابقا مصدقا لماتقدمه من الكتب الالهية وكل واحد من الكتب السابقة وان تعين صدقه بان صدق الله تعالى مبلغه بان اظهر على يديه من المعجزات القاهرة لكن ليس شئ من تلك الكتب معجزا مصدقا لنفسه بخلاف هذا القرءآن الكريم المشتمل على اقاصيص الاوّلين فانه قدبلغ الينا من قبل رجل لم يكتب ولم يقرأ شيأ من المدونات ولم يخالط احدا من العلماء مشتملا على نفائس علم الاصول وحقائق علم الاحكام ولطائف علم الاخلاق واسرار قصص الاوّلين وعجز عن معارضته العلماء والفصحاء والبلغاء مع غاية عداوة اهل عصره فلولم يكن مافيه من قصص الاوّلين موافقا لما فى التوراة والانجيل لقدحوا فيه ولبالغوا فى الطعن فيه قائلين ان ماجئت به من الاقاصيص غير مطابق لما اخبر الله تعالى فلما لم يقل احد منهم ذلك مع شدة حرصهم على الطعن علمنا انه صلى الله عليه وسلم اتى بتلك الاقاصيص مطابقة لما فى الكتب المتقدمة مع انه صلى الله عليه وسلم ماطالع شيأ منها وذلك يدل على انه صلى الله عليه وسلم انما اخبر عن هذه الاشياء بوحى من الله تعالى فاذا ثبت ان القرءآن العظيم مصدق لنفسه بسبب كونه معجزا ثبت انه مصدق للكتب المتقدمة عيار عليها شاهد على ضمنها وصحتها بسبب كون مضمونه مطابقا لمضمون تلك الكتب ﴿قوله لكونه معجزا دونها﴾ جواب عما يقال كما ان القرءآن دال على نزول الكتب المتقدمة وعلى اخبار الاوّلين كذلك الكتب المتقدمة دالة عليها فكما ان القرءآن مطابق لها كذلك هى مطابقة له فكيف حكم بان القرءآن مصدق لها دون العكس بوجهين بان القرءآن معجز دونها فهو صالح لان يكون حجة وبرهانا لغيره لاالعكس وقرأ الجمهور تصديق وتفصيل بالنصب لوجهين الاوّل انه خبر كان المقدرة اى ولكن كان تصديقا والثانى انه مفعول له لفعل مقدر اى ولكن انزل للتصديق ﴿قوله وتفصيل ماحقق واثبت﴾ على ان الكتاب من كتب

وقرأ ابن كثير وورش عن نافع وابن عام
يهدّى بفتح الهاء وتشديد الدال ويعقوب
وحفص بالكسر والتشديد والاصل يهتدي
فادغم وفتحت الهاء بحركة التاء اوكسر
لالتقاء الساكنين وروى ابو بكر يهدي
باتباع الياء الهاء وقرأ ابوعمرو بالادغام المجرّ
ولم يبال بالتقاء الساكنين لان المدغم فى حك
المتحرك وعن نافع برواية قالون مثله وقرى
الاان يهدى للمبالغة (فمالكم كيف تحكمون
بما يقتضى صريح العقل بطلانه (ومايتب
اكثرهم) فيمايعتقدون (الاظنا) مستندا ال
خيالات فارغة واقيسة فاسدة كقياس الغائب
على الشاهد والخالق على المخلوق بادنى
مشاركة موهومة والمراد بالاكثر الجميع اومن
ينتمى منهم الى تمييز ونظر ولا يرضى بالتقلي
الصرف (ان الظن لايغنى من الحق) من الع
والاعتقاد الحق (شيأ) من الاغناء ويجو
ان يكون مفعولا به ومن الحق حالا منه وفي
دليل على ان تحصيل العلم فى الاصول واجب
والاكتفاء بالتقليد والظن غير جائز (ان الله
عليم بما يفعلون) وعيد على اتباعهم الظن
واعراضهم عن البرهان (ماكان هذا القرءآن
ان يفترى من دون الله) افترآء من الخلق
(ولكن تصديق الذى بين يديه) مطابقا لم
تقدمه من الكتب الالهية المشهود على صدقه
ولايكون كذبا كيف وهو لكونه معجزا دونه
عيار عليها شاهد على صحتها ونصبه بانه
خبر لكان مقدر اوعلة لفعل محذوف تقدير
لكن انزل الله تصديق الذى وقرئ بالرفع
على تقدير ولكن هو تصديق (تفصيل
الكتاب) وتفصيل ماحقق واثبت من
العقائد والشرآئع (لاريب فيه) منتفيا عنه
الريب وهو خبر ثالث داخل فى حكم
الاستدراك

ويجوز ان يكون حالا من الكتاب فانه مفعول في المعنى وان يكون استئنافا (من رب العالمين) خبر آخر تقديره كائنا من رب العالمين اومتعلق بتصديق او بتفصيل ولاريب فيه اعتراض او بالفعل المعلل بهما ويجوز ان يكون حالا من الكتاب او الضمير في فيه ومساق الآية بعد المنع عن اتباع الظن لبيان مايجب اتباعه والبرهان عليه (ام يقولون) بل ايقولون (افتراه) محمد ومعنى الهمزة فيه الانكار (قل فأتوا بسورة مثله) في البلاغة وحسن النظم وقوة المعنى على وجه الافترآء فانكم مثلى في العربية والفصاحة واشد تمرنا في النظم والعبارة (وادعوا من استطعتم) ومع ذلك فاستعينوا بمن امكنكم ان تستعينوا به (من دون الله) سوى الله فانه وحده قادر على ذلك (ان كنتم صادقين) انه اختلقه (بل كذبوا) بل سارعوا الى التكذيب (بما لم يحيطوا بعلمه) بالقرءآن اوّل ماسمعوه قبل ان يتدبروا آياته ويحيطوا بالعلم بشأنه او بما جهلوه ولم يحيطوا به علما من ذكر البعث والجزآء وسائر مايخالف دينهم (ولما يأتهم تأويله) ولم يقفوا بعد على تأويله ولم تبلغ اذهانهم معانيه اوولم يأتهم بعد تأويل مافيه من الاخبار بالغيوب حتى يتبين لهم انه صدق ام كذب والمعنى ان القرءآن معجز من جهة اللفظ والمعنى ثم انهم فاجأوا تكذيبه قبل ان يتدبروا نظمه ويتفحصوا معناه ومعنى التوقع في لما انه قد ظهر لهم بالآخرة اعجازه لما كرر عليهم التحدي فرازوا قواهم في معارضته فتضاءلت دونها او لما شاهدوا وقوع ما اخبر به طبقا لاخباره مرارا فلم يقلعوا عن التكذيب تمردا وعنادا (كذلك كذب الذين من قبلهم) انبياءهم (فانظر كيف كان عاقبة الظالمين) فيه وعيد لهم بمثل ماعوقب به من قبلهم (ومنهم) ومن المكذبين (من يؤمن به) من يصدق به في نفسه ويعلم انه حق ولكن يعاند اومن سيؤمن به ويتوب عن كفره (ومنهم من لايؤمن به) في نفسه لفرط غباوته وقلة تدبره او فيما يستقبل بل يموت على الكفر (وربك اعلم بالمفسدين) بالمعاندين اوالمصرّين (وان كذبوك) وان اصرّوا على تكذيبك بعد الزام الحجة (فقل لي عملي ولكم عملكم) فتبرأ منهم فقد اعذرت والمعنى لي جزآء عملي ولكم جزآء عملكم حقا كان اوباطلا (انتم بريئون مما اعمل وانا بريء مما تعملون) لاتؤاخذون بعملي ولااؤاخذ بعملكم ولما فيه من ايهام الاعراض عنهم وتخلية سبيلهم قيل انه منسوخ بآية السيف

بمعنى فرض وقدر وحكم قال الشاعر

يابنت عمي كتاب الله آخرجني ❁ عنكم وهل امنعن الله مافعلا ❁

والناس اختلفوا في ان القرءآن معجز من اي الوجوه فقال بعضهم انه معجز لاشتماله على الاخبار عن العلوم الكثيرة واليه الاشارة بقوله وتفصيل الكتاب من الاحكام والشرآئع في كل باب ﴿قوله ويجوز ان يكون حالا من الكتاب﴾ ولما ورد ان يقال كيف جاز مجيء الحال من المضاف اليه والحال انما يبين هيئة الفاعل او المفعول به اجاب عنه بقوله فانه مفعول في المعنى فكانه قيل كان يفصل الكتاب منتفيا عنه الريب وان كان مستأنفا لايكون له محل من الاعراب وان كان قوله من رب العالمين متعلقا بتصديق او بتفصيل بطريق التنازع يكون قوله لاريب فيه اعتراضا بين العامل ومعموله ﴿قوله بل ايقولون﴾ اشارة الى ان ام هذه منقطعة مقدرة ببل والهمزة اضرب عن الكلام الاوّل واخذ في انكار قولهم انه صلى الله عليه وسلم اختلق هذا القرءآن من عند نفسه ثم افتراه على الله تعالى ثم احتج عليهم بانه يقول ان كان الامر كما تزعمون فأتوا بسورة مثله فان لم يف عقل الواحد والاثنين منكم في استخراج مايعارض القرءآن فاجتمعوا وليف بعضكم بعضا في هذه المعارضة مع انه لم يف ولو اجتمع الانس والجن بعضهم ظهيرا لبعض لان قدرة البشر عاجزة عنها فعلم ان نظمه وتنزيله ليس الامن قبل الله تعالى ﴿قوله بل سارعوا الى التكذيب﴾ فسر بل كذبوا بقوله بل سارعوا لدلالة قوله بما لم يحيطوا ولما يأتهم على المسارعة فان تكذيب الكلام قبل الاحاطة بمعانيه مسارعة اليه في اوّل الوهلة فان التصديق والتكذيب بالشيء ينبغي ان يكون بقدر العلم به والاحاطة بكنهه ومعرفة مآله ومرجعه والالكان مسارعا اليه في غير اوانه ومعنى الاضراب في بل ذمهم على التقليد وترك النظر مع التمكن منه كانه قيل دع تحديهم والزامهم فانهم لايتأهلون للخطاب لانهم مقلدون متهافتون في الامر لاعن خبر وتعقل فان كان قوله ولم يحيطوا به علما عبارة عما يؤول اليه نظم القرءآن من المعاني يكون وجه الذم انهم سارعوا الى تكذيبه قبل الاحاطة به علما فيعرفوا اعجاز نظمه وقبل ان يعرفوا مآله ومرجعه من المعاني فان القرءآن كما انه معجز من جهة حسن نظمه كذلك هو معجز من جهة اشتماله على مافيه من المعاني وان كان مالم يحيطوا عبارة عما جهلوه مما يخالف دينهم وكان تأويله عبارة عما يؤول اليه مافيه من الاخبار بالغيوب كان وجه الذم انهم يسارعون الى تكذيب كل واحد منهم قبل ان يتبين لهم حقيقة الاوّل بالنظر في دلائل حقيقته وحقيقة الثاني ايضا بدلائله وبحصول المآل ووقوع تلك المغيبات قال الامام محيي السنة رضي الله تعالى عنه ولما يأتهم تأويله اي عاقبة ماوعد الله تعالى في القرءآن من انه يؤول اليه امرهم من العقوبة يريد انهم لم يعلموا مايؤول اليه امرهم ﴿قوله فرازوا﴾ اي جربوا تقول رزته اروزه روزا اي جربته وخبرته ﴿قوله ومعنى التوقع في لما﴾ فانه يدل على ان الفعل المنفي به امر متوقع لما قيل انه لنفي ما قد يفعل وكلمة لم لنفي مافعل يعني انه اتى بكلمة التوقع في قوله تعالى ولما يأتهم تأويله للدلالة على ان اتيان المرجع والمآل وحصول العلم بحقيقة الحال كان امرا متوقعا منتظرا ومع ذلك سارعوا الى التكذيب لقلة ثباتهم وغلبة اتباع الاباء على طباعهم ﴿قوله ولما فيه من ايهام الاعراض﴾ اشارة الى انه ليس بمنسوخ حقيقة لان شرط الناسخ ان يكون رافعا لحكم المنسوخ ومداول هذه الآية اختصاص كل احد بافعاله وبثمرات افعاله من الثواب والعقاب وذلك لايقتضي حرمة القتال فان آية القتال ما رفعت شيأ من مدلولات هذه الآية فكان القول بالنسخ باطلا * واعلم انه تعالى قسم الكفار في هذه الآية قسمين منهم من يؤمن به ومنهم من لايؤمن به ثم قسم من لايؤمن به قسمين منهم من يكون في غاية البغض له صلى الله عليه وسلم والعداوة ونهاية النفرة من قبول دينه ومنهم من لايكون كذلك فوصف القسم الاوّل فقال منهم من يسمع كلامك مع انه يكون كالاصم من حيث لاينتفع البتة بذلك الكلام ومنهم من ينظر اليك ويعاين فيك شواهد نبوتك ولكن لايصدقك كالاعمى الذي لا يشاهد محاسن صاحبه شبه المكذبين الذين اصرّوا على الكذب وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم في منعهم عن ادراك محاسن كلامه ومعاينة دلائل نبوّته كما يمنع الصمم في الاذن عن ادراك محاسن الكلام ويمنع العمى في العين عن مشاهدة محاسن الصور فلما شبههم بالصم والعمى فرّع عليه وجوب التبري عنهم فقال تعالى افأنت تسمع الصم اوتهدي العمى بمعنى انهم صاروا بسبب شدّة عداوتهم وبغضهم ونفرتهم عنك بمنزلة الصم والعمى فكما لا يمكنك جعل الاصم سميعا والاعمى بصيرا فكذا لا يمكنك جعلهم اصدقاء يقبلون كلامك ويهتدون بدعوتك وارشادك والمقصود من نفس هذا الكلام اعلام الرسول صلى الله عليه وسلم بانهم قد بلغوا في مرض

(ومنهم من يستمعون اليك) اذا قرأت القرآن وعلمت الشرائع ولكن لايقبلون كالاصم الذى لايسمع اصلا (افانت تسمع الصم) تقدر على اسماعهم (ولو كانوا لايعقلون) ولو انضم الى صممهم عدم تعقلهم وفيه تنبيه على ان حقيقة استماع الكلام فهم المعنى المقصود منه ولذلك لاتوصف به البهائم وهو لايتأتى الا باستعمال العقل السليم فى تدبره وعقولهم لما كانت مؤوفة بمعارضة الوهم ومشايعة الالف والتقليد تعذر افهامهم الحكم والمعانى الدقيقة فلم ينتفعوا بسرد الالفاظ عليهم غير ماينتفع به البهائم من كلام الناعق (ومنهم من ينظر اليك) يعاينون دلائل نبوتك ولكن لايصدقونك (افأنت تهدى العمى) تقدر على هدايتهم (ولو كانوا لايبصرون) وان انضم الى عدم البصر عدم البصيرة فان المقصود من الابصار هو الاعتبار والاستبصار والعمدة فى ذلك البصيرة ولذلك يحدس الاعمى المستبصر ويتفطن لما لايدركه البصير الاحمق والآية كالتعليل للامر بالتبرى والاعراض عنهم (ان الله لايظلم الناس شيأ) بسلب حواسهم وعقولهم (ولكن الناس انفسهم يظلمون) بافسادها وتفويت منافعها عليها وفيه دليل على ان للعبد كسبا وانه ليس بمسلوب الاختيار بالكلية كما زعمت الجبرة ويجوز ان يكون وعيدا لهم بمعنى ان مايحيق بهم يوم القيامة من العذاب عدل من الله لايظلمهم به ولكنهم ظلموا انفسهم باقتراف اسبابه (ويوم نحشرهم كأن لم يلبثوا الاساعة من النهار) يستقصرون مدة لبثهم فى الدنيا او فى القبور لهول مايرون والجملة التشبيهية فى موقع الحال اى نحشرهم مشبهين بمن لم يلبث الاساعة او صفة ليوم والعائد محذوف تقديره كأن لم يلبثوا قبله اولمصدر محذوف اى حشرا كأن لم يلبثوا قبله (يتعارفون بينهم) يعرف بعضهم بعضا كأنهم لم يتفارقوا الاقليلا وهذا اول مانشروا ثم ينقطع التعارف لشدة الامر عليهم وهو حال اخرى مقدرة او بيان لقوله كأن لم يلبثوا اومتعلق الظرف والتقدير يتعارفون يوم نحشرهم (قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله) شهادة على خسرانهم والتعجب منه ويجوز ان يكون حالا من الضمير فى يتعارفون على ارادة القول (وما كانوا مهتدين) لطرق استعمال مامنحوا من المعاون فى تحصيل المعارف فاستكسبوا بها جهالات ادت بهم الى الردى والعذاب الدائم (واما نرينك) نبصرنك (بعض الذى نعدهم) من العذاب فى حياتك كما اراه يوم بدر (او نتوفينك) قبل ان نريك (فالينا مرجعهم) فنريكه فى الآخرة وهو جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف مثل فذلك (ثم الله شهيد على مايفعلون) مجاز عليه ذكر الشهادة واراد نتيجتها ومقتضاها ولذلك رتبها على الرجوع بثم او مؤدى شهادته على افعالهم يوم القيامة (ولكل امة) من الامم الماضية (رسول) يبعث اليهم ليدعوهم الى الحق (فاذا جاء رسولهم) بالبينات فكذبوه (قضى بينهم) بين الرسول ومكذبيه (بالقسط) بالعدل فانجى الرسول واهلك المكذبون (وهم لايظلمون)

العقل الى حيث لايقبلون الصلاح والطبيب اذا رأى مريضا لايقبل العلاج اعرض عنه لانه يستوحش من عدم قبوله العلاج فكذلك وجب عليك ان تبرأ منهم ولاتنفعل من اصرارهم على التكذيب وهذا معنى قوله اى المصنف والآية كالتعليل للامر بالتبرى ﴿قوله وفيه تنبيه الخ﴾ اى فى ان استماع الاصم العديم العقل ابعد من استماع الاصم العاقل تنبيه على ان حقيقة الاستماع ليست عبارة عن مجرد وصول الهوآء المكيف بكيفية الصوت الى الصماخ السليم والا فكان الاصم العاقل وغيره سوآء فى عدم الاستماع ولم يكن استماع غير العاقل ابعد من استماع العاقل بل هى متوقفة على سلامة كل واحد من الصماخ والعقل واستماع واحدهما على وجه يؤدى الى ارتسام المعنى المقصود من الكلام فى المدركة فلذلك كان الاستماع بعيدا منكرا بمجرد تحقق الصمم وانتفاء سلامة الصماخ وعند انتفاء كل واحد منهما كان ابعد واتم فى كونه منكرا كما قال تعالى افأنت تسمع الصم ولو كانوا لايعقلون ﴿قوله بسلب حواسهم﴾ لما حكم الله عليهم بانهم مسلوبوا العقل والحواس فلا يدركون حسن الايمان ولايقبلونه ولايسمعون كلام الداعى سماع قبول ولايبصرون شواهد صدقه فى دعوى النبوة رؤية اعتبار واستبصار قال ان الله لايظلم الناس بسلبها لانه متصرف فى ملك نفسه ومن كان كذلك لم يكن ظالما ثم قال ولكن الناس انفسهم يظلمون لان الفعل اليهم منسوب بسبب الكسب وليس هذا مسلوب الاختيار بالكلية كما ذهب اليه الجبرية وقرأ حمزة والكسائى بتخفيف ولكن ومن ضرورة ذلك كسر النون لالتقاء الساكنين وصلا ورفع الناس لبطلان العمل بالتخفيف وقرأ الباقون بالتشديد ونصب الناس ولما وصف الله تعالى الكفار بقلة الاصغاء وترك التدبر اتبعه بالوعيد فقال تعالى ويوم نحشرهم ويوم منصوب بفعل مقدر اى اذكر ماحدث يوم او بيتعارفون اى يتعارفون يوم نحشرهم ﴿قوله او صفة﴾ اى يوما مشبها اهله بمن لم يلبث قبله الاساعة واندفع بهذا التقدير مايرد من ان هذه الجملة كيف تكون صفة مع ان مضمونها وصف المحشورين لاوصف يوم حشرهم ولابد من مثل هذا التقدير على تقدير ان تكون الجملة المذكورة صفة للمصدر المحذوف اى حشرا كأن المحشورين لم يلبثوا وقرأ حفص يحشرهم بياء الغيبة على اسناد الفعل الى ضمير الجلالة فى قوله ان الله لايظلم والباقون بنون العظمة ﴿قوله يستقصرون مدة لبثهم فى الدنيا او فى القبور لهول مايرون﴾ فان مايشاهده الكفار من اهوال الآخرة اشد الشدآئد واقصاها والعياذ بالله والانسان اذا عظم خوفه نسى الامور الظاهرة وايضا يستقلون ذلك اللبث فى جنب لبثهم فى موقف الحساب وفى سائر مواقف الآخرة ﴿قوله يعرف بعضهم بعضا﴾ كما كانوا يعرفون فى الدنيا فكانهم لم يتفارقوا بسبب الموت الامدة قليلة لاتؤثر فى زوال ذلك التعارف فلما ورد ان يقال فاوجه التوفيق بين هذا التعارف وبين قوله تعالى فلا انساب بينهم يومئذ ولايتساءلون اشار الى جوابه بان حمل الآيتين على الحالتين فانهم يتعارفون اذا بعثوا ثم ينقطع التعارف اذا عاينوا العذاب وتبرأ بعضهم من بعض والجملة حال اخرى من مفعول نحشرهم اى نحشرهم مشبهين متعارفين وهى حال مقدرة لان التعارف يكون حال الحشر او بيان لكونهم مشبهين بمن لم يلبث الاساعة لان التعارف لايبقى مع طول العهد وينقلب الامر به الى التناكر للشهادة على خسرانهم يعنى ان هذه الجملة ليست من مقالة الكفار المحشورين بل هى كلام الهى مسوق للشهادة عليهم بالخسران والتكذيب بلقاء الله وعبارة عن ايثار الحظوظ الدنيوية العاجلة الخسيسة الفانية على السعادة الاخروية الشريفة الباقية فكانه قيل قد خسر من باع آخرته بالدنيا ثم قال ويجوز ان يكون الخ والتقدير ويوم نحشرهم حال كونهم متعارفين وحال كونهم قائلين قد خسر الذين كذبوا فيكون حكمه كحكمه فى الوجهين المذكورين ويجوز ان يكون معطوفا على صلة الذين فيكون كالتأكيد لجملة الصلة لان من كذب بلقاء الله غير مهتد الى رعاية مصالح ماهو فيه من التجارة فيضيع رأس المال خاليا عن الخير بالكلية ﴿قوله وهو جواب نتوفينك﴾ جعل فى الكلام شرطين لهما جوابان جواب الاول محذوف وجواب الثانى مذكور والتقدير واما نرينك بعض الذى نعدهم اى مانعدهم من العذاب فى الدنيا فذلك هو المأمول او ان نتوفينك قبل ان نريك ذلك الموعود فانك تراه فى الآخرة ولاحاجة الى ارتكاب حذف الجواب لان قوله فالينا مرجعهم صالح لان يكون جوابا للشرط وماعطف عليه ﴿قوله ولذلك رتبها على الرجوع بثم﴾ ولو كان المراد من الشهادة نفسها لما صح الترتيب المذكور لانه تعالى شهد على مايفعلونه من التكذيب والمجازاة حال رجوعهم اليه تعالى وقبله ﴿قوله فاذا جاء رسولهم بالبينات فكذبوه﴾ يعنى الكلام فيه الاضمار فاذا جاء رسولهم فبلغهم رسالته

ودعاهم الى الحق فكذبوه فحذف ماحذف للعلم به والتقدير بمعونة المقام لمابين الله تعالى حال نبينا مع قومه بين ان حال كل الانبياء مع اقوامهم كذلك * فان قيل كيف يصح ان يقال انه تعالى مااهمل امة من الامم قط بل بعث الى كل واحدة منهم رسولا ينذرهم من المخالفة مع ان زمان الفترة ليس فيه رسول كما يشهد عليه قوله تعالى لتنذر قوما مااتاهم من نذير وقوله تعالى لتنذر قوما ماانذر آباؤهم * والجواب ان عموم قوله تعالى ولكل امة رسول يقتضى ان يكون الرسول حاضرا مع كل واحدة منهم لان تقدم الرسول على بعض منهم لايمنع من كونه رسولا الى ذلك البعض كما لايمنع تقدم رسولنا صلى الله عليه وسلم من كونه مبعوثا الينا الى آخر الابد غاية مافى الباب ان ماوقع من تخليط القوم فى زمن الفترة مؤد الى ضعف اثر دعوة الانبياء عليهم الصلاة والسلام فيه ﴿قوله استبعادا له واستهزآء به﴾ يعنى ان من جملة شبه منكرى النبوة انه صلى الله عليه وسلم كلما هددهم بنزول العذاب ومر زمان ولم يظهر ذلك العذاب قالوا له متى هذا الوعد واحتجوا بعدم ظهوره على حسب القدح فى نبوته فان معنى الاستفهام فى متى الاستعجال بمعنى طلب العجل والمقصود من هذا الاستعجال هو استبعاد الموعود وانه مما لايكون وانه يستهزأ به فامره الله تعالى بان يجيب عن هذه الشبهة بجواب يحسم مادة الاشكال فقال قل لااملك لنفسى الآية والمراد ان انزال العذاب على الاعدآء واظهار النصرة للاولياء لايقدر عليه الا الله تعالى وانه تعالى ماعين لذلك الوعد والوعيد وقتا معينا ثم اختلف ماوعد او اوعد فى ذلك الوقت حتى يرد الاشكال وان وقت كل حادث انما يتعين فى علم الله تعالى فاذا حضر الوقت الذى وقته الله تعالى لحدوث ذلك الحادث فانه لابد وان يحدث فيه ويمتنع ان يتقدم عليه او يتأخر عنه ﴿قوله الا ماشاء الله ان املكه﴾ او اقدر عليه ويحتمل ان يكون منقطعا والتقدير ولكن ماشاء الله من ذلك يعنى ان هذا الاستثناء يجوز ان يكون متصلا والتقدير الا ماشاء الله ان املكه او اقدر عليه وان يكون منقطعا والتقدير ولكن ماشاء الله من ذلك النفع والضر فيكون هذا التقدير تصويرا لمعنى الانقطاع لان قوله من ذلك اشارة الى النفع والضر فانه كائن بمشيئة الله تعالى لا بان املكه واقدر عليه مستقلا بدون حصوله بمشيئة الله حتى يكون الاستثناء متصلا فيكون الاستثناء من فاعل لااملك على تقدير ان يكون منقطعا وتقديره لااملك انا ولكن الله تعالى هو المالك لكل مايشاء يفعله بمشيئته ﴿قوله تعالى لكل امة اجل﴾ اى مدة مضروبة لهلاكهم على وجه الاستئصال جزآء على تكذيبهم رسلهم فان الظاهر ان يكون المراد بقوله لكل امة اجل الامة الذين اجترؤا على تكذيب الرسل وقرينة التخصيص بالامم الماضية كونه فى جواب قول المشركين متى هذا الوعد ومتى هذا الحكم لان الحكم المذكور لايعم امتنا بالحديث ويحتمل ان يكون المعنى لكل امة عدة مضروبة لفناء عمر كل واحد منهم فمدلول الآية ان احدا لايموت الا بانقضاء اجله والمعنى الاول انسب لقوله ولكل امة لانه لوكان المراد المعنى الثانى لكان الظاهر ان يقال ولكل احد بدل امة ﴿قوله ان اتاكم عذابه الذى تستعجلون به﴾ الاستفهام المذكور بقولهم متى هذا الوعد يدل على ان معنى الكلام قل لهم يامحمد اخبرونى عن عذاب الله ان اتاكم اى شئ تستعجلون به وليس شئ من العذاب يستعجل به لمراراته وشدة اصابته فهو مقتضى لنفور الطبع منه وهو استفهام معناه التفظيع والتهويل كما تقول لمن هو فى امر تستوخم عاقبته ماذا تجنى على نفسك ﴿قوله وقت بيات﴾ اشارة الى ان قوله تعالى اتاكم بياتا من قبيل قولهم آتيك صياح الديك وان البيات اسم بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم يقال بات يبيتوتة وبات يفعل كذا اذا فعله ليلا كما يقال ظل يفعل كذا اذا فعله نهارا ﴿قوله اى شئ من العذاب﴾ قد تقرر ان ماذا فيه وجهان ان يكون اسمين بمعنى ماالذى وان يكون اسما واحدا بمعنى اى شئ ولا يجوز ان يكون المراد ههنا ماالذى لان الضمير فى منه العذاب فلوكان بمعنى ماالذى خلت الصلة من ضميره فلذا حمله على اى شئ والتنكير فيه اما للوحدة النوعية او للتهويل فان كان للوحدة فالمعنى اى نوع من العذاب يستعجلونه وعلى هذا تكون كلمة من فى منه للتبعيض او للتبيين وان كان للتهويل فالمعنى اى شئ هائل شديد يستعجلون منه فمن حينئذ تجريدية جرد من العذاب شئ هائل شديد يتعجب منه ومن شدة هوله كل من رآه او يسمعه وهو العذاب نفسه لا الفرد منه او النوع وكونها للتجريد عائد الى كونها للبيان لان ماجرد من العذاب وهول ذلك الامر المتعجب منه صادق على جنس العذاب مبين له بخلاف ماذا كانت للوحدة فان كان قوله منه بمعنى من جنس العذاب فهى للبيان وان كان بمعنى من انواع العذاب فهى للتبعيض ﴿قوله وهو متعلق بارأيتم﴾ يعنى ان قوله ماذا يستعجل

وقيل معناه لكل امة يوم القيامة رسول تنسب اليه فاذا جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر والايمان قضى بينهم بانجاء المؤمن وعقاب الكافر لقوله وجئ بالنبيين والشهدآء وقضى بينهم (ويقولون متى هذا الوعد) استبعادا له واستهزآء به (ان كنتم صادقين) خطاب منهم للنبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنين (قل لااملك لنفسى ضرا ولانفعا) فكيف املك لكم فأستعجل فى جلب العذاب اليكم (الا ماشاء الله) ان املكه او ولكن ماشاء الله من ذلك كائن (لكل امة اجل) مضروب لهلاكهم (اذا جاء اجلهم فلا يستأخرون ساعة ولايستقدمون) لايتأخرون ولايتقدمون فلاتستعجلوا فسيحين وقتكم وينجز وعدكم (قل ارأيتم ان اتاكم عذابه) الذى تستعجلون به (بياتا) وقت بيات واشتغال بالنوم (او نهارا) حين كنتم مشتغلين بطلب معاشكم (ماذا يستعجل منه المجرمون) اى شئ من العذاب يستعجلونه وكله مكروه لايلائم الاستعجال وهو متعلق بأرأيتم لانه بمعنى اخبرونى

متعلق الاستخبار فان ارأيتم استخبار اذ معنى ارأيتم اخبرونى فيستدعى مفعولا يتعلق هو به وهو جملة الاستفهام
فيكون الشرط مع جوابه المحذوف مقرّرا لمضمون الاستخبار ولذلك وسط بين جملة الاستخبار ومتعلقه ولما
كان فى هذا الاستفهام تجهيل لهم وتنديم قدر الجواب تندموا على الاستعجال اوتعرفوا الخطأ فيه ولا مانع
من تقدير مايفيد المعنيين ولهذا حذف الجواب ووسط تأكيدا على تأكيد ثم قيل زيادة تنديم وتجهيل اذا وقع
العذاب آمنتم به وجاد استهزاؤكم وتكذيبكم تصديقا واذعانا حتى يتم زيادة على زيادة الاستبعاد وفيه ان هذا الثانى
ابعد من الاوّل وادخل فى الانكار وظهر من هذا التقدير انه لايرد ان يقال فى قوله وجواب الشرط محذوف وهو
تندموا على الاستعجال اوتعرفوا الخطأ فيه ولامانع من تقديرهما معا اذ تقدير مايفيد المعنيين ليس بسديد بناء
على ان الجواب المقدّر لايكون الامايدل عليه ماتقدمه لفظا اوتقديرا فلو قيل انت طالق ان فعلت كذا يكون
تقديره ان فعلت كذا فانت طالق فينبغى ان يجعل تقدير الآية ان اتاكم عذابه فاخبرونى ماذا يستعجل منه المجرمون
تجهيلا لهم وتنديما ﴿ قوله ويجوز ان يكون الجواب ماذا ﴾ ويكون الجملة الشرطية متعلقه بارأيتم
والمعنى اخبرونى ان اتاكم عذابه بياتا اونهارا فاى شئ يستعجل منه المجرمون * قيل عليه فى جعل جواب الشرط
جملة الاستفهام جواب الشرط بدون الفاء محل بحث فان جواب الشرط اذا كان استفهاما فلا بدّ فيه من الفاء
تقول ان زارنا فلان فاىّ شئ نصنع معه ولا يجوز حذفها الاعن ضرورة وما ذكره من المثال وهو ان
اتيتك ماذا تعطينى فهو من تمثيله لامن كلام العرب * وقيل ايضا فى جعل ماذا يستعجل جواب الشرط اشكال
وهو ان استعجال العذاب قبل اتيانه فكيف يكون مرتبا عليه جزآء له * واجيب بانه لاشك ان الاستعجال ماض
بالنسبة الى العذاب فلايجوز ان يكون قوله ماذا يستعجل بمعنى الحال حقيقة بل يكون حكاية عن الحال الماضية
اى ماذا كنتم تستعجلون لكن مجرّد هذا ايضا لايكون جوابا لان الاستعجال السابق لايترتب على اتيان العذاب
فلا بدّ من تقدير وهو ان يقال ان اتاكم عذابه فحينئذ تعلمون لاىّ شئ تستعجلون ﴿ قوله اوبقوله تعالى
اثم اذا ماوقع آمنتم به ﴾ لما كان ظاهر العطف يدل على ان المراد كون الجملة الشرطية متعلقة بقوله أثم
اذا ماوقع تعلق المفعولية وليس بمراد فسر المراد بقوله بمعنى اى ان اتاكم عذابه الخ ويجوز ان يكون الجواب
قوله أثم اذا ماوقع وتكون الجملة الشرطية متعلقة بارأيتم ايضا ويكون قوله ماذا يستعجل منه المجرمون
اعتراضا بين الشرط وجوابه ويكون المعنى واخبرونى ان اتاكم عذابه بياتا او نهارا اووقع وتحقق آمنتم به بعد
وقوعه ثم جيئ بحرف التراخى بدل الواو للدلالة على تأخر الايمان عن وقوع العذاب والجزآء لايترتب على الشرط
بكلمة ثم وانما يترتب عليه بالفاء الاانه اجرى ثم ههنا مجرى الفاء لان ثم ايضا يفيد الترتب مع زيادة التراخى المناسب
لمقام التوبيخ ﴿ قوله اى قيل لهم ان آمنوا بعد وقوع العذاب آلآن آمنتم به ﴾ اشارة الى ان الآن
منصوب بفعل مضمر تقديره آمنتم آلآن آمنتم ودل على هذا الفعل المقدّر الفعل الذى تقدّمه وهو قوله اثم اذا
ماوقع آمنتم به آلآن ولايجوز ان يعمل فيه آمنتم الظاهر لان ماقبل الاستفهام لايعمل فيما بعده كما ان ما بعده لايعمل
فيما قبله لان له صدر الكلام وهذا الفعل المقدر ومعموله مقول قول مقدر كما صرح به وقدّر القول والفعل الناصب
لقوله آلآن بلفظ الماضى ليطابق ماقبله وهو اذا ماوقع آمنتم ومابعده وهو قوله ثم قيل وهذه الاشياء لم تكن
بعد بقرينة ماسبق من قوله تعالى قل ارأيتم ان اتاكم عذابه وعبر عنها بالفعل الماضى تنبيها على انها كائنة لامحالة
والمعنى ثم قيل لهم ذوقوا هذا العذاب فانه لكم لايزول حيث تصيرون الى القبر فتعذبون ثم تبعثون فتحشرون
الى جهنم فتعذبون فيها ابدا ثم انه تعالى انما ذكر العذاب الشديد ذكر بعده هل تجزون الابما كنتم تكسبون
تنبيها على ان رحمته سابقة على غضبه وانه لم يخلق عباده الاليرحمهم ويتفضل عليهم وان هذا العذاب الشديد
المؤبد لم يصدر منه ابتدآء بل هو نتيجة عملهم الباطل بمنزلة الهلاك المرتب على تناول السم ﴿ قوله احق هو ﴾
سألوا اوّلا عن زمان وقوعه وههنا سألوا عن تحققه نفسه ولهذا اختلف جوابهما * فاجاب عن الاوّل بقوله لكل
امة اجل اذا جاء اجلهم * واجاب عن الثانى بتحققه مؤكدا بالقسم حيث قال اى وربى انه لحق ﴿ قوله والضمير ﴾
الذى هو لفظ هو مرتفع بانه فاعل احق فانه صفة مشبهة بمعنى ثابت غير واقع فيرفع الفاعل وهذا الفاعل سادّ مسدّ
الخبر ويجوز ان يكون خبرا مقدّما وهو مبتدأ مؤخرا وجملة احق فى محل النصب على انها مفعول ثان ليستنبئونك
فان انبأ بمعنى اخبر فيعدّى الى اثنين والاشهر ان يتعدّى الى الثانى بكلمة عن بان يقال استنبأت زيدا عن

والمجرمون وضع موضع الضمير للدلالة على
انهم لجرمهم ينبغى ان يفزعوا من مجيئ
الوعيد لا ان يستعجلوه وجواب الشرط
محذوف وهو تندموا على الاستعجال
اوتعرفوا خطأه ويجوز ان يكون الجواب
ماذا كقولك ان اتيتك ماذا تعطينى وتكون
الجملة متعلقة بارأيتم اوبقوله (اثم اذا ماوقع
آمنتم به) بمعنى ان اتاكم عذابه امنتم به
بعد وقوعه حين لا ينفعكم الايمان وماذا
يستعجل اعتراض ودخول حرف الاستفهام
على ثم لانكار التأخير (آلآن) على اراده
القول اى قيل لهم ان آمنوا بعد وقوع
العذاب آلآن آمنتم به وعن نافع آلان بحذف
الهمزة والقاء حركتها على اللام (وقد
كنتم به تستعجلون) تكذيبا واستهزاء (ثم
قيل للذين ظلموا) عطف على قيل المقدر
(ذوقوا عذاب الخلد) المؤلم على الدوام
(هل تجزون الابما كنتم تكسبون) من الكفر
والمعاصى (ويستنبئونك) ويستخبرونك
(احق هو) احق ماتقول من الوعد او ادعاء
النبوّة تقوله بجدّام باطل تهزل به قاله حيى
ابن اخطب لما قدم مكة والاظهر ان الاستفهام
فيه على اصله لقوله ويستنبئونك وقيل انه
للانكار ويؤيده انه قرئ الحق هو فان فيه
تعريضا بانه باطل واحق مبتدأ والضمير
مرتفع به سادّ مسدّ الخبر او خبر مقدّم والجملة
فى موضع النصب بيستنبئونك

(قل اى وربى انه لحق) ان العذاب لكائن اوما أوعدبه لثابت وقيل كلا الضميرين للقرآن واى بمعنى نعم وهو من لوازم القسم ولذلك يوصل بواوه فى التصديق فيقال اى والله ولا يقال اى وحده (وما انتم بمعجزين) بفائتين العذاب (ولوان لكل نفس ظلمت) بالشرك او التعدى على الغير (ما فى الارض) من خزآئنها واموالها (لافتدت به) لجعلته فدية لها من العذاب من قولهم افتداه بمعنى فداه (واسرّوا الندامة لما رأوا العذاب) لانهم بهتوا بما عاينوا مما لم يحتسبوه من فظاعة الامر وهوله فلم يقدروا ان ينطقوا وقيل اسرّوا الندامة اخلصوها لان اخفاءها اخلاصها اولانه يقال سرّ الشئ لخالصته من حيث انها تخفى ويضن بها وقيل اظهروها من قولهم سرّ الشئ واسرّه اذا اظهره (وقضى بينهم بالقسط وهم لا يظلمون) ليس تكريرا لان الاوّل قضاء بين الانبياء ومكذبيهم والثانى مجازاة المشركين على الشرك او الحكومة بين الظالمين والمظلومين والضمير انما يتناولهم لدلالة الظلم عليهم (الا ان لله ما فى السموات والارض) تقرير لقدرته تعالى على الاثابة والعقاب (الا ان وعد الله حق) ما وعده من الثواب والعقاب كائن لاخلف فيه (ولكن اكثرهم لايعلمون) لانهم لا يعلمون لقصور عقولهم الاظاهرا من الحياة الدنيا (هو يحيي ويميت) فى الدنيا فهو يقدر عليهما فى العقبى لان القادر لذاته لاتزول قدرته والمادّة القابلة بالذات للحياة والموت قابلة لهما ابدا (واليه ترجعون) بالموت او النشور (يأيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين) اى قد جاءكم كتاب جامع للحكمة العملية الكاشفة عن محاسن الاعمال ومقابحها والمرغبة فى المحاسن والزاجرة عن القبائح والحكمة النظرية التى هى شفاء لما فى الصدور من الشكوك وسوء الاعتقاد وهدى الى الحق واليقين ورحمة للمؤمنين حيث انزلت عليهم فنجوا بها من ظلمات الضلال الى نور الايمان وتبدلت مقاعدهم من طبقات النيران بمصاعد من درجات الجنان والتنكير فيها للتعظيم (قل بفضل الله وبرحمته) بانزال القرآن والباء متعلقة بفعل يفسره قوله (فبذلك فليفرحوا) فان اسم اشارة بمنزلة الضمير تقديره بفضل الله وبرحمته فليعتنوا او فليفرحوا فبذلك فليفرحوا

عمرو اى طلبت منه ان يخبرنى عن عمرو وقد يعدّى اليهما بنفسه ﴿قوله واى بمعنى نعم﴾ اى حرف جواب مثل نعم الا انه لايجاب به الا مقرونا بالقسم قال صاحب الكشاف سمعتهم فى التصديق يوصلونه بواو القسم ﴿قوله بمعجزين بفائتين العذاب﴾ اى ما انتم بمعجزين ربكم حين اراد ان يعذبكم حتى يفوتكم العذاب عن ابن عباس رضى الله عنهما يريد ان الله لايعجزه شئ ولا يفوته شئ ثم اخبر الله تعالى عن حالهم حين ينزل بهم العذاب فقال ولوان لكل نفس ظلمت ما فى الارض بالكفر والاشراك والافتدآء يجيء بمعنيين مطاوع فداه فيكون لازما يقال فديته فافتدى ويكون بمعنى فداه فيتعدّى الى واحد يقال فداه وافتداه اذا اعطاه فداءه وهو فى الآية بالمعنى الثانى لان النفس الظالمة هى المعطية لفدآئها ﴿قوله لانهم بهتوا﴾ اى صاروا متحيرين بما رأوه من العذاب الشديد فلا يطيقون عنده كلاما ولا بكاء ولا صراخا ولا يبقى لهم الا اخفاء الندامة كمن يذهب به ليصلب فانه يبقى مبهوتا لا ينطق بكلمة وقيل اسرار الندامة كناية عن اخلاصها لله تعالى فان من اخلص فى العمل استزاد خيرا واسرّ جعلها خالصة صافية عن شوب ضدها بناء على ان الاخفاء من لوازم كون الشئ صافيا هذا على تقدير ان يكون الاسرار بمعنى الاخفاء وهو المشهور فى اللغة واسرّ من الاضداد يستعمل بمعنى اظهر ايضا على معنى ان ليس لهم هنالك قوة اخفاء فاظهروها لضعفهم وفى الكشاف سرّ الشئ واسرّه اذا اظهره ﴿قوله والثانى مجازاة المشركين على الشرك﴾ قال الامام قضى بينهم قيل بين المؤمنين والكافرين وقيل بين الرؤساء والاتباع وقيل بين الكفار بانزال العقوبة عليهم وقيل ان الكفار وان اشتركوا فى العذاب فانه لابدّ ان يقضى الله بينهم لانه لايمتنع ان يكون قد ظلم بعضهم بعضا فى الدنيا وخانه فيكون ذلك القضاء تخفيفا من عذاب بعضهم وتثقيلا لعذاب الباقين لان العدل يقتضى ان ينصف المظلومين ولاسبيل اليه الا ان يخفف من عذاب المظلومين ويثقل فى عذاب الظالمين ثم انه تعالى لما اوعد الظالمين بقوله تعالى ولوان لكل نفس ظلمت ما فى الارض لافتدت قرر قدرته على الاثابة والعقاب بقوله الا ان لله ما فى السموات والارض وقيل انه لما اراد ان الظالم لو ملك خزآئن الارض واموالها لافتدى بها بين فى هذه الآية العظيمة ان الظالم ليس له شئ يفتدى به فان الاشياء باسرها ملك خاص لله تعالى لايتصرّف فيه غيره قال تعالى وكلهم آتيه يوم القيامة فردا * قال الامام فى قوله الا ان لله ما فى السموات والارض دقيقة وهى ان كلمة الا انما تذكر لتنبيه الغافلين واهل هذا العلم مشغولون بالنظر الى الاسباب الظاهرة فيضيفون الاشياء الى ملاكها الظاهرة المجازية فيقولون الدار لزيد والغلام لعمرو والسلطنة للخليفة والتصرف للوزير ونحو ذلك فكانوا مستغرقين فى نوم الجهل والغفلة حيث يظنون صحة تلك الاضافات فلذلك نادى الحق تعالى هؤلاء الغافلين بقوله تعالى الا ان لله ما فى السموات والارض لانه قد ثبت ان جميع ما سواه ممكن لذاته وان الممكن لذاته مستند للواجب لذاته اما ابتدآء او بواسطة فثبت ان جميع ما سواه مملوك له تعالى ثم انه تعالى لما قال ان القرءآن من رب العالمين وما كان افترآء من دونه تعالى واثبت رسالته صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى فأتوا بسورة مثله وصف القرءآن ههنا بصفات اربع وهى كونه موعظة وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين والعطف المعتبر فى هذه الآية من قبيل عطف الصفات المتغايرة بعضها على بعض مع اتحاد الذات واشار اليه المصنف بقوله قد جاءكم كتاب جامع الخ والموعظة مصدر بمعنى الوعظ وهو ارشاد المكلف ببيان ماينفعه من محاسن الاعمال ومايضره من القبائح والترغيب فى المحاسن والزجر عن القبائح والعلم الكافل بهذا البيان هو الحكمة العملية التى هى الموعظة وكونه شفاء لاشتماله على الحكمة النظرية التى هى شفاء لما فى الصدور من الامراض القلبية ﴿قوله بانزال القرءآن﴾ اشارة الى ان فضل الله ورحمته عبارتان عن انزال القرءآن لان هذه الآية متصلة بالآية الاولى وهى فى ذكر القرءآن وقد وصفه الله تعالى بالرحمة فى الآية وقال فى آية اخرى هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته الى ان قال ذلك فضل الله كأنه قيل قل يا محمد لهؤلاء الذين همتهم جمع الاموال والتزين بزخارف الدنيا بفضل الله وبرحمته افرحوا لا بالاموال والحظوظ الفانية السريعة الزوال روى انه صلى الله عليه وسلم قال * بفضل الله وبرحمته * اى بكتاب الله والاسلام ﴿قوله والباء متعلقة بفعل يفسره فليفرحوا﴾ اعنى ان قوله تعالى بفضل الله وبرحمته لابدّ له من متعلق ومتعلقه لا يكون فليفرحوا المذكور لانه متعلق لقوله فبذلك فلا بدّ ان يتعلق بمقدر والمقدر لابدّ له من قرينة تدل عليه ولا قرينة سوى الفعل المذكور بعد قوله فبذلك وذلك الفعل وان كان متعلقا

لقوله بذلك الان اسم الاشارة لما كان بمنزلة الضمير كان بمنزلة ان يقال فبهما فليفرحوا وهو ظاهر واما كونه مفسرا بتقدير فليعتنوا فلان الفرح بالشيء انما يكون بالاعتناء بشانه مع ان له قرينة اخرى وهي ان قوله تعالى فبذلك اشارة الى فضل الله ورحمته وقد تقدم على الفعل فتقديمه يدل على الاعتناء بشانهما وتكرير الامر بتخصيص الفرح بالفضل والرحمة يفيد التاكيد لامحالة مع ان العامل اجل فيما ذكره اولا وبين فى الثانى ولاشك ان تبيين شيء اجل اوقع فى النفس والتقرير وايضا التكرير على الوجه الخاص والتكرير بتقديم المعمول على عامله يفيد ايجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح بتسامح والمراد اختصاص الفرح بهما ﴿ قوله اوبفعل دل عليه قدجاءتكم ﴾ اشارة الى ان صاحب الكشاف نسيهما ويجوز ان يراد قدجاءتكم موعظة بفضل الله ورحمته فبذلك اى فبمجيئها فليفرحوا فانه يدل على كونها متعلقة بجاءتكم المذكور ولاوجه للفصل بينه وبين الجار والمجرور ويحتمل ان يكون الفاء فيه للدلالة على ان ماذكر قبله من مجيء الكتاب الجامع للاوصاف المذكورة سبب موجب لفرحهم وعلى التقادير تكون الفاء الثانية تكريرا للاولى لقصد التأكيد كما فى قوله

❁ لاتجزعى ان منفسا اهلكته ❁ واذا هلكت فعندذلك فاجزعى ❁

فان الفاء الاولى فيه جزائية والثانية تأكيد لها وقرأ الجمهور فليفرحوا بياء الغيبة وعن يعقوب فلتفرحوا بتاء الخطاب وهى قرآءة رسول الله صلى الله عليه وسلم على ماروى عنه مرفوعا والاصل الامر سوآء كان امر الغائب او امر المخاطب بان يكون باللام فاصل اضرب لتضرب لكنهم حذفوا اللام فى امر المخاطب لكثرة استعماله كما حذفوا حرف المضارعة ايضا لذلك تخفيفا ثم ادخلوا همزة الوصل احترازا عن الابتدآء بالساكن وهذا معنى قول المصنف على الاصل المرفوض ﴿ قوله وقرأ ابن عامر تجمعون ﴾ بتاء الخطاب على انه خطاب للناس الذين خوطبوا بقوله ياايها الناس قدجاءتكم وهم كفار مكة خاطبهم ثم قال لهم فبذلك فليفرح المؤمنون وانه خير مما تجمعون ايها الكفار والباقون بياء الغيبة على وفق فليفرحوا الا ان يفرحوا مسند الى ضمير المؤمنين ويجمعوا مسند الى ضمير الكفار او كلاهما مسند الى ضمير الكفار ﴿ قوله جعل الرزق منزلا ﴾ اى من السماء مع ان الارزاق انما تخرج من الارض اما لانه مقدر فى السماء كما قال تعالى وفى السماء رزقكم ولا يخرج من الارض الاعلى حسب ماقدر فيها فصار ذلك كانه منزل منها اولانه انما يخرج من الارض باسباب متعلقة بالسماء كالمطر والشمس والقمر فان المطر سبب الاتيان والشمس سبب النضج والقمر سبب التلون ووجه اتصال الآية بماقبلها انه تعالى اثبت اولا نبوته صلى الله عليه وسلم واجاب عن شبه اهل مكة فى انكار نبوته واتبع ذلك شأن فساد طريقتهم فى شرآئعهم وبين ان التمييز بين هذه الاشياء بتحليل بعضها وتحريم البعض الآخر مع انه لم يشهد بذلك عقل ولانقل فرق باطل ومنهج فاسد والمقصود ابطال مذاهب القوم فى اديانهم وفى احكامهم وانهم ليسوا على شيء فى باب من الابواب ﴿ قوله ومافى موضع النصب بانزل اوبارأيتم ﴾ يريد ان كلمة ما يجوز ان تكون موصولة بمعنى الذى منصوبة على انه مفعول اول لارأيتم والعائد محذوف والتقدير اخبرونى ماانزل الله ومفعوله الثانى هو قوله آلله اذن لكم والعائد من هذه الجملة الى المفعول الاول محذوف تقديره آلله اذن لكم فيه * فان قيل قوله تعالى قل يمنع من كون الجملة بعده مفعولا ثانيا * والجواب ان كلمة قل فى قوله تعالى قل آلله اذن لكم هى قل المذكورة اولا كررت للتأكيد لانه لوحذف من الكلام وقيل قل ارأيتم ماانزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا آلله اذن لكم فيه يتم الكلام بدونه فعلم بذلك انها انما ذكرت للتأكيد فلاتمنع كون مابعدها معمولا لماقبلها ويجوز ان تكون ما استفهامية منصوبة المحل بانزل وهى حينئذ تكون متعلقة لارأيتم وتكون سادة مسد المفعولين والمعنى اخبرونى اى شيء انزل الله من رزق فبعضتموه والمقصود الانكار لتجزئتهم الرزق ﴿ قوله ويجوز ان تكون المنفصلة ﴾ اراد قوله آلله اذن لكم فانه قد انفصل من قوله ارأيتم بتخلل كلمة قل بينهما يريد انه قدسبق عليه شيئان احدهما ارأيتم والآخر قل فجاز فى قوله قل آلله اذن لكم امران الاول ان يكون متعلق الاستخبار ومفعوله والثانى ان يكون متعلق القول ومقوله فان علق بارأيتم فلابد ان تكون الهمزة فى آلله للاستخبار وتكون ام متصلة * فان قيل الهمزة وام المتصلة سؤال عن تعيين احد الامرين وذلك يقتضى ان يكون كل واحد من الامرين محتملا ومن المعلوم انتفاء الاذن من الله تعالى فتعين كونهم مفترين على الله فكيف يسأل عن تعيين احدهما * اجيب بان هذا السؤال ليس لطلب العلم بل هو للوعيد ولطلب الاقرار منهم على الافترآء والزام

وفائدة ذلك التكرير التأكيد والبيان بعد
الاجمال وايجاب اختصاص الفضل والرحمة
بالفرح اوبفعل دل عليه قدجاءتكم وذلك
اشارة الى مصدره اى فبمجيئها فليفرحوا
والفاء بمعنى الشرط كانه قيل ان فرحوا بشيء
فبهما فليفرحوا اوللربط بماقبلها والدلالة على
ان مجيء الكتاب الجامع بين هذه الصفات
موجب للفرح وتكريرها للتأكيد كقوله
واذا هلكت فعندذلك فاجزعى * وعن يعقوب
فلتفرحوا بالتاء على الاصل المرفوض
وقدروى مرفوعا ويؤيده انه قرئ فافرحوا
(هو خير مما يجمعون) من حطام الدنيا فانها
الى الزوال قريب وهو ضمير ذلك وقرأ ابن
عامر تجمعون على معنى فبذلك فليفرح
المؤمنون فهو خير مما تجمعونه ايها المخاطبون
(قل ارأيتم ماانزل الله لكم من رزق) جعل
الرزق منزلا لانه مقدر فى السماء محصل باسباب
منها وما فى موضع النصب بانزل اوبارأيتم
فانه بمعنى اخبرونى ولكم دل على ان المراد
منه ماحل ولذلك وبخ على التبعيض فقال
(فجعلتم منه حراما وحلالا) مثل هذه انعام
وحرث حجر ومافى بطون هذه الانعام خالصة
لذكورنا ومحرم على ازواجنا (قل آلله
اذن لكم) فى التحريم والتحليل فتقولون ذلك
بحكمه (ام على الله تفترون) فى نسبة ذلك
اليه ويجوز ان تكون المنفصلة متصلة بارأيتم
وقل مكرر للتأكيد وان يكون الاستفهام
للانكار وام منقطعة ومعنى الهمزة فيها تقرير
لافترآئهم على الله (وماظن الذين يفترون
على الله الكذب)

اى شئ ظنهم (يوم القيامة) ايحسبون ان لايجازوا عليه وهو منصوب بالظن ويدل عليه انه قرئ بلفظ الماضى لانه كائن وفى ابهام الوعيد تهديد عظيم (ان الله لذو فضل على الناس) حيث انعم عليهم بالعقل وهداهم بارسال الرسل وانزال الكتب (ولكن اكثرهم لايشكرون) هذه النعمة (وماتكون فى شأن) ولا تكون فى امر واصله الهمز من شأنت شأنه اذاقصدت قصدة والضمير فى (وماتتلو منه) له لان تلاوة القرءآن معظم شأن الرسول عليه الصلاة والسلام اولان القرآءة تكون لشان فيكون التقدير من اجله ومفعول تتلو (من قرءآن) على ان من تبعيضية اومزيدة لتأكيد النفى اوللقرءآن واضماره قبل الذكر ثم بيانه تفخيم له اولله (ولاتعملون من عمل) تعميم للخطاب بعد تخصيصه بمن هو راسهم ولذلك ذكر حيث خص مافيه فخامة وذكر حيث عم مايتناول الجليل والحقير (الاكناعليكم شهودا) رقباء مطلعين عليه (اذتفيضون فيه) تخوضون فيه وتندفعون (ومايعزب عن ربك) ولا يبعد عنه ولايغيب عن علمه وقرأ الكسائى بكسر الزاى هنا وفى سبأ (من مثقال ذرّة) موازن نملة صغيرة اوهباء (فى الارض ولا فى السماء) اى فى الوجود والامكان فان العامة لاتعرف ممكنا غيرهما ليس فيهما ولامتعلقا بهما وتقديم الارض لان الكلام فى حال اهلها والمقصود منه البرهان على احاطة علمه بها (ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا فى كتاب مبين) كلام برأسه مقرّر لماقبله ولانافية واصغر اسمها وفى كتاب خبرها وقرأ حمزة ويعقوب بالرفع على الابتدآء والخبر ومن عطف على لفظ مثقال ذرّة وجعل الفتح بدل الكسر لامتناع الصرف اوعلى محله مع الجار جعل الاستثناء منقطعا والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ (الا ان اولياء الله) الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة (لاخوف عليهم) من لحوق مكروه (ولاهم يحزنون) بفوات مأمول والآية كمجمل فسره قوله (الذين آمنوا وكانوا يتقون) وقيل الذين آمنوا وكانوا يتقون بيان لتوليهم اياه (لهم البشرى فى الحياة الدنيا) وهو مابشر به المتقين فى كتابه وعلى لسان نبيه صلى الله عليه وسلم

الحجة عليهم فلامحذور وان علق بقل جاز ان تكون ام متصلة وهو ظاهر والتقدير قل آلله اذن لكم فى التحليل والتحريم وانكم تفعلون ذلك بحكمه ام تكذبون على الله فى نسبة ذلك اليه وان تكون منقطعة بمعنى بل اتفترون على الله والهمزة للانكار على انه تعالى قرّر عليهم تحليله وتحريمه اوّلا ثم انكر عليهم ان يكون ذلك باذن الله تعالى ثم اضرب عنهم وقرّر افترآءهم ﴿ **قوله** اى شئ ظنهم ﴾ اشارة الى ان ما استفهامية فى محل الرفع على الابتدآء وظن خبرها ويوم منصوب بنفس الظن والمصدر مضاف الى فاعله ﴿ **قوله** ولاتكون فى امر ﴾ اشارة الى ان ما نافية وان الشأن بمعنى الامر ويجمع على شؤون ويكون الشأن بمعنى الحال ايضا ويقال ماشأن فلان بمعنى ماحاله وفى شأن خبر تكون والضمير فى منه راجع الى الشأن اما على تقدير ماتتلو حال كون القرآءة بعض شؤونك واما ان يحمل الكلام على حذف المضاف تقديره وما تتلو من اجل الشأن بان يحدث لك شأن تتلو القرءآن من اجله كقوله تعالى مما خطاياهم اغرقوا اى من اجل خطيئاتهم ﴿ **قوله** اوللقرءآن ﴾ اى ويكون ضمير منه للقرءآن فتكون من تبعيضية والتى فى قوله من قرءآن زآئدة فى سياق النفى واطلق القرءآن على بعضه لان كل جزء منه قرءآن وهو اسم للقدر المشترك بين الكل والجزء وان قلنا ان ضمير منه لله عزوجل تكون من ابتدآئية ولما اوعدالله الذين يفترون على الله الكذب بعذاب يوم القيامة بين كون علمه محيطا بعمل كل واحد من المطيعين والعصاة والمذنبين والخطاب وان خص به صلى الله عليه وسلم بحسب الظاهر الا ان الامّة داخلون فيه لان رئيس القوم اذا خوطب دخل قومه فى ذلك الخطاب كما فى قوله تعالى يا أيها النبى اذا طلقتم النساء وقوله تعالى الا كنا عليكم شهودا جملة حالية وهو استثناء مفرّغ اى مايكون شئ مما ذكر فى حال من الاحوال الا فى حال كوننا مشاهدين مطلعين عليه وقوله اذتفيضون ظرف معمول لشهوداً والافاضة الدخول فى العمل يقال افاض القوم فى العمل اذا اندفعوا فيه وافاضوا من عرفة اذا دفعوا منها لكثرتهم ﴿ **قوله** موازن نملة صغيرة اوهباء ﴾ اشارة الى ان قوله تعالى من مثقال ذرّة فاعل يعزب وكلمة من فيه زآئدة وان الذرّة عبارة عن النملة الصغيرة اوالهباء وان مثقالها عبارة عما يوازنها ويساويها فى الثقل ﴿ **قوله** كلام برأسه ﴾ اى غير معطوف على ماقبله لانه لو عطف على محل من مثقال ذرّة فكان مرفوع المحل على انه فاعل يعزب ومن مزيدة فيه كما فى قولك ماجاءنى من احد او على لفظ مثقال ذرّة او على لفظ ذرّة فكان فتح اصغر واكبر مع كونهما فى موضع الجرّ لعدم انصرافهما لوزن الفعل والصفة لكان المعنى لايعزب عنه مثقال ذرّة ولا اصغر شئ من ذلك ولا اكبر فى حال من الاحوال الا فى حال كونه فى كتاب وهو اللوح او علمه تعالى فامامافى الكتاب من مثقال الذرة وماهو اصغر منه او اكبر فانه يعزب عنه ولاشك ان كون الشئ الذى فى الكتاب خارجا عن علم الله تعالى عازبا عنه باطل ومحال فلذلك جعله كلاما برأسه بان جئ به لتقرير ماقبله وجعل لا نافية للجنس واصغر واكبر اسمها فهما مبنيان على الفتح على قرآءة الجمهور وقرأ حمزة ويعقوب برفع رآء اصغر واكبر اما عطفا على محل مثقال ذرة واما على الابتدآء ليكون كلاما برأسه * ولما ورد ان يقال ان كثيرا من القرآء جعلوا قوله تعالى ولا اصغر ولا اكبر على قرآءة الجمهور معطوفا على المجرور وجعلوا صورة الفتح جرّ غير المنصرف وجعلوه على قرآءة حمزة معطوفا على محل الجار والمجرور فهم كيف يتخلصون من لزوم فساد المعنى حينئذ * اجاب عنه بقوله ومن عطف جعل الاستثناء منقطعا والمعنى لايعزب عنه شئ ولكن جميع الاشياء فى كتابه وقال ابو شامة يزول الاشكال بان يقدّر قبل قوله الا فى كتاب ليس شئ من ذلك اى ليس شئ من ذلك الا فى كتاب مبين ثم انه تعالى لما عمم وعده ووعيده فى حق كافة من اطاع وعصى فى الآية السابقة اتبعه بشرح اوليائه المخلصين فقال الا ان اولياء الله ﴿ **قوله** يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة ﴾ اى يتقرّبون اليه ويتقرّب هو تعالى اليهم فان الولى القرب وولى كل شئ هو الذى يكون قريبا منه والقرب من الله تعالى بحسب المكان والجهة محال بل القرب منه انما يكون بطاعته والاستغراق فى معرفته بحيث اذا رأى رأى دلائل قدرته واذا سمع سمع آياته واذا نطق نطق بالثناء عليه واذا تحرّك تحرّك فى خدمته واذا اجتهد اجتهد فى طاعته فبهذه الحيثية يكون فى غاية القرب منه تعالى ويكون ولياً له عزوجل فيكون الله تعالى ولياله ايضا كما قال الله ولى الذين آمنوا لان القرب لايكون الا من الجانبين واليه اشار المصنف بقوله يتولونه ويتولاهم والخوف انما يكون من حدوث شئ من المكاره فى المستقبل والحزن انما يكون من تحقق شئ مما يكرهه فى الماضى او من فوت شئ احبه فيه ﴿ **قوله** والاية كمجمل ﴾ لان قوله اولياء الله عنوان مجمل لم يتبين فيه جهة قربهم من الله تعالى فخفى المراد منه وقوله الذين آمنوا وكانوا يتقون سوآء كان

وماريهم في الرؤيا الصالحة ومايسنح لهم من المكاشفات وبشرى الملائكة عند النزع (وفي الآخرة) بتلقي الملائكة اياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة بيان
لتوليهم ومحل الذين آمنوا النصب او الرفع على المدح اوعلى وصف الاولياء او على الابتداء وخبره لهم البشرى (لاتبديل لكلمات الله)

اى لا تغيير لاقواله ولا اخلاف لمواعيده (ذلك) اشارة الى كونهم مبشرين في الدارين (هو الفوز العظيم) هذه الجملة والتى قبلها اعتراض لتحقيق المبشربه وتعظيم شأنه وليس من شرطه ان يقع بعده كلام يتصل بما قبله (ولايحزنك قولهم) اشراكهم وتكذيبهم وتهديدهم وقرأ نافع يحزنك من احزنه وكلاهما بمعنى (ان العزة لله جميعا) استئناف بمعنى التعليل ويدل عليه القرآءة بالفتح كانه قيل لاتحزن بقولهم ولا تبال بهم لان الغلبة لله جميعا لايملك غيره شيأ منها فهو يقهرهم وينصرك عليهم (هو السميع) لاقوالهم (العليم) بعزماتهم فيكافيهم عليها (الا ان لله من في السموات ومن في الارض) من الملائكة والثقلين واذا كان هؤلاء الذين هم اشرف الممكنات عبيدا لايصلح احد منهم للربوبية فالايعقل منها احق ان لايكون له ندا وشريكا فهو كالدليل على قوله (ومايتبع الذين يدعون من دون الله شركاء) اى شركاء على الحقيقة وان كانوا يسمونها شركاء ويجوز ان يكون شركاء مفعول يدعون ومفعول يتبع محذوف دل عليه (ان يتبعون الا الظن) اى مايتبعون يقينا وانما يتبعون ظنهم انها شركاء ويجوز ان تكون ما استفهامية منصوبة بيتبع اوموصولة معطوفة على من وقرئ تدعون بالتاء والمعنى واى شئ يتبع الذين تدعونهم شركاء من الملائكة والنبيين اى انهم لايتبعون الا الله ولايعبدون غيره فالكم لاتتبعونهم فيه لقوله اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة فيكون الزاما بعد برهان ومابعده مصروف عن خطابهم لبيان سندهم ومنشأ رأيهم (وان هم الا يخرصون) يكذبون فيما ينسبون الى الله او يحزرون ويقدرون انها شركاء تقديرا باطلا (هو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا) تنبيه على كمال قدرته وعظيم نعمته المتوحد هو بهما ليدلهم على تفرده باستحقاق العبادة وانما قال مبصرا ولم يقل لتبصروا فيه تفرقة بين الظرف المجرد والظرف الذى هو سبب (ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون) سماع تدبر واعتبار (قالوا اتخذ الله ولدا) اى تبناه (سبحانه) تنزيه له عن التبني فانه لايصح الا ممن يتصور له الولد وتعجب من كلمتهم الحمقاء

منصوبا على انه صفة للاولياء اومنصوبا على المدح اومرفوعا على الابتداء يفسر ويبين جهة قربهم منه تعالى وهى ايمانهم وخوفهم من المقام بين يدى الله تعالى كما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما يريد بهم الذين صدقوا النبى صلى الله عليه وسلم وخافوا مقامهم بين يدى الله تعالى فكان بيانا لما اجمل اولا والفرق بين كونه تفسيرا للمراد من اولياء الله وبين كونه بيانا لتوليهم لربهم ظاهر لان الاول لايستلزم الثانى والثانى يستلزم الاول

﴿قوله وماريهم في الرؤيا الصالحة﴾ روى ان عبادة بن الصامت سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ماهذه البشرى التى ذكرها الله تعالى بقوله لهم البشرى في الحياة الدنيا فقال صلى الله عليه وسلم «الرؤيا الصالحة يراها الرجل او ترى له» قال الامام اذا حملنا قوله تعالى لهم البشرى على الرؤيا الصادقة فظاهر هذا النص يقتضى انه لاتحصل هذه الحالة الا لاولياء الله تعالى والعقل ايضا يدل عليه وذلك لان ولى الله هو الذى يكون مستغرق القلب والروح بذكر الله تعالى ومن كان كذلك فانه عند النوم لايبقى في روحه الا معرفة الله تعالى ومن المعلوم ان معرفة الله تعالى ونور جلال الله لايفيد الا الحق والصدق واما من يكون متوزع الخاطر على احوال هذا العالم الكدر المظلم فانه اذا نام كذلك فلا يبقى الاجرم خال من ذلك النور فانه لااعتماد على رؤياه وعنه صلى الله عليه وسلم «ذهبت النبوة وبقيت المبشرات» وعنه صلى الله عليه وسلم «الرؤيا الصالحة من الله والحلم من الشيطان واذا حلم احدكم حلما يخافه فليتعوذ وليبصق عن شماله ثلاث مرات فانه لايضره» قيل اذا رأى احدكم مايحزنه فليقل اعوذ بما عاذت به ملائكة الله من شر الرؤيا التى رآها ان تضرنى في دنياى وفى آخرتى وعنه صلى الله عليه وسلم «الرؤيا الصالحة التى يبشرها المؤمن جزء من ستة واربعين جزأ من النبوة فمن رأى شيئا من ذلك فليخبر بها ومن رأى سوى ذلك فانما هى من الشيطان ليحزنه بها فلينفث عن يساره ثلاث مرات وليسكت ولايخبر بها احدا» ﴿قوله وبشرى الملائكة عند النزع﴾ قال تعالى تتنزل عليهم الملائكة ان لاتخافوا ولاتحزنوا وابشروا بالجنة التى كنتم توعدون

﴿قوله وليس من شرطه ان يقع بعده كلام متصل بماقبله﴾ جواب عما يقال كل واحدة من الجملتين كيف تكون اعتراضا والاعتراض انما يكون في اثناء الكلام او بين كلامين متصلين لا في آخرهما وقد انقطع الكلام عندهما وتقرير الجواب ان ماذكر كلام اكثرى لا كلى فانه لايجب ان يقع بعد الاعتراض كلام كما تقول فلان ينطق بالحق والحق ابلج وتسكت وحدث لى حادث والحوادث جمة وتسكت ومن شرط ذلك فهو تذنيب لا اعتراض

﴿قوله وتهديدهم﴾ فانه تعالى لما ابطل جميع شبهاتهم المتعلقة بالبطلان في النبوة وعدلوا الى طريق آخر في القدح في امره صلى الله عليه وسلم وهو انهم هددوه وخوفوه بانهم اصحاب اموال واتباع فنسعى في قهرك وفى ابطال امرك اجاب تعالى عن طريقتهم بقوله ولايحزنك قولهم ﴿قوله من الملائكة والثقلين﴾ بينه بهما لان كلمة من في السموات والارض مختصة بالعقلاء كانه قيل فمن يتعزز عليك بكثرة اتباعه وامواله فهو متعزز بما ليس له لان الموجودات كلها لله تعالى فمن استعان بها عليك فقد امره الى الذل والهوان لانه تعالى قادر على ان يسلب منهم تلك الاشياء وينصرك عليهم وينفذ اموالهم وديارهم ﴿قوله اى شركاء على الحقيقة﴾ اشارة الى ان ما نافية وشركاء مفعول يتبع ومفعول يدعون محذوف لانفهامه بمعونة المقام والتقدير مايتبع الذين يدعون الهة من دون الله شركاء لان شركة الله تعالى في الربوبية محال فالهة مفعول يدعون وشركاء مفعول يتبع ﴿قوله ويجوز ان تكون ما استفهامية﴾ بمعنى الانكار والتوبيخ فيكون شركاء منصوبا بيدعون والمعنى اى شئ يتبع المشركون اى مايتبعونه ليس بشئ ﴿قوله وقرئ تدعون﴾ بتاء الخطاب من المشركين على ان يحمل ومايتبع على الاستفهام كما صوره من المعنى ﴿قوله او يحزرون﴾ عطف على يكذبون ويقدرون تفسير ليحزرون فان الحزر التقدير يعنى ان الخرص مشترك بين معنيين الحزر والكذب يقال خرص يخرص خرصا اى كذب وهو من باب نصر والخراص الكذاب ﴿قوله وانما قال مبصرا﴾ يعنى ان المبصر هو الذى يبصر والنهار لايبصر بل يبصر فيه وكان الظاهر ان يقال لتبصروا فيه كما في الليل لتسكنوا فيه فعدل عن هذا الظاهر واسند الابصار الى الظرف مجازا على طريق نهاره صائم وليله قائم ونكتة العدول الى الاسناد المجازى ماذكره من التفرقة فنص على ظرفية ماهو مجرد حيث قال لتسكنوا واسند الابصار الى ماليس ظرفا مجردا ولم يصرح بظرفيته له تنبيها على انه ليس بظرف محض بل هو لكونه ذا ضياء سبب لابصار اسباب المعاش قيل هذه الآية في غاية الفصاحة حيث حذف من كل جملة ماثبت في الاخرى فانه تعالى ذكر علة جعل الليل مظلما وهى قوله لتسكنوا فيه وحذفها من جعل النهار مبصرا

(هو الغنى) علة لتنزيهه فان اتخاذ الولد مسبب عن الحاجة (له مافى السموات ومافى الارض) تقرير لغناه (ان عندكم من سلطان بهذا)

نفى لمعارض ما اقامه من البرهان مبالغة فى تجهيلهم وتحقيقا لبطلان قولهم وبهذا متعلق بسلطان او نعت له او بعندكم كانه قيل ان عندكم فى هذا سلطان (اتقولون على الله مالا تعلمون) توبيخ وتقريع على اختلافهم وجهلهم وفيه دليل على ان كل قول لادليل عليه فهو جهالة وان العقائد لابدّ لها من قاطع وان التقليد فيها غير سائغ (قل ان الذين يفترون على الله الكذب) باتخاذ الولد واضافة الشريك اليه (لايفلحون) لاينجون من النار ولايفوزون بالجنة (متاع فى الدنيا) خبر مبتدأ محذوف اى افتراؤهم متاع فى الدنيا يقيمون به رياستهم فى الكفر او حياتهم او تقلبهم متاع او مبتدأ خبره محذوف اى لهم تمتع فى الدنيا (ثم الينا مرجعهم) بالموت فيلقون الشقاء المؤبد (ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون) بسبب كفرهم (واتل عليهم نبأ نوح) خبره مع قومه (اذ قال لقومه ياقوم ان كان كبر عليكم) عظم عليكم وشق (مقامى) نفسى كقولك فعلت كذا لمكان فلان او كونى واقامتى بينكم مدة مديدة او قيامى على الدعوة (وتذكيرى) اياكم (بآيات الله فعلى الله توكلت) وثقت به (فاجمعوا امركم) فاعزموا عليه (وشركاءكم) اى مع شركائكم ويؤيده القرآءة بالرفع عطفا على الضمير المتصل وجاز من غير ان يؤكد للفصل وقيل انه معطوف على امركم بحذف المضاف اى وامر شركائكم وقيل انه منصوب بفعل محذوف تقديره وادعوا شركاءكم وقد قرئ به وعن نافع فاجمعوا من الجمع والمعنى امرهم بالعزم او الاجتماع على قصده والسعى فى اهلاكه على اىّ وجه يمكنهم ثقة بالله وقلة مبالاة بهم (ثم لايكن امركم) فى قصدى (عليكم غمة) مستورا واجعلوه ظاهرا مكشوفا من غمه اذا ستره او ثم لايكن حالكم عليكم غما اذا اهلكتمونى وتخلصتم من ثقل مقامى وتذكيرى (ثم اقضوا) ادّوا (الىّ) ذلك الامر الذى تريدون بى وقرئ ثم افضوا بالفاء اى انتهوا الىّ بشركم او ابرزوا الىّ من افضى اذا خرج الى الفضاء

وذكر صفة النهار وهى قوله مبصرا وحذفها من الليل لدلالة مبصرا وتقديره عليه هو الذى جعل لكم الليل مظلما لتسكنوا فيه والنهار مبصرا لتتحركوا فيه فتحصلوا اسباب معايشكم فحذف مظلما لدلالة مبصرا عليه وحذف لتتحركوا لدلالة لتسكنوا عليه ويقال أظلم الليل اى صار ذا ظلمة واضاء النهار اى صار ذا ضياء فيكون هذا من باب النسب كقولهم لابن وتامر وقوله تعالى عيشة راضية ثم انه تعالى لما بالغ فى تقرير الدلائل الدالة على تحقيق الحق وابطال الباطل شرع فى بيان قصص الانبياء تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم ولاصحابه فان المصيبة اذا عمت خفت وليكون ذلك سببا لانكسار قلوب الكفار ووقوع الخوف فى صدورهم وتعليل ابدانهم وسفاهتهم فانهم اذا سمعوا ان الامم السابقة وان بالغو فى ايذآء انبيائهم الا انه تعالى قداعانهم بالآخرة ونصرهم وقهر اعدآءهم كان سماعهم سببا لانكسار شرتهم وتمردهم ولتكون هذه القصص من غير زيادة ولانقصان مع انه لم يتعلم علما ولم يطالع كتابا معجزة له صلى الله عليه وسلم دالة على انه انما عرفها بالوحى والتنزيل فابتدأ بقصة نوح عليه الصلاة والسلام واذ فى قوله اذ قال معمول لنبأ لا لقوله اتل لانه مستقبل واذ ماض والمقام اما اسم لمكان القيام او مصدر فعلى الاوّل يكون كناية عن النفس لان المكان من لوازمها كما يقال فعلت كذا لمكان فلان اى لاجله وعلى كونه مصدرا اما ان يراد طول قيامه بينهم اوقيامه على الدعوة والتذكير فانه صلى الله عليه وسلم مكث فيهم الف سنة الا خمسين عاما فيحتمل ان يستثقلوا ذلك وايضا ان اولئك الكفار كانوا قد الفوا تلك المذاهب الفاسدة من الف طريقة فى امر الدين فانه يثقل عليهم ان يدعوا الى خلافها فان اقترن بذلك طول مدّة الدعاء كان اثقل واشدّ وذهب ابو البقاء الى ان قوله تعالى فعلى الله جواب الشرط وقوله فاجمعوا عطف على الجواب ورد عليه انه عليه الصلاة والسلام متوكل على الله دائما كبر عليهم مقامه اولم يكبر والاظهر ان يقال الجواب محذوف اى فافعلوا ماشئتم والمذكور تعليل لعدم مبالاته بهم او يقال الجواب قوله فاجمعوا وقوله فعلى الله توكلت جملة اعتراضية بين الشرط وجوابه وقرآءة الجمهور فاجمعوا بقطع الهمزة من الاجماع وهو العزم يقال اجمعت على الامر اذا عزمت عليه فهو يتعدى بعلى الا ان حرف الجرّ حذف فى الآية واوصل الفعل الى المجرور بنفسه وقيل هو متعدّ بنفسه فى الاصل واجمعت الامر افصح من اجمعت عليه وقرأ العامة شركاءكم منصوبا على انه مفعول معه من ضمير الفاعل فى فاجمعوا او على انه معطوف على امركم بحذف المضاف وعن نافع فاجمعوا بقطع الهمزة ووصل الالف وفتح الميم من جمع يجمع وفيه وجهان الاوّل ان التقدير فاجمعوا ذوى الامر منكم فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه واوقع الفعل عليه والثانى ان المراد بالامر ههنا وجود كيدهم ومكرهم والتقدير لاتدعوا من امركم شيأ الا احضرتموه وقول المصنف او الاجتماع على قصده يلائم الوجه الاوّل ﴿قوله او ثم لايكن حالكم عليكم غما﴾ اى يحتمل ان يكون الامر فى قوله امركم عبارة عن معاداتهم اياه وقصدهم اهلاكه وان يكون الامر فى الحال وان تكون الغمة بمعنى الغم والانفصال كما نقل عن المبرد انه قال اى فرجوا عن انفسكم ولاتغموها ﴿قوله ادّوا الىّ ذلك الامر﴾ اشارة الى ان مفعول اقضوا محذوف وهو ذلك الامر وقرئ ثم أفضوا بقطع الهمزة والفاء من افضى يفضى اذا انتهى او من افضى اذا خرج الى الفضاء والصحرآء اى ثم اصحروا به الىّ وابرزوه لى والمعنى على الاوّل ثم القوا الىّ ما استقرّ عليه رأيكم مما فى نفوسكم محكما مصرّين عليه ثم لاتمهلون ولاتؤخرون وقد نظم بعضهم هذا الكلام على احسن وجه فقال انه صلى الله عليه وسلم قال فى اوّل الامر * فعلى الله توكلت فانى واثق بوعد الله جازم بانه لايخلف الميعاد فلا تظنوا ان تهديدكم اياى بالقتل والايذآء يمنعنى من الدعاء الى الله تعالى * ثم انه عليه الصلاة والسلام اورد عليهم مايدل على صحة دعواه فقال فاجمعوا امركم كانه يقول اجمعوا كل ماتقدرون عليه من الاشياء التى توجب حصول مطلوبكم ثم لم يقتصر على ذلك بل امرهم ان يضموا الى انفسهم شركاءهم الذين كانوا يزعمون ان حالهم يقوى بمكانهم وبالتقرب اليهم ثم لم يقتصر على هذين بل ضم اليهما ثالثا وهو قوله ثم لايكن امركم عليكم غمة واراد ان يبلغوا فيه وان يسعوا فى امره غاية السعى حتى يطيب عيشهم كل غاية فى المكاشفة والمجاهدة ثم لم يقتصر على ذلك حتى ضم اليه رابعا فقال ثم اقضوا الىّ والمراد وجهوا كل تلك الشرور الىّ ثم ضم الى ذلك خامسا فقال ولاتنظرون اى عجلوا ذلك باشدّ ماتقدرون عليه من غير انتظار وهذا آخر الكلام ومعلوم ان مثل هذا الكلام يدل على انه صلى الله عليه وسلم كان قد بلغ الغاية فى التوكل على الله وانه كان قاطعا بان كيدهم لايضرّه ولايصل اليه وان مكرهم لاينفذ فيه ﴿قوله فما سألتكم من اجر يوجب توليكم﴾

(ولاتنظرون) ولاتمهلونى (فان توليتم) اعرضتم عن تذكيرى (فما سألتكم من اجر) يوجب توليكم

لثقله عليكم واتهامكم اياى لاجله او يفوتنى لتوليكم (ان اجرى) مااثوابى على الدعوة والتذكير (الا على الله) لاتعلق له بكم يثيبنى به آمنتم او توليتم (وامرت ان اكون من المسلمين) المنقادين لحكمه لااخالف امره ولاارجو غيره (فكذبوه) فاصرّوا على تكذيبه بعدما الزمهم الحجة وبين ان توليهم ليس الا لعنادهم وتمرّدهم لاجرم حقت عليهم كلمة العذاب (فنجيناه) من الغرق (ومن معه فى الفلك) وكانوا ثمانين (وجعلناهم خلائف) من الهالكين به (واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا) بالطوفان (فانظر كيف كان عاقبة المنذرين) تعظيم لما جرى عليهم وتحذير لمن كذب الرسول صلى الله عليه وسلم وتسلية له (ثم بعثنا) ارسلنا (من بعده) من بعد نوح (رسلا الى قومهم) كل رسول الى قومه (فجاؤوهم بالبينات) بالمعجزات الواضحة المثبتة لدعواهم (فما كانوا ليؤمنوا) فما استقام لهم ان يؤمنوا لشدة شكيمتهم فى الكفر وخذلان الله اياهم (بما كذبوا به من قبل) اى بسبب تعوّدهم تكذيب الحق وتمرّنهم عليه قبل بعثة الرسل (كذلك نطبع على قلوب المعتدين) بخذ لانهم لانهماكهم فى الضلال واتباع المألوف وفى امثال ذلك دليل على ان الافعال واقعة بقدرة الله تعالى وكسب العبد وقدمر تحقيق ذلك (ثم بعثنا من بعدهم) من بعد هؤلاء الرسل (موسى وهرون الى فرعون وملائه بآياتنا) بالآيات التسع (فاستكبروا) عن اتباعهما (وكانوا قوما مجرمين) معتادين الاجرام فلذلك تهاونوا برسالة ربهم واجترؤا على ردّها (فلما جاءهم الحق من عندنا) وعرفوه بتظاهر المعجزات الباهرة المزيحة للشك (قالوا) من فرط تمرّدهم (ان هذا لسحر مبين) ظاهر انه سحر او فائق فى فنه واضح فيما بين اخوانه (قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم) انه لسحر فحذف المحكى بالقول لدلالة ماقبله عليه ولا يجوز ان يكون (أسحر هذا) لانهم بتوا القول بل هو استئناف بانكار ماقالوه اللهم الا ان يكون الاستفهام فيه للتقرير والمحكى مفهوم قولهم ويجوز ان يكون معنى أتقولون للحق اتعيبونه من قولهم فلان يخاف القالة كقوله سمعنا فتى يذكرهم فيستغنى عن المقول (ولا يفلح الساحرون) من تمام كلام موسى للدلالة على انه ليس بسحر فانه لو كان سحرا لاضمحل ولم يبطل سحر السحرة ولان العالم بانه لا يفلح الساحر لا يسحر او من تمام قولهم ان جعل أسحر هذا محكيا كانهم قالوا أجئتنا بالسحر تطلب به الفلاح ولا يفلح الساحرون (قالوا أجئتنا لتلفتنا) لتصرفنا واللفت والفتل اخوان

لاحد امرين لثقله عليكم او لكونه سببا لاتهامكم اياى بان تقولوا انما يعظنا ويذكرنا طمعا لنيل الاجر والمال من قبلنا وقوله فما سألتكم عليه علة لما هو جزاء الشرط اقيمت مقام الجزاء والمعنى ان توليتم فلاباعث يدعوكم الى التولى اذ ليس عندى ماينفركم عنى ويحملكم على الاعراض عن تذكيرى ﴿قوله او يفوتنى لتوليكم﴾ عطف على قوله يوجب توليكم والمعنى حينئذ فان توليتم فلا يرجع ضرر ذلك التولى علىّ اذ لامنفعة لى من قبلكم اى اذكر قول نوح عليه الصلاة والسلام اذ قال لقومه كذا وكذا فكذبوه تمرّدا وعنادا فحقت عليهم كلمة العذاب فاغرقوا فنجيناه ومن استقرّ معه فى الفلك او فنجيناهم فى هذا المكان فان انجاءهم وقع فى الفلك فعلى هذا يتعلق فى الفلك بنجيناه وعلى الاوّل يتعلق بالاستقرار الذى تعلق به معه ﴿قوله تعالى بالبينات﴾ متعلق بجاؤهم أو بمحذوف على انه حال اى ملتبسين بالبينات ومافى قوله تعالى بما كذبوا به مصدرية وضمير به للحق والكاف فى قوله كذلك بمعنى مثل صفة مصدر محذوف اى مثل ذلك الطبع والختم المحكم الممتنع زواله نطبع على قلوب المعتدين على الحدّ باختيار الاصرار على الكفر * قال الامام احتج اصحابنا بهذه الآية على انه تعالى قد يمنع المكلف من الايمان وتقريره ظاهر ثم نقل القاضى رئيس المعتزلة ان الطبع غير مانع من الايمان بدليل قوله تعالى بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا فلو كان هذا الطبع مانعا لما صح هذا الاستثناء ثم احال تحقيق الكلام فى هذه المقام على مااستقصاه فى قوله تعالى ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم ﴿قوله بالآيات التسع﴾ وهى العصا واليد والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس وفلق البحر والحق فى قوله تعالى فلما جاءهم الحق ظاهر اقيم مقام ضمير الآيات المذكورة فى قوله بآياتنا وهى الآيات التسع والا لم ينتظم قوله ان هذا لسحر مبين جوابا لقوله فلما جاءهم الحق ثم جعل الحق شخصا جاءهم من عند الله على سبيل الاستعارة المكنية بقرينة اسناد المجيئ يدل على غاية ظهوره بحيث لا يخفى على من له ادنى مسكة فلذلك عطف المفسر قوله وعرفوه على قوله تعالى لامن قبل موسى وهرون عليهما الصلاة والسلام فيكون ذلك فيكون ذلك تفسيرا بما لا دلالة للفظ عليه وتفصيل بالآيات بالحق تعريض بان صنعهم تخييل وتمويه فيكون باطلا بخلاف قلب العصا حية وفلق البحر وغير ذلك من الآيات فان ضرورة العقل حاكمة بانها ليست من قبيل التمويه فلا يكون سحرا بل يكون حقا ظاهرا من عند الله تعالى بخلقه وايجاده ﴿قوله لانهم بتوا القول﴾ اى قطعوا بانه سحر ولا يصح منه ان يستفهم ويقول أسحر هذا على انه مفعول أتقولون بل هو مقول قال موسى انكر عليهم اوّلا بت القول بانه سحر مبين ثم انكر ثانيا كونه سحرا من قبيل التمويه والتخييل ﴿قوله الا ان يكون الاستفهام فيه للتقرير﴾ استثناء من قوله ولا يجوز الخ اى لا يجوز ذلك بكل حال الا ان يكون الاستفهام فيه لتحقيق كونه سحرا مبينا وقولهم ان صاحبه لا يفلح للقطع بان السحر تمويه وتخييل باطل لا يظفر به الساحر فكانهم قالوا أجئتنا بالسحر تطلب به الفلاح فلا يفلح الساحرون فيكون المحكى بقوله أتقولون هو مفهوم ماقالوه افرد موسى عليه السلام تلك المقالة المفهومة من قولهم وانكرها واثبت ان الفلاح لصاحبه حيث جاء به حقا من عند الله خالصا ذكر المصنف فى قوله أتقولون للحق لما جاءكم ثلاثة اوجه الاوّل ان القول فيه على اصل معناه وان مقوله محذوف لدلالة السابق عليه وقول موسى أسحر هذا ابتداء كلام ذكر انكارا لما قالوه وتجهيلا لهم والثانى ان يكون القول على معناه ايضا وتكون الجملة استفهامية مقولا له من حيث دلالتها على انه لا فلاح لمن جاء به والثالث ان يكون القول كناية عن المقالة والطعن فلا يستدعى مقولا وان الذكر كناية عنها فلا يستدعى مذكورا كما فى قوله سمعنا فتى يذكرهم وقوله أسحر هذا استئناف الانكار والتجهيل ﴿قوله لتصرفنا﴾ يعنى ان اللفت فى اللغة الصرف يقال لفته عن كذا اى صرفه ولواه عنه وقيل لفت الشئ وفتله بمعنى لواه فهما اخوان ومطاوع لفت التفت كما ان مطاوع فتل انفتل وقد يجعل مطاوع فتل مطاوعا لقولنا لفت استغناء بمطاوع احدهما من مطاوع الآخر واللام فى لتلفتنا متعلقة بالمجيئ اى أجئتنا لهذا الغرض قالوه انكارا لمجيئه صارفا اياهم عن دين آبائهم وحاصل كلامهم انهم قالوا لا نترك الدين الذى نحن عليه لانا وجدنا آباءنا عليه لان مقصودكما من دعوى الرسالة ان يكون لكما الملك والعز فى ارض مصر فلا نؤثر رياستكما على رياسة انفسنا فلما شبوا على اعراضهم عن قبول دعوتهما لهذين الامرين صرّحوا بالحكم المتفرّع عليهما فقالوا ومانحن لكما بمؤمنين ثم حاولوا ان يعارضوا معجزة موسى عليه الصلاة والسلام بانواع من السحر ليظهر عند الناس ان ماأتى به موسى عليه الصلاة والسلام من باب السحر فجمع فرعون السحرة واحضرهم فقال لهم موسى القوا ماانتم ملقون * فان قيل كيف امرهم بالسحر والعمل بالسحر كفر والامر بالكفر كفر * فالجواب انه

صلى الله عليه وسلم امرهم بالقاء الحبال والعصي ليظهر للخلق ان ما اتوا به عمل فاسد وسعي باطل لا انه عليه الصلاة والسلام امرهم بالسحر ﴿ قوله اى الذى جئتم به هو السحر لا ما سماه فرعون وقومه سحرا ﴾ والحصر مستفاد من تعريف الخبر فان تعريفه بلام الجنس قد يفيد قصر الجنس على المسند اليه قصرا حقيقيا مطابقا للواقع نحو زيد الامير اذا لم يكن فى الواقع امير سواه اوقصرا غير حقيق مبنيا على المبالغة فى اتصاف المسند اليه بذلك الجنس نحو عمرو الشجاع اى الكامل فى الشجاعة بنى الكلام فى صورة توهم ان الشجاعة مقصورة عليه لا تتجاوزه لعدم الاعتداد بشجاعة غيره لقصورها عن رتبة الكمال وقوله تعالى ماجئتم به السحر من قبيل الاول وكلة ما فيه بمعنى الذى فى محل الرفع على الابتداء وجئتم به صلته وعائده والسحر خبره عرف لفظ السحر بحرف التعريف وسقطت همزة الوصل حال الدرج ﴿ قوله بدل منه ﴾ اى من اسم الاستفهام ولذلك اعيد معه اداة الاستفهام فانه قد تقرر فى كتب النحو ان ماوقع بدلا من اسم الاستفهام لابد ان يعاد فيه اداته ليساوى البدل المبدل منه فى انه استفهام كما تقول كم مالك أعشرون ام ثلاثون فجعل أعشرون بدلا من كم ولا يلزم ان يضمر للسحر خبر لانك اذا ابدلته من المبتدأ وصار فى موضعه صار خبر المبتدأ خبرا عنه ﴿ قوله ويجوز ان ينتصب ما الخ ﴾ اى ويجوز ان تكون ما استفهامية منصوبة المحل بفعل مقدر بعدها لان لها صدر الكلام وجئتم به مفسرا لذلك الفعل المقدر فتكون المسئلة حينئذ من باب الاشتغال والتقدير اى شئ اتيتم جئتم به والسحر على ماتقدم ولو قرئ بنصب السحر على انه بدل من ما بهذا التقدير لكان له وجه لكن لم تنقل القرآءة به واعلم انك اذا جعلت ما موصولة بمعنى الذى امتنع نصبها بفعل مقدر على الاشتغال لان ما بعدها صلة والصلة كما لا تعمل فى الموصول لا تكون تفسيرا لما هو العامل فيه فتلخص من هذا انها اذا كانت استفهامية جاز ان تكون فى محل رفع او نصب واذا كانت موصولة تعين ان تكون فى محل الرفع بالابتداء ﴿ قوله فما آمن لموسى فى مبدأ امره ﴾ ولعله اخذ التقييد المذكور من فاء التعقيب فانها تدل على ان السحرة لما ألقوا حبالهم وعصيهم وعارضهم موسى عليه الصلاة والسلام فولا لم يتأخر ايمان الذرية عنه بل وقع عقيبه فان الفاء تفيد ذلك ثم انه لما تقدم ذكر موسى عليه الصلاة والسلام وفرعون اختلف فى مرجع ضمير قومه فاختار المصنف كونه راجعا الى موسى لكونه اقرب مذكور ولانه لو رجع الى فرعون لكان حق التركيب ان يقال على خوف منه بدل على خوف من فرعون واليه ذهب ابن عباس رضى الله عنهما وغيره قالوا المراد مؤمنوا بنى اسرائيل الذين كانوا بمصر وخرجوا معه وقالوا لفظ الذرية يعبر به عن القوم على وجه التحقير والتصغير ولا سبيل لحمله على التحقير والاهانة ههنا فوجب حمله على الصغير بمعنى قلة العدد او حداثة السن وقيل ضمير قومه يعود على فرعون ويضعف عوده على موسى لان المعروف من اخبار بنى اسرآئيل انه قد فشت فيهم انواع الذل والقهر بسبب استيلاء فرعون عليهم وكانوا يرجون ان يكشف الله تعالى عنهم ماهم فيه من انواع الشدآئد بظهور المولود الذى يخاف فرعون من ظهوره ومن زوال ملكه بسببه فلما جاءهم عليه الصلاة والسلام اتفقوا على اتباعه والايمان به ولم تتخلف قط الا طائفة من بنى اسرآئيل كفرت بموسى عليه الصلاة والسلام فيبعد ان يقال معنى الآية فما آمن لموسى الاذرية قليلة من بنى اسرآئيل وعن ابن عباس رضى الله عنهما فى رواية اخرى عنه انه قال هم ناس يسير من قوم فرعون آمنوا بموسى منهم امرأة فرعون ومؤمن من آل فرعون وخازن فرعون وامرأة خازنه وامرأة ماشطة ﴿ قوله تعالى على خوف ﴾ حال اى آمنوا كائنين على خوف اومع خوف ﴿ قوله وجمعه على ماهو المعتاد فى ضمير العظماء ﴾ جواب عما يقال كيف يعود ضمير المجموع على مفرد وهذا انما يكون جوابا ان لو كان التعبير عن المفرد بضمير الجمع وارادا فى كلام من يعظم فرعون حتى يعبر عنه بضمير الجمع فينبغى ان يقتصر على الجواب الثانى وهو ان فرعون صار اسما لاتباعه كثمود وربيعة الفرس ومضر الحمراء ﴿ قوله اوللذرية ﴾ اى ويجوز ان يكون ضمير ملأهم للذرية اى على خوف من فرعون ومن ملأ الذرية وهم اشراف بنى اسرآئيل وان يكون للقوم سوآء جعلنا الضمير فى قومه لموسى اولفرعون اى ومن ملأ قوم موسى اومن ملأ قوم فرعون وقوله وهو بدل منه اى من فرعون بدل اشتمال تقديره على خوف من فرعون فتنته كقولك نفعنى زيد علمه ويجوز ان يكون فى محل النصب على انه مفعول لخوف اى على خوف فتنته واعمال المصدر كثير ومنه قوله تعالى او اطعام فى يوم ذى مسغبة يتيما واسباط الانبياء بنوا اسرآئيل فانهم من يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم الصلاة والسلام جعلهم ارقاء مقهورين

(عما وجدنا عليه آباءنا) من عبادة الاصنام (وتكون لكما الكبرياء فى الارض) الملك فيها سمى بها لاتصاف الملوك بالكبر او التكبر على الناس باستتباعهم (وما نحن لكما بمؤمنين) بمصدقين فيما جئتما به (وقال فرعون ائتونى بكل ساحر) وقرأ حمزة والكسائى بكل سحار (عليم) حاذق فيه (فلما جاء السحرة قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون فلما القوا قال موسى ما جئتم به السحر) اى الذى جئتم به هو السحر لا ما سماه فرعون وقومه سحرا وقرأ ابو عمرو آلسحر على ان ما استفهامية مرفوعة بالابتداء وجئتم به خبرها وآلسحر بدل منه او خبر مبتدأ محذوف تقديره أهو السحر او مبتدأ خبره محذوف اى آلسحر هو ويجوز ان ينتصب ما بفعل يفسره مابعده تقديره اى شئ اتيتم (ان الله سيبطله) سيمحقه او سيظهر بطلانه (ان الله لا يصلح عمل المفسدين) لا يثبته ولا يقويه وفيه دليل على ان السحر افساد وتمويه لا حقيقة له (ويحق الله الحق) ويثبته (بكلماته) باوامره وقضاياه وقرئ بكلمته (ولو كره المجرمون) ذلك (فما آمن لموسى) فى مبدأ امره (الا ذرية من قومه) الا اولاد من اولاد قومه بنى اسرآئيل دعاهم فلم يجيبوه خوفا من فرعون الا طائفة من شبانهم وقيل الضمير لفرعون والذرية طائفة من شبانهم آمنوا به او مؤمن آل فرعون وامرأته آسية وخازنه وزوجته وماشطته (على خوف من فرعون وملئهم) اى مع خوف منهم والضمير لفرعون وجمعه على ماهو المعتاد فى ضمير العظماء او على ان المراد بفرعون آله كما يقال ربيعة ومضر او للذرية او للقوم (ان يفتنهم) ان يعذبهم فرعون وهو بدل منه او مفعول خوف وافراده بالضمير للدلالة على ان الخوف من الملأ كان بسببه (وان فرعون لعال فى الارض) لغالب فيها (وانه لمن المسرفين) فى الكبر والعتو حتى ادعى الربوبية واسترق اسباط الانبياء

(قوله)

﴿ قوله وليس هذا من تعليق الحكم بشرطين ﴾ فان الآية وان اعتبر فيها شرطان مختلفان وهما الايمان بالله والاسلام فان الايمان بالله عبارة عن التصديق بانه واجب الوجود لذاته واحد وان جميع ماسواه محدث مخلوق مقهور تحت مشيئته وتصرّفه والاسلام عبارة عن الاستسلام والانقياد للتكاليف الصادرة من الله تعالى واظهار الخضوع وترك التمرّد ولاشك انهما امران مختلفان الا ان المعلق على هذين الشرطين حكم واحد من وجه واحد وهو وجوب التوكل والازم ان لايجب التوكل بمجرّد الايمان بالله تعالى لان المشروط لايحصل الاعند تحقق شرطه والشرط اذا كان امورا متعدّدة لايحكم بتحققه الا اذا تحقق جميع اجزآئه فان قال الشارع ان كان المكلف زانيا محصنا فارجموه لايجب الرجم الاعند تحقق مجموع الامرين فكذا فى هذه الآية لو علق وجوب التوكل على مجموع الايمان بالله تعالى والاسلام لزم ان لايجب التوكل الاعند تكامل الشرط بجميع اجزآئه وليس كذلك بل هناك حكمان علق كل واحد منهما بشرط على حدة علق وجوب التوكل على الايمان بالله وحصول التوكل على الاسلام وهو ان يسلموا نفوسهم لله تعالى اى يجعلوها سالمة خالصة لاحظ للشيطان فيها فان من لم يسلم وجهه لله تعالى بان جعل للشيطان مدخلا فيها لايحصل له التوكل وهو تفويض الامر بالكلية الى الله تعالى والاعتماد فى كل الاحوال على الله تعالى وانما قال فعليه توكلوا ولم يقل توكلوا عليه لان الاوّل يفيد الحصر حيث يدل عليه ان موسى عليه الصلاة والسلام امر قومه بالتوكل عليه ونهاهم عن التوكل على غيره تعالى والمراد فى هذا المقام هو التوكل على هذا الوجه لانه الذى يقتضيه الايمان بالله فان من اعتقد ان كل ماسوى الله تعالى ملكه ومقهور تحت تصرّفه وتسخيره امتنع ان يتوكل على غيره وقدمرّ ان نوحا عليه الصلاة والسلام وصف نفسه بالتوكل على هذا الوجه حيث قال فعلى الله توكلت وكذلك موسى عليه الصلاة والسلام ثم انه تعالى بين ان موسى عليه الصلاة والسلام لما امر بذلك قومه قبلوه فقالوا على الله توكلنا لتحقق الشرطين فيهم حيث كانوا مؤمنين بالله تعالى مخلصين انفسهم له تعالى ﴿ قوله موضع فتنة ﴾ لهم اى موضع عذاب لهم بان تسلطهم علينا فيعذبونا وقيل المراد لاتفتن بنا فرعون وقومه لانك لو سلطتهم علينا لوقع فى قلوبهم ان لو كنا على الحق لما سلطهم الله علينا فيصير ذلك شبهة قوية فى اصرارهم على كفرهم فيصير تسلطهم علينا فتنة لهم وانك لو سلطتهم علينا لاستوجبوا العذاب الشديد فى الآخرة وذلك يكون لهم فتنة ﴿ قوله ان اتخذا مباءة ﴾ فى الصحاح المباءة منزل القوم فى كل موضع يقال تبوّأت منزلا اى نزلته وبوّأت للرجل منزلا وبوّأته منزلا يعنى هيأته ومكنت له فيه وكلمة أن فيه يجوز ان تكون مفسرة لانه قد تقدّمها ماهو بمعنى القول والايحاء ويجوز ان تكون مصدرية فيكون ان تبوّآ فى موضع النصب باوحينا مفعولا به اى اوحينا اليهما التبوّء وهو النزول والرجوع يقال تبوّأ المكان اذا اتخذه مباءة ومنزلا والمعنى اجعلا بمصر بيوتا من بيوته مباءة لقومكما ومرجعا ترجعون اليه للعبادة والصلاة فيه ﴿ قوله امروا بذلك ﴾ اى بان يصلوا فى بيوتهم فى خفية من الكفرة لئلا يظهروا عليهم فيؤذوهم كما كان المؤمنون على ذلك فى اوّل الاسلام بمكة ثم ان موسى عليه الصلاة والسلام لما بالغ فى اظهار المعجزات وتقرير الدلائل والبينات ورأى القوم مصرّين على الجحود والعناد دعا عليهم ومن حق من يدعو على الغير ان يذكر اوّلا سبب جرمه وكان جرمهم حب الدنيا وزينتها فلذلك تركوا الدين وعاندوا من يدعو اليه فلذلك ابتدأ عليه الصلاة والسلام فى دعائه عليهم بقوله ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة واموالا روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه كان لهم من بناء فسطاط مصر الى ارض الحبشة جبال فيها معادن ذهب وفضة وزبرجد وياقوت وقرأ عاصم وحمزة والكسائى ليضلوا بضم الياء والباقون بفتح الياء وذكر فى هذه اللام ثلاثة اوجه الاوّل ان تكون لام الامر الغائب بمعنى الدعاء عليهم كانه قيل ليثبتوا على ماهم عليه من الضلال والاضلال وليكونوا ضلالا مضلين وانما دعا عليهم بذلك بعدما عرض عليهم آيات الله وبيناته مكررا وردّد عليهم النصائح والمواعظ زمانا طويلا وحذرهم عذاب الله وانتقامه وانذرهم عاقبة ما كانوا عليه من الكفر والضلال ورآهم لايزيدون على عرض الآيات الا كفرا وعلى الانذار الا استكبارا وعلى النصيحة الا بعدا ولم يبق له مطمع فيهم وعلم بالتجربة وطول الصحبة انه لايجيئ منهم الا الغى والضلال وان ايمانهم كالامر المحال فاشتدّ غضبه عليهم وافرط مقته وكراهته لحالهم فدعا الله تعالى عليهم بما علم انه لايكون غير ذلك ليشهد عليهم بانه لم يبق له فيهم حيلة وانهم لايستأهلون الا ان يخذلوا ويخلى بينهم وبين ضلالهم والوجه الثانى ان تكون لام الصيرورة والعاقبة كما فى قوله * لدوا للموت وابنوا للخراب * فلما كان عاقبة قوم موسى عليه الصلاة والسلام

(وقال موسى) لما رأى تخوّف المؤمنين به (ياقوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا) فثقوا به واعتمدوا عليه (ان كنتم مسلمين) مستسلمين لقضاء الله مخلصين له وليس هذا من تعليق الحكم بشرطين فان المعلق بالايمان وجوب التوكل فانه المقتضى له والمشروط بالاسلام حصوله فانه لايوجد مع التخليط ونظيره ان دعاك زيد فاجبه ان قدرت (فقالوا على الله توكلنا) لانهم كانوا مؤمنين مخلصين ولذلك اجيبت دعوتهم (ربنا لاتجعلنا فتنة) موضع فتنة (للقوم الظالمين) اى لاتسلطهم علينا فيفتنونا (ونجنا برحمتك من القوم الكافرين) من كيدهم وشؤم مشاهدتهم وفى تقديم التوكل على الدعاء تنبيه على ان الداعى ينبغى ان يتوكل اوّلا لتجاب دعوته (واوحينا الى موسى واخيه ان تبوّآ) ان اتخذا مباءة (لقومكما بمصر بيوتا) يسكنون فيها او يرجعون اليها للعبادة (واجعلوا) انتما وقومكما (بيوتكم) تلك البيوت (قبلة) مصلى وقيل مساجد متوجهة نحو القبلة يعنى الكعبة وكان موسى يصلى اليها (واقيموا الصلاة) فيها امروا بذلك اوّل امرهم لئلا يظهر عليهم الكفرة فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم (وبشر المؤمنين) بالنصرة فى الدنيا والجنة فى العقبى وانما ثنى الضمير اوّلا لان التبوّء للقوم واتخاذ المعابد مما يتعاطاه رؤس القوم بتشاور ثم جمع لان جعل البيوت مساجد والصلاة مما ينبغى ان يفعله كل احد ثم وحد لان البشارة فى الاصل وظيفة صاحب الشريعة (وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة) مايتزين به من الملابس والمراكب ونحوهما (واموالا فى الحياة الدنيا) وانواعا من المال (ربنا ليضلوا عن سبيلك) دعاء عليهم بلفظ الامر بما علم من ممارسة احوالهم انه لايكون غيره كقولك لعن الله ابليس وقيل اللام للعاقبة وهى متعلقة بآتيت ويحتمل ان تكون للعلة لان ايتاء النعم على الكفر استدراج وتثبيت على الضلال ولانهم لما جعلوها سببا للضلال فكانهم اوتوها ليضلوا فيكون ربنا تكريرا للاوّل تأكيدا وتنبيها على ان المقصود عرض ضلالاتهم وكفرانهم تقدمة لقوله

(ربنا اطمس على اموالهم) اى اهلكها والطمس المحق وقرئ واطمس بالضم (واشدد على قلوبهم) اى وأقسها واطبع عليها حتى لاتنشرح للايمان (فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم) جواب للدعاء اودعاء بلفظ النهى اوعطف على ليضلوا ومابينهما دعاء معترض (قال قداجيبت دعوتكما) يعنى موسى وهرون عليهما السلام لانه كان يؤمّن (فاستقيما) فاثبتا على ماانتما عليه من الدعوة والزام الحجة ولاتستعجلا فان ماطلبتما كائن ولكن فى وقته روى انه مكث فيهم بعد الدعاء اربعين سنة (ولاتتبعانّ سبيل الذين لايعلمون) طريق الجهلة فى الاستعجال اوعدم الوثوق والاطمئنان بوعدالله وعن ابن عامر برواية ابن ذكوان ولاتتبعان بالنون الخفيفة وكسرها لالتقاء الساكنين ولاتتبعان من تبع ولاتتبعان ايضا (وجاوزنا ببنى اسرآئيل البحر) اى جوّزناهم فى البحر حتى بلغوا الشط حافظين لهم وقرئ جوّزنا وهو من فعل المرادف لفاعل كضعف وضاعف (فأتبعهم) فأدركهم يقال تبعته حتى اتبعته (فرعون وجنوده بغياوعدوا) باغين وعادين اوللبغى والعدو وقرئ وعدوّا (حتى اذاادركه الغرق) لحقه (قال آمنت أنه) اى بانه (لااله الاالذى آمنت به بنوا اسرآئيل وانا من المسلمين) وقرأ حمزة والكسائى انه بالكسر على اضمار القول او الاستئناف بدلا وتفسيرا لآمنت فنكب عن الايمان اوان القبول وبالغ فيه حين لايقبل (آلآن) أتؤمن آلآن وقد ايست من نفسك ولم يبق لك اختيار (وقد عصيت قبل) قبل ذلك مدة عمرك (وكنت من المفسدين) الضالين المضلين عن الايمان

هو الضلال وقداعلمه الله تعالى ذلك عبر عن هذا المعنى بهذا اللفظ والوجه الثالث ان لاتكون لام التعليل حقيقة بل مجازا لاجرم كان الله تعالى آتاهم ذلك ليؤمنوا ويشكروا نعمته فتوسلوا به الى مزيد البغى والكفر شبهت هذه الحالة بحال من اعطى المال لاجل الاضلال فورد الكلام بلفظ التعليل بناء على هذه المشابهة وايتاء النعمة على الكفر والضلال استدراج وتثبيت عليه فيكون الايتاء لاجل التثبيت على الضلال ومعللا به وعلى التقديرين تكون اللام متعلقة بآتيت ولاتكون للدعاء فيكون لفظ ربنا تكريرا للاوّل تقدمة * واعلم ان الاشاعرة استدلوا بهذه الآية على انه تعالى يضل الناس ويريد اضلالهم من وجهين الاوّل ان اللام فى قوله تعالى ليضلوا لام التعليل والمعنى انك اعطيتهم هذه الزينة والاموال لاجل ان يضلوا وهذا صريح فى انه تعالى يريد اضلالهم والثانى ان موسى عليه الصلاة والسلام لمادعا بقوله واشدد على قلوبهم فلايؤمنوا قال قداجيبت دعوتكما ولولا انه تعالى يريد ذلك لمن يشاء لماحسن من موسى عليه الصلاة والسلام ان يسأل ويقول اقس قلوبهم واطبع عليها حتى تكون قاسية ولاتلين ولاتنشرح للايمان ولماقال تعالى قداجيبت دعوتكما وقالت المعتزلة فى جواب الاشاعرة لايجوز ان يكون المراد من الآية ماذكر لانه تعالى منزه عن فعل القبائح وارادة الكفر قبيحة فوجب ان لاتكون اللام فيه للتعليل بل تكون لام العاقبة فان عاقبة قوم موسى لماكانت هى الضلال عبر عن هذا المعنى بهذا اللفظ على سبيل الاستعارة التبعية اوتكون لام الدعاء وفيه مراعاة التئام الكلام لايراد الادعية مسوقة على نسق واحد ﴿قوله والطمس المحق﴾ وهو المحو والابطال قال اكثر المفسرين فى قوله تعالى ربنا اطمس على اموالهم اى امسخها وغيرها عن هيئتها لانهم يستعينون بنعمتك على معاصيك وانما امرتهم بان يستعينوا بها على طاعتك وسلوك سبيلك روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه قال قدبلغنا ان الدراهم والدنانير صارت حجارة منقوشة كهيئة الدراهم والدنانير وصارت كنوزهم حجارة ﴿قوله جواب الدعاء﴾ يعنى انه فى محل النصب على انه جواب اطمس واشدد وفى محل الجزم على انه دعاء فى صورة النهى كقوله

* فلا ينبسط من بين عينيك ماانزوى * ولاتلقنى الا وانفك راغم *

اوفى محل النصب على انه معطوف على قوله ليضلوا فيكون مابينهما اعتراضا وقوله حتى يروا العذاب اى يروا ذلك ويحتمل ان يكون غاية لنفى ايمانهم اى الى ان يروا العذاب الاليم وكان كذلك فانهم لم يؤمنوا الى الغرق وكان ذلك ايمان يأس ولم يقبل قرأ العامة ولاتتبعان بتشديد التاء والنون وقرئ بتخفيف النون مكسورة مع تشديد التاء وقرئ بتخفيف التاء من تبعه اذالحقه وادركه يقال تبعته اذااتبعته اى مشيت من بعده حتى لحقته ﴿قوله حتى بلغوا الشط﴾ فيتعدى بالباء الى المفعول الاوّل وهو الذى كان فاعلا فى الاصل والى المفعول الثانى بنفسه كما هو عليه فيقال جاوزنا ببنى اسرآئيل البحر وعبر المصنف عن هذه التعدية وفسرها بقوله جوّزناهم فى البحر اى هديناهم فيه على ان التضعيف فيه للتعدية والتجويز بهذا المعنى يتعدى الى المفعول الاوّل بنفسه لابالباء ويتعدى الى المفعول الثانى بفى فمن قرأها وجوّزنا ببنى اسرآئيل البحر لايجعل التضعيف فيه للتعدية ويجعل جوّز بمعنى جاوز واجاز فانهما يتعديان الى مفعول واحد ولايتعديان الى ماهو اكثر من واحد الابالباء الداخلة على فاعل مافى الاصل واليه اشار المصنف بقوله وهو من فعل المرادف لفاعل اى ليس من جوّز الذى يتعدى الى المفعول الاوّل بنفسه والى الثانى بكلمة فى ﴿قوله وعادين﴾ على ان يكون بغيا وعدوا مصدرين فى موضع الحال ويجوز ان ينتصبا على انهما مفعولان من اجلهما اى من اجل البغى والعدو ﴿قوله على اضمار القول﴾ والتقدير قال آمنت فقال انه فيكون هذا القول مفسرا واطلاق الاستئناف على البدل مبنى على جعل ان معمولا لمثل عامل المبدل منه ولوجعل كونه ابتداء كلام واستئناف اخبار بذلك علة مستقلة لكسران وكونه بدلا من آمنت علة اخرى لكان اظهر وافيد ﴿قوله فنكب عن الايمان﴾ اى عدل واعرض عنه اوان بقاء التكليف والاختيار وبالغ فيه حين لايفيد حرصا على القبول حيث كرر المعنى الواحد ثلاث مرات بثلاث عبارات حيث قال اوّلا آمنت وقال ثانيا انه لااله الاالذى آمنت به بنوا اسرآئيل وقال ثالثا وانا من المسلمين وكانت المرّة الثانية كافية حين بقاء التكليف والاختيار جاء فى الاخبار عن عبدالله بن عمر رضى الله تعالى عنهما قال غار النيل على عهد فرعون فاتاه اهل مملكته فقالوا ايها الملك اجر لنا النيل فقال انى لست براض عنكم حتى قال ذلك ثلاث مرات فذهبوا فاتوه فقالوا ايها الملك ماتت البهائم وهلكت الصبيان والابكار فان لم تجر لنا النيل اتخذنا الها غيرك

(فاليوم ننجيك) نبعدك مما وقع فيه قومك من قعر البحر ونجعلك طافيا او نلقيك على نجوة من الارض ليراك بنوا اسرائيل وقرأ يعقوب ننجيك من انجى وقرئ ننحيك بالحاء اى نلقيك بناحية الساحل (ببدنك) فى موضع الحال اى ببدنك عاريا عن الروح او كاملا سويا او عريانا من غير لباس او بدرعك وكانت له دروع من ذهب يعرف بها وقرئ بابدانك اى باجزاء البدن كلها كقولهم هوى باجرامه او بدروعك كانه كان مظاهرا بينها (لتكون لمن خلفك آية) لمن وراءك علامة وهم بنوا اسرآئيل اذ كان فى نفوسهم من عظمته ماخيل اليهم انه لايهلك حتى كذبوا موسى عليه السلام حين اخبرهم بغرقه الى ان عاينوه مطروحا على ممرهم من الساحل اولمن يأتى بعدك من القرون اذا سمعوا مآل امرك ممن شاهدك عبرة ونكالا عن الطغيان او حجة تدلهم على ان الانسان على ماكان عليه من عظم الشان وكبرياء الملك مملوك مقهور بعيد عن مظان الربوبية وقرئ لمن خلقك اى لخالقك آية اى كسائر الآيات فان افراده اياك بالالقاء الى الساحل دليل على انه تعمد منه لكشف تزويرك واماطة الشبهة فى امرك وذلك دليل على كمال قدرته وعلمه وارادته وهذا الوجه ايضا محتمل على المشهور (وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون) لايتفكرون فيها ولايعتبرون بها (ولقد بوأنا) انزلنا (بنى اسرآئيل مبوأ صدق) منزلا صالحا مرضيا وهو الشام ومصر (ورزقناهم من الطيبات) من اللذآئذ (فما اختلفوا حتى جاءهم العلم) فما اختلفوا فى امر دينهم الامن بعد ماقرؤا التوراة وعلموا احكامها او فى امر محمد صلى الله عليه وسلم الامن بعد ماعلموا صدقه بنعوته وتظاهر معجزاته (ان ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) فيميز المحق من المبطل بالانجاء والاهلاك (فان كنت فى شك مما انزلنا اليك) من القصص على سبيل الفرض والتقدير (فاسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك) فانه محقق عندهم ثابت فى كتبهم على نحو ماالقينا اليك والمراد تحقيق ذلك والاستشهاد بما فى الكتب المتقدمة وان القرآن مصدق لما فيها او وصف اهل الكتاب بالرسوخ فى العلم بصحة ماانزل اليه او تهييج الرسول صلى الله عليه وسلم وزيادة تثبيته لامكان وقوع الشك له ولذلك قال عليه الصلاة والسلام لااشك ولا اسأل وقيل الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد به امته اوكل من يسمع اى ان كنت ايها السامع فى شك مما انزلنا على لسان نبيك اليك وفيه تنبيه على ان كل من خالجته شبهة فى الدين ينبغى ان يسارع الى حلها بالرجوع الى اهل العلم (لقد جاءك الحق من ربك) واضحا لا مدخل للمرية فيه بالآيات القاطعة (فلا تكونن من الممترين) بالتزلزل عما انت عليه من الجزم واليقين (ولاتكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين) ايضا من باب التهييج والتثبيت وقطع الاطماع عنه كقوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين (ان الذين حقت عليهم) ثبتت عليهم (كلمة ربك) بانهم يموتون على الكفر ويخلدون فى العذاب (لايؤمنون) اذ لايكذب كلامه ولاينتقض قضاؤه

فقال لهم اخرجوا الى الصعيد فخرجوا فتنحى عنهم بحيث لايرونه ولايسمعون كلامه والصق خده بالارض واشار بالسبابة وقال اللهم انى خرجت اليك خروج العبد الذليل الى سيده وانى اعلم انه لايقدر احد على اجرآئه غيرك فأجره قال فجرى النيل جريا فأتاهم فقال لهم انى اجريت لكم النيل قال فخروا له سجدا فعرض له جبريل فقال ايها الملك ان عبدا ملكته عبيدى واعطيته مفاتيح خزآئنى وعادانى واحب من عاديته وعادى من احببته فقال له فرعون لو كان لى ذلك العبد لغرقته فى بحر القلزم فقال له جبريل عليه السلام ايها الملك اكتب لى بذلك كتابا قال فدعا بدواة وقلم وقرطاس فكتب فرعون فيه يقول ابو العباس الوليد بن مصعب جزآء العبد الخارج على سيده الكافر نعماءه ان يغرق فى البحر فلما الجمه الغرق ناوله جبريل خطه فعرفه فقال جبريل هذا ماحكمت به على نفسك ﴿قوله او نلقيك على نجوة من الارض﴾ النجوة المكان المرتفع الذى تظن انه نجاؤك من السيل والباء فى ببدنك للمصاحبة كما فى قولك خرج زيد بعشيرته واشترى الفرس بسرجه وهذه الباء تصلح ان تكون مع مدخولها فى محل الحال فاراد المصنف ان يبين كونه مبينا لهيئة المفعول فقال عاريا عن الروح او بدنا سويا لم ينقص منه شئ لئلا تبقى شبهة فى انه بدنك او بدن غيرك الى آخر ماقال والعرب تطلق البدن على الدرع قال ابو الليث البدن الدرع الذى يكون قصير الكمين وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال كان عليه درع من ذهب فاخرجه الله تعالى من الماء مع ذلك الدرع ليعرف انه هو وروى ان بنى اسرآئيل قالوا مامات فرعون ولايموت ابدا ولم يصدقوا بغرقه فالقاه البحر بامر الله تعالى الى الساحل فعاينوه وايقنوا بموته وقرئ بابدانك جمعا اما على ارادة الدروع لانه كان يلبس كثيرا منها خوفا على نفسه او على جعل كل جزء من بدنه بدنا كما يقال شابت مفارقه ووقع باجرامه مع ان المفرق واحد والجرم واحد ﴿قوله وقرئ لمن خلقك﴾ بالقاف فعلا ماضيا وقرئ لمن خلفك بالفاء وفتح اللام اى لمن خلفك من الجبابرة اى ليتعظوا بذلك وذكر فى كونه آية ثلاثة وجوه كونه آية دالة على كونه مملوكا مقهورا وكونه آية اعتبار اى لمن خلفك ولمن كان على الطغيان وكونه آية دالة على كمال قدرة الله تعالى لانه اغرقه مع جميع قومه وما اخرج من الجميع فى قعر البحر الا اياه فتخصيصه دليل واضح على ذلك وذكر الوجه الثالث فى قرآءة لمن خلقك بالقاف ثم قال وهذا الوجه ايضا محتمل على المشهور وهو ان يقرأ لمن خلفك بالفاء ﴿قوله منزلا صالحا مرضيا﴾ اشارة الى ان مبوأ اسم مكان ووصف بالصدق مدحا لهم اى اسكناهم مكانا محمودا فان عادة العرب اذا مدحت شيأ اضافته الى الصدق تقول رجل صدق قال تعالى رب ادخلنى مدخل صدق واخرجنى مخرج صدق قيل كان قوم موسى عليه الصلاة والسلام على ملة واحدة ومقالة واحدة ثم تشعبوا واختلفوا فى امور كثيرة من امور دينهم قبل البعثة طلبا للرياسة وبغيا من بعضهم على بعض حتى اداهم ذلك الى القتال تعسفا فى التأويل وتعصبا للمذاهب وماوقع هذا الاختلاف والتشعب الامن بعدما قرؤا التوراة وعلموا ماهو الحق فى امر الدين ولزمهم الثبات عليه واتحاد الكلمة فيه فالمراد من بنى اسرآئيل هم الذين نجوا من فرعون وماتناسل منهم فانه تعالى اورثهم جميع ماكان تحت ايدى قوم فرعون من الناطق والصامت والحرث والنسل وقيل المراد من بنى اسرآئيل هم الذين كانوا فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس هم قريظة والنضير وبنو اقينقاع انزلهم الله تعالى مبوأ الصدق مابين المدينة والشام من ارض يثرب ورزقهم من الطيبات من النخل ومافيها من الرطب والتمر الذى لايوجد مثله فى البلاد فما اختلفوا فى تصديقه وانه نبى حق الامن بعد ماجاءهم العلم والبينات بانه صلى الله عليه وسلم النبى المبعوث فى الكتب الالهية قال تعالى الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وقال ابن عباس رضى الله عنهما المراد بالعلم القرآن العظيم وسمى القرآن علما لكونه سبب العلم وتسمية السبب باسم المسبب مجاز مشهور وقال الفرآء العلم ههنا بمعنى المعلوم والمراد به محمد صلى الله عليه وسلم لانه كان معلوما عندهم بنعته فانه صلى الله عليه وسلم اختلفوا فى تصديقه فكفر به اكثرهم ﴿قوله على سبيل الفرض والتقدير﴾ اى فان كنت فى شك فافعل كذا وكذا قضية شرطية فلا اشعار فيها البتة بان الشرط وقع من المخاطب او لم يقع ولابان الجزآء وقع او لم يقع بل ليس هناك الابيان ان ماهية ذلك الشرط مستلزمة لماهية ذلك الجزآء فقط ﴿قوله وقيل الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد به امته اوكل واحد﴾ وتخصيص المخاطب لفرض تحقق الشرط فيه مبنى على كونه امير امته فان عادة السلطان الكبير اذا كان له امير وكان تحت رأى ذلك الامير جمع فاراد السلطان ان يأمر الرعية بامر مخصوص فانه لايوجه خطابه اليهم بل يوجه ذلك الخطاب الى

(ولو جاءتهم كل آية) فان السبب الاصلي لايمانهم وهو تعلق ارادة الله به مفقود (حتى يروا العذاب الاليم) وحينئذ لاينفعهم كما لاينفع فرعون (فلو لا كانت قرية آمنت) فهلا كانت قرية من القرى التي اهلكناها آمنت قبل معاينة العذاب ولم تؤخر اليها كما اخر فرعون (فنفعها ايمانها) بان يقبله الله منها ويكشف العذاب عنها (الاقوم يونس) لكن قوم يونس عليه السلام (لما آمنوا) اوّل مارأوا امارة

العذاب ولم يؤخروه الى حلوله (كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا) ويجوز ان تكون الجملة في معنى النفي لتضمن حرف التحضيض معناه فيكون الاستثناء متصلا لان المراد من القرى اهاليها كأنه قال ما آمن اهل قرية من القرى العاصية فنفعهم ايمانهم الا قوم يونس ويؤيده قرآءة الرفع على البدل (ومتعناهم الى حين) الى آجالهم روي ان يونس عليه السلام بعث الى نينوى من الموصل فكذبوه واصرّوا عليه فوعدهم بالعذاب الى ثلاث وقيل الى ثلاثين وقيل الى اربعين فلما دنا الموعد غامت السماء غيما اسود ذا دخان شديد فهبط حتى غشي مدينتهم فهابوا فطلبوا يونس فلم يجدوه فايقنوا صدقه فلبسوا المسوح وبرزوا الى الصعيد بانفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرّقوا بين كل والدة وولدها فحنّ بعضها الى بعض وعلت الاصوات والعجيج واخلصوا التوبة واظهروا الايمان وتضرّعوا الى الله فرحمهم وكشف عنهم وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة (ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم) بحيث لايشذ منهم احد (جميعا) مجتمعين على الايمان لايختلفون فيه وهو دليل على القدرية في انه تعالى لم يشأ ايمانهم اجمعين وان من شاء ايمانه يؤمن لامحالة والتقييد بمشيئة الالجاء خلاف الظاهر (أفأنت تكره الناس) بما لم يشأ الله منهم (حتى يكونوا مؤمنين) وترتيب الاكراه على المشيئة بالفاء وايلاؤها حرف الاستفهام للانكار وتقديم الضمير على الفعل للدلالة على ان خلاف المشيئة مستحيل فلا يمكنه تحصيله بالاكراه عليه فضلا عن الحث والتحريض عليه اذ روي انه كان حريصا على ايمان قومه شديد الاهتمام به فنزلت ولذلك قرّره بقوله (وما كان لنفس ان تؤمن) بالله (الا باذن الله) الا بارادته واطلاقه وتوفيقه فلا تجهد نفسك في هداها فانه الى الله (ويجعل الرجس) العذاب او الخذلان فانه سببه وقرئ بالزاي وقرأ ابو بكر ونجعل بالنون (على الذين لايعقلون) لا يستعملون عقولهم بالنظر في الحجج والآيات او لايعقلون دلائله واحكامه لما على قلوبهم من الطبع ويؤيد الاوّل قوله (قل انظروا) اي تفكروا (ماذا في السموات والارض) من عجائب صنعه ليدلكم على وحدته وكمال قدرته وماذا ان جعلت استفهامية علقت انظروا عن العمل (وما تغني الآيات والنذر عن قوم لايؤمنون) في علم الله وحكمه وما نافية او استفهامية في موضع النصب

(لاستحقاق)

ذلك الامير الذي جعله اميرا عليهم ليكون ذلك اقوى تأثيرا في قلوبهم لما فرغ الله تعالى من قصة نوح عليه الصلاة والسلام وموسى عليه الصلاة والسلام شرع في القصة الثالثة وهي قصة يونس عليه الصلاة والسلام وان قومه آمنوا بعد كفرهم وانتفعوا بذلك الايمان وهو مادل عليه قوله تعالى فلو لا كانت قرية آمنت ووجه اتصالها بما قبلها ان قوله ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لايؤمنون ولو جاءتهم كل آية يدل على ان من الكفار فريقا قضى الله عليهم ان يموتوا على الكفر فهم لايؤمنون البتة فاتبعه ببيان ان من الكفار فريقا آخر ختم لهم بالايمان * فان قيل انه تعالى حكى عن فرعون انه تاب في آخر الامر ولم تقبل توبته وعن قوم يونس عليه السلام انهم تابوا وقبلت توبتهم فما الفرق * والجواب ان فرعون انما تاب بعد ان شاهد العذاب وقوم يونس تابوا قبل ان يشاهدوا العذاب والمصنف اشار الى هذا الفرق بقوله لما آمنوا اوّل مارأوا امارة العذاب تابوا قبل ان يشاهدوا العذاب فظهر الفرق ﴿ قوله فهلا كانت ﴾ اشارة الى هذا الفرق بقوله لما آمنوا اوّل مارأوا العذاب تابوا قبل ان يشاهدوا لان لولا هنا تحضيضية وفيه معنى التوبيخ كما في قول الفرزدق

* تعدّون عقر النيب افضل مجدكم * بني ضوطرى لولا الكميّ المقنعا *

وفي مصحف ابيّ وعبدالله فهلا وبه قرئ وهي نصّ في انها للتحضيض وقيل ان لولا تأتي بمعنى ما النافية في مواضع منها ما في هذه الآية وتقديرها فما كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس وهو من حيث اللفظ استثناء منقطع لان ما بعد الا وهو قوم يونس ليس بداخل في جنس ما قبلها وهي القرية وبحسب المعنى متصل لان المعنى ما آمن من اهل القرى الا قوم يونس وظاهر عبارة المصنف يدل على ان الصحيح لكونه متصلا كون الكلام في معنى النفي وليس كذلك بل المسوّغ له كونه اطلق القرى واريد بها اهاليها على اطلاق اسم المحل على الحال والا فانه يكون الاستثناء منقطعا كما اشار اليه بقوله لكن قوم يونس لما آمنوا في وقت قبول الايمان كشفنا عنهم بعد قوله فهلا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها والتحقيق ان كلمة لولا اذا كانت حرف تحضيض او كانت بمعنى ما النافية يكون المراد من القرى اهاليها لان التحضيض انما يكون للاهل لا لنفس القرية ولانه قد اسند الايمان اليها والايمان لايسند الى نفس القرية بل الى اهلها والمصنف قطع بكون الاستثناء منقطعا باعتبار كون الجملة مسوقة الى التحضيض وقطع بكونه متصلا باعتبار كونها في معنى النفي فان التحضيض لما كان فيه معنى النفي كان في قوّة قوله ما آمن المحضضون ولم يؤمنوا لان حرف التحضيض اذا دخل على الفعل الماضي يكون للتوبيخ على ترك الفعل فان اعتبر معنى النفي كان الاستثناء متصلا لامحالة لان المراد حينئذ ان اهالي القرى ما آمنوا الا قوم يونس فانهم آمنوا واما ان اعتبر التحضيض لم يكن الاستثناء متصلا لان من شأن الاستثناء المتصل ان يجوز نفي ما استثنى عن المستثنى منه ولو قلت لولا آمنوا الا قوم يونس ليسوا بما لم يؤمنوا او ما آمنوا لم يكن كلاما مستقيما بخلاف ما اذا جعل الاستثناء منقطعا فانك اذا قلت لكن قوم يونس آمنوا وانتفعوا بايمانهم استقام الكلام وانما قال المصنف في معنى النفي لان المراد من القرى اهلها بلفظ الجمع مع ان المذكور في الآية لفظ قرية لانها نكرة في سياق النفي فتفيد العموم وكان في الآية تامة وآمنت صفة لقرية وقوله فنفعها معطوف على آمنت ﴿ قوله ويؤيده قرآءة الرفع ﴾ على جعله بدلا من قرية ووجه التأييد ان ابدال المستثنى من المستثنى منه انما يجوز في كلام غير موجب ولا يجوز الابدال في مثل جاءني القوم الازيد لان المبدل في حكم الساقط فيكون تقدير الكلام جاءني الازيد وهو يستلزم ان يجيء جميع العالم اليه الازيد وهو محال ﴿ قوله وهو دليل على القدرية ﴾ القائلين بانه تعالى يريد ايمان الكافر وطاعة العاصي لكن الكافر والعاصي انما يكفر ويعصي بقدرة نفسه وارادته ووجه الاستدلال ان الآية صريح في انه تعالى ما اراد ايمان الكل لان معنى الآية انه لو شاء ايمان الكل لآمن الكل وكلمة لو الامتناعية في الآية صريح في انه تعالى ما اراد ايمان الكل لان معناها انتفاء الشيء لانتفاء غيره فدل على ان ما في حيز لو منتف فلا يريد ايمان الكل * واجاب الجبائي والقاضي وغيرهما من المعتزلة عما يرد على مذهبهم بان المراد بالمشيئة مشيئة الالجاء اي لو يشاء الله ان يلجئهم الى الايمان لقدر عليه ولصح ذلك منه ولكنه ما فعل ذلك لان الايمان الصادر من العبد على سبيل الالجاء لاينفعه ولا يفيد فائدة ثم قال الجبائي ومعنى الجاء الله تعالى اياهم الى ذلك ان يعرفهم اضطرارا انهم لو حاولوا ترك الايمان لحال الله بينهم وبين ذلك وعند هذا لابدّ وان يفعلوا ما الجئوا اليه كما ان من علم منا انه لو حاول فعل امر منع من فعله وتركه قهرا لم يكن تركه لذلك الفعل سببا

(فهل ينتظرون الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم) مثل وقائعهم من نزول بأس الله بهم اذلا يستحقون غيره من قولهم ايام العرب لوقائعها (قل فانتظروا انى معكم من المنتظرين) لذلك اوفانتظروا هلاكى انى معكم من المنتظرين هلاككم (ثم ننجى رسلنا والذين آمنوا) عطف على محذوف دل عليه الا مثل ايام الذين خلوا كانه قيل نهلك الامم ثم ننجى رسلنا ومن آمن بهم على حكاية الحال الماضية (كذلك حقا علينا ننجى المؤمنين) كذلك الانجاء او انجاء كذلك ننجى محمدا وصحبه حين نهلك المشركين وحقا علينا اعتراض ونصبه بفعله المقدر وقيل بدل من كذلك (قل ياايها الناس) خطاب لاهل مكة (ان كنتم فى شك من دينى) وصحته (فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن اعبد الله الذى يتوفاكم) فهذا خلاصة دينى اعتقادا وعملا فاعرضوها على العقل الصرف وانظروا فيها بعين الانصاف لتعلموا صحتها وهو انى لا اعبد ما تختلقونه وتعبدونه ولكن اعبد خالقكم الذى هو يوجدكم ويتوفاكم وانما خص التوفى بالذكر للتهديد (وامرت ان اكون من المؤمنين) بما دل عليه العقل ونطق به الوحى وحذف الجار من ان يجوز ان يكون من المطرد مع ان وان وان يكون من غيره كقوله امرتك الخير فافعل ما امرت به *

فقد تركتك ذا مال وذا نسب *

(وان أقم وجهك للدين) عطف على ان اكون غيران صلة ان محكية بصيغة الامر ولا فرق بينهما فى الغرض لان المقصود وصلها بما يتضمن معنى المصدر لتدل معه عليه وصيغ الافعال كلها كذلك سواء الخبر منها والطلب والمعنى وامرت بالاستقامة فى الدين والاشتداد فيه باداء الفرائض والانتهاء عن القبائح او فى الصلاة باستقبال القبلة (حنيفا) حال من الدين او الوجه (ولا تكونن من المشركين ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك) بنفسه ان دعوته او خذلته (فان فعلت) فان دعوته (فانك اذا من الظالمين) جزاء الشرط وجواب لسؤال مقدر عن تبعة الدعاء (وان يمسسك الله بضر) وان يصبك به (فلا كاشف له) يرفعه (الا هو) الا الله (وان يردك بخير فلا راد) فلا دافع (لفضله) الذى ارادك به ولعله ذكر الارادة مع الخير والمس مع الضر مع تلازم الامرين للتنبيه على ان الخير مراد بالذات وان الضر انما مسهم لا بالقصد الاول ووضع الفضل موضع الضمير للدلالة على انه متفضل بما يريد بهم من الخير لا استحقاق لهم عليه ولم يستثن لان مراد الله لا يمكن رده (يصيب به) بالخير (من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم) فتعرضوا لرحمته بالطاعة ولا تيأسوا من غفرانه بالمعصية (قل ياايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم) رسوله او القرآن ولم يبق لكم عذر (فمن اهتدى) بالايمان والمتابعة (فانما يهتدى لنفسه) لان نفعه لها (ومن ضل) بالكفر بهما (فانما يضل عليها) لان وبال الضلال عليها (وما انا عليكم بوكيل) بحفيظ موكول الى امركم وانما انا بشير ونذير (واتبع ما يوحى اليك) بالامتثال والتبليغ (واصبر) على دعوتهم وتحمل اذيتهم (حتى يحكم الله) بالنصرة او بالامر بالقتال (وهو خير الحاكمين)

لاستحقاق المدح والثواب فكذا ههنا فتفسير الآية على طريق اهل السنة انه تعالى اخبر عن كمال قدرته ونفوذ مشيئته فقال ولو شاء ربك لآمن من فى الارض كلهم جميعا ولكن شاء ان يؤمن به من علم منه اختيار الايمان وشاء ان من علم منه انه يختار الكفر لا يؤمن به فقد اخبر الله تعالى بنفاذ مشيئته فى جميع خلقه ﴿ قوله من المطرد مع ان ﴾ اى باعتبار الاول مطرد وبالاعتبار الثانى غير مطرد فيمكن ان يجعل حذف حرف الجر فيه مبنيا على كل واحدة من القاعدتين ﴿ قوله ولا فرق بينهما ﴾ بين ان يكون صلة ان خبريا او طلبيا وهو جواب عن الاشكال الذى اورده الزمخشرى على كون وان اقم معطوفا على ان اكون وهو ان ان فى قوله وان اقم وجهك اما ان تكون مفسرة او موصولة كالاولى ولا سبيل الى شئ منهما اما الى الاول فلان الاولى مع صلتها مأمور بها فلو كانت المفسرة عطفا عليها لكانت ايضا مأمورا بها والمأمور به لا يكون تفسيرا للامر وايضا هى مع صلتها مفعول والمفسرة لا تقع مفعولا وايضا يلزم تقدير حرف الجر فيها كما فى الموصولة واما الى الثانى فلان الصلة يجب ان تكون خبرا كما فى الموصول الاسمى وهو التى واخواتها ويسمى نحو ان وما المصدريتين وان المشبهة وكى موصولا حرفيا لكونها مع الجملة التى بعدها فى تأويل المفرد فاذا وقع فى التركيب يكون له محل من الاعراب وتلك الجملة تسمى صلة فى تقدير الكلام * والجواب ان سيبويه جوز ان تكون الصلة امرا ونهيا لان الوصل بالماضى والمضارع انما يجوز لدلالته على المصدر فيجوز الوصل بالامر والنهى لدلالتهما ايضا على المصدر وانما وجب فى الموصول الاسمى ان تكون صلته خبرية لان وضعها ليتوصل بها الى وصف المعارف بالجمل والجمل لا يوصف بها الا اذا كانت خبرية والموصول الحرفى ليس كذلك فلا يجب ان تكون صلته خبرية ﴿ قوله والمعنى وامرت بالاستقامة فى الدين ﴾ لما تقرر ان ان مصدرية معطوفة على ان اكون وانها مع صلتها مأمور بها وفيه اشارة الى ان اقامة الوجه للدين كناية عن توجه النفس بالكلية الى عبادة الله تعالى والاعراض عما سواه فان من اراد ان ينظر الى شئ نظرا بالاستقامة او بالاستقبال فانه يقيم وجهه فى مقابلته بحيث لا يلتفت يمينا ولا شمالا فانه لو التفت الى جهة بطلت تلك المقابلة واختل النظر المراد ولذلك كنى باقامة الوجه عن صرف الفعل بالكلية الى الدين وقيل المعنى اقم وجهك فى الصلاة نحو القبلة وقوله حنيفا حال من الدين او من الوجه اى فى حال كونه مستقيما لا اعوجاج فيه بوجه ما او فى حال كونك مائلا اليه ميلا كليا معرضا عما سواه اعراضا كليا فقوله امرت ان اكون من المؤمنين اشارة الى تحصيل اصل الايمان وقوله وان اقم وجهك للدين حنيفا الى الاستغراق فى نور الايمان والاعراض بالكلية عما سواه * قال الامام قوله تعالى ولا تكونن من المشركين لا يمكن ان يكون نهيا عن عبادة الاوثان لان ذلك مذكور فى اول الآية وهو قوله لا اعبد الذين تعبدون من دون الله فلابد ان يحمل هذا الكلام على ما يفيد فائدة زائدة فان من عرف مولاه لو التفت بعد ذلك الى غيره كان ذلك شركا وهذا هو الذى يسميه اصحاب القلوب بالشرك الخفى ثم قال قوله تعالى ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك اشارة الى مقام آخر هو درجات العارفين لان ماسوى الحق لا وجود له الا بايجاد الحق وعلى هذا التقدير فلا نافع الا الحق ولا ضار الا الحق وكل شئ هالك الا وجهه واذا كان كذلك فلا حكم ولا رجوع فى الدارين الا الى الله ثم قال تعالى آخر الآية فان فعلت فانك اذا من الظالمين اى لو اشتغلت بطلب المنفعة والمضرة من غير الله فانت من الظالمين لان الظلم عبارة عن وضع الشئ فى غير موضعه فاذا كان ماسوى الحق معزولا عن التصرف كان طلب المنفعة والمضرة مما سوى الحق وضعا للشئ فى غير موضعه فيكون ظلما وطلب الانتفاع بالاشياء التى خلقها الله تعالى للانتفاع بها من الطعام والشراب ونحوهما لا ينافى الرجوع بالكلية الى الله تعالى بشرط ان يكون بصر عقله عند توجهه الى شئ من هذه الاشياء مشاهدا لقدرة الله تعالى وجوده واحسانه فى ايجاد تلك الموجودات وابداع تلك المنافع فيها وجازما بانها فى انفسها وذاتها معدومة هالكة لا وجود لها ولا بقاء ولا تأثير الا بايجاد الله تعالى وابقائه وافاضة ما فيها من الخواص عليها بجوده واحسانه ثم انه تعالى قرر بقوله وان يمسسك الله الآية ان جميع الممكنات مستندة اليه وان جميع الكائنات من الرحمة والجود فائض منه محتاج اليه فلما كان كل واحد من الخير والضر واقعا بقدرة الله تعالى وبقضائه لزم ان يكون الكفر والايمان والطاعة والعصيان والشرور والآفات والآلام واللذات واقعة بقدرة الله تعالى وقضائه ان قضى على احد شرا فلا كاشف له الا هو وان قضى لاحد خيرا فلا راد لفضله البتة ﴿ قوله ولم يستثن ﴾ اى لم يقل وان يردك بخير فلا راد لفضله الا هو

لانه مذفرض ان تعلق الخيرية واقع بارادة الله تعالى لم يبق للاستثناء معنى بخلاف الضر فانه لم يفرض ان تعلقه به مراد بالذات فحسن الاستثناء وقوله تعالى وان يردك وان يردك بخير معناه وان يردبك الخير لكنه لما تعلق كل واحد منهما بالآخر جازت كل واحدة من العبارتين مع ان التقديم فى اللفظ يدل على زيادة العناية بالمقدم فقوله وان يردك بخير يدل على ان المقصود هو الانسان وسائر الخيرات مخلوقة لاجله وهذه الدقيقة لاتستفاد الا من هذا التركيب والله اعلم

﴿ سورة هود عليه السلام مكية وهى مائة وثلاث وعشرون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ قوله تعالى الر كتاب ﴾ ان كان الر اسم السورة يكون مبتدأ وكتاب خبره وان كان مذكورا على نمط تعديد الحروف للتحدى والاعجاز من حيث دلالته على ان المتحدى به مؤلف من جنس ما يركبون منه كلامهم فلولا انه من عند الله تعالى لما عجزوا عن الاتيان بمثله يكون كتاب خبر مبتدأ محذوف وذكر فى احكام الآيات اربعة معان الاول انها نظمت نظما محكما لايقع فيه نقض ولاخلل كالبناء المحكم والثانى كونها ممنوعة من الفساد بان ينسخ شئ منها والثالث ان احكامها عبارة عن تحقق مدلولاتها بالحجج والدلائل والرابع ان المعنى جعلت حكمية اى مشتملة على امهات الحكم النظرية والعملية فان الحكم الدينية اما نظرية لاتعلق لها بالعمل بل المقصود بها مجرد الاعتقاد كمعرفة الصانع بانه واحد ازلا وابدا ووحدته وسائر صفات جلاله وجماله ومعرفة الملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر ومافيه من نحو الصراط والميزان واما عملية متعلقة بكيفية العمل وهى قسمان احدهما مايتعلق بتهذيب الاعمال الظاهرة وبالاحوال الباطنة وهو علم التصفية ورياضة النفس ولا يوجد فى العالم كتاب يساوى القرآن الكريم والكتاب الحكيم فى بيان هذه المطالب المهمة ﴿ قوله ثم فصلت بالفرائد من العقائد ﴾ بالفرائد متعلق بفصلت ومن العقائد بيان للفرائد يقال عقد مفصل اذا جعل بين كل لؤلؤتين خرزة فمعنى قوله تعالى ثم فصلت ان آياته زينت بالفرائد كما زينت القلائد بالفرائد ﴿ قوله او بجعلها سورا ﴾ معنى جعل آيات هذه السورة الكريمة سورا ذكر معانى هذه السورة وآياتها فى سورة متفرقة وآيات متعددة من التفصيل بمعنى التفريق وكذا اذا كانت فصلت بمعنى انزلت نجما نجما اى وقتا وقتا فان النجم فى الاصل اسم للكوكب الطالع ثم نقل الى الوقت لانهم يعرفون الاوقات بطلوع النجم ومنه قول الامام الشافعى اقل التأجيل نجمان اى شهران ﴿ قوله او فصل فيها ﴾ اى بين ولخص فيها مايحتاج اليه العباد فان التفصيل يستعمل بمعنى التبيين ايضا ﴿ قوله وثم للتفاوت فى الحكم ﴾ اى للتراخى فى الرتبة لاللتراخى فى الوقوع فى الزمان فان تفصيل آياتها ليس متراخيا عن احكامها بحسب الزمان بل هو متراخ عنه بحسب الرتبة فان التفصيل باى معنى كان اقوى وادخل فى المدح بالنسبة الى الاحكام ﴿ قوله او للتراخى فى الاخبار ﴾ فان الشائع فى الجمل ان يراد بها نفس مفهومها الا انه قد يراد بها الاخبار بمفهومها كما سبق فى جزاء الشرط والظاهر ان المراد من التراخى هو مجرد الترتيب فظهر ان حقيقة التراخى منتفية بين الاخبارين ضرورة ان الاخبار بالتفصيل وقع عقيب الاخبار بالاحكام ﴿ قوله صفة اخرى لكتاب ﴾ فان احكمت فى محل الرفع على انه صفة لكتاب فيكون تقدير الكلام الر كتاب من لدن حكيم خبير وان كان خبرا بعد خبر يكون التقدير الر من لدن حكيم خبير وان كان صلة اى معمولا لاحد الفعلين من حيث صناعة الاعراب على سبيل التنازع يكون متعلقاتهما من حيث المعنى ويكون المعنى احكمها حكيم وفصلها اى شرحها وبينها خبير عالم بكيفيات الامور وعلى كل تقدير يكون المقصود منه تقرير احكامها وتفصيلها فانه لما وصف من انزلها واحكمها وفصلها بانه رب حكيم اى محكم للامور واضع كل شئ موضعه وبانه خبير لايعزب عنه الاخبار الباطنة فلا يجرى شئ فى الملك والملكوت الا ويكون عنده خبره فان الخبير بمعنى العليم لكن العلم اذا اضيف الى الخفايا الباطنة يسمى خبرة ويسمى صاحبه خبيرا ولكون الخبير ابلغ من العليم اورد ذكر الخبير بعد ذكر العليم فى قوله تعالى وهو العليم الخبير ﴿ قوله باعتبار ماظهر امره وماخفى ﴾ متعلق بقوله تقرير فان كون الر كتابا منزلا من لدن حكيم يدل على متانة ظاهر نظمه وكونه منزلا من لدن خبير يدل على متانة ماخفى من مدلوله فهو بالاعتبار الاول تقرير لاحكامها وبالاعتبار الثانى تقرير لتفصيلها وتبيينها ﴿ قوله لان لاتعبدوا ﴾ على تقدير ان تكون كلمة ان فى قوله ان لاتعبدوا مصدرية موصولة بالنهى وقدمر عن قريب انه يجوز

اذ لا يمكن الخطأ فى حكمه لاطلاعه على السرائر اطلاعه على الظواهر عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة يونس اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بيونس ومن كذب به وبعدد من غرق مع فرعون

﴿ سورة هود مكية وهى مائة وثلاث وعشرون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الر كتاب) مبتدأ وخبرا وكتاب خبر مبتدأ محذوف (أحكمت آياته) نظمت نظما محكما لايعتريه اختلال من جهة اللفظ والمعنى او منعت من الفساد والنسخ فان المراد آيات السورة وليس فيها منسوخ او احكمت بالحجج والدلائل او جعلت حكمية منقولة من حكم بالضم اذا صار حكيما لانها مشتملة على امهات الحكم النظرية والعملية (ثم فصلت) بالفرائد من العقائد والاحكام والمواعظ والاخبار او بجعلها سورا او بالانزال نجما نجما او فصل فيها ولخص مايحتاج اليه وقرئ ثم فصلت اى فرقت بين الحق والباطل واحكمت آياته ثم فصلت على البناء للتكلم وثم للتفاوت فى الحكم او للتراخى فى الاخبار (من لدن حكيم خبير) صفة اخرى لكتاب او خبر بعد خبر او صلة لاحكمت او فصلت وهو تقرير لاحكامها وتفصيلها على اكمل ماينبغى باعتبار ماظهر امره وماخفى (ان لاتعبدوا الا الله) لان لاتعبدوا وقيل ان مفسرة لان فى تفصيل الآيات معنى القول ويجوز ان يكون كلاما مبتدأ للاغراء على التوحيد او الامر بالتبرى من عبادة الغير كانه قيل ترك عبادة غير الله بمعنى الزموه او اتركوها تركا (اننى لكم منه) من الله (نذير وبشير) بالعقاب على الشرك والثواب على التوحيد (وان استغفروا ربكم) عطف على ان لاتعبدوا

ان يكون صلة الموصول الحرفي جملة طلبية وهي مع الجملة التي بعدها في محل النصب على انها مفعول له لقوله احكمت او فصلت على طريق التنازع وحذفت اللام منه وان لم يشتمل على شرآئط حذف اللام من المفعول له بناء على القياس المطرد في حذف حرف الجر مع ان والتقدير كتاب احكمت آياته ثم فصلت لاجل ان لاتعبدوا الا الله وهذا التأويل يدل على انه لامقصود من هذا الكتاب الشريف الا هذا الحرف الواحد فكل من صرف عمره الى سائر المطالب فقد خاب وخسر وقيل كلمة ان مفسرة لان في تفصيل الآيات معنى القول وان المفسرة في تقدير القول كقوله تعالى وناديناه ان يا ابراهيم تقديره ناديناه وقلنا يا ابراهيم ولهذا لاتجيء بعد صريح القول لان تقدير القول بعد صريحه لامعنى له وانما تجيء بعد كلام فيه معنى القول ليدل على القول فكأنه قيل ههنا ثم فصلت من لدن حكيم خبير قال لاتعبدوا الا الله قيل وحملها على المفسرة اولى لان قوله وان استغفروا معطوف على قوله ان لاتعبدوا فيجب ان يكون معناه ان لاتعبدوا الا الله ليكون الامر معطوفا على النهي فان كونه بمعنى لان لاتعبدوا يمنع عطف الامر عليه * والجواب عنه ان قوله وان استغفروا لما كان معطوفا عليه كان ان فيه ايضا كذلك وقد سبق انه يجوز وصلها بالامر والنهي وان فاته معنى الامر والنهي عند التقدير بالمصدر كفوات معنى الماضي والمستقبل عنده كانه قيل لاجل تخصيص العبادة بالله ولاجل الاستغفار احكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ويجوز ان لايكون قوله ان لاتعبدوا متصلا بما قبله بل يكون منقطعا عنه مقولا على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم فيكون فيه ان مصدرية فلهذا قدره بقوله ترك عبادة غير الله بمعنى الزموا تركها لحذف الفعل واقيم المصدر مقامه واضيف الى المفعول والاستغفار هو ان يستر على العبد ذنوبه في الدنيا ويتجاوز عن عقوبته في الآخرة ولما ورد ان يقال الاستغفار هو التوبة فما معنى ايراد ثم بين الشيء ونفسه * اشار الى دفعه بان جعل التوبة هي الرجوع عن الضلال مجازا عن التوصل الى المطلوب بطريق اطلاق السبب على المسبب وجعل كلمة ثم قرينة للمجاز لان التوصل المطلوب يتراخى عن الرجوع الى الطريقة **قوله يمتعكم** مجزوم لكونه تفسيرا لما هو جواب الامر يقال امتعه عيشة راضية والدعة الراحة واعترض على تفسير الاجل المسمى بآخر الاعمار المقدرة بان قوله صلى الله عليه وسلم * الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر * وقوله * خص البلاء بالانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل * وقوله تعالى ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة يدل على ان نصيب المطيع عدم الراحة في الدنيا فكيف الجمع بين هذه النصوص وبين ان تفسر هذه الآية بان يقال يعيشكم في امنة وسعة الى الموت * واجيب بان المؤمن انما يشتغل باستغفار ربه وطاعته لايثاره طاعة ربه على هوى نفسه ولكون راحته واطمئنان قلبه في الاشتغال بطلب ربه وبتفويضه جميع اموره اليه ثقة باطلاعه على جميع احواله واعتمادا على ضمانه بكفاية مهماته بقوله ومن يتوكل على الله فهو حسبه ومن كان هذا شأنه لاجرم يعيش في امن وراحة لكونه راضيا بما قضاه الله تعالى في حقه بخلاف من ربط قلبه بغير الله تعالى من الاسباب فانه ابدا في الم الخوف من فوات محبوبه وزواله فكان عيشه منغصا وقلبه مضطربا وقيل الجواب ليس معنى قوله يمتعكم متاعا حسنا انه تعالى يعيشكم في امن وسعة الى اجل مسمى بل معناه انه تعالى لايعذبهم بعذاب الاستئصال كما استأصل الفرقة من الكفرة * قال الامام وقيل قوله تعالى الى اجل مسمى هل يدل على ان للعبد اجلين وانه يجوز في ذلك التقديم والتأخير فالجواب لادلالة على ذلك ومعنى الآية انه تعالى حكم بان هذا العبد لو اشتغل بالعبادة لكان اجله في وقت آخر عمره لكنه تعالى عالم بانه هل يشتغل بالعبادة اولا فلاجرم كان عالما بان اجله ليس الا في ذلك الوقت فثبت ان لكل انسان اجلا على حدته يعني اجلا واحدا انتهى كلامه وقال الكعبي ان للمقتول اجلين اجل القتل واجل الموت فان المقتول لو لم يقتل لعاش الى اجله الذي هو اجل الموت وعند الفلاسفة ان للحيوان اجلا طبيعيا وقت موته لتحلل رطوبته وانتفاء حرارته الغريزيتين واجلا اخترامیا بحسب الآفات والامراض وعندنا الاجل واحد والمصنف اشار الى ما قاله الامام بقوله والارزاق والآجال وان كانت متعلقة بالاعمال الخ **قوله وان تولوا** لفظ تولوا وان كان على صيغة الماضي اسند الى ضمير الغائبين الا انه جعل مضارعا حذف منه احدى التاءين تخفيفا وقرئ تولوا بضم التاء وفتح الواو وضم اللام وهو مضارع ولي من قولهم ولي هاربا اي ادبر ثم انه تعالى لما قال وان تولوا عن عبادة الله وطاعته بين بعد صفة ذلك المتولي فقال الا انهم يعني الكفار يثنون صدورهم قرآءة الجمهور بفتح الياء وسكون الثاء

(ثم توبوا اليه) ثم توصلوا الى مطلوبكم بالتوبة فان المعرض عن طريق الحق لابد له من الرجوع وقيل استغفروا من الشرك ثم توبوا الى الله بالطاعة ويجوز ان يكون ثم لتفاوت ما بين الامرين (يمتعكم متاعا حسنا) يعيشكم في امن ودعة (الى اجل مسمى) هو آخر اعماركم المقدرة اولا يهلككم بعذاب الاستئصال والارزاق والآجال وان كانت متعلقة بالاعمال لكنها مسماة بالاضافة الى كل احد فلا تتغير (ويؤت كل ذي فضل فضله) ويعط كل ذي فضل في دينه جزآء فضله في الدنيا والآخرة وهو وعد للموحد التائب بخير الدارين (وان تولوا) وان تتولوا (فاني اخاف عليكم عذاب يوم كبير) يوم القيامة وقيل يوم الشدآئد وقد ابتلوا بالقحط حتى اكلوا الجيف وقرئ وان تولوا من ولي (الى الله مرجعكم) رجوعكم في ذلك اليوم وهو شاذ عن القياس (وهو على كل شيء قدير) فيقدر على تعذيبهم اشد عذاب فكأنه تقرير لكبر اليوم

(الا انهم يثنون صدورهم) يثنونها عن الحق وينحرفون عنه او يعطفونها على الكفر وعداوة النبي صلى الله عليه وسلم اويولون ظهورهم وقرئ يثنونى بالياء والتاء من اثنونى وهو بناء المبالغة ويثنون واصله يثنونن من الثن وهو الكلأ الضعيف اراد به ضعف قلوبهم او مطاوعة صدورهم للثنى ويثئن من اثنأن كابياض بالهمزة (ليستخفوا منه) من الله بسرهم فلا يطلع رسوله والمؤمنين عليه قيل انها نزلت فى طائفة من المشركين قالوا اذا ارخينا ستورنا واستغشينا ثيابنا وطوينا صدورنا على عداوة محمد كيف يعلم وقيل نزلت فى المنافقين وفيه نظر اذ الآية مكية والنفاق حدث بالمدينة (الا حين يستغشون ثيابهم) الا حين يأوون الى فراشهم ويتغطون بثيابهم (يعلم ما يسرون) فى قلوبهم (وما يعلنون) بافواههم يستوى فى علمه سرهم وعلنهم فكيف يخفى عليه ما عسى يظهرونه (انه عليم بذات الصدور) بالاسرار ذات الصدور او بالقلوب واحوالها (وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها) غذاؤها ومعاشها لتكفله اياه تفضلا ورحمة وانما اتى بلفظ الوجوب تحقيقا لوصوله وحملا على التوكل فيه (ويعلم مستقرها ومستودعها) اماكنها فى الحياة والممات او الاصلاب والارحام او مساكنها من الارض حين وجدت بالفعل ومودعها من المواد والمقار حين كانت بعد بالقوة (كل) كل واحد من الدواب واحوالها (فى كتاب مبين) مذكور فى اللوح المحفوظ وكانه اريد بالآية بيان كونه عالما بالمعلومات كلها وبما بعدها بيان كونه قادرا على الممكنات باسرها تقريرا للتوحيد ولما سبق من الوعد والوعيد (وهو الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام) اى خلقهما وما فيهما كما مر بيانه فى الاعراف او ما [illegible] من العلو والسفل وجمع السموات دون الارض لاختلاف العلويات بالاصل والذات دون السفليات (وكان عرشه على الماء) قبل خلقهما لم يكن حائل بينهما لانه كان موضوعا على متن الماء واستدل به على امكان الخلاء وان الماء اول حادث بعد العرش من اجرام هذا العالم وقيل كان الماء على متن الريح والله اعلم بذلك (ليبلوكم ايكم احسن عملا) متعلق بخلق اى خلق ذلك لخلق من خلق ليعاملكم معاملة المبتلى لاحوالكم كيف تعملون

الثلثة على انه مضارع ثنى يثنى اى عطف وصرف والاحرف تنبيه اى تنبيه على احوال المشركين الذين وقفوا على جهلهم حيث يعرضون عن الحق ويقبلون على الباطل والكفر ويولون ظهورهم الحق يريدون بذلك الاستخفاء من الله تعالى ذكر الله للكفار حالين يريدون بكل واحدة منهما الاستخفاء من الله تعالى احداهما انهم كانوا يعرضون عن الحق وذلك ان جماعة من الكفار كان يخلو بعضهم ببعض فيشتغلون بذم النبي صلى الله عليه وسلم وسبه فاشتغالهم بالمذمة هو اعراضهم عن الحق وايقاع ذلك فى قلوبهم وفى خلواتهم هو ارادتهم الاستخفاء فجعل ثنى الصدر كناية عن الاعراض لانه من لوازمه وقوله تعالى ليستخفوا منه ليس علة للثنى بمعنى الاعراض لان الاعراض عن الحق ليس للاستخفاء فلا بد من تقدير اى يريدون ليستخفوا والحال الثانية انهم يستغشون ثيابهم وذلك ان طائفة من المشركين كانوا اذا رأوه صلى الله عليه وسلم يقبل اليهم ومن عادته صلى الله عليه وسلم انه كان اذا لقى الكفار دعاهم الى الله تعالى واسمعهم كلام الله تعالى استغشوا ثيابهم لئلا يراهم الرسول صلى الله عليه وسلم ولا يسمعوا كلامه وهو ايضا ارادة الاستخفاء والاستخفاء فى كل واحدة من الحالين انما هو من الرسول صلى الله عليه وسلم لكن الاستخفاء منه انما يكون بالاستخفاء من الله تعالى لان اطلاع الله تعالى على ما اسروه ملزوم لاطلاع الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين عليه كما اشار اليه بقوله فلا يطلع رسوله والمؤمنين ﴿قوله يثنونى بالياء والتاء﴾ لان تأنيث الصدور مجازى فجاز تذكير الفعل باعتبار تأويله بالجماعة ويثنونى من اثنونى على وزن افعوعل من الثنى كاحلولى من الحلاوة وهو بناء مبالغة فيكون صدورهم مرفوعا بالفاعلية وقرئ يثنون بفتح الياء وسكون الثاء وفتح النون وكسر الواو وتشديد النون الاخيرة والاصل يثنونن بوزن يفعوعل من الثن بالكسر وهو يابس الحشيش والكلأ يميل الى الضعف والمراد مطاوعة نفوسهم للثنى او ضعف قلوبهم وقرئ يثئن بان يجعل مكان الواو المكسورة فى القرآءة السابقة همزة مكسورة على وزن يطمئن من الثن وهو ما ضعف من الكلأ كما تقدم ﴿قوله تعالى حين يستغشون ثيابهم﴾ جعله صاحب الكشاف منصوبا بفعل مضمر حيث قال ويريدون الاستخفاء حين يستغشون ثيابهم كراهة لاستماع كلام الله تعالى والظاهر من تقرير المصنف كونه منصوبا بيعلم والمعنى تنبهوا واعلموا انه يعلم سرهم وعلنهم فى وقت التغشية الذى يخفى السر فيه فاولى ان يعلم ذلك فى غيره وهذا بحسب العادة والا فالله تعالى لا يتفاوت علمه بتفاوت احوال الخلق وما فيما يسرون يجوز ان تكون مصدرية وان تكون بمعنى الذى والعائد محذوف اى يسرونه ويعلنونه ثم انه تعالى لما ذكر انه يعلم ما يسرون وما يعلنون اردفه بما يدل على كونه عالما بجميع المعلومات فذكر ان رزق كل حيوان مع اختلاف طبائع الحيوانات واغذيتها انما يصل اليه من الله تعالى فلو لم يكن عالما بجميع المعلومات لما حصلت هذه المهمات والدابة لكل حيوان ذى روح ذكرا كان او انثى مأخوذ من الدبيب الا انه اختص بحسب عرف البعض بذات القوآئم الاربع وبحسب عرف العرب بالفرس والمراد به فى هذه الآية معناه الوضعى اللغوى باتفاق المفسرين روى ان موسى عليه الصلاة والسلام حين نزل الوحى اليه تعلق قلبه باحوال اهله فامره الله تعالى بان يضرب بعصاه على صخرة فضربها فانشقت وخرجت منها صخرة ثانية ثم ضربها بعصاه فانشقت فخرجت منها صخرة ثالثة ثم ضربها بعصاه فانشقت فخرجت منها دودة وفى فيها شئ يجرى مجرى الغذآء لها ورفع الحجاب عن موسى عليه الصلاة والسلام فسمع الدودة تقول سبحان من يرانى ويسمع كلامى ويعرف مكانى ويذكرنى ولا ينسانى ﴿قوله وانما اتى بلفظ الوجوب﴾ جواب عما يقال حصول الرزق الى الحيوان بطريق التفضل ومنوط بمشيئته ان شاء رزق وان شاء لم يرزق وكلمة على للوجوب فيتنافيان * وتقرير الجواب ان ايصال الرزق الى كل حيوان وان كان بطريق التفضل والجود والاحسان لكنه تعالى لا يخلف الميعاد فصور بصورة الوجوب لفائدتين احداهما التحقيق لوصوله والثانية حمل العباد على التوكل عليه فى شأن الرزق ﴿قوله اماكنها فى الحياة والممات﴾ اشارة الى ما روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان مستقرها المكان الذى تأوى اليه ليلا او نهارا وتستقر فيه ومستودعها الذى تدفن فيه اذا ماتت فانها تستودع الى ان تبعث وقال عطا المستقر ارحام الامهات والمستودع اصلاب الاباء ﴿قوله او مساكنها﴾ يعنى ان المستقر هو مكانها من الارض حيث وجدت بالفعل والمستودع حيث تكون مودعة قبل وجودها فيه بالفعل صلب او رحم او بيضة ﴿قوله وبما بعدها﴾ اى واريد بقوله تعالى وهو الذى خلق السموات والارض بيان كونه تعالى قادرا على كل المقدورات بعد كونه عالما بجميع المعلومات ﴿قوله اى خلق ذلك لخلق من خلق ليعاملكم معاملة المبتلى لاحوالكم﴾ يعنى ان لام التعليل فى قوله

تعالى ليبلوكم وان كان ظاهرا على مذهب المعتزلة القائلين بان افعال الله تعالى معللة بمصالح العباد الا ان اهل السنة والجماعة يقولون بانها ليست على ظاهرها بل المعنى ان الله تعالى فعل فعلا لو كان يفعله من يراعى المصالح مايفعله الا لتلك المصلحة واشار به ايضا الى جواب مايقال الابتلاء انما يصح من الجاهل بعواقب الامور فكيف اسند اليه تعالى *وتقرير الجواب عنه ان ليس المراد به حقيقة الابتلاء بل هو مشبه بالابتلاء وان معاملة الله تعالى مع عباده فى خلق المنافع لهم وتكليفهم بشكره واثابتهم ان شكروا وعقوبتهم ان كفروا تشبه معاملة المختبر فاستعير لها الابتلاء على سبيل التمثيل ﴿ قوله فان جملة ذلك الخ ﴾ بيان لكونها شبيهة بمعاملة المبتلى لاحوالكم وقوله وانما جاز تعليق فعل البلوى جواب عما يقال التعليق مختص بالفعل القلبي وفعل البلوى ليس منه فكيف يكون التعليق *فاجاب بانه انما علق لان فيه معنى العلم والعلم يجوز تعليقه فكذا مافيه معنى العلم كما يعلق النظر والاستماع لما فى كل واحد منهما معنى العلم من حيث ان كلا من النظر والاستماع طريق الى العلم يقال انظر ايهم احسن وجها واستمع ايهم احسن صوتا وتعليق افعال القلوب عبارة عن ابطال عملها فى اللفظ دون المعنى اذا توسط بينها وبين مفعولها احد امور ثلاثة احدها لام نحو ظننت لزيد منطلق والثانى الاستفهام نحو علمت أزيد منطلق وعلمت ايهم فى الدار والثالث حرف النفى نحو علمت مازيد منطلق وهذه الثلاثة لما اقتضت صدر الكلام منعت ماقبلها من العمل فيما بعدها فرفع مابعده على الابتدآء وفعل البلوى يستدعى مفعولا ثانيا وهو المختبر به كما فى قوله تعالى ولنبلونّكم بشىء وفى هذه الآية قد عمل فى الفاعل ومفعوله الاوّل حيث قيل ليبلوكم وعلق عن مفعوله الذى يتعدّى اليه بالباء لانه لم يعمل فيه لفظا وان تعلق به من حيث المعنى وهو معنى التعليق اما انه لم يعمل فيه لفظا فلان طريق عمله فيه لفظا ان يكون المعمول مفردا او يتعدّى العامل بواسطة حرف الجرّ لفظا او يكون منصوبا بنزع الخافض ولا يتعدّى الى الجملة الاستفهامية بواسطة الباء لانها لاتدخل الجملة الاسمية ولا تكون الجملة منصوبة بنزع الخافض فظهر انها ليست مفعولة لفعل البلوى واما كونها متعلقة به من حيث المعنى مختبرا بها لان المعنى ليبلوكم بتكليفكم احسن العمل وماذكره فى سورة الملك من انه ليس بتعليق مبنى على ان يضمن فعل البلوى معنى العلم فتكون الجملة منصوبة المحل به على انها مفعول ثان له لانه لايتعدّى بحرف الجرّ حتى يلزم المحذور المذكور على تقدير جعله عاملا ﴿ قوله وانما ذكر صيغة التفضيل والاختبار ﴾ مع ان جمعهما فى حكم الجمع بين المتنافيين لان الاختبار يتعلق بجميع العباد محسنين كانوا او مسيئين واحسن عملا يخصصه بالمحسنين تنبيها على ان المقصد الاقصى من خلق المخلوقات ان يتوسلوا باحسن الاعمال الى اجل المثوبات وتحريضا لهم على ترك القبائح والمنكرات ثم انه تعالى لما بين انه خلق هذا العالم لاجل ابتلاء المكلفين وامتحانهم اقتضى ذلك نشأة اخرى لهم بان يبعثوا من قبورهم ويحشروا فى موقف القيامة للحساب والجزآء لان الابتلاء والامتحان يوجب تخصيص المحسن بالرحمة والثواب وتخصيص المسيء بالمحنة والعقاب وذلك لايتم الا بتحقيق البعث والحساب فلذلك خاطب نبيه عليه الصلاة والسلام بقوله ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولنّ الذين كفروا واللام فى ولئن قلت لام التوطئة للقسم وليقولنّ جوابه وحذف جواب الشرط لدلالة جواب القسم عليه وانكم محكى بالقول ولذلك كسرت همزته فى قرآءة الجمهور وان قرىء ان هذا الا سحر تكون الاشارة الى البعث او القول المدلول عليه بما تقدّم او الى القرآن المتضمن لذكره كانه قيل لو تلوت عليهم من القرآن مافيه اثبات البعث لقالوا هذا المتلوّ سحر والمراد انكار البعث بطريق الكناية لان القرآن هو الحاكم بحصول البعث واذا طعنوا فيه بكونه سحرا فقد طعنوا فيما حكم به القرآن من البعث لان الطعن فى الاصل يستلزم الطعن فى الفرع ﴿ قوله الا كالسحر ﴾ اشارة الى وجه مطابقة جوابهم لقول الرسول صلى الله عليه وسلم انكم مبعوثون وهو انهم اجابوه صلى الله عليه وسلم بكلام هو من باب التشبيه البليغ حيث شبهوا نفس البعث او القرآن المتضمن لذكره بالسحر فى الخديعة حيث زعموا انه صلى الله عليه وسلم انما ذكر ذلك لمنع الناس عن لذات الدنيا وصرفهم الى الانقياد له ودخولهم تحت طاعته او فى البطلان فان السحر لاشك انه تمويه وتخييل باطل فشبهوا به الامور المذكورة فى البطلان ﴿ قوله او ان يكون ان بمعنى عل ﴾ ذكر فى الصحاح وان المفتوحة قد تكون بمعنى لعل كقوله تعالى وما يشعركم انها اذا جاءت لايؤمنون فى قرآءة ابىّ لعلها فعلى هذا يكون معنى الاية ولكن قلت لهم الحكم لعلكم مبعوثون ولما ورد ان يقال انه صلى الله عليه وسلم قاطع بالبعث فكيف يقوله لعلكم مبعوثون وايضا القرآءة المشهورة صريحة فى القطع والبت وهذه

فان جملة ذلك اسباب ومواد لوجود
ومعاشكم وما يحتاج اليه اعمالكم ودلائل
وامارات تستدلون بها وتستنبطون منه
وانما جاز تعليق فعل البلوى لما فيه من معنى
العلم من حيث انه طريق اليه كالنظر والاستماع
وانما ذكر صيغة التفضيل والاختبار الشامل
لفرق المكلفين باعتبار الحسن والقبح
للتحريض على احاسن المحاسن والتحضيض
على الترقى دآئما فى مراتب العلم والعمل فان
المراد بالعمل مايعم عمل القلب والجوارح
ولذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم ايكم
احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع
فى طاعة الله والمعنى ايكم اكمل علما وعملا
(ولئن قلت إنكم مبعوثون من بعد الموت
ليقولنّ الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين)
اى ما البعث او القول به او القرآن المتضمن
لذكره الا كالسحر فى الخديعة او البطلان وقرأ
حمزة والكسائى الا ساحر على ان الاشارة
الى القائل وقرىء انكم بالفتح على تضمين
قلت معنى ذكرت او ان يكون ان بمعنى عل اى
ولئن قلت علكم مبعوثون بمعنى توقعوا بعثكم
ولا تبتوا بانكاره لعدّوه من قبيل ما لا حقيقة له
مبالغة فى انكاره (ولئن اخرنا عنهم العذاب)
الموعود (الى امة معدودة) الى جماعة
من الاوقات قليلة (ليقولنّ) استهزاء
(ما يحبسه) ما يمنعه من الوقوع (ألا يوم
يأتيهم) كيوم بدر (ليس مصروفا عنهم)
ليس العذاب مدفوعا عنهم

ويوم منصوب بخبر ليس مقدّم عليه وهو دليل على جواز تقديم خبرها عليها (وحاق بهم) واحاط بهم وضع الماضي موضع المستقبل تحقيقا ومبالغة في التهديد (ما كانوا به يستهزؤن) اى العذاب الذى كانوا به يستعجلون فوضع يستهزؤن موضع يستعجلون لان استعجالهم كان استهزآء (ولئن اذقنا الانسان منا رحمة) ولئن اعطيناه نعمة بحيث يجد لذتها (ثم نزعناها منه) ثم سلبنا تلك النعمة منه (انه ليؤس) قطوع رجاءه من فضل الله تعالى لقلة صبره وعدم ثقته به (كفور) مبالغ في كفران ما سلف له من النعمة (ولئن اذقناه نعماء بعد ضرآء مسته) كصحة بعد سقم وغنى بعد عدم وفي اختلاف الفعلين نكتة لاتخفى (ليقولنّ ذهب السيئات عنى) اى المصائب التى ساءتنى (انه لفرح) بطر بالنعم مغترّ بها (فخور) على الناس مشغول عن الشكر والقيام بحقها وفي لفظ الاذاقة والمس تنبيه على ان ما يجده الانسان في الدنيا من النعم والمحن كالانموذج لما يجده في الآخرة وانه يقع في الكفران والبطر بادنى شئ لان الذوق ادراك الطعم والمس مبدأ الوصول (الا الذين صبروا) على الضرآء ايمانا بالله تعالى واستسلاما لقضائه (وعملوا الصالحات) شكرا لآلائه سابقها ولاحقها (اولئك لهم مغفرة) لذنوبهم (واجر كبير) اقله الجنة والاستثناء من الانسان لان المراد به الجنس فاذا كان محلى باللام افاد الاستغراق ومن حمله على الكافر لسبق ذكرهم جعل الاستثناء منقطعا (فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك) تترك تبليغ بعض ما يوحى اليك وهو ما يخالف رأى المشركين مخافة ردّهم واستهزآئهم به ولا يلزم من توقع الشئ لوجود ما يدعو اليه وقوعه لجواز ان يكون ما يصرف عنه وهو عصمة الرسل من الخيانة في الوحى والتقية في التبليغ مانعا (وضائق به صدرك) وعارض لك احيانا ضيق صدرك بان تتلوه عليهم مخافة (ان يقولوا لولا انزل عليه كنز) ينفقه في الاستتباع كالملوك (او جاء معه ملك) يصدقه وقيل الضمير في به مبهم يفسره ان يقولوا (انما انت نذير) ليس عليك الا الانذار بما اوحى اليك ولا عليك ردّوا او اقترحوا فما بالك يضيق به صدرك (والله على كل شئ وكيل) فتوكل عليه فانه عالم بحالهم وفاعل بهم جزآء اقوالهم وافعالهم

القرآءة صريحة في عدم القطع والبت فيتنافيان اشار الى جوابه بقوله يعنى توقعوا بعشكم الخ يعنى ان لعل لتوقع المخاطب لا على سبيل الاخبار لانهم لا يتوقعون البعث بل على سبيل الامر فكان المعنى توقعوا بعثكم فلما لم يكن لعل لتوقع المتكلم لم يلزم محذور ثم انه تعالى لما حكى انهم يكذبون الرسول صلى الله عليه وسلم بقولهم ان هذا الا سحر مبين حكى عنهم نوعا آخر من اباطيلهم وهو انه متى تأخر عنهم العذاب الذى توعدهم به الرسول صلى الله عليه وسلم اخذوا في الاستهزآء بان يقولوا ما السبب الذى حبسه عنا * فاجاب الله تعالى بانه اذا جاء الوقت الذى عينه الله لنزول ذلك العذاب لم ينصرف عنهم بل احاط بهم ﴿قوله وهو دليل﴾ يعنى ان جمهور البصريين لما رأوا ان يوم منصوب بالمصروف الذى هو خبر ليس استدلوا به على جواز تقديم خبر ليس عليها ووجه الاستدلال ان تقديم معمول الخبر يؤذن بجواز تقديم العامل ويوم لما قدّم على ليس مع كونه معمولا لخبره فجواز تقديم نفس الخبر بطريق الاولى لانه اذا تقدّم الفرع فاولى ان يتقدّم الاصل ثم انه تعالى لما ذكر ان عذاب اولئك الكفار وان تأخر الا انه لابدّ وان يحيق بهم ذكر بعده ما يدل على كفرهم وعلى كونهم مستحقين العذاب فقال ولئن اذقنا الانسان فقيل المراد به مطلق الانسان بدلالة استثناء قوله الا الذين صبروا منه والاستثناء يخرج من الكلام ما لولاه لدخل فيه فدلالة الاستثناء المذكور في هذه الآية تدخل فيه المؤمن والكافر وقيل المراد به الكافر لان الاصل في المعرّف بلام التعريف ان يشار به الى المعهود السابق الا ان يمنع مانع منه وههنا لا مانع فوجب حمله على المعهود السابق وهو الكافر المعهود المذكور في الآية المتقدمة فوجب ان يحمل الاستثناء في هذه الآية على الاستثناء المنقطع ﴿قوله وفي اختلاف الفعلين﴾ وهما تحول النعمة الى الشدّة وعكسه وجعل التعبير عن الاول مخالفا للتعبير عن الثانى فان الظاهر ان يقال في الاول ولئن اصبناه بشدّة وضرّ بعد ما اعطيناه رخاء ورحمة ليوافق قوله ولئن اذقناه نعماء بعد ضرآء وخولف ذلك للتنبيه على سبق رحمة الله غضبه وان المقصود قصدا اوّليا اى المقصود بالذات هو الرحمة وان البلاء انما يصيب الانسان لسوء تدبيره والحكمة في كون الكافر يؤوسا حال زوال ما به من النعمة انه لا يعتقد ان تلك النعمة انما حصلت من جود الله تعالى وفضله واحسانه اذ هو لا يعتقد ذلك بل يعتقد ان السبب في حصولها سبب اتفاقى فيستبعد حدوث ذلك الاتفاق مرّة اخرى فلا جرم يستبعد عود تلك النعمة فيقع في اليأس حال زوالها ويقع في الكفران حال حصولها لانه لما اعتقد ان حصولها انما كان على سبيل الاتفاق او بسبب ان الانسان انما حصلها بسبب جدّه وجهده لا يشتغل بشكر الله تعالى عن تلك النعمة ﴿قوله بطر بالنعم﴾ لان من ينكر السعادة الاخروية اذا وجد لذة عاجلة دنيوية يزعم انه فاز بنهاية السعادة فيعظم فرحه ويفتخر ولا يشتغل بشكر المنعم كما انه لا يلزم الصبر عند البلاء والشدّة ﴿قوله ولا يلزم من توقع الشئ لوجود ما يدعو اليه وقوعه﴾ فان لعل في قوله فلعلك تارك للترجى بالنسبة الى المخاطب والمعنى اعظم ما يرد على قلبك من تخليطهم انك تتوهم انهم يزيلونك عن بعض ما انت عليه من تبليغ ما اوحى اليك * فورد عليه ان يقال كيف يصح منه صلى الله عليه وسلم ان يتوقع من نفسه ان يخون في الوحى ويترك تبليغ بعض ما يوحى اليه وقد اتفق المسلمون على انه لا يجوز للرسول صلى الله عليه وسلم ان يخون في الوحى ويترك تبليغ بعضه والا ارتفع الوثوق من احكامه وبطل فائدة الرسالة * فاجاب المصنف عنه بان توقع الخيانة لوجود ما يدعو اليها لا يستلزم وقوعها لان مجرّد ما يدعو الى الشئ لا يكفى في وجوده بل لابدّ معه من ارتفاع ما يمنع عنه فمن اين نحكم بارتفاعه حتى نقع في الاشكال ﴿قوله وعارض لك احيانا ضيق صدرك﴾ يعنى ان قوله تعالى وضائق عطف على قوله وتارك وعدل عن ضيق اليه وان كان ضيق اكثر منه استعمالا لان المقام ليس مقام الدلالة على الثبوت والاستقرار بل المقام مقام الدلالة على الحدوث والعروض فلذلك عدل الى ما يدل عليه وهو صيغة الفاعل فانك اذا اردت السيادة والجود الثابتين المستقرّين قلت سيد وجيد واذا اردت الحدوث قلت سائد وجائد وكذا الفرق بين حاسن وثاقل وسامن وبين حسن وثقيل وسمين ﴿قوله مخافة ان يقولوا﴾ علة لقوله وضائق حذف واقيم المضاف اليه مقامه واعرب اعرابه محلا وضمير به يعود على بعض ما يوحى وقيل مبهم تفسيره ان يقولوا روى ان اهل مكة لما قالوا ائت بقرآن غير هذا ليس فيه سب آلهتنا هم النبى صلى الله عليه وسلم ان يدع سب آلهتهم ظاهرا فانزل الله تعالى فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك يعنى سب الآلهة وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان رؤساء مكة قالوا يا محمد اجعل لنا جبال مكة ذهبا ان كنت رسولا وقال آخرون ائتنا بالملائكة تشهد بنبوّتك فقال صلى الله عليه وسلم

لاقدر على ذلك فنزلت الآية وكانوا قالوا لوكنت صادقا انك رسول الله الذى تصفه بالقدرة على كل شئ وعزيزا عنده فهلا نزل عليك كنزا اى مالا كثيرا من شأنه ان يجعل كنزا اى مالا مدفونا فان الكنز اسم للمال المدفون فوجب ان يكون المراد ههنا مايكنز وقد جرت العادة بانه يسمى المال الكثير ايضا بهذا الاسم فكان القوم قالوا فهلا نزل عليك ماتستغنى به وتغنى احبابك من الكل والتعب وتستعين به على مهماتك وتعين انصارك وان كنت صادقا فهلا انزل الله تعالى معك ملكا يشهد لك على صدق قولك ويعينك على تحصيل مقصودك فتزول الشبهة من امرك فلما لم يفعل ذلك فانت غير صادق فاجابهم الله تعالى بانه صلى الله عليه وسلم رسول ينذر بالعقاب ويبشر بالثواب ولاقدرة له على ايجاد هذه الاشياء والذى ارسله هو القادر على ذلك فان شاء فعل وان شاء لم يفعل ولا اعتراض عليه فى فعله ولا فى حكمه ﴿قوله ام منقطعة﴾ لعدم ماتتصل هى به وتكون معادلة له معطوفة هى عليه والتقدير خلاف الاصل وجعلها صاحب التيسير متصلة وقال تقديره ايكذبونك ام يقولون افتراه وقيل تقديره ايكذبون بما اوحينا اليك معجزة ام يقولون انه ليس من عندالله بل افتراه محمد صلى الله عليه وسلم واتى به من عندنفسه وعلى تقدير كونها منقطعة يكون تقديرها بل والهمزة اضراب عن شرح صدره صلى الله عليه وسلم للثبات على الانذار بما اوحى اليه وعلى ان لايضيق صدره بان يقولوا لولا انزل عليه كنز ثم انكر عليهم قول ذلك ﴿قوله فى البيان وحسن النظم﴾ جواب عما يقال كيف يكون مايأتون به مثله ومايأتون به مفترى اى ليس المراد من المماثلة ان يكون مايأتون به مثل مااوحى اليه صلى الله عليه وسلم فى كونه غير مفترى ﴿قوله تحداهم اولا بعشر سور﴾ تصريح بان هذه السورة متقدمة بالنزول على سورة البقرة وهى قوله تعالى وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله اى بسورة كائنة من مثل مانزلنا وعلى الآية التى فى سورة يونس وهو قوله تعالى ام يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله اماتقدمها على سورة يونس وان كانت كل واحدة منهما مكية فبدليل ان التحدى بعشر سور ينبغى ان يكون مقدما على التحدى بسورة اذلا معنى للتحدى بالعشر بعد التحدى بسورة وبين عجزهم عن معارضتها فانه بمنزلة ان يقال لرجل اعطنى درهما فيعجز فيقال له اعطنى عشرة دراهم فان هذا الدليل يقتضى ان يكون سورة هود متقدمة فى النزول على سورة يونس وان كانت كل واحدة منهما مكية ﴿قوله وتوحيد المثل﴾ ويجوز ان يقال جواز كل واحد من الافراد والمطابقة للموصوف من خصائص لفظ المثل كقوله تعالى انؤمن لبشرين مثلنا وقوله تعالى كامثال اللؤلؤ وقوله تعالى ثم لايكونوا امثالكم والقريض الشعر خاصة يقال قرضت الشعر اقرضه اذا قلته ﴿قوله وللتنبيه على الخ﴾ تعليل بان يجمع الضمير على وجه تعميم الخطاب ﴿قوله ولذلك﴾ اى ولكون لكم خطابا له صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين او خطابا له صلى الله عليه وسلم خاصة على جهة التعظيم رتب عليه مابعده بالفاء الجزآئية والمعنى ان لم يستجب هؤلاء المشركون لكم يامحمد واصحاب محمد صلى الله عليه وسلم الى مادعوتهم اليه من معارضة القرآن واتيان عشر سور مثله وتبين عجزهم عنه بعد الاستعانة بمن استطاعوا الاستعانة منه من دون الله تعالى فاعلموا اى فاثبتوا على العلم الذى انتم عليه لتزدادوا يقينا وثبات قدم على انه منزل من عندالله تعالى وانه من جملة المعجزات الدالة على صدقه صلى الله عليه وسلم فى دعوى الرسالة والجزم بصدقه صلى الله عليه وسلم يستلزم انه اى الشان لا اله الا هو وليس المراد بقوله فاعلموا الامر بالعلم لانه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين عالمون بالامرين قبل نزول هذه الآية بل المراد الثبات على العلم والزيادة فيه وكذا ليس المراد بقوله تعالى فهل انتم مسلمون الاستفهام عن احداثهم الاسلام بل المراد تثبيتهم عليه وتقوية نشاطهم للرسوخ والاخلاص ﴿قوله مطلقا﴾ بالنسبة اليكم والى كل من دعوتموه من دون الله ممن استطعتم وكلمة مافى قوله تعالى انما انزل بعلم الله يجوز ان تكون كافة مهيئة لدخول ان على الفعل وفى انزل ضمير يرجع الى قوله مايوحى ويعلم حاله اى انزل القرآن ملتبسا بما لايعلمه الا الله من نظم معجز للخلق واخبار بغيوب لاسبيل لهم اليه ويجوز ان تكون مصدرية او موصولة اسما لان وخبرها الجار بعدها فالتقدير واعلموا ان تنزيله او ان الذى انزل ملتبسين بعلم واختار المصنف الكافة * قال الامام فان قلت اى تعلق بين الشرط المذكور فى هذه الآية وبين مافيها من الجزآء واجاب بان القوم ادعوا كون القرآن مفترى على الله فقال الله تعالى قل لهم لوكان مفترى على الله لوجب ان يقدر الخلق عليه ولما لم يقدروا عليه ثبت انه من عند الله فقوله انما انزل بعلم الله كناية عن كونه من عندالله ومن قبله كما يقول الحاكم جرى بعلمى ﴿قوله ويجوز ان يكون الكل خطابا للمشركين﴾

(ام يقولون افتراه) ام منقطعة والهاء لمايوحى
(قل فأتوا بعشر سور مثله) فى البيان وحسن
النظم تحداهم اولا بعشر سور ثم لما عجزوا
عنها سهل الامر عليهم وتحداهم بسور
وتوحيد المثل باعتبار كل واحد (مفتريات)
مختلقات من عند انفسكم ان صح انى اختلقته
من عند نفسى فانكم عرب فصحاء مثلى تقدرون
على مثل ماقدر عليه بل انتم اقدر لتعلمكم
القصص والاشعار وتعودكم القريض والنظم
(وادعوا من استطعتم من دون الله) الى
المعاونة على المعارضة (ان كنتم صادقين)
انه مفترى (فان لم يستجيبوا لكم) باتيان
مادعوتم اليه وجمع الضمير اما لتعظيم الرسول
صلى الله عليه وسلم او لان المؤمنين ايضا كانوا
يتحدونهم وكان امر الرسول صلى الله عليه
وسلم متناولا لهم من حيث انه يجب اتباعه
عليهم فى كل امر الا ماخصه الدليل وللتنبيه
على ان التحدى مما يوجب رسوخ ايمانهم
وقوة يقينهم فلا يغفلون عنه ولذلك رتب
عليه قوله (فاعلموا انما انزل بعلم الله) ملتبسا
بما لايعلمه الا الله ولايقدر عليه سوا
(وان لا اله الا هو) واعلموا ان لا اله الا الله
لانه العالم القادر بما لايعلم ولايقدر عليه غيره
ولظهور عجز آلهتهم ولتنصيص هذا الكلام
الثابت صدقه باعجازه عليه وفيه تهديد
واقناط من ان يجيرهم من بأس الله آلهتهم
(فهل انتم مسلمون) ثابتون على الاسلام
راسخون فيه مخلصون اذا تحقق عند
اعجازه مطلقا ويجوز ان يكون الكل خطابا
للمشركين

وذلك لان الآية المتقدمة اشتملت على خطابين احدهما خطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قوله تعالى قل فأتوا بعشر سور مثله والثانى خطاب الكفار وهو قوله تعالى فأتوا وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين فى ادّعاء الافترآء فلذلك جاز فى خطاب لكم وجهان الاوّل مامرّ من انه خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين اوالرسول خاصة على جهة التعظيم والمعنى ان الكفار ان لم يستجيبوا لكم فى الاتيان بما دعاه فاعلموا اى فاثبتوا على العلم الذى انتم عليه وهو انه منزل من عند الله الذى لا اله الا هو والوجه الثانى انه خطاب للكفار والمعنى الذين تدعونهم من دون الله ان لم يستجيبوا لكم فى الاعانة على المعارضة فاعلموا ايها الكفار ان هذا القرآن انما انزل بعلم الله فهل انتم مسلمون بعد لزوم الحجة عليكم والقائلون بهذا القول قالوا هذا القول اولى من القول الاوّل لانكم فى القول الاوّل احتجتم الى ان حملتم قوله فاعلموا على الامر بالثبات او على اضمار القول وعلى هذا القول لاحاجة الى الاضمار فكان اولى ولان اقرب المذكورين هو الكفار فرجع الضمير اليهم اولى ﴿قوله وفى مثل هذا الاستفهام﴾ يعنى ان قوله تعالى فهل انتم مسلمون وان كان لفظه استفهاما الا ان معناه ايجاب امر بليغ لا الاستفهام لما ذكره من الدليل فان قلنا انه خطاب مع المؤمنين كان معناه ايجاب الثبات على الاسلام فى زيادة الاخلاص وان قلنا انه خطاب مع الكفار كان معناه ايجاب اصل الاسلام عليهم وترغيبهم فى التفكير فيما يوجبه من الحجة القاطعة ﴿قوله باحسانه وبرّه﴾ يعنى ان هذه الآية سوآء نزلت فى المؤمنين الذين عملوا الصالحات مرآءاة للخلق او المنافقين الذين كانوا يطلبون بغزواتهم مع الرسول صلى الله عليه وسلم الغنائم من غير ان يؤمنوا بالآخرة وثوابها اوفى الكفار الذين يعملون اعمالهم فى صورة الاعمال الصالحة من البرّ وصلة الرحم والصدقة وبناء القناطر وتسوية الطرق والسعى فى دفع الشرور واجرآء الانهار يكون معناها من كان يريد بعمله من اعمال البرّ والاحسان التمتع بلذات الدنيا وطيباتها والانتفاع بخيراتها وشهواتها من ثناء الخلق عليه فى الدنيا ونحو ذلك فان جزآء عمله يصل اليه فى الدنيا تاماً كاملا ولا ينتفع احد من هؤلاء الطوآئف المذكورة فى الآخرة بشئ من الاعمال التى اراد بها الحظوظ العاجلة ولا يستحق بها الا النار اما المنافقون والكفار فظاهر لانهم مخلدون فى النار واما المرآؤون من المؤمنين فلان العمل انما يكون عبادة بشرط الاخلاص ومن رآءى به لم يخلصه لله تعالى بل عمله طلبا لزينة الدنيا ورياء وسمعة وقد استوفى ماتقتضيه صورة عمله الصالح من المنافع التى ارادها بعمله ولم يبق له الا اوزار عزآئمه القبيحة فاستحق ان يعذب بها فان شاء ربه ان يعذبه او يعفو عنه فعل ذلك فقوله تعالى ليس لهم فى الآخرة الا النار ان كان نازلا فى حق المرآئين من المؤمنين يقتضى بظاهره ان يخلد اهل الرياء فى النار وليس كذلك فلابدّ من تقييده بان يقال ليس لهم فى الآخرة بسبب اعمالهم الريائية الا النار الا ان يتجاوز الله عنهم وليس فى الآية مايدل على ان لامحالة يعذب وانما يدل على انه لا يستحق بسببها الا النار والمراد بالاطلاق المذكور بقوله مطلقا اطلاق المشار اليه بقوله اولئك وهو من كان يريد الحياة الدنيا كائنا من كان من الطوآئف الثلاث وقوله فى مقابلة ماعملوا اشارة الى ماذكرنا من وجوب التقييد فى حق المرآئى من المؤمنين روى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال «اشد الناس عذابا يوم القيامة من يرى الناس ان فيه خيرا ولا خير فيه» وروى عنه صلى الله عليه وسلم ايضا انه قال «اذا كان يوم القيامة يؤتى برجل قرأ جميع القرآن فيقال له ماعملت فيه فيقول قمت به آناء الليل واطراف النهار فيقول الله تعالى كذبت اردت ان يقال فلان قارئ وقد قيل ذلك ويؤتى بصاحب المال فيقول الله تعالى الم اوسع عليك فماذا عملت فيما آتيتك فيقول وصلت الرحم وتصدقت فيقول الله تعالى كذبت بل اردت ان يقال فلان جواد وقد قيل ذلك ويؤتى بمن قتل فى سبيل الله فيقول قاتلت فى الجهاد حتى قتلت فيقول الله تعالى كذبت بل اردت ان يقال فلان جرئ مقدام فارس» قال الراوى وهو ابو هريرة رضى الله عنه ثم ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ركبتى وقال «يا ابا هريرة اولئك الثلاثة اوّل خلق تستعر بهم النار يوم القيامة» وروى ان ابا هريرة ذكر هذا الحديث عند معاوية رضى الله عنه فبكى معاوية حتى ظننا انه هالك ثم افاق فقال صدق الله ورسوله من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وذكر القرطبى ناقلا عن بعض العلماء ان معنى هذه الآية هو قوله صلى الله عليه وسلم «انما الاعمال بالنيات» وقرأ الجمهور نوف بنون العظمة وتشديد الفاء من وفى يوفى وقرئ يوفى بياء الغيبة وبناء الفعل للفاعل وهو ضمير الله تعالى وقرئ يوف بضم الياء وفتح الفاء المشددة من وفى يوفى مبنيا للمفعول اعمالهم بالرفع على انه قائم مقام الفاعل والجزم فى يوف على هذه القرآءة لكونه جوابا للشرط كما فى قوله تعالى

والضمير فى لم يستجيبوا لمن استطعتم اى فان لم يستجيبوا لكم الى المظاهرة لعجزهم وقد عرفتم من انفسكم القصور عن المعارضة فاعلموا انه نظم لا يعلمه الا الله وانه منزل من عنده وان ما دعاكم اليه من التوحيد حق فهل انتم داخلون فى الاسلام بعد قيام الحجة القاطعة وفى مثل هذا الاستفهام ايجاب بليغ لما فيه من معنى الطلب والتنبيه على قيام الموجب وزوال العذر (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها) باحسانه وبرّه (نوف اليهم اعمالهم فيها) نوصل اليهم جزآء اعمالهم فى الدنيا من الصحة والرياسة وسعة الرزق وكثرة الاولاد وقرئ يوف بالياء اى يوف الله وتوف على البناء للمفعول ونوفى بالتخفيف والرفع لان الشرط ماض كقوله

وان اتاه كريم يوم مسغبة *

يقول لا غائب مالى ولا حرم *

(وهم فيها لا يبخسون) لا ينقصون شيأ من اجورهم والآية فى اهل الرياء وقيل فى المنافقين وقيل فى الكفرة بربهم (اولئك الذين ليس لهم فى الآخرة الا النار) مطلقا فى مقابلة ماعملوا لانهم استوفوا ماتقتضيه صور اعمالهم الحسنة وبقيت لهم اوزار العزآئم السيئة (وحبط ماصنعوا فيها) لانهم لم يبق لهم ثواب فى الآخرة اولم يكن لانهم لم يريدوا به وجه الله تعالى والعمدة فى اقتضاء ثوابها هو الاخلاص ويجوز تعليق الظرف بصنعوا على ان الضمير للدنيا (وباطل) فى نفسه (ماكانوا يعملون) لانه لم يعمل على ماينبغى وكأن كل واحدة من الجملتين علة لما قبلها وقرئ باطلا على انه مفعول يعملون وما ابهامية اوفى معنى المصدر كقوله

«ولا خارجا من فىّ زور كلام *

وبطل على الفعل

من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وقرأ الحسن البصرى يوفى بتخفيف الفاء وثبوت الياء من اوفى قال ابن الحاجب فان كان كل واحد من الشرط والجزاء مضارعا او الاوّل فالجزم وان كان الجزاء وحده مضارعا فالامران اى الجزم وعدم الجزم فان تعلق فيها بالفعل المحذوف فضمير فيها يرجع الى الآخرة اى وظهر حبوط ماصنعوا فى الآخرة لانه لم يروا له ثوابا فيها وان تعلق فيها بصنعوا يتعين ان يعود الضمير اليها اى الى الحيـاة الدنيا كما يتعين ان يعود اليها فى قوله نوف اليهم اعمالهم وفى الصحاح حبط عمله حبطا وحبوطا اى بطل ثوابه وقرأ الجمهور وباطل ماكانوا يعملون برفع الباطل اما على انه خبر مقدّم وما كانوا يعملون مبتدأ مؤخر وهذه الجملة الاسمية معطوفة على الفعلية التى قبلها واما على ان باطل معطوف على خبر اولئك اى اولئك باطل وماكانوا يعملون فاعل باطل والمصنف اختار الاحتمال الاوّل حيث صرح بكونها جملة واسم الفاعل مع فاعله لايكون جملة قرئ باطلا بالنصب على انه مفعول به ليعملون وما ابهامية ومعنى كونها ابهامية كونها صفة للنكرة قبلها كما فى قولهم لامر مايسود من يسود والمعنى وباطلا اىّ باطل كانوا يعملون او على انه بمعنى المصدر لفعل محذوف اى وبطل بطلانا ما كانوا يعملون ﴿قوله والهمزة لانكار ان يعقب من هذا شأنه﴾ وهو كونه على بينة من ربه وان يتبع سنة كتابين سماويين يعنى ان كلة من فى قوله تعالى أفمن كان شرطية او موصولة مرفوعة المحل على انها مبتدأ والخبر محذوف اعتمادا على دلالة همزة الانكار وفاء التعقيب عليه ووجه دلالتها عليه انها دخلت على الجملة المصدّرة بفاء التعقيب فافادت انكار التعاقب والتقارب بين مدخول الفاء وبين امر آخر وليس ذلك الامر الا ماذكر قبل وهو قوله تعالى من كان يريد الحياة الدنيا فكان تقدير الكلام ومعناه ماذكره بقوله أفمن كان على بينة كمن يريد الحياة الدنيا ومثل هذا الحذف فى القرآن كثير منه قوله تعالى افمن زين له سوء عمله فرآه حسـنا اى كمن هداه الله وقوله ام من هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما الى غير ذلك ولما كانت همزة الاسـتفهام تقتضى صدر الكلام وكانت الفاء العاطفة تقتضى المعطوف عليه قدّر صاحب الكشـاف المعطوف عليه بين همزة الاستفهام وحرف العطف فقال معناه امن كان يريد الحياة الدنيا فمن كان على بينة من ربه وهذا التقدير هو القاعدة المقرّرة عنده فى مثل هذا الموضع الا ان التقدير الذى ذكره لابدّ فيه من تقدير فعل السنتهم اى اذكر اولئك فيذكر هؤلاء او يقال فيقال والهمزة لانكار هذا التعقيب واشار اليه بقوله اى لاتعقبونهم ولاتقاربونهم وبقى الكلام فى ان المعطوف عليه على تقدير المصنف اىّ شئ هو والظاهر انه هو جملة من كان يريد الحياة الدنيا كما فى تقدير صاحب الكشاف وماذكره من التقدير لاتعرض فيه لبيان المعطوف عليه بل هو بيان لحاصل المعنى فان المراد نفى التماثل بين الفريقين قدّر المعطوف عليه بكاف التشبيه ليدل الكلام على نفى المماثلة وانكارها والمستفاد من نظم القرآن هو انكار المعاقبة والمقاربة فان فاء التعقيب فيه تدل على اعتبار المعطوف عليه وهمزة الانكار تدل على انكار المقاربة والمعاقبة بينهما والتقدير امن كان يريد الحياة الدنيا فمن كان على بينة فى السعادة وحسن العاقبة والمعنى ان الفريق الثانى لايعاقبه ولايقارب الفريق الاوّل فيما ذكر بناء على ان الاستفهام للانكار والفاء للتعقيب فيفيدانهم لاتقارب بينهم فضلا عن التماثل ﴿قوله ويتبع ذلك البرهان﴾ على ان قوله يتلوه من التلوّ لا من التلاوة وقوله ذلك البرهان اشارة الى وجه تذكير الضمير الراجع الى بينة فان الظاهر ان يقال ويتلوها الا انه ذكر ضمير التأنيث باعتبار المعنى وتنوين شاهد للتفخيم وكون القرآن تابعا لدليل العقل كونه موافقا له فى المدلول وشاهدا مصدّقا له ﴿قوله وهو حكم يعم كل مؤمن﴾ يعنى الذى وصفه الله تعالى بانه على بينة المراد به كل مؤمن مخلص متمسك بالبرهان الدال على ماهو الحق فيكون الحكم الدال على انكار المقاربة بينه وبين من قصر همته وفكره على الدنيا متناولا لهم جميعا غير مختص به صلى الله عليه وسلم او بمؤمنى اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه على ماقيل ﴿قوله او لسان الرسول صلى الله عليه وسلم على ان ضمير منه له﴾ صلى الله عليه وسلم والتالى وان كان ذات الرسول صلى الله عليه وسلم واللسان آلة التلاوة الا ان التلاوة اسـندت الى الآلة مجازا كما يقال عين باصرة واذن سامعة ولسان ناطق فالمعنى افمن كان على حجة مبينة وهى القرآن ويقرأ ذلك القرآن شاهد من الله تعالى وهو جبريل او شاهد من الرسول صلى الله عليه وسلم وهو لسانه وضمير يتلوه على تقدير ان يكون من التلاوة يتعين ان يكون للبينة بتأويل القرآن واما على تقدير ان يكون من التلوّ وهو التبعية فحينئذ يحتمل ان يكون لمن على بينة كما يحتمل ان يكون لنفس البينة ﴿قوله ومن قبله كتاب موسى﴾

(أفمن كان على بينة من ربه) برهان من الله
يدله على الحق والصواب فيما يأتيه ويذر
والهمزة لانكار ان يعقب من هذا شأنه هؤلا
المقصرين هممهم وافكارهم على الدنيا وان
يقارب بينهم فى المنزلة وهو الذى اغنى عن
ذكر الخبر وتقديره أفمن كان على بينة كمن
كان يريد الحياة الدنيا وهو حكم يعم كل
مؤمن مخلص وقيل المراد به النبى صلى الله
عليه وسلم وقيل مؤمنوا اهل الكتاب
(ويتلوه) ويتبع ذلك البرهان الذى هو
دليل العقل (شاهد منه) شاهد من الله يشهد
بصحته وهو القرآن (ومن قبله) ومن قبل
القرآن (كتاب موسى) يعنى التوراة فانه
ايضا تتلوه فى التصديق وقيل البينة هو
القرآن ويتلوه من التلاوة والشاهد جبريل
او لسان الرسول صلى الله عليه وسلم على ان
ضمير منه له او من التلوّ والشاهد ملك يحفظه
والضمير فى يتلوه اما لمن او للبينة باعتبار المعنى
ومن قبله كتاب موسى جملة مبتدأة وقرئ
كتاب بالنصب عطفا على الضمير فى يتلوه
اى يتلو القرآن شاهد ممن كان على بينة دالة
على انه حق كقوله وشهد شاهد من بنى
اسرائيل ويقرأ من قبل القرآن التوراة
(اماما) كتابا مؤتما به فى الدين (ورحمة)
على المنزل عليهم لانه الوصلة الى الفوز
بخير الدارين (اولئك) اشارة الى من كان
على بينة (يؤمنون به) بالقرآن (ومن يكفر به
من الاحزاب) من اهل مكة ومن تحزب معهم
على رسول الله صلى عليه وسلم (فالنار
موعده) يردها لامحالة (فلاتك فى مرية منه)
من الموعد او القرآن وقرئ مرية بالضم
وهما الشك (انه الحق من ربك ولكن اكثر
الناس لا يؤمنون) لقلة نظرهم واختلال
فكرهم

(ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا) كأن اسند اليه مالم ينزله اونفى عنه ما انزله (اولئك يعرضون على ربهم) في الموقف بان يحبسوا وتعرض اعمالهم (ويقول الاشهاد) من الملائكة والنبيين او من جوارحهم وهو جمع شاهد كاصحاب او شهيد كاشراف جمع شريف (هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين) تهويل عظيم مما يحيق بهم حينئذ لظلمهم بالكذب على الله (الذين يصدون عن سبيل الله) عن دينه (و يبغونها عوجا) ويصفونها بالانحراف عن الحق والصواب او يبغون اهلها ان يعوجوا بالردة (وهم بالآخرة هم كافرون) والحال انهم كافرون بالآخرة وتكريرهم لتأكيد كفرهم واختصاصهم به (اولئك لم يكونوا معجزين في الارض) اى ما كانوا معجزين الله في الدنيا ان يعاقبهم (وما كان لهم من دون الله من اولياء) يمنعونهم من العقاب ولكنه أخر عقابهم الى هذا اليوم ليكون اشد وادوم (يضاعف لهم العذاب) استئناف وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعف بالتشديد (ما كانوا يستطيعون السمع) لتصامهم عن الحق وبغضهم له (وما كانوا يبصرون) لتعاميهم عن آيات الله وكأنه العلة لمضاعفة العذاب وقيل هو بيان لما نفاه من ولاية الآلهة بقوله وما كان لهم من دون الله من اولياء فان مالا يسمع ولا يبصر لا يصلح للولاية وقوله يضاعف لهم العذاب اعتراض (اولئك الذين خسروا انفسهم) باشتراء عبادة الآلهة بعبادة الله تعالى (وضل عنهم ما كانوا يفترون) من الآلهة وشفاعتها او خسروا بما بدلوا وضاع عنهم ما حصلوا فلم يبق معهم سوى الحسرة والندامة (لا جرم انهم في الآخرة هم الاخسرون) لا احد ابين واكثر خسرانا منهم (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم) اطمأنوا اليه وخشعوا له من الخبت وهى الارض المطمئنة (اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون) دائمون (مثل الفريقين) الكافر والمؤمن (كالاعمى والاصم والبصير والسميع) يجوز ان يراد به تشبيه الكافر بالاعمى لتعاميه عن آيات الله وبالاصم لتصامه عن استماع كلام الله تعالى وتأبيه عن تدبر معانيه

مبنى على ان يكون المراد بالبينة القرءآن ويكون يتلوه من التلاوة فالمعنى ويتلو القرءآن شاهد من كان على بينة من ربه ويتلو كتاب موسى من قبل القرءآن وفصل بين العاطف والمعطوف بقوله من قبله وقوله اماما ورحمة منصوبان على الحال من كتاب موسى سوآء قرئ مرفوعا اومنصوبا والموعد اسم مكان والمرية بكسر الميم وضمها لغتان بمعنى الشك **﴿قوله﴾** بان يحبسوا وتعرض اعمالهم ﴿ اشارة الى انه تعالى ليس في مكان حتى يعرضون عليه وان المراد عرضهم على الموقف المقدر للحساب والسؤال وحبسهم فيه الى ان يقضى الله عز وجل بين العباد روى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال «ان الله تعالى يدنى المؤمن يوم القيامة فيستره من الناس فيقول اى عبدى أتعرف ذنب كذا وكذا فيقول نعم حتى اذا قرره بذنوبه قال الله تعالى فانى قد سترتها عليك في الدنيا وقد غفرتها لك اليوم ثم يعطى كتاب حسناته واما الكافر والمنافق فيقول الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين يفضحونهم بما كانوا عليه في الدنيا ويبينون انهم ملعونون عند الله بسبب ظلمهم * ثم وصفهم بانهم يمنعون الناس عن دين الله وطريق طاعته بالتخويف وادخال الشبهة والسبيل مؤنث سماعى فلذلك انث ضمير يبغونها يقال بغيت الشئ طلبته وبغيتك الشئ طلبته لك وفسر طلب العوج لسبيل الله اولا بوصفهم اياها بالانحراف عن الحق بطريق اطلاق اسم السبب على المسبب وثانيا بطلب العوج لاهلها على حذف المضاف **﴿قوله﴾** وتكريرهم لتأكيد كفرهم بالآخرة واختصاصهم به ﴿ اما التأكيد فمن تكريرهم فان تكرير المسند اليه يفيد تأكيد شأنه في الاتصاف بمضمون الخبر واما الاختصاص فلتقديم هم على الكافرين كما لو قال هم يكفرون وسبب تضعيف العذاب عليهم انهم ضلوا واضلوا غيرهم ولانهم كفروا بالله وهو كفر بالمبدأ والبعث وكفر بالمعاد ولانهم كانوا لا يشتغلون بسماع الحق وابصار الحق وما يدل على الحق من الآيات فيعذبون بكل واحد منها **﴿قوله﴾** لتصامهم عن الحق وبغضهم له ﴿ يقال تصامم تصامما اى أرى من نفسه انه اصم وليس به صمم لا لنفى الله تعالى عنهم استطاعة سمع الاصوات والحروف وكان خلاف ماذهب اليه اهل الحق والمعتزلة فان اهل الحق وان ذهبوا الى ان افعال العباد الاختيارية واقعة بقدرة الله تعالى وليس لقدرتهم تأثير فيها الا انهم اثبتوا للعبد استطاعة غير مؤثرة فانهم قالوا اجرى الله سبحانه وتعالى عادته على ان يوجد في العبد قدرة واختيارا واذا لم يكن هناك مانع اوجد فعله المقدور مقارنا لها فيكون فعل العبد مخلوقا لله تعالى ابداعا واحداثا ومكسوبا للعبد والمراد بكسبه اياه مقارنته لقدرته وارادته من غير ان يكون هناك تأثير ومدخل في وجوده سوى كونه محلا له وقال اكثر المعتزلة انها واقعة بقدرة العبد وحدها على سبيل الاستقلال وقالت طائفة منهم هى واقعة بالقدرتين معا فظهر ان كل واحد من الفريقين يقول بان للعبد استطاعة على افعاله الاختيارية يسمع بها الاصوات والحروف ويبصر بها المبصرات الى غير ذلك «اجيب بتأويل الآيات فنقول قوله تعالى ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون استعارة تصريحية تبعية شبه تصامهم عن استماع الحق وبغضهم له بعدم استطاعتهم السمع فاطلق على المشبه وكذا شبه تعاميهم عن آيات الله بعدم ابصارها فاطلق عليه عدم الابصار على سبيل الاستعارة التصريحية ثم اشتق من اللفظ المستعار لتصامهم ما كانوا يستطيعون السمع ولتعاميهم عن آيات الله تعالى ما كانوا يبصرون **﴿قوله﴾** وقيل هو بيان لما نفاه الخ ﴿ عطف على ما اشار اليه من التأويل اى وقيل لا حاجة الى التأويل وانما يحتاج اليه ان لو كان قوله ما كانوا يستطيعون من صفات الكفار وليس كذلك بل هو من صفات الاوثان فعلى هذا يكون قوله يضاعف لهم العذاب اعتراضا لكونه في حق الكفار وليس ذلك من صفات الاوثان **﴿قوله﴾** اطمأنوا اليه ﴿ اذ الاخبات الخضوع والخشوع ويستعمل باللام حيث يقال اخبت لله واستعمل بالى في الآية لتضمنه معنى الاطمئنان والانقطاع **﴿قوله﴾** يجوز ان يراد به تشبيه الكافر بالاعمى ﴿ تعبير عن خلاصة المعنى فان الظاهر ان يقال تشبيه حال الكافر بحال الاعمى نظرا الى قوله تعالى مثل الفريقين اى حالهما وصفتهما العجيبة فلابد ان يقدر في جانب المشبه به مثل آخر اى كمثل الاعمى والاصم والسميع والبصير وهو تعالى شبه حال الفريقين بحال هؤلاء ولم يشبه انفس الفريقين بانفسهم فانه تعالى شبه عدم انتفاع الكافر ببصره اجلى الآيات المنصوبة بين يديه وبسمعه في استماع الآيات المتلوة عليه بعدم انتفاع الاعمى والاصم بحاسة البصر والسمع وشبه حال المؤمن لانتفاعه ببصره وسمعه في ذلك بانتفاع البصير والسميع ببصره وسمعه الا ان تشبيه حال الشئ بحال شئ آخر لما كان يستلزم تشبيه الشئ الاول بالشئ الثاني تجوز المصنف فقال يجوز ان يراد تشبيه الكافر بالاعمى الخ والفرق بين هذا الاحتمال

وتشبيه المؤمن بالسميع والبصير لان امره بالضد فيكون كل واحد منهما مشبها باثنين باعتبار وصفين اوتشبيه الكافر بالجامع بين العمى والصمم والمؤمن بالجامع بين ضديهما والعاطف لعطف الصفة على الصفة كقوله الصالح فالغانم فالآيب وهذا من باب اللف والطباق (هل يستويان) هل يستوى الفريقان (مثلا) اى تمثيلا او صفة او حالا (أفلاتذكرون) بضرب الامثال والتأمل فيها (ولقد ارسلنا نوحا الى قومه انى لكم) بانى لكم وقرأ نافع وعاصم وابن عامر وحمزة بالكسر على ارادة القول (نذير مبين) ابين لكم موجبات العذاب ووجه الخلاص (ان لاتعبدوا الا الله) بدل من انى لكم او مفعول مبين ويجوز ان تكون ان مفسرة متعلقة بارسلنا او بنذير (انى اخاف عليكم عذاب يوم اليم) مؤلم وهو فى الحقيقة صفة المعذب لكن يوصف به العذاب وزمانه على طريقة جد جده ونهاره صائم للمبالغة (فقال الملأ الذين كفروا من قومه مانراك الا بشرا مثلنا) لامزية لك علينا تخصك بالنبوة ووجوب الطاعة (ومانراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا) اخساؤنا جمع ارذل فانه بالغلبة صار مثل الاسم كالاكبر او ارذل جمع رذل (بادى الرأى) ظاهر الرأى من غير تعمق من البدو او اول الرأى من البدء والياء مبدلة من الهمزة لانكسار ماقبلها وقرأ ابو عمرو بالهمز وانتصابه بالظرف على حذف المضاف اى وقت حدوث بادئ الرأى والعامل فيه اتبعك وانما استرذلوهم لذلك او لفقرهم فانهم لما لم يعلموا الا ظاهرا من الحياة الدنيا كان الاحظ بها اشرف عندهم والمحروم منها ارذل (ومانرى لكم) لك ولمتبعيك (علينا من فضل) يؤهلكم للنبوة واستحقاق المتابعة (بل نظنكم كاذبين) اياك فى دعوى النبوة واياهم فى دعوى العلم بصدقك فغلب المخاطب على الغائبين (قال ياقوم ارأيتم) اخبرونى (ان كنت على بينة من ربى) حجة شاهدة بصحة دعواى (وآتانى رحمة من عنده) بايتاء البينة او النبوة (فعميت عليكم) فخفيت عليكم فلم تهدكم وتوحيد الضمير لان البينة فى نفسها هى الرحمة او لان خفاءها يوجب خفاء النبوة او على تقدير فعميت بعد البينة وحذفها للاختصار اولانه لكل واحدة منهما

والاحتمال الثانى ان كل واحد من الاعمى والاصم مغاير للآخر ذاتا على الاحتمال الاول ويكون تشبيه الكافر تشبيهين ضرورة تعدد المشبه به وكذا الحال فى السميع والبصير وتشبيه المؤمن بهما بخلاف الاحتمال الثانى فان كل واحد من الاعمى والاصم يكون متحدا مع الآخر ذاتا وعطف احدهما على الآخر من قبيل عطف الصفة على الصفة لامن قبيل عطف الذات على ذات آخر كما فى الاحتمال الاول فيكون تشبيه كل واحد من الفريقين تشبيها واحدا حيث شبه الكافر بشخص موصوف بوصفين وكذا المؤمن كأنه تعالى شبه حال فريق الكفار فى تعاميهم من الآيات المنصوبة بين ايديهم وعن الآيات المتلوة عليهم بحال من اجتمع فيه الصنفان الاعمى والاصم فهو ابدا فى خبط وضلال لان الاعمى اذا سمع شيأ ربما يهتدى الى الطريق والاصم ربما ينتفع بالاشارة ومن جمع بينهما فلاحيلة فيه ﴿قوله وهذا من باب اللف والطباق﴾ اللف فى اصطلاح البديع ذكر متعدد على التفصيل والاجتماع ثم ذكر مالكل واحد من آحاد ذلك المتعدد وفى الآية الكريمة ذكر الفريقين ثم مالكل منهما كالاعمى الخ والطباق هو جمع بين معنيين متقابلين حقيقيا او اعتباريا سوآء كان التقابل تقابل الايجاب والسلب اوغير ذلك ولاشك ان الاعمى والبصير وكذا الاصم والسميع امران متقابلان ﴿قوله تمثيلا﴾ على ان يكون المثل اسما بمعنى التمثيل كالسلام بمعنى التسليم ومثلا تمييز منقول من الفاعلية والاصل هل يستوى مثلهما اى تشبيههما شبه الله احد الفريقين بالاعمى والاصم والفريق الآخر بالبصير والسميع ثم انكر استوآء التشبيهين ولفظ المثل حقيقة عرفية فى القول السائر المشبه مضربه بمورده ثم يستعار للصفة العجيبة تشبيها لها بالقول المذكور فى الغرابة فانه لايضرب الالما فيه الغرابة * واعلم ان عادة الله تعالى فى القرآن العظيم انه اذا اورد على الكافرين اشياء من دلائل الوحدانية والنبوة اتبعها بالقصص ليؤكدبها تلك الدلائل فلذلك ذكر فى هذه السورة قصصا متعددة فبدأ بقصة نوح عليه الصلاة والسلام وقرأ ابن كثير وابو عمرو والكسائى انى لكم بفتح الهمزة على اضمار حرف الجر اى بانى لكم والجار والمجرور متعلق بحال محذوفة اى ارسلناه ملتبسا ببيان هذا الكلام وقرأ الباقون انى لكم بالكسر على اضمار القول والتقدير ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال لهم انى لكم نذير مبين اى مخوف مبين اى مظهر ذلك الانذار على اكمل طريقة ﴿قوله بدل من انى لكم﴾ بالفتح اى ارسلناه بان لاتعبدوا الا الله بالنهى عن عبادة غير الله والامر بعبادة الله تعالى لان قوله الا الله استثناء من النهى ويجوز على قرآءة الفتح ان تكون ان مفسرة ايضا والمفسر بها ما ارسلنا واما نذير لان كل واحد منهما فى معنى القول وعلى قرآءة انى لكم بكسر الهمزة يتعين ان تكون ان مصدرية منصوبة المحل مع مافى حيزها على انه مفعول مبين او مفسرة متعلقة بنذير ﴿قوله على طريقة جد جده ونهاره صائم﴾ لف ونشر مرتب فان اسناد الاليم الى اليوم اسناد للظرف كقولك نهاره صائم واسناده الى العذاب اسناد الى الوصف كقولك جد جده والمتألم هو الشخص المدرك لاوصفه ولازمانه فاذا وصفناه بالتألم دل على ان الشخص بلغ فى تألمه الى حيث سرى مابه من التألم الى مايلابسه من الزمان والاوصاف ولما حكى الله تعالى عن نوح عليه الصلاة والسلام انه دعا قومه الى عبادة الله تعالى وحده حكى عن قومه انهم طعنوا فى نبوته بثلاثة انواع من الشبهات فالشبهة الاولى انه بشر مثلكم والتفاوت الحاصل بين الآحاد المتفقة فى الحقيقة البشرية يمتنع انتهاؤه الى حيث يصير الواحد منهم واجب الطاعة على جميع العالمين والشبهة الثانية كونه بحيث اتبعه اراذل القوم كالحاكة واهل الصنائع الخسيسة قالوا ولو كنت صادقا لاتبعك الاكياس والاشراف من الناس ونظيره قوله تعالى فى سورة الشعرآء انؤمن لك واتبعك الارذلون والشبهة الثالثة ومانرى لكم علينا من فضل لافى العقل ولافى رعاية المصالح العاجلة ولافى قوة الجدل فاذا لم نشاهد فضلك علينا فى شئ من هذه الاحوال الظاهرة فكيف نصدق بفضلك علينا فى اشرف الدرجات واعلى المقامات والاخساء جمع خسيس مثل نبى وانبياء واراذل يحتمل ان يكون جمع ارذل صفة كاحمر وقياسه ان يجمع على رذل الا انه جمع على اراذل لجريانه مجرى الاسماء من حيث انه هجر موصوفه كالابطح والابله وقيل هو جمع ارذل الذى للتفضيل نحو افضل وافاضل وقد جاء اكابر مجرميها واحاسنهم اخلاقا وهما جمع اكبر واحسن ويحتمل ان يكون جمعا للجمع بان يكون جمعا لارذل وارذل جمع رذل نحو كلب واكلب واكالب وقيل بل هو جمع لارذال وارذال جمع رذل ايضا قال الجوهرى الدون الخسيس وقد رذل فلان بالضم يرذل رذالة ورذولة فهو رذل ورذال بالضم من قوم رذول وارذال ورذلاء قال النبى صلى الله عليه وسلم * الا اخبركم باحبكم الى واقربكم مجلسا يوم القيامة احاسنكم اخلاقا * ﴿قوله وتوحيد الضمير الخ﴾ جواب عما يقال قد سبق امران بينة ورحمة

وقرأة والكسائى وحفص فعميت اى اخفيت وقرئ فعماها على ان الفعل لله (أنلزمكموها) أنكر هكم على الاهتدآء بها (وانتم لها كارهون) لاتختارونها ولاتتأملون فيها وحيث اجتمع ضميران وليس احدهما مرفوعا وقدّم الاعرف منهما جاز فى الثانى الفصل والوصل (ويا قوم لااسألكم عليه) على التبليغ وهو وان لم يذكر فعلوم مما ذكر (مالا) جعلا (ان اجرى الا على الله) فانه المأمول منه (وما انا بطارد الذين آمنوا) جواب لهم حين سألوا طردهم (انهم ملاقوا ربهم) فيخاصمون طاردهم عنده او انهم يلاقونه ويفوزون بقربه فكيف اطردهم (ولكنى اراكم قوما تجهلون) بلقاء ربكم او باقدارهم اوفى التماس طردهم او تتسفهون عليهم بان تدعوهم اراذل (ويا قوم من ينصرنى من الله) بدفع انتقامه (ان طردتهم) وهم بتلك الصفة والمثابة (أفلا تذكرون) لتعرفوا ان التماس طردهم وتوقيف الايمان عليه ليس بصواب (ولا اقول لكم عندى خزآئن الله) خزآئن رزقه او امواله حتى جحدتم فضلى (ولا اعلم الغيب) عطف على عندى خزآئن الله اى ولا اقول لكم انا اعلم الغيب حتى تكذبونى استبعادا اوحتى اعلم ان هؤلاء اتبعونى بادئ الرأى من غير بصيرة ولا عقد قلب وعلى الثانى يجوز عطفه على اقول (ولا اقول انى ملك) حتى تقولوا ماانت الا بشر مثلنا (ولا اقول للذين تزدرى اعينكم) ولا اقول فى شأن من استرذلتموهم لفقرهم (لن يؤتيهم الله خيرا) فان ما اعدّ الله لهم فى الاخرة خير مما آتاكم فى الدنيا (الله اعلم بما فى انفسهم انى اذا لمن الظالمين) ان قلت شيأ من ذلك والازدرآء افتعال من زرى عليه اذا عابه قلبت تاؤه دالا لتجانس الزاى فى الجهر واسناده الى الاعين للمبالغة والتنبيه على انهم استرذلوهم بادئ الرؤية من غير روية وبما عاينوا من رثاثة حالهم وقلة منالهم دون تأمل فى معانيهم وكمالاتهم (قالوا يا نوح قد جادلتنا) خاصمتنا (فاكثرت جدالنا) فاطلته او اتيت بانواعه (فأتنا بما تعدنا) من العذاب (ان كنت من الصادقين) فى الدعوى والوعيد فان مناظرتك لاتؤثر فينا (قال انما يأتيكم به الله ان شاء) عاجلا او آجلا (وما انتم بمعجزين) بدفع العذاب او الهرب منه (ولا ينفعكم نصحى ان اردت ان انصح لكم) شرط ودليل جواب

فكان مقتضى الظاهر ان يقال فعميتا عليكم فان نوحا عليه الصلاة والسلام لما دعا قومه الى توحيد الله تعالى وطعنوا فى نبوّته بثلاث شبه اجاب عليه الصلاة والسلام عن تلك الشبه كلها بانى على بينة ورحمة من ربى وهى شبهة عليكم ولا اقدر على الزامكم قبولها وهو جواب عن تلك الشبه كلها اما من الاولى فلان الاشتراك فى الحقيقة البشرية لاينا فى الاختصاص بالبينة والرحمة من عند الله تعالى وعن الثانية بان البينة قد اشتبهت على الاشراف لحسدهم وخوفهم على الجاه وكانوا لايقبلونها الا بالحجة والالزام بخلاف الفقرآء الذين قبلوها واتبعوا الحق وقت حدوث بادئ الرأى فانه لامانع فيهم يمنعهم من القبول من نحو الحسد والخوف من زوال الجاه والرياسة فلذلك قبلوها فى اوّل الوهلة وعن الثالثة بان التفاوت فى الفضل انما هو ببيان طريق الهدى لنجاة عباد الله باذن الشارع ونصره وهو المولى فنعم المولى ونعم النصير وانما وحد الضمير لان البينة والرحمة وان كانتا متغايرتين بحسب المفهوم الا انهما متحدتان بحسب الذات وان المراد بهما البرهان الدال على نبوّته عليه الصلاة والسلام وهو بينة باعتبار انه شاهد على دعواه ورحمة باعتبار ان ينتفع به وعلى تقدير ان تكونا متغايرتين ذاتا ايضا بان يراد بالبينة الحجة الشاهدة بصحة دعواه وبالرحمة نفس النبوّة وحد الضمير ايضا لرجوعه الى البينة ولم يتعرض لهذا فى الرحمة لاستلزام خفاء البينة خفاءها او لرجوعه الى الرحمة التى هى النبوّة ولم يذكر ضمير البينة للاختصار وتقدير الكلام فعميت النبوّة عليكم بعد قيام البينة عليها ﴿ **قوله** وقرأ حمزة والكسائى وحفص فعميت ﴾ بضم العين وتشديد الميم على مالم يسم فاعله واصله فعماها الله عليكم اى ابهمها عقوبة لكم ثم بنى الفعل للمفعول وحذف فاعله للعلم به وهو الله تعالى واقيم المفعول وهو ضمير الرحمة او كل واحدة منهما مقامه وقرأ الباقون بفتح العين وتخفيف الميم والمعنى فعميت عليكم البينة فلم تهدكم كما لو عمى دليل القوم عليهم فى المفازة فان الحجة كما توصف بالابصار اذا كانت معلومة جلية لانها هادية كالبصر قال تعالى فلما جاءتهم آياتنا مبصرة كذلك توصف بالعمى اذا كانت مجهولة خفية لكونها غير هادية قال الله تعالى فعميت عليهم الانباء ﴿ **قوله** وحيث اجتمع ضميران ﴾ قد اجتمع فى انلزمكموها بعد الضمير المرفوع ضمير الغائب ثم ان نوحا صلى الله عليه وسلم قال لقومه يا قوم لاتهمة علىّ فيما ادعوكم اليه ولا صورتى صورة من يطمع فى اموالكم والرياسة فى امور الدنيا عليكم ولا تظنوا فىّ الكذب وما اجرى الا على الله بناء على سعة فضله وكرمه فلله اعمل ومنه ارجو فبأىّ عذر لاتقبلون منى ما ادعوتكم اليه والطرد الابعاد على وجه الهوان ﴿ **قوله** عطف على عندى ﴾ لا على اقول اذ لايستقيم ان يقال لا اعلم الغيب حتى تكذبونى وانما يستقيم ان يقال لا اقول انا اعلم حتى تكذبونى استبعادا وانما يستقيم عطفا على لا اقول ان لو كان المعنى لا اعلم الغيب حتى اعلم ان هؤلاء يتبعونى بادى الرأى ﴿ **قوله** وما انتم بمعجزين بدفع العذاب او الهرب منه ﴾ قال الامام فان احدا لايعجزه اى لايمنعه مما اراد ان يفعله والمعجز هو الذى يفعل ما عنده فيتعذر به مراد الغير فيوصف بانه اعجز فقوله تعالى وما انتم بمعجزين اى لاسبيل لكم الى ان تفعلوا ما عندكم فيمتنع على الله تعالى ما يشاء من العذاب ان اراد انزاله بكم ﴿ **قوله** شرط ودليل جواب ﴾ يعنى ان قوله تعالى ان اردت ان انصح لكم شرط جزآؤه محذوف وماقبله دليل الجواب وليس بجواب عند البصريين فانهم لايجوّزون تقدّم الجزآء على الشرط وكذا جواب قوله تعالى ان كان الله يريد ان يغويكم محذوف حذف لدلالة الجملة الشرطية المتقدّمة عليه وتقدير الكلام ماذكره فتكون الآية الكريمة نظير قولك ان اتيتنى ان كلمتنى اكرمتك فقولك ان كلمتنى جواب لقولك ان اتيتنى وهى مسئلة اعتراض الشرط على الشرط وفى مثله يكون الجزآء المذكور معلقا على الشرط المذكور اوّلا وواقعا عند وقوع ذلك الشرط بشرط حصول الشرط الثانى ولما كان حصول الشرط الثانى شرطا لكون الشرط الاوّل مستلزما للجزآء ومن المعلوم ان الشرط مقدّم على المشروط فى الوجود وجب ان لايحكم بتحقق الجزآء الا عند وجود الشرط الاوّل بعد وجود الشرط الثانى ففى قولك ان اتيتنى ان كلمتنى اكرمتك ان اتاه ثم كلمه لايجب الاكرام ولكن ان كلمه ثم اتاه وجب الاكرام ولو قال الرجل لامرأته انت طالق ان دخلت الدار ان كلمت زيدا فدخلت ثم كلمت لم تطلق لانعدام شرط كون الدخول مستلزما للطلاق ولكن ان كلمت ثم دخلت تطلق ٭ قال الامام قوله ولا ينفعكم نصحى ان اردت ان انصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم جزآء معلق على شرط بعده شرط آخر وهذا يقتضى ان يكون الشرط المؤخر فى اللفظ مقدّما فى الوجود وذلك لان الرجل اذا قال لامرأته انت طالق ان دخلت الدار كان المفهوم كون الطلاق من لوازم

(الدخول)

والجملة دليل جواب قوله (ان كان الله يريد ان يغويكم) تقدير الكلام ان كان الله يريد ان يغويكم فان اردت ان انصح لكم لاينفعكم نصحي ولذلك نقول لوقال الرجل انت طالق ان دخلت الدار ان كلمت زيدا فدخلت ثم كلمت لم تطلق وهو جواب لما اوهموا من ان جداله كلام بلا طائل وهو دليل على ان ارادة الله يصح تعلقها بالاغوآء وان خلاف مراده محال وقيل ان يغويكم ان يهلككم من غوى الفصيل غوى اذا بشم فهلك (هو ربكم) خالقكم والمتصرف فيكم وفق ارادته (واليه ترجعون) فيجازيكم على اعمالكم (ام يقولون افتراه قل ان افتريته فعلي اجرامي) وباله وقرئ اجرامي على الجمع (وانا بريء مما تجرمون) من اجرامكم في اسناد الافترآء الي (واوحي الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون) اقنطه الله من ايمانهم ونهاه ان يغتم بما فعلوه من التكذيب والايذآء (واصنع الفلك باعيننا) ملتبسا باعيننا عبر بكثرة آلة الحس الذي يحفظ به الشيء ويراعى عن الاختلال والزيغ عن المبالغة في الحفظ والرعاية على طريقة التمثيل (ووحينا) اليك كيف تصنعها (ولا تخاطبني في الذين ظلموا) ولا تراجعني فيهم ولا تدعني باستدفاع العذاب عنهم (انهم مغرقون) محكوم عليهم بالاغراق فلاسبيل الى كفه (ويصنع الفلك) حكاية حال ماضية (وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه) استهزؤا به لعمله السفينة فانه كان يعملها في برية بعيدة من الماء اوان عزته فكانوا يضحكون منه ويقولون له صرت نجارا بعد ما كنت نبيا (قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون) اذا اخذكم الغرق في الدنيا والحرق في الآخرة وقيل المراد بالسخرية الاستجهال (فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه) يعني به اياهم وبالعذاب الغرق (ويحل عليه) وينزل او يحل عليه حلول الدين الذي لا انفكاك عنه (عذاب مقيم) دآئم وهو عذاب النار (حتى اذا جاء امرنا) غاية لقوله ويصنع الفلك وما بينهما حال من الضمير فيه او حتى هي التي يبتدأ بعدها الكلام (وفار التنور) نبع الماء فيه وارتفع كالقدر تفور والتنور تنور الخبز ابتدأ منه النبوع على خرق العادة وكان في الكوفة في موضع مسجدها او في الهند او بعين وردة بارض الجزيرة وقيل التنور وجه الارض او اشرف موضع منها

الدخول ولكن اذا ذكر بعده شرط آخر مثل ان يقول ان اكلت الخبز كان المعنى ان تعلق ذلك الجزآء بذلك الشرط الاول مشروط بحصول الشرط الثاني والشرط مقدم على المشروط في الوجود فعلى هذا ان حصل الشرط الثاني تعلق ذلك الجزآء بذلك الشرط الاول واذا لم يوجد الشرط الثاني لم يتعلق ذلك الجزآء بذلك الشرط الاول وبهذا المعنى قال الفقهاء ان الشرط المؤخر في اللفظ مقدم في المعنى المشروط والمقدم في اللفظ مؤخر في المعنى ﴿قوله وهو جواب لما اوهموا من ان جداله كلام بلا طائل﴾ مع ان جداله معهم انما هو نصح لهم وارشاد الى اثبات التوحيد والنبوة والمعاد وازالة شبهاتهم الواهية ولما كانت هذه الآية حجة لنا على المعتزلة القائلين بان كفر العبد واغوآءه انما هو بقدرة العبد وارادته ولا يتعلق بقدرة الله تعالى وارادته قالوا ظاهر الآية يدل على انه تعالى اذا اراد اغوآء القوم لم ينتفعوا بنصح الرسول وهذا مسلم فانا نعرف ان الله تعالى لو اراد اغوآء قوم لم ينفعهم نصح الناصحين لكن لم تقولوا انتم ماقلتم انه تعالى اراد هذا الاغواء وليس النزاع الا فيه ﴿قوله اذا بشم فهلك﴾ البشم التخمة يقال بشم الفصيل من كثرة شرب اللبن ﴿قوله تعالى ام يقولون افتراه﴾ الظاهر ان ام فيه منقطعة اضرب الله تعالى عن حكاية جواب نوح عليه الصلاة والسلام لقومه الى انكار ماقالوه في حقه صلى الله عليه وسلم من انه اختلق الوحي على ان الضمير المستتر في افتراه لنوح عليه الصلاة والسلام والبارز للوحي الذي بلغه اليهم وقال مقاتل الضمير المستتر فيه يرجع الى محمد صلى الله عليه وسلم ووقع هذا الكلام في قصة محمد صلى الله عليه وسلم على طريق الاضراب عن بيان قصة نوح عليه الصلاة والسلام الى انكار مايقوله اهل مكة في حق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى ام يقول اهل مكة افترى محمد القرآن فاختلقه من تلقاء نفسه قل يا محمد ان اختلقته فعلي جزآء جرمي وانا بريء مما تجرمون ثم رجع الى قصة نوح عليه الصلاة والسلام والجمهور على كسر همزة اجرامي وهو مصدر اجرم اي كسب ذنبا وقرئ في الشاذ اجرامي بفتحها وهو جمع جرم كقفل واقفال وقوله ان افتريته لايدل على انه كان شاكا بل هو قول يقال على وجه الانكار عند التبري من المقول وفي الكلام حذف مضاف اي فعلي وبال اجرامي وعقابه وفيه محذوف آخر فان المعنى ان كنت افتريته فعلي عقاب اجرامي وان كنت صادقا وكذبتموني فعليكم عقاب ذلك التكذيب وحذف بقية الكلام لدلالة قوله تعالى وانا بريء مما تجرمون عليها قال ابن عباس رضي الله عنهما بعث نوح عليه السلام بعد اربعين سنة ولبث يدعو قومه تسعمائة وخمسين سنة وقال مقاتل بعث وهو ابن مائة سنة وقيل بعث وهو ابن خمسين سنة وقيل وهو ابن مائتين وخمسين سنة ومكث يدعو قومه تسعمائة وخمسين سنة ﴿قوله على طريقة التمثيل﴾ لما كانت العين سببا لحفظ الشيء بناء على ان من عظمت عنايته بحفظ الشيء يجعله نصب عينه صح ان يعبر بها عن الحفظ مجازا وان يعبر بلفظ الاعين عن المبالغة في الحفظ والرعاية فمن قال عملته بعيني كان مراده بتحفظي واحتياطي اوكان مراده بنهاية ماقي وسعي من التحفظ لانه لايمكن حمل الكلام المذكور على ظاهره لان العين ليست من الآلات التي يستعان بها على مباشرة العمل فلايكون من قبيل قولك قطعته بالسكين حتى يتعين حمله على ظاهره لان السكين من الآلات التي يستعان بها على مباشرة العمل فتعين حمله على المعنى المجازي ولفظ العين وان كان مجازا عن الحفظ الا ان اضافته الى المتكلم حقيقة اذا كان المتكلم مركبا من الاعضاء والجوارح واما في حقه تعالى فانما تصح الاضافة على طريق التمثيل والتشبيه لكونه منزها عن الاعضاء والابعاض فيشبه بمن له اعين كثيرة وكان قوله باعيننا في معنى قوله محفوظا على انه حال من فاعل اصنع اي اصنعه محفوظا من ان يمنعك اعدآؤك من ذلك ومن ان تزيغ في صنعته عن الصواب بوحينا اليك كيف تصنعها وعده الله تعالى في عمله السفينة بامرين ان يحفظه من جميع مايمنعه عن اتمام ذلك العمل على وجه الصواب وان يوحي اليه كيفية عمل السفينة ﴿قوله وقيل المراد بالسخرية الاستجهال﴾ بطريق اطلاق اسم المسبب على السبب لان السخرية مسبب عن الجهل لما فيها من التعرض لسخط الله تعالى وعذابه فانتم اولى بالسخرية منا ﴿قوله او يحل عليه حلول الدين﴾ على ان الكلام من قبيل الاستعارة المكنية شبه العذاب الاخروي الذي قضى الله تعالى به في حقهم بالدين المؤجل الواجب الحلول واثبت له الحلول الذي هو من لوازمه ليكون تخييلا للتشبيه المضمر في النفس ﴿قوله او حتى هي التي يبتدأ بعدها الكلام﴾ دخلت على الجملة من الشرط والجزآء ومع كونها حرف ابتدآء لايلزم ان يكون مابعدها مبتدأ لان ذلك لايطرد وقد تقع بعدها جملة شرطية مستأنفة كما في هذه الآية وكونها حرف ابتدآء لاينافي

كون مابعدها غاية لما قبلها فان صنعة الفلك لما تمت جاء امر الله وفار التنور فكانت كلة حتى واقعة بين انتهاء صنعة الفلك وابتدآء مجيء امر الله وهو المراد من كونها للغاية وكان يصنعها الى ان جاء وقت الطوفان

﴿قوله والباقون اضافوا﴾ اى قرأ العامة باضافة كل الى زوجين على ان اثنين مفعول احمل ومن كل زوجين حال من المفعول لانه كان صفة للنكرة فلما قدم عليها انتصب حالا وعلى قرآءة حفص يكون زوجين واثنين صفة مؤكدة له كقوله تعالى لا تتخذوا الهين اثنين ومن كل على هذه القرآءة يجوز ان يتعلق باحمل وهو الظاهر وان يتعلق بمحذوف على انه حال من زوجين والزوج يطلق فى المشهور على كل واحد مماله ازدواج قال تعالى ومن كل شيء خلقنا زوجين ويقال للمرأة زوج قال تعالى وخلق منها زوجها يعنى المرأة وقال تعالى وانه خلق الزوجين الذكر والانثى فالواحد يقال له زوج قال تعالى ثمانية ازواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين والزوجان عبارة عن كل اثنين لايستغنى احدهما عن الآخر ويقال لكل واحد منهما زوج يقال زوج خف وزوج نعل روى ان نوحا عليه الصلاة والسلام قال يارب كيف احمل من كل زوجين اثنين فحشر الله اليه السباع والطير فجعل يضرب بيده فى كل جنس فيقع الذكر فى يده اليمنى والانثى فى يده اليسرى فيجعلهما فى السفينة قال الحسن لم يحمل نوح عليه السلام فى السفينة الا مايلد ويبيض واما مايتولد من التراب كالحشرات والبق والبعوض فلم يحمل منه شيأ وعن ابن عباس رضى الله عنهما كان فى سفينة نوح عليه الصلاة والسلام ثمانون رجلا احدهم جرهم يقال ان فى ناحية الموصل قرية يقال لها قرية الثمانين سميت بذلك لانهم لما خرجوا من السفينة بنوها فسميت بهم وقيل لم يكن فى السفينة الاثمانية نفر نوح وامرأته وثلاثة بنيه سام وحام ويافث ونساؤهم الثلاث التى هى لبنى نوح عليه السلام احد بنيه وهو سام ابو العرب وحام ابو السودان ويافث ابو الترك وكانت لنوح عليه السلام امرأتان احداهما كافرة وهى واعلة ام كنعان وهو ابنه الذى انعزل منه وكان من المغرقين واخرى مؤمنة وهى التى ذكرها الله تعالى بقوله وأهلك وفاعل قال فى قوله تعالى قال اركبوا فيها يجوز ان يكون لنوح عليه السلام ويجوز ان يكون ضمير البارى تعالى اى وقال الله تعالى لنوح عليه السلام ومن معه وضمير فيها للسفينة وهو متعلق باركبوا وعدّى بفى لتضمنه ادخلوا وصيروا فيها راكبين قيل انهم ركبوا السفينة يوم العاشر من شهر رجب وكان يوم الجمعة فاتت السفينة البيت فطافت اسبوعا فسارت بهم مائة وخمسين يوما واستقرّت بهم على الجودىّ شهرا وكان خروجهم من السفينة يوم عاشورآء من المحرّم

﴿قوله متصل باركبوا﴾ فيكون قوله تعالى اركبوا فيها وقوله بسم الله جملة واحدة ويكون بسم الله قيدا لاركبوا حالا من فاعله والباء فيه للملابسة تقديره اى مسمين الله وقت الاجرآء والارساء اومكانهما ويجوز ان يكون بسم الله محكيا بالقول المقدّر اى اركبوا قائلين بسم الله وقت الاجرآء والارساء اومكانهما فالمجرى والمرسى على التقديرين ظرفان منصوبان بما قدّر حالا كما صوّرناه ويجوز ارتفاعهما ببسم الله اى بما تعلق به الباء مما قدّر حالا على انهما فاعلان له اى اركبوا فيها كائنا بسم الله اجراؤها وارساؤها فيكون بسم الله مع متعلقه المقدّر حالا كما تقدّم ويكون المجموع جملة اخرى على ان يكون مجراها مبتدأ وبسم الله خبرا ومتعلق به والخبر محذوف ويدل عليه انه ذكر هذا الوجه فى ذيل قوله متصل باركبوا اى ويجوز ان يكون بسم الله مجراها جملة اخرى على ان يكون مجراها مبتدأ وبسم الله خبر اومتعلق به وخبر المبتدأ محذوف وعلى تقدير ان يكون جملتين يحتمل ان تكون الجملة الثانية مقتضبة مرتجلة منقطعة عما قبلها لاختلافهما خبرا وطلبا حيث امرهم فى الجملة الاولى بالركوب ثم اخبران مجراها ومرساها بسم الله فان الاقتضاب عرفا الخروج من كلام الى آخر لاعلاقة بينهما ويقابله التخلص وهو الخروج برابطة مناسبة ولامناسبة بين الامر بالركوب وبين الاخبار بان مجرى السفينة ومرساها بذكر اسم الله للانشائية والخبرية ويحتمل ان تكون الثانية حالا من واو اركبوا اومن الضمير المجرور فى قوله فيها وههنا بحث من وجهين الاوّل ان هذه الجملة كيف تكون حالا من الواو مع انه قد تقرّر ان الحال ان كانت جملة فلابدّ فيها من عائد يرجع الى ذى الحال ولا عائد فيها الى ضمير اركبوا لان المضمر فى بسم الله ان جعلته خبرا لمجراها فانما يعود على المبتدأ الذى هو مجراها والثانى ان المصنف كيف قطع بكون هذه الجملة حالا مقدرة مع ان مضمونها مقارن لملابسة العامل فى ذى الحال حقيقة لان المعنى اركبوا بسم الله اجرآؤها ولاشك ان نفس مضمونها واقع حال ركوبهم لامقدّر عنده فلا تكون مقدّرة اللهم الا ان تجعل الجملة فى تأويل اجرآؤها بسم الله فان اجرآءها لم يكن عند

(قلنا احمل فيها) فى السفينة (من كلّ) من كل نوع من الحيوانات المنتفع بها (زوجين اثنين) ذكرا وانثى هذا على قرآءة حفص والباقون اضافوا على معنى احمل اثنين من كل زوجين اى من كل صنف ذكر وصنف انثى (واهلك) عطف على زوجين او اثنين والمراد امرأته وبنوه ونساؤهم (الا من سبق عليه القول) بأنه من المغرقين يريد ابنه كنعان وامه واعلة فانهما كانا كافرين (ومن آمن) والمؤمنين من غيرهم (وما آمن معه الا قليل) قيل كانوا تسعة وسبعين زوجته المسلمة وبنوه الثلاثة سام وحام ويافث ونساؤهم واثنان وسبعون رجلا وامرأة من غيرهم روى انه عليه الصلاة والسلام اتخذ السفينة فى سنتين من الساج وكان طولها ثلثمائة ذراع وعرضها خمسون وسمكها ثلاثون وجعل لها ثلاثة بطون فحمل فى اسفلها الدوابّ والوحش وفى اوسطها الانس وفى اعلاها الطير (وقال اركبوا فيها) اى صيروا فيها وجعل ذلك ركوبا لأنها فى الماء كالمركوب فى الارض (بسم الله مجراها ومرساها) متصل باركبوا حال من الواو اى اركبوا فيها مسمين الله او قائلين بسم الله وقت اجرآئها وارسائها اومكانهما على ان المجرى والمرسى للوقت اوالمكان اوالمصدر والمضاف محذوف كقولهم آتيك خفوق النجم واتصالهما بما قدّرناه حالا

الركوب حقيقة بل هو مقدّر عنده كما تقول اركب الفرس سائرًا باسم الله والاحوال اربع موطئة ومقدّرة ومؤكدة ومنتقلة لان الحال مايبين هيئة الفاعل او المفعول فاما ان تكون مبينة للهيئة بالذات او بالغير فان كانت مبينة للهيئة بالغير فهى الحال الموطئة لانها لاتبين الهيئة بذاتها بل بتابعها من الصفة فان الحال الموطئة اسم جامد موصوف بصفة هى الحال فى الحقيقة كقرءآنا فى قوله تعالى انا انزلناه قرءآنا عربيا وان كانت مبينة فى الاستقبال فهى الحال المقدّرة وان كانت فى الحال فاما ان تكون لازمة لذى الحال او مفارقة والاولى مؤكدة والثانية منتقلة ﴿قوله ويجوز ان يكون الاسم مقحما﴾ والمعنى بالله اى بقدرته وامره اجرآؤها وارساؤها وتمام البيت

* فقوما وقولا بالذى قد عرفتما * ولاتخمشا وجها ولاتحلقا الشعر *
* الى الحول ثم اسم السلام عليكما * ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر *

قاله لبيد بن ربيعة العامرى يوصى ابنتيه حين حضرته الوفاة بالبكاء والندبة عليه وقرئ مرساها بفتح الميم الا ان القرآء السبعة اتفقوا على ضم ميم مرساها فالضم فيهما مبنى على انهما من اجرى وارسى والفتح على انهما من جرى ورسا ﴿قوله صفتين لله﴾ فيه ان اضافة اسم الفاعل الى معموله لفظية لاتفيده تعريف فكيف جاز وقوعه صفة للمعرفة والظاهر انهما بدلان من اسم الله اولم يرد بالصفة النعت النحوى بل مايكون مفهومه معنى قائما بالغير ﴿قوله اى لولا مغفرته لفرطاتكم﴾ يريد ان قوله تعالى ان ربى لغفور رحيم جملة مستأنفة جيء بها بيانا لموجب الامر السابق ولايصح ان تكون علة لاركبوا لعدم المناسبة فيقدّر مايصح به الكلام بان يقال امتثلوا ماامرتم به لينجيكم الله تعالى بمغفرته ورحمته او يقال اركبوا فيها ذاكرين الله تعالى ولاتخافوا الغرق بسبب مافرط منكم من التقصير لان الله غفور رحيم وفيه ان انجاءهم لا للاستحقاق منهم بسبب انهم كانوا مؤمنين بل هو محض رحمة الله وغفرانه كما عليه اهل السنة ﴿قوله متصل بمحذوف﴾ يعنى ان قوله تعالى وهى تجرى بهم فى موج كالجبال حال من شيء محذوف تضمنه جملة دل عليها سياق الكلام كانه قيل فركبوا فيها يقولون بسم الله وهى تجرى بهم وقوله فيها اشارة الى ان قوله تعالى بهم متعلق بمحذوف هو حال من فاعل تجرى اى تجرى ملتبسة بهم كقوله * تدوس بنا الجماجم والترآئب * اى تدوس خيولنا ملتبسة بنا ونحن راكبون عليها جماجم القتلى وترآئبهم ولو جعل الباء للتعدية لم يحتج الى هذا التأويل ﴿قوله وماقيل من ان الماء طبق﴾ اى ملأ مابين السماء والارض جواب عما يقال اذا ملأ الماء مابين السماء والارض لم يتصوّر الموج فيه فما معنى جريها فى الموج * واجاب عنه اوّلا بان الرواية ليست بثابتة وثانيا بان جريانها فى الموج كان فى زمان عدم التطبيق وجريانها فى جوف الماء قرأ الجمهور ونوح ابنه بكسر تنوين نوح لالتقاء الساكنين وقرئ بضمه اتباعا لحركة الاعراب وقرأ العامة ابنه بوصل هاء الضمير بواو وهى اللغة الفصيحة الفاشية وقرأ ابن عباس رضى الله عنهما بسكون الهاء قيل انه لغة وقرأ علىّ رضى الله عنه ابنها باضافة ابن الى امرأة نوح عليه الصلاة والسلام وكانه اعتبر قوله تعالى انه ليس من اهلك وقوله عليه الصلاة والسلام ان ابنى من اهلى لايدل على بنوّته له وانما يدل عليها لو قال منى وقرأ ابنه بفتح النون والهاء وحذف الالف اكتفاء عنها بالفتحة كما تحذف الياء اكتفاء بالكسرة وقرئ ابناه بالالف وهاء السكت على صيغة الندبة وهى ان كانت عبارة عن التفجع والتحزن للميت الا انه لما رأى ابنه مشرفا على الغرق والهلاك ناداه بصيغة الندبة على وجه الرأفة والترحم * ولما ورد ان يقال كيف تحكم بانه على صيغة الندبة والقوم قد نصوا على انه لايجوز حذف حرف الندآء من المندوب * اجاب عنه بانه حكاية ندبته عليه الصلاة والسلام وليست ندبة فى نفسها فلهذا سوّغ حذف حرف الندآء ﴿قوله تعالى وكان فى معزل﴾ فى محل النصب على انه حال من ابنه والحال يأتى من المنادى لانه مفعول به والمعزل بكسر الزاى اسم لمكان العزل وهو الابعاد اى وكان بمكان عزل فيه نفسه عن ابيه بناء على ظنه ان الجبل يعصمه من الغرق واختلف فى انه هل كان ابناله حقيقة او ربيبه فقيل انه ابنه فى الحقيقة لانه تعالى نصّ عليه بقوله سبحانه وتعالى ونادى نوح ابنه ونوح ايضا نصّ عليه وقال يابنىّ وصرف هذا اللفظ الى انه كان ربيبه فاطلق عليه هذا الاسم لهذا السبب صرف الكلام من حقيقته الى مجازه من غير ضرورة فانه لايجوز ومنهم من خالف هذا الظاهر استبعادا لان يكون ولد المعصوم كافرا وليس ببعيد لانه قد ثبت ان والدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ووالدى ابراهيم عليه الصلاة

ويجوز رفعهما بسم الله على ان المراد بهما المصدر او جملة من مبتدأ وخبر اى اجرآؤها بسم الله على ان بسم الله خبر او صلة والخبر محذوف وهى اما جملة مقتضبة لاتعلق لها بما قبلها او حال مقدّرة من الواو او الهاء وروى انه كان اذا اراد ان تجرى قال بسم الله فجرت واذا اراد ان ترسو قال بسم الله فرست ويجوز ان يكون الاسم مقحما كقوله * ثم اسم السلام عليكما * وقرأ حمزة والكسائى وعاصم برواية حفص مجراها بالفتح من جرى وقرئ مرساها ايضا من رسا وكلاهما يحتمل الثلاثة ومجريها ومرسيها بلفظ الفاعل صفتين لله (ان ربى لغفور رحيم) اى لولا مغفرته لفرطاتكم ورحمته اياكم لما انجاكم (وهى تجرى بهم) متصل بمحذوف دل عليه اركبوا اى فركبوا مسمين وهى تجرى وهم فيها (فى موج كالجبال) فى موج من الطوفان وهو ما يرتفع من الماء عند اضطرابه كل موجة منها كجبل فى تراكمها وارتفاعها وماقيل من ان الماء طبق مابين السماء والارض وكانت السفينة تجرى فى جوفه ليس بثابت والمشهور انه علا شوامخ الجبال خمسة عشر ذراعا وان صح فلعل ذلك قبل التطبيق (ونادى نوح ابنه) كنعان وقرأ علىّ ابنها وابنه بحذف الالف على ان الضمير لامرأته وكان ربيبه وقيل كان لغير رشدة لقوله فخانتاهما وهو خطأ اذ الانبياء عصمت من ذلك والمراد بالخيانة الخيانة فى الدين وقرئ ابناه على الندبة ولكونها حكاية سوّغ حذف الحرف (وكان فى معزل) عزل فيه نفسه عن ابيه او عن دينه مفعل للمكان من عزله عنه اذا ابعده

والسلام كانوا كافرين فكيف يبعد ان يكون الولد ايضا كافرا * فان قيل انه صلى الله عليه وسلم لما قال رب لاتذر على الارض من الكافرين كيف احبّ نجاته مع كفره * اجيب عنه بوجوه الاوّل انه كان ينافق اباه فظن نوح عليه الصلاة والسلام انه مؤمن فلذلك ناداه ولولا ذلك لما احب نجاته والثانى انه عليه الصلاة والسلام كان يعلم انه كافر لكن ظن انه لما شاهد الغرق والاهوال العظيمة جاز ان يقبل الايمان فصار قوله يابنىّ اركب معنا بمنزلة ان يقول يا بنىّ آمن بالله ونعوت جماله وجلاله ولاتكن مع الكافرين فى الكفر واركب مع المؤمنين والثالث ان شفقة الابوّة لعلها حملته على ذلك النداء او الذى تقدّم من قوله الا من سبق عليه القول كالمجمل فلعله جوّز ان لايكون داخلا فيه وقيل كان ابن امرأته ويدل عليه قرآءة ابنها وهو قول محمد بن علىّ الباقر وقول الحسن البصرى قال قتادة سألت الحسن عنه فقال والله ما كان ابنه فقلت ان الله حكى عنه انه قال ان ابنى من اهلى وانت تقول ما كان ابناله فقال لم يقل منى ولكن قال من اهلى وهذا يدل على قوله وقيل انه ولد على فراشه لغير رشدة احتجاجا بقوله تعالى فى امرأة نوح وامرأة لوط عليهما السلام فخانتاهما وهذا قول خبيث لان منصب الانبياء عليهم الصلاة والسلام يجب ان يكون مصونا من مثل هذه الفضيحة ولاسيما وهو خلاف نصّ القرآن واما قوله تعالى فخانتاهما فليست خيانتهما بما ذكر من النسب بل المراد من الخيانة الخيانة فى الدين حيث سلكتا سبيل النفاق وقيل لابن عباس رضى الله عنهما ما كانت تلك الخيانة فقال كانت امرأة نوح تقول زوجى مجنون وامرأة لوط تدل الناس على ضيفه اذا نزلوا به ﴿قوله والجمهور كسروا الياء﴾ قرأ حفص عن عاصم يابنىّ بفتح الياء فى جميع القرآن والباقون بالكسر ووجه من كسر الياء ان تكون الكسرة دليلا على ياء الاضافة المحذوفة فان اصل ابن على ما اختاره الجوهرى بنو فحذفت واوه وعوّضت عنها همزة الوصل فلما صغر عادت الواو فصار بنيو فاجتمعت الواو والياء وسبقت احداهما بالسكون فقلبت الواو ياء وادغمت الياء فى الياء فصار بنى ثم اضيف الى ياء المتكلم ونودى فصار يابنىّ وقد تقرّر فى النحو ان الاسم المنادى المضاف الى ياء المتكلم فيه لغات منها سكون ياء الاضافة مع كسر ماقبلها نحو يا غلامى ومنها فتح ياء الاضافة مع كسر ما قبلها لان ياء الاضافة اسم والاصل فى الاسماء الاعراب والاصل فى الاعراب الحركة فكان المناسب ان تبنى منه الياء على الحركة واختير الفتح للخفة وهذان الوجهان اعنى الفتح والسكون مطردان فى النداء ايضا نحو يا غلامى ومنها ان تحذف ياء الاضافة للتخفيف وتجعل كسرة ماقبلها دليلا نحو ياغلام ومنها ان تقلب الياء الفا للتخفيف ايضا فان الالف والفتحة اخف من الياء والكسرة نحو ياغلاما وهذان الوجهان لايكونان الا اذا كان الاسم المضاف منادى وقد جاء شاذا فى المنادى ايضا حذف الالف المبدلة من الياء اكتفاء بالفتحة نحو يا غلام ويا اب فظهر من هذا التفصيل ان من قرأ يا بنىّ بكسر الياء جعله من قبيل ياغلام فى حذف ياء الاضافة اكتفاء بالكسرة ومن قرأ يا بنىّ بفتح الياء جعله من قبيل ياغلام فى حذف الالف المبدلة من الياء اكتفاء بالفتحة وهذا الحذف ليس شاذا فيه كما شذ فى نحو ياغلام لما فى هذه الكلمة من الثقل الحاصل باجتماع ثلاث ياآت الاولى ياء التصغير والثانية الياء المبدلة من لام الكلمة والثالثة ياء الاضافة * واعلم ان مجموع ماوقع فى القرآن من لفظ بنىّ ستة الفاظ واحد منها فى سورة هود وهو يابنىّ اركب وثانيها فى سورة يوسف وهو يابنىّ لاتقصص رؤياك وثلاثة منها فى سورة لقمان احدها قوله يابنىّ لاتشرك وثانيها قوله تعالى يابنىّ انها ان تك مثقال حبة من خردل وثالثها قوله تعالى يابنىّ اقم الصلاة وسادسها فى الصافات وهو قوله تعالى يابنىّ انى ارى فى المنام فالجمهور كسروا ياء بنىّ فى الجميع غير ابن كثير فانه وقف عليها فى اوّل ما فى لقمان اى قرأها بياء ساكنة فقال يابنىّ لاتشرك بالله باتفاق الرواة عنه وكذا فى ثالث ما فى لقمان فى رواية قنبل فقال يابنىّ اقم الصلاة بان حذف ياء الاضافة لكثرة حذفها فى باب النداء ثم استثقل الياء المشدّدة فى المكسورة فحذفها وابقى الياء الاولى وهى ياء التصغير ساكنة فنهم من جمع بين اللغات مع اتباع الاثر ومنهم من اختار بعضها مع الاتباع المذكور ﴿قوله وعاصم﴾ بالجرّ عطفا على ابن كثير وقرئ بادغام باء اركب فى ميم معنا وقرآءة حفص بالادغام ﴿قوله وقيل لاعاصم بمعنى لاذا عصمة﴾ على ان يكون بناء عاصم بناء النسبة فيكون بمعنى المعصوم ويكون من رحم بمعنى المرحوم ويكون الاستثناء متصلا لان المرحوم من جنس المعصوم كما انه متصل على الوجهين الاوّلين وهما ان يكون المعنى لاعاصم الا الراحم ولاعاصم الامكان المرحومين بتقدير لان الراحم من جنس العاصم وكذا مكان المرحومين واما اذا كان المعنى لاعاصم

(الاالمرحوم)

(يا بنىّ اركب معنا) فى السفينة والجمهور كسروا الياء ليدل على ياء الاضافة المحذوفة فى جميع القرآن غير ابن كثير فانه وقف عليها فى لقمان فى الموضع الاوّل باتفاق الرواة وفى الثالث فى رواية قنبل وعاصم فانه فتح ههنا اقتصارا على الفتح من الالف المبدلة من ياء الاضافة واختلفت الرواية عنه فى سائر المواضع وقد ادغم الباء فى الميم ابو عمرو والكسائى وحفص لتقاربهما (ولاتكن مع الكافرين) فى الدين والانعزال (قال سآوى الى جبل يعصمنى من الماء) ان يغرقنى (قال لاعاصم اليوم من امر الله الا من رحم) الا الراحم وهو الله تعالى او الامكان من رحمهم الله وهم المؤمنون وردّ بذلك ان يكون اليوم معتصم من جبل ونحوه يعصم اللائذ به الامعتصم المؤمنين وهو السفينة وقيل لاعاصم بمعنى لاذا عصمة كقوله تعالى فى عيشة راضية وقيل الاستثناء منقطع اى لكن من رحمه الله يعصمه (وحال بينهما الموج) بين نوح وابنه او بين ابنه والجبل (فكان من المغرقين) فصار من المهلكين بالماء

الا المرحوم فحينئذ يكون الاستثناء منقطعا ويكون المعنى لاعاصم اليوم لكن من رحمه الله يعصمه ذكر صاحب الانتصاف ان الاحتمالات الممكنة اربعة لاعاصم الا راحم ولا معصوم الا مرحوم ولا عاصم الا مرحوم ولا معصوم الا راحم فالاولان استثناء من الجنس والاخيران من غير الجنس وزاد الزمخشري احتمالا خامسا وهو لاعاصم الا مرحوم على انه من الجنس بتأويل حذف مضاف تقديره لامكان عاصم الامكان مرحوم والمراد بالنفي التعريض بعصمة السفينة والكل جائز وبعضها اقرب من بعضها ﴿ قوله نوديا بما ينادى به اولوا العلم ﴾ حيث نوديا باسم حقيقتهما وهو ياارض وياسماء فطلب به اقبالهما تشبيها لهما بالعقلاء المميزين المأمورين الذين لايتأتى منهم العصيان لكمال هيبة الآمر وادخالهما في جنس هؤلاء المأمورين على جهة الاستعارة المكنية وجعل النداء قرينتها على سبيل الاستعارة التخييلية وجعل القلع والبلع ترشيحا للاستعارة لان كل واحد منهما امر ملائم للمستعار منه اما القلع فظاهر واما البلع فلانه ادخال الطعام في الحلق بعمل الجارحة والمراد بالبلع ههنا ان تنشف الارض ماءها اى تشربه فهو استعارة لغور الماء في الارض يقال نشف الثوب العرق بكسر الشين اى شربه والفعل من باب علم واما الاقلاع فهو مشترك بين الحيوانات والجمادات يقال اقلع الرجل من عمله اذا كف واقلعت السماء بعد مامطرت اذا امسكت فليس تجريدا ولا ترشيحا ﴿ قوله وغيض الماء نقص ﴾ يعنى ان الغيض النقصان يقال غاض الماء يغيض غيضا اى قل ونقص وغيض الماء اى فعل به ذلك وغاضه الله تعالى فيتعدى ولايتعدى واغاضه الله تعالى ايضا ومن المتعدى هذه الآية لان الفعل لايبنى للمفعول بغير واسطة حرف الجر الا اذا كان متعديا بنفسه ﴿ قوله وانجز ماوعد ﴾ يعنى ان القضاء بمعنى الفراغ كانه قيل تم امرهم وفرغ من اهلاكهم وفي الصحاح وقد يكون القضاء بمعنى الفراغ يقال قضيت حاجتى وضربه فقضى عليه اى قتله كانه فرغ منه وسم قاض اى قاتل ﴿ قوله هلاكا لهم ﴾ يعنى ان البعد ههنا مصدر بعد بكسر العين اذا صار بعيدا بحيث لايرجى عوده وفي الصحاح البعد ضد القرب وقد بعد بالضم وهو بعيد والبعد بالتحريك جمع باعد مثل خادم وخدم والبعد ايضا الهلاك تقول منه بعد بالكسر فهو باعد وبعدا في الآية منصوب على انه مصدر لفعله المقدر اى وقيل بعدوا بعدا والمعنى الدعاء عليهم بذلك واللام متعلق بفعل محذوف على سبيل البيان كما في نحو سقيا لك وهيت لك وهو المتبادر من تعبير المصنف ويحتمل ان يتعلق بقوله قيل اى قيل لاجلهم هذا القول ﴿ قوله وايراد الاخبار ﴾ وهى قوله وغيض الماء وقضى وقيل على البناء للمفعول للدلالة على غاية العظمة والجلال بحيث اذا ذكرت هذه الافعال مسندة الى المفعول لاينصرف الفعل الا اليه ﴿ قوله واراد نداءه ﴾ اى قدر الارادة لان نداءه هو قوله رب فيلزم عطف الشئ على نفسه لولا تقدير الارادة ولو قيل قوله ونادى نوح ربه مجمل ومابعده تفصيل له وحق التفصيل ان يكون عقيب ذكر الاجمال لكان له وجه ﴿ قوله فما حاله او فما له لم ينج ﴾ فيكون النداء بعد غرق ابنه طلبا للحكمة في عدم نجاته مع انه تعالى قد وعده بان ينجى اهله ويجوز ان يكون هذا قبل غرقه والمقصود من النداء طلب نجاته واختار المصنف ان يكون هذا النداء بعد الغرق لما سبق من انه صلى الله عليه وسلم نادى ابنه قائلا يابنى اركب معنا وانه امتنع من الركوب معهم فحال بينهما الموج فكان من المغرقين ثم ذكر بعده نجاة المؤمنين باستواء السفينة ثم ذكر بعده هذه الآية فهذا الترتيب يدل على ان نداء ربه في حق ابنه وقع بعد غرق الابن ولانه قد مر انه تعالى قد نهاه عن المخاطبة في الذين ظلموا وهو يستلزم ان يكون هذا النداء بعد غرق الابن لان كونه قبل الغرق يتضمن سؤال النجاة لابنه مع انه قد نهى عنه وارتكاب المنهى عنه معصية فلا يجوز في حق الانبياء عليهم الصلاة والسلام * فان قيل فكيف يجوز المصنف نداء الرب قبل غرق الابن وقبل ان يطلب منه ان يركب مع المؤمنين مع انه يتضمن استدفاع العذاب عن ابنه الظالم * فالجواب ان المنهى عنه هو المخاطبة باستدفاع العذاب عمن علم انه من الظالمين وهو عليه الصلاة والسلام سأل النجاة في حق ابنه وهو غير عالم بكفره فان استثناء من سبق عليه القول انما يدل على ان في اهله من هو غير ناج ولايدل على انه ابنه * فان قيل هب انه لايعلم كفره حال نداء ربه فقد علم به بعد ذلك بقوله تعالى انه ليس من اهلك الآية فكيف جاز له ان ينادى ابنه بعد ذلك قائلا له يابنى اركب معنا طلبا لنجاته مع علمه بحاله فالجواب انه عليه الصلاة والسلام امره بالركوب بناء على ظن ان الابن لما شاهد سبب الغرق والاهوال العظيمة جاز له ان يعرض عن الكفر ويقبل الايمان فصار امره بالركوب في الحقيقة امرا له بالايمان ومجانبة الكفار والاشتراك

(وقيل ياارض ابلعى ماءك وياسماء اقلعى) نوديا بما ينادى به اولوا العلم وامرا بما يؤمرون تمثيلا لكمال قدرته وانقيادهما لما يشاء تكوينه فيهما بالآمر المطاع الذي يأمر المنقاد لحكمه المبادر الى امتثال امره مهابة من عظمته وخشية من اليم عقابه والبلع النشف والاقلاع الامساك (وغيض الماء) نقص (وقضى الامر) وانجز ماوعد من اهلاك الكافرين وانجاء المؤمنين (واستوت) واستقرت السفينة (على الجودى) جبل بالموصل وقيل بالشأم وقيل بآمل روى انه ركب السفينة عاشر رجب ونزل عنها عاشر المحرم فصام ذلك اليوم وصار ذلك سنة (وقيل بعدا للقوم الظالمين) هلاكا لهم يقال بعد بعدا وبعدا اذا بعد بعدا بعيدا بحيث لا يرجى عوده ثم استعير للهلاك وخص بدعاء السوء والآية في غاية الفصاحة لفخامة لفظها وحسن نظمها والدلالة على كنه الحال مع الايجاز الخالى عن الاخلال وايراد الاخبار على البناء للمفعول للدلالة على تعظيم الفاعل وانه متعين في نفسه مستغنى عن ذكره اذ لايذهب الوهم الى غيره للعلم بان مثل هذه الافعال لايقدر عليه سوى الواحد القهار (ونادى نوح ربه) واراد نداءه بدليل عطف قوله (فقال رب ان ابنى من اهلى) فانه النداء (وان وعدك الحق) وان كل وعد تعده حق لا يتطرق اليه الخلف وقد وعدت ان تنجى اهلى فما حاله او فما له لم ينج ويجوز ان يكون هذا النداء قبل غرقه

معهم في الكفر والضلال والنجاة مع المؤمنين بدخوله محل النجاة مع ان هذا السؤال يرد عليه على تقدير ان يكون نداء الابن مقدما على نداء الرب بعد الغرق بان يقال كيف طلب بالنداء ابنه الكافر ان يركب مع المؤمنين وينجو من عذاب الكافرين والحاصل ان امة نوح عليه الصلاة والسلام كانوا ثلاثة اقسام كافر يظهر كفره ومؤمن يعلم ايمانه ومنافق مستور حاله وقد كان حكم المؤمنين النجاة وحكم الكافرين هو الغرق وكان ذلك معلوما واما اهل النفاق فبقى حكمه مخفيا وكان ابن نوح منهم وكان يجوز فيه كونه مؤمنا وكانت الشفقة المفرطة التي تكون للاب في حق الابن تحمله على حمل حال ابنه وافعاله لا على كونه كافرا بل على الوجوه الصحيحة فلما رآه بمعزل عن القوم طلب منه ركوب السفينة فقال سآوى الى جبل يعصمني من الماء وذلك لا يدل على كفره لجواز ان يكون امتناعه من الدخول لكراهته الاحتباس في السفينة وظنه ان الصعود على الجبال يجري مجرى الركوب في السفينة وانه يصون من الغرق ايضا وقول نوح عليه الصلاة والسلام لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم لا يدل على انه عليه السلام علم من ابنه انه كان كافرا لجواز ان يكون مراده ان يقرر عند ابنه انه لا ينفعه الا الايمان والعمل الصالح وقصد هذه الحالة لانه قد بقى في قلبه ظن ان ذلك الابن مؤمن فنادى ربه طالبا منه ان يخلصه بطريق من الطرق اما بان يمكنه من الدخول في السفينة واما بان يحفظه على قلة جبل فعند ذلك اخبر الله تعالى بانه منافق وانه ليس من اهل دينه فالزلة الصادرة من نوح عليه الصلاة والسلام هي عدم استقصائه في تعرف ما يدل على نفاق ابنه وكفره ﴿قوله لانك اعلمهم واعدلهم﴾ علة لكونه تعالى احكم الحاكمين في الحكم وفي الكشاف وانت احكم الحاكمين اى اعلم الحكام واعدلهم لانه لا فضل لحاكم على غيره الا بالعلم والعدل ويجوز ان يكون من الحكمة على انه يبنى من الحكمة حاكم بمعنى النسبة كما قيل دارع من الدرع ﴿قوله فجعل ذاته ذات العمل للمبالغة﴾ في مداومته على العمل الفاسد فان الرجل اذا كثر عمله وكرمه يقال انه عمل وكرم قالت الخنساء اخت صخر تصف ناقة فقدت ولدها بنحر او موت او ندّ

* ترعى اذا غفلت حتى اذا ادّكرت * فانما هي اقبال وادبار *

كانها نفس الاقبال والادبار ﴿قوله ثم بدّل الفاسد بغير الصالح﴾ جواب عما يقال ان اثبات الفساد للعمل ونفي الصلاح عنه متلازمان فلم اوثر الثاني على الاول مع انه اخصر * والجواب ان الصلاح صفة اهل نوح وكما نفى عنه كونه من اهل نوح نفى عنه صفتهم ايضا حتى اذا علم ان عدم صفتهم كان سببا لهلاكه علم منه صريحا ان صفتهم هي التي كانت سبب نجاتهم لا كونهم من اهل نوح وعبارة الفساد وان دلت على هذا المعنى ضمنا الا ان التصريح بالمقصود اولى واقرب الى الفهم ﴿قوله وقرأ الكسائي ويعقوب انه عمل﴾ على صيغة الفعل الماضي وغير منصوب على انه نعت لمصدر محذوف والمعنى ان ابنك عمل عملا غير صالح اشرك وكذب والباقون قرأوا عمل بفتح الميم وتنوين الكلمة ورفعها على انها اسم وقع خبر ان وغير بالرفع على انه صفة للمرفوع ﴿قوله قددله على الحال﴾ وهي ان ابنه ممن سبق عليه القول واستوجب العذاب فانه تعالى لما قدّم الوعد بانجاء اهله مع استثناء من سبق عليه القول كان عليه السلام يعتقد ان في جملة اهله من هو مستوجب للعذاب لكونه غير صالح وان كلهم ليسوا بصالحين وهذه لامحالة شبهة حين شارف ولده الغرق في انه من المستثنى منهم فلذلك عوتب عليه بان اشتبه عليه ما يجب ان لا يشتبه عليه وجعل سؤال ما لا يعرف كنهه جهلا وغباوة ووعظ ان لا يعود اليه والى امثاله من افعال الجاهلين ﴿قوله وقرأ ابن كثير﴾ فلا تسألن بفتح اللام وتشديد النون المفتوحة فلم يجعل الفعل متصلا بياء المتكلم بل اكده بنون التأكيد الثقيلة وقرأ نافع برواية قالون وابن عامر فلا تسألن بفتح اللام وتشديد النون المكسورة من غير اثبات الياء بعدها وفي رواية ورش عن نافع فلا تسألني باثبات الياء بعد النون المشدّدة حال الوصل والباقون باسكان اللام وكسر النون وتخفيفها باثبات الياء وصلا لابي عمرو وبدون الياء في الحالتين للكوفيين فمن خفف النون جعلها نون الوقاية وحدها ومن شدّدها جعلها نون التأكيد ثم انه تعالى لما قال فلا تسألن ما ليس لك به علم قال عليه الصلاة والسلام قبلت يارب هذا التكليف ولا اعود اليه الا انى لا اقدر على الاحتراز منه الا باعانتك وهدايتك فلهذا بدأ اولا بقوله انى اعوذبك ان اسألك فيما يستقبل ما ليس لى به علم وان اعود الى مثله ابدا ثم اشتغل بالاعتذار عما مضى فقال والا تغفرلى وترحمنى اكن من الخاسرين وحقيقة التوبة تقتضي امرين احدهما العزم على ترك الفعل في المستقبل واليه اشار بقوله اعوذبك ان اسألك ما ليس لى به علم والآخر الندم والاستغفار

(وانت احكم الحاكمين) لانك اعلمهم واعدلهم اولانك اكثر حكمة من ذوى الحكم على ان الحاكم من الحكمة كالدارع من الدرع (قال يانوح انه ليس من اهلك) لقطع الولاية بين المؤمن والكافر واشار اليه بقوله (انه عمل غير صالح) فانه تعليل لنفى كونه من اهله واصله انه ذو عمل فاسد فجعل ذاته ذات العمل للمبالغة كقول الخنساء تصف ناقة ترتع * ترعى اذا غفلت حتى اذا ادّكرت * فانما هي اقبال وادبار * ثم بدّل الفاسد بغير الصالح تصريحا بالمناقضة بين وصفيهما وانتفاء ما اوجب النجاة لمن نجا من اهله عنه وقرأ الكسائي ويعقوب انه عمل اى عمل عملا غير صالح (فلا تسألن ما ليس لك به علم) ما لم تعلم أصواب هو ام ليس بصواب وانما سمى نداءه سؤالا لتضمن ذكر الموعد بنجاة اهله استنجازه في شأن ولده او استفسار المانع للانجاز في حقه وانما سماه جهلا وزجر عنه بقوله (انى اعظك ان تكون من الجاهلين) لان استثناء من سبق عليه القول من اهله قد دله على الحال واغناه عن السؤال لكن اشغله حب الولد عنه حتى اشتبه عليه الامر وقرأ ابن كثير بفتح اللام والنون الشديدة وكذلك نافع وابن عامر غير انهما كسرا النون على ان اصله تسئلنى فحذفت نون الوقاية لاجتماع النونات وكسرت الشديدة للياء ثم حذفت اكتفاء بالكسرة وعن نافع اثباتها في الوصل (قال رب انى اعوذبك ان اسألك) فيما يستقبل (ما ليس لى به علم) مالا علم لى بصحته (والا تغفرلى) وان لم تغفر لى ما فرط منى من السؤال (وترحمنى) بالتوبة والتفضل علىّ (اكن من الخاسرين) اعمالا

للمضى واليه الاشارة بقوله والاتغفرلى الآية ﴿قوله انزل من السفينة مسلما من المكاره﴾ اشارة الى ان قوله سلام حال من فاعل اهبط بمعنى انزل اى ملتبسا بسلام ومناصفة لسلام فيتعلق بمحذوف امره الله تعالى بان ينزل من السفينة ثم وعده عند الخروج بالسلامة اوّلا ثم بالبركة ثانيا ويحتمل ان يكون قوله اهبط امرا بان ينزل من جبل الجودىّ الذى استقرّت السفينة عليه الى الارض المستوية والبركات الخيرات النامية وهى عطف على قوله سلام فيكون مثله فى الاعراب وهو عليه السلام لما خرج من السفينة وعلم انه ليس فى الارض ماينتفع به من النبات والحيوان صار كالخائف فى انه كيف يعيش وكيف يدفع جميع الحاجات عن نفسه من المأكول والمشروب فلما قال الله تعالى اهبط بسلام منا زال ذلك الخوف لان ذلك يدل على حصول السلامة من الآفات ولايكون ذلك الا من سعة الرزق ثم انه تعالى لما وعده بالسلامة اردف بان وعده بالبركة لان موجبات السلامة والراحة والفراغة تكون فى النزاهة والنماء والثبات والاستقرار على ان البركة عبارة عن الدوام والبقاء والثبات ومنه بروك الابل ومنه البركة لثبوت الماء فيها ومنه تبارك الله اى ثبت تعظيمه وقيل المراد بالبركة الموعودة له عليه الصلاة والسلام كونه ابالمن جاء بعد من البشر الى يوم القيامة كما قال الله تعالى وجعلنا ذريته هم الباقين فانه روى انه عليه الصلاة والسلام لما خرج من السفينة مات من كان معه ممن لم يكن من ذريته ولم يحصل النسل الا من ذريته وصار عليه الصلاة والسلام آدم ثانيا وروى ايضا انه لم يكن فى سفينة نوح عليه الصلاة والسلام الا من كان من نسله وذريته وعلى التقديرين فالخلق كلهم انما يولدون منه ومن اولاده فهذا هو المراد من البركات التى وعده الله تعالى بها ﴿قوله وعلى امم هم الذين معك﴾ على ان تكون كلمة من فى قوله ممن معك لبيان الجنس فيراد بالامم الامم الذين كانوا فى السفينة لانهم كانوا جماعة متحزبين وايضا كانوا منشأ لمن تشعب منهم من الامم ﴿قوله اوعلى امم ناشئة ممن معك﴾ على ان تكون من لابتداء الغاية فالمراد بالامم الامم المؤمنون الى آخر الدهر ﴿قوله اى وممن معك امم سنمتعهم﴾ على ان امم مرفوع بالابتداء وسنمتعهم صفته والخبر محذوف لدلالة قوله ممن معك والمعنى ان السلام منا والبركات عليك وعلى امم مؤمنين ينشأون ممن معك وامم ممتعون بالدنيا منقلبون فى الآخرة الى النار فان نوحا عليه الصلاة والسلام كان اب الانبياء عليهم الصلاة والسلام والخلق الحادث بعد الطوفان نشأ منه ومن اولاده الذين كانوا معه فى السفينة ﴿قوله عطف على قوله نوحا﴾ كأنه قيل ولقد ارسلنا نوحا الى قومه وارسلنا الى عاد اخاهم * فان قيل عاد قبيلة من العرب وهود علم شخص معين والشخص الواحد كيف يكون اخا للقبيلة فالجواب ان الاخوة بمعنى انتساب شخص الى صلب واحد منهم كما يقال يا اخا تميم ويا اخا قريش لرجل منهم وهود عليه الصلاة والسلام وان لم يكن اخا لعاد فى الدارين الا انه كان واحدا من قبيلة عاد وهم قبيلة من العرب بناحية اليمن كما ان صالحا كان واحدا من قبيلة ثمود ﴿قوله ثم توسلوا اليها بالتوبة﴾ لما كانت المغفرة منوطة بالتوبة وكانت التوبة وسيلة اليها فسر المصنف قوله تعالى ثم توبوا اليه بقوله ثم توسلوا اليها بالتوبة ولزم منه ان تكون كلمة ثم للتراخى فى الاخبار فان هودا عليه الصلاة والسلام دعا قومه الى التوحيد ثم كلفهم ان يطلبوا من ربهم ان يغفر لهم ذنوبهم ثم بين الشئ الذى يتوسل به الى المغفرة وهو التوبة فقال ثم توبوا اليه فانه لاسبيل الى طلب المغفرة من الله تعالى الا باظهار التوبة لان المذنب معرض عن طريق الحق والمعرض المتمادى فى التباعد مالم يرجع عن ذلك الاعراض لايمكنه التوجه الى المطلوب فالمطلوب بالذات هو العفو والغفران والصفح والرضوان الا ان ذلك لايمكن الا بالرجوع عن المخالفة والعدوان فثبت ان المغفرة مطلوبة بالذات وان التوبة مطلوبة لكونها من مبادى المغفرة وما كان آخرا فى الحصول كان مقدما فى الطلب فلهذا السبب قدم ذكر الاستغفار على التوبة ثم بين مايتوقف عليه المطلوب ثم اشار المصنف الى ان كلمة ثم للاشارة الى ان التوبة والتبرى من عبادة غير الله تعالى متأخر بالذات والرتبة عن الايمان بالله والرغبة فيما عنده وقد اشار المصنف فى اوّل السورة الى وجه آخر وهو ان تكون ثم على اصل معناها بان تكون التوبة التى هى الرجوع عن الضلال مجازا عن التوصل الى المطلوب بطريق اطلاق اسم السبب على المسبب والوصول الى ما عند الله تعالى من الكرامة انما يكون بالاستغفار وقوله تعالى يرسل السماء مجزوم على انه جواب الامر والمعنى انكم متى فعلتم ذلك فالله تعالى يكثر النعم عليكم وعندكم ويقويكم على الانتفاع بها فان انتظام حال الانسان فى معاشه كما يتوقف على وصول نفس النعم والارزاق اليه يتوقف ايضا

(قيل يانوح اهبط بسلام منا) انزل من السفينة مسلما من المكاره من جهتنا او مسلما عليك (وبركات عليك) ومباركا عليك او زيادات فى نسلك حتى تصير آدم ثانيا وقرئ اهبط بالضم وبركة على التوحيد وهى الخير النامى (وعلى امم ممن معك) وعلى امم هم الذين معك سموا امما لتحزبهم او لتشعب الامم منهم او على امم ناشئة ممن معك والمراد بهم المؤمنون لقوله (وامم سنمتعهم) اى وممن معك امم سنمتعهم فى الدنيا (ثم يمسهم منا عذاب اليم) فى الآخرة والمراد بهم الكفار من ذرية من معه وقيل قوم هود وصالح ولوط وشعيب والعذاب ما نزل بهم (تلك) اشارة الى قصة نوح عليه السلام ومحلها الرفع بالابتداء وخبرها (من انباء الغيب) اى بعضها (نوحيها اليك) خبر ثان والضمير لها اى موحاة اليك او حال من الانباء او هو الخبر ومن انباء متعلق به او حال من الهاء (ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا) خبر آخر اى مجهولة عندك وعند قومك من قبل ايحائنا اليك او حال من الهاء فى نوحيها او الكاف فى اليك اى جاهلا انت وقومك بها وفى ذكرهم تنبيه على انه لم يتعلمها اذ لم يخالط غيرهم وانهم مع كثرتهم لم يسمعوها فكيف بواحد منهم (فاصبر) على مشاق الرسالة واذية القوم كما صبر نوح (ان العاقبة) فى الدنيا بالظفر وفى الآخرة بالفوز (للمتقين) عن الشرك والمعاصى (والى عاد اخاهم هودا) عطف على قوله نوحا الى قومه وهودا عطف بيان (قال ياقوم اعبدوا الله) وحده (مالكم من اله غيره) وقرئ بالجر حملا على المجرور وحده (ان انتم الا مفترون) على الله باتخاذ الاوثان شركاء وجعلها شفعاء (ياقوم لا اسألكم عليه اجرا ان اجرى الا على الذى فطرنى) خاطب كل رسول به قومه ازاحة للتهمة وتمحيضا للنصيحة فانها لا تنجع مادامت مشوبة بالمطامع (أفلا تعقلون) أفلا تستعملون عقولكم فتعرفوا المحق من المبطل والصواب من الخطأ (وياقوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه) اطلبوا مغفرة الله بالايمان ثم توسلوا اليها بالتوبة وايضا التبرى من الغير انما يكون بعد الايمان بالله والرغبة فيما عنده

(يرسل السماء عليكم مدرارا) كثير الدر (ويزدكم قوة الى قوتكم) ويضاعف قوتكم وانما رغبهم بكثرة المطر وزيادة القوة لانهم كانوا اصحاب زروع وعمارات وقيل حبس الله عنهم القطر واعقم ارحام نسائهم ثلاث سنين فوعدهم هود عليه السلام على الايمان والتوبة بكثرة الامطار وتضاعف القوة بالتناسل (ولاتتولوا) ولاتعرضوا عما ادعوكم اليه (مجرمين) مصرين على اجرامكم (قالوا ياهود ماجئتنا ببينة) بحجة تدل على صحة دعواك وهو لفرط عنادهم وعدم اعتدادهم بما جاءهم من المعجزات (وما نحن بتاركى آلهتنا) بتاركى عبادتهم (عن قولك) صادرين عن قولك حال من الضمير فى تاركى (وما نحن لك بمؤمنين) اقناط له من الاجابة والتصديق (ان نقول الا اعتراك) مانقول الا قولنا اعتراك اى اصابك من عراه يعروه اذا اصابه (بعض آلهتنا بسوء) بجنون لسبك اياها وصدك عنها ومن ذلك تهذى وتتكلم بالخرافات والجملة مفعول القول والالغو لان الاستثناء مفرغ (قال انى اشهد الله واشهدوا انى برئ مما تشركون من دونه فكيدونى جميعا ثم لاتنظرون) اجاب به عن مقالتهم الحمقاء بان اشهد الله تعالى على برآءته من آلهتهم وفراغه من اضرارهم تأكيدا لذلك وتثبيتا له وامرهم بان يشهدوا عليه استهانة لهم وان يجتمعوا على الكيد فى اهلاكه من غير انظار حتى اذا اجتهدوا فيه ورأوا انهم عجزوا عن آخرهم وهم الاقوياء الاشداء ان يضروه لم يبق لهم شبهة ان آلهتهم التى هى جماد لاتضر ولاتنفع لاتتمكن من اضراره انتقاما منه وهذا من جملة معجزاته فان مواجهة الواحد الجم الغفير من الجبابرة الفتاك العطاش الى اراقة دمه بهذا الكلام ليس الا لثقته بالله وتثبطهم عن اضراره ليس الا بعصمته اياه ولذلك عقبه بقوله (انى توكلت على الله ربى وربكم) تقريرا له والمعنى انكم وان بذلتم غاية وسعكم لم تضرونى فانى متوكل على الله واثق بكلاءته وهو مالكى ومالككم لايحيق بى مالم يرده ولاتقدرون على مالم يقدره ثم برهن عليه بقوله (مامن دابة الا هو آخذ بناصيتها) اى الا وهو مالك لها قادر عليها يصرفها على مايريد بها والاخذ بالنواصى تمثيل لذلك (ان ربى على صراط مستقيم) اى انه على الحق والعدل لايضيع عنده معتصم ولايفوته ظالم (فان تولوا) فان تتولوا (فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم) فقد اديت ماعلى من الابلاغ والزام الحجة فلا تفريط منى ولاعذر لكم فقد ابلغتكم ماارسلت به اليكم (ويستخلف ربه قوما غيركم) استئناف بالوعيد لهم بان الله يهلكهم ويستخلف قوما آخرين فى ديارهم واموالهم او عطف على الجواب بالفاء ويؤيده القرآءة بالجزم على الموضع فكانه قيل وان تولوا يعذرنى ربى ويستخلف (ولاتضرونه) بتوليكم (شيأ) من الضرر ومن جزم يستخلف اسقط النون منه (ان ربى على كل شئ حفيظ) رقيب فلا يخفى عليه اعمالكم ولايغفل عن مجازاتكم او حافظ مستولى عليه فلا يمكن ان يضره شئ

(العقيم)

على اقتداره على الانتفاع بها فتى اجتمع الامران فقد بلغ فى سعادته العاجلة الى الكمال ومتى فقد اى واحد منهما او كلاهما فقد اختل امر معاشه ﴿قوله كثير الدر﴾ مبنى على ان المدرار من ابنية المبالغة وهو حال من السماء ولم يؤنث لان مفعالا للمبالغة يستوى فيه المؤنث والمذكر كصبور اولان المراد بالسماء السحاب او المطر فذكر حملا على المعنى يقال سحاب مدرار وغيث مدرار اذا تتابع منه القطر ﴿قوله صادرين عن قولك﴾ من صدر صدرا بمعنى رجع واعرض كأنه قيل لانقبل قولك ياقوم اعبدوا الله وحده معرضين عنه اى نحن مصرون على مانحن عليه من الاعراض عن قولك لايحدث منافيا يستقبل قبول قولك وترك عبادة آلهتنا جعل كلمة عن فى قوله عن قولك متعلقا بقوله تاركى باعتبار ماضمنه من معنى الصدر والاعراض وجعل الفعل المذكور اصلا والمضمر حالا كما فى قوله تعالى ولاتتبع اهوآءهم عما جاءك من الحق اى لاتتبعها معرضا عما جاءك وان كان الاكثر والاولى فى باب التضمين ان يجعل الفعل المضمن اصلا والمذكور فى اللفظ حالا لما فيه من الاعتناء بشأن المتروك بجعل حرف الجر المذكور مع الفعل الملفوظ صلة للمتروك ومثاله ان يقال فى تقدير قوله تعالى ولاتتبع اهوآءهم عما جاءك متبعا اهوآءهم وكلا الامرين حسن شائع فى كلام الفصحاء والارجح الاكثر هو الثانى لماذكرنا والاول قليل بالنسبة اليه ﴿قوله وهذا﴾ اى مواجهته قومه مع كثرة عددهم بقوله لهم تمالؤوا انتم واوثانكم جميعا فى عدوانى واقصدوا هلاكى ولاتمهلونى من اعظم معجزات الانبياء والفاتك الحربى القاتل والجمع فتك والفتك ان يأتى الرجل صاحبه وهو غار غافل حتى يشتد عليه فيقتله ﴿قوله بهذا الكلام﴾ حال من فاعل المواجهة اى مواجهته اياهم ملتبسا بهذا الكلام وتثبطهم بالنصب عطفا على مواجهته والتثبط عن الامر الاشتغال عنه والكلاءة الحفظ لما اجاب قوم هود اياه عليه الصلاة والسلام بان اقنطوه من اجابتهم وقالوا ان بعض آلهتنا اصابك بجنون وافسد عقلك لسبك اياها وصدك عن عبادتها والا فمن له عقل سليم لايقدم على ماانت عليه اجاب هود عليه الصلاة والسلام بقوله فكيدونى جميعا ثم لاتنظرون عن قولهم ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء وقوله انى اشهد الله واشهدوا انى برئ مما تشركون من دونه مقدمة وتمهيد للجواب فانهم لما سموها آلهة واثبتوا لها الضرر نفى بقوله اشهد الله الآية كونها آلهة رأسا ثم نفى الضرر بقوله فكيدونى ثم لاتنظرون على ابلغ وجه ولما ورد ان يقال ان قوله واشهدوا عطف على قوله اشهد ويمنع من عطفه عليه امران الاول ان الطلب لايعطف على الخبر والثانى ان عطفه عليه يستلزم ان يكون الطلب خبرا وهو غير جائز وبيان الملازمة ان اشهد خبر لكلمة ان فما عطف عليه يكون خبرا ايضا فالظاهر ان يقال انى اشهد الله واشهدكم اشار الى جوابه ببيان الفرق بين اشهاد الله تعالى واشهاده اياهم بان اشهاد الله تعالى اشهاد على التحقيق جيئ به ليؤكد به ماذكره من البرآءة من شركهم وشركائهم بخلاف اشهاده اياهم على البرآءة فانه ليس اشهادا على التحقيق اذلا يقول احد لمن يعاديه اشهدك على انى برئ منك الا وهو يريد عدم المبالاة ببرآءته والاستهانة بعداوته فلما اختلف الاشهادان فى المعنى خولف بينهما فى الصيغة فجيئ بصيغة الامر وان كان المراد بها الخبر لان الجملتين اذا اختلفتا خبرا وطلبا فلابد ان يقدر الطلب بالخبر او بالعكس ﴿قوله والاخذ بالنواصى تمثيل لذلك﴾ فان الناصية عند العرب الشعر فى مقدم الرأس ويسمى الشعر النابت هناك ايضا ناصية تسمية له باسم منبته والاخذ بناصية الانسان عبارة عن قهره والغلبة عليه وكونه فى قبضة الآخذ بحيث تناله قدرته كيف شاء والعرب اذا وصفوا انسانا بالذلة والخضوع لرجل قالوا ماناصيته الا بيد فلان اى انه مطيع له لأن كل من اخذت بناصيته فقد قهرته فكان اخذ الله تعالى بناصية الخلائق استعارة تمثيلية لنفاذ قدرته فيهم وقوله ان ربى على صراط مستقيم استئناف لبيان مايوجب التوكل عليه والمعنى انه تعالى مع كونه قادرا على الخلائق ليس الا على الحق والعدل لايظلمهم ولايلحقهم بقدرته الا مايوجب الحق وقوعه بهم فلا يضيع عنده معتصم ولا يفوته ظالم ﴿قوله تكرير﴾ اى ليس المراد بالنجاة الثانية مايغاير الاولى بالذات وانما يغايرها بالاعتبار بين الله تعالى اولا انه احسن اليهم بنفس الانجاء ثم بين ان ماانجاهم منه عذاب عظيم غليظ وانه احسن اليهم بمثل هذا الاحسان ويجوز ان يكون المراد بالنجاة الاولى النجاة من عذاب الدنيا وبالنجاة الثانية النجاة من عذاب الآخرة فيكون حينئذ معنى قوله فنجيناهم حكمنا بانهم لايمسهم عذاب يوم القيامة والمراد بالسموم مانزل بهم من الريح

عذاب غليظ) تكرير لبيان مانجاهم منه وهو السموم كانت تدخل انوف الكفرة وتخرج من ادبارهم فتقطع اعضاءهم او المراد به تنجيتهم من عذاب الآخرة ايضا والتعريض بان المهلكين كما عذبوا فى الدنيا بالسموم فهم معذبون فى الآخرة بالعذاب الغليظ (وتلك عاد) انث اسم الاشارة باعتبار القبيلة او لان الاشارة الى قبورهم وآثارهم (جحدوا بآيات ربهم) كفروا بها ﴿ ٥١ ﴾ (وعصوا رسله) لانهم عصوا رسولهم ومن عصى رسولا فكانما عصى الكل لانهم امروا بطاعة كل رسول (واتبعوا امر كل جبار عنيد) يعنى كبرآءهم الطاغين وعنيد من عند عندا وعنودا وعندا اذا طغا والمعنى عصوا من دعاهم الى الايمان وما ينجيهم واطاعوا من دعاهم الى الكفر وما يرديهم (واتبعوا فى هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة) اى جعلت اللعنة تابعة لهم فى الدارين تكبهم فى العذاب (الا ان عادا كفروا ربهم) جحدوه او كفروا نعمه او كفروا به فحذف الجار (الا بعدا لعاد) دعاء عليهم بالهلاك والمراد به الدلالة على انهم كانوا مستوجبين لما نزل عليهم بسبب ما حكى عنهم وانما كرر الا واعاد ذكرهم تفظيعا لامرهم وحثا على الاعتبار بحالهم (قوم هود) عطف بيان لعاد وفائدته تمييزهم عن عاد الثانية عاد ارم والايماء الى ان استحقاقهم للبعد بما جرى بينهم وبين هود (والى ثمود اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره هو انشأكم من الارض) هو كونكم منها لا غيره فانه خلق آدم ومواد النطف التى خلق نسله منها من التراب (واستعمركم فيها) عمركم فيها واستبقاكم من العمر او اقدركم على عمارتها وامركم بها وقيل هو من العمرى بمعنى اعمركم فيها دياركم ويرثها منكم بعد انصرام اعماركم او جعلكم معمرين دياركم تسكنونها مدة عمركم ثم تتركونها لغيركم (فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربى قريب) الرحمة (مجيب) لداعيه (قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا) لما نرى فيك من مخايل الرشد والسداد ان تكون لنا سيدا او مستشارا فى الامور او ان توافقنا فى الدين فلما سمعنا هذا القول منك انقطع رجاؤنا عنك (أتنهانا ان نعبد ما يعبد آباؤنا) على حكاية الحال الماضية (واننا لفى شك مما تدعونا اليه) من التوحيد والتبرى من الاوثان (مريب) موقع فى الريبة من ارابه او ذى ريبة على الاسناد المجازى من اراب فى الامر (قال يا قوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربى) بيان وبصيرة وحرف الشك باعتبار المخاطبين (وآتانى منه رحمة) نبوة (فمن ينصرنى من الله) فمن يمنعنى من عذابه (ان عصيته) فى تبليغ رسالته والمنع عن الاشراك به (فما تزيدوننى) اذا باستتباعكم اياى (غير تخسير) غير ان تخسرونى بابطال ما منحنى الله به والتعرض لعذابه او فما تزيدوننى بما تقولون لى غير ان انسبكم الى الخسران (ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية) انتصبت آية على الحال وعاملها معنى الاشارة ولكم حال منها تقدمت عليها لتنكيرها (فذروها تأكل فى ارض الله) ترع نباتها وتشرب ماءها (ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب) عاجل لا يتراخى عن مسكم لها بالسوء الا يسيرا وهو ثلاثة ايام (فعقروها فقال تمتعوا

العقيم التى عذبهم الله تعالى بها سبع ليال وثمانية ايام تدخل فى مناخرهم وتخرج من ادبارهم وتضربهم على وجوههم حتى صاروا كأعجاز نخل خاوية قيل المراد من الرحمة ما هداهم الله به من الايمان وقيل المراد انه لا ينجو احد وان اجتهد فى الايمان والعمل الصالح الا برحمة الله تعالى وقصتهم ان عادا انبسطوا فى البلاد ما بين عمان وحضرموت وكانت لهم اصنام يعبدونها صدا وصمود والهبا فبعث الله اليهم هودا نبيا وكان اوسطهم واخيرهم واحسنهم جسما وافضلهم نسبا فكذبوه وازدادوا تجبرا وعتوا فامسك الله عليهم القطر ثلاث سنين حتى جهدوا وكان الناس اذا نزل بهم البلاء توجهوا الى البيت مسلمهم وكافرهم وطلبوا من الله الفرج فحضرت عاد الى مكة من اماثلهم سبعين رجلا رئيسهم قيل بن عنز فدخلوا مكة فقال قيل اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم فانشأ الله ثلاث سحابات بيضاء وحمراء وسوداء ثم نودى من السماء يا قيل اختر لنفسك وقومك فقال اخترت السوداء فانها اكثرهن ماء فخرجت على عاد من وادى المغيث فاستبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم منها ريح عقيم فاهلكتهم ونجا هود والمؤمنون معه فأتوا مكة وعبدوا الله حتى ماتوا رحمهم الله ثم انه تعالى لما ذكر قصة عاد خاطب قوم محمد صلى الله عليه وسلم فقال تعالى وتلك عاد اشارة الى قبورهم وآثارهم كأنه تعالى قال سيروا فى الارض فانظروا اليها واعتبروا او اشارة الى نفس القبيلة الجامعة للاوصاف الثلاثة المذكورة جحودهم بدلالة المعجزات على الصدق وعصيانهم الرسل واتباع الرؤساء الجبارين المعاندين ﴿قوله لا غيره﴾ الحصر مستفاد من تقديم الفاعل المعنوى لان قوله تعالى هو انشأكم من قبيل قوله انا قمت فى انه يجوز ان يقدر اصله انشأكم هو فيكون هو فاعلا فى المعنى وان كان فى اللفظ تأكيدا للفاعل وقوله كونكم منها اشارة الى ان من لابتداء الغاية بمعنى ابتدأ انشاءكم منها والخطاب مبنى على تغليب الحاضرين على الغائبين من نوع البشر وان مادة الجميع هو التراب اما كون مادة آدم هو التراب فظاهر واما كونه مادة اولاده فلانتهاء مادة تكونهم الى التراب لانهم كلهم مخلوقون من صلب آدم وكان هو مخلوقا من الارض ولان كل واحد مخلوق من المنى ومن دم الطمث والمنى انما تولد من الدم فبنوا آدم كلهم مخلوقون من الدم والدم انما يتولد من الاغذية والاغذية اما حيوانية او نباتية والنباتية انما تتولد من الارض والاغذية الحيوانية لابد ان تنتهى الى الاغذية النباتية المتولدة من الارض فثبت انه تعالى انشأ الكل من الارض ﴿قوله عمركم فيها واستبقاكم﴾ على ان بناء استفعل للتعدية يقال عمر الرجل يعمر عمرا اى بقى زمانا طويلا وهو من باب علم الا ان مصدره عمر بفتح العين وسكون الميم واستعمره الله اى اطال بقاءه ونظيره بقى الرجل واستبقاه بمعنى ابقاه قال الفاضل شمس الدين التفتازانى فى كتابه الموسوم باساس الصرف بناء استفعل يجيء لمعان منها التعدية كاستبد له ﴿قوله او اقدركم على عمارتها وامركم بها﴾ بناء على ان الاستعمار اى طلب العمارة او الطلب المطلق من الله تعالى يحمل على الامر والايجاب والاقدار على العمارة مدلول التزامى للامر بها والعمارة متنوعة الى واجب ومندوب ومباح ومكروه وحرام فالواجب مثل سد الثغور وبناء القناطر على الانهر المهلكة وبناء المسجد الجامع فى المصر والمندوب كبناء القناطر والمدارس والرباط تيسيرا للناس فى امورهم والمباح بناء بيوتهم كالبيوت التى يسكن فيها ويمكث بها بقدر حاجتهم والمكروه كالذى زاد على قدر الحاجة والحرام كابنية الظلمة وغيرهم للمباهاة واسأل الله التوفيق والتوبة والمغفرة ﴿قوله او جعلكم معمرين دياركم تسكنونها مدة عمركم ثم تتركونها لغيركم﴾ فان الرجل اذا ورث داره من بعده فكانما اعمره اياها فلما كان المخاطبون بمنزلة المعمرين كان استعماره تعالى اياهم عبارة عن جعله اياهم بمنزلة المعمرين ذكر المصنف فى قوله تعالى استعمركم ثلاثة وجوه كونه من العمر ومن العمارة ومن العمرى بمعنى جعلكم معمرين ﴿قوله اى غير مكذوب فيه﴾ اوله او به لعدم امكان حمله على ظاهره لان الوعد انما يوصف بكونه غير مكذوب اذا كان من شأنه ان يكون مكذوبا وليس كذلك لان المصدوق والمكذوب من كان مخاطبا بالكلام المطابق للواقع وغير المطابق له فلا يوصف بهما الا الانسان الصالح للخطاب فلذلك جعل اصل الكلام وعد غير مكذوب فيه فحذف حرف الجر فاتصل الضمير المجرور باسم المفعول باقامته مقام المفعول به توسعا كما فى قوله * ويوم شهدناه * والاصل شهدنا فيه فاجرى الظرف مجرى المفعول به ويحتمل ان لا يكون من قبيل الاتساع بل يجعل من قبيل الاستعارة المكنية بان شبه الوعد بالمخاطب فيوصف بغير المكذوب تخييلا وهذان الوجهان على تقدير ان يكون المكذوب

في داركم) عيشوا في منازلكم او في داركم الدنيا (ثلاثة ايام) الاربعاء والخميس والجمعة ثم تهلكون (ذلك وعد غير مكذوب) اى غير مكذوب فيه فاتسع فيه باجرآئه مجرى المفعول به كقوله * ويوم شهدناه سليما وعامرا * او غير مكذوب على المجاز وكأن الواعد قال له اني بك فان وفي به صدقه والا كذبه او وعد غير كذب على انه مصدر كالمجلود والمعقول (فلما جاء امرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ) اى ونجيناهم من خزي يومئذ وهو هلاكهم بالصيحة او ذلهم او فضيحتهم يوم القيامة وعن نافع يومئذ بالفتح على اكتساب المضاف البناء من المضاف اليه ههنا وفي المعارج في قوله من عذاب يومئذ (ان ربك هو القوي العزيز) القادر على كل شيء والغالب عليه (واخذ الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا في ديارهم جاثمين) قد سبق تفسير ذلك في سورة الاعراف (كأن لم يغنوا فيها الا ان ثمودا كفروا ربهم) نونه ابوبكر ههنا وفي النجم والكسائي في جميع القرآن وابن كثير ونافع وابن عامر وابو عمرو في قوله (الا بعدا لثمود) ذهابا الى الحي او الاب الاكبر (ولقد جاءت رسلنا ابراهيم) يعني الملائكة قيل كانوا تسعة وقيل ثلاثة جبريل وميكائيل واسرافيل (بالبشرى) ببشارة الولد وقيل بهلاك قوم لوط (قالوا سلاما) سلمنا عليك سلاما ويجوز نصبه بقالوا على معنى ذكروا سلاما (قال سلام) اى امركم سلام او جوابي سلام او وعليكم سلام رفعه اجابة باحسن من تحيتهم وقرأ حمزة والكسائي سلم وكذلك في الذاريات وهما لغتان كحرم وحرام وقيل المراد به الصلح (فما لبث ان جاء بعجل حنيذ) فما ابطأ مجيئه به او فما ابطأ في المجيء به او فما تأخر عنه والجار في ان مقدر او محذوف والحنيذ المشوي بالرضف وقيل الذي يقطر ودكه من حنذت الفرس اذا عرقته بالجلال لقوله بعجل سمين (فلما رأى ايديهم لا تصل اليه) لا يمدون اليه ايديهم (نكرهم واوجس منهم خيفة) انكر ذلك منهم وخاف ان يريدوا به مكروها ونكر وانكر واستنكر بمعنى والايجاس الادراك وقيل الاضمار

اسم مفعول ويحتمل ان يكون مصدرا كالمجلود والمعقول فانهما مصدران بمعنى العقل والجلد الذي هو الصلابة والجلادة ﴿ قوله اى ونجيناهم من خزي يومئذ ﴾ على ان قوله ومن خزي متعلق بمعطوف على نجينا كرر لبيان ما انجاهم منه وهو هلاكهم يومئذ جاء امرنا فان اذ مضافة الى جملة محذوفة عوض عنها التنوين او الهوان الذي نزل بهم في ذلك اليوم ولزمهم بحيث بقي ما لقيهم من العار بسببه مأثورا عنهم ومنسوبا اليهم الى يوم القيامة فان معنى الخزي العيب الذي تظهر فضيحته ويستحيي من مثله ويحتمل ان يكون يومئذ بمعنى يوم يقوم الناس لرب العالمين وتجد كل نفس ما عملت من الخير والشر حاضرا تجازى عليه كما اشار اليه بقوله او فضيحتهم يوم القيامة فان قيل لم يتقدم ذكر يوم القيامة ولا ما يكون فيها فكيف يكون هذا التنوين عوضا عن الجملة التي تكون في يوم القيامة * فالجواب ان تلك الجملة وان لم تكن مدلولا عليها دلالة لفظية لكنها مدلول عليها دلالة معنوية ينساق الذهن اليها عند ذكر الخزي والفضيحة ﴿ قوله بالفتح ﴾ اى بفتح ميم يومئذ على انها حركة بناء اكتسبها المضاف من المضاف اليه وهو قوله اذ فانه مبني غير متمكن وقرأ الباقون بكسر الميم لاضافة الخزي اليه والصيحة فعلة تدل على المرة من الصياح وهو الصوت الشديد يقال صاح يصيح صيحا وصياحا اى صوت بقوة قال ابن عباس رضي الله عنهما لما امهلهم صالح ثلاثة ايام قالوا وما علامة ذلك قال ان تصبحوا في اليوم الاول ووجوهكم مصفرة وفي اليوم الثاني محمرة وفي اليوم الثالث مسودة ثم يأتيكم العذاب في اليوم الرابع فكان كما قال فلما رأى قومه تلك العلامات قصدوا ان يقتلوه فانجاه الله الى ارض فلسطين فلما كان ضحوة اليوم الرابع تكسوا بالانطاع فأتتهم صيحة من السماء فقطعت قلوبهم فهلكوا * فان قيل كيف يعقل ان تظهر هذه العلامات مطابقة لقول صالح عليه الصلاة والسلام ثم يبقون مصرين على الكفر * فالجواب ان الامارات مادامت غير بالغة الى حد يوجب اليقين والقطع فقد انتهى الامر حينئذ الى حد الالجاء والايمان غير مقبول في ذلك الوقت ﴿ قوله جاثمين ﴾ اى جامدين ميتين لا يتحركون وجثومهم سقوطهم على وجوههم وقيل الجثوم السكون يقال جثمت الطيور في اوكارها اذا باتت ثم ان العرب اطلقوا هذا اللفظ على ما لا يتحرك من الموتى ﴿ قوله تعالى كأن لم يغنوا فيها ﴾ اى كأنهم لم يوجدوا ولم يقيموا فيها وثمود غير منصرف للتأنيث والعلمية ومن صرفه جعله اسما للحي او للاب الاكبر لما ذكر الله تعالى قصة ثمود ذكر بعدها القصة الرابعة فقال ولقد جاءت رسلنا ابراهيم وصدرت بكلمة قد لان السامع لقصص الانبياء يتوقع قصة بعد قصة وقد للتوقع دخلت اللام فيها لتأكيد الخبر ولفظ رسلنا جمع واقله ثلاثة فيفيد القطع بحصول ثلاثة والزائد على هذا العدد لا يثبت الا بدليل منفصل واجمعوا على ان الاصل فيهم كان جبريل عليه الصلاة والسلام ثم اختلفت الرواية فقيل اتاه جبريل ومعه اثنا عشر ملكا على صورة الغلمان الذين يكونون في غاية الحسن وقال الضحاك كانوا تسعة وقال ابن عباس رضي الله عنهما كانوا ثلاثة ﴿ قوله سلمنا عليك سلاما ﴾ على ان يكون سلاما في النظم منصوبا على انه مصدر لفعل محذوف وذلك الفعل في محل النصب بالقول فلما حذف الفعل اقيم المصدر مقامه ﴿ قوله اى امركم سلام او جوابي سلام ﴾ على ان سلام خبر مبتدأ محذوف او عليكم سلام فالملائكة سلموا بالجملة الفعلية الدالة على التجدد والحدوث ورد عليهم سلامهم بالجملة الاسمية الدالة على الثبات والاستمرار اجابة لهم بما هو احسن من تحيتهم ﴿ قوله وقرأ حمزة والكسائي سلم ﴾ بكسر السين وسكون اللام ويلزم بالضرورة سقوط الالف قال الفراء وهما لغتان كحرم وحرام وحل وحلال وقال الفارسي السلم بالكسر ضد الحرب وناسب ذلك لانهم امتنعوا من تناوله ما قدمه اليهم فنكرهم واوجس منهم خيفة فقال انا سلم اى مسالمكم فلم احاربكم اى غير محارب فلا تمتنعوا * قال الامام وهذا بعيد لانه على هذا التقدير يقتضي ان يكون تكلم ابراهيم عليه الصلاة والسلام بهذا اللفظ بعد اظهار الطعام والقرآن يدل على ان هذا الكلام قبل احضار الطعام لانه تعالى قال قالوا سلاما قال سلام فما لبث ان جاء بعجل حنيذ والفاء للتعقيب فدل على ان مجيئه بالعجل الحنيذ بعد السلام ﴿ قوله فما ابطأ مجيئه به ﴾ على ان ما نافية وان فاعل لبث هو قوله ان جاء وفاعل جاء ضمير ابراهيم او ان جاء على اسقاط الخافض وهي كلمة في او عن اى فما ابطأ في المجيء به او فما تأخر عنه والرضف الحجارة المحماة والحنيذ هو المشوي في حفرة من الارض بالحجارة المحماة كفعل اهل البادية فانهم يشوون في الاخدود بالحجارة المحماة وقيل الحنيذ هو الذي يقطر دسمه يقال حنذت الفرس اذا القيت عليه الجل حتى يقطر عرقا ﴿ قوله انكر ذلك منهم ﴾ يعني ان نكر بمعنى انكر والنكر والانكار

عبارتان عن عدم المعرفة و المراد بقوله نكرهم انه لم يعرف سبب عدم تناولهم من طعامه و امتناعهم عنه فلذلك
خاف منهم بناء على انه كانت عادتهم اذا لم يمسك من يطرقهم عن طعامهم أمنوه و الاخافوه و الايجاس الادراك بناء
على ان الواجس هو الهاجس الذى يخطر فى القلب يقال وجس فى نفسه كذا اى خطر بها فيكون اوجس بمعنى اخطر
واستشعر ﴿ قوله سرورا بزوال الخيفة ﴾ بسماعها قول الملائكة لاتخف انا ارسلنا الى قوم لوط فان
زوال الخوف سبب للمسرة ولما يتبعها من الضحك وايضا لما كانت عظيمة الانكار على قوم لوط لحقها السرور
فضحكت لذلك وقيل ان سارة قالت لابراهيم عليه الصلاة و السلام ارسل الى ابن اخيك و ضمه لنفسك فان الله
تعالى لايترك قومه حتى يعذبهم فعند تمام هذا الكلام دخل الملائكة على ابراهيم فلما اخبروه بانهم انما جاؤا لاهلاك
قوم لوط صار قولهم موافقا لقولها فضحكت لشدة سرورها لحصول الموافقة بين كلامها وكلام الملائكة و قال
السدى لما قال ابراهيم عليه الصلاة و السلام لهم ألا تأكلون قالوا لا نأكل طعاما الا بالثمن فقال ثمنه ان تذكروا
اسم الله تعالى على اوله و تحمدوه على آخره فقال جبرآئيل وميكائيل عليهما الصلاة و السلام حق لمثل هذا
الرجل ان يتخذه ربه خليلا فضحكت امرأته فرحا منها بهذا الكلام وقال مجاهد و عكرمة فضحكت بمعنى حاضت
يقال ضحكت اى حاضت و انكر الفرآء و ابو عبيدة ان يكون ضحكت الارنب بمعنى حاضت قال ابو بكر الانبارى
هذه اللغة ان لم يعرفها هؤلاء فقد عرفها غيرهم حكى الليث فى هذه الآية ضحكت طمثت ومنه قول الشاعر

٭ وعهدى بسلمى ضاحكا فى لبابة ٭ ولم تعد حقا ثديها ان تحلما ٭

يقول وصلتى بسلمى وقعت حال ماحدث لها الحيض فى ابتدآء بلوغها داخلة فى جملة نساء لبابة اى خالصة عما يكدر
الوالدين وابدانهن من نوآئب الزمان فان لباب كل شئ خالصه ومنه سميت المرأة لبابة والحلمة رأس الثدى وهما حلمتان
و السمرة شجرة يسيل منها صمغ يشبه الدم و استبعد صاحب الانتصاف ان يكون ضحكت فى الآية بمعنى حاضت
بناء على ان التعجب المذكور بعده يأبى عنه حيث قال و يبعد هذا التأويل لانها قالت بعده ياويلتا أألد و انا عجوز
وهذا بعلى شيخا ان هذا لشئ عجيب فلو كان حيضها قبل بشارتها لما تعجبت اذ لا عجب فى حمل من تحيض والحيض
فى العادة معيار على امكان الحمل و لا تعجب من الولادة فى زمن الحيض والجواب ان الحيض فى غيراوانه داخل
فى سياق التعجب و لا يأباه اللفظ و المعنى وظاهر كلام ابى البقاء يدل على ان ضحكت بفتح الحاء مختص بالحيض فانه
قال يقال ضحكت الارنب بفتح الحاء بمعنى حاضت ﴿ قوله نصبه ﴾ اى نصب لفظ يعقوب بفعل مقدر دل
عليه قوله بشرناها كأنه قيل فبشرناها باسحق و وهبناها من ورآء اسحق يعقوب وهو من عطف جملة على جملة
ولا يكون يعقوب على هذا مبشرا به وقيل انه منصوب عطفا على محل اسحق لان موضعه نصب كقوله
وارجلكم بالنصب عطفا على محل برؤسكم وزعم صاحب الكشاف انه معطوف على قوله باسحق على تضمين
بشرنا معنى وهبنا وتوهم انعدام الباء فى قوله باسحق حيث قال كأنه قيل و وهبنا لها اسحق ومن ورآء اسحق
يعقوب على طريقة قوله

٭ مشائيم ليسوا مصلحين عشيرة ٭ ولا ناعب الا ببين غرابها ٭

فان الشاعر عطف قوله ولا ناعب على قوله مصلحين بناء على توهم وجود الباء فى خبر ليس بجره و وجه تشبيه الآية
بالبيت انه جعل تقدير الآية ووهبنا لها اسحق ثم عطف عليه يعقوب كما ان الشاعر قدر انه قال ليسوا بمصلحين ولذلك
قال ولا ناعب بالجر فقدر فى البيت المعدوم موجودا و فى الآية عكسه فكان كلاهما من قبيل العطف على التوهم
وان اختلف طريق التوهم فيهما ﴿ قوله ورد ﴾ اى رد كون يعقوب مجرورا بالعطف على لفظ اسحق بناء على
ان غير المنصرف يكون فى موضع الجر مفتوحا و وجه الرد ان حرف العطف نائب مناب العامل و العامل ههنا
الجار فكما لايجوز الفصل بين الجار و المجرور لايجوز الفصل بين المعطوف و المعطوف عليه فامتنع ان تكون فتحة
يعقوب صورة الجر بالعطف على المجرور وان رفع يعقوب على الابتدآء يكون خبره الظرف السابق مع متعلقه
و التقدير ويعقوب مولود من بعده على ان يكون ورآء بمعنى بعد وهو قول الاكثرين لا بمعنى ولد الولد والجملة الاسمية
حال داخلة فى البشارة اى فبشرناها باسحق متصلا به يعقوب بان يولد منه ﴿ قوله وعلى هذا الخ ﴾ اى
على ان يكون ورآء بمعنى ولد الولد لايصح الاخبار عن يعقوب بانه من ورآء اسحق بمعنى انه من ولد ولده وجب
تأويله ضرورة بان يقال انه ليس ولد ولد اسحق بل هو ولد ابراهيم فلا حكم على من تفرع من ولد ابراهيم بانه من ورآء

(قالوا) له لما احسوا منه اثر الخوف
(لاتخف انا ارسلنا الى قوم لوط) انا
ملائكة مرسلة اليهم بالعذاب وانما لم نمد
اليه ايدينا لانا لانأكل (وامرأته قائمة)
ورآء الستر تسمع محاورتهم او على رؤسهم
للخدمة (فضحكت) سرورا بزوال
الخيفة او بهلاك اهل الفساد او باصابة
رأيها فانها كانت تقول لابراهيم اضمم اليك
لوطا فانى اعلم ان العذاب ينزل بهؤلاء القوم
وقيل فضحكت فحاضت قال
وعهدى بسلمى ضاحكا فى لبابة ٭
ولم تعد حقاثديها ان تحلما ٭
ومنه ضحكت السمرة اذا سال صمغها
وقرئ بفتح الحاء (فبشرناها باسحق
ومن وراء اسحق يعقوب) نصبه ابن عامر
وحمزة وحفص بفعل يفسره مادل عليه
الكلام وتقديره و وهبناها من ورآء اسحق
يعقوب وقيل انه معطوف على موضع
باسحق يعقوب او على لفظ اسحق و فتحته
للجر فانه غير منصرف ورد للفصل بينه
وبين ماعطف عليه بالظرف وقرأ الباقون
بالرفع على انه مبتدأ خبره الظرف اى
ويعقوب مولود من بعده وقيل الورآء ولد
الولد ولعله سمى به لانه بعد الولد وعلى
هذا تكون اضافته الى اسحق ليس من
حيث ان يعقوب ورآءه بل من حيث انه
ورآء ابراهيم من جهته وفيه نظر

اسحق بمعنى انه من ولد ولده وجب تأويله بان يقال انه جعل ورآء اسحق من حيث كونه ورآء ابراهيم بان يلاحظ من الورآء المضاف الى اسحق مجرّد التخصيص لانه لوقيل ومن ورآء يعقوب لم يعلم هذا الورآء أكان منسوبا الى اسحق ام الى اسماعيل فاضيف الى اسحق لينكشف المعنى ويزول اللبس وفيه نظر وتعسف ظاهر لان الورآء على تقدير ان يفسر بولد الولد يكون التأويل المذكور بعيدا كل البعد*قال الامام القول بان الورآء ولد الولد عندى شديد التعسف واللفظ ينبو عنه ﴿قوله والاسمان﴾ يعنى ان اسمى اسحق ويعقوب يحتمل انه تعالى اختارهما اسمين للولدين المبشر بهما كما اختار اسم يحيى وسمى به ولد زكريا وتولى تسميته به تشريفاله عليه الصلاة والسلام كما قال يازكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى ويحتمل انه تعالى ذكرهما حكاية لما اختاره قوم الوالدين فى تسميتهما به ﴿قوله وتوجيه البشارة اليها﴾ مع ان المبشر به نعمة بالنسبة الى ابراهيم عليه الصلاة والسلام يصح ان يكون يبشر هوايضابها ﴿قوله ياعجبا﴾ اصل الويل الخزى يقال ويل لفلان اى خزى له من فظاعة ماارتكبه مماهوشرّ فى حقه ثم اطلق للايذان بورود الامر الفظيع مطلقا شرّا كان او خيرا تعجبا من فظاعته وخروجه عن حدّ امثاله واصل ياويلتا ياويلتى فابدل من الياء الالف ومن كسرة التاء الفتحة لان الالف مع الفتحة اخف من الياء مع الكسرة ﴿قوله دون القدرة﴾ لان التعجب من القدرة يوجب الكفر لكونه مستلزما للجهل بقدرته تعالى بل هو استعجاب من عادته تعالى من حيث العادة كانها قالت لم كان امرنا خلاف ماهو المعتاد بين الناس فلذلك اجابوها منكرين عليها استعجابهامن حيث العادة كأنهم قالوا لها اتعجبين من امرالله اى من قدرته وحكمته وقولهم رحمة الله وبركاته الخ كلام مستأنف علل به انكار التعجب كانه قيل اياك والتعجب فان امثال هذه الرحمة والبركة متكاثرة من الله تعالى عليكم ثم استأنفوا تعليلا آخر لما تضمنه قولهم اتعجبين من الله باعتبار تعليله بقولهم رحمة الله وبركاته عليكم فانه بذلك الاعتبار يتضمن اعتبار ايجاب الرزانة والوقار والتسبيح والتحميد والتمجيد عليها مكان التعجب والحقوه بارتكاب مالا يليق لامثالها فعللوا هذا المضمن بقولهم انه حميد مجيد اى انه حميد فاعل فعل مايستوجب به الحمد من عباده لاسيما فى حقها مجيد كثير الاحسان الى العباد خصوصا فى ان جعل بيتها مهبط البركات والمجد الكرم والمجيد صيغة المبالغة به *ثم انه تعالى لما فرغ من قصة ابراهيم عليه الصلاة والسلام شرع فى القصة الخامسة وهى قصة لوط عليه الصلاة والسلام فقال فلما ذهب عن ابراهيم الروع يعنى الخوف والفزع الذى اصابه لمالم يأكلوا من العجل يقال راعه يروعه روعا اى افزعه واما الروع بالضم فهى النفس لانها محل الروع ففرّقوا بين الحال والمحل بحركة الحرف الاوّل من اللفظ الدال عليهما وفى الحديث ان روح القدس نفث فى روعى والمعنى انه لما زال الخوف وحصل السرور بسبب مجيء البشرى بحصول الولد اخذ يجادلنا فى شأن قوم لوط عليه الصلاة والسلام وهلاكهم وقدّر المضاف فى قوله تعالى يجادلنا لانه تعالى قد صرّح فى سورة العنكبوت بمجادلته عليه الصلاة والسلام قال تعالى فى تلك ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية ان اهلها كانوا ظالمين قال ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله الا امرأته كانت من الغابرين ولان المجادلة مع الله تعالى جرآءة عليه وسوء ادب فاى عاقل يجادل ربّه فى تبديل حكمه والمجادلة مع الملائكة بان يطلب منهم ان يتركوا اهلاك قوم لوط عليه الصلاة والسلام وان كان لايخلو عن سوء ادب بحسب الظاهر لانه عليه الصلاة والسلام لايخلو اما ان يعتقد ان الملائكة جاؤا من عند انفسهم لاهلاك قوم لوط عليه الصلاة والسلام او يعتقد فيهم انهم جاؤا بامرالله تعالى والاوّل سوء ادب وسوء ظن بهم لانهم لايسبقونه بالقول وهم بامره يعملون وكذا الثانى لان محصول المجادلة حينئذ ان يطلب منهم مخالفة امر الله تعالى وهذا منكر الا انه تعالى مدحه فى فى تلك المجادلة بقوله ان ابراهيم لحليم اوّاه منيب ولوكانت المجادلة الواقعة منه عليه الصلاة والسلام مذمومة لمامدحه بهذا المدح العظيم قال المفسرون فى بيان مجادلته معهم عليهم الصلاة والسلام انهم لما قالوا لابراهيم انا مهلكوا اهل هذه القرية قال لهم أرأيتم ان كان فيها خمسون من المسلمين اتهلكونهم قالوا لا قال واربعون قالوا لاقال فمازال ينقص ويقولون لاحتى قال فواحد قالوا لاقال فاحتج عليهم بلوط عليه الصلاة والسلام وقال ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله فهذا صورة جدال ابراهيم عليه الصلاة والسلام مع الرسل عليهم الصلاة والسلام فى شأن قوم لوط عليه الصلاة والسلام فالله تعالى مدحه فى جداله هذا فقال ان ابراهيم لحليم اوّاه منيب والحليم هوالذى لايتعجل فى مكافأة من يعاديه ويؤذيه ومن كان كذلك فانه يتأوّه اذا شاهد وصول الشدآئد

والاسمان يحتمل وقوعهما فى البشارة كيحيى ويحتمل وقوعهما فى الحكاية بعد ان ولدا فسميا به وتوجيه البشارة اليها للدلالة على ان الولد المبشر به يكون منها ولانها كانت عقيمة حريصة على الولد (قالت ياويلتا) ياعجبا واصله فى الشرّ فاطلق فى كل امر فظيع وقرئ بالياء على الاصل (أألد وانا عجوز) ابنة تسعين اوتسع وتسعين (وهذا بعلى) زوجى واصله القائم بالامر (شيخا) ابن مائة اومائة وعشرين ونصبه على الحال والعامل فيها معنى اسم الاشارة وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف اى هوشيخ اوخبر بعد خبر اوهو الخبر وبعلى بدل (انّ هذا لشئ عجيب) يعنى الولد من هرمين وهو استعجاب من حيث العادة دون القدرة ولذلك (قالوا أتعجبين من امر الله رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت) منكرين عليها فان خوارق العادات باعتبار اهل بيت النبوّة ومهبط المعجزات وتخصيصهم بمزيد النعم والكرامات ليس ببدع ولا حقيق بان يستغربه عاقل فضلا عمن نشأت وشابت فى ملاحظة الآيات واهل البيت نصب على المدح اوالندآء لقصد التخصيص كقولهم اللهم اغفرلنا ايتها العصابة (انه حميد) فاعل مايستوجب به الحمد (مجيد) كثير الخير والاحسان

الى الغير فلما رأى مجيء الملائكة لاهلاك قوم لوط عليه الصلاة والسلام عظم حزنه واخذ يتأوّه فوصفه الله تعالى بانه منيب لان من ظهرت منه هذه الشفقة العظيمة على الخلق فانه يتوب ويرجع الى الله عز وجلّ فى ازالة ذلك العذاب ولان من لا يرضى بوقوع غيره فى الشدآئد فبأن لا يرضى بوقوع نفسه فيها اولى ولا طريق الى تخليص النفس من الوقوع فى عذاب الله تعالى الا بالتوبة والانابة ﴿قوله جيء به مضارعا﴾ مع ان جواب لما ينبغى ان يكون ماضيا لكونها موضوعة للدلالة على وقوع اثر فى الماضى لوقوع غيره فيه يقال لما جاء زيد جاء عمرو فأجاب عن وقوعه مضارعا بوجوه اربعة الاوّل انه جيء به مضارعا على حكاية الحال الماضية والثانى ان المضارع الواقع فى سياق جواب لما يكون بمعنى الماضى بان تردّه لما الى معنى الماضى كما تردّ كلمة لو ما وقع فى حيزها من المضارع الى معنى الماضى كقولك لو فعلت كذا ليقال لك كذا اوكما تردّ كلمة ان الماضى الى معنى الاستقبال والثالث ان جواب لما محذوف اى فلما كان كذا وكذا اجترأ على خطابنا اوشرع فى جدالنا وقوله يجادلنا فى قوم لوط جملة مستأنفة وهى الدالة على الجواب المحذوف والرابع ان متعلق الجواب المحذوف اقيم مقامه والتقدير فلما كان كذا وكذا اخذ او اقبل يجادلنا فقوله اخذ او اقبل هو الجواب المحذوف وقوله يجادلنا حال من فاعل اقبل او اخذ حذف الجواب واقيم قيده مقامه ﴿قوله تعالى انه قد جاء امر ربك﴾ اى عذابه الذى قدّره اى تعلقت ارادته الازلية والعناية الآلهية المقتضية لنظام الموجودات على ترتيب خاصّ والقدر تعلق الارادة بالاشياء فى اوقاتها ﴿قوله ساء مجيئهم﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما الرسل الذين بشروا ابراهيم عليه الصلاة والسلام انطلقوا من عنده الى لوط عليه الصلاة والسلام وبين القريتين اربعة فراسخ ودخلوا عليه على صورة شبان مرد من بنى آدم وكانوا فى غاية الحسن ولم يعرف لوط انهم ملائكة الله تعالى وظن انهم من الانس فخاف عليهم خبث قومه وان يعجز عن مقاومتهم فلذلك ضاق بهم ذرعا اى قلبا ويطلق على الوسع والطاقة ايضا يقال ضاق ذرع فلان بكذا اذا وقع فى مكروه ولا يطيق الخروج منه قال الازهرى الذرع يوضع موضع الطاقة والاصل فيه البعير يذرع بيديه فى سيره ذرعا على قدر سعة خطوه فاذا حمل عليه اكثر من طاقته ضاق ذرعه عن ذلك فضعف ومدّ عنقه فجعل ضيق الذرع عبارة عن قلة الوسع والطاقة فيقال مالى ذرع ولا ذراع اى مالى بهم طاقة وسيء بهم فعل مبنى للمفعول والقائم مقام الفاعل ضمير لوط من قولك ساءنى كذا اى حصل لى به سوء وبهم متعلق به اى بسببهم وذرعا نصب على التمييز وهو فى الاصل مصدر ذرع البعير بيده فى سيره اذا مشى وسار على قدر خطوه اشتقاقا من الذراع ثم توسع فيه فوضع موضع الطاقة فقيل ضاق ذرعه اى طاقته وقوله يهرعون قرأ العامة يهرعون بالبناء للمفعول وقرئ بفتح الياء بالبناء للفاعل والاهراع الاسراع وقال ابو عبيدة قوله تعالى يهرعون اليه اى يستحثون اليه كانه يحث بعضهم بعضا واهرع الرجل على ما لم يسم فاعله فهو مهرع اذا كان يرعد اى يضطرب من غضب او حمى او فزع فلذلك قيل الاهراع هو الاسراع مع الرعدة وقيل هو العدو الشديد ثم انه تعالى بين ان اسراعهم انما هو لطلب العمل الخبيث قال تعالى ومن قبل كانوا يعملون السيئات ﴿قوله فتمرّنوا بها﴾ اى تعوّدوا يقال مرن على الشيء يمرن مرونا ومرانة اى تعوّده واستمرّ عليه روى انه لما دخلت الملائكة دار لوط عليهم الصلاة والسلام مضت امرأته فقالت لقومه دخل دارنا قوم ما رأيت احسن وجوها منهم ولا انظف ثيابا ولا اطيب رآئحة فجاءه قومه يهرعون اى يسرعون وروى ان القوم دخلوا دار لوط عليه الصلاة والسلام وارادوا ان يدخلوا البيت الذى كان فيه جبريل عليه الصلاة والسلام فوضع جبريل يده على الباب فلم يطيقوا فتحه حتى كسروه فمسح اعينهم بيده فعموا فقالوا يا لوط قد ادخلت علينا السحرة واظهرت الفتنة ﴿قوله فدى بهن اضيافه﴾ يعنى ان المراد بالبنات بناته الصلبية وانه ما دعاهم الى الزنى بهنّ بل المراد انه دعاهم الى التزوّج بهنّ بناء على جواز تزويج المؤمنة من الكافر فى شريعته وهكذا كان فى اوّل الاسلام بدليل انه صلى الله عليه وسلم زوّج ابنته زينب من ابى العاص بن وآئل وزوّج ابنتيه من ابنى ابى لهب عتبة وعتيبة وهم كفار ثم نسخ بقوله تعالى ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ﴿قوله اومبالغة﴾ عطف على قوله كرما وحمية نقل صاحب التيسير عن الامام ابى منصور الماتريدى انه قال يحتمل انه عرض بناته الصلبية على الاوباش والفجار تعريضا لهم بخبث ذلك الفعل ويكون معنى قوله هنّ اطهر لكم اى هذا اقل خبثا من ذلك اى الزنى بالبنات دون الذكور فى الخبث وكانوا يعتقدون حرمة الزنى فبين عليه الصلاة والسلام ان هذا يزول بالنكاح وذلك لا يزول بحال والامتعاض البغض والانكار يقال معضت من ذلك الامر

(فلما ذهب عن ابراهيم الروع) اى ما اوجس من الخيفة واطمأن قلبه بعرفانهم (وجاءته البشرى) بدل الروع (يجادلنا فى قوم لوط) يجادل رسلنا فى شأنهم ومجادلته اياهم قوله ان فيها لوطا وهو اما جواب لما جيء به مضارعا على حكاية الحال اولأنه فى سياق الجواب بمعنى الماضى كجواب لو اودليل جوابه المحذوف مثل اجترأ على خطابنا اوشرع فى جدالنا اومتعلق به اقيم مقامه مثل اخذ او اقبل يجادلنا (انّ ابراهيم لحليم) غير عجول على الانتقام من المسيء اليه (اوّاه) كثير التأوّه من الذنوب والتأسف على الناس (منيب) راجع الى الله والمقصود من ذلك بيان الحامل له على المجادلة وهو رقة قلبه وفرط ترحمه (ياابراهيم) على ارادة القول اى قالت الملائكة ياابراهيم (اعرض عن هذا) الجدال (انه قد جاء امر ربك) قدره بمقتضى قضائه الازلى بعذابهم وهو اعلم بحالهم (وانهم آتيهم عذاب غير مردود) مصروف بجدال ولا دعاء ولا غير ذلك (ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم) ساءه مجيئهم لانهم جاؤا فى صورة غلمان فظن انهم اناس فخاف عليهم ان يقصدهم قومه فيعجز عن مدافعتهم (وضاق بهم ذرعا) وضاق بمكانهم صدره وهو كناية عن شدّة الانقباض للعجز عن مدافعة المكروه والاحتيال فيه (وقال هذا يوم عصيب) شديد من عصبه اذا شدّه (وجاءه قومه يهرعون اليه) يسرعون اليه كانهم يدفعون دفعا لطلب الفاحشة من اضيافه (ومن قبل) ومن قبل ذلك الوقت (كانوا يعملون السيئات) الفواحش فتمرّنوا بها ولم يستحيوا منها حتى جاؤا يهرعون لها مجاهرين (قال ياقوم هؤلاء بناتى) فدى بهنّ اضيافه كرما وحمية والمعنى هؤلاء بناتى فتزوّجوهنّ وكانوا يطلبونهنّ قبل فلا يجيبهم لخبثهم وعدم كفاءتهم لا لحرمة المسلمات على الكفار فانه شرع طارئ او مبالغة فى تناهى خبث ما يرومونه حتى ان ذلك اهون منه او اظهارا لشدة امتعاضه من ذلك كى يرقوا له وقيل المراد بالبنات نساؤهم فان كل نبي ابو امّته من حيث الشفقة والتربية وفى حرف ابن مسعود وازواجه امّهاتهم وهو اب لهم

امعض معضا و معضا و امتعضت منه اذا غضبت وشق ذلك عليك وقيل المراد بقوله بناتى نساء قومه جعل بنات قومه بناته لان النبي صلى الله عليه وسلم كالاب لقومه و ازواجه امهاتهم و اولادهم كاولاده * قال الامام وهذا القول عندى هو المختار ويدل عليه وجوه الاول ان اقدام الانسان على عرض بناته على الاوباش والفجار امر مستبعد لايليق باهل المروءة فكيف باكابر الانبياء عليهم الصلاة والسلام و الثانى انه قال هؤلاء بناتى هن اطهر لكم وبناته اللاتى من صلبه لا تكفى للجمع العظيم واما نساء امته ففيهن كفاية للكل اذ صحت الرواية انه كان له بنتان واطلاق لفظ البنات على البنتين لايجوز لما ثبت ان اقل الجمع ثلاثة ﴿قوله انظف فعلا او اقل فحشا﴾ لما ورد ان يقال الاناث ازيد طهارة منه ولا طهارة فى اتيان الذكران شرعا فاوجه حصول جعلهن اطهر * اجاب المصنف رحمه الله تعالى عنه بانه ليس المراد بالطهارة كونه حلالا ومشروعا حتى يرد ماذكر بل المراد بها النظافة بحسب العقل وقلة استفحاش الطبع ولاشك ان اتيانهن ازيد فى الطهارة بهذا المعنى بالنسبة الى اتيانهم ولم يلتفت المصنف الى كون بناء التفضيل هنا للزيادة المطلقة كما فى قولنا الله اكبر كما لا يخفى وان ذهب اليه الامام الرازى فى الكبير ﴿قوله على ان هن خبر بناتى﴾ قوله تعالى هؤلاء بناتى على القرآءة المشهورة جملة برأسها ويجوز ان يكون هن فصلا واطهر خبرا لهؤلاء والجملة خبر الاول وعلى قرآءة اطهر بالنصب هؤلاء مبتدأ وبناتى مبتدأ ثان وهن خبر الثانى والجملة خبرا لاول واطهر حالا قد عمل فيها ماعمل فى الاول اى فى هؤلاء بناتى من معنى الفعل كما فى قوله تعالى هذا بعلى شيخا ولايجوز ان يكون هن فصلا بين الحال وصاحبها لان ضمير الفصل انما يقع بين جزئى الجملة ولايقع بين الحال وذى الحال ﴿قوله ولاتفضحونى من الخزى﴾ يقال فضحه فافتضح اى كشف مساويه فذل وهان ويقال خزى بالكسر يخزى خزيا اى ذل وهان وخزى ايضا يخزى خزاية اى استحيي ويقال خجل خجلا اى تحير ودهش من الاستحياء واخجله غيره ﴿قوله لوقويت بنفسى على دفعكم﴾ اى لدفعتكم بها عن اضيافى على ان جواب لو محذوف لدلالة فحوى الكلام عليه وماذكره المصنف تصوير لحاصل المعنى فانه قد تقرر فى النحو ان كلمة ان انما تفتح بعد لو لكونها واقعة موقع المفرد لكون مافى حيزها فاعل فعل محذوف فقولك لو انك قائم معناه لو ثبت قيامك قال ابو البقاء قوله بكم حال من قوة وليس معمولا لها لانها مصدر ولايتقدم معمول المصدر عليه والتقدير لو ثبت واستقر لنفسى قوة بكم ويجوز ان تكون لو ههنا للتمنى فلا تحتاج الى الجواب الا ان القول بكونها شرطية حذف جوابها اولى لامكان تقدير انواع كثيرة من المنع والدفع والتعدى ونحوها وفى تقدير المصنف اشارة الى ان قوله تعالى اوآوى الى ركن شديد وقوله امتنع به عنكم وان كان صفة لشديد اى قوى الا ان فيه اشارة الى تعيين الجواب المحذوف والركن بسكون الكاف وضمها الناحية من الجبل وغيره والى ان كل واحد من قوله تعالى لو ان لى بكم قوة وقوله تعالى اوآوى الى ركن شديد له فائدة غير فائدة الآخر فان المراد بالاول كونه بنفسه قادرا على الدفع وبالثانى حضور من يعينه على الدفع ﴿قوله صلى الله عليه وسلم رحم الله اخى لوطا كان يأوى الى ركن شديد﴾ اى كان يريد او يتمنى ان يأوى الى ركن شديد وفى قوله رحم الله اشارة الى ان هذا الكلام من لوط عليه الصلاة والسلام ليس مماينبغى من حيث انه يدل على اقناط كلى ويأس شديد من ان يكون له ناصر ينصره والحال انه لاركن اشد من الركن الذى كان يأوى اليه أليس الله بكاف عبده وان قرئ آوى بالنصب يكون معطوفا على قوة والتقدير كما ذكره لو ان لى بكم قوة او اويا الى ركن شديد وهذه القرآءة تدل على ان آوى فى قرآءة الرفع معطوف على قوة ايضا بناء على انه كان منصوبا فى الاصل باضمار ان فلما حذف رفع الفعل كقوله تعالى ومن آياته يريكم البرق ﴿قوله فضرب جبريل بجناحه﴾ يعنى لما اقتحم لوط عليه الصلاة والسلام باب بيته فدخلوا تحول جبريل عليه الصلاة والسلام الى اصل صورته فضرب وجوههم فاعماهم وصاروا لايبصرون الطريق فانصرفوا وهم يقولون النجاة النجاة فان فى بيت لوط اسحر قوم فى الارض سحرونا فقال لوط عليه الصلاة والسلام متى موعد هلاكهم قالوا الصبح قال اريد اسرع من ذلك فلو اهلكتموهم الآن فقالوا أليس الصبح بقريب ﴿قوله وقرأ ابن كثير ونافع﴾ فانهما اسقطا الهمزة من قوله تعالى فاسر باهلك وقوله تعالى فاسر بعبادى وقوله ان اسر حال الوصل واثبتاها مكسورة حال الابتدآء والباقون وقرأوا الجميع بهمزة القطع تثبت مفتوحة حال الوصل والابتدآء والقرآءتان مأخوذتان من لغتى هذا الفعل فانه يقال سرى ومنه قوله تعالى والليل اذا يسر واسرى ومنه قوله تعالى سبحان الذى اسرى وهل هما بمعنى واحد او بينهما فرق فيه خلاف فقيل هما بمعنى واحد

(وقيل)

(هن اطهر لكم) انظف فعلا او اقل فحشا كقولك الميتة اطيب من المغصوب واحل منه وقرئ اطهر بالنصب على الحال على ان هن خبر بناتى كقولك هذا اخى هو ولا فصل فانه لايقع بين الحال وصاحبها (فاتقوا الله) بترك الفواحش او بايثارهن عليهم (ولاتخزون) ولا تفضحونى من الخزى اوولا تخجلونى من الخزاية بمعنى الحياء (فى ضيفى) فى شأنهم فان اخزاء ضيف الرجل اخزاؤه (أليس منكم رجل رشيد) يهتدى الى الحق ويرعوى عن القبيح (قالوا لقد علمت مالنا فى بناتك من حق) من حاجة (وانك لتعلم مانريد) وهو اتيان الذكران (قال لو ان لى بكم قوة) لوقويت بنفسى على دفعكم (اوآوى الى ركن شديد) الى قوى امتنع به عنكم شبهه بركن الجبل فى شدته وعن النبى صلى الله عليه وسلم رحم الله اخى لوطا كان يأوى الى ركن شديد وقرئ او آوى بالنصب على اضمار ان كأنه قال لو ان لى بكم قوة او اويا وجواب لو محذوف تقديره لدفعتكم روى انه اغلق بابه دون اضيافه واخذ يجادلهم من ورآء الباب فتسوروا الجدار فلما رأت الملائكة ماعلى لوط من الكرب (قالوا يالوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك) لن يصلوا الى اضرارك باضرارنا فهون عليك ودعنا واياهم فخلاهم ان يدخلوا فضرب جبريل عليه السلام بجناحه وجوههم فطمس اعينهم واعماهم فخرجوا يقولون النجاء النجاء فان فى بيت لوط سحرة (فأسر باهلك) بالقطع من الاسرآء وقرأ ابن كثير ونافع بالوصل حيث وقع فى القرآن من السرى (بقطع من الليل) بطائفة منه

وقيل اسرى لاوّل الليل و سرى لآخره واماسار فمختص بالنهار و ليس مقلوبا من سرى و الجوهرى اختار كون الاسرآء و السرى بمعنى حيث قال و سريت سرى و مسرى و اسريت بمعنى اذا سرت ليلا ثم قال و انما قال تعالى سبحان الذى اسرى بعبده ليلا و ان كان السرى لايكون الا بالليل للتأكيد كقولهم سرت امس نهارا او البارحة ليلا و الباء فى قوله تعالى باهلك يجوز ان تكون للتعدية و ان تكون للحال اى مصاحبا لهم و فى قوله بقطع للحال اى مصاحبين بقطع على ان المراد به ظلمة الليل وقيل فيه بمعنى فى اى اخرجوا لئلا تسمعوا نزول العذاب الذى موعده الصبح ﴿قوله ولايتخلف او ولا ينظر﴾ يعنى ان الالتفات يجيئ بمعنيين الاوّل الانصراف كما فى قوله تعالى أجئتنا لتلفتنا اى لتصرفنا فالمراد على هذا النهى عن التخلف لانه انصراف عن امتثال المأمور به و الثانى ان ينظر الانسان الى ورآئه فالظاهر ان المراد على هذا انه كان لهم فى البلد اموال و امتعة و اصدقاء فالملائكة عليهم الصلاة والسلام امروهم بان يخرجوا و يتركوا تلك الاشياء ويقطعوا تعلق قلوبهم عنها ﴿قوله والنهى فى اللفظ لاحد وفى المعنى للوط﴾ عليه الصلاة و السلام لما اختار ان قوله تعالى الا امرأتك استثناء من الاهل و استلزم ذلك المناقضة بين القرآءتين المتواترتين على ان قرآءة الرفع على البدلية من احد تستلزم ان تخرج المرأة مع جملة اهله و لاتكون منهية عن التفات كما نهى باقى اهله عنه و لاشك ان خروجها معهم بدون كونها منهية عن التفات مناقض لعدم خروجها معهم و القرآءة المقطوع بصحتها لايجوز حملها على المعانى المتفاوتة المتناقضة اشار الى دفع المناقضة بينهما بقوله و النهى فى اللفظ لاحد و فى المعنى للوط عليه الصلاة و السلام لان مكالمة الملائكة انما هى مع لوط فيكون معنى كلامهم لاتدع منهم احدا يلتفت و يتخلف عن السرى الا امرأتك فدعها وخلها وشانها و لاشك ان هذا المعنى لايناقض استثناءها من الاهل ثم بين ان هذا الجواب مبنى على ان يأوّل الالتفات بالتخلف لانه ان فسر بالنظر الى الورآء تكون المناقضة باقية بحالها سوآء جعل النهى لاحد او للوط عليه الصلاة والسلام وجعل صاحب الكشاف اختلاف القرآءتين لاجل اختلاف الروايتين وصحة الاستثناء مبنية عليه فاسد قطعا لان الروايتين متناقضتان يمتنع اجتماع مدلولهما وكل واحدة من القرآءتين متواترة ثابتة قطعا روى عن ابن الحاجب انه قال التفسير باطل يعنى جعل القرآءة بالرفع محمولة على الاستثناء والبدل من قوله تعالى ولايلتفت منكم احد وقرآءة النصب محمولة على الاستثناء من الموجب وهوقوله تعالى فاسر باهلك فان القرآءتين ثابتتان قطعا فيمتنع حملهما على الوجهين اذا احدهما باطل قطعا و القضية واحدة فهو اما ان يكون سرى بها او ماسرى بها فان كان قد سرى بها فليس مستثنى الا من قوله تعالى و لايلتفت منكم احد وان كان ماسرى بها فهو مستثنى من قوله تعالى فاسر باهلك وقد ثبت ان احد التأويلين باطل قطعا فلا يصار اليه فى احدى القرآءتين الثابتتين قطعا اى لايجوز حملهما على ما يوجب بطلان مقتضى احداهما واجيب عنه بمنع ان الاستثناء من الاهل يقتضى ان لايكون لوط عليه الصلاة و السلام مأمورا بالاسرآء بها و بمنع انها ماسرت بنفسها و يكفى لصحة الاستثناء بهذا المقدار كيف ولم ينهه عن اخراجها و لكنه امر باخراج غيرها قال الشيخ و الاولى من هذا ان يكون الا امرأتك فى الرفع و النصب مثل قوله تعالى مافعلوه الاقليل منهم و لابعد ان يكون اقل القرآء على الوجه الاقوى و اكثرهم على الوجه الذى هو دونه بل قد التزم بعض الناس انه يجوز ان يتفق جميع القرآء على قرآءة غير الاقوى الى هنا كلام الشيخ واختار المصنف اوّلا ان يكون قوله الا امرأتك استثناء من قوله تعالى فاسر باهلك لانه كلام موجب و الاستثناء الواقع بعد الكلام الموجب يكون منصوبا ابدا و قوله و لايلتفت منكم احد غير موجب و المختار فى مثله البدل فلوجعل قوله تعالى الا امرأتك متعلقا بقوله و لايلتفت منكم احد لكان الرفع فيه هو الراجح و اكثر القرآء على النصب فيلزم اطباق الاكثر على الوجه المرجوح وهو بعيد ثم ايده بقرآءة عبد الله فاسر باهلك بقطع من الليل الا امرأتك فان الاستثناء على هذه القرآءة من الاهل ليس الا اذ لم يذكر فى مصحفه قوله تعالى و لايلتفت منكم احد ثم قال و الاولى ان يكون قوله الا امرأتك على قرآءة النصب استثناء متعلقا بغير الموجب وان كان الافصح حينئذ الرفع على البدلية كما هو متعلق به على قرآءة الرفع ليتفق القرآءتان بقدر ما امكن فاذا لم يكن له ان يدع احدا من اهله لان يتخلف او لان ينظر الى ورآء الا امرأته فان له ان يدعها للتخلف او للنظر فيحصل اتفاق القرآءتين فى حسن انتظام اللفظ والمعنى * ولما ورد ان يقال الاستثناء من غير الموجب ايجاب فيلزم ان تكون مأمورة بالالتفات ولا معنى له * اجاب عنه بقوله و لايلزم من ذلك امرها بالالتفات بل اللازم

(ولا يلتفت منكم احد) و لايتخلف او و
ينظر الى ورائه والنهى فى اللفظ لاحد و فى
المعنى للوط (الا امرأتك) استثناء من قول
فأسر باهلك و يدل عليه انه قرئ فاسـ
باهلك بقطع من الليل الا امرأتك وهذا انـ
يصح على تأويل الالتفات بالتخلف فانه او
فسر بالنظر الى الورآء فى الذهاب ناقض
ذلك قرآءة ابن كثير و ابى عمرو بالرفع على
البدل من احد و لايجوز حمل القرآءتين على
الروايتين فى انه خلفهامع قومها او اخرجهـ
فلما سمعت صوت العذاب التفتت و قالت
ياقوماه فادركها حجر فقتلها لان القواطـ
لايصح حملها على المعانى المتناقضة و الاولى
جعل الاستثناء فى القرآءتين من قوله لايلتفت
مثله فى قوله تعالى مافعلوه الاقليل

ولابعد ان يكون اكثر القرآء على غير الافصح ولايلزم من ذلك امرها بالالتفات بل عدم نهيها عنه استصلاحا ولذلك علله على طريقة الاستئناف بقوله (انه مصيبها مااصابهم) ولايحسن جعل الاستثناء منقطعا على قرآءة الرفع (ان موعدهم الصبح) كأنه علة الامر بالاسراء (أليس الصبح بقريب) جواب لاستعجال لوط واستبطائه العذاب (فلما جاء امرنا) عذابنا او امرنا به ويؤيده الاصل وجعل التعذيب مسببا عنه بقوله (جعلنا عاليها سافلها) فانه جواب لما وكان حقه جعلوا عاليها اى الملائكة المأمورون به فاسند الى نفسه من حيث انه المسبب تعظيما للامر فانه روى ان جبريل عليه السلام ادخل جناحه تحت مدآئنهم ورفعها الى السماء حتى سمع اهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم (وامطرنا عليها) على المدن او على شذاذها (حجارة من سجيل) من طين متحجر لقوله حجارة من طين واصله سنكيل فعرّب وقيل انه من اسجله اذا ارسله اوأدرّ عطيته والمعنى من مثل الشئ المرسل اومن مثل العطية فى الادرار اومن السجل اى مما كتب الله ان يعذبهم به وقيل اصله من سجين اى من جهنم فابدلت نونه لاما (منضود) نضد معدّا لعذابهم او نضد فى الارسال يتتابع بعضه بعضا كقطار الامطار او نضد بعضه على بعض والصق به (مسوّمة) معلمة للعذاب وقيل معلمة ببياض وحمرة او بسيما تميز بها عن حجارة الارض او باسم من يرمى بها (عند ربك) فى خزآئنه (وماهى من الظالمين ببعيد) فانهم بظلمهم حقيق بان يمطر عليهم وفيه وعيد لكل ظالم وعنه عليه الصلاة والسلام انه سأل جبريل عليه السلام فقال يعنى ظالمى امتك مامن ظالم منهم الا وهو بمعرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة وقيل الضمير للقرى اى هى قريبة من ظالمى مكة يمرّون بها فى اسفارهم الى الشام وتذكير البعيد على تأويل الحجر او المكان (والى مدين اخاهم شعيبا) اراد اولاد مدين بن ابراهيم عليه السلام او اهل مدين وهو بلد بناه فسمى باسمه (قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره ولاتنقصوا المكيال والميزان) امرهم بالتوحيد اوّلا فانه ملاك الامر ثم نهاهم عما اعتادوه من البخس المنافى للعدل المخل بحكمة التعاوض (انى اراكم بخير) بسعة تغنيكم عن البخس او بنعمة حقها ان تتفضلوا على الناس شكرا عليها الا ان تنقصوا حقوقهم او بسعة فلا تزيلوها بما انتم عليه وهو فى الجملة علة النهى (وانى اخاف عليكم عذاب يوم محيط) لايشذ منه احد منكم وقيل عذاب مهلك من قوله واحيط بثمره والمراد عذاب يوم القيامة او عذاب الاستئصال وتوصيف اليوم بالاحاطة وهى صفة العذاب لاشتماله عليه (وايضا) (وياقوم اوفوا المكيال والميزان) صرّح الامر بالايفاء بعد النهى عن ضدّه مبالغة وتنبيها على انه لايكفيهم الكف عن تعمد التطفيف بل يلزمهم السعى

عدم نهيها عنه وذلك لمامرّ من ان قوله تعالى ولايلتفت نهى للوط عليه الصلاة والسلام والاستثناء من النهى عدم النهى ﴿قوله ولايحسن جعل الاستثناء منقطعا على قرآءة الرفع﴾ لان المستثنى المنقطع يجب نصبه عند الاكثرين ولايجوز البدل الا على لغة تميم وعليها قوله

و بلدة ليس بها انيس ❁ الا اليعافير والا العيس ❁

لان اليعافير والعيس مستثنى منقطع بعد الامع رفعه على البدلية من انيس ولايحسن ان يحمل اعراب افصح الكلام على اللغة القليلة وفى قوله لايحسن اشارة الى انه يجوز جعل الاستثناء منقطعا على كل واحدة من القرآءتين بان لايقصد اخراج المرأة من المأمور بالاسراء بهم ولا المنهيين عن الالتفات بل يقصد استئناف الاخبار عنها بانه يصيبها مااصابهم فالمعنى لكن امرأتك يجرى عليها كذا وكذا ﴿قوله ويؤيده الاصل﴾ اى يؤيد كون المراد بقوله امرنا امره تعالى بالعذاب ان الاصل حمل اللفظ على معناه الاصلى الحقيقى لانه لو اريد العذاب للزم ان يتحد السبب والمسبب لان الجعل المذكور فى قوله جعلنا عاليها سافلها هو العذاب فيكون حاصل المعنى فلما جاء امرنا فلما جاء عذابنا عذبنا فوجب ان يحمل الامر على ماهو ضدّ النهى ﴿قوله وكان حقه جعلوا﴾ جواب عما يقال لو كان المعنى فلما امرنا الملائكة عليهم الصلاة والسلام بايصال العذاب اليهم لكان الظاهر ان يقال فلما جاء امرنا جعلوا عاليها سافلها لان العذاب انما صدر عن المأمورين وتقرير الجواب انه اوثر طريق الاسناد المجازى حيث لم يسند الفعل الى المباشر بل اسند الى المسبب على صيغة الفاعل على انه فاعل السبب وهو الآمر لان ماوقع من المباشر انما وقع بامر الله تعالى واقداره تعظيما لشأن الفعل الصادر وقوله عاليها سافلها مفعول الجعل الذى بمعنى التصيير اى عالى مدآئنهم ومساكنهم والمعنى وجعل جبريل عليه الصلاة والسلام عالى قراهم سافلها بامرنا ﴿قوله او على شذاذها﴾ اى منفرديها عن جمهور اهل المدن يقال شذ عنه يشذ شذوذا اذا انفرد عن الجمهور وشذاذ الناس الذين يكونون فى القوم وليسوا من قبائلهم روى ان الحجر تبع شذاذهم ومسافريهم اين كانوا فى البلاد ودخل رجل منهم الحرم فكان الحجر متعلقا عليه فى السماء اربعين يوما حتى خرج فاصابه فاهلكه ﴿قوله واصله سنكيل﴾ وهو بالفارسية وبالعربية حجر من طين فعرّب وجعلت حروفه الى ماترى وينصره ماروى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال هو حجر من طين كالآجر المطبوخ ﴿قوله نضد معدّا لعذابهم﴾ يعنى ان منضودا اسم مفعول من النضد وهو وضع الشئ بعضه على بعض واعدادها لاهلاك الظلمة اولكون بعضها فوق بعض فى النزول ولان كل حجر منها منضود فان مافيه من الاجزآء منضود بعضه على بعض وملتصق بعضه ببعض ﴿قوله تعالى مسوّمة﴾ منصوب على انه صفة حجارة وعندا منصوب بمسوّمة واما محذوف على انه صفة حجارة او صفة مسوّمة ﴿قوله الا وهو بمعرض حجر﴾ يقال فلان عرضة للناس لايزالون يقعون فيه وجعلت فلانا عرضة لكذا اى نصبته ﴿قوله وتذكير البعيد﴾ مع ان ماهو على صيغة الفعيل انما يستوى فيه المذكر والمؤنث اذا كان بمعنى المفعول نحو قتيل وذبيح ونحو قريب وبعيد بمعنى الفاعل فلا يستويان فيه الا لنكتة ﴿قوله اراد اولاد مدين﴾ يعنى ان مدين اسم لمدين بن ابراهيم عليه السلام ثم صار اسما للقبيلة وهى المراد به فى الآية وكثير من المفسرين ذهبوا الى ان مدين اسم مدينة بناها مدين بن ابراهيم عليه السلام والمعنى على هذا التقدير وارسلنا الى اهل مدين بحذف المضاف كما فى قوله واسأل القرية اى اهلها ﴿قوله تعالى ولاتنقصوا﴾ نقص يتعدّى الى اثنين الى اوّلهما بنفسه والى ثانيهما بحرف الجرّ وقد يحذف تقول نقصت زيدا من حقه وحقه وهو فى الآية كذلك اذ المراد لاتنقصوا الناس من المكيال والميزان اى مما يكال او يوزن بهما على طريق ذكر المحل وارادة الحال والآية بظاهرها تدل على انه يستوفى ماهو ازيد من حقه وان استلزم نقص الموفى حقه من المكيل والموزون ﴿قوله لاشتماله عليه﴾ اى لاشتمال اليوم على ماهو واقع فيه من العذاب وتوصيف زمان الشئ بصفة ذلك الشئ مجاز مشهور كقوله هذا يوم عصيب ﴿قوله صرح الامر بالايفاء﴾ دفع لما يتوهم من ان هذه الآية وكذا مابعدها تكرار لقوله ولاتنقصوا المكيال والميزان ووجه الدفع ان قوله ولاتنقصوا المكيال والميزان نهى عن ضدّ الشئ وقوله اوفوا المكيال والميزان امر بايفاء الشئ وهو العدل والنهى عن ضدّ الشئ مغاير للامر به ثم انهما وان كانا متلازمين لاينفك احدهما عن الآخر الا ان ذكر احدهما عقب الآخر فى حكم التكرير ولاشك ان التكرير يفيد التأكيد وشدّة العناية والاهتمام

وايضا النهى عن شئ لما توقف على كونه فعلا اختياريا المنهى كان النهى عبارة عن طلب الكف عن مباشرته عمدا وكان التطفيف سهوا اى نسيانا غير مناف للعمل بمقتضى قوله تعالى ولا تنقصوا المكيال والميزان من حيث ان الساهى والناسى لم يباشرا تنقيص حق الغير عمدا الا ان شعيبا عليه الصلاة والسلام لم يكتف بتكليفهم بالامتناع عن التطفيف عمدا بل كلفهم ايضا بالسعى فى ايفاء الحق اى اعطائه تاما كاملا وان استلزم ذلك ان يعطى قدرا زآئدا على الحق حتى يخرج عن العهدة بيقين لكن اعطاء الزيادة ليس بمأمور به لقوله بالقسط فانه حال من فاعل اوفوا ولما وجب ان يكون المأمور به مما يدخل تحت القصد والاختيار كان معنى اوفوا المكيال والميزان اسعوا فى اعطاء الحق على وجه التمام والكمال بحيث يحصل لكم اليقين بالخروج عن العهدة ملتبسين بالعدل والتسوية فالمأمور به هو الايفاء بطريق الازدياد فانه مندوب غير مأمور به وقد يكون محظورا وذلك اذا كان المعقود عليه من الاموال الربوية * واعلم ان العلماء اختلفوا فى ان الامر بالشئ هل هو نهى عن ضده اولا وكذا النهى عن شئ هل هو امر بضده اولا فذهب امام الحرمين والغزالى رحمهما الله تعالى الى ان الامر بالشئ ليس نهيا عن ضده ولا يقتضيه عقلا وقال القاضى ابو اسحق انه نهى عن ضده واليه ذهب الامام فى المعالم والقاضى فى المنهاج وقال القاضى ابو اسحق والنهى كذلك اى ان النهى عن الشئ امر بضده وكذا يقتضيه عقلا لان النهى عن الفعل طلب ضد الفعل فيكون امرا بالضد ﴿قوله تعميم بعد تخصيص﴾ جواب عما يقال البخس النقص فقوله تعالى لا تبخسوا الناس اشياءهم بمعنى قوله تعالى لا تنقصوا المكيال والميزان فما الفائدة فى هذا التكرار * وتقرير الجواب انه لا تكرار ههنا لان مدلول الكلام الاول النهى عن البخس فى المقدار وذكر المكيال والميزان لكونهما اكثر آلات التقدير استعمالا ومدلول قوله تعالى ولا تبخسوا الناس اشياءهم النهى عن البخس فى مطلق ما يستحقه بعقد المعاوضة والمعنى لا تنقصوا الناس ما يستحقون عليكم بالعقود اى شئ كان وذكر صاحب الكشاف للبخس ثلاثة معان الهضم وهو الظلم وكسر الحق والثانى النقص والثالث المكس وهو اخذ المكس والعشور والخراج وما هو اليوم فى الاسواق من رسوم الظلم واستشهد على اطلاق البخس على المكس بقول زهير * أفى كل اسواق العراق اتاوة * اى خراج * وفى كل ما باع امرؤ بخس درهم * وروى مكس درهم ثم قال وكانوا يأخذون من كل شئ يباع شيأ كما تفعل السماسرة او كانوا يمكسون الناس وكانوا ينقصون من اثمان ما يشترون من الاشياء فنهوا عن ذلك انتهى ﴿قوله فان العثو يعم تنقيص الحقوق وغيره من انواع الفساد﴾ يعنى العثو الافساد مطلقا سوآء كان تنقيص الحقوق او غيره فهو ايضا من قبيل التعميم بعد التخصيص وفى الصحاح عثا فى الارض يعثو أفسد وكذلك عثى بالكسر يعثى قال تعالى ولا تعثوا فى الارض مفسدين وفى التيسير العثى المبالغة فى الافساد فجعل تجاوز الحد فى هذه المعاملة افسادا فى الارض لانه تغيير لما وضعه الله تعالى من قانون سنن المعاملة بالعدل واصلح به احوال اهل الارض وقال الراغب العثى والعيث متقاربان نحو جذب وجبذ الا ان العيث اكثر ما يستعمل فى الفساد الذى يدرك حسا والعثى فيما يدرك حكما ﴿قوله وقيل المراد بالبخس الخ﴾ اشارة الى ان المختار ان يكون البخس عبارة عن نقص ما يستحقه المرء بعقد المعاوضة وان يكون العثو عبارة عن الافساد مطلقا سوآء كان تنقيص الحق او غيره ﴿قوله وفائدة الحال﴾ اشارة الى جواب ما يقال ان العثى الافساد فيكون قوله ولا تعثوا فى الارض مفسدين بمنزلة ان يقال ولا تفسدوا فى الارض مفسدين فما وجهه * وتقريره ان الفساد خروج الشئ عن الاعتدال اللائق فمعنى الآية لا تخرجوا اشياء مما فى الارض عن الاعتدال وذلك الاخراج قد يكون لقصد الاصلاح كما فعله الخضر عليه الصلاة والسلام من قتل الغلام وخرق السفينة وقد يكون لقصد الاضرار والافساد كفعل الظلمة والنهى عن الافساد ههنا نهى عن الافساد على الوجه الثانى فلذلك قيده بالحال * وتقرير الجواب الثانى ان الافساد المقيد المنهى عنه غير الافساد الذى وقع قيدا لان المراد بالافساد الاول افساد حال الغير وبالافساد الثانى افساد حال نفسه مما يتعلق بامر دينه ومصالح آخرته فان من سعى فى افساد حال الغير فهو فى الحقيقة ساع فى افساد نفسه ولم يرض بهذا الجواب لقلة فائدة التقييد بالحال حينئذ ﴿قوله ما ابقاه لكم من الحلال﴾ اشارة الى ان بقية فعيلة بمعنى المفعول واضافتها للتشريف كما فى بيت الله وناقة الله فان ما بقى بعد الايفاء فائدته وهى حصول الثواب والنجاة من العذاب والعقاب انما تظهر مع الايمان فان الكافر يخلد فى عذاب النيران ومحروم من الرضوان وثواب الرحمن سوآء اوفى الكيل

(ولا تبخسوا الناس اشياءهم) تعميم بعد تخصيص فانه اعم من ان يكون فى المقدار او فى غيره وكذا قوله (ولا تعثوا فى الارض مفسدين) فان العثو يعم تنقيص الحقوق وغيره من انواع الفساد وقيل المراد بالبخس المكس كأخذ العشور من المعاملات والعثو السرقة وقطع الطريق والغارة وفائدة الحال اخراج ما يقصد به الاصلاح كما فعله الخضر عليه السلام وقيل معناه ولا تعثوا فى الارض مفسدين امر دينكم ومصالح آخرتكم (بقية الله) ما ابقاه الله لكم من الحلال بعد التنزه عما حرم عليكم (خير لكم) مما تجمعون بالتطفيف (ان كنتم مؤمنين) بشرط ان تؤمنوا فان خيرتها باستتباع الثواب مع النجاة وذلك مشروط بالايمان او ان كنتم مصدقين لى فى قولى لكم وقيل البقية الطاعة لقوله والباقيات الصالحات وقرئ تقية الله بالتاء وهى تقواه التى تكف عن المعاصى (وما انا عليكم بحفيظ) احفظكم عن القبائح او احفظ عليكم اعمالكم فاجازيكم عليها وانما انا ناصح مبلغ وقد اعذرت حين انذرت او لست بحافظ عليكم نعم الله لو لم تتركوا سوء صنيعكم (قالوا يا شعيب اصلواتك تأمرك ان نترك ما يعبد آباؤنا) من الاصنام اجابوا به بعد ان امرهم بالتوحيد على الاستهزاء به والتهكم بصلواته والاشعار بان مثله لا يدعو اليه داع عقلى وانما دعاك اليه خطرات ووساوس من جنس ما تواظب عليه وكان شعيب كثير الصلوات فلذلك جمعوا وخصوا الصلاة بالذكر وقرأ حمزة والكسائى وحفص على الافراد

والمعنى اصلواتك تأمرك بتكليف ان نترك فحذف المضاف لان الرجل لايؤمر بفعل غيره (او ان نفعل فى اموالنا مانشاء) عطف على ماأى وان نترك فعلنا مانشاء فى اموالنا وقرئ بالتاء فيهما على ان العطف على ان نترك وهو جواب النهى عن التطفيف والامر بالايفاء وقيل كان ينهاهم عن تقطيع الدراهم والدنانير فأرادوا به ذلك (انك لأنت الحليم الرشيد) تهكموا به وقصدوا وصفه بضدّ ذلك او عللوا انكار ما سمعوا منه واستبعاده بانه موسوم بالحلم والرشد المانعين عن المبادرة الى امثال ذلك (قال ياقوم ارأيتم ان كنت على بينة من ربى) اشارة الى ماآتاه الله من العلم والنبوّة (ورزقنى منه رزقا حسنا) اشارة الى ماآتاه الله من المال الحلال وجواب الشرط محذوف تقديره فهل يسع لى مع هذا الانعام الجامع للسعادات الروحانية والجسمانية ان اخون فى وحيه واخالفه فى امره ونهيه وهو اعتذار عما انكروا عليه من تغيير المألوف والنهى عن دين الآباء والضمير فى منه لله اى من عنده وباعانته بلا كدّ منى فى تحصيله (وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه) اى وما اريد ان آتى ما انهاكم عنه لاستبدّ به دونكم فلو كان صوابا لآثرته ولم اعرض عنه فضلا عن ان انهى عنه يقال خالفت زيدا الى كذا اذا قصدته وهو مولٍ عنه وخالفته عنه اذا كان الامر بالعكس (ان اريد الا الاصلاح ما استطعت) ما اريد الا ان اصلحكم بامرى بالمعروف ونهيى عن المنكر مادمت استطيع الاصلاح فلو وجدت الصلاح فيما انتم عليه لما نهيتكم عنه ولهذه الاجوبة الثلاثة على هذا النسق شأن وهو التنبيه على ان العاقل يجب ان يراعى فى كل مايأتيه ويذره احد حقوق ثلاثة اهمها واعلاها حق الله تعالى وثانيها حق النفس وثالثها حق الناس وكل ذلك يقتضى ان آمركم بما امرتكم به وانهاكم عما نهيتكم عنه وما مصدرية واقعة موقع الظرف وقيل خبرية بدل من الاصلاح اى المقدار الذى استطعته او اصلاح ما استطعته بحذف المضاف (وما توفيقى الا بالله) وما توفيقى لاصابة الحق والصواب الا بهدايته ومعونته (عليه توكلت) فانه القادر المتمكن من كل شئ وما عداه عاجز فى حدّ ذاته بل معدوم ساقط عن درجة الاعتبار وفيه اشارة الى محض التوحيد الذى هو اقصى مراتب العلم بالمبدأ (واليه انيب) اشارة الى معرفة المعاد وهو ايضا يفيد الحصر بتقديم الصلة على الفعل وفى هذه الكلمات طلب التوفيق لاصابة الحق فيما يأتيه ويذره من الله تعالى والاستعانة به فى مجامع امره والاقبال عليه بشراشره وحسم اطماع الكفار واظهار الفراغ عنهم وعدم المبالاة بعاداتهم وتهديدهم بالرجوع الى الله للجزاء (وياقوم لايجرمنكم) لايكسبنكم (شقاق) معاداتى

والميزان اوسلك سبيل الخوّان ﴿قوله او ان كنتم مصدّقين لى فى قولى لكم﴾ اى انكم تجتنبون عن التطفيف وتكتفون بما يبقى لكم بعد الايفاء فان جواب مثل هذا الشرط محذوف عند جمهور البصريين وان ذهب آخرون الى ان جوابه هو ماتقدّم عليه وقال مجاهد بقية الله اى طاعة الله خير لكم من ذلك القدر القليل لان منفعة الطاعة تبقى ابدا جعل البقية بمعنى الباقية وسمى الطاعة والعبادة التى يقصد بها وجه الله بقية لبقاء ثوابها فتكون الاضافة لتخصيص ثوابها للمكلف ابدا ومنه قوله تعالى والباقيات الصالحات اى التى يبقى ثوابها من الاعمال فان البقاء عبارة عن ثواب الشئ على الحالة الاولى ويضادّه الفناء ﴿قوله لان الرجل لايؤمر بفعل غيره﴾ تعليل لتقدير المضاف اى لابدّ من هذا التقدير لان المأمور بقوله تعالى أصلواتك تأمرك هو شعيب عليه الصلاة والسلام والمأمور به بحسب الظاهر هو الترك الذى هو فعل الكفار فابقاء الكلام على ظاهره يستلزم ان يكون شعيب عليه الصلاة والسلام مأمورا بفعل الكفار وهو الترك فلابدّ من تقرير المضاف اى اصلواتك تأمرك ياشعيب بتكليفك ايانا ان نترك ﴿قوله وان نترك﴾ اشارة الى ان كلمة او بمعنى الواو لان ماكلفهم به شعيب عليه الصلاة والسلام هو مجموع الامرين لا احدهما وان اجابتهم اياه على سبيل الانكار والاستهزاء انما هو بقولهم له اصلواتك تأمرك بتكليفك ايانا بهذين الامرين لا باحدهما ﴿قوله وقرئ بالتاء فيهما﴾ على معنى اصلواتك تأمرك ان تفعل انت فى اموالنا ماتشاء انت على ان يكون معطوفا على مفعول تأمرك ﴿قوله تهكموا به﴾ يعنى ان قولهم الحليم الرشيد من قبيل الاستعارة التبعية استعاروا الحلم والرشد للسفه والغواية على التهكم ثم سرت الاستعارة فيهما الى الحليم الرشيد ﴿قوله وهو اعتذار عما انكروا عليه من تغيير المألوف والنهى عن دين الآباء﴾ فان شعيبا عليه الصلاة والسلام دعاهم اوّلا الى التوحيد ثم دعاهم الى ترك البخس فى المكيال والميزان على ماهو دأب الانبياء عليهم الصلاة والسلام من انهم يبتدئون بالدعوة ثم يشرعون فيما هو الاهمّ فالاهمّ وكان المعتاد من اهل مدين البخس والتطفيف فدعاهم الى ترك هذه العادة بعد دعوتهم الى التوحيد فانكر قومه عليه ماوقع منه من هاتين الدعوتين قالوا انك سفيه متهتك تعمل مابدا لك من غير روية وتأمّل وضالّ عن الطريق بان قالوا انك تدعى حليما رشيدا فى قومك فكيف يليق بك ان تبادر الى تغيير طريقتنا المألوفة فى باب المعاملة بالاموال وفى عبادة الاوثان فاجابهم شعيب عليه الصلاة والسلام بطريق ارخاء العنان والكلام المنصف كانه قال صدقتم فيما قلتم انى لم اكن مرشدا لكم حليما فيما بينكم لكن ماجئت به ليس غير الارشاد والنصيحة انظروا بعين الانصاف فان كنت على نعمة جليلة من عند ربى وكنت نبيا حقيقة ورزقنى منه رزقا حسنا فكيف يسع لى ان اقدم على مافعلته من النهى عن عبادة غير الله تعالى وعن البخس والتطفيف ونحو ذلك من المعاصى مع كثرة ماعندى من نعم الله تعالى الجسمانية والروحانية وهو تعالى قد امرنى بتبليغ رسالته وبيان ماشرعه من الاحكام المتعلقة بباب العبادات والمعاملات فكيف يتصوّر منى مع كثرة نعم الله تعالى علىّ ان اخالف امره وتكاليفه ﴿قوله يقال خالفت زيدا الى كذا اذا قصدته وهو مولى عنه﴾ على ان يكون الى كذا متعلقا بمحذوف هو حال من فاعل خالفت اى خالفته مائلا الى ماهو مولٍ عنه فمعنى الآية ما اريد مخالفتكم مائلا الى ما انهاكم عنه ﴿قوله وخالفته عنه اذا كان الامر بالعكس﴾ اى اذا وليت عنه وهو قاصده لان مخالفة زيد موليا عن كذا انما تكون بان يقصده زيد ﴿قوله وما مصدرية﴾ يريد ان كلمة ما فى قوله ما استطعت يحتمل ان تكون مأوّلة بالزمان واقعة موقعه كما فى نحو آتيك خفوف النجم وصياح الديك اى مدّة استطاعتى ويحتمل ان تكون خبرية اى موصولة بمعنى الذى بدلا من الاصلاح والتقدير ان اريد الا الاصلاح اى المقدار الذى استطيعه من الاصلاح او الا الاصلاح اصلاح ما استطعته من الاصلاح فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه واعرب باعرابه ﴿قوله تعالى لايجرمنكم شقاقى﴾ اى شقاقكم وعداوتكم اياى ان يصيبكم عذاب العاجلة وهو عذاب الاستئصال فى الدنيا مثل مااصاب من قبلكم من الهالكين وجرم وان كان يتعدّى الى واحد والى اثنين الا انه فى الآية قد تعدّى الى اثنين اوّلهما الكاف والميم وثانيهما ان يصيبكم يقال جرم زيد ذنبا اى كسبه وجرمته ذنبا اى كسبته اياه فهو مثل كسب فى كونه متعديا الى واحد تارة والى اثنين اخرى وانشد الزمخشرى على تعديته الى اثنين قوله

ولقد طعنت اباعيينة طعنة ❊ جرمت فزارة بعدها ان يغضبوا

وقرآءة العامة لايجرمنكم بفتح ياء المضارعة على انه مضارع جرم الثلاثى وقرئ بضمها على انه مضارع المنقول

من جرم المتعدّى الى واحد و العامة ايضا على ضم لام مثل على انه فاعل يصيبكم و قرئ بفتحها و تلك الفتحة فتحة بناء و ذلك لان مثل و ان كان فاعلا كما له فى القرآءة المشهورة الا انه بنى على الفتح لاضافته الى غير متمكن كما فى قوله تعالى انه لحق مثل ما انكم تنطقون فان مثل و غير مع ما و ان مخففة و مشـدّدة يجوز بناؤهما على الفتح و اعرابهما كقوله

❁ لم يمنع الشرب منها غير أن نطقت ❁ حمامة فى غصون ذات اوقال ❁

الضمير فى منها للراحلة لم يمنعها من الشرب الا انها سمعت صوت حمامة فنفرت يريد انها حديدة الحس فيها فزع و ذعر لحدّة حسها و ذلك محمود فيها و الاوقال جمع وقل و هى الحجارة اى غصون ثابتة بارض ذات حجارة و قيل الوقل شجرة المقل بنى غير على الفتح مع انه فاعل لم يمنع ﴿قوله و افراد البعيد﴾ مع انه خبر عن الجمع فالقياس يقتضى ان يقال بعداء او بعيدين لان القوم اسم جمع مبنى على ان فى الكلام مضافا مقدّرا و التقدير و ما اهلاك قوم لوط عليه الصلاة و السلام او على ان فيه موصوفا مقدّرا اى و ما هم بشئ بعيد ﴿قوله و لا يبعد ان يسوّى فى امثاله﴾ من نحو القريب و القليل و الكثير بين المذكر و المؤنث اشارة الى جواب ما يقال من ان لفظ القوم مؤنث كقوله تعالى كذبت قوم نوح فالقياس ان يقال بعيدة فلم ذكر بعيد و ما ذكره من كون امثاله على زنة المصادر جواب ثالث غير تقدير المضاف او الموصوف لانهما جوابان عن هذا السؤال ايضا و الصهيل صوت الخيل و النهيق و الشهيق صوت الحمار ﴿قوله ما يفعل البليغ المودّة بمن يودّه﴾ يعنى ان الودود بناء مبالغة من ودّ الشئ يودّه ودادة اى احبه و آثره و المشهور وددت بكسر العين و سمع الكسائى وددت بفتحها و الودود بمعنى المحب اى يودّ عباده و يرحمهم و قد تقرّر انه تعالى اذا وصف بما هو من قبيل الكيفيات النفسانية الانفعالية يراد به غاياتها فلذلك فسر المصنف كونه تعالى ودودا محبا لعباده بانه يفعل بعباده ما يفعله بليغ المودّة بمن يودّه و قيل الودود فى اسماء الله تعالى بمعنى المفعول و المعنى ان عباده يحبونه لكثرة احسانه و افضاله على الخلق ﴿قوله و هو وعد على التوبة﴾ و بيان لهم ان سبق الكفر و المعصية منهم لا ينبغى ان يمنعهم من الرجوع الى الطاعة راعى شعيب عليه الصلاة و السلام فى جواب قومه ترتيبا لطيفا لانه بين اوّلا ان ظهور البينة و كثرة انعام الله تعالى عليه فى الظاهر و الباطن يمنعه من الخيانة فى وحى الله تعالى و يصدّه عن التهاون فى تبليغه كأنه قال انما اسعى و اجتهد فى تبليغ ما اوحى الىّ رعاية لحق الله تعالى ثم بين ان سعيه هذا رعاية لحق نفسه ثم بين ان فيه رعاية لحق الناس ثم لما بين صحة طريقته اشار الى الوعيد على الاصرار بما هم عليه من الكفر و العصيان و حملهم على الاستغفار و التوبة و علل قبول ذلك بانه رحيم ودود ﴿قوله و قيل قالوا ذلك استهانة بكلامه﴾ فان الرجل قد يقول لصاحبه لا ادرى ما تقول و ان كان قد فهم كلامه لكنه لما لم يقبله و استهان به صار كأنه لم يفهمه فيقول ذلك القول و هذه التوجيهات جواب عما يقال انه عليه الصلاة و السلام كان يخاطبهم بلسانهم فلم قالوا ما نفقه كثيرا مما تقول مع انه لحسن محاورته مع قومه و كمال اقتداره فى مراجعة جوابهم يسمى خطيب الانبياء عليهم الصلاة و السلام فكيف لا يفهم كلامه و المشهور ان الضعيف من ليس له قوّة جسمانية يمنع بها القوم عن نفسه او من ليس له عزة و اتباع يتقوّى بها على تحصيل مقاصده و قيل الضعيف عبارة عن الاعمى فى لغة حمير و حمله على هذا المعنى غير مناسب لهذا المقام و السوق يقتضى ان يكون مرادهم بالضعيف من لا قوّة له لا الاعمى اذ حمله عليه مخالف الظاهر من غير دليل و مع هذا قوله فينا يبطل حمله على ذلك المعنى فانه لو قيل انا لنراك فينا اعمى لكان كلاما فاسدا لان الاعمى اعمى فيهم و فى غيرهم * قال الامام و اعلم ان اصحابنا يجوّزون العمى على الانبياء عليهم الصلاة و السلام الا ان هذا اللفظ لا يحسن الاستدلال به فى اثبات هذا المعنى لان حمل لفظ الضعف على معنى العمى ليس بسديد فى هذا المقام فكيف يستدل به عليه و اما المعتزلة فقد اختلفوا فيه فمنهم من قال انه لا يجوز لكونه منفرا فانه لا يمكنه الاحتراز عن النجاسات و انه يخل بجواز كونه حاكما و شاهدا فلان يمنع من النبوّة كان اولى * و اجاب المصنف عنه اى عن هذا الاستدلال بقوله و الفرق بين و لعل مراده ان مناط امر النبوّة كون الانسان يوحى اليه من قبله تعالى و كونه مبلغا لما اوحى اليه و العمى لا يخل بهذا المعنى بخلاف القضاء و الشهادة فان مناطهما تمييز من له الحق و من عليه و العمى مناف له ﴿قوله لا لخوف من شوكتهم﴾ لئلا يخالف قوله سابقا او مهينا لا عزلك و انما نفى شوكة قومه من حيث انهم عبروا عن قومه بالرهط و الجماعة القليلة لا يكون لهم شوكة لكنهم اثبتوا لهم الحرمة لكونهم على ملتهم و دينهم و لم يحترموا شعيبا عليه الصلاة و السلام لانه لا حرمة له

﴿ان يصيبكم مثل ما اصاب قوم نوح﴾ من الغرق ﴿او قوم هود﴾ من الريح ﴿او قوم صالح﴾ من الرجفة و ان بصلتها ثانى مفعولى جرم فانه يعدّى الى واحد و الى اثنين ككسب و عن ابن كثير يجرمنكم بالضم و هو منقول من المتعدى الى مفعول و الاوّل افصح فان اجرم اقل دورانا على السنة الفصحاء و قرئ مثل بالفتح لاضافته الى المبنى كقوله

لم يمنع الشرب منها غير أن نطقت *
حمامة فى غصون ذات اوقال *

﴿و ما قوم لوط منكم ببعيد﴾ زمانا او مكانا فان لم تعتبروا بمن قبلهم فاعتبروا بهم او ليسوا ببعيد منكم فى الكفر و المساوى فلا يبعد عنكم ما اصابهم و افراد البعيد لان المراد و ما اهلاكهم او و ما هم بشئ بعيد و لا يبعد ان يسوّى فى امثاله بين المذكر و المؤنث لانها على زنة المصادر كالصهيل و الشهيق ﴿و استغفروا ربكم ثم توبوا اليه﴾ عما انتم عليه ﴿ان ربى رحيم﴾ عظيم الرحمة للتائبين ﴿ودود﴾ فاعل بهم من اللطف و الاحسان ما يفعل البليغ المودّة بمن يودّه و هو وعد على التوبة بعد الوعيد على الاصرار ﴿قالوا يا شعيب ما نفقه﴾ ما نفهم ﴿كثيرا مما تقول﴾ كوجوب التوحيد و حرمة التبخيس و ما ذكرت دليلا عليهما و ذلك لقصور عقلهم و عدم تفكرهم و قيل قالوا ذلك استهانة بكلامه او لانهم لم يلقوا اليه اذهانهم لشدّة نفرتهم عنه ﴿و انا لنراك فينا ضعيفا﴾ لا قوّة لك فتمتنع منا ان اردنا بك سوأ او مهينا لا عزلك و قيل اعمى بلغة حمير و هو مع عدم مناسبته يردّه التقييد بالظرف و منع بعض المعتزلة استنباء الاعمى قياسا على القضاء و الشهادة و الفرق بين ﴿و لولا رهطك﴾ قومك و عزتهم عندنا لكونهم على ملتنا لا لخوف من شوكتهم فان الرهط من الثلاثة الى العشرة و قيل الى التسعة

عندهم ولا وقع له في صدورهم وانهم انما لم يقتلوه لاجل احترامهم رهطه بسبب كون الرهط على ملتهم والرجم في اللغة عبارة عن الرمي وذلك قد يكون بالحجارة عند قصد القتل ولما كان هذا الرجم سببا للقتل لاجرم سموا القتل رجما تسمية للمسبب باسم السبب ﴿قوله او باصعب وجه﴾ اشارة الى احتمال ان يكون لرجمناك استعارة تبعية تشبيها للقتل باصعب الوجوه بالقتل بالحجارة واطلاق الاسم المشبه به على المشبه استعارة تصريحية ﴿قوله وهذا ديدن السفيه﴾ يعني ان جوابهم لشعيب عليه الصلاة والسلام بقولهم ياشعيب مانفقه كثيرا مماتقول الى هنا ليس دافعا لماقرره شعيب عليه الصلاة والسلام من الدلائل والبينات بل هو جار مجرى مقابلة الدليل والحجة بالشتم والسفاهة كما هو ديدن السفيه المحجوج اى المغلوب بالحجة ﴿قوله وفي ايلاء ضميره﴾ اى ايلاء الضمير الذى هو عبارة عن شعيب عليه الصلاة والسلام حرف النفي تنبيه على ان الكلام فيه اى على ان التردد واقع في الفاعل لافي الفعل بان يتفق المتكلم والمخاطب على وجود اصل الفعل لكن المخاطب يخطئ في تعيين الفاعل والمتكلم يقصد ان يرد الى الصواب وهذا يقتضي ان يكون اصل الكلام ماعززت انت فقدم انت للاختصاص فانه قد تقرر ان تقديم المسند اليه يفيد تخصيصه بالخبر اى قصر الخبر عليه ان وقع المسند اليه بعد حرف النفي بلا فصل نحو ماانا قلت اى لم اقله مع انه مقول لغيري فالتقديم يفيد نفي الفعل عن المذكور وثبوته لغيره على الوجه الذى نفي عن المذكور وانما التزم تحقق التقديم في مثله لان كلمة مالنفي الحال والحال له اختصاص بالزمان فالقياس ان يكون مدخولها فعلا او شبهه وحيث وجد الاسم بعدها لاسيما الضمير دل ذلك على ان اصل الكلام ماعززت انت وان التقديم لاجل الاهتمام والاختصاص قال صاحب المفتاح في تفسير الآية اى العزيز علينا ياشعيب رهطك لاانت لكونهم من اهل ديننا ولذلك قال عليه الصلاة والسلام في جوابهم أرهطي اعز عليكم من الله اى من نبي الله ﴿قوله ولذلك﴾ اى ولكون مدلول الكلام التخصيص ونفي الفعل عن المذكور مع ثبوته للغير قال عليه الصلاة والسلام أرهطي اعز عليكم فانه لوكان معنى قولهم ماانت علينا بعزيز مجرد نفي العزة عنه ولم يفهم اثبات العزة لرهطه لم يكن الجواب بقوله عليه الصلاة والسلام ارهطي اعز عليكم مطابقا لكلامهم لانه يكون معنى كلامهم حينئذ مجرد نفي العزة عنه عليه الصلاة والسلام ويكون معنى جوابه انكار عزة رهطه واين احدهما من الآخر واما اذا كان معنى كلامهم اثبات العزة لرهطه مع انتفائها عنه فحينئذ تحصل المطابقة بينهما وكان الظاهر ان يقال في الجواب ارهطي اعز عليكم مني الا انه قيل اعز عليكم من الله للايذان بان تهاونهم به عليه الصلاة والسلام وهو نبي الله تهاون بالله تعالى فحين عز عليهم رهطه دونه كان رهطه اعز عليهم من الله ﴿قوله افلاتبقون على الله﴾ اى فلاتحفظونني ولاترجونني ولاتراعونني وتراعون نسبة قرابتي الى الرهط وتضيعون نسبتي الى الله تعالى بالنبوة فكأنكم زعمتم ان القوم اعز من الله تعالى حيث تزعمون انكم تركتم قتلي اكراما لرهطي والله عز وجل اولى بأن يتبع امره كأنه يقول حفظكم اياي في الله اولى منه في رهطي وفي الصحاح ابقيت على فلان اذا ارعيت عليه ورحمته بان تتبع امره ويقال ابق الله عليك ان ابقيت علي وفيه ايضا ارعيت عليه اذا ابقيت عليه ورحمته ﴿قوله والكسر من تغييرات النسب﴾ كقولهم في النسبة الى امس امسي بكسر الهمزة والى الدهر دهري بضم الدال ﴿قوله اعملوا على مكانتكم﴾ المكانة الحالة التي يتمكن بها صاحبها من عمله فالمعنى اعملوا حال كونكم موصوفين بغاية المكنة والقدرة كل ما في وسعكم وطاقتكم من ايصال الشرور الي واني ايضا عامل بقدر ماآتاني الله من القدرة سوف تعلمون اينا الجاني على نفسه والمخطئ في فعله ﴿قوله فهو ابلغ في التهويل﴾ اى حذف الفاء لاستلزام ان يكون الكلام استئنافا جوابا لما يقال فاذا يكون اذا عملنا نحن على مكانتنا وانت عملت على مكانتك ابلغ في باب التهويل من ربط الكلام بماقبله بالفاء السببية المؤذنة بكون ماقبلها سببا لما بعدها فان سلوك طريقة الاستئناف ان يكون المخاطب طالبا لمعرفته بحالهم فيكون الجواب بالتهويل اوقع في ذهنه بخلاف مالو ربط الكلام بلفظة الفاء ﴿قوله وقيل كان قياسه ومن هو صادق﴾ يعني ان قوله اعملوا على مكانتكم اني عامل اشتمل على عمل الصادق والكاذب منه ومنهم ولم يذكر في قوله سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب الاعاقبة الكاذب منهم والآية مسوقة لبيان ذكر عاقبة العاملين من الفريقين وذلك انما يحصل بان يقال ومن هو صادق بدل ومن هو كاذب لينصرف الاول اليهم والثاني اليه الا انه عدل عنه الى ماوقع في النظم بناء على ان المراد من قوله ومن هو كاذب الصادق لكن

(لرجمناك) لقتلناك برمي الاحجار او باصعب وجه (وما انت علينا بعزيز) فتمنعنا عزتك من الرجم وهذا ديدن السفيه المحجوج يقابل الحجج والآيات بالسب والتهديد وفي ايلاء ضميره حرف النفي تنبيه على ان الكلام فيه لافي ثبوت العزة وان المانع لهم من ايذائه عزة قومه ولذلك (قال ياقوم أرهطي اعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا) وجعلتموه كالمنسي المنبوذ وراء الظهر باشراككم به والاهانة برسوله أفلا تبقون على الله وتبقون على رهطي وهو يحتمل الانكار والتوبيخ والرد والتكذيب وظهريا منسوب الى الظهر والكسر من تغييرات النسب (ان ربي بماتعملون محيط) فلايخفى عليه شيء منها فيجازي عليها (وياقوم اعملوا على مكانتكم اني عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه) سبق مثله في سورة الانعام والفاء في فسوف تعلمون ثمة للتصريح بان الاصرار والتمكن فيماهم عليه سبب لذلك وحذفها ههنا لانه جواب سائل قال فماذا يكون بعد ذلك فهو ابلغ في التهويل (ومن هو كاذب) عطف على من يأتيه لالانه قسيم له كقولك ستعلم الكاذب والصادق بل لانهم لما اوعدوه وكذبوه قال سوف تعلمون من المعذب والكاذب مني ومنكم وقيل كان قياسه ومن هو صادق لينصرف الاول اليهم والثاني اليه لكنهم لما كانوا يدعونه كاذبا قال ومن هو كاذب على زعمهم (وارتقبوا) وانتظروا مااقول لكم (اني معكم رقيب) منتظر فعيل بمعنى الراقب كالصريم او المراقب كالعشير او المرتقب كالرفيع

ذكر الكاذب موضع الصادق بناء على زعمهم من حيث انه جرى على السنتهم دعاؤهم اياه عليه الصلاة والسلام كاذبا وقال صاحب الانتصاف الظاهر ان الكلامين جميعا للكفار فقوله من يأتيه عذاب يخزيه فيه ذكر جزآئهم وقوله ومن هو كاذب فيه ذكر جرمهم الذى هو الكذب فيكون من باب عطف الصفة على الصفة والموصوف واحد كما تقول لمن تهدده ستعلم من يهان ومن يعاقب وانما تعنى المخاطب فى الكلامين واذا ثبت صرف الكلامين اليهم لم يخل ذلك من الدلالة على ذكر عاقبة المحق الصادق لان احد الفريقين اذا كان مبطلا والآخر محقا تبين ان احدهما يفهم منه ذكر الآخر تعريضا والتعريض ابلغ واوقع من التصريح فى كثير من المواضع وهذا منه ولذلك لم يذكر عاقبة شعيب عليه الصلاة والسلام استغناء عنها بذكر عاقبتهم ﴿قوله كما فى قصة عاد﴾ وهو قوله تعالى ولما جاء امرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه ولم يسبق ذكر الوعد الجارى مجرى السبب الموفى به حتى تجيء الفاء السببية كما تقول وعدته فلما جاء الميعاد كان كيت وكيت فان قولك فلما جاء الميعاد مرتب على الوعد تجيء بالفاء السببية لتدل على سببية الوعد وترتب المسبب عليه بل ذكر مجيء العذاب فيهما من غير ان يسبق ذكر الوعد به كأنه قصة بنفسها وما قبله قصة اخرى لكنهما متعلقان بقوم واحد فهما مشتركان من وجه مفترقان من وجه آخر فكان المقام مقام الواو التى تعطف بها القصة على القصة بخلاف قصتى صالح ولوط عليهما الصلاة والسلام فانه سبق ذكر الوعد فيهما قال تعالى فى قصة صالح فعقروها فقال تمتعوا فى داركم ثلاثة ايام ذلك وعد غير مكذوب فلما جاء امرنا نجينا صالحا وقال فى قصة لوط عليه الصلاة والسلام ان موعدهم الصبح اليس الصبح بقريب فلما جاء امرنا جعلنا عاليها سافلها جيء بالفاء السببية فيهما غير ان صيحتهم كانت من تحتهم روى الكلبى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال لم يعذب الله تعالى امتين بعذاب واحد الا قوم شعيب وقوم صالح عليهما الصلاة والسلام اما قوم صالح فاخذتهم الصيحة من تحتهم وقوم شعيب اخذتهم من فوقهم قيل نشأت لهم سحابة فيها عذابهم ولم يعلموا انها سحابة العذاب فصارت عليهم كهيئة الظلة فيها ريح فلما رأوها اتوها يستظلون تحتها من حر الشمس فاتتهم صيحة من تحتها فاهلكتهم فذلك قوله تعالى فاخذهم عذاب يوم الظلة ﴿قوله وقرئ بعدت بالضم﴾ الجمهور على كسر العين من بعدت على انها من بعد يبعد بكسر العين فى الماضى وفتحها فى المضارع بمعنى هلك يهلك ارادت العرب ان تفرق بين البعد بمعنى الهلاك وبين البعد الذى هو ضد القرب ففرقوا بينهما بصيغة البناء فقالوا بعد بالضم فى ضد القرب وبعد بالكسر فى ضد السلامة والبعد بالضم والسكون مصدر لهما والبعد بفتحتين انما يستعمل فى مصدر مكسور العين وقرئ بضم العين اخذا من ضد القرب لانهم اذا هلكوا فقد بعدوا ومنه قول الشاعر

❁ من كان بينك فى التراب وبينه ❁ شبر فذا فى غاية البعد ❁

﴿قوله وهو المعجزات القاهرة﴾ على تقدير ان يراد بالآيات التوراة وما فيها من الاحكام والمعنى ولقد ارسلنا موسى باحكام وتكاليف وايدناه بالمعجزات القاهرة والبينات الباهرة ﴿قوله او العصا﴾ على تقدير ان يراد بالآيات جملة ما اعطاه الله تعالى من المعجزات وهى تسع آيات بينات العصا واليد والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ونقص الاموال والانفس ومنهم من ابدل نقص الاموال والانفس باظلال الجبل وفلق البحر فيكون افراد العصا بالذكر مع انها داخلة فى الآيات بالمعنى المذكور لكونها اشهرها وابهرها فيكون من عطف الخاص على العام للشرف كملائكته ورسله وجبريل وميكال عليهم الصلاة والسلام هذا على تقدير ان يكون الموصوف بكونه آيات غير ما وصف بانه سلطان ويكون من قبيل عطف الذات على الذات ويجوز ان يراد بهما ذاتا واحدة ويكون العطف من قبيل عطف الصفة على الصفة مع اتحاد الموصوف فان ما اظهره من المعجزات القاهرة كما توصف بانها علائم مضافة اليه تعالى دالة على نبوته توصف ايضا بانها سلطان له اى حجة بينة له يتسلط بها على من خالفه قال الامام ان قيل اذا حملتم الآيات على المعجزات والسلطان على الدلائل والمبين ايضا على ما كان مبينا الظهور فما الفرق بين هذه المراتب قلنا اما الآيات فاسم للقدر المشترك بين العلامات التى تفيد الظن وبين الدلائل التى تفيد اليقين واما السلطان فهو اسم لما يفيد القطع واليقين الا انه مشترك بين الدليل القطعى الذى فيه جلاء وبين ما لا جلاء فيه واما السلطان المبين فهو مخصوص بما فيه جلاء ولما كانت معجزات موسى عليه الصلاة والسلام هكذا لاجرم وصفها الله تعالى بانها سلطان مبين ﴿قوله فاتبعوا امره بالكفر بموسى﴾ عليه الصلاة والسلام

ومعجزاته ويحتمل ان يكون المراد من الامر الطريق والشان وهو انه كان دهريا نافيا للصانع والمعاد وكان يقول لا اله للعالم وانما يجب على اهل كل بلدان يشتغلوا بطاعة سلطانهم وعبوديته ومن المعلوم ان كل الرشد فى معرفة الله تعالى وعبادته فمن كان نافيا لهذين الامرين كان خاليا عن الرشد بالكلية ﴿ قوله يقال قدم بمعنى تقدّم ﴾ وفى الصحاح قدم يقدم قدما بالفتح اى تقدّم فالمعنى يتقدمهم ويكون قدامهم وهم خلفه كما كان قائدهم فى الدنيا الى الضلالة يكون قائدهم فى العقبى الى النار ﴿ قوله ونزل النار لهم منزلة الماء ﴾ يعنى ان قوله تعالى فاوردهم النار من قبيل الاستعارة بالكناية والتخييلية حيث شبهت النار فى النفس بالماء على سبيل التهكم وجعل اثبات الايراد لها تخييلا فان الورود عبارة عن المجيئ الى الماء والايراد احضار الغير والمورود اسم مفعول بمعنى الشيئ المورود عليه وهو الماء ويستعمل على انه مصدر ميمى لانه يكون على اسم المفعول فى المنشعبات ﴿ قوله فسمى اتيانها موردا ﴾ اى ايرادا على ان المورد مصدر ميمى لانه عبر عن احضارهم النار بقوله فاوردهم النار والورد المورد والمورود هو الذى وردوه شبه فرعون بمن يسبق الى الماء ويلحقه قومه فاستعير الورود للنار استعارة تهكمية والتقدير بئس الذى وردوه اى الورد المورود ورودهم وهو النار يردها فرعون ثم قومه وقيل فى حقها بئس الورد لان المورد انما يراد لتسكين العطش وتبريد الاكباد ﴿ قوله والآية كالدليل ﴾ يريد ان الرشيد فى قوله تعالى وما امر فرعون برشيد يحتمل ان يكون بمعنى امر فيه رشد وسداد فيكون الرشد على معناه الحقيق وهو خلاف العمى وخلاف الغى والضلال ويكون قوله يقدم قومه استئنافا كانه قيل لم حكمت عليه بانه ليس فى امره رشد بل هو غى محض فاجيب بانه يقدم قومه يوم القيامة فيوردهم النار ومن هذا عاقبته لايكون فى امره رشد ويحتمل ان يكون الرشيد بمعنى الصالح المرضى الحميد العاقبة فيكون الرشد مجازا عن العاقبة الحميدة ويكون قوله تعالى وما امر فرعون برشيد بمعنى وكان امر فرعون مذموما مسخوطا عليه سيئ الخاتمة فيكون قوله يقدم قومه يوم القيامة فاوردهم النار موضحا له وبيانا لسوء العاقبة ﴿ قوله اى يلعنون ﴾ ويطردون من رحمة الله تعالى فى الدنيا بالخذلان اوّلا وبالغرق آخرا وفى الآخرة بما فيها من العذاب فان كل معذب ملعون مطرود من الرحمة كما ان كل مخذول محروم من التوفيق والعناية كذلك ﴿ قوله بئس العون المعان او العطاء المعطى ﴾ فان الرفد قد جاء بمعنى العون وبمعنى العطية تقول رفدته ارفده رفدا اذا اعطيته وكذلك اذا اعنته والارفاد الاعطاء والاعانة وسميت اللعنة عونا لانها اذا اتبعتهم فى الدنيا تبعهم فى الآخرة لتبعدهم عن رحمة الله تعالى وتعينهم على ماهم عليه من الضلال وتكون مددا لهم فى طغيانهم وغيهم فسميت رفدا اى عونا لهذا المعنى على الاستعارة التهكمية واما كونه معانا فلانها ارفدت فى الآخرة بلعنة اخرى لتكونا هاديتين الى طريق الجحيم كما قال تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم والمرفود وان كان قوم فرعون الا انه اسند المرفود الى الرفد الذى هو اللعنة على الاسناد المجازى نحو جدّ جدّه وجنونك مجنون وكذا الحال فى قوله او بئس العطاء حيث اعتبر فيه الاستعارة التهكمية والاسناد المجازى كما فى الاوّل فان جعلت اللعنة عطية لفرعون وقومه ثم جعلت معطى مع ان المعطى هو فرعون وقومه جاز كذا قيل وقول صاحب الكشاف ان اللعنة فى الدنيا رفد للعذاب ومدد له وقد رفدت باللعنة فى الآخرة يدل على ان تسمية اللعنة ليس من قبيل الاستعارة التهكمية وانما تكون من ذلك القبيل ان لو كانت رفدا للمعذبين وليس كذلك بل هى رفد ومدد لنفس العذاب فلاتهكم فيه وايضا ذكر انها رفد اعين برفد فكيف يكون اسناد المرفود الى الرفد من باب جدّ جدّه نعم لو فسر الرفد بالعطاء لكانت تسمية اللعنة من قبيل الاستعارة التهكمية الا انه لايكون الاسناد مجازيا ﴿ قوله ليعمده ﴾ اى ليصير له عمادا يقال عمد الحائط اذا وضع له عمادا ﴿ قوله مقصوص عليك ﴾ اشارة الى ان قوله تعالى نقصه عليك خبر بعد خبر لقوله ذلك والمعنى ذلك النبأ بعض انباء القرى المهلكة مقصوص عليك ويجوز ان يكون نقصه خبرا ومن انباء اهل القرى حالا من المفعول ويجوز العكس ايضا وثمة مضاف محذوف اى من انباء الرسل ومن انباء اهل القرى ولذلك اعيد ضمير العقلاء عليهم فى قوله تعالى وماظلمناهم وقوله تعالى منها قائم وحصيد جملة اسمية وحصيد مبتدأ حذف خبره لدلالة خبر الاوّل عليه اى ومنها حصيد اى محصود شبه مابقى من آثار القرى وجدرانها بالزرع القائم على ساقه وماعفا منها وبطل بالحصيد والمعنى ان تلك القرى بعضها بقى منها شيئ وبعضها هلك ومابقى منه اثره وقيل القائم مابقى حيطانه وسقطت سقوفه والحصيد مامحى اثره وقيل القائم العامر والحصيد

(يقدم قومه يوم القيامة) الى النار كما كان يقدمهم فى الدنيا الى الضلال يقال قدم بمعنى تقدّم (فاوردهم النار) ذكره بلفظ الماضى مبالغة فى تحقيقه ونزل النار لهم منزلة الماء فسمى اتيانها موردا ثم قال (وبئس الورد المورود) اى بئس المورد الذى وردوه فانه يراد لتبريد الاكباد وتسكين العطش والنار بالضدّ والآية كالدليل على قوله وما امر فرعون برشيد فان من هذه عاقبته لم يكن فى امره رشدا وتفسيرله على ان المراد بالرشيد مايكون مأمون العاقبة حميدها (واُتبعوا فى هذه) فى هذه الدنيا (لعنة ويوم القيامة) اى يلعنون فى الدنيا والآخرة (بئس الرفد المرفود) بئس العون المعان او العطاء المعطى واصل الرفد مايضاف الى غيره ليعمده والمخصوص بالذم محذوف اى رفدهم وهو اللعنة فى الدارين (ذلك) اى ذلك النبأ (من انباء القرى) المهلكة (نقصه عليك) مقصوص عليك (منها قائم) من تلك القرى باق كالزرع القائم (وحصيد) ومنها عافى الاثر كالزرع المحصود والجملة مستأنفة وقيل حال من الهاء فى نقصه وليس بصحيح اذلا واو ولا ضمير (وماظلمناهم) باهلاكنا اياهم (ولكن ظلموا انفسهم) بان عرضوها له بارتكاب مايوجبه (فما اغنت عنهم) فما نفعتهم ولاقدرت ان تدفع عنهم بل ضرتهم (آلهتهم التى يدعون من دون الله من شيئ لما جاء امر ربك) حين جاءهم عذابه ونقمته

(مامحى)

(وما زادوهم غير تتبيب) هلاك اوتخسير (وكذلك) ومثل ذلك الاخذ (اخذ ربك) وقرئ اخذ ربك بالفعل وعلى هذا يكون محل الكاف النصب على المصدر (اذا اخذ القرى) اى اهلها وقرئ اذلان المعنى على المضىّ (وهى ظالمة) حال من القرى وهو فى الحقيقة لاهلها لكنها لما اقيمت مقامه اجريت عليها وفائدتها الاشعار بانهم اخذوا لظلمهم وانذار كل ظالم ظلم نفسه او غيره من وخامة العاقبة (ان اخذه اليم شديد) وجيع غير مرجوّ الخلاص منه وهو مبالغة فى التهديد والتحذير (ان فى ذلك) اى فيما نزل بالامم الهالكة اوفيما قصه الله من قصصهم (لآية) لعبرة (لمن خاف عذاب الآخرة) يعتبر بها عظة لعلمه بان ما بهم حاق انموذج مما اعدّ الله للمجرمين فى الآخرة اويزجر بها عن موجباته لعلمه بانها من اله مختار يعذب من يشاء ويرحم من يشاء فان من انكر الآخرة واحال فناء هذا العالم لم يقل بالفاعل المختار وجعل تلك الوقائع لاسباب فلكية اتفقت فى تلك الايام لا للذنوب المهلكين بها (ذلك) اشارة الى يوم القيامة وعذاب الآخرة دل عليه (يوم مجموع له الناس) اى يجمع له الناس والتغيير للدلالة على ثبات معنى الجمع لليوم وانه من شأنه لامحالة وان الناس لاينفكون عنه فهو ابلغ من قوله يوم يجمعكم ليوم الجمع ومعنى الجمع له الجمع لما فيه من المحاسبة والمجازاة (وذلك يوم مشهود) اى مشهود فيه اهل السموات والارضين فاتسع فيه باجرآء الظرف مجرى المفعول به كقوله

* فى محفل من نواصى الناس مشهود * اى كثير شاهدوه ولوجعل اليوم مشهودا فى نفسه لبطل الغرض من تعظيم اليوم وتمييزه فان سائر الايام كذلك (وما نؤخره) اى اليوم (الا لاجل معدود) الا لانتهاء مدّة معدودة متناهية على حذف المضاف وارادة مدّة التأجيل كلها بالاجل لامنتهاها فانه غير معدود (يوم يأتى) اى الجزآء او اليوم لقوله ان تأتيهم الساعة على ان يوم بمعنى حين اوالله عزوجل لقوله هل ينظرون الا ان يأتيهم الله ونحوه وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة يأت بحذف الياء اجتزآء عنها بالكسرة (لاتكلم نفس) لاتتكلم بما ينفع وينجى من جواب اوشفاعة

ما محى اثره وقيل القائم العامر والحصيد الخراب والضمير المرفوع فى قوله تعالى وما زادوهم للاصنام والمنصوب لعبدتها وعبر عن الاصنام بواو العقلاء لانهم نزلوها منزلة العقلاء ﴿قوله غير تتبيب﴾ هلاك تب يستعمل لازما ومتعديا يقال تب اذا هلك اوخسر وتبه غيره اذا اهلكه اواوقعه فى الخسران وتفسير التتبيب بالهلاك مبنى على ان تب اللازم بنى منه فعل لقصد المبالغة وتكثير الفعل نحو طوّف البيت والمعنى ان الكفار كانوا يعتقدون فى الاصنام انها تنفع وتدفع المضارّ ثم انهم عند احتياجهم الى المعين ماوجدوا شيأ مما اعتقدوا فيها لاجلب نفع ولادفع ضرر ثم انهم لما لم يجدوا فيها شيأ من ذلك وجدوا بسببها مضرّة عظيمة وهو انه زال عنهم بسبب ذلك الاعتقاد منافع الدنيا والآخرة وجلب ذلك اليهم مضارّ الدنيا والآخرة وذلك من اعظم الهلاك واشدّ الخسران ﴿قوله ومثل ذلك الاخذ﴾ اشارة الى ان الكاف فى محل الرفع على انه خبر مقدّم للمصدر المذكور بعده فان الجمهور على ان الاوّل مصدر غير مرفوع على الابتدآء والثانى فعل ماض وقرئ كلاهما فعلين ماضيين ﴿قوله اى يجمع له الناس﴾ فسر به ماوقع فى نظم القرآن لان مقتضى الظاهر ان يقال ذلك يوم يجمع له الناس لان فعل الجمع الذى وصف به اليوم مترقب بعد لم يتصف اليوم به بالفعل ليكون على وفق قوله تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع اى لاجله ولما فيه من الحساب والجزآء ثم بين النكتة فى مخالفة مقتضى الظاهر وهى الدلالة على ان اليوم موصوف بذلك الوصف وصفا لازما وان الناس لاينفكون عن الجمع البتة فان اسم المفعول على ثبات الامرين ولزومهما بخلاف الفعل ﴿قوله ومعنى الجمع له الجمع لما فيه﴾ ضرورة ان جمع الناس ليس لاجل اليوم نفسه ﴿قوله فاتسع فيه باجرآء الظرف﴾ اى بحذف الجار وتعلق الفعل بالظرف على صورة تعليقه بالمفعول به كقوله

* ومشهد قد كفيت الغائبين به * فى محفل من نواصى الناس مشهود *

نواصى الناس اشرافهم والمقدّمون منهم يقول رب مشهد عظيم الشان تكلمت فيه وكفيت الغائبين بالنطق عنهم واليوم يوم مشهود فيه رؤساء الناس واماثلهم يعنى كشفت الغمة بقلب ثابت فمعنى قوله تعالى يوم مشهود يوم يشهد فيه الخلائق الموقف لايغيب فيه عنه احد فالمشهود هو الموقف والشاهدون الخلائق والمشهود فيه اليوم ﴿قوله ولوجعل اليوم مشهودا فى نفسه﴾ جواب عما يقال ما دعاك الى ان تجعل اليوم مشهودا فيه وان تجعل المشهود من قبيل ماحذف فيه حرف الجرّ اتساعا كما فى قوله تعالى فمن شهد منكم الشهر فليصمه فان الشهر منتصب ظرفا لامفعولا به وكذلك الضمير فى فليصمه فالمعنى فمن شهد منكم فى الشهر فليصمه فيه على معنى فمن كان منكم مقيما حاضرا لوطنه فى شهر رمضان فليصم فيه ولو نصبت الشهر على انه مفعول به وجعلت الشهر مشهودا لكان مدلول الآية ايجاب الصوم على من ادرك الشهر مقيما كان اومسافرا لانّ المسافر والمقيم كلاهما يشهد ان الشهر لانه يشهده المقيم ويغيب عنه المسافر فهلا تجعله ابتدآء مشهودا فى نفسه مع ان اليوم كما يصح ان يوصف بانه مشهود فيه بمعنى يشهد فيه الخلائق من كل ناحية لامر له شان اولخطب مهم كيوم الجمعة والعيد وعرفة يصح ان يوصف ايضا بانه مشهود اى مدرك كما تقول ادركت يوم فلان وشهر فلان فى يوم عينت كونه مشهودا على الاتساع * وتقرير الجواب ان المقام مقام تهويل اليوم وتعظيمه وتمييزه عن سائر الايام وهذا المقصود انما يحصل بجعل اليوم مشهودا فيه لان الايام كلها سوآء فى كونها مشهودا اى مدركا وليست كذلك فى كونها مشهودا فيها وان الفرق بين الصورتين فى غاية الظهور لانه لايقال مشهود فيه الاليوم يشهد فيه الخلائق من كل اوب لامر له شان اولخطب مهم كيوم العيد والجمعة وعرفة وايام الحروب وقدوم السلطان ويقال يوم مشهود لكل يوم ادركه احد ﴿قوله اى الجزآء﴾ على ان يكون عدم ذكر فاعل يأتى من قبيل الابهام لقصد التعظيم والتهويل كانه قيل يوم يأتى الشئ المهيب الهائل المعظم وتعين الجزآء مستفاد من سوق الكلام ﴿قوله او اليوم﴾ فان قيل يوم يأتى اليوم معناه يوم يوجد اليوم لان اتيان اليوم وجوده فيكون للزمان زمان وانه محال وايضا اليوم انما يضاف لاجل تحديده وتعيينه واضافته الى اتيان اليوم تستلزم تحديد الشئ بنفسه واليوم انما يتعين بما وقع فيه لابنفسه * اجيب بان الكلام مبنى على تقدير المضاف والمعنى يوم يأتى هو له ووجود اليوم ليس وجود نفسه فلايلزم ماذكر ﴿قوله بما ينفع اوينجى﴾ قيده به لئلا يناقضه الآيات الدالة على انهم يتكلمون بدون سبق الاذن كقوله تعالى يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها بل على انهم يكذبون ويحلفون بالله عليه كقوله والله

ربنا ما كنا مشركين فلما ناقض قوله تعالى لاتكلم نفس من النفوس الا باذنه هذه الآيات بحسب الظاهر خصص الكلام المدلول بقوله لاتكلم بالكلام النافع المنجى و قرينة التخصيص قوله تعالى من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه ولايلزم من كون الكلام المتعلق بجلب النفع او دفع الضرّ موقوفا على الاذن ان يكون جميع ماصدر من اهل الموقف مسبوقا بالاذن ثم لما ورد ان يقال هذه الآية تدل على ان بعض النفوس تتكلم بالاذن و يناقضه قوله تعالى هذا يوم لا ينطقون الآية فانه يدل على انهم لاينطقون اصلا و لايؤذن لهم اجاب عنه بوجهين لايخفى محصولهما ﴿قوله تعالى فنهم شقى وسعيد﴾ ظاهره يدل على ان اهل الموقف لايخرجون من هذين القسمين اللذين احدهما مخلد فى النار ابدا الا ماشاء ربك وثانيهما مخلد فى الجنة ابدا الا ماشاء ربك فيلزم ان يكون اطفال المشركين و المجانين الذين لم يعملوا صالحا ولا كفرا غير خارجين عنهما فان قلت انهم من اهل الجنة فبلا ايمان و ان قلت انهم من اهل النار فبلا ذنب روى عن ابى هريرة رضى الله عنه انه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اطفال المشركين أهم من اهل الجنة ام من اهل النار فقال صلى الله عليه وسلم «الله اعلم بما كانوا عاملين من الكفر و الايمان ان عاشوا و بلغوا» واعلم ان امرهم فيما يتعلق بالامور الدنيوية تبع لاشرف الابوين وهو معنى قوله صلى الله عليه وسلم حيث قال مع ابائهم وفيما يتعلق بامر الآخرة من الثواب والعقاب موقوف موكول الى علم الله تعالى لان السعادة والشقاوة ليستا معللتين عندنا بالاعمال بل الله تعالى خلق من شاء سعيدا ومن شاء شقيا وجعل الاعمال دليلا على السعادة والشقاوة وانت تعلم ان عدم الدليل وعدم العلم به لايوجبان عدم المدلول و العلم بعدمه فكما ان البالغين منهم شقى ومنهم سعيد كذلك الاطفال و المجانين ﴿قوله فالمراد بهما الدلالة على شدة كربهم﴾ فان الانسان اذا عظم غمه وقوى كربه انحصرت حرارته الغريزية وروحه الحيوانى فى داخل قلبه وعند ذلك يحتاج الانسان الى ردنفسه فى داخل قلبه على مقدار قوته وقدرته على شدة التنفس حتى تتروح تلك الحرارة القوية بدخول الهوآء البارد ثم ان تلك الحرارة لما كانت محصورة فى داخل القلب استولت البرودة على الاعضاء الخارجة فربما عجزت النفس عن دفع ذلك الهوآء الكثير المستنشق فيبقى ذلك الهوآء فعلى قياس قول الاطباء الزفير هو استدخال الهوآء الكثير لترويح الحرارة الحاصلة فى القلب بسبب انحصار الروح فيه والشهيق هو اخراج ذلك الهوآء عند مجاهدة الطبيعة فى اخراجه وكل واحدة من هاتين الحالتين تدل على الكرب والغم بطريق دلالة اللازم على ملزومه فكان اثبات الزفير والشهيق لهم تخييلا لتشبيه حالهم الثابتة لهم من مقاساة حرّجهنم بحال من استولت الحرارة على قلبه وانحصر فيه روحه فيكون قوله تعالى لهم فيها زفير وشهيق استعارة مكنية وتخييلية ويحتمل ان يكون الزفير والشهيق مستعارا لصراخهم تشبيها له بصوت الحمار ﴿قوله وقرئ شقوا بالضم﴾ اى بضم الشين على ان يكون شق متعديا حيث يقال شقاه الله كما يقال اشقاه الله والجمهور على فتح الشين على انه من شقى اللازم ﴿قوله ليس لارتباط دوامهم فى النار بدوامهما﴾ يعنى ان كلمة ما فى قوله تعالى مادامت السموات والارض مصدرية والمصدر المأوّل قائم مقام الظرف والمعنى خالدين فيها مدة دوام السموات والارض ومن المعلوم من النصوص القاطعة ان مدة بقائهما متناهية فيلزم ان يكون دوام الابقاء فى النار مرتبطا بدوامهما فيلزم ان يكون عذابهم منقطعا عند فنائهما اويكونا دائمتين كدوام عذابهم لان ظاهر هذه الآية يدل على ان مدة عذابهم مساوية لمدة بقائهما وكلاهما باطل فاجاب المصنف عنه بان ظاهر الآية وان دل على ان دوامهم فى النار مرتبط بدوامهما الا انه ليس المراد من توقيت خلودهم فى النار بدوامهما ان الخلود مقدر بمدة دوامهما ومنته عند فنائهما لان النصوص القاطعة تنفى ان يكون الامر كذلك بل التوقيت المذكور للتعبير عن التأبيد وعدم الانقطاع والمبالغة فيه بما كانت العرب يعبرون به عن ذلك كقولهم لا افعل كذا مادامت السموات والارض وماحنت البنت ومااطت الابل ومااورق الشجر وماينع الثمر وماسال سيل وماجن ليل وماطرق طارق ومانطق ناطق فانهم يعبرون بمثل هذه الالفاظ عن التأبيد والمبالغة فى الدوام على طريق تمثيل ماقصد تأبيده بها فى التأبد وعدم الزوال بناء على اعتقادهم فلما كانت هذه الالفاظ بحسب عرفهم تفيد الابد والدوام الخالى عن الانقطاع خاطب الله تعالى العرب على عرفهم واعتقادهم ولئن سلمنا ان التوقيت المذكور لبيان ارتباط دوامهم فى النار بدوامهما لكن لانسلم انه يلزم من زوالهما زوال عذابهم ولا من دوامه دوامهما الا من قبيل المفهوم لان الآية بمنزلة ان يقال ان دامتا يدوم عذابهم فيفهم منه ان دوام عذابهم يستلزم

وهو الناصب للظرف ويحتمل نصبه باضمار اذكر اوبالانتهاء المحذوف (الا باذنه) الا باذن الله كقوله لايتكلمون الا من اذن له الرحمن وهذا فى موقف وقوله هذا يوم لاينطقون ولايؤذن لهم فيعتذرون فى موقف آخر والمأذون فيه هى الجوابات الحقة والممنوع عنه هى الاعذار الباطلة (فنهم شقى) وجبت له النار بمقتضى الوعيد (وسعيد) وجبت له الجنة بموجب الوعد والضمير لاهل الموقف وان لم يذكر لانه معلوم مدلول عليه بقوله لاتكلم نفس او للناس (فاما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير وشهيق) الزفير اخراج النفس والشهيق رده واستعمالهما فى اول النهيق وآخره فالمراد بهما الدلالة على شدة كربهم وغمهم وتشبيه حالهم بمن استولت الحرارة على قلبه وانحصر فيه روحه اوتشبيه صراخهم باصوات الحمير وقرئ شقوا بالضم (خالدين فيها مادامت السموات والارض) ليس لارتباط دوامهم فى النار بدوامهما فان النصوص دالة على تأبيد دوامهم وانقطاع دوامهما بل التعبير عن التأبيد والمبالغة بما كانت العرب يعبرون به عنه على سبيل التمثيل ولو كان للارتباط لم يلزم ايضا من زوال السموات والارض زوال عذابهم ولا من دوامهما دوامه الا من قبيل المفهوم لان دوامهما كالملزوم لدوامه وقد عرفت ان المفهوم لايقاوم المنطوق

دوامهما بحكم ان تحقق اللازم يستلزم تحقق الملزوم ويفهم منه ايضا ان عدم دوامهما يستلزم عدم دوام عذابهم
بحكم ان عدم الملزوم ملزوم لعدم اللازم وقد تقرر ان المفهوم لايعارض المنطوق وهو دوام عذابهم وانقطاع دوامهما
﴿قوله وقيل﴾ اى قيل ان التوقيت المذكور لبيان دوام عذابهم بدوام سموات الآخرة وارضها فهو
بمنزلة ان يقال ان داما يلزم دوام عذابهم وان دام عذابهم يلزم دوامهما فلا محذور ﴿قوله وان اهل
الآخرة لابد لهم من مظل ومقل﴾ فما اظلهم سماء وما اقلهم ارض لان كل ماعلاك فهو سماء وكل ما استقرت
عليه قدمك فهو ارض واعترض المصنف على الجواب بان دوام السموات والارض انما ينقطع لوكان المراد
سموات الدنيا وارضها وليس كذلك لان الكلام فيما بعد الحشر بل المراد سموات الآخرة وارضها وهى دائمة
بقوله وفيه نظر وبيانه ان محصول قوله تعالى خالدين فيها مادامت السموات والارض تشبيه عذابهم فى دوامه
بدوام السموات والارض ومن المعلوم ان التشبيه انما يفيد اذا كان اتصاف المشبه به بوجه الشبه اظهر
واعرف بالنسبة الى اتصاف المشبه وذلك يستلزم ان يكون نفس وجود المشبه به ظاهرا معروفا والحال ان اكثر
الخلق لايعرف وجود سموات الآخرة وارضها فضلا عن دوامهما وانما يعرفه بما يدل على دوام الثواب والعقاب
فيكون اتصاف المشبه بوجه الشبه اعرف بالنسبة اليه فلا يجدى له التشبيه * واجاب عنه صاحب الكشاف عفا الله
عنه بقوله اقول اما اذا اريد مايظلهم ومايقلهم فهو ظاهر السقوط لان هذا القدر معلوم الوجود لكل عاقل
واما الدوام فليس مستفادا من دليل دوام الثواب والعقاب بل مايدل على دوام الجنة والنار سواء عرف اتحاد دار
الثواب والعقاب وان اهلهما السعداء والاشقياء من الناس ام لا فليس تشبيها من باب تشبيه مايعرف بما لايعرف
بل الامر بالعكس انتهى كلامه ووجه كونه من باب تشبيه مالايعرف انه شبه تلك الدار بهذه الدار واثبت لها
مالهذه الدار من المظلة والمقلة والجامع كونهما جنسين ﴿قوله استثناء من الخلود﴾ اى من حكم الخلود
المستثنى منه الزمان المدلول عليه بقوله تعالى خالدين فيها مادامت السموات والارض اى الا الزمان الذى او الا
زمانا شاء ربك فلا يخلدون فيه على ان ما موصولة او موصوفة ويحتمل ان يكون المستثنى منه الضمير المستتر فى خالدين
فتكون كلمة ما عبارة عن من على رأى من رأى ذلك كأنه قيل الحق الذى لامحيص عنه ان يحمل ما على معنى
من لافادة معنى الوصفية وهى المرحومية لتؤذن ان اخراجهم بمحض مشيئته وسبق رحمته لا لاستحقاق منهم
فينطبق عليه قوله تعالى ان ربك فعال لما يريد وتحقيقه ان قوله تعالى خالدين فيها حال مقدرة من ضمير الاستقرار
فى الظرف وهو قوله فى النار وانت تعلم ان الحال قيد للحكم فاذا انتفى الحكم عن البعض بالاستثناء ينتفى كونه
مقيدا والمعنى ان الذين شقوا مستقرون فى النار مقدرين الخلود الا المرحوم الذى شاء الله ان لايستقر مخلدا
فيفيد اما ان لايستقر فيها مطلقا او يستقر غير مخلد واحوال العصاة على هذا النهج كما علم من النصوص
الصحيحة نقل الامام عن بعض المفسرين انهم قالوا هذا الاستثناء يفيد اخراج اهل التوحيد من النار لان قوله
الا ماشاء ربك يوجب ان لايبقى ذلك الحكم على ذلك المجموع ويكفى فى زوال حكم الخلود زواله عن بعضهم
فوجب ان لايبقى حكم الخلود لبعض الاشقياء ولما ثبت ان الخلود واجب للكفار وجب ان يقال ان الذين زال
حكم الخلود عنهم هم الفساق من اهل الصلاة واما قوله تعالى واما الذين سعدوا ففى الجنة فيفيد ان جملة السعداء
محكوم عليهم بهذا الحكم وقوله الا ماشاء ربك اوجب زوال حكم الخلود عن المجموع فى الجنة ويكفى فى زواله
عن الجميع زواله عن البعض وما ذلك البعض الا الفساق من السعداء وليس زوال حكم الخلود عنهم بان يدخلوا
الجنة ثم يخرجوا منها الى النار وان كل من يدخل الجنة فهو خالد فيها بعد دخوله فيها بل المراد من زوال حكم الخلود
عنهم عدم دخولهم فيها من اول الامر وهم ماخلدوا فيها بتخليد من دخلها اول وهلة فان الخلود فى مكان كما ينتفى
بالانتقال منه انتهاء ينتفى ايضا بان لايدخله ابتداء والفساق مفارقون عن الجنة ايام عذابهم ﴿قوله او لان اهل
النار ينقلون منها الى الزمهرير وغيره الخ﴾ تعليل ثان لكون الاستثناء من الخلود فى النار والمراد باصل الحكم
كونهم فى النار وهو اصل بالنسبة الى قيده الذى هو خلودهم فيها فكانه تعالى قال واما الذين شقوا ففى النار
الآية الا وقت وقوفهم فى الموقف للحساب فانهم فى ذلك الوقت لايكونون فى النار كما لايكونون فى الجنة ﴿قوله
او مدة لبثهم فى الدنيا والبرزخ﴾ عطف على قوله زمان توقفهم فى الموقف كأنه قيل خالدين فيها الا مقدار لبثهم
فى الدنيا والبرزخ ﴿قوله وقيل هو﴾ اى الاستثناء من قوله تعالى لهم فيها زفير وشهيق كأنه قيل لهم زفير

وقيل المراد سموات الآخرة وارضها و
عليه قوله يوم تبدل الارض غير الار
والسموات وان اهل الآخرة لابد لهم
مظل ومقل وفيه نظر لانه تشبيه بما لايعر
اكثر الخلق وجوده ودوامه ومن عر
فانما يعرفه بما يدل على دوام الثواب والعق
فلا يجدى له التشبيه (الا ماشاء ربك) است
من الخلود فى النار لان بعضهم وهم فس
الموحدين يخرجون منها وذلك كاف
صحة الاستثناء لان زوال الحكم عن ال
يكفيه زواله عن البعض وهم المراد بالاست
الثانى فانهم مفارقون عن الجنة ايام عقا
فان التأبيد من مبدأ معين ينتقض باعت
الابتداء كما ينتقض باعتبار الانتهاء وهؤ
وان شقوا بعصيانهم فقد سعدوا بايمانهم و
يقال فعلى هذا لم يكن قوله فمنهم شقى وسع
تقسيما صحيحا لان من شرطه ان تكون ص
كل قسم منتفية عن قسيمه لان ذلك الشر
من حيث التقسيم لانفصال حقيقى او م
من الجمع وههنا المراد ان اهل الموق
لايخرجون عن القسمين وان حالهم لايخ
عن السعادة والشقاوة وذلك لايمنع اجت
الامرين فى شخص باعتبارين اولان اه
النار ينقلون منها الى الزمهرير وغيره
العذاب احيانا وكذلك اهل الجنة ينعم
بما هو اعلى من الجنة كالاتصال بجناب القد
والفوز برضوان الله ولقائه او من اص
الحكم والمستثنى زمان توقفهم فى الموق
للحساب لان ظاهره يقتضى ان يكو
فى النار حين يأتى اليوم او مدة لبثهم فى الد
والبرزخ ان كان الحكم مطلقا غير م
باليوم على هذا التأويل يحتمل ان يكو
الاستثناء من الخلود على ما عرفت وق
هو من قوله لهم فيها زفير وشهيق

وشهيق فى جميع ازمنة كونهم فى النار الازماناشاء ربك ان يقطع ذلك عنهم بان يصيروا ساكتين خامدين ﴿قوله وقيل الاههنا بمعنى سوى﴾ والمعنى انه تعالى لماقال خالدين فيها مادامت السموات والارض ثم قال سوى مازاد على ذلك من الخلود الدآئم ذكر اوّلا فى خلودهم مايعدّ عند العرب مدّة للخلود ثم زاد عليها الدوام الذى لا آخر له بقوله تعالى الا ماشاء ربك اى سوى ماشاء ربك من الزيادة التى لا آخر لها ثم قال تعالى ان ربك فعال لما يريد حيث قهر كافة الاشقياء بالخلود فى النار واستثنى منهم الذين تعلقت مشيئته بمغفرتهم وانجائهم منها * روى عن ابن مسعود رضى الله عنه انه قال ليأتين على جهنم زمان ليس فيها احد وذلك بعدما يلبثون فيها احقابا وعن ابى هريرة رضى الله عنه مثله ومعناه عند اهل السنة انه لايبقى من اهل الايمان واما مواضع الكفار فمملوءة ابدا واعلم ان الله تعالى لما قصّ خبر عبدة الاوثان وذكر ماحل بهم من عذابه ثم اتبعه بذكر ما اعدّ للاشقياء والسعدآء شرح لرسول الله صلى الله عليه وسلم احوال المشركين من قومه تسلية وعدة بالانتقام منهم ووعيدا لهم فقال الله تعالى فلاتك فى مرية اصله فلا تكن حذفت نونه لكثرة الاستعمال ولان النون الساكنة لم تبق عند التلفظ بها الا لمجرّد الغنة فاذا وقعت فى آخر الكلمة التى هى محل التغيير حذفت تشبيها لها بحرف العلة والمعنى اذا تبين عندك ماقصصت لك من قصص المتقدمين من المشركين فلاتك فى شك من عبادة هؤلاء الحاضرين من المشركين وكن على يقين فى انها ضلال مبين سيئ العاقبة على ان ما مصدرية ويجوز ان تكون ماموصولة اى من حال الذى يعبدونه فى انه يضرّ ولا ينفع ثم قال على سبيل الاستئناف ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم يريد ان حالهم فى الشرك مثل حال آبائهم من غير تفاوت بين الحالين ﴿قوله لتقييد التوفية﴾ يعنى ان قوله تعالى غير منقوص حال مؤكدة من المفعول وهو النصيب الموفى فان توفية الحق اعطاؤه تاما كاملا فالموفى لايجوز ان يكون ناقصا فيجب ان يكون سبيل قوله تعالى غير منقوص سبيل الحال المؤكدة وهى ان تقرّر مضمون الجملة لدفع توهم التجوز كما فى قوله تعالى ثم وليتم مدبرين فان قوله تعالى انا لموفوهم نصيبهم لولم يقيد بقوله تعالى غير منقوص لتوهم ان قوله تعالى انا لموفوهم بمعنى لمعطوهم ولو مجازا فلما قيده به اندفع التوهم فكان حالا مؤكدة ثم انه تعالى لما بين فى الآية الاولى اصرار كفار مكة على انكار التوحيد بين ايضا اصرارهم على انكار نبوّته صلى الله عليه وسلم وتكذيبهم بكتاب الله فانزل الله تعالى عليه قوله ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم كأنه قيل ان اختلف فيما انزل عليك فلايشق عليك فقد اختلف فيما انزل على من قبلك ﴿قوله وقرأ ابن كثير ونافع وابو بكر بالتخفيف﴾ اى باسكان النون فى قوله تعالى وان كلا ليوفينهم والباقون بتشديدها وكذا انهم قرأوا لما بتخفيف الميم ومن قرأ ان مخففة يعملها اعتبارا للاوّل لان الفعل يعمل بعد التخفيف كما كان يعمل اوّلا بدون التخفيف نحو لم يك زيد قائما فكذلك الحرف الذى يعمل بمشابهة الفعل واعمال المخففة لغة ثابتة عند العرب سمع من واحد منهم وهو يقول ان عمرا لمنطلق وقال آخر كأن ثدييه حقان ووجه تخفيف لما ذكره المصنف من ان اللام فيه هى الموطئة للقسم واللام فى ليوفينهم لام الابتدآء اوبالعكس اى اللام الاولى ابتدآئية والثانية لام جواب قسم مضمر والجملة من القسم وجوابه خبران ولما اجتمع اللامان فصل بينهما بما كما فصل بالالف بين النونين فى يضربنان فتكون كلمة ماهنا زآئدة جيئ بها للفصل اصلاحا للفظ ووجه التشديد فى لما ان اصله لمن بكسر الميم على انها من الجارة دخلت على ما الموصولة او الموصوفة والمعنى لمن الذين والله ليوفينهم اولمن خلق اوجماعة والله ليوفينهم فلما اجتمعت النون ساكنة مع ميم ما وجب ادغامها فيها فقلبت ميما وادغمت فاجتمع فى اللفظ ثلاث ميمات فحذفت اولاهنّ فصار لما ﴿قوله وقرئ لما بالتنوين﴾ فيكون لما مصدر قولك لممته اى جمعته لما وانتصابه على انه صفة كل على طريق التوصيف بالمصدر للمبالغة والتقدير وان كلا لما اى جما ليوفينهم جزآء اعمالهم والمصدر ههنا بمعنى المفعول اى كلا مجموعا وصف به الكل للدلالة على الاجتماع فان الكل يحتمل الاجتماع والافتراق ونقل عن ابن جنى رحمه الله انه قال لما بالتنوين مصدر كالذى فى قوله تعالى ويأكلون التراث اكلا لما جامعا لاجزآء المأكول ولذلك تقدير هذا وان كلا ليوفينهم ربك اعمالهم لما اى ليوفينهم توفية جامعة لاعمالهم جمعا ومحصلة لاعمالهم تحصيلا فهو كقولك قياما لاقومنّ وقعودا لاقعدنّ يعنى ان قوله تعالى لما فى هذه القرآءة منصوب بقوله تعالى ليوفينهم ربك اعمالهم على انه مفعول مطلق له من غير لفظه كأنه قيل توفية جامعة لاعمالهم ليوفينهم كما تقول قياما لاقومنّ وقال ابو البقاء رحمه الله وانتصابه على الحال من ضمير المفعول فى ليوفينهم ضعيف

وقيل الاههنا بمعنى سوى كقولك على ألف الا الالفان القديمان والمعنى سوى ماشاء ربك من الزيادة التى لا آخر لها على مدة بقاء السموات والارض (ان ربك فعال لما يريد) من غير اعتراض (واما الذين سعدوا ففى الجنة خالدين فيها مادامت السموات والارض الا ماشاء ربك عطاء غير مجذوذ) غير مقطوع وهو تصريح بان الثواب لا ينقطع وتنبيه على ان المراد من الاستثناء فى الثواب ليس الانقطاع ولاجله فرق بين الثواب والعقاب فى التأبيد وقرأ حمزة والكسائى وحفص سعدوا على البناء للمفعول من سعده الله بمعنى اسعده وعطاء نصب على المصدر المؤكد اى اعطوا عطاء او الحال من الجنة (فلاتك فى مرية) شك بعدما انزل عليك من مآل الناس (مما يعبد هؤلاء) من عبادة هؤلاء المشركين فى انها ضلال مؤدّ الى مثل ماحل بمن قبلهم ممن قصصت عليك سوء عاقبة عبادتهم او من حال مايعبدونه فى انه يضرّ ولا ينفع (مايعبدون الا كما يعبد آباؤهم من قبل) استئناف معناه تعليل النهى عن المرية اى هم وآباؤهم سوآء فى الشرك اى مايعبدون عبادة الا كعبادة آبائهم او مايعبدون شيأ الا مثل ماعبدوه من الاوثان وقد بلغك مالحق آباءهم من ذلك فسيلحقهم مثله لان التماثل فى الاسباب يقتضى التماثل فى المسببات ومعنى كما يعبد كما كان يعبد فحذف لدلالة قبل عليه (وانا لموفوهم نصيبهم) حظهم من العذاب كآبائهم او من الرزق فيكون عذرا لتأخير العذاب عنهم مع قيام مايوجبه (غير منقوص) حال من النصيب لتقييد التوفية فانك تقول وفيته حقه وتريد به وفاء بعضه ولو مجازا (ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه) فآمن به قوم وكفر به قوم كما اختلف هؤلاء فى القرآن (ولولا كلمة سبقت من ربك) يعنى كلمة الانظار الى يوم القيامة (لقضى بينهم) بانزال مايستحقه المبطل ليتميز به عن المحق (وانهم) وان كفار قومك (لفى شك منه) من القرآن (مريب) موقع للريبة (وانّ كلا) وان كل المختلفين المؤمنين منهم والكافرين والتنوين بدل المضاف اليه وقرأ ابن كثير ونافع وابو بكر بالتخفيف مع الاعمال اعتبارا للاصل (لما ليوفينهم ربك اعمالهم) اللام الاولى موطئة للقسم والثانية للتأكيد اوبالعكس وما مزيدة بينهما للفصل وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة لما بالتشديد على ان اصله لمن ما فقلبت النون ميما للادغام فاجتمعت ثلاث ميمات فحذف اولاهنّ والمعنى لمن الذين ليوفينهم ربك جزآء اعمالهم وقرئ لما بالتنوين اى جميعا

(قوله)

كقوله اكلا لما وان كل لما على انّ ان نافية ولما بمعنى الا وقد قرئ به (انه بما يعملون خبير) فلايفوت عنه شئ منه وان خفى (فاستقم كما امرت) لما بين امر المختلفين في التوحيد والنبوّة واطنب في شرح الوعد والوعيد امر رسوله صلى الله عليه وسلم بالاستقامة مثل ما امر بها وهى شاملة للاستقامة في العقائد كالتوسط بين التشبيه والتعطيل بحيث يبقى العقل مصونا من الطرفين والاعمال من تبليغ الوحى وبيان الشرآئع كما انزل والقيام بوظائف العبادات من غير تفريط وافراط مفوّت للحقوق ونحوها وهى في غاية العسر ولذلك قال عليه الصلاة والسلام شيبتنى سورة هود (ومن تاب معك) اى ومن تاب من الشرك والكفر وآمن معك وهو عطف على المستكن في استقم وان لم يؤكد بمنفصل لقيام الفاصل مقامه (ولاتطغوا) ولاتخرجوا عما حدّ لكم (انه بما تعملون بصير) فهو مجازيكم عليه وهو في معنى التعليل للامر والنهى وفي الآية دليل على وجوب اتباع النصوص من غير تصرّف وانحراف بنحو قياس واستحسان (ولاتركنوا الى الذين ظلموا) ولاتميلوا اليهم ادنى ميل فان الركون هو الميل اليسير كالتزيى بزيهم وتعظيم ذكرهم (فتمسكم النار) بركونكم اليهم واذا كان الركون الى من وجد منه ما يسمى ظلما كذلك فما ظنك بالركون الى الظالمين اى الموسومين بالظلم ثم بالميل اليهم كل الميل ثم بالظلم نفسه والانهماك فيه ولعل الآية ابلغ ما يتصوّر في النهى عن الظلم والتهديد عليه وخطاب الرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين بها للتثبيت على الاستقامة التى هى العدل فان الزوال عنها بالميل الى احد طرفى افراط وتفريط فانه ظلم على نفسه اوغيره بل ظلم في نفسه وقرئ تركنوا بكسر التاء على لغة تميم وتركنوا على البناء للمفعول من اركنه (ومالكم من دون الله من اولياء) من انصار يمنعون العذاب عنكم والواو للحال (ثم لاتنصرون) اى ثم لاينصركم الله اذ سبق في حكمه ان يعذبكم ولايبقى عليكم وثم لاستبعاد نصره اياهم وقد اوعدهم بالعذاب عليه واوجبه لهم ويجوز ان يكون منزلا منزلة الفاء لمعنى الاستبعاد فانه لما بين ان الله معذبهم وانّ غيره لايقدر على نصرهم انتج ذلك انهم لاينصرون اصلا (واقم الصلاة طرفى النهار) غدوة وعشية وانتصابه على الظرف لانه مضاف اليه (وزلفا من الليل) وساعات منه قريبة من النهار فانه من ازلفه اذا قرّبه وهو جمع زلفة وصلاة الغداة صلاة الصبح لانها اقرب الصلوات من اوّل النهار وصلاة العشية العصر وقيل الظهر والعصر لان ما بعد الزوال عشيّ وصلاة الزلف المغرب والعشاء وقرئ زلفا بضمتين وضمة وسكون كبسر وبسر في بسرة وزلفى بمعنى زلفة كقربى وقربة (ان الحسنات يذهبن السيئات) يكفرنها وفي الحديث ان الصلاة الى الصلاة كفارة ما بينهما ما اجتنبت الكبائر وفي سبب النزول ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال انى قد اصبت من امرأة غير انى لم آتها فنزلت (ذلك) اشارة الى قوله فاستقم وما بعده وقيل الى القرآن (ذكرى للذاكرين) عظة للمتعظين (واصبر) على الطاعات وعن المعاصى (فان الله لايضيع اجر المحسنين) عدول من المضمر ليكون كالبرهان على المقصود ودليلا على ان الصبر

قوله وان كل لما عطف على قوله لما بالتنوين اى وقرئ وان كل لما على انّ ان نافية ولما بمعنى الا كما في قوله تعالى ان كل نفس لما عليها حافظ اى ان كل نفس الا عليها حافظ وصرّح المصنف رحمه الله في سورة الطارق بان عاصما وابن عامر وحمزة رحمهم الله قرأوا في هذه السورة لما ليوفينهم وفي يس لما جميع وفي الطارق لما عليها حافظ بتشديد الميم في الثلاث والباقون بتخفيفها وصرّح ايضا رحمه الله في سورة الطارق بان لما المشدّدة بمعنى الا وانّ ان نافية ومعنى الآية ان من عجلت عقوبته او اخرت ومن صدّق الرسل ومن خالفهم سوآء في انه تعالى يوفيهم جزآء اعمالهم في الآخرة جمعت الآية الشريفة الوعد والوعيد لان توفية جزآء الطاعات وعد عظيم وتوفية جزآء المعاصى وعيد عظيم وقوله تعالى انه بما يعملون خبير تأكيد للوعد والوعيد فانه تعالى لما كان عالما بجميع المعلومات كان عالما بمقادير الطاعات والمعاصى فكان عالما بالقدر اللائق بكل عمل من الجزآء فحينئذ لايضيع شئ من الحقوق وذلك نهاية البيان وقرأ العامة يعملون بياء الغيبة اجرآء على ماتقدّم من المختلفين وقرئ بما تعملون على الخطاب التفاتا من الغيبة الى الخطاب وقوله تعالى يعبد هؤلاء وانه بما يعملون بصير مخالف لهذا فان العامة قرأوه بتاء الخطاب جريا على الخطاب المتقدّم وقرئ بياء الغيبة التفاتا من الخطاب الى الغيبة * قال الامام رحمه الله تعالى وعندى لايجوز تخصيص النص بالقياس لانه لما دل على عموم النص وجب الحكم بمقتضاه لقوله تعالى فاستقم كما امرت والعمل بالقياس انحراف عنه ولذا لما ورد القرءآن بالامر باعمال الوضوء في الاعضاء مرتبة في اللفظ وجب الترتيب فيها ولما ورد الامر في الزكاة باداء الابل من الابل والبقر من البقر وجب اعتبارها وكذا القول في كل ما ورد امر الله به كل ذلك لقوله تعالى فاستقم كما امرت ومن تاب معك وقوله تعالى ولاتركنوا الى الذين ظلموا بفتح الكاف من باب قتل يقتل وقوله فتمسكم النار منصوب باضمار ان في جواب النهى وقوله تعالى ومالكم من دون الله الآية حال من مفعول فتمسكم اى تمسكم حال انتفاء ناصركم ويجوز ان تكون مستأنفة وقوله تعالى ثم لاتنصرون جملة فعلية معطوفة على الاسمية قبلها وقرئ بحذف النون اى بحذف نون الرفع عطفا على تمسكم وكلمة ثم فيه اما لاستبعاد نصرة الله تعالى اياهم مع استحقاقهم العذاب مع ركونهم اومنزل منزلة الفاء السببية في الدلالة على ان مساس النار لهم في حال انتفاء ناصريهم سبب لانتفاء كونهم منصورين بالكلية مع الدلالة على استبعاد النصرة ثم انه تعالى لما امره صلى الله عليه وسلم بالاستقامة في العقائد والاعمال التى من جملتها اقامة الصلاة اردفه بالامر في اقامتها خاصة تنبيها على ان اعظم العبادات بعد الايمان بالله تعالى هو الصلاة وقوله تعالى طرفى النهار ظرف لاقم والطرف وان لم يكن موضوعا للظرفية الا انه لما اضيف للظرف اعرب باعرابه ونظيره قولك فعلته اوّل النهار وآخره ونصف الليل فان هذه الكلمات منصوبة على الظرفية لكونها مضافة الى الظرف وقرأ العامة زلفا بضم فسكون على انه مخفف من القرآءة بضمتين كما قالوا بسر وبسر في جمع بسرة وقرئ وزلفى بمعنى زلفة وقول المصنف رحمه الله تعالى وساعات منه قريبة من النهار اشارة الى ان الزلفى اوّل ساعات النهار وانه منصوب على الظرفية لعطفه على طرفى النهار * قال الامام رحمه الله كثرت الاقوال في تفسير طرفى النهار والاقرب ان الصلاة التى تقام في طرفى النهار هى الفجر والعصر وذلك لأن احد طرفى النهار طلوع الشمس والطرف الثانى منه غروب الشمس فالصلاة التى تقام في الطرف الاوّل هى صلاة الفجر والتى تقام في الطرف الثانى لايجوز ان تكون صلاة المغرب لانها داخلة في التى تقام في زلف من الليل فوجب حمل ما تقام في الطرف الثانى على صلاة العصر واذا عرفت هذا كانت الآية دليلا على قول ابى حنيفة رحمه الله ورضى عنه ان التنوير بالفجر افضل وان تأخير العصر افضل وذلك لان ظاهر هذه الآية يدل على وجوب اقامة الصلاة في طرفى النهار وبينا ان طرفى النهار هو الزمان الاوّل لطلوع الشمس والزمان الاوّل لغروبها واجمعت الامة على ان اقامة الصلاة في ذلك الوقت من غير ضرورة غير مشروع فقد تعذر العمل بظاهر هذه الآية فوجب حمله على المجاز وهو ان يكون المراد اقم الصلاة في الوقت الذى يقرب من طلوع الشمس ومن غروبها ولاشك ان هذا الحمل اقرب الى ظاهر اللفظ وان اقامة صلاة الفجر عند التنوير اقرب الى وقت الطلوع من اقامتها وقت التغليس وكذلك اقامة صلاة العصر عند ما يصير ظل كل شئ مثليه اقرب الى وقت الغروب من اقامتها عند ما يصير ظل كل شئ مثله والمجاز كلما كان اقرب الى الحقيقة كان حمل اللفظ عليه اولى فثبت ان ظاهر هذه الآية يقوّى قول ابى حنيفة رحمه الله ورضى عنه في هاتين المسئلتين فظهر بهذا سرّ قول المصنف رحمه الله لان صلاة الصبح اقرب الصلوات من اوّل النهار ثم قال رحمه الله واما قوله تعالى

وزلفا من الليل فهو يقتضي الامر باقامة الصلاة في ثلاث زلف من الليل لان اقل الجمع ثلاثة والمغرب والعشاء وقتان فيجب الحكم بوجوب الوتر حتى تحصل زلف ثلاث يجب ايقاع الصلاة فيها واذا ثبت وجوب الوتر في حق النبي صلى الله عليه وسلم وجب في حق الامة ايضا لقوله فاتبعوه ونظير هذه الآية بعينها قوله تعالى فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فالذي قبل طلوع الشمس هي صلاة الفجر والذي قبل غروبها هي صلاة العصر ثم قال ومن آناء الليل فسبح واطراف النهار وهو نظير قوله تعالى وزلفا قال سعيد بن جبير رضي الله عنه طرفا النهار الغداة والعشي فالصلاة التي في طرف الغداة صلاة الفجر والتي في طرف العشي الظهر والعصر وفي الخبر سماها رسول الله صلى الله عليه وسلم في احدى صلاتي العشي اما الظهر واما العصر ونقل عن الامام الواحدي رحمه الله انه قال نقلا عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى طرفي النهار يريد الصبح والظهر والعصر وهو قول مجاهد ومحمد بن كعب رحمهما الله وقال الزجاج رحمه الله تعالى صلاة طرفي النهار الغداة والظهر والعصر وذهب ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وعامة اهل التفسير الى ان تعريف الحسنات للعهد الخارجي والمراد ان الصلوات الخمس تكفرن مابينهن من الذنوب وعن مجاهد رحمه الله ان الحسنات هو قول العبد سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ﴿قوله فهلا كان﴾ اشارة الى ان كلمة لولا تحضيضية دخلت على الماضي بمعنى التفجع عليهم فكان قريبا من اسلوب قوله تعالى ياحسرة على العباد ومن القرون يجوز ان يتعلق بكان لانها تامة اذ المعنى فهلا وجد من القرون اوحدث ونحو ذلك ويجوز ان يتعلق بمحذوف على انه حال من اولوا بقية لانه لو تأخر عنه جاز ان يكون نعتا له ومن قبلكم حال من القرون وينهون حال من اولوا بقية لتخصصه بالاضافة ويجوز ان يكون نعتا لاولوا بقية وهو اولى ثم لما بين الله تعالى ان الامم المتقدمين حل بهم عذاب الاستئصال بين ان السبب فيه امران الاول انه ما كان فيهم قوم ينهون عن الفساد في الارض ومعنى الآية فهلا كان من القرون التي اهلكناهم من قبلكم اولوا بقية والسبب الثاني في نزول عذاب الاستئصال بهم ماذكره بقوله تعالى واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه قرأ العامة بقية بفتح الباء وكسر القاف وتشديد الياء وفيها وجهان احدهما انها صفة على فعيلة بمعنى فاعل ثم غلبت الاسمية عليها حيث لم يحتج الى ذكر الموصوف واجرآئها عليه بل جعلت عبارة عن كل ما اطلق عليه الخير من العقل والتمييز والفضل فلذلك دخلت التاء فيها فانها تدخل على الصفات لتدل على غلبة الاسمية عليها كالنطيحة والذبيحة والوجه الثاني ان تكون مصدرا كالتقية بمعنى التقوى اي فهلا كان منهم ذوابقاء على انفسهم وصيانة لها من سخط الله وعقابه ﴿قوله وانما سمي بقية﴾ يعني ان البقية بمعنى الصفة كناية عما اطلق عليه انه خير وجيد من قوة العقل والتدبير ومن الصفات الفاضلة والاخلاق المرضية بناء على ان الاستبقاء من لوازم الخيرية والجودة فان الرجل يستبقي افضل مايخرجه ويكسبه ﴿قوله لكن قليلا منهم انجيناهم﴾ يعني ان قوله تعالى الا قليلا فانهم كانوا ينهون لان من شأن الاستثناء المتصل ان يصح نفي ما المستثنى منه عن المستثنى واثبات ماليس للمستثنى منه للمستثنى كقولك جاءني القوم الا زيدا فانه ما جاءني وماجاءني احد الا زيدا فانه جاءني بخلاف ما اذا لم يحمل الكلام على ظاهره بل اريد به النفي اللازم التحضيض ضرورة ان التحضيض على الشيء انما يكون بانتفائه فانه حينئذ يصح ان يجعل الاستثناء متصلا فكانه قيل ماكان من القرون اولوا بقية الا قليلا وهو معنى صحيح وغاية مافي الباب انه انتصب المستثنى في غير الموجب مع ان الافصح ان يرفع على البدل ولا محذور فيه كيف وقد قرئ مافعلوه الا قليل منهم بالرفع وكلمة من في قوله تعالى ممن انجينا حقها ان تكون للبيان لا للتبعيض وذلك لان البيان والمبين شيء واحد كما في قوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان فعلى تقدير جعلها للبيان يكون القليل الذين نهوا هم الناجون وحدهم دون غيرهم ويكون الكثير الذين لم ينهوا محكوم عليهم بالعذاب وهذا المعنى مطابق لما في سورة الاعراف من قوله تعالى انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس واما اذا حمل على التبعيض يكون ممن انجينا بدلا من قليلا فيلزم ان يكون الناهون بعض الناجين غير الناهين وليس كذلك بل لما مر من ان كل من هو غيرناه محكوم عليه بالعذاب ﴿قوله ما اترفوا فيه اي ماانعموا فيه من الشهوات﴾ يريد ان الاتراف افعال من الترف وهو النعمة يقال صبي مترف اي منعم بسبب الاهتمام في شأنه وفي الكشاف واتبعوا ما عرفوا فيه التنعم والترف والشرف من حب الرياسة والثروة وطلب اسباب العيش الهنيء ورفضوا ماوراء ذلك ونبذوه وراء ظهورهم جعل الشهوات مترفا فيها اي منعما بناء على اعتقادهم ان

(تنعمهم)

(فلولا كان) فهلا كان (من القرون من قبلكم اولوا بقية) من الرأي والعقل او اولوا فضل وانما سمي بقية لان الرجل يستبقي افضل مايخرجه ومنه يقال فلان من بقية القوم اي من خيارهم ويجوز ان يكون مصدرا كالتقية اي ذووا ابقاء على انفسهم وصيانة لها من العذاب ويؤيده انه قرئ بقية وهي المرة من مصدر بقاه يبقيه اذا راقبه (ينهون عن الفساد في الارض الا قليلا ممن انجينا منهم) لكن قليلا منهم انجيناهم لانهم كانوا كذلك ولا يصح اتصاله الا اذا جعل استثناء من النفي اللازم للتحضيض (واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه) اي ما انعموا فيه من الشهوات واهتموا بتحصيل اسبابها واعرضوا عما وراء ذلك (وكانوا مجرمين) كافرين كأنه اراد ان يبين ما كان السبب لاستئصال الامم السالفة وهو فشو الظلم فيهم واتباعهم للهوى وترك النهي عن المنكرات مع الكفر

تنعمهم فى ضمنها ﴿قوله واتبع عطف على مضمر دل عليه الكلام﴾ لمامرّ من ان التحضيض يدل على انتفاء المحضض عليه ولم يجز عطفه على انجينا لانه صلة من ويمتنع وقوع واتبع صلة ولا معنى لجعله حالا من انجينا لان انجاء القليل ليس فى اتباع الكثير الشهوات فتعين جعله عطفا على مقدر الا ان صاحب الكشاف جعله معطوفا على نهوا المقدر خبرا لانه بمعنى لكن والمصنف عطف على مادل عليه جملة التحضيض ولعله نظر الى ان فيما اختاره عطف احد سببى الاستئصال على الآخر الا انه وضع الظاهر موضع المضمر فى قوله تعالى واتبع الذين ظلموا التصريح بان اتباع الشهوات ظلم منهم وانه هو المؤدى الى الاستئصال وهذه المناسبة منتفية فيما اختاره صاحب الكشاف عفا الله تعالى عنه ﴿قوله وأتبع﴾ بضم همزة القطع وسكون التاء وكسر الباء على بناء المفعول من باب الافعال ولا بدّ حينئذ من حذف مضاف اى واتبعوا جزآء ما اترفوا فيه وما يجوز ان تكون بمعنى الذى وهو الظاهر لرجوع فيه له ويجوز ان تكون مصدرية اى جزآء اترافهم فحينئذ لا يحتاج الى تقدير المعطوف لصحة جعل الواو للحال بتقدير قد كأنه قيل انجينا القليل وقد اتبع الذين ظلموا جزآء اترافهم وهو ترتيب حسن لانه ذكر اوّلا انجاء الناهين ثم بين هلاك الذين لم ينهوا كأنه قيل وانجينا القليل واتبع الذين لم ينهوا ثم انه تعالى لما بين ان سبب اهلاك الامم السالفة امران الاوّل فشوّ الظلم فيما بينهم والثانى اتباعهم الشهوات بين انه ليس من شأنه ولا يصح له ان يهلك القرى بمجرد شركهم اذا كانوا مصلحين فى المعاملات الواقعة فيما بينهم والحاصل ان عذاب الاستئصال لا ينزل لاجل كون القوم معتقدين للشرك والكفر بل انما ينزل ذلك العذاب اذا اساؤا فى المعاملات وسعوا فى ايذآء الخلق وظلمهم ولهذا قال الفقهاء ان حقوق الله تعالى مبناها على المسامحة والمساهلة وحقوق العباد مبناها على الضيق والشح ويقال فى الاثر الملك يبقى على الكفر ولا يبقى على الظلم واللام فى قوله تعالى ليهلك لام الجحود وينتصب الفعل بعدها باضمار ان وهى متعلقة بخبر كان المحذوف والتقدير وما كان الله مريدا لاهلاك القرى بمجرد الظلم والمراد به ههنا الشرك لقوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم وهذا مذهب البصريين وقال الكوفيون يهلك خبر كان زيدت اللام فيه دلالة على التأكيد وبظلم متعلق بيهلك والباء فيه سببية وجوّز الزمخشرى عفا الله عنه ان يكون حالا من فاعل ليهلك وقوله واهلها مصلحون جملة حالية ﴿قوله الا ناسا الخ﴾ اشارة الى ان الاستثناء متصل من الضمير فى مختلفين وان جاز كونه استثناء من فاعل يزالون ولا ضرورة تدعو الى جعله استثناء منقطعا بمعنى لكن من رحم لم يختلفوا ﴿قوله واللام للعاقبة﴾ لا للعلة لان افعاله تعالى غير معللة ولانه تعالى لو خلقهم للاختلاف واراده منهم لكان لا يجوز ان يعذبهم عليه اذا كانوا مطيعين له تعالى بذلك الاختلاف وكانت الآية حينئذ مخالفة لقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ﴿قوله اواليه والى الرحمة﴾ اى ان كان الضمير للناس يجوز ان تكون الاشارة الى الاختلاف والى الرحمة كما قال ابن عباس رضى الله عنهما فى رواية عطاء يريد انه تعالى خلق اهل الرحمة للرحمة واهل الاختلاف للاختلاف وخلق الجنة وخلق لها اهلا وخلق النار وخلق لها اهلا وهذا اختيار الفرآء والزجاج قال الزجاج رحمه الله ويدل على صحة هذا قوله تعالى بعده وتمت كلمة ربك لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين قال الكلبى رحمه الله يريد من كفار الجن وكفار الانس وهذا تصريح بانه تعالى خلق اقواما للهداية والجنة واقواما للضلالة والنار واجمعين تأكيد والاكثر ان يسبق بكل وقد جاء ههنا بدونها ﴿قوله وكل نبأ﴾ اشارة الى ان كلا منصوب على انه مفعول به قدّم على عامله وتنوينه عوض عن المضاف اليه المحذوف ومن انباء بيان له او صفة وما نثبت بيان لكلا او منصوب باضمار اعنى او بدل من كلا ﴿قوله وفائدته﴾ اى فائدة ايراد قوله ما نثبت به فؤادك على سبيل البيان او البدلية التنبيه على ما هو المقصود من ذكر القصص المذكورة فى هذه السورة فانه صلى الله عليه وسلم اذا سمع هذه القصص وعلم ان حال جميع الرسل والانبياء عليهم الصلاة والسلام مع اتباعهم مثل حاله مع امّته صلى الله عليه وسلم سهل عليه تحمل اذى قومه وامكنه الصبر عليه فان الانسان اذا ابتلى بمحنة وبلية فرأى جماعة يشاركونه فيها خف على قلبه بليته كما يقال البلية اذا عمت خفت وطابت ومع ذلك يحصل له صلى الله عليه وسلم بسماع تلك الاقاصيص من زيادة اليقين وطمأنينة القلب فيما يتعلق بكمال قدرة الله تعالى وحكمته ورحمته على عباده ما لا يطلع على كنهه الا هو سبحانه وتعالى ﴿قوله اومفعول﴾ عطف على قوله بيان لكلا ويحتمل ان يكون ما نثبت مفعولا لنقص ويكون كلا منصوبا على المصدر بان يكون تنوين كلا عوضا عن المضاف اليه المحذوف الذى هو الاقتصاص وذهب اكثر

وقوله واتبع عطف على مضمر دل علي
الكلام اذ المعنى فلم ينهوا عن الفسا
واتبع الذين ظلموا وكانوا مجرمين عطف
على اتبع او اعتراض وقرئ واتبع ا
واتبعوا جزآء ما اترفوا فتكون الواو للحا
ويجوز ان يفسر به المشهورة ويعضد
تقدّم الانجاء (وما كان ربك ليهلك القر
بظلم) بشرك (واهلها مصلحون) فيم
بينهم لا يضمون الى شركهم فسادا وتباغ
وذلك لفرط رحمته ومسامحته فى حقوق
ولذلك قدّم الفقهاء عند تزاحم الحقوق
حقوق العباد وقيل الملك يبقى مع الكف
ولا يبقى مع الظلم (ولو شاء ربك لجعل
الناس امة واحدة) مسلمين كلهم وهو
دليل ظاهر على ان الامر غير الارادة وان
تعالى لم يرد الايمان من كل احد وا
ما اراده يجب وقوعه (ولا يزالو
مختلفين) بعضهم على الحق وبعضه
على الباطل لا تكاد تجد اثنين يتفقان مطلق
(الا من رحم ربك) الا ناسا هداهم ال
من فضله فاتفقوا على ما هو اصول دي
الحق والعمدة فيه (ولذلك خلقهم) ا
كان الضمير للناس فالاشارة الى الاختلاف
واللام للعاقبة او اليه والى الرحمة وان كا
لمن فالى الرحمة (وتمت كلمة ربك) وعيد
او قوله للملائكة (لاملأن جهنم من الجن
والناس) اى من عصاتهما (اجمعين
او منهما اجمعين لا من احدهما (وكلا
وكل نبأ (نقص عليك من انباء الرسل
نخبرك به (ما نثبت به فؤادك) بيان لكلا
او بدل منه وفائدته التنبيه على المقصو
من الاقتصاص وهو زيادة يقينه وطمأنينة
قلبه وثبات نفسه على ادآء الرسالة واحتمال
اذى الكفار او مفعول وكلا منصوب على
المصدر بمعنى كل نوع من انواع الاقتصاص
نقص عليك ما نثبت به فؤادك من انبا
الرسل (وجاءك فى هذه) السورة او الانبا
المقتصة عليك (الحق) ما هو حق

(وموعظة وذكرى للمؤمنين) اشارة الى سائر فوائده العامة (وقل للذين لايؤمنون اعملوا على مكانتكم) على حالكم (اناعاملون) على حالنا (وانتظروا) بنا الدوائر (انامنتظرون) ان ينزل بكم نحو مانزل على امثالكم (ولله غيب

السموات والارض) خاصة لايخفى عليه خافية مما فيهما (واليه يرجع الامر كله) فيرجع لامحالة امرهم وامرك اليه وقرأ نافع وحفص يرجع على البناء للفعول (فاعبده وتوكل عليه) فانه كافيك وفي تقديم الامر بالعبادة على التوكل تنبيه على انه انماينفع العابد (وماربك بغافل عما تعملون) انت وهم فيجازى كلاما يستحقه قرأ نافع وابن عامر وحفص بالتاء هنا وفي آخر النمل وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة هود اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من صدّق بنوح ومن كذب به وهود وصالح وشعيب ولوط وابراهيم وموسى وكان يوم القيامة من السعداء ان شاء الله تعالى

سورة يوسف عليه السلام مكية

وآيها مائة واحدى عشرة

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الر تلك آيات الكتاب المبين) تلك اشارة الى آيات السورة وهي المرادة بالكتاب اى تلك الآيات آيات السورة الظاهر امرها في الاعجاز او الواضحة معانيها او المبينة لمن تدبرها انها من عند الله او لليهود ماسألوا اذ روى ان علماءهم قالوا لكبراء المشركين سلوا محمدا لم انتقل آل يعقوب من الشام الى مصر وعن قصة يوسف عليه السلام فنزلت (انا انزلناه) اى الكتاب (قرآنا عربيا) سمى البعض قرآنا لانه في الاصل اسم جنس يقع على الكل والبعض وصار علما للكل بالغلبة ونصبه على الحال وهو في نفسه اما توطئة للحال التي هي عربيا او حال لانه مصدر بمعنى مفعول وعربيا صفة له او حال من الضمير فيه او حال بعد حال وفي كل ذلك خلاف (لعلكم تعقلون) علة لانزاله بهذه الصفة اى انزلناه مجموعا او مقروأ بلغتكم كي تفهموه وتحيطوا بمعانيه وتستعملوا فيه عقولكم فتعلموا ان اقتصاصه كذلك ممن لم يتعلم القصص معجز لايتصور الا بالايحاء (نحن نقص عليك احسن القصص) احسن الاقتصاص لانه اقتص على ابدع الاساليب او احسن مايقص لاشتماله على العجائب والحكم والآيات والعبر فعل بمعنى مفعول كالنقض والسلب

المفسرين رحمهم الله الى ان هذه في قوله تعالى وجاءك في هذه الحق اشارة الى هذه السورة الكريمة وتخصيصها بالحكم بمجيئ الحق فيها مع ان ماجاء في جميع السور حق يحق تدبره واذعانه والعمل بمقتضاه تشريفا لها ورفعا لمنزلتها **﴿قوله اشارة الى سائر فوائده العامة﴾** يعني ان في ايراد القصص المذكورة في هذه السورة فائدتين مختصان به صلى الله عليه وسلم اشار اليهما بقوله وكلا نقص وبقوله تعالى وجاءك في هذه الحق وفائدة ثالثة تم المؤمنين اشار اليها بقوله تعالى وموعظة وذكرى للمؤمنين **﴿قوله وقرأ نافع وحفص يرجع﴾** بضم الياء وفتح الجيم اى يرد وقرأ الآخرون بفتح الياء وكسر الجيم اى يعود الامر كله اليه حتى لايكون للخلق امر بوجه ما **﴿قوله تعملون انت وهم﴾** اشارة الى انه اختار قرآءة نافع وحفص وابن عامر وهي القرآءة بتاء الخطاب على تغليب الخطاب على الغيبة *تمت سورة هود بعون الله الملك المعبود والحمد لله الودود والصلاة والسلام على سيدنا محمد صاحب الشفاعة العظمى والحوض المورود وعلى آله وصحبه ماتجدّد الموجود وتباعد المفقود في اليوم التاسع من المحرم من شهور سنة اربع وثلاثين وتسعمائة

سورة يوسف عليه السلام كلها مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الر تلك آيات الكتاب المبين﴾ الظاهر ان الر اسم للسورة وانه في محل الرفع على انه مبتدأ حذف خبره او خبره مبتدأ محذوف والتقدير الر هذه السورة او هذه السورة الر اى مسمى هذا الاسم ان ابقيتها على اصل معانيها وهي ان تكون اسما للحروف التي تتركب منها الكلم وان جعلتها تعديدا للحروف على طريق التحدّى نزلتها منزلة ان يقال المؤلف من هذه الحروف والمؤلف منها هو المتحدّى به وقرأ نافع وابن كثير وعاصم بفتح الراء على التفخيم والباقون بكسرها على الامالة والاصل في امثالها ترك الامالة كما تركت في ماولا لان ألفاتها ليست منقلبة عن الواو ومن امالها نظر الى ان هذه الالفاظ اسماء للحروف المخصوصة فقصد بامالتها التنبيه على انها اسماء لاحروف ثم انهم اتفقوا على ان قوله الر وحده ليس آية واتفقوا على ان قوله طه وحده آية والفرق ان قوله الر لايشاكل مقاطع الآى التي بعد قوله تعالى طه فانه يشاكل مقاطع الآى التي بعده **﴿قوله اى تلك الآيات آيات السورة﴾** اشارة الى ان تلك مبتدأ ومابعده خبره ومن المعلوم ان المشار اليه لابدّ ان يتقدم على الاشارة لان الشيء مالم يوجد لايمكن ان يشار اليه الا انه لايمكن ان يكون موجودا في الخارج قبل الاشارة بل يكفي ان يكون موجودا في ذهن المخاطب قبلها ومانحن فيه من هذا القبيل فان الر سواء جعل اسما للسورة او جعل تعديدا للحروف يدل على السورة او المتحدّى به المؤلف من الآيات وعلى التقديرين يحضر في ذهن المخاطب الآيات التي تضمنتها السورة او المتحدّى بها فصح ان يشار اليها باعتبار حضورها ذهنا وان كانت مترقبة بحسب الوجود الخارجي فان صاحب الكشاف عفا الله تعالى عنه في قوله تعالى هذا فراق بيني وبينك تصور فراق بينهما عند حلول الميعاد فاشار اليه وجعله مبتدأ وخبرا ولما ورد على قوله تلك اشارة الى آيات السورة وهي المرادة بالكتاب ان يقال على تقدير ان يكون المراد بالكتاب السورة يكون حاصل الكلام آيات السورة آيات السورة ولا فائدة فيه اشار الى دفعه بان المراد بالمبتدأ الآيات من حيث حصولها في ضمن السورة وبالخبر الآيات من حيث كونها موصوفة بكونها ظاهرة الاعجاز او المعاني او بكونها مظهرة لغيرها ماينفعه فلما تحقق التغاير بين الموضوع والمحمول بهذا الاعتبار حصلت الفائدة من الحكم وان اتحدا ذاتا وقوله الظاهر امرها مبني على ان يكون المبين من أبان بمعنى بان اى ظهر ووضح وقوله او المبينة مبني على كون أبان بمعنى بين واوضح فعلى الاول يحتمل ان يكون المراد بالظهور ظهور البينات بكونه معجزا للعرب موجبا لتبكيتهم او ظهور معانيه للعرب لكونه نازلا بلسانهم وعلى الثاني لابدّ من تقدير مفعول وهو كونه من عند الله تعالى لامن كلام البشر او ماسأله اليهود **﴿قوله وهو في نفسه اما توطئة للحال التي هي عربيا﴾** لانه في نفسه لايبين الهيئة وانما تبين بتبيينها بالغير ومايتبعها من الصفة فان الحال الموطئة اسم جامد موصوف بصفة هي الحال في الحقيقة فقوله تعالى قرآنا كذلك ولايكون مبينا للهيئة بنفسه الا اذا اعتبر كونه بمعنى المفعول **﴿قوله احسن الاقتصاص﴾** على ان يكون لفظ المصدر باقيا على المعنى المصدرى **﴿قوله او احسن مايقص﴾** على ان يكون المصدر بمعنى المفعول او على ان يكون القصص فعلا بمعنى المفعول وهو المقصوص فان القصص مصدر يقال قص الحديث يقصه قصصا كقوله شله يشله شللا فان اريد به المعنى المصدرى يكون المعنى احسن الاقتصاص ويكون انتصابه على انه مصدر

واشتقاقه من قص اثره اذا تبعه (بما اوحينا) بايحائنا (اليك هذا القرءآن) يعني السورة ويجوز ان يجعل هذا مفعول نقص على ان احسن نصب على المصدر (وان كنت من قبله لمن الغافلين) عن هذه القصة لم تخطر ببالك ولم تقرع سمعك قط وهو تعليل لكونه موحى وان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة (اذ قال يوسف) بدل من احسن القصص ان جعل مفعولا بدل الاشتمال او منصوب باضمار اذكر ويوسف عبري ولو كان عربيا لصرف وقرئ بفتح السين وكسرها على التلعب به لا على انه مضارع بني للمفعول او الفاعل من آسف لان المشهورة شهدت بعجمته (لابيه) يعقوب بن اسحق ابن ابراهيم وعنه عليه الصلاة والسلام * الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم * (ياابة) اصله يا ابي فعوض عن الياء تاء التأنيث لتناسبهما في الزيادة ولذلك قلبها هاء في الوقف ابن كثير وابو عمرو ويعقوب وكسروها لانها عوض حرف يناسبها الا ابن عامر ففتحها في كل القرءآن لانها حركة اصلها او لانه كان ياابتا فحذف الالف وبقي الفتحة وانما جاز ياابتا ولم يجز ياابتي لانه جمع بين العوض والمعوض وقرئ بالضم اجراء لها مجرى الاسماء المؤنثة بالتاء من غير اعتبار التعويض وانما لم تسكن كاصلها لانها حرف صحيح منزل منزلة الاسم فيجب تحريكها ككاف الخطاب (اني رأيت) من الرؤيا لا من الرؤية لقوله لاتقصص رؤياك وقوله هذا تأويل رؤياي من قبل (احد عشر كوكبا والشمس والقمر) روي عن جابر ان يهوديا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اخبرني يا محمد عن النجوم التي رآهن يوسف فسكت فنزل جبريل عليه السلام فاخبره بذلك فقال اذا اخبرتك فهل تسلم قال نعم قال جريان والطارق والذيال وقابس وعمودان والفليق والمصبح والضروح والفرغ ووثاب وذو الكتفين رآها يوسف والشمس والقمر نزلن من السماء وسجدن له فقال اليهودي اي والله انها لاسماؤها (رأيتهم لي ساجدين) استئناف لبيان حالهم التي رآهم عليها فلا تكرير وانما اجريت مجرى العقلاء لوصفها بصفاتهم

مؤكد ويكون المقصوص محذوفا اكتفاء بدلالة قوله تعالى بما اوحينا اليك هذا القرءآن عليه وان كان بمعنى المفعول يكون المعنى احسن المقصوص ويكون منصوبا على انه مفعول به جعل الله تعالى اقتصاص هذه القصة على خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم احسن من اقتصاصها على موسى عليه الصلاة والسلام في التوراة لما روي ان اليهود تفاخروا بان الله تعالى بين لهم قصة يوسف عليه الصلاة والسلام في التوراة وهي غير مذكورة في القرءآن فنزلت هذه السورة على ابدع طريقة واعجب اسلوب بلغة العرب افصح من لغة اليهود ليزول افتخارهم على المسلمين وعلى تقدير ان يكون المراد بالقصص المقصوص جعل هذه القصة احسن ما يقص لاشتمالها على الحكم والآيات والعبر التي ليست في غيرها قال محيي السنة رحمه الله تعالى سمى الله تعالى قصة يوسف عليه الصلاة والسلام احسن القصص لما فيها من العبر والحكم والفوائد التي تصلح للدين والدنيا من سير الملوك والمماليك ومكر النساء والصبر على اذى الاعداء وحسن التجاوز عنهم بعد الاقتدار وغير ذلك من الفوائد ولذلك قيل ان سورة مريم وسورة يوسف عليه الصلاة والسلام يتفكه بهما اهل الجنة وقيل لا يسمع سورة يوسف محزون الا استروح اليها ثم الظاهر انه ليس المراد ان قصته عليه الصلاة والسلام احسن الاقاصيص المفيدة لما تضمنته قصة يوسف عليه السلام من الفوائد كمعرفة سير الملوك والمماليك ومكر النساء وغيرها مما ذكر آنفا **﴿قوله واشتقاقه﴾** ليس المراد ان القصص مع انه مصدر ومأخذ لما يشتق منه من المشتقات مشتق من قص اثره اذا تبعه لان الاشتقاق باي معنى كان انما يتحقق اذا اتحد المشتق منه والمشتق في اصل المعنى المصدري النسبي الذي هو مدلول جوهر الحروف ولم يختلفا الا بمفهوم الصيغة وهيئة ترتب الحروف والقصص بمعنى الحكاية والرواية ليس بمشتق فضلا على ان يتحد معنى قصه بمعنى تبعه بل المراد من الاشتقاق النقل المبني على المناسبة بين المعنى الاصلي المنقول منه والمعنى المنقول اليه فمعنى كلامه ان المعنى الاصلي للقصص هو الاتباع قال الله تعالى وقالت لاخته قصيه نقل الى قص الحديث اي حكاه ورواه وذلك لان حاكي الحديث يتبع ما حفظه شيأ فشيأ كما ان المعنى الاصلي للتلاوة هو الاتباع ثم نقلت الى معنى القرآءة لان القارئ يتلو اي يتبع ما حفظه شيأ فشيأ وقيل القصص اتباع الخبر بعضه ببعض والباء في قوله تعالى بما اوحينا اليك متعلقة بنقص وما مصدرية والمعنى نقص عليك بوحينا اليك هذا القرءآن وضمير من قبله يرجع الى الايحاء او القرءآن **﴿قوله ان جعل مفعولا﴾** اي ان جعل احسن القصص بمعنى احسن ما يقص من المقصوص جاز ان يكون وقت قول يوسف بدلا منه لان المقصوص هو قول يوسف عليه الصلاة والسلام ووقته مشتمل عليه اشتمال الظرف على المظروف واما اذا كان المراد احسن الاقتصاص فلا يجوز الابدال حينئذ بل يتعين تقدير اذكر لان الاقتصاص انما هو في زمان الوحي الى سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وزمان يوسف عليه الصلاة والسلام غير مشتمل على ذلك الاقتصاص **﴿قوله على التلعب به﴾** فان العرب اذا عربت ما ليس بعربي يعبرون بانواع التعبير فيصيرون بذلك كانهم يتلعبون به فمفتوح السين وان كان على وزن المضارع المبني للمفعول ومكسور السين على وزن المضارع المبني للفاعل من آسف وكان ينبغي ان لا ينصرف لوزن الفعل والتعريف الا انه لما لم ينصرف على القرآءة المشهورة للعجمة والتعريف تعين اعتبار عجمته على غير المشهورة لئلا يلزم كون اللفظ عربيا تارة واعجميا اخرى **﴿قوله لتناسبهما في الزيادة﴾** اي لتناسب ياء الاضافة وتاء التأنيث من حيث كون كل واحدة منهما زيادة ملحقة بآخر الاسم **﴿قوله ولذلك﴾** اي ولكونها تاء التأنيث قلبت هاء ولو كانت اصلية لبقيت تاء خالصة في الوقف كتاء ضربت وآيات في الوقف ولكونها عوضا عن ياء الاضافة لا يجوز الجمع بينهما الا ضرورة كقوله

* فيا ابتي لازلت فينا بقائم * لنا املا في العيش مادمت عائشا *

فان قلت كيف جاز الحاق تاء التأنيث بالمذكر * اجيب بانه كثيرا ما يوصف المذكر بما فيه تاء التأنيث نحو غلام يفعة ورجل ربعة ويقال حمامة ذكر وشاة ذكر الربعة بسكون الباء مربوع الخلق لا قصير ولا طويل واليفعة بفتح الفاء والعين مرتفع القامة واليفاع ما ارتفع من الارض وايفع الغلام اي ارتفع من الارض وهو يافع ولا يقال موفع وهو من النوادر وغلام يفع ويفعة ايضا **﴿قوله الا ابن عامر﴾** استثناء من فاعل كسروها يعني ان ابن عامر فتح التاء في ياابت حيث وقع في القرءآن لتدل الفتحة على حركة ياء الاضافة التي هي اصلها فان ياء الاضافة حقها ان تكون مفتوحة فالعوض لابد ان يأخذ حكم المعوض عنه فلذلك حركت التاء بحركة اصلها فان ياء الاضافة

اسم و الاسماء حقها التحريك فى الاصالة لاصالتها فى الاعراب الا انها اسكنت للتخفيف لانها حرف لين بخلاف التاء فانها حرف صحيح منزل منزلة الاسم ﴿قوله وقرأ حفص هنا وفى الصافات بفتح الياء﴾ على ان أصلها يابنيا الذين اصله يابنىّ ابدلت ياء الاضافة الفا كما قيل فى ياغلامى ياغلاما بناء على ان الالف والفتحة اخف من الياء والكسرة وقرأ الباقون يابنىّ بحذف ياء الاضافة اكتفاء بالكسرة كما قيل ياغلام فى ياغلامى فان ابن يصغر على بنىّ فاذا اضيف الى ياء المتكلم قيل يابنيي وقد نبهنا على ذلك مفصلا فى اوآئل سورة هود عليه الصلاة والسلام وقرئ بالضم لانه نداء مفرد معرفة ﴿قوله ثم ان المتخيلة تحاكيه﴾ اى تشابه ما تصوّر به النفس من المعنى الذى استفادته من عالم الملكوت بصورة تناسبه قال الجوهرى رحمه الله تعالى يقال حكيت فعله وحاكيته اذا فعلت مثل فعله والمحاكاة المشابهة يقال فلان يحكى الشمس حسنا اى يشابهها فى الحسن ويحاكيها بمعنى ثم اذا كانت الصورة المخيلة شديدة المناسبة لذلك المعنى الكلى استغنت الرؤيا عن التعبير فانه عليه الصلاة والسلام رأى سجود الكواكب والشمس والقمر فاحتاج الى التعبير حيث اوّلت الكواكب باخوته حيث كانوا رجالا يستضاء بهم كما يستضاء بالنجوم واوّلت الشمس بامّه والقمر بابيه لان الشمس مؤنثة والقمر مذكر وقيل الشمس ابوه والقمر امه قاله قتادة رضى الله عنه وقال السدّى رحمه الله القمر خالته لا يالان امّه راحيل كانت قدماتت وهى لاتحتاج الى التعبير وخرجت على عين مارأى يوسف عليه الصلاة والسلام كرؤية ابراهيم عليه الصلاة والسلام فى المنام ذبح الولد فخرج الولد على الكبش وخرج الذبح على عينه فان يوسف عليه الصلاة والسلام رآهم يسجدون له اما بحقيقة السجود او بتواضعهم له ودخولهم تحت امره فخرج الامر على عين مارأى ولفظ السجود كما يطلق على وضع الجبهة على الارض سوآء كان على وجه التعظيم والاكرام او على وجه العبادة يطلق ايضا على التواضع والخضوع كما قال الشاعر * ترى الاكم فيها سجدا للحوافر * ﴿قوله وانما عدّى كاد باللام وهو متعدّ بنفسه﴾ كما فى قوله تعالى فكيدونى جميعا ثم لاتنظرون فعلى هذا الظاهر ان يقال فيكيدوك الا انه عدّى باللام لتضمنه معنى فعل يتعدّى باللام كانه قيل فيكيدوك محتالين لك او فيحتالوا لك ذين والنكتة فى اعتبار التضمين ان يفيد تأكيد التخويف وتقويته بان يفيد معنى فعل الكيد مع افادة معنى الفعل المضمن فيكون آكد وابلغ فى التخويف ولكون المقام مقام التأكيد وكونه المقصود اكد بمصدره والكيد الاحتيال للاغتيال وهو طلب ايصال الشرّ الى الغير وهو غير عالم به ﴿قوله وكما اجتباك﴾ اى مثل اجتبائك واختيارك واصطفائك من بين اخوتك لهذه الرؤيا على ان الكاف فى محل النصب على انه صفة مصدر محذوف والمعنى يجتبيك اجتباء مثل ذلك الاجتباء العظيم وجباية الشئ لنفسك عبارة عن الاختيار والاصطفاء وكان يعقوب قصد بهذا الكلام ان يعبر رؤيا ابنه الدالة على شرف وعز وكمال نفس فذكر ثلاثة امور الاوّل اجتباؤه لامر عظيم غير اجتبائه لهذه الرؤيا والثانى ان يعلمه تأويل الاحاديث والثالث ان يتم نعمته عليه ولم يجعل التعليم مشبها باجتبائه للرؤيا الشريفة لفقدان المناسبة الداعية الى التشبيه اذ هو مانع من حمل الكلام على التشبيه ﴿قوله من تعبير الرؤيا﴾ هكذا فيما رأيته من النسخ والظاهر من تعبير الرؤى على انه جمع الرؤيا لان المقصود تفسير التأويل بالتعبير وتفسير الاحاديث بالرؤى والجمع لا يفسر بالمفرد وقوله لانها احاديث علة لاطلاق لفظ الاحاديث على الرؤيا وقد ورد فى كتب الاحاديث ان الرؤيا ثلاث حديث النفس وتخويف الشيطان وبشرى من الله تعالى يقال عبرت الرؤيا اعبرها عبارة فسرتها وكذا اعبرت الرؤيا تعبيرا وكان يوسف عليه الصلاة والسلام اعبر الناس للرؤيا واصحهم عبارة لها ﴿قوله اومن تأويل غوامض كتب الله تعالى الخ﴾ عطف على قوله من تعبير الرؤيا فعلى هذا فى الكلام اشارة الى ان العلم اجل النعم وان اشرف العلوم تأويل كتب الله تعالى وتفسير سنن الانبياء عليهم الصلاة والسلام نقل عن الراغب ان التأويل من الاوّل وهو الرجوع الى الاصل ومنه الموئل للموضع الذى يرجع اليه فالتأويل ردّ الشئ الى الغاية المرادة منه علما كان او فعلا فالاوّل كقوله تعالى وما يعلم تأويله الا الله والثانى كقوله تعالى هل ينظرون الا تأويله يوم يأتى تأويله اى بيانه الذى هو غايته المقصودة منه ﴿قوله وهو اسم جمع للحديث﴾ ولم يجعله جمعا للحديث لان فعيلا لا يجمع على افاعيل بل يجمع على فعل نحو قبيل وقبل وعلى افعلة نحو قفيز واقفزة وفعلان نحو قفيز وقفزان وعلى افعلاء نحو نبي وانبياء وعلى فعلاء نحو شهيد وشهدآء وعلى فعال نحو كريم وكرام وعلى افعال نحو شريف واشراف فنحو اقاطيع واحاديث ينبغى ان يجعل اسم جمع حديث وقطيع قال صاحب الكشاف عفا الله عنه فى سورة المؤمن الاحاديث تكون اسم جمع للحديث ومنه احاديث رسول الله

(قال يابنىّ) بتصغير ابن صغره للشفقة او لصغر السن لانه كان ابن ثنتى عشرة سنة وقرأ حفص هنا وفى الصافات بفتح الياء (لاتقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا) فيحتالوا لاهلاكك حيلة فهم يعقوب عليه السلام من رؤياه ان الله يصطفيه لرسالته ويفوّقه على اخوته فخاف عليه حسدهم وبغيهم والرؤيا كالرؤية غير انها مختصة بما يكون فى النوم ففرق بينهما بحرفى التأنيث كالقربة والقربى وهى انطباع الصورة المنحدرة من افق المتخيلة الى الحس المشترك والصادقة منها انما تكون باتصال النفس بالملكوت لما بينهما من التناسب عند فراغها من تدبير البدن ادنى فراغ فتصوّر بما فيها مما يليق من المعانى الحاصلة هناك ثم ان المتخيلة تحاكيه بصورة تناسبه فترسلها الى الحس المشترك فتصير مشاهدة ثم ان كانت شديدة المناسبة لذلك المعنى بحيث لايكون التفاوت الا بالكلية والجزئية استغنت الرؤيا عن التعبير والا احتاجت اليه وانما عدّى كاد باللام وهو متعدّ بنفسه لتضمنه معنى فعل يعدّى به تأكيدا ولذلك اكد بالمصدر وعلله بقوله (ان الشيطان للانسان عدوّ مبين) ظاهر العداوة كما فعل بآدم عليه السلام وحوآء فلا يالو جهدا فى تسويلهم واثارة الحسد فيهم حتى يحملهم على الكيد (وكذلك) اى وكما اجتباك لمثل هذه الرؤيا الدالة على شرف وعز وكمال نفس (يجتبيك ربك) للنبوّة والملك او لامور عظام والاجتباء من جبيت الشئ اذا حصلته لنفسك (ويعلمك) كلام مبتدأ خارج عن التشبيه كانه قيل وهو يعلمك (من تأويل الاحاديث) من تعبير الرؤيا لانها احاديث الملك ان كانت صادقة واحاديث النفس والشيطان ان كانت كاذبة اومن تأويل غوامض كتب الله تعالى وسنن الانبياء وكلمات الحكماء وهو اسم جمع للحديث كاباطيل اسم جمع للباطل

صلى الله عليه وسلم وتكون جمعا للاحدوثة الذى هو مثل الاضحوكة والاعجوبة ولا يصح ان يجعل جمع احدوثة
فى الآية لانها عبارة عما يحدث به الناس تلهيا بحيث يتعجب منه ويضحك لانه يقال احاديث الشئ ومن الممتنع
ان يطلق على الكلام النبوى احدوثة وقيل انه جمع لواحد غير ملفوظ به كانهم جمعوا حديثا على احدثة ثم جمعوا
الجمع على احاديث كقطيع واقطعة واقاطيع ﴿قوله ويتم نعمته عليك بالنبوّة﴾ مبنى على ان يحمل الاجتباء فى قوله
تعالى يجتبيك ربك على الاجتباء للامور العظام والدرجات العالية اذ لو حمل على الاجتباء للنبوّة وفسر اتمام
النعمة ههنا ايضا بالنبوّة لزم التكرار وقوله اوبان يصل نعمة الدنيا بنعمة الآخرة مبنى على ان يجعل الاجتباء
هناك للنبوّة فان من انعم الله تعالى عليه بالنبوّة والملك ثم اوصله فى العقبى الى الدرجات العلى فقد أتم نعمته عليه فان
اعز المناسب واجلها واكملها واتم النعم فى حق البشر ليس الا النبوّة وكل ماسواها فهى ناقصة بالنسبة اليها وقوله
عليك يجوز ان يتعلق بيتم وان يتعلق بنعمته وكرر على فى قوله تعالى وعلى آل ليمكن العطف على الضمير المجرور قال
ابن الحاجب واذا عطف على الضمير المجرور اعيد الخافض مثل مررت به وبزيد والآل وان كان اصله اهل الا انه
فرق فى الاستعمال بان الآل لايستعمل الا فى الاشراف يقال آل النبىّ وآل الملك ولا يقال آل الحجام ولا آل
الحائك بخلاف الاهل فانه يقال اهل الحجام ونحوه والنسل الولد ذكرا كان او انثى والآل وان كان بمعنى الاهل
والاتباع من الاولاد وغيرهم الا انه حمله اوّلا على المختصين بالنبوّة منهم حيث قال يريد به سائر بنيه بناء على ان المراد
من تمام النعمة النبوّة ثم حمله على النسل لانهم ينعمون فى الدارين ﴿قوله وقيل على ابراهيم بالخلة الخ﴾ فعلى هذا
يكون المراد من اتمام النعمة فى حق يوسف عليه الصلاة والسلام تخليصه مما توجه اليه من المحن ليصح تشبيه ابويه به
فى انعامه تعالى على احدهما بانجائه من النار وعلى الآخر بتخليصه من الذبح ولا يخفى ان حمل اتمام النعمة فى حقه
عليه الصلاة والسلام على تخليصه من المحن لايخلو عن بعد والظاهر ان يعقوب عليه الصلاة والسلام كان قاطعا
بحصول هذه البشارات التى بشر بها فى غربته وخوفه عليه من حسد اخوته وكيدهم اياه ليس خوفا من اهلاكهم
اياه حقيقة بل هو خوفه من اضرارهم بما يسوءه ويسلب عنه حضوره وقوله عليه الصلاة والسلام لهم اخاف
ان يأكله الذئب عبارة عن تهاونهم فى حفظه لان يعقوب وعيصا كانا توأمين فاقتتلا فى بطن امهما حيث اراد
يعقوب عليه الصلاة والسلام ان يخرج فمنعه العيص وقال لئن خرجت من قبلى لاعترضنّ فى بطن امى فاقتلها
فتأخر يعقوب فخرج عيص فاخذ يعقوب بعقب عيص فخرج بعده فلهذا سمى به وسمى الآخر عيصا لما عصى وخرج
قبل يعقوب عليهما الصلاة والسلا وكان عيص احبهما الى ابيه وكان يعقوب احبهما الى امه وكان عيص صاحب
صيد وكان يعقوب صاحب غنم فلما كبر اسحق عليه الصلاة والسلام وعمى قال لعيص يابنى اطعمنى لحم صيد واقترب
منى ادع لك بدعاء دعالى ابى به وكان عيص رجلا اشعر وكان يعقوب اجرد فخرج عيص لطلب صيد فقالت امه
ليعقوب يابنىّ اذهب الى الغنم فاذبح منها شاة ثم اشوها والبس جلدها وقدمها الى ابيك وقل انا ابنك عيص ففعل
ذلك يعقوب فلما جاء يعقوب بالشواء قال يا ابتا كل قال من انت قال ابنك عيص فقال المس مس عيص والريح
ريح يعقوب فقالت امه هو ابنك عيص فادع له قال قدم طعامك فقدمه فأكل ثم قال ادن منى فدنا منه فدعا له ان
يجعل الله تعالى فى ذريته الانبياء والملوك فذهب يعقوب وجاء عيص فقال قد جئتك بالذى اردت فقال اسحق يابنىّ
قد سبقك اخوك فغضب فقال والله لأقتلنه فقال اسحق عليه الصلاة والسلام يا بنى قد بقيت لك دعوة فهلم ادع
لك بها فدعا له ان يجعل الله تعالى ذريته عدد التراب وان لا يملكهم احد غيرهم فقالت ام يعقوب عليه الصلاة والسلام
ليعقوب الحق بخالك مخافة ان يقتله عيص فانطلق الى خاله ليابن ناهين وكان مع خال يعقوب عليه الصلاة
والسلام بنتان احداهما ليا وقيل لاوى وهى اكبرهما والاخرى راحيل وهى اصغرهما فطلب يعقوب من
خاله ان يزوجه احداهما فقال هل لك مال قال لا ولكن اعمل لك فقال نعم صداقها ان ترعى لى سبع سنين فقال
اخدمك سبع سنين على ان تزوجنى راحيل فقال ذلك بينى وبينك فرعى له يعقوب سبع سنين فزوجه الكبرى
وهى ليا قال له يعقوب انك خدعتنى انما اردت راحيل فقال له خاله انا لا انكح الصغيرة قبل الكبيرة فهلم فاعمل
سبع سنين اخر فازوجك اختها وكان الناس يجمعون بين الاختين الى ان بعث الله موسى عليه الصلاة والسلام
فرعى له سبع سنين اخر فزوجه راحيل فجمع بينهما وكان خاله حين جهزهما دفع الى كل واحدة منهما امة
تخدمها اسم احداهما زلفة واسم الاخرى بلهة فوهبتا الامتين ليعقوب عليه الصلاة والسلام فولدت ليا اربعة بنين

(ويتم نعمته عليك) بالنبوّة اى بان يصل
نعمة الدنيا بنعمة الآخرة (وعلى آل يعقوب)
يريد به سائر بنيه ولعله استدل على نبوّتهم
بضوء الكواكب اونسله (كما اتمها على
ابويك) بالرسالة وقيل على ابراهيم بالخلة
والانجاء من النار وعلى اسحق بانقاذه من
الذبح وفداۤئه بذبح عظيم (من قبل) اى
من قبلك او من قبل هذا الوقت (ابراهيم
واسحق) عطف بيان لابويك (ان ربك
عليم) بمن يستحق الاجتباء (حكيم) بفعل
الاشياء على ماينبغى

(لقدكان فى يوسف واخوته) اى فى قصتهم (آيات) دلائل قدرة الله و حكمته او علامات نبوّتك وقرأ ابن كثير آية (للسائلين) لمن سأل عن قصتهم والمراد باخوته علاته العشرة وهم يهودا وروبيل وشمعون ولاوى وربالون ويشجر ودينة من بنت خالته لايا زوّجها يعقوب اوّلا فلما توفيت زوّج اختها راحيل فولدت له بنيامين و يوسف وقيل جمع بينهما ولم يكن الجمع محرما حينئذ واربعة آخرون دان و يغثالى و جاد و آشر من سريتين زلفة و بلهة (اذقالوا ليوسف و اخوه) بنيامين و تخصيصه بالاضافة لاختصاصه بالاخوّة من الطرفين (احب الى ابينامنا) وحده لان افعل من لايفرق فيه بين الواحد ومافوقه والمذكر ومايقابله بخلاف اخويه فان الفرق واجب فى المحلى جائز فى المضاف (ونحن عصبة) والحال انا جماعة اقوياء احق بالمحبة من صغيرين لاكفاية فيهما والعصبة والعصابة العشرة فما فوقها سموا بذلك لان الامور تعصب بهم (انّ ابانا لفى ضلال مبين) لتفضيله المفضول اولترك التعديل فى المحبة روى انه كان احب اليه لما يرى فيه من المخايل وكان اخوته يحسدونه فلما رأى الرؤيا ضاعف له المحبة بحيث لم يصبر عنه فتبالغ حسدهم حتى حملهم على التعرّض له (اقتلوا يوسف) من جملة المحكى بعد قوله اذقالوا كأنهم اتفقوا على ذلك الامر الا من قال لاتقتلوا يوسف وقيل انما قاله شمعون او دان ورضى به الآخرون (او اطرحوه ارضا) منكورة بعيدة من العمران وهو معنى تنكيرها وابهامها ولذلك نصبت كالظروف المبهمة (يخل لكم وجه ابيكم) جواب الامر والمعنى يصف لكم وجه ابيكم فيقبل بكليته عليكم ولا يلتفت عنكم الى غيركم ولا ينازعكم فى محبته احد (وتكونوا) جزم بالعطف على يخل اونصب باضمار ان (من بعده) من بعد يوسف او الفراغ من امره او قتله او طرحه (قوما صالحين) تائبين الى الله تعالى عما جنيتم او صالحين مع ابيكم يصلح مابينكم وبينه بعذر تمهدونه او صالحين فى امر دنياكم فانه ينتظم لكم بعده بخلوّ وجه ابيكم (قال قائل منهم) يعنى يهودا وكان احسنهم فيه رأيا وقيل روبيل (لاتقتلوا يوسف) فان القتل عظيم (والقوه فى غيابة الجب) فى قعره سمى به لغيبوبته عن اعين الناظرين وقرأ نافع فى غيابات الجب فى الموضعين على الجمع كأنه لتلك الجب غيابات وقرئ غيبة وغيابات بالتشديد (يلتقطه) يأخذه (بعض السيارة) بعض الذين يسيرون فى الارض (ان كنتم فاعلين) بمشورتى او ان كنتم على ان تفعلوا مايفرق بينه وبين ابيه (قالوا ياابانا مالك لا تأمنا على يوسف) لم تخافنا عليه (وانا له لناصحون) ونحن نشفق عليه ونريد له الخير ارادوا (اليأس)

وولدت راحيل ابنين وولدت كل واحدة من الامتين ثلاثة بنين فصار بنوه اثنى عشر ابنا سوى البنات قيل ان اسماء اولاد يعقوب مبينة فى التوراة روبيل وشمعون ويهودا ولاوى من امرأته لايا ويوسف وبنيامين من امرأته راحيل والستة الباقون من الامتين يشجر وربالون ودينة ودان ويغثالى وجاد عليهم الصلاة والسلام فاراد يعقوب عليه الصلاة والسلام ان يخرج الى البيت المقدس ولم يكن له نفقة وكان ليوسف خال له اصنام من ذهب فقالت لايا ليوسف اذهب واسترق منه صنما من اصنامه فلعلنا نستنفق منه فذهب يوسف واخذه وكان يوسف اعطف على ابيه وكان احب الاولاد اليه فحسده اخوته مما رأوا من حب ابيه له وكان رأى يوسف فى المنام الى آخر القصة ﴿قوله لقدكان فى يوسف واخوته اى فى قصتهم آيات﴾ لمن سأل عنها دالة على كمال قدرة الله تعالى وحكمته فان من سأل عنها وان لم يحصل له بمجرد سؤآله مايدل على كمال القدرة والحكمة لكن يحصل له ذلك اذا علم ذلك اى القصص بسبب تلاوة رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه السورة عليه فانه يظهر له حينئذ ان كبار اولاد يعقوب عليهم الصلاة والسلام بعد ان اتفقوا على اذلال اصغر اولاده وفعلوا به مافعلوا قد اصطفاه الله تعالى للنبوّة والملك وجعلهم خاضعين له منقادين لحكمه وان وبال حسدهم له قد انقلب عليهم وهذا من اجل الدلائل الدالة على قدرته تعالى وحكمته وايضا يحصل لذلك السائل بسبب تلاوة رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه السورة عليه وبيان مافيها من قصتهم على وجه صحيح موافق لما فى الكتب المتقدمة من غير سماعه من احد ولا قرآءة كتاب دلائل دلت عليه اى دالة على صدقه فى دعوى النبوّة ومن قرأ آيات على لفظ الجمع نظر الى ان امور يوسف عليه الصلاة والسلام كانت كثيرة وكل واحدة منها آية بنفسها ومن قرأ بلفظ الافراد نظر الى ان اسم الجنس يتناول الواحد والمتعدد ﴿قوله لتفضيله المفضول اولترك التعديل فى المحبة﴾ كأنه اشار الى جواب مايقال انهم كيف نسبوا اباهم المكرم بكرامة النبوّة الى الضلال المبين ومن بالغ فى ذم الرسول صلى الله عليه وسلم وطعنه فقد كفر لاسيما اذا كان الطاعن ولده فان هتك حرمة الابوّة والنبوّة اقبح من هتك احدى الحرمتين فقط * وتقرير الجواب ان مرادهم بما نسبوا اليه من الضلال عن رعاية مصالح الدنيا والبعد عن طريق الرشد والصواب فيما يتعلق بهامع ان تضليلهم اياه فى مجرد ترك التعديل فى المحبة ليس تضليلا فى الحقيقة لان المحبة ليست من الامور الاختيارية * فان قيل ان الحسد من امهات الكبائر لاسيما وقد اقدموا بسبب ذلك الحسد على تضييع ذلك الاخ الصالح والقائه فى تلك العبودية وتبعيده عن الاب المشفق والقاء ابيهم فى الحزن الدائم وارتكابهم الكذب الصريح وبالجملة فما بقيت خصلة مذمومة الا وقد اتوا بها وكل ذلك ينافى العصمة والنبوّة اجاب الامام رحمه الله تعالى بقوله الامر كما ذكرتم الا ان الامر المعتبر عندنا عصمة الانبياء فى وقت حصول النبوّة فاما قبلها فذلك غير واجب ﴿قوله ولذلك نصبت كالظروف المبهمة﴾ يعنى ان قوله ارضا منصوب على انه ظرف مكان وظرف المكان انما ينصب بتقدير فى اذا كان مبهما غير محدود ولفظ ارضا لما كان نكرة غير موصوفة بصفة كان مبهما وتنكيرها فى حكم توصيفها بكونها مجهولة بعيدة عن العمران وعن ارض ابيه فازداد بذلك ابهاما * فان قيل المعلوم ان يوسف عليه الصلاة والسلام لم يخل من الكون فى ارض فتبين انهم ارادوا ارضا بعيدة غير التى هو فيها ومثل هذا المكان لايتعدّى اليه الا بواسطة فى فلابدّ ان يكون انتصابه مبنيا على اسقاط الخافض كما فى قوله تعالى لاقعدنّ لهم صراطك المستقيم * فالجواب ان الظرف المبهم عبارة عما ليس له حدود تحصره ولا اقطار تحويه وارضا فى الآية الكريمة من هذا القبيل قال ابن الحاجب رحمه الله فى الكافية وفسر المبهم بالجهات الست وجعل عند ولدى وشبههما منه لابهامهما ولفظ مكان لكثرته مما يحمل نحو الدار فى الاصح ﴿قوله وقرئ غيبة﴾ بالفتحات المتوالية اما على انه مصدر كالغلبة او على انه جمع غائب نحو ناصر ونصرة وقيل هو فى مصحف ابىّ رضى الله عنه غيبة بسكون الياء قيل الغيابة تكون فى قعر الجبّ لان اسفله واسع ورأسه ضيق فلا يكاد الناظر يرى مافى جوانبه والجبّ البئر التى لم تطو سميت جبا لانه ليس فيها غير جب الارض وقطعها ومفعول فاعلين محذوف اى فاعلين برأيى ومشورتى او فاعلين مايحصل به غرضكم من تبعيد يوسف عن ابيه عليهما الصلاة والسلام والسيارة جمع سيار وهو بناء المبالغة والالتقاط تناول الشئ المطروح ومنه اللقطة ﴿قوله ارادوا به استنزاله عن رأيه فى حفظه منهم﴾ فان يعقوب عليه الصلاة والسلام كان يخافهم على يوسف عليه الصلاة والسلام ويحفظه منهم لما تنسم من حسدهم اى وجد نسيم حسدهم وريحه ثم انه لما احكموا العزم على تبعيد يوسف عليه الصلاة والسلام عن ابيه اما بالقتل او بالتغريب الى ارض يحصل به

وعن نافع بترك الاشمام ومن الشواذ ترك الادغام لانهما من كلمتين وتئمنا بكسر التاء (ارسله معنا غدا) الى الصحرآء (نرتع) نتسع فى اكل الفواكه ونحوها من الرتعة وهى الخصب (ونلعب) بالاستباق والانتضال وقرأ ابن كثير نرتع بكسر العين على انه من ارتعى يرتعى ونافع بالكسر والياء فيه وفى يلعب وقرأ الكوفيون ويعقوب بالياء والسكون على اسناد الفعل الى يوسف وقرئ يرتع من ارتع ماشيته ويرتع بكسر العين ويلعب بالرفع على الابتدآء (وانا له لحافظون) ان يناله مكروه (قال انى ليحزننى ان تذهبوا به) لشدة مفارقته علىّ وقلة صبرى عنه (واخاف ان يأكله الذئب) لأن الارض كانت مذأبة وقيل رأى فى المنام ان الذئب قد شدّ على يوسف وكان يحذره وقد همزها على الاصل ابن كثير ونافع فى رواية قالون وابو عمرو وقفا وعاصم وابن عامر درجا ووقفا وحمزة درجا واشتقاقه من تذآءبت الريح اذا هبت من كل جهة (وانتم عنه غافلون) لاشتغالكم بالرتع واللعب اولقلة اهتمامكم بحفظه (قالوا لئن اكله الذئب ونحن عصبة) اللام موطئة للقسم وجوابه (انا اذا لخاسرون) ضعفاء مغبونون اومستحقون لان يدعى عليهم بالخسار والواو فى ونحن للحال (فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه فى غيابة الجب) وعزموا على القائه فيها والبئر بئر بيت المقدس او بئر بارض الاردن او بين مصر ومدين او على ثلاثة فراسخ من مقام يعقوب وجواب لما محذوف مثل فعلوا به مافعلوا من الاذى فقد روى انهم لما برزوا به الى الصحرآء اخذوا يؤذونه ويضربونه حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح ويستغيث فقال يهودا اما عاهدتمونى ان لاتقتلوه فاتوا به الى البئر فدلوه فيها فتعلق بشفيرها فربطوا يديه ونزعوا قميصه ليلطخوه بالدم ويحتالوا به على ابيه فقال يا اخوتاه ردّوا علىّ قميصى اتوارى به فقالوا ادع الاحد عشر كوكبا والشمس والقمر يلبسوك ويؤانسوك فلما بلغ نصفها القوه وكان فيها ماء فسقط ثم أوى الى صخرة كانت فيها فقام عليها يبكى فجاءه جبرآئيل بالوحى كما قال (واوحينا اليه) وكان ابن سبع عشرة سنة وقيل كان مراهقا اوحى اليه فى صغره كما اوحى الى يحيى وعيسى عليهم السلام وفى القصص ان ابراهيم عليه السلام حين القى فى النار جرّد من ثيابه فاتاه جبريل بقميص من حرير الجنة فالبسه اياه فدفعه ابراهيم الى اسحق واسحق الى يعقوب فجعله فى تميمة علقها بيوسف فاخرجه جبريل عليه السلام فالبسه

اليأس من اجتماعه مع ابيه ذكروا هذا الكلام لابيه وقالوا لم تخافنا عليه ونحن نحبه ونريد الخير له وقولهم لاتأمنا حال من الكاف والمشهور تأمنا بادغام النون الاولى فى الثانية واشمامها الضم ومرادهم بالادغام بطريق الاشمام ان لاتدغم احدى النونين فى الاخرى ادغاما صحيحا بل تفصل احدى النونين عن الاخرى بحيث يكون شبيها بالاظهار لكن ليس باظهار حقيقة كما انه ليس بادغام صحيح ومثله يسمى اخفاء وهو عبارة عن تضعيف الصوت بالحركة والفصل بين المدغم والمدغم فيه لا ان يسكن الحرف المدغم رأسا بل تختلس حركته فيقرأ تأمنا بفتح الميم واختلاس ضمة النون الاولى ليدل على ان الفعل مرفوع قال ابو عمرو الدانى فى التيسير كلهم قرأوا مالك لاتأمنا بادغام النون فى الثانية واشمامها الضم وحقيقة الاشمام فى ذلك ان يشار بالحركة الى النون لابالعضو اليها فيكون ذلك اخفاء لاادغاما صحيحا لان الحركة لاتسكن رأسا بل يضعف الصوت فيفصل بين المدغم والمدغم فيه كذلك وهذا قول عامة أئمتنا وقرأ بعضهم ذلك بالاشمام بمعنى آخر وهو ان يهيأ الشفتان لتلفظ الضمة ليدل على اعراب النون المدغمة بالضمة مع الادغام الصريح وفيه عسر كثير قالوا وتكون الاشارة الى الضمة بعد الادغام اوقبل كماله والاشمام يقع بازآء معان وهذا من جملتها وقرئ بالادغام الصريح من غير اشمام وقرأ الحسن ذلك بالاظهار مبالغة فى اعراب الفعل والمحافظة على حركة الاعراب ﴿قوله نلعب بالاستباق والانتضال﴾ روى انه قيل لابى عمرو كيف يقولون نلعب وهم انبياء عليهم الصلاة والسلام فقال رحمه الله تعالى لم يكونوا يومئذ انبياء وايضا جاز ان يكون اللعب المراد منه الاقدام على المباحات لاجل انشراح الصدر كما روى انه صلى الله عليه وسلم قال لجابر رضى الله عنه * فهلا بكرا تلاعبها وتلاعبك * وايضا كان لعبهم الاستباق مما يكون الغرض منه تعلم المحاربة مع الكفار ويدل عليه قولهم انا ذهبنا نستبق وانما سموه لعبا لانه فى صورة اللعب ﴿قوله وقرأ ابن كثير نرتع﴾ بالنون وكسر العين ويلعب بالياء اسندوا الارتعاء الى انفسهم لانهم كبار بالغون واضافوا اللعب الى يوسف لصغره عليهم الصلاة والسلام والارتعاء افتعال من رعى البعير الكلأ فان رعى وارتعى بمعنى اكل وارعى الله الماشية اى انبت لها ما ترعاه اى تأكله والارتعاء فعل المواشى الا انهم اسندوه الى انفسهم لانهم هم السبب فى ارتعائها وقرأ نافع كلاهما بالياء وكسر العين على اسناد كل واحد من الارتعاء واللعب الى يوسف عليه الصلاة والسلام بمعنى انه يباشر رعى الابل تارة ليتدرب بذلك ويباشر اللعب اخرى لينشرح صدره وقرأ الكوفيون كلاهما بالياء وسكون العين من الرتع لامن الرعى يقال رتعت الماشية ترتع رتوعا اى اكلت ماشاءت وتوسعت وقرئ يرتع بضم الياء من ارتع وقرئ يرتع بكسر العين من ارتعى ورفع يلعب على الاستئناف اى هو ممن يلعب ﴿قوله ان تذهبوا﴾ فاعل يحزننى اى يحزننى ذهابكم * فان قيل كيف جاز وقوعه فاعلا له وهو مستقبل لاقترانه بحرف الاستقبال وليحزننى فعل حالىّ بناء على ماصرح به النحاة رحمهم الله من ان لام الابتدآء الداخلة على المضارع من القرآئن المخصصة للحال وكون ليحزننى حالا يستلزم تحقق الفعل قبل تحقق فاعله * اجيب عن ذلك بان الفاعل محذوف والتقدير ليحزننى تصوّر ذهابكم وتوهمه حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه والتصوّر موجود فى الحال فزال الاشكال ﴿قوله واشتقاقه من تذآءبت الريح﴾ نقل عن الاصمعى انه قال قولهم تذآءبت الريح مأخوذ من فعل الذئب لانه يأتى كذلك والمعنى ان الريح اتت كما يأتى الذئب فيكون تذآءبت الريح مأخوذا من الذئب وقد عكس المصنف تبعا للزمخشرى ﴿قوله ضعفاء مغبونون﴾ لما كان حقيقة الخسران والغبن غير مرادة ههنا وكانت منبئة عن العجز والضعف جعل الخسران عبارة عن الضعف المؤدّى الى الغبن والخسران فى عقد المعاوضة اوعن استحقاق الدعاء بالهلاك ﴿قوله وجواب لما محذوف﴾ اى وفى الآية محذوف آخر وتقديره قالوا لئن اكله الذئب ونحن عصبة انا اذا لخاسرون فاذن له وارسله معهم وقوله فلما ذهبوا به متصل بهذا المحذوف روى ان يوسف عليه الصلاة والسلام لما القى فى الجب قال يا شاهدا غير غائب ويا قريبا غير بعيد ويا غالبا غير مغلوب اجعل لى من امرى هذا فرجا ومخرجا وروى اجعل لى فرجا مما انا فيه فبات فيه قال الحسن رضى الله تعالى عنه القى يوسف عليه الصلاة والسلام فى الجب وهو ابن اثنتى عشرة سنة ولقى اباه بعد ثمانين سنة وقيل ويوسف عليه الصلاة والسلام ابن سبع عشرة سنة وروى ان هوام البئر قال بعضها لبعض لاتخرجن من مساكنكن فان نبيا من الانبياء عليهم الصلاة والسلام نزل بساحتكن فانجحرت الا الافاعى فانها قصدت يوسف عليه الصلاة والسلام فصاح بها جبريل عليه السلام فصمت وبقى الصمم فى نسلها وعلم جبريل عليه الصلاة والسلام يوسف

اياه (لتنبئنهم بامرهم هذا) لتحدثنهم بما فعلوا بك (وهم لايشعرون) انك يوسف لعلوّ شأنك و بعده عن اوهامهم و طول العهد المغير للحلى و الهيئات و ذلك اشارة الى ماقال لهم بمصر حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم له منكرون بشره بما يؤول اليه امره ايناساله و تطييبا لقلبه وقيل وهم لايشعرون متصل باوحينا اى آنسناه بالوحى وهم لايشعرون ذلك (وجاؤا اباهم عشاء) اى آخر النهار وقرئ عُشيا وهو تصغير عشىّ وعشى بالضم والقصر جمع اعشى اى عشوا من البكاء (يبكون) متباكين روى انه لما سمع بكائهم فزع وقال مالكم يا بنىّ واين يوسف (قالوا ياابانا انا ذهبنا نستبق) نتسابق فى العدو اوفى الرمى وقد يشترك الافتعال والتفاعل كالانتضال والتناضل (وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وماانت بمؤمن لنا) بمصدّق لنا (ولو كنا صادقين) لسوء ظنك بنا و فرط محبتك ليوسف (وجاؤا على قميصه بدم كذب) اى ذى كذب بمعنى مكذوب فيه ويجوز ان يكون وصفا بالمصدر للمبالغة وقرئ بالنصب على الحال من الواو اى جاؤا كاذبين وكدب بالدال غير المعجمة اى كدر او طرىّ وقيل اصله البياض الخارج على اظفار الاحداث فشبه به الدم اللاصق على القميص وعلى قميصه فى موضع النصب على الظرف اى فوق قميصه او على الحال من الدم ان جوّز تقديمها على المجرور روى انه لما سمع بخبر يوسف صاح وسأل عن قميصه فأخذه و القاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال مارأيت كاليوم ذئبا احلم من هذا اكل ابنى ولم يمزق عليه قميصه ولذلك (قال بل سوّلت لكم انفسكم امرا) اى سهلت لكم انفسكم وهونت فى اعينكم امرا عظيما من السول وهو الاسترخاء (فصبر جميل) اى فامرى صبر جميل او فصبر جميل اجمل وفى الحديث الصبر الجميل الذى لا شكوى فيه اى الى الخلق (والله المستعان على ماتصفون) على احتمال ماتصفونه من هلاك يوسف وهذه الجريمة كانت قبل استنبائهم ان صح (وجاءت سيارة) رفقة يسيرون من مدين الى مصر فنزلوا قريبا من الجبّ وكان ذلك بعد ثلاثة ايام من القائه فيه (فارسلوا واردهم) الذى يرد الماء ويستقى لهم وكان مالك بن ذعر الخزاعى (فادلى دلوه) فارسلها فى الجب ليملأها فتدلى بها يوسف فلما رآه (قال يابشرى هذا غلام) نادى البشرى بشارة لنفسه او لقومه كأنه قال تعالى فهذا اوانك وقيل هو اسم لصاحب له ناداه ليعينه على اخراجه وقرأ غير الكوفيين يابشراى بالاضافة وقرئ يابشرىّ بالادغام وهو لغة و بشراى بالسكون على قصد الوقف (وأسرّوه) اى الوارد واصحابه من سائر الرفقة وقيل أخفوا امره وقالوا لهم دفعه الينا اهل الماء (يوسف) لنبيعه لهم بمصر وقيل الضمير لاخوة يوسف وذلك لان يهودا كان يأتيه بالطعام كل يوم فاتاه يومئذ فلم يجده فيها فاخبر اخوته فاتوا الرفقة وقالوا هذا غلامنا أبق مناقاشة وفسكت يوسف مخافة ان يقتلوه (بضاعة) نصب على الحال اى اخفوه متاعا للتجارة و اشتقاقه من البضع فانه مابضع من المال للتجارة

عليه الصلاة والسلام هذا الدعاء اللهم ياكاشف كل كربة ويامجيب كل دعوة ويا جابر كل كسير ويا ميسر كل عسير وياصاحب كل غريب ويامؤنس كل وحيد يالااله الاالله لااله الا انت سبحانك اسألك ان تجعل لى فرجا ومخرجا وان تقذف حبك فى قلبى حتى لايكون لى هم ولا ذكر غيرك وان تحفظنى وترحمنى ياارحم الراحمين قال طائفة عظيمة من المحققين ان المراد من الوحى المذكور بقوله تعالى واوحينا اليه وحى النبوّة والرسالة وقيل المراد منه الالهام كما فى قوله تعالى واوحينا الى امّ موسى اوحى الله تعالى الى يوسف عليه الصلاة والسلام تقوية لقلبه فى البئر لتصدقنّ رؤياك ولتخبرنّ اخوتك بصنعهم هذا بعد اليوم وهم لايشعرون بانك يوسف فى وقت اخبارك اياهم بامرهم وهو قوله لهم هل علمتم مافعلتم بيوسف روى انهم حين دخلوا عليه لطلب الحنطة وعرفهم وهم له منكرون دعا بالصاع فوضعه على يده ثم نقره فطنّ فقال عليه الصلاة والسلام ان هذا الجام ليخبرنى انه كان لكم اخ من ابيكم يقال له يوسف فطرحتموه فى البئر وقلتم لابيكم اكله الذئب ﴿قوله وقيل وهم لايشعرون﴾ اى بايحائنا اليه والفائدة فى اخفاء الايحاء عنهم انهم لو عرفوه فربما ازداد حسدهم فكانوا يقصدون قتله والاحتمال الاوّل كونه حالا من فاعل لتنبئنهم او من مفعوله اى تخبرهم وهم لايعرفونك لبعد المدّة وتغير الاحوال واذا حمل الكلام على هذا الاحتمال كان هذا امرا من الله تعالى ليوسف عليه الصلاة والسلام بان يستر نفسه عن ابيه طول تلك المدّة مع علمه بوجود ابيه خوفا من مخالفة امر الله تعالى ولعله تعالى قضى على يعقوب ان يوصل اليه تلك الغموم الشديدة والهموم العظيمة ليصبر على مرارتها ويكثر رجوعه اليه تعالى وينقطع تعلق فكره عن الدنيا فيصل الى درجة عالية لايمكن الوصول اليها الابتحمل المحن العظيمة ﴿قوله آخر النهار﴾ فان العشاء آخر النهار الى نصف الليل وانتصابه على الظرفية اى جاؤه فى هذا الوقت ويكون جملة حالية من فاعل جاؤا اى متباكين وقرئ عشيا بضم العين وفتح الشين على انه تصغير عشىّ نحو اصيل فى اصيل وقرئ عشى بضم العين والقصر على انه جمع اعشى وفيه ضعف لان قدر مابكوه فى ذلك اليوم لايعشو منه الانسان ﴿قوله على قميصه﴾ فى محل النصب على انه حال من قوله بدم لانه لو تأخر عنه لكان صفة له فلما تقدّم عليه انتصب حالا واختلف النحاة فى جواز تقديم الحال على المجرور قال رحمه الله تعالى فى الكافية ولايتقدم على العامل المعنوى ولا على المجرور فى الاصح او على انه ظرف بمعنى فوق قميصه وفيه انه لايساعد المعنى على قوله منصوبا على الظرفية بمعنى فوق لان العامل فيه اذا يكون جاؤا وليس الفوق ظرفا لهم بل يستحيل ان يكون ظرفا لهم وعن صاحب التقريب ان كونه ظرفا للمجيئ مع بقاء المعنى المقصود فيه حزازة والحق ان يقال انه حال من جاؤا بتضمينه معنى الاستيلاء اى جاؤا مستولين على قميصه ﴿قوله على اظفار الاحداث﴾ جمع حدث بمعنى الشاب يقال رجل حدث ورجال احداث اى شبان لما كان الكذب بمعنى البياض المذكور يؤثر فى اظافيرهم فيصير كالنقش فيها شبه به الدم اللاصق بالقميص لتأثيره فى القميص كتأثير ذلك البياض فى الاظافير فاطلق اسم الكذب على سبيل الاستعارة التصريحية ﴿قوله ولذلك﴾ اى ولاجل استدلاله بسلامة القميص على كذبهم فى قولهم اكله الذئب قال اضرابا عن قولهم وابطالا له بل سوّلت لكم انفسكم الى آخر الآيات كانه قال لهم هل كان يوسف فى هذا القميص حين اكله الذئب قالوا نعم قال كيف وصل اليه ولم يمزق قميصه ولم اعهد ذئبا بلغ حلمه فى حق مافترسه الى هذا الحدّ ولو اكله لمزق قميصه فخجلوا فقال بل سوّلت لكم انفسكم امرا عظيما والسول استرخاء ماتحت السرّة من البطن ﴿قوله وهذه الجريمة﴾ جواب عما يقال قد مرّ ان آل يعقوب عليه الصلاة والسلام انبياء فكيف صح لهم ارتكاب مثل هذه الجريمة ﴿قوله وقيل اخفوا امره﴾ اى اخفوا وجدانهم اياه فى الجبّ وقالوا فيما بينهم ان قالوا لكم ماهذا الغلام فان قلنا التقطناه من الجب شاركونا وان قلنا اشتريناه سألونا الشركة فيه فالوجه ان نخفى امره ونقول استبضعناه بعض اهل الماء لنبيعه لهم بمصر والمعنى على الاوّل اخفوا نفس يوسف ولم يظهروه لسائر الرفقة ﴿قوله واشتقاقه من البضع﴾ وهو القطع يقال بضعت اللحم بضعا قطعته والبضعة القطعة من اللحم قال الراغب البضاعة قطعة وافرة من المال تقتنى للتجارة والبضع فى العدد هو مابين الثلاث الى التسع سمى به لكونه مقتطعا من العشرة والمعنى اسرّوه حال ماجعلوه واخفاء امره فى هذا الحال لايليق بالاخوة اذ ليس مقصودهم تحصيل المال وانما مقصودهم تبعيد يوسف عليه الصلاة والسلام عن ابيه فالاولى ان يسند الاخفاء الى الوارد واصحابه وقوله بضاعة اى حال ماحكموا عليه بانه بضاعة وقوله او صنيع اخوة

﴿ والله عليم بما يعملون ﴾ لم يخف عليه اسرارهم او صنيع اخوة يوسف بابيهم واخيهم ﴿ وشروه ﴾ وباعوه وفي مرجع الضمير الوجهان او اشتروه من اخوته ﴿ بثمن بخس ﴾ مبخوس لزيفه او نقصانه ﴿ دراهم ﴾ بدل من الثمن ﴿ معدودة ﴾ قليلة فانهم كانوا يزنون مابلغ الاوقية ويعدّون مادونها قيل كان عشرين درهما وقيل كان اثنين وعشرين ﴿ وكانوا فيه ﴾ ﴿ من الزاهدين ﴾ الراغبين عنه والضمير في وكانوا ان كان للاخوة فظاهر وان كان للرفقة وكانوا بائعين فزهدهم فيه لانهم التقطوه والملتقط للشئ متهاون به خائف من انتزاعه مستعجل في بيعه وان كانوا مبتاعين فلانهم اعتقدوا انه ابق وفيه متعلق بالزاهدين ان جعل اللام للتعريف وان جعل بمعنى الذى فهو متعلق بمحذوف يبينه الزاهدين لان متعلق الصلة لا يتقدّم على الموصول ﴿ وقال الذى اشتراه من مصر ﴾ وهو العزيز الذى كان على خزآئن مصر واسمه قطفير او اطفير وكان الملك يومئذ ريان بن الوليد العمليق وقد آمن بيوسف ومات في حياته وقيل كان فرعون موسى عاش اربعمائة سنة بدليل قوله تعالى ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات والمشهور انه من اولاد فرعون يوسف والآية من قبيل خطاب الاولاد باحوال الآباء روى انه اشتراه العزيز وهو ابن سبع عشرة سنة ولبث في منزله ثلاث عشرة سنة واستوزره الريان وكان ابن ثلاثين وآتاه الله الحكمة والعلم وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وتوفى وهو ابن مائة وعشرين واختلف فيما اشتراه به من جعل شرآءه غير الاوّل فقيل عشرون دينارا وزوجا نعل وثوبان ابيضان وقيل مثله فضة وقيل ذهبا ﴿ لامرأته ﴾ راعيل او زليخا ﴿ اكرمي مثواه ﴾ اجعلي مقامه عندنا كريما اى حسنا والمعنى احسني تعهده ﴿ عسى ان ينفعنا ﴾ في ضياعنا واموالنا ونستظهر به في مصالحنا ﴿ او نتخذه ولدا ﴾ نتبناه وكان عقيما لما تفرّس فيه من الرشد ولذلك قيل افرس الناس ثلاثة عزيز مصر وابنة شعيب التى قالت ياأبة استأجره وابو بكر حين استخلف عمر رضى الله تعالى عنهما ﴿ وكذلك مكنا ليوسف في الارض ﴾ وكما مكنا محبته في قلب العزيز او كما مكناه في منزله او كما انجيناه وعطفنا عليه العزيز مكناله فيها ﴿ ولنعلمه من تأويل الاحاديث ﴾ عطف على مضمر تقديره ليتصرّف فيها بالعدل ولنعلم اى كان القصد في انجائه وتمكينه الى ان يقيم العدل ويدبر امور الناس ويعلم معانى كتاب الله واحكامه فينفذها او يعبر المنامات المنبهة على الحوادث الكائنة ليستعدّ لها ويشتغل بتدبيرها قبل ان تحل كما فعل بسنيه ﴿ والله غالب على امره ﴾ لا يردّه شئ او لا ينازعه فيما يشاء او على امر يوسف اراد به اخوة يوسف شيأ واراد الله غيره فلم يكن الا ما اراده ﴿ ولكنّ اكثر الناس لا يعلمون ﴾ ان الامر كله بيده او لطائف صنعه وخفايا لطفه ﴿ ولما بلغ اشدّه ﴾ منتهى اشتداد جسمه وقوّته وهو سن الوقوف مابين الثلاثين والاربعين وقيل سن الشباب ومبدأه بلوغ الحلم ﴿ آتيناه حكما ﴾ حكمة وهو العلم المؤيد بالعمل او حكما بين الناس ﴿ وعلما ﴾ يعنى علم تأويل الاحاديث ﴿ وكذلك نجزى المحسنين ﴾ تنبيه على انه تعالى انما آتاه ذلك جزآء على احسانه في عمله واتقانه

يوسف بابيهم واخيهم حيث جعل الله تعالى مادبروه لابطال حكم مارآه يوسف عليه الصلاة والسلام في المنام سببا لوصوله الى مصر ولتتابع ماجرى عليه من الاحوال الى ان صار ملك مصر وحصل ذلك الذى رآه في النوم ﴿ قوله وفي مرجع الضمير ﴾ المرفوع في شروه يثبت الوجهان المذكوران في ضمير اسرّوه فانه قد ذكر ان معناه باعوه قطعا اذ لا معنى لاشترآئهم وقد التقطوه وان كان ضمير واسرّوه للاخوة يكون ضمير شروه ايضا لهم ويكون الشرآء بمعنى البيع ايضا اذ لا وجه لحمله ايضا على الاشترآء ﴿ قوله او اشتروه من اخوته ﴾ اى على تقدير ان يكون ضمير اسرّوه للاخوة يجوز ان يكون الشرآء بمعنى الاشترآء ويكون ضمير شروه للرفقة ﴿ قوله مبخوس ﴾ يعنى ان البخس مصدر بخسه حقه بخسه اى نقصه والثمن لا يوصف بالمعنى المصدرى فلذلك جعله بمعنى المبخوس اما لردآءة عينه او لنقصان وزنه ﴿ قوله الراغبين عنه ﴾ فسر الزاهدين به لان الزهد والزهادة عبارة عن قلة الرغبة في الشئ فضمير كانوا ان كان للاخوة فوجهه ظاهر لانهم لم يعرفوا موضعه من الله تعالى ولا كرامته ﴿ قوله فهو متعلق بمحذوف يبينه الزاهدين ﴾ كقوله تعالى وان احد من المشركين استجارك والتقدير وكانوا من الزاهدين فيه والثانى تأكيد للاوّل ﴿ قوله وهو العلم المؤيد بالعمل ﴾ قال القشيرى رحمه الله تعالى ونفعنا به من جملة الحكم الذى آتاه الله تعالى نفوذ حكمه على نفسه حتى غلب شهوته فامتنع عما راودته زليخا عن نفسه ومن لا حكم له على نفسه لم ينفذ حكمه على غيره فالله تعالى في قصة موسى عليه الصلاة والسلام قد اوحى اليه عند منتهى الاشدّ والاستوآء وهو اربعون سنة واوحى الى يوسف عند اوّله وهو ابن ثمانى عشرة سنة وقال الامام نقلا عن الحسن رحمهما الله تعالى انه عليه الصلاة والسلام كان نبيا من الوقت الذى كان فيه قد القى في غيابة الجب لقوله تعالى واوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم هذا وكان رسولا من الوقت الذى فيه بلغ اشدّه لقوله تعالى ولما بلغ اشدّه آتيناه حكما وعلما ثم قال ومنهم من قال انه كان رسولا من الوقت الذى فيه القى في غيابة الجب ثم نقل عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه قال قال تعالى ولما بلغ اشدّه اى لما بلغ ثلاثا وثلاثين سنة ثم ذكر اقوال العلماء في تفسير الحكم والعلم فقال اوّلها ان المراد من الحكم الحكمة العملية والمراد من العلم الحكمة النظرية وذلك لان اصحاب الرياضات والمجاهدات يصلون اوّلا الى الحكمة العملية ثم يترقون منها الى الحكمة النظرية واما اصحاب الافكار والانظار العقلية فانهم يصلون اوّلا الى الحكمة النظرية ثم ينزلون منها الى الحكمة العملية وطريقة يوسف عليه الصلاة والسلام هى الاولى لانه صبر على البلاء والمكاره والمحن ففتح الله تعالى عليه ابواب المكاشفات والقول الثانى ان الحكم هو النبوّة لان النبى يكون حاكما على الخلق والعلم علم الدين والقول الثالث انه يحتمل ان يكون المراد من الحكم صيرورة نفسه المطمئنة حاكمة على نفسه الامارة بالسوء مستعلية عليها قاهرة لها ومتى صارت القوّة الشهوية والغضبية مقهورة ضعيفة فاضت الانوار القدسية والاضوآء الالهية من عالم القدس على جوهر النفس فقوله تعالى وراودته التى هو في بيتها عن نفسه يعنى امرأة العزيز التى كان يوسف عليه الصلاة والسلام في بيتها طلبت منه ان يواقعها والمراودة المطالبة الواقعة بين اثنين بحيث يريد احدهما ان يحمل الآخر على شئ لا يريده الآخر فيجرى بينهما بذلك مدافعة وممانعة مأخوذة من الرود وهو الطلب ومعنى عن نفسه اى من اجل نفسه يقال فلان يخاصم عن فلان ويتكلم عن فلان اى من اجله قال الزجاج رحمه الله تعالى راودته اى طالبته بما يريد النساء من الرجال ﴿ قوله والتشديد للتكثير او للمبالغة في الايثاق ﴾ اى لتكثير القول او للمبالغة في الاتصاف باصل الفعل نحو طوّف البيت ﴿ قوله تعالى هيت لك ﴾ فيه اربع قرا آت للسبعة الاولى هيت لك بفتح الهاء والتاء بينهما ياء ساكنة وهى قرآءة الاكثرين والثانية هيت بفتح الهاء وضم التاء بينهما ياء ساكنة وهى قرآءة ابن كثير والثالثة بكسر الهاء وفتح التاء بينهما ياء ساكنة وهى قرآءة نافع وابن عامر والرابعة هئت بكسر الهاء وكسر التاء بينهما همزة ساكنة وهى قرآءة هشام وفيه ايضا اربع قرا آت في الشواذ هيت بفتح الهاء وكسر التاء بينهما ياء ساكنة وهيت بكسر الهاء وضم التاء بينهما ياء ساكنة ونقل الجوهرى عن الاخفش رحمهما الله تعالى انه قال وقرأ بعضهم هئت بكسر الهاء وضم التاء بينهما همزة ساكنة على مثال جئت بمعنى تهيئت لك يقال هئت للامر اهئ هيأة وتهيأت تهيئا بمعنى انتهى كلام الجوهرى فصار الجميع ثمانى قرا آت وهى على جميع القرا آت اسم فعل الا على قرآءة هئت على وزن جئت فانه على هذه القرآءة فعل ماض مبنى للفعول مسند الى ضمير المتكلم من هاء للامر يهئ اى

فى صنغو ان امره (وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه) طلبت منه و تمحلت ان يواقعها من راد يرود اذا جاء وذهب لطلب شئ ومنه الرائد (وغلقت الابواب) قيل كانت سبعة والتشديد للتكثير او للمبالغة فى الايثاق (وقالت هيت لك) اى اقبل وبادر او تهيأت والكلمة على الوجهين اسم فعل بنى على الفتح كاين واللام للتبيين كالتى فى سقيالك وقرأ ابن كثير بالضم تشبيها له بحيث ونافع وابن عامر بالفتح وكسر الهاء كعيط وهى لغة فيه وقرئ هيت بكير وهئت بجئت من هاء يهيئ اذا تهيأ وقرئ هيئت وعلى هذا فاللام من صلته (قال معاذالله) اعوذبالله معاذا (انه) ان الشأن (ربى احسن مثواى) سيدى قطفير احسن تعهدى اذقال لك فى اكرمى مثواه فما جزآؤه ان اخونه فى اهله وقيل الضمير لله تعالى اى انه خالق واحسن منزلتى بان عطف على قلبه فلا اعصيه (انه لايفلح الظالمون) المجازون الحسن بالسيئ وقيل الزناة فان الزنى ظلم على الزانى والمزنى باهله (ولقد همت به وهم بها) قصدت مخالطته وقصد مخالطتها والهم بالشئ قصده والعزم عليه ومنه الهمام وهو الذى اذاهم بشئ امضاه والمراد بهمه عليه السلام ميل الطبع ومنازعة الشهوة لا القصد الاختيارى وذلك مما لايدخل تحت التكليف بل الحقيق بالمدح والاجر الجزيل من الله من يكف نفسه عن الفعل عند قيام هذا الهم او مشارفة الهم كقولك قتلته لو لم اخف الله (لولا ان رأى برهان ربه) فى قبح الزنى وسوء مغبته لخالطها لشبق الغلمة وكثرة المبالغة ولايجوز ان يجعل وهم بها جواب لولا فانها فى حكم ادوات الشرط فلا يتقدم عليها جوابها بل الجواب محذوف يدل عليه وقيل رأى جبريل عليه السلام وقيل تمثل له يعقوب عاضا على انامله وقيل قطفير وقيل نودى يا يوسف انت مكتوب فى الانبياء وتعمل عمل السفهاء (كذلك) اى مثل ذلك التثبيت ثبتناه او الامر مثل ذلك (لنصرف عنه السوء) خيانة السيد (والفحشاء) الزنى (انه من عبادنا المخلصين) الذين اخلصهم الله لطاعته وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر ويعقوب بالكسر فى كل القرآن اذا كان فى اوله الالف واللام اى الذين اخلصوا دينهم لله (واستبقا الباب) اى تسابقا الى الباب فحذف الجار او ضمن الفعل معنى الابتدار وذلك ان يوسف فر منها ليخرج واسرعت وراءه لتمنعه الخروج (وقدت قميصه من دبر) اجتذبته من ورائه فانقد قميصه والقد الشق طولا والقط الشق عرضا

تهيأ ويحتمل الامران على قرآءة من قرأ بكسر الهاء وضم التاء فانه يحتمل ان يكون حينئذ اسم فعل بنى على الضم كحيث وان يكون فعلا مسندا الى ضمير المتكلم من هاء الرجل يهيئ كجاء يجيئ وله حينئذ معنيان احدهما ان يكون بمعنى حسن هيئته والثانى ان يكون بمعنى تهيأ يقال هيئت اى حسنت هيئتى او تهيأت وعلى تقدير كونه اسم فعل يكون من فتح التاء بناها على الفتح تخفيفا نحو اين وكيف ومن ضمها كابن كثير ضمها تشبيها بحيث ومن كسرها فعلى اصل التقاء الساكنين كجير وفتح الهاء وكسرها لغتان وكذا يحتمل الامران على قرآءة هشام هيت بكسر الهاء وفتح التاء اما احتمال كونه اسم فعل فظاهر واما احتمال كونه فعلا مسندا الى ضمير المخاطب فبنى على ان يكون المعنى حسنت هيئتك لانه لايجوز ان يكون المعنى تهيأت لان الخطاب من المرأة ليوسف عليه الصلاة والسلام وهو لم يتهيأ لها بل هى تهيأت له بدليل قوله تعالى وراودته التى هو فى بيتها وقوله تعالى انى لم اخنه بالغيب واللام فى قوله هيت لك متعلقة بمحذوف على سبيل البيان كانها قالت لك اقول اذ الخطاب لك كما فى قوله سقيالك ورعيالك وهذا على تقدير ان يكون اسم فعل واما على تقدير كونه فعلا فانها حينئذ تتعلق بالفعل المذكور اذ لاحاجة حينئذ الى تقدير شئ * ثم ان المرأة لما ذكرت هذا الكلام قال يوسف معاذالله وهو منصوب على انه مصدر فعل محذوف اى اعوذبالله معاذا يقال عاذ يعوذ عياذا وعياذة ومعاذا وعوذا طلب عليه الصلاة والسلام ان يعيذه من ذلك العمل بان يخلق فيه داعية جاذبة له الى جانب الطاعة وان يزيل عن قلبه داعية المعصية ونظيره ماروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه لما وقع بصره على زينب ام المؤمنين رضى الله تعالى عنها وهى تحت زيد قال يامقلب القلوب ثبت قلبى على دينك فكان المراد منه تقوية داعيته الى الطاعة وازالة داعية المعصية ﴿قوله او مشارفة الهم﴾ عطف على قوله ميل الطبع فان من شارف الاتصاف بوصف يجعل موصوفا به كما فى قوله قتلته لو لم اخف الله فعد نفسه قاتلا لكونه مشارفا له فكذا يوسف عليه الصلاة والسلام لما شارف قلبه ان يقصد مخالطتها قال تعالى فى حقه عليه الصلاة والسلام وهم بها فانه على تقدير تسليم انه شارف ان يهم بها لا نسلم انه عليه الصلاة والسلام قد هم بها والمصنف ضعف ماذكره المفسرون من ان يوسف عليه الصلاة والسلام هم بهذه المرأة هما صحيحا كما انها همت به حتى حكوا انها استلقت له وقعد هو بين رجليها واخذ يحل تكته فلما رأى البرهان من ربه زال عنه كل ماطرأ عليه من الشهوة واختار ماذهب اليه المحققون من المفسرين بانه عليه الصلاة والسلام كما انه برئ من ارتكاب نفس الفاحشة والعمل الباطل فهو ايضا برئ من الهم المحرم نقل عن الامام ابى منصور رحمه الله تعالى انه قال اما ماقاله اهل التفسير من انها استلقت له وهو هم بها وحل ازاره وامثال هذا من الخرافات فهذا كله مما لايحل ان يقال ويدل على فساد ماقالوه وجوه احدها قوله تعالى حكاية عن يوسف عليه الصلاة والسلام هى راودتنى عن نفسى وثانيها قوله تعالى لنصرف عنه السوء والفحشاء وثالثها قوله تعالى حكاية عنه ايضا ذلك ليعلم انى لم اخنه بالغيب ورابعها قولهن ماعلمنا عليه من سوء وخامسها قولها الآن حصحص الحق انا راودته عن نفسه فهذا كله دليل على انه لم يكن منه شئ من ذلك وليس فى ظاهر الآية شئ مما قالوه سوى قوله تعالى وهم بها وله تأويل صحيح وهو انها همت به هم عزم وهم هو بها هم خطرة ولا صنع للعبد فيما يخطر للقلب ﴿قوله لشبق الغلمة﴾ الشبق شدة الغلمة والغلمة بالضم شهوة الضراب وقيل قوله تعالى لولا ان رأى برهان ربه دليل على ان يوسف عليه الصلاة والسلام برئ من الهم المحرم لان قوله تعالى وهم بها جواب لولا قدم عليه فيدل على انتفاء الهم لتحقق الرؤية وطعن الزجاج فى هذا القول من وجهين الاول ان تقديم جواب لولا شاذ غير موجود فى الكلام الفصيح والثانى ان لولا يجاب باللام فلو كان هم بها جواب لولا ان رأى لاقترن باللام بل جواب لولا محذوف لدلالة وهم بها عليه * والجواب عما قاله الزجاج من ان مراد القائل ان الجواب محذوف مدلول عليه بما تقدم واما قوله لو كان هم بها جواب لولا لاقترن باللام فغير لازم لانه متى كان جواب لو ولولا مثبتا جاز فيه الامران اللام وعدمها وان كان الاتيان باللام هو الاكثر ﴿قوله اى مثل ذلك التثبيت﴾ على ان يكون كاف كذلك فى محل النصب بفعل مضمر والثانى على انه مرفوع المحل على انه خبر مبتدأ محذوف وقوله لنصرف متعلق بذلك الفعل الناصب للكاف على الاول وبمحذوف آخر على الثانى اى فعلنا ذلك لنصرف ﴿قوله تعالى وقدت﴾ يحتمل ان يكون معطوفا على استبقا ويحتمل ان يكون جملة حالية بتقدير قد وكلمة ما فى قولها ماجزآء يجوز ان تكون نافية وان تكون استفهامية وكلمة من يجوز ان تكون موصولة او نكرة موصوفة والا ان

(والفيا سيدها) وصادفا زوجها (لدى الباب قالت ماجزآء من اراد باهلك سوأ الا ان يسجن او عذاب اليم) ايهاما بانها فرّت منه تبرئة لساحتها عند زوجها وتغييره على يوسف واغرآءه به انتقاما منه وما نافية او استفهامية بمعنى ايّ شئ جزآؤه الا السجن (قال هي راودتني عن نفسي) طالبتني بالمواتاة وانما قال ذلك دفعا لما عرضته له من السجن او العذاب ولو لم تكذب عليه لما قاله (وشهد شاهد من اهلها) قيل ابن عمها وقيل ابن خال لها وكان صبيا في المهد وعن النبي صلى الله عليه وسلم تكلم اربعة صغار ابن ماشطة فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى بن مريم عليه السلام وانما القى الله الشهادة على لسان اهلها ليكون الزم عليها (ان كان قميصه قدّ من قبل فصدقت وهو من الكاذبين) لانه يدل على انها قدّت قميصه من قدّامه بالدفع عن نفسها اوانه اسرع خلفها فتعثر بذيله فانقدّ جيبه (وان كان قميصه قدّ من دبر فكذبت وهو من الصادقين) لانه يدل على انها تبعته فاجتذبت ثوبه فقدّته والشرطية محكية على ارادة القول او على ان فعل الشهادة من القول وتسميتها شهادة لانها ادّت مؤدّاها والجمع بين ان وكان على تأويل ان يعلم انه كان ونحوه ونظيره قولك ان احسنت اليّ فقد احسنت اليك من قبل فان معناه ان تمنن عليّ باحسانك امنن عليك باحساني السابق وقرئ من قبل ومن دبر بالضم لانهما قطعا عن الاضافة كقبل وبعد وبالفتح كانهما جعلا علمين للجهتين فمنعا الصرف وبسكون العين (فلما رأى قميصه قدّ من دبر قال انه) اي ان قولك ماجزآء من اراد باهلك سوأ اوان السوء او ان هذا الامر (من كيدكنّ) من حيلتكنّ والخطاب لها ولامثالها اولسائر النساء (ان كيدكنّ عظيم) فان كيد النساء الصق واعلق بالقلب واشدّ تأثيرا في النفس ولانهنّ يواجهن به الرجال والشيطان يوسوس به مسارقة (يوسف) حذف منه حرف النداء لقربه وتفطنه للحديث (أعرض عن هذا) اكتمه ولا تذكره (واستغفري لذنبك) يا راعيل (انك كنت من الخاطئين) من القوم المذنبين من خطئ اذا اذنب متعمدا والتذكير للتغليب (وقال نسوة) هي اسم لجمع امرأة وتأنيثه بهذا الاعتبار غير حقيقي ولذلك جرّد فعله وضم النون لغة فيها (في المدينة) ظرف لقال اي اشعن الحكاية في مصر او صفة نسوة وكنّ خمسا زوجة الحاجب والساقي والخباز والسجان وصاحب الدواب (امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه) تطلب مواقعة غلامها اياها والعزيز بلسان العرب الملك واصل فتى فتي لقولهم فتيان والفتوة شاذة (قد شغفها حبا) شق شغاف قلبها وهو حجابه حتى وصل الى فؤادها حبا

يسجن خبر المبتدأ وهو ماجزآء ولما كان ان يسجن في قوّة المصدر عطف عليه المصدر وهو قوله او عذاب ﴿قوله ايهاما﴾ علة لقولها ذلك وتبرئة علة الايهام وتغييره عطف على تبرئة والتغيير من الغيرة اي اوهمت ذلك ايقاعا لسيدها في الغيرة على يوسف عليه الصلاة والسلام واغرآء السيد بيوسف كي ينتقم منه ﴿قوله وانما قال ذلك دفعا لما عرّضته له﴾ اي لما اظهرت المرأة لاجل يوسف عليه الصلاة والسلام وابرزته له اي لم يقل ذلك في حقها ارادة ان يهتك سترها في اوّل الامر الا انه لما خاف على النفس وعلى العرض اظهر الامر ولو لم تكذب عليه ابتدآء لما اظهره ﴿قوله قيل ابن عمها﴾ روى انه كان لها ابن عم وكان رجلا حكيما ذا لحية واتفق في ذلك الوقت انه كان مع الملك يريد ان يدخل عليها وقال قد سمعت من ورآء الباب صوت شق القميص الا اني لا ادري ايكما قدّام صاحبه فان كان شق القميص من قدّامه فانت صادقة والرجل كاذب وان كان من خلفه فالرجل صادق وانت كاذبة فلما نظروا الى القميص ورأوا الشق من خلفه قال ابن عمها انه من كيدكنّ ويحتمل ان يكون هذا الكلام من قول قطفير زوج المرأة وقيل كان صبيا في المهد وكان ابن خال المرأة لقوله صلى الله عليه وسلم وشاهد يوسف * الخ اما ابن ماشطة فرعون فانه لما اسلمت اخبرت بنت فرعون اباها باسلامها فامر بالقائها والقاء اولادها في النار فلما بلغت النوبة الى ولدها وكان مرضعا قال اصبري ياامّاه فانك على الحق وقوله ماشطة فرعون من قبيل اضافة الملابسة واما صاحب جريج فمن قصته انه كان يتعبد في صومعته فقالت امرأة لافتننه وعرضت عليه نفسها فلم يلتفت اليها فمكنت نفسها من راعي غنم كان يأوي بغنمه الى صومعته فولدت غلاما وقالت انه من جريج فضربوه وخربوا صومعته فصلى جريج وانصرف الى الغلام فطعنه وقال بالله ياغلام من ابوك قال انا ابن الراعي ﴿قوله والشرطية محكية﴾ جواب عما يقال كيف جازت حكاية الجملة الشرطية بعد فعل الشهادة لانها تقتضي الادآء والانشاء عدمه فبينهما تناف * واجاب عنه بوجهين الاوّل انها محكية بعد القول المحذوف كانه قيل وشهد شاهد فقال ان كان قميصه الخ والثاني ان ذكر فعل الشهادة من قبيل اطلاق لفظ الخاص وارادة العام بناء على ان الشهادة نوع من القول وقوله وتسميتها شهادة جواب عما يقال كيف يجوز اطلاق الشهادة على ترديد هذه الشرطية مع ان الشهادة في عرف الشرع عبارة عن الاخبار بثبوت حق الغير بلفظ أشهد * واجاب عنه بان قوله وشهد من قبيل الاستعارة التبعية حيث شبه ترديد الشرطية بالشهادة فاطلق عليه اسم الشهادة استعارة اصلية ثم اشتق من الشهادة بالمعنى المجازي لفظ شهد فكان استعارة تبعية ووجه الشبه بينهما ان ترديد تلك الشرطية يؤدي مؤدى الشهادة من حيث انه ثبت به قول يوسف عليه الصلاة والسلام وبطل قولها ﴿قوله والجمع بين ان وكان﴾ يعني ان كلمة ان تدل على الاستقبال وكان على المضيّ فينبغي ان لا يجمع بينهما لان المعنى ان يعلم انه كان قميصه يعني ان الشرط وان كان ماضيا بحسب اللفظ لكنه في تأويل المضارع لان المراد ارشاد العزيز الى ان يتبع الامارة التي تدل على تعيين الصادق وتمييزه من الكاذب وهو نظير قولك ان احسنت اليّ فقد احسنت اليك من قبل لمن يمتن عليك باحسانه فان المعنى ان تمتن عليّ باحسانك امنن عليك باحساني السابق وان تعدّ احسانك اليّ فيما مضى فاعدّ احساني اليك فيه فلما كان الشرط في تأويل المستقبل ارتفعت المنافاة بينه وبين كلمة ان ﴿قوله وقرئ من قبل ومن دبر﴾ قرأهما الجمهور بضمتين وبالجرّ والتنوين بمعنى من خلفه ومن قدّامه اي من خلف القميص ومن قدّامه اومن خلف يوسف وقدّامه وقرئ في الشواذ بثلاث ضمات من غير تنوين وهو مبني على الضم لانه قطع عن الاضافة والاصل من دبره ومن قبله فلما قطعا عن الاضافة جعلوهما غاية كقبل وبعد ومعنى الغاية ان يجعل المضاف غاية نفسه بعدما كان المضاف اليه غايته والاصل اعرابهما لانهما اسمان متمكنان وليسا بظرفين الا انهما بنيا لمشابهتهما مبنى الاصل في الاحتياج الى الغير وقرئ من قبل ومن دبر بالفتح بجعلهما علمين للجهتين ومنعهما من الصرف للعلمية والتأنيث وقرئ من قبل ومن دبر بسكون العين تخفيفا ثم ان من قرأ بسكون العين منهم من قرأ بالجرّ والتنوين على الاصل ومنهم من جعلها كقبل وبعد في البناء على الضم ﴿قوله وهو حجابه﴾ يعني ان الشغاف جلدة رقيقة محيطة بالقلب يقال لها غلاف القلب ومعنى قولك شغف الحبّ المرأة ان الحبّ اصاب شغافها وشقه واصاب فؤادها كما يقال كبدته اذا اصبت كبده ورأسته اذا اصبت رأسه وقرئ شعفها بالعين المهملة بمعنى احرق قلبها وفي الصحاح شعفه الحبّ اي احرق قلبه وشعفت البعير بالقطران اذا طليته به ويقال هنأت البعير اهنؤه اذا طليته بالهناء وهو القطران وامرأة العزيز مبتدأ وتراود خبره جيئ

ونصبه على التمييز لصرف الفعل عنه وقرئ شعفها من شعف البعير اذا هنأه بالقطران فاحرقه (انا لنراها في ضلال مبين) في ضلال عن الرشد وبعد عن الصواب (فلما سمعت بمكرهن) باغتيابهن وانما سماه مكرا لانهن اخفينه كما يخفي الماكر مكره او قلن ذلك لتريهن يوسف او لانها استكتمتهن سرها فافشينه عليها (ارسلت اليهن) تدعوهن قيل دعت اربعين امرأة فيهن الخمس المذكورات (واعتدت لهن متكأ) ما يتكئن عليه من الوسائد (وآتت كل واحدة منهن سكينا) حتى يتكئن والسكاكين بايديهن فاذا خرج عليهن يبهتن ويشغلن عن نفوسهن فتقع سكينهن على ايديهن فتقطعها

فيبكتن بالحجة اويهاب يوسف من مكرها اذا خرج وحده على اربعين امرأة في ايديهن الخناجر وقيل متكأ طعاما او مجلس طعام فانهم كانوا يتكئون للطعام والشراب ترفا ولذلك نهي عنه قال جميل

فظللنا بنعمة واتكأنا * وشربنا الحلال من قلله *

وقيل المتكأ طعام يحز حزا كان القاطع يتكئ عليه بالسكين وقرئ متكا بحذف الهمزة ومتكاء باشباع الفتحة كمنتزاح ومتكا وهو الاترج او ما يقطع من متك الشيء اذا بتكه ومتكأ من تكئ يتكئ اذا اتكأ (وقالت اخرج عليهن فلما رأينه اكبرنه) عظمنه وهبن حسنه الفائق وعن النبي صلى الله عليه وسلم رأيت يوسف ليلة المعراج كالقمر ليلة البدر وقيل كان يرى تلألؤ وجهه على الجدران وقيل اكبرن بمعنى حضن من اكبرت المرأة اذا حاضت لانها تدخل الكبر بالحيض والهاء ضمير المصدر اوليوسف عليه الصلاة والسلام على حذف اللام اي حضن له من شدة الشبق كما قال المتنبي

خف الله واستر ذا الجمال ببرقع *
فان لحت حاضت في الخدور العواتق *

(وقطعن ايديهن) جرحنها بالسكاكين من فرط الدهشة (وقلن حاش لله) تنزيها لله من صفات العجز وتعجبا من قدرته على خلق مثله واصله حاشا كما قرأه ابو عمرو في الدرج فحذفت الفه الاخيرة تخفيفا وهو حرف يفيد معنى التنزيه في باب الاستثناء فوضع موضع التنزيه واللام للبيان كما في قولك سقيا لك وقرئ حاشا الله بغير لام بمعنى برآءة الله وحاشا لله بالتنوين على تنزيله منزلة المصدر وقيل حاشى فاعل من الحشا الذي هو الناحية وفاعله ضمير يوسف اي صار في ناحية لله مما يتوهم فيه (ماهذا بشرا) لان هذا الجمال غير معهود للبشر وهو على لغة الحجاز في اعمال ما عمل ليس لمشاركتها في نفي الحال وقرئ بشر بالرفع على لغة تميم وبشرى اي بعبد مشترى لئيم (ان هذا الا ملك كريم) فان الجمع بين الجمال الرائق والكمال الفائق والعصمة البالغة من خواص الملائكة اولان جماله فوق جمال البشر لا يفوقه فيه الا الملك (قالت فذلكن الذي لمتنني فيه) اي فهو ذلك العبد الكنعاني (الذي) الذي لمتنني فيه بالافتتان به قبل ان تتصورنه حق تصوره ولو تصورتنه بما عاينتن لعذرتنني

بالمضارع ولم يقلن راودت تنبيها على المراودة صارت عادة لها وانها تستمر على المراودة وقولهن قد شغفها حبا يجوز ان يكون خبرا ثانيا وان يكون جملة مستأنفة وان يكون حالا من فاعل تراود وحبا تمييز منقول من الفاعل اذ الاصل قد شغفها حبه صرف الفعل عنه واسند الى الضمير المبهم ثم فسر ذلك الضمير بالتمييز لكون التفصيل بعد الاجمال اوقع في النفس واكد **قوله** او لانها استكتمتهن اي طلبت منهن كتمان سرها فوعدن وما وفين به فيكون المكر على معناه من غير مجاز ومعنى قول جميل

* فظللنا بنعمة واتكأنا * وشربنا الحلال من قلله *

يقال ظللت اعمل كذا بالكسر ظلولا اذا عملت بالنهار دون الليل واتكأنا اي طعمنا والقلل جمع قلة وهي الجرة والحلال النبيذ والقلل ظرفه يقول اشتغلنا طول النهار بالتنعم واكل الطعام وشرب الشراب **قوله** وقرئ متكا العامة على ضم الميم وتشديد التاء وفتح الكاف والهمزة وقرئ متكا على ضم الميم اصله متكأ فحذفت همزته تخفيفا ومتكاء بالتشديد والمد وهي كقرآءة العامة الا انه اشبعت الفتحة فتولد المد منها كما في منتزاح بمعنى منتزح ومتكا بضم الميم وفتحها وسكون التاء وتنوين الكاف والمتك والمتك بضم الميم وفتحها الاترج وقيل هو اسم لجميع ما يقطع بالسكين اترجا كان او غيره من الفواكه وقيل هو من متك الشيء بمعنى بتكه اي قطعه فيحتمل ان يكون الميم بدلا من الباء بدلا مطردا في لغة قوم يقولون مازلت راتما اي راتبا ويحتمل ان يكون مادة اخرى وافقت هذه المادة في المعنى وقيل فيه اللغات الثلاث اعني ضم الميم وفتحها وكسرها ومتكأ على وزن مفعل من تكئ يتكئ اذا اتكأ **قوله** والهاء يعني ان ضمير اكبرنه على تقدير ان يكون بمعنى عظمنه ودهشن من حسنه ضمير يوسف واما اذا كان بمعنى حضن فالزمخشري قال الهاء حينئذ تكون للسكت ولم يلتفت المصنف اليه بناء على ان تحريك هاء السكت لحن ولو كانت للسكت لسكنت واختار ان تكون هاء ضمير فقال والهاء ضمير المصدر المدلول عليه بفعله اي اكبرن الاكبار او ضمير يوسف والمعنى حضن له من شدة الشبق وهو شدة الضراب وانشدوا لكون الاكبار بمعنى الحيض قوله

* يأتي النساء على اطهار هن ولا * يأتي النساء اذا اكبرن اكبارا *

قوله خف الله واستر ذا الجمال ببرقع اي استر جمالك ببرقع ترسله على وجهك فان لحت اي ان ظهرت حاضت الابكار الشواب في خدورهن عشقا وصبابة فان المرأة اذا احتلمت واشتدت شهوتها سال دم حيضها والعواتق جمع عاتق يقال جارية عاتق اي شابة اول ما ادركت وبلغت فخدرت في بيت اهلها لا تظهر من بين اهلها الا اذا زوجت **قوله** كما قرأه ابو عمرو فانه قرأ حاشا لله بالالف حال الوصل فاذا وقف حذفها اتباعا للخط وقرأ الباقون بغير الف في الحالين **قوله** وهو حرف يفيد معنى التنزيه في باب الاستثناء فوضع موضع التنزيه آثر كونها حرف جر في الاصل ثم نقل الى معنى المصدر اي برآءة وتنزيها لله مع ان النحاة عدوها من الادوات المترددة بين الحرفية والفعلية وقالوا ان جرت فهي حرف وان نصبت فهي فعل وهي من ادوات الاستثناء ولم يعرف سيبويه فعليتها وان ذهب اليها غيره ولذلك اختار المصنف حرفيتها لانها ثابتة بالاتفاق بخلاف فعليتها وما نقل عن ابي علي الفارسي من انه فعل وفيه ضمير يوسف عليه الصلاة والسلام ومعناه جانب وبعد مما توهم لله اي لخوفه ومراقبته فضعيف لان المعنى في حاش لله وحاشا لله وسائر وجوه استعمالاته لا يختلف ولفوات معنى التعجب حينئذ وما استدل به من انه لا يكون حرفا لدخوله على حرف الجر لان الحرف لا يدخل على الحرف اذا لم يكن فيه تضعيف * فجوابه ان التصرف المذكور انما لحقه بعد جعله اسما مع ان الحرف قد يدخل على الحرف من غير تضعيف كقولهم اما والله حرام والله والدليل على نقله الى معنى المصدر اضافته لان حرف الجر لا يضاف ولا يبتدأ به الكلام وكذا اذا كان حرف استثناء فحاشا في الآية الكريمة ليست حرفا ولا فعلا وانما هي اسم مصدر نقل من حاشا حال كونه حرف استثناء وهو معنى التنزيه كانه قيل تنزيها لله وبرآءة له وانما لم ينون مراعاة لاصله الذي نقل منه وهو الحرفية **قوله** او بشرى بكسر الباء الجارة الداخلة على الشرى بمعنى ماهذا حاصلا بالشرى وقرآءة العامة فتح الباء على ان لفظ البشر كلمة واحدة غير مركبة من الاسم والحرف وهي الموافقة لخط المصحف حيث كتب فيه بالالف والشرى انما يكتب بالياء **قوله** فهو ذلك العبد الكنعاني الذي لمتنني فيه الظاهر ان يكون ذلك مبتدأ والموصول بصلته خبره الا ان ما ذكر من النكتة في الاشارة بلفظ البعيد الى يوسف عليه الصلاة والسلام وهو حاضر يقتضي ان يقدر مبتدأ ويجعل ذلكن

او فهذا هو الذى لتننى فيه فوضع ذلك موضع هذا رفعا لمنزلة المشار اليه (ولقد راودته عن نفسه فاستعصم) فامتنع طلبا للعصمة اقرّت لهنّ حين عرفت انهنّ يعذرنها كى يعاونها على الانة عريكته (ولئن لم يفعل ما آمره)

اى ما آمر به فحذف الجارّ او امرى اياه بمعنى موجب امرى فيكون الضمير ليوسف (ليسجننّ وليكونن من الصاغرين) من الاذلاء وهو من صغر بالكسر يصغر صغرا وصغارا والصغير من صغر بالضم صغرا وقرئ ليكوننّ وهو يخالف خط المصحف لان النون كتبت فيه بالالف كنسفعا على حكم الوقف وذلك فى الخفيفة لشبهها بالتنوين (قال رب السجن) وقرأ يعقوب بالفتح على المصدر (احب الىّ مما يدعوننى اليه) اى آثر عندى من مواتاتها نظرا الى العاقبة وان كان هذا مما تشتهيه النفس وذلك مما تكرهه واسناد الدعوة اليهنّ جميعا لانهنّ خوّفنه من مخالفتها وزيّنّ له مطاوعتها او دعونه الى انفسهنّ وقيل انما ابتلى بالسجن لقوله هذا وانما كان الاولى به ان يسأل الله العافية ولذلك ردّ رسول الله صلى الله عليه على من كان يسأل الصبر (والا تصرف) وان لم تصرف (عنى كيدهنّ) فى تحبيب ذلك الىّ وتحسينه عندى بالتثبيت على العصمة (اصب اليهنّ) امل الى جانبهنّ او الى انفسهنّ بطبعى ومقتضى شهوتى والصبوة الميل الى الهوى ومنه الصبا لان النفوس تستطيبها وتميل اليها وقرئ اصب من الصبابة وهى الشوق (واكن من الجاهلين) من السفهاء بارتكاب ما يدعوننى اليه فان الحكيم لا يفعل القبيح او من الذين لا يعملون بما يعلمون فانهم والجهال سواء (فاستجاب له ربه) فاجاب الله دعاءه الذى تضمنه قوله والا تصرف (فصرف عنه كيدهنّ) فثبته بالعصمة حتى وطن نفسه على مشقة السجن وآثرها على اللذة المتضمنة للعصيان (انه هو السميع) لدعاء الملتجئين اليه (العليم) باحوالهم ويصلحهم (ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الايات) ثم ظهر للعزيز واهله من بعد ما رأوا الشواهد الدالة على برآءة يوسف كشهادة الصبىّ وقدّ القميص وقطع النساء ايديهنّ واستعصامه عنهنّ وفاعل بدا مضمر يفسره (ليسجننه حتى حين) وذلك لانها خدعت زوجها وحملته على سجنه زمانا حتى تبصر ما يكون منه او يحسب الناس انه المجرم فلبث فى السجن سبع سنين وقرئ بالتاء على ان بعضهم خاطب به العزيز على التعظيم او العزيز ومن يليه وعتّى بلغة هذيل (ودخل معه السجن فتيان) اى ادخل يوسف السجن واتفق ان ادخل حينئذ آخران من عبيد الملك شرابيه وخبازه للاتهام بانهما يريدان ان يسماه (قال احدهما) يعنى الشرابىّ (انى ارانى) اى ارى فى المنام

الذى الخ خبره وتقدير النكتة ان ذلك وان كان موضوعا لان يشار به الى المشار المحسوس البعيد الا انه قد يشار به اشارة عقلية الى محسوس غير مشاهد تنزيلا للاشارة العقلية منزلة الحسية ومن المعلوم ان المحسوس الغير المشاهد غائب فيكون فى حكم البعيد فيصح ان يشار اليه بلفظ ذلك قال النحرير المحقق فى شرح التلخيص ولفظ ذلك صالح للاشارة الى كل غائب عينا كان او معنى بان يحكى عنه اوّلا ثم يشار اليه نحو جاءنى رجل فقال ذلك الرجل فلما سمعت زليخا قول النسوة ان امرأة العزيز عشقت عبدها الكنعانى بحيث لم يبق لها صبر ولا قرار الا بوصله فلذلك اشتغلت بمراودته عن نفسه فقد سبق ذكر العبد الكنعانى الغائب الذى لم تصوّره النسوة بما هو عليه من كمال الحسن ولطافة المنظر فاشارت اليه بقولها فذلكنّ وجعلته خبرا للمبتدأ المحذوف فكانها قالت هذا الذى رأيتموه هو ذلك العبد الكنعانى الذى لتننى فيه واشارت بهذا الى الشخص الحاضر عندها وبقولها ذلكنّ الى الذى تصوّرنه ﴿قوله او فهذا الذى لتننى﴾ على ان يكون ذلكنّ مبتدأ والموصول مع صلته خبره واشير الى المشاهد المحسوس بلفظ البعيد تعظيما للمشار اليه بالبعد تنزيلا لبعد درجته ورفعة محله بمنزلة بعد المسافة ولما اظهرت زليخا عند النسوة عذرها فى شدّة محبتها له وهو انهنّ بنظرة واحدة لحقهنّ ما هو اعظم مما لحقها مع طول زمان كونه عندها كشفت من حقيقة الحال فقالت ولقد راودته عن نفسه فاستعصم كى يعاونها على الانة عريكته والاستعصام بناء مبالغة يدل على الامتناع البليغ والتحفظ الشديد كانه فى عصمة وهو يجتهد فى الاستزادة منها ونحوه استمسك واستعظم واستجمع الرأى ﴿قوله اى ما آمر به﴾ على ان تكون كلمة ما موصولة وان يرجع ضمير به الى الموصول بحذف الجار كما فى قوله امرتك الخير او امرى اياه على ان تكون ما مصدرية ﴿قوله آثر عندى﴾ لما كان محبة الشئ مستلزمة لكونه مرضيا عند المحب وكان السجن مكروها غير مرضىّ فسر المحبة بالايثار لان اختيار الشئ لا يستلزم كونه مرضيا فان المكره يختار اهون الشرّين مع ان شيأ منهما غير مرضىّ عنده ﴿قوله وفاعل بدا مضمر يفسره ليسجننه﴾ وهو فعل والفعل لا يكون مخبرا عنه فلا يقال ضرب قتل فتقدير الكلام ثم بدا لهم سجنه الا انه اقيم هذا الفعل مقام ذلك الاسم وكلمة ثم فى قوله تعالى ثم بدا لهم تدل على تغير رأيهم فى حق يوسف عليه الصلاة والسلام وذلك ان زوج المرأة قد ظهر له برآءة يوسف عليه الصلاة والسلام فلا جرم لم يتعرّض له واحتالت المرأة بعد ذلك بجميع الحيل حتى تحمل يوسف عليه الصلاة والسلام على موافقتها فى مرادها فلم يلتفت يوسف عليه الصلاة والسلام اليها فلما ايست منه احتالت فى طريق فقالت لزوجها هذا العبد العبرانى فضحنى بين الناس يقول لهم انى راودته عن نفسه وانا لا اقدر على اظهار عذرى فارى ان الاصلح ان تحبسه لينقطع عن الناس ويحفظ منهم ويسقط ذكر هذا الحديث وكان العزيز مطواعا لها وجملا ذلولا زمامه فى يدها فاغتر بقولها ونسى به ما راى من الآيات وعمل برأيها فى سجنه والحاق الصغار به كما اوعدته به وحتى فى قوله حتى حين جارّة بمعنى الى كانه قيل ليسجننه زمانا ذكر فى الكتب الفقهية انه لو حلف بقوله والله لا اكلم فلانا حينا او زمانا بلا نية على شئ من الوقت فهو محمول على نصف سنة ومع نية شئ معين من الوقت فانوى من الوقت وقال اهل اللغة الحين وقت من الزمان غير محدود يقع على القصير منه والطويل ولا دلالة فى الآية على تعيين مدة حبسه وانما القدر المعلوم انه بقى محبوسا مدة طويلة لقوله تعالى وادّكر بعد امّة وفى الآية محذوف والتقرير لما رأوا حبسه حبسوه وحذف ذلك لدلالة قوله تعالى ودخل معه السجن فتيان قيل هما غلامان للملك الاكبر بمصر احدهما صاحب طعامه والآخر صاحب شرابه رفع اليه ان صاحب الطعام يريد ان يسمه اى ان يسقيه السم وظن ان الآخر يساعده عليه فامر الملك بحبسهما قيل ان جماعة من مصر ارادوا المكر بالملك واغتياله فضمنوا لهذين مالا ليسما الملك فى طعامه وشرابه ثم ان الساقى نكل من ذلك وقبل الخباز الرشوة فسم الطعام فلما احضر كل واحد منهما طعام الملك وشرابه قال الساقى ايها الملك لا تأكل الطعام فانه مسموم وقال الخباز لا تشرب فان الشراب مسموم فقال الملك للساقى اشرب فشرب فلم يضرّه وقال للخباز كل من طعامك فابى فجرّب ذلك الطعام على دابة فاكلت فهلكت فامر الملك بحبسهما ﴿قوله اى ارى فى المنام﴾ يدل على ان المراد ذلك قولهما نبئنا بتأويله ولو كان المراد رؤية العين لم يكن له وجه وايضا لو كان المراد حكاية ما طرأ عليه حال اليقظة لكفاه ان يقول اعصر ولما احتاج الى ان يقول ارانى واختلف فى انهما هل رأيا رؤيا او لم يريا شيأ فقال بعضهم ان يوسف عليه الصلاة والسلام لما دخل السجن قال لاهله انى اعبر الاحلام فقال احد الفتيين للآخر هلم فلنختبر هذا

هى حكاية حال ماضية (اعصر خمرا) اى عنبا وسماه بمايؤول اليه (وقال الآخر) اى الخباز (انى ارانى احمل فوق رأسى خبزا تأكل الطير منه) تنهس منه (نبئنا بتأويله انا نراك من المحسنين) من الذين يحسنون تأويل الرؤيا او من العالمين و انما قالا ذلك لانهما رأياه فى السجن يذكر الناس ويعبررؤياهم اومن المحسنين الى اهل السجن فاحسن الينا بتأويل مارأينا ان كنت تعرفه (قال لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله) اى بتأويل ماقصصتما علىّ او بتأويل الطعام يعنى ببيان ماهيته وكيفيته فانه يشبه تفسير المشكل كأنه اراد ان يدعوهما الى التوحيد ويرشدهما الى الطريق القويم قبل ان يسعف الى ماسألا منه كما هو طريقة الانبياء و النازلين منازلهم من العلماء فى الهداية والارشاد فقدّم مايكون معجزة له من الاخبار بالغيب ليدلهما على صدقه فى الدعوة و التعبير (قبل ان يأتيكما ذلكما) اى ذلك التأويل (مما علمنى ربى) بالالهام و الوحى وليس من قبيل التكهن او التنجيم (انى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون) تعليل لما قبله اى علمنى ذلك لانى تركت ملة اولئك (واتبعت ملة آبائى ابراهيم و اسحق ويعقوب) او كلام مبتدأ لتمهيد الدعوة واظهار انه من بيت النبوّة لتقوى رغبتهما فى الاستماع اليه و الوثوق عليه ولذلك جوّز للخامل ان يصف نفسه حتى يعرف فيقتبس منه وتكرير الضمير للدلالة على اختصاصهم وتأكيد كفرهم بالآخرة (ما كان لنا) ماصح لنا معشر الانبياء (ان نشرك بالله من شئ) اىّ شئ كان (ذلك) اى التوحيد (من فضل الله علينا) بالوحى (وعلى الناس) وعلى سائر الناس ببعثنا لارشادهم وتنبيههم عليه (ولكن اكثر الناس) المبعوث اليهم (لا يشكرون) هذا الفضل فيعرضون عنه ولا يتنبهون اومن فضل الله علينا وعليهم بنصب الدلائل وانزال الآيات ولكن اكثرهم لا ينظرون اليها ولا يستدلون بها فيلغونها كمن يكفر النعمة ولا يشكرها

العبد العبرانى برؤيا نخترعها عليه فسألاه من غيران يكونا رأياشيأ وقال آخرون ومنهم مجاهد انهما قد رأيا حين ادخلا السجن رؤيا فأتيا يوسف عليه الصلاة والسلام وسألاه عنها فقال الساقى ايها العالم انى رأيت كانى فى بستان فاذا انا باصل عنبة حسنة فيها ثلاثة اغصان عليها ثلاثة عناقيد من عنب فجنيتها وكان كأس الملك بيدى فعصرتها فيه وسقيت الملك فشربه وقال صاحب الطعام انى رأيت كانّ فوق رأسى ثلاث سلال فيها خبز والوان الاطعمة وارى سباع الطير يأكلن منها اى من السلة العليا وتنهس اللحم اخذه بمقدّم الاسنان قيل المراد باحسان يوسف عليه الصلاة والسلام احسانه فى علم التعبير لانه عليه الصلاة والسلام متى عبر رؤيا احد من اهل السجن وقع الامر على ماعبر به وروى ان الضحاك سئل ما كان احسان يوسف عليه الصلاة والسلام فقال انه كان يؤثر الاحسان ويأتى بمكارم الاخلاق فى جميع الافعال وكان يعود مريضهم ويؤنس حزينهم واذا ضاق على رجل مكانه يوسع له وان احتاج احد جمع له مايحتاج اليه وقال الفرآء والزجاج احسانه كونه من العالمين المذكرين للناس ماينتفع به الناس فى معاشهم ومعادهم * الجوهرى يقال هو يحسن الشئ اى يعلمه وقالا ذلك لانهما سمعا يوسف عليه الصلاة والسلام يذكر الناس مايعلم منه انه عالم فلما سمع يوسف عليه الصلاة والسلام قولهما هذا وصل به قوله لا يأتيكما طعام الخ ليريهم ان علمه فوق مايعلمه العلماء وجعل وصف نفسه بالعلم الفائق وسيلة الى ذكر التوحيد وذلك لان جواب فتواه هو قوله ياصاحبى السجن اما احدكما فيسقى ربه خمرا الآية لكن قدّم عليه مقدّمة الدعوة الى التوحيد لانها اوّل مايجب على الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولها بعثوا وبها امروا فجعل قوله لا يأتيكما طعام ترزقانه الى قوله ولكن اكثر الناس لا يشكرون مخلصا الى قوله ياصاحبى السجن أرباب متفرّقون فقوله لا يأتيكما طعام مقدّمة لاصل الجواب الذى هو تعبير الرؤيا من حيث ان تأويلها وتعبيرها من قبيل العلم بالمغياب وهذا القول يدل على علمه بها فيوطن انفسهما لقبول مايرد بعده من الجواب وجعله مخلصا لمطلوبه وذريعة الى الشروع فى اثبات التوحيد ونفى الشرك عن نفسه لكون ذلك ابلغ فى نصحهم وارشادهم الى الحق ولو دعاهم الى التوحيد ابتدآء بان قال لهم من اوّل الامر أأرباب متفرّقون خير ام الله الواحد القهار لبسوا له جلد النمر ولما التفتوا اليه فيفوت غرضه الذى هو ان ينتفع به فى الدين ﴿ قوله اى بتأويل ماقصصتما علىّ ﴾ على ان يكون المراد من التأويل عبارة عن مآل الشئ ومرجعه كما هو المراد منه فى قولهما نبئنا بتأويله وهو المعنى الاصلى للتأويل وفى النهاية ان التأويل من آل الشئ يؤول الى كذا اى رجع وصار اليه وتأويل الآية نقل ظاهر اللفظ عن وضعه الاصلى الى معنى يرجع اليه المراد من ذلك اللفظ بناء على دليل لولاه لما ترك ظاهر اللفظ ﴿ قوله او بتأويل الطعام يعنى ببيان ماهيته وكيفيته ﴾ والتأويل بمعنى كشف الماهية وبيان كيفيتها ليس من قبيل نقل ظاهر اللفظ عن وضعه الاصلى الى معنى يرجع اليه المراد من ذلك اللفظ بناء على دليل لولاه لما ترك ظاهر اللفظ بل هو بيان المجمل والمشكل الذى يحتاج الى تفصيله وكشفه وذلك لان صاحبى السجن كانا يعلمان على الاجمال مايحمل اليهما من الطعام لكن ماهية ذلك الطعام وكيفيته لم تكن معلومة عندهما فاذا بين ذلك لهما فقد فسر ماهو المبهم عندهما وسمى هذا البيان والكشف تأويلا على سبيل المشاكلة لقولهما نبئنا بتأويله ﴿ قوله ولذلك ﴾ اى ولكونه وصف نفسه بما وصفها من كونه من اهل النبوّة وكون ابيه وجدّه انبياء الله ورسله لاجل ان تقوى رغبتهما فى الاستماع والوثوق عليه لكن ذلك ليس من قبيل التزكية التى نهى عنها بقوله تعالى فلا تزكوا انفسكم فان فضل ابراهيم عليه الصلاة والسلام ثم فضل اسحق ويعقوب عليهما الصلاة والسلام كان امرا مشهورا فى الدنيا فاذا ظهر انه ولدهم عظموه ونظروا اليه بالاجلال فكان انقيادهم له اتم وتأثير قلوبهم بكلامه اكمل فلذلك عرف شرف نسبه فلم يكن ذلك من قبيل التزكية المذمومة فان قيل قوله انى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله يوهم انه عليه الصلاة والسلام كان من هذه الملة * اجيب عنه اوّلا بان الترك عبارة عن عدم التعرّض للشئ وليس من شروطه ان يكون قد خاض فيه وثانيا انه صلى الله عليه كان لهم عبدا بحسب زعمهم الفاسد ولعله قبل ذلك كان لا يظهر التوحيد والايمان خوفا منهم ثم انه اظهره فى هذا الوقت وادّعى النبوّة واظهر المعجزة وهى الاخبار عن الغيب فكان هذا جاريا مجرى ترك اولئك الكفرة بحسب الظاهر ﴿ قوله وتكرير الضمير ﴾ يعنى تكرير ضميرهم وتقديمه على كافرون للدلالة على الاختصاص والتأكيد فالتخصيص يفهم من التقديم والتأكيد من التكرير ﴿ قوله اى شئ كان ﴾ من ملك او انس او جن فكيف بصنم منحوت فالمراد بالشئ المشرك اى ما كان لنا ان نشرك بالله شيأ غيره ويجوز ان يكون شئ بمعنى المصدر اى شيأ

(من)

(ياصاحبي السجن) اى ياساكنيه اوياصاحبيّ فيه فاضافهما اليه على الاتساع كقوله ياسارق الليلة اهل الدار (ءأرباب متفرّقون) شتى متعدّدة متساوية الاقدام (خيرام الله الواحد) المتوحد بالالوهية (القهار) الغالب الذى لايعادله ولايقاومه غيره (ماتعبدون من دونه) خطاب لهما ولمن على دينهما من اهل مصر (الا اسماء سمّيتموها انتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان) اى الا اشياء باعتبار اسامى اطلقتم عليها من غير حجة تدل على تحقق مسمياتها فيها فكانكم لاتعبدون الا الاسماء المجرّدة والمعنى انكم سميتم مالم يدل على استحقاقه الالوهية عقل ولانقل آلهة ثم اخذتم تعبدونها باعتبار ماتطلقون عليها (ان الحكم) فى امر العبادة (الا لله) لانه المستحق لهـا بالذات من حيث انه الواجب لذاته الموجد للكل المالك لامره (امر) على لسان انبيائه (ان لاتعبدوا الا اياه) الذى دلت عليه الحجج (ذلك الدين القيم) الحق وانتم لاتميزون المعوج من القويم وهذا من التدرج فى الدعوة والزام الحجة بين لهم اوّلا رجحان التوحيد على اتخاذ الآلهة على طريق الخطابة ثم برهن على ان مايسمونها آلهة ويعبدونها لاتستحق الالهية فان استحقاق العبادة اما بالذات واما بالغير وكلا القسمين منتف عنها ثم نص على ماهو الحق القويم والدين المستقيم الذى لايقتضى العقل غيره ولا يرتضى العلم دونه (ولكنّ اكثر الناس لايعلمون) فيخبطون فى جهالاتهم (ياصاحبي السجن اما احدكما) يعنى الشرابى (فيسقى ربّه خمرا) كما كان يسقيه قبل ويعود الى ماكان عليه (واما الآخر) يريد الخباز (فيصلب فتأكل الطير من رأسه) فقالا كذبنا فقال (قضى الامر الذى فيه تستفتيان) اى قطع الامر الذى تستفتيان فيه وهومايؤول اليه امركما ولذلك وحده فانهما وان استفتيا فى امرين لكنهما ارادا استبانة عاقبة مانزل بهما (وقال للذى ظن انه ناج منهما) الظان يوسف ان ذكر ذلك عن اجتهاد وان ذكره عن وحى فهو الناجى الا ان يأوّل الظن باليقين (اذكرنى عند ربك) اذكر حالى عند الملك كى يخلصنى (فانساه الشيطان ذكر ربه) فانسى الشرابى ان يذكره لربه فاضاف اليه المصدر لملابسته له اوعلى تقدير ذكر اخبار ربه اوانسى يوسف ذكر الله حتى استعان بغيره

من الاشراك ومن مزيدة على التقديرين ﴿قوله ياساكنيه اوياصاحبيّ فيه﴾ اى يجوز ان يكون ياصاحبي السجن من باب الاضافة الى المفعول به نحو اصحاب الجنة واصحاب النار ويكون من باب الاضافة الى الظرف اتساعا كما تقول ياسارق الليلة فكما ان الليلة غير مسروقة بل هى مسروق فيها فكذلك السجن ليس مصحوبا بل هو مصحوب فيه ثم انه عليه الصلاة والسلام لما ادّعى النبوّة فى الآية الاولى وكان اثبات النبوّة مبنيا على اثبات الالهيات شرع فى تقرير الالهيات وفساد عبادة الاصنام فقال ءأرباب متفرّقون خير على سبيل الاستفهام الانكارى اى انكر القول بتعدّد الآلهة بناء على انتفاء لازمه الذى هو اختلال نظام هذا العالم المشاهد المحسوس فان كثرة الآلهة توجب الفساد والخلل ووحدة الآلهة تقتضى حسن الترتيب والانتظام التام ولاشك انه خير من الفساد والاختلال فثبت ان مايقتضى ذلك هو الخير لان مايقتضى فساد السموات والارضين لاخير فيه ﴿قوله اى الا اشياء باعتبار الخ﴾ اشارة الى ان المراد بالاسماء المسميات مجازا اوعلى حذف المضاف اى الاذوات الاسماء لان ابقاءها على اصل معناها يستلزم ان تكون المسميات حاصلة فى نفس الامر وهو يخالف ماسبق من ءأرباب متفرّقون لانه يدل على عدم وجود هذه المسميات فى نفس الامر فتقدير قول المصنف اى الا اشياء ملتبسة باعتبار اسام وسمّيتموها فى الآية صفة الاسماء بمعنى المسميات وهو متعدّ الى مفعولين ثانيهما محذوف اى سمّيتموها آلهة تأكيد للمستترفيه ليتأتى العطف عليه * واعلم انه عليه الصلاة والسلام لما قرّر التوحيد والنبوّة عاد الى تأويل رؤياهما التى سبق تقريرها فقال للساقى ما احسن مارأيت اما حسن الحلبة فهو حسن حالك واما الاغصان الثلاثة فثلاثة ايام يوجه الملك اليك عند انقضائهنّ فيردّك الى عملك فتصير كما كنت بل احسن وقال للخباز بئس مارأيت فالسلاسل الثلاث ثلاثة ايام يوجه اليك الملك عند انقضائهنّ فيصلبك وتأكل الطير من رأسك فقالا مارأينا شيأ قال قضى الامر الذى فيه تستفتيان اى فرغ منه يعنى سيقع ماعبرت لكما صدقتما اوكذبتما وانما جزم يوسف عليه الصلاة والسلام بوقوع الامر بهما من قبل وحى اتاه من الله تعالى وبين ان عاقبة كل وحد منهما تكون على الوجه المخصوص لانه عليه الصلاة والسلام لو بنى جوابه على علم التعبير لما قال قضى الامر لان علم التعبير مبنى على الظن والحسبان قال تعالى الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم ولا يبعد ايضا ان يقال انه عليه الصلاة والسلام بنى جوابه ذلك على علم التعبير وقوله قضى الامر الذى فيه تستفتيان لم يعن به ان الذى ذكره واقع لامحالة بل عنى به ان حكمه فى التعبير ماياشاء الظان بيوسف عليه الصلاة والسلام ان كان ماذكره من التعبير لان تلك القواعد لاتفيد التعيين ولااليقين وانما تفيد الظن والتخمين فيصح اسناد الظن بالمعنى المشهور الى يوسف عليه الصلاة والسلام حينئذ فى قوله وقال للذى ظن انه ناج واما اذا كان تعبيره بطريق الوحى فلا يصح اسناد الظن اليه عليه الصلاة والسلام لان الوحى انما يفيد اليقين دون الظن فيتعين كونه مسندا الى الناجى ويكون المعنى وقال يوسف للرجل الذى ظن ذلك الرجل انه ناج وكان ظانا فى نجاته من حيث انه لم يطمئنّ قلبه بنبوّة يوسف عليه الصلاة والسلام لكن كان حسن الاعتقاد فى حقه فلذلك غلب على ظنه كونه مصيبا فى التعبير ﴿قوله فاضاف اليه المصدر لملابسته له﴾ يعنى الظاهر ان يقال ذكره لربه على اضافة المصدر الى مفعوله لان الشائع فى اضافته ان يضاف الى الفاعل اوالى المفعول به الصريح الا انه اضيف الى غير الصريح للملابسة اوهو مضاف الى المفعول به الصريح المقدّر اى ذكر اخبار ربه ﴿قوله اوانسى يوسف ذكر الله﴾ اى ان يذكر ربه تعالى وان لايستعين بغيره من المخلوقين فان اللائق بمنصبه ان لايعرض حاجته لسوى الله تعالى وان يقتدى بجدّه ابراهيم عليه الصلاة والسلام حين قال له جبريل هل لك من حاجة فقال اما اليك فلا ثم قال اما الى الله تعالى فقال حسبي من سؤالى علمه بحالى قال المفسرون لما استعان يوسف بغيرالله تعالى عاقبه الله تعالى سبع سنين بعد الخمس التى حبسها الى وقت قوله اذكرنى عند ربك وروى ان جبريل دخل على يوسف عليهما الصلاة والسلام فى السجن فلما رآه يوسف عرفه فقال له يوسف يااخا المنذرين مالى اراك بين الخاطئين فقال له جبريل عليه الصلاة والسلام ياطاهر الطاهرين يقرأ عليك السلام رب العالمين ويقول لك اما استحييت منى اذا ستشفعت بالآدميين فوعزتى وجلالى لالبثنك فى السجن بضع سنين قال الاصمعى البضع مابين الثلاث الى التسع وعامة المفسرين على ان المراد بالبضع ههنا سبع سنين وهو منصوب على الظرف الزمانى والمهازيل جمع مهزول من الهزال وهو ضدّ السمن وسمان جمع سمين وسمينة ككرام جمع كريم وكريمة يقال رجال كرام ونسوة كرام والعجف الهزال ليس بعده حدّ وعجاف جمع عجفاء وجمع على

فعال مع ان افعل و فعلاء لايجمعان على فعال حملا على سمان ﴿قوله واجرى السمان على المميز دون المميز لان التمييز بها﴾ يعنى لم يقل انى ارى سبع بقرات سمانا على انه صفة سبع ويكون المراد بالمهازيل السبع من البقرات مطلق نقيضه ومن دأبهم حمل النظير على النظير لكن ههنا حمل النقيض على النقيض مطلقا لان المقصود من التمييز رفع الابهام المستقر فى المميز وهذا المقصود انما يحصل بان يميز السبع بالبقرات الموصوفة بالسمن ولو جعل سمان صفة سبع وجعل بقرات تمييزا للسبع الموصوفة بالسمن وقيل ارى سبع بقرات سمانا لوقع التمييز بجنس البقرات ولو جعل سمان صفة التمييز لوقع التمييز بنوع البقرة وهى البقرات السمان ولاشك ان التمييز بالنوع اولى وابلغ من التمييز بالجنس لاشتمال النوع على الجنس فقوله لان التمييز بها اى بالسمان من البقرات لابجنس البقرات ﴿قوله ووصف السبع الثانى بالعجاف الخ﴾ اى لم يجعل عجافا مجرورا على انه مميز للعدد بل رفع على انه صفة للسبع لتعذر التمييز بها مجردا عن الموصوف وذلك لان المقصود من التمييز بيان جنس المميز وحقيقته والعجاف صفة لايدل على الحقيقة وانما يدل على شئ ما متصف بشئ فلا يصلح للتمييز الا اذا كان جاريا على الموصوف فتعين جعله صفة للعدد ﴿قوله ان كنتم عالمين بعبارة الرؤيا﴾ اى بتفسيرها وتأويلها يقال عبرت الرؤيا تعبيرا بمعنى فسرتها ايضا وقوله اثبت اى فى ألسنة الفصحاء بالنسبة الى لغة التثقيل ويقال ايضا عبرت النهر وغيره اعبره عبرا وعبورا اذا جاوزته ووصلت الى الجانب الآخر من عرضه وقيل لعابر الرؤيا عابر لانه يتأمل جانبى الرؤيا ويتفكر فى اطرافها وينتقل من احد الطرفين الى الآخر فعابر الرؤيا مأخوذ من عابر النهر ﴿قوله واللام للبيان﴾ كانه لما قيل ان كنتم تعبرون قيل لاى شئ فقيل للرؤيا كما ان لفظة فيه فى قوله وكانوا فيه من الزاهدين للبيان كانه لما قيل من الزاهدين قيل فى اى شئ زهدوا فقيل فيه ﴿قوله اولتقوية العامل﴾ فانه وان كان فعلا قويا على العمل لكن طرأ عليه الضعف بتقديم معموله عليه فقوى باللام المزيدة كما يقوى بها اذا كان العامل فرعا كقوله تعالى فعال لما يريد فمثل هذه اللام لاتتعلق بشئ وانما تزاد لمجرد التقوية وقد تزاد عند فقدان الشرطين جميعا كما فى قوله تعالى ردف لكم فانه لافرعية فيه ولاتقديم مع انه زيدت اللام ﴿قوله وهى تخاليطها﴾ اى اباطيلها واكاذيبها وفى الصحاح اختلط فلان اى فسد عقله والتخليط فى الامر الافساد فيه ﴿قوله فاستعير للرؤيا الكاذبة﴾ تشبيها لها بما جمع وجزم من انواع النبات والحشايش والجامع الاختلاط من غير تمييز بين الجيد والردئ وتسميته لها باسم المشبه به واضافة الاضغاث الى الاحلام قرينة الاستعارة والاحلام جمع حلم وهو بضم اللام وسكونها الرؤيا اى ماراه النائم فى النوم باطلا كان اوحقا فان الاحلام لو لم تتناول كلا القسمين لما اضيف اليها الاضغاث التى هى الاباطيل اضافة بمعنى من فانها تستدعى ان يكون المضاف اليه جنسا يندرج فيه المضاف وغيره وقد تخص الرؤيا بالمنام الحق والحلم بالمنام الباطل كما فى قوله صلى الله عليه وسلم «الرؤيا من الله والحلم من الشيطان» ﴿قوله وانما جمعوا﴾ بمعنى جمعوا الضغث وجعلوه خبرا لهذه الرؤيا مع انها ليست الارؤيا واحدة لايدل على كثرة آحاد مايدل عليه مفرده بل انما جمع للمبالغة فى وصف الحلم بالبطلان فان لفظ الجمع كما يدل على كثرة الذوات يدل ايضا على المبالغة فى الاتصاف كما تقول فلان يركب الخيل ويلبس عمائم الهند لمن لايركب الافرسا واحدا وماله الاعمامة واحدة مبالغة فى الوصف فهؤلاء ايضا بالغوا فى وصف الحلم بالبطلان فجعلوه اضغاث احلام ﴿قوله يريدون بالاحلام المنامات الباطلة خاصة﴾ على ان يكون تعريف الاحلام فى قولهم وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين للعهد والمعهود ماصرحوا به من قولهم اضغاث احلام ولم يحملة على تعريف الجنس وهو مايعلم كل احد ان الاحلام ماهى لان حمله عليه يستلزم ان ينفى القوم عن انفسهم كونهم عالمين بتعبير جنس الرؤيا فيبقى قولهم هذه اضغاث احلام ضائعا بلا فائدة بخلاف مااذا حمل على تعريف العهد فانه حينئذ يكون قولهم ذلك لتمهيد عذرهم فى انهم غير عالمين بها ويكون محصل جوابهم ان الرؤيا على قسمين منها ماتكون متسقة منتظمة فيسهل الانتقال من الامور المخيلة الى الحقائق العقلية الروحانية ومنها ماتكون مختلطة مضطربة ولايكون بينها ترتيب معلوم وهو المسمى بالاضغاث فالقوم قالوا ان رؤيا الملك من قسم الاضغاث ثم اخبروا انهم غير عالمين بتعبير هذا القسم فكانهم قالوا هذه الرؤيا مختلطة من اشياء كثيرة وما كان كذلك فنحن لانهتدى الى تعبيره وفيه ايهام ان الكامل فى هذا العلم والمتبحر فيه يهتدى الى تعبير مثلها فقوله وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين يكون بهذا الاعتبار كانه مقدمة ثانية للعذر فى جهلهم بتعبيرها كانهم قالوا هذه الرؤيا من قبيل اضغاث الاحلام وما نحن بمتبحرين فى علم التعبير فلا نهتدى الى تعبيرها * واعلم ان الملك لما رأى مارآه من الرؤيا

ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام رحم الله اخى يوسف لولم يقل اذكرنى عند ربك لما لبث فى السجن سبعا بعد الخمس والاستعانة بالعباد فى كشف الشدائد وان كانت محمودة فى الجملة لكنها لاتليق بمنصب الانبياء (فلبث فى السجن بضع سنين) البضع مابين الثلاث الى التسع من البضع وهو القطع (وقال الملك انى ارى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف) لما دنا فرجه رأى الملك سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات مهازيل فابتلعت المهازيل السمان (وسبع سنبلات خضر) قد انعقد حبها (واخر يابسات) وسبعا اخر يابسات فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها وانما استغنى عن بيان حالها بما نص من حال البقرات واجرى السمان على المميز دون المميز لان التمييز بها ووصف السبع الثانى بالعجاف لتعذر التمييز بها مجردا عن الموصوف فانه لبيان الجنس وقياسه عجف لانه جمع عجفاء لكنه حمل على سمان لانه نقيضه (يا ايها الملأ افتونى فى رؤياى) عبروها (ان كنتم للرؤيا تعبرون) ان كنتم عالمين بعبارة الرؤيا وهى الانتقال من الصور الخيالية الى المعانى النفسانية التى هى مثالها من العبور وهى المجاوزة وعبرت الرؤيا عبارة اثبت من عبرتها تعبيرا واللام للبيان اولتقوية العامل فان الفعل لما اخر عن مفعوله ضعف فقوى باللام كاسم الفاعل اولتضمن تعبرون معنى فعل يعدى باللام كانه قيل ان كنتم تنتدبون لعبارة الرؤيا (قالوا اضغاث احلام) اى هذه اضغاث احلام وهى تخاليطها جمع ضغث واصله ماجمع من اخلاط النبات وحزم فاستعير للرؤيا الكاذبة وانما جمعوا للمبالغة فى وصف الحلم بالبطلان كقولهم فلان يركب الخيل اولتضمنه اشياء مختلفة (وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين) يريدون بالاحلام المنامات الباطلة خاصة اى ليس لها تأويل عندنا وانما التأويل للمنامات الصادقة فهو كانه مقدمة ثانية للعذر فى جهلهم بتأويله

(وقال الذى نجا منهما) من صاحبي السجن وهو الشرابى (وادكر بعد امّة) وتذكر يوسف بعد جماعة من الزمان مجتمعة اى مدّة طويلة وقرئ امّة بكسر الهمزة وهى النعمة اى بعد ما انعم عليه بالنجاة وامه اى نسيان يقال أمه يأمه أمها اذا نسى والجملة اعتراض ومقول القول (انا انبئكم بتأويله فارسلون) اى الى من عنده علمه او الى السجن (يوسف ايها الصدّيق) اى فارسل الى يوسف فجاء وقال يا يوسف وانما وصفه بالصدّيق وهو المبالغ فى الصدق لانه جرب احواله وعرف صدقه فى تأويل رؤياه ورؤيا صاحبه (أفتنا فى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات) اى فى رؤيا ذلك (لعلى ارجع الى الناس) اعود الى الملك ومن عنده او الى اهل البلد اذ قيل ان السجن لم يكن فيه (لعلهم يعلمون) تأويلها او فضلك ومكانك وانما لم يبت الكلام فيهما لانه لم يكن جازما من الرجوع فربما اخترم دونه ولا من علمهم (قال تزرعون سبع سنين دأبا) اى على عادتكم المستمرّة وانتصابه على الحال بمعنى دآئبين او المصدر باضمار فعله اى تدأبون دأبا وتكون الجملة حالا وقرأ حفص دأبا بفتح الهمزة وكلاهما مصدر دأب فى العمل وقيل تزرعون امر اخرجه فى صورة الخبر مبالغة لقوله (فما حصدتم فذروه فى سنبله) لئلا يأكله السوس وهو على الاوّل نصيحة خارجة عن العبارة (الا قليلا مما تأكلون) فى تلك السنين (ثم يأتى من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدّمتم لهنّ) اى يأكل اهلهنّ ما ادّخرتم لأجلهنّ فاسند اليهنّ على المجاز تطبيقا بين المعبر والمعبر به (الا قليلا مما تحصنون) تحرزون لبذور الزراعة (ثم يأتى من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس) يمطرون من الغيث او يغاثون من القحط من الغوث (وفيه يعصرون) ما يعصر كالعنب والزيتون لكثرة الثمار وقيل يحلبون الضروع وقرأ حمزة والكسائى بالتاء على تغليب المستفتى وقرئ على بناء المفعول من عصره اذا انجاه ويحتمل ان يكون المبنى للفاعل منه اى يغيثهم الله ويغيث بعضهم بعضا او من اعصرت السحابة عليهم فعدّى بنزع الخافض او بتضمينه معنى المطر وهذه بشارة بشرهم بها بعد ان اوّل البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخصبة والعجاف واليابسات بسنين مجدبة وابتلاع العجاف السمان بأكل ماجمع فى السنين المخصبة فى السنين المجدبة ولعله علم ذلك بالوحى او بان انتهاء الجدب بالخصب او بان السنة الالهية على ان يوسع على عباده بعد ما ضيق عليهم

قلق واضطرب بسبب انه شاهد ان الناقص الضعيف استولى على الكامل القوىّ فشهدت فطرته بان هذه الرؤية صورة شرّ عظيم يقع فى المملكة الا انه ما عرف كيفية الحال فيه فاشتاق ورغب فى تحصيل المعرفة بتعبير رؤياه فجمع اعيان مملكته من العلماء والحكماء فقال لهم يا أيها الملأ افتونى فى رؤياى ثم انه تعالى اعجز هؤلاء الذين حضروا عنده عن جواب هذه المسئلة وعماه عليهم ليصير ذلك سببا لخلاص يوسف عليه الصلاة والسلام من الحبس لان شأنه تعالى اذا اراد امرا هيأ اسبابه فلما اعترف الحاضرون بالعجز عن الجواب جثى الشرابى بين يدى الملك فقال انا انبئكم بتأويله فقال الملك وما يدريك يا غلام فلست بكاهن ولا معبر فقص عليه ما جرى له مع الخباز من انهما رأيا فى السجن منامين واخبر كل واحد برؤياه رجلا مسمى بيوسف وطلب منه تعبير رؤياه فعبرها وصدق فى جميع ما وصف له ولم يسقط من تعبيره شئ فان اذنت مضيت اليه وآتيتك من قبله بتعبير هذه الرؤيا وهو قوله تعالى وقال الذى نجا منهما وادّكر بدال مهملة مشدّدة وهى قرآءة العامة اصله اذ تكر وهو افتعل من الذكر فوقعت تاء الافتعال بعد الذال فابدلت دالا فاجتمع متقاربان فابدل اوّلهما بجنس الثانى وادغم وقول المصنف تذكر يوسف ليس بيانا لاصل الكلمة والا لقيل اذكر بتشديد الدال والكاف وقرأ الجمهور بعد امة بضم الهمزة وتشديد الميم وتاء منوّنة وهى المدّة الطويلة الحاصلة من اجتماع الامم الكثيرة كما ان الامّة انما تحصل من اجتماع الجمع العظيم فالمدّة الطويلة كانها امة من الايام والساعات وقرئ بعد أمه بفتح الهمزة والميم الخفيفة والهاء المنوّنة من الامه وهو النسيان يقال أمه يأمه أمها وأمها بفتح الميم وسكونها ﴿**قوله** والجملة اعتراض﴾ ويجوز ان تكون حالا من الموصول وان تكون معطوفة على نجا ثم ان الشرابى قرّر الرؤيا وقد تختلف بسبب اختلاف اللفظ كما هو المذكور فى علم التعبير ثم انه عليه الصلاة والسلام ذكر تعبير تلك الرؤيا فقال تزرعون سبع سنين وهو خبر بمعنى الامر كقوله تعالى والمطلقات يتربصن وقوله والوالدات يرضعن ويدل على كونه بمعنى الامر قوله فذروه فى سنبله وقوله دأبا قرأ حفص بفتح الهمزة والباقون بسكونها وهما لغتان فى مصدر دأب يدأب اى دام على الشئ ولازمه على عادته والمعنى فازرعوا سبع سنين مستمرّين على الزراعة على عادتكم او ازرعوا تدأبون دأبا اى يحصل لكم بسبب تلك الزراعة ما تعتادونه من الغلة ونماء الارض ورفع شداد فى قوله سبع شداد على انه صفة سبع ولم يجعل مجرورا مميزا لسبع لما مرّ من انه صفة يتعذر التمييز بها مجرّدا عن الموصوف بخلاف سنين فى قوله سبع سنين والمعنى ثم يأتى من بعد ذلك سبع سنين شداد اى صعاب مجدبات تشتدّ على الناس تأكل تلك السنون لما ادّخرتم لاجلهنّ اى يذهبنه ويفنينه اسند الاكل والافناء الى السنة وهى لا تأكل شيأ اسنادا مجازيا على طريق اسناد الفعل الى زمانه كما فى قوله تعالى والنهار مبصرا تطبيقا بين المعبر والمعبر به فان السبع بقرات السمان فى المعبر مأوّلة بسبع سنين مخصبات والسبع العجاف اكلن تلك البقرات السمان فكذا اسند الاكل فى المعبر به ايضا الى السنين المجدبة مع ان الاكل انما هو حال اهلها تطبيقا بينهم ﴿**قوله** يغاث الناس﴾ معناه يمطرون ويسقون الغيث ويجوز ايضا ان تكون الفها مبدلة من الواو على ان تكون من الغوث الذى هو الفرج وزوال الهمّ والكرب وعلى هذا يكون فعله رباعيا يقال استغاث الله تعالى فاغاثه اى انقذه من الكرب الذى فيه وهو القحط فى قصة الرؤيا ﴿**قوله** من الغيث﴾ اى يجوز ان تكون الف يغاث مقلوبة من الياء على ان يكون مشتقا من الغيث الذى هو مصدر قولك غاث الله البلاد يغيثها غيثا اذا انزل بها الغيث وهو المطر وقد غيثت الارض تغاث اذا مطرت ﴿**قوله** او من اعصرت السحابة﴾ اى شارفت ان تعصرها الرياح فتمطر على ان يكون همزة افعل فيه كما فى احصد الزرع فان قرئ يعصرن على بناء المفعول على ان يكون من اعصرت السحابة فلابدّ من احد التأويلين لان اعصر بهذا المعنى لا يتعدّى حيث يسند الى المفعول القائم مقام الفاعل ﴿**قوله** ولعله عليه الصلاة والسلام علم ذلك بالوحى﴾ وذلك لان رؤيا الملك انما تدل على ان كل واحد من السنين المخصبة والمجدبة سبع وان السنين المجدبة يأكلن ما جمع فى السنين المخصبة وليس فيهما ما يدل على ان حال السنة التى تأتى بعد انقضاء تلك السنين المذكورة ما هى فتعين انه عليه الصلاة والسلام ما علم ذلك الا بالوحى ويجوز ان يعلمه من الرؤيا بناء على ان الملك لما رأى ان العجاف سبع دل ذلك على ان السنين المجدبة لا تزيد على هذا العدد ومن المعلوم ان الحاصل بعد انتهاء زمان القحط ليس الا زمان الخصب بحكم ان العالم لا يخلو من احد الضدّين او بحكم ان سنة الله جرت على ان يوسع على عباده بعد ما ضيق عليهم ثم ان

(وقال الملك ائتوني به) بعدماجاءه الرسول بالتعبير (فلما جاءه الرسول) ليخرجه (قال ارجع الى ربك فاسأله مابال النسوة اللاتي قطعن ايديهن) انما تأنى في الخروج وقدم سؤال النسوة وفحص حاله ليظهر برآءة ساحته ويعلم انه سجن ظلما فلا يقدر الحاسد ان يتوسل به الى تقبيح امره وفيه دليل على انه ينبغي ان يجتهد في نفي التهم ويتقي مواقعها وعن النبي صلى الله عليه وسلم لوكنت مكانه ولبثت في السجن مالبث لاسرعت الاجابة وانما قال فاسأله مابال النسوة ولم يقل فاسأله ان يفتش عن حالهن تهييجا له على البحث وتحقيق الحال وانما لم يتعرض لسيدته مع ماصنعت به كرما ومراعاة للادب وقرئ النسوة بضم النون (ان ربي بكيدهن عليم) حين قلن لي اطع مولاتك وفيه تعظيم كيدهن والاستشهاد بعلم الله عليه وعلى انه بريئ مما قذف به والوعيد لهن على كيدهن (قال ماخطبكن) قال الملك لهن ماشأنكن والخطب امر يحق ان يخاطب فيه صاحبه (اذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله) تنزيه له وتعجب من قدرته على خلق عفيف مثله (ماعلمنا عليه من سوء) من ذنب (قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق) ثبت واستقر من حصحص البعير اذا القى مباركه ليناخ قال شعر

فحصحص في صم الصفا ثفناته * وناء بسلمى نوءة ثم صمما * اوظهر من حص شعره اذا استأصله بحيث ظهرت بشرة رأسه وقرئ على البناء للمفعول (انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين) في قوله هي راودتني عن نفسي (ذلك ليعلم) قاله يوسف لما عاد اليه الرسول واخبره بكلامهن اى ذلك التثبت ليعلم العزيز (انى لم اخنه بالغيب) بظهر الغيب وهو حال من الفاعل او المفعول اى لم اخنه وانا غائب عنه اووهو غائب عني اوظرف اى بمكان الغيب وراء الاستار والابواب المغلقة (وان الله لايهدى كيد الخائنين) لاينفذه ولايسدده اولا يهدى الخائنين بكيدهم فاوقع الفعل على الكيد مبالغة وفيه تعريض براعيل في خيانتها زوجها وتوكيد لامانته ولذلك عقبه بقوله

الشرابي لما عرض على الملك التعبير الذي ذكره يوسف عليه الصلاة والسلام قال ائتوني به فعاد الشرابي الى يوسف عليه الصلاة والسلام فقال اجب الملك فابى يوسف عليه الصلاة والسلام ان يخرج من السجن الابعدان يفحص الملك عن حاله مع النسوة لتنكشف حقيقة الحال وبرآءته مما اسند اليه من الخيانة في حق العزيز واهله ليظهر كمال عقله وصبره ووقاره فان من بقى في السجن اثنى عشرة سنة اذا طلبه الملك وامر باخراجه ولم يبادر الى الخروج وصبر الى ان تتبين براءته دل ذلك على برآءته من جميع انواع التهم وعلى ان كل ماقيل فيه كان كذبا وبهتانا روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه استحسن حزم يوسف وصبره حين دعاه الملك فلم يبادر الى الخروج حيث قال* لقد عجبت من يوسف وكرمه وصبره دعاه الملك فلم يبادر والله يغفر له حين سئل عن البقرات العجاف والسمان ولوكنت مكانه ماخبرتهم حتى اشترطت ان يخرجوني ولقد عجبت حين اتاه الرسول فقال ارجع الى ربك فاسأله مابال النسوة الآية ولوكنت مكانه ولبثت في السجن مالبث لاسرعت الاجابة وبادرتهم الباب وما ابتغيت العذر انه كان حليما ذا أناة *قوله عليه الصلاة والسلام والله يغفر له ونحوه مقدمة تذكر امام المقصود تعظيما لمن قيل له ذلك وتوقيرا له وهو كما تقول لمن تعظمه عفا الله عنك ماصنعت في امري ﴿قوله وانما قال فاسأله﴾ يعني انه عليه الصلاة والسلام امر الرسول بان يسأل الملك عن شأن النسوة وحالهن ولم يأمره بان يسأل الملك ان يفتش عن حالهن مع ان المقصود ذلك لكون الطريق الذي آثره ابلغ في افادة هذا المقصود وذلك لان فعل السؤال علق بكلمة ماالتي يستكشف بها حقيقة الشئ فاذا قلت سألته ماالانسان كان معناه طلبت منه ان يبين لي ماهية الانسان وحقيقته واذا قلت سألته الخبر كان المعنى طلبت منه ان يعطيني الخبر فلما قال فاسأله مابال النسوة فقد امره ان يطلب من الملك كشف حقيقة حالهن وهذا الطلب يحمل الملك على التفتيش عن حالهن من حيث ان الانسان حريص على الاطلاع على حقيقة الشئ ويستنكف عن ان ينسب الى الجهل بها فلاجرم اذا سئل عنها يبذل جهده في التفتيش عنها وتحصيل العلم بها بخلاف مالو قيل فاسأله ان يفتش عن حالهن فانه انما يدل على ان يطلب الرسول من الملك ان يفتش عن حالهن والملك لايبالي بهذا الطلب بل ولايلتفت الى مثل هذا الطلب من هو ادنى حالا من الملك بمراتب ﴿قوله بريئ مما قذف به﴾ اى اتهم به يقال قذفت الرجل اى عبته ويقال هو يقذف بكذا اى يرمى به ويتهم فهو مقذوف اى متهم فلما اجاب يوسف عليه الصلاة والسلام الرسول بذلك رجع الرسول الى الملك برسالة يوسف عليه السلام فدعا الملك النسوة وفيهن امرأة العزيز فقال لهن ماشأنكن وقصتكن اذراودتن يوسف عن نفسه هل وجدتن منه ميلا اليكن وقوله راودتن وان كانت صيغة الجمع الا انه يحتمل ان يكون المراد منه خطاب زليخا على طريق اسناد فعل الجماعة الى الواحد لوقعها بينهم ورضاهن واستحسانهن كما في قوله تعالى قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم ويحتمل ان يكون المراد خطاب الجماعة اما لان كل واحدة منهن راودت يوسف عليه الصلاة والسلام عن نفسه لاجل نفسها اولان كل واحدة منهن راودته لاجل امرأة العزيز فان اللفظ يحتمل كل واحد من هذين الوجهين ولما علمت امرأة العزيز ان هذه المناظرات والتفحصات انما وقعت بسببها اولاجلها كشفت الغطاء وصرحت بماهو الواقع وقالت الآن حصحص الحق اى وضح وانكشف وتمكن في النفوس والقلوب قال الزجاج اشتقاقه في اللغة من الحصة اى بانت حصة الحق من حصة الباطل ولما علمت زليخا ان يوسف عليه الصلاة والسلام راعى جانبها حيث قال مابال النسوة اللاتي قطعن ايديهن فذكرهن ولم يذكرها مع ان الفتن كلها انما نشأت من جانبها جزمت بان رعايته اياها انما كانت تعظيما لجانبها واخفاء للامر عليها وارادت ان تكافئه على هذا الفعل الحسن فلذلك اعترفت بان الذنب انما كان كله من جانبها وان يوسف عليه الصلاة والسلام كان بريئا من الكل* روى ان امرأة جاءت بزوجها الى القاضي وادعت عليه المهر فامر القاضي بان تكشف عن وجهها حتى يتمكن الشهود من اداء الشهادة على وجهها فقال الزوج لاحاجة الى ذلك فاني مقر بصدقها في دعواها فقالت حيث اكرمني الى هذا الحد فاشهدوا انى ابرأت ذمته من كل حق لي عليه فحصحص الحق وقوله قال

* فحصحص في صم الصفا ثفناته * وناء بسلمى نوءة ثم صمما *

الصم جمع اصم وهو الحجر المصمت الصلب والصفا جمع الصفاة وهي الصخرة الملساء وثفنات البعير مباركه وهي خمس الصدر والركبتان والرجلان وناء الجمل بحمله اذا نهض مثقلا وصمم في السير وغيره اى مضى وحصحص وناء مسندان الى ضمير البعير يقول هذا البعير القى ثفناته في ارض ذات حجارة صلبة وركبت عليه سلمى ثم قام بسلمى وقصد السفر

(وما ابرئ نفسى) اى لا ازكيها تنبيها على انه لم يرد بذلك تزكية نفسه والعجب بحاله بل اظهار ما انعم الله عليه من العصمة والتوفيق وعن ابن عباس انه لما قال ليعلم انى لم اخنه قال له جبريل ولا حين هممت فقال ذلك (ان النفس لامارة بالسوء) من حيث انها بالطبع مائلة الى الشهوات فتهم بها وتستعمل القوى والجوارح فى اثرها كل الاوقات (الا مارحم ربى) الا وقت رحمة ربى او الا مارحمه الله من النفوس فعصمه من ذلك وقيل الاستثناء منقطع اى ولكن رحمة ربى هى التى تصرف الاساءة وقيل الآية حكاية قول راعيل والمستثنى نفس يوسف واضرابه وعن ابن كثير ونافع بالسو على قلب الهمزة واوا ثم الادغام (ان ربى غفور رحيم) يغفر هم النفس ويرحم من يشاء بالعصمة او يغفر للمستغفر لذنبه المعترف على نفسه ويرحمه ما استغفره واسترحمه مما ارتكبه (وقال الملك ائتونى به استخلصه لنفسى) اجعله خالصا لنفسى (فلما كلمه) اى فلما اتوا به فكلمه وشاهد منه الرشد والدهاء (قال انك اليوم لدينا مكين) ذو مكانة ومنزلة (امين) مؤتمن على كل شئ روى انه لما خرج من السجن اغتسل وتنظف ولبس ثيابا جددا فلما دخل على الملك قال اللهم انى اسألك من خيره واعوذ بعزتك وقدرتك من شره ثم سلم عليه بالعربية فقال الملك ما هذا اللسان فقال لسان عمى اسماعيل ودعا له بالعبرية فقال ما هذا اللسان قال لسان آبائى وكان الملك يعرف سبعين لسانا فكلمه بها فاجابه بجميعها فتعجب منه فقال احب ان اسمع رؤياى منك فحكاها ونعت له البقرات والسنابل واماكنها على ما رآها فاجلسه على السرير وفوض اليه امره وقيل توفى قطفير فى تلك الليالى فنصبه منصبه وزوج منه راعيل فوجدها عذراء وولد له منها افرائيم وميشا (قال اجعلنى على خزآئن الارض) ولنى امرها والارض ارض مصر (انى حفيظ) لها ممن لا يستحقها (عليم) بوجوه التصرف فيها ولعله عليه السلام لما رأى انه يستعمله فى امره لا محالة آثر مايعم فوآئده ويجل عوآئده وفيه دليل على جواز طلب التولية واظهار انه مستعد لها والتولى من يد الكافر اذا علم انه لا سبيل الى اقامة الحق وسياسة الخلق الا بالاستظهار به وعن مجاهد ان الملك اسلم على يده (وكذلك مكنا ليوسف فى الارض) ارض مصر (يتبوأ منها حيث يشاء) ينزل من بلادها حيث يهوى وقرأ ابن كثير نشاء بالنون (نصيب برحمتنا من نشاء) فى الدنيا والآخرة (ولا نضيع اجر المحسنين) بل نوفى اجورهم عاجلا وآجلا (ولاجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون) الشرك والفواحش لعظمه ودوامه (وجاء اخوة يوسف) روى انه لما استوزره الملك اقام العدل واجتهد فى تكثير الزراعات وضبط الغلات حتى دخلت السنون المجدبة وعم القحط مصر والشام ونواحيهما وتوجه اليه الناس فباعها اولا بالدراهم والدنانير حتى لم يبق معهم شئ منها ثم بالحلى والجواهر ثم بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم حتى استرقهم جميعا ثم عرض الامر على الملك فقال الرأى رأيك فاعتقهم ورد عليهم اموالهم وكان قد اصاب كنعان ما اصاب سائر البلاد فارسل يعقوب بنيه غير بنيامين اليه للميرة (فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون) اى

ومضى فى السفر ﴿قوله الا وقت رحمة ربى﴾ على ان ما مصدرية والمصدر المأول فى محل النصب على انه مستثنى مفرغ والتقدير لامارة بالسوء فى كل الاوقات الا وقت رحمة ربى ﴿قوله او الا مارحمه الله﴾ على ان ما موصولة مستثنى من الضمير المستتر فى امارة كانه قيل ان النفس لامارة بالسوء الا نفسا رحمها ربى لا تأمر بالسوء والمراد بالنفس الجنس فلذلك جاز الاستثناء منها كما فى قوله تعالى ان الانسان لفى خسر الا الذين آمنوا ويجوز ايقاع ما على من يعقل على ارادة الوصف كما فى قوله تعالى فانكحوا ما طاب لكم من النساء وقوله وقيل الآية حكاية قول راعيل عطف على قوله قاله يوسف لما عاد اليه الرسول واخبره بكلامهن وارتباط الآية بما قبلها على تقدير كونها من كلام راعيل انها لما شهدت على برآءة يوسف عليه الصلاة والسلام واعترفت بانه على الحق وانها كانت على الباطل قالت ذلك الذى قلت ليعلم يوسف انى لم اخنه بالغيب ولم اكذب عليه فى حال الغيبة وجئت بالصحيح والصدق فيما سئلت عنه ومع ذلك ما ابرئ نفسى من الخيانة فانى خنته حين قذفته وقلت ما جزآء من اراد باهلك سوأ الا ان يسجن واودعته السجن ان كل نفس لامارة بالسوء الا نفسا رحمها الله تعالى بالعصمة كنفس يوسف عليه الصلاة والسلام ان ربى غفور رحيم استغفرت ربها واسترحمته مما ارتكبت ولم يرض المصنف بهذا القول اى بجعل هذا الكلام بقية كلام المرأة لان قوله وما ابرئ نفسى ان النفس لامارة بالسوء الا مارحم ربى كلام لا يحسن صدوره الا ممن احترز عن المعاصى ثم ذكر هذا الكلام على سبيل كسر النفس وذلك لا يليق بالمرأة التى استفرغت جهدها فى المعصية ﴿قوله يغفر هم النفس﴾ على ان تكون الآية من تتمة كلام يوسف عليه الصلاة والسلام ﴿قوله او يغفر للمستغفر﴾ من تتمة كلام زليخا ﴿قوله فلما اتوا به فكلمه﴾ اى كلم الملك يوسف عليه السلام وهو الظاهر لان مجالس الملوك لا يحسن لاحد ان يبدأ فيها بالكلام وانما الذى يبتدئ به هو الملك وان جاز ان يكون الفاعل ضمير يوسف والمفعول ضمير الملك والدهاء جودة الرأى ﴿قوله احب ان اسمع رؤياى منك﴾ وفى الكشاف قال ايها الصديق انى احب ان اسمع رؤياى منك شفاها قال يوسف عليه الصلاة والسلام رأيت بقرات فوصف لونهن واحوالهن ومكان خروجهن ومكان السنابل وما كان منها على الهيئة التى رآها الملك من غير ان ينقص منها حرفا قال المفسرون انه عليه الصلاة والسلام لما عبر رؤيا الملك بين يديه قال له الملك فما ترى ايها الصديق قال ان تزرع فى هذه السنين المخصبة زرعا كثيرا وتبنى الخزآئن وتجمع فيها الطعام فاذا جاءت السنون المجدبة بعت الغلات فيحصل بهذا الطريق مال عظيم فقال الملك من لى بهذا الشغل فقال يوسف اجعلنى على خزآئن الارض اى خزآئن ارض مصر على ان تعريف الارض للعهد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال فى هذه الآية * رحم الله اخى يوسف انه لما تأنى فى الخروج من السجن سهل الله عليه ذلك الامر على احسن الوجوه ولما تسارع فى ذكر الالتماس اخر الله ذلك المطلوب عنه * ودل هذا على ان ترك التصرف وتفويض الامر بالكلية الى الله تعالى اولى ولم يحك الله تعالى عن الملك انه قال قد فعلت ما التمسته منى الا انه تعالى قال وكذلك مكنا ليوسف فى الارض الآية وذلك يدل على ان الملك اجابه الى ما سأل الا انه تعالى اسند التمكين الى نفسه ليعلم ان المؤثر الحقيق ليس الا الله تعالى وانه هو الذى مكنه فى الارض * روى ان الملك توجه بتاج الكرامة وادخل خاتم الملك فى اصبعه وقلده سيفه ووضع له سريرا من الذهب مكللا بالدر والياقوت فقال يوسف عليه الصلاة والسلام اما السرير فأشد به ملكك واما الخاتم فأدبر به امرك واما التاج فليس من لباسى ولا لباس آبائى فقال قد وضعته على رأسك اجلالا لك واقرارا بفضلك فجلس على السرير متوجا ودانت له الملوك وفوض الملك اليه امره وعزل قطفير عما كان واجلس يوسف مكانه ثم ان قطفير هلك فى تلك الليالى فزوج الملك يوسف من زليخا امرأة قطفير فلما دخل عليها قال لها اليس هذا خيرا مما كنت تريدين فقالت ايها الصديق لا تلمنى فانى كنت امرأة حسناء ناعمة فى ملك ودنيا وكان صاحبى لا يأتى النساء وكنت كما جعل الله فى صورتك فغلبتنى نفسى فلما بنى بها يوسف وجدها عذرآء فاصابها فولدت له ابنين افرائيم وميشا فهما ابنا يوسف عليه الصلاة والسلام ﴿قوله تعالى وكذلك مكنا﴾ اى ومثل ذلك التمكين الظاهر الذى التمسه يوسف عليه الصلاة والسلام مكناه فى ارض مصر روى انها كانت اربعين فرسخا فى اربعين ينزل من بلادها حيث يهوى لاستيلائه على جميع ارضها ودخولها تحت ملكه وسلطانه وكانت خزآئن مصر وجميع بلادها بيده وتحت حكمه بعدما كان ضيق عليه بالرق والحبس والتمكين الاقدار واعطاء المملكة والمكنة المكانة ﴿قوله اى عرفهم يوسف﴾ عليه الصلاة والسلام وسبب معرفته اياهم انه تعالى قد اخبره حين ما القوه اخوته فى الجب بقوله لتنبئنهم بامرهم هذا وهم لا يشعرون

عرفهم يوسف ولم يعرفوه لطول العهد ومفارقتهم اياه فى سن الحداثة ونسيانهم اياه وتوهمهم انه هلك وبعد حاله التى رأوه عليها من حاله حين فارقوه وقلة تأملهم فى حلاه من التهيب والاستعظام (ولما جهزهم بجهازهم) اصلحهم بعدتهم واوقر ركابهم بما جاؤا لاجله واصل الجهاز مايعد من الامتعة للنقلة كعدد السفر ومايحمل من بلدة الى اخرى ومازف به المرأة الى زوجها وقرئ بجهازهم بالكسر (قال ائتونى باخ لكم من ابيكم) روى انهم لما دخلوا عليه قال من انتم وماامركم لعلكم عيون قالوا معاذالله انما نحن بنوا اب واحد وهوشيخ كبير صديق نبيّ من الانبياء اسمه يعقوب قال كم انتم قالوا كنا اثنى عشر فذهب احدنا الى البرية فهلك قال فكم انتم ههنا قالوا عشرة قال فاين الحادى عشر قالوا عند ابينا يتسلى به عن الهالك قال فمن يشهد لكم قالوا لايعرفنا احد ههنا فيشهد لنا قال فدعوا بعضكم عندى رهينة وأتونى باخيكم من ابيكم حتى اصدقكم فاقترعوا فاصابت شمعون وقيل كان يوسف يعطى لكل نفر جملا فسألوا جملا زآئدا لاخ لهم من ابيهم فاعطاهم وشرط عليهم ان يأتوه به ليعلم صدقهم (الاترون انى اوفى الكيل) اتمه (وانا خير المنزلين) للضيف والمضيفين لهم وكان احسن انزالهم وضيافتهم (فان لم تأتونى به فلا كيل لكم عندى ولاتقربون) اى لاتقربونى ولاتدخلوا ديارى وهو اما نهى او نفى معطوف على الجزآء (قالوا سنراود عنه اباه) سنجتهد فى طلبه من ابيه (وانا لفاعلون) ذلك لانتوانى فيه (وقال لفتيته) لغلمانه الكيالين جمع فتى وقرأ حمزة والكسائى وحفص لفتيانه على جمع الكثرة ليوافق قوله (اجعلوا بضاعتهم فى رحالهم) فانه وكل بكل رحل واحدا يعبى فيه بضاعتهم التى شروا بها الطعام وكانت نعالا وأدما وانما فعل ذلك توسيعا وتفضلا عليهم وترفعا من ان يأخذ ثمن الطعام منهم وخوفا من ان لايكون عند ابيه مايرجعون به (لعلهم يعرفونها) لعلهم يعرفون حق ردها اولكى يعرفوها (اذا انقلبوا) انصرفوا ورجعوا (الى اهلهم) وفتحوا اوعيتهم (لعلهم يرجعون) لعل معرفتهم ذلك تدعوهم الى الرجوع (فلما رجعوا الى ابيهم قالوا ياابانا منع منا الكيل) حكم بمنعه بعد هذا ان لم تذهب ببنيامين (فارسل معنا اخانا نكتل) نرفع المانع من الكيل ونكتل مانحتاج اليه وقرأ حمزة والكسائى بالياء على اسناده الى الاخ اى يكتل لنفسه فينضم اكتياله الى اكتيالنا (واناله لحافظون) من ان ينال مكروه (قال) يعقوب لهم (هل آمنكم عليه الاكما امنتكم على اخيه من قبل) وقد قلتم فى يوسف وانا له لحافظون (فالله خير حفظا) فأتوكل عليه وافوض امرى اليه وانتصاب حفظا على التمييز وحافظا على قرآءة حمزة والكسائى وحفص يحتمله والحال كقولهم لله دره فارسا وقرئ خير حافظ (اى) وخير الحافظين (وهو ارحم الراحمين) فارجو ان يرحمنى بحفظه ولايجمع علىّ مصيبتين (ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم) وقرئ ردت

علم بذلك انهم يصلون اليه ويدخلون عليه البتة فلذلك كان مترصدا لوصولهم اليه وكان يتفحص عن كل من وصل الى بابه من البلاد البعيدة ويتعرف احوالهم ليعرف ان هؤلاء الواصلين أهم اخوته ام لا فلما وصل اخوته الى داره تفحص عن احوالهم تفحصا ظهر له بذلك انهم اخوته واما كونهم ماعرفوه فقد ذكر المصنف فيها وجوها وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال كان بين ان قذفوه فى الجب وبين ان دخلوا عليه اربعون سنة فلذلك انكروه ﴿قوله قال ائتونى باخ لكم﴾ لم يقل باخيكم بالاضافة مبالغة فى عدم تعرفه لهم فانهم فرقوا بين مررت بغلامك وبغلام لك فان الاوّل يقتضى عرفانك بالغلام دون الثانى ﴿قوله اما نهى او نفى﴾ وفى الكشاف فى ولاتقربون وجهان احدهما ان يكون داخلا فى حكم الجزآء مجزوما عطفا على محل قوله فلا كيل لكم كانه قيل فان لم تأتونى به تحرموا ولاتقربوا وان يكون بمعنى النهى انتهى وعلى التقديرين اى سوآء كان خبرا او نهيا يكون داخلا فى حكم الجزآء معطوفا عليه لكن جزمه على الثانى بلا الناهية وعلى الاوّل بالعطف على ماهو فى محل الجزم ﴿قوله لانتوانى فيه﴾ على ان قولهم لفاعلون بمعنى الاستقبال قالوه تأكيدا للوعد ويحتمل ان يكون بمعنى الحال على ان يكون الفعل مجازا عن القدرة عليه بطريق اطلاق اسم المسبب على السبب فيكون تنزيلا وتنبيلا وتأكيدا لفعل المراودة ﴿قوله تعالى وقال لفتيته﴾ وهى قرآءة العامة على انها جمع قلة على وزن فعلة كاخوة وصبية والفتيان على وزن فعلان جمع كثرة كاخوان وصبيان والقليل من الثلاثة الى العشرة والكثير فوق العشرة والجمع المصحح من جموع القلة على الاشهر والظاهر ان قوله لغلمانه الكيالين اشارة الى وجه القرآءة على جمع القلة بناء على ان المولى بالكيل جماعة قليلون وقرآءة الفتيان توافق قوله اجعلوا بناء على ان المأمورين بالجعل غير محصورين فى العشرة ومادونها وكذا ضمير الجمع فى نحو اجعلوا بناء على انه لايختص بما يستعمل فيه جمع القلة والرحال جمع رحل وهو الوعاء الذى يجعل المسافر اسبابه فيه والظاهر ان رحال الاخوة ليس اقل من عشرين غرارة فاذا وكل بكل غرارة واحد من الفتيان يكون المأمورون كثيرين زآئدين على العشرة وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان بضاعتهم التى هى ثمن طعامهم كانت نعالا وأدما وقيل كانت دراهم والمكيال والكيل ايضا مصدر قولك كلت الطعام اذا اعطيته كيلا وكل واحد من المعنيين يصح فى هذا المقام الا انه اذا كان بمعنى المكيال يكون من قبيل ذكر المحل وارادة الحال يقال اكتلت عليه اذا اخذت منه كيلا ويقال كال المعطى واكتال الآخذ واذا قلت كلته يكون المعنى كلت له اى توليت فعل الكيل لاجله قال تعالى واذا كالوهم بمعنى كالوا لهم ﴿قوله حكم بمنعه﴾ اى بمنع اعطاء الطعام كيلا حيث قيل فان لم تأتونى به فلا كيل لكم عندى ﴿قوله نرفع المانع من الكيل﴾ فان عدم اتيان اخيهم لما كان مانعا من الكيل كان ارساله رفعا لذلك المانع وانما زاد هذا لبيان الملازمة بين الارسال والاكتيال فانه اذا ارسل ارتفع المانع ومقتضى الاكتيال موجود فيحصل المطلوب بارساله لتحقق علته التامة بذلك ﴿قوله هل آمنكم﴾ استفهام انكارى يتضمن معنى النفى وقوله الاكما امنتكم منصوب على انه نعت مصدر محذوف اى لا آمنكم على بنيامين الا امنا كامنى على اخيه وقولك آمنته على كذا وائتمنته بمعنى وقد قالوا فى بدء الامر ياابانا مالك لاتأمنا على يوسف الى قوله وانا له لحافظون يريد انكم قد ذكرتم هذا الكلام فى حق يوسف عليه الصلاة والسلام ثم خنتم فى حفظه فكيف آمنكم على بنيامين اعتمادا على كلامكم هذا بعد ماشاهدت منكم الخلف وعدم الثبات على القول ثم قال فالله خير حفظا اى خيركم حفظا اى خير من حفظكم اياه يريد به انى وثقت بكم فى حفظ يوسف عليه الصلاة والسلام فكان ما كان فالآن اتوكل على الله فى حفظ بنيامين فتوكل على الله تعالى فى حفظه ودفعه اليهم قال كعب لما قال يعقوب فالله خير حفظا قال الله عز وجل وعزتى وجلالى لاردنّ عليك كليهما بعدما توكلت علىّ ﴿قوله تعالى ولما فتحوا متاعهم﴾ المتاع يطلق على كل مايصلح لان يستمتع به ويجوز ان يراد به ههنا الطعام الذى حملوه وان يراد اوعية ذلك الطعام وبضاعتهم ماشروا به الطعام ﴿قوله ماذا نطلب﴾ على ان تكون كلمة ما فى مانبغى استفهامية فى محل النصب على انها مفعول نبغى قدمت عليه لان لها صدر الكلام والمعنى اى شئ نبغى بعد هذا الاكرام حيث اكرمنا كرامة لو كان رجلا من آل يعقوب لمافعل ذلك ثم باع كل واحد منا حمل بعير من الطعام ورد علينا ثمن الطعام على احسن الوجوه وعلى ماذكره بعد هذا تكون ما نافية اى لانطلب ورآء مارأينا من احسانه احسانا آخر ولا نكذب ولا نتعدى فيما نتكلم فى وصفه مكارم الاخلاق ومحاسن الافعال على ان البغى بمعنى التعدى لا بمعنى الطلب ﴿قوله وسق بعير﴾

اى حمل بعير وانما قالوا ذلك لان يوسف عليه الصلاة والسلام كان لايكيل لكل رجل الاحمل بعير فعلى تقدير ان يحضر معهم اخوهم بنيامين لابدّ وان يزداد له ذلك الحمل وقولهم ونمير اهلنا اى نجلب اليهم الطعام يقال مار اهله يميرهم ميرا اذا اتاهم بطعام والميرة الطعام الذى يمتاره الانسان اى يجلبه من بلد آخر ﴿قوله هذا﴾ اى الاحتياج الى تقدير المعطوف عليه انما هو اذا كانت ماستفهامية لاختلافهما خبرا وانشاء ولايصح عطف الخبرية على الجملة الاستفهامية لعدم الجامع بينهما فتعين كونه معطوفا على محذوف واما اذا كانت نافية فحينئذ يجوز الامران اى كونه معطوفا على محذوف وكونه معطوفا على قوله مانبغى لكونها خبرية حينئذ والمعنى لانبغى ولانكذب على الملك فيما وصفناه بالكرم والاحسان ومن جملة كرمه انه ردّ الينا بضاعتنا على احسن الوجوه ونمير اهلنا ﴿قوله ماتوثق به﴾ ومعنى كون ذلك العهد كائنا من عند الله تعالى كونه مؤكدا باشهاد الله تعالى عليه بسبب القسم بالله تعالى عليه ولما كان المعنى حتى تحلفوا بالله كان المعنى لقوله عليه الصلاة والسلام لتأتننى به جواب القسم ﴿قوله الا ان تغلبوا او الا ان تهلكوا جميعا﴾ يعنى ان كونهم محاطابهم كناية اما عن كونهم مغلوبين مقهورين بحيث لايقدرون على اتيانهم به البتة او عن هلاكهم وموتهم جميعا فان من احاط به العدوّ يصير مغلوبا عاجزا من تنفيذ مراده او هالكا بالكلية ومن استعمال الاحاطة فى الهلاك قوله تعالى واحيط بثمره اى اصابه مااهلكه فهلك وقوله فظنوا انهم احيط بهم ﴿قوله او من اعم العلل على ان قوله لتأتننى به فى تأويل النفى﴾ وفى الكشاف والاستثناء من اعم العام لايكون الا فى النفى فلابدّ من تأويله بالنفى والمعنى لاتمتنعون من الاتيان به لعلة من العلل الا لعلة واحدة وهى ان يحاط بكم ونظيره فى الاثبات المتأوّل بمعنى النفى قولهم اقسمت بالله لما فعلت والافعلت يريد ماطلب منك الا الفعل وروى عن الزمخشرى انه قال عفا الله عنه اقسمت اثبات فى الظاهر وليس به لانه فى معنى النفى وقسم وليس بقسم لانه فى معنى الاستدعاء والطلب وظاهر لما الوقت وليس بوقت لانه فى معنى الاستثناء وما بعده فعل وليس بفعل لانه فى معنى الاسم فالكلام كله اذا ليس على ظاهره بل هو مأوّل ولذلك اعضل على سيبويه حتى قال لقد سألت الخليل عن قول العرب اقسمت بالله لما فعلت فحاصل كلام الزمخشرى ان الاستثناء من اعم العام لايكون الا فى النفى او فيما هو مأوّل به فجعل قوله لتأتننى به الا ان يحاط بكم مقدّرا بالنفى وذكر صاحب الانتصاف مامحصوله انما اختص هذا النوع من الاستثناء بالنفى لانه اذا لم يذكر المستثنى منه فى الكلام المنفى نفى الاتيان به على وجه الاطلاق ونفى الاتيان به على وجه الاطلاق انما يصح اذا عم حكم النفى لجميع افراد الحكم المنفى فاذا انتفى الاتيان به على وجه الاطلاق مثلا نفى جميع صور الاتيان به ووجوهه فكان الكلام لعموم مافيه من النفى كانه معروف مقرون بذكر المستثنى منه ولاكذلك الاثبات فانه لااشعار له بعموم الاحوال الا انه لايتوقف الا على احدها ثم قال ولقد صدقت هذه القصة المثل السائر وهو قولهم * البلاء موكل بالمنطق * فان يعقوب عليه الصلاة والسلام قال اولا فى حق يوسف عليه الصلاة والسلام واخاف ان يأكله الذئب فابتلى من ناحية هذا القول حيث قالوا اكله الذئب وقال ههنا لتأتننى به الا ان يحاط بكم اى الا ان تغلبوا عليه فابتلى ايضا بذلك واحيط بهم وغلبوا عليه والذى يرى من كلام المصنف ان قول الزمخشرى والاستثناء من اعم العام لايكون الا فى النفى ليس على عمومه بل هو منوط باقتضاء المقام ان يأوّل الاثبات بالنفى حيث جعل قوله الا ان يحاط بكم مستثنى مفرّغا من اعم الاحوال من غير ان يأوّل الاثبات فى لتأتننى به بالنفى وان صح ان يجعل المعنى لاتمتنعون من الاتيان به على كل حال الا فى حال ان يحاط بكم * الابهة العظمة والكبرياء يقال تأبه الرجل اذا تكبر وكوكبة واحدة اى جماعة عظيمة وكوكب الشئ معظمه وكوكب الروضة نورها ﴿قوله فيعانوا﴾ اى يصابوا بالعين يقال عنت الرجل اصبته بعينى فانا عائن وهو معين على النقص ومعيون على التمام ﴿قوله وللنفس آثار منها العين﴾ لما بين ان يعقوب عليه الصلاة والسلام انما قال لبنيه لاتدخلوا مصر من باب واحد بناء على انه عليه الصلاة والسلام خاف عليهم من العين لعلمه بان العين حق يدل عليها تجارب العلماء من الزمن الاقدم وتطابق سنة الانبياء عليهم الصلاة والسلام على حقيتها ايده بما روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعوّذ الحسن والحسين رضى الله عنهما بعوذة ويقول لهما * ان اباكما كان يعوّذ بها اسمعيل واسحق عليهما الصلاة والسلام وهى اعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة * وروى عن عبادة بن الصامت قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اوّل النهار فرأيته شديد الوجع ودخلت

فماحكيناك من احسانه وقرئ ماتبغى على الخطاب اى اىّ شئ تطلب ورآء هذا من الاحسان او من الدليل على صدقنا (هذه بضاعتنا ردّت الينا) استئناف موضح لقوله مانبغى (ونمير اهلنا) معطوف على محذوف اى ردّت الينا فنستظهر بها ونمير اهلنا بالرجوع الى الملك (ونحفظ اخانا) من المخاوف فى ذهابنا وايابنا (ونزداد كيل بعير) وسق بعير باستصحاب اخينا هذا اذا كانت ما استفهامية فاما اذا كانت نافية احتمل ذلك واحتمل ان تكون الجمل معطوفة على مانبغى اى لانبغى فيما نقول ونمير اهلنا ونحفظ اخانا (ذلك كيل يسير) اى مكيل قليل لايكفينا استقلوا ماكيل لهم فارادوا ان يضاعفوه بالرجوع الى الملك او يزدادوا اليه مايكال لاخيهم ويجوز ان تكون الاشارة الى كيل بعير اى ذلك شئ قليل لايضايقنا فيه الملك ولايتعاظمه وقيل انه من كلام يعقوب ومعناه ان حمل بعير شئ يسير لايخاطر لمثله بالولد (قال لن ارسله معكم) اذ رأيت منكم مارأيت (حتى تؤتون موثقا من الله) حتى تعطونى ماتوثق به من عند الله اى عهدا مؤكدا بذكر الله (لتأتننى به) جواب القسم اذ المعنى حتى تحلفوا بالله لتأتننى به (الا ان يحاط بكم) الا ان تغلبوا فلاتطيقوا ذلك او الا ان تهلكوا جميعا وهو استثناء مفرّغ من اعم الاحوال والتقدير لتأتننى به على كل حال الا حال الاحاطة بكم او من اعم العلل على ان قوله لتأتننى به فى تأويل النفى اى لاتمتنعون من الاتيان به الا للاحاطة بكم كقولهم اقسمت بالله الا فعلت اى ماأطلب الا فعلك (فلما آتوه موثقهم) عهدهم (قال الله على مانقول) من طلب الموثق واتيانه (وكيل) رقيب مطلع (وقال يابنىّ لاتدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة) لانهم كانوا ذوى جمال وابهة مشتهرين فى مصر بالقربة والكرامة عند الملك فخاف عليهم ان يدخلوا كوكبة واحدة فيعانوا ولعله لم يوصهم بذلك فى الكرة الاولى لانهم كانوا مجهولين حينئذ او كان الداعى اليها خوفه على بنيامين وللنفس آثار منها العين والذى يدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام فى عوذته اللهم انى اعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة

ان قضى عليكم سوأ ولا ينفعكم ذلك (عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون) جمع بين الحلفين فى عطف الجملة على الجملة لتقدم الصلة للاختصاص كان الواو للعطف والفاء لافادة التسبب فان فعل الانبياء سبب لان يقتدى بهم (ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم) اى من ابواب متفرقة فى البلد (ما كان يغنى عنهم) رأى يعقوب واتباعهم له (من الله من شئ) مماقضاه عليهم كما قال يعقوب عليه السلام فسرقوا واخذ بنيامين لوجدان الصواع فى رحله وتضاعفت المصيبة على يعقوب (الا حاجة فى نفس يعقوب) استثناء منقطع اى ولكن حاجة فى نفسه يعنى شفقته عليهم وحرازته من ان يعانوا (قضاها) اظهرها ووصى بها (وانه لذو علم لما علمناه) بالوحى ونصب الحجج ولذلك قال وماأغنى عنكم من الله من شئ ولم يغتر بتدبيره (ولكن اكثر الناس لايعلمون) سر القدر وانه لايغنى عنه الحذر (ولما دخلوا على يوسف آوى اليه اخاه) ضم اليه بنيامين على الطعام او فى المنزل روى انه اضافهم فاجلسهم مثنى مثنى فبقى بنيامين وحيدا فبكى وقال لوكان اخى يوسف حيا لجلس معى فاجلسه معه على مائدته ثم قال لينزل كل اثنين منكم بيتا وهذا لا ثانى له فيكون معى فبات عنده وقال له أتحب ان اكون اخاك بدل اخيك الهالك قال من يجد اخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف وقام اليه وعانقه و(قال انى انا اخوك فلا تبتئس) فلا تحزن افتعال من البؤس (بما كانوا يعملون) فى حقنا فيما مضى (فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية) المشربة (فى رحل اخيه) قيل كانت مشربة جعلت صاعا يكال به وقيل كانت تسقى الدواب بها ويكال بها وكانت من فضة وقيل من ذهب وقرئ وجعل على حذف جواب فلما تقديره امهلهم حتى انطلقوا (ثم اذن مؤذن) نادى مناد (ايتها العير انكم لسارقون) لعله لم يقله بامر يوسف عليه الصلاة والسلام اوكان تعبية السقاية والنداء عليها برضى بنيامين وقيل معناه انكم لسارقون يوسف من ابيه او أئنكم لسارقون

عليه فى آخر النهار فرأيته معافى فقال ان جبريل عليه الصلاة والسلام اتانى فرقانى وقال بسم الله ارقيك من كل شئ يؤذيك ومن كل عين وحاسد والله يشفيك قال صلى الله عليه وسلم فافقت وقال صلى الله عليه وسلم * العين حق ولوكان شئ يسبق القدر لسبقت العين القدر * وعن عائشة رضى الله عنها كان يؤمر العائن ان يتوضأ ثم يغتسل منه المعين وهو الذى اصيب بالعين فلما ثبت بمثل هذه الدلائل ان العين حق واطبق المتقدمون من المفسرين على ان يعقوب عليه الصلاة والسلام انما قال ذلك لبنيه خوفا عليهم من العين قال المصنف اوّلا فخاف عليهم ان يدخلوا كوكبة واحدة فيعانوا ثم شرع فى بيان سبب تأثر بدن المعين اذا رآه العائن واستحسنه وتعجب منه فقال وللنفس آثار منها العين يعنى ان تأثير المؤثر من العين لايجب ان يكون مستندا الى القوى الجسمانية بل قد يكون التأثير نفسانيا محضا ويدل عليه ان اللوح الذى يكون قليل العرض اذا كان موضوعا على الارض يقدر الانسان على المشى عليه ولوكان موضوعا فيما بين جدارين عاليين يعجز عن المشى عليه وماذلك الالان خوفه من السقوط يوجب سقوطه منه فعلمنا ان التأثيرات النفسانية موجودة وايضا اذا تصوّر الانسان كون فلان مؤذيا له حصل له فى قلبه غضب يسخن بذلك مزاجه جدا فمبدأ تلك السخونة ليس الا ذلك التصوّر النفسانى ولان مبدأ الحركات البدنية ليس الا التصورات النفسانية فلما ثبت ان تصوّر النفس يوجب تغير بدنها الخاص لم يبعد ايضا ان يكون بعض النفوس مؤثرا فى سائر الابدان فان جواهر النفس مختلفة بالماهية فجاز ان يكون بعض النفوس بحيث تؤثر فى تغير بدن حيوان آخر بشرط ان يراه ويتعجب منه والهامة واحدة الهوام وهى الحيات وكل ذى سم يقتل واما مالاسم له يقتل فهو السوام وواحدتها سامة كالعقرب والزنبور وقد تقع الهوام على كل مايدب من الحيوان واللامة الملمة من الممت به اى نزلت وجيئ بها على فاعلة ولم يقل ملمة لازدواج هامة ويجوز ان تقال على ظاهرها بمعنى جامعة للشر على المعيون من لمه يلمه اذا جمعه يقال ان دارك تلم الناس اى تجمعهم ثم ان يعقوب عليه الصلاة والسلام بعد ماامر بنيه برعاية الاسباب المعتبرة فى هذا العالم بين لهم انه لايصل الى العبد الا ماقدر عليه بقدر الله تعالى وارادة وجوده فقال وماأغنى عنكم من الله من شئ وكان قتادة رضى الله عنه يفسر الاصابة باصابة العين ويقول ليس فى قوله وماأغنى عنكم من الله من شئ ابطال له لان تأثير العين ليس مشروطا بالاجتماع او الافتراق وكل ماقدره الله تعالى فهو كائن لامحالة * قال الامام واعلم ان الانسان مأمور بان يراعى الاسباب المعتبرة فى هذا العالم ومأمور ايضا بان يجزم بانه لايصل اليه الا ماقدره الله تعالى وان الحذر لاينجى من القدر فان الانسان مأمور بان يحذر ويتفطن للاشياء المهلكة والاغذية الضارّة ويسعى فى تحصيل المنافع ودفع المضارّ بقدر الامكان ثم انه مع ذلك ينبغى ان يكون جازما بانه لايصل اليه الا ماقدره الله تعالى ولايدخل فى الوجود الا ما اراده الله تعالى فينبغى للانسان ان يجمع بين رعاية الاسباب المعتبرة فى هذا العالم وبين ان لايعتمد عليها ولا يراعيها الا لمحض التعبد بل يربط قلبه بمشيئة الله تعالى وان يقطع رجاءه عن كل شئ سواه ﴿قوله لتقدم الصلة﴾ بيان لوجه امكان الجمع بينهما فان قوله عليه لولم يتقدم على متعلقه لما امكن الجمع بينهما وقوله للاختصاص علة لتقدمها وقوله كان الواو بيان لفائدة الجمع بينهما ﴿قوله تعالى ولما دخلوا﴾ فى جواب لما هذه ثلاثة اوجه احدها وهو الظاهر انه الجملة المنفية وهى قوله ما كان يغنى وثانيها ان جوابها محذوف تقديره امتثلوا وقضوا حاجة ابيهم لان ارتكاب الحذف مع اشتمال الكلام على مايصلح جوابا صريحا لايخلو عن تعسف وثالثها ان الجواب هو قوله آوى اليه اخاه قال ابو البقاء وهو جواب لما الاولى والثانية كقولك لما جئتنى ولما كلمتك اجبتنى وحسن ذلك ان دخولهم على يوسف عليه الصلاة والسلام عقب دخولهم من الابواب ﴿قوله فسرقوا﴾ اى نسبوا الى السرقة وافتضحوا بذلك والحرازة الاحتراز والتوقى ﴿قوله اى ولكن حاجة﴾ اشارة الى ان حاجة منصوبة بالا لكونها بمعنى لكن وقضاها خبر لكن والمعنى ان رأى يعقوب عليه الصلاة والسلام فى حق بنيه وهو ان يدخلوا من الابواب المتفرقة واتباع بنيه له فى ذلك الرأى ما كان يدفع عنهم شيأ مماقضاه الله تعالى عليهم ولكن يعقوب اظهر بذلك الرأى مافى نفسه من الشفقة والاحتراز من ان يعانوا فاوصى به ﴿قوله لعله لم يقله بامر يوسف عليه الصلاة والسلام الخ﴾ جواب عما يقال كيف يليق بيوسف عليه الصلاة والسلام وهو الرسول الحق من عند الله ان يتهم اقواما وينسبهم الى السرقة كذبا وبهتانا * وتقرير الجواب بوجوه الاوّل ان المنادى فعله من عند نفسه بناء على ان يوسف عليه الصلاة والسلام وضع السقاية بنفسه فى رحل اخيه واخفى الامر عن الكل او امر بذلك بعض

والعير القافلة وهو اسم الابل التي عليها الاحمال لانها تعير اي تتردد فقيل لاصحابها كقوله صلى الله عليه وسلم يا خيل الله اركبي وقيل جمع عير واصلها فعل كسقف فعل به مافعل ببيض تجوّز به لقافلة الحمير ثم استعير لكل قافلة (قالوا وأقبلوا عليهم ماذا تفقدون) اي شيءٌ ضاع منكم والفقد غيبة الشيء عن الحس بحيث لا يعرف مكانه وقرئ تفقدون من افقدته اذا وجدته فقيدا (قالوا نفقد صواع الملك) وقرئ صاع وصوع بالفتح والضم والعين والغين وصواغ من الصياغة (ولمن جاء به حمل بعير) من الطعام جعلا له (وانا به زعيم) كفيل أؤدّيه الى من ردّه وفيه دليل على جواز الجعالة وضمان الجعل قبل تمام العمل (قالوا تالله) قسم فيه معنى التعجب والتاء بدل من الباء مختصة باسم الله (لقد علمتم ماجئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين) استشهدوا بعلمهم على برآءة انفسهم لما عرفوا منهم في كرّتي مجيئهم ومداخلتهم للملك مما يدل على فرط امانتهم كردّ البضاعة التي جعلت في رحالهم وكم الدواب لئلا تتناول زرعا او طعاما لاحد (قالوا فما جزآؤه) فما جزآء السارق او السرق او الصواع على حذف المضاف (ان كنتم كاذبين) في ادّعاء البرآءة (قالوا جزآؤه من وجد في رحله فهو جزآؤه) اي جزآء سرقته اخذ من وجد في رحله واسترقاقه هكذا كان شرع يعقوب عليه الصلاة والسلام وقوله فهو جزآؤه تقرير للحكم والزام له او خبر من والفاء لتضمنها معنى الشرط او جواب لها على انها شرطية والجملة كما هي خبر جزآؤه على اقامة الظاهر فيها مقام الضمير كانه قيل جزآؤه من وجد في رحله فهو هو (كذلك نجزي الظالمين) بالسرقة (فبدأ باوعيتهم) فبدأ المؤذن وقيل يوسف لانهم ردّوا الى مصر (قبل وعاء اخيه) بنيامين نفيا للتهمة (ثم استخرجها) اي السقاية او الصواع لانه يذكر ويؤنث (من وعاء اخيه) وقرئ بضم الواو وبقلبها همزة (كذلك) مثل ذلك الكيد (كدنا ليوسف) بان علمناه اياه واوحينا به اليه (ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك) ملك مصر لان دينه الضرب وتغريم ضعف ما اخذ دون الاسترقاق وهو بيان للكيد

خواصه وهو اخفى ذلك عن الكل ثم ان اصحاب يوسف عليه السلام لما طلبوا السقاية وما وجدوها وما كان هناك احد غير الذين ارتحلوا غلب على ظنهم انهم هم الذين اخذوها فنادى المنادي من بينهم على حسب ظنهم انكم لسارقون فحلفوا بقولهم تالله لقد علمتم ماجئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين قالوا فما جزآؤه ان كنتم كاذبين قالوا جزآؤه من وجد في رحله فهو جزآؤه قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كانوا في ذلك الزمان يستعبدون كل سارق بسرقته سنة وكان استعباد السارق في شرعهم جاريا مجرى وجوب القطع في شرعنا قال اصحاب يوسف عليه الصلاة والسلام فأنيخوا نفتش رحالكم فأناخوا واثقين ببرآءتهم ففتشوا رحل الاخ الاكبر ثم الذي يليه حتى بلغوا رحل بنيامين فوجدوا الصاع مدسوسا فيه فلما استخرجوه منه نكسوا رؤسهم وانقطعت السنتهم فاخذوا بنيامين مع ما معه من الصواع وردّوه الى يوسف عليه الصلاة والسلام من عند انفسهم وتقرير الثاني ان المراد انكم لسارقون يوسف من ابيه الا انهم لم يصرّحوا بهذا المعنى على ما هو الاصل وتقرير الثالث ان تعبية السقاية واخفاءها ثم النداء بنسبة السرقة اليهم كان برضى بنيامين فلم يتألم قلبه بسبب نسبة السرقة اليه فخرجت عن كونها ذنبا وذلك ان يوسف عليه الصلاة والسلام لما اظهر لاخيه انه اخوه يوسف قال فانا لا افارقك بعد هذا فقال يوسف عليه الصلاة والسلام قد علمت اغتمام الوالدين بانقطاعك عنهما بغير سبب يوجبه ولا يمكنني حبسك الا بعد ان اشهرك بامر فظيع قال لا ابالي فافعل مابدا لك قال فاني ادس صاعي هذا في رحلك ثم انادي عليك بالسرقة ليتهيأ لي ردّك بعد تسريحك معهم ففعل ذلك برضاه وتقرير الجواب الرابع ظاهر وهو ان المعنى انكم لسارقون على سبيل الاستفهام فلا يكون كذبا ﴿قوله لانها تعير اي تردّد﴾ يقال عار في الارض يعير اي ذهب والعارة الناقة التي تخرج على الابل اي تعرض على الفحل وعار الفرس اي انقلب وذهب ههنا وههنا من مرحه ونشاطه ويسمى الاسد عيارا لمجيئه وذهابه في طلب صيده والعير بالكسر جمع عير بالفتح واصلها عير بضم العين وسكون الياء فكسرت العين لئلا تنقلب الياء واوا كما فعل ذلك في بيض جمع ابيض اصله بيض نحو احمر وحمر ﴿قوله واقبلوا عليهم﴾ جملة حالية من فاعل قالوا اي قالوا في حال اقبالهم عليهم ﴿قوله وقرئ صاع﴾ قيل لا فرق بين الصاع والصواع بناء على قرآءة صاع الملك مكان صواع الملك وقيل الصواع اسم والسقاية وصف كقولهم كوز وسقاء فكوز اسم والسقاء وصف وجمع صواع صيعان كغراب وغربان وجمع صاع اصواع كباب وابواب * وكم الدواب هو سدّ افواهها بالكمام والكمام شيء يجعل في فم البعير يقال كممت البعير اذا سددت فمه في هياجه فهو مكموم ﴿قوله قسم فيه معنى التعجب﴾ اي يلازمه التعجب غالبا ومنه قوله تعالى تالله تفتأ تذكر يوسف والمعنى ما اعجب حالكم انتم تعلمون علما جاليا لاريب فيه لما شاهدتم من احوالنا انا بريئون مما تنسبونه الينا فكيف تقولون لنا انكم لسارقون ﴿قوله فهو جزآؤه﴾ تقرير للحكم والزام له حكموا اوّلا بان جزاء سرقة الصواع اخذ من وجد في رحله واسترقاقه ثم قرّروا ذلك الحكم والزموه بقولهم فهو جزآؤه اي فاخذ السارق نفسه هو جزآء سرقته كقولك حق زيد ان يكسى ويطعم عليه ثم تقول فذلك حقه تقرر به ما ذكرته من استحقاقه لذلك وتلزمه به ﴿قوله او خبر من﴾ اي ويحتمل ان يكون جزآؤه مبتدأ ومن موصولة مرفوعة المحل على انها مبتدأ ثان او شرطية وقوله وجد في رحله فعل الشرط وقوله فهو جزآؤه جواب الشرط ومن مع ما في حيزها على التقديرين خبر المبتدأ الاوّل وهو جزآؤه ﴿قوله على اقامة الظاهر فيها مقام الضمير﴾ جواب عما يقال كيف يكون قوله تعالى من وجد في رحله فهو جزآؤه خبرا لمبتدأ الاوّل ولا عائد فيه يعود على الاوّل * وتقرير الجواب انه لو قال من وجد في رحله فهو هو لتحققت الرابطة لكنه اقام الظاهر الثاني مقام ذلك الضمير فحصل الربط بذلك كما تقول لصاحبك من اخو زيد فيقول لك اخوه من يقعد الى جنبه فهو هو يرجع الضمير الاوّل الى من والثاني الى الاخ ثم تقول فهو اخوه بمظهر يقوم مقام المضمر ثم ان اخوة يوسف لما افتوا بان جزآء السارق الاسترقاق قال المؤذن او يوسف لابدّ من تفتيش اوعيتكم فبدأ بتفتيش اوعيتهم قبل وعاء بنيامين لنفي التهمة ثم استخرجها من وعاء بنيامين فحبسه عنده بمقتضى فتواهم ﴿قوله بان علمناه اياه واوحينا به اليه﴾ فسر الكيد المسند اليه تعالى بالتعليم والايحاء لان حقيقة الكيد مستحيل في حقه تعالى وذلك لان الكيد عبارة عن المكر والخديعة وهو ان توهم غيرك خلاف ما تخفيه فهو في حق الله تعالى محمول على التمثيل فان صورة صنع الله تعالى في تعليم يوسف عليه الصلاة والسلام ان لا يحكم على اخوته حكم الملك وهو ان يضرب السارق ويغرمه مثلي

مااخذه بل يحكم عليهم على سنن مذهبهم وهوان يستعبد السارق سنة صورة صنع من يوهم الغير خلاف مايخفيه لان مقصود يوسف عليه الصلاة والسلام ايوآء اخيه اليه وكان لايتم ذلك الابهذه الحيلة ولما كان قوله تعالى ما كان ليأخذ اخاه فى دين الملك هو عين الكيد قال المصنف هو بيان للكيد ﴿قوله فالاستثناء من اعم الاحوال﴾ اى ما كان ليأخذه فى كل حال الافى حال كونه ملتبسا بمشيئة الله تعالى واذنه للملك ان يجعل ذلك الحكم حكم نفسه ويجوز ان يكون الاان يشاء الله كلمة تأبيد كانه قيل ما كان ليأخذ اخاه فى دين الملك ابدا لانه جل من اتصف بمنصب النبوّة عن ان يحكم بدين الكفار نحو قوله تعالى وما كان لنا ان نعود فيها الاان يشاء الله لان عودهم فى ملتهم ماان يشاؤه الله ابداً وقرأ الكوفيون درجات بالتنوين والباقون بغير تنوين وقرأ يعقوب بالياء التحتانية فى نرفع ونشاء والفاعل هو الله تعالى فان قرئ درجات من نشاء بالاضافة يكون درجات مفعول نرفع وان قرئ منوّنا غير مضاف يكون من نشاء مفعول نرفع ويكون درجات منصوبا على الظرفية او بنزع الخافض اى الى درجات والجملة استئناف تقرّر مضمون قوله تعالى كذلك كدنا ليوسف وقوله تعالى وفوق كل ذى علم عليم تذييل لماقبله فان التذييل ان يعقب الكلام بما يشتمل على معناه تأكيدا له وهو من هذا القبيل فانه تعالى بين اوّلا ان اخوة يوسف عليه الصلاة والسلام وان كانوا علماء فضلاء الاانه تعالى فضل يوسف عليه الصلاة والسلام عليهم فى العلم ثم قرّر ذلك بقوله نرفع درجات من نشاء بسبب العلم كما رفعنا درجات يوسف واكد ذلك بانه المنفرد بالعلم الكامل وان علوم جميع الخلائق مستفادة منه فائضة عليهم بتعليمه اياهم فيكون فوق كل ذى علم من خلقه ﴿قوله واحتج به من زعم انه تعالى عالم بذاته﴾ لابعلم زائد يقوم به وهم المعتزلة الذين يقولون انه تعالى عالم وليس بذى علم لانه لوكان ذاعلم لكان فوقه عليم لعموم هذه الآية وهو باطل * واجاب عنه المصنف بتخصيص عموم قوله تعالى كل ذى علم من الخلق لان الكلام فيهم لماذكرنا فى بيان كون قوله تعالى وفوق كل ذى علم عليم تذييلا لما قبله وكيف لايخص هذا العام وقددل سائر الآيات على انه تعالى ذوعلم منها قوله تعالى ان الله عنده علم الساعة وقوله تعالى انزله بعلمه وقوله تعالى لايحيطون بشئ من علمه وقوله تعالى ولاتضع الابعلمه ولماوقع التعارض بين هذه النصوص وبين ماتمسك به الخصم وجب تخصيصه بذى علم من الخلائق اعتمادا على قيام قرينة التخصيص توفيقا بين النصوص ومما دل على ارادة الخصوص ان العليم لكونه صفة مشبهة مبنية من علم بعد نقله الى فعل بضم العين حتى يكون فعلا لازما من الافعال الغريزية يدل على المبالغة فى اتصاف الذات بماقام به من حيث كونه امرا مستمرّا دآئم الثبوت كما هو شان الافعال الغريزية وكان العليم بمعنى من له العلم البالغ وهو الله عزوجل فاذا كان المفضل بالعلم هو الله تعالى لكون المفضل عليه هو العلماء من الخلائق فيكون المراد بقوله كل ذى علم من له علم من الخلق ﴿قوله ولانه لافرق بينه وبين قولنا فوق كل العلماء عليم﴾ دليل ثالث على ارادة الخصوص * وتقريره ان قوله تعالى فوق كل ذى علم وان كان بمعنى كل واحد على ان تكون كل استغراقية ومن المعلوم انه تعالى لايدخل فى كل العلماء والا لما كان فوقه لان من كان فوقه يكون خارجا عنه لامحالة * ثم ان الصواع لما خرج فى رجل بنيامين افتضح الاخوة ونكسوا رؤسهم فقالوا تبرئة لساحتهم ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل يعنون ان هذه الواقعة ليست ببعيدة منه فان اخاه الذى هلك كان ايضا سارقا ونحن ايضا لسنا على طريقتهما وسيرتهما لانهما من ام اخرى ثم قالوا ياابنى راحيل ماا كثر البلاء علينا من قبلكما فقال بنيامين ماا كثر البلاء علينا منكم ذهبتم باخى وضيعتموه فى المفازة ثم تقولون فى حق هذا قالوا له فكيف خرج الصواع من رحلك قال وضعه فى رحلى من وضع البضاعة فى رحلكم واختلفوا فى السرقة التى نسبوها الى يوسف عليه الصلاة والسلام على اقوال الاوّل انه كانت لابراهيم عليه الصلاة والسلام منطقة يتوارثها اكابر ولده ويتبركون بهافورثها اسحق ثم دفعت الى ابنته عمة يوسف وكانت اكبر اولاده وكانت تحب يوسف حبا شديدا بحيث لاتصبر عنه وكانت حضنته بعد وفاة امه فلما شب يوسف اراد يعقوب ان ينتزعه منها فاحتالت بان شدّت المنطقة على يوسف تحت ثيابه وقالت فقدت منطقة اسحق فانظروا من اخذها ففتشوا عنها فوجدوها مشدودة على يوسف فقالت انه سرقها منى فكان سلمالى وكان حكمهم ان من سرق يسترق فتوسلت بهذه الحيلة الى امساكه عند نفسها فتركه يعقوب عندها الى ان ماتت والقول الثانى ماروى عن سعيد بن جبير رضى الله تعالى عنه انه كان جده ابوامّه كافرا يعبد الوثن فامرته امّه بان يسرق ذلك الوثن ليترك عبادة الاوثان والعناق الانثى من ولد المعز ﴿قوله وقيل انها كناية بشريطة التفسير﴾ يعنى ضمير اسرّها مبهم

(الاان يشاء الله) ان يجعل ذلك الحكم حكم الملك فالاستثناء من اعم الاحوال ويجوز ان يكون منقطعا اى لكن اخذه بمشيئة الله واذنه (نرفع درجات من نشاء) بالعلم كما رفعنا درجته (وفوق كل ذى علم عليم) ارفع درجة منه واحتج به من زعم انه تعالى عالم بذاته اذلو كان ذاعلم لكان فوقه من هو اعلم منه والجواب ان المراد كل ذى علم من الخلق لان الكلام فيهم ولان العليم هو الله تعالى ومعناه الذى له العلم البالغ ولانه لافرق بينه وبين قولنا فوق كل العلماء عليم وهو مخصوص (قالوا ان يسرق) بنيامين (فقد سرق اخ له من قبل) يعنون يوسف قيل ورثت عمته من ابيها منطقة ابراهيم عليه السلام وكانت تحضن يوسف وتحبه فلما شب اراد يعقوب انتزاعه منهـا فشدّت المنطقة على وسطه ثم اظهرت ضياعها فتفحص عنها فوجدها محزومة عليه فصارت احق به فى حكمهم وقيل كان لاب امّه صنم فسرقه وكسره والقاه فى الجيف وقيل كان فى البيت عناق او دجاجة فاعطى السائل وقيل دخل كنيسة واخذ تمثالا صغيرا من الذهب (فاسرّها يوسف فى نفسه ولم يبدها لهم) اكنها ولم يظهرها لهم والضمير للاجابة او المقالة او نسبة السرقة اليه وقيل انها كناية بشريطة التفسير يفسرها قوله (قال انتم شر مكانا) فانه بدل من اسرّها والمعنى قال فى نفسه انتم شرّ مكانا اى منزلة فى السرقة لسرقتكم اخاكم او فى سوء الصنيع مما كنتم عليه وتأنيثها باعتبار الكلمة او الجملة وفيه نظر اذ المفسر بالجملة لايكون الاضمير الشان (والله اعلم بما تصفون) وهو يعلم ان الامر ليس كما تصفون

(يفسر)

(قالوا يا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا) في السن اوالقدر ذكروا له حاله استعطافا له عليه (فخذ احدنا مكانه) بدله فان اباه ثكلان على اخيه الهالك

مستأنس به (انا نراك من المحسنين) الينا فاتمم احسانك او من المتعوّدين الاحسان فلا تغير عادتك (قال معاذ الله ان نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده) فان اخذ غيره ظلم على فتواكم فلو اخذنا احدكم مكانه (انا اذا لظالمون) في مذهبكم هذا أوأن مراده ان الله اذن ان آخذ من وجدنا الصاع في رحله لمصلحته ورضاه عليه فلو اخذت غيره كنت ظالما (فلما استيأسوا منه) يئسوا من يوسف واجابته اياهم وزيادة السين والتاء للمبالغة وعن البزي استايس بالالف وفتح الياء من غير همز واذا وقف حمزة القى حركة الهمزة على الياء على اصله (خلصوا) انفردوا واعتزلوا (نجيا) متناجين وانما وحده لانه مصدر او بزنته كما قيل هم صديق وجمعه انجية كندىّ واندية (قال كبيرهم) في السن وهو روبيل او في الرأى وهو شمعون وقيل يهودا (الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله) عهدا وثيقا وانما جعل حلفهم بالله موثقا منه لانه باذن منه وتأكيد من وجهته (ومن قبل) ومن قبل هذا (ما فرطتم في يوسف) قصرتم في شأنه وما مزيدة ويجوز ان تكون مصدرية في موضع النصب بالعطف على مفعول تعلموا ولا بأس بالفصل بين العاطف والمعطوف بالظرف او على اسم ان وخبره في يوسف او من قبل او الرفع بالابتداء والخبر من قبل وفيه نظر لان قبل اذا كان خبرا او صلة لا يقطع عن الاضافة حتى لا ينقص وان تكون موصولة اى ما فرطتموه بمعنى ما قدمتموه في حقه من الخيانة ومحله ما تقدم (فلن ابرح الارض) فلن افارق ارض مصر (حتى يأذن لى ابى) في الرجوع (او يحكم الله لى) او يقضى الله لى بالخروج منها او بخلاص اخى منهم او بالمقاتلة معهم لتخليصه روى انهم كلموا العزيز في اطلاقه فقال روبيل ايها الملك والله لتتركنا او لأصيحن صيحة تضع منها الحوامل ووقفت شعور جسده فخرجت من ثيابه فقال يوسف عليه السلام لابنه قم الى جنبه فمسه وكان بنو يعقوب عليه السلام اذا غضب احدهم فمسه الآخر ذهب غضبه فقال روبيل من هذا ان في هذا البلد لبذرا من بذر يعقوب (وهو خير الحاكمين) لان حكمه لا يكون الا بالحق (ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق) على ما شاهدناه من ظاهر الامر وقرئ سُرّق اى نسب الى السرقة

بضميره قوله تعالى انتم شرّ مكانا * فان قيل لو كان بدلا من اسرّها لكان معمول القول وهو انتم شرّ مكانا مفسراً لضمير اسرّها فان الاضمار على شريطة التفسير على ضربين احدهما ان يفسر بمفرد نحو نعم رجلا زيد ففي نعم ضمير هو الفاعل ورجلا تفسيره ومثله ربه رجلا وثانيهما ان يفسر بجملة نحو قل هو الله احد اى الامر الله احد وانث الضمير المفسر بقوله انتم شرّ مكانا لما ذكر وانما قال في نفسه لان هذه الجملة لما وقعت تفسيراً لضمير اسرّها وجب ان يقولها يوسف في نفسه ﴿قوله او من المتعوّدين الاحسان﴾ الجملة على التقديرين استئنافية لبيان الموجب لان المعنى على الاوّل فخذ احدنا مكانه اما على طريق الاستعباد او على طريق الرهن الى ان يوصل اليك الفداء كما كنت تحسن الينا فيما سلف فيكون هذا الاحسان من تتمته والمعنى على الثانى اثبات احسانه على العموم في كل الناس ﴿قوله هذا﴾ اى فخذ هذا فانه هو المعنى المستفاد من الظاهر الان المراد انا اذا لظالمون بالعمل على خلاف ما اذن الله فيه ﴿قوله وزيادة السين والتاء للمبالغة﴾ فان السين للطلب فتدل على انهم كانوا في يأس وهو انتفاء الطمع فطلبوا من انفسهم الزيادة على ما هم فيه وبناء استفعل هنا بمعنى المجرّد الا انه ابلغ منه ﴿قوله وانما وحده﴾ مع ان ذا الحال جمع لانه مصدر بمعنى التناجى كالصهيل والنهيق الاوّل صوت الفرس والثانى صوت الحمار يقال صهل الفرس يصهل بالكسر صهيلا او صفة بمعنى المناجى كالعشير بمعنى المعاشر على ان وزن فعيل بمثل صديق فيوحد لكونه على زنة المصدر فعومل معاملة المصدر وعلى تقدير كونه مصدرا يكون المعنى انهم انفردوا عن الناس فصاروا بحيث لا يخالطهم سواهم كأنهم تناجيا محضا لاستجماعهم لذلك واستفاضتهم فيه بجد واهتمام كأنهم في انفسهم صورة التناجى وحقيقته وكان تناجيهم في تدبير امرهم بأى صفة يذهبون وماذا يقولون لابيهم في شأن اخيهم ﴿قوله وما مزيدة﴾ ذكر في كلمة ما ثلاثة اوجه الاوّل ان تكون مزيدة فيتعلق الظرف الذى قبلها بالفعل الذى بعدها والتقدير ومن قبل هذا فرّطتم اى قصرتم في حق يوسف عليه الصلاة والسلام وشأنه وزيادة ما كثيرة والثانى ان تكون ما مصدرية فيكون ما فرّطتم في تأويل المصدر المنصوب او المرفوع محلا ووجه النصب العطف على مفعول تعلموا وهو ان اباكم قد اخذ اى الم تعلموا اخذ ابيكم الميثاق وتفريطكم في يوسف من قبل غاية ما في الباب ان قوله من قبل وقع فاصلا بين المعطوف والمعطوف عليه ولا بأس به وان قال بعضهم انه لا يجوز الا في ضرورة الشعر والوجه الثانى للنصب كونه معطوفا على اسم ان اى ألم تعلموا ان اباكم قد اخذ وان تفريطكم في حق يوسف عليه الصلاة والسلام واقع من قبل او ان تفريطكم من قبل هذا واقع في حق يوسف عليه الصلاة والسلام ووجه الثانى كون المصدر المأوّل مبتدأ ومن قبل خبره قدّم عليه اى وتفريطكم في شأن يوسف عليه الصلاة والسلام واقع من قبل واورد عليه ان الظروف التى هى غايات اذا بنيت لكونها مقطوعة عن الاضافة لا تقع اخبارا للمبتدأ وكذا لا تقع صفة ولا صلة ولا حالا لانها بذلك تبقى ناقصة فلا تفيد خبرا ولا شيأ من ذلك فانك تقول يوم السبت مبارك والسفر بعده ولا تقول والسفر بعد وتقول زيد عمرو خلفه ولا تقول زيد عمرو خلف والوجه الثالث في كلمة ما ان تكون موصولة اسمية بمعنى الذى فيكون التفريط على هذا الوجه بمعنى التقديم لا بمعنى التقصير ويكون محلها ما تقدّم على تقدير كونها مصدرية وهو الرفع على الابتداء وخبرها من قبل والتقدير والذى قدّمتموه في حق يوسف عليه الصلاة والسلام واقع قبل هذا والنصب معطوف على مفعول الم تعلموا والتقدير الم تعلموا اخذ ابيكم الميثاق والذى قدّمتموه في حق يوسف من قبل ثم انهم لما تناجوا وتفكروا قال كبيرهم ان ابانا قد اخذ علينا موثقا من الله وايضا نحن متهمون بواقعة يوسف فليس لنا مخلص من هذه الورطة فانا لا افارق ارض مصر الان او يأذن لى ابى في الانصراف اليه او يحكم الله لى واما انتم فارجعوا الى ابيكم واذكروا له كيفية الواقعة كما وقعت من غير تفاوت كما قال ارجعوا الى ابيكم الآية ﴿قوله سرق على ما شاهدناه من ظاهر الامر﴾ جواب عما يقال كيف حكموا عليه انه سرق بمجرّد ظهور الصواع في رحله مع قيام احتمال ان يضعه فيه غيره حكمة مع ان بنيامين قال لهم كيف تنسبوننى الى السرقة بمجرّد وجدان الصاع في رحلى فان كان هذا القدر مصححا لنسبة السرقة الى احد يلزم ان تكونوا سارقين لوجود البضاعة في رحالكم * وتقرير الجواب انهم انما قالوا ذلك بناء على انهم شاهدوا ما يدل على كونه سارقا بحسب الظاهر فانهم شاهدوا ان اصحاب الملك اخرجوا الصواع من رحله بعد ما ادّعوا السرقة عليهم وفتشوا رحالهم وحكموا بذلك على انه سارق واخذوه بحكم السرقة فبهذا السبب غلب على ظنهم انه سرق فشهدوا عليه بانه سرق بناء على الظن ثم بينوا انهم غير قاطعين بهذا الامر حيث قالوا وما شهدنا

الابماعلمنا اى بمارأينامن انهم اخرجوا الصاع من رحله و حكموا بذلك على انه سارق و اماحقيقة الحال فغير معلومة لنا فان الغيب لايعلمه الاالله تعالى فالمراد بالغيب على هذا باطن الحال وقيل المراد به عواقب الامور فالمعنى ما كنا نعلم ان ابنك سرق اى انك ستصاب به كما اصبت بيوسف ولو علمنا ذلك لماذهبنا به اليه اى الى الملك و لما اعطيناك موثقا من الله تعالى فى ردّه اليك ثم انهم لما كانوا متهمين بسبب واقعة يوسف عليه الصلاة و السلام امر كبيرهم بان يبالغوا فى ازالة التهمة عن انفسهم ويقولوا واسأل القرية التى كنا فيها اى وقولوا اسأل القرية ليتبين لك صدقنا وقال المفسرون المراد باصحاب العيرقوم من الكنعانيين صحبوهم متوجهين الى كنعان فقالوا لابيهم واسألهم ايضا عن هذه الواقعة يظهر لك صحة ماقلنا ﴿ قوله تأكيد فى محل القسم ﴾ اى ليس المقصود بقولهم وانا الصادقون اثبات صدق انفسهم بذلك لانه اثبات الشئ بنفسه قبل مقصودهم به تأكيد مايدل عليه قولهم اسأل القرية واسأل العير فان الانسان اذا قدّم ذكر الدليل القاطع على صحة دعواه يقول بعد ذلك وانا صادق فيما ادّعيته يعنى بذلك ان يقول تأمل فيماذكرته من الدليل ليزول عنك الشبهة فيما ادّعيته ﴿ قوله وقالوا له ماقال لهم اخوهم ﴾ اى الكبير اشارة الى ان قوله تعالى ارجعوا الى ابيكم الى قوله وانا الصادقون من كلام كبيرهم ثم ان يعقوب عليه الصلاة والسلام لما سمع من ابنائه ذلك الكلام لم يصدقهم فيماذكروه فى حق بنيامين كما انه لم يصدقهم فيما ذكروه فى واقعة يوسف عليه الصلاة والسلام فقال بل سوّلت لكم انفسكم امرا فصبر جميل فى هذه الواقعة كما قاله بعينه فى واقعة يوسف عليه الصلاة والسلام الا ان المصنف فسر الامر الذى سوّلته لهم انفسهم هناك بالامر العظيم الذى لايقبل الوصف وهو ان يهلكوا يوسف و يعتذروا لابيهم بالباطل و فسره ههنا بان افتوا الملك ان جزاء السارق ان يؤخذ والا فما ادرى الملك ان السارق يؤخذ بسرقته لان ذلك انما هو من دين يعقوب عليه الصلاة والسلام لا من دين الملك ولولا فتواكم و تعليمكم لما حكم الملك بذلك والفرق بين الواقعتين انهم فى واقعة يوسف عليه الصلاة والسلام استصحبوه فى الخروج الى البادية ولم يرجعوا به فناسب ان يفسر الامر فيها بذلك واما فى واقعة بنيامين فانهم لم يتعمدوا فى حقه سوأ ولم يخبروا اباهم الا بالواقع على جليته فلم يصح ان يسند احتباس بنيامين عند الملك اليهم الا من حيث انه كان ذلك على وفق ارادتهم فانهم لما كانوا متهمين عند يعقوب عليه الصلاة والسلام بسبب واقعة يوسف عليه الصلاة والسلام اتهمهم ايضا فى واقعة بنيامين بان قال لهم ان الملك انما فعل بفتواكم له به لغرض لكم وظن انهم افتوه بذلك بعد ظهور السرقة ارادة ان يخلفوه عند الملك و يرجعوا الى ابيهم دونه لان اخذ السارق لم يكن من دين الملك ولكن كان من دين يعقوب عليه الصلاة والسلام كما قال تعالى ما كان ليأخذ اخاه فى دين الملك تنبيها من الله تعالى على وجه اتهام يعقوب لهم وكان الواقع انهم استفتوا قبل ان يظهر الصواع فيهم فذكروا ماعندهم من الجواب حيث قيل لهم فما جزاؤه ان كنتم كاذبين فقالوا جزاؤه من وجد فى رحله فهو جزآؤه فافتوا ولم يشعروا ان المراد الزامهم بما قالوا ﴿ قوله واخيهما الذى توقف بمصر ﴾ وهو الذى قال فلن ابرح الارض اى لن اخرج من مصر حتى يبعث الىّ ابى ان آتيه او يقضى الله تعالى فى امرى شيأ فانهم حين ذهبوا الى البادية اوّل مرة كانوا اثنى عشر فضاع يوسف وبقى احد عشر ولما ارسلهم الى مصر عادوا تسعة لان بنيامين حبسه يوسف واحتبس ذلك الكبير الذى قال فلن ابرح الارض حتى يأذن لى ابى او يحكم الله لى فلما بلغ الغائبون ثلاثة لاجرم قال عسى الله ان يأتينى بهم جميعا ﴿ قوله عليه الصلاة والسلام يااسفا على يوسف ﴾ الالف فيه منقلبة عن ياء المتكلم والاصل يااسفى فتحت الفاء وصيرت الياء الفا طلبا للتخفيف لان الفتحة والالف اخف من الكسرة والياء وليحصل امتداد الصوت الذى هو المقصود فى الندامة ونداء مثل الاسف والحسرة مجاز والمقصود انشاء التأسف والتحزن لتحقق مايوجبهما وقوة مايدعو اليهما من الاسباب والعلل كانه يقول هذا اوانك ايها الاسف فاحضر ﴿ قوله وفى الحديث الخ ﴾ اشارة الى جواب مايقال اليس ان الاولى عند نزول المصيبة الشديدة ان يقال انا لله وانا اليه راجعون حتى يستوجب الثواب العظيم المذكور فى قوله تعالى اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون فلم لم يسترجع يعقوب عليه الصلاة والسلام بل قال يااسفا وتقرير الجواب ظاهر ﴿ قوله لكثرة بكائه ﴾ اشارة الى ان قوله تعالى وابيضت عيناه من الحزن كناية عن غلبة البكاء فان من غلب عليه البكاء يكثر الماء فى عينه فتصير العين كانها ابيضت من بياض ذلك الماء قيل ماجفت عينا يعقوب عليه الصلاة والسلام من وقت فراق يوسف عليه الصلاة والسلام الى وقت لقائه

(وماشهدنا) عليه (الابماعلمنا) بان رأينا ان الصواع استخرج من وعائه (وما كنا للغيب) لباطن الحال (حافظين) فلاندرى انه سرق او سرق ودس الصاع فى رحله او وما كنا للعواقب عالمين فلم ندر حين اعطيناك الموثق انه سيسرق او انك تصاب به كما اصبت بيوسف (واسأل القرية التى كنا فيها) يعنون مصر او قرية بقربها لحقهم المنادى فيها والمعنى ارسل الى اهلها واسألهم عن القصة (والعير التى اقبلنا فيها) واصحاب العير التى توجهنا فيهم وكنا معهم (وانا لصادقون) تأكيد فى محل القسم (قال بل سوّلت) اى فلما رجعوا الى ابيهم وقالوا له ماقال لهم اخوهم قال بل سوّلت اى زينت وسهلت (لكم انفسكم امرا) اردتموه فقررتموه والا فما ادرى الملك ان السارق يؤخذ بسرقته (فصبر جميل) اى فامرى صبر جميل او فصبر جميل اجمل (عسى الله ان يأتينى بهم جميعا) بيوسف وبنيامين واخيهما الذى توقف بمصر (انه هو العليم) بحالى وحالهم (الحكيم) فى تدبيره (فتولى عنهم) فاعرض عنهم كراهة لما صادف منهم (وقال يااسفا على يوسف) اى يااسفى تعال فهذا اوانك والاسف اشدّ الحزن والحسرة والالف بدل من ياء المتكلم وانما تأسف على يوسف دون اخويه والحادث رزؤهما لان رزأه كان قاعدة المصيبات وكان غضا آخذا بمجامع قلبه ولانه كان واثقا بحياتهما دون حياته وفى الحديث لم تعط امة من الامم انا لله وانا اليه راجعون عند المصيبة الا امة محمد صلى الله عليه وسلم الاترى الى يعقوب عليه الصلاة والسلام حين اصابه مااصاب لم يسترجع وقال يااسفا (وابيضت عيناه من الحزن) لكثرة بكائه من الحزن كان العبرة محقت سوادها وقيل ضعف بصره وقيل عمى

(وكان)

وكان بينهما ثمانون عاما وقيل ضعفت عيناه اى ضعف بصره وقيل عمى ويؤيد القول الاول قوله تعالى مما خطاياهم اغرقوا اذ الحزن لايكون علة لضعف البصر فضلا عن العمى وانما يكون علة لكثرة البكاء فلو حملنا الابيضاض على غلبة البكاء كان هذا التعليل حسنا بخلاف مالو حملناه على ضعف البصر او العمى فكان القول الاول اولى ﴿ قوله وقرئ من الحزن ﴾ بفتحتين وقرأ العامة بضم الحاء وسكون الزاى وهما لغتان كالعدم والعدم ﴿ قوله فان القسم اذا لم يكن معه علامة الاثبات كان على النفي ﴾ وتفتأ ههنا جواب القسم فى قوله تالله وتقديره لاتفتأ ويدل عليه اى على حذف حرف النفي فيه انه لو كان مثبتا لكان بلام الابتداء ونون التأكيد معا عند البصريين نحو والله ليفعلن او باحدهما عند الكوفيين فلو قيل والله احبك كان المراد لا احبك وهو من قبيل التورية فان كثيرا من الناس يتبادر ذهنهم منه الى اثبات المحبة وليس كذلك فظهر ان المعنى لاتفتأ ونظيره فى كون حرف النفي مضمرا قول امرئ القيس * فقلت لها تالله ابرح قاعدا * والمعنى لا ابرح وتمامه * ولو قطعوا رأسي لديك واوصالي * الاوصال جمع وصل بكسر الواو وهو المفصل قيل ان امرأ القيس سرى الى ليلى ابنة قيصر فقالت له تريد ان تفضحني ألست ترى رب السماء والرقباء راقدين حولى فقال مجيبا لها لا ابرح حتى آتيك واقضى منك حاجتى ولو قطعت اربا اربا ولاتفتأ من الافعال الناقصة بمعنى لاتزال فترفع الاسم وهو الضمير المستتر فيها وتنصب الخبر وهو الجملة من قوله تذكر اى لاتزال ذاكرا ورسمت هذه اللفظة تفتؤ بالواو والقياس تفتأ بالالف ولذلك وقف حمزة بالوجهين اعتبارا بالخط الكريم او القياس ﴿ قوله وهو فى الاصل مصدر ﴾ ومعناه الاشفاء على الموت لاختلال الجسم والعقل وفسادهما لاجل الحزن او الحب يقال منه حرض الرجل يحرض حرضا بفتح الراء فهو حرض بالكسر للراء يوصف به العين واحدا كان او كثيرا مذكرا كان او مؤنثا يقال هو حرض وهما حرض وهم حرض وهى وهما وهن حرض وقد ورد فى الآية بمعنى النعت على الوجه المذكور فى نحو رجل عدل وهو ان يكون المراد انه ذو حرض لحذف المضاف او يكون المراد انه لما تناهى فى الفساد والضعف صار كانه عين الحرض ونفس الفساد قال الراغب الحرض مالا يعبأ به ولا خير فيه ولذلك يقال لمن اشفى على الهلاك انه حرض ومنه قوله تعالى حتى تكون حرضا * قال الامام الاظهر ان الذين كانوا فى الدار من اولاد اولاده وخدمه وارادوا بهذا القول منعه من كثرة البكاء كانهم قالوا انت الآن فى بلاء شديد ونخاف ان يحصل ماهو ازيد منه واقوى وحلفوا على ذلك بل انهم مع ذلك يعلمون ذلك قطعا بناء على الظاهر فان تحمل المشاق والاستمرار عليه يؤدى الى فساد البنية واختلال العقل مع القوى ثم حكى الله تعالى عن يعقوب عليه الصلاة والسلام انه قال انما اشكو بثى وحزنى الى الله يعنى ان هذا الذى اذكره لا اذكره معكم وانما اذكره فى حضرة الله تعالى وبث الشكوى اليه تعالى والالتجاء اليه هو محض العبودية ﴿ قوله همى الذى لااقدر الصبر عليه ﴾ يريد ان البث اشد الهم كانه لقوته لايطاق تحمله فيبثه الانسان اى يفرقه فالبث هو الهم المبثوث لعدم القدرة على كظمه فان الانسان ما امكنه ان يمسك لسانه عن ذكر ما به من الحزن لم يكن ذلك الحزن مستوليا عليه واما اذا عظم وعجز الانسان عن ضبطه وانطلق اللسان بذكر ما به كان ذلك بثا والظاهر انه مصدر بمعنى المفعول ويحتمل ان يكون بمعنى الفاعل اى الذى فرق بين جمعى وحضورى وبث فكرى والحزن اعم من البث فاذا عطف على الخاص يراد الافراد الباقية فيكون المعنى لا اذكر الحزن العظيم ولا الحزن القليل الا مع الله تعالى ﴿ قوله من صنعه ورحمته ﴾ على ان من تبعيضية وعلى الثانى ابتدائية ﴿ قوله رأى ملك الموت فى المنام فسأله ﴾ اى هل قبضت روح ابنى يوسف الخ بيان لسبب قوله واعلم من الله مالا تعلمون ثم ان يعقوب عليه الصلاة والسلام لما طمع فى وجدان يوسف عليه الصلاة والسلام بما ذكر من الامارات قال لبنيه على سبيل اللطف يابنى اذهبوا فتحسسوا من يوسف * فان قلت كيف خاطبهم بهذا اللطف وقد تولى عنهم * فالجواب ان التولى عنهم ملتجئا الى الله تعالى والشكاية اليه والاعراض عن الشكاية الى احد منهم او غيرهم لاينافى الملاطفة والمكالمة معهم فى امر آخر ﴿ قوله فتحسسوا ﴾ اى تعرفوا واستقصوا خبره بحواسكم فان التحسس طلب الشئ بالحاسة وقوله من حالهما اشارة الى ان من للتبعيض اى تحسسوا خبرا من اخبار يوسف وتعرفوا بعض اخباره والجمهور على فتح الراء من روح الله * عن الاصمعى ان الروح مايجده الانسان من نسيم الهواء فيسكن اليه وتركيب الراء والواو والحاء يفيد الحركة والاهتزاز فان كل مايهز الانسان ويلتذ بوجوده فهو روح والمراد به ههنا رحمة الله تعالى وتنفيسه ومن قرأه بضم الراء جعله مستعارا لرحمة الله

وقرئ من الحزن وفيه دليل على جواز التأسف والبكاء عند التفجع ولعل امثال ذلك لاتدخل تحت التكليف فانه قل من يملك نفسه عند الشدائد ولقد بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ولده ابراهيم وقال القلب يجزع والعين تدمع ولانقول مايسخط الرب وانا عليك يا ابراهيم لمحزونون (فهو كظيم) مملوء من الغيظ على اولاده ممسك له فى قلبه لايظهره فعيل بمعنى مفعول كقوله وهو مكظوم من كظم السقاء اذا شده على ملئه او بمعنى فاعل كقوله والكاظمين من كظم الغيظ اذا اجترعه واصله كظم البعير جرته اذا ارددها فى جوفه (قالوا تالله تفتؤ تذكر يوسف) اى لاتفتأ ولا تزال تذكره تفجعا عليه فحذف لا كما فى قوله * فقلت يمين الله ابرح قاعدا * لانه لا يلتبس بالاثبات فان القسم اذا لم يكن معه علامة الاثبات كان على النفي (حتى تكون حرضا) مريضا مشفيا على الهلاك وقيل الحرض الذى أذابه هم او مرض وهو فى الاصل مصدر ولذلك لا يؤنث ولا يجمع والنعت بالكسر كدنف ودنف وقد قرئ به وبضمتين كجنب (او تكون من الهالكين) من الميتين (قال انما اشكو بثى وحزنى) همى الذى لا اقدر الصبر عليه من البث بمعنى النشر (الى الله) لا الى احد منكم ومن غيركم فخلونى وشكايتى (واعلم من الله) من صنعه ورحمته فانه لايخيب داعيه ولا يدع الملتجئ اليه او من الله بنوع من الالهام (مالا تعلمون) من حياة يوسف قيل رأى ملك الموت فى المنام فسأله عنه فقال هو حى وقيل علم من رؤيا يوسف انه لايموت حتى يخر له اخوته سجدا (يابنى اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه) فتعرفوا منهما وتفحصوا من حالهما والتحسس طلب الاحساس (ولا تيأسوا من روح الله) لاتقنطوا من فرجه وتنفيسه وقرئ من روح الله اى من رحمته التى يحيى بها العباد (انه لايأس من روح الله الا القوم الكافرون) بالله وصفاته فان العارف المؤمن لايقنط من رحمته فى شئ من الاحوال

تعالى تشبيها لها بالروح التى يحيى بها العباد ﴿قوله بعدما رجعوا الى مصر رجعة ثانية﴾ اشارة الى ان فى الكلام محذوفا والتقدير ان يعقوب لماقال لبنيه اذهبوا فتحسسوا قبلوا من ابيهم هذه الوصية فعادوا الى مصر ودخلوا على يوسف عليه الصلاة والسلام فقالوا يا ايها العزيز الآية *فان قيل اذا كان يعقوب امرهم ان يتحسسوا امر يوسف واخيه فلم عدلوا الى الشكوى وطلبوا ايفاء الكيل *اجيب بان المتحسس يتوصل الى مطلوبه بجميع الطرق والاعتراف بالعجز وضيق اليد ورقة الحال وشدة الحاجة مما يرق القلب فقالوا نختبره بذكر هذه الامور فان رق قلبه لنا ذكرنا المقصود والاسكتنا وارادوا بالضر الفقر والحاجة وكثرة العيال وقلة الطعام وباهلهم من خلفهم ﴿قوله رديئة اوقليلة ترد وتدفع﴾ يريد ان مزجاة اسم مفعول من ازجيت الشئ اذا دفعته ورددته فقولهم مزجاة بمعنى مدفوعة يدفعها كل احد عنه امالرداءتها على ماقيل من ان بضاعتهم كانت زيوفا لاتنفق فى ثمن الطعام او لقلتها قال ابو عبيد انما قيل للدراهم الرديئة مزجاة لانها مردودة مدفوعة غير مقبولة ممن ينفقها فان الازجاء فى اللغة السوق والدفع قليلا ومنه قوله تعالى الم تر ان الله يزجى سحابا اى يسوقها بالريح ويقال ازجيت الابل اى سقتها وزجيت الشئ تزجية اى دفعته برفق وفى الصحاح المزجى الشئ القليل وبضاعة مزجاة اى قليلة والريح تزجى السحاب والبقرة تزجى ولدها اى تسوقه ﴿قوله واختلف فى ان حرمة الصدقة تعم الانبياء﴾ جواب عما يقال الاخوة كيف طلبوا الصدقة وهى محرمة على الانبياء *وتقرير الجواب ان من فسر التصدق بالزيادة على مايساوى بضاعتهم المزجاة على وجه التصدق يخص حرمة الصدقة بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم واما من قال بعموم حرمتها لجميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام فانه يفسر بالوجوه الاخر ويقول التصدق هو التفضل مطلقا سوآء كان من قبيل انفاق المال للمحتاجين اولم يكن فيتناول اطلاق المحبوس والمسامحة فى قبول الزيف والقليل ﴿قوله وقيل اعطوه كتاب يعقوب عليه الصلاة والسلام﴾ عطف على ماقبله من حيث المعنى فانه يفهم من ترتيب قوله تعالى قال هل علمتم مافعلتم بيوسف واخيه اذانتم جاهلون على ماحكاه الله تعالى عنهم من قولهم يا ايها العزيز مسنا واهلنا الضر ان يوسف عليه الصلاة والسلام لما رأى اخوته تضرعوا اليه ووصفوا ماهم عليه من شدة الرجاء وقلة الحيلة ادركته الرقة وضعف صبره فاقدم على ان يعرفهم ويصرح لهم بانه يوسف عليه الصلاة والسلام الا انه آثر حق الله تبارك وتعالى على حق نفسه فقال مستفهما عن وجه قبح مافعلوه بيوسف عليه الصلاة والسلام واخيه وماصنعوه بهما شفقة عليهم وتنصيحا فى امر الدين حيث حملهم به على الاعتراف بالذنب والاستغفار والتوبة منه ولم يرد بذلك المعاتبة والتثريب هو التعيير والاستقصاء فى اللوم عليهم فعطف على هذا المفهوم قوله وقيل اعطوه كتاب يعقوب عليه الصلاة والسلام وكتب فيه من يعقوب اسرآئيل الله تعالى بن اسحق ذبيح الله تعالى بن ابراهيم خليل الله تعالى عليهم الصلاة والسلام الى عزيز مصر امابعد فانا اهل بيت موكل بنا البلاء اماجدى فشدت يداه ورجلاه ورمى فى النار ليحرق فنجاه الله تعالى وجعلت النار عليه بردا وسلاما واماابى فوضع السكين على قفاه ليقتل ففداه الله تعالى واما انا فكان لى ابن وكان احب اولادى الى فذهب مع اخوته الى البرية ثم اتونى بقميصه ملطخا بالدم وقالوا قد اكله الذئب فذهبت عيناى من بكائى عليه ثم كان لى ابن وكان اخاه من امه وكنت اتسلى به فذهبوا به اليك ثم رجعوا وقالوا انه سرق وانك حبسته لذلك وانا اهل بيت لانسرق ولا نلد سارقا فان رددته على والادعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك والسلام فلماقرأ يوسف عليه الصلاة والسلام الكتاب اقشعر جلده ولان قلبه وعيل صبره فقال لهم ذلك وفيه تصديق لقول الله تعالى واوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم هذا وهم لايشعرون ﴿قوله اى هل علمتم قبحه فتبتم عنه﴾ قدر القبح المضاف الى الموصول بناء على انه لاشك انهم كانوا عالمين بنفس مافعلوا بيوسف عليه الصلاة والسلام واخيه فلافائدة فى طلب التصديق والاقرار بحصول علمهم به مع انه اثبت جهلهم بذلك بقوله اذانتم جاهلون والجهل لايثبت مع العلم فلما قدر متعلق العلم والجهل كان المعنى هل استمر ذلك الجهل الحاصل زمان صدور ذلك الفعل عنكم المتعلق بقبحه او حصل لكم العلم بقبحه الموجب للرجوع عنه وتلافيه بالتوبة فان العاقل اذا علم قبح فعله بادر الى التوبة وكان علمه بذلك بلجئه اليها واشار الى سببية العلم اليها بقوله فتبتم ﴿قوله ولذلك﴾ اى ولكون مقصودهم تحقيق كونه يوسف عليه الصلاة والسلام وتقريره اكد الكلام الاستفهامى بان ولام الابتدآء تعجبا منه ﴿قوله وقرأ ابن كثير على الايجاب﴾ اى قرأ انك بكسر الهمزة على لفظ الخبر وقرأ الباقون على الاستفهام ثم انهم اختلفوا فقرأ نافع اينك بفتح الالف غير ممدود وبالياء وقرأ ابو عمرو

(فلما دخلوا عليه قالوا يا ايها العزيز) بعد مارجعوا الى مصر رجعة ثانية (مسنا واهلنا الضر) شدة الجوع (وجئنا ببضاعة مزجاة) رديئة اوقليلة ترد وتدفع رغبة عنها من ازجيته اذا دفعته ومنه تزجية الزمان قيل كانت دراهم زيوفا وقيل صوفا وسمنا وقيل الصنوبر والحبة الخضرآء وقيل الاقط وسويق المقل (فاوف لنا الكيل) فاتم لنا الكيل (وتصدق علينا) برد اخينا اوبالمسامحة وقبول المزجاة اوبالزيادة على مايساويها واختلف فى ان حرمة الصدقة تعم الانبياء عليهم الصلاة والسلام اوتختص بنبينا صلى الله عليه وسلم (ان الله يجزى المتصدقين) احسن الجزآء والتصدق التفضل مطلقا ومنه قوله عليه الصلاة والسلام فى القصر هذه صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته لكنه اختص عرفا بما يبتغى به ثواب من الله تعالى (قال هل علمتم مافعلتم بيوسف واخيه) اى هل علمتم قبحه فتبتم عنه وفعلهم باخيه افراده عن يوسف واذلاله حتى كان لايستطيع ان يكلمهم الابعجز وذلة (اذانتم جاهلون) قبحه فلذلك اقدمتم عليه اوعاقبته وانما قال ذلك تنصيحا لهم وتحريضا على التوبة وشفقة عليهم لما رأى من عجزهم وتمسكنهم لامعاتبة وتثريبا وقيل اعطوه كتاب يعقوب فى تخليص بنيامين وذكروا له ماهو فيه من الحزن على فقد يوسف واخيه فقال لهم ذلك وانما جهلهم لان فعلهم كان فعل الجهال اولانهم كانوا حينئذ صبيانا طياشين (قالوا ائنك لانت يوسف) استفهام تقرير ولذلك حقق بان ودخول اللام عليه وقرأ ابن كثير على الايجاب

آينك بمدّ الالف وبالياء وهو رواية قالون عن نافع رحمهم الله تعالى وقرأ الباقون أئنك بهمزتين وكل ذلك على الاستفهام واللام فى لأنت لام الابتداء وانت مبتدأ ويوسف خبره والجملة خبران ﴿ قوله بروآئه ﴾ اى بمنظره وشمائله خصائله والشامة بتخفيف الميم الخال ﴿ قوله ذكره تعريفا لنفسه ﴾ جواب عما يقال انهم سألوه عن نفسه فكان مقتضى الظاهر ان يقال بلى انا يوسف فلم اجابهم عنها وعن اخيه معا على ان اخاه كان معلوما لهم * فاجاب بانه لم يذكر اخاه لتعريفه وانما ذكره لتعريف نفسه به تفخيما لشأن اخيه بانه اشدّ اتصالا به فانهم سألوه عن حقيقة كونه يوسف عليه الصلاة والسلام حيث اتوا بالهمزة المؤكدة للتعجب وادخلوا اللام فى الخبر فاجاب بقوله عليه الصلاة والسلام انا يوسف على الحقيقة وهذا المتميز المشاهد اخى من ابى وامى وفى ذكر الاخ وايراد اسم الاشارة مزيد تقرير وفضل بمنزلة التمييز له والبيان بانه يوسف لامحالة وفى التصريح باسمه الشريف عليه الصلاة والسلام وعدم اقتصاره بان يقول انا الذى ظلمتمونى فائدة اخرى وهى ان ذكر الشئ باسمه العلم يفيد تمييزه فكانه قال انا الذى ظلمتمونى على اعظم الوجوه حيث ألقيتمونى فى البئر وقصدتم قتلى ثم ان الله تعالى اوصلنى الى اعظم المناصب وصيركم كما ترون ﴿ قوله لا تأنيب ﴾ اى لا تعنيف ولا لوم يقال انبه تأنيبا اى عنفه ولامه لما اعترفوا بذنوبهم وبكونهم خاطئين آثمين فى امره قال لا تعيير ولا توبيخ عليكم بعد اليوم قد انقطع عنكم توبيخى عند اعترافكم بالذنب وفى الحديث * اذا زنت امة احدكم فليضربها الحدّ ولا يثربها بالزنى * والتثريب ازالة الثرب كما ان التجليد ازالة الجلد سمى التقريع تثريبا تشبيها له بالتثريب فى اشتمال كل منهما على معنى التمزيق ﴿ قوله او بالمقدّر للجار ﴾ اى هو متعلق بالذى قدّر متعلقا لعليكم فان عليكم خبر لقوله لا تثريب متعلق بمعنى الاستقرار واليوم ايضا متعلق بما تعلق به هذا الخبر اى لا تثريب مستقرّ عليكم اليوم والمنفى بلا التى لنفى الجنس هو ماهية التثريب وحقيقته ونفى الماهية يقتضى انتفاء جميع افراد الماهية فلا دلالة فى اللفظ على كون المنفى تثريب المتكلم فقط والمصنف انما حكم بكون المعنى لا اثربكم بمعونة المقام ثم انه عليه الصلاة والسلام لما ازال عنهم تثريب الدنيا وملامتها طلب من الله تعالى ان يغفر لهم فى الآخرة فان المراد بقوله يغفر الله لكم الدعاء فعلى هذا يكون الوقف على قوله لا تثريب عليكم اليوم ويبتدأ بقوله تعالى يغفر الله لكم وعلى تقدير ان يكون اليوم متعلقا بقوله يغفر الله لكم يوقف على قوله تعالى لا تثريب عليكم ويبتدأ بقوله تعالى اليوم يغفر الله لكم ويكون فحوى الكلام انه نفى عنهم جميع افراد التثريب بنفى حقيقته ثم بشرهم بان الله تعالى غفر ذنبهم فى هذا اليوم وذلك لانهم لما انكسروا وخجلوا واعترفوا بذنوبهم وتابوا قبل الله توبتهم وغفر لهم ذنبهم فلذلك قال اليوم يغفر الله لكم وهذا معنى قول المصنف رحمة الله تعالى عليه لانه عليه الصلاة والسلام صفح عن جريمتهم حينئذ واعترفوا بها حينئذ وفيه اشارة ايضا الى ان اليوم فيه بمعنى الزمان مطلقا ﴿ قوله وقيل القميص المتوارث ﴾ روى عن انس بن مالك رضى الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اما قوله اذهبوا بقميصى هذا فان نمرود الجبار لما القى ابراهيم عليه الصلاة والسلام فى النار نزل اليه جبريل عليه الصلاة والسلام بقميص من الجنة وطنفسة من الجنة فالبسه القميص واقعده على الطنفسة وقعد معه يحدثه فكسا ابراهيم ذلك القميص اسحق وكساه اسحق يعقوب وكساه يعقوب يوسف عليهم الصلاة والسلام فجعله فى قصبة من فضة وعلقها فى عنقه فالقى فى الجب والقميص فى عنقه فذلك قوله عليه الصلاة والسلام اذهبوا بقميصى هذا فالقوه على وجه ابى يأت بصيرا الآية وقال مجاهد رحمه الله تعالى امره جبريل عليه السلام ان ارسل اليه قميصك فان فيه ريح الجنة لا يقع على مبتلى ولا سقيم الاصح وعوفى وقال الحسن رحمة الله تعالى عليه قدّم احتمال ان يكون المراد من القميص القميص الذى كان عليه ولعل وجهه انه اختار فيما قبل ان يكون المراد من قوله تعالى وابيضت عيناه انه كثر بكاؤه بحيث صارت عيناه كانهما ابيضتا بياض العبرة ولم يرض بما قيل من ان المراد ضعف بصره او عمى فعلى هذا التقدير من ان يوسف عليه الصلاة والسلام لما وقع العتاب بينه وبين اخوته وسألهم عن حال ابيه فاجابوه بان اباك قد ذهبت عيناه يكون مرادهم انه غرقت عيناه فى دموعه منذ فارقته ويكون يوسف عليه الصلاة والسلام عالما بان اباه ما صار اعمى ولا ضعف بصره وانه لم يصبه الا ضيق القلب والمواظبة على البكاء وانه اذا اخبره البشير بسلامة ابنه والقى قميصه على وجهه يتسلى قلبه ويسكن بكاؤه وهو الذى اراده بقوله يأت بصيرا وهذا المعنى لا يتوقف معرفته على ورود الوحى بل العقل يحكم بذلك ﴿ قوله انتم وابى ﴾ على تغليب المخاطبين على الغائب قال الكلبى رحمه الله كان اهل يعقوب اكثر من سبعين انسانا وقال مسروق

دخل قوم يوسف مصر وهم ثلاثة وتسعون من بين رجل وامرأة روى ان يهودا حمل القميص وقال احزنته بحمل القميص الملطخ بالدم اليه فافرحه كما احزنته وقيل حمله وهو حاف حاسر من مصر الى كنعان وبينهما مسافة ثمانين فرسخا ﴿قوله اوجده الله تعالى ريح ماعبق بقميصه﴾ اى لزق ولصق به فوجده بحاسة الشم على سبيل اظهار المعجزات لان وصول الرائحة اليه من المسافة البعيدة امر مناقض للعادة فتكون معجزة ولكن كونها معجزة يتكون منهما والاقرب انها معجزة ليعقوب عليه الصلاة والسلام حيث نسبوه فى هذا الكلام الى مالا ينبغى وظهران الامر كما ذكر فكانت معجزة له قال اهل المعانى ان الله تعالى اوصل اليه ريح يوسف عليهما الصلاة والسلام عند انقضاء مدة المحنة ومجئ وقت الروح والفرج من المكان البعيد ومنع من وصول خبره اليه مع قرب احدى البلدتين من الاخرى فى مدة ثمانين سنة وذلك يدل على ان كل سهل فى زمان المحنة فهو صعب وكل صعب فهو فى زمان الاقبال سهل وذكر فى القصة ايضا ان ريح الصبا استأذنت ربها فى ان تأتى يعقوب عليه الصلاة والسلام قبل ان يأتيه البشير بالقميص فأذن لها فاتت بها ولذلك يستروح كل محزون بريح الصبا ويتنسمها المكروبون فيجدون لها روحا وقد اكثر الشعرآء ذكرها وهى التى تأتى من ناحية المشرق وفيها لين اذا هبت على الابدان نعمتها ولينتها وهيجت الاشواق الى الاحباب والحنين الى الاوطان قال الشاعر

اذا قلت هذا حين اسلو يهيجنى ❁ نسيم الصبا من حيث ان يطلع الفجر

وقال آخر

ايا جبلى نعمان بالله خليا ❁ نسيم الصبا يخلص الىّ نسيمها

فان الصبا ريح اذا ماتنفست ❁ على نفس مهموم تجلت همومها

وقال آخر

ولقد تهب لى الصبا من اصلها ❁ فيلذ مس هبوبها ويطيب لى

يندى على كبدى وينقع غلتى ❁ ويبل حرّ فؤادى المشتعل

﴿قوله عاد بصيرا﴾ على ان الارتداد انقلاب الشئ الى حال كان عليها فمن قال انه كان قد عمى بالكلية فانه يقول لما بشره البشير بحياة يوسف عليهما الصلاة والسلام والقى القميص على وجهه عظم فرحه وانشرح صدره وزالت احزانه فعند ذلك قوى بصره وزال مافيه من الضعف والنقصان وكان المصنف رحمه الله تعالى اشار اليه بقوله لما انتعش فيه من القوة والانتعاش الارتفاع يقال نعشه الله فانتعش اى رفعه فارتفع ويقال انتعش العاثر اذا نهض من عثرته ﴿قوله اخره الى السحر﴾ قيل قام الى وقت السحر فلما فرغ رفع يديه فقال اللهم اغفر لى جزعى على يوسف وقلة صبرى عنه واغفر لاولادى مافعلوا فى حقى وحق يوسف فاوحى الله تعالى اليه قد غفرت لك ولهم اجمعين رضوان الله تعالى عليهم اجمعين وقيل انه عليه الصلاة والسلام استغفر لهم فى الحال وقوله سوف استغفر لكم معناه انى اداوم على هذا الاستغفار فيما يستقبل من الزمان فقد روى انه عليه الصلاة والسلام كان يستغفر لهم فى كل ليلة جمعة فى نيف وعشرين سنة وروى ان ابناء يعقوب عليه الصلاة والسلام قالوا ليعقوب وقد غلبهم الخوف والبكاء مايغنى عنا عفوك ان لم يعف عنا ربنا فاستقبل الشيخ القبلة قائما يدعو وقام يوسف خلفه يؤمّن وظنوا انها الهلكة فنزل جبريل عليه الصلاة والسلام وقال ان الله تعالى اجاب دعوتك وعقد مواثيقهم بعدك على النبوّة كذا فى الكبير عليهم وعلى نبينا افضل الصلاة والسلام ﴿قوله روى انه وجه اليه رواحل﴾ قالوا كان يوسف عليه الصلاة والسلام بعث مع البشير الى يعقوب جهازا ومائتى راحلة وسأله ان يأتيه باهله وولده اجمعين فتهيأ يعقوب عليه الصلاة والسلام للخروج الى مصر فتوجه مع اولاده واولادهم واهليهم الى مصر على رواحلهم فلما قربوا من مصر واخبر بذلك يوسف عليه الصلاة والسلام تلقاه ومعه ثلاثمائة الف فارس على كل واحد منهم جنة من فضة وراية من ذهب الافراس مراكبه والفرسان غلمانه فتزينت الصحرآء بهم واصطفوا صفوفا وصعد يعقوب تلا ومعه اولاده وحفدته ولما رأى الصحرآء مملوءة من الفرسان مزينة بالالوان نظر اليها متعجبا فقال له جبريل عليهما الصلاة والسلام انظر الى الهوآء فان الملائكة قد حضروا وسرّوا بحالكم كما كانوا باكين محزونين مدة لاجلك ثم نظر يعقوب الى الفرسان فقال ايهم ولدى يوسف فقال له جبريل عليه الصلاة والسلام يا يوسف ان اباك يعقوب

(ولما فصلت العير) من مصر وخرجت من عمرانها (قال ابوهم) لمن حضره (انى لأجد ريح يوسف) اوجده الله ريح ماعبق بقميصه من ريحه حين اقبل به اليه يهودا من ثمانين فرسخا (لولا ان تفندون) تنسبونى الى الفند وهو نقصان عقل يحدث من هرم ولذلك لايقال عجوز مفندة لان نقصان عقلها ذاتى وجواب لولا محذوف تقديره لصدقتمونى او لقلت انه قريب (قالوا) اى الحاضرون (تالله انك لفى ضلالك القديم) اى لفى ذهابك عن الصواب قدما بالافراط فى محبة يوسف واكثار ذكره والتوقع للقائه (فلما ان جاء البشير) يهودا روى انه قال كما احزنته بحمل قميصه الملطخ بالدم اليه فافرحه بحمل هذا اليه (القاه على وجهه) طرح البشير القميص على وجه يعقوب عليه السلام او يعقوب نفسه (فارتدّ بصيرا) عاد بصيرا لما انتعش فيه من القوّة (قال الم اقل لكم انى اعلم من الله مالا تعلمون) من حياة يوسف عليه السلام وانزال الفرج وقيل انى اعلم كلام مبتدأ والمقول لا تيأسوا من روح الله او انى لاجد ريح يوسف (قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين) ومن حق المعترف بذنبه ان يصفح عنه ويسأل له المغفرة (قال سوف استغفر لكم ربى انه هو الغفور الرحيم) اخره الى السحر او الى صلاة الليل او الى ليلة الجمعة تحريا لوقت الاجابة او الى ان يستحل لهم من يوسف او يعلم انه عفا عنهم فان عفو المظلوم شرط المغفرة ويؤيده ماروى انه استقبل القبلة قائما يدعو وقام يوسف خلفه يؤمن وقاموا خلفهما اذلة خاشعين حتى نزل جبريل فقال ان الله قد اجاب دعوتك فى ولدك وعقد مواثيقهم بعدك على النبوّة وهو ان صح فدليل على نبوتهم وان ماصدر عنهم كان قبل استنبائهم (فلما دخلوا على يوسف) روى انه وجه اليه رواحل واموالا ليتجهز اليه بمن معه واستقبله يوسف والملك باهل مصر وكان اولاده الذين دخلوا معه مصر اثنين وسبعين رجلا وامرأة وكانوا حين خرجوا مع موسى عليه الصلاة والسلام ستمائة الف وخمسمائة وبضعة وسبعين رجلا سوى الذرية والهرمى

قد نزل لك فانزل له فنزل عن فرسه وجعل كل واحد منهما يعدو الى الآخر حتى التقيا فاعتنقا وبكيا سرورا وماج الفرسان بعضهم فى بعض وصهلت الخيول وسبحت الملائكة وضرب بالطبول والبوقات فصار كأنه يوم القيامة قيل لما دنا كل واحد منهما قصد يوسف عليه الصلاة والسلام ان يبدأ بالسلام فمنع من ذلك وكان يعقوب عليه الصلاة والسلام افضل واحق بذلك منه فابتدأ يعقوب بالسلام فقال السلام عليك يامذهب الاحزان ﴿قوله ضم اليه اباه وخالته﴾ فان اكثر المفسرين فسر ابويه بهما بناء على ماروى ان امه راحيل كانت قد ماتت فى نفاس بنيامين ولما ماتت امه تزوج اباه خالته ليا فسماها الله تعالى باحد الابوين لان الرابة تدعى اما لقيامها مقام الام اولان الخالة ام كما ان العم اب ومنه قول ابناء يعقوب لابيهم حين كان قوله لهم ماتعبدون من بعدى قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحق فانهم عدوا اسماعيل من آباء يعقوب وهو عمه ﴿قوله او الدخول الاول كان فى موضع خارج البلد حين استقبلهم﴾ جواب عما يقال مامعنى دخولهم عليه قبل دخولهم مصر وليس له حال استقباله اياهم منزل حتى يدخلوا عليه فى ذلك البيت او الخيمة والمعنى ضم اليه ابويه واعتنقا ثم قال لهم قبل ان يدخلوا مصر ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين ثم حذف لدلالة الكلام عليه ثم اعترض بالجملة الشرطية بين الحال وعاملها ولم يجعل المشيئة متعلقة بنفس الدخول اذليس المقصود ندبهم الى مجرد الدخول بل المقصود بيان اتصافهم بالامن فى دخولهم كانه قيل اسلموا وامنوا فى دخولكم ان شاء الله وانما وعد لهم الامن فى دخولهم مصر لانه كان بلدا فيه كفار وملكهم الذى اقام يوسف مقام نفسه كان كافرا ايضا والمسلمون لايأمنون من غائلة الكفار عادة فوعده عليه الصلاة والسلام لهم الامن متعلق بالمشيئة رجاء لذلك من فضل الله تعالى والعرش فى اللغة السرير الرفيع قال الله تعالى ولها عرش عظيم والمراد بالعرش ههنا السرير الذى كان يجلس عليه يوسف عليه الصلاة والسلام وقوله ورفع ابويه على العرش معناه ان يوسف عليه الصلاة والسلام اجلس ابويه معه على سرير الملك قبل القوم وان اشتركوا فى دخول دار يوسف عليه السلام لكنهم تباينوا فى الايوان فانفرد الابوان بالجلوس معه على سرير الملك لبعدهما من الخناء كذلك غدا اذا وصلوا الى الغفران يشتركون فيه وفى دخول الجنة ولكنهم يتباينون فى بساط القربة فيختص به اهل الصفاء دون من اتصف اليوم بالالتواء * ولما ورد ان يقال كيف جاز السجود لغير الله تعالى على وجه التعظيم وعلى تقدير جوازه كان يعقوب احق بذلك من يوسف عليهما الصلاة والسلام لان يوسف وان كان نبيا الا ان يعقوب كان اعلى حالا منه من حيث التقدم فى النبوة ولحرمة الابوة ومن حيث الاجتهاد فى تكثير الطاعات ومن حيث انه كان شيخا كبيرا والشاب يجب عليه تعظيم الشيخ فاوجه قوله تعالى وخروا له سجدا * اجاب عنه المصنف رحمه الله بقوله تحية وتكرمة له بناء على انهم لم يكونوا نهوا عن السجود لغير الله تعالى فى شريعتهم وكان تحية الناس يومئذ بعضهم لبعض بالسجود ولم يزل تحية الناس ذلك الى ان جاء الله تعالى بالاسلام فذهب بالسجود وجاء بالمصافحة واكثر المفسرين على ان المراد بالخرور سجدا وضع الوجه على الارض بناء على انه هو المتعارف المتفاهم وقيل المراد به الانحناء والتواضع فان التواضع قد يسمى سجودا كما فى قوله * ترى الاكم فيها سجدا للحوافر * فينبغى لهذا القائل ان يقول الخرور ههنا بمعنى المرور كما فى قوله تعالى لم يخروا عليها صما وعميانا اى لم يمروا ﴿قوله وقيل معناه خروا لاجله سجدا لله﴾ وهو قول ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى رواية عطاء فمعنى الآية على هذا خروا اى لاجل وجدان يعقوب اياه شكرا لله فذلك السجود سجود شكر والمسجود له هو الله تعالى لان ذلك السجود انما كان لاجله تعالى بمقابلة نعمة وجدان يوسف وقيل المراد معناه خروا اليه سجدا لله شكرا لنعمة وجدانه على ان يجعلوا يوسف كالقبلة ويسجدوا لله تعالى وذلك كما يقال صليت للكعبة والى الكعبة قال حسان بن ثابت رضى الله تعالى عنه

ما كنت اعرف ان الامر منصرف	عن هاشم ثم منها عن ابى حسن
اليس اول من صلى لقبلتكم	واعرف الناس بالقرآن والسنن

وقوله يدل على انه يجوز ان يقال صلى للقبلة فكذا يجوز ان يقال سجد للقبلة فقوله خروا له اى جعلوه كالقبلة ثم سجدوا لله شكرا لنعمة وجدانه وقوله والرفع مؤخر عن الخرور جواب عما يقال لوكان المراد بالسجود سجود التحية والتكريم لكان ينبغى ان يسجدوا له قبل الصعود على السرير فى اول الملاقاة لان ذلك هو وقت التحية

(آوى اليه ابويه) ضم اليه اباه وخالته واعتنقهما نزلها منزلة الام تنزيل العم منزلة الاب فى قوله واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق اولان يعقوب عليه السلام تزوجها بعد امه والرابة تدعى اما (وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين) من القحط واصناف المكاره والمشيئة متعلقة بالدخول المكيف بالامن والدخول الاول كان فى موضع خارج البلد حين استقبلهم (ورفع ابويه على العرش وخروا له سجدا) تحية وتكرمة له فان السجود كان عندهم يجرى مجراها وقيل معناه خروا لاجله سجدا لله شكرا وقيل الضمير لله تعالى والواو لابويه واخوته والرفع مؤخر عن الخرور وان قدم لفظا للاهتمام بتعظيمه لهما (وقال ياابت هذا تأويل رؤياى من قبل) التى رأيتها ايام الصبى (قد جعلها ربى حقا) صدقا (وقد احسن بى اذ اخرجنى من السجن) ولم يذكر الجب لئلا يكون تثريبا عليهم (وجاء بكم من البدو) من البادية لانهم كانوا اصحاب المواشى واهل البدو (من بعد ان نزغ الشيطان بينى وبين اخوتى) افسد بيننا وحرش من نزغ الرائض الدابة اذا نخسها وحملها على الجرى (ان ربى لطيف لما يشاء) لطيف التدبير له اذ مامن صعب الا وتنفذ فيه مشيئته ويتسهل دونها (انه هو العليم) بوجوه المصالح والتدابير (الحكيم) الذى يفعل كل شئ فى وقته وعلى وجه يقتضى الحكمة روى ان يوسف طاف بابيه عليهما السلام فى خزائنه فلما ادخله خزانة القراطيس قال يابنى ما اغفلك عندك هذه القراطيس وما كتبت الى على ثمان مراحل قال امرنى جبريل عليه السلام قال اوما تسأله قال انت ابسط منى اليه فسأله قال جبريل الله امرنى بذلك لقولك واخاف ان يأكله الذئب قال فهلا خفتنى (رب قد آتيتنى من الملك)

بعض الملك وهو ملك مصر (وعلمتني من تأويل الاحاديث) الكتب او الرؤيا ومن ايضا للتبعيض لانه لم يؤت كل التأويل (فاطر السموات والارض) مبدعهما وانتصابه على انه صفة المنادى اومنادى برأسه (انت وليي) ناصري اومتولى امري (فى الدنيا والآخرة) اوالذى يتولانى بالنعمة فيهما (توفني مسلما) اقبضنى (والحقني بالصالحين) من آبائى اوبعامة الصالحين فى الرتبة والكرامة روى ان يعقوب عليه السلام اقام معه اربعا وعشرين سنة ثم توفى واوصى ان يدفن بالشام الى جنب ابيه فذهب به ودفنه ثمة وعاد وعاش بعده ثلاثا وعشرين سنة ثم تاقت نفسه الى الملك المخلد فتمنى الموت فتوفاه الله طيبا طاهرا فتخاصم اهل مصر فى مدفنه حتى هموا بالقتال فرأوا ان يجعلوه فى صندوق من مرمر ويدفنوه فى النيل بحيث يمر عليه الماء ثم يصل الى مصر ليكونوا شرعا فيه ثم نقله موسى عليه السلام الى مدفن آبائه وكان عمره مائة وعشرين سنة وقد ولد له من راعيل افرائيم وميشا وهو جد يوشع بن نون ورحمة امرأة ايوب عليه السلام (ذلك) اشارة الى ماذكر من نبأ يوسف عليه السلام والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم وهو مبتدأ (من انباء الغيب نوحيه اليك) خبران له (وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم وهم يمكرون) كالدليل عليهما والمعنى ان هذا النبأ غيب لم تعرفه الا بالوحى لانك لم تحضر اخوة يوسف حين عزموا على ماهموا به من ان يجعلوه فى غيابة الجب وهم يمكرون به وبابيه ليرسله معهم ومن المعلوم الذى لايخفى على مكذبيك انك مالقيت احدا سمع ذلك فتعلمته منه وانما حذف هذا الشق استغناء بذكره فى غير هذه القصة كقوله ما كنت تعلمها انت ولاقومك من قبل هذا (وما اكثر الناس ولو حرصت) على ايمانهم وبالغت فى اظهار الآيات عليهم (بمؤمنين) لعنادهم وتصميمهم على الكفر (وما تسألهم عليه) على الانباء اوالقرآن (من اجر) من جعل كما يفعله جلة الاخبار (ان هو الا ذكر) عظة من الله تعالى (للعالمين) عامة (وكأين من آية) وكم من آية والمعنى وكاى عدد شئته من الدلائل الدالة على وجود الصانع وحكمته وكمال قدرته وتوحيده (فى السموات والارض يمرون عليها) على الآيات ويشاهدونها (وهم عنها معرضون) لايتفكرون فيها ولايعتبرون بها وقرئ والارض بالرفع على انه مبتدأ خبره يمرون فيكون لها الضمير فى عليها وبالنصب على ويطأون الارض وقرئ والارض يمشون عليها اى يترددون فيها فيرون آثار الامم الهالكة (وما يؤمن اكثرهم بالله) فى اقرارهم بوجوده وخالقيته (الا وهم مشركون) بعبادة غيره اوباتخاذ الاحبار اربابا ونسبة التبنى اليه او القول بالنور والظلمة او النظر الى الاسباب ونحو ذلك وقيل الآية فى مشركى مكة وقيل فى المنافقين وقيل فى اهل الكتاب (افامنوا ان تأتيهم غاشية من عذاب الله) عقوبة تغشاهم وتشملهم (او تأتيهم الساعة بغتة) فجأة من غير سابقة علامة (وهم لايشعرون) باتيانها غير مستعدين لها (قل هذه سبيلى) (اعمى)

وهو خلاف مايفهم من قوله تعالى ورفع ابويه على العرش وخروا له سجدا فانه يشعر بانهم صعدوا ذلك السرير ثم سجدوا له روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال ان يوسف عليه الصلاة والسلام لما رأى سجود ابويه واخوته له هاله ذلك واقشعر جلده منه وقال ليعقوب ياابت هذا تأويل رؤياى من قبل وهذا يدل على ان يوسف عليه الصلاة والسلام لم يكن راضيا بذلك فى قلبه الا انه لما علم ان الله تعالى امر بذلك لحكمة لايعرفها الا الله تعالى كما امر الملائكة بالسجود لآدم لحكمة لايعرفها الا هو سكت وقال ذلك كأنه يقول ياابت لايليق بمثلك على حالتك فى النبوة والدين والابوة والشيخوخة والعلم ان تسجد لولدك الا ان هذا امر امرت به وتكليف كلفت به فان رؤيا الانبياء حق كما ان رؤيا ابراهيم عليه الصلاة والسلام ذبح ولده صارت سببا لوجوب الذبح عليه فى اليقظة فكذلك صارت هذه الرؤيا التى رأها يوسف عليه الصلاة والسلام وحكاها ليعقوب سببا لوجوب ذلك السجود وقوله ان ربى لطيف لما يشاء تعليل لقوله وقد احسن بى اذ اخرجنى من السجن الخ فان خلاصه من كل واحد مما اصابه من المحن وحصول الاجتماع بينه وبين ابيه واخوته مع الالفة والمحبة وطيب العيش وفراغ البال وان كان فى غاية البعد من الحصول الا ان لطيف التدبير اذا اراد حصول شئ سهل اسبابه فحصل وان كان فى غاية البعد عن الحصول **قوله فتمنى الموت** اختلفوا فى ان قوله توفنى مسلما هل هو طلب للموت منه اولا فقال قتادة رضى الله عنه سأل ربه اللحوق به ولم يتمن نبى الموت قبله قط وكثير من المفسرين على هذا القول وقال ابن عباس رضى الله عنهما فى رواية عطاء يريد اذا توفيتنى فتوفنى على الاسلام فهذا طلب لان يجعل الله تعالى وفاته على الاسلام وليس فيه مايدل على انه طلب الوفاة ووجه اتصال قوله تعالى وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين بما قبله ان كفار قريش وجماعة من اليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قصة يوسف عليه الصلاة والسلام على سبيل التعنت فشرحها شرحا شافيا على اعتقاد انه عليه الصلاة والسلام اذا ذكرها فربما آمنوا فلما اصروا على كفرهم حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك فعزاه الله تعالى بقوله وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين اى ولو حرصت على ان تهديهم لانك لاتهدى من احببت ولكن الله يهدى من يشاء ثم بين ان اصرارهم على الكفر بعدما شاهدوا منك هذه المعجزة الباهرة ليس بعجيب لانه انما نشأ من عدم تأملهم فى الدلائل الدالة على نبوتك كما هو دأبهم وعادتهم فان العالم مملوء بالدلالة الدالة على وجود الصانع وكمال علمه وقدرته وحكمته وهم يمرون عليها ويشاهدونها ولايتفكرون فيها ولايعتبرون **قوله ليكونوا شرعا** اى سواء الجوهرى الناس فى هذا شرع اى سواء يحرك ويسكن ويستوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث **قوله وقرئ والارض** الجمهور على جر الارض عطفا على السموات والضمير فى عليها للآية فيكون يمرون صفة للآية او حالا منها لتخصيصها بالوصف بالجار وضمير عليها للارض ويمرون حال منها وقرئ والارض بالرفع على الابتداء وخبره الجملة بعده وقرئ بالنصب ايضا على انه من باب الاشتغال والفعل المحذوف مفسر بما يوافقه معنى اى يطأون الارض او يسلكون الارض يمرون عليها والضمير فى هاتين القراءتين يعود على الارض فقط ولما سمع المشركون قوله تعالى وكأين من آية الآية قالوا انا نؤمن بالله الذى خلق هذه الاشياء فانزل الله تعالى ومايؤمن اكثرهم بالله اى فى اقراره بان الله تعالى خلقه وخلق السموات والارض الا وهو مشرك حيث يثبت له شريكا فى المعبودية سبحانه وتعالى لاشريك له وتقول العرب فى تلبيتهم لاشريك لك لبيك لاشريك لك الاشريك هو لك تملكه وماملك وتقول اهل مكة الله ربنا وحده لاشريك له والملائكة بناته فلم يوحدوه بل اشركوا وتقول عبدة الاصنام الله ربنا وحده والاصنام شركاؤه فى استحقاق العبادة وقالت اليهود ربنا الله وحده وعزير ابن الله وقالت النصارى ربنا الله وحده والمسيح ابن الله وليس المراد بقوله ومايؤمن اكثرهم حقيقة الايمان ولكن المعنى ان اكثرهم مع اظهارهم الايمان بالسنتهم مشركون ثم انه تعالى خوفهم بقوله افامنوا يعنى المشركين **قوله يعنى الدعوة الى التوحيد الخ** يعنى جعل هذه اشارة الى المعنى الحاضر فى الذهن وهو الدعوة الى التوحيد والاعداد للمعاد واخبر عن ذلك المعنى بانه سبيلى وجعل قوله ادعوا الى الله الى قوله وما انا من المشركين جملة مستأنفة لبيان السبيل والظاهر ان الدعوة الى قوله وما انا من المشركين فانه صلى الله عليه وسلم كان يدعو بفعله ايضا واخذ الدعوة الى الاعداد من قوله ادعو الى الله فان المراد منه الدعوة الى طاعة الله وثوابه الموعود يوم البعث والحساب وكون الحجة بصيرة عبارة عن كونها واضحة مرشدة الى المطلوب فان الدليل اذا كان بصيرا تمكن من الارشاد والهداية بخلاف ما اذا كان

اومبتدأ خبره على بصيرة (ومن اتبعني) عطف عليه (وسبحان الله وماانا من المشركين) وانزهه تنزيها من الشركاء (ومآارسلنا من قبلك الارجالا) ردّ لقولهم لوشاء ربنا لانزل ملائكة وقيل معناه نفي استنباء النساء (يوحى اليهم) كما يوحى اليك ويميزون بذلك عن غيرهم وقرأ حفص نوحي في كل القرآن ووافقه حمزة والكسائي في سورة الانبياء (من اهل القرى) لان اهلها اعلم واحلم من اهل البدو (افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) من المكذبين بالرسل والآيات فيحذروا تكذيبك اومن المشغوفين

بالدنيا المتهالكين عليها فيقلعوا عن حبها (ولدار الآخرة) ولدار الحال او الساعة اوالحياة الآخرة (خير للذين اتقوا) الشرك والمعاصي (افلا يعقلون) يستعملون عقولهم ليعرفوا انها خير وقرأ نافع وابن عامر وعاصم ويعقوب بالتاء حملا على قوله قل هذه سبيلي اي قل لهم افلا تعقلون (حتى اذا استيأس الرسل) غاية محذوف دل عليه الكلام اي لايغررهم تمادي ايامهم فان من قبلهم امهلوا حتى ايس الرسل من النصر عليهم في الدنيا اومن ايمانهم لانهماكهم في الكفر مترفهين متمادين فيه من غير وازع (وظنوا انهم قد كذبوا) اي كذبتهم انفسهم حين حدثتهم بانهم ينصرون اوكذبهم القوم بوعد الايمان وقيل الضمير للمرسل اليهم اي وظن المرسل اليهم ان الرسل قدكذبوهم بالدعوة والوعيد وقيل الاول للمرسل اليهم والثاني للرسل اي وظنوا ان الرسل قدكذبوا واخلفوا فيما وعدلهم من النصر وخلط الامر عليهم وماروي عن ابن عباس ان الرسل ظنوا انهم اخلفوا ماوعدهم الله من النصر ان صح فقد اراد بالظن مايهجس في القلب على طريق الوسوسة هذا اوان المراد به المبالغة في التراخي والامهال على سبيل التمثيل وقرأ غير الكوفيين بالتشديد اي وظن الرسل ان القوم قد كذبوهم فيما اوعدوهم وقرئ كذبوا بالتخفيف وبناء الفاعل اي وظنوا انهم قد كذبوا فيما حدثوا به عند قومهم لما تراخى عنهم ولم يروا له اثرا (جاءهم نصرنا فنجي من نشاء) النبي والمؤمنين وانما لم يعينهم للدلالة على انهم الذين يستأهلون ان نشاء نجاتهم لايشاركهم فيه غيرهم وقرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب على لفظ الماضي المبني للمفعول وقرئ فنجا (ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين) اذا نزل بهم وفيه بيان المشيئين (لقد كان في قصصهم) في قصص الانبياء واممهم اوفي قصة يوسف واخوته (عبرة لاولي الالباب) لذوي العقول المبرأة من شوآئب الالف والركون الى الحس (ماكان حديثا يفترى) ماكان القرآن حديثا يفترى (ولكن تصديق الذي بين يديه) من الكتب الالهية (وتفصيل كل شئ) يحتاج اليه في الدين اذ مامن امر ديني الاوله سند من القرآن بوسط او بغير وسط (وهدى) من الضلال (ورحمة) ينال بها خير الدارين (لقوم يؤمنون) يصدقونه وعن النبي صلى الله عليه وسلم علموا ارقاءكم واقرباءكم سورة يوسف فانه ايما مسلم تلاها وعلمها اهله وماملكت يمينه هون الله عليه سكرات الموت واعطاه القوة على ان لايحسد مسلما *

﴿سورة الرعد مدنية وقيل مكية الاقوله ويقول الذين كفروا الآية وهي خمس واربعون آية﴾

(بسم الرحمن الرحيم) (المر) قيل معناه انا الله اعلم وأرى (تلك آيات الكتاب)

اعمى وذكر في قوله انا ومن اتبعني احتمالين الاول ان يكون ومن اتبعني عطفا على المستتر في ادعو فلذلك اتى بالضمير المنفصل في قوله انا فالمعنى والله سبحانه وتعالى اعلم ادعو الى طاعة الله وثوابه انا كائنا على بصيرة على ان قوله تعالى على بصيرة حال من الضمير المستتر في ادعو ويدعو اليها من اتبعني كذلك اي كائنا على بصيرة والاحتمال الثاني ان يكون انا مبتدأ مؤخرا وعلى بصيرة خبرا مقدما ويكون من اتبعني عطفا على انا ويكون المعنى انا ومن اتبعني على حجة وبرهان فيوقف على قوله تعالى أدعو الى الله على بصيرة ﴿قوله وانزهه تنزيها﴾ على ان سبحان اسم بمعنى التسبيح منصوب بفعل مضمر اي اسبح الله تسبيحا من الشركاء وان قوله وماانا من المشركين حال من اسبح المضمر وان جملة سبحان الله عطف على قوله ادعو الى الله وبه يتضح ان تكون الجملة مع ماعطفت هي عليه استئنافا لبيان السبيل ﴿قوله رد لقولهم لوشاء ربنا لانزل ملائكة﴾ قالوا ذلك تعجبا وانكارا لنبوته صلى الله عليه وسلم فردّ الله تعالى عليهم بقوله ومآارسلنا من قبلك الارجالا اي كيف يتعجبون من ارسالنا اياك والحال ان من قبلك من الرسل كانوا على مثل حالك والآية تدل على انه تعالى مابعث رسولا الى الخلق من النسوان ولامن الجن ولا من اهل البادية لانه يغلب عليهم القسوة والجفاء واهل الامصار والقرى اعلم واحلم فلذلك قيل من بدا جفا ﴿قوله وقرأ حفص نوحي﴾ بالنون مبنيا للفاعل وقرأ الجمهور يوحى بالياء من تحت مبنيا للمفعول وقوله من المكذبين بالرسل اي فتكون الآية تأكيدا لقوله افامنوا ان تأتيهم غاشية ﴿قوله اومن المشغوفين﴾ اي من المحيرين القلوب بحب الدنيا فيكون المقصود من الآية النص على ازالة ماهو السبب في اعراضهم عن الآيات وانهماكهم في الشهوات ﴿قوله غاية محذوف﴾ يعني ان كلمة حتى تدل على الانتهاء وكون ماقبلها مغيا بمابعدها وليس في الكلام شئ تكون حتى غاية له واختلفت عبارات المفسرين في تقدير شئ يكون مغيا بمابعد حتى فقدره المصنف رحمه الله تعالى عليه بقوله امهل من قبلهم من المكذبين حتى ايس الرسل وقدره بعضهم بقوله ومآارسلنا من قبلك الارجالا يوحى اليهم فدعوا قومهم فكذبوهم وطال دعاؤهم قومهم وتكذيب قومهم اياهم حتى اذا استيأس وكل واحد مما ذكروه يفهم من سياق الكلام الا ان ماذكره المصنف رحمه الله اخصر واقرب والمعنى ان نصر الرسل على قومهم تأخر عنهم حتى وقع ماوقع من الياس والظنون ثم نصروا فاهلك المكذب وانجى المصدق ﴿قوله اي كذبتهم انفسهم اوكذبهم القوم﴾ بتخفيف الذال وبناء الفعل للمفعول وهي قرآءة الكوفيين ومعناه القي اليهم خبر كاذب وضمير ظنوا للرسل اي ظن الرسل ان انفسهم وان قومهم القت اليهم قولا كاذبا وقرأ الباقون من السبعة بالتشديد على معنى قد قيل لهم كذبتم ﴿قوله وقيل الضمير للمرسل اليهم﴾ اي الضمائر الثلاثة في قوله وظنوا انهم قدكذبوا ﴿قوله والثاني للرسل﴾ ولو قال ومابعده للرسل لكان اظهر الا انه اكتفى بذكر الثاني لان كونه للرسل يستلزم كون الثالث لهم ايضا ﴿قوله وانما لم يعينهم﴾ اي لم يعبر عنهم في مقام التعيين بما يخصهم من العنوان للدلالة على ان عنوان من نشاء نجاتهم يخصهم بناء على ان الذين يتأهلون لان يتعلق بهم مشيئة الانجاء انما هم هؤلاء دون غيرهم ﴿قوله وقرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب﴾ فنجي بنون واحدة وتشديد الجيم وفتح الياء ومن نشاء قائم مقام الفاعل وباقي السبعة فننجي بنونين الاولى مضمومة والثانية ساكنة وتخفيف الجيم واسكان الياء على لفظ المضارع من انجى وقرئ فنجي بتشديد الجيم من نجاه وكلاهما على حكاية الحال الماضية لان القصة قد وقعت فيما مضى وقرئ نجا على لفظ الماضي من الثلاثي * تمت سورة يوسف عليه الصلاة والسلام والحمد لله حق حمده على جميع آلائه والصلاة والسلام على رسوله خاتم انبيائه وعلى آله وصحبه مادعى الحق باسمائه وتقرب الى الله بتلاوة الآيات واستغفر الله لي ولجميع اهل الاسلام من قرابتي واحبابي ولجميع المؤمنين والمؤمنات

﴿سورة الرعد قيل مدنية بالاجماع سوى قوله ولوان قرآنا سيرت به الجبال وقيل مكية سوى قوله تعالى﴾

﴿ولايزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة وقوله تعالى ويقول الذين كفروا لست مرسلا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله المر قيل معناه انا الله اعلم وأرى﴾ على ان تكون هذه الحروف التي جعلت فاتحة هذه السورة الكريمة مختصرة من كلمات تركبت هي منها كما اختصر الشاعر قوله قاف من وقفت حيث قال *قلت لها قفي فقالت قاف * والظاهر ان المر كلام مستقل والتقدير هذه المر اي سورة مسماة بالمر ثم اشار الى آياتها وحكم عليها بانها آيات الكتاب

الكاملة بمعنى آيات السورة الكاملة و صفة الكمال مستفادة من اضافة الآيات الى الكتاب المعرّف بلام الجنس فان خبر المبتدأ اذا كان مقرونا بلام الجنس او مضافا الى المعرّف بها يفيد انحصار الجنس فى ذلك المبتدأ وانه نفس ذلك الجنس لانوع من انواعه فان حصر جنس آيات السورة ليس الا هى وان ماسواها من الآيات ليس من افراد جنس آيات السورة ﴿قوله عطف العام على الخاص﴾ على ان يراد بالكتاب السورة فان ما انزل اليه صلى الله عليه وسلم من ربه اعم من السورة ﴿قوله او احدى الصفتين على الاخرى﴾ على ان يراد به القرءآن فان الكتاب بمعنى القرءآن المنظوم الذى من شأنه ان يكتب صفة مغايرة لصفة المنزل من الرب تعالى فيكون من قبيل قول من مدح قومه بعدم الفرار من العدوّ

لا يبعدن قومى الذين هم ۞ سم العداة وآفة الجزر
النازلين بكل معترك ۞ والطيبين معاقد الازر

فانه عطف الطيبين على النازلين وهما صفتان لقوم معينين وقول الآخر

الى الملك القرم وابن الهمام ۞ وليث الكتيبة فى المزدحم

﴿قوله والجملة كالحجة على الجملة الاولى﴾ لانه اذا انحصر جنس الحق فيما انزل اليه صلى الله عليه وسلم حصر الكمال من حيث بلوغه فى متانة النظم والاشتمال على مهمات الخلائق فى باب الاعتقاد واعمال الدنيا والآخرة الى حيث صار سائر الكتب الالهية بالنسبة اليه كانه ليس بحق كان ذلك كالحجة الدالة على ان آيات هذه السورة هى التى استحقت بان تسمى آيات السورة الا ان مضمون الجملة الاولى متصل من حيث انها تفيد تفصيل آيات سورة معينة ومضمون الثانية يفيد تفصيل جملة ما انزل اليه صلى الله عليه وسلم فيكون بمثابة كبرى الشكل الاوّل ﴿قوله وتعريف الخبر وان دل على اختصاص المنزل﴾ اى وتميزه عن غير المنزل بكونه حقا دون غير المنزل ومن المعلوم ان انحصار الحق فى الحكم المنزل من عند الله تعالى يستلزم ان لاتكون الاحكام الثابتة بالقياس والاجماع حقا فيلزم ان تكون باطلة لقوله تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال فيلزم ان لايكون القياس ونحوه من الادلة الشرعية الدالة على الحق والصواب الا ان المنزل من عند الله تعالى اعم من الحكم المنزل صريحا كالاحكام الثابتة بصريح نص القرءآن العظيم ومن الحكم المنزل ضمنا كالذى يثبت بالسنة والاجماع والقياس فان الحكم المثبت بواحد منها وان لم يثبت بنص القرءآن العظيم صريحا لكنه يثبت ضمنا من حيث كونه اصلا يستند اليه كل واحد من الادلة الثلاثة المذكورة وينطق بحسن اتباع كل واحد منها ويقرّر حجتها ـ قال الامام ومن الناس من تمسك بقوله تعالى والذى انزل اليك من ربك الحق فى نفى القياس فقال الحكم المستنبط بالقياس غير نازل من عند الله تعالى وقد قال ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون مع انهم لايكفرون بالاجماع فثبت ان الحكم المثبت بالقياس غير نازل من عند الله تعالى واذا كان كذلك وجب ان لايكون حقا لان قوله تعالى والذى انزل اليك من ربك الحق يقتضى انحصار الحق فى المنزل من عند الله تعالى وانه لاحق الا ما انزل الله تعالى فكل مالم ينزله وجب ان لايكون حقا واذا لم يكن حقا وجب ان يكون باطلا لقوله تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال ثم قال ومثبتو القياس يجيبون عنه بان الحكم المثبت بالقياس نازل من عند الله تعالى ايضا لانه لما اقرّ العمل بالقياس كان الحكم الذى يدل عليه القياس نازلا من عند الله تعالى انتهى ثم انه تعالى لما ذكر ان المنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الحق بين ان اكثر الناس لايؤمنون به وبكونه حقا منزلا من عند الله تعالى على سبيل الزجر والتهديد ثم ذكر عقيبه مايدل على صحة التوحيد والمعاد وهو قوله تعالى الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها اى انشأها مرفوعة لاانها كانت موضوعة فرفعها ولكن جعلها فى الابتداء مرفوعة كما تقول للخياط وسع كم القميص ولحافر البئر ضيق فم البئر ودلالته على التوحيد ظاهرة فانه لايقدر على رفع مافيه سعة وبعد بغير عمد ترى الا الواحد القهار القادر على كل شئ واما دلالته على المعاد فلان من قدر على رفع السماء مع سعتها وبعدها بلا عمد ترى لقادر على اعادة الخلق واحيائهم بعد الموت بل رفع السماء مع سعتها وبعدها بلا عمد اكبر من اعادة الشئ بعد فنائه اذ فى الشاهد من يقدر على اعادة مافنى ولايقدر على رفع سقف ذى سعة وبعد بغير عمد ﴿قوله او عمود كاديم وأدم﴾ جعل فعول كفعيل فى ان يجمع على فعل بفتحتين وفيه بحث لان كل وزن له خصوصية يختص بها فلايلزم من جمع فعيل على فعل ان يجمع عليه فعول وان قرئ عمد بضمتين يكون مفرده عمادا نحو كتاب وكتب وشهاب وشهب وقوله بغير عمد فى محل

يعنى بالكتاب السورة وتلك اشارة الى آياتها اى تلك الآيات آيات السورة الكاملة او القرءآن (والذى انزل اليك من ربك) وهو القرءآن كله ومحله الجرّ بالعطف على الكتاب عطف العام على الخاص او احدى الصفتين على الاخرى او الرفع بالابتداء وخبره (الحق) والجملة كالحجة على الجملة الاولى وتعريف الخبر وان دل على اختصاص المنزل بكونه حقا فهو اعم من المنزل صريحا او ضمنا كالمثبت بالقياس وغيره مما نطق المنزل بحسن اتباعه (ولكنّ اكثر الناس لايؤمنون) لاخلالهم بالنظر والتأمل فيه (الله الذى رفع السموات) مبتدأ وخبر ويجوز ان يكون الموصول صفة والخبر يدبر الامر (بغير عمد) اساطين جمع عماد كاهاب واهب او عمود كاديم وأدم وقرئ عمد كرسل

النصب على انه حال من السموات اى رفعها خالية عن عمد وترونها فى محل الجرّ على انه صفة لعمد فيكون الضمير المنصوب فيه راجعا الى عمد والمعنى رفعها خالية عن عمد مرئية وانتفاء العمد المرئية يحتمل ان يكون لانتفاء العمد والرؤية جميعا اى لاعمد لها فلا ترى ويحتمل ان يكون لانتفاء الرؤية فقط بان يكون لها عماد غير مرئى وهو القدرة فانه تعالى يمسكها مرفوعة بقدرته فكأنها عماد لها فقوله بغير عمد معناه بغير عمد مرئية فكلمة النفى وان كانت متقدمة فى الذكر فهى متأخرة فى المعنى وكونها مرفوعة بعماد غير مرئى مثل كونها مرفوعة بغير عماد اصلا فى كون ذلك الرفع عجيبا خارجا عن دائرة العقل والخيال فانا لا نعقل ارتفاع السقف الواسع الرفيع السمك بغير عمد واساطين مرئية ونظير الآية فى الاحتمالين قولك ما رأيت رجلا صالحا فان صدقه يحتمل ان يكون لانتفاء الرجل والصلاح جميعا اولانتفاء الصلاح وحده ﴿**قوله** اواستئناف للاستشهاد﴾ فان الضمير المنصوب فى ترونها على تقدير ان يرجع الى السموات يكون ترونها كلاما مستأنفا لامحل له من الاعراب كأنه قيل ما الدليل على ان السموات مرفوعة بغير عمد فاجيب بانكم ترونها غير معمودة او مرفوعة بلا عمد فاستشهد على كونها مرفوعة بغير عمد برؤية الناس اياها كذلك ﴿**قوله** وهو دليل على وجود الصانع﴾ ووجه دلالته عليه ان ارتفاعها على سائر الاجسام ليس مقتضى جسميتها ولامقتضى ذاتها او ذات حيزها والالكان كل جسم كذلك ولامقتضى خصوصيتها النوعية لانا ننقل الكلام الى اختصاصها بتلك الخصوصية فنقول اختصاصها بها ليس لاجل جسميتها والالكان جميع الاجسام كذلك فتعين ان يكون لمخصص خارجى ولابدّ ان لايكون ذلك المخصص الخارجى جسما ولاجسمانيا والالكان له حيز يشغله بذاته او بتبعية موضوعه ويمتنع ان يكون حصوله فى ذلك الحيز مقتضى ذاته او ذات حيزه لما بينا ان الاجسام والاحياز متساوية فى تمام الماهية فلابدّ ان يكون ذلك المخصص فاعلا مختارا يرجح بعض الممكنات على بعض بارادته ﴿**قوله** بالحفظ والتدبير﴾ اشارة الى ان الاستواء على العرش عبارة عن الاستيلاء على الملك والتصرف فيما رفعه بلاعمد بناء على ان العرش فى الاصل سرير الملك فصح ان يجعل الاستيلاء عليه كناية عن نفاذ الامر والتدبير كيف يشاء والظاهر ان كلمة ثم لمجرد العطف والترتيب مع قطع النظر عن معنى التراخى لان استيلاءه تعالى على التصرف فيما رفعه ليس بمتراخ عن رفعه ويحتمل ان يجعل لمجرد العطف مع قطع النظر عن الترتيب ايضا بناء على ان يراد بالملك مطلق التصرف فان الاستيلاء على الملك مطلقا غير مرتب على رفع السموات * قال الامام المراد استواؤه على عالم الاجسام بالقهر والقدرة والتدبير يعنى ان ما هو كائن من فوق العرش الى ما تحت الثرى فى حفظه وتدبيره وفى الاحتياج اليه ﴿**قوله** وعلى هذا المنهاج سائر ما ذكر من الآيات﴾ اى من الآيات الدالة على وجود الصانع الحكيم فانه تعالى استدل عليه باحوال السموات وباحوال الشمس والقمر وباحوال الارض والنبات فاستدل عليه اوّلا باحوال السموات حيث قال تعالى الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها وبين المصنف رحمه الله تعالى وجه دلالتها عليه وثانيا باحوال الشمس والقمر حيث قال وسخر الشمس والقمر فان اختصاصهما بالحركة الدائمة على وجه مخصوص من البطؤ والسرعة ونسق معين دون السكون ودون الحركة على سائر الوجوه مع كون الاجسام متماثلة لابدّ له من مخصص الى ما ذكر سابقا ثم انه تعالى لما قرّر الدلائل السماوية اردفها بتقرير الدلائل الارضية فقال تعالى وهو الذى مدّ الارض اى انشأها ممدودة لانها كانت مجموعة فى مكان فبسطها وهو كما ذكر من رفع السماء ونحوه ووجه الاستدلال بامتداد الارض ان كونها ممدودة اى ذات امتداد من الطول والعرض والعمق على قدر معين مع جواز كونها ازيد مقدارا مما هى الآن عليه او انقص منه لابدّ له من مخصص قال ابو بكر الاصم المدّ هو البسط الى ما لا يدرك البصر منتهاه فقوله وهو الذى مدّ الارض يشعر بانه تعالى جعل حجم الارض حجما عظيما كبيرا لايقع البصر على منتهاه فان الارض لو كانت اصغر حجما مما هى الآن عليه لما كمل الانتفاع بها ومدّ الارض على اىّ معنى كان لاينافى كونها كرة لان الكرة اذا كانت فى غاية الكبر كانت كل قطعة منها تشاهد كالسطح والتفاوت الحاصل بينها وبين السطح لايحصل الا فى علم الله تعالى ثم استدل عليه بحصول جبال ثابتة فيها غير منتقلة عن اماكنها فان حصول الجبل فى بعض جوانبها دون البعض مع ان طبيعة الارض واحدة لابدّ ان يكون بتخصيص الفاعل المختار الحكيم وكذلك حصول الانهار فى بعض جوانبها دون بعض لابدّ ان يستند اليه ثم استدل عليه بعجائب خلقه حيث قال تعالى ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين فان الحبة اذا وقعت فى الارض وانتشرت فيها نداوة الارض نبتت وربت وكبرت وبسبب ذلك ينشق اعلاها واسفلها فيخرج من الشق

(ترونها) صفة لعمد او استئناف للاستشهاد برؤيتهم السموات كذلك وهو دليل على وجود الصانع الحكيم فان ارتفاعها على سائر الاجسام المساوية لها فى حقيقة الجرمية واختصاصها بما يقتضى ذلك لابدّ وان يكون لمخصص ليس بجسم ولا جسمانى يرجح بعض الممكنات على بعض بارادته وعلى هذا المنهاج سائر ما ذكر من الآيات (ثم استوى على العرش) بالحفظ والتدبير (وسخر الشمس والقمر) ذللهما لما اراد منهما كالحركة المستمرة على حدّ من السرعة ينفع فى حدوث الكائنات وبقائها

الاعلى الشجرة الصاعدة ويخرج من الشق الاسفل العروق الغائصة فى اسفل الارض وهذا من العجائب لان طبيعة تلك الحبة واحدة وتأثير تلك الطبائع والافلاك والكواكب فيها واحد ثم انه خرج من احد جانبي تلك الحبة جرم صاعد الى الهواء ومن الجانب الآخر منها جرم غائص فى الارض ومن المحال ان يتولد من طبيعة واحدة طبيعتان متضادتان فعلمنا ان ذلك انما كان بسبب تدبير المدبر الحكيم ثم ان الشجرة النابتة من تلك الحبة بعضها يكون خشبا وبعضها يكون نورة وبعضها يكون ثمرة ثم ان تلك الثمرة ايضا يحصل فيها اجسام مختلفة الطبائع فالجوز له اربعة انواع من القشور قشره الاعلى وتحته القشرة الخشبية وتحته القشرة المحيطة باللب وتحت هذه القشرة قشرة اخرى فى غاية الرقة تمتاز عما فوقها حال كون الجوز واللوز رطبا وايضا فقد يحصل فى الثمرة الواحدة الطبائع المختلفة فالعنب مثلا قشره وعجمه باردان يابسان ولحمه وماؤه حاران رطبان فتولد هذه الطبائع المختلفة من الحبة الواحدة مع تساوى تأثيرات الطبائع وتأثيرات الانجم والافلاك لابد وان يكون لاجل تدبير الحكيم القديم ثم استدل باحوال الليل والنهار حيث قال تعالى يغشى الليل النهار فان الانعام لايكمل الا بالليل والنهار وتعاقبهما ﴿قوله لمدة معينة﴾ اى يسير الى وقت معلوم فى منازله لايجاوزه قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما للشمس مائة وثمانون منزلا كل يوم لها منزل وسيرها فى تلك المنازل يتم فى ستة اشهر ثم انها تعود مرة اخرى الى كل واحد منها فى ستة اشهر اخرى وكذلك القمر له ثمانية وعشرون منزلا فالمراد بقوله تعالى كل يجرى لاجل مسمى هذا وقيل المراد به كونهما متحركين الى يوم القيامة وعند مجيء ذلك اليوم تنقطع هذه الحركات ﴿قوله امر ملكوته﴾ اى امر ملكه وسلطنته فان الملكوت من الملك كالرهبوت من الرهب يقال له ملكوت العراق وهو الملك والعزة ولفظ الجلالة فى قوله تعالى الله الذى رفع السموات مبتدأ خبره الذى ورفع السموات واستوى على العرش وسخر الشمس والقمر صلات وكأنه قيل ماذا حكمته فى انشائها وتسخيرها والاستوآء عليه قيل يدبر الامر يفصل الآيات الدالة على وجود منشئها وحكمة مخترعها ليوقن المكلفون بان مرجعهم اليه وانه لابد من لقائه ليثيبهم ويعاقبهم على ما كلفوا به كما اشار اليه بقوله تعالى لعلكم بلقاء ربكم توقنون وقوله تعالى ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون وان كان الذى رفع السموات صفة للفظ الجلالة يكون قوله يدبر خبرا للمبتدأ ويفصل خبرا بعد خبر كما اشار اليه المصنف ويكون المقصود من توصيف المسند اليه باسم الموصول جعله ذريعة ووسيلة الى التعريض بتعظيم شأن الخبر الذى هو التدبير والتفصيل كما فى قول الفرزدق

* ان الذى سمك السماء بنى لنا * بيتا دعائمه اعز واطول *

فان فى قوله ان الذى سمك السماء ايماء الى ان الخبر المبنى عليه امر من جنس الرفعة والبناء فكذا قوله تعالى فى الآية الذى رفع السموات بغير عمد ترونها الى آخر الصلات ذريعة وايماء الى ان الخبر المبنى عليه امر عظيم الشان يليق ان يصدر عمن هذا شأنه ﴿قوله ينزلها ويبينها مفصلة﴾ على ان يكون المراد بالآيات آيات القرآن ويكون المراد بتفصيلها انزالها مفرقة على حسب تجدد المصالح والثانى على ان يكون المراد بها الدلائل على وجود الصانع وعلمه وقدرته وحكمته وتفصيلها احداث بعضها عقيب بعض على سبيل التمييز والتفصيل ﴿قوله والتاء للتأنيث﴾ جواب عما يرد على قوله جبالا ثوابت وهو ان رواسى اذا كانت صفة جبال يكون مفردها وهو راسية صفة جبل وهو مذكر فما وجه دخول التاء فى صفته * وتقرير الجواب انا لا نسلم ان راسية صفة جبل بل هو صفة اجبل وهو جمع والجمع لكونه فى تأويل الجماعة يعامل معاملة المؤنث وفيه بحث وهو ان الرواسى لما كان جمع راسية التى هى صفة اجبل لزم ان يكون الجبال الرواسى جمع الجمع وليس كذلك بل كل واحد من الجبال والاجبل جمع جبل الاول جمع كثرة والثانى جمع قلة فالاولى هو الجواب الثانى وهو ان راسية صفة جبل والتاء فيه ليست للتأنيث بل هى للمبالغة كما فى علامة ﴿قوله ضمها الى الجبال﴾ جواب عما يقال كل واحد من الرواسى والانهار اختصاصه ببعض جوانب الارض دون بعض دليل مستقل على وجود الصانع الحكيم فلم جمعهما وعلق بهما فعلا واحدا حيث قال وجعل فيها رواسى وانهارا اى خلق فيها اياهما والوجه فى كون الجبال اسبابا لتولد الانهار ان الحجر جسم صلب فاذا تصاعدت الابخرة من قعر الارض ووصلت الى الجبل احتبست هناك فلا تزال تتزاحم وتتضاعف حتى تحصل بسبب الجبل مياه عظيمة لكثرتها وقوتها تثقب الجبل وتخرج وتسيل على وجه الارض فهذا هو السبب فى تولد الانهار من الجبال فلما كان بينهما هذه العلاقة كنت ترى فى اكثر الامر انه تعالى انما ذكر الجبال قرن بها ذكر الانهار مثل ما فى هذه الآية ومثل ما فى قوله تعالى وجعلنا فيها رواسى شامخات واسقيناكم ماء فراتا ﴿قوله متعلق بقوله جعل﴾

(كل يجرى لاجل مسمى) لمدة معينة يتم فيها ادوازه اولغاية مضروبة ينقطع دونها سيره وهى اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت (يدبر الامر) امر ملكوته من الايجاد والاعدام والاحياء والاماتة وغير ذلك (يفصل الآيات) ينزلها ويبينها مفصلة او يحدث الدلائل واحدا بعد واحد (لعلكم بلقاء ربكم توقنون) لكى تتفكروا فيها وتتحققوا كمال قدرته فتعلموا ان من قدر على خلق هذه الاشياء وتدبيرها قدر على الاعادة والجزآء (وهو الذى مد الارض) بسطها طولا وعرضا ليثبت فيها الاقدام ويتقلب عليها الحيوان (وجعل فيها رواسى) جبالا ثوابت من رسا الشئ اذا ثبت جمع راسية والتاء للتأنيث على انه صفة اجبل او للمبالغة (وانهارا) ضمها الى الجبال وعلق بهما فعلا واحدا من حيث ان الجبال اسباب لتولدها (ومن كل الثمرات) متعلق بقوله (جعل فيها زوجين اثنين) اى جعل فيها من جميع انواع الثمرات صنفين اثنين كالحلو والحامض والاسود والابيض والصغير والكبير

(على)

(يغشى الليل النهار) يلبسه مكانه فيصير الجوّ مظلما بعد ما كان مضيئا وقرأ حمزة والكسائى وابو بكر يغشى بالتشديد (ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) فيها فان تكوّنها وتخصصها بوجه دون وجه دليل على وجود صانع حكيم دبر امرها وهيأ اسبابها (وفى الارض قطع متجاورات) بعضها طيبة وبعضها سبخة وبعضها رخوة وبعضها صلبة وبعضها يصلح للزرع دون الشجر وبعضها بالعكس ولولا تخصيص قادر موقع لافعاله على وجه دون وجه لم تكن كذلك لاشتراك تلك القطع فى الطبيعة الارضية وما يلزمها ويعرض لها بتوسط ما يعرض من الاسباب السماوية من حيث انها متضامّة متشاركة فى النسب والاوضاع (وجنات من اعناب وزرع ونخيل) وبساتين فيها انواع الاشجار والزروع وتوحيد الزرع لانه مصدر فى اصله وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب وحفص وزرع ونخيل بالرفع عطفا على وجنات (صنوان) نخلات اصلها واحد (وغير صنوان) ومتفرّقات مختلفة الاصول وقرأ حفص بالضم وهو لغة تميم كقنوان فى جمع قنو (تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الاكل) فى الثمر شكلا وقدرا ورآئحة وطعما وذلك ايضا مما يدل على الصانع الحكيم فان اختلافها مع اتحاد الاصول والاسباب لا يكون الا بتخصيص قادر مختار وقرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب يسقى بالتذكير على تأويل ما ذكر وحمزة والكسائى يفضل بالياء ليطابق قوله يدبر الامر (ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون) يستعملون عقولهم بالتفكر (وان تعجب) يا محمد من انكارهم البعث (فعجب قولهم) حقيق بان تتعجب منه فان من قدر على انشاء ما قص عليك كانت الاعادة ايسر شئ عليه والآيات المعدودة كما هى دالة على وجود المبدأ فهى دالة على امكان الاعادة من حيث انها تدل على كمال علمه وقدرته وقبول المواد لانواع تصرّفاته (أئذا كنا ترابا ائنا لفى خلق جديد) بدل من قولهم او مفعول له والعامل فى اذا محذوف دل عليه ائنا لفى خلق جديد (اولئك الذين كفروا بربهم) لانهم كفروا بقدرته على البعث (واولئك الاغلال فى اعناقهم) مقيدون بالضلالة لا يرجى خلاصهم او يغلون يوم القيامة (واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون) لا ينفكون عنها وتوسيط الفصل لتخصيص الخلود بالكفار

على انه حال من معموله اى وجعل فيها زوجين اثنين حال كونهما من جميع انواع الثمرات قدّمت على ذى الحال لكونه نكرة وقوله تعالى يغشى الليل النهار اما مستأنف لبيان الحكمة فى انشاء الشمس والقمر وتسخيرهما او حال من ضمير اسم الله المستتر فى الافعال المذكورة قبله وهى رفع وسخر ويدبر ويفصل ومدّ وجعل ﴿ قوله يلبسه مكانه ﴾ يعنى ان الاغشاء الباس الشئ الشئ ولما كان الباس الليل النهار وتغطية النهار به غير معقول لانهما متضادّان لا يجتمعان والالباس لابدّ ان يجتمع مع اللابس قدّر المضاف وهو مكانه ومكان النهار هو الجوّ وهو الذى يلبس ظلمة الليل شبه احداث الظلمة فى الجوّ الذى هو مكان الضوء بالباسها اياه وتغطيته بها فاطلق عليه اسم الاغشاء والالباس فاشتق منه لفظ يغشى فصار استعارة تبعية ﴿ قوله ولولا تخصيص قادر الخ ﴾ اشارة الى ان المقصود من قوله تعالى وفى الارض قطع متجاورات الآية اقامة الدليل على انه لا يجوز ان يكون حدوث الحوادث فى هذا العالم مستندا الى الاتصالات الفلكية والحركات الكوكبية وذلك لان قطع الارض مختلفة فى صفاتها مع اشتراكها فى الطبيعة الارضية وكونها متجاورة متقاربة بحيث يكون تأثير الشمس وسائر الكواكب فيها على السوية وقوله من حيث انها متضامّة متشاركة فى النسب والاوضاع علة لاشتراك تلك القطع فيما يعرض لها بتوسط ما يعرض من الاسباب السماوية ﴿ قوله نخلات اصلها واحد ﴾ تفسير لصنوان على وجه يشير الى ان صنوان جمع صنو كقنوان جمع قنو وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال الصنوان ما كان من نخلتين او ثلاث او اكثر اصلهنّ واحد وغير صنوان يريد به المتفرّق الذى لا يجمعه اصله واحد ﴿ قوله وقرأ ابن كثير الى قوله بالرفع عطفا على وجنات ﴾ لا يخفى ان المرفوع بالعطف على جنات انما هو قوله تعالى وزرع ونخيل واما رفع قوله تعالى صنوان وغير صنوان فلكونه تابعا لنخيل والنخل والنخيل بمعنى واحد وقرأ الباقون بجرّ الالفاظ عطفا على اعناب واختار المصنف رحمه الله هذه القرآءة ولهذا قال وبساتين فيها انواع الاشجار الخ ﴿ قوله على تأويل ما ذكر ﴾ اى يسقى ما ذكر من القطع المتجاورة والجنات والنخيل المتفقة الاصول والمختلفة الاصول بماء واحد ونفضل بعض هذه الاشياء المذكورة فى الثمر من جهة الشكل والقدر والرآئحة والطعم ويحتمل ان يكون قرآءة يسقى بالياء التحتانية بناء على تأويل كل واحد منها او على تغليب المذكر على المؤنث والاكل الثمر الذى يؤكل وقيل الاكل كل ما هئ للاكل ثمرا كان او غيره ويؤيده قوله تعالى فى صفة الجنة اكلها دآئم وهو عام فى جميع المطعومات وقرأ الباقون تسقى بالتاء الفوقانية على اسناد الفعل الى ضمير جنات او الى الاشياء المذكورة ويؤيد هذه القرآءة قوله تعالى ونفضل بعضها اى بعض هذه المذكورات ومن قرأ يفضل بالياء التحتانية على بناء الفاعل عطفه على قوله يدبر ويفصل ويغشى ومن قرأ نفضل بنون العظمة قال تقديره ونحن نفضل وقرأ نافع وابن كثير الاكل ساكنة الكاف فى جميع القرآت والباقون مضمومة الكاف وهما لغتان ﴿ قوله حقيق بان تتعجب منه ﴾ اى فقد عجبت فى موضع العجب لما قرّر وفصل من الدلائل ما يدل على وجود المبدئ القادر على كل شئ وكانت تلك الدلائل دالة على صحة الاعادة ايضا استبعد قول من انكرها فقال وان تعجب من انكارهم البعث فقد عجبت العجب والتعجب حالة انفعالية تعرض للنفس عند ادراك ما لا يعرف سببه وهو مستحيل فى حق الله تعالى فكان المراد وان تعجب فعجب عندك ﴿ قوله بدل من قولهم ﴾ اى من لفظ قولهم بدل الكل من الكل لان هذا هو نفس قولهم والاظهر ان هذه الجملة الاستفهامية منصوبة المحل على انها محكية بالقول واذا هنا ظرف محض وليس فيها معنى الشرط والعامل فيها مقدّر يفسره قوله تعالى لفى خلق جديد والتقدير أئذا كنا ترابا نبعث او نحشر ولا يجوز ان يكون العامل فيها كنا لانه مضاف اليه فلا يعمل فى المضاف ولا يعمل فيها ايضا خلق جديد لان ما بعد اداة الاستفهام وما بعد ان لا يعمل فيما قبله ولما حكى الله تعالى عنهم هذه المقالة وقال وان تعجب منها فقد تعجبت فى موضع التعجب حكم عليهم بثلاثة اشياء اوّلها قوله تعالى اولئك الذين كفروا بربهم لان من انكر البعث والقيامة انما ينكره لانكاره قدرة الله تعالى عليه واحاطة علمه بجميع الكليات والجزئيات او لانكاره صدق من صدّقه الله تعالى باظهار المعجزات الباهرة على يده وحكم عليهم ثانيا بقوله تعالى واولئك الاغلال فى اعناقهم والاغلال جمع الغل وهو طوق يشدّ به اليد الى العنق يقال منه غل الرجل فهو مغلول والمصنف رحمه الله فسر الاغلال اوّلا بما هم عليه من سوء الاعتقاد وقبائح الاعمال شبهها بالاغلال فى لزومها لهم ومنعها اياهم عن الالتفات الى غيرها يقال للرجل هذا غل فى عنقك للعمل الردى ومعناه انه لازم لك لا يرجى خلاصك منه ثم فسرها ثانيا بمعناها الحقيقى الاصلى وجعل

الكلام على الحقيقة وان كان اولى الا ان المصنف رحمه الله قدم التفسير الاوّل فى الذكر لان ظاهر الآية يقتضى حصول الاغلال فى اعناقهم فى الحال وهو امر سيحصل يوم القيامة بخلاف الغل بمعنى الكفر والضلال فانه حاصل فى الحال فحمل الكلام عليه رعاية لجانب الحقيقة من بعض الوجوه فلا رجحان لاحد الحملين على الآخر من هذا الوجه ورجح الوجه الاوّل لانه يفيد تقبيح حالهم فى الآخرة فلذلك كان انسب فى هذا المقام وعلى الوجه الثانى يكون المعنى اولئك يغلون يوم القيامة وحكم عليهم ثالثا بقوله واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون على معنى انهم هم الموصوفون بالخلود فى النار لاغيرهم وان خلودهم انما هو فى النار لافى غيرها لان كل واحد من توسيط ضمير الفصل وتقديم فيها يفيد الحصر فثبت ان اهل الكبائر لايخلدون فى النار ﴿ قوله وذلك انهم استعجلوا بما هددوا به من عذاب الدنيا استهزاء ﴾ اى قالوا متى يجيئنا هذا العذاب فاستعجلوا نزوله على سبيل الطعن فيه واظهار ان الذى يقوله كلام لااصل له فلهذا السبب حكى الله تعالى عنهم انهم يستعجلون الرسل بالسيئة قبل الحسنة اى بنزول العقوبة المهلكة قبل احسان الله معهم بالانظار والامهال فانه تعالى صرف عمن بعث اليهم محمدا صلى الله عليه وسلم عقوبة الاستئصال واخر تعذيب مكذبيه الى يوم القيامة فذلك التأخير فى حقهم هو الحسنة فهؤلاء طلبوا منه صلى الله عليه وسلم نزول تلك العقوبة ولم يرضوا بما هو حسنة فى حقهم سميت العقوبة سيئة لانها تسوءهم وتؤذيهم ويجوز ان يكون المراد بالحسنة الثواب الموعود لهم فى الآخرة وحصول النصر والظفر فى الدنيا بشرط الايمان فانه صلى الله عليه وسلم كان يعدهم ذلك على الايمان فالقوم طلبوا منه صلى الله عليه وسلم نزول العذاب بدل ماوعدلهم على الايمان من النصر والظفر * واعلم انه صلى الله عليه وسلم كان يهددهم تارة بعذاب القيامة وتارة بعذاب الدنيا والقوم كلما هددهم بعذاب القيامة انكروا البعث والقيامة وهو الذى تقدم ذكره فى قوله تعالى وان تعجب فعجب قولهم ائذا كنا ترابا وكلما هددهم بعذاب الدنيا استعجلوه وقالوا متى يجيئنا استهزاء وهو قوله ويستعجلونك بالعذاب وقوله قبل الحسنة متعلق بالاستعجال ظرف له ويجوز ان يكون متعلقا بمحذوف على انه حال مقدرة من السيئة وقوله وقد خلت حال من المستعجلين والعامة على فتح الميم وضم الثاء المثلثة وهو جمع مثلة بفتح الميم وضم الثاء ايضا كسمرة وسمرات وهى العقوبة الفاضحة ويقال لها مثلة ايضا بضم الميم وسكون الثاء مثل صدقة وصدقة ويجمع على مثلات بسكون الثاء وقيل المثلة العقوبة المبقية فى المعاقب شيأ وهو تغير تبقى الصورة معه قبيحة وهو قوله مثل فلان بفلان اذا قبح صورته او قطع اذنه او انفه او سمل عينه او بقر بطنه فهذا هو الاصل ثم يقال للعار الباقى والخزى اللازم مثلة قال الواحدى اصل هذا الحرف من المثل الذى هو الشبه ولما كان الاصل ان يكون العقاب مشابها للمعاقب عليه ومماثلا له لاجرم انه يسمى بهذا الاسم وقرئ المثلات بضمتين لاتباع الفاء العين والمثلات بفتح الميم وسكون الثاء جمع مثلة قيل لغة الحجاز والمثلات بضم الميم وسكون الثاء على ان يكون المثلة بالضم والسكون لغة اصلية او مخففة من المثلة بضمتين وهو قوله بالتخفيف بعد الاتباع وقرأ الاعمش ومجاهد المثلات بفتحهما جمع مثلة على وزن صدقة اوجمع مثلة كركبة وركبات ﴿ قوله مع ظلمهم انفسهم ﴾ يعنى ان قوله تعالى على ظلمهم معناه حال اشتغالهم بالظلم كما يقال رأيت فلانا على اكله والمراد حال اشتغاله بالاكل ﴿ قوله والعامل فيه المغفرة ﴾ يعنى انه هو العامل فى صاحبها والا فتعلق الجار والمجرور محذوف اى مستمرين على ظلمهم ولاشك ان المستمر على الظلم والمشتغل به لايكون تائبا عنه فدلت الآية على جواز العفو بدون التوبة ولما لم يكن معمولا بها فى حق الكفار للنصوص الدالة على عدم العفو عنهم بقيت معمولا بها فى حق اهل الكبيرة فيكون قوله تعالى وان ربك لشديد العقاب فى حق الكفار او فى حق من شاء عقابه من عصاة المؤمنين ثم انه تعالى لما تعجب من الكفار انكارهم البعث والجزاء المستلزم لانكار النبوة حكى انهم طعنوا فى نبوته صلى الله عليه وسلم ولم يعتدوا بما شاهدوه من المعجزات وطلبوا منه صلى الله عليه وسلم معجزات ظاهرة قاهرة مثل فلق البحر وقلب العصا ثعبانا فقال ويقول الذين كفروا الآية فلقن الله تعالى نبيه عليه الصلاة والسلام ان يجيبهم بان يقول ليس علىّ اتيان كل مايقترح علىّ وانما علىّ الانذار عن مخالفة حكم الله ومايتوقف عليه ذلك الانذار وهو اتيان ماتثبت به النبوة من جنس المعجزات فان اتيت بمعجزة واحدة فقد تم المقصود فيكون طلب الباقى تحكما على مدعى النبوة فلا يلتفت اليه لتمام الحجة بدون الباقى وايضا فتح هذا الباب يفضى الى اتيان مالانهاية له لانه كلما جاء بمعجزة جاء واحد آخر فطلب معجزة اخرى وذلك يوجب سقوط عزم الانبياء عليهم الصلاة والسلام وهو باطل ﴿ قوله

(ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة) بالعقوبة قبل العافية وذلك انهم استعجلوا بما هددوا به من عذاب الدنيا استهزاء (وقد خلت من قبلهم المثلات) العقوبات لامثالهم من المكذبين فالهم لم يعتبروا بها ولم يجوزوا حلول مثلها عليهم والمثلة بفتح الثاء وضمها كالصدقة والصدقة العقوبة لانها مثل المعاقب عليه ومنه المثال للقصاص وامثلت الرجل من صاحبه اذا اقتصصته منه وقرئ المثلات بالتخفيف والمثلات باتباع الفاء العين والمثلات بالتخفيف بعد الاتباع والمثلات بفتح الثاء على انها جمع مثلة كركبة وركبات (وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم) مع ظلمهم انفسهم ومحله النصب على الحال والعامل فيه المغفرة والتقييد به دليل جواز العفو قبل التوبة فان التائب ليس على ظلمه ومن منع ذلك خص الظلم بالصغائر المكفرة لمجتنب الكبائر او اوّل المغفرة بالستر والامهال (وان ربك لشديد العقاب) للكفار او لمن شاء وعن النبى صلى الله عليه وسلم لولا عفو الله وتجاوزه لما هنأ احدا العيش ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل احد (ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه) لعدم اعتدادهم بالآيات المنزلة عليه واقتراحا لنحو مااوتى موسى وعيسى عليهما السلام (انما انت منذر) مرسل للانذار كغيرك من الرسل وماعليك الا الاتيان بما تصح به نبوتك من جنس المعجزات لابما يقترح عليك

(ولكل قوم هاد) نبي مخصوص بمعجزات من جنس ماهو الغالب عليهم يهديهم الى الحق ويدعوهم الى الصواب اوقادر على هدايتهم وهو الله تعالى لكن لايهدي الامن يشاء هدايته بماينزل من الآيات ثم اردف ذلك بمايدل على كمال علمه وقدرته وشمول قضائه وقدره تنبيها على انه تعالى قادر على ازال مااقترحوه وانما لم ينزل لعلمه بان اقتراحهم للعناد دون الاسترشاد وانه قادر على هدايتهم وانما لم يهدهم لسبق قضائه عليهم بالكفر وقرأ ابن كثير هاد ووال وواق وماعند الله باق بالتنوين في الوصل فاذا وقف وقف بالياء في هذه الاحرف الاربعة حيث وقعت لاغير والباقون يصلون بالتنوين ويقفون بغيرياء فقال (الله يعلم ماتحمل كل انثى) اى حملها او ماتحمله انه على اى حال هو من الاحوال الحاضرة والمترقبة (وماتغيض الارحام ومازداد) وما تنقصه وما تزداده في الجثة والمدّة والعدد واقصى مدّة الحمل اربع سنين عندنا وخمس عند مالك وسنتان عند ابى حنيفة روى ان الضحاك ولد لسنتين وهرم بن حيان لاربع سنين واعلى عدده لاحدّله وقيل نهاية ماعرف اربعة واليه ذهب ابو حنيفة رضي الله عنه وقال الشافعي رحمه الله اخبرني شيخ باليمن ان امرأته ولدت بطونا في كل بطن خمسة وقيل المراد نقصان دم الحيض وازدياده وغاض جاء متعديا ولازما وكذا ازداد قال تعالى وازدادوا تسعا فان جعلتهما لازمين تعين ان تكون مامصدرية واسنادهما الى الارحام على المجاز فانهما لله تعالى اولما فيها (وكل شئ عنده بمقدار) بقدر لايجاوزه ولاينقص عنه كقوله تعالى انا كل شئ خلقناه بقدر فانه تعالى خصّ كل حادث بوقت وحال معينين وهيأله اسبابا مسوقة اليه تقتضى ذلك (عالم الغيب) الغائب عن الحس (والشهادة) الحاضر له (الكبير) العظيم الشأن الذى لايخرج عن علمه شئ (المتعال) المستعلى على كل شئ بقدرته اوالذى كبرعن نعت المخلوقين وتعالى عنه (سوآء منكم من اسرّ القول) في نفسه (ومن جهر به) لغيره (ومن هو مستخف بالليل) طالب للخفاء في مختبا بالليل (وسارب) بارز (بالنهار) يراه كل احد من سرب سروبا اذابرز وهو عطف على من او مستخف على ان من في معنى الاثنين كقوله * نكن مثل من ياذئب يصطحبان * كأنه قال سوآء منكم اثنان مستخف بالليل وسارب بالنهار والآية متصلة بماقبلها مقرّرة لكمال علمه وشموله

نبي مخصوص بمعجزات من جنس ماهو الغالب عليهم ﴾ يعني ان تنكيرها لعموم الافراد والمعنى ان لكل قوم من الاقوام هاديا على حدة مغايرا لسائر الهداة وان الهداة على حسب اختلاف الاقوام الا ان المراد باختلاف الهداة اختلاف معجزاتهم على حسب اختلاف طرق الاقوام وكمالاتهم فانه تعالى وان سوّى بين جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام في اظهار المعجزة الا انه تعالى خص نبي كل قوم بنوع من المعجزة يناسب لطرق ذلك القوم فيما تميزوا به عن سائر الاقوام من الكمالات فلما كان الغالب في زمان موسى عليه الصلاة والسلام هو السحر جعل معجزته ماهو اقرب الى طريقهم ولما كان الغالب في زمن عيسى عليه الصلاة والسلام الطب جعل معجزته مايناسب الطب وهو احياء الموتى وابرآء الاكمه والابرص ولما كان الغالب في ايام نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الفصاحة والبلاغة جعل معجزته ماكان لاتقابله ذلك الزمان وهو فصاحة القرآن وبلوغه في باب البلاغة الى حدّ خارج عن قدرة الانسان فلما لم يؤمنوا بهذه المعجزة مع انها اقرب الى طريقهم واليق بطباعهم كان أن لايؤمنوا عند اظهار سائر المعجزات اولى ﴿ **قوله** اوقادر على هدايتهم ﴾ عطف على قوله نبي مخصوص والمعنى ان قومك ان لم يصدّقوك ولم يعتمدوا على مااظهرته من المعجزات فلايضيق قلبك بسببه فانه ليس عليك الاالانذار واما الهداية فانها الى الله تعالى فانه الهادي لكل قوم يهدي بارادته تعالى من يشاء ﴿ **قوله** ثم اردف ذلك الخ ﴾ اى اردف ذكر ماحكى عنهم من انهم طلبوا آيات اخرى غير ماأتى به الرسول صلى الله عليه وسلم بذكر مايدل على كمال علمه والمقصود بيان وجه انتظام هذه الآية بماقبلها وهو انه تعالى حكى عنهم انهم طلبوا آيات اخرى غير ماشاهدوه من الآيات ثم احتج على كمال علمه بانه يعلم ماتحمل كل انثى وكذا وكذا تنبيها على انه تعالى يعلم من حالهم هل طلبوا آية اخرى للاسترشاد اولاجل التعنت والعناد فلو علم انهم طلبوا ذلك لاجل الاسترشاد ومزيد الطمانينة لاظهر ذلك وما منعهم اياه ولكنه تعالى لماعلم منهم انهم لم يقولوا ذلك الالمحض العناد لاجرم منعه عنهم ﴿ **قوله** اى حملها او ماتحمله ﴾ يعني ان كلمة ما في قوله تعالى ماتحمل وماتغيض الارحام ومازداد يحتمل ان تكون مصدرية والمعنى يعلم حمل كل انثى ويعلم غيض الارحام وازديادها لايخفى عليه شئ من ذلك ولامن اوقاته واحواله ويحتمل ان تكون موصولة بمعنى الذى منصوبة المحل بيعلم والعائد محذوف اى يعلم ماتحمله من الولد هل هو ذكر او انثى تام او ناقص حسن او قبيح طويل او قصير الى غير ذلك من الاحوال الحاضرة والمترقبة ويعلم ايضا ماتغيضه الارحام وماتزداده على ان ماموصولة وغاض يستعمل لازما ومتعديا يقال غاض الماء يغيض غيضا اى قل ونضب كما يقال انغاض ويقال ايضا غاضه الله ومنه قوله تعالى وغيض الماء وكذا ازداد فانه يقال زدته فزاد بنفسه وازداد ويقال اخذت منه حقي وازددت منه كذا واختلفوا فيما تغيضه الارحام وماتزداده ماهو فقيل هو جثة الولد قدتكون كبيرة وقدتكون صغيرة وقدتكون تامّة الاعضاء وقد تكون ناقصة وقيل هو مدّة ولادته فانها قدتكون تسعة اشهر وازيد عليها الى سنتين عند ابى حنيفة رحمه الله والى اربع عند الامام الشافعي رحمه الله وكذلك عند الامام ابن حنبل والى خمس عند الامام مالك رحمهم الله تعالى وقيل هو عدد الولد فان الرحم قد يشتمل على ولد واحد وعلى اثنين وعلى ثلاثة وعلى اربعة * روى ان شريكا رضي الله تعالى عنه وهو احد فقهاء المدينة رضي الله تعالى عنهم كان رابع اربعة في بطن امه وقيل هو دم الحيض فانه يقل ويكثر ﴿ **قوله** فانهما لله تعالى ﴾ على تقدير كونهما متعديين اولما فيها على تقدير كونهما لازمين فان كل واحد من الغيوض والزيادة ليس لنفس الارحام بل لما فيها ﴿ **قوله** فانه تعالى خص كل حادث الخ ﴾ اشارة الى ان قوله تعالى وكل شئ عنده بمقدار المراد منه ان كل شئ في حكمه وارادته مختص بوقت وحال وقيل يحتمل ان يكون المراد من العندية العلم ومعناه انه تعالى يعلم كمية كل شئ وكيفيته على الوجه المعين فيمتنع وقوع التغيير في تلك المعلومات ثم انه تعالى احتج على كونه تعالى عالما بجميع المعلومات بقوله تعالى سوآء منكم من اسرّ القول الآية فقوله من اسرّ القول مبتدأ ومن جهر عطف عليه وسوآء خبر المبتدأ قدّم عليه ومنكم حال من الضمير المستتر في سوآء لانه بمعنى مستو ولم يثن الخبر مع انه خبر عن شيئين لانه في الاصل مصدر وان كان هنا بمعنى مستو والاستوآء يقتضى شيئين فمعنى الآية الانسان سوآء كان اضمر القول في نفسه او اظهره بلسانه وسوآء كان مستخفيا في الظلمات او ظاهرا في الطرقات فعلم الله تعالى محيط بالكل ﴿ **قوله** وهو عطف على من او على مستخف على ان من في معنى الاثنين ﴾ جواب عما يقال ان الاستوآء يقتضى شيئين فكيف يصح ان يعطف سارب على قوله مستخف مع انه مستلزم تحقق الاشياء بالاستوآء في شخص واحد له صفتان الاستخفاء والبروز وذلك لان جملة قوله تعالى

من هو مستخف بالليل وسارب بالنهار معطوفة على جملة قوله تعالى من اسرّ القول ومن جهر به وهما مبتدأ حكم عليهما بالاستوآء فلما عطف عليه قوله تعالى ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار لزم ان يكون هذا المعطوف ايضا محكوما عليه بالاستوآء وهو شخص واحد له صفتان لحق العبارة ان يقال ومن هو مستخف بالليل ومن هو سارب بالنهار ليتحقق شيئان يحكم عليهما بالاستوآء * واجاب المصنف عنه رحمه الله بوجهين تقرير الاوّل ما ذكر انما يلزم ان لو كان وسارب معطوفا على قوله مستخف وليس كذلك بل هو معطوف على من فيتحقق شيئان كأنه قيل سوآء منكم انسان وهو مستخف وسارب وتقرير الوجه الثانى سلمنا انه معطوف على مستخف لكن لانسلم استلزامه لكون الاستوآء فى شخص واحد بناء على ان كلمة من عبارة عن الاثنين كأنه قيل سوآء منكم اثنان هما مستخف بالليل وسارب بالنهار وعلى الوجهين تكون كلمة من موصوفة لا موصولة فيحمل الاوّلان ايضا على ذلك ليتوافق الكل ومما وقع فيه كلمة من عبارة عن المتعدد ما وقع فى بيت الفرزدق ۞ نكن مثل من ياذئب يصطحبان * وقبله

۞ فقلت له لما تكشر ضاحكا ۞ وقائم سيفى من يدى بمكان ۞

۞ تعال فان عاهدتنى لا تخوننى ۞ نكن مثل من ياذئب يصطحبان ۞

تكشر اى ابدى اسنانه وقائم السيف وقائمته مقبضه والمعنى وانا قابض قائم سيفى قبضا قويا ليس بعده شئ من القوّة يظهر تجلده وشجاعته يخاطب ذئبا اتاه ويقول له ان عاهدتنى على ان لا تخوننى كنا مثل رجلين يصطحبان فجملة يصطحبان صلة من وياذئب ندآء اعترض بين الصلة والموصول ﴿قوله لمن اسرّ الخ﴾ يعنى ان الضمير فى له عائد الى من فى قوله سوآء منكم من اسرّ القول وقيل الى اسم الله المذكور فى قوله تعالى عالم الغيب والشهادة والمعنى لله معقبات ﴿قوله من عقب مبالغة عقبه﴾ فتكون صيغة التفعيل للمبالغة والتكثير كما فى قولك طوّف البيت وقيل للملائكة عليهم الصلاة والسلام معقبات لكثرة تعقب بعضهم بعضا او لكثرة انهم يعقبون افعال المكلفين واقوالهم فيكتبونها فيكون اطلاق المعقبة على الملك كاطلاق النسابة والعلامة على الرجل وان التاء فيها ليست للتأنيث ﴿قوله او اعتقب﴾ عطف على قوله عقب فيكون معقبات اصله معتقبات فادغمت التاء فى القاف ﴿قوله والتاء للمبالغة﴾ جواب عما يقال الملك لا يوصف بالذكورة ولا بالانوثة فلم جمع وصفه جمع الاناث فقيل معقبات * فاجاب عنه اوّلا بان التاء ليست للتأنيث وثانيا بانها للتأنيث بناء على ان المعقبة صفة لجماعة الملائكة فلما جمعت اريد بها الجماعات قال جمهور المفسرين المراد بالمعقبات الملائكة الحفظة وصح وصفهم بالمعقبات اما لاجل ان ملائكة الليل تعقب ملائكة النهار وبالعكس واما لاجل انهم يعقبون اعمال العباد واقوالهم ويتبعونها بالحفظ والكتب وكل من عمل عملا ثم عاد اليه فقد عقب فعلى هذا المراد بالمعقبات ملائكة الليل والنهار ﴿قوله وقرئ معاقيب جمع معقب﴾ بسكون العين وكسر القاف كمقاديم فى جمع مقدم ومطاعيم فى جمع مطعم ومعقب اسم فاعل من قولهم ذهب فلان فاعقبه ابنه اى اخلفه وهو مثل عقبه ﴿قوله من جوانبه﴾ اى كائنين من جوانبه او كائنون من جوانبه على ان يكون قوله من بين يديه متعلقا بمحذوف على انه حال من الضمير المستتر فى الظرف الواقع خبرا او على انه صفة لمعقبات ويجوز ان يتعلق بنفس معقبات بان تكون من لابتدآء الغاية وعلى التقادير يتم الكلام عند قوله ومن خلفه * فان قيل كيف يتعلق حرفان متحدان لفظا ومعنى بعامل واحد وهما من الداخلة على بين ومن الداخلة على امر الله * فالجواب ان من الثانية مغايرة للاولى فى المعنى بان يكون معنى من الثانية يحفظونه من اجل امر الله اياهم بذلك او بسبب امره وقيل من امر الله خبر لمبتدأ محذوف اى ذلك الحفظ من امر الله اى مما امر الله به لانهم لا يقدرون على ان يدفعوا شيأ عما قضى الله وقدره ﴿قوله او من الاعمال ماقدّم واخر﴾ فالظاهر ان كلمة من على هذا تعليلية اى له معقبات يعقب بعضهم بعضا فى النزول الى الارض لاجل ما بين يديه من الاعمال او لاجل ما خلفه اى لاجل ان يكتبوا ما قدّمه وما أخره من الاعمال والاقوال وقوله تعالى يحفظونه يجوز ان يكون صفة اخرى وان يكون حالا من الضمير المستكن فى الجار والمجرور الواقع خبرا وقوله من امر الله متعلق به والمعنى يحفظونه من بأس الله ونقمته اذا اذنب بدعائهم له وسؤالهم ربهم ان يمهله رجاء ان يتوب او يحفظونه من المضارّ ويدل عليه ما روى عن مجاهد انه ما من مسلم ينام الا وكل به وكلاؤه من الملائكة يحفظونه من الجن والانس والهوام او يحفظونه من المضارّ فاذا رأوا شيئا منها قالوا ورآءك ورآءك الا شيئا قد قضى الله ان يصيبه وما روى عن عمر بن جندب قال كنا جلوسا عند سعيد بن قيس بصفين فاقبل علىّ رضى الله عنه يتوكأ على عنزة له بعد ما اختلط الظلام فقال سعيد امير المؤمنين

(له) لمن اسرّ او جهر او استخفى او سرب (معقبات) ملائكة تعتقب فى حفظه جمع معقبة من عقب مبالغة عقبه اذا جاء على عقبه كأنّ بعضهم يعقب بعضا ولانهم يعقبون اقواله وافعاله فيكتبونها او اعتقب فادغمت التاء فى القاف والتاء للمبالغة او لان المراد بالمعقبات جماعات وقرئ معاقيب جمع معقب او معقبة على تعويض الياء من احدى القافين (من بين يديه ومن خلفه) من جوانبه او من الاعمال ماقدّم واخر (يحفظونه من امر الله) من بأسه متى اذنب بالاستمهال او الاستغفار له او يحفظونه من المضارّ او يراقبون احواله من اجل امر الله وقد قرئ به وقيل من بمعنى الباء وقيل من امر الله صفة ثانية لمعقبات

قال نعم قال اماتخاف ان يغتالك احدقال انه ليس من احد الا ومعه من الله حفظة من ان يتردّى فى بئر او يخرّ من جبل او يصيبه حجر او تصيبه دابة فاذا جاء القدر خلوا بينه و بين القدر ﴿قوله وقيل المعقبات الحرس والجلاوزة﴾ وفى الصحاح الحرس حرس السلطان وهم الحراس الواحد حرسى لانه قدصار اسم جنس فينسب اليه ولاتقول حارس الا ان تذهب الى معنى الحراسة والحفظ دون الجنس وقال الجلواز الشرطى والجمع الجلاوزة وهم اعوان السلطان فالمقصود من هذا الكلام توبيخ الغافل المتمادى فى غروره والتهكم به على اتخاذ الجلاوزة وهم اعوان السلطان والحرس بناء على توهم انهم يحفظونه من امر الله وقضائه كما يشاهد من ان بعض الملوك والسلاطين يتخذون الحرسى والشرطى لذلك والعاقل يعلم ان القضايا الالهية والنوازل المقدّرة مما لايمكن التحفظ عنه فانظر رأيهم وماذهبوا اليه ﴿قوله وانتصابهما على العلة بتقدير المضاف﴾ احتيج الى تقديره لان الخوف من صواعق البرق والطمع فى غيثه ليسا من فعل فاعل الفعل المعلل لان الارآءة فعل الله والخوف والطمع فعل المخاطبين ﴿قوله او الحال﴾ اى ويحتمل ان يكون انتصابهما على ان يكونا مصدرين واقعين موقع الحال امامن المفعول الاوّل لقوله يريكم اى يريكم البرق خائفين صواعقه طامعين واما من المفعول الثانى وهو البرق اى يريكم اياه حال كونه ذاخوف وطمع اومخوفا اومطموعا فى غيثه ﴿قوله وقيل يخاف المطر من يضرّه الخ﴾ عطف على قوله خوفا من اذاه وطمعا فى الغيث اختار ان يكون المخوف منه والمطموع فيه شيئين مختلفين وضعف ان يكون المراد منهما شيئا واحدا بالنسبة الى شخصين * واعلم انه تعالى لماخوّف العباد بانزال مالامردّ له اتبعه بذكر آيات وانواع دالة على وجود الصانع القادر على مايشاء النوع الاوّل ارآءة البرق قال تعالى هو الذى يريكم البرق الآية والبرق دليل عجيب على قدرة الله تعالى وبيانه ان السحاب لاشك انه جسم مركب من اجزآء رطبة ومن اجزآء هوآئية ولاشك ان الغالب عليه الاجزآء المائية والماء جسم بارد رطب والنار جسم حارّ يابس وحصول الضدّ من الضدّ على خلاف العقل فلابدّ له من صانع مختار يظهر الضدّ من الضدّ والنوع الثانى من دلائل وجود الصانع وقدرته احداث السحاب الثقال بالماء وخلقته لان هذه الاجزآء المائية المشوبة بالاجزآء الهوآئية انما حدثت وتكوّنت فى جوّ الهوآء بقدرة المحدث القادر على مايشاء والقول بان تلك الاشياء اى الاجزآء تصاعدت من الارض فلما وصلت الى الطبقة الباردة من الهواء بردت وثقلت فرجعت الى الارض خبط لان الامطار مختلفة فتارة تكون قطراتها كبيرة وتارة تكون صغيرة وتارة تكون متقاربة واخرى تكون متباعدة وتارة تدوم زمانا طويلا وتارة لاتدوم فاختلاف الامطار فى هذه الصفات مع ان طبيعة الارض واحدة وكذا طبيعة الشمس المسخنة للبخارات واحدة لابدّ ان يكون بتخصيص الفاعل المختار وايضا فالتجربة دلت على ان للدعاء والتضرّع فى نزول الغيث اثرا عظيما ولذلك كانت صلاة الاستسقاء مشروعة فعلمنا ان المؤثر فيه هو قدرة الفاعل لا الطبيعة والخاصة والنوع الثانى من الدلائل المذكورة فى هذه الآية الرعد اختلف العلماء فى الرعد والبرق فقال بعضهم اسم ملك من الملائكة وهذا الصوت المسموع هو صوت ذلك الملك بالتسبيح والتهليل وذلك يسمى ايضا بالرعد ويؤيد هذا القول ماروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه قال ان اليهود سألت النبى صلى الله عليه وسلم عن الرعد ماهو فقال * ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب حيث شاء الله * قالوا فما الصوت الذى يسمع قال * زجره السحاب فاذا شذت سحابة ضمها واذا اشتدّ غضبه طارت من فيه نار هى الصاعقة * وقيل الرعد ملك والبرق سوطه الذى يزجى به السحاب وروى عنه صلى الله عليه وسلم * ان الله ينشئ السحاب فينطقه احسن النطق ويضحكه احسن الضحك فنطقه الرعد وضحكه البرق * وهذا القول غير مستبعد عقلا وذلك ان البنية ليست شرطا للحياة عند اهل السنة فلايبعد من الله تعالى ان يخلق الحياة والعلم والقدرة والنطق فى اجزآء السحاب فيكون هذا الصوت المسموع فعلاله والمخاريق جمع مخراق وهو فى الاصل ثوب يلف ويضرب به الصبيان بعضهم بعضا والمراد به ههنا آلة يسوق بها الملائكة السحاب وقال بعضهم ان الرعد اسم لهذا الصوت المخصوص ولما كان سببا حاملا لمن يسمعه على ان يسبح الله ويحمده اسند اليه التسبيح والحمد اسنادا مجازيا فقيل ويسبح الرعد بحمده ﴿قوله او يدل الرعد بنفسه﴾ عطف على قوله ويسبح سامعوه يعنى ان التسبيح والتقديس ومايجرى مجراهما ليس الا وجود مايدل على حصول النزاهة والتقدّس لله تعالى فلما كان حدوث هذا الصوت دليلا على وجود موجد متعال عن النقص والزوال موصوف بنعوت الفضل والجلال كان ذلك فى الحقيقة تسبيحا

(وكان)

وقيل المعقبات الحرس والجلاوزة حول
السلطان يحفظونه فى توهمه من قضاء الله
(ان الله لايغير مابقوم) من العافية والنعمة
(حتى يغيروا ما بانفسهم) من الاحوال
الجميلة بالاحوال القبيحة (واذا اراد الله
بقوم سوء افلا مردّ له) فلارد له والعامل
فى اذا مادل عليه الجواب (ومالهم من دونه
من وال) ممن يلى امرهم فيدفع عنهم السوء
وفيه دليل على ان خلاف مراده تعالى محال
(هو الذى يريكم البرق خوفا) من اذاه
(وطمعا) فى الغيث وانتصابهما على العلة
بتقدير المضاف اى ارآءة خوف وطمع
او التأويل بالاخافة والاطماع او الحال
من البرق او المخاطبين على اضمار ذوى
او اطلاق المصدر بمعنى المفعول او الفاعل
للمبالغة وقيل يخاف المطر من يضرّه ويطمع
فيه من ينفعه (وينشئ السحاب) الغيم
المنسحب فى الهوآء (الثقال) وهو جمع
ثقيلة وانما وصف به السحاب لانه اسم جنس
فى معنى الجمع (ويسبح الرعد) ويسبح
سامعوه (بحمده) ملتبسين به فيصيحون
بسبحان الله والحمد لله او يدل الرعد بنفسه
على وحدانية الله تعالى وكمال قدرته ملتبسا
بالدلالة على فضله ونزول رحمته وعن ابن
عباس رضى الله تعالى عنهما سئل رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن الرعد فقال ملك
موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق
بها السحاب (والملائكة من خيفته) من
خوف الله تعالى واجلاله وقيل الضمير للرعد

وتمجيد الله تعالى ولذلك قيل فى حق الرعد بمعنى الصوت المخصوص انه يسبح بحمد ربه فقول المصنف ويسبح سامعوه مبنى على ان يكون المراد بالرعد هذا الصوت المخصوص ثم اشار الى احتمال ان يكون المراد الملك الموكل بالسحاب بحكاية ماروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وقدم الاحتمال الاوّل بناء على ان عطف قوله تعالى والملائكة من خيفته على الرعد يؤذن بان الرعد ليس بملك لان العطف يقتضى التغاير بين المعطوف والمعطوف عليه ولمن ذهب الى ان المراد بالرعد الملك الموكل بالسحاب ان يقول الرعد وان كان من جنس الملائكة الا انه افرد بالذكر على سبيل التشريف وقد اشتهر بين العلماء ان العام اذا عطف على الخاص يراد به الافراد المغايرة لذلك الخاص وروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان الملائكة خائفون من الله تعالى وليس خوفهم كخوف ابن آدم فانه لايعرف احدهم من على يمينه ومن على يساره ولايشغله عن عبادة الله طعام ولاشراب ولاشئ اصلا والنوع الرابع من الدلائل المذكورة فى هذه الآية ماذكره الله بقوله ويرسل الصواعق الخ فان امر الصاعقة عجيب جدّا وذلك لانها نار تتولد فى السحاب مع ان طبيعة النار حارّة يابسة ضدّ طبيعة السحاب فيجب ان تكون طبيعتها فى الحرارة واليبوسة من طبيعة النار الحادثة عندنا على مايقتضيه العقل وليس الامر كذلك بل هى اقوى نيران هذا العالم فانها اذا نزلت من السحاب فربما غاصت فى البحر واحرقت الحيتان تحت البحر فظهر ان اختصاصها بمزيد تلك القوة لابدّ وان يكون بسبب تخصيص الفاعل المختار اياها بذلك ثم انه تعالى لما بين دلائل كمال علمه بقوله يعلم ماتحمل كل انثى الآية ثم بين دلائل كمال قدرته بذكر ماذكره من الآيات قال بعد ذلك وهم يجادلون اى هؤلاء الكفار مع ظهور هذه الدلائل يجادلون فى الله والواو التى فى هذه الجملة ان كانت للحال يكون المعنى يصيب بالصاعقة من يشاء فى حال جداله فى الله فان اربد بن ربيعة لما جادل فى الله احرقته الصاعقة وان كانت لعطف الجملة على الجملة اى لعطف جملة وهم يجادلون على جملة قوله تعالى يعلم ماتحمل كل انثى الآية يكون وجه انتظام هذه الجملة بماقبلها انه تعالى اخبر اوّلا عن علمه الشامل وقدرته الكاملة بقوله الله يعلم ماتحمل الآية ثم انه اخبر عن استوآء الظاهر والخفى عنده بقوله سوآء منكم الآية ثم اخبر عن وحدانية الله وتفرّده بالالوهية بقوله وهو الذى يريكم البرق وقوله ويسبح الرعد بحمده الآية ثم قال انهم مع ذلك يجادلون فى الله اى فى شان الله من علمه وقدرته ونعوت جلاله وجماله حيث ينكرون على رسوله مايصفه به من القدرة على البعث بقولهم من يحيي العظام وهى رميم ومن الوحدانية باتخاذهم الشركاء وبجعلهم اياه ابا لبعض الاجسام حيث قالوا الملائكة بنات الله ونحو ذلك ﴿قوله غدّة كغدّة البعير وموت فى بيت سلولية﴾ رويا مرفوعين بتقدير اصابنى غدّة كغدّة البعير وموت فى بيت سلولية وسلول قبيلة من العرب اقلهم وارذلهم قال قائل فى حقهم

الى الله اشكوانى بت طاهرا ✻ فجاء سلولىّ فبال على نعلى
فقلت اقطعوها بارك الله فيكمو ✻ فانى كريم غير مدخلها رجلى

كان عامر يقول ابتليت بامرين كل واحد منهما شرّ من الآخر احدهما ان غدّتى كغدّة البعير وان موتى موت فى بيت ارذل الخلائق والغدّة الطاعون للابل وقلما تسلم منه يقال اغدّ البعير اى صار ذا غدّة وهى الطاعون قال محيي السنة رضى الله تعالى عنه ان عامرا لما ولى هاربا ارسل الله تعالى ملكا فلطمه بجناحه فاوداه فى التراب وخرجت على ركبته فى الوقت غدّة عظيمة فعدا الى بيت سلولية وهو يقول غدّة كغدّة البعير وموت فى بيت سلولية ثم عدا بفرسه اى اجراه حتى مات على ظهره فاجاب الله تعالى دعاء رسوله بقوله اللهم اكفنيهما بماشئت فقتل عامرا بالطاعون واربد بالصاعقة وقال وانزل الله تعالى فى هذه القصة قوله تعالى سوآء منكم من اسرّ القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب النهار له معقبات يعنى رسول الله من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله ﴿قوله تعالى وهو شديد المحال﴾ فى محل النصب على انه حال من الجلالة الكريمة اى وهم يجادلون والحال انه شديد المكر والكيد لاعدآئه تعالى يأتيهم بالهلكة من حيث لايحتسبون هذا على تقدير ان يكون الواو فى قوله تعالى وهم يجادلون فى الله لعطف الجملة على الجملة واما ان كانت حالية فحينئذ تكون هذه الجملة ومابعدها استئنافا لتعليل قوله تعالى فيصيب به من يشاء وهم يجادلون فى الله وهو شديد المحال وسيشير اليه المصنف رحمة الله تعالى عليه بقوله والمراد بالجملتين الخ * الجوهرى المحل الجدب وهو انقطاع المطر ويبس الارض من الكلأ يقال امحل القوم وامحل البلد اذا اصابهم القحط والمحل المكر والكيد يقال محل به اذا سعى به الى السلطان وفى الدعاء ولا تجعله علينا

(ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء) فيهلكه (وهم يجادلون فى الله) حيث يكذبون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يصفه به من كمال العلم والقدرة والتفرّد بالالوهية واعادة الناس ومجازاتهم والجدال التشدّد فى الخصومة من الجدال وهو الفتل والواو اما لعطف الجملة على الجملة او للحال فانه روى ان عامر بن الطفيل واربد بن ربيعة اخا لبيد وفدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قاصدين لقتله عليه السلام فاخذه عامر بالمجادلة ودار اربد من خلفه ليضربه بالسيف فتنبه له الرسول صلى الله عليه وسلم وقال اللهم اكفنيهما بماشئت فارسل الله على اربد صاعقة فقتلته ورمى عامرا بغدّة فمات فى بيت سلولية وكان يقول غدّة كغدّة البعير وموت فى بيت سلولية فنزلت (وهو شديد المحال) المماحلة المكايدة لاعدآئه من محل فلان بفلان اذا كايده وعرّضه للهلاك ومنه تمحل اذا تكلف استعمال الحيلة ولعل اصله المحل بمعنى القحط

ماحلا مصدّقا اى خصما ماحلا مصدّقا مجادلا او ساعيا مصدّقا على ان يكون من قولهم محل بفلان الى السلطان اذا سعى به اليه قيل تمامه اللهم اجعله لنا شافعا مشفعا والضمير للقرآن الشريف يعنى ان من اتبعه وعمل بما فيه فانه شافع له مقبول الشفاعة ومصدّق عليه فيما يرفع من مساويه اذا ترك العمل به والمماحلة المهالكة والمكايدة فعلى هذا تكون الميم فى المحال اصلية ويكون وزنه فعالا وقوله وقيل فعال من الحل بمعنى القوّة عطف على قوله ولعل اصله المحل بمعنى القحط ولعل الوجه فى ترجيح ما اختاره ان المحل بمعنى القوّة ليس بمشهور ولذلك لم يذكره فى الصحاح ﴿قوله وقيل مفعل من الحول او الحيلة﴾ الظاهر صحة الواو كما فى قولهم مرود ومحور ومقود * اجاب عنه بقوله اعل على غير قياس وذكر ابو البقاء ان المحل هو القوّة يقال محل به اذا غلبه وفى الصحاح الحيلة بالكسر من الاحتيال وهو من ذوات الواو وكذا الحيل يقال لاحيل ولاقوّة لغة فى لاحول واستشهد رحمه الله تعالى عليه على كون المحال من الحول والحيلة بقراءة من قرأ بفتح الميم فانه مصدر بمعنى الاحتيال والاصل فى القرآن ان يفسر بعضه بعضا ويجوز ان يكون بمعنى الفقار وهو عمود الظهر فان المحال لغة فيه ايضا وفى الاساس قوىّ المحال اى قوىّ المحالات الواحدة محالة والميم اصلية ذكر فى النهاية فى حديث البحيرة ساعد الله اشدّ وموساه احدّ اى لو اراد الله عز وجل تحريمها بشق اذنها لخلقها كذلك فانه يقول سبحانه وتعالى كن فيكون ﴿قوله الدعاء الحق﴾ فيكون من باب اضافة الموصوف الى الصفة والمعنى ان الدعوة التى هى التضرّع والعبادة قسمان ما يكون حقا وصوابا وما يكون باطلا وخطأ والتى تكون حقا منها مختصة به تعالى لايشاركه فيها غيره وقد اشتهر بين النحاة ان هذه الاضافة تحتاج الى تأويل فهم يأوّلون بنحو أن يقال له عبادة اهل الحق او عبادة طالب الحق الا انه حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ليكون الكلام مشعرا باختصاصه بما يكون حقا من الدعوة والعبادة اى بالدعوة المختصة بكونها حقا فاضيفت الدعوة الى الحق لتكون الاضافة مفيدة اختصاص المضاف بالمضاف اليه ﴿قوله الدعوة المجابة﴾ على ان الحق بمعنى الثابت الغير الضائع الباطل وعلى الاوّل بمعنى الحقيق اللائق الغير الباطل وعلى اىّ معنى كان يكون الحق ما يناقض الباطل ويكون بينه وبين الدعوة ملابسة الوصفية والموصوفية المصححة للاضافة اليه ﴿قوله وقيل الحق هو الله تعالى﴾ فيه اشكال لان الكلام حينئذ يكون فى قوّة قولنا لله دعوة الله ولا معنى له ولعل مراده بقوله الحق هو الله تعالى ان الحقيق للدعاء والمستحق للعبادة هو الله تعالى الذى يسمع دعاء من دعاه ويرى عبادة من عبده فلا يخيب سائله ولا يضيع عمل من عبده فيكون دعاء من توجه اليه دعوة للحقيق للدعاء المختص به تعالى وانما يرد الاشكال ان لو كان المراد بقوله الحق هو الله تعالى ووجه اتصال قوله وهو شديد المحال وله دعوة الحق بما قبلهما على تقدير كون الآية نازلة فى عامر واربد ان يكون قوله تعالى فيصيب بها من يشاء هو عامر واربد وعلى تقدير كونها نازلة فى عامة المجادلين ان يكون قوله تعالى وهم يجادلون فى الله وهو شديد المحال جملة معطوفة على ما تقدّم عليها فى قوله تعالى الله يعلم ما تحمل كل انثى وما تغيض الارحام الى آخر الآيات فتكون كل واحدة منهما وعيدا لعامة المجادلين ﴿قوله فحذف الراجع﴾ اى الى الموصول وهذا الراجع هو مفعول يدعون فالموصول ان كان عبارة عن الاصنام يكون المحذوف الراجع والمفعول جميعا وفاعل يدعون ضمير المشركين والعائد المحذوف ضمير الاصنام وكذا لايستجيبون ان كان عبارة عن المشركين يكون المحذوف المفعول فقط لان ضمير يدعون يرجع الى المفعول حينئذ وفاعل قوله لايستجيبون ضمير عائد الى مفعول يدعون المحذوف وعاد عليه ضمير العقلاء لمعاملته اياهم معاملة العقلاء والتقدير والمشركون الذين يدعون الاصنام لايستجيبون اى لايستجيب لهم الاصنام الا استجابة مثل استجابة من بسط كفيه الى الماء اى من بسط كفيه اليه وطلب منه ان يبلغ فاه اذ الماء جماد لايشعر ببسط كفيه ولا بعطشه وحاجته ولا يقدر ان يجيب دعاءه ويبلغ فاه وكذلك ما يدعونه جماد لايجيب دعاءهم ولايستطيع اجابتهم ولايقدر على نفعهم ﴿قوله الا استجابة كاستجابة من بسط كفيه﴾ الاستثناء مفرّغ من اعم المصدر اى لايستجيب الاصنام شيأ من الاستجابة الا استجابة مثل استجابة من بسط كفيه اى مثل استجابة الماء من بسط كفيه على ان اضافة الاستجابة من قبيل اضافته الى مفعوله فان فاعلها الماء ومن بسط مفعوله والاستجابة بمعنى الاجابة كما فى قوله

وداع دعانا من يجيب الى الندا * فلم يستجبه عند ذاك مجيب

والتشبيه من المركب التمثيلى شبه حال الاصنام مع من دعاهم من المشركين وعدم فوز المشركين من دعائهم الاصنام

وقيل فعال من الحل بمعنى القوّة وقيل مفعل من الحول او الحيلة اعل على غير قياس ويعضده انه قرئ بفتح الميم على انه مفعل من حال يحول اذا احتال ويجوز ان يكون بمعنى الفقار فيكون مثلا فى القوّة والقدرة كقولهم فساعد الله اشدّ وموساه احدّ (له دعوة الحق) الدعاء الحق فانه الذى يحق ان يعبد او يدعى الى عبادته دون غيره او له الدعوة المجابة فان من دعاه اجاب ويؤيده ما بعده والحق على الوجهين ما يناقض الباطل واضافة الدعوة اليه لما بينهما من الملابسة او على تأويل دعوة المدعوّ الحق وقيل الحق هو الله تعالى وكل دعاء اليه دعوة الحق والمراد بالجملتين ان كانت الآية فى عامر واربد ان اهلاكهما من حيث لم يشعرا به محال من الله تعالى واجابة لدعوة رسوله صلى الله عليه وسلم ودلالة على انه على الحق وان كانت عامة فالمراد وعيد الكفرة على مجادلة رسوله صلى الله عليه وسلم بحلول محاله بهم وتهديدهم باجابة دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم او بيان ضلالهم وفساد رأيهم (والذين يدعون) اى والاصنام الذين يدعوهم المشركون فحذف الراجع او والمشركون الذين يدعون الاصنام فحذف المفعول لدلالة (من دونه) عليه (لايستجيبون لهم بشئ) من الطلبات (الا كباسط كفيه) الا استجابة كاستجابة من بسط كفيه (الى الماء ليبلغ فاه) يطلب منه ان يبلغه (وماهو ببالغه) لانه جماد لايشعر بدعائه ولايقدر على اجابته والاتيان بغير ما جبل عليه وكذلك آلهتهم

وقيل شبهوا فى قلة جدوى دعائهم لها بمن اراد ان يغترف الماء ليشربه فبسط كفيه ليشربه وقرئ تدعون بالتاء وباسط بالتنوين (وما دعاء الكافرين الا فى ضلال) فى ضياع وخسار وباطل (ولله يسجد من فى السموات والارض طوعا وكرها) يحتمل ان

يكون السجود على حقيقته فانه يسجد له الملائكة والمؤمنون من الثقلين طوعا حالتى الشدة والرخاء والكفرة له كرها حالة الشدة والضرورة (وظلالهم) بالعرض وان يراد به انقيادهم لاحداث ما اراده فيهم شاؤا او كرهوا وانقياد ظلالهم لتصريفه اياها بالمد والتقليص وانتصاب طوعا وكرها بالحال او المفعول له وقوله (بالغدو والآصال) ظرف ليسجد والمراد بهما الدوام او حال من الظلال وتخصيص الوقتين لان الامتداد والتقليص اظهر فيهما والغدو جمع غداة كقنى جمع قناة والآصال جمع اصيل وهو ما بين العصر والمغرب وقيل الغدو مصدر ويؤيده انه قرئ والايصال وهو الدخول فى الاصيل (قل من رب السموات والارض) خالقهما ومتولى امرهما (قل الله) اجب عنهم بذلك اذ لا جواب لهم سواه ولانه البين الذى لا يمكن المراء فيه او لقنهم الجواب به (قل أفاتخذتم من دونه) ثم الزمهم بذلك ان اتخاذهم منكر بعيد عن مقتضى العقل (اولياء لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا) لا يقدرون على ان يجلبوا اليها نفعا او يدفعوا عنها ضرا فكيف يستطيعون انفاع الغير ودفع الضر عنه وهو دليل ثان على ضلالهم وفساد رأيهم فى اتخاذهم اولياء رجاء ان يشفعوا لهم (قل هل يستوى الاعمى والبصير) المشرك الجاهل بحقيقة العبادة والموجب لها والموحد العالم بذلك وقيل المعبود الغافل عنكم والمعبود المطلع على احوالكم (ام هل تستوى الظلمات والنور) الشرك والتوحيد وقرأ حمزة والكسائى وابو بكر بالياء (ام جعلوا لله شركاء) بل أجعلوا والهمزة للانكار وقوله (خلقوا كخلقه) صفة لشركاء داخلة فى حكم الانكار (فتشابه الخلق عليهم) خلق الله وخلقهم والمعنى انهم ما اتخذوا لله شركاء خالقين مثله حتى يتشابه عليهم الخلق فيقولوا هؤلاء خلقوا كما خلق الله فاستحقوا العبادة كما استحقها ولكنهم اتخذوا شركاء عاجزين لا يقدرون على ما يقدر عليه الخلق فضلا عما يقدر عليه الخالق (قل الله خالق كل شئ) اى لا خالق غيره فيشاركه فى العبادة جعل الخلق موجب العبادة ولازم استحقاقها ثم نفاه عما سواه ليدل على قوله (وهو الواحد) المتوحد (قدر) بالالوهية (القهار) الغالب على كل شئ

بشئ من الاستجابة والنفع بحال الماء الواقع بمرأى العطشان الذى يبسط كفيه يطلبه ان يبلغ فاه وينفعه من احتراق كبده ووجه التشبيه عدم استطاعة المطلوب منه اجابة الدعاء وخيبة الطالب عن نيل ما هو احوج اليه من المطلوب وهذا الوجه كما ترى منتزع من عدة امور **﴿ قوله وقيل شبهوا فى قلة جدوى دعائهم لها ﴾** عبر عن العدم بالقلة مبالغة فى ايثار الصدق واعماء لنوع من التهكم وهو عطف على قوله الا استجابة الخ اى شبه المشركون الذين يدعون الاصنام ويعبدونها بمن اراد ان يغترف الماء ليشربه فيبسط كفيه ناشرا اصابعه فى عدم انتفاع كل واحد منهما بسعيه فهو من تشبيه المفرد المقيد بآخر مثله كقولك لمن لا يحصل من سعيه على شئ هو كالراقم على الماء فان المشبه هو الساعى مقيدا بكون سعيه كذلك والمشبه به هو الراقم مقيدا بكون رقمه على الماء فكذلك فيما نحن فيه وليس من المركب العقلى فى شئ على ما ذهب اليه الطيبى ثم وجه الشبه عقلى اعتبارى والاستثناء مفرغ من اعم عام الاحوال اى لا يستجيب الاصنام لهؤلاء المشركين فى حال من الاحوال الا فى حال كون المشركين مشبهين بمن بسط كفيه ولم يقبضهما وانماهما مبسوطتان الى الماء فلم يحصل على شئ لان الماء يحصل بالقبض عليه لا بالبسط اليه ولم يتعرض المصنف رحمه الله تعالى لنشر الاصابع لان بسط الكف انما يكون بنشر الاصابع واللام فى قوله تعالى ليبلغ فاه متعلق بباسط وفاعل ليبلغ ضمير الماء ولفظ هو فى قوله وما هو ببالغه ضمير الماء والهاء فى ببالغه للفم اى وما الماء ببالغ لفيه ويجوز العكس اى وما الفم ببالغ الماء اذ كل واحد منهما لا يبلغ الآخر على هذه الحالة فنسبة الفعل الى كل واحد منهما صحيحة **﴿ قوله وقرئ تدعون بالتاء ﴾** اى الفوقانية وحينئذ تعين ان يكون قوله الذين عبارة عن الاصنام بحذف العائد الذى هو مفعول تدعون ولعل المصنف رحمه الله تعالى عليه انما قدم هذا الوجه لتأيد هذه القرآءة اياه **﴿ قوله والمراد بهما الدوام ﴾** لان السجود سوآء اريد به حقيقته او الانقياد والاستسلام لا اختصاص له بالوقتين فان الباء فى قوله تعالى بالغدو بمعنى فى اى يسجد له من ذكر فى هذين الوقتين **﴿ قوله وتخصيص الوقتين ﴾** مع انقياد الظلال وميلانها من جانب الى جانب وطولها بسبب انحطاط الشمس وقصرها بسبب ارتفاع الشمس لا يختص بوقت دون وقت بل هى مستسلمة منقادة الى الله تعالى فى عموم الاوقات **﴿ قوله والايصال ﴾** وهو مصدر آصل على وزن افعل بمعنى دخل فى الاصيل كاصبح بمعنى دخل فى الصباح ثم انه تعالى لما قرر ان جميع الكائنات تنقاد له وتخضع اجلالا له وتوقيرا عاد الى الرد على المشركين بان امر الرسول صلى الله عليه وسلم ان يسألهم سؤال التقرير فقال له قل من رب السموات والارض ولما تعين لهم ان يجيبوا بالاقرار فى ان لا رب لهما سواه كلف تعالى رسوله ان يجيب عنهم بذلك تنبيها على انهم يقرون بذلك ولا ينكرونه البتة فكأنه حكاية لاعترافهم به وتأكيد له عليهم ثم الزمهم الحجة فقال قل ابعد اقراركم هذا تتخذون من دونه اولياء ثم ضرب مثلا للذين يعبدون الاصنام وللذين يعبدون الله تعالى فقال تعالى قل هل يستوى الاعمى والبصير يعنى المشرك والمؤمن ام هل تستوى الظلمات والنور يعنى الشرك والايمان فانه تعالى لما احتج اولا على ضلالهم وفساد رأيهم فى اتخاذهم اولياء يدعونهم من دون الله تعالى بكونها جمادات لا تحس بدعائهم اياها ولا تدرك مقصودهم من الدعاء ولا تقدر ان تجيب دعاءهم وثانيا بانها لا تملك ان تجلب لنفسها نفعا وان تدفع عنها ضرا فضلا عن غيرها بين بعد ذكر هاتين الحجتين ان الجاهل بمعنى هذه الحجة يكون كالاعمى وان العالم بها كالبصير ثم ذكر ان الجهل بمثل هذه الحجة كالظلمات وان العلم بها كالنور وكما ان كل واحد يعلم بالضرورة ان الاعمى لا يساوى البصير كذلك يعلم كل احد بالضرورة ان الجاهل بهذه الحجة لا يساوى العالم بها وهو المراد بقوله تعالى قل هل يستوى الاعمى والبصير ام هل تستوى الظلمات والنور **﴿ قوله وقرأ حمزة والكسائى وابو بكر ﴾** يستوى الظلمات بالياء من تحت والباقون بالتاء من فوق باعتبار ان الفعل اسند الى الظاهر المؤنث الغير الحقيقى وفى مثل هذا الفعل يجوز التذكير والتأنيث والفاء فى قوله تعالى قل افاتخذتم سببية مرتبة للكلام الثانى على الاول وادخل همزة الانكار بين السبب والمسبب انكارا على تعكيس الامر وهو ان من علم انه تعالى رب السموات والارض وجب عليه ان يعبده تعالى ويوحده فهم جعلوا ذلك العلم سببا للاشراك وادخلت همزة الانكار على الفاء لان المنكر الاتخاذ بعد العلم والاقرار فانه اقبح من الاتخاذ بدونه **﴿ قوله والهمزة للانكار ﴾** اعلم ان همزة الاستفهام اذا كانت للانكار يكون الانكار على احد معنيين الاول ما كان كذا والثانى لم يكن كذا والانكار بمعنى الثانى كما اشار اليه بقوله والمعنى انهم ما اتخذوا لله شركاء خالقين قد خلقوا مثل خلق الله تعالى فتشابه عليهم خلق الله تعالى وخلقهم حتى يقولوا

قدر هؤلاء على الخلق كما قدر الله عليه فاستحقوا العبادة لذلك فنتخذهم شركاء ونعبدهم كما نعبد الله تعالى اذلافرق بين خالق وخالق ولكنهم اتخذوهم شركاء عاجزين على مايقدر عليه الخلق فضلا عن ان يقدروا على مايقدر عليه الخالق ومعنى الاضراب المستفاد من كلمة بل التى تضمنتها ام المنقطعة انه تعالى عنف عليهم ووبخهم على تعكيس الامر حيث قال تعالى قل افاتخذتم من دونه اولياء وذيل ذلك التعنيف والتوبيخ بضرب مثل الاعمى والبصير والظلمات والنور ثم اضرب عن ذلك الى انكار اتخاذهم شركاء يذهب الوهم الى صلاحيتهم له وبيان ان تعكيسهم ذلك لم ينشأ عن شبهة فضلا عن حجة بناء على ان حكاية ذلك عنهم ادخل فى ذمهم واهم فى ذلك المقام بالنسبة الى ماذكر اولا ﴿قوله بمقدارها الذى علم الله تعالى انه نافع غير ضار﴾ لما كان المقصود تمثيل الحق واهله بالماء الذى ينزل من السماء ويسيل فى الاودية وينتفع به الناس بوجوه الانتفاع ومن المعلوم ان بعض المياه السائلة فى الانهار يتضرر به الناس ويذهب جفاء اى يرمى هو وكل شئ يمر عليه كذلك ناسب ان يفسر قوله بقدرها بالقدر الذى لا يتضرر به الناس ويؤيد هذا التفسير انه تعالى عبر عن هذا الماء السائل فى الاودية فى مقام التفصيل بقوله واما ماينفع الناس فدل هذا التفصيل على ان المراد بالمجمل مايكون مطرا خالصا للنفع خاليا عن المضرة ليحصل التطابق بين المجمل والمفصل فلذلك قدم المصنف رحمه الله هذا التفسير ثم قال او بمقدارها فى الصغر والكبر اى ان صغر الوادى قل الماء وان اتسع الوادى كثر الماء فيكون الضمير المجرور فى قوله تعالى بقدرها راجعا الى المعنى الحقيقى للفظ اودية على طريق الاستخدام لان قول المصنف رحمه الله تعالى واستعمل للماء الجارى فيه يدل على ان لفظ اودية مجاز مرسل من قبيل ذكر المحل وارادة الحال ﴿قوله رفعه﴾ اشارة الى ان احتمل بمعنى حمل فان افتعل قد يكون بمعنى فعل نحو جال واجتال وتعريف السيل للاشارة الى حصة معينة من حقيقة السيل المتقدم ذكرها بالكناية بذكر الفعل الدال عليها وهو قوله تعالى فسالت ﴿قوله وضر الغليان﴾ اى الخبث والوسخ المجتمع بالغليان والظاهر ان قيد الغليان بناء على الغالب لان الزبد اسم لكل ماعلا على وجه الماء من الوضر وغيره سوآء حصل بالغليان او بغيره ﴿قوله تعالى ومما توقدون﴾ خبر مقدم لقوله زبد ومثله صفة للمبتدأ مصححة للابتدآء بالنكرة ومن فى مما لابتدآء الغاية اى وزبد مثل زبد الماء ينشأ مما توقدون عليه او للتبعيض بمعنى وبعضه زبد وتلخيص المعنى الموقد عليه من جواهر الارض له زبد مثل الزبد الذى يكون على الماء يعلو عليه اذا اذيب فالصافى ينتفع به كما ينتفع بالماء وزبده يبطل كما يبطل زبد الماء والفلزات جمع فلز بكسر الفاء واللام وتشديد الزاى وهو مافى الارض من الجواهر المعدنية او نحوها كالذهب والفضة والنحاس والرصاص وغيرها ﴿قوله على وجه التهاون بها﴾ وجه التهاون انه عدل عن التعبير عنها بالاسم الظاهر مثل ان يقال فلزات الارض والجواهر المعدنية او نحوها وعبر عنها بما يدل على حالة هى احط الحالات من حالات هذه الجواهر وهى كونها توقد عليها النار وتذاب بها ولو اورد ان يقال جعل هذا التعبير مبنيا على ارادة التهاون بها لا يناسب المقام لان المقصود تمثيل الحق بها وتحقيرها لا يناسب * اشار الى جوابه بقوله اظهارا لكبريائه يعنى ان حقارتها عند خالقها لا ينافى عزة قدرها عند المخلوقات وقوله عليه متعلق بتوقدون وقوله تعالى فى النار يحتمل ان يكون متعلقا به ايضا وان يكون متعلقا بمحذوف اى كائنا وثابتا فيها وقوله تعالى ابتغاء حلية مفعول له ويجوز ان يكون مصدرا فى موضع الحال اى مبتغين حلية يتزينون بها وقوله اومتاع عطف على حلية والمتاع كل مايتمتع به وقرأ حمزة والكسائى وحفص يوقدون بياء الغيبة اى مما يوقد الناس والباقون بتاء الخطاب ﴿قوله جفاء﴾ حال اى باطلا مرميا * الجوهرى الجفاء ما نفاه السيل يقال جفأ الوادى جفأ اذا رمى بالغثاء والزبد وجفأت القدر اذا رمى بزبده عند الغليان واجفأ لغة فيه والجفال بالضم مانفاه السيل وجفالة القدر ما اخذته بالمغرفة انتهى والكاف فى قوله تعالى كذلك فى محل النصب اى مثل ذلك الضرب والبيان يضرب الله تعالى ويبين مثل الحق والباطل لان العرب كانت عادتهم انهم يثبتون المقصود بالمثل وقد انزل الله تعالى القرآن بلغة العرب فاوضح لهم الحق وميزه عن الباطل بالمثل كما اوضح المشرك الجاهل بحقيقة العبادة والموجب لها وميزه عن الموحد العالم بذلك بان مثل الاول بالاعمى والثانى بالبصير وكذلك ميز الشرك والتوحيد بمثل آخر فمثل الحق والتوحيد بالماء الصافى وبالفلز ومثل الشرك والباطل بزبدهما وبين وجه الشبه بما اثبته للمشبه به من الذهاب باطلا مطروحا والثبات نافعا مقبولا ﴿قوله واللام متعلقة بيضرب﴾ يعنى ان قوله تعالى للذين استجابوا متعلق بيضرب فيكون فريقا المؤمنين الذين استجابوا

(انزل من السماء ماء) من السحاب اومن جانب السماء اومن السماء نفسها فان المبادى منها (فسالت اودية) انهار جمع واد وهو الموضع الذى يسيل الماء فيه بكثرة فاتسع فيه واستعمل للماء الجارى فيه وتنكيرها لان المطر يأتى على التناوب بين البقاع (بقدرها) بمقدارها الذى علم الله تعالى انه نافع غير ضار او بمقدارها فى الصغر والكبر (فاحتمل السيل زبدا) رفعه والزبد وضر الغليان (رابيا) عاليا (ومما توقدون عليه فى النار) يعم الفلزات كالذهب والفضة والحديد والنحاس على وجه التهاون بها اظهارا لكبريائه (ابتغاء حلية) اى طلب حلية (اومتاع) كالاوانى وآلات الحرب والحرث والمقصود من ذلك بيان منافعها (زبد مثله) اى ومما توقدون عليه زبد مثل زبد الماء وهو خبثه ومن للابتدآء او للتبعيض وقرأ حمزة والكسائى وحفص بالياء على ان الضمير للناس واضماره للعلم به (كذلك يضرب الله الحق والباطل) مثل الحق والباطل فانه مثل الحق فى افادته وثباته بالماء الذى ينزل من السماء فتسيل به الاودية على قدر الحاجة والمصلحة فينتفع به انواع المنافع ويمكث فى الارض بان يثبت بعضه فى منابعه ويسلك بعضه فى عروق الارض الى العيون والقنى والآبار وبالفلز الذى ينتفع به فى صوغ الحلى واتخاذ الامتعة المختلفة ويدوم ذلك مدة متطاولة والباطل فى قلة نفعه وسرعة زواله بزبدهما وبين ذلك بقوله (فاما الزبد فيذهب جفاء) يجفأ به اى يرمى به السيل او الفلز المذاب وانتصابه على الحال وقرئ جفالا والمعنى واحد (واما ماينفع الناس) كالماء وخلاصة الفلز (فيمكث فى الارض) ينتفع به اهلها (كذلك يضرب الله الامثال) لايضاح المشتبهات (للذين استجابوا) للمؤمنين الذين استجابوا (لربهم الحسنى) استجابة الحسنى (والذين لم يستجيبوا له) وهم الكفرة واللام متعلقة بيضرب

لربهم والكافرين الذين لم يستجيبوا له مضروبا لهما اى ضرب الله لهما المثل والمضروب له فى الحقيقة شأنهما لانفسهما وشأنهما هو استجابة احد الفريقين وعدم استجابة الآخر فقول المصنف رحمه الله ضرب المثل لشأن الفريقين مفعول اوّل لجعل وقوله ضرب المثل لهما مفعوله الثانى وجعل الحسنى صفة لمصدر استجابوا اى استجابوا الاستجابة الحسنى فيكون قوله تعالى لو ان لهم ما فى الارض كلاما مبتدأ لبيان ماعدّ لغير المستجيب وقيل قوله تعالى للذين استجابوا ليس يتعلق بقوله يضرب بل تم الكلام عند قوله كذلك يضرب الله الامثال ومابعده كلام مستأنف بان يكون الحسنى مستأنفا اى مبتدأ خبره قوله للذين استجابوا قدّم عليه والمعنى لهم المثوبة الحسنى وهى الجنة وقوله والذين لم يستجيبوا مبتدأ خبره قوله ان لهم مع مافى حيزه والظاهر ان هذا القول اولى من الذى اختاره لانه فيما اختاره تكون الاستجابة مقيدة بالحسنى ولاتقابل بينها وبين عدم الاستجابة مطلقا والمذكور فى الآية نفى الاستجابة مطلقا والمهاد فعال بمعنى الممهود والمبسوط كاللباس بمعنى الملبوس والكتاب بمعنى المكتوب من مهدت الفراش مهدا اى بسطته اطلق هنا بمعنى المستقرّ مطلقا ثم انه تعالى لمامثل المشرك الجاهل بالاعمى ومثل الموحد العالم بالبصير ومثل نفس الكفر والباطل تارة بالظلمات واخرى بزبد الماء والفلز ومثل نفس الايمان والحق تارة بالنور واخرى بالماء والجوهر الصافى عن الزبد قال تعالى بعد ذلك افمن يعلم كمن لايعلم بادخال همزة الانكار على الفاء السببية الدالة على كون مابعدها كلاما متفرّعا على ماقبلها كأنه قيل بعدماعلمتم مثل العالم المحق والجاهل المبطل هل بقيت شبهة فى المشابهة بين الفريقين ومن يذهب الى وهمه تحقق المشابهة بين الاعمى والبصير وبين العالم والجاهل ثم ذكر انه لاينتفع بهذه الامثال الا اولوا الالباب الذين ينتقلون من كل صورة الى معناها ومن ظاهر كل حديث الى ماهو سرّه ولبابه ﴿قوله او ماعهد الله تعالى عليهم فى كتبه﴾ عطف على قوله ماعقدوه اى الزموه على انفسهم بلسان استعدادهم فعهد الله على الاوّل هو العهد الذى اخذه الله تعالى على جميع ذرية آدم عليه الصلاة والسلام فانه تعالى خلقهم مستعدّين للاقرار بربوبية الله تعالى ثم قال لهم ألست بربكم فاقرّوا واعترفوا بلسان الاستعداد فمن اقرّ بذلك بلسان العيان ايضا فقد وفى بذلك العهد السابق وعلى الثانى ماالزمه الله تعالى على كل امة بالكتب الالهية بألسنة الرسل والميثاق اسم لما يقع به الوثاقة والاحكام وهو ان اضيف الى الله تعالى يراد به ماوثق الله تعالى به عهده من الآيات والكتب وان اضيف الى العباد يراد به ماوثقوه به من الالتزام والقبول ﴿قوله وهو تعميم بعد تخصيص﴾ يعنى ان عدم نقض الميثاق اعم من الوفاء بعهد الله تعالى وذلك لانه فسر عهد الله تعالى باعترافهم بربوبيته تعالى وفسر الميثاق بكل ماوثقوه على انفسهم مما كلفوا به من حقوق الله تعالى وحقوق العباد ابقاء للفظ الميثاق المحلى بالالف واللام التى هى لام الجنس على عمومه وعطف قوله تعالى ويخشون ربهم على قوله تعالى يصلون من قبيل عطف العام على الخاص ايضا لان خشية الله تعالى ملاك كل خير من اتيان ماينبغى وترك مالاينبغى واما عطف قوله تعالى ويخافون سوء الحساب على قوله تعالى يخشون فهو من عطف الخاص على العام كما اشار اليه بقوله عموما وخصوصا وكذا عطف قوله تعالى واقاموا الصلاة وانفقوا على قوله تعالى وصبروا ﴿قوله لمن لم يعرف بالمال﴾ كأنه جعل سرّا مصدرا واقعا موقع المفعول به لقوله تعالى انفقوا بان جعل مجهول الحال كأنه نفس السرّ مبالغة قال الحسن المراد الزكاة المفروضة فان اتهم بترك اداء الزكاة فالاولى اداؤها فى العلانية وقال آخرون المراد مايعم الزكاة الواجبة والصدقة التى يؤتى بها على صفة التطوّع فقوله تعالى سرّا يرجع الى التطوّع وقوله تعالى علانية يرجع الى الزكاة الواجبة ﴿قوله يدفعونها بها﴾ كدفع مايرد عليهم من سيئ غيرهم بالكلام الحسن واعطاء من حرمهم وعفو من ظلمهم ووصل من قطعهم ﴿قوله او يتبعون السيئة الحسنة فتمحوها﴾ اى يمحون ويدفعون بالعمل الصالح السيئ من العمل كما روى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لمعاذ بن جبل * اذا عملت سيئة فاعمل بجنبها حسنة تمحها * وقيل هو انهم كلما اذنبوا ذنبا تابوا ليدفعوا بالتوبة مضرّة الذنب روى ان شقيق بن ابراهيم البلخى رحمه الله ونفعنا به دخل على عبد الله بن المبارك متنكرا فقال اذا منعوا صبروا وان اعطوا شكروا فقال عبد الله نفعنا الله به طريقة كلابنا هكذا فقال فكيف ينبغى ان يكون الامر فقال الكاملون هم الذين اذا منعوا شكروا وان اعطوا آثروا وقد ذكر الله تعالى فى صلة الذين تسعة امور ووعد لمن اتصف بها ثلاثة امور الاوّل عقبى الدار التى هى جنات عدن والثانى ان يضم اليه من آمن من اهله ان عملوا مثل عمله والثالث دخول الملائكة عليه مبشرين له

(بدوام)

على انه جعل ضرب المثل لشأن الفريقين ضرب المثل لهما وقيل للذين استجابوا جزاء الحسنى وهى المثوبة والجنة والذين لم يستجيبوا مبتدأ خبره (لو ان لهم مافى الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به) وهو على الاوّل كلام مبتدأ لبيان مآل غير المستجيبين (اولئك لهم سوء الحساب) وهو المناقشة فيه بان يحاسب الرجل بذنبه لايغفر منه شئ (ومأواهم) مرجعهم (جهنم وبئس المهاد) المستقرّ والمخصوص بالذم محذوف (افمن يعلم ان ما انزل اليك من ربك الحق) فيستجيب (كمن هو اعمى) عمى القلب لايستبصر فيستجيب والهمزة لانكار ان يقع شبهة فى تشابههما بعدما ضرب من المثل (انما يتذكر اولوا الالباب) ذووا العقول المبرأة من مشايعة الالف ومعارضة الوهم (الذين يوفون بعهد الله) بما عقدوه على انفسهم من الاعتراف بربوبيته حين قالوا بلى او ماعهده الله تعالى عليهم فى كتبه (ولا ينقضون الميثاق) ماوثقوه من المواثيق بينهم وبين الله تعالى وبين العباد وهو تعميم بعد تخصيص (والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل) من الرحم وموالاة المؤمنين والايمان بجميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام ويندرج فى ذلك مراعاة جميع حقوق الناس (ويخشون ربهم) وعيده عموما (ويخافون سوء الحساب) خصوصا فيحاسبون انفسهم قبل ان يحاسبوا (والذين صبروا) على ماتكرهه النفس ومخالفة الهوى (ابتغاء وجه ربهم) طلبا لرضاه لا لفخور وسمعة ونحوهما (واقاموا الصلاة) المفروضة (وانفقوا مما رزقناهم) بعضه الذى وجب عليهم انفاقه (سرّا) لمن لم يعرف بالمال (وعلانية) لمن عرف به (ويدرأون بالحسنة السيئة) ويدفعونها بها فيجازون الاساءة بالاحسان او يتبعون السيئة الحسنة فتمحوها

(اولئك لهم عقبى الدار) عاقبة الدنيا وماينبغى ﴿ ١١٧ ﴾ ان يكون مآل اهلها وهى الجنة والجملة خبرالموصولات ان رفعت بالابتدآء وان جعلت صفات لاولى الالباب فاستئناف بذكر مااستوجبوا بتلك الصفات (جنات عدن) بدل من عقبى الدار اومبتدأ خبره (يدخلونها) والعدن الاقامة اى جنات يقيمون فيها وقيل هو بطنان الجنة (ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم) عطف على المرفوع فى يدخلون وانما ساغ للفصل بالضمير الآخر اومفعول معه والمعنى انه يلحق بهم من صلح من اهلهم وان لم يبلغ مبلغ فضلهم تبعالهم وتعظيما لشأنهم وهو دليل على ان الدرجة تعلو بالشفاعة او ان الموصوفين بتلك الصفات يقرن بعضهم ببعض لما بينهم من القرابة والوصلة فى دخول الجنة زيادة فى انسهم والتقييد بالصلاح دلالة على ان مجرّد الانساب لاتنفع (والملائكة يدخلون عليهم من كل باب) من ابواب المنازل او من ابواب الفتوح والتحف قائلين (سلام عليكم) بشارة بدوام السلامة (بما صبرتم) متعلق بعليكم او بمحذوف اى هذا بما صبرتم لابسلام فان الخبر فاصل والباء للسببية او للبدلية (فنعم عقبى الدار) وقرئ فنعم بفتح النون والاصل نعم فسكن العين بنقل كسرتها الى الفاء وبغيره (والذين ينقضون عهدالله) يعنى مقابلى الاوّلين (من بعدميثاقه) من بعد ما اوثقوه به من الاقرار والقبول (ويقطعون ماامرالله به ان يوصل ويفسدون فى الارض) بالظلم وتهييج الفتن (اولئك لهم اللعنة ولهم سوءالدار) عذاب جهنم اوسوء عاقبة الدنيا لانه فى مقابلة عقبى الدار (الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) يوسعه ويضيقه (وفرحوا) اى اهل مكة (بالحياة الدنيا) بما بسط لهم فى الدنيا (وما الحياة الدنيا فى الآخرة) اى فى جنب الآخرة (الامتاع) الامتعة لاتدوم كعجالة الراكب وزاد الراعى والمعنى انهم أشروا بما نالوا من الدنيا ولم يصرفوه فيما يستوجبون به نعيم الآخرة واغتروا بما هو فى جنبه نزر قليل النفع سريع الزوال (ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه قل ان الله يضل من يشاء) باقتراح الآيات بعدظهور المعجزات (ويهدى اليه من اناب) اقبل الى الحق ورجع عن العناد وهو جواب يجرى مجرى التعجب من قولهم كأنه قال قل لهم مااعظم عنادكم ان الله يضل من يشاء ممن كان على صفتكم فلاسبيل الى اهتدآئهم وان انزلت كل آية ويهدى اليه من اناب بما جئت به بل بادنى منه من الآيات

بدوام السلامة ﴿قوله عاقبة الدنيا﴾ اى التى تخلف الدنيا وتجيء بعدها وكل ماجاء بعدشيء فهو عاقبته والتاء لتأنيث الموصوف وهى الجنة فانهاهى التى ارادالله ان تكون عاقبة الدنيا ومرجع اهلها والنار وان كانت عاقبة الدنيا بالنسبة الى الكفار لقوله تعالى وعقبى الكافرين النار الا انها لما كانت عاقبة لها بالنسبة اليهم لسوء اختيارهم ليس كونها عاقبة لها مقصودا بالذات قال الواحدى رحمه الله تعالى العقبى كالعاقبة ويجوز ان يكون مصدرا كالشورى والقربى والرجعى اضيف الى فاعله والمعنى اولئك لهم ان تعقب اعمالهم الدار التى هى الجنة ﴿قوله والجملة﴾ وهى قوله تعالى اولئك لهم عقبى الدار خبرالموصولات ان رفعت بالابتدآء وجعلها جملة اما باعتبار ان عقبى الدار مبتدأ ولهم خبره قدّم عليه والجملة خبراولئك واما باعتبار ان لهم خبراولئك وعقبى فاعل للاستقرار الذى قام الجار والمجرور مقامه ﴿قوله والمعنى انه يلحق بهم من صلح من اهلهم﴾ اى من آمن منهم وقدروى ذلك عن مجاهد رضى الله تعالى عنه * قال الامام وفى قوله من صلح قولان الاوّل قول ابن عباس رضى الله تعالى عنهما يريد من صدّق بما صدّقوا به وان لم يعمل مثل اعمالهم والثانى قول الزجاج بين الله تعالى ان الايمان لاينفع اذالم يحصل معه اعمال صالحة بل الآباء والازواج والذرية لايدخلون الجنة الابالاعمال الصالحة قال الواحدى رحمه الله تعالى والصحيح ماقاله ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وذلك ان الله تعالى جعل من ثواب المطيع سروره بحضور اهله معه فى الجنة وذلك يدل على انهم يدخلونها كرامة للمطيع الآتى بالاعمال الصالحة ولو دخلوها باعمالهم الصالحة لم يكن فى ذلك كرامة للمطيع ولافائدة فى الوعد به اذكل من كان صالحا فهو يدخل الجنة ثم قال الامام واعلم ان هذه الحجة ضعيفة لان المقصود بشارة المطيع بكل مايزيده سرورا وبهجة فاذا بشرالله تعالى المكلف بانه اذا دخل الجنة فانه يحضر معه آباؤه واولاده الصلحاء فلا شك انه يعظم سرور المكلف بذلك ويقوى به ويقال ان من اعظم سرورهم ان يجتمعوا فيتذاكروا احوالهم فى الدنيا ثم يشكروا الله تعالى على الخلاص منها والفوز بالجنة فقول المصنف رحمه الله تعالى والوصلة فى دخول الجنة زيادة فى انسهم جواب عما يقال لوكان المراد من قوله تعالى ومن صلح من آبائهم الموصوفين بتلك الصفات من اهليهم لما ظهرت الفائدة فى وصف المطيع به اذ ليس دخولهم الجنة من ثمرات طاعته بل من ثمرات طاعتهم ﴿قوله من كل باب من ابواب المنازل﴾ بان يكون لمقامهم ومنازلهم ابواب فيدخل عليهم من كل باب ملك ﴿قوله او من ابواب الفتوح﴾ بان يكون الباب بمعنى النوع ويكون المعنى من كل نوع من الفتوح والتحف بان يأتى كل بتحفة غير التحفة التى اتى بها الملك الآخر على اختلاف خيراتهم وقدر اعمالهم ﴿قوله متعلق بعليكم﴾ اى بما تعلق به عليكم ﴿قوله او بمحذوف﴾ اى يحتمل ان يكون بما صبرتم خبرمبتدأ محذوف اى هذا الثواب الجزيل ثابت لكم بما صبرتم وما مصدرية اى بسبب صبركم ولا يتعلق بالمصدر اى بسلام اذالمصدر لايفصل بينه وبين معموله ﴿قوله تعالى الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر﴾ جواب عمايرد على قوله تعالى الذين ينقضون عهدالله الى قوله اولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار وهو ان من نقض عهد الله تعالى لوكانوا ملعونين فى الدنيا ومعذبين فى الآخرة لما فتح الله تعالى عليهم ابواب النعم واللذات فى الدنيا * وتقرير الجواب ان فتح باب الرزق فى الدنيا لاتعلق له بالكفر والايمان بل هو متعلق بمجرّد مشيئة الله تعالى فقد يضيق على المؤمن امتحانا لصبره وتكفيرا لذنوبه ورفعا لدرجاته ويوسع على الكافر استدراجا قال الواحدى رحمه الله تعالى معنى القدر فى اللغة قطع الشيء على مساواة غيره من غير زيادة ولانقصان فمعنى يقدر ههنا انه تعالى يعطيه رزقه بقدر كفايته لايفضل عنه شيء قال صاحب الكشاف عفا الله تعالى عنه فى قوله تعالى الله يبسط الرزق اى الله وحده هو يبسط الرزق ويقدره دون غيره ولم يتعرّض له المصنف رحمه الله تعالى لان مثل هذا التركيب عند صاحب المفتاح رحمه الله تعالى نص فى افادة تقوى الحكم ولايحتمل التخصيص البتة لان المبتدأ ثابت فى مكانه وليس مثل انا عرفت فى احتمال التخصيص والتقوى ﴿قوله كعجالة الراكب﴾ وهى مايتعجله من تميرات او شربة سويق او نحو ذلك وفى الصحاح العجالة بالضم ماتعجلته من شيء والتمر عجالة الراكب والاعجالة مايعجله الراعى من اللبن الى اهله قبل الحلب ﴿قوله وفرحوا﴾ استئناف اخبار وليس بمعطوف على صلة الذين قبله لانه يستلزم تخلل الفاصل بين ابعاض الصلة وهوالخبر وايضا هو ماض وماقبله مستقبل ولابدّ من التوافق ﴿قوله فى الآخرة اى فى جنب الآخرة﴾ ولايجوز ان يكون ظرفا للحياة ولا للدنيا لانهما لايقعان فى الآخرة وانماهو حال والتقدير وما الحياة القريبة كائنة فى جنب الآخرة الامتاع ﴿قوله وهو جواب يجرى مجرى التعجب﴾ جواب عما يقال ماوجه

(الذين آمنوا) بدل من من او خبر مبتدأ محذوف (وتطمئن قلوبهم بذكر الله) انسابه واعتمادا عليه ورجاء منه او بذكر رحمته بعد القلق من خشيته او بذكر دلائله الدالة على وجوده ووحدانيته او بكلامه يعنى القرآن الذى هو اقوى المعجزات (الا بذكر الله تطمئن القلوب) تسكن اليه (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) مبتدأ خبره (طوبى لهم) وهو فعلى من الطيب قلبت ياؤه واوا لضمة ماقبلها مصدر لطاب كبشرى وزلفى ويجوز فيه الرفع والنصب ولذلك قرئ (وحسن مآب) بالنصب (كذلك) مثل ذلك يعنى ارسال الرسل قبلك (ارسلناك فى امة قد خلت من قبلها) تقدمتها (امم) ارسلوا اليهم فليس ببدع ارسالك اليها (لتتلو عليهم الذى اوحينا اليك) لتقرأ عليهم الكتاب الذى اوحيناه اليك (وهم يكفرون بالرحمن) وحالهم انهم يكفرون بالبليغ الرحمة الذى احاطت بهم نعمته ووسعت كل شئ رحمته فلم يشكروا نعمه وخصوصا ما انعم عليهم بارسالك اليهم وانزال القرآن الذى هو مناط المنافع الدينية والدنيوية عليهم وقيل نزلت فى مشركى اهل مكة حين قيل لهم اسجدوا للرحمن فقالوا وما الرحمن (قل هو ربى) اى الرحمن خالقى ومتولى امرى (لا اله الا هو) لا مستحق للعبادة سواه (عليه توكلت) فى نصرتى عليكم (واليه متاب) مرجعى ومرجعكم (ولو ان قرآنا سيرت به الجبال) شرط حذف جوابه والمراد منه تعظيم شأن القرآن او المبالغة فى عناد الكفرة وتصميمهم اى ولو ان كتابا زعزعت به الجبال عن مقارها (او قطعت به الارض) تصدعت من خشية الله عند قرآءته او شققت فجعلت انهارا وعيونا (او كلم به الموتى) فتقرأه او فتسمع وتجيب عند قرآءته لكان هذا القرآن لانه الغاية فى الاعجاز والنهاية فى التذكير والانذار او لما آمنوا به لقوله ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة الآية وقيل ان قريشا قالوا يا محمد ان سرك ان نتبعك فسير بقرآءتك الجبال عن مكة حتى تتسع لنا فنتخذ فيها بساتين وقطائع او سخر لنا به الريح لنركبها ونتجر الى الشام او ابعث لنا به قصى بن كلاب وغيره من آبائنا ليكلمونا فيك فنزلت وعلى هذا فتقطيع الارض قطعها بالسير وقيل الجواب متقدم وهو قوله وهم يكفرون بالرحمن وما بينهما اعتراض وتذكير كلم خاصة لاشتمال الموتى على المذكر الحقيق

انطباق هذا الجواب لقول الكفرة يا محمد ان كنت رسولا فأتنا بمعجزة ظاهرة قاهرة مثل معجزة موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام فاوجه كون قوله تعالى قل ان الله يضل من يشاء ويهدى اليه من اناب جوابا عن سؤال الكفرة وتقرير الجواب انه كلام يجرى مجرى التعجب من قولهم وذلك لان الآيات الباهرة التى ظهرت على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغت فى الكثرة وقوة الدلالة الى حيث استحال ان تصير مشتبهة على العاقل فطلب آيات اخرى بعد ذلك موضع لغايات التعجب والاستنكار فكأنه قيل لهم ما اعظم عنادكم الخ وفى الصحاح اناب الى الله تعالى اى رجع اليه وتاب وقول المصنف رحمه الله تعالى اقبل الى الحق اشارة الى ان ضمير اليه فى قوله تعالى ويهدى اليه راجع الى الحق وان الاضلال والهداية انما هو بالنسبة اليه **قوله** انسابه واعتمادا عليه لان الاضطراب والقلق انما يكون بسبب الوجل او بسبب العجز عن كفاية المهمات ومن ذكر الله تعالى وايقن بكونه مستجمعا لجميع صفات الكمال منزها عن جميع صفات النقصان احبه ومن احبه لاجرم يستأنس به ويطمئن قلبه اى يسكن اليه ويترك القلق والاضطراب وايضا يتيقن بكون علمه محيطا بجميع احواله وبكمال قدرته وسعة فضله ورحمته فلاجرم لا يعتمد الا عليه ولا يرجو الا منه **قوله** او بذكر رحمته بعد القلق من خشيته فان المؤمن اذا ذكر عظمة الله تعالى وعلو شأنه وعز سلطانه لاجرم يغلب عليه الخوف والخشية كما قال تعالى فى سورة الانفال انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون والوجل ضد الاطمئنان ثم اذا ذكر سعة رحمته وفيضان بحار فضله واحسانه على جميع خلقه سكن قلبه وزال وجله واضطرابه وايضا القلوب لا يحصل لها طمأنينة اليقين الا بذكر مانصبه الله تعالى من الدلائل الدالة على وجوده ووحدته فالم يذكر القلب هذه الدلائل يبقى فى قلق وتردد فهذان الوجهان مبنيان على تقدير المضاف فى قوله بذكر وقوله او بكلامه مبنى على ان يكون المراد بذكر الله تعالى كلامه فيكون الكلام تعريضا للكفار الذين قالوا لولا انزل عليه آية من ربه بانهم انما قالوا ذلك لعدم تفكرهم فيه ووقوفهم على كونه معجزة قاهرة باهرة بخلاف المؤمنين فان قلوبهم تطمئن به ولا تطلب معجزة سواه **قوله** ويجوز فيه الرفع والنصب لما ذكر ان جملة طوبى لهم فى محل الرفع على انها خبر المبتدأ المذكور بين ان لفظ طوبى يجوز ان يكون مرفوعا على الابتدآء ولهم خبره والجملة خبر الاول وجاز الابتدآء بطوبى اما لانها علم لشئ بعينه واما لانها نكرة فى معنى الدعاء كسلام عليكم وويل له كأنه قيل خير لهم وغبطة او حسنى لهم او نعمى لهم يقال طوبى لكم ان اصبتم خيرا ووجه كونه علما لشئ بعينه ماقيل من ان طوبى اسم الجنة بلسان الحبشة وقيل هو اسم شجرة فى الجنة اصلها فى دار رسول الله صلى الله عليه وسلم واغصانها فى دور اهل الجنة فعلى هذا يكون وجه الآية ان اهل الكتاب ادعوا تلك الشجرة لانفسهم فاخبر الله تعالى انها للذين آمنوا لا لهم ويجوز ان يكون منصوبا بفعل مضمر اى وجعل لهم طوبى وايد هذا الوجه بقرآءة من قرأ وحسن مآب بالنصب وان كان طوبى مصدرا من طاب كبشرى وزلفى يحتمل الرفع والنصب ايضا كقولك طيب لك وطيبا لك وسلام لك وسلاما لك **قوله** مثل ذلك اشارة الى ان الكاف فى محل النصب بالفعل الذى بعده والاشارة الى ما هو حاضر فى ذهن المخاطب من ارسال الرسل المتقدمين الى اممهم كأنه قيل كما انه قد خلت من قبلك امم ارسلنا اليهم ارسلناك ايضا الى هذه الامة **قوله** وقيل نزلت فى مشركى اهل مكة حين قيل لهم الى آخره عطف على ما يفهم من قوله وحالهم انهم يكفرون بالبليغ الرحمة وهو ان يكون معنى الآية انا ارسلناك الى هذه الامة لتتلو عليهم القرآن وتزينهم بحلية الايمان وحالهم انهم يكفرون بالله ولا يعرفون قدر رحمته ولا انعامه تعالى عليهم بارسالك وانزال القرآن العظيم عليهم وعلى ما قيل يكون معنى الآية والله تعالى اعلم وهم يكفرون بالرحمن اى انهم يكفرون بالبليغ الرحمة وهو الله تعالى لا انهم يكفرون باطلاق هذا الاسم عليه **قوله** والمراد منه تعظيم شأن القرآن على ان يكون الجواب المحذوف قوله لكان هذا القرآن وقوله او المبالغة فى عناد الكفرة على تقدير ان يكون الجواب لما آمنوا به **قوله** وقطائع جمع قطيعة وهى الارض التى يزرع فيها **قوله** وقيل الجواب متقدم عطف على قوله حذف جوابه اى قيل جواب لو هو قوله تعالى وهم يكفرون بالرحمن اخر الشرط وقدم عليه جوابه كأنه قيل لو ان قرآنا عظيم الشان الذى لا يكتنه كنهه ظهرت بتلاوته هذه الامور لاصروا على كفرهم بمنزله الرحمن وهو فى الحقيقة دال عليه اى على الجواب وليس نفس الجواب **قوله** وتذكير كلم خاصة جواب عما يقال لم حذفت التاء فى قوله تعالى او كلم به الموتى واثبتت فى الفعلين المذكورين قبل مع استوآء الجميع فى اسناده الى الظاهر المؤنث الغير الحقيقى * وتقرير الجواب

ان الموتى لما اشتملت على المذكر الحقيقى وغيره غلب المذكر على غيره بخلاف الجبال والارض * واعلم ان قوله تعالى ولو ان قرءآنا سيرت به الجبال او قطعت به الارض او كلم به الموتى ان كان المراد به تعظيم شأن القرءآن يكون من جملة ماهو مقول القول اى قل هو ربى وقل لوان قرءآنا وان كان المراد به المبالغة فى عناد الكفرة بان يكون الجواب المقدر قوله لما آمنوا به تكون الآية متصلة بقوله تعالى ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه فى كونها بيانا لفرط عنادهم وشدة شكيمتهم ويكون قوله وقيل ان قريشا الخ تأكيدا وتأييدا لهذا الوجه لانه لايخالف هذا الوجه الا فى تفسير تقطيع الارض وسبق الاقتراح قال الواحدى رحمه الله تعالى فى تفسير هذه الآية لما قالت قريش للنبى صلى الله عليه وسلم ماذكره المصنف رحمه الله انزل الله تعالى ولو ان قرءآنا سيرت به الجبال اى جعلت تسير او قطعت به الارض اى اشققت فجعلت انهارا وعيونا او كلم به الموتى اى احيوا حتى تكلموا وجواب لو محذوف وقال الفرآء تقديره لكان هذا القرءآن والمعنى لو ان قرءآنا تما فعل به ماالتمسوا لكان كذلك هذا القرءآن وقال الزجاج جوابه لما آمنوا وهو قول ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال يريد لو قضيت ان لايقرأ القرءآن على الجبال الاسارت وعلى الارض الاانخرقت وعلى الموتى الا تكلموا وحيوا ماآمنوا لما سبق عليهم فى علمى وقوله تعالى بل لله الامر جميعا معناه دع عنك ذلك الذى قالوه من تسيير الجبال وغيره فالامر لله جميعا لو شاء ان يؤمنوا لآمنوا وان لم يشأ لم ينفع تسيير الجبال وسائر مااقترحوه من الآيات ثم اكد ذلك بقوله تعالى افلم ييأس الذى آمنوا ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما معناه افلم يعلم وقال الكلبى رضى الله تعالى عنه ييأس يعلم فى لغة النخع الى هنا كلام الواحدى رحمه الله تعالى ومن اليأس بمعنى العلم قول الشاعر

* الم ييأس الاقوام انى انا ابنه * وان كنت عن ارض العشيرة نائيا *

اى ألم يعلموا واصل اليأس قطع الطمع فى الشئ والقنوط منه وهو مسبب عن العلم بان ذلك الشئ لايكون واطلاق لفظ المسبب مجاز شائع ﴿قوله وهو اضراب عما تضمنته لو من معنى النفى﴾ اما ان كان المراد منه تعظيم شأن القرءآن فلان المعنى يكون حينئذ لو ان قرءآنا على اى معنى كان فعل به هذه الافعال لكان كذلك هذا القرءآن المنزل عليك لكن لم يفعل بشئ من الكتب المنزلة على الرسل عليهم الصلاة والسلام ذلك فلم يفعل ذلك بقرءآنك ايضا بل لله الامر جميعا اى ماذكر من الامور وغيرها انما يكون لله تعالى يفعل مايشاء بقدرته وان كان المراد منه المبالغة فى عنادهم يكون المعنى ايضا لو ان قرءآنا تما او قرءآنك هذا فعل به هذه الافعال لما آمنوا لكن لم يفعل بشئ من القرءآن ذلك لا لاجل عدم قدرته عليه بل لله الامر جميعا وكذا ان كان جوابه ماتقدم عليه من قوله تعالى وهم يكفرون بالرحمن ﴿قوله ويؤيد ذلك﴾ اى ويؤيد ان المراد لاتلين شكيمتهم بسبب اتيان مااقترحوه فلايؤمنوا فلذلك لم تتعلق ارادته تعالى بذلك ﴿قوله ولذلك﴾ اى ولكون المراد من اليأس العلم مجازا جعلت ان المخففة مع مافى حيزها فى محل النصب على انها مفعول اليأس بمعنى العلم فان أن مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن والجملة الامتناعية بعدها خبرها فكلمة لولما كانت لانتفاء الشئ لانتفاء غيره كان محصول الكلام افلم يعلم الذين آمنوا ان الله تعالى لايهدى الناس جميعا لعدم تعلق مشيئته باهتدآء الجميع لعلمه بان بعضهم يختار الكفر والضلال فيكون هذا الكلام سوآء كان ان لو يشاء الله متعلقا باليأس بمعنى العلم او بمحذوف او بآمنوا مؤيدا لكون المراد بقوله تعالى بل لله الامر جميعا انه قادر على اتيان مااقترحوه الا ان ارادته لم تتعلق بذلك لعلمه بان اتيانه لايؤدى الى اهتدآئهم واذا كان ان لو يشاء مفعول آمنوا كان مفعول لم ييأس محذوفا اى لم ييأس من ايمان هؤلاء الكفرة الذين آمنوا بهذه القضية قيل ان طائفة من المؤمنين قالوا يارسول الله اجب هؤلاء الكفار بان تأتى بما اقترحوه من الآيات فعسى ان يؤمنوا فقال الله تعالى افلم ييأس الذين آمنوا ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا الآية وهو استفهام بمعنى الاقرار والفاء فيه عاطفة دالة على تفرع مابعدها على امر معلوم قبلها اى اطمعوا فى ايمانهم فلم ييأسوا بعدما رأوا كثرة عنادهم بعدما شاهدوا الآيات ﴿قوله ملاوة من الزمان﴾ الجوهرى اقمت عنده ملاوة من الدهر بفتح الميم وضمها وكسرها اى حينا وبرهة منه ﴿قوله والخبر محذوف﴾ يعنى ان كلمة من فى قوله تعالى افمن هو قائم موصولة مرفوعة المحل على الابتدآء وقوله تعالى هو قائم صلتها وخبرها محذوف حذف لدلالة قوله تعالى وجعلوا لله شركاء عليه فانه استئناف جيئ به للدلالة على الخبر المحذوف ولابد من وجه

(بل لله الامر جميعا) بل لله القدرة على كل
شئ وهو اضراب عن ماتضمنته لو من
معنى النفى اى بل الله قادر على الاتيان بما
اقترحوه من الآيات الا ان ارادته لم تتعلق
بذلك لعلمه بانه لاتلين له شكيمتهم ويؤيد ذلك
قوله (أفلم ييأس الذين آمنوا) من ايمانهم
مع مارأوا من احوالهم وذهب اكثرهم الى
ان معناه افلم يعلم لما روى ان عليا وابن عباس
وجماعة من الصحابة والتابعين رضوان الله
عليهم اجمعين قرأوا افلم يتبين وهو تفسير
وانما استعمل اليأس بمعنى العلم لانه مسبب
عن العلم بان الميئوس منه لايكون ولذلك
علقه بقوله (ان لو يشاء الله لهدى الناس
جميعا) فان معناه نفى هدى بعض الناس لعدم
تعلق المشيئة باهتدآئهم وهو على الاول
متعلق بمحذوف تقديره افلم ييأس الذين آمنوا
من ايمانهم علما منهم ان لو يشاء الله لهدى الناس
جميعا او بآمنوا (ولا يزال الذين كفروا
تصيبهم بما صنعوا) من الكفر وسوء الاعمال
(قارعة) داهية تقرعهم وتقلقهم (او تحل
قريبا من دارهم) فيفزعون منها ويتطاير اليهم
شررها وقيل الآية فى كفار مكة فانهم
لا يزالون مصابين بما صنعوا برسول الله
صلى الله عليه وسلم فانه عليه الصلاة والسلام
كان لا يزال يبعث السرايا عليهم فتغير حواليهم
وتخطف مواشيهم وعلى هذا يجوز ان يكون
تحل خطابا للرسول عليه الصلاة والسلام
فانه حل بجيشه قريبا من دارهم عام الحديبية
(حتى يأتى وعد الله) الموت او القيامة او فتح
مكة (ان الله لايخلف الميعاد) لامتناع الكذب
فى كلامه (ولقد استهزئ برسل من قبلك
فامليت للذين كفروا) تسلية لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ووعيد للمستهزئين
والمقترحين عليه والاملاء ان يترك ملاوة
من الزمان فى دعة وأمن (ثم اخذتهم فكيف
كان عقاب) اى عقابى اياهم (افمن هو قائم
على كل نفس) رقيب عليها (بما كسبت
من خير او شر لايخفى عليه شئ من اعمالهم
ولايفوت عنده شئ من جزائهم والخبر محذوف
تقديره كمن ليس كذلك

(وجعلوا لله شركاء) استئناف او عطف على كسبت ان جعلت مامصدرية ويجوز ان يقدر مايقع خبرا للمبتدأ ويعطف عليه وجعلوا اى افمن هو بهذه الصفة لم يوحدوه وجعلوا له شركاء ويكون الظاهر فيه موضع الضمير للتنبيه على انه المستحق للعبادة وقوله (قل سموهم) تنبيه على ان هؤلاء الشركاء لايستحقونها والمعنى صفوهم فانظروا هل لهم مايستحقون به العبادة ويستأهلون الشركة (ام تنبئونه) بل أتنبئونه وقرئ تنبئونه بالتخفيف (بما لايعلم فى الارض) بشركاء يستحقون العبادة لايعلمهم الله او بصفات لهم يستحقونها لاجلها لايعلمها وهو العالم بكل شئ (ام بظاهر من القول) ام تسمونهم شركاء بظاهر من القول من غير حقيقة واعتبار معنى كتسمية الزنجى كافورا وهذا احتجاج بليغ على اسلوب عجيب ينادى على نفسه بالاعجاز (بل زين للذين كفروا مكرهم) تمويههم فتخيلوا اباطيل ثم خالوها حقا او كيدهم للاسلام بشركهم (وصدوا عن السبيل) سبيل الحق وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو وابن عامر وصدوا بالفتح اى وصدوا الناس عن الايمان وقرئ بالكسر وصد بالتنوين (ومن يضلل الله) يخذله (فماله من هاد) يوفقه للهدى (لهم عذاب فى الحياة الدنيا) بالقتل والاسر وسائر مايصيبهم من المصائب (ولعذاب الآخرة اشق) لشدته ودوامه (ومالهم من الله) من عذابه او رحمته (من واق) حافظ (مثل الجنة التى وعد المتقون) صفتها التى هى مثل فى الغرابة وهو مبتدأ خبره محذوف عند سيبويه اى فيما قصصنا عليكم مثل الجنة وقيل خبره (تجرى من تحتها الانهار) على طريقة قولك صفة زيد اسمر او على حذف موصوف اى مثل الجنة جنة تجرى من تحتها الانهار او على زيادة المثل

ارتباط هذه الجملة بماقبلها وتفرعها عليه ليصح موقع الفاء ووجهه انه تعالى لماذكر قوله تعالى بل لله الامر جميعا اى ليس لاحد منه شئ سواء هدى ام اضل واصطفى ام خذل وعقبه بقوله تعالى افلم ييأس الذين آمنوا ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ترشيحا لهذا المعنى وتنصيصا على تصميمهم وعنادهم واتبعه بذكر وعيدهم متدرجا الى تسلية من واجهوه بالتكذيب والانكار اورد على المشركين مايجرى مجرى الحجاج ومايكون توبيخا لهم وتعجيبا من سخافة عقولهم فقال تعالى أفمن هو قائم وهو استفهام بمعنى النفى اى ليس من هو قائم على كل نفس بما كسبت اى قائم بالتدبير فى جزآئها وقيل بحفظها وادرار رزقها ومعنى القيام ههنا التولى لامور خلقه والتدبير للارزاق والآجال واحصاء الاعمال للجزآء فتلخيص المعنى افمن هو مجاز كل نفس بما كسبت كمن ليس بهذه الصفة من الاصنام التى لاتضر ولاتنفع ﴿قوله او عطف على كسبت ان جعلت مامصدرية﴾ اى بكسبها وبجعلها لله شركاء ﴿قوله تنبيه على ان هؤلاء الشركاء لايستحقونها﴾ اى العبادة يعنى ان المقام مقام الاحتجاج على بطلان مذهبهم وليس قوله تعالى قل سموهم صريحا فى ابطاله بل هو تنبيه على بطلانه كأنه قيل سموهم واذكروا مالهم من الاوصاف الثابتة فى نفس الامر لا على طريق تسمية الزنجى كافورا فانظروا هل تجدون فيهم مايستحقون به ان يعبدوا ويتخذوا شركاء ﴿قوله بل أتنبئونه﴾ اشارة الى ان ام هذه منقطعة مقدرة ببل والهمزة وهو اضراب عن الزامهم الحجة بان يطلب منهم ان يصفوهم فينظروا هل يجدون فيهم مايدل على استحقاق العبادة بقوله ام تنبئونه اى أتخبرون الله تعالى بشركاء له يستحقون العبادة لايعلمهم الله وهذا نفى للشركاء على وجه بليغ لانه كناية واستدلال بنفى اللازم على نفى الملزوم وهذا على تقدير ان تكون كلمة ماعبارة عن الشركاء المستحقين للعبادة ويحتمل ان تكون عبارة عن صفاتهم التى يستحقون العبادة لاجلها لايعلمها الا الله تعالى فيكون نفيا لتلك الصفات عنهم بنفى اللازم ثم اضرب عن قوله سموهم بوجه آخر فقال تعالى ام بظاهر من القول وهو انكار وتوبيخ انكر عليهم اتخاذهم الشركاء بانكم لفرط جهلكم وسخافة عقولكم تسمونهم شركاء وهذه التسمية قول لاحقيقة له بل هى من قبيل تسمية الزنجى كافورا فى كونها تسمية خالية عن اعتبار المعنى ان هى الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ماانزل الله بها من سلطان ولاشك ان هذا احتجاج على اساليب بديعة ﴿قوله ثم خالوها﴾ اى ظنوها يقال خلت الشئ اى ظننته ومنه من يسمع يخل ﴿قوله وقرأ ابن كثير﴾ وقرآءة الكوفيين وصدوا مبنيا للمفعول من صد المتعدى وعلى قرآءة غيرهم يحتمل ان يكون متعديا حذف مفعوله اى صدوا غيرهم وانفسهم وان يكون لازما بمعنى اعرضوا وتولوا وقرئ بالكسر على انه مبنى للمفعول اصله صدد بضم الاول فنقلت كسرة الدال الى الصاد كما قيل فى بيع ومثل هذا النقل فى الفعل الصحيح شاذ ﴿قوله من عذابه او رحمته من واق﴾ يعنى ان قوله تعالى مالهم من الله من واق فيه وجهان من الثانية فى كلا الوجهين زآئدة ومن الاولى متعلقة بواق فى الوجه الاول ومتعلقة بمحذوف على انه حال من واق فى الوجه الثانى اى مااستقر لهم كائنا من رحمته واق قدم الحال لكون ذى الحال نكرة ﴿قوله التى هى مثل﴾ اى كالمثل السائر فى الغرابة على ان قوله هى مثل كقولك زيد اسد فى كونه من قبيل التشبيه البليغ فان لفظ المثل بمعنى المثل لغة كالشبه والشبه ثم انه خص فى العرف العام بالقول السائر الذى يشبه مضربه بمورده ثم استعير لكل مافيه غرابة تشبيها له بالقول السائر فى الغرابة فانه لايضرب من الاقوال الامافيه غرابة ﴿قوله على طريقة قولك صفة زيد اسمر﴾ جواب عما يقال كيف يصح ان يكون المثل ههنا بمعنى الصفة ثم يكون مبتدأ وخبره تجرى من تحتها الانهار فان المثل اذا كان بمعنى الصفة كان تقدير الكلام صفة الجنة فيها انهار والحال انه لامعنى لقولنا صفة الجنة فيها انهار لان الانهار فى نفس الجنة لافى صفتها وتقرير الجواب ان ماذكر انما يلزم ان لو كان ضميرفيها راجعا الى الصفة فى قولنا صفة الجنة فيها انهار وليس كذلك كما اذا قيل صفة زيد اسمر يريد ان ضمير اسمر راجع الى نفس زيد لا الى صفته فلا يرد ماذكر لانه انما يرد ان لو كان ضمير اسمر راجعا الى الصفة وليس كذلك بل هو راجع الى نفس زيد كأنه قيل صفة السمرة فيه ﴿قوله او على حذف موصوف﴾ فيكون لفظ المثل باقيا على معناه اللغوى الاصلى اى شبه الجنة جنة كذا ولايكون مستعارا للصفة العجيبة من القول السائر ولايرد ان يقال ان الشبه بمعنى المشابهة وهى حدث والجنة عين واسم العين لايكون خبرا عن اسم المعنى لانه انما يرد ان لو كان المثل بمعنى المماثلة وليس كذلك بل هو ههنا بمعنى المثل والمشابه عرف الله تعالى الجنة التى لم نرها بما رأيناه وشاهدناه فى الدنيا لنفهمها بعض الفهم كأنه قيل ليس

وهو على قول سيبويه حال من العائد المحذوف من الصلة (اكلها دآئم) لاينقطع ثمرها (وظلها) اى وظلها كذلك لاينسخ كما ينسخ فى الدنيا بالشمس (تلك) اى الجنة الموصوفة (عقبى الذين اتقوا) مآلهم ومنتهى امرهم (وعقبى الكافرين النار) لا غير وفى ترتيب النظمين اطماع للمتقين واقناط للكافرين (والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما انزل اليك) يعنى المسلمين من اهل الكتاب كابن سلام واصحابه ومن آمن من النصارى وهم ثمانون رجلا اربعون بنجران وثمانية باليمن واثنان وثلاثون بالحبشة اوعامتهم فانهم كانوا يفرحون بما يوافق كتبهم (ومن الاحزاب) يعنى كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعداوة ككعب ابن الاشرف واصحابه والسيد والعاقب واشيا عهما (من ينكر بعضه) وهو مايخالف شرآئعهم اوما يوافق ماحرّفوه منها (قل انما امرت ان اعبدالله ولااشرك به) جواب للمنكرين اى قل لهم انى امرت فيما انزل الىّ بان اعبدالله واوحده وهو العمدة فى الدين ولاسبيل لكم الى انكاره واما ما تنكرونه لما يخالف شرآئعكم فليس ببدع مخالفة الشرآئع والكتب الالهية فى جزئيات الاحكام وقرئ ولا اشرك بالرفع على الاستئناف (اليه ادعو) لاالى غيره (واليه مآب) واليه مرجعى للجزآء لاالى غيره وهذا هو القدر المتفق عليه بين الانبياء فاما ماعدا ذلك من التفاريع فمما يختلف بالاعصار والامم فلامعنى لانكاركم المخالفة فيه (وكذلك) ومثل هذا الانزال المشتمل على اصول الديانات المجمع عليها (انزلناه حكما) يحكم فى القضايا والوقائع بما تقتضيه الحكمة (عربيا) مترجما بلسان العرب ليسهل لهم فهمه وحفظه وانتصابه على الحال (ولئن اتبعت اهوآءهم) التى يدعونك اليها كتقرير دينهم والصلاة الى قبلتهم بعد ما حوّلت عنها (بعد ما جاءك من العلم) بنسخ ذلك (مالك من الله من ولىّ ولاواق) ينصرك ويمنع العقاب عنك وهو حسم لاطماعهم وتهييج للمؤمنين على الثبات فى دينهم (ولقد ارسلنا رسلا من قبلك) بشرا مثلك (وجعلنا لهم ازواجا وذرية) نساء واولادا كما هى لك (وما كان لرسول) وما صح له ولم يكن فى وسعه (ان يأتى بآية) تقترح عليه وحكم يلتمس منه (الا باذن الله) فانه الملىّ بذلك (لكل اجل كتاب) لكل وقت وأمد حكم يكتب على العباد على مايقتضيه استصلاحهم (يمحو الله مايشاء) ينسخ مايستصوب نسخه (ويثبت) ماتقتضيه حكمته وقيل يمحو سيئات التائب ويثبت الحسنات مكانها

فى الجنة مما فى الدنيا الا الاسماء ﴿قوله وهو على قول سيبويه حال من العائد المحذوف من الصلة﴾ والتقدير وعدها المتقون مقدرا جريان انهارها ﴿قوله او عامتهم﴾ بالنصب عطفا على المسلمين من اهل الكتاب والمراد من الكتاب على التقديرين التوراة والانجيل * فان قيل كيف يصح ان يراد باهل الكتاب فى هذا الموضع عامة اهل الكتاب وهم الكفرة ويحكم عليهم بانهم يفرحون بما انزل اليك مع ان ما انزل يعم جميع ما انزل اليه صلى الله عليه وسلم ومعلوم ان عامتهم لايفرحون بكل ما انزل اليه * والجواب ان ما انزل اليه عام يتناول الكل والبعض وليس عاما مستغرقا لجميع مايصدق لفظ الكل عليه فجاز حملها على البعض بحسب القرينة فلذلك قال المصنف رحمه الله تعالى فانهم كانوا يفرحون بما يوافق كتبهم ﴿قوله يحكم فى القضايا﴾ اشارة الى ان الحكم مصدر بمعنى الحاكم لما كان جميع التكاليف الشرعية مستنبطة من القرءآن كان سببا للحكم فاسند اليه الحكم اسنادا مجازيا ثم جعل نفس الحكم على سبيل المبالغة ﴿قوله التى يدعونك اليها﴾ فانه روى ان المشركين كانوا يدعونه صلى الله عليه وسلم الى اتباع ملة آبائهم المشركين وكان اليهود يدعونه الى الصلاة الى قبلتهم بعد ما حوّل عنها جعل ما يدعون اليه من الدين الباطل والطريق الزآئغ هوى وهو ما يميل اليه الطبع وتهواه النفس بمجرّد الاشتهاء من غير سند مقبول ودليل معقول لكونه هوىً محضا ﴿قوله وهو حسم لاطماعهم وتهييج للمؤمنين﴾ يعنى ان الخطاب وان كان مع النبى صلى الله عليه وسلم الا ان المراد التعريض لغيره لان صلابته صلى الله عليه وسلم فى امر الدين بلغت الى حيث لايحتاج معها الى الحث على التصلب والثبات ووجه التعريض ان من سمع تحذير سيد الخلائق وتهديده على عدم التثبت والتصلب ان كان ممن يطمع منه صلى الله عليه وسلم فى ذلك انقطع طمعه بالكلية وان كان ممن لايتوهم منه ذلك قويت عزيمته وهمته على ذلك اى على الثبات فى الدين علما منه بان من هو ارفع منزلة اذا حذر هذا التحذير فهو بذلك احق واولى ﴿قوله بشرا مثلك﴾ يعنى ان من انكر نبوّته صلى الله عليه وسلم تمسكوا بشبه فى ابطال نبوّته منها ان قولهم الرسول لابدّ ان يكون من جنس الملائكة كما حكى عنهم بقوله او ما تأتينا بالملائكة وبقوله تعالى لولا انزل عليه ملك ومنها قولهم مالهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق ومنها انهم عابوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بكثرة الزوجات وقالوا لوكان رسولا من عندالله تعالى ما كان مشتغلا بامر النسوان بل كان معرضا عنهنّ مشتغلا بالزهد والعبادة فاجاب الله تعالى عن شبههم بقوله ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية فجاز ذلك فى حقهم فلم لايجوز مثله ايضا فى حقه فقد روى انه كان لسليمان عليه الصلاة والسلام ثلاثمائة امرأة مهرية وسبعمائة سرية وكان لداود عليه الصلاة والسلام مائة امرأة وكان من شبههم انهم قالوا لوكان رسولا من عند الله تعالى لكان عليه ان يأتى باىّ شئ طلبنا منه من المعجزات ولايتوقف ولما لم يكن الامر كذلك علمنا انه ليس برسول فاجاب الله تعالى عنه بقوله تعالى وما كان لرسول ان يأتى بآية الا باذن الله اى وما صح له ولم يكن فى وسعه ان يأتى بآية الا باذن منه فان المعجزة الواحدة كافية فى اثبات الحجة وما زاد عليها فهو مفوّض الى مشيئة الله سبحانه وتعالى ان شاء اظهرها وان شاء لم يظهرها ولا اعتراض لاحد عليه فى ذلك ﴿قوله لكل وقت وأمد حكم يكتب﴾ يعنى ان الكتاب بمعنى الحكم المكتوب المفروض على المكلفين بالشرآئع والاحكام لان الطاعنين فى نبوّته صلى الله عليه وسلم قالوا لوكان صادقا فى دعوة النبوّة لم ينسخ الاحكام التى نص الله تعالى على ثبوتها فى الشرآئع المتقدّمة فى التوراة والانجيل لكنه نسخها وحرّفها نحو تحريف القبلة ونسخ اكثر احكام التوراة والانجيل فوجب ان لايكون نبيا حقا فاجاب الله تعالى عنه بقوله لكل وقت حكم يليق بصلاح اهله وحالهم فان الحكمة تقتضى اختلاف الاحكام على حسب الاعصار والامم وعلى حسب تخصيص المشيئة الالهية اهل كل عصر بحكم على حدة كما قال الله تعالى يمحو الله مايشاء ويثبت ان فسر بما ذكره المصنف رحمه الله تعالى بقوله ينسخ مايستصوب نسخه ويثبت ماتقتضيه حكمته * قال الامام رحمة الله تعالى عليه فى هذه الآية قولان الاوّل انها عامة فى كل شئ كما يقتضيه ظاهر اللفظ قالوا ان الله يمحو من الرزق ويزيد فيه وكذا فى الاجل والسعادة والشقاوة والايمان والكفر وهو مذهب عمر وابن مسعود رضى الله عنهما والقائلون بهذا القول كانوا يدعون ويتضرّعون الى الله فى ان يجعلهم سعدآء لا اشقياء وهذا التأويل رواه جابر رضى الله عنه قال كان يطوف بالبيت وهو يبكى ويقول اللهم ان كنت كتبتنى فى اهل الشقاة فامحنى واثبتنى فى اهل السعادة والمغفرة فانك تمحو ماتشاء وتثبت وعندك امّ الكتاب وروى مثله عن ابن مسعود رضى الله عنه ايضا والقول الثانى ان الآية خاصة فى بعض

الاشياء دون بعض وعلى هذا التقدير فى الآية وجوه الاوّل ان المراد من المحو والاثبات نسخ الحكم المتقدم واثبات حكم آخر لاعين الاوّل فقد روى عن سعيد بن جبير وقتادة رضى الله تعالى عنهما يمحو الله مايشاء من الشرآئع فينسخه ويثبت مايشاء فلا ينسخه وهذا القول اختيار ابى علىّ الفارسى قال هذا والله اعلم فيما يحتمل النسخ والتبديل من الشرآئع الموقوفة على المصالح على حسب الاوقات فاما ما كان من غير ذلك فلا يمحى ولا يبدّل والثانى انه تعالى يمحو من ديوان الحفظة ماليس بحسنة ولا سيئة وذلك لانهم مأمورون بكتابة جميع مايقوله الانسان ويفعله فاذا كان يوم الاثنين ويوم الخميس يعارض ماكتبه الحفظة بما فى اللوح المحفوظ فيلق من كتاب الحفظة مالا جزآء له من ثواب وعقاب ويثبت ماله جزآء من احدهما ويترك مكتوبا كما هو والثالث ان من اذنب ذنبا اثبت الله تعالى ذلك الذنب فى ديوانه فاذا تاب عنه يمحو ذلك من ديوانه وقال عكرمة يمحو الله سيئات التائب ويثبت بدلها حسنات والرابع يمحو الله مايشاء وهو من جاء اجله ويدع من لم يجئ اجله ويثبته وان الله تعالى يمحو مايشاء ويثبت الا الشقاوة والسعادة والموت والحياة والرزق والاجل ويدل على صحة هذا القول ماروى انه صلى الله عليه وسلم قال اذا مضى على النطفة خمس واربعون ليلة يدخل الملك ويقول يارب اذكر ام انثى فيقضى الله عز وجل ويكتب الملك فيقول مااجله وعمله ورزقه فيقضى الله تعالى ويكتب الملك ثم تطوى الصحيفة فلا يزاد فيها ولا ينقص منها وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما هما كتابان سوى امّ الكتاب الذى لايغير منه شئ * فان قيل الستم تزعمون ان المقادير سابقة قد جف بها القلم فكيف يستقيم هذا المعنى * فالجواب ان المحو والاثبات مما جف به القلم ايضا فلا يمحو الا ماسبق فى علمه وقضائه محوه سمى اللوح المحفوظ ام الكتاب لكونه اصلا لجميع الكتب والعرب تسمى كل مايجرى مجرى الاصل للشئ امّاله ومنه امّ الرأس للدماغ وامّ القرى لمكة وجميع حوادث العالم السفلى والعلوى مثبتة فى اللوح المحفوظ قال صلى الله عليه وسلم * كان الله تعالى ولاشئ ثم خلق اللوح واثبت فيه جميع احوال الخلق الى قيام القيامة * قال المتكلمون الحكمة فيه ان يظهر للملائكة كونه تعالى عالما بجميع المعلومات على سبيل التفصيل وعلى هذا التقدير فعنده تعالى كتابان احدهما الكتاب الذى تكتبه الملائكة على الخلق وذلك الكتاب هو محل المحو والاثبات والكتاب الثانى هو اللوح المحفوظ وهو الكتاب المشتمل على نقش جميع الاحوال العلوية والسفلية وهو الباقى الذى لايتغير وقيل المراد بامّ الكتاب هو علم الله تعالى فانه تعالى عالم بجميع المعلومات من الموجودات والمعدومات فانها وان تغيرت الا ان علم الله تعالى بها باق منزه عن التغير فالمراد بامّ الكتاب هو ذاك ﴿قوله ارينك بعض ماوعدناهم﴾ تفسير وتفصيل للحال الدآئرة اى سوآء اريناك بعض ماوعدناهم او توفيناك قبله فالواجب عليك تبليغ احكام الله تعالى واداء امانته ورسالته والبلاغ اسم اقيم مقام التبليغ كالسراح ﴿قوله فلا تحتفل﴾ اى لاتبال يقال احتفلت بكذا اى باليت به لما اوعد الله تعالى المكذبين بقوله لهم عذاب فى الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة اشق ومالهم من الله من واق قال بعده واما نرينك يعنى ان ابتلاءهم بما اوعدوا به غير مشروط بحياتك بل هو واقع بهم مت او بقيت حيا وعلى كل حال فالواجب عليك ليس الا البلاغ وعلينا الحساب فلا تبال باعراضهم ولا تستعجل بعذابهم والطلائع جمع طليعة الجيش وهو من يبعث ليطلع على حال العدوّ والمعنى هذه الحال التى هى نقص ارض الكفرة من اطرافها طلائع تحقيق ما اوعدهم الله تعالى من تعذيبهم فانه تعالى لما وعد رسوله صلى الله عليه وسلم برؤية بعض ماوعدهم كأن الكفرة قالوا عند ذلك اين ماوعد ربك ان يريك فقال الله سبحانه وتعالى عند ذلك اولم يروا انا نأتى الارض ننقصها من اطرافها اى يأتيها امرنا وقوله ننقصها حال امامن فاعل نأتى او من مفعوله فان مازاد فى بلاد المسلمين باستيلائهم عليها قهرا وجبرا نقص من ديار الكفرة وهى من طلائع تحقق تلك المواعيد وعلاماتها فانه تعالى اذا قدر على جعل بعض ديار الكفر للمسلمين فهو قادر على ان يجعل الكل لهم افلا يعتبرون بهذا ثم انه تعالى اكد هذا المعنى فقال سبحانه وتعالى والله يحكم لامعقب لحكمه اى يحكم نافذا حكمه خاليا عن المدافع والمعارض والمنازع ثم سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بان اخبره ان كفار الامم الماضية كفروا برسلهم ومكروا بان هموا بقتلهم واهلاكهم وابطال دينهم الذى دعوا قومهم اليه مثل نمرود مكر بابراهيم عليه الصلاة والسلام واليهود مكروا بعيسى عليه الصلاة والسلام وفرعون مكر بموسى عليه الصلاة والسلام ثم بين ان مكرهم كلا مكر بالاضافة الى مكر الله تعالى حيث قال فلله المكر جميعا ثم بين قوّة مكره وكماله بقوله يعلم ماتكسب كل نفس وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار فان من علم ماتكسب كل نفس واعدّلها جزآءها وكان قادرا على امضاء مااعدّه من الجزآء

وقيل يمحو من كتاب الحفظة مالا يتعلق به جزاء ويترك غيره مثبتا او يثبت مارآه وحده فى صميم قلبه وقيل يمحو قرنا ويثبت آخر وقيل يمحو الفاسدات ويثبت الكائنات وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائى ويثبت بالتشديد (وعنده امّ الكتاب) اصل الكتب وهو اللوح المحفوظ اذما من كائن الا وهو مكتوب فيه (واما نرينك بعض الذى نعدهم او نتوفينك) وكيف مادارت الحال اريناك بعض ماوعدناهم او توفيناك قبله (فانما عليك البلاغ) لاغير (وعلينا الحساب) للمجازاة لاعليك فلا تحتفل باعراضهم ولا تستعجل بعذابهم فانا فاعلون له وهذا طلائعه (اولم يروا انا نأتى الارض) ارض الكفرة (ننقصها من اطرافها) بما نفتحه على المسلمين منها (والله يحكم لا معقب لحكمه) لا رادّ له وحقيقته الذى يعقب الشئ بالابطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لانه يقفو غريمه بالاقتضاء والمعنى انه حكم للاسلام بالاقبال وعلى الكفر بالادبار وذلك كائن لايمكن تغييره ومحل لامع المنفى النصب على الحال اى يحكم نافذا حكمه (وهو سريع الحساب) فيحاسبهم عما قليل فى الآخرة بعدما عذبهم بالقتل والاجلاء فى الدنيا (وقد مكر الذين من قبلهم) بانبيائهم والمؤمنين منهم (فلله المكر جميعا) اذلا يؤبه بمكر دون مكره فانه القادر على ماهو المقصود منه دون غيره

(يعلم ماتكسب كل نفس) فيعدّ جزاءها (وسيعلم الكفار لمن عقبي الدار) من الحزبين حينما يأتيهم العذاب المعدّ لهم وهم فى غفلة منه وهذا كالتفسير لمكر الله تعالى بهم واللام تدل على ان المراد بالعقبى العاقبة المحمودة مع مافى الاضافة الى الدار كما عرفت وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو الكافر على ارادة الجنس وقرئ الكافرون والذين كفروا والكفر اى اهله وسيعلم من اعلمه اذا اخبره (ويقول الذين كفروا لست مرسلا) قيل المراد بهم رؤساء اليهود (قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم) فانه اظهر من الادلة على رسالتى ما يغنى عن شاهد يشهد عليها (ومن عنده علم الكتاب) علم القرآن وماالف عليه من النظم المعجز اوعلم التوراة وهو ابن سلام واضرابه اوعلم اللوح المحفوظ وهو الله تعالى اى وكفى بالذى يستحق العبادة وبالذى لايعلم ما فى اللوح الاهو شهيدا بيننا فيخزى الكاذب مناويؤيده قرآءة من قرأ ومن عنده بالكسر وعلم الكتاب على الاوّل مرتفع بالظرف فانه معتمد على الموصول ويجوز ان يكون مبتدأ والظرف خبره وهو متعين للثانية وقرئ ومن عنده علم الكتاب على الحرف والبناء للمفعول * عن رسول الله صلى عليه وسلم من قرأ سورة الرعد اعطى من الاجر عشر حسنات بوزن كل سحاب مضى وكل سحاب يكون الى يوم القيامة وبعث يوم القيامة من الموفين بعهد الله

سورة ابراهيم عليه السلام مكية

وهى احدى وخمسون آية

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الر كتاب) اى هو كتاب (انزلناه اليك لتخرج الناس) بدعائك اياهم الى ماتضمنه (من الظلمات) من انواع الضلال (الى النور) الى الهدى (باذن ربهم) بتوفيقه وتسهيله مستعار من الاذن الذى هو تسهيل الحجاب وهو صلة لتخرج اوحال من فاعله اومفعوله (الى صراط العزيز الحميد) بدل من قوله الى النور بتكرير العامل اواستئناف على انه جواب لمن يسأل عنه واضافة الصراط الى الله تعالى اما لانه مقصده او المظهر له وتخصيص الوصفين للتنبيه على انه لايذل سالكه ولا يخيب سابله (الله الذى له مافى السموات ومافى الارض) على قرآءة نافع وابن عامر مبتدأ وخبر او الله خبر مبتدأ محذوف والذى صفته وعلى قرآءة الباقين عطف بيان للعزيز لانه كالعلم لاختصاصه بالمعبود على الحق

فى الدنيا والآخرة لاجرم يأخذ المجرمين بالنواصى والاقدام وهم فى غفلة عما يراد بهم ان بطشه لشديد اذا اخذ الظالم لايفلته **قوله مع مافى الاضافة الى الدار** اى مع الدلالة الكائنة فى اضافة العقبى الى الدار فان الاضافة لتعظيم المضاف فتدل على ان المعنى ماينبغى ان تكون العاقبة عاقبة الدنيا بل ليس هى الا الجنة **قوله فانه اظهر من الادلة على رسالتى الخ** يعنى ان المراد بشهادة الله تعالى اظهار المعجزات الدالة على صدقه فى دعوى الرسالة وقوله علم الكتاب فسر الكتاب اوّلا بالقرآن العظيم فيكون المراد بالذى عنده علم الكتاب المؤمنين وثانيا بجنس الكتب المتقدمة وثالثا باللوح المحفوظ **قوله اى وكفى بالذى يستحق العبادة الخ** على تقدير ان يكون معنى قوله تعالى ومن عنده علم الكتاب هو الله تعالى * فان قلت كيف يصح ان يراد بمن عنده الله تعالى مع كونه معطوفا على قوله بالله وهو عطف الشئ على نفسه * اشار الى دفعه بان اوّل اسم الذات بمايعطيه من معنى استحقاق العبادة لكون لفظ الجلالة مختصا بالمعبود بالحق المستجمع لجميع صفات الكمال واوّل من عنده بالذى لايعلم مافى اللوح الاهو ليكون من قبيل عطف الصفة على الصفة كما فى قول الشاعر

* يالهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآئب *

وقرأ الجمهور من عنده بفتح ميم من وهى موصولة فى محل الجر حينئذ عطفا على لفظ الجلالة اى بالله وبمن عنده علم الكتاب وجملة عنده علم الكتاب يحتمل ان تكون جملة ظرفية بان يكون علم الكتاب فاعل عنده لاعتماده على الموصول ويحتمل ان تكون جملة اسمية بان يكون علم الكتاب مبتدأ وعنده خبره قدّم عليه والجملة على التقديرين صلة من وان قرئ من عنده بكسر الميم على انه حرف جر تعين ان يكون علم الكتاب مرفوعا على الابتداء وماقبله خبره وقرئ من بالكسر وعلم على بناء المفعول والله اعلم * تمت سورة الرعد والحمد لله على التمام وهذا اوان الشروع فيما يتعلق بسورة ابراهيم عليه الصلاة والسلام

سورة ابراهيم مكية وهى احدى وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله اى هو كتاب اما على تقدير ان يكون الر اسما للسورة ويكون التقدير هذه الر ثم استؤنف قوله كتاب اشارة الى فخامة شأنها وعظم قدرها بانها كتاب عظيم الشان تولينا انزاله وبلغ فى الفصاحة النهاية فاظنك بمجموع القرآن واما على ان يكون الر تعديدا للحروف قرعا للعصا وتقدمه لدليل الاعجاز فلا يكون له محل من الاعراب **قوله مستعار من الاذن الذى هو تسهيل الحجاب** اى مجاز مرسل على طريق اطلاق الملزوم وارادة اللازم فان لفظ الاذن حقيقة فى الاطلاق ورفع الحجب ويلزمه التسهيل والتيسير فان الدخول فى حق الغير وملكه متعذر فاذا صودف الاذن يكون تسهيلا وتيسيرا فلما كان التسهيل من لوازم الاذن صح استعمال لفظ الاذن فيه مجازا فالمراد بقوله مستعار الاستعارة اللغوية لاماهو مصطلح اهل البيان وقوله لتخرج متعلق بانزلناه وقوله باذن ربهم يجوز ان يتعلق بالاخراج اى لتخرجهم بتسهيله وتيسيره وان يتعلق بمحذوف على انه حال من ضمير الفاعل اى مأذونا لك اومن الناس اى مأذونا لهم شبه الكفر بالظلمات لانها نهاية مايتحير الرجل فيه ولايهتدى به الى الحق والصواب وشبه الايمان بالنور لانه نهاية مايتجلى به الحق المطلوب وجمع الظلمات لتعدد طرق الكفر وانواعه **قوله بدل من قوله الى النور** ولايضره الفصل بقوله باذن ربهم لانه من معمولات العامل فى المبدل منه **قوله اواستئناف** فيتعلق بمحذوف كأنه قيل الى اى نور اخراجهم فقيل الى صراط **قوله امالانه مقصده** اى اما لان الله تعالى هو المقصود من ذلك الصراط واما لانه تعالى هو المظهر لذلك الصراط وهذا القدر من الملابسة يكفى فى صحة الاضافة فاضيف الصراط الى العزيز للتنبيه على انه صراط عزيز لايذل سالكه واضيف الى الحميد للتنبيه على انه صراط كثير الخير اى لايخيب سابله اى من اتخذه سبيلا **قوله على قرآءة نافع وابن عامر** فانهما قرأ برفع لفظ الجلالة على انه مبتدأ خبره الموصول بعده او على انه خبر مبتدأ محذوف اى هو الله وقيل هذا يسمى الرفع على المدح فعلى هذا يكون الموصول مع صلته فى محل الرفع على انه صفة الجلالة والباقون بجره على انه عطف بيان للعزيز الحميد لان لفظ الجلالة وان كان فى اصل الوضع اسما مشتقا الا انه صار فى العرف جاريا مجرى الاسم العلم لذات الله تعالى فخرج بذلك عن ان يكون مفهومه صالحا لوقوع الشركة فيه فجاز كونه تابعا لماقبله فى الايضاح والتفسير والذى يدل على كونه جاريا مجرى الاسم العلم انه لو كان مشتقا

لكان مفهومه شيئاما حصل له المشتق منه وهو مفهوم كلي صالح من حيث هو لوقوع الشركة فيه فلا يكون
قولنا لا اله الا الله موجبا للتوحيد لان المستثنى يكون امرا كليا حينئذ وهو خلاف الاجماع لان الامة قد اجمعوا
على ان قولنا لا اله الا الله كلمة توحيد وذلك يوجب كون لفظ الجلالة جاريا مجرى الاسم العلم لذاته المخصوصة فعلى
هذا كان الظاهر ان يذكر الاسم ثم يذكر عقيبه الصفات كما في قوله هو الله الخالق البارئ واما اذا عكس هذا الترتيب
بان يقال لهو الخالق البارئ الله فذلك ترتيب بعيد مما هو الشائع المتعارف فمن قطع لفظ الجلالة عما قبله وقرأه
مرفوعا اما على الابتداء او الخبرية لمحذوف فلا كلام في قرآءته واما من قرأ بالجر عطفا على العزيز الحميد فيرد عليهم
ان اتباع الاسم للصفة خلاف الترتيب الشائع بين القوم ولهم ان يقولوا انه تعالى لما اراد تفخيم الصراط الذي يدعو
الناس اليه بالاضافة الى العزيز الحميد ووقعت الشبهة في ان ذلك العزيز الحميد من هو بناء على ان الكفار ربما وصفوا
الصنم بكونه عزيزا حميدا عطف عليهما عطف بيان قوله الله الذي له ما في السموات وما في الارض ازالة لتلك
الشبهة وايضاحا للمتبوع ﴿قوله لكنه رفع﴾ على انه مبتدأ وللكافرين خبره وجاز الابتداء بالنكرة لانه دعاء
كسلام عليكم مع انه موصوف بقوله من عذاب شديد فانه متعلق بمحذوف هو صفة كأنه قيل وويل كائن من عذاب
شديد مستقر للكافرين ولا يجوز ان يتعلق بنفس ويل لاجل الفصل بينهما بالخبر وقد تقرر في النحو انه لا يجوز الفصل
بين المصدر ومعموله ﴿قوله فان المختار للشيء يطلب من نفسه ان يكون احب اليها﴾ فان استحباب الشيء
طلب محبته عبر عن اختيار الشيء باستحبابه لما في اختياره من شائبة طلب كونه احب اليه من غيره والظاهر ان
استحباب الشيء ابلغ من اختياره في الدلالة على كون ذلك الشيء محبوبا لان اختيار الشيء انما يدل على مجرد ترجيح
ذلك الشيء وعده خيرا بخلاف الاستحباب فانه يدل على كون حب الشيء مطلوبا له ومحبوبا عنده وهو نهاية المحبة
فقوله الذين يستحبون الحياة الدنيا يدل على كونهم في نهاية المحبة للحياة الدنيا وهو نهاية الضلال لانها انما تنشأ
عن الغفلة عن حقيقة الحياة الاخروية والاشتغال بادنى لذات الحياة العاجلة التي لا حاصل لها في الحقيقة لان
ما في هذه الحياة من اللذات لا حاصل له في الحقيقة الا دفع الآلام بخلاف اللذات الاخروية فانها في انفسها لذات
محضة ثم انه زاد على ما يدل على ضلالهم في انفسهم فقال ويصدون لمن كان موصوفا باستحباب الدنيا فهو ضال
ومن كان في نفسه منع الغير من الوصول الى سبيل الله تعالى ودينه فهو مضل ثم زاد على وصفهم باضلال الغير
بصده عن الوصول الى الصراط المستقيم فقال ويبغونها عوجا فان السعي في القاء الشكوك والشبهات في المذهب
الحق والجد في تقبيحه بكل ما يقدر عليه من الحيل هو نهاية الضلال والاضلال ﴿قوله والبعد في الحقيقة﴾
جواب عما يقال القرب والبعد لا يوصف بهما الا الاماكن والتمكن فيها والضلال ليس منهما فكيف وصف بقوله
بعيد * اجاب عنه اولا بان البعد في الحقيقة للضال لانه هو الذي يتباعد عن الطريق والمقصد فوصف به فعله
اسنادا مجازيا على طريق جد جده وثانيا بان البعد صفة للامر الذي به الضلال عن الحق تنزيلا له منزلة المكان
الذي وقع فيه الضلال فاسند البعد الى سببه للملابسة بينهما ﴿قوله الا بلغة قومه الذي هو منهم وبعث فيهم﴾
تخصيص قوم الرسول بمن هو منهم وبعث فيهم يظهر منه انه ليس المراد منه جميع من بعث اليهم من امة دعوته
لان رسولنا صلى الله عليه وسلم بعث الى الناس كافة بل الى الثقلين مع انه لم يرسل الا ملتبسا بلسان العرب
خاصة والذي يخطر ببالي في وجه اتصال هذه الآية بما قبلها انها جواب عما يرد على قوله تعالى كتاب
انزلناه اليك لتخرج الناس وهو ان تعريف الناس للاستغراق لقوله تعالى قل يا ايها الناس اني رسول الله
اليكم جميعا وما انزل اليه عليه الصلاة والسلام بلسان العرب خاصة فكيف يخرج به جميع الناس من ظلمة
الكفر الى نور الايمان * فاجاب عنه بقوله وما ارسلنا من رسول الى الامم التي اختلفت السنتهم الا بلغة قومه
الذي هو منهم اذ لا حاجة الى ان ينزل الى كل قوم كتاب ملتبس بلغة ذلك القوم لان ذلك ينوب ويكفي عن التطويل
اللازم من ذلك فاذا نزل بلسان واحد من الاقوام كان اولى الالسنة لسان قوم الرسول لان قومه اقرب الناس
اليه فكان حقهم عليه اقدم وكان الاولى ان يدعوهم الى الحق اولا وينذرهم عن المخالفة والعصيان حتى
اذا فهموا منه يبينون ما ارسل به اليهم ويترجمون لغيرهم ما فهموه منه فتنتشر دعوته بذلك الى اطراف العالم
﴿قوله تعالى الا بلسان قومه﴾ في موضع النصب على الحال اي الا متكلما او ملتبسا بلسان وهو على
وزن كتاب وقرئ في الشواذ بلسن قومه بكسر اللام وسكون السين وهو لغة في اللسان وقيل اللسان يطلق على

(وويل للكافرين من عذاب شديد) وعيد
لمن كفر بالكتاب ولم يخرج به من الظلمات
الى النور والويل نقيض الوأل وهو النجاة
واصله النصب لانه مصدر الا انه لم يشتق
منه لكنه رفع لافادة الثبات (الذين يستحبون
الحياة الدنيا على الآخرة) يختارونها عليها
فان المختار للشيء يطلب من نفسه ان يكون
احب اليها من غيره (ويصدون عن سبيل الله)
بتعويق الناس عن الايمان وقرئ ويصدون
من اصده وهو منقول من صد صدودا اذا
تنكب وليس فصيحا لان في صده مندوحة
عن تكلف التعدية بالهمزة (ويبغونها عوجا)
ويبغون لها زيغا ونكوبا عن الحق ليقدحوا
فيه فحذف الجار واوصل الفعل الى الضمير
والموصول بصلته يحتمل الجر صفة للكافرين
والنصب على الذم والرفع عليه او على انه
مبتدأ خبره (اولئك في ضلال بعيد) اي ضلوا
عن الحق ووقعوا عنه بمراحل والبعد
في الحقيقة للضال فوصف به فعله للمبالغة
او للامر الذي به الضلال فوصف به لملابسته
(وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه)
الا بلغة قومه الذي هو منهم وبعث فيهم
(ليبين لهم) ما امروا به فيفقهوه عنه بيسر
وسرعة ثم ينقلوه ويترجموه لغيرهم فانهم
اولى الناس اليه بان يدعوهم واحق بان
ينذرهم ولذلك امر النبي صلى الله عليه وسلم
بانذار عشيرته اولا ولو نزل على من بعث الى
امم مختلفة كتب على السنتهم استقل ذلك بنوع
من الاعجاز ولكن ادى الى اختلاف الكلمة
واضاعة فضل الاجتهاد في تعلم الالفاظ
ومعانيها والعلوم المتشعبة منها وما في اتعاب
القرائح وكد النفس من القرب المقتضية
لجزيل الثواب وقرئ بلسن وهو لغة فيه
كريش ورياش ولسن بضمتين وضمة وسكون
على الجمع كعمد وعمد وقيل الضمير في قومه
لمحمد صلى الله عليه وسلم فان الله انزل الكتب
كلها بالعربية ثم ترجمها جبريل عليه السلام
اوكل نبي بلغة المنزل عليهم وذلك يرده قوله
ليبين لهم فانه ضمير القوم والتوراة والانجيل
ونحوهما لم ينزل ليبين للعرب

العضو المعروف وعلى اللغة ايضا واما اللسن فانما يطلق على اللغة خاصة وقرئ بلسن بضم اللام والسين وهو جمع لسان ككتاب وكتب وقرئ بضم اللام وسكون السين وهى تخفيف القرآءة بضمتين نحو رسل فى رسل ﴿قوله فيضل﴾ استئناف اخبار اى فهو يضل فلايجوز ان يكون عطفا على ماقبله لان المعطوف كالمعطوف عليه فى المعنى فيكون المعنى ليبين فيضل والرسل انما ارسلت للبيان لاللاضلال قال الزجاج ولو قرئ بنصبه على ان اللام لام العاقبة جاز والفاء فيه تفصيلية والمعنى ان الله تعالى ارسل الرسل الى اقوامهم لتبين لهم طريق الهداية وطريق الضلالة فعند ذلك حصل الاختلاف فبعضهم اختار الهداية وبعضهم الضلالة اوتقول انزلنا الكتاب للتبيين فتهم من نفعناه بذلك البيان ومنهم من جعلناه حجة عليه ﴿قوله بآياتنا﴾ حال اى ارسلناه ملتبسا بآياتنا وأن فى أن أخرج يجوز ان تكون مفسرة لوقوعها بعد فعل فى معنى القول وان تكون مصدرية واختلف النحاة فى انه هل يجوز ان تكون صلة ان المصدرية امرا اونهيا اوغيرهما مما فيه معنى الطلب اولايجوز والمشهور عدم الجواز واجاز سيبويه كون صلة ان المصدرية ذلك على ان يكون معنى قولك امرته ان قم بأن قم اى بالقيام وقال ابو على فى قوله تعالى ماقلت لهم الاما امرتنى به ان اعبدوا الله يجوز ان تكون كلمة أن فيه مصدرية فتكون مع مافى حيزها بدلا من ما او من الهاء فى به اوخبر مبتدأ محذوف اى هو أن اعبدوا الله وان تكون مفسرة واختار المصنف كونها مصدرية حيث قال فانّ صيغ الافعال سوآء فى الدلالة على المصدر فيصح ان يوصل بها ان الناصبة الا انه تسامح فى العبارة حيث جعل ان الداخلة على فعل الامر ناصبة لانّ ان الناصبة تدخل على الفعل المضارع الا ان يقال لو كانت داخلة على الفعل المضارع لكانت ناصبة ولو قال ان يوصل بها ان المصدرية لم يحتج الى هذا التأويل ثم انه تعالى لما ذكر لرسوله صلى الله عليه وسلم على سبيل المنة انه انزل كتابا عظيم الشان ليخرج به الناس من الظلمات الى النور أتبع ذلك بشرح ارساله سائر الانبياء الى اقوامهم وكيفية معاملة اقوامهم معهم ليكون ذلك تصبيرا له عليه السلام على اذى قومه وارشادا له الى كيفية مكالمته ومعاملته مع قومه فذكر قصة موسى عليه الصلاة والسلام فقال ولقد ارسلنا موسى بآياتنا الآية امر الله تعالى موسى عليه الصلاة والسلام فى هذا المقام بشيئين احدهما ان يخرجهم من ظلمات الكفر والضلال وثانيهما ان يذكرهم بأيام الله فقيل المراد بها ماانعم الله تعالى عليهم فى الايام الماضية كأنه قيل قل لهم ياقوم كم من خير قداعطاه الله تعالى لكم وكم من شر قد صرفه الله تعالى عنكم وكم من غم قد فرّجه الله عنكم اماتذكرون ما كنتم عليه مما اصابكم من قبل فرعون من انواع العذاب ثم انه اهلك عدوّكم بتدبير عجيب وخلصكم من عذابه وانزل عليكم المنّ والسلوى وانعم عليكم بجميع ماانتم عليه الآن من صنوف نعمائه فبادروا الى شكر هذه النعم وقيل المراد بأيام الله وقائعه فى الامم السالفة اى اذكر كيف اهلك الله تعالى الامم السالفة لما كذبوا الرسل وقيل المراد بها جميع ماوقع فيها من النعماء والبلاء والمعنى عظهم بالترغيب والترهيب والوعد والوعيد فالترغيب والوعد أن يذكرهم جميع ماانعم الله عليهم وعلى من قبلهم ممن آمنوا بالرسل فيما سلف من الايام والترهيب والوعيد ان يذكرهم بأس الله وعذابه وانتقامه ممن كذب رسله فيما سلف من الايام مثل مانزل بعاد وثمود وغيرهما ليرغبوا فى الوعد فيصدّقوا ويحذروا من الوعيد فيتركوا التكذيب والعناد ويؤيد هذا القول الجمع بين الصبار والشكور فى قوله تعالى ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور ومن حمل الايام على معنى الوقائع استدل عليه بانّ التذكير بالايام اكثر مايستعمل فى التخويف والانذار ﴿قوله اى اذكروا نعمته وقت انجائه اياكم﴾ يعنى ان قوله اذانجاكم ظرف للنعمة بمعنى الانعام ثم قال ويجوز أن ينتصب بعليكم اى بما تعلق به عليكم على تقدير ان لايكون صلة للنعمة بل يكون متعلقا بالاستقرار بمعنى اذكروا نعمة الله مستقرّة عليكم وقت انجائكم فعلى هذا تكون النعمة بمعنى العطية لابمعنى الانعام ولو جعل عليكم صلة للنعمة بمعنى الانعام فحينئذ لايجوز ان ينتصب الظرف بعليكم لان المفعول فيه عبارة عما فعل فيه فعل مذكور فلايعمل فيه الافعل اوشبهه وعليكم على تقدير كونه صلة للنعمة لايكون فعلا ولاشبهه ﴿قوله احوال من آل فرعون اومن ضمير المخاطبين﴾ اومنهما جميعا لان فيها ضمير كل واحد منهما ويجوز ان يكون مستأنفا لبيان ما انجاهم منه قال الله تعالى فى سورة البقرة واذنجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وكذا فى الاعراف الا انه وقع فيها بدل يذبحون يقتلون وكل واحد منهما فى سورته بغير واو فلما وقع فى هذه السورة ويذبحون بواو العطف اشار المصنف الى الفرق بان الجملة حيث ذكرت بغير واو

(فيضل الله من يشاء) فيخذله عن الايمان (ويهدى من يشاء) بالتوفيق له (وهو العزيز) فلايغلب على مشيئته (الحكيم) فلا يهدى ولايضل الالحكمة (ولقد ارسلنا موسى بآياتنا) يعنى اليد والعصا وسائر معجزاته (ان أخرج قومك من الظلمات الى النور) بمعنى اى اخرج كأن فى الارسال معنى القول او بأن اخرج فان صيغ الافعال سوآء فى الدلالة على المصدر فيصح ان يوصل بها ان الناصبة (وذكرهم بأيام الله) بوقائعه التى وقعت على الامم الدارجة وايام العرب حروبها وقيل بنعمائه وبلائه (ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور) يصبر على بلائه ويشكر لنعمائه فانه اذا سمع بما نزل على من قبله من البلاء وافيض عليهم من النعماء اعتبر وتنبه لما يجب عليه من الصبر والشكر وقيل المراد لكل مؤمن وانما عبر عنهم بذلك تنبيها على ان الصبر والشكر عنوان المؤمن (واذقال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذأنجاكم من آل فرعون) اى اذكروا نعمته وقت انجائه اياكم ويجوز أن ينتصب بعليكم ان جعلت مستقرّة غير صلة للنعمة وذلك اذا اريدت بها العطية دون الانعام ويجوز ان يكون بدلا من نعمة الله بدل الاشتمال (يسومونكم سوء العذاب ويذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم) احوال من آل فرعون اومن ضمير المخاطبين والمراد بالعذاب ههنا غير المراد به فى سورة البقرة والاعراف لانه مفسر بالتذبيح والقتل ثم ومعطوف عليه التذبيح ههنا وهو اماجنس العذاب او استعبادهم واستعمالهم بالاعمال الشاقة

(وفي ذلكم) من حيث انه باقدار الله تعالى اياهم وامهالهم فيه (بلاء من ربكم عظيم) ابتلاء منه ويجوز ان تكون الاشارة الى الانجاء والمراد بالبلاء النعمة (واذ تأذن ربكم) ايضا من كلام موسى عليه السلام وتأذن بمعنى آذن كتوعد بمعنى اوعد غير انه ابلغ لما في التفعل من معنى التكلف والمبالغة (لئن شكرتم) يابني اسرآئيل ما انعمت عليكم من الانجاء وغيره بالايمان والعمل الصالح (لأزيدنكم) نعمة الى نعمة (ولئن كفرتم ان عذابي لشديد) فلعلي اعذبكم على الكفران عذابا شديدا ومن عادة أكرم الاكرمين ان يصرح بالوعد ويعرض بالوعيد والجملة مقول قول مقدر اومفعول تأذن على انه يجري مجرى قال لانه ضرب منه (وقال موسى ان تكفروا انتم ومن في الارض جميعا) من الثقلين (فان الله لغني) عن شكركم لنعمته (حميد) مستحق للحمد في ذاته محمود يحمده الملائكة وتنطق بنعمه ذرات المخلوقات فما ضررتم بالكفران الا أنفسكم حيث حرمتموها مزيد الانعام وعرضتموها للعذاب الشديد (ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود) من كلام موسى عليه الصلاة والسلام اوكلام مبتدأ من الله (والذين من بعدهم لايعلمهم الا الله) جملة وقعت اعتراضا اوالذين من بعدهم عطف على ماقبله ولا يعلمهم اعتراض والمعنى انهم لكثرتهم لايعلم عددهم الا الله ولذلك قال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه كذب النسابون (جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا ايديهم في افواههم) فعضوها غيظا مما جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام كقوله تعالى عضوا عليكم الانامل من الغيظ اووضعوها عليها تعجبا منه اواستهزاء عليه كمن غلبه الضحك او اسكاتا للانبياء عليهم الصلاة والسلام اوامرا لهم باطباق الافواه واشاروا بها الى ألسنتهم وما نطقت به من قولهم انا كفرنا تنبيها على ان لاجواب لهم سواه اوردوها في افواه الانبياء يمنعونهم من التكلم

تكون بدلا من قوله يسومونكم سوء العذاب على طريق التفسير والبيان وحيث ذكرت بالواو يكون الكلام من قبيل عطف الخاص على العام على تقدير أن يراد بالعذاب جنس العذاب ويعطف عليه التذبيح للاشارة الى انه بلغ في الفظاعة والشدة الى حيث صار كأنه جنس مغاير للعذاب اومن عطف احد المتقابلين على الآخر على تقدير ان يخص العذاب باستعبادهم واستعمالهم بالاعمال الشاقة ﴿قوله من حيث انه باقدار الله تعالى اياهم﴾ لما جعل الاشارة الى فعل آل فرعون بهم * ورد أن يقال كيف يكون فعل آل فرعون بلاء من ربهم * فأجاب عنه بان فعلهم لما كان باقدار الله تعالى اياهم وامهالهم فيه صار ابتلاء من الله تعالى فانه تعالى يبتلي عباده تارة بالمحنة وتارة بالمنحة ﴿قوله ايضا من كلام موسى عليه السلام﴾ فيكون معطوفا على قوله اذ انجاكم فيكون معمولا للنعمة بمعنى الانعام او للاستقرار الذي تعلق به عليكم اوعلى قوله نعمة الله فيكون معمولا لقوله اذكروا والنعمة الزآئدة بالشكر تعم النعم الروحانية والجسمانية اما النعم الروحانية فهي ان الشاكر يكون أبدا في ملاحظة اقسام نعم الله وانواع فضله وكرمه وتلك الملاحظة تستجلب محبة العبد لله تعالى ومقام المحبة اعلى مقامات الصديقين ثم قد يترقى العبد من تلك الحالة الى ان يصير حبه للمنعم شاغلا له عن الالتفات الى النعم ومعرفتها فثبت ان الاشتغال بالشكر يجلب النعم الروحانية واما ازدياد النعم الجسمانية بالشكر فلأن الاستقرآء دل على ان من كان اشتغاله بشكر نعم الله اكثر كان وصول نعم الله تعالى اليه اكثر ثم ان موسى عليه السلام لما بين ان الاشتغال بالشكر يوجب تزايد الخيرات في الدنيا والآخرة وأن كفران النعم يوجب العذاب الشديد وحصول الآفات في الدنيا والآخرة بين بعده ان منافع الشكر ومضار الكفران لاتعودان الا الى صاحب الشكر وصاحب الكفران واما المعبود والمشكور فانه غني عن ان ينتفع بالشكر اويستضر بالكفران فهو تعالى انما امر بهذه الطاعات لمنافع العباد كما قال فان الله لغني حميد لان من كان ذاته كافية في وجوده وجميع كمالاته يكون غنيا لايفتقر الى شكر شاكر وحميدا يستحق الحمد لذاته لكونه مستجمعا لجميع الكمالات بالفعل ﴿قوله من كلام موسى عليه الصلاة والسلام﴾ لقومه يذكرهم احوال المتقدمين ويخوفهم بها ليعتبروا ويجتهدوا في طاعة الله تعالى وطاعة رسوله وقيل هو ابتدآء خطاب من الله تعالى لاهل عصر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ذكر اقواما ثلاثة وهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم نوح بدل من الذين من قبلكم اوعطف بيان له ثم قال والذين من بعدهم لايعلمهم الا الله وذكر المصنف فيه احتمالين الاول ان يكون قوله والذين من بعدهم مبتدأ وقوله لايعلمهم الا الله خبره وتكون الجملة الاسمية معترضة بعد الكلام على ماجوزه صاحب الكشاف اوبين الحال وصاحبها ان جعل قوله تعالى جاءتهم رسلهم بالبينات حالا من الذين من قبلكم على مذهب من يجوز انتصاب الحال من المضاف اليه وفائدة الاعتراض التنبيه على كثرة الامم المتقدمين كأنه قيل ان من بعدهم بلغ من الكثرة بحيث لايعلم عددهم الا الله فكيف بالمجموع والاحتمال الثاني ان يكون قوله والذين من بعدهم معطوفا على ماقبله وهو قوم نوح وعاد وثمود ويكون قوله لايعلمهم الا الله اعتراضا لبيان كثرة من قبلهم والمعنى الم يأتكم انباء الجم الغفير الذين لايعلم عددهم الا الله لكثرتهم وقول المصنف والمعنى انهم لكثرتهم لايعلم عددهم الا الله بيان للمعنى على الاحتمالين لكن يختلف مرجع ضمير انهم بحسب الاحتمالين فان المعنى على الاحتمال الاول ان الذين من بعدهم بلغوا من الكثرة بحيث لايعلم عددهم الا الله فيكون المقصود الترقي في بيان كثرة من قبلهم كأنه قيل الم يأتكم نبأ هؤلاء ومن لايحصى عددهم ممن بعدهم فهو بمنزلة ان يقال دع التفصيل فانه لامطمع في الحصر وفيه لطف من حيث انه يوهم الجمع بين الاجمال والتفصيل ولهذا قدم هذا الاحتمال في الذكر والمعنى على الثاني ان الذين من قبلكم لكثرتهم لايعلمهم الا الله فيكون حاصل المعنى مامر من قولنا الم يأتكم انباء الجم الغفير الخ ﴿قوله ولذلك﴾ اي ولكون المعنى على الاحتمالين تكثير المتقدمين بحيث لايعلم عددهم الا الله كان ابن مسعود اذا قرأ هذه الآية يقول كذب النسابون يعني انهم يدعون علم الانساب ويوصلونها الى آدم عليه السلام وقد نفى الله تعالى علمها عن العباد حيث بين ان فيمن قبلكم اقواما كذبوا رسلهم فاهلكوا ولم يبلغ اليكم خبرهم فلايعلمهم الا الله ونظير هذه الآية قوله تعالى وقرونا بين ذلك كثيرا وكلا تبرنا تتبيرا وقوله تعالى منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك قيل وعلى هذا القول لايمكن القطع بمقدار السنين من لدن آدم عليه السلام الى هذا الوقت لانه ان امكن ذلك لم يبعد ايضا تحصيل العلم بالانساب الموصولة ثم انه تعالى حكى عن هؤلاء الاقوام المذكورين انه لما جاءتهم رسلهم بالبينات اي المعجزات اتوا بامور أولها قوله فردوا

ايديهم فى افواههم وثانيها قولهم انا كفرنا بما ارسلتم به وثالثها قولهم وانا لفى شك مما تدعوننا اليه وذكر المصنف فيه ثلاثة احتمالات الاوّل انهم ردّوا ايدى انفسهم فى افواه انفسهم والثانى انهم ردّوا ايدى انفسهم فى افواه الانبياء والثالث انهم ردّوا ايدى الانبياء فى افواه الانبياء على ان الايدى بمعنى الايادى وذكر فى الاحتمال الاوّل ثلاثة اوجه الاوّل ان يكون ردّ الايدى الى الافواه عبارة عن عضها غيظا من شدّة نفرتهم من رؤية الرسل او من استماع كلامهم والثانى ان يكون عبارة عن وضعها على الافواه امالانهم لما سمعوا كلام الانبياء تعجبوا منه غاية التعجب فحملهم ذلك على ان يضعوا ايديهم فى افواههم اولانهم لما سمعوه غلب عليهم الضحك على سبيل السخرية والاستهزآء فوضعوا ايديهم على افواههم كما يفعل ذلك من غلبه الضحك اولانهم لما سمعوه وضعوا ايديهم على افواههم مشيرين بذلك الى الانبياء أن كفوا من هذا الكلام واسكتوا والثالث ان يكون عبارة عن الاشارة بأيديهم الى جوابهم الذى قالوه بألسنتهم وهو قولهم انا كفرنا بما ارسلتم به اى هذا جوابنا الذى نقوله بافواهنا فقول المصنف الى ألسنتهم توطئة لقوله وما نطقت به والمراد اشارتهم الى كلامهم ثم انه يحتمل ان يكونوا اشاروا بأيديهم الى ان هذا هو الجواب ثم قرّروه ويحتمل انهم كانوا قرّروا جوابهم ثم اشاروا بأيديهم الى ان هذا هو الجواب لان قوله تعالى وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به معطوف على ماقبله بالواو وعطف قوله فردّوا على جاءتهم بفاء التعقيب لا يرجح احد الاحتمالين لانه انما يدل على انه لما جاءتهم الرسل بالبينات ما امهلوا بل عقبوه بالتكذيب والانكار ولادلالة فيه على تقدّم الاشارة على الجواب او تأخرها وأشار الى الاحتمال الثانى بقوله او ردّوها فى افواه الانبياء والى الثالث بقوله وقيل الخ ﴿قوله وعلى هذا يحتمل ان يكون تمثيلا﴾ بان يمثل الهيئة الحاصلة فى دعوة الانبياء اياهم الى التوحيد والايمان باظهار المعجزة والبرهان وردّ هؤلاء ما سمعوا منهم وما رأوا ابلغ الردّ والانكار بالهيئة الحاصلة من مباشرة احد بأن يتكلم بمراده ويمنعه الآخر عنه بأن يضع يده على فم صاحبه بقسره على السكوت فاذا لايد ولافم هناك ﴿قوله الايدى بمعنى الايادى﴾ انمـا قال بمعنى الايادى لان الايادى هى النعم اى على ان يكون الايدى جمع يد بمعنى النعمـة كالايادى وان كان اكثر استعمال الايدى فى الجوارح والايادى فى النعم قال الشاعر

* سأشكر عمرا ان تواصل منيتى * ايادى لم تمنن وان هى جلت *

﴿قوله لانهم اذا كذبوها ولم يقبلوها فكأنهم ردّوها الى حيث جاءت منه﴾ اشارة الى ان ردّ الايدى الى الافواه من قبيل التمثيل قطعا على تقدير ان يكون المراد ردّ أيادى الانبياء الى افواههم لامتناع ردّ احكام الانبياء وشرائعهم الى افواههم حقيقة فوجب حمل الكلام على الاستعارة التمثيلية بأن مثل ردّ الكفار مواعظ رسلهم بردّ الكلام الخارج من الفم الى الفم فقيل ردّوا أيديهم اى مواعظهم فى افواههم على نحو ماذكر آنفا ﴿قوله على زعمكم﴾ يعنى ان المعنى انا كفرنا بما زعمتم ان الله ارسلكم به وانما قال ذلك لانهم لا يقرّون بأنهم ارسلوا ﴿قوله موقع فى الريبة﴾ على ان يكون مريب من اراببى فلان اذا اوقعك فى الريبة ورأيت منه ما تكرهه ﴿قوله او ذى ريبة﴾ على ان يكون من اراب الرجل بمعنى صار ذا ريبة قيل قولهم وانا لفى شك بعدما قالوا انا كفرنا بما ارسلتم به مشكل لان الشك ينافى الجزم بالكفر بقولهم انا كفرنا سيما وقد أكدوا كفرهم بانا٭ واجيب بأن الواو ههنا بمعنى او اى احد الامرين لازم وهو الكفر برسالتكم جزما وان لم ندع هذا الجزم واليقين فلااقل من ان نكون شاكين مرتابين فى صحة نبوّتكم وعلى التقديرين فلاسبيل الى الاعتراف بنبوّتكم ويندفع الاشكال بأن يقال تحقق الكفر والجزم به لا ينافى شكهم فى نبوّته عليه السلام وفى حقية مادعاهم اليه لان الشاك لا ايمان له فيكون كافرا قطعا كالمنكر فيكون قولهم وانا لفى شك بعد تحقق كفرهم بقولهم انا كفرنا البيان ان طريق كفرهم هو الشك دون الانكار ﴿قوله ادخلت همزة الانكار على الظرف﴾ مع ان الظاهر ان يقال أشك فى الله لان تقديم الظرف يوهم الاختصاص فيكون مدلول الكلام انكار تخصيص الشك فى الله واثباته فى غير الله ولاشك ان اثبات الشك فى غير الله ليس بمقصود من الآية وانما المقصود نفى الشك فى الله تعالى والعبارة المؤدّية لهذا المعنى هى ان يقـال اشك فى الله فلم قدّم الظرف وادخلت همزة الانكار عليه ٭ فحاصل الجواب ان تقديم الظرف ليس للاختصاص بل للاهتمام فان الكلام فى المشكوك فيه لا فى نفس الشك لان الشك موجود لامحالة فلاوجه لانكاره وانما المنكر ثبوته فى الله تعالى فكان

وعلى هذا يحتمل ان يكون تمثيلا وقيل الايدى
بمعنى الايادى اى ردّوا ايادى الانبياء التى هى
مواعظـهم وما اوحى اليهم من الحكم
والشرآئع فى افواههم لانهم اذا كذبوها
ولم يقبلوها فكأنهم ردّوها الى حيث جاءت
منه (وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به) على
زعمكم (وانا لفى شك مما تدعوننا اليه) من
الايمان وقرئ تدعونا بالادغام (مريب)
موقع فى الريبة او ذى ريبة وهى قلق النفس
وان لا تطمئن الى الشئ (قالت رسلهم
افى الله شك) ادخلت همزة الانكار على
الظرف لان الكلام فى المشكوك فيه لا فى
الشك اى انما ندعوكم الى الله وهو لا يحتمل
الشك لكثرة الادلة وظهور دلالتها عليه

ايديهم فى افواههم وثانيها قولهم انا كفرنا بما ارسلتم به وثالثها قولهم وانالفى شك مما تدعوننا اليه وذكر المصنف فيه ثلاثة احتمالات الاوّل انهم ردّوا ايدى انفسهم فى افواه انفسهم والثانى انهم ردّوا ايدى انفسهم فى افواه الانبياء والثالث انهم ردّوا ايدى الانبياء فى افواه الانبياء على ان الايدى بمعنى الايادى وذكر فى الاحتمال الاوّل ثلاثة اوجه الاوّل ان يكون ردّ الايدى الى الافواه عبارة عن عضها غيظا من شدّة نفرتهم من رؤية الرسل اومن استماع كلامهم والثانى ان يكون عبارة عن وضعها على الافواه امالانهم لما سمعوا كلام الانبياء تعجبوا منه غاية التعجب فحملهم ذلك على ان يضعوا ايديهم فى افواههم اولانهم لما سمعوه غلب عليهم الضحك على سبيل السخرية والاستهزاء فوضعوا ايديهم على افواههم كما يفعل ذلك من غلبه الضحك اولانهم لما سمعوه وضعوا ايديهم على افواههم مشيرين بذلك الى الانبياء أن كفوا عن هذا الكلام واسكتوا والثالث ان يكون عبارة عن الاشارة بأيديهم الى جوابهم الذى قالوه بألسنتهم وهو قولهم انا كفرنا بما ارسلتم به اى هذا جوابنا الذى نقوله بافواهنا فقول المصنف الى ألسنتهم توطئة لقوله ومانطقت به والمراد اشارتهم الى كلامهم ثم انه يحتمل ان يكونوا اشاروا بأيديهم الى ان هذا هو الجواب ثم قرّروه ويحتمل انهم كانوا قرّروا جوابهم ثم اشاروا بأيديهم الى ان هذا هو الجواب لان قوله تعالى وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به معطوف على ماقبله بالواو وعطف قوله فردّوا على جاءتهم بفاء التعقيب لا يرجح احد الاحتمالين لانه انما يدل على انه لما جاءتهم الرسل بالبينات ماامهلوا بل عقبوه بالتكذيب والانكار ولادلالة فيه على تقدّم الاشارة على الجواب او تأخرها وأشار الى الاحتمال الثانى بقوله اوردّوها فى افواه الانبياء والى الثالث بقوله وقيل الخ ﴿قوله وعلى هذا يحتمل ان يكون تمثيلا﴾ بان يمثل الهيئة الحاصلة فى دعوة الانبياء اياهم الى التوحيد والايمان باظهار المعجزة والبرهان وردّ هؤلاء ماسمعوا منهم ومارأوا ابلغ الردّ والانكار بالهيئة الحاصلة من مباشرة احد بأن يتكلم بمراده ويمنعه الآخر عنه بأن يضع يده على فم صاحبه يقسره على السكوت فاذا لايد ولافم هناك ﴿قوله الايدى بمعنى الايادى﴾ انمـا قال بمعنى الايادى لان الايادى هى النعم اى على ان يكون الايدى جمع يد بمعنى النعمـة كالايادى وان كان اكثر استعمال الايدى فى الجوارح والايادى فى النعم قال الشاعر

✵ سأشكر عمرا ان تواصل منيتى ✵ ايادى لم تمنن وان هى جلت ✵

﴿قوله لانهم اذا كذبوها ولم يقبلوها فكانهم ردّوها الى حيث جاءت منه﴾ اشارة الى ان ردّ الايدى الى الافواه من قبيل التمثيل قطعا على تقدير ان يكون المراد ردّ أيادى الانبياء الى افواههم لامتناع ردّ احكام الانبياء وشرائعهم الى افواههم حقيقة فوجب حمل الكلام على الاستعارة التمثيلية بأن مثل ردّ الكفار مواعظ رسلهم بردّ الكلام الخارج من الفم الى الفم فقيل ردّوا أيديهم اى مواعظهم فى افواههم على نحو ماذكر آنفا ﴿قوله على زعمكم﴾ يعنى ان المعنى انا كفرنا بما زعمتم ان الله ارسلكم به وانما قال ذلك لانهم لايقرّون بأنهم ارسلوا ﴿قوله موقع فى الريبة﴾ على ان يكون مريب من ارابنى فلان اذا اوقعك فى الريبة ورأيت منه ماتكرهه ﴿قوله اوذى ريبة﴾ على ان يكون من اراب الرجل بمعنى صار ذا ريبة قيل قولهم وانالفى شك بعد ماقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به مشكل لان الشك ينافى الجزم بالكفر بقولهم انا كفرنا سيما وقد أكدوا كفرهم بانا واجيب بأن الواو ههنا بمعنى او اى احد الامرين لازم وهو الكفر برسالتكم جزما وان لم ندع هذا الجزم واليقين فلااقل من ان نكون شاكين مرتابين فى صحة نبوّتكم وعلى التقديرين فلاسبيل الى الاعتراف بنبوّتكم ويندفع الاشكال بأن يقال تحقق الكفر والجزم به لاينافى شكهم فى نبوّته عليه السلام وفى حقية مادعاهم اليه لان الشاك لاايمان له فيكون كافرا قطعا كالمنكر فيكون قولهم وانا لفى شك بعد تحقق كفرهم بقولهم انا كفرنا لبيان ان طريق كفرهم هو الشك دون الانكار ﴿قوله ادخلت همزة الانكار على الظرف﴾ مع ان الظاهر ان يقال أشك فى الله لان تقديم الظرف يوهم الاختصاص فيكون مدلول الكلام انكار تخصيص الشك فى الله واثباته فى غير الله ولاشك ان اثبات الشك فى غير الله ليس بمقصود من الآية وانما المقصود نفى الشك فى الله تعالى والعبارة المؤدّية لهذا المعنى هى ان يقـال اشك فى الله فلم قدّم الظرف وادخلت همزة الانكار عليه * فحاصل الجواب ان تقديم الظرف ليس للاختصاص بل للاهتمام فان الكلام فى المشكوك فيه لافى نفس الشك لان الشك موجود لامحالة فلاوجه لانكاره وانما المنكر ثبوته فى الله تعالى فكان

وعلى هذا يحتمل ان يكون تمثيلا وقيل الايدى بمعنى الايادى اى ردّوا ايادى الانبياء التى هى مواعظهم وما اوحى اليهم من الحكم والشرآئع فى افواههم لانهم اذا كذبوها ولم يقبلوها فكأنهم ردّوها الى حيث جاءت منه (وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به) على زعمكم (وانالفى شك مما تدعوننا اليه) من الايمان وقرئ تدعونا بالادغام (مريب) موقع فى الريبة اوذى ريبة وهى قلق النفس وان لاتطمئن الى الشئ (قالت رسلهم افى الله شك) ادخلت همزة الانكار على الظرف لان الكلام فى المشكوك فيه لافى الشك اى انما ندعوكم الى الله وهو لايحتمل الشك لكثرة الادلة وظهور دلالتها عليه

التى لاجلها استوجبوا ذلك التخصيص كما قال الله تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالته اى الله يعلم موضع رسالته من الناس يعنى يعلم من يصلح للنبوّة ومن لايصلح فخص بها محمدا واجابوا عن قولهم فأتونا بسلطان مبين بقولهم وما كان لنا ان نأتيكم بسلطان الا باذن الله ثم ان الانبياء لما اجابوا عن شبهات الكفرة بتلك الاجوبة فالظاهر ان الكفرة اخذوا فى السفاهة وتخويف الانبياء ووعيدهم فعند ذلك قالت الانبياء عليهم السلام لانخاف من تخويفكم ولا نلتفت الى تهديدكم بل نتوكل عليه ونعتمد على فضله ونقطع رجاءنا عما سوى الله تعالى الا انهم عمموا الامر بالتوكل حيث قالوا وعلى الله فليتوكل المؤمنون للاشعار بان موجب التوكل هو الايمان وقصدوا بلفظ المؤمنين انفسهم قصدا اوّليا بدليل قولهم ومالنا ان لانتوكل على الله اى فى ان لا نتوكل فحذف الجار واوصل الاستقرار الذى تعلق به قوله لنا الى قوله ان لانتوكل بعدما علمنا ان الامور كلها بيده فان من فاز بشرف العبودية ووصل الى مقام الاخلاص والمكاشفة والمعارف الربانية يقبح له ان يرجع فى امر من الامور الى غير الحق سواء كان فلكا اوملكا اوروحا اوجسما ثم انه تعالى لما حكى عن الانبياء عليهم السلام انهم اكتفوا فى دفع شرور اعدآئهم بالتوكل عليه والاعتماد على حفظه حكى عن الكفار انهم بالغوا فى السفاهة وأقسموا على انهم ليخرجنّ الانبياء واتباعهم من ارضهم اوليعودنّ فى ملتهم وانما قدروا على تفوّه هذه المقالة القبيحة بناء على انّ اهل الباطل فى كل زمان يكونون كثيرا بالنسبة الى اهل الحق وانهم يتعاضدون ويتعاونون فى تمشية اباطيلهم فلهذا السبب قدروا على هذه السفاهة * ولما ورد أن يقال قولهم اولتعودنّ يوهم أن الانبياء كانوا على ملتهم فى اوّل الامر حتى يصح ان يقال لتعودنّ فى ملتنا* اجاب عنه اوّلا بان العود هنا بمعنى الصيرورة واستعمال عاد بمعنى صار كثير فى كلام العرب وثانيا بأن الخطاب وان كان مع الرسل ظاهرا الا ان المقصود بهذا الخطاب كل رسول مع اتباعه واصحابه فغلب اتباع الرسل على انفسهم فى حكم العود فقيل اولتعودنّ اذ الظاهر ان الاتباع كانوا قبل ذلك على دين اولئك الكفار ومع هذا أن من قال او لتعودنّ هم الكفار ولايجب ان يكونوا صادقين فى كل ما قالوه فلعلهم توهموا كون الانبياء على ملتهم اوّلا بناء على انهم نشأوا فى بلاد الكفر وما اظهروا مخالفة الكفار فلذلك ظنّ الكفرة انهم كانوا فى اوّل الامر على دينهم فقالوا اولتعودنّ فى ملتنا ولما ذكر الكفار هذه السفاهة قال الله تعالى فأوحى اليهم ربهم بفاء التعقيب الدالة على ان هذا الوحى لم يتأخر عن سفاهتهم ﴿قوله موقفى﴾ يعنى ان المقام يحتمل ان يكون اسم مكان الوقوف والمعنى ذلك الامر حق لمن خاف مكان الوقوف بين يدىّ يوم الحساب ونظيره واما من خاف مقام ربه اى موقفه الذى يقيم فيه المكلفين ويحتمل ان يكون مصدرا مضافا الى فاعله ويحتمل ان يكون مقحما والمعنى لمن خافنى كما يقال سلام على مجلسكم العالى والمراد سلام عليكم وهو بعيد لان اقحام الاسم قليل نادر ﴿قوله سألوا من الله الفتح على اعدآئهم أو القضاء﴾ يعنى ان الاستفتاح طلب الفتح والفتح قد يراد به النصرة على العدوّ كما فى قوله تعالى ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وقد يراد به الحكم والقضاء كما فى قوله تعالى ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وقوله قال رب ان قومى كذبون فافتح بينى وبينهم فتحا وكلا المعنيين صحيح ههنا والمعنى على الاوّل ان الرسل استنصروا الله ودعوا على قومهم بالعذاب لما يئسوا من ايمانهم قال نوح رب لاتذر على الارض من الكافرين ديارا وقال موسى ربنا اطمس على اموالهم وقال لوط انصرنى على القوم المفسدين وعلى الثانى ان الامم طلبوا الحكومة والقضاء من الله قالوا اللهم ان كان هؤلاء الرسل صادقين فعذبنا كما قال كفار قريش اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء وكما قال آخرون ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين وقيل ان الرسل سألوا الله الحكم بنصرهم واهلاك اعدآئهم فضمير استفتحوا لايخلو اما ان يرجع الى الرسل الكرام اوالى الكفار اللئام وقيل يرجع الى الفريقين لان كلا منهما طلب النصر على صاحبه والحكم باهلاك عدوّه ﴿قوله وهو معطوف على فأوحى﴾ اختار المصنف كون الضمير راجعا الى الرسل حيث قطع بكون واستفتحوا معطوفا على فأوحى كأنه قيل قال الذين كفروا ما قالوا فاذن للرسل فى الاستنصار فسألوا الله ذلك الفتح والنصرة فنصروا وظفروا بمقصودهم وخاب كل جبار عنيد فالظاهر انه معطوف على قوله قال الذين كفروا رجوعا من مخاطبة الرسل الى طلب الحكومة من الله تعالى فيكون قوله وخاب معطوفا على مقدر وهو فنصروا على قومهم وان كان ضمير استفتحوا الكفرة يكون المعنى ان الكفار استفتحوا على الرسل ظنا منهم بأنهم على الحق والرسل على

(ولنصبرنّ على ما آذيتمونا) جواب قسم محذوف اكدوا به توكلهم وعدم مبالاتهم بما يجرى من الكفار عليهم (وعلى الله فليتوكل المتوكلون) فليثبت المتوكلون على مااستحدثوه من توكلهم المسبب عن ايمانهم (وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا اولتعودنّ فى ملتنا) حلفوا على ان يكون احد الامرين اما اخراجهم للرسل اوعودهم الى ملتهم وهو بمعنى الصيرورة لانهم لم يكونوا على ملتهم قط ويجوز ان يكون الخطاب لكل رسول ولمن آمن معه فغلبوا الجماعة على الواحد (فأوحى اليهم ربهم) اى الى الرسل (لنهلكنّ الظالمين) على اضمار القول اواجرآء الايحاء مجراه لانه نوع منه (ولنسكننكم الارض من بعدهم) اى ارضهم وديارهم كقوله تعالى واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها وقرئ ليهلكنّ وليسكننكم بالياء اعتبارا لأوحى كقولك اقسم زيد ليخرجنّ (ذلك) اشارة الى الموحى به وهو اهلاك الظالمين واسكان المؤمنين (لمن خاف مقامى) موقفى وهو الموقف الذى يقيم فيه العباد للحكومة يوم القيامة اوقيامى عليه وحفظى لاعماله وقيل المقام مقحم (وخاف وعيد) اى وعيدى بالعذاب اوعذابى الموعود للكفار (واستفتحوا) سألوا من الله الفتح على اعدآئهم اوالقضاء بينهم وبين اعدآئهم من الفتاحة كقوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وهو معطوف على فأوحى والضمير للانبياء عليهم الصلاة والسلام وقيل للكفرة وقيل للفريقين فان كلهم سألوه ان ينصر المحق ويهلك المبطل وقرئ بلفظ الامر عطفا على لنهلكنّ (وخاب كل جبار عنيد) اى ففتح لهم فأفلح المؤمنون وخاب كل عات متكبر على الله معاند للحق فلم يفلح ومعنى الخيبة اذا كان الاستفتاح من الكفرة اومن القبيلين كان اوقع

(من ورائه جهنم) اى من بين يديه فانه مرصد بها واقف على شفيرها فى الدنيا مبعوث اليها فى الآخرة وقيل من ورآء حياته وحقيقته ماتوارى عنك (ويسقى من ماء) عطف على محذوف تقديره من ورآئه جهنم يلقى فيها مايلقى ويسقى من

(صديد) عطف بيان لماء وهو مايسيل من جلود اهل النار (يتجرعه) يتكلف جرعه وهو صفة لماء او حال من الضمير فى يسقى (ولايكاد يسيغه) ولايقارب ان يسيغه فكيف يسيغه بل يغص به فيطول عذابه والسوغ جواز الشراب على الحلق بسهولة وقبول نفس (ويأتيه الموت من كل مكان) اى اسبابه من الشدآئد فتحيط به من جميع الجهات وقيل من كل مكان من جسده حتى من اصول شعره وابهام رجله (وما هو بميت) فيستريح (ومن ورآئه) ومن بين يديه (عذاب غليظ) اى يستقبل فى كل وقت عذابا اشد مماهو فيه وقيل هو الخلود فى النار وقيل حبس الانفاس وقيل الآية منقطعة عن قصة الرسل نازلة فى اهل مكة طلبوا الفتح الذى هو المطر فى سنيهم التى ارسل الله تعالى عليهم بدعوة رسوله فخيب رجاءهم فلم يسقهم واوعدلهم ان يسقيهم فى جهنم بدل سقياهم صديد اهل النار (مثل الذين كفروا بربهم) مبتدأ خبره محذوف اى فيما يتلى عليكم صفتهم التى هى مثل فى الغرابة اوقوله (اعمالهم كرماد) وهى على الاول جملة مستأنفة لبيان مثلهم وقيل اعمالهم بدل من المثل والخبر كرماد (اشتدت به الريح) حملته واسرعت الذهاب به وقرأ نافع الرياح (فى يوم عاصف) العصف اشتداد الريح وصف به زمانه للمبالغة كقولهم نهاره صائم وليله قائم شبه صنائعهم من الصدقة وصلة الرحم واغاثة الملهوف وعتق الرقاب ونحو ذلك من مكارمهم فى حبوطها وذهابها هباء منثورا لبنائها على غير اساس من معرفة الله تعالى والتوجه بها اليه اواعمالهم للاصنام برماد طيرته الريح العاصفة (لايقدرون) يوم القيامة (مما كسبوا) من اعمالهم (على شئ) لحبوطه فلا يرون له اثرا من الثواب وهو فذلكة التمثيل (ذلك) اشارة الى ضلالهم مع حسبانهم انهم محسنون (هو الضلال البعيد) فانه الغاية فى البعد عن طريق الحق (الم تر) خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد به امته وقيل لكل واحد من الكفرة على التلوين (ان الله خلق السموات والارض بالحق) بالحكمة والوجه الذى يحق ان يخلق عليه وقرأ حمزة والكسائى خالق السموات

(كفرهم)

الباطل وخاب كل جبار عنيد منهم وما افلح بسبب استفتاحه بكيد الرسل وكذا ان كان الضمير لمجموع الفريقين يكون قوله وخاب معطوفا على استفتحوا ومن ورآئه جهنم جملة فى محل الجر على انها صفة لجبار ويجوز ان تكون الصفة من ورآئه وحده وجهنم فاعل مرفوع به لاعتماده على الموصوف لما حكم الله تعالى عليه بالخيبة والحرمان ووصفه بكونه جبارا عنيدا وصف كيفية عذابه بامور الاول قوله من ورآئه جهنم ولفظ الورآء يستعمل للخلف والقدام قال ابن عباس واكثر المفسرين انه ههنا بمعنى القدام والمعنى ان جهنم أمام ذلك الجبار وهو يردها ويدخلها ﴿ قوله فانه مرصد بها ﴾ اختلفت النسخ فى هذه الكلمة ففى بعضها مرصد بها بفتح الميم والباء فى بها اى فان الجبار موضع الترصد والترقب بسبب جهنم تترقبه ملائكة العذاب ليدخلوه جهنم يقال رصدته ارصده اذا قعدت له على طريقه تترصده فالجبار فى الحقيقة مرصود جعل موضع الرصد اشعارا بشدة ملابسة الراصدية وفى بعضها مرصدها اى معدلها من قولك ارصدت له العقوبة اذا اعددتها وحقيقته جعلتها على طريقه كالمترقبة وفى بعضها مترصد لها اى موضع الترصد بسببها فهو كما فى النسخة الاولى من حيث المعنى او مترصد مترقب لها واللام لتقوية العامل ثم انه حمل لفظ الورآء هنا على معنى الامام فانه من الاضداد يطلق على القدام والخلف لانه فى الدنيا وجهنم معدة له فى الآخرة ومن اطلاقه على الامام قول الشاعر

* عسى الكرب الذى امسيت فيه * يكون وراءه فرج قريب *

اى يكون امامه فرج ويصح فى تاء امسيت الفتح على خطاب صاحبه المكروب بأن يبشره بالفرج القريب وزوال الحزن ويصح فيه الضم ايضا على نسبته لنفسه وحذف من الفعل المذكور بعد عسى كلمة أن وهو قليل ومنه قوله تعالى وكان ورآءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا اى امامهم ويقال ايضا الموت ورآء كل احد وقال ابن الانبارى ورآء ههنا بمعنى بعد كما فى قول من قال * وليس ورآء الله للمرء مطلب * اى ليس بعد الله فانه لما حكم على كل جبار بالخيبة فى قوله وخاب كل جبار عنيد قال بعده من ورآئه جهنم اى من بعد هذه الخيبة يدخل جهنم ﴿ قوله وحقيقته ماتوارى عنك ﴾ اى سواء كان خلفك اوقدامك اشارة الى وجه اطلاق لفظ الورآء على كل واحد منهما ﴿ قوله ولايقارب ان يسيغه فكيف يسيغه ﴾ يريد ان كاد من افعال المقاربة فقوله لايكاد يسيغه يدل على نفى المقاربة من الاساغة وانتفاء المقاربة من الاساغة يستلزم انتفاء الاساغة قطعا * فان قيل كيف يحكم بان الاساغة منتفية البتة مع ان قوله تعالى يتجرعه يدل على الاساغة شيأ بعد شئ لان التجرع عبارة عن تناول المشروب جرعة جرعة على الاستمرار وايضا قوله تعالى يصهر به مافى بطونهم يدل على حصول الاساغة لان الصهر لايحصل بدون الاساغة * فالجواب ان ماذكرتم من الدليل انما يدل على وصول بعض ذلك الشراب الى جوف الكفار وذلك لايستلزم حصول الاساغة لانها عبارة عن اجرآء الشراب فى الحلق بسهولة وقيل هى استطابة النفس للمشروب والكافر انما يتجرع ذلك الشراب بكراهية ولايسيغه اى لايستطيبه ولايشربه بسهولة مرة واحدة ثم انه تعالى بعد ماذكر أنواع الجبابرة المعاندين ذكر أن اعمالهم بأسرها تصير ضائعة لاينتفعون بشئ منها فقال مثل الذين كفروا بربهم فالمثل مستعار للصفة التى فيها غرابة تشبيها لها بالمثل السائر فى الغرابة وهو مبتدأ حذف خبره وقوله اعمالهم كرماد جملة مستأنفة بيان لصفتهم كأنه قيل كيف مثلهم وصفتهم الغريبة فقيل كيت وكيت ويجوز ان يكون مثل مبتدأ اولا واعمالهم مبتدأ ثانيا وكرماد خبر الثانى والثانى وخبره خبر الاول * فان قيل كيف يجوز ان تكون هذه الجملة خبرا للمبتدأ الاول ولا رابط فيها يربطها بالمبتدأ وليست نفسه حتى يستغنى بها عن رابط قلنا انها ليست نفس المبتدأ لفظا بل هى نفس المبتدأ معنى فان نفس مثلهم هو نفس اعمالهم كرماد فى ان كلا منهما لايفيد شيأ ولايبقى له اثر فهى كالجملة الواقعة خبرا عن ضمير الشأن والمراد باعمالهم المشبهة اما المبرات التى عملوها غير مقرونة بالايمان واما مازعموه نافعا من عبادة الاصنام اذ الكفار لاينتفعون بشئ منهما اما بالثانى فظاهر واما بالاول فلعدم ابتنائه على الاساس ومن الظاهر المعلوم انه اذا صح تشبيه كل واحد من القسمين بالرماد الموصوف صح تشبيه كلا القسمين به ايضا فلا فائدة يعتد بها فى الترديد ووجه المشابهة بين هذه الاعمال وبين الرماد الموصوف هو ان الريح العاصف يطير الرماد ويفرق اجزآءه بحيث لايبقى لذلك الرماد اثر ولا خبر فكذلك

(ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد) بعدكم ويخلق خلقا آخر مكانكم رتب ذلك على كونه خالقا للسموات والارض استدلالا به
عليه فان من خلق اصولهم وما يتوقف عليه
تخليقهم ثم كونهم بتبديل الصور وتغيير
الطبائع قدر ان يبدلهم بخلق آخر ولم يمتنع
عليه ذلك كما قال (وما ذلك على الله بعزيز)
بمتعذر او متعسر فانه قادر لذاته لا اختصاص له
بمقدور دون مقدور ومن هذا شأنه كان حقيقا
بان يؤمن به ويعبد رجاء لثوابه وخوفا من
عقابه يوم الجزآء (وبرزوا لله جميعا) اى
يبرزون من قبورهم يوم القيامة لامر الله تعالى
ومحاسبته او لله على ظنهم فانهم كانوا يخفون
ارتكاب الفواحش ويظنون انها تخفى على
الله تعالى فاذا كان يوم القيامة انكشفوا لله
تعالى عند انفسهم وانما ذكر بلفظ الماضي
لتحقق وقوعه (فقال الضعفوآء) الاتباع
جمع ضعيف يريد به ضعاف الرأي وانما كتبت
بالواو على لفظ من يفخم الالف قبل الهمزة
فيميلها الى الواو (للذين استكبروا) لرؤسائهم
الذين استتبعوهم واستغووهم (انا كنا لكم
تبعا) في تكذيب الرسل والاعراض عن
نصائحهم وهو جمع تابع كغائب وغيب
او مصدر نعت به للمبالغة او على اضمار مضاف
(فهل انتم مغنون عنا) دافعون عنا (من
عذاب الله من شئ) من الاولى للبيان واقعة
موقع الحال والثانية للتبعيض واقعة موقع
المفعول اى بعض الشئ الذي هو عذاب الله
ويجوز ان تكونا للتبعيض اى بعض شئ هو
بعض عذاب الله والاعراب ما سبق ويحتمل
ان تكون الاولى مفعولا والثانية مصدرا
اى فهل انتم مغنون بعض العذاب بعض
الاغناء (قالوا) اى الذين استكبروا جوابا
عن معاتبة الاتباع واعتذارا عما فعلوا بهم (لو
هدانا الله) للايمان ووفقنا له (لهديناكم)
ولكن ضللنا فأضللناكم اى اخترنا لكم
ما اخترناه لانفسنا او لو هدانا الله طريق النجاة
من العذاب لهديناكم واغنيناه عنكم كما
عرضناه لكم ولكن سد دوننا طرق الخلاص
(سوآء علينا أجزعنا ام صبرنا) مستويان
علينا الجزع والصبر (ما لنا من محيص) منجى
ومهرب من العذاب من الحيص وهو العدول
على جهة الفرار وهو يحتمل ان يكون مكانا
كالمبيت ومصدرا كالمغيب ويجوز ان يكون
قوله سوآء علينا من كلام الفريقين ويؤيده
ماروى انهم يقولون تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون كذلك ثم يقولون سوآء علينا

كفرهم ابطل اعمالهم واحبطها بحيث لم يبق من تلك الاعمال معهم خبر ولا اثر ثم انه تعالى لما مثل اعمالهم بالرماد الموصوف وبين ان الكفر يضيع الاعمال التي كانت في انفسها خيرات ولا يبقى لهم الا الحسرة والاسف على خيبتهم مما افنوا فيه اعمارهم بين كمال قدرته تعالى واستدل به على قدرته على افناء قوم وايجاد آخرين حثا وتحريضا للمكلفين على الايمان بالله تعالى والرغبة في طاعته كما اشار اليه بقوله ومن هذا شأنه كان حقيقا بان يعبد الخ

﴿قوله يبرزون من قبورهم يوم القيامة لامر الله﴾ لما كان البروز عبارة عن الظهور بعد الاستتار ومن المستحيل ان يستتر شئ من الاشياء عنه تعالى حتى يظهر له بعد الاستتار وجب تأويل قوله تعالى وبرزوا لله وذكر في التأويل وجهين الاول ان ليس المراد البروز لله بل المراد البروز للخلق بخروجهم من القبور لامر الله وحسابه وحكمه والثاني ان المراد بالاستتار الملحوظ في ضمن البروز الاستتار في ظنهم فانهم كانوا يستترون عن العيون عند ارتكاب الفواحش ويظنون ان ما فعلوه في الخلوات يخفى على الله فيكون انكشافهم لله تعالى يوم القيامة وبروزهم بالنسبة الى ظنهم لما بين الله تعالى ما يصيب الكفار يوم القيامة من انواع العذاب وحرمانهم من ثواب ما فعلوه من الخيرات وهددهم ببيان قدرته على اهلاكهم وانشاء خلق جديد بدلهم بين ما سيكون بين رؤساء الكفرة واتباعهم من تمسك الاتباع بالرؤساء قائلين انما اتبعناكم لننتفع باتباعكم عند الشدة وكيفية اعتذار الرؤساء عندهم معترفين بالعجز التام والخزى العظيم وهذا نوع آخر من العذاب اشد من العذاب الجسماني المذكور قبله **﴿قوله اى بعض الشئ الذي هو عذاب الله﴾** فان قلت كيف طابق هذا التقدير قوله من الاولى للبيان والثانية للتبعيض وما معنى كون الاولى واقعة موقع الحال والثانية واقعة موقع المفعول وحق من البيانية ان يتقدم عليها ما يبينه ولا يتأخر عنها فكيف جعلت الاولى بيانية * فالجواب ان ما ذكره المصنف توجيه من حيث المعنى فان المعنى هل تغنون عنا من شئ من عذاب الله فمن عذاب الله صفة لشئ وبيان له فلما تقدم عليه انقلب اعرابه من الوصفية الى الحالية لان الصفة لا تتقدم على الموصوف واما معنى البيان فهو باق بحاله لم يتغير وكذا كون من شئ مفعول مغنون باق بحاله فقوله من عذاب الله حال من شئ قدمت عليه لكون ذي الحال نكرة والحال وصاحبها صفة وموصوف في الحقيقة وذو الحال مفعول والحال بيان له وهذا الاعراب لا يتغير على تقدير كون كل واحدة من كلمتي من تبعيضية والفرق بينهما ان المعنى على الاول هل انتم مغنون عنا بعض شئ هو بعض عذاب الله وعلى هذا التقدير تكون من متعلقة بمحذوف لانها في الاصل صفة لشئ فلما تقدمت عليه انتصبت على الحال وعلى تقدير كون الاولى مفعولا تكون متعلقة بنفس مغنون ويكون من شئ واقعا موقع مصدر مغنون بمعنى بعض الاغناء وقول الاتباع والعوام للسادة الكبرآء انا كنا لكم تبعا توبيخ وتقريع لهم على استتباعهم لان الكبرآء عرفوا ذلك فلا فائدة لهم في هذا الاخبار وقولهم فهل انتم مغنون عنا ليس بطريق ان يطلب الاتباع منهم دفع العذاب عنهم وكيف يطلبون منهم ذلك وقد رأوهم في العذاب ولو قدروا على دفع ذلك عنهم لدفعوه اولا عن انفسهم وانما قالوه على سبيل التبكيت والالزام لانهم قد علموا انهم لا يقدرون على الاغناء عنهم فأجاب الكبرآء عن متابعتهم بأن قالوا انما دعوناكم الى الضلال لان الله اضلنا بسبب اختيارنا ما اشتهيه انفسنا ولو هدانا لدعوناكم الى الهدى نسبوا ذنبهم الى الله تعالى واحالوا على ما فعل بهم من عدم توفيقهم للاهتدآء وخلق الاهتداء فيهم فكلام الكبرآء على هذا التقرير يكون جوابا لتوبيخ الاتباع بقولهم انا كنا لكم تبعا فهل انتم مغنون وعلى قوله أو لو هدانا الله طريق النجاة الخ يكون جوابا عن قولهم فهل انتم مغنون ومعنى الآية على الاول لو وفقنا الله للايمان او هدانا الله للايمان في دار الدنيا لهديناكم اى بينا لكم طريق الهدى وعلى الثاني لو هدانا الله اليوم الى طريق التخليص من العذاب لهديناكم اليه ثم يقولون لا محيص لنا مما قد وقعنا فيه ولا يخفف عنا العذاب بالصبر ولا بالجزع فكلاهما سوآء علينا وقال مقاتل يقولون ذلك في النار فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون خمسمائة سنة فلا ينفعهم الخ **﴿قوله مستويان علينا الجزع والصبر﴾** اشارة الى ان قوله أجزعنا ام صبرنا في محل الرفع على الابتدآء والجملة انما يمتنع الاخبار عنها اذا كانت نسبتها ملحوظة تفصيلا واما اذا اريد بها مطلق الحدث المدلول عليه ضمنا على الاتساع فهي كالاسم في الاضافة والاسناد اليه وقوله سوآء اسم بمعنى الاستوآء نعت به كما نعت بالمصادر والمحيص المنجى بالقصر وهو قد يكون مصدرا كالمغيب والمشيب وقد يكون مكانا كالمبيت والمضيق يقال حاص منه وحاص عنه بمعنى واحد اى هرب منه قصدا

المخلاص ثم انه تعالى لما ذكر المناظرة الواقعة بين رؤساء الكفرة و اتباعهم اردفها بذكر المناظرة الواقعة بين الشيطان و اتباعه فقال وقال الشيطان لما قضى الامر اى فرغ منه وقضى الله بين العباد واستقرّ اهل الجنة فى الجنة واهل النار فى النار فحينئذ يأخذ اهل النار فى لوم ابليس و تقريعه فيقوم فيما بينهم خطيبا و يقول ما اخبر الله تعالى عنه بقوله وقال الشيطان لما قضى الامر وقيل المراد بقضاء الامر انقضاء المحاسبة والاوّل اولى لان الفراغ مما يتعلق بامر المحاسبة انما يكون باستقرار كل فريق فيما اعدّله من المقرّ وقيل المراد به انقطاع ما يتعلق بامر المحاسبة بالكلية بانتهاء الاحوال المتغيرة فلا يبقى فى النار الا ما يخلد فيها فان مذهبنا ان عصاة المؤمنين يخرجون من النار ويدخلون الجنة فلا يبعد ان يكون المراد بقوله لما قضى الامر ذلك الوقت لان فى ذلك الوقت تنقطع الاحوال المتغيرة المتعلقة بالحساب ولا يحصل بعده الادوام ما كان على ما كان ﴿قوله وعدا من حقه ان ينجز﴾ على ان وعد الحق مصدر ووعدكم اضيف الى الحق ليدل على اختصاصه على انه من اضافة المصدر الى مفعوله الذى هو الحق بمعنى الثابت وهو البعث والجزآء والاصل وعدكم الحق ثم ذكر المصدر لنكتة وهى ههنا تقرير انتفاء تسلطه عليهم وتحقيقه كما فى قول من قال

* ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب *

ادّعى ان كون سيوفهم ذوات فلول من قبيل العيب ليتحقق به برآءتهم من جميع العيوب وكذا لو قيل ما تحية بينهم الا الضرب الوجيع فقد ادّعى كون الضرب من انواع التحية للدلالة على ان لا تحية بينهم اصلا فكذلك اللعين ادّعى ان التسويل والتزيين من انواع القهر والتسلط ليقرّر ان لا تسلط عليهم اصلا ﴿قوله اسرعتم اجابتى﴾ اشارة الى ان استجاب واجاب وان كانا بمعنى واحد الا ان استجاب ابلغ كما مرّ فى قوله فاستعصم ونهاية مقالة اللعين وحاصلها الزامه فى قوله ما كان منى الا الدعاء والوسوسة وقد كنتم سمعتم دلائل الله تعالى وشاهدتم مجيء انبياء الله تعالى فكان الواجب عليكم ان لا تغترّوا بقولى ولا تلتفتوا الى دعوتى ووسوستى فلما رجحتم قولى على الدلائل الظاهرة كان اللوم عليكم فى هذا الباب فالسلطان اذا بمعنى الحجة والبرهان اى لم يكن الا مجرّد الدعاء والوسوسة من غير اقامة حجة وبرهان على ما دعوتكم اليه فتركتم اجابتهم وتبعتم ما دعوتكم اليه وقد كان مع الرسل البراهين واستجبتم لى بلا حجة وبرهان ويحتمل ان يكون المراد من السلطان الملك والقهر والغلبة ويكون المعنى ما كان لى عليكم من قهر وغلبة اقهركم واغلب عليكم الا الدعاء والوسوسة فاستجبتم لى طوعا وخالفتم حكم الله تعالى ودعوة النبىّ الصادق المصدّق باختياركم فاتركونى وحالى واشتغلوا بلوم انفسكم ولا بدّ فى توضيح هذا المقام من بيان ان مدخل الشيطان فى اىّ شىء مما يصدر عن الانسان باختياره لتميز ما يلام عليه الانسان مما يلام عليه الشيطان فاعلم ان ما اسند الى الانسان من الترك والاتيان يتوقف على امور مرتبة يترتب بعضها على بعض ترتبا ضروريا الاوّل الشعور بذات الشىء الذى يتوجه الى ايقاعه او تركه ويترتب عليه تصوّر كونه خيرا ملائما له او شرّا منافرا له وكونه غير ملائم ولا منافر ويترتب على تصوّره بأحد الوجوه المذكورة الميل الجازم الداعى الى الفعل او الترك وعدم الميل الى احدهما فانه اذا حصل له الشعور بكونه ملائما له يترتب عليه الميل الجازم الى الفعل وان حصل له الشعور بكونه منافرا له يترتب عليه الميل الجازم الى الترك وان لم يحصل الشعور لا بهذا ولا بذاك لم يحصل الميل لا الى الفعل ولا الى الترك بل يبقى كما كان ويترتب على حصول ذلك الميل الجازم مع انضمام القدرة والاستطاعة اليه وقوع الفعل وهذه الامور المرتبة لا مدخل للشيطان فى شىء منها الا فى ان يذكر سببا كان الانسان غافلا عنه مثل ان يكون الانسان غافلا عن شأن امرأة وصورتها فيلقى الشيطان حديثها فى خاطره والشيطان لا قدرة له الا فى هذا المقام وهو عين ما حكى الله تعالى عنه انه قال ما كان لى عليكم من سلطان الا ان دعوتكم اى ما كان لى الا مجرّد هذه الدعوة واما بقية المواد فلم تصدر منى وما كان لى فيها اثر فظهر منه ان الشيطان الاصلى هو النفس لانه لولا الميل الحاصل بسبب الشهوة والغضب والعزم والحيل لم يكن لوسوسته تأثير البتة ﴿قوله واحتجت المعتزلة بأمثال ذلك على استقلال العبد بافعاله﴾ قائلين ان الكفر والمعصية لو كانا من الله تعالى لوجب ان يقول فلا تلومونى ولا انفسكم فان الله تعالى قضى عليكم الكفر واجبركم عليه وضعفه ظاهر فظاهر الآية يدل على ان الشيطان لا قدرة له على الفعل مع الانسان ولا على تحريك اعضائه ولا على ازالة العقل عنه كما يقوله القوم ﴿قوله بمغيثكم من العذاب﴾ اى بمنقذكم منه فان الصارخ هو المستغيث والمصرخ المغيث يقال

(وقال الشيطان لما قضى الامر) احكم وفرغ منه ودخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار خطيبا فى الاشقياء من الثقلين (ان الله وعدكم وعد الحق) وعدا من حقه ان ينجز او وعدا انجزه وهو الوعد بالبعث والجزآء (ووعدتكم) وعد الباطل وهو ان لا بعث ولا حساب وان كانا فالاصنام تشفع لكم (فأخلفتكم) جعل تبين خلف وعده كالاخلاف منه (وما كان لى عليكم من سلطان) تسلط فألجئكم الى الكفر والمعاصى (الا ان دعوتكم) الا دعائى اياكم اليهما بتسويلى وهو ليس من جنس السلطان ولكنه على طريقة قوله
تحية بينهم ضرب وجيع * ويجوز ان يكون الاستثناء منقطعا (فاستجبتم لى) اسرعتم اجابتى (فلا تلومونى) بوسوستى فان من صرّح بالعداوة لا يلام بأمثال ذلك (ولوموا انفسكم) حيث اطعتمونى اذ دعوتكم ولم تطيعوا ربكم لما دعاكم واحتجت المعتزلة بأمثال ذلك على استقلال العبد بافعاله وليس فيها ما يدل عليه اذ يكفى لصحتها ان يكون لقدرة العبد مدخل ما فى فعله وهو الكسب الذى يقوله اصحابنا (ما انا بمصرخكم) بمغيثكم من العذاب

صرخ فلان اذا استغاث وقال واغوثاه واصرخته اى اغثته ﴿قوله او على لغة من يزيد ياءالخ﴾ عطف على قوله على الاصل فى التقاء الساكنين فهو توجيه ثان لقرآءة حمزة بعد توجيهها بان ياءالاعراب ساكنة وياء المتكلم اصلها السكون فلما التقتا كسرت ياء المتكلم لالتقاء الساكنين • وتقرير الوجه الثانى لقرآءة الكسر ان ياءالمتكلم تشبه هاء الضمير والجامع بينهما ان كل واحد منهما ضمير على حرف واحد وايضا ياء المتكلم لايخلو من ان تكون فى موضع النصب او الجرّ كما فى انى وغلامى بالياء فى النصب والجرّ كالهاء فيهما والكاف فى اكرمتك وهذالك والهاء توصل بالواو اذا كانت مضمومة نحو لهو ضربتهو وبالياء اذا كانت مكسورة نحو غلامهى وتكسر بعدالكسرة والياء الساكنة نحو به وعليه فتزاد الياء بعدياء المتكلم ايضا فيقال مصرخيي كما يقال بهى وفيهى ولم تحذف الياء اكتفا بالكسرة وتقول بكسرياء المتكلم بعدالكسرة كما كسرت الهاء بعدها فى نحو به ولذلك قد تلحق الزيادة بعد كاف الخطاب فيقال اعطيتكاه واعطيتكيه فكذا تزاد الياء بعد ياء المتكلم تشبيهالها بالكاف فيما ذكر ثم تحذف الياء كما ذكر وقيل زيادة الياء بعد ياء المتكلم لغة بنى يربوع فيزيدون ياء اجرآءلها مجرى الهاء والكاف بعدها حيث زادوا على الهاء الواو وعلى الكاف الالف والياء نحو ضربتهو واعطيتكاه واعطيتكيه فالاصل فى قرآءة حمزة اثبات ياء بعدالياء المشدّدة فحذفت الاخيرة الزآئدة تخفيفا واكتفاء بالكسرة فبقى مصرخىّ واستشهدوا على زيادة الياء بعد ياءالمتكلم بقول من قال

❁ قال لها هل لك ياتافيي ❁ قالت له ماانت بالمرضيّ ❁

اى هل لك يا هذه فىّ والاستشهاد فى ياء فيي وقوله ياتا اسم اشارة للمؤنث ﴿قوله نحو مافى قولهم سبحان ماسخركن لنا﴾ يريد ان ما على تقدير ان تكون موصولة يراد بها الله عزوجل وكلمة مالاتستعمل فى ذوى العلم موصولة الاباعتبار الوصفية فيه وتعظيم شأنه كقولهم سبحان ماسخركن لنا اى سبحان العظيم الشأن الذى سخر امثالكن لنا وارتباط قول اللعين انى كفرت بمااشركتمونى بالمقام على تقدير كونها مصدرية ظاهر لانه لماعاين ماعاينه من الشدآئد تبرأ منهم ومن اشراكهم واما على تقدير كونها موصولة وكون المعنى انى كفرت بالله الذى اشركتمونى به من قبل كفركم فوجه ارتباطه انه تعليل وتأكيد لقوله فلا تلومونى كأنه يقول لاتأثير لوسوستى فى كفركم بدليل انى كفرت بالله قبل ان وقعتم فى الكفر وماكان كفرى بوسوسة أحد والالزم التسلسل فثبت بهذا ان سبب الكفر شئ آخر سوى الوسوسة وهو ترك العمل بالحجة والبرهان واتباع شهوات النفس وترجيح حظوظها الباطلة ويحتمل ان يكون تعليلا لقوله وماانتم بمصرخىّ كأنه يقول لاتعتمدوا على اغاثتى لان كفرى قبل كفركم ﴿قوله وقرئ ادخل﴾ يعنى ان العامة قرأوا وادخل على لفظ الماضى المبنى للمفعول لعطفه على برزوا او على قوله فقال الضعفاء وقرئ على لفظ المضارع المسند الى المتكلم فقوله باذن ربهم على قرآءة العامة تعلق بادخل او بقوله خالدين ولاوجه لتعلقه بادخل فى القرآءة الاخرى لان قوله وادخل الذين باذن ربهم لاوجه له لان المتكلم هو الله تعالى ولامعنى لادخال الله تعالى باذن نفسه فالوجه حينئذ ان يتعلق بما بعده فان تحيتهم مصدر مضاف الى مفعوله اى يحييهم الله او الملائكة او الى فاعله اى يحيي بعضهم بعضا واياما كان يجوز ان يتعلق به الجار وفيه بحث وهو ان معمول المصدر لايتقدّم عليه فالاحسن ماروى عن ابن جنى انه قال قوله وادخل الذين آمنوا على فعل المتكلم قطع للكلام واستئناف كأنه قال الله تعالى وانا ادخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار باذن ربهم اى باذنى الا انه اعاد ذكر الرب على سبيل الالتفات من التكلم الى الغيبة ليضيفه اليهم فانه ارحم عليهم وادخل فى الاكرام والتقرب منه ومايقال انه متعلق بخالدين لايدفع المنافرة لان خلاصة الكلام حينئذ تكون هكذا وانا ادخلهم جنات مقدّرا خلودهم باذن ربهم وهذا كلام ركيك لاتندفع ركاكته الا بماروى عن ابن جنى ﴿قوله كيف اعتمده﴾ اى جعله عمادا يعتمد عليه افهام المعنى يريد ان ضرب متعدّ الى واحد لكونه بمعنى اعتمد الازهرى اعتمده واعتمد عليه بمعنى وقيل انه من ضرب البلد اذا قصده والظاهر انه من ضرب الخاتم ونحوه وصرح به فى قوله ان الله لايستحيى ان يضرب مثلا واراد ان يظهر مقاربته لاصل معنى الضرب بانه اعتماد فاعتمده بمعنى تعمده وقصده مثلا ووضعه ولفظة كلمة على هذا منصوبة بمضمر اى جعل كلمة طيبة كشجرة طيبة والجملة تفسير لقوله ضرب الله مثلا كقولك شرف الامير زيدا كساه حله وحمله على فرس ويجوز ان يكون انتصابها بالمثل لانه بمعنى الممثل به وفيه ان المثل بمعنى الممثل به والكلمة الطيبة ليست بممثل بها

فانه تعالى لم يضرب الكلمة مثلا بل ضرب لها مثلا فلعل تفسير المثل بالممثل او على حذف مضاف اى ذا مثل و قوله كشجرة حينئذ اما فى محل النصب على انه صفة كلمة او فى محل الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف ثم اشار الى ان ضرب يحتمل ان تعدّى الى مفعولين لكونه بمعنى صير و جعل عند استعماله مع لفظ المثل خاصة و ان قرئ كلمة بالرفع يكون مبتدأ خبره كشجرة ﴿قوله و يجوز ان يريد و فروعها﴾ عطف على قوله اعلاها يعنى ان الفرع يجوز ان يحمل على اعلى الشجرة او على اغصانها بان يكتفى باسم الجنس عن الجمع * الجوهرى فرع كل شئ اعلاه ﴿قوله و الاول على اصله﴾ اى كون اصلها مبتدأ و ثابت خبره موافق لاصل المعنى و هو اثبات و صف الثبات له و هو الاصل دون الشجرة فان المخبر عنه بالثبات فى الحقيقة انما هو الاصل سوآء جعل الاصل مبتدأ و ثابت خبره او جعل ثابت صفة كشجرة و رفع اصلها على انه فاعل ثابت و توصيف الشجرة بثابت من قبيل توصيف الشئ بحال سببه فيكون اجرآء الوصف على غير ماهو له بخلاف مالو جعل اصلها مبتدأ و ثابت خبره فانه توصيف للاصل بحال نفسه و اجرآء الوصف على ماهو له فيكون الكلام حينئذ جاريا على اصله و لعل الثانى ابلغ لان ثابت اصلها صفة كشجرة و اصل الصفة ان تكون اسما مفردا لان الجملة اذا وقعت صفة حكم على موضعها باعراب المفرد فاذا قيل كشجرة طيبة ثابت اصلها فقد جرت الصفة على اصلها و اذا قيل اصلها ثابت فقد وضعت الجملة موضع المفرد و هو خلاف الاصل * و اعلم ان كون الشجرة طيبة يكون بكونها طيبة الصورة و المنظر و بكونها طيبة الرآئحة و بكونها طيبة الظل و الثمرة بان يكون ظلها كثيفا قويا و ثمرها لذيذا مستطابا كثير الخواص و المنافع و لا وجه لتخصيص بعض هذه الوجوه بالارادة و مثل هذه الشجرة اذا كان اصلها راسخا فى الارض و كان فرعها مرتفعا يكون شأنها منافيا لسرعة هلاكها و انقطاع الابتهاج بها فيعظم فرحه و سروره بسبب الفوز بها ثم ان ارتفاع اعلاها و اغصانها يدل على كمال تلك الشجرة من وجهين الاول ان ارتفاع الاغصان و قوتها يدل على ثبات الاصل و رسوخ العروق و الثانى انها متى كانت متصاعدة مرتفعة كانت بعيدة عن عفونات الارض و قاذوراتها فتكون ثمراتها حاضرة دآئمة فى جميع الاوقات و تكون فى غاية الشرف و الكمال بحيث تعظم رغبة كل عاقل فى تحصيل مثلها فشبه الله تعالى الكلمة الطيبة بهذه الشجرة ترغيبا للمكلفين فى تحصيلها ثم قال و يضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون فان فى ضرب الامثال زيادة الافهام لان المعانى العقلية المحضة لا يقبلها الحس و الخيال و الوهم فاذا ذكر ما يماثلها من المحسوسات ترك الحس و الخيال المنازعة و المدافعة للعقل فيحصل الفهم التام ثم شبه الكلمة الخبيثة التى لا يعضدها حجة و لا يؤيدها عقل و لا نقل بالشجرة الخبيثة الكثيرة المضار الخالية عن المنافع فاشار الى كثرة مضارها بقوله خبيثة و الى خلوها عن المنفعة بقوله اجتثت من فوق الارض مالها من قرار و الكشوث نبت يتعلق باغصان الشجرة من غير ان يضرب بعرق فى الارض قال الشاعر * هو الكشوث فلا اصل و لا ورق * و لا نسيم و لا ظل و لا ثمر *

و الكلمة التى تعرب عن الحق يثبت اصلها و دليل حقيتها فى قلب المؤمن و يرتفع مايترتب عليها من الاعمال الصالحة الى السماء و يغتنم المؤمن بركاتها و ثوابها فى كل وقت و زمان و الكلمة الخبيثة تخالفها حينئذ فى جميع ذلك لما مثل الله تعالى الكلمة الطيبة بالشجرة الموصوفة بين انه تعالى يثبت المؤمن بسببها فى الحياة الدنيا و فى الآخرة فقال يثبت الله الذين آمنوا و الباء فى قوله بالقول الثابت للسببية و هو متعلق بقوله يثبت و كذا قوله فى الحياة الدنيا و فى الآخرة و المقصود بيان ان الثبات على الكلمة الطيبة يوجب الثبات فى الثواب و الكرامة من الله فى الدنيا و الآخرة روى ان جرجيس كان من الحواريين من اصحاب عيسى عليه الصلاة و السلام علمه الله الاسم الذى يحيى به الموتى و كان بارض الموصل جبار عنيد يعبد الصنم فدعاه جرجيس الى عبادة الله تعالى و نهاه عن عبادة الصنم فامر به فشد رجلاه و يداه و دعا بامشاط من حديد فسرح بها صدره و يديه ثم صب عليه الماء المالح فصبره الله تعالى عليه ثم دعا بمسامير من حديد فسمر بها عينيه و اذنيه فصبره الله عليه ثم دعا بحوض من نحاس فاوقد تحته حتى ابيض ثم القى فيه و اطبق رأسه فجعله الله تعالى له بردا و سلاما و زاده حسنا و جمالا ثم قطع اعضاءه اربا اربا فاحياه الله و دعاهم الى الله و احيى الموتى و لم يؤمن الملك فاهلكه الله تعالى مع قومه بان قلب المدينة عليهم و جعل عاليها سافلها و اما شمعون العابد فكان من رهبان النصارى و كان رجلا شجاعا يحارب عبدة الاصنام من اهل الروم و يدعوهم الى الدين الحق و كان يكسر بنفسه جنودا مجندة و احتال عليه ملك الروم بانواع من الحيل و لم يقدر عليه الى ان صرح الى امرأته بمواعيد فسألته فى وقت خلوة عن حاله كيف يغلب عليك فقال ان اشد بشعرى فى غير حال الطهارة فانى حينئذ

(لم اقدر)

و يجوز ان يريد و فروعها اى افنانها على الاكتفاء بلفظ الجنس لاكتسابه الاستغراق من الاضافة و قرئ ثابت اصلها و الاول على اصله و لذلك قيل انه اقوى و لعل الثانى ابلغ (تؤتى اكلها) تعطى ثمرها (كل حين) أقته الله تعالى لاثمارها (باذن ربها) بارادة خالقها و تكوينه (و يضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون) لان فى ضربها زيادة افهام و تذكير فانه تصوير للمعانى و ادناءلها من الحس (و مثل كلمة خبيثة كشجرة) كمثل شجرة (خبيثة اجتثت) استؤصلت و اخذت جثتها بالكلية (من فوق الارض) لان عروقها قريبة منه (مالها من قرار) استقرار و اختلف فى الكلمة و الشجرة ففسرت الكلمة الطيبة بكلمة التوحيد و دعوة الاسلام و القرآن و الكلمة الخبيثة بالشرك بالله تعالى و الدعاء الى الكفر و تكذيب الحق و لعل المراد بهما مايعم ذلك فالكلمة الطيبة ما اعرب عن حق او دعا الى صلاح و الكلمة الخبيثة ما كان على خلاف ذلك و فسرت الشجرة الطيبة بالنخلة و روى ذلك مرفوعا و بشجرة فى الجنة و الخبيثة بالحنظل و الكشوث و لعل المراد بهما ايضا مايعم ذلك (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت) الذى ثبت بالحجة عندهم و تمكن فى قلوبهم (فى الحياة الدنيا) فلا يزالون اذا افتتنوا فى دينهم كزكريا و يحيى عليهما السلام و جرجيس و شمعون و الذى فتنهم اصحاب الاخدود

يعاد روحه فى جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فى قبره فيقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربى الله ودينى الاسلام ونبيى محمد صلى الله عليه وسلم فينادى مناد من السماء ان صدق عبدى فذلك قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت (ويضل الله الظالمين) الذين ظلموا انفسهم بالاقتصار على التقليد فلا يهتدون الى الحق ولا يثبتون فى مواقف الفتن (ويفعل الله مايشاء) من تثبيت بعض واضلال آخرين من غير اعتراض عليه (الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا) اى شكر نعمته كفرا بان وضعوه مكانه او بدلوا نفس النعمة كفرا فانهم لما كفروها سلبت منهم فصاروا تاركين لها محصلين الكفر بدلها كاهل مكة خلقهم الله تعالى واسكنهم حرمه وجعلهم قوام بيته ووسع عليهم ابواب رزقه وشرفهم بمحمد صلى الله عليه وسلم فكفروا ذلك فقحطوا سبع سنين واسروا وقتلوا يوم بدر وصاروا اذلاء فبقوا مسلوبى النعمة موصوفين بالكفر وعن عمر وعلى رضى الله تعالى عنهما هم الافجران من قريش بنوا المغيرة وبنوا امية فامابنوا المغيرة فكفيتموهم يوم بدر واما بنوا امية فتمتعوا الى حين (واحلوا قومهم) الذين شايعوهم فى الكفر (دار البوار) دار الهلاك بحملهم على الكفر (جهنم) عطف بيان لها (يصلونها) حال منها او من القوم اى داخلين فيها مقاسين لحرها او مفسر لفعل مقدّر ناصب لجهنم (وبئس القرار) اى وبئس المقرّ جهنم (وجعلوا لله اندادا ليضلوا عن سبيله) الذى هو التوحيد وقرأ ابن كثير وابو عمرو وورش عن يعقوب بفتح الياء وليس الضلال ولا الاضلال غرضهم فى اتخاذ الانداد لكن لما كان نتيجته جعل كالغرض (قل تمتعوا) بشهواتكم او بعبادة الاوثان فانها من قبيل الشهوات التى يتمتع بها وفى التهديد بصيغة الامر ايذان بان المهدد عليه كالمطلوب لافضائه الى المهدد به وان الامرين كائنان لا محالة ولذلك علله بقوله (فان مصيركم الى النار) وان المخاطب لانهماكه فيه كالمأمور به من آمر مطاع (قل لعبادى الذين آمنوا) خصهم بالاضافة تنويها لهم وتنبيها على انهم المقيمون لحقوق العبودية ومقول قل محذوف دل عليه جوابه اى قل لعبادى الذين آمنوا اقيموا الصلاة وانفقوا (يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم) فيكون ايذانا بانهم لفرط مطاوعتهم الرسول صلى الله عليه وسلم بحيث لا ينفك فعلهم عن امره وانه كالسبب الموجب له ويجوز ان يقدّر بلام الامر ليصح تعلق القول بهما وانما حسن ذلك ههنا ولم يحسن فى قوله

* محمد تفد نفسك كل نفس * اذا ماخفت من امر تبالا *

لدلالة قل عليه وقيل هما جوابا اقيموا وانفقوا مقامين مقامهما وهو ضعيف لانه لابدّ من مخالفة مابين الشرط وجوابه ولان امر المواجهة لايجاب بلفظ الغيبة اذا كان الفاعل واحدا

لم اقدر على الفك فاحاطوا به فى منامه وشدوه كذلك وألقوه من قصر الملك فهلك واما اصحاب الاخدود فقد روى مرفوعا ان ملكا كان له ساحر فلما كبر ضم اليه غلاما ليعلمه وكان فى طريقه راهب فمال قلبه اليه فرأى فى طريقه ذات يوم حية قد حبست الناس فاخذ حجرا وقال اللهم ان كان الراهب احب اليك من الساحر فاقتلها فقتلها وكان الغلام بعده يبرئ الاكمه والابرص ويشفى من الادواء وعمى جليس الملك فابرأه فسأله الملك من ابرأك فقال ربى فغضب الملك فدل على الغلام فعذبه فدل على الراهب فقده فدعا فهلك من معه ونجا فاجلسه فى سفينة ليغرق فدعا فانكفأت السفينة بمن معه فغرقوا ونجا فقال للملك لست بقاتلى حتى تجمع الناس وتصلبنى وتأخذ سهما من كنانتى وتقول باسم رب الغلام ثم ترميني به فرماه فوقع السهم فى صدغه فمات فآمن الناس فامر باخاديد اوقد فيها النيران فمن لم يرجع منهم طرحه حتى جاءت امرأة معها صبى فتقاعست فقال الصبى امّاه اصبرى فانك على الحق فاقتحمت

قوله فلا يتلعثمون اى لا يتمكثون يقال تلعثم الرجل فى كلامه اذا تمكث فيه وتأنى **قوله اى شكر نعمته** قدّر المضاف لان الكفر المذكور بجنب النعمة يراد به الكفران ومقابله الشكر واعلم ان بدّل يتعدى الى مفعولين الى اوّلهما بنفسه والى ثانيهما بواسطة الباء وان المجرور بالباء هو المتروك والمنصوب هو الحاصل المختار وقد يحذف حرف الجرّ فيتعدى الفعل اليهما بنفسه كما فى هذا المقام والمجرور بالباء ههنا هو النعمة لانها هى المتروكة والذى تعدّى الفعل اليه بنفسه هو الكفران فهو المفعول الاوّل **قوله واحلوا قومهم وقوله وجعلوا لله اندادا** معطوفان على الصلة وهى قوله بدلوا نعمة الله وصفهم اوّلا بايثار كفران نعم الله تعالى على شكرها وثانيا بانهم اضلوا قومهم وحملوهم على الكفر الذى اداهم الى جهنم وثالثا بانهم جعلوا لله المستجمع لجميع صفات الكمال اشباها وشركاء والمراد من هذا الجعل الحكم والاعتقاد والقول واللام فى ليضلوا سواء قرئ بفتح الياء او ضمها لام العاقبة لان كل واحد من الضلال والاضلال نتيجة اتخاذ الانداد وعاقبته **قوله وفى التهديد بصيغة الامر** لما كانت صيغة الامر موضوعة لطلب الفعل ولو على طريق الندب والاباحة وكان التمتع بالشهوات غير مطلوب بوجه مّا فضلا عن ان يكون وسيلة الى مطلوب آخر وهو كون المصير الى النار جعل المصنف صيغة الامر للتهديد كقول الطبيب للمريض الذى خالف امره بترك الاجتناب عما يضرّه بعد ما امره الطبيب به مرات كل ماشئت فان مصير امرك الى الموت يريد به التهديد ليرتدع المريض عما هو عليه ويقبل قول الطبيب فكذلك الله تعالى ترك الكفار وخلاهم وانفسهم قائلا تمتعوا والمقصود ردعهم عن تلك الحالة ثم بين ان فائدة تخصيص صيغة الامر لتأدية معنى التهديد امران الاوّل ان ترتب المهدّد عليه على المهدّد به ايذان باستعارة تمثيلية شبه حال المخاطب فى انهماكه فى التمتع المؤدى الى النار بحال من امر بالتمتع من قبل الآمر المطاع الذى ليس فى وسع المخاطب مخالفته فاطلق فى حقه العبارة الواقعة فى حق المشبه به فقيل فى تهديده تمتعوا والثانية ايذان بان كل واحد من المهدّد عليه وبه واقع لا محالة بحيث يترتب الثانى على الاوّل **قوله ويجوز ان يقدّر بلام الامر** عطف على قوله ومقول قل محذوف اى ويجوز ان لا يكون مقوله محذوفا بان يحتمل ان يكون يقيموا وينفقوا مجزومين بلام الامر المقدرة ويكون التقدير ليقيموا ولينفقوا ليصح كونهما مقولى القول كما تقول قل لزيد يضرب عمرا فانه قد يحذف الجازم ويبقى عمله ولما * ورد ان يقال كيف يجوز حذف لام الامر مع ان اهل اللغة وضعوا لامر المخاطب صيغة مخصوصة وعينوا لام الامر للدلالة على ان المأمور ليس بمخاطب فلا يجوز ان يقال يضرب زيد ويراد امر زيد بالضرب لان المعانى انما تستفاد من الالفاظ الموضوعة للدلالة عليها وعند حذف الدليل كيف ينتقل الذهن الى المدلول * اجاب عنه بقوله وانما حسن ذلك اى انما حسن حذف لام الامر فى هذه الآية مع انه لا يحسن حذفها فى نحو قول الشاعر

* محمد تفد نفسك كل نفس * اذا ماخفت من امر تبالا *

لدلالة قل عليه اى على ان المراد امر الغائب يعنى حسن حذف لام الامر هنا لقيام ما يقوم مقامها فى الدلالة على ان المراد امر غير المخاطب وهو قوله قل فانه امر للمبلغ الحاضر فهو يدل على ان المأمور بقوله يقيموا وينفقوا غير المخاطب فيكون قائما مقام اللام فى الايذان بان الامر لغير المخاطب فحسن حذف لام الامر فيه وفى قوله ويجوز اشارة الى ضعفه لان حذف الجازم وابقاء عمله نادر كحذف الجار فالمختار هو الوجه الاوّل وهو ان يكون يقيموا وينفقوا مجزومين على انهما جواب قوله قل ويدلان على مقوله المحذوف والمعنى قل لهم اقيموا الصلاة وأنفقوا

فانك ان تقل لهم ذلك يقيموا الصلاة وينفقوا لفرط مطاوعتهم اياك وضعف وجه ان يكونا مجزومين على انهما جواب اقيموا وانفقوا المحذوفين والتقدير اقيموا وانفقوا يقيموا وينفقوا ووجه ضعفه امران الاول ان جواب الشرط لا بدّ ان يخالف نفس الشرط اما في الفعل او في الفاعل او فيهما ولا يجوز كونه مثل الشرط في الفعل والفاعل كقولك قم تقم والتقدير على هذا الوجه ان يقيموا وان ينفقوا ولا وجه له والامر الثاني انهما على تقدير كونهما جواب المقول المقدّر يكون من قبيل اسلم يسلم في ان يجاب امر المخاطب بلفظ الغيبة وهو انما يجوز اذا كان فاعل الشرط غير فاعل الجزاء واما اذا اتحدا كما في قولك اسلم تسلم اوكان محكيا به كما في مانحن فيه فحينئذ يجوز ان يجاب بلفظ الغيبة كما تقول قل لعبدى اطعنى يطعك ﴿ قوله اى انفاق سرّ وعلانية ﴾ على الاضافة البيانية فان كل واحد من السرّ والعلانية لما كان نوعا من الانفاق جاز وقوعه موقع الانفاق ﴿ قوله اى ذوى سرّ ﴾ وهو احد التأويلات الثلاثة المذكورة في رجل عدل ويجوز فيه التأويلان الآخران ايضا وهما ان يجعلوا نفس السرّ والعلانية مبالغة وان يقام سرّا وعلانية مقام مسرّين ومعلنين ﴿ قوله فيبتاع المقصر مايتدارك به تقصيره ﴾ اشارة الى ان فائدة تقيية الانفاق مقبولة من قبل ان يأتى يوم لا تقدرون فيه على تدارك مافاتكم من الانفاق لانه لا بيع فيه حتى يبتاع ماتنفقونه ولا خلة حتى يسامح اخلاؤكم به اى بما تنفقونه وقوله او يفدى به نفسه عطف على قوله يتدارك به اى ليس فيه بيع حتى يبتاع مايعطيه فدآء لنفسه فيخلصها من العذاب وليس فيه مخالة ومصافاة حتى يشفع خليل لخليله فينجيه من العذاب ﴿ قوله اومن قبل ان يأتى يوم لا انتفاع فيه بمبايعة ولا مخالة ﴾ لما كان اهل الدنيا ينتفعون بالانفاق الواقع في عقد المعاوضات بان يعطوا شيأ من المال ليأخذوا مايرغبون فيه عوضا عنه وفي عقد التبرعات الواقعة بين الاصدقاء على طريق المهاداة بان يعطوا شيأ على وجه الهدية ليستخيروا بذلك ماهو خير منه في حب الله تعالى اى الانفاق الواقع لوجه الله تعالى بان يشارك في المنفعة التى تترتب على هذا الانفاق الواقع في عقد المعاوضة والمهاداة فالمنفى بقوله تعالى لا بيع فيه ولا خلال هو غايتهما ومنفعتهما المترتبة عليهما فعلى هذا المقصود من الآية الحث على الانفاق الواقع في عقد المبايعة ومهاداة الاخلاء ونفى الانتفاع في ذلك اليوم بهما كناية عن الانتفاع بمقابلهما وحصول المعنى على الوجه الاول ان الانفاق امر مطلوب في نفسه فليغتنموه قبل ان يفوت وقت هذا المطلوب ولا يدركه الطالب وعلى الثانى ان الانفاق الذى يتصور منكم في الدنيا يكون على ثلاثة اوجه لا تنتفعون بشىء منها في الآخرة الا ان يكون على الوجه الثالث والخلال المخالة وهى المصاحبة والمصادقة يقال خالته خلالا ومخالة وقيل الخلال جمع خلة كبرمة وبرام فان قيل كيف نفى المخالة في هذه الآية مع انه تعالى اثبتها في قوله الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدوّ الا المتقين فالجواب ان الآية الدالة على نفى المخالة محمولة على المخالة بمثل ميل الطبيعة ورغبة النفس والآية الدالة على حصول المخالة محمولة على المخالة بسبب عبودية الله ومحبة الله ثم انه تعالى لما ذكر احوال السعدآء واحوال الاشقياء وكانت معرفة احوالهما منوطة بمعرفة الصانع بذاته وصفاته ختم وصف احوالهما بذكر الدلائل الدالة على وجود الصانع وكمال علمه وقدرته وذكر ههنا عشرة انواع من الدلائل وهى خلق السموات وخلق الارض واخراج الثمرات بسبب انزال الماء من السماء وتسخير الفلك لتجرى في البحر وتسخير الانهار وتسخير الشمس وتسخير القمر وتسخير الليل وتسخير النهار واعطاء البعض من جميع مايطلبه فانه كما بينها بهذه الدلائل الدالة على سلطانه وقدرته حيث سخر هذه الاشياء مع شدتها وصلابتها وعظمها واهوالها وجعل منافع السماء متصلة بمنافع الارض ذكرنا ايضا نعمه التى انعمها علينا اذ تسخير هذه الاشياء منادى بذلك ﴿ قوله وانزل من السماء ماء ﴾ فيه قولان الاول ان الماء ينزل من السحاب وسمى السحاب سماء للاشتقاق من السمو والارتفاع والثانى انه ينزل من نفس السماء وهو بعيد لان الانسان ربما يكون واقفا على جبل عال ويرى الغيم اسفل منه فاذا نزل من ذلك الجبل يرى الغيم ماطرا عليه واذا كان هذا مما يشاهد بالبصر كان النزاع فيه انكارا للمحسوس ولفظ الثمرات يطلق في الاغلب على مايحصل من الاشجار ويطلق ايضا على الزروع والنباتات ﴿ قوله تعيشون به ﴾ اشارة الى ان الاضافة الى الله في انتفاع التعيش معتبرة في مفهوم الرزق فان الرزق عند الاشاعرة اسم لما يسوقه الله تعالى الى الحيوان لينتفع به سوآء كان بالتغذى او بغيره مباحا كان او حراما مملوكا كان او غير مملوك وهذا التفسير اجل من تفسيره بما يسوقه الله الى الحيوان ليأكله لاختصاصه بالمأكول ومن تفسيره بما يتغذى به الحيوان لذلك ولخلوه عن معنى الاضافة الى الله مع انه معتبر

(في مفهوم)

(سرّا وعلانية) منتصبان على المصدر اى انفاق سرّ وعلانية او على الحال اى ذوى سرّ وعلانية او على الظرف اى وقتى سرّ وعلانية والاحب اعلان الواجب واخفاء المتطوّع به (من قبل ان يأتى يوم لا بيع فيه) فيبتاع المقصر مايتدارك به تقصيره او يفدى به نفسه (ولا خلال) ولا مخالة فيشفع لك خليل اومن قبل ان يأتى يوم لا انتفاع فيه بمبايعة ولا مخالة وانما ينتفع فيه بالانفاق لوجه الله تعالى وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب بالفتح فيهما على النفى العام (الله الذى خلق السموات والارض) مبتدأ وخبر (وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم) تعيشون به وهو يشمل المطعوم والملبوس مفعول لاخرج ومن الثمرات بيان له حال منه ويحتمل عكس ذلك ويجوز ان يراد به المصدر فينتصب بالعلة او المصدر لان اخرج في معنى رزق (وسخر لكم الفلك لتجرى في البحر بامره) بمشيئته الى حيث توجهتم

فى مفهوم الرزق وعند المعتزلة الحرام ليس برزق لانهم فسروه تارة بمأكول يأكله المالك وتارة بما لايمنع من الانتفاع به وذلك لايكون الاحلالا ويلزم على التفسير الاوّل ان لايكون مايأكله الدواب رزقا وعلى التفسيرين يلزم ان من اكل الحرام طول عمره لم يرزقه الله تعالى اصلا ﴿**قوله** فجعلها معدّة لانتفاعكم﴾ يعنى ان الاصل فى التسخير تذليل الحيوان بجعله منقادا لما اريد منه وهو فى غير الحيوان مجاز عن جعله معدّا لان ينتفع به من يريد الانتفاع به فيصير بذلك كأنه حيوان مسخر للانتفاع ﴿**قوله** يدأبان﴾ اى يدأبان ويستمران ويعبران ابدا فيما يسند اليهما من الافعال يقال دأب فلان فى عمله دؤوبا اى جدّ وتعب ﴿**قوله** ان المسئول فى الاوّل ازالة الخوف عنه﴾ لاجعله بلدا آمنا لان هذا فى قوله هذا البلد آمنا اشارة الى البلد والمشار اليه لابدّ ان يكون موجودا فى وقت الاشارة وهو وقت الدعاء فتكون البلدية موجودة وقت الدعاء فلا تكون داخلة تحت الطلب وانما المطلوب صفة الامن وانما لاتكون مادّة البلد داخلة تحت الطلب لانه طلب تحصيل الحاصل واذا قلت اجعل هذا بلدا آمنا لايكون المشار اليه بهذا البلد بل يكون المشار اليه موضعا معينا والمعنى اجعل هذا الموضع بلدا آمنا وطلب جعله من الآمنة لايستلزم ان يكون فى وقت الدعاء بلدا بل يجوز ان لايكون بلدا ويكون المسئول ان يجعله بلدا موصوفا بالامن ويجوز ان يكون بلدا والمسئول مجرّد صفة الامن كما يقال كن رجلا فقيها فانه يكون المطلوب مجرّد الاتصاف بالفقاهة وذكر رجل للتصريح بالذات التى يجرى عليها الاسم المشتق وهو الفقيه ثم ان كان الدعاء واحدا وعبر عنه بعبارتين مختلفتين فلابدّ ان يحمل مافى سورة البقرة على مافى هذه السورة ويجعل المطلوب صفة الامن فقط وان تعدّد الدعاء يجوز ان يكون اجعل هذا بلدا آمنا فى وقت عدم تحقق البلدية ويكون المطلوب البلدية مع صفة الامن فقط قال صاحب الكشف فى تحقيق المقام انه اذا قلت اجعل هذا خاتما حسنا فقد اشرت الى المادّة وسألت ان يسبك منها خاتما حسنا واذا قلت اجعل هذا الخاتم حسنا فقد عمدت نحو الحسن دون الخاتمية وذلك لان محط الفائدة هو المفعول الثانى الكائن بمنزلة الخبر ثم قال وفيه ان المصنف قدّر فى البقرة هذا البلد بلدا آمنا فلا يلوح فرق والجواب ان المسئول البلدية مع الامن فقوله فى التقدير هذا البلد اشارة الى الحاضر فى الذهن لاالى الكائن فى الخارج بخلاف مانحن فيه ﴿**قوله** وقرئ وأجنبنى﴾ بقطع الهمزة يقال جنبه شرا وأجنبه شرا ثلاثيا ورباعيا وهى لغة نجد وجنبه شرا مشدّدا وهى لغة الحجاز ﴿**قوله** وهو بظاهره لايتناول احفاده﴾ اى اولاد اولاده جمع حافد وهو ولد الولد يعنى ان قوله وبنىّ اراد به بنيه من صلبه لان الظاهر من الآية انه عليه الصلاة والسلام اراد بنيه من غير واسطة ولو صلح فاين دليل الاجابة حتى يستدل بقوله واجنبنى وبنىّ على ان احدا من احفاده لم يعبد الصنم مع ان قوله تعالى لاينال عهدى الظالمين يدل على ان فيهم من هو كذلك وايضا قد حكى الله تعالى عن قريش عبادتهم الاصنام فى مواضع من القرآن ولايقبل التعليل فى مقابلة النص لان حفدته لو دخلوا فى دعائه عليه الصلاة والسلام لما اشرك احد منهم مع ان كفار قريش كانوا من حفدته ثم انهم كانوا يعبدون الاصنام بناء على انه تعالى لايردّ دعاء الانبياء * قال الامام فى هذه الآية اشكال من وجوه احدها ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام دعا ربه ان يجعل مكة بلدا آمنا وماقبل الله دعاءه لان جماعة خربوا الكعبة واغاروا على مكة وثانيها ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام لايعبدون الوثن البتة واذا كان كذلك فالفائدة فى واجنبنى عن عبادة الاصنام وثالثها انه طلب من الله تعالى ان لايجعل ابناءه من عبدة الاصنام والله تعالى لم يقبل دعاءه لان كفار قريش كانوا من اولاده ثم انهم كانوا يعبدون الاصنام فان قيل انهم ماكانوا ابناء ابراهيم عليه الصلاة والسلام وانما كانوا ابناء ابنائه والدعاء مخصوص بالابناء فنقول ان كان المراد بقوله وبنىّ ابناءه من صلبه فهم اسماعيل واسحق وما كانا الامن اكابر الانبياء وقد علم ان الانبياء لايعبدون الصنم فقد عاد الاشكال فى انه ماالفائدة فى ذلك الدعاء ثم اجاب عن السؤال الاوّل من وجهين الاوّل انه نقل ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام لما فرغ من بناء البيت ذكر هذا الدعاء والثانى هو ان المراد جعل اهلها آمنين كقوله واسأل القرية اى اهلها وهذا الوجه عليه اكثر المفسرين فان مكة قد اختصت بمزيد الامن الاترى ان الخائف وصاحب الجريمة كان اذا التجأ الى مكة امن وكان الناس مع شدّة العداوة بينهم يتلاقون بمكة فلايخاف بعضهم بعضا ومن ذلك امن الوحوش فانهنّ لاينفرن اذا كنّ بمكة ويستوحشن على الناس خارج مكة فهذا النوع من الامن حاصل فى مكة فوجب حمل الدعاء عليه والجواب عن السؤال الثانى قال الزجاج معناه ثبتنى على اجتناب عبادتها كما قال واجعلنا مسلمين لك اى ثبتنا على الاسلام ثم قال ولقائل ان

(وسخر لكم الانهار) فجعلها معدّة لانتفاعكم وتصرفكم وقيل تسخير هذه الاشياء تعليم كيفية اتخاذها (وسخر لكم الشمس والقمر دآئبين) يدأبان فى سيرهما وانارتهما واصلاح مايصلحانه من المكوّنات (وسخر لكم الليل والنهار) يتعاقبان لسباتكم ومعاشكم (وآتاكم من كل ماسألتموه) اى بعض جميع ماسألتموه يعنى من كل شئ سألتموه شيأ فان الموجود من كل صنف بعض مافى قدرة الله ولعل المراد بماسألتموه ماكان حقيقا بان يسأل لاحتياج الناس اليه سئل او لم يسأل وما يحتمل ان تكون موصولة وموصوفة ومصدرية ويكون المصدر بمعنى المفعول وقرئ من كل بالتنوين اى وآتاكم من كل شئ مااحتجتم اليه وسألتموه بلسان الحال ويجوز ان تكون ما نافية فى موضع الحال اى وآتاكم من كل شئ غير سائليه (وان تعدّوا نعمة الله لاتحصوها) لاتحصروها ولاتطيقوا عدّ انواعها فضلا عن افرادها فانها غير متناهية وفيه دليل على ان المفرد يفيد الاستغراق بالاضافة (ان الانسان لظلوم) يظلم النعمة باغفال شكرها او يظلم نفسه بان يعرضها للحرمان (كفار) شديد الكفران وقيل ظلوم فى الشدّة يشكو ويجزع كفار فى النعمة يجمع ويمنع (واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد) بلد مكة (آمنا) ذا أمن لمن فيها والفرق بينه وبين قوله اجعل هذا بلدا آمنا ان المسئول فى الاوّل ازالة الخوف عنه وتصييره آمنا وفى الثانى جعله من البلاد الآمنة (واجنبنى وبنىّ) بعدنى واياهم (ان نعبد الاصنام) واجعلنا منها فى جانب وقرئ واجنبنى وهما على لغة نجد واما اهل الحجاز فيقولون جنبنى شره وفيه دليل على ان عصمة الانبياء بتوفيق الله وحفظه اياهم وهو بظاهره لايتناول احفاده وجميع ذريته وزعم ابن عيينة ان اولاد اسماعيل عليه الصلاة والسلام لم يعبدوا الصنم محتجا به وانما كانت لهم حجارة يدورون بها ويسمونها الدوار ويقولون البيت حجر فحيث مانصبنا حجرا فهو بمنزلته

يقول السؤال باق لانه لما كان من المعلوم انه تعالى ثبت الانبياء عليهم الصلاة والسلام على الاجتناب عن عبادة الاصنام فما الفائدة في هذا السؤال ثم قال والصحيح عندي في الجواب وجهان الاوّل انه عليه الصلاة والسلام وان كان يعلم انه تعالى عصمه من عبادة الاصنام الا انه ذكر ذلك هضما للنفس واظهارا للحاجة والفاقة الى فضل الله تعالى في كل المطالب والثاني ان الصوفية يقولون الشرك نوعان شرك حكمي وهو ماعليه المشركون وشرك خفي وهو تعلق القلب بالوسائط والاسباب الظاهرة والتوحيد المحض هو ان يقطع العبد نظره عن الوسائط ولا يرى متوسطا بينه تعالى وبين الممكنات الحادثة فيحتمل ان يكون مراده بقوله واجنبني وبنيّ ان يعصمه من هذا الشرك الخفي والله اعلم بمراده والجواب عن السؤال الثالث من وجوه الاوّل ماقال صاحب الكشاف من ان قوله وبنيّ اراد به بنيه من صلبه والفائدة في هذا الدعاء عين الفائدة التي ذكرناها في قوله واجنبني والثاني ان بنيه يتناول اولادا واولاده الذين كانوا موجودين في حال الدعاء ولاشك ان دعوته مجابة فيهم والثالث ماقاله مجاهد من انه لم يعبد احد من ولد ابراهيم عليه الصلاة والسلام صنما وانما عبدوا الوثن فان الصنم هو التمثال المصوّر وماليس بمصوّر فهو وثن وكفار قريش ماعبدوا التماثيل وانما كانوا يعبدون احجارا مخصوصة واشجارا مخصوصة وهذا الجواب ليس بقويّ لانه عليه الصلاة والسلام لايريد بهذا الدعاء الا تجنب عبادة غير الله والحجر كالصنم في ذلك والرابع ان هذا الدعاء مختص بالمؤمنين من اولاده والدليل عليه انه قال في آخر الآية فمن تبعني فانه مني وذلك يدل على ان من لم يتبعه على دينه فانه ليس منه ولا من اولاده والخامس انه عليه الصلاة والسلام وان دعا في حق ابنائه الصلبية وحفدته الا انه تعالى اجاب دعاءه في حق البعض دون البعض وذلك لايوجب تحقير الانبياء عليهم الصلاة والسلام ونظيره قوله تعالى في حق ابراهيم عليه الصلاة والسلام قال اني جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتي قال لاينال عهدي الظالمين الى هنا كلام الامام ﴿قوله فانه مني اي بعضي﴾ لايريد ان من في قوله مني تبعيضية وان صرح بلفظ البعض بل يريد انها اتصالية كما في قوله تعالى المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض ولهذا فسر معنى البعضية بقوله لاينفك عني في امر الدين اي فكان بذلك كأنه بعض مني ﴿قوله وفيه دليل على ان كل ذنب فلله تعالى ان يغفره﴾ لان هذا الكلام من ابراهيم عليه الصلاة والسلام شفاعة منه في حق اهل العصيان مطلقا بان يغفر لهم ويرحمهم باي وجه كان ولاشك ان مطلق المعصية يتناول الشرك ومادونه فلو كان مغفرة الشرك مما يستحيل عليه تعالى لما وقعت هذه الشفاعة منه عليه الصلاة والسلام كأنه يقول فانك تقدر على ان تغفر او ترحم للشرك مع عظم جرمه فضلا عن سائر العصاة فاسألك ان تغفر وترحم من لاتكون مغفرتهم ورحمتهم مخالفة لحكمتك وفي الوسيط قال قوله عليه الصلاة والسلام ومن عصاني فانك غفور رحيم معناه ومن عصاني ثم تاب فانك غفور رحيم وقال مقاتل فيمادون الشرك فانك غفور رحيم وقال ابن الانباري ويحتمل ان هذا كان قبل ان يعلمه الله انه لايغفر الشرك كما استغفر لابيه وقال الامام هذا القول من ابراهيم عليه الصلاة والسلام في حق اهل الكبائر ممن آمن منهم لا في اسقاط عقاب الكفر والشرك لانه عليه الصلاة والسلام قال في مقدمة هذه الآية واجنبني وبنيّ ان نعبد الاصنام ولما تبرأ من الكفر بهذا الاجمال دل على انه لاتجوز الشفاعة في اسقاط عقاب الكفر ودل ذلك على انه ليس مراده الشفاعة في حق المشركين ﴿قوله الذي حرمت التعرّض له﴾ ذكر لتوصيف البيت بالمحرم ثلاثة اوجه مبنى الوجه الاوّل على كون المحرّم من التحريم الذي هو ضدّ التحليل ووصف البيت بكونه محرّما مبالغة في توصيفه بحرمة اهانته والتعرّض له بسوء ومبنى الوجه الآخر ليس على كونه من التحريم بالمعنى المذكور وانما هو بمعنى المنع كما في قوله وحرّمنا عليه المراضع فانه ليس بمعنى لايحل له المراضع بل هو بمعنى المنع اي منعناها عنه ليردّه الى امّه فكذا قوله عند بيتك المحرّم اي الممنوع عن الخلق حتى لم يقدر احد من الفراعنة والملوك على الغلبة عليه او الممنوع منه الطوفان ﴿قوله ودعا بهذا الدعاء اوّل ماقدم﴾ جواب عما يقال اسكان الخليل اسماعيل بمكة قبل بنائهما الكعبة فكيف يصح له عليه الصلاة والسلام ان يقول اسكنت بواد عند بيتك المحرم * واجاب عنه بان مراده عند بيتك الذي سيحدث في هذا الوادي فقوله غير ذي زرع توصيف للوادي باعتبار ما كان عليه وقت قدومه وقوله عند بيتك توصيف له باعتبار ماسيحدث فيه وهذا التقرير مبني على ماوجدت في نسخة مطالعتي وهو باعتبار ماكان وماسيئول بالوادي دون اليه ثم ظهر في نسخة اخرى فيكون قوله اوّل ماقدم معناه اما على ماكان قبل الطوفان واما على ماسيحدث بنائه وعلى هذا الجواب يجوز ان يكون دعاؤه هذا بعد بنائهما البيت حال كبر اسماعيل عليهما الصلاة والسلام كما ذكر الامام في جواب

(رب انهنّ اضللن كثيرا من الناس) فلذلك سالت منك العصمة واستعذت بك من اضلالهنّ واسناد الاضلال اليهنّ باعتبار السببية كقوله وغرتهم الحياة الدنيا (فمن تبعني) على ديني (فانه مني) اي بعضي لاينفك عني في امر الدين (ومن عصاني فانك غفور رحيم) تقدر ان تغفر له وترحمه ابتداء او بعد التوفيق للتوبة وفيه دليل على ان كل ذنب فلله ان يغفره حتى الشرك الا ان الوعد فرق بينه وبين غيره (ربنا اني اسكنت من ذريتي) اي بعض ذريتي او ذرية من ذريتي فحذف المفعول وهو اسماعيل ومن ولد منه فان اسكانه متضمن لاسكانهم (بواد غير ذي زرع) يعني وادي مكة فانها حجرية لاتنبت (عند بيتك المحرم) الذي حرمت التعرّض له والتهاون به او لم يزل معظما ممنعا تهابه الجبابرة او منع منه الطوفان فلم يستول عليه ولذلك سمي عتيقا اي اعتق منه ودعا بهذا الدعاء اوّل ماقدم فلعله قال ذلك باعتبار ما كان او ماسيئول اليه روي ان هاجر كانت لسارة رضي الله عنها فوهبتها لابراهيم عليه السلام فولدت منه اسماعيل عليه السلام فغارت عليها فناشدته ان يخرجهما من عندها فاخرجهما الى ارض مكة فاظهر الله عين زمزم ثم ان جرهم رأوا ثم طيورا فقالوا لاطير الا على الماء فقصدوه فرأوهما وعندهما عين فقالوا اشركينا في مائك نشركك في ألباننا ففعلت

(ربنا ليقيموا الصلاة) اللام لام كي وهي متعلقة باسكنت اى ما اسكنتهم بهذا الوادي البلقع من كل مرتفق ومرتزق الالاقامة الصلاة عند بيتك المحرّم وتكرير النداء وتوسيطه للاشعار بانها المقصودة بالذات من اسكانهم ثمة والمقصود من الدعاء توفيقهم لها وقيل لام الامر والمراد هو الدعاء لهم باقام الصلاة كأنه طلب منهم الاقامة وسأل من الله تعالى ان يوفقهم لها (فاجعل افئدة من الناس) اى افئدة من افئدة الناس ومن للتبعيض ولذلك قيل لو قال افئدة الناس لازدحمت عليهم فارس والروم ولحجت اليهود والنصارى او للابتداء كقولك القلب مني سقيم اى افئدة ناس وقرأ هشام افئيدة بخلف عنه بياء بعد الهمزة وقرئ آفدة وهو يحتمل ان يكون مقلوب افئدة كآدر ادؤر وان يكون اسم فاعل من افدت الرحلة اذا عجلت اى جماعة يعجلون نحوهم وافدة بطرح الهمزة للتخفيف وان كان الوجه فيه اخراجها بين بين ويجوز ان يكون من افد (تهوى اليهم) تسرع اليهم شوقا ووادادا وقرئ تهوى على البناء للمفعول من هوى اليه واهواه غيره وتهوى من هوى يهوى اذا احب وتعديته بالى لتضمين معنى النزوع (وارزقهم من الثمرات) مع سكناهم واديا لانبات فيه (لعلهم يشكرون) تلك النعمة فاجاب الله عز وجل دعوته فجعله حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شئ حتى توجد فيه الفواكه الربيعية والصيفية والخريفية في يوم واحد (ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن) تعلم سرّنا كما تعلم علننا والمعنى انك اعلم باحوالنا ومصالحنا وارحم بنا منا بانفسنا فلا حاجة لنا الى الطلب لكن ندعوك اظهارا لعبوديتك وافتقارا الى رحمتك واستعجالا لنيل ما عندك وقيل ما نخفي من وجد الفرقة وما نعلن من التضرع اليك والتوكل عليك وتكرير النداء للمبالغة في التضرع واللجأ الى الله تعالى (وما يخفى على الله من شئ في الارض ولا في السماء) لان العالم بعلم ذاتي يستوى نسبته الى كل معلوم ومن للاستغراق (الحمد لله الذى وهب لي على الكبر) اى وهب لي وانا كبير آيس من الولد قيد الهبة بحال الكبر استعظاما للنعمة واظهارا لما فيها من الآية (اسماعيل واسحق) روى انه ولد له اسماعيل لتسع وتسعين سنة واسحق لمائة وثنتي عشرة سنة

السؤال الاوّل من انه نقل ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام لما فرغ من بناء البيت ذكر هذا الدعاء وفي التيسير قيل ان هذا الدعاء كان بعد بنائه وقيل كان قبل بنائه لكن كان الله تعالى ابان له موضع البيت فصحت اشارته اليه ﴿قوله ما اسكنتهم بهذا الوادي البلقع من كل مرتفق ومرتزق الالاقامة الصلاة﴾ البلقع الارض القفراء التي لاشئ بها والقفراء مفازة لانبات بها ولا ماء والارتفاق الانتفاع والارتزاق والحصر المدلول عليه من الاستثناء بعد النفي مستفاد من تقدير محذوف مؤخر يتعلق به هذا المذكور اى ليقيموا من اسكنتهم هذا المكان البلقع اخبر اوّلا بانه اسكنهم بواد قفر وادرج فيه حاجتهم الى الوافدين واشار بقوله عند بيتك المحرّم الى انّ وجه الايثار انما هو شرف الجوار ثم اخبر ثانيا بانه انما آثر ذلك الموضع ليعمروا احرمك المحرم باقامة الصلاة المعرفة وما اشتمل عليه من الاذكار والدعوات او باداء العبادات والقربات مطلقا وتخصيص الصلاة بالذكر من قبيل الاكتفاء بذكر معظم افراد الحقيقة النوعية عن ذكر الكل ودل على اسكانهم في الوادي المذكور لهذا الغرض الدعاء بقوله فاجعل افئدة من الناس ويدل على ان ليقيموا غير متعلق باسكنت المذكور تخلل ربنا ثانيا بين الفعل ومتعلقه وهذا ابين الا ان قول المصنف وتكرير النداء وتوسيطه صريح في انه متعلق بالمذكور فلا يكون الكلام حينئذ مشتملا على شئ من طرق الحصر فلا يستفاد الحصر حينئذ الامن اسلوب الكلام وسياقه فانه عليه الصلاة والسلام نفى اوّلا ان يكون اسكانهم في ذلك الوادي لاجل التوسع في اسباب المعيشة حيث وصف موضع الاسكان بكونه غير ذى زرع ثم لما وصفه بكونه عند بيت الله الحرام دل ذلك على انه انما آثر ذلك الموضع بالاسكان للانقطاع لعبادة الله تعالى والتبتل اليه والتبرك بشرف جوار بيته ثم انه لما كرر ذكر قوله ربنا اشعر ذلك بان له كمال الاهتمام بشأن المطلوب المدعوّ له وبجملة هذه الامور ولما علل اسكانه في الوادي المذكور بقوله ليقيموا دل ذلك على ان المقصود من الاسكان فيه ليس الا التقرّب الى الله تعالى بالاشتغال بالصلاة التي هي عماد الدين ﴿قوله او للابتداء كقولك القلب مني سقيم﴾ اى القلب الكائن مني وافئدة كائنة من الناس والمصنف نكر لفظ الناس حيث قال اى افئدة ناس مع انه في الآية معرف باللام لان الافئدة في الآية وقعت منكرة ولما اراد تصوير كون القلوب مبتدأة من الناس اضاف الافئدة اليهم ونكر الناس ليحفظ معنى تنكير افئدة في الآية فان تنكير المضاف اليه يفيد ما يستفاد من تنكير المضاف في مقام الاثبات من البعضية وعدم الاستغراق والعموم وناس اسم جمع فمعنى افئدة ناس اى مما يطلق عليه لفظ ناس وهو معنى قوله افئدة من الناس وان كان لفظ الناس المعرف باللام في هذا التعبير محمولا على العموم ﴿قوله وقرأ هشام افئيدة﴾ قيل حصلت الياء باشباع كسرة الهمزة وردّ بان الاشباع انما يرتكب لاجل ضرورة الشعر فكيف يحمل عليه افصح الكلام مع ان هشاما انما قرأ بتسهيل الهمزة بين بين وظن زيادة ياء بعد الهمزة ليس بشئ لان الرواة اجل من ان يسند اليهم مثل هذا وقرئ آفدة على وزن عابدة اما على تقديم الهمزة على الفاء او على ان يكون اسم فاعل من افد الرجل بالكسر يافد افدا اى عجل فهو آفد على فاعل اى مستعجل وافد الرحيل اى دنا وازدلف فقوله آفدة على هذا صفة محذوف اى فاجعل جماعة آفدة يرتحلون اليهم ويعجلون نحوهم وقرئ افدة على ان اصلها افئدة طرحت الهمزة للتخفيف فصار افدة وان كان الوجه فيه اخراجها بين بين وقيل فيه نظر لان الهمزة المتحركة الساكن ماقبلها حيث كان حرفا صحيحا انما يكون تخفيفها بنقل حركة الهمزة الى ما قبلها وحذفها كما في مسلة وخب في مسئلة وخبئ ولا يجوز جعلها بين بين لانه شبه ساكن واجتماع ساكن وشبه ساكن كاجتماع ساكنين ﴿قوله ويجوز ان يكون من افد﴾ اى من افد يأفد افدا فهو افد على وزن فعل كزفر فالمعنى فاجعل جماعة افدة يعجلون نحوهم ﴿قوله تعالى تهوى اليهم﴾ مفعول ثان لجعل وقرأ العامة بكسر الواو من هوى بفتح الواو يهوى بالكسر هويا اى سقط من اعلى الى اسفل والمعنى ههنا تسرع اليهم وقيل تحن اليهم وقيل تنزع اليهم وقرئ تهوى بفتح الواو من هوى بكسر الواو يهوى بفتحها هوى اى احب وهو يتعدى بنفسه وعدّى بالى لتضمينه معنى الميل وقرئ تهوى بضم التاء وفتح الواو على بناء المفعول من اهوى المنقول من هوى اللازم اى يسرع بها اليهم ﴿قوله وقيل ما نخفي من وجد الفرقة﴾ اى من اسماعيل وامه وهو عطف على قوله تعلم سرّنا وعلانيتنا جعل نخفي ونعلن اوّلا عاطفا من قبيل يعطى ويمنع تعميما لحسن الطلب ثم قدر لكل منهما معنى على حدة ﴿قوله تعالى الحمد لله الذى وهب لي على الكبر الآية﴾ قال ابراهيم عليه الصلاة والسلام في وقت آخر لا عقيب ما تقدم من الدعاء لان الظاهر انه عليه الصلاة والسلام دعا بذلك اوّل ما قدم بهاجر وابنها وهي ترضعه

ووضعها عند البيت واسحق ماولد فى ذلك الوقت فقد روى انه عليه الصلاة والسلام وضعها عند البيت وليس بمكة يومئذ احد ولاماء وانطلق ابراهيم نحو الشام فتبعته هاجر وقالت ياابراهيم تنزهت وتركتنابهذا الوادى الذى ليس فيه انيس ولاشئ فلم يلتفت اليها فقالت الله امرك بهذا قال نعم قالت اذا لايضيعنا ثم غاب ابراهيم عن نظرها واستقبل البيت ودعابهذه الدعوات من قوله ربنا انى اسكنت الى قوله ومايخفى على الله من شئ ولهذا اشار المصنف بقوله آنفا ودعا بهذا الدعاء اوّل ماقدم الى احتمال ان يكون الدعاء ايضا فى وقت آخر والله اعلم وكلمة على فى قوله على الكبر يحتمل ان تكون للاستعلاء المجازى اى وهب لى وانا متمكن على الكبروان تكون بمعنى مع كما فى قوله

❊ انى على ماترين من كبرى ❊ اعلم من حيث تؤكل الكتف ❊

وهو فى موضع الحال من الياء فى قوله وهب لى والمعنى وهب لى وانا كبير اى فى حال الكبر كذا فى الكشاف ومعنى البيت انى على ماترين من كبرى وتغير احوال الحواس منى اعرف الاشياء حق معرفتها لانى جربتها ومارستها فان قوله اعلم من حيث تؤكل الكتف مثل فى التجربة لان المجرّب يأخذ الكتف من اعلاها ليجذب اللحم منها وقيل تؤكل من اسفلها ليسهل ﴿ قوله اى لمجيبه ﴾ جواب عما يقال ان ابراهيم دعا ربه وجد على اجابته فكان المناسب ان يقول ان ربى مجيب الدعاء لانه تعالى يسمع الدعاء اجابه اولم يجبه ﴿ قوله وقد تقدم عذر استغفاره لهما ﴾ وكانا كافرين وهو ان المنع من الاستغفار للكافر لايعلم الابالتوقيف ولعله لم يجد المنع منه حينئذ فظن كونه جائزا ويحتمل ان يكون المراد من سؤال المغفرة لهما سؤال مايكون سببا لمغفرتهما وهو الاسلام فانه سبب لصيرورة الانسان اهلا للمغفرة فطلب الشئ طلب لما يتوقف حصوله عليه وهو المراد بقول نوح عليه الصلاة والسلام لقومه المشركين استغفروا ربكم انه كان غفارا * فان قيل كيف طلب المغفرة لنفسه وان طلبها لها يؤذن بسابقة الذنب ولايصدر الذنب من الانبياء سوى ترك الاولى ونحوه مما يعلم ان الله تعالى يغفر ذلك منهم فيكون طلبهم المغفرة لانفسهم طلبا لما يعلم حصوله * واجيب بان ليس المقصود منه الا الالتجاء الى الله وقطع الطمع فى غيره وانه ليس الا فى فضله وكرمه ورحمته ﴿ قوله مستعار من القيام على الرجل ﴾ بان شبه ثبات الحساب بقيام القائم على الرجل فاستعير القيام لذلك الثبات ثم اطلق يقوم واريد يثبت فهى استعارة تبعية كما استعير القيام على الساق لثبات الحرب ويمكن ان يقال شبه الحساب فى الثبات والاستقرار بالقائم على الرجل فاثبت له القيام على سبيل التخييل فهى استعارة مكنية قرينتها التخييلية فالمجاز على هذا التقرير فى المفرد وعلى الثالث فى الاسناد ولامجاز على الثانى لانه مبنى على تقدير المضاف ﴿ قوله والمراد تثبيته عليه الصلاة والسلام على ماهو عليه ﴾ جواب عما يرد على قوله انه خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو انه تعالى منزه عن السهو والغفلة وانه عليه الصلاة والسلام اعلم الناس بما يستحيل فى حقه تعالى فكيف نهاه الله نهيا مؤكدا عن الحسبان المذكور ﴿ قوله والوعيد ﴾ عطف على قوله تثبيته * اجاب عنه اوّلا بان المراد من النهى المذكور تقوية نشاطه على الثبات على ماهو عليه من الاعتقاد الصحيح فى حقه تعالى وثانيا بانه كناية او مجاز فى المرتبة الثانية عن التهديد والوعيد بعقوبة الظالمين على ظلمهم كقوله والله اعلم بماتعملون فانه كناية عن المجازاة ﴿ قوله وقيل انه تسلية للمظلوم وتهديد للظالم ﴾ على ان يكون الخطاب كقوله تعالى ولاتكونن من المشركين ولاتدع مع الله الها آخر لكل مكلف ولايختص به الرسول صلى الله عليه وسلم ولا من توهم غفلته فان الناس لايخلون عن المظلوم والظالم فاذا سمع المظلوم ان الله تعالى عالم بما يفعله الظالم وينتقم له هان عليه ظلمه والظالم اذا تصوّر ان الله تعالى عالم بما يفعله ولابدّ ان يجازيه على ظلمه ربما ارتدع عن ظلمه خوفا من العقوبة فقوله تعالى ولاتحسبن على جميع التقادير دليل على انه لابد من وجود يوم الحساب فان اطلاعه تعالى على مايعمله الظالمون يستلزم ان ينتقم للمظلوم ﴿ قوله وعن ابى عمرو بالنون ﴾ على طريق الالتفات من الغيبة الى التكلم وقرأ العامة يؤخرهم بياء الغيبة لتقدم اسم الله وقوله تعالى ليوم اى لاجل يوم فاللام للعلة وقيل بمعنى الى للغاية وتشخص صفة ليوم وشخوص البصر ارتفاعه وعدم استقراره فى مكانه من حدّة النظر وقيل بقاؤه مفتوحا بحيث لايغمض ولايرتدّ اليه طرفه * الجوهرى شخص بالفتح شخوصا اى ارتفع وشخص بصره فهو شاخص اذا فتح عينه وجعل لايطرف ﴿ قوله تعالى مهطعين مقنعى رؤسهم ﴾ حالان من المضاف اليه المحذوف اذ التقدير تشخص فيه ابصارهم ويجوز فى مقنعى ان يكون حالا من الضمير فى مهطعين فيكون حالا متداخلة واضافة مقنعى غير حقيقية فلذلك وقعت حالا من الضمير وقوله

(ان ربى لسميع الدعاء) اى لمجيبه من قولك سمع الملك كلامى اذا اعتدّ به وهو من ابنية المبالغة العاملة عمل الفعل اضيف الى مفعوله او فاعله على اسناد السماع الى دعاء الله تعالى على المجاز وفيه اشعار بانه دعا ربه وسأل منه الولد فاجابه ووهب له سؤله حين ما وقع اليأس منه ليكون من اجل النعم واجلاها (رب اجعلنى مقيم الصلاة) معدّلا لها مواظبا عليها (ومن ذريتى) عطف على المنصوب فى اجعلنى والتبعيض لعلمه باعلام الله او استقرآء عادته فى الامم الماضية انه يكون فى ذريته كفار (ربنا وتقبل دعاء) واستجب دعائى او وتقبل عبادتى (ربنا اغفرلى ولوالدىّ) وقرئ ولابوىّ وقد تقدم عذر استغفاره لهما وقيل اراد بهما آدم وحوّآء (وللمؤمنين يوم يقوم الحساب) يثبت مستعار من القيام على الرجل كقولهم قامت الحرب على ساق او يقوم اليه اهله فحذف المضاف واسند اليه قيامهم مجازا (ولاتحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون) خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد تثبيته على ماهو عليه من انه مطلع على احوالهم وافعالهم لايخفى عليه خافية والوعيد بانه معاقبهم على قليله وكثيره لامحالة او لكل من توهم غفلته جهلا بصفاته واغترارا بامهاله وقيل انه تسلية للمظلوم وتهديد للظالم (انما يؤخرهم) يؤخر عذابهم وعن ابى عمرو بالنون (ليوم تشخص فيه الابصار) اى تشخص فيه ابصارهم فلا تقرّ فى اماكنها من هول ماترى (مهطعين) مسرعين الى الداعى او مقبلين بابصارهم لايطرفون هيبة وخوفا واصل الكلمة هو الاقبال على الشئ (مقنعى رؤسهم) رافعيها (لايرتدّ اليهم طرفهم) بل بقيت عيونهم شاخصة لاتطرف اولا يرجع اليهم نظرهم فينظرون الى انفسهم

(وافئدتهم هوآء) خلاء اى خالية عن الفهم لفرط الحيرة والدهشة ومنه يقال للاحق والجبان قلبه هوآء اى لارأى فيه ولاقوّة قال زهير من الظلمان جؤجؤه هوآء وقيل خالية عن الخير خاوية عن الحق (وانذر الناس) يامحمد (يوم يأتيهم العذاب) يعنى يوم القيامة او يوم الموت فانه اوّل ايام عذابهم وهو مفعول ثان لانذر (فيقول الذين ظلموا) بالشرك والتكذيب (ربنا اخرنا الى اجل قريب) اخر العذاب عنا وردّنا الى الدنيا وامهلنا الى حدّ من الزمان قريب اواخر آجالنا وابقنا مقدار مانؤمن بك ونجيب دعوتك (نجب دعوتك ونتبع الرسل) جواب للامر ونظيره لولا اخرتنى الى اجل قريب فاصدق واكن من الصالحين (اولم تكونوا اقسمتم من قبل مالكم من زوال) على ارادة القول ومالكم جواب القسم جاء بلفظ الخطاب على المطابقة دون الحكاية والمعنى اقسمتم انكم باقون فى الدنيا لا تزالون بالموت ولعلهم اقسموا بطرا وغرورا او دل عليه حالهم حيث بنوا شديدا واملوا بعيدا وقيل اقسموا انهم لاينتقلون الى دار اخرى وانهم اذاماتوا لايزالون عن تلك الحالة الى حالة اخرى كقوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لايبعث الله من يموت (وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا انفسهم) بالكفر والمعاصى كعاد وثمود واصل سكن ان يعدّى بفى كقرّ وغنى واقام وقديستعمل بمعنى التبوّء فيجرى مجراه كقولك سكنت الدار (وتبين لكم كيف فعلنابهم) بما تشاهدونه فى منازلهم من آثار مانزل بهم وماتواتر عندكم من اخبارهم (وضربنالكم الامثال) من احوالهم اى بينالكم انكم مثلهم فى الكفر واستحقاق العذاب او صفات مافعلوا او فعل بهم التى هى فى الغرابة كالامثال المضروبة (وقد مكروا مكرهم) المستفرغ فيه جهدهم لابطال الحق وتقرير الباطل (وعندالله مكرهم) ومكتوب عنده فعلهم فهو مجازيهم عليه او عنده مايمكرهم به جزاء لمكرهم وابطالاله (وان كان مكرهم) فى العظم والشدّة (لتزول منه الجبال) مسوّى لازالة الجبال ومعدّالها وقيل ان نافية واللام مؤكدة لها كقوله وما كان الله ليعذبهم على ان الجبال مثل لامر النبى صلى الله عليه وسلم ونحوه وقيل مخففة من الثقيلة والمعنى انهم مكروا ليزيلوا ما هو كالجبال الراسية ثباتا وتمكنا من آيات الله تعالى وشرائعه وقرأ الكسائى لتزول بالفتح والرفع على انها المخففة واللام هى الفاصلة ومعناه تعظيم مكرهم وقرئ بالفتح والنصب على لغة من يفتح لام كى وقرئ وان كاد مكرهم

لايرتدّ اليهم فى محل النصب على انه حال من الضمير فى مقنعى والطرف فى الاصل مصدر اطلق ههنا على الفاعل وهو العين كقولهم مافيهم عين تطرف والطرف الجفن ايضا يقال ماطبق طرفه اى جفنه على الآخر والطرف ايضا تحريك الجفن ويجوز ان يكون كل واحد من قوله لايرتدّ اليهم طرفهم وقوله وافئدتهم هوآء استئنافا وان يكون حالا وقوله هوآء وان كان خبرا عن جمع فانه فى معنى فارغة وخالية ثم انه تعالى لما اوعد الظالمين بانه لايخفى عليه شئ من احوالهم وافعالهم ولكن يؤخر عذابهم ليوم القيامة الذى من صفته انه تشخص فيه الابصار وكذا امر رسوله صلى الله عليه وسلم ان ينذر الناس يوم يأتيهم ذلك العذاب المعهود على ان يوم يأتيهم مفعول ثان لانذر فانه يتعدّى الى اثنين كما فى قوله انذرتكم صاعقة ﴿قوله قال زهير﴾

كأنّ الرجل منها فوق صعل * من الظلمان جؤجؤه هواء

الصعل الصغير الرأس والعنق من الرجال والنعام ومن غيرهما والجؤجؤ من الطائر والسفينة صدرهما يهز ولايهز يصف مطية بالقلق يقول كانّ رجل هذه المطية فوق ظليم اى نعامة لاقوّة فى قلبه ولاجرآءة فان النعام يضرب به المثل فى الجبن قيل فى حق الحجاج وصفا له بالجبن

اسد علىّ وفى الحروب نعامة * فتخاء تنفر من صفير الصافر

﴿قوله اواخر آجالنا﴾ هذا على تقدير ان يكون المراد باليوم يوم موتهم معذبين بشدّة السكرات ومآلهم بمعاينة ملائكة العذاب وايقنوا بسوء عاقبتهم والاوّل على تقدير ان يراد باليوم يوم القيامة ﴿قوله على ارادة القول﴾ اى القول الجارى من قبلهم بلسان المقال والمعنى اولم تكونوا قائلين بلسان المقال والله مالنا من زوال وان كان المتبادر من ظاهر العبارة ان يكون المراد من القول قول الله تعالى او قول الملائكة فى جواب قول الذين ظلموا ربنا اخرنا الى اجل قريب ويكون المعنى والتقدير فيقال لهم على سبيل التقريع والتوبيخ اولم تكونوا الاان عطف قوله اودل عليه حالهم يدل على ان المراد منه القول الجارى من قبلهم كأنه قيل اولم تكونوا اقسمتم بلسان المقال صريحا او بدلالة الحال وشهادة الافعال هذا هو المفهوم من تقرير الكشاف ويحتمل ان يكون مراد المصنف من قوله على ارادة القول ماذكرنا من انه المتبادر الى الذهن ويكون قوله اودل عليه حالهم معطوفا على قوله اقسموا بطرا وغرورا ويكون مقصوده انه لما حكى عنهم انهم اقسموا على انهم باقون فى الدنيا لايزالون عنها بالموت ورد ان يقال كيف يقسموا عليه وليسوا بمجانين اجاب عنه بقوله ولعلهم اقسموا عليه بطرا وغرورا اودل عليه حالهم ﴿قوله تعالى وسكنتم فى مساكن الذين﴾ عطف على قوله اقسمتم اى ولم تكونوا سكنتم فهو تقريع ثان للذين ظلموا فانهم لما سكنوا فى مساكن الذين كفروا وعصوا وبين لهم ماحل بهم بسبب كفرهم وتكذيبهم الانبياء ولم يعتبروا فقد استوجبوا الذم والتقريع ﴿قوله واصل سكن الخ﴾ اشارة الى وجه تعدّيه تارة بفى كما فى هذه الآية وتارة بدونها * وقرأ العامة وتبين فعلا ماضيا وقرئ ونبين بضم النون الاولى والثانية على انه مضارع بين وهو خبر مبتدأ محذوف والجملة حال اى ونحن نبين وفاعل تبين مضمر لدلالة الكلام عليه اى وتبين لكم حالهم وخبرهم وهو هلاكهم بطريق الاستئصال وكيف فى موضع النصب بفعلنا ولايجوز ان يكون فاعلا ﴿قوله اى بينالكم انكم مثلهم فى الكفر﴾ فيكون لكم متعلقا بمحذوف فى محل النصب على انه حال من الامثال والتقدير ضربنا امثالا احوالهم ثابتة لكم والمراد بالامثال معناها اللغوى وعلى الثانى تكون الامثال مستعارا لصفات مافعلوا وما فعل بهم تشبيها لها بالامثال المضروبة فى الغرابة لماذكر الله تعالى صفة عقابهم اتبعها بذكر كيفية مكرهم فقال وقد مكروا مكرهم الخ ﴿قوله المستفرغ فيه جهدهم﴾ هذه المبالغة والاهتمام بالمكر مستفادة من اضافة المكر اليهم لان صناديد قريش لما اشتهروا بشدّة الشكيمة والتمادى فى الطغيان كان ما اضيف اليهم من المكر المتعلق بابطال الحق وتقرير الباطل مكرا مبذولا فيه جهدهم ونهاية قدرتهم ﴿قوله ومكتوب عنده فعلهم﴾ مبنى على ان يكون المكر مضافا الى فاعله كالمكر الاوّل والمعنى ان مكرهم الذى مكروه مكتوب عندالله وقوله اوعنده مايمكرهم به على ان يكون المصدر مضافا الى مفعوله ومكر الله تعذيبه اياهم وسمى مكرا للمشاكلة ﴿قوله مسوّى لازالة الجبال ومعدّا لها﴾ على ان تكون كلمة أن شرطية حذف جوابها لدلالة قوله وعندالله مكرهم عليه والتقدير وان كان مكرهم معدّا لازالة امثال الجبال الرواسى وهى المعجزات والآيات فالله تعالى مجازيهم بمكرهم واعظم من مكرهم ﴿قوله وقيل ان نافية واللام مؤكدة لها﴾ اى للنفى المستفاد منها فان اللام حينئذ هى لام الجحود التى ينتصب الفعل بعدها باضمار ان لوقوعها بعد كون منفى وخبر كان

(فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله) مثل قوله انا لننصر رسلنا كتب الله لاغلبن انا و رسلي و اصله مخلف رسله وعده فقدم المفعول الثاني ايذانا بانه لايخلف الوعد اصلا لقوله ان الله لا يخلف الميعاد و اذا لم يخلف وعده احدا فكيف يخلف رسله (ان الله عزيز) غالب لايماكر قادر لا يدافع (ذو انتقام) لاوليائه من اعدآئه (يوم تبدل الارض غير الارض) بدل من يوم يأتيهم او ظرف للانتقام او مقدر باذكر او لا يخلف وعده ولا يجوز ان ينتصب بمخلف لان ماقبل ان لايعمل فيما بعده (والسموات) عطف على الارض وتقديره والسموات غير السموات والتبديل يكون في الذات كقولك بدلت الدراهم بالدنانير وعليه قوله بدلناهم جلودا غيرها وفي الصفة كقولك بدلت الحلقة خاتما اذا اذبتها وغيرت شكلها وعليه قوله يبدل الله سيئاتهم حسنات والآية تحتملهما فعن علي رضي الله تعالى عنه تبدل ارضا من فضة وسموات من ذهب وعن ابن مسعود وانس رضي الله تعالى عنهما يحشر الناس على ارض بيضاء لم يخطئ عليها احد خطيئة وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هي تلك الارض وانما تغير صفاتها ويدل عليه ماروى ابو هريرة رضي الله تعالى عنه انه صلى الله عليه وسلم قال تبدل الارض غير الارض فتبسط وتمد مد الاديم العكاظي لاترى فيها عوجا ولا امتا واعلم انه لايلزم على الوجه الاول ان يكون الحاصل بالتبديل ارضا وسماء على الحقيقة ولا يبعد على الثاني ان يجعل الله الارض جهنم والسموات الجنة كما اشعر به قوله تعالى كلا ان كتاب الابرار لفي عليين وقوله ان كتاب الفجار لفي سجين (وبرزوا) من اجداثهم (لله الواحد القهار) لمحاسبته ومجازاته وتوصيفه بالوصفين للدلالة على ان الامر في غاية الصعوبة كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار فان الامر اذا كان لواحد غلاب لايغالب فلا مستغاث لاحد الى غيره ولا مستجار (وترى المجرمين يومئذ مقرنين) قرن بعضهم مع بعض بحسب مشاركتهم في العقائد والاعمال لقوله واذا النفوس زوجت او قرنوا مع الشياطين او مع مااكتسبوا من العقائد الزآئغة والملكات الباطلة او قرنت ايديهم وارجلهم الى رقابهم بالاغلال وهو يحتمل ان يكون تمثيلا لمؤاخذتهم على مااقترفته ايديهم وارجلهم (في الاصفاد) متعلق بمقرنين او حال من ضميره و الصفد القيد وقيل الغل قال سلامة بن جندل * وزيد الخيل قد لاق صفادا * يعض بساعد وبعظم ساق * واصله الشد

محذوف عند البصريين تعلق به هذه اللام والتقدير وما كان مكرهم مريدا لازالة ماهو كالجبال لان انتفاء ارادة الفعل آكد من انتفاء نفس الفعل وهو معنى قوله اللام مؤكدة لان النافية كما ان قوله ما كان الله مريدا لتعذيبهم آكد من قولك ما كان الله يعذبهم وعلى تقدير كونها مخففة من الثقيلة تكون اللام فارقة بين النافية و المخففة ويكون المقصود تعظيم مكرهم لان مافعل لازالة ماهو كالجبال الراسية في الثبات والقوة يكون في غاية الشدة والقوة بخلاف ما اذا كانت نافية فان المعنى حينئذ حصر مكرهم ببيان انه ما كان مكرهم بحيث تزول منه الشرآئع التي هي كالجبال لانه تعالى وعد نبيه صلى الله عليه وسلم اظهار دينه على كل الاديان فكيف يزول امره الذي هو دين الاسلام بمكرهم فان مكرهم اوهن واضعف من ان تزول منه الجبال الراسيات التي هي دين محمد صلى الله عليه وسلم ودلائل شريعته ويؤيد صحة هذا المعنى قوله تعالى بعد هذه الآية فلاتحسبن الله مخلف وعده رسله اي قد وعدك الظهور عليهم فلا يخلف وعده بمكرهم وقوله تعالى فلاتحسبن على جميع التقادير الظاهر انه جواب شرط محذوف اي اذا تقرر ان مكرهم مكتوب عند الله وهو مجازيهم عليه فلاتحسبن او اذا تقرر ان مكرهم اوهن من ان يزول منه امرك الذي هو اثبت واقوى من الجبال الراسيات فلاتحسبن **﴿قوله مثل قوله انا لننصر رسلنا﴾** يعني ان المراد بالوعد قوله تعالى في غير هذا الموضع انا لننصر رسلنا وقوله كتب الله لاغلبن انا ورسلي ويحتمل ان يكون المراد به مايفهم من قوله في هذا الموضع وعند الله مكرهم فانه على التقديرين دال على انه تعالى يجازيهم على مكرهم وينصر رسوله عليهم **﴿قوله واصله مخلف رسله وعده﴾** لان فعل الاخلاف يتعدى الى مفعولين اولهما الموعود له وهو ههنا الرسل وحق المفعول الاول ان يقدم على الثاني يقال اخلفه ماوعده وهو ههنا الرسل لكن قدم المفعول الثاني واضيف اليه اسم الفاعل تخفيفا نحو هذا الكاسي جبة زيدا قيل لما تعدى الفعل اليهما لم يبال بالتقديم والتأخير والاخلاف ان يقول شيأ ولا يفعله **﴿قوله ايذانا بانه لايخلف الوعد اصلا﴾** اعترض عليه بانه لما كان رسله مفعولا كان اخلاف الوعد مقيدا به سوآء قدم على الوعد او اخر فلم يكن اخلاف الوعد مطلقا ثم قيد برسله واجيب بان المفعول الثاني حقه التأخير فلما قدم دل على انه اهم والعناية بشأنه اتم فالمقصود الاصلي من الكلام ليس الا نفي اخلاف الوعد واما نفي خلف وعد الرسل فهو شيء متفرع على ذلك لانه لما لم يكن من شان الله تعالى اخلاف الوعد كان عدم اخلافه وعد من هو خيرته وصفوة عبيده تابعا له وثابتا بطريق الاولى ونظيره في تقديم المفعول الثاني على الاول للاهتمام بشأنه قوله تعالى في سورة الانعام وجعلوا لله شركاء الجن فانه قدم الشركاء ليدل على ان المقصود الاصلي استعظام اتخاذ الشركاء ونفي شركاء الجن تابع لهذا المقصود ومتفرع عليه **﴿قوله تعالى وبرزوا﴾** معطوف على قوله تبدل الارض وهو ماض يراد به الاستقبال كقوله تعالى ونادى اصحاب النار **﴿قوله قرن بعضهم مع بعض﴾** يعني ان قوله مقرنين فيه ثلاثة اوجه الاول ان بعض الكفار قرن ببعض على حسب تجانس مااكتسبوه من العقائد الزآئغة والملكات الباطلة المتجانسة فمن حيث الجزآء ايضا تجتمع اصحابها فان الجنسية سبب الاجتماع في الامور المتجانسة والثاني قرن كل كافر مع شيطانه في سلسلة قال الله تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين والعاشي عن سوآء السبيل لما كان يتبع الشيطان ويأتمر بامره حشر معه مقرونا في سلسلة واحدة او مع مااكتسبه من العقائد الزآئغة والملكات الباطلة التي هي بمنزلة الشيطان بالنسبة اليه في كونها سببا لتأذي نفسه منها وخروجها من الاعتدال اللائق بها والثالث قرنت ايديهم وارجلهم الى رقابهم بالاغلال اما حقيقة واما على ان يكون الايدي والارجل عبارة عن الافعال الصادرة من الجوارح والاعضاء على طريق اطلاق اسباب الاكتساب على الامور المكتسبة بتلك الاسباب ويكون مقارنة تلك الامور الى الرقاب عبارة عن مؤاخذة انفسهم بها يقال قرنت الشيء بالشيء اذا وصلته به وجاء ههنا على التشديد لكثرة هؤلاء القوم فان بناء التفعيل قد يكون لتكثير المفعول نحو فتحت الابواب والاصفاد جمع صفد وهو القيد قال عطاء يريد سلاسل الحديد والاغلال وكل من شددته شدا وثيقا فقد صفدته قال الراغب الصفد والصفاد الغل وجمعه اصفاد وفي الصحاح صفده يصفده صفدا اي شده واوثقه وكذلك التصفيد والصفاد مايوثق به الاسير من قيد وغل والاصفاد القيود وبيت سلامة يدل على انه اطلق الصفاد على مايتناول كل واحد من الغل والقيد فان الغل يوضع على الساعد والعنق والقيد يوضع على الرجل وظاهر البيت يدل على ان صفادا واحدا يعض ويجمع تلك الثلاث فكأنه نوع من الغل تجمع فيه الرجل واليد وتشدان على العنق وزيد الخيل اسم رجل من قبيلة طي قدم على النبي صلى

(الله)

(سرابيلهم) قصانهم (من قطران) وجاء قطران وقطران لغتين فيه وهو مايتحلب من الابهل فيطبخ فتهنأ به الابل الجربى فيحرق الجرب بحدّته وهو اسود منتن تشتعل فيه النار بسرعة يطلى به جلود اهل النار حتى يكون طلاؤه لهم كالقمص ليجتمع عليهم لذع القطران ووحشة لونه ونتن ريحه

مع اسراع النار فى جلودهم على ان التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين النارين ويحتمل ان يكون تمثيلا لما يحيط بجوهر النفس من الملكات الرديئة والهيئات الوحشية فيجلب اليها انواعا من الغموم والآلام وعن يعقوب قطرآن والقطر النحاس او الصفر المذاب والآنى المتناهى حره والجملة حال ثانية او حال من ضمير مقرّنين (وتغشى وجوههم النار) اى وتتغشاها لانهم لم يتوجهوا بها الى الحق ولم يستعملوا فى تدبره مشاعرهم وحواسهم التى خلقت فيها لاجله كما تطلع على افئدتهم لانها فارغة عن المعرفة مملوءة بالجهالات ونظيره قوله افمن يتقى بوجهه سوء العذاب يوم القيامة وقوله تعالى يوم يسحبون فى النار على وجوههم (ليجزى الله كل نفس) اى يفعل بهم ذلك ليجزى كل نفس مجرمة (ما كسبت) او كل نفس من مجرمة او مطيعة لانه اذا بين ان المجرمين يعاقبون لاجرامهم علم ان المطيعين يثابون لطاعتهم ويتعين ذلك ان علق اللام ببرزوا (ان الله سريع الحساب) لانه لا يشغله حساب عن حساب (هذا) اشارة الى القرءآن او السورة او ما فيه من العظة والتذكير او ما وصفه من قوله ولا تحسبن الله (بلاغ للناس) كفاية لهم فى الموعظة (ولينذروا به) عطف على محذوف اى لينصحوا ولينذروا بهذا البلاغ فتكون اللام متعلقة بالبلاغ ويجوز ان تتعلق بمحذوف تقديره ولينذروا به انزل او تلى وقرئ بفتح الياء من نذر به اذا علمه واستعدّ له (وليعلموا انما هو اله واحد) بالنظر والتأمل فيما فيه من الآيات الدالة عليه او المنبهة على ما يدل عليه (وليذكر اولوا الالباب) فيرتدعوا عما يرديهم ويتدرعوا بما يحظيهم واعلم انه سبحانه وتعالى ذكر لهذا البلاغ ثلاث فوآئد هى الغاية والحكمة فى انزال الكتب تكميل الرسل للناس واستكمالهم القوّة النظرية التى منتهى كمالها التوحيد واستصلاح القوّة العملية الذى هو التدرع بلباس التقوى جعلنا الله من الفائزين بهما

وعن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ابراهيم اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من عبد الاصنام وعدد من لم يعبد

الله عليه وسلم وسماه صلى الله عليه وسلم زيد الخيل ومات منصرفه من عند النبى صلى الله عليه وسلم محموما وقوله مقرنين حال من المجرمين ان كانت الرؤية بصرية ومفعول به ثان ان كانت علمية وفى الاصفاد اما ظرف متعلق بمقرنين او ظرف مستقر متعلق بمحذوف حال من ضمير المجرمين وقوله سرابيلهم من قطران حال ثانية من المجرمين او حال من الضمير فى مقرنين وكذا قوله وتغشى وجوههم النار على انها معطوفة على الحال الاان الاخيرتين حالان مقدرتان او جملتان مستأنفتان لامحل لهما من الاعراب مقتطعتان عن كلم الرؤية لان قوله مقرنين بيان لحالهم فى الموقف الى ان يكب بهم فى النار والحالان الاخيرتان لبيان حالهم بعد دخول النار كان قوله مقرنين حرك فى السامع ان يقول اذا كان هذا شأنهم وهم فى الموقف فكيف حالهم وهم فى جهنم خالدون فاجيب بقوله سرابيلهم من قطران واوثر الفعل المضارع فى قوله وتغشى ولم يجعل اسمية كما قبله لاستحضار الحال والدلالة على تجدد الغشيان حالا فحالا **قوله وجاء قطران وقطران لغتين فيه** يعنى ان قرآءة العامة قطران بفتح القاف وكسر الطاء وجاء فيه لغتان غيرها احداهما قطران بفتح القاف وسكون الطاء على وزن سكران والاخرى قطران بكسر القاف وسكون الطاء على وزن سرحان وهو ما يتحلب اى يستخرج من شجر يسمى الابهل والعرعر ايضا فيطبخ ويطلى به الابل الجربى فيحرق الجرب بحدته وحرارته والسربال القميص وسربلته فتسربل اى البسته السربال وجمعه سرابيل فلذلك قال المصنف قصانهم وهو جمع قيص ويحتمل ان يكون قوله تعالى سرابيلهم من قطران استعارة تمثيلية مبنية على تشبيه الهيئة الحاصلة لجوهر النفس من احاطة الملكات الرديئة والهيئات القبيحة بها بحيث يترتب على تلك الاحاطة اغتمام النفس بانواع من الغموم والآلام بالهيئة الحاصلة من تسربل البدن سربالا من القطران بحيث يترتب على ذلك التسربل ما ذكر من الانواع الاربعة المعدة وهى لذع القطران بحرارته وحدته ووحشة لونه **قوله وعن يعقوب قطرآن** بفتح القاف وكسر الطاء وتنوين الراء وآن على وزن رام فيكون قطرآن كلمتين والقطر النحاس او الصفر المذاب والآنى اسم فاعل من انى يأنى انا اى تناهى فى الحرارة قال الله تعالى وبين حميم آن **قوله اى وتتغشاها** اى يجب على قرآءة وتغشى بتشديد الشين ان يحمل الكلمة على المضارع بحذف احدى التاءين لتوافق المشهورة فيكون تفعل بمعنى فعل نحو تيسر بمعنى يسر كما ان تغشاه بمعنى غشيه فقوله تتغشاها بمعنى تعلوها وتغطيها **قوله كما تطلع على افئدتهم** يعنى انه تعالى خص القلب والوجه بظهور آثار العذاب فيهما حيث قال فى القلب نار الله الموقدة التى تطلع على الافئدة وقال فى الوجه وتغشى وجوههم النار لان الحكمة فى خلق المكلفين انما هى معرفة ربهم وخالقهم بمعاينة ما يدل على كمال علمه وقدرته واستعمال المشاعر والحواس المجتمعة فى الرأس والوجه ليؤدى استعمالها الى المعرفة التى موضعها القلب ليخضعوا لعظمته وكبريائه ويرغبوا فى طاعته ومرضاته ويجتنبوا عن سخطه وعقابه ويحوزوا بذلك سعادة الدارين فمن اهمل هذه القوى التى هى اسباب السعادات كلها لجدير ان يكون معظم ما يتعلق به من العذاب ظاهرا فى محال تلك القوى **قوله** ونظيره قوله تعالى **افمن يتقى بوجهه سوء العذاب** فان من اصاب وجهه اذى فى الدنيا يتقى عنه بيده والمجرمون لما كانت ايديهم مغلولة الى اعناقهم لايقدرون على ان يتقوا النار بايديهم فلا جرم يتقونها بوجوههم **قوله اى يفعل بهم ذلك ليجزى** يعنى ان اللام متعلقة بمحذوف ولما ورد ان يقال تعذيب المجرمين كيف يصح تعليله بمجازاة كل نفس بما كسبت فان علته ليست الا مجازاة انفسهم فقط لا مجازاة عامة النفوس اشار الى دفعه بوجهين الاول ان المراد بكل نفس النفوس المجرمة والثانى ان تعذيب المجرمين لاجرامهم لما استلزم اثابة المطيعين لطاعتهم كان قوله يفعل بهم ذلك متضمنا لكل واحد من الاثابة والتعذيب فصح تعليله بمجازاة كل نفس على العموم ثم اشار الى جواز كون اللام فى ليجزى متعلقة بقوله وبرزوا فحينئذ لا حاجة الى تخصيص كل نفس بالمجرمين بل يتعين ابقاؤه على عمومه **قوله ذكر لهذا البلاغ ثلاث فوآئد** ذكر الفائدة الاولى بقوله ولينذروا به وذكر الثانية بقوله وليعلموا انما هو اله واحد والثالثة بقوله وليذكر واعلم ان النفس الناطقة لها قوتان نظرية تستكمل بها النفس معرفة الموجودات باقسامها التى هى الواجب لذاته وصفاته وآثاره الممكنة من الجواهر العلوية والسفلية ومعلولات الاعراض القائمة بها حتى تصير النفس بتلك المعرفة عالما آخر ارتسمت فيه صور جميع الموجودات من اجناسها وانواعها واصنافها مضاهيا للعالم الاكبر الذى تحققت فيه اعيان الموجودات المذكورة واجل هذه المعارف معرفة

ذات الواجب بصفات جلاله وجماله و قوّة عملية تمكن النفس بها على اعمال جوارحها و قواها الظاهرة و الباطنة وتستعين بها فى تحصيل المقاصد الدنيوية و الاخروية التى هى الاعمال الصالحة وهى التى عبر عنها المصنف بالتدرع بلباس التقوى والمراد بالتقوى ههنا التجنب عن كل مايؤثم من فعل او ترك فقوله تعالى وليعلموا انما هو اله واحد اشارة الى مايجرى مجرى الرئيس بكمال القوّة النظرية وقوله وليذكر اولوا الالباب اشارة الى مايجرى مجرى الرئيس بكمال حال القوّة العملية فان غاية هذا التذكر وفائدته هى الاعراض عن الاعمال الباطلة و الاقبال على الاعمال الصالحة وهذه الآيات مشعرة بان التذكر بهذه المواعظ والنصائح يوجب الوقوف على التوحيد والاقبال على العمل الصالح والوجه فيه ان من سمع هذه التخويفات والتحذيرات عظم خوفه و اشتغل بالنظر و التأمل والنظر يوصل الى معرفة التوحيد والنبوّة والاشتغال بالاعمال الصالحة * واعلم ان هذه الآية الكريمة دالة على ان العقل اشرف مايتوصل به الى الحق لان اعز المطالب واكرم المواهب هو هداية الله تعالى بانزال الكتب و بعثة الرسل وقد تبين بهذه الآية ان من ينتفع به ويتذكرهم اولوا الالباب فظهر به ان من لا لب له كالبهائم اللهم اجعلنا من المهتدين بنور العقل والمتذكرين بنصائحك ومواعظك يارب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين

﴿ سورة الحجر مكية بالاجماع وهى تسع وتسعون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ قوله الر تلك ايات الكتاب وقرءآن مبين ﴾ قدمر ان فواتح السور يحتمل ان تكون اسماء لها وان تكون مذكورة على نمط التعديد للتحدى وتعديد دليل الاعجاز اما من جهة التحدى مركب من جنس مامنه كلامهم وقد عجزوا عن اتيان مثله اومن جهة ان من يأتى بهذه الفواتح لم يكتب ولم يقرأ ولم يخالط الكتب فعلم اسامى حروف المبانى من مثله معجزة فيكون الافتتاح بالمقطعات للايقاظ وقرع العصا من جملة المعجزات الخارقة للعادة فعلى هذا لايكون لها محل من الاعراب والذى يلوح من تقرير المصنف ان يكون الر اسما لهذه السورة الكريمة ويكون كلاما مستقلا تقديره هذه الر مثل قولك هذا زيد اى مسمى بزيد ويكون تلك اشارة الى مافى ضمنها من الآيات مرفوعة المحل على الابتداء وآيات الكتاب خبره ووصف الكتاب بكونه كاملا مستفاد من التعريف الجنسى فان تعريف الخبر فى مثل زيد الشجاع يفيد الحصر فيدل على ان زيدا لكماله فى الشجاعة لاينبغى لاحد سواه ان يدعى شجاعا فكذا اذا كان الخبر مضافا الى المعرف بلام الجنس فاذا اخبرت عن آيات هذه السورة بانها آية السورة دل ذلك على كمالها وتفضيل الشئ على غيره ادّعاء لايستلزم ان يكون ماعداه مفضولا بالنسبة اليه حقيقة واذا كان المراد بالقرءآن ايضا السورة يكون عطفه على الكتاب من قبيل عطف الصفات بان يكون الكتاب عبارة عن السورة الموصوفة بالكمال والقرءآن عبارة عن السورة الموصوفة بانها المقروء المبين والواو المتوسطة بين الصفات تفيد الجمع بينها والمبين من ابان المتعدى وتنكير قرءآن مبين للتفخيم فيرجع المعنى الى انه قرءآن جامع لفخامة الشان وغرابة البيان ولما كان فى التعريف نوع من الفخامة وفى التنكير نوع آخر وكان الغرض الجمع بينهما عرف الكتاب ونكر القرءآن وان كان الافتتاح بقوله الر للايقاظ وتعديد دليل الاعجاز فحينئذ يحتمل ان يكون تلك اشارة الى مابعده كما فى قولك هذا اخوك فانه نقل عن الزمخشرى ان هذا لايكون اشارة الى غير الاخ وان المشار اليه لايجب ان يكون موجودا حاضرا بل يكفى ان يكون موجودا ذهنا وجملة تلك آيات الكتاب لامحل لها ان قيل الر كلام مستقل جيء به لمجرد التنبيه والايقاظ وفى محل الرفع على الخبرية ان قيل الر مبتدأ ﴿ قوله حين عاينوا حال المسلمين ﴾ اختلف فى وقت ودادتهم ذلك والاصح ماقاله الزجاج فان حال الكافر كلما رأى حالا من احوال العذاب ورأى حالا من احوال المسلم ودّ لوكان مسلما روى عن ابى موسى الاشعرى رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم * اذا كان يوم القيامة واجتمع اهل النار فى النار ومعهم من شاء الله من اهل القبلة قال الكفار لهم ألستم مؤمنين قالوا بلى قالوا فما اغنى عنكم اسلامكم وقد صرتم معنا فى النار فيتفضل الله تعالى بفضل رحمته فيأمر باخراج كل من كان من اهل القبلة من النار فيخرجون * فحينئذ يودّ الذين كفروا لوكانوا مسلمين وقيل وقت ودادتهم حين حلول الموت ونزول ملائكة العذاب فانهم اذا شهدوا علامات العذاب ودّوا لوكانوا مسلمين وقيل يودّون ذلك اذا اسودّت وجوههم ونودى امتازوا اليوم ايها المجرمون ﴿ قوله وما كافة ﴾ اعلم ان رب حرف جرّ تلحقها ما على وجهين احدهما ان تكون بمعنى شئ كما فى قول الشاعر

﴿ سورة الحجر مكية وهى تسع وتسعون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الر تلك آيات الكتاب وقرءآن مبين) الاشارة الى آيات السورة والكتاب هو السورة وكذا القرءآن وتنكيره للتفخيم اى آيات الجامع لكونه كتابا كاملا وقرءآنا يبين الرشد من الغى بيانا غريبا (ربما يود الذين كفروا لوكانوا مسلمين) حين عاينوا حال المسلمين عند نزول النصر او حلول الموت او يوم القيامة وقرأ نافع وعاصم ربما بالتخفيف وقرئ ربما بالفتح والتخفيف وفيها ثمان لغات ضم الراء وفتحه مع التشديد والتخفيف وبتاء التأنيث ربتما ودونها وما كافة تكفه عن الجر فيجوز دخوله على الفعل وحقه ان يدخل الماضى لكن لما كان المترقب فى اخبار الله تعالى كالماضى فى تحققه اجرى مجراه

❊ ربما تكره النفوس من الامر له فرجة كحل العقال ❊

فكلمة تكره النفوس صفته بحذف العائد والتقدير رب شئ تكرهه النفوس ولولا انها اسم لماجاز عود الضمير اليها والوجه الثانى ان تكون كافة تكف الحرف عن العمل ولماصارت مكفوفة عنه تهيأت وصلحت للدخول على مالم تكن تدخل عليه قبل كونها مكفوفة فان رب حال كونها عاملة انما تدخل على الاسم المفرد وتجره نحوه رب رجل كريم لقيته ولاتدخل على الفعل فلمادخلت عليها ماهيأتها للدخول على الفعل كما فى هذه الآية ثم انهم اتفقوا على ان كلمة رب اذادخلت على الفعل لاتدخل الاعلى غيرالمستقبل كمايقال ربماقصدنى عبدالله لانها لتقليل ماثبت وتحقق وقيل هى لتقليل المحقق فلامعنى لدخولها على المستقبل ولاينتقض بدخولها على المستقبل فى قوله ربماتكره النفوس لمامرّ من انها داخلة على اسم نكرة والقاعدة انماهى فيما اذا دخلت على الفعل لكنه ينتقض بهذه الآية حيث دخلت فيها على المستقبل على تقدير كون ما كافة * قال الامام قول النحويين انه لايجوز دخول رب على الفعل المستقبل لايمكن تصحيحه بالدليل العقلى وانما الرجوع فيه الى النقل والاستعمال ولوانهم وجدوا بيتا مشتملا على هذا الاستعمال لقالوا انه جائز صحيح وكلام الله تعالى اقوى والحمل فى الاستدلال بالجواز اولى فلم لم يتمسكوا فى دخولها على المستقبل بهذه الآية والحمل على جوازه وصحته ثم قال اجاب النحويون عن النقض المذكور بوجهين الاوّل قالوا المترقب فى اخبار الله تعالى بمنزلة الماضى المقطوع به فى تحققه فكأنه قيل ودّوا والثانى ان كلمة ما فى قوله ربما يودّ الذين كفروا اسم ويودّ صفته والتقدير رب شئ يودّ الذين كفروا

﴿ قوله ومعنى التقليل فيه ﴾ جواب عن سؤال مبنى على مقدمة وهى انهم اتفقوا على ان رب موضوعة للتقليل وهى فى التقليل نظيركم فى التكثير فاذاقال الرجل ربمازور فلانادل ربما على تقليل الزيارة قال الزجاج من قال ان رب يعنى بها الكثرة فكلامه مخالف لمايعرف من اهل اللغة والسؤال المتفرع عليها هو ان تمنى الكافر الاسلام كثير دآئم فلايليق به لفظة ربما التى تفيد التقليل * وتقرير الجواب انه لاشك فى كثرة ودادتهم الاسلام لكنها صوّرت بالقلة لكون التقليل ابلغ فى التهديد والمعنى ان ودادتهم الاسلام وتمنيهم ذلك لوكانت قليلة بل مرّة لوجب مسارعتهم الى الاسلام فكيف اذا كانت كثيرة مستمرّة فى كل ساعة وقوله فبالحرىّ مبتدأ وان يسارعوا خبره والباء زآئدة كما فى قولك بحسبك درهم والتقدير فالحرى اى الحقيق المسارعة اليه والفاء فى فكيف جواب شرط محذوف تقديره اذا كفى ودادتهم مرّة فى المسارعة الى الاسلام فكيف لايسارعون اليه والحال انهم يودّون فى كل ساعة * فان قلت قوله يودّ لابدّ له من مفعول فامفعوله * فالجواب انه محذوف اى يودّون اسلامهم فحينئذ تكون كلمة لو فى قوله لوكانوا مسلمين امتناعية ويكون جوابها محذوفا تقديره لوكانوا مسلمين لسرّوا بذلك وتخلصوا مماهم فيه ويحتمل ان تكون لو مصدرية لوقوعها بعدفعل دال على معنى التمنى فحينئذ يكون المصدر المأوّل مفعولا ليودّ اى يودّون كونهم مسلمين وقدذكر فى شرح الرضى ان كلمة لو فى قولهم يودّوا لوانهم بادون بمعنى ان المصدرية وليست بشرطية لجيئها بعد فعل دال على معنى التمنى وهذا على تقدير ان تكون ما كافة واما ان جعلتها نكرة موصوفة فحينئذ يكون مفعول يودّ ضميرا محذوفا يعود الى النكرة الموصوفة وتكون لو المصدرية مع مافى حيزها بدلا من ما

﴿ قوله وقيل تدهشهم اهوال القيامة ﴾ اى قيل فى وجه تقليل ودادة الكافر الاسلام ان غلبة الدهشة عليهم تجعلهم مبهوتين متحيرين بحيث تمنعهم غلبة الحيرة عليهم من تمنى الاسلام الافى زمان افاقتهم عماهم فيه من الفكرة والدهشة ومن المعلوم ان زمان افاقتهم فى غاية القلة فلاجرم تقل ودادتهم الاسلام ﴿ قوله والغيبة فى حكاية ودادتهم ﴾ يعنى ان قوله تعالى لوكانوا مسلمين حكاية لودادتهم بقول مقدّر والتقدير يودّ الذين كفروا قائلين لوكانوا مسلمين فالظاهر حينئذ ان يقال لوكنا مسلمين لتكون الحكاية مطابقة للمحكى الا انه جئ بها على لفظ الغيبة لتطابق اللفظ الذى ذكر قبلها وهو قوله الذين كفروا * واعلم ان قوله تعالى ربما يودّ الذين كفروا لوكانوا مسلمين الى قوله وما يستأخرون جملة معترضة بين قوله الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين وبين قوله ياايها الذى نزّل عليه الذكر انك لمجنون فانه تعالى لمابالغ فى وصف آيات هذه السورة الكريمة بماينبئ عن بلوغها الى اقصى درجات الكمال وحكى عن المشركين انهم بالغوا فى التكذيب حتى قالوا على سبيل خطاب المواجهة ياايها الذى نزّل عليه الذكر انك لمجنون سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله ربما يودّ الذين كفروا والمعنى هوّن على نفسك فانك بالغت فى الارشاد والانذار وهم ايضا افرطوا فى التكذيب والانكار فهم قوم جهلة عديموا الدراية والاعتبار فانهم لوكانوا يودّون الاسلام مرّة فالحرىّ

وقيل ما نكرة موصوفة كقوله رب
تكره النفوس من الامر له فرجة كحل
العقال ومعنى التقليل فيه الايذان بانه
لوكانوا يودون الاسلام مرّة فبالحرى
ان يسارعوا اليه فكيف وهم يودّونه كل
ساعة وقيل تدهشهم اهوال القيا
فان حانت منهم افاقة فى بعض الاوقا
تمنوا ذلك والغيبة فى حكاية ودادته
كالغيبة فى قولك حلف بالله ليفعلنّ (ذرهم
دعهم (يأكلوا ويتمتعوا) بدنياه
(ويلههم الامل) ويشغلهم توقعهم لطو
الاعمار واستقامة الاحوال عن الاستعدا
للمعاد

ان يسارعوا اليه فكيف وهم يودّونه كل ساعة واذا كان كذلك فاقطع طمعك فى ارعوائهم ودعهم من النهى عماهم عليه من الاغترار بالحظوظ العاجلة وعدم الالتفات الى مايؤدّى الى سعادة الآخرة واللذة الباقية بل مرهم امر تهديد بأكل الطعام والتمتع فيها اياماقلائل فسوف يعلمون سوء صنعهم ﴿ قوله وفيه ازام الحجة ﴾ اى فى قوله ذرهم مع تخصيص الاكل والتمتع بالمشتهيات والتلهى بالامل بالذكر فان تخلية الرسول صلى الله عليه وسلم بينهم وبين مايشتهون وصدّه عن انذارهم ودعوتهم الى الحق لايكون الاعند تكرر الانذار والجحود الى ان يحصل اليأس من الايمان كأنه قيل قد بالغت فى الانذار والزمت الحجة فدعهم بعد ذلك الى ان يعاينوا جزآء اصرارهم وعنادهم فقوله تعالى ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ليس امر تكليف بل هو على طريق التهديد والتوعيد والابلاغ فى الوعيد والتأكيد كقوله تعالى اعملوا ماشئتم انه بماتعملون بصير وقوله تعالى ويلههم الامل اى يشغلهم مايؤملون من امور الدنيا عن الاخذ بحظهم من الايمان والطاعة يقال الهاه الشئ اى شغله وانساه ثم انه تعالى لماهدّد المكذبين المعاندين بقوله فسوف يعلمون بين ان تأخير العذاب ليس مبنيا على الاهمال بل هو امهالهم ليبلغوا الاجل المقدّر لهم فقال وما اهلكنامن قرية اى من اهل قرية قبل ان يبلغوا اجلهم فهذا الامهال لاينبغى ان يحصل به العاقل لان العذاب مؤخر وان كل اجل له وقت معين لنزوله لايتقدّم ولا يتأخر ﴿ قوله والمستثنى جملة واقعة صفة لقرية ﴾ لان قوله الاولها كتاب استثناء مفرغ من الصفة وتقدير الكلام وما اهلكنا من قرية على اى صفة الاعلى صفة انها لها كتاب معلوم ولانه فى قوّة قوله اهلكنا قرية لها كتاب معلوم فلها كتاب معلوم صفة لقرية ﴿ قوله والاصل ان لاتدخلها الواو ﴾ يعنى ان القياس ان لايتوسط العاطف بين الصفة والموصوف لشدّة اتصالها به لكن لما كانت الصفة كالحال فى المعنى وان كان بينهما فرق من بعض الوجوه وجاز ان الواو تدخل على الجملة الواقعة حالا كذلك جاز ان تدخل على الجملة الواقعة صفة فكما ان معنى الحالية لايتغير بدخول الواو عليها نحو اذا قلت جاءنى زيد عليه ثوب وجاءنى وعليه ثوب كذلك معنى الوصفية لايتغير بدخول الواو عليها وعدم دخولها وكما ان الواو الداخلة على الحال انماتدخلها لمجرّد الربط كذلك الواو الداخلة على الصفة وذلك ان الاصل فى الجملة الواقعة موقع الحال ان لاتدخلها الواو لفوات المغايرة لان حكم الحال مع صاحبها حكم الخبر مع المخبر عنه والخبر ليس موضعا لدخول الواو فكذا الحال وانما يدخلها لمجرّد الربط لاسيما اذا كانت جملة اسمية فانها اشدّ اقتضاء للربط فكذا حكم الوصف لان الصفة مرتبطة بالموصوف فتكون الواو لتأكيد ذلك الارتباط واعترض على جعل الجملة صفة لقرية لان توسيط الواو بين الصفة والموصوف غير معهود وكذا توسيط كلمة الا بينهما لم يعرف ان احدا من النحاة ذهب الى جوازه صفة بل ذهب الى جوازه حالا والحال ليس وزانها وزان الصفة اذا لحقتها الواو ولعل من جعلها صفة لقرية ولم يجعلها حالا نظر الى تنكير ذى الحال وهو قرية وليس بقوىّ اذ يجوز ان يقال عمومها يصحح كونها ذا الحال كما فى المبتدأ نحو مااحد خير منك وهذا المعترض قد تبع صاحب المفتاح حيث قال فالوجه عندى هو ان ولها كتاب معلوم حال من القرية لكونها فى حكم الموصوفة اى قرية من القرى لا وصف لها وحمله على الوصف سهو لاخطأ ولا عيب فى السهو ﴿ قوله ولكن لما شابهت صورتها صورة الحال ﴾ قال المصنف فى تفسير قوله تعالى ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم ادخل فيه الواو على الجملة الواقعة صفة للنكرة تشبيها لها بالواقعة حالا من المعرفة لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على ان اتصافه بها امر ثابت انتهى * فان قيل لما كان قوله تعالى الا ولها كتاب معلوم صفة لقرية كما فى قوله تعالى وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون فما الفرق بينهما حتى اكد لصوق الصفة بالموصوف فى احداهما ولم يؤكد فى الاخرى * فالجواب ان الوصف المذكور فى هذه الآية غير الوصف المذكور فى قوله الا لها منذرون لان الوصف فيما نحن فيه لازم عقلى وفى تلك لازم عادى جرت عليه سنة الله تعالى فان وجود الحوادث فى اىّ وقت كان على سبيل الاتفاق لايقتضيه العقل والحكمة بل هما يقتضيان ان يكون لكل حادث وقت مقدّر وكتاب معلوم لايتقدّم عليه ولا يتأخر بخلاف لزوم سبق وجود المنذر على الاهلاك فان لزومه له بمجرّد جرى عادة الله تعالى على ذلك ﴿ قوله تعالى من امّة ﴾ فاعل تسبق ومن مزيدة للتأكيد وحمل على لفظ امّة حيث انث تسبق لاسناده الى امّة وافرد الضمير المجرور وانث فى قوله اجلها كذلك وحمل على معناها فى قوله ومايستأخرون فجمع وذكر وحذف متعلق يستأخرون وتقديره ومايستأخرون عنه للدلالة عليه ورعاية للفواصل ﴿ قوله لمعنيين ﴾ اى على سبيل البدل اما الامتناع واما التحضيض فان قوله لولا علىّ لهلك عمر ليس فيه سوى الامتناع وقوله تعالى لوماتأتينا ليس فيه سوى

(فسوف يعلمون) سوء صنيعهم اذا عاينوا جزاءه والغرض اقناط الرسول صلى الله عليه وسلم من ارعوائهم وايذانه بانهم من اهل الخذلان وان نصحهم بعد اشتغال بما لاطائل تحته وفيه الزام الحجة وتحذير عن ايثار التنعم ومايؤدّى اليه طول الامل (وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم) اجل مقدّر كتب فى اللوح المحفوظ والمستثنى جملة واقعة صفة لقرية والاصل ان لاتدخلها الواو كقوله الا لها منذرون ولكن لما شابهت صورتها صورة الحال ادخلت عليها تأكيدا للصوقها بالموصوف (ماتسبق من امّة اجلها ومايستأخرون) اى ومايستأخرون عنه وتذكير ضمير امّة للحمل على المعنى (وقالوا ياايها الذى نزّل عليه الذكر) نادوا به النبى صلى الله عليه وسلم على التهكم الاترى الى مانادوه له وهو قولهم (انك لمجنون) ونظير ذلك قول فرعون ان رسولكم الذى ارسل اليكم لمجنون والمعنى انك لتقول قول المجانين حتى تدّعى ان الله تعالى نزّل عليك الذكر اى القرءآن (لوما تأتينا) ركب لو مع ما كما ركب مع لا لمعنيين امتناع الشئ لوجود غيره والتحضيض (بالملائكة) ليصدّقوك ويعضدوك على الدعوة كقوله لولا انزل عليه ملك فيكون معه نذيرا اوللعقاب على تكذيبنا لك كما اتت الامم المكذبة قبل (ان كنت من الصادقين) فى دعواك

التحضيض والفرق بين التحضيضية والامتناعية هو ان التحضيضية لايليها الا الفعل ظاهرا او مضمرا كما فى قوله

* تعدّون عقر النيب افضل مجدكم * بنى ضوطرى لولا الكمىّ المقنعا *

اى هلاتعدّون الشجاع المتقنع بآلات الحرب والامتناعية لايليها الا الاسم لفظا اوتقديرا عندالبصريين وفى قوله مايتزّل الملائكة اربع قرآآت مايتزّل على لفظ المضارع المعلوم المسند الى ضمير الغائب وننزّل بنونين اولاهما مضمومة وثانيتهما مفتوحة وكسرالزاى ونصب الملائكة فيهما على المفعولية وتنزّل بضم التاء وفتح النون والزاى ورفع الملائكة على انه قائم مقام الفاعل وتنزّل بفتح التاء والنون والزاى على ان اصله تتنزّل فحذفت احدى التاءين ورفع الملائكة على الفاعلية وقوله الابالحق مستثنى مفرغ من اعم عام المصدر اى ماتنزّل الملائكة تنزيلا الاتنزيلا ملتبسا بالحق وقوله بالحق متعلق بمحذوف منصوب على انه نعت لمصدر محذوف ﴿قوله ولاحكمة فى ان تأتيكم بصورة﴾ على ان يكون قولهم لوما تأتينا بالملائكة بمعنى لوما تأتينا بهم ليصدّقوك فيما تدّعيه من الرسالة حتى تزول الشكوك والشبهات فى ذلك بشهادتهم عندنا وقوله ولا فى معاجلتكم بالعقوبة على ان يكون معناه لوماتأتينا بالملائكة الذين ينزلون علينا بذلك العذاب الذى تخوّفنا به على تقدير عدم ايماننابك كما قال ويستعجلونك بالعذاب ولولا اجل مسمى لجاءهم العذاب ﴿قوله وقيل الحق الوحى اولعذاب﴾ عطف على قوله اى بالوجه الذى قدّره فالمعنى على هذا مايتزّل الملائكة الا لاجل تبليغ الوحى اولعذاب الاستئصال وتصديق المدّعى والشهادة بصدقه فى دعواه ليس شيأ منهما فلا ينزّلهم لذلك ولايردّ عذاب الاستئصال لهذه الامّة ﴿قوله اذا جواب لهم وجزآء﴾ فان اذا انما يذكر حيث خاطبك احدبشئ وتريدان تجيبه فتقول فى جواب كلامه اذا يكون كما اذا قال لك انسان انا آتيك فتقول اذا اكرمك كانك قلت ههنا ان كان الامر كما ذكرت اكرمك فكذا هذه الآية ﴿قوله ردّلانكارهم واستهزآئهم﴾ فان الكفرة قالوا ياايها الذى نزّل عليه الذكر فقدانكروا ان ينزّل عليه ذكر من ربه واستهزؤوا به حيث نادوه بهذا العنوان زاعمين انه عليه الصلاة والسلام غيرموصوف به فكأنهم قالوا ياايها المفترى ان الله تعالى لم ينزّل عليك الذكر وهذا الذى تزعم انه من عندالله ليس منه بل هو من القاء الجن وانك لمجنون فردّالله عليهم بقوله انانحن نزّلنا الذكر وأكده من وجوه تصدير الجملة بان وتوسيط ضمير الفصل بين اسمها وخبرها والتعبير عن المتكلم الواحد بضمير الجمع للتعظيم والاجلال وتكرير الاسناد لتقوية الحكم وتقريره واسمية الجملة *فان قيل قدحصل ردّ انكارهم واستهزآئهم بقوله انانحن نزّلنا الذكر فاوجه اتصاله بقوله وانا له لحافظون *اجيب بان اتصاله من قبيل اتصال الدليل بالمدلول فان حفظ الله اياه يدل على كونه من عند الله لانه لوكان من عند غيره لما كان مصونا من الزيادة والنقصان بل مجرّد كونه من عند الله تعالى لايستلزم كونه محفوظا مالم يحفظه الله تعالى ويتكفل بحفظه الاترى انه لم يتفق لشئ من الكتب مثل هذا الحفظ فانه لاكتاب الا وقددخله التحريف والتغيير امافى الكثير منه اوفى القليل وبقاء هذا الكتاب مصونا عن جميع جهات التحريف مع ان دواعى الملاحدة واليهود والنصارى متوفرة على ابطاله وافساده من اعظم المعجزات وذكر لطريق حفظ الله تعالى اياه وجهين الاوّل جعله اياه معجزا مباينا لكلام البشر فان الخلق عجزوا بذلك عن الزيادة والنقصان لانهم لوزادوا فيه ونقصوا لتغير نظم القرآن وظهر لكل العقلاء ان هذا ليس من القرآن فصار كونه معجزا كاحاطة السور بالمدينة فى كونه سببا للحفظ والصيانة والثانى ماشار اليه بقوله اونفى تطرق الخلل فانه مصدر معطوف على قوله بان جعلنا فانه فى تأويل المصدر فانه تعالى لمادام واستمرّ على ضمان الحفظ له امتنع تطرّق الخلل اليه وكان ذلك طريق الحفظ وكلمة ما فى قوله كما نفى ان يطعن فيه مصدرية والباء فى قوله بانه المنزّل له متعلقة بالذكر واشار به الى بيان المناسبة بين قوله وانا له لحافظون وبين قوله انانحن نزّلنا الذكر ليصح عطف احداهما على الاخرى وهى كون كل واحدة من الجملتين متعلقة بالذكر ﴿قوله وقيل الضمير فى له للنبى صلى الله عليه وسلم﴾ والمعنى وانالمحمد لحافظون وصح ارجاع الضمير اليه لانه لماذكر الانزال والمنزّل دل ذلك على المنزّل عليه فحسن ارجاع الضمير اليه لكونه امرا معلوما كما فى قوله تعالى انا انزلناه فى ليلة القدر فان ضمير انزلناه للقرآن مع أنه لم يتقدّم ذكره وحسن ذلك لما ذكر فكذا ههنا ثم ان القوم لما اساؤا الادب وخاطبوه عليه الصلاة والسلام خطاب السفاهة حيث قالوا له انك لمجنون فالله تعالى سلى رسوله صلى الله عليه وسلم وقال ان عادة الجهال مع جميع الانبياء كانت هكذا وكانوا يصبرون على اذى الجهال وسفاهتهم ويستمرّون على الدعوة والانذار

(مايتزّل الملائكة) بالياء مسندا الى ضمير
اسم الله وقرأ حمزة والكسائى وحفص
بالنون وابوبكر بالتاء والبناء للمفعول ورفع
الملائكة وقرئ تنزّل بمعنى تتنزّل (الابالحق)
الاتنزيلا ملتبسا بالحق اى بالوجه الذى
قدّره واقتضته حكمته ولاحكمة فى ان تأتيكم
بصورة تشاهدونها فانه لايزيدكم الالبس
ولا فى معاجلتكم بالعقوبة فان منكم ومن
ذراريكم من سبقت كلمتنا له بالايمان وقيل الحق
الوحى اوالعذاب (وماكانوا اذا منظرين)
اذا جواب لهم وجزآء لشرط مقدّر اى
ولو نزّلنا الملائكة ماكانوا منظرين
(انا نحن نزّلنا الذكر) ردّ لانكارهم
واستهزآئهم ولذلك اكده من وجوه وقرّره
بقوله (وانا له لحافظون) اى من التحريف
والزيادة والنقص بان جعلناه معجزا مباينا
لكلام البشر بحيث لايخفى تغيير نظمه على
اهل اللسان اونفى تطرق الخلل اليه فى الدوام
بضمان الحفظ له كما نفى ان يطعن فيه بانه المنزّل
له وقيل الضمير فى له للنبى صلى الله عليه وسلم

فاقتدبهم فى ذلك وهو قوله تعالى ولقد ارسلنا من قبلك رسلا الا انه حذف ذكر الرسل لدلالة الارسال عليه وسميت الفرقة المتفقة على طريق ومذهب شيعة لكون بعضهم تبعا لبعض وتباعا له والشياع التباع واحدهم شيعة وشيعة الرجل اتباعه قيل شيع الاوّلين من باب اضافة الموصوف الى الصفة كقوله حق اليقين وجانب الغربى والاصل فى الشيع الاوّلين والبصريون يأوّلون مثله على حذف المضاف اليه اى فى شيع الامم الماضين الاوّلين وجانب المكان الغربى ﴿قوله والمعنى نبأنا رجالا﴾ جواب عما يقال الاصل فى فعل الارسال ان يتعدّى بالى فينبغى ان يقال ولقد ارسلنا من قبلك الى شيع الاوّلين فكيف عدّى بكلمة فى * والجواب ان يقال عدّى بفى لتضمين ارسلنا معنى نبأنا الا انه زاد قوله رجالا للاشارة الى ان مفعول ارسلنا محذوف تقديره ارسلنا رسلا فيهم وزاد قوله وجعلناهم رسلا فيما بينهم اتماما لمعنى ارسال الرسل لما تقرّر من ان الرسول من له معجزة باهرة وكتاب سماوى والنبى صاحب المعجزة فقط وليس له كتاب سماوى فلو اقتصر على قوله نبأنا رجالا فيهم لكان المذكور بعض معنى ارسلنا وهو بصدد بيان تمام معناه فدل بقوله نبأناهم فيهم على معنى اعطيناهم المعجزة وبقوله وجعلناهم رسلا فيما بينهم على معنى صيرناهم صاحب كتاب وشريعة مستقلة والفائدة فى ارتكاب ما يحوج الى اعتبار التضمين الاعلام بمزيد تمكين الرسل واستقرارهم فيما بين الامم ﴿قوله تعالى وما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن﴾ نظير قوله تعالى وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون فيكون المنفى فيه صفة لرسول الله على ما اختاره المصنف لانه فى قوّة ان يقال اتاهم رسول مستهزأ به ولم يأتهم رسول غير مستهزأ به ويكون حالا من مفعول يأتيهم على ما اختاره السكاكى والكاف فى قوله تعالى كذلك منصوب المحل على انه صفة مصدر محذوف او حال منه اى سلكنا الاستهزآء فى قلوبهم سلكنا مثل هذا السلك ويحتمل ان يكون مرفوع المحل على انه صفة مصدر محذوف او حال منه اى الامر كذلك ويستأنف وقوله وقيل للذكر فان المعتزلة لما ابوا من ارجاع ضمير نسلكه الى الاستهزآء المدلول عليه بقوله يستهزؤن على ان الاستهزآء بالانبياء كفر وضلال والله تعالى لا يخلق الباطل فى قلب العبد على زعمهم قالوا ان الضمير للذكر واستدلوا عليه بان الضمير فى قوله لا يؤمنون به عائد الى القرآن بالاجماع فوجب ان يكون ضمير نسلكه ايضا عائدا اليه لانهما ضميران متعاقبان فيجب عودهما الى شئ واحد ﴿قوله لا يؤمنون به﴾ حال من ضمير نسلكه فلو كان ذلك الضمير للاستهزآء لكان المعنى نسلك الاستهزآء فى قلوبهم حال كونهم لا يؤمنون بذلك الاستهزآء وذلك يوجب التناقض لان الكافر لا بدّ وان يكون مؤمنا بكفره واستهزآئه والذى لا يؤمن ولا يصدّق بالكفر هو المسلم العالم ببطلان الكفر اذ هو بيان وتفسير لجملة كذلك نسلكه فينبغى ان يكون المبين مشتملا على ما يشتمل عليه البيان واجاب المصنف عن وجوه احتجاجهم بان الاصل فى الضمائر ان ترجع الى اقرب المذكورات وقوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر بعيد وقوله يستهزؤن قريب والاصل المذكور يقتضى ان يرجع ضمير نسلكه الى الاستهزآء المدلول عليه باقرب المذكورين ولا مانع من اعتبار هذا الاصل فى ضمير نسلكه * فان قلت انه راجع الى الاستهزآء اذا لم يتحقق مانع والا فلا قلنا انه راجع الى الاستهزآء ولما تحقق المانع من اعتبار هذا الاصل فى الضمير الثانى وهو لزوم التناقض قلنا ان الضمير الثانى يرجع الى الذكر المذكور اوّلا وتفريق الضمائر المتعاقبة على الاشياء المختلفة ليس بقليل فى القرآن فان تعاقب الضمائر لا يستلزم الرجوع الى شئ واحد بل الامر فيه موقوف على الدليل ولما دل الدليل فى هذه الآية على رجوع الضمير الاوّل الى الاقرب ورجوع الضمير الثانى الى الابعد عملنا بمقتضى الدليل واجاب عن قولهم ان يؤمنون به حال من ضمير نسلكه فلو كان الضمير للاستهزآء لزم التناقض بقوله ولا يتعين ان تكون الجملة حالا من الضمير الخ يعنى ان التناقض انما يلزم على تقدير كون ضمير نسلكه للاستهزآء وكون الجملة حالا منه وذلك غير لازم لجواز ان تكون حالا من المجرمين بل ويجوز ان لا يكون لها محل من الاعراب بان تكون جملة مستأنفة لبيان حالهم بدخول الاستهزآء فى قلوبهم ويكون المعنى لا يؤمنون بسببه واجاب عن قولهم ان كون الجملة الثانية بيانا للاولى يستدعى ان يكون ضمير نسلكه للذكر وهو ينافى كونه للاستهزآء بقوله ولا ينافى كونها مفسرة للمعنى الاوّل بل يقويه فان تمكن الاستهزآء بالرسل فى القلب عبارة عن الامتناع عن الايمان بسبب ذلك الاستهزآء فيصلح ان يكون لا يؤمنون به تفسيرا لقوله كذلك نسلكه اى الاستهزآء فى قلوبهم ﴿قوله بان خذلهم وسلك الكفر فى قلوبهم﴾ قدّم هذا المعنى لكونه اكثر ارتباطا بما ذكر قبل وعلى المعنى الثانى يكون تهديدا لكفار مكة ﴿قوله على هؤلاء المقترحين﴾ من كفار مكة فانه تعالى حكى عنهم توغلهم فى الكفر والعناد بقوله وقالوا يا ايها الذى نزل عليه

(ولقد ارسلنا من قبلك فى شيع الاوّلين) فى فرقهم جمع شيعة وهى الفرقة المتفقة على طريق ومذهب من شاعه اذا تبعه واصله الشياع وهو الحطب الصغار يوقد به الكبار والمعنى نبأنا رجالا فيهم وجعلناهم رسلا فيما بينهم (وما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن) كما يفعل هؤلاء وهو تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم وما للحال لا يدخل الامضارعا بمعناه او ماضيا قريبا منه وهذا على حكاية الحال الماضية (كذلك نسلكه) ندخله (فى قلوب المجرمين) والسلك ادخال الشئ فى الشئ كالخيط فى المخيط والرمح فى المطعون والضمير للاستهزآء وفيه دليل على ان الله تعالى يوجد الباطل فى قلوبهم وقيل للذكر فان الضمير الآخر فى قوله (لا يؤمنون به) له وهو حال من هذا الضمير والمعنى مثل ذلك السلك نسلك الذكر فى قلوب المجرمين مكذبا غير مؤمن به او بيان للجملة المتضمنة له وهذا الاحتجاج ضعيف اذ لا يلزم من تعاقب الضمائر توافقها فى المرجوع اليه ولا يتعين ان تكون الجملة حالا من الضمير لجواز ان تكون حالا من المجرمين ولا ينافى كونها مفسرة للمعنى الاوّل بل يقويه (وقد خلت سنة الاوّلين) اى سنة الله فيهم بان خذلهم وسلك الكفر فى قلوبهم او باهلاك من كذب الرسل منهم فيكون وعيدا لاهل مكة (ولو فتحنا عليهم) على هؤلاء المقترحين

(الذكر)

الذكر انك لمجنون لو ما تأتينا بالملائكة ان كنت من الصادقين وقد حكى الله تعالى في مواضع اخر انهم كانوا يقترحون الآيات ويعلقون اسلامهم على مجيئها نحو قوله تعالى واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها فكان المسلمون يظنون انهم صادقون مسترشدون في ذلك الاقتراح فكانوا يشفعون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يسأل من الله ان يعطيه الآيات التي سألوها لعلهم يؤمنون فبين الله تعالى انهم في ذلك الاقتراح غير مسترشدين بقوله ولو فتحنا عليهم بابا من السماء لأصروا على العناد والمكابرة فلا تلتفتوا الى قولهم لو ما تأتينا بالملائكة ونظيرها قوله تعالى ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بايديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين وقوله قل انما الآيات عند الله وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون ﴿قوله تعالى فظلوا﴾ من الافعال الناقصة واسمه مستتر فيه راجع الى الكفار المفتح لهم الباب وقيل راجع الى الملائكة وقد اشار اليه المصنف بقوله او تصعد الملائكة فالمعنى لو كشف لهؤلاء عن ابصارهم حتى عاينوا بابا من السماء مفتوحا فظل الملائكة ينزلون منه ويصعدون فان الصعود لا يكون بدون النزول فكان ذكره مستغنى عنه لصرفوا ذلك الى انهم سحروا او لأصروا على كفرهم ولم يؤمنوا فعلى هذا يكون النظم من قبيل ما تعاقب فيه الضمائر مع اختلاف المرجع اليه والظلول فعل الشئ نهارا يقال ظل يفعل كذا اذا فعله بالنهار وبات يفعل كذا اذا فعله بالليل فقوله ظلوا فيه يعرجون بمعنى يصعدون اليه في بياض النهار ليكونوا مستوضحين لما يرون ﴿قوله اليها﴾ اشارة الى ان متعلق يعرجون محذوف اي يعرجون اليها فيه بتضمين معنى الارتفاع اي يرتفعون ﴿قوله سدت عن الابصار بالسحر من السكر﴾ بفتح السين وسكون الكاف وهو مصدر سكرت النهر اسكره اذا سددته وهو من باب نصر والسكر بالكسر العزم والسكر بضم السين وسكون الكاف اسم للسكر من الشراب وفعله من باب علم يقال سكر يسكر سكرا وهذا لازم والاول متعد فيكون بناء التفعيل في الاول للتكثير اي تكثير المفعول وهو الابصار وفي الثاني للتعدية وقرأ ابن كثير سكرت بتخفيف الكاف وبناء المفعول وباقي السبعة قرأوا على بناء المفعول ايضا الا انهم شددوا الكاف والفعل على قرآءة الجميع من السكر بمعنى السد بشهادة قرآءة ابن كثير فانه لو لم يكن من السكر المتعدي لما بني الفعل للمفعول وذلك يدل على ان باقي القرآءات ايضا من المتعدي وان التضعيف للتكثير ﴿قوله او حيرت من السكر﴾ بالضم عطف على قوله سدت فعلى هذا يكون التضعيف للتعدية ﴿قوله وفي كلمتي الحصر والاضراب دلالة على البت بان ما يرونه لا حقيقة له﴾ اما دلالة كلمة الحصر عليه فانها تدل على ان مسكرا تعلق بالتسكير وحيرنا الا ان ذلك التسكير والتحيير لم يتعلق الا بابصارنا ولم يتعلق بعقولنا ولا يخفى ان هذا بت بان ما يرونه لا حقيقة له واما دلالة كلمة الاضراب عليه فانهم اضربوا عن الحصر في الابصار وقالوا بل جاوز التسكير الى عقولنا وان سحر السحرة كما حير ابصارنا حير عقولنا ايضا فقد حكموا بانه كما لا اعتماد على شهادة حواسهم لا اعتماد ايضا على شهادة عقولهم لكون الكل حيرى سكرى فهو بت بان ما يرونه بابصارهم ويحكمون عليه بعقولهم امور مموهة لا حقيقة لها * قال الامام فان قيل كيف يجوز من الجماعة العظيمة ان يصيروا شاكين في وجود ما يشاهدونه بالعين السليمة في النهار الواضح ولو جاز حصول الشك في ذلك كان حصول السفسطة لازما ولا يبقى حينئذ اعتماد على الحس والمشاهدة ثم قال واجاب القاضي عنه بانه تعالى ما وصفهم بالشك فيما يبصرونه وانما وصفهم انهم يقولون هذا القول وقد يجوز ان يقدم الانسان على الكذب على سبيل العناد والمكابرة وقال بعده فيصح من الجمع العظيم ان يظهروا الشك في المشاهدات واجاب ايضا بان ذلك اذا حملهم غرض معتبر من المواطأة على دفع حجة او غلبة خصم فهذه الحكاية ايضا انما وقعت من قوم مخصوصين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن انزال الملائكة وهم رؤساء القوم وكانوا قليلي العدد واقدام القليل على ما يجري مجرى المكابرة جائز ﴿قوله مختلفة الهيئات والخواص﴾ اشارة الى وجه دلالة جعل السماء ذات البروج على وجود الفاعل المختار وكمال قدرته وعلمه فانه تعالى لما اجاب عن شبه منكري النبوة وبين توغلهم في المكابرة والعناد وقد تقرر ان القول بالنبوة متفرع على قول بالتوحيد اتبع ما يدل على حقية النبوة بذكر دلائل التوحيد فبدأ بذكر الدلائل السماوية فقال ولقد جعلنا في السماء بروجا الآية واصل البرج الحصن والقصر قال الله تعالى ولو كنتم في بروج مشيدة اي ابنية عالية قيل لها البروج لظهورها من بعيد فان اصل البروج الظهور ومنه قوله تعالى غير متبرجات بزينة اي غير ظاهرات بها روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان المراد ببروج السماء منازل الشمس والقمر فانه تعالى جعل لكل واحد منهما منزلا ينزل كل ليلة في منزل على حدة

(بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون) يصعدون اليها ويرون عجائبها طول نهارهم مستوضحين لما يرون او تصعد الملائكة وهم يشاهدونهم (لقالوا) من غلوهم في العناد وتشكيكهم في الحق (انما سكرت ابصارنا) سدت عن الابصار بالسحر من السكر ويدل عليه قرآءة ابن كثير بالتخفيف او حيرت من السكر ويدل عليه قرآءة من قرأ سكرت (بل نحن قوم مسحورون) قد سحرنا محمد بذلك كما قالوه عند ظهور غيره من الآيات وفي كلمتي الحصر والاضراب دلالة على البت بان ما يرونه لا حقيقة له بل هو باطل خيل اليهم بنوع من السحر (ولقد جعلنا في السماء بروجا) اثني عشر مختلفة الهيئات والخواص على ما يدل عليه الرصد والتجربة مع بساطة السماء

وقيل هى النجوم الكبار وقيل يحتمل ان يكون المراد بها مطالع الشمس والقمر والنجوم ومغاربها وقيل البروج الاثنى عشر واسماؤها الحمل والثور والجوزآء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدى والدلو والحوت ﴿قوله المعتبرين المستدلين﴾ فان ما يتبجح فى العين منظرا لايتفكر الناظر فيه ولاينظر اليه فزينها الله تعالى ليحملهم ذلك على النظر اليها والتفكر فيها فيعلموا ان ذلك تدبير العزيز العليم حيث دبر نظام العالم على احسن تقويم وجعل منافع السماء متصلة بمنافع الارض مع بعدما بينهما ﴿قوله بدل من كل شيطان﴾ اى الامن استرق السمع * قيل فيه نظر لان النحاة قد صرحوا بان المستثنى بالالغير الصفة اذا وقع فى كلام موجب تام يجب نصبه ويمتنع البدل لاقتضائه فساد المعنى لان المبدل منه فى حكم الساقط فيكون تقدير جاءنى القوم الازيد مثلا جاءنى الازيد ويفهم منه ان يجئ اليه جميع العالم غير زيد وهو معنى فاسد * واجيب عنه بان قوله تعالى وحفظناها من كل شيطان فى معنى النفى كأنه قيل لايقربها شيطان الامن استرق السمع ولو قيل انه فى محل النصب على انه مستثنى متصل لان من استرق من جنس الشيطان والمعنى انا حفظناها من قرب كل شيطان الامن استرق السمع فانا لم نحفظها من قربه لم يتوجه النظر المذكور ولم يحتج فى دفعه الى تكلف فان المستثنى من كلام تام موجب يجب نصبه على الاستثناء بالاتفاق ومن جعله منقطعا لعله نظر الى ان قوله وحفظناها معناه انا حفظناها لكن من استرق السمع ممنوع من دخول السماء فاستراقه السمع لايخرج السماء عن كونها محفوظة من دخول الشيطان فلايصح الاستثناء الا على سبيل الانقطاع * قال الامام فان قيل مامعنى قوله وحفظناها من كل شيطان والشيطان لاقدرة له على هدم السماء فاى حاجة الى حفظ السماء منه واجاب بانه تعالى لما منعه من القرب منها فقد حفظ السماء من مقاربة الشيطان فيكون حفظ الله تعالى السماء منهم كما نحفظ منازلنا ممن يتجسس ويخشى منه الفساد ﴿قوله واستراق السمع اختلاسه سرا﴾ قال الامام لايمكن حمل لفظ الاعلى الاستثناء بدليل ان اقدامهم على استراق السمع لايخرج السماء عن ان تكون محفوظة منهم لانهم ممنوعون من دخولها وانما يحاولون القرب منها فلايصح ان يكون استثناء على التحقيق فوجب ان يكون معناه ولكن من استرق السمع يقال استرقت السمع اى استغفلت قوما حتى سمعت حديثهم وهم لايعلمون نقل الامام عن ابن عباس انه قال فى قوله الامن استرق السمع يريد به الخطفة اليسيرة وذلك ان المارد من الشياطين من يعلو فيرمى بالشهاب فيحرقه ويفنيه ومنهم من يخبله الشهاب اى يفسده فيصير ذلك الشيطان غولا فيضل الناس فى البرارى وقال الامام ابو الليث كان الشيطان المارد منهم يصعد على آخر ويكون الآخر اسفل منه فاذا سمع قال للذى اسفل منه قد كان من الامر كذا وكذا فيهرب الذى اسفل ويرمى الذى استرق السمع بالشهاب ويأتى الذى هو اسفل بالامر الذى سمعه الى كهنتهم فذلك قوله الامن استرق السمع فاتبعه شهاب مبين اى تبعه ولحقه شعلة نار ساطعة اى مرتفعة لايخطئه الشهاب اى يصيبه فهو اما ان يأتى على نفسه واما ان يخبله حتى لايعود الى الاستماع من السماء والمصنف جعل استراق السمع استعارة لاستلاب الشياطين من سكان السموات امورا يسيرة من غير توسيط حاسة السمع اصلا بل اما بان تتلقى منهم تلقيا معنويا بناء على مابينهما من المناسبة فى الجوهر واما بطريق الاستدلال باوضاع الكواكب وحركاتها ﴿قوله فى الارض او فيها وفى الجبال﴾ قدم الاحتمال الاول لان انواع النبات المنتفع بها انما تتولد فى الارض واما الفواكه الجبلية فليست بكثيرة النفع وقيل رجوع الضمير الى الجبال اولى لان المعادن انما تتولد فى الجبال والاشياء الموزونة فى العرف والعادة هى المعادن لاالنبات قال الكلبى وانبتنا فيها اى فى الجبال من كل شئ موزون وهى الاجساد التسعة كالذهب والفضة والنحاس والحديد والرصاص والكحل والزرنيخ والملح والزاج ونحوها ﴿قوله وقرئ بالهمز﴾ يعنى ان فى لفظ معايش يجوز ان يتلفظ بياء صريحة لكونها ياء اصلية بمنزلة الصاد من مناصر لكون الكلمة من العيش بخلاف نحو الشمائل والخبائث فان تصريح الياء فيها خطأ والصواب الهمزة لان الهمزة فيها زآئدة لبناء فعائل كما فى نحو قبيلة وقبائل وسحابة وسحائب وحمالة وحمائل فمن قرأ معائش بالهمزة فوجه قرآءته تشبيه الكلمة بالشمائل ﴿قوله او على محل لكم﴾ وهو النصب لانه مفعول كأنه قيل جعلنا لكم معايش ومن لستم له برازقين لكن حذف الجار واوصل الفعل وانما قال على محل لكم لما تقرر فى النحو من انه لايجوز العطف على الضمير المجرور الا باعادة الجار فى حال السعة والاختيار عند البصريين ويجوز ترك الاعادة حال الضرورة كما فى قوله

* فاليوم قدبت تهجونا وتشتمنا * فاذهب ومابك والايام من عجب *

(وزيناها) بالاشكال والهيئات البهية (للناظرين) المعتبرين المستدلين بها على قدرة مبدعها وتوحيد صانعها (وحفظناها من كل شيطان رجيم) فلا يقدر ان يصعد اليها ويوسوس اهلها ويتصرف فى امرها ويطلع على احوالها (الا من استرق السمع) بدل من كل شيطان واستراق السمع اختلاسه سرا شبه به خطفتهم اليسيرة من قطان السموات بما بينهم من المناسبة فى الجواهر او بالاستدلال من اوضاع الكواكب وحركاتها وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انهم كانوا لايحجبون عن السموات فلما ولد عيسى عليه الصلاة والسلام منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من كلها بالشهب ولا يقدح فيه تكونها قبل المولد لجواز ان يكون لها اسباب اخر وقيل الاستثناء منقطع اى ولكن من استرق السمع (فاتبعه) فتبعه ولحقه (شهاب مبين) ظاهر للمبصرين والشهاب شعلة نار ساطعة وقد يطلق للكواكب والسنان لما فيهما من البريق (والارض مددناها) بسطناها (والقينا فيها رواسى) جبالا ثوابت (وانبتنا فيها) فى الارض او فيها وفى الجبال (من كل شئ موزون) مقدر بمقدار معين تقتضيه حكمته او مستحسن متناسب من قولهم كلام موزون او ما يوزن ويقدر اوله وزن فى ابواب النعمة والمنفعة (وجعلنا لكم فيها معايش) تعيشون بها من المطاعم والملابس وقرئ بالهمز على التشبيه بشمائل (ومن لستم له برازقين) عطف على معايش او على محل لكم

واجاز الكوفيون ترك الاعادة فى حال السعة بقوله تعالى تساءلون به والارحام بالجر فى قرآءة حمزة اذا تقرر هذا فقد ظهر الفرق بين العطف على الضمير المجرور والعطف على محل مجموع الجار والمجرور والذى لم يجوّزه البصريون حال السعة هو الاول دون الثانى ﴿قوله وسائر ما يظنون انهم يرزقونهم﴾ اشارة الى ان كلمة من راد بها ما يعم العقلاء وغيرهم من الدواب المنتفع بها على سبيل تغليب العقلاء على غيرهم ﴿قوله اى وما من شئ﴾ يعنى ان كلمة ان نافية ومن مزيدة فى المبتدأ وعندنا خبره وخزآئنه فاعل الظرف لاعتماده على المبتدأ ويجوز ان يكون خزآئنه مبتدأ ثانيا وعندنا خبره قدّم عليه والجملة خبر للمبتدأ الاول والخزآئن جمع خزانة كحمالة وحمائل وهو اسم للمكان الذى تخزن فيه الاشياء اى تحفظ فان كان محصل المعنى ما من شئ من الممكنات الغير المتناهية الا وخزآئنه عندنا تكون الخزآئن استعارة تصريحية للقدرة شبه اقتداره على ايجاد الممكنات باسرها بالخزانة فاطلق عليه اسم الخزانة وجمع مع ان قدرة الله تعالى لا تتعدد فيها فضلا عن القدرة المتعلقة بكل واحد من الاشياء المقدورة وفائدة العدول الى المجاز الايذان بان مقدورات الله تعالى كانها حاصلة موجودة بالفعل وهذه الفائدة لا تحصل بان يقال وان من شئ الا ونحن قادرون على ايجاده وتكوينه وان كان محصل المعنى ما من شئ من الاشياء المقدورة الا وهى مخزونة عندنا كان من قبيل التشبيه البليغ حيث شبه مقدوراته بالاشياء المخزونة والجامع عدم الاحتياج فى اظهارها الى كلفة واجتهاد والبقاع ما ارتفع من الارض واضافة البقاع الى القدرة بيانية ولما كان تنزيل الشئ عبارة عن تحريكه من اعلى الى اسفل شبه مقدوراته بالاشياء المخزونة والقدرة بالارض المرتفعة واشار به الى ان قوله وما ننزله الا بقدر ترشيح لاستعارة الخزانة للقدرة لكون التنزيل مما يلائم المستعار منه ﴿قوله تعالى لواقح﴾ حال مقدرة من الرياح قيل اللواقح جمع ملقح لانه من ألقح يلقح فهو ملقح فحقه ملاقح يقال ألقحت الريح السحاب كما يقال ألقح الفحل الانثى اذا ألقى الماء فيها فحملته فكذلك الرياح جارية مجرى فحل السحاب وكون لواقح جمع ملقح من النوادر ونظيره كون الطوائح جمع مطيحة او مطوّحة يقال طاح يطوح ويطيح اى هلك وكذلك اذا تاه فى الارض واطاحه وطوّحه اى توّهه فتطوّح فى البلاد اى تحير ورمى بنفسه ههنا وههنا وطوّحته الطوائح قذفته القواذف ولا يقال المطوحات ولا المطيحات وهو نادر وكذا لواقح قال

* ليبك يزيد ضارع لخصومة * ومختبط مما تطيح الطوائح *

وقيل اللواقح جمع لاقح بمعنى حامل يقال لقحت الريح اذا حملت الماء قال الازهرى لواقح اى حوامل تحمل السحاب والماء قال تعالى وهو الذى يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته حتى اذا أقلت سحابا ثقالا اى حملت فعلى هذا تكون الريح لاقحة والمصنف قدم هذا الاحتمال لما فيه من حمل لفظ اللواقح على ظاهره حيث جعلت الرياح لواقح فى انفسها لا ملقحات لغيرها على ان ضد هذه الرياح العقيم وهى التى لا تحمل الماء وهو يرجح ان تكون اللواقح على ظاهرها وهو كونها بمعنى الحوامل ﴿قوله فجعلناه لكم سقيا﴾ اى جعلنا لكم ماء المطر معدّا لسقى انفسكم واراضيكم ومواشيكم هذا على قول من فرّق بين سقاه واسقاه فقال سقاه اذا اعطاه ماء يشربه فى الحال فيسكن به عطشه واسقاه اذا جعل له شربا يتمكن به من الانتفاع زمانا وقيل هما لغتان بمعنى ﴿قوله وذلك ايضا يدل على المدبر الحكيم﴾ اى حمل قوله تعالى اسقيناكموه على معنى وجعلنا ماء المطر محفوظا معدّا لانتفاعكم زمانا وما انتم له بحافظين يدل على وجود المدبر الحكيم كما يدل عليه حمله على معنى انا دبرنا لاصلاح احوالكم وانتظام امر معاشكم هذا التدبير العجيب حيث تفردنا بخلق الماء فى السماء وانزاله منها وجعله لكم سقيا ترجعون اليه كلما احتيج الى الماء وما انتم بقادرين على شئ منها ﴿قوله فان طبيعة الماء تقتضى الغور﴾ علة لدلالته على ما ذكر وقوله كما يدل حركة الهوآء الخ معترضة بين العلة والحكم المعلل والمقصود بيان ان فذلكة قوله تعالى وارسلنا الرياح لواقح الآية مثل فذلكة الآية المتقدمة على اى معنى من المعنيين المذكورين حملت قوله وما انتم له بخازنين ﴿قوله وقد اوّل الحياة بما يعم الحيوان والنبات﴾ يعنى ان منهم من حمله على القدر المشترك بين احياء الحيوان والنبات ومنهم من يقول وصف النبات بالاحياء مجاز فوجب تخصيصه باحياء الحيوان واياما كان تصلح الآية دليلا على وجود الاله الفاعل المختار كما ثبت بالدلائل العقلية انه لا قدرة على خلق الحياة بالمعنى الاعم المتحقق فى الحيوان والنبات ولا بالمعنى المختص بالحيوان الا الله تعالى فقوله نحن نحيى من قبيل القادر على كل ما يريد ﴿قوله وتكرير الضمير للدلالة على الحصر﴾ وذلك لان قوله تعالى نحن نحيى من قبيل قولك انا قمت من حيث ان نحن

و يريد به العيال والخدم والمماليك وسا
ما يظنون انهم يرزقونهم ظنا كاذبا فان الله
يرزقهم واياهم وفذلكة الاية الاستدلا
بجعل الارض ممدودة بمقدار وشكل معين
مختلفة الاجزآء فى الوضع محدثة فيه
انواع النبات والحيوان المختلفة خلق
وطبيعة مع جواز ان لا يكون كذلك عل
كمال قدرته وتناهى حكمته والتفرد ف
الالوهية والامتنان على العباد بما ا
عليهم فى ذلك ليوحدوه ويعبدوه ثم بال
فى ذلك وقال (وان من شئ الا عند
خزآئنه) اى وما من شئ الا ونحن
قادرون على ايجاده وتكوينه اضعاف
ما وجد منه فضرب الخزآئن مثلا لاقتدار
اوشبه مقدوراته بالاشياء المخزونة الت
لا يحوج اخراجها الى كلفة واجتها
(وما ننزله) من بقاع القدرة (الا بقد
معلوم) حدّه الحكمة وتعلقت به المشيئ
فان تخصيص بعضها بالايجاد فى بعض
الاوقات مشتملا على بعض الصفات والحالا
لابدّ له من مخصص حكيم (وارسلنا الريا
لواقح) حوامل شبه الريح التى جاءت
بخير من انشاء سحاب ماطر بالحامل كما شب
ما لا يكون كذلك بالعقيم او ملقحات للشج
اوالسحاب ونظيره الطوائح بمعنى المطيحا
فى قوله
ومختبط مما تطيح الطوائح * وقرئ
وارسلنا الريح على تأويل الجنس (فانز
من السماء ماء فاسقيناكموه) فجعلنا
لكم سقيا (وما انتم له بخازنين) قادرين
متمكنين من اخراجه نفى عنهم ما اثبت
لنفسه او حافظين فى الغدران والعيو
والآبار وذلك ايضا يدل على المدبر الحكي
كما تدل حركة الهوآء فى بعض الاوقات م
بعض الجهات على وجه ينتفع به النا
فان طبيعة الماء تقتضى الغور فوقوفه دو
حدّه لابدّ له من مخصص (وانا لنحن نحيى
بايجاد الحياة فى بعض الاجسام القابلة ل
(ونميت) بازالتها وقد اوّل الحياة بما ي
الحيوان والنبات وتكرير الضمير للدلا
على الحصر

مبتدأ ونحيي خبره والجملة خبر وقوله انا وقد تقرّر في علم المعاني ان تقديم المسند اليه يفيد الاختصاص بشرطين الاوّل ان نحن يجوز ان يقدّر كونه في الاصل مؤخرا على انه فاعل معنى فقط وان كان في اللفظ تأكيدا للفاعل والثاني ان لايقدّر ذلك وان لم يوجد الشرطان لايفيد التقديم الاتقوّي الحكم وقد وجد الشرطان ههنا اما الاوّل فظاهر واما الثاني فلكون الآية مسوقة لتقرير دليل اثبات الصانع وذلك يقتضي اعتبار الحصر في التخصيص ومايتوقف اعتباره عليه ويحتمل ان يكون نحن تأكيدا لاسم ان ونحيي خبرها وذلك لايمنع تحقق الشرطين ايضا كما لايخفى ولايجوز ان يكون نحن فصلا لان ضمير الفصل لايكون الا بين اسمين ونحن ههنا لم يقع بين اسمين وقد اتفق شراح الكشاف على ان الحصر في قوله تعالى وان ربك هو يحشرهم مستفاد من توسيط ضمير الفصل بين اسم ان وخبرها ﴿قوله ونحن الوارثون الباقون اذا ماتت الخلائق كلها﴾ يعني ان الوارث من يخلف الميت ويقوم مقامه في تملك تركته بعد موته وهو مستحيل في حقه تعالى لانه تعالى مالك للموجودات باسرها اصالة لاخلافة فوجب جعله مستعارا لمعنى الباقي بعد هلاك الخلق تشبيها له تعالى بوارث الميت في بقائه بعد فنائه ومنه قوله عليه الصلاة والسلام في دعائه «واجعله الوارث منا» واوّله «اللهم امتعنا باسماعنا وابصارنا وقوّتنا ما احييتنا واجعله الوارث منا» قيل ضمير اجعله راجع الى السوابق باعتبار المذكور والمعنى واجعلها سالمة لازمة معنا الى الموت فبولغ فيه وقيل اجعلها كأنها تبقى بعدنا لان الوارث يبقى بعد الموروث وقيل الضمير يرجع الى التمتع المدلول عليه بقوله امتعنا اى اجعل التمتع بما ذكر كأنه الوارث لما انحل من القوى النفسانية عند الكبر والباقي بعد زوالها روى انه عليه الصلاة والسلام ما كان يقوم من مجلس حتى يدعو بهذه الدعوات له ولاصحابه رضوان الله تعالى عليهم اجمعين ﴿قوله تضعيف صلّ﴾ يقال صلّ اللحم يصلّ بالكسر صلولا اى صار مطبوخا بعد ان كان نيئا والحمأ الطين الاسود وكذلك الحمأة بالتسكين يقال حمئت البئر حمأ بالتحريك اى كثرت حمأتها والحمأ المسنون اى المتغير المنتن وسنة الوجه صورته قال ذو الرمة

﴿ تريك سنة وجه غير مقرفة ﴾ ﴿ ملساء ليس بها خال ولا ندب ﴾

والمسنون المصوّر على صورة مثال وقد سنته اسنه سنا اذا صوّرته وسننت التراب اى صببته على وجه الارض صبا سهلا حتى صار كالصورة والكل من الصحاح عن ابن عباس انه تعالى خلق آدم من اديم الارض فالقى على الارض حتى صار طينا لازبا وهو الطين الملتزق ثم ترك حتى صار حمأ مسنونا وهو المنتن ثم خلقه الله تعالى بيده وكان اربعين يوما مصوّرا حتى يبس فصار صلصالا كالفخار اذا ضرب عليه صلصل اى صوّت ومن في قوله من صلصال لابتداء الغاية او للتبعيض تقول العرب سننت الماء اى صببته وهذه الآية ايضا مسوقة لاثبات الصانع وكمال قدرته فانه قد ثبت بالدلائل القاطعة انه يمتنع القول بوجود حوادث لا اوّل لها بل يجب انتهاء الحوادث الى اوّل حادث فلزم من ذلك ان ينتهي الناس الى الانسان الذي هو اوّل الناس وذلك الانسان لايكون مخلوقا من الابوين فيكون مخلوقا لامحالة بقدرة الله تعالى فقوله تعالى ولقد خلقنا الانسان اى ذلك الانسان الاوّل وقد اجمع المفسرون على ان المراد منه آدم عليه الصلاة والسلام وقد دل قوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب على انه تعالى خلق آدم من تراب ودلت آية اخرى على انه مخلوق من طين وهي قوله تعالى انى خالق بشرا من طين وجاء في هذه الآية انه عليه الصلاة والسلام مخلوق من صلصال كائن من حمأ مسنون وقال في موضع آخر انا خلقناهم من طين لازب هو الملتزق والظاهر ان ليس المراد انه تعالى خلقه من هذه المذكورات المتخالفة في حالة واحدة لقيام التنافي بين هذه الاوصاف في شيء واحد في زمان واحد فيشتبه فثبت ان يكون المراد من هذه المذكورات ان مبدأ خلق آدم عليه الصلاة والسلام على اختلاف الاحوال والاوقات بان يكون مبدأ التكوين في اوّل الحال ترابا وفي حال آخر صار طينا لازبا وفي آخر صار حمأ مسنونا وهو الذي اسودّ وتغير لطول مكثه وفي حال آخر صار صلصالا كالفخار قبل ان يخلق فيه اللحم والعظم ويركب فيه الجوارح والاعضاء ولما كان على هذه الاحوال المذكورة على ما اخبر الله تعالى وكان تغير احوال اولاده كذلك حيث قال فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة فذكر ان اولاده كانوا على هذه الاحوال قبل ان يخلق فيهم لحما وعظما كما ذكر في حق آدم عليه الصلاة والسلام من انه خلق من تراب وطين لازب وصلصال وحمأ مسنون حمل على ما ذكر في اولاده قال المفسرون خلق الله آدم من طين فصوّره وتركه في الشمس اربعين سنة فصار صلصالا لايدرى احد ما يراد منه ولم يروا شيأ

(ونحن الوارثون) الباقون اذا ماتت الخلائق كلها (ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين) من استقدم ولادة وموتا ومن استأخر او من خرج ومن اصلاب الرجال ومن لم يخرج بعد او من تقدّم في الاسلام والجهاد وسبق الى الطاعة وتأخر لايخفى علينا شيء من احوالكم وهو بيان لكمال علمه بعد الاحتجاج على كمال قدرته فان مايدل على قدرته دليل على علمه وقيل رغب رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصف الاوّل فازدحموا عليه فنزلت وقيل ان امرأة حسناء كانت تصلي خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقدّم بعض القوم لئلا ينظر اليها وتأخر بعض ليبصرها فنزلت (وان ربك هو يحشرهم) لامحالة للجزاء وتوسيط الضمير للدلالة على انه القادر المتولى لحشرهم لاغير وتصدير الجملة بانّ لتحقيق الوعد والتنبيه على ان ماسبق من الدلالة على كمال قدرته وعلمه بتفاصيل الاشياء يدل على صحة الحكم كما صرح به بقوله (انه حكيم) باهر الحكمة متقن في افعاله (عليم) وسع علمه كل شيء (ولقد خلقنا الانسان من صلصال) طين يابس يصلصل اى يصوّت اذا نقر وقيل هو من صلصال اذا انتن تضعيف صلّ (من حمأ) طين تغير واسودّ من طول مجاورة الماء وهو صفة صلصال اى كائن من حمأ (مسنون) مصوّر من سنة الوجه او مصبوب لييبس ويتصوّر كالجواهر المذابة تصب في القوالب من السنّ وهو الصب كأنه افرغ الحمأ فصوّر منها تمثال انسان اجوف فيبس حتى اذا نقر صلصل ثم غير ذلك طورا بعد طور حتى سوّاه ونفخ فيه من روحه او منتن من سننت الحجر على الحجر اذا حككته به فان مايسيل منهما يكون منتنا ويسمى السنين

من الصور يشبهه الى ان نفخ فيه الروح وحقيقة كلامهم انه تعالى خلق آدم من طين على صورة الانسان فجف فكانت الريح اذا مرّت به سمع له صلصلة ولذلك سماه الله تعالى صلصالا وهو الطين اليابس الذى يصلصل اى يصوّت وهو غير مطبوخ واذا طبخ فهو فخار ﴿قوله والجانّ اباالجنّ﴾ قال عامة المفسرين الجانّ ابو الجنّ كان ابليس ابو الشياطين سمى جانا لتواريه عن الاعين يقال جنّ الشئ اذا استتر امره فالجانّ يستر نفسه عن اعين بنى آدم ﴿قوله من نار الحرّ الشديد﴾ الظاهر ان المراد بالحرّ الشديد حرّ النار وان المراد من حرّ النار لهب النار الذى لادخان له كأنه قيل من نار اللهب الشديد وقوله النافذ فى المسام اشارة الى صفاء ذلك اللهب وخلوه عن الدخان ولما كان من طبع لهب النار العلوّ والارتفاع ومن طبع التراب التنزل والتسفل كان خلق ماخلق من كل واحد منهما مناسبا لمادته قيل السموم اسم من اسماء جهنم اخبر الله تعالى انه خلق الجانّ من نار جهنم وقيل السموم الريح الحارّة التى تقتل قال الكلبى هى نار لادخان لها والصواعق تكون منها وقال ابن مسعود من نار الريح الحارّة قال وهذا السموم جزء من سبعين جزأ من السموم التى خلق منها الجانّ وتلا هذه الآية ومعنى السموم فى اللغة الريح الحارّة وفيها نار وفى الخبر انها من نفح جهنم كذا فى الوسيط وقول المصنف من نار الحرّ الشديد يدل على ان السموم عبارة عن الحرّ المفرط سواء كان من شمس اوريح او نار وان مافيه من النارية لشدته ولطافته يدخل المسام فيقتل وقيل السموم ماكان ليلا والحرور ماكان نهارا وقيل من فى من قبل ومن نار السموم متعلقتان بخلقنا لاختلاف معناهما لان الاولى لابتداء الغاية والثانية للتبعيض ﴿قوله ولايمتنع خلق الحياة فى الاجرام البسيطة﴾ جواب عما يقال لاتتصور الحياة بدون تركيب يتوقف عليه بقاء البنية واعتدال المزاج فكيف تخلق فى الجسم البسيط ولاسيما فى الجوهر الذى يكون فى غاية الحرارة *والجواب ان البنية ليست بشرط لامكان حصول الحياة فانه تعالى خلق الحياة والعقل والعلم فى الجوهر المفرد فى الجسم الذى يكون فى غاية الحرارة ﴿قوله ولما كان الروح﴾ اى النفس الناطقة تتعلق اوّلا بالبخار اللطيف الذى هو الروح الحيوانى لكونه اقبل لها بالنسبة الى سائر مافى البدن من الاعضاء للمناسبة بينهما فى اللطافة وهو جواب عما يقال النفخ اجراء الريح فى تجويف شئ آخر ولاريح ههنا ولانفخ فما وجه قوله تعالى ونفخت فيه من روحى *وتقرير الجواب انه من قبيل الاستعارة التبعية شبه تعلق الروح بمعنى النفس باجزاء البدن بواسطة سريان الروح الحيوانى فيها جاريا فى تجاويف الشرايين بجريان الريح فى تجويف آخر فاطلق على المشبه اسم النفخ واشتق منه نفخت ويحتمل ان يكون المراد بالروح الروح الحيوانى السارى فى البدن بتوسط الشرايين فيشبه اجراء هذا الروح فى البدن وهو سبب للحياة باجراء الريح فى الشئ وهو النفخ بل هو اظهر الا ان اضافته للتشريف فى قوله من روحى تستدعى ان يراد به النفس الناطقة التى هى المشرف بمعرفة الله تعالى والمكلف بطاعته ﴿قوله تعالى فقعوا له﴾ امر من الوقوع وفاء التعقيب فيه تدل على انه تعالى لما نفخ الروح فى آدم عليه الصلاة والسلام اوجب على الملائكة ان يسجدوا له سجود التحية والتعظيم وقيل المسجود له هو الله تعالى وانه كان آدم كالقبلة لذلك السجود حيث امروا بان يتوجهوا اليه فى سجودهم لله تعظيما له بجعلهم اياه وسيلة الى عبادة الله تعالى وتعظيمه حيث عاينوا قدرة الله تعالى فى خلق البشر المسوّى من الحمأ المسنون وقيل اخبر الله تعالى الملائكة انه سيفعل امر كذا وامرهم بالسجود له ان فعل فيكون امرا بالسجود لآدم قبل خلقه ليفعلوا ذلك حين ماعاينوا انه تعالى عدّل صورته وسوّاه بالصورة الانسانية ونفخ فيه الروح وسمى الانسان بشرا لكونه جسما ظاهر البشرة لاشعر عليه ولا وبر ولا صوف وقيل لكونه جسما كثيفا يباشر اى يمس ظاهر جلده والملائكة والجن لايباشرون للطافة اجسامهم والبشر والبشرة ظاهر جلد الانسان ﴿قوله اكد بتأكيدين﴾ ولايفيد الاجتماع فى الوقت كما ذهب اليه البعض فتكون الفائدة فى تكرار التأكيد المبالغة فى الدلالة على سجود الكل فانه لو قيل فسجد الملائكة من غير تأكيد لاحتمل ان يكون الساجد بعض الملائكة فلما قيل كلهم زال هذا الاحتمال وظهر انهم سجدوا بامرهم ثم كرر التأكيد للمبالغة فى ازالة احتمال كون الساجد بعضهم وقيل كل واحد من اللفظين يفيد غير ما افاده الآخر فان الاوّل يفيد ان الساجد كل الملائكة لابعضهم والثانى يفيد ان الكل سجدوا فى وقت واحد غير متفرقين واعترض عليه المصنف بانه لو كان الامر كذلك لكان الثانى حالا لاتأكيدا اى ان الثانى لايكون تأكيدا وقد فرض ان كل واحد منهما تأكيد جئ به ليفيد فائدة جديدة غير مايفيده الآخر وفيه بحث لانه ان اراد بقوله لكان الثانى حالا لاتأكيدا ان الثانى لايكون تأكيدا حينئذ ممنوع اذلاشك ان اجمعون

(والجانّ) ابا الجنّ وقيل ابليس ويجوز ان يراد به الجنس كما هو الظاهر من الانسان لان تشعب الجنس لما كان من شخص واحد خلق من مادّة واحدة كان الجنس بأسره مخلوقا منها وانتصابه بفعل يفسره قوله (خلقناه من قبل) من قبل خلق الانسان (من نار السموم) من نار الحرّ الشديد النافذ فى المسام ولايمتنع خلق الحياة فى الاجرام البسيطة كما لايمتنع خلقها فى الجواهر المجرّدة فضلا عن الاجساد المؤلفة التى الغالب فيها الجزء النارى فانها اقبل لها من التى الغالب فيها الجزء الارضى وقوله من نار باعتبار الغالب كقوله خلقكم من تراب ومساق الآية كما هو للدلالة على كمال قدرة الله تعالى وبيان بدء خلق الثقلين فهو للتنبيه على المقدمة الثانية التى يتوقف عليها امكان الحشر وهو قبول المواد للجمع والاحياء (واذ قال ربك) واذكر وقت قوله (للملائكة انى خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون فاذا سوّيته) عدّلت خلقته وهيأته لنفخ الروح فيه (ونفخت فيه من روحى) حتى جرى آثاره فى تجاويف اعضائه فحيى واصل النفخ اجراء الريح فى تجويف جسم آخر ولما كان الروح يتعلق اوّلا بالبخار اللطيف المنبعث من القلب ويفيض عليه القوّة الحيوانية فيسرى حاملا لها فى تجاويف الشرايين الى اعماق البدن جعل تعلقه بالبدن نفخا واضافة الروح الى نفسه كما مرّ فى سورة النساء (فقعوا له) فاسقطوا له (ساجدين) امر من وقع يقع (فسجد الملائكة كلهم اجمعون) اكد بتأكيدين للمبالغة فى التعميم ومنع التخصيص وقيل اكد بالكل للاحاطة وباجمعين للدلالة على انهم سجدوا مجتمعين دفعة وفيه نظر اذ لوكان الامر كذلك كان الثانى حالا لاتأكيدا

يؤكدمادل عليه لفظ الملائكة معرفا باللام الاستغراقية و ان اراد به مع انه تأكيد يفيد فائدة الحال و التأكيد لايفيد فائدة الحال فهو ايضا ممنوع اذلامنافاة بينهما بالنسبة الى المعنى الاترى انه يجوز ان يقال جاؤنى جميعا على انه حال مع افادته معنى التأكيد ﴿قوله ان جعل منقطعا﴾ بان يكون الا بمعنى لكن فحينئذ يكون ابى خبره اتفق المفسرون على ان ابليس كان مأمورا بالسجود لآدم عليه الصلاة و السلام الا انهم اختلفوا فى انه من الملائكة والاستثناء متصل اوليس منهم بل كان جنيا من جنس الجن وليس من الملائكة فلماامر الملائكة بالسجود لآدم تناول ذلك الامرله ايضا لكونه ملحقابهم و اذا لم يكن منهم حقيقة كان الاستثناء منقطعا و قوله لم اكن لاسجد مشتمل على دليلين احدهما ان كونه بشرا ابشعر بكونه جسما كثيفا لانّ الانسان انما سمى بشرا لظهور جلده لما مرّ ان البشر والبشرة ظاهر جلد الانسان فكأنه يقول البشر جسمانى كثيف وانا روحانى لطيف والجسمانى الكثيف ادون حالا من الروحانى اللطيف والادون لايجوز ان يكون مسجود الاعلى و ثانيهما انه مخلوق من صلصال وابليس مخلوق من نار و النار اشرف من الصلصال ومايكون مخلوقا من الاشرف فهو اشرف و الاشرف لايجوز ان يسجد للادون والمصنف اشار اليهما بقوله استنقص آدم باعتبار النوع و الاصل قال المصنف فى سورة الاعراف قد غلط اللعين فى ذلك حيث رأى الفضل كله باعتبار العنصر وغفل عمايكون باعتبار الفاعل كما اشار اليه بقوله مامنعك ان تسجد لماخلقت بيدىّ و باعتبار الصورة حيث سوّاه الله تعالى و نفخ فيه من روحه و باعتبار الفائدة فانه اعلم منهم و ان له خواص ليست لغيره والحق انه تعالى نص على السجود وعارضه ابليس بالقياس ومن عارض النص بالقياس كان رجيما ملعونا ﴿قوله فان من يطرد يرجم بالحجر﴾ بيان لوجه انتقال الذهن من المرجوم الذى هو المرمى بالحجر الى معنى المطرود من الرحمة و الكرامة وتوضيحه ان الرجيم كناية عن كونه مطرودا ملعونا لان الطرد مستلزم للرجم فاطلق اللازم على الملزوم ﴿قوله او شيطان يرجم بالشهب﴾ اى و يحتمل ان يكون الرجيم بمعنى المرجوم بالشهب ويكون كناية عمن اشتهر بهذا الوصف وهو الشيطان كقولك جاء المضياف وتريد زيدا لشهرته بالضيافة ﴿قوله وهو وعيد﴾ اى الاخبار بانه رجيم باىّ معنى كان وعيد اما ان كان بمعنى الطرد من الخير و الكرامة فلان معظم الخير مايكون يوم القيامة بلاحرمان ولا وعيد اعظم من الحرمان من الخير فيه واما ان كان بمعنى الشيطان المرجوم بالشهب فلأن الشيطان لايخلو اما ان يكون من شطن بمعنى بعد او من شاط بمعنى هلك وكل واحد منهما ينبئ عن الوعيد واما كونه متضمنا للجواب عن شبهته فلأن المرجومية كناية عن الملعونية و الشيطانية اللتين هما غاية الخذلان والهوان فيكون ابطالا لادّعائه الفضل و الرجحان ﴿قوله فانه منتهى أمد اللعن﴾ جواب عمايقال من ان كلمة الى لانتهاء الغاية فيلزم زوال اللعن و انتهاؤه عند يوم القيامة الذى هو يوم الدين و الجزآء * و اجاب عنه اوّلا بان المراد ان يكون مخذولا غير موفق للاهتدآء الى طاعة الله تعالى و دينه ومن هذا شأنه يكون مطرودا من رحمة الله تعالى لان اصل الرحمة ما يكون ايام التكليف فلما كان المرجوم من وفق للاهتدآء ايام التكليف والملعون من كان مخذولا غير موفق له زمان التكليف ظهر ان اللعنة بهذا المعنى تنتهى بانتهاء زمان التكليف * ثم استشعر ان يقال كيف تكون اللعنة بمعنى الابعاد عن الرحمة فى قوله فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين فاجاب عنه بان اللعنة تطلق على معنيين فالتى جعلها الله تعالى منتهية بيوم الجزآء هى اللعنة بمعنى الطرد عن الهداية الى الحق والتى اثبتها يوم الجزآء هى اللعنة بمعنى آخر ثم نقل جوابين آخرين على سبيل التضعيف و التمريض الاوّل ان اللعن و ان حدّ بيوم الجزآء الا ان المراد به التأبيد وذكر يوم الدين لكونه ابعد غاية يذكرها الناس فى مقام التأبيد كقوله تعالى مادامت السموات و الارض الاماشاء و الثانى ان قوله تعالى و ان عليك اللعنة الى يوم الدين قال الكلبي معناه يلعنك اهل السماء واهل الارض الى يوم الحساب لانك اوّل من عصى الله ثم اذا جاء يوم الجزآء عذب عذابا ينسى عنده اللعن فيصير اللعن حينئذ كالزآئل بسبب ان شدّة العذاب تذهل عنه و تنسيه فكانت مذمة الخلائق اياه و دعاؤهم عليه باللعن كأنها مختصة بزمان التكليف ومنتهية عند مجيئ يوم الجزآء فلذلك قال الى يوم الدين ﴿قوله والفاء متعلقة بمحذوف﴾ تقديره اذا جعلتنى رجيما ملعونا الى يوم القيامة فانظرنى طلب ان يبقيه الله تعالى الى يوم البعث وهو يوم القيامة عند يأسه من سعادة الآخرة اى طلب اصل الانظار ليجد فسحة فى الاغوآء وطلب كون الانظار المطلوب منتهيا الى يوم البعث لئلا يموت لعلمه بان لايموت احد يوم الحشر فأنظره الله تعالى الى يوم الوقت الذى سمى وعين عند الله تعالى حلول اجله فيه ولم يبين ذلك الوقت ولم يطلعه عليه الاترى

(الاابليس) ان جعل منقطعا اتصل به قوله (ابى ان يكون مع الساجدين) اى لكن ابليس ابى و ان جعل متصلا كان استئنافا على انه جواب سائل قال هلا سجد (قال ياابليس مالك ان لاتكون) اى غرض لك فى ان لاتكون (مع الساجدين) لآدم (قال لم اكن لأسجد) اللام لتأكيد النفى اى لايصح منى و ينافى حالى ان اسجد (لبشر) جسمانى كثيف وانا ملك روحانى (خلقته من صلصال من حمأ مسنون) وهو اخس العناصر وخلقتنى من نار وهو اشرفها استنقص آدم باعتبار النوع و الاصل وقد سبق الجواب عنه فى سورة الاعراف (قال فاخرج منها) من السماء او الجنة او زمر الملائكة (فانك رجيم) مطرود من الخير والكرامة فان من يطرد يرجم بالحجر او شيطان يرجم بالشهب وهو وعيد يتضمن الجواب عن شبهته (وان عليك اللعنة) هذا الطرد والابعاد (الى يوم الدين) فانه منتهى امد اللعن فانه يناسب ايام التكليف ومنه زمان الجزآء وما فى قوله فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين بمعنى اخر ينسى عنده هذه وقيل انما حدّ اللعن به لانه ابعد غاية يضربها الناس او لانه يعذب فيه بما ينسى اللعن معه فيصير كالزآئل (قال رب فأنظرنى) فأخرنى والفاء متعلقة بمحذوف دل عليه فاخرج منها فانك رجيم (الى يوم يبعثون) اراد ان يجد فسحة فى الاغوآء او نجاة من الموت اذلاموت بعد وقت البعث فاجابه الى الاوّل دون الثانى

الى قوله حكاية عنه و انى جار لكم فلما ترآءت الفئتان نكص على عقبيه وقال انى برئ منكم انى ارى مالاترون انى اخاف الله فاخبر تعالى انه يخاف الله و لو بين له الوقت المعلوم لكان لايخاف هلاكه قبل ذلك وقيل الوقت المعلوم هو الوقت الذى عين فى علم الله تعالى انقراض الناس كلهم فيه و هو وقت النفخة الاولى على ماروى انه اذا نفخت النفخة الاولى مات الخلائق كلهم و مات ابليس معهم ﴿قوله لما عرفت﴾ اى من ان حكمة الحشر ان تجازى الخلائق باعمالهم ان خيرا فخير وان شرا فشر ﴿قوله وثانيا بيوم البعث﴾ لكونه صالحا لان يكنى به عن مقصود اللعين وهو ان يكون الانظار الى وقت انقطاع التكليف و حصول اليأس من اغوآء بنى آدم و تضليلهم و لاشك ان يوم البعث ينتقل منه الذهن الى الوقت المذكور فعبر به عن ذلك الوقت لهذا الاعتبار و عبر عنه ثالثا بالمعلوم لانه لما ذكر فى كلامه تعالى بيوم الدين وفى كلام اللعين بيوم يبعثون صار معلوما معينا *ولما ورد ان يقال كونه منظرا الى يوم القيامة يستلزم ان لايموت ابدا لانه لاموت بعد يوم البعث *اشار الى جوابه بقوله فلعله يموت اوّل اليوم لافى اثنائه والذى تقرّر انتفاؤه هو الموت فى اثناء ذلك اليوم لافى اوّله الذى الجزآء ينتهى اليه ﴿قوله وهذه المخاطبة الخ﴾ جواب عما يقال ظاهر الآية يدل على انه تعالى تكلم مع ابليس بغير واسطة وهو من اعظم المناصب و اشرف المراتب فلا يليق بمن هو رأس الكفرة و رئيسهم *وتقرير الجواب ان مكالمة الله تعالى بغير واسطة انما تكون منصبا عاليا اذا كان على سبيل الاكرام والاعظام واما اذا كان على سبيل الاهانة و الاذلال فلا ﴿قوله والمعنى اقسم باغوآئك﴾ ونظيره قوله تعالى حكاية عنه فبعزتك لأغوينهم اجمعين الا انه فى هذا الموضع اقسم بعزة الله وهى من صفات الذات وفى قوله فبما اغويتنى اقسم باغوآء الله و هو من صفات الفعل و الفقهاء قالوا القسم بصفات الذات صحيح واما القسم بصفات الافعال فقد اختلفوا فيه وذكر فى شرح الوافى قال العراقيون الحلف بصفات الذات كالقدرة و العظمة والعزة و الجلال والكبرياء يمين و بصفات الفعل كالرحمة و السخط و الغضب والرضى ليس بيمين و صفة الذات مالايجوز ان يوصف بضدّه و صفة الفعل مايجوز ان يوصف بضدّه فانه تعالى يرضى بالايمان و لايرضى بالكفر ثم قال الشارح والمذهب عندنا ان صفات الله تعالى لاهو ولاغيره وكلها قديمة فلا يستقيم الفرق ﴿قوله لأزينن لهم المعاصى فى الدنيا﴾ اشارة الى ان مفعول لأزينن محذوف وهو المعاصى وعدّى الفعل بفى بناء على ان يراد بالارض جهة السفل وهى الدنيا كما فى قوله تعالى اخلد الى الارض اى ركن الى الدنيا ﴿قوله والمعتزلة﴾ فانهم لما ابوا عن القول بانه تعالى يحدث الغواية و الضلال فى العبد بناء على مازعموا من ان بعض الافعال قبيح فى حقه تعالى اوّلوا قوله اغويتنى بقولهم نسبتنى الى الغىّ وسميتنى بذلك او بكونه تعالى سببا لغيه فانه تعالى لما امره بالسجود وافضى ذلك الى غيه بالاباء عن السجود كان له تعالى مدخل فى غيه فاسند الاغوآء اليه تعالى على طريق اسناد الفعل الى السبب فانظر الى ابليس علم انه تعالى هو الذى يخلق فعل الغواية والضلال فيمن يختار له ذلك ولم تعلم المعتزلة ذلك وايضا اوّلوا الاغوآء بالاضلال عن طريق الجنة اى ان اضللتنى عن طريق الجنة اضلهم انا بالدعاء الى المعصية وضعف هذا التأويل لانه لما اقدم على الكفر باختياره فقد خيب نفسه عن رحمة الله تعالى وايضا لما توجه عليهم ان قوله انك من المنظرين مخالف لمذهبهم لانه لما سأل من الله تعالى هذا العمر الطويل لزيادة الكفر و المعصية وبسبب تلك الزيادة يزاد استحقاقه لانواع العذاب و التعذيب كان هذا الامهال سببا لمزيد عذابه و ذلك يدل على انه تعالى اراد به ان يزداد عذابه و عذاب من يتبعه لانه تعالى امهله تلك المدّة الطويلة لعلمه بانه لايتفاوت حاله ولا حال من يتبعه فى الاستحقاق للعذاب الشديد بالكفر والضلال ويموت على الكفر ويخلد فى العذاب الشديد فلا يكون امهاله الامزيدا لتعذيبهم ويدل على ضعفه الدلائل النقلية و العقلية اما النقلى فمثل قوله فازلهما الشيطان وقوله فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى فانه يدل على ان للشيطان مدخلا وسببية فى تلك الافعال واما الدليل العقلى فان بداهة العقل شاهدة بانه ليس حال من ابتلى بمحاولة شخص رغبته ابدا فى القبائح ونفرته عن الخيرات مثل حال شخص كان حاله على ضدّ حاله فظهر بهذه الدلائل ان القول بعدم تفاوت الحال بين وجود اغوآء الشيطان وامهاله وعدم ذلك وبين وجود وسوسته وعدمها ضعيف وان ليس للمعتزلة اعتذار يعتدّ به ﴿قوله ولأحملنهم﴾ اشارة الى ان اسناد الاغوآء اليه من قبيل اسناد الفعل الى سببه الحامل واستثنى المخلصين لانه علم ان كيده لايعمل فيهم وانهم لايقبلون منه فلو لم يذكر الاستثناء لكان كاذبا فى قوله فابليس مع كونه ابليسا لما احترز عن الكذب ظهر ان الكذب فى غاية الخبث بحيث لايرضى به سعيد ولاشقى ثم ان ابليس لما استثنى

(قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم) المسمى فيه اجلك عند الله او انقراض الناس كلهم وهو النفخة الاولى عند الجمهور ويجوز ان يراد بالايام الثلاثة يوم القيامة واختلاف العبارات لاختلاف الاعتبارات فعبر عنه اوّلا بيوم الجزآء لما عرفت وثانيا بيوم البعث اذ به يحصل العلم بانقطاع التكليف و اليأس من التضليل وثالثا بالمعلوم لوقوعه فى الكلامين ولايلزم من ذلك ان لا يموت فلعله يموت اوّل اليوم ويبعث الخلائق فى تضاعيفه وهذه المخاطبة وان لم تكن بواسطة لم تدل على علوّ منصب ابليس لان خطاب الله تعالى له على سبيل الاهانة والاذلال (قال رب بما اغويتنى) الباء للقسم وما مصدرية وجوابه (لأزينن لهم فى الارض) والمعنى اقسم باغوآئك اياى لأزينن لهم المعاصى فى الدنيا التى هى دار الغرور كقوله اخلد الى الارض وفى انعقاد القسم بافعال الله تعالى خلاف وقيل للسببية والمعتزلة اوّلوا الاغوآء بالنسبة الى الغىّ او التسبب له بامره اياه بالسجود لآدم عليه السلام او بالاضلال عن طريق الجنة واعتذروا عن امهال الله له وهو سبب لزيادة غيه وتسليطه له على اغوآء بنى آدم بان الله تعالى علم منه وممن يتبعه انهم يموتون على الكفر ويصيرون الى النار امهل اولم يمهل وان فى امهاله له تعريضا لمن خالفه لاستحقاق مزيد الثواب وضعف ذلك لايخفى على ذوى الالباب (ولأغوينهم اجمعين) ولأحملنهم اجمعين على الغواية (الا عبادك منهم المخلصين) اخلصتهم لطاعتك وطهرتهم من الشوآئب فلا يعمل فيهم كيدى وقرأ ابن كثير وابن عامر وابو عمرو بالكسر فى كل القرءآن اى الذين اخلصوا نفوسهم لله

المخلصين من الغاوين باغوآئه قال تعالى هذا اشارة الى الاخلاص المدلول عليه بلفظ المخلصين صراط علىّ مستقيم من سلكه يمرّ علىّ اى على مرضاتى وفضلى واحسانى ومن مرّ على مرضاتى فكأنه مرّ علىّ وقيل على ههنا بمعنى الى والمعنى انه اشارة الى ماستثناه ابليس وهو انه لايغوى عباده المخلصين وهم الذين لايختارون اتباع ابليس فيكون علىّ متعلقا بمحذوف وهو حق ويكون استقامته كناية عن عدم الانحراف عن الحق وقرئ علىّ بالرفع على انه صفة لقوله صراط ﴿قوله تصديق لابليس﴾ صدّقه الله تعالى فى قوله الاعبادك منهم المخلصين وبين انه لايقدر على اغوآء المخلصين الا انه تعالى غير الوضع بان جعل ماستثناه ابليس مستثنى منه على غير الوضع الذى استثناه ابليس فان الاضافة فى قوله الاعبادك لتعريف الجنس وفى قوله تعالى ان عبادى لتشريف المخلصين باضافتهم الى نفسه والمصنف جعل الاستثناء متصلا بان جعل قوله تعالى ان عبادى لجنس العباد فيكون المستثنى داخلا فى جنس المستثنى منه وقال جعل وضع ماورد بتصديق قول ابليس مغايرا لوضع ابليس لان ابليس استثنى من جنس العباد المخلصين وهو تعالى استثنى منه الغاوين لفائدتين الاولى لتعظيم المخلصين لانهم هم الباقون بعد الاستثناء فهم الاحقاء لان يعبر عنهم بلفظ عبادى والثانية ان المقصود انما يتم بهذا الوضع فعلى هذا يكون قوله تعالى الامن اتبعك بمعنى لكن من اتبعك لعدم دخول متبعى ابليس فى المخلصين وان كان انما يحصل بتغيير الوضع وجعل التعريف للعهد ﴿قوله او تكذيب له فيما اوهم ان له سلطانا على من ليس بمخلص﴾ فان قول ابليس لاغوينهم اجمعين الاعبادك منهم المخلصين يوهم ان له سلطانا على عباد الله تعالى الغير المخلصين لانهم هم الباقون بعد استثناء المخلصين فتعينوا بذلك لان يكونوا متعلق اغوآئه فى قوله لاغوينهم وهو يوهم ان يكون له سلطان على اغوآئهم فكذبه الله تعالى حيث بين بهذه الآية انه ليس له سلطان عليهم ثم استدرك فقال لكن من اتبعك منهم باختياره فهو من الغاوين الا ان غوايته ليس لاجل ان ابليس يقهره على تلك المتابعة ويجبره عليها بل هو مختار فى ذلك كما قال تعالى حكاية عنه وما كان لى عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لى فظهر بهذا التقرير كون استثناء الا من اتبعك منقطعا لان اتباع ابليس لايخرجون باتباعهم اياه عن كونهم موصوفين بان ليس للشيطان سلطان عليهم ويمكن ان يجعل الاستثناء متصلا بان يحمل العباد فى قوله تعالى ان عبادى على العموم من المطيعين والعصاة ويكون السلطان بمعنى التمكن والوسوسة والدعوة الى الضلال ﴿قوله وعلى الاوّل﴾ اى على ان تكون الآية تصديقا لابليس وتوضيح المقام يتوقف على بسط الكلام فاعلم ان الاصوليين اتفقوا على ان الشرط فى الاستثناء المتصل ان لايكون المستثنى مستغرقا للمستثنى منه فيبطل ان يقال مثلا علىّ خمسة الاخمسة لانه يفضى الى اللغو وشرط الحنابلة مع ذلك ان لايزيد المستثنى على نصف المستثنى منه وقالوا لايصح نحو ان يقال له علىّ عشرة الاستة ويصح الاخمسة وشرط القاضى ابوبكر ان ينقص المستثنى عن نصف المستثنى منه فلا يصح علىّ عشرة الاخمسة ويصح الااربعة واحتج على مذهبه بان قال القياس يقتضى ان لايصح الاستثناء اصلا لان الحكم على المستثنى منه يتناول جميع مايندرج تحته وذكر الاستثناء بعده بمنزلة الانكار بعد الاعتراف الا انه خولف هذا القياس فيما اذا كان المستثنى اقل لمعنى لم يوجد فيما اذا كان مساويا او اكثر وهو ان الاقل قد ينسى لعدم الاعتداد وقلة التفات النفس اليه فيستدرك بالاستثناء فلم يلزم من صحة استثناء الاقل صحة استثناء الاكثر والمساوى وقوله تعالى الا من اتبعك ان جعل مستثنى متصلا من جنس العباد واراد تصديق ابليس فى قوله لاغوين عبادك الا المخلصين لزم اندفاع ماذهب اليه القاضى من وجوب كون المستثنى اقل من الباقى ووجه اندفاعه كونه مفضيا الى ان يكون كل واحد من المخلصين والغاوين اقل من الآخر وذلك لان استثناء المخلصين من جنس العباد فى قوله لاغوين عبادك يستلزم ان يكون المخلصين اقل من الغاوين واستثناء الغاوين من جنس العباد فى قوله تعالى الا من اتبعك يستلزم ان يكون الغاوين اقل من المخلصين فيكون كل واحد منهما اقل مما هو اقل من نفسه فيكون كل واحد منهما اقل من نفسه بدرجتين وماهو الا تناقض وباطل ﴿قوله او حال﴾ اى من الضمير فى موعدهم وهذا على رأى من يجوّز الحال من المضاف اليه فان جعلت الموعد مصدرا يجوز ان يعمل فى الحال الا انه لابدّ من حذف مضاف اى مكان موعدهم لان جهنم ليست نفس المعنى المصدرى وان جعلت الموعد اسم مكان لايحتاج الى تقدير المضاف الا ان اسم المكان لايعمل فحينئذ يكون العامل فى الحال معنى الاضافة ﴿قوله او طبقات ينزلونها﴾ يعنى اختلف فى ان المراد بابواب جهنم ماهو فقيل لها سبع طبقات بعضها اسفل من

(بعض)

(قال هذا صراط علىّ) حق علىّ ان اراعيه (مستقيم) لا انحرف عنه والاشارة الى ماتضمنه الاستثناء وهو تخلص المخلصين من اغوآئه او الاخلاص على معنى انه طريق علىّ يؤدى الى الوصول الىّ من غير اعوجاج وضلال وقرئ علىّ من علوّ الشرف (ان عبادى ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين) تصديق لابليس فيما استثناه وتغيير الوضع لتعظيم المخلصين ولان المقصود بيان عصمتهم وانقطاع مخالب الشيطان عنهم او تكذيب له فيما اوهم ان له سلطانا على من ليس بمخلص من عباده فان منتهى تزيينه التحريض والتدليس كما قال وما كان لى عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لى وعلى هذا يكون الاستثناء منقطعا وعلى الاوّل يدفع قول من شرط ان يكون المستثنى اقل من الباقى لافضائه الى تناقض الاستثناءين (وان جهنم لموعدهم) لموعد الغاوين او المتبعين (اجمعين) تأكيد للضمير او حال والعامل فيها الموعد ان جعلته مصدرا على تقدير مضاف ومعنى الاضافة ان جعلته اسم مكان فانه لايعمل (لها سبعة ابواب) يدخلون منها لكثرتهم او طبقات ينزلونها بحسب مراتبهم فى المتابعة وهى جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية ولعل تخصيص العدد لانحصار جميع المهلكات فى الركون الى المحسوسات ومتابعة القوّة الشهوية والغضبية او لان اهلها سبع فرق

وقرئ بقطع الهمزة وكسر الخاء على انه ماض فلا يكسر التنوين (بسلام) سالمين اومسلما عليكم (آمنين) من الآفات والزوال (ونزعنا) في الدنيا بما الف بين قلوبهم او في الجنة بتطييب نفوسهم (ما في صدورهم من غل) من حقد كان في الدنيا وعن علي رضي الله تعالى عنه ارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم اومن التحاسد على درجات الجنة ومراتب القرب (اخوانا) حال من الضمير في جنات اوفاعل ادخلوها او الضمير في آمنين او الضمير المضاف اليه والعامل فيها معنى الاضافة وكذا قوله (على سرر متقابلين) ويجوزان يكونا صفتين لاخوانا اوحالين من ضميره لانه بمعنى متصافين وان يكون متقابلين حالا من المستقر في على سرر (لا يمسهم فيها نصب) استئناف اوحال بعد حال اوحال من الضمير في متقابلين (وماهم منها بمخرجين) فان تمام النعمة بالخلود (نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم) فذلكة ماسبق من الوعد والوعيد وتقرير له وفي ذكر المغفرة دليل على انه لم يرد بالمتقين من يتقي الذنوب باسرها كبيرها وصغيرها وفي توصيف ذاته بالغفران والرحمة دون التعذيب ترجيح الوعد وتأكيده وفي عطف (ونبئهم عن ضيف ابراهيم) على نبئ عبادي تحقيق لهما بما يعتبرون به (اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما) اي نسلم عليك سلاما او سلمنا سلاما (قال انا منكم وجلون) خائفون وذلك لانهم دخلوا بغير اذن وبغير وقت اولانهم امتنعوا من الاكل والوجل اضطراب النفس لتوقع ما تكره (قالوا لا توجل) وقرئ لا تاجل ولا توجل من اوجله ولا تواجل من واجله بمعنى اوجله (انا نبشرك) استئناف في معنى التعليل للنهي عن الوجل فان المبشر لا يخاف منه وقرأ حمزة نبشرك من البشر (بغلام) هو اسحق عليه السلام لقوله فبشرناها باسحق (عليم) اذا بلغ (قال أبشرتموني على ان مسني الكبر) تعجب من ان يولد له مع مس الكبر اياه او انكار لان يبشر به في مثل هذه الحالة وكذلك قوله (فبم تبشرون) اي فبأي اعجوبة تبشروني اوفبأي شئ تبشروني فان البشارة بما لا يتصور وقوعه عادة بشارة بغير شئ وقرأ ابن كثير بكسر النون مشددة في كل القرآن على ادغام نون الجمع في نون الوقاية وقرأ نافع بكسرها مخففة على حذف نون الجمع استثقالا لاجتماع المثلين ودلالة بابقاء نون الوقاية على الياء (قالوا بشرناك بالحق) بما يكون لا محالة اوباليقين الذي لا لبس فيه اوبطريقة هي حق وهو قول الله تعالى وامره (فلا تكن من القانطين) من الآيسين من ذلك فانه تعالى قادر على ان يخلق بشرا من غير ابوين فكيف من شيخ فان وعجوز عاقر وكان (بمعنى) استعجاب ابراهيم صلوات الله عليه باعتبار العادة دون القدرة ولذلك (قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون) اي المخطئون طريق المعرفة فلا يعرفون سعة رحمة الله وكمال علمه وقدرته كما قال لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون وقرأ ابو عمرو والكسائي يقنط بالكسر وقرئ بالضم وماضيهما قنط بالفتح

يقال لهم ادخلوها مع السلامة من كل الآفات في الحال مع القطع ببقاء هذه السلامة والامن من زوالها وبسلام حال اي ملتبسين بالسلامة اومسلما عليكم وآمنين حال اخرى بدل من الاولى بدل الكل او الاشتمال لان الامن مشتمل على السلامة اوبالعكس ﴿قوله وقرئ بقطع الهمزة﴾ اي مضمومة على انه ماض مبني للمفعول يعني ان العامة على وصل الهمزة على انه امر من دخل يدخل وحينئذ يجوز كسر تنوين عيون لالتقاء الساكنين ويجوز ضمه ايضا بالقاء ضمة الهمزة على التنوين وحذف الهمزة حال الوصل وعلى تقدير ان يقرأ بقطع الهمزة لا يجوز كسر التنوين لانه لم يكن ساكنا ويجوز ضمه بالقاء ضمة الهمزة عليه واسقاط الهمزة اجراء لها مجرى همزة الوصل في الاسقاط ﴿قوله ونزعنا في الدنيا بما الف بين قلوبهم﴾ بان اتفقوا على ما يقتضيه الاسلام من الاخلاق الحسنة والافعال المرضية بعد ما كانوا عليه من الكفر وخصائل الجاهلية من اتباع الشهوة والغضب كما قال تعالى فاصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار بسبب اجتماعكم على الكفر والاحوال المناسبة له كأنه قيل ان المتقين في جنات بسبب انا طهرنا قلوبهم في الدنيا عن الكفر وما يناسبه من الكدورات الطبيعية والملكات الردية ﴿قوله او في الجنة﴾ بان ينسي الله تعالى ما كان بينهم من الجفاء والعقوق لان ذكر الجفاء والمخالفة ينغص النعم التي في الجنة فيجتمعون فيها على التلذذ والتنعم بنعيمها مع صفاء القلوب روي ان المؤمنين يحاسبون على باب الجنة فيقتص بعضهم من بعض ثم يمر بهم الى الجنة وقد نقى الله قلوبهم من الغل والغش والحقد والحسد والسرر بضمتين والاسرة جمع سرير قيل انه مجلس رفيع مهيأ للسرور فهو مأخوذ منه لانه مجلس سرور روي ان كل سرير مثل صنعاء الى الجابية ﴿قوله لانه بمعنى متصافين﴾ وتأويل الجامد بالمشتق البعيد منه لا يخلو من بعد ﴿قوله تحقيق لهما بما يعتبرون به﴾ فانه تعالى لما ذكر ان ضيف ابراهيم بشروه بالولد بعد الكبر وبانجاء المؤمنين من قوم لوط من عذاب الاستئصال واهلاك الآخرين على اسوء الاحوال كان ذلك تحقيقا وتقريرا لما قبله من انه غفور رحيم للمؤمنين وان عذابه عذاب اليم في حق الكفار والضيف في الاصل مصدر ضاف يضيف اذا اتى انسانا لطلب القرى ثم سمي به واطلق على الملائكة ضيفا مع امتناعهم من الاكل وطلب القرى من حيث ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام ظنهم اضيافا لدخولهم عليه على صورة الاضياف ﴿قوله تعالى اذ دخلوا﴾ فيه وجهان احدهما انه مفعول به لفعل مقدر اي اذكر اذ دخلوا والثاني انه ظرف محذوف اي اذكر خبر ضيفه اذ دخلوا او ظرف لنفس ضيف بناء على انه كان في الاصل مصدرا فاعتبر ذلك فيه ويدل على اعتبار مصدريته بعد جعله اسما وصفهم به وعدم مطابقته لما قبله تثنية وجمعا وتأنيثا في الاغلب ﴿قوله اولانهم امتنعوا من الاكل﴾ فانه قد كانت عادتهم انه اذا اكل من يطرقهم طعامهم أمنوا والا خافوا ﴿قوله وقرئ لا تاجل﴾ العامة على فتح تاء توجل من وجل يوجل كشرب يشرب وقرئ لا تاجل والاصل لا توجل كقراءة العامة الا انه قلبت الواو الفا لانفتاح ما قبلها وان لم تكن هي متحركة كقولهم تابه وصامه في توبه وصومه وسمع اللهم تقبل تابتي وصامتي وقرئ ايضا لا توجل مبنيا للمفعول من الايجال وقرئ لا تواجل ايضا ﴿قوله وقرأ حمزة نبشرك﴾ اي بفتح النون وسكون الباء من بشرت الرجل ابشره بشرا وبشورا من البشرى فالبشر والابشار والتبشير ثلاث لغات وقرأ الباقون نبشرك بضم النون وفتح الباء من التبشير بشروه بامرين احدهما ان الولد ذكر والثاني انه عليم واختلفوا في تفسير العليم فقيل بشروه بنبوته وقيل بشروه بانه عليم بالدين وما يتعلق به ﴿قوله تعجب او انكار الخ﴾ اذ لا محل لحمله على الاستفهام حقيقة اذ لا وجه للاستفهام بعد ان قالوا انا نبشرك بغلام عليم وكذا لا وجه للاستفهام عن المبشر به بعد ما بينوه بانه غلام عليم فلذلك حمل الاستفهام على التعجب والانكار والباء صلة تبشرون كما في قولك بشرته بقدوم زيد ويجوز ان لا تكون صلة تبشرون بل تكون كالباء في قوله ضربته بالسوط والمعنى بأي طريقة تبشرونني بالولد أيحصل ذلك مني حال كوني باقيا على صفة الشيخوخة ام اصير وانقلب الى الشباب ثم يحصل الولد مني وكل ذلك بعيد بحسب العادة وامر عجيب وكذا قوله بالحق يحتمل ان تكون الباء فيه صلة اي بشرناك بطريقة هي حق وهي ان يحصل الولد منكما حال بقائكما على صفة الشيخوخة التامة بفعل الله تعالى وامره فانه تعالى قادر على ان يوجد ولدا من غير ابوين فكيف من شيخ وعجوز عاقر والقنوط اليأس من الخير وقول ابراهيم عليه الصلاة والسلام ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون يدل على انه عليه الصلاة والسلام لم يكن قانطا ولكنه استبعد ذلك باعتبار العادة فظنت الملائكة ان به قنوطا فنفى عن نفسه واخبر ان القانط من رحمة ربه ضال جاهل والاستفهام في قوله ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون يدل على انه عليه الصلاة والسلام لم يكن قانطا لانه

(قال فاخطبكم ايها المرسلون) اى فاشانكم الذى ارسلتم لاجله سوى البشارة ولعله علم ان كمال المقصود ليس البشارة لانهم كانوا عددا والبشارة لاتحتاج الى العدد ولذلك اكتفى بالواحد فى بشارة زكريا ومريم اولانهم بشروه فى تضاعيف الحال لازالة الوجل ولوكانت تمام المقصود لابتدأوا بها (قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين) يعنى قوم لوط (الا آل لوط) ان كان استثناء من قوم كان منقطعا اذ القوم مقيد بالاجرام وان كان استثناء من الضمير فى مجرمين كان متصلا والقوم والارسال شاملين للمجرمين وآل لوط المؤمنين به وكان المعنى انا ارسلنا الى قوم اجرم كلهم الا آل لوط منهم لنهلك المجرمين وننجى آل لوط ويدل عليه قوله (انا لمنجوهم اجمعين) اى مما نعذب به القوم وهو استئناف اذا اتصل الاستثناء ومتصل بآل لوط جار مجرى خبر لكن اذا انقطع وعلى هذا جاز ان يكون قوله (الا امرأته) استثناء من آل لوط او من ضميرهم وعلى الاول لايكون الا من ضميرهم لاختلاف الحكمين اللهم الا ان يجعل انا لمنجوهم اعتراضا وقرأ حمزة والكسائى لمنجوهم مخففا (قدرنا انها لمن الغابرين) الباقين مع الكفرة لتهلك معهم وقرأ ابوبكر عن عاصم قدرنا هنا وفى النمل بالتخفيف وانما علق والتعليق من خواص افعال القلوب لتضمنه معنى العلم ويجوز ان يكون قدرنا اجرى مجرى قلنا لان التقدير بمعنى القضاء قول واصله جعل الشئ على مقدار غيره واسنادهم اياه الى انفسهم وهو فعل الله تعالى لما لهم من القرب والاختصاص به (فلما جاء آل لوط المرسلون قال انكم قوم منكرون) تنكركم نفسى وتنفر عنكم مخافة ان تطرقونى بشر (قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون) اى ما جئناك بما تنكرنا لاجله بل جئناك بما يسرك ويشفى لك من عدوك وهو العذاب الذى توعدتهم به فيمترون فيه (وأتيناك بالحق) باليقين من عذابهم (وانا لصادقون) فيما اخبرناك به (فأسر باهلك) فاذهب بهم فى الليل وقرأ الحجازيان بوصل الهمزة من السرى وهما بمعنى وقرئ فسر من السير (بقطع من الليل) فى طائفة من الليل وقيل فى آخره قال شعر

* افتحى الباب وانظرى فى النجوم * كم علينا من قطع ليل بهيم *

(واتبع أدبارهم) وكن على اثرهم تذودهم وتسرع بهم وتطلع على حالهم

بمعنى النفى ولذلك وقع بعده الايجاب بالا ﴿ قوله ولعله علم الخ ﴾ جواب عما يقال الملائكة لما بشروه بغلام عليم تبين غرضهم من المجيئ فكيف سأل عليه الصلاة والسلام بعد ذلك بقوله فاخطبكم ﴿ قوله ويدل عليه ﴾ اى على ان ارسال الملائكة الى المجرمين لاجل اهلاكهم الاستئناف بقوله انا لمنجوهم اجمعين فانه لما قيل انا ارسلنا الى قوم اجرم كلهم الا آل لوط منهم توجه ان يقال فما حال آل لوط فقالوا انا لمنجوهم فانه صريح فى ان المقصود من ذلك الارسال اهلاك القوم المجرمين ﴿ قوله لاختلاف الحكمين ﴾ فان آل لوط مستثنى من حكم الاجرام وامرأته مستثنى من حكم التنجية والاستثناء من الاستثناء لايصح الا فيما اتحد الحكم فيه مثل ان يقال اهلكناهم الا آل لوط الا امرأته وما نحن فيه ليس كذلك الا ان يجعل انا لمنجوهم معترضة بين الاستثناء الثانى والاول نقل عن صاحب التقريب انه قال وقد يتوهم من الارسال اذا كان بمعنى الاهلاك انه لا اختلاف اذ التقدير الا آل لوط لم نهلكهم فهو بمعنى منجوهم وجوابه ان الاستثناء من متعدد يصلح مستثنى منه ان كان متصلا بما قبله وههنا تخلل انا لمنجوهم فلو قال الا آل لوط الا امرأته جاز ذلك قال الطيبى قلت لاسيما ان قوله انا لمنجوهم على تقدير ان يكون الاستثناء متصلا جملة منقطعة عما قبلها على تقدير سؤال سائل فيبعد من البليغ ان يجعل ما فى حيزه متعلقا بما قبله وقوله جملة منقطعة خبر قوله ان قوله الخ وقال صاحب الكشاف قوله انما يكون فيما اتحد الحكم اى شخصا وعددا فلا يرد ان الارسال اذا كان بمعنى الاهلاك كان قوله انا لمنجوهم وقوله الا آل لوط فى معنى واحد واخر الاستثناء من الاول فى المعنى وانما شرط الاتحاد اذ المتصل كاسم واحد ولايجوز تخلل جملة بين العصا ولحائها ولا كذلك فى المنقطع ﴿ قوله وانما علق ﴾ ودليل تعليقه ان قوله انها لمن الغابرين فى موضع المفعول لقدرنا والمعنى قضينا انها تتخلف وتبقى مع من بقى حتى تهلك مع الهالكين فلما كسرت ان مع وقوعها فى حيز المفعول علمنا ان الفعل قبلها معلق عما بعده فان ان المكسورة من المعلقات اذا كان فتحها ممنوعا وذلك اذا جاء فى خبرها لام الابتداء نحو علمت ان زيدا لقائم فان لام الابتداء لاتدخل الا مع المكسورة واما اذا تجردت ان عن اللام فانها لاتعلق وجاز فتحها وجعلها معمولة للفعل واصل الكلام قدرناها من الغابرين ثم جيئ بلام الابتداء فصار قدرنا لها من الغابرين ثم جيئ بان فاخر لام الابتداء الى الخبر وقيل قدرنا انها لمن الغابرين ومعنى التقدير جعل الشئ على مقدار غيره يقال قدر هذا الشئ بهذا اى اجعله على مقداره وقدر الله تعالى الاقوات اى جعلها على مقدار الكفاية ويستعمل فى معنى القضاء يقال قدر الله عليه اى قضى عليه بذلك قضاء كائنا على قدر ماتقتضيه الحكمة وقيل قدرنا بمعنى كتبنا وقيل بمعنى دبرنا * فان قيل لم اسند الملائكة التقدير الى انفسهم مع انه لله تعالى * فالجواب انهم انما ذكروا هذه العبارة لما لهم من القرب والاختصاص بالله تعالى كما تقول خواص الملك دبرنا كذا وامرنا بكذا والمدبر والآمر هو الملك لاهم وانما يريدون بهذا الكلام اظهار مالهم من الاختصاص بذلك الملك فكذا هذا ﴿ قوله لتضمنه معنى العلم ﴾ فان تقدير الشئ ينبئ على العلم به ويستلزمه فعومل معاملة العلم فى التعليق بسبب تلك العلاقة والمعتزلة يفسرون تقدير الله تعالى اعمال العباد بالعلم بها ويجحدون القضاء والقدر لامتناعهم عن القول بتعلق قدرة الله تعالى بالمعاصى والتقدير عندهم هو العلم لا الارادة ﴿ قوله مخافة ان تطرقونى بشر ﴾ وذلك لان الملائكة كانوا على صورة شبان مرد حسان الوجوه فخاف ان يهجم قومه عليهم بغتة بسبب طلبهم فقال هذه الكلمة لذلك ويحتمل ان يكون المراد بقوله انكم قوم منكرون انى لااعرفكم ولااعرف انكم من الاقوام ولاى غرض دخلتم على وذلك لان النكرة ضد المعرفة الا ان قولهم بل جئناك بدل من القول المحذوف والتقدير ما ذكره ﴿ قوله فاسر بوصل الهمزة ﴾ يقال سريت اسرى سرى واسريت وهما لغتان بمعنى واحد اى سرت ليلا ﴿ قوله وقيل فى آخره ﴾ كلمة فى ههنا مستدركة لان القطع آخر الليل لا فى آخره * الجوهرى القطع ظلمة آخر الليل ومنه قوله تعالى فاسر باهلك بقطع من الليل وقال الاخفش بسواد من الليل ثم اورد قول الشاعر

* افتحى الباب وانظرى فى النجوم * كم علينا من قطع ليل بهيم *

اى كم علينا من آخر الليل المظلم كأن القائل طال عليه الليل فخاطب نفسه او حبيبته بذلك او كان يحب طوله للوصال فقال لها ذلك والبهيم المظلم الذى لايخالطه شئ سوى لونه يقال فرس بهيم اى مصمت وهو الذى لايخالط لونه شئ سوى لونه ﴿ قوله تذودهم ﴾ اى تسوقهم ليكون مسيره مسيرا الهارب الذى يقدم اهله حال فراره ويفوت بهم عما وراءه من المكروه وتسرع بهم اهتماما لامر خلاصهم بانقاذهم قبل ان يفجأ الصبح وينزل العذاب ومسارعة

(ولايلتفت منكم احد) لينظر ماورآءه فيرى من الهول مالايطيقه اوفيصيبه مااصابهم اولا ينصرف احدكم ولا يتخلف لغرض فيصيبه العذاب وقيل نهوا عن الالتفات ليوطنوا نفوسهم على المهاجرة (وامضوا حيث تؤمرون) الى حيث امركم الله بالمضىّ اليه وهو الشام اومصر فعدّى وامضوا الى حيث وتؤمرون الى ضميره المحذوف على الاتساع (وقضينا اليه) اى اوحينا اليه مقضيا ولذلك عدّى بالى (ذلك الامر) مبهم يفسره (ان دابر هؤلاء مقطوع) ومحله النصب على البدل منه وفى ذلك تفخيم للامر وتعظيم له وقرئ بالكسر على الاستئناف والمعنى انهم يستأصلون عن آخرهم حتى لايبقى منهم احد (مصبحين) داخلين فى الصبح وهو حال من هؤلاء اومن الضمير فى مقطوع وجمعه للحمل على المعنى فان دابر هؤلاء فى معنى مدبرى هؤلاء (وجاء اهل المدينة) سدوم (يستبشرون) باضياف لوط طمعا فيهم (قال ان هؤلاء ضيفى فلا تفضحون) بفضيحة ضيفى فان من اسيئ الى ضيفه فقد اسيئ اليه (واتقوا الله) فى ركوب الفاحشة (ولاتخزون) ولاتذلون بسببهم من الخزى وهو الهوان اوولا تخجلون فيهم من الخزاية وهو الحياء (قالوا اولم ننهك عن العالمين) عن ان تجير منهم احدا وتمنع بيننا وبينهم فانهم كانوا يتعرّضون لكل احد وكان لوط يمنعهم عنه بقدر وسعه اوعن ضيافة الناس وانزالهم (قال هؤلاء بناتى) يعنى نساء القوم فان نبى كل امة بمنزلة ابيهم وفيه وجوه ذكرت فى سورة هود (ان كنتم فاعلين) قضاء الوطر اوما اقول لكم (لعمرك) قسم بحياة المخاطب والمخاطب فى هذا القسم هو النبى عليه الصلاة والسلام وقيل لوط عليه السلام قالت الملائكة له ذلك والتقدير لعمرك قسمى وهو لغة فى العمر يختص به القسم لايثار الاخف فيه لانه كثير الدور على ألسنتهم (انهم لفى سكرتهم) لفى غوايتهم اوشدّة غلمتهم التى ازالت عقولهم وتمييزهم بين خطاهم والصواب الذى يشار به اليهم (يعمهون) يتحيرون فكيف يسمعون نصحك وقيل الضمير لقريش والجملة اعتراض

الى امتثال قوله تعالى فاسر باهلك وتطلع على حالهم لئلا يتخلف احد منهم لغرض له فى ورآءه فيصيبه العذاب وهذه فوآئد الامر باتباعه ادبار اهله امافوآئد النهى عن الالتفات بمعنى النظر الى ورآءه فامران الاوّل ان الالتفات بذلك المعنى ربما يؤدّى الى رؤية مالايطيقه من الهول ويكون ذلك سبب الهلاكه والثانى انه يؤدّى الى رؤية هلاك قومه وان يحمله تلك الرؤية على ترحمهم والرقة عليهم فى مقام البغض لله فيصاب بما اصابهم وان كان الالتفات المنهي عنه بمعنى الانصراف والتخلف لغرض ففائدة النهى عنه ظاهرة وهى الاحتراز عن اصابة العذاب ﴿قوله الى حيث امركم الله﴾ اشارة الى ان حيث على بابها من كونها ظرف مكان مبهم ولابهامها تعدّى الفعل اليها من غير واسطة فى ثم صرح بهذا فى قوله فعدّى وامضوا الى حيث وتؤمرون الى ضميره المحذوف على الاتساع يعنى ان حيث من الظروف الغير اللازمة الظرفية لكونه مفعولا به فى قوله تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالاته وقد يتوسع فى الظروف الغير اللازمة الظرفية فتجعل مفعولا بها فحينئذ يسوغ ان ينصب سوآء كان مستغنيا عن لفظ فى نحو قولك يوم الجمعة صمته وان يضاف اليه المصدر والصفة المشبهة كقوله تعالى بل مكر الليل والنهار وقول من قال * ياسارق الليلة اهل الدار * وقد اتفقوا على ان معناه سوآء كان متوسعا فيه اوغير متوسع فيه لايخرج عن كونه ظرفا لعامله وحيث على تقدير انتصابه على الظرفية لايحتاج الى فى لانه مبهم وقد تقرّر ان ظرف المكان المبهم منصوب غير مجرور بفى بخلاف المؤقت فان حكمه حكم ماليس بظرف فيحتاج الى فى وكذا الضمير فى تؤمرون ظرف مكان مبهم لكونه راجعا الى حيث فلذلك عدّى الفعل اليه اتساعا على طريق تعديته الى المفعول به ولو كان مؤقتا لقيل تؤمرون فيه ﴿قوله ولذلك﴾ اى ولكون قضينا بمعنى اوحينا عدّى بالى والافعل القضاء لايتعدّى بالى قال تعالى وقضى ربك الاتعبدوا الا اياه وقد عدّى ههنا الى لوط عليه الصلاة والسلام بكلمة الى باعتبار المضمن واسم الاشارة اشارة الى ماوعد من اهلاك قومه والامر منصوب على انه عطف بيان له وجملة ان دابر هؤلاء مقطوع فى محل النصب على انه بدل من ذلك ﴿قوله سدوم﴾ اسم قرية لوط عليه الصلاة والسلام والاستبشار اظهار السرور لما جاء الملائكة دار لوط عليه الصلاة والسلام اشتهر خبرهم وهو انه نزل بلوط ثلاثة من المرد فى غاية الحسن فذهب القوم الى دار لوط طلبا لهم فقال لهم لوط لما قصدوا اضيافه هؤلاء الخ ﴿قوله هؤلاء بناتى﴾ يجوز فيه ثلاثة اوجه احدها ان يكون هؤلاء منصوب المحل على انه مفعول فعل مقدر اى تزوّجوا هؤلاء وبناتى عطف بيان له اوبدل منه والثانى ان يكون هؤلاء مبتدأ وبناتى بدلا اوعطف بيان والخبر محذوف اى هنّ اطهر لكم كما صرح به فيما هو نظير لهذه الآية والثالث ان يكون هؤلاء مبتدأ وبناتى خبره ﴿قوله لعمرك﴾ مبتدأ محذوف الخبر وجوبا وقوله انهم مع مافى حيزه جواب القسم تقديره لعمرك قسمى اويمينى انهم الى آخره والعمر بفتح العين وضمها بمعنى واحد هو البقاء فاذا اقسموا فتحوا العين لاغير لان الفتح اخف وهم يكثرون القسم بلعمرى ولعمرك فاختاروا الاخف والعمر بفتح العين متى اقترن به لام الابتدآء التزموا فيه الرفع بالابتدآء وحذفوا خبره لسدّ جواب القسم مسدّه ﴿قوله والمخاطب فى هذا القسم هو النبى صلى الله عليه وسلم﴾ لما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال يريد وعيشك يامحمد وعنه انه قال ماخلق الله نفسا اكرم عليه من محمد عليه الصلاة والسلام وماسمعت الله تعالى اقسم بحياة احد الابحياته قال لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون وقيل ان هذا القسم مع جوابه كلام الملائكة للوط حكاه الله تعالى عنهم بقول مقدر اى قالت الملائكة للوط عليه الصلاة والسلام لعمرك انهم كذا ﴿قوله اوشدّة غلمتهم﴾ وهو بضم الغين وسكون اللام شهوة الضراب وقوله التى ازالت عقولهم صفة لكل واحدة من الغواية وشدّة الغلمة وبيان لوجه الشبه بين ماهم عليه من الغواية وشدّة السكرة على ان كل واحدة منهما على سبيل البدل على وجه الاستعارة التصريحية ﴿قوله وقيل الضمير لقريش﴾ عطف من حيث المعنى على مايفهم من الكلام السابق وهو ان المخاطب بقوله لعمرك سوآء كان لوطا اونبينا عليه الصلاة والسلام يكون الضمير فى قوله انهم لفى سكرتهم يعمهون لقوم لوط وعطف على هذا المفهوم قول من قال ان الضمائر المذكورة فى قوله انهم لفى سكرتهم يعمهون راجعة الى قريش على تقدير ان يكون خطاب لعمرك لنبينا صلى الله عليه وسلم فعلى هذا تكون جملة القسم مع جوابه معترضة فى خلال قصة قوم لوط كأنه سبحانه وتعالى خاطب رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم فقال لعمرك ان قومك الذين هم قريش لفى سكرتهم اى غوايتهم التى هى كحال سكر السكران يعمهون اى يتردّدون فى الباطل غافلين عما اعدّ الله تعالى لاهل

(معصيته)

معصيته كما ازله بقوم لوط وهذا كرجل يذكر قصة قوم خرجوا على السلطان فاخذوا وقتلوا فاذا ذكر بعض القصة وهو يريد ان يسمعه قوم مثلهم فعلوا كذلك ولم يعاقبوا بعد قال قبيل تمام القصة سمع فان هؤلاء في غفلة لايدرون ماذا يحل بهم ثم يعود الى تمام القصة ﴿قوله وقيل صيحة جبريل عليه الصلاة والسلام﴾ ضعفه ظاهر لانه ليس في الآية مايدل على ان تلك الصيحة صيحة جبريل وان ثبت بالدليل المقوّى لذلك قيل به والافليس في الآية الامايدل على انه جاءتهم صيحة عظيمة مهلكة وانه تعالى عذبهم بثلاثة انواع من العذاب احدها الصيحة الهائلة المنكرة وثانيها ماذكره بقوله فجعلنا عاليها سافلها وثالثها قوله وامطرنا عليهم حجارة من سجيل وقوله مشرقين حال من مفعول اخذتهم وشروق الشمس طلوعها يقال شرق يشرق شروقا لكل ماطلع من جانب الشرق واشرقت الشمس اى اضاءت قيل كان ابتداء العذاب حين اصبحوا وكان تمامه حين اشرقوا فلذلك قال اوّلا ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين وقال ههنا مشرقين ﴿قوله ثابت﴾ تفسير لقوله مقيم والمعنى ان مدينة قوم لوط بطريق ثابت لايندرس ولايخفى يسلكه من يسافر من الحجاز الى الشام والمقصود ان الاعتبار بها يمكن ﴿قوله ان في ذلك لآية للمؤمنين بالله ورسله﴾ فان كل من آمن بالله ورسله عرف ان ماذكر انما كان من الله تعالى انتقاما لانبيائه من اولئك الجهال واما الذين لايؤمنون بالله ورسله فانهم يحملون ذلك على حوادث العالم ووقائعه وحصول القرانات الكواكبية والاتصالات الفلكية ذكر الله تعالى اوّلا ان فيما ذكر من هذه القصة آيات للمتوسمين ولم يبين انه من اىّ جهة يكون فيه آيات لهم وذلك يحتمل وجوها الاوّل هو ان قوله ان في ذلك لآية يدل على رسالة محمد صلى الله عليه وسلم لانه عليه الصلاة والسلام ذكر قصة ابراهيم ولوط عليهما الصلاة والسلام على ما كانت وهو لم يشهدها ولم يقرأ كتابا ولم يخالط اهل العلم والاخبار فكان ذلك آية على صدقه في دعوى الرسالة والثاني ان في هلاك من اهلك منهم ونجاة من نجا منهم آية للمتوسمين لان من هلك منهم هلك بالتكذيب ومن نجا منهم نجا بالتصديق ويستدلون بذلك على ثبوت الصانع القادر العليم الحكيم وعلى حقية امر البعثة والنبوة وحقية ماجاء به الانبياء والمرسلون من الشرائع والاحكام وقيل انما جمع الآيات للمتوسمين ووحد الآية للمؤمنين بناء على ان لفظ ذلك اشارة الى وقوع القرية الهالكة بسبيل مقيم والله اعلم ﴿قوله فاهلكوا بالظلة﴾ روى انه تعالى سلط عليهم الحر سبعة ايام فبعث الله تعالى سحابة فالتجأوا اليها يلتمسون منها الروح فبعث الله تعالى عليهم منها نارا فاحرقتهم فذلك قوله تعالى فاخذهم عذاب يوم الظلة ﴿قوله ومن كذب واحدا من الرسل فكأنما كذب الجميع﴾ جواب عما يقال ان ثمود انما كذبوا رسولهم صالحا فكيف قيل كذب اصحاب الحجر المرسلين وتقرير الجواب ان صالحا كان يدعوهم الى ما كان دعاء سائر الرسل اليه فاذا كذبوه صاروا كأنهم قد كذبوا الرسل جميعا لان كل رسول كان يدعوا الى الايمان بالرسل جميعا فمن كذب واحدا منهم فقد كذب الكل وقيل الرسول من اوتى الكتاب بعد اظهار المعجزة وكل من لم يصدق هذا فقد عم التكذيب والردّ ﴿قوله ويجوز ان يكون المراد بالمرسلين صالحا ومن معه﴾ بطريق تغليب صالح على امته المؤمنين ﴿قوله اومعجزاته﴾ يحتمل انه تعالى اعطاه آيات ومعجزات سوى الناقة وان لم تذكر في القرآن ويحتمل ان تكون الناقة وحدها آيات من حيث انها خرجت من الصخرة وتحركت الصخرة لخروجها ودنت ولادتها لسقبها من حين خروجها والسقب الذكر من ولد الناقة والانثى سقبة ومن حيث انها ترد الماء يوما وتتركه يوما ومن حيث كثرة درّها ولبنها حتى كان يكفيهم جميعهم ومن حيث انتصابها لهم حتى يحلبوها ومن حيث عظم خلقها حتى لم تشبهها ناقة فلذلك كانت تصدر من طريق غير الطريق الذى وردت منه لانه كان يضيق عنها وغير ذلك من امورها التى كل واحد منها آية على حدة وان كانت الآيات عبارة عن الادلة والحجج فوجه جمعها ظاهر واضافة الناقة اليهم وان كانت الناقة لصالح لانها آيات رسولهم ﴿قوله اومن العذاب﴾ كأنهم كانوا آمنين مما وعدهم صالح من عذاب الله حيث قالوا ياصالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين وكانوا آمنين من انهدام مانحتوا اعتمادا على حذاقتهم في صنعة النحت قال تعالى وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين على تأويل حاذقين ﴿قوله الاخلقا ملتبسا بالحق﴾ اشارة الى ان قوله بالحق صفة مصدر محذوف وان الاستثناء مفرّغ من اعم عام المصدر واشار الى وجه انتظام هذه الآية بما قبلها بما محصوله انه تعالى بين اوّلا انه يهلك الكفار لاصرارهم على الكفر والعناد ثم ذكر انه ماخلق الخلق عبثا مهملا عن التقييد بقيد التكليف حتى تعمل كل نفس ماتشتهيه وانما خلقهم وهيأ لهم اسباب معاشهم وبين لهم دلائل الرشد والهدى ومايؤدى الى الهلاك والردى ليعرفوا خالقهم ورازقهم وحق احسانه اليهم ويشتغلوا بشكره وطاعته

(فاخذتهم الصيحة) يعنى صيحة هائلة مهلكة
وقيل صيحة جبريل (مشرقين) داخلين
فى وقت شروق الشمس (فجعلنا عاليها)
عالى المدينة او عالى قراهم (سافلها) فصارت
منقلبة بهم (وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل)
من طين متحجر او طين عليه كتاب من السجل
وقد تقدّم مزيد بيان لهذه القصة فى سورة
هود (ان فى ذلك لآيات للمتوسمين) المتفكرين
المتفرّسين الذين يتثبتون فى نظرهم حتى يعرفوا
حقيقة الشئ بسمته (وانها) وان المدينة
او القرى (لبسبيل مقيم) ثابت يسلكه الناس
ويرون آثارها (ان فى ذلك لآية للمؤمنين)
بالله ورسوله (وان كان اصحاب الايكة
لظالمين) هم قوم شعيب كانوا يسكنون
الغيضة فبعثه الله اليهم فكذبوه فاهلكوا
بالظلة والايكة الشجرة المتكاثفة (فانتقمنا
منهم) بالاهلاك (وانهما) يعنى سدوم
والايكة وقيل الايكة ومدين فانه كان مبعوثا
اليهما فكان ذكر احدهما منبها على الآخر
(لبإمام مبين) لبطريق واضح والامام اسم
مايؤتم به فسمى به اللوح ومطمر البناء لانهما
مما يؤتم به (ولقد كذب اصحاب الحجر
المرسلين) يعنى ثمود كذبوا صالحا ومن كذب
واحدا من الرسل فكانما كذب الجميع ويجوز
ان يكون المراد بالمرسلين صالحا ومن معه
من المؤمنين والحجر واد بين المدينة والشام
يسكنونه (وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها
معرضين) يعنى آيات الكتاب المنزل على
نبيهم او معجزاته كالناقة وسقبها وشربها
ودرّها او ما نصب لهم من الادلة (وكانوا
ينحتون من الجبال بيوتا آمنين) من الانهدام
ونقب اللصوص وتخريب الاعداء لوثاقتها
او من العذاب لفرط غفلتهم او حسبانهم ان
الجبال تحميهم منه (فاخذتهم الصيحة مصبحين
فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون) من بناء
البيوت الوثيقة واستكثار الاموال والعدد
(وما خلقنا السموات والارض وما بينهما
الا بالحق) الا خلقا ملتبسا بالحق لا يلائم
استمرار الفساد ودوام الشرور ولذلك
اقتضت الحكمة اهلاك امثال هؤلاء وازاحة
افسادهم من الارض

ويفوزوا بالحسنى والدولة العظمى يوم لقائه فمن اعرض عن النظر فى الدلائل البينات واصر على الاستهزآء بالحجج والآيات ورغب فى ارتكاب المعاصى والسيئات فقد استحق لان يعاقب بانواع العقوبات فلذلك اهلك من آثر سبيل الضلالات والجهالات اخلاء لوجه الارض من تلك الحالات ولم يكتف باهلاكهم بل اعد دار الجزآء لينتقم فيها من الاعدآء ويتفضل فيها على الاولياء فان الدنيا ليست بدار الجزآء بل هى دار التكليف والابتلاء فلا بد من يوم الدين والجزآء ليصل الى كل ذى حق حقه كما قال تعالى انه يبدأ الخلق ثم يعيده ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب اليم ثم انه تعالى لما صبره على اذى قومه رغبه بعد ذلك فى الصفح عن سيئاتهم فقال فاصفح الصفح الجميل اى فاعرض عنهم واحتمل ماتلق منهم اعراضا جميلا ملتبسا بحلم واغضاء ولاتكافئهم بما آذوك قولا وفعلا فان الساعة آتية فانا اكافئهم عنك ووصف الصفح بالجميل للدلالة على معنى ان لايترك نصحهم ودعاءهم الى الحق مع ذلك والصفح بهذا المعنى لايقبل النسخ والذى يقبله هو الصفح بمعنى الاعراض عن قتالهم وقيل هو منسوخ بآية السيف وهو بعيد لان المقصود من ذلك ان يظهر الخلق الحسن والعفو والصفح فكيف يصير منسوخا فانه عليه الصلاة والسلام كان مأمورا بالصفح فى موضعه وبالقتال فى موضعه ﴿ قوله او هو الذى خلقكم وعلم الاصلح لكم ﴾ عطف على قوله الذى خلقك وخلقهم فالوجه الاول على تفسير الصفح بالمعاملة بالخلق الحسن فى تبليغ الرسالة والصبر على ايذآئهم بلسانهم وفعلهم فحينئذ تكون الآية متعلقة بقوله وان الساعة آتية والوجه الثانى مبنى على تفسير الصفح بالاعراض عن قتالهم فتكون الآية حينئذ متعلقة بقوله فاصفح وقوله وهو يصلح للقليل والكثير فان صيغة فاعل موضوعة لمن يقوم به الفعل على وجه الحدوث سوآء كان متعلق الفعل واحدا او كثيرا وصيغة فعال انما تطلق اذا كان متعلق الفعل كثيرا ثم انه تعالى لما صبره على اذى قومه وامره بالصفح الجميل اتبعه بذكر ماخصه من النعم الجليلة لان الانسان اذا تذكر نعم الله عليه سهل عليه الصفح والتجاوز فقال ولقد آتيناك سبعا من المثانى والسبع يحتمل ان يكون المراد منه سبع آيات او سبعا من السور او سبعا غيرهما من الفوآئد وليس فى اللفظ مايدل على التعيين والمثانى صيغة جمع واحده اما مثناة وهى موضع الثنى او مثنية اسم فاعل والتأنيث لكونها صفة آية فان الآية انما تتلى مكررة او هى مثنية كأنها تثنى على الله بصفاته الحسنى على الاسناد المجازى او الاستعارة المكنية ﴿ قوله تعالى سبعا من المثانى ﴾ مفهومه سبعة اشياء من جنس الاشياء التى هى موضع الثنى والتكرير او موضع الثناء والعطف او الاشياء المثنية وهذا القدر مفهوم مجمل لاسبيل الى تعيين المراد منه الا بدليل منفصل فذهب اكثر المفسرين الى ان المراد منه فاتحة الكتاب وروى عنه عليه الصلاة والسلام انه قرأ فاتحة الكتاب وقال هى السبع المثانى ووجه التسمية بالسبع والمثانى لانها سبع آيات ولانها تثنى فى كل صلاة بمعنى انها تقرأ فى كل ركعة لانها تثنى بما يقرأ بعدها ولانها قسمان نصفها ثناء ونصفها دعاء كما ورد فى الحديث انه عليه الصلاة والسلام قال * يقول الله تعالى قسمت الصلاة * اى الفاتحة * بينى وبين عبدى نصفين الخ * فان النصف الاول منها حق الربوبية وهو الثناء والنصف الثانى حق العبودية وهو الدعاء ولان كلماتها مكررة مثل الرحمن الرحيم اياك نعبد واياك نستعين الصراط صراط عليهم عليهم ولفظ غير وغير فى قرآءة عمر رضى الله عنه فانه قرأ غير المغضوب عليهم وغير الضالين وقيل انها نزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة فلذلك سميت مثانى وقال الزجاج سميت الفاتحة مثانى لاشتمالها على الثناء على الله تعالى وهو حمد الله تعالى وتوحيده وملكه ونحو ذلك وعلى تقدير ان يكون المراد بقوله تعالى سبعا من المثانى هو الفاتحة دلت الآية على ان هذه السورة الكريمة افضل سور القرآن من وجهين احدهما ان افرادها بالذكر مع كونها من جملة القرآن لابد ان يكون لاختصاصها بمزيد الشرف والفضيلة والثانى انه تعالى لما انزلها مرتين دل ذلك على زيادة فضلها وشرفها ويدل عليه ايضا قوله عليه الصلاة والسلام * لاصلاة الا بفاتحة الكتاب * وانه عليه الصلاة والسلام واظب على قرآءتها فى جميع الصلوات طول عمره وما اقام سورة اخرى مقامها فى شئ من الصلوات وقيل المراد من السبع المثانى السبع الطول والطول جمع الطولى تأنيث الاطول كالكبر جمع الكبرى تأنيث الاكبر وهى البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والانعام والاعراف والانفال والتوبة وسميت هذه السور مثانى لانه يثنى فيها حدود القرآن وفرآئضه وامثاله وعبره وعامة احكامه فان عامة الاحكام فى هذه السبع * واعترض على هذا القول بان هذه الآيات مكية واكثر هذه السور السبع مدنية فكيف يمكن حمل هذه الآية عليها * واجيب عنه بان الله تعالى انزل القرآن

(وان الساعة لآتية) فينتقم الله لك فيهامن كذبك (فاصفح الصفح الجميل) ولا تعجل بالانتقام منهم وعاملهم معاملة الصفوح الحليم وقيل هو منسوخ بآية السيف (ان ربك هو الخلاق) الذى خلقك وخلقهم وبيده امرك وامرهم (العليم) بحالك وحالهم فهو حقيق بان تكل اليه ليحكم بينكم او هو الذى خلقكم وعلم الاصلح لكم وقد علم ان الصفح اليوم اصلح وفى مصحف عثمان وابى رضى الله عنهما هو الخالق وهو يصلح للقليل والكثير والخلاق يختص بالكثير (ولقد آتيناك سبعا) سبع آيات وهى الفاتحة وقيل سبع سور وهى الطول وسابعتها الانفال والتوبة فانهما فى حكم سورة ولذلك لم يفصل بينهما بالتسمية وقيل التوبة وقيل يونس

كله الى السماء الدنيا وقضى في علمه ان ينزله على نبيه صلى الله عليه وسلم نجوما وبهذا الاعتبار كأنه قد آتاه وانزله عليه فلذلك قال تعالى في حق ماينزله بعد ولقد آتيناك **قوله او الحواميم** عطف على قوله الطول يعني على تقدير ان يحمل سبعا على سبع سور يحتمل ان يراد بتلك السور الطول السبع وان يراد الحواميم السبع بناء على انه قد ثنى فيها القصص وبعض الاحكام **قوله وقيل سبع صحائف** عطف على قوله وقيل سبع سور وهذا هو القول الثالث في بيان قوله تعالى سبعا والصحائف جمع صحيفة بمعنى الكتاب فان القرآن العظيم سبعة اسباع كل سبع صحيفة وكتاب ومثناة ومثنية فعلى هذا القول السبع المثانى هو القرآن كله ودليل هذا القول قوله تعالى الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثانى ووصف كل القرآن بالمثانى لانه كرر فيه دلائل التوحيد والنبوة والتكاليف وانه مثنى عليه بالبلاغة والاعجاز ومثن على الله بما هو اهله فعلى هذا يكون عطف والقرآن العظيم على السبع من قبيل عطف الصفات مع وحدة ذات الموصوف كما في قوله

❁ انا الملك القرم وابن الهمام ❁ وليث الكتيبة في المزدحم ❁

ويكون المعنى ولقد آتيناك مايقال له السبع المثانى والقرآن العظيم اى الجامع لهذين الوصفين ونظير هذه الآية في القرآن قوله تعالى ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء اى كتابا جامعا بين هذين الوصفين ثم انه تعالى لما منّ على رسوله بان آتاه اشرف النعم وابقاها ثوابا ولذة نهاه عن الالتفات الى ماآتاه بعض الكفرة من نعيم الدنيا وادامة النظر اليها فقال ولا تمدّن عينيك والزوج في اللغة الصنف وازواجا مفعول متعنا قال عليه الصلاة والسلام لاتغبطن فاجرا بنعمة فانك لاتدرى مالاقى بعد موته ان له عند الله قاتلا لايموت* يعني النار وقال عليه الصلاة والسلام *ليس منا من لم يتغنّ بالقرآن* اى من لم يتغن على ان يكون التغنى من الغنى المقصور وهو اليسار وقد جاء التغنى في الحديث الصحيح وهو قوله عليه الصلاة والسلام *ان الخيل لرجل خير ولآخر شرّ ولثالث وزر *ثم قال واما الذى هى له شرّ فرجل ربطها تغنيا وتعففا ثم لم ينس حق الله تعالى في رقابها والمشهور حمله على تحسين الصوت بجعله من الغناء الممدود فان التغنى بهذا المعنى اشهر كيف وقد قيل لبعض رواة هذا الحديث ياابا محمد ارايت ان لم يكن حسن الصوت قال يحسنه مااستطاع ويشهد له الحديث الآخر* زينوا القرآن باصواتكم* وقيل المراد من التغنى بالقرآن الافصاح بالفاظه وقيل اعلانه والجهر به وقيل قرآءته على خشية من الله ورقة من فؤاده وقيل معناه كشف الغموم بقرآءته وذلك ان الانسان اذا اصابه غم ربما تغنى بالشعر فطلب بذلك فرجه مما هو فيه والصدّيقون همومهم المعاد وضيق صدورهم بما يشغلهم عن الله ولايفرّجون كربهم الابذكر كلام ربهم واليه الاشارة بقوله عليه الصلاة والسلام *من لم يتغن بالقرآن فليس منا* اى من لم يتفرّج من غمومه بقرآءة القرآن والتدبر فيه فليس منا خلقا وسيرة **قوله انه عليه الصلاة والسلام وافى باذرعات سبع قوافل** اى صادف فيها فلايكون المقصود من ايراد هذه الرواية بيان سبب نزول الآية لان الآية مكية وهو عليه الصلاة والسلام انما سافر ديار الشام بالمسلمين في آخر عمره بل المقصود مجرّد بيان ان سبعا من المثانى خير من الدنيا وان التقرّب بها افضل وانفع من التقرّب بانفاق الدنيا في سبيل الله تعالى ورواية الكشاف والكبير هكذا وافت من بصرى واذرعات سبع قوافل اى اتت يقال وافى فلان اى اتى وحينئذ يحتمل ان تكون هذه الواقعة متقدّمة على نزول الآية وتكون سببا لنزولها واذرعات بكسر الرآء موضع بالشام تنسب اليه الخمر وبصرى موضع بالشام ايضا تنسب اليه السيوف وقوله انهم لم يؤمنوا علة لنهيه عليه الصلاة والسلام عن الحزن على المشركين ان نزل بهم العذاب نهاه اوّلا عن الالتفات الى اموالهم ثم نهاه عن الالتفات الى انفسهم كأنه قيل كيف يضيق صدرك مما اصابهم من بأس الله تعالى وعذابه والحال انهم لم يؤمنوا فيتقوّى بهم الاسلام وتنتعش بهم المؤمنون **قوله وقيل انهم المتمعون به** اى قيل انه عليه الصلاة والسلام لما رأى قوافل الكفار وكثرتها والهم وخطر بقلبه عليه الصلاة والسلام ان اصحابه ليس لهم الاقدر الحاجة ولاعدآء الله هذه الاموال الكثيرة انزل الله تعالى عليه قوله ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم وهو خير مما يتمتعون به اياما قلائل ثم يزول عنهم عن قرب ثم قال ولا تحزن عليهم اى ولا تحزن لاجل فقرآء المسلمين حتى تكون رقة قلبك لاجلهم تؤديك الى الالتفات الى المتاع القليل الزآئل عن قرب لانهم المتمعون به اى لان مافي ايدى الكفرة سيصير الى اصحابك عن قرب فيتمتعون به زمانا والله اعلم **قوله**

او الحواميم السبع وقيل سبع صحائف وهى
الاسباع (من المثانى) بيان للسبع والمثانى
من التثنية او الثناء فان كل ذلك مثنى تكرّر
قرآءته والفاظه او قصصه ومواعظه ومثنى
عليه بالبلاغة والاعجاز ومثن على الله بما
هو اهله من صفاته العظمى واسمائه الحسنى
ويجوز ان يراد بالمثانى القرآن او كتب الله
كلها فتكون من للتبعيض (والقرآن العظيم)
ان اريد بالسبع الآيات والسور فمن عطف
الكل على البعض او العام على الخاص وان
اريد به الاسباع فمن عطف احد الوصفين
على الآخر (لاتمدّن عينيك) لاتطمح
ببصرك طموح راغب (الى مامتعنا به
ازواجا منهم) اصنافا من الكفار فانه
مستحقر بالاضافة الى مااوتيته فانه كمال
مطلوب بالذات مفض الى دوام اللذات
وعن ابى بكر من اوتى القرآن فرأى ان احد
اوتى من الدنيا افضل مما اوتى فقد صغر
عظيما وعظم صغيرا وروى انه عليه الصلا
والسلام وافى باذرعات سبع قوافل ليهود بنى
قريظة والنضير فيها انواع البز والطيب
والجواهر وسائر الامتعة فقال المسلمو
لو كانت هذه الاموال لنا لتقوّينا بها ولانفقناه
في سبيل الله فقال لهم لقد اعطيتم سبع آيات
هى خير من هذه القوافل السبع (ولا تحزن
عليهم) انهم لم يؤمنوا وقيل انهم المتمتعون ب

وتواضع لهم ﴾ يعني ان جناح الانسان يده كما قال الله تعالى لموسى عليه الصلاة والسلام واضمم اليك جناحك والخفض ضد الرفع قال تعالى في صفة القيامة خافضة رافعة اى انها تخفض اهل المعاصي وترفع اهل الطاعة وخفض الجناح ههنا كناية عن اللين والرفق والتواضع فهو تعالى لما نهاه عن الالتفات الى الاغنياء من الكفرة امره بالتواضع لفقرآء المسلمين ثم امره بان يقول للقوم انى انا النذير المبين اى الآتى بجميع البيانات الشافيات والبينات الوافيات ﴿ قوله فهو وصف لمفعول النذير ﴾ يعني ان الكاف اسم بمعنى المثل منصوب المحل على انه صفة لمحذوف وهو مفعول النذير اى عذابا مثل العذاب الذى انزلناه على المقتسمين وهم نفر من قريش بعثهم الوليد بن المغيرة ايام الموسم فاقتسموا مداخل مكة وطرقها يقولون لمن سلكها لا تغتروا بالخارج منا والمدعى للنبوة فانه مجنون وكانوا ينفرون الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول كل واحد منهم فى شأنه عليه الصلاة والسلام شيأ من المطاعن مثل كاهن وساحر وشاعر ومفتر ومجنون فانزل الله تعالى بهم جربا فماتوا شر ميتة وقيل هم الذين تقاسموا وتحالفوا على ان يبيتوا صالحا عليه الصلاة والسلام فرمتهم الملائكة بالحجارة فقتلوهم والقصة مذكورة فى تفسير قوله تعالى قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه واهله ثم لنقولن لوليه ماشهدنا مهلك اهله وعلى هذا يكون الاقتسام من القسم لا من القسمة وعلى هذين القولين المشبه محذوف وهو مفعول النذير حذف لدلالة المشبه به عليه كما تقول رأيت انسانا كالقمر ليلة البدر فى الحسن والتقدير مامر وهو انا النذير المبين عذابا مثل العذاب الذى انزلناه على المقتسمين ثم ذكر احتمالا آخر وهو ان لا يكون كما انزلناه واقعا فى حيز النذير بل يكون واقعا فى حيز آتيناك من حيث المعنى فان معنى آتيناك انزلنا اليك فيكون الكاف منصوب المحل على انه صفة مصدر محذوف اى انزالا مثل ما انزلنا على المقتسمين وهم اهل الكتاب الذين جعلوا القرآن عضين حيث قالوا بعنادهم وجهلهم بعضه حق موافق للتوراة والانجيل وبعضه باطل مخالف لهما فاقتسموه الى حق وباطل او اقتسموا القول فيه فقال بعضهم سحر وبعضهم كهانة او شعر او اساطير الاولين او افترآء فهو تعالى شبه انزاله على رسوله عليه الصلاة والسلام بانزاله عليهم تسلية له عليه الصلاة والسلام عن تكذيبهم وعداوتهم وتوسط قوله تعالى ولا تمدن عينيك الى قوله كما انزلنا بين المشبه والمشبه به اعتراضا بما هو مدد لمعنى التسلية من النهى عن الالتفات الى اموالهم والتأسف على كفرهم ويحتمل ان يكون المراد بالقرآن كتبهم بان يكون بمعنى المقروء الذى يقرأونه ويكون المعنى على المقتسمين من اهل الكتاب الذين جعلوا مايقرأون من الكتاب مقسوما مفرقا بان آمنوا ببعض كتابهم وكفروا ببعض فما وافق هواهم اخذوه ومالم يوافق غيروه وبدلوه كما قال تعالى تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا ﴿ قوله واصلها عضو من عضى الشاة ﴾ اى فرقها لان المشركين فرقوا تأويلهم فى القرآن فجعلوه كذبا وسحرا وكهانة ونحو ذلك وقيل بنقصان الهاء واصله عضهة لان العضة والعضين فى لغة قريش السحر وهم يقولون للساحر عاضه وللساحرة عاضهة روى انه عليه السلام لعن العاضهة والمستعضهة فقوله تعالى جعلوا القرآن عضين على هذا القول جعلوه اسحارا وقال الكسائى العضة الكذب والبهتان وجمعها عضون مثل عزة وعزون فقوله تعالى جعلوا القرآن عضين معناه جعلوه مفترى وعلى القولين جمعت العضة جمع مايعقل لما لحقها من الحذف فجعل الجمع بالواو والنون عوضا عن المحذوف ﴿ قوله وقيل هو عام فى كل مافعلوا ﴾ وعلى القولين ضمير لنسألنهم يرجع الى المقتسمين لانه الاقرب ويحتمل ان يرجع الى جميع المكلفين لتقدم ذكرهم فى قوله وقل انى انا النذير المبين اى لجميع الخلق * فان قيل كيف الجمع بين قوله تعالى فوربك لنسألنهم اجمعين وبين قوله فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان * اجيب عنه بوجوه الاول ان المعنى لا يسألون سؤال الاستفهام لانه تعالى عالم بكل اعمالهم بل يسألون سؤال تقريع فيقال لهم لم فعلتم كذا وهو ضعيف لانه لو كان المراد من قوله فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان نفى سؤال الاستفهام لما كان فى تخصيص هذا النفى بقوله فيومئذ فائدة لان مثل هذا السؤال محال على الله تعالى فى كل الاوقات لا فيه والثانى ان يصرف النفى الى بعض الاوقات والاثبات الى وقت آخر لان يوم القيامة يوم طويل وفيه مواقف يسألون فى بعضها ولا يسألون فى بعضها ونظيره قوله تعالى هذا يوم لا ينطقون وقال فى آية اخرى ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون ولقائل ان يقول قوله فيومئذ لا يسأل الآية صريح فى انه لا يحصل السؤال فى ذلك اليوم فلو حصل السؤال فى جزء من اجزآء ذلك اليوم لحصل التناقض والوجه الثالث ان قوله فيومئذ لا يسأل عن ذنبه الآية يفيد عموم النفى والضمير فى قوله فوربك لنسألنهم يرجع الى المقتسمين فيكون خاصا والخاص مقدم على العام

﴿ واخفض جناحك للمؤمنين ﴾ وتواضع لهم وارفق بهم ﴿ وقل انى انا النذير المبين ﴾ انذركم ببيان وبرهان ان عذاب الله نازل بكم ان لم تؤمنوا ﴿ كما انزلنا على المقتسمين ﴾ مثل العذاب الذى انزلنا عليهم فهو وصف لمفعول النذير اقيم مقامه والمقتسمون هم الاثنا عشر الذين اقتسموا مداخل مكة ايام الموسم لينفروا الناس عن الايمان بالرسول صلى الله عليه وسلم فاهلكهم الله تعالى يوم بدر او الرهط الذين اقتسموا اى تقاسموا على ان يبيتوا صالحا عليه السلام وقيل هو صفة مصدر محذوف يدل عليه ولقد آتيناك فانه بمعنى انزلنا اليك والمقتسمون هم اهل الكتاب ﴿ الذين جعلوا القرآن عضين ﴾ حيث قالوا عنادا بعضه حق موافق للتوراة والانجيل وبعضه باطل مخالف لهما او قسموه الى شعر وسحر وكهانة واساطير الاولين او اهل الكتاب آمنوا ببعض كتبهم وكفروا ببعض على ان القرآن مايقرأونه من كتبهم فيكون ذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله لا تمدن الخ اعتراضا ممدا لها الذين جعلوا القرآن عضين اجزآء جمع عضة واصلها عضو من عضى الشاة اذا جعلها اعضاء وقيل فعلة من عضهته اذا بهته وفى الحديث لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم العاضهة والمستعضهة وقيل اسحارا وعن عكرمة العضة السحر وانما جمع جمع السلامة جبرا لما حذف منه والموصول بصلته صفة للمقتسمين او مبتدأ خبره ﴿ فوربك لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون ﴾ من التقسيم او النسبة الى السحر فيجازيهم عليه وقيل هو عام فى كل مافعلوا من الكفر والمعاصى

(فاصدع بما تؤمر) فاجهر به من صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا اوفافرق به بين الحق والباطل واصله الابانة والتمييز وما مصدرية اوموصولة والراجع محذوف اى بما تؤمر به من الشرآئع (واعرض عن المشركين) فلا تلتفت الى مايقولون (انا كفيناك المستهزئين) بقمعهم واهلاكهم قيل كانوا خمسة من اشراف قريش الوليد ابن المغيرة والعاص بن وآئل وعدى بن قيس والاسود ابن عبد يغوث والاسود بن المطلب يبالغون فى ايذآء النبى صلى الله عليه وسلم والاستهزآء به فقال جبريل عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم امرت ان اكفيكهم فأومأ الى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظما لاخذه فاصاب عرقا فى عقبه فقطعه فمات وأومأ الى اخمص العاص فدخلت فيه شوكة فانتفخت رجله حتى صارت كالرحى ومات واشار الى انف عدى بن قيس فامتخط قيحا فمات والى الاسود بن عبد يغوث وهو قاعد فى اصل شجرة فجعل ينطح برأسه الشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات والى عينى الاسود بن المطلب فعمى (الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعلمون) عاقبة امرهم فى الدارين (ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون) من الشرك والطعن فى القرآن والاستهزآء بك (فسبح بحمد ربك) فافزع الى الله تعالى فيما نابك بالتسبيح والتحميد يكفك ويكشف الغم عنك اوفنزهه عما يقولون حامدا له على ان هداك للحق (وكن من الساجدين) من المصلين وعنه عليه الصلاة والسلام انه كان اذا حزبه امر فزع الى الصلاة (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) اى الموت فانه متيقن لحاقه كل حى مخلوق والمعنى فاعبده مادمت حيا ولا تخل بالعبادة لحظة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحجر كان له من الاجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والانصار والمستهزئين بمحمد صلى الله عليه وسلم

﴿ سورة النحل مكية غير ثلاث آيات فى آخرها وهى مائة وثمان وعشرون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اتى امر الله فلا تستعجلوه) كانوا يستعجلون ما اوعدهم الرسول صلى الله عليه وسلم من قيام الساعة او اهلاك الله تعالى اياهم كما فعل يوم بدر استهزآء وتكذيبا ويقولون ان صح مايقوله فالاصنام تشفع لنا وتخلصنا منه فنزلت والمعنى ان الامر الموعود به بمنزلة الآتى المتحقق من حيث انه واجب الوقوع فلا تستعجلوا وقوعه فانه لاخير لكم فيه ولا خلاص لكم عنه (سبحانه وتعالى عما يشركون) تبرأ وجل عن ان يكون له شريك فيدفع ما اراد بهم وقرأ حمزة والكسائى بالتاء على وفق قوله فلا تستعجلوه والباقون بالياء على تلوين الخطاب او على ان الخطاب للمؤمنين اولهم ولغيرهم لما روى انه نزلت اتى امر الله فوثب النبى صلى الله عليه وسلم ورفع الناس رؤسهم فنزلت فلا تستعجلوه (ينزل الملائكة بالروح) بالوحى او القرآن فانه يحيى به القلوب الميتة بالجهل

﴿قوله واصله الابانة والتمييز﴾ اصل الصدع الشق يقال صدعته فانصدع اى شققته فانشق ويستعمل بمعنى التفرقة ايضا كقوله يومئذ يصدّعون فقوله فاصدع بمعنى فافرق بين الحق والباطل وافصل بينهما قال الزجاج معناه اظهر ما امرت به اخذا من الصديع وهو ضوء الصبح قال الشاعر فان بياض غرته صديع * وقال المفسرون معناه اجهر بامرك وما مصدرية اى فاصدع بامرك وشأنك وهو تبليغ الرسالة والدعوة الى التوحيد وما يتفرع عليه من الاحكام قالوا ومازال النبى صلى الله عليه وسلم مستخفيا حتى نزلت هذه الآية ﴿قوله فمر بنبال﴾ اى برجل يصنع السهام والنبل السهم والاخمص مادخل من باطن القدم بحيث لايصيب الارض ﴿قوله تعالى فسبح بحمد ربك﴾ جواب شرط محذوف اى ان ضاق صدرك بما يقولون بمقتضى الجبلة البشرية والمزاج الانسانى فالتجئ الى الله تعالى فيما نابك بالاشتغال بهذه العبادات وهى اربعة اشياء التسبيح والتحميد والصلاة والملازمة عليها مادام حيا قال المحققون فى بيان كون هذه المذكورات سببا لزوال ضيق القلب والحزن ان الانسان اذا اشتغل بهذه العبادات انكشفت له اضوآء عالم الربوبية ومتى حصل له ذلك الانكشاف صارت الدنيا بالكلية حقيرة عنده فيستوى عنده وجدانها وفقدانها فلا يستوحش من فقدانها ولا يستريح بوجدانها وعند ذلك يزول الحزن والغم بالكلية ﴿قوله والمعنى فاعبده مادمت حيا﴾ اى معنى التقييد بقوله حتى يأتيك اليقين مع ان كل احد يعلم انه متى مات سقطت عنه العبادات التكليف بالاستمرار والمواظبة على العبادة ابدا مادام حيا لانه لوقيل اعبد ربك من غير توقيت لجاز انه اذا عبد الانسان مرة يكون مطيعا ممتثلا للامر بناء على ان الامر لايقتضى التكرار فلما قيل حتى يأتيك اليقين فقد امر بالاقامة ابدا مادام حيا روى انه صلى الله عليه وسلم قال * ما امرت ان اجمع المال واكون من التاجرين ولكن اوحى الى ان سبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين * تمت السورة والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ سورة النحل مائة وعشرون وثمان آيات وهى مكية الا آخر السورة فانها نزلت بالمدينة بعد قتل حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه وهى قوله وان عاقبتم الى آخر السورة ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿قوله ويقولون ان صح﴾ عطف على قوله يستعجلون اى كان اولا استعجال ما اوعدوا به استهزاء وتكذيبا وكانوا يقولون بعده ان صح الخ واجاب الله تعالى عن استعجالهم بان ما امر الله من عذاب الدنيا وعذاب الآخرة لكونه محققا الوقوع ومقررا فى علم الله تعالى وقضائه بمنزلة الواقع بالفعل فلذلك قال فى حقه انه قد اتى اجرآء له مجرى الواقع كما يقال لمن طلب الاغاثة وقرب حصولها جاء الغوث فلا تجزع ولا تستعجل واجاب عن قولهم ان صح كونه واجب الوقوع وجاريا مجرى الواقع فما نعبده من الاصنام شفعاؤنا عند الله تشفع لنا فنتخلص منه بسبب شفاعتهم بقوله سبحانه وتعالى عما يشركون به غيره فانى يكون لمبدع السموات والارض شريك فى تصرف ملكه فضلا عن ان يشاركه فى ذلك اخس خلقه ﴿قوله لما روى﴾ قال الامام انه لما نزل قوله تعالى اقتربت الساعة قال الكفار فيما بينهم ان هذا يزعم ان القيامة قد قربت فامسكوا عن بعض ماتعملون حتى يأتى ماهو كآئن فلما تأخرت قالوا ما نرى شيأ فنزل قوله تعالى اقترب للناس حسابهم فأشفقوا وانتظروا وقوعها فلما امتدت الايام قالوا يامحمد ما نرى شيأ مما تخوفنا به فنزل قوله تعالى اتى امر الله فوثب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفع الناس رؤسهم فنزل قوله فلا تستعجلوه انتهى كلامه يعنى انه لما نزل اتى امر الله ظنوا انها قد اتت حقيقة ففزعوا وخافوا فلما نزل قوله فلا تستعجلوه اطمأنوا وسكنوا فعلى قرآءة حمزة والكسائى يكون الخطاب فى الموضعين للكفار وعلى قرآءة الباقين يحتمل ان يكون للغيبة مبنيا على الالتفات وان يكون الخطاب فى قوله فلا تستعجلوه للمؤمنين اولهم ولغيرهم وتكون الغيبة على ظاهرها ﴿قوله فانه﴾ اى فان كل واحد من الوحى والقرآن يحيى به القلوب بيان لوجه الشبه بين الروح وبين كل واحد منهما شبههما اولا بالروح من حيث كونهما سببا لحياة القلوب مثل كون الروح سببا لحياة الجسد وشبههما ثانيا بالروح ايضا لكونهما بالنسبة الى الدين بمنزلة الروح للجسد فكما ان قوام الجسد وزينته بالروح فكذلك قوام الدين وزينته بالوحى والقرآن اذ بهما تكون المعارف الربانية والتكاليف الالهية فالروح الاصلى ليس الا القرآن والوحى من حيث ان ارتقاء الجسد عن درجة البهيمية لايحصل الا بهما ثم عبر بالمشبه به عن المشبه فصار استعارة تصريحية تحقيقية ثم انه تعالى لما بين بلسان الرسول صلى الله عليه وسلم ان ما توعدهم به لكونه محقق

الوقوع في حكم الواقع وانه تعالى منزه عن الشركاء والانداد بين لهم الطريق الذي علم به الرسول صلى الله عليه وسلم تحقق ماتوعدهم به ودنوه وازالة استبعادهم اختصاصه عليه الصلاة والسلام بالعلم به فقال ينزل الملائكة بالروح اى الملتبسين بالوحي او القرآن او ينزلهم ومعهم الروح على ان تكون الباء للمصاحبة كما في قولهم خرج زيد بعشيرته فان هذه الجملة مستأنفة لبيان ماذكر من طريق علمه عليه الصلاة والسلام بذلك ولازالة استبعادهم اختصاصه عليه الصلاة والسلام بالعلم المذكور كأنهم قالوا سلمنا انه تعالى قضى على بعض عبيده بالسرآء وعلى آخرين بالضرآء ولكن كيف يمكنك ان تعرف هذه الامور التي لايعلمها الا الله فكيف صرت بحيث تعرف اسرار الله تعالى واحكامه في ملكه وملكوته فاجاب الله تعالى عنه بقوله ينزل الملائكة بالروح وتقرير هذا الجواب انه تعالى ينزل الملائكة على من يشاء من عباده بامره وذلك الامر ان بلغ الى سائر الخلق انه اله العالم وكلفهم بالتوحيد وبالعبادة وبين لهم انهم ان فعلوا ذلك فازوا بخيري الدنيا والآخرة فبهذا الطريق صار مخصوصا بهذه المعارف من دون سائر الخلق وقرأ العامة ينزل بضم ياء الغيبة وبسكون النون وكسر الزاى الخفيفة ونصب الملائكة وقرئ تنزل بتاء واحدة فوقانية مفتوحة وتشديد الزاى على بناء الفاعل والاصل تتنزل بتاءين حذفت احداهما وقرئ تنزل بضم التاء الفوقانية وفتح النون والزاى المشددة على انه مضارع مبنى للمفعول من التنزيل ورفع الملائكة على انه قائم مقام الفاعل قيل المراد بلفظ الملائكة جبريل وحده وقد يطلق لفظ الجمع على الواحد اذا كان ذلك الواحد معظما ومنه نحو قوله تعالى انا ارسلنا وانا انزلنا وانا نحن نزلنا الذكر والمراد بالروح ههنا الوحي او القرآن كما مر وقيل المراد به ههنا جبريل عليه الصلاة والسلام والباء في قوله بالروح بمعنى مع كما في قولهم خرج زيد بعشيرته اى ومعه عشيرته والمعنى ينزل الملائكة مع الروح وهو جبريل عليه الصلاة والسلام فانه عليه الصلاة والسلام ماينزل وحده في اكثر الاحوال بل كان ينزل مع جبريل اقوام من الملائكة كما في يوم بدر وفي كثير من الغزوات وفي سائر المصالح والمهمات ﴿قوله بامره ومن اجله﴾ يعني ان كلمة من في قوله من امره للسببية والتعليل كما في قوله تعالى مما خطاياهم اغرقوا والمعنى ان ذلك التنزيل والنزول لايكون الا بامر الله كما قال تعالى وما تتنزل الا بامر ربك وقال لايسبقونه بالقول وهم بامره يعملون وغير ذلك مما يدل على ان الملائكة لايقدمون على عمل من الاعمال الا بامر الله تعالى واذنه والمراد بالعباد في قوله على من يشاء من عباده الانبياء الذين يخصهم الله تعالى برسالته والانذار هو الاعلام مع التخويف يقال نذر القوم بالعدو بكسر الذال اذا علموا وكثيرا مايستعمل الانذار في مجرد التخويف كما اشار اليه المصنف بقوله او خوفوا عطفا على قوله اى اعلموا والمخاطب بقوله تعالى انذروا هو الانبياء عليهم الصلاة والسلام الا انه تعالى انما يخاطبهم به بواسطة الملائكة المرسلة فانهم هم الذين يتلقون الوحي من الله تعالى ابتدآء من غير واسطة سوآء كان ذلك الوحي وحيا متلوا مكتوبا في المصاحف وكان من قبيل الالهام والقاء الكلام الخفي ثم ان الملائكة يوصلون ذلك الوحي الى الانبياء عليهم الصلاة والسلام فلذلك قال تعالى في آخر سورة البقرة والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله فبدأ بذكر الله تعالى الذي هو اول مايجب ان يؤمن بوجوده ووحدانيته ثم ذكر الملائكة الذين يتلقون منه تعالى الوحي من غير واسطة ثم ذكر الكتب التي تلقاها الملائكة منه تعالى ثم ذكر الرسل في الدرجة الرابعة لانهم وسائط في تلقى المكلفين احكام الله تعالى وحدوده التي اجلها الله تعالى في قوله انه لااله الا انا فاعبدون فانه يدل على ان الروح المشار اليه بقوله تعالى ينزل الملائكة بالروح من امره ليس الا مايدل عليه الكلمة الجامعة وهو التوحيد الذي هو منتهى كمال القوة العلمية والامر بالتقوى الذي هو اقصى كمال القوة العملية فان النفوس البشرية لها نسبة الى عالم الغيب تستعد بها لقبول حصول الواردات وتجلى المعارف والادراكات من ذلك العالم ونسبة الى عالم الشهادة تستعد بها لان تتصرف في اجسام هذا العالم ويسمى استعدادها الحاصل لها باعتبار النسبة الاولى قوة نظرية واستعدادها باعتبار النسبة الثانية قوة عملية واشرف كمال القوة النظرية معرفة انه لااله الا هو واشرف كمالات القوة العملية الاتيان بالاعمال الصالحة الواقية من خزي يوم القيامة وقدم قوله لااله الا انا على قوله فاتقون للدلالة على ان مايستند القوة النظرية اعلى كمالا مما يستند الى القوة العملية والكمال الانساني باعتبار هاتين القوتين يسمى كمالا نفسانيا وللانسان كمالات غير ماذكر وهي كمالاته الجسدية البدنية وهي صحة جسده وكمال قواه الحيوانية وهي تسع عشرة قوة وذلك لان قواه الحيوانية لاتخلو اما ان تكون محركة او مدركة او لاتكون محركة ولا مدركة فالمحركة منها قوتان شهوية وغضبية والمدركة منها عشر قوى الحواس

او يقوم في الدين مقام الروح في الجسد وذكره عقيب ذلك اشارة الى الطريق الذي به علم الرسول ماتحقق موعدهم به ودنوه وازاحة لاستبعادهم اختصاصه بالعلم به وقرأ ابن كثير وابو عمرو وينزل من انزل وعن يعقوب مثله وعنه تنزل بمعنى تتنزل وقرأ ابو بكر تنزل على المضارع المبنى للمفعول من التنزيل (من امره) بامره ومن اجله (على من يشاء من عباده) ان يتخذه رسولا (ان انذروا) بان انذروا اى اعلموا من نذرت بكذا اذا علمته (انه لااله الا انا فاتقون) ان الشأن لااله الا انا فاتقون او خوفوا اهل الكفر

الظاهرة و الباطنة و التى لاتكون محركة و لامدركة سبع و تسمى القوى النباتية و هى الغاذية و النامية و المولدة و الجاذبة و الهاضمة و الماسكة و الدافعة فالمجموع تسع عشرة و فى بدن الانسان ثلاث قوى غير ماذكر و هى الروح الحيوانى و الروح الطبيعى و الروح النفسانى اما الروح الحيوانى فهو البخار اللطيف المتولد من غليان الدم المنبث فى التجويف الايسر من اللحم الصنوبرى و اما الروح الطبيعى فهو الذى انتقل من هذا البخار الى جانب الكبد و وصل اليه و اصلح حاله من التغذى و الطبخ و نحو ذلك و الروح النفسانى هو ما دخل الشرايين من هذا البخار و تصاعد حتى وصل الى الدماغ و البخار فى هذه الدرجة يكون فى غاية اللطافة و يتفرع عليه الانفعال الحيوانى فيكون لغاية اللطافة ساريا الى جميع الاعضاء و العروق نافذا فى اعماق البدن فان اتفق ان ظهرت سدة فى شئ من الاعضاء سقط ذلك العضو عن العمل لعدم نفوذ الروح النفسانى اليه بسبب السدة والله اعلم ﴿قوله وان مفسرة﴾ ذكر فى كلمة ان ثلاثة اوجه الاول ان تكون مفسرة لان الوحى فيه ضرب من القول و فى الصحاح الوحى الكتاب و الوحى ايضا الاشارة و الكتابة و الرسالة و الالهام و الكلام الخفى و كل ما القيته الى غيرك يقال وحيت اليه الكلام و اوحيت وهو ان تكلمه بكلام تخفيه و الثانى ان تكون مصدرية و هى التى من شأنها ان تنصب المضارع و وصلت ههنا بالامر كما فى قولك كتبت اليه بان قم فان فعل الامر لما دل على المصدر كالمضارع صح ان يدخل عليه مايجعله فى تأويل المصدر و الثالث ان تكون مخففة من الثقيلة و اسمها ضمير الشأن المحذوف تقديره ينزل الملائكة بان الشأن و هو مبتدأ و أنذروا خبره و هو انشاء فلابد من تقدير القول ليصح حمل الانشاء على المبتدأ فان قلنا انها مفسرة لايكون لها محل من الاعراب و ان كانت مخففة او ناصبة تكون فى محل الجر اما على انها بدل من الروح كما اختاره الزجاج و قال انه بدل من الروح و المعنى ينزل الملائكة بان انذروا اى اعلموا الخلائق انه لااله الا انا و اما على اسقاط الخافض و ابقاء عمله كما هو مذهب بعض النحاة او فى محل النصب بنزع الخافض كما ذهب اليه الآخرون و الاصل بان انذروا ﴿قوله وان النبوة عطائية﴾ اى لايخصصها بواحد دون واحد سوى تعلق المشيئة و يدل عليه قوله تعالى على من يشاء من عباده ثم انه تعالى لما بين ان اصل السعادات و منتهى كمال القوة العلمية معرفة الصانع شرع فى تقرير الدلائل الدالة على وجود الصانع و وحدته و دلالة المصنوعات على وجود الصانع من حيث انها لحدوثها تحتاج الى محدث و لامكانها تحتاج الى مرجح يرجح احد طرفى وجودها و عدمها على الآخر فالذى وقع فى القرآن هو الاستدلال بحدوثها و تغير احوالها فابتدأ سبحانه و تعالى فى هذه السورة فى الاحتجاج على وجود الاله المختار بايجاد اجرام السموات و الارض فان كل واحد منهما محدث لما تبين ان كل جسم متناه و كل ما كان متناهيا فى الجسم و القدر كان اختصاصه بذلك القدر المعين دون الازيد و الانقص مع جواز الكل لابد له من مقدر و مخصص فكل ما كان مفتقرا الى الغير فهو محدث و كذا كل جسم له شكل معين و وضع معين و صفات مختلفة مع تساوى نسبة جميع الاشكال و الاوضاع و الصفات بالنسبة الى ذاته فلابد له من مخصص يخصص بعض تلك الاشكال و الاوضاع لذلك الجسم ثم انه تعالى ثنى بذكر الاستدلال باحوال الانسان ثم ثلث بذكر الاستدلال باحوال الحيوان ثم ربع بذكر الاستدلال باحوال النبات ثم خمس بذكر الاستدلال باحوال العناصر الاربعة فان شيأ منها لايقدر عليه غيره تعالى ﴿قوله تعالى عما يشركون منهما الخ﴾ اشارة الى ان قوله تعالى تعالى عما يشركون ليس تكريرا لما ذكر فى اول السورة لانه ذكر اولا لابطال قول من يزعم ان الاصنام تشفع لمن عبدها و تدفع ما اراد الله به من العقاب و قد اشار المصنف اليه هناك بقوله فيدفع ما اراد بهم و ذكر ههنا لكونه نتيجة متفرعة على ما ذكر قبله من دليل الوحدانية كانه قيل خالق السموات و الارض كيف يكون له شريك مع ان ما يتصور ان يكون شريكا له اما شئ منهما او شئ يفتقر اليهما او شئ لايقدر على خلقهما و شئ منها لايصلح ان يكون شريكا له فثبت انه تعالى هو الواحد المتعالى عن الشركاء و الانداد و هذا التقرير مبنى على ان تكون كلمة ما فى قوله عما يشركون موصولة و المعنى تعالى عن الاشياء التى تشركونها لمن هو خالق السموات و الارض القادر على كل شئ ﴿قوله وفيه دليل﴾ اى و فى قوله خلق السموات و الارض بالحق وجه دلالته على ما ذكر ان من هو خالق اصول الاجرام كيف يكون من قبيل الاجرام المحدثة المحتاجة الى موجد و مخصص يخصص لها المقادير و الاشكال و الاوضاع و الاوصاف و لما كان اشرف الاجسام بعد الافلاك و هو الانسان مركبا من بدن و نفس استدل به على وجود الصانع الحكيم باعتبار كل واحد من بدنه و نفسه بعد الاستدلال عليه بخلق الافلاك بقوله خلق الانسان من نطفة اشار الى الاستدلال عليه باعتبار بدنه بقوله

والمعاصى بانه لااله الا انا وقوله فاتقون رجوع الى مخاطبتهم بماهو المقصود وان مفسرة لان الروح بمعنى الوحى الدال على القول او مصدرية فى موضع الجر بدلا من الروح او النصب بنزع الخافض او مخففة من الثقيلة والآية تدل على ان نزول الوحى بوساطة الملائكة وان حاصله التنبيه على التوحيد الذى هو منتهى كمال القوة العلمية والامر بالتقوى الذى هو اقصى كمال القوة العملية وان النبوة عطائية والآيات التى بعدها دليل وحدانيته من حيث انها تدل على انه تعالى هو الموجد لاصول العالم وفروعه على وفق الحكمة والمصلحة ولو كان له شريك لقدر على ذلك فيلزم التمانع (خلق السموات و الارض بالحق) اوجدهما على مقدار وشكل واوضاع وصفات مختلفة قدرها وخصصها بحكمته (تعالى عما يشركون) منهما اوبما يفتقر فى وجوده او بقائه اليهما اوبما لايقدر على خلقهما وفيه دليل على انه سبحانه وتعالى ليس من قبيل الاجرام

(مبين) للحجة او خصيم مكافح لخالقه قائل من يحيي العظام وهي رميم روى ان ابيّ بن خلف اتى النبي صلى الله عليه وسلم بعظم رميم وقال يا محمد أترى ان الله تعالى يحيي هذا بعدما قد رمّ فنزلت (والانعام) الابل والبقر والغنم وانتصابها بمضمر يفسره (خلقها لكم) او بالعطف على الانسان وخلقها لكم بيان لما خلق لاجله وما بعده تفصيل له (فيها دفء) ما يدفأ به فيقي البرد (ومنافع) نسلها ودرّها وظهورها وانما عبر عنها بالمنافع ليتناول عوضها (ومنها تأكلون) اى تأكلون ما يؤكل منها كاللحوم والشحوم والالبان وتقديم الظرف للمحافظة على رؤس الآي او لان الاكل منها هو المعتاد المعتمد عليه في المعاش واما الاكل من سائر الحيوانات المأكولة فعلى سبيل التداوي او التفكه (ولكم فيها جمال) زينة (حين تريحون) تردّونها من مراعيها الى مراحها بالعشيّ (وحين تسرحون) تخرجونها بالغداة الى المراعي فان الافنية تتزين بها في الوقتين وتجل اهلها في اعين الناظرين اليها وتقديم الاراحة لان الجمال فيها اظهر فانها تقبل ملأى البطون حافلة الضروع ثم تأوي الى الحظائر حاضرة لاهلها وقرئ حينا على ان تريحون وتسرحون وصفان له بمعنى تريحون فيه وتسرحون فيه (وتحمل اثقالكم) احمالكم (الى بلد لم تكونوا بالغيه) ان لم تكن الانعام ولم تخلق فضلا عن ان تحملوها على ظهوركم اليه (الا بشق الانفس) الا بكلفة ومشقة وقرئ بالفتح وهو لغة فيه وقيل المفتوح مصدر شق الامر عليه واصله الصدع والمكسور بمعنى النصف كأنه ذهب نصف قوّته بالتعب (ان ربكم لرؤف رحيم) حيث رحكم بخلقها لانتفاعكم وتيسير الامر عليكم (والخيل والبغال والحمير) عطف على الانعام (لتركبوها وزينة) اى لتركبوها ولتتزينوا بها زينة وقيل هي معطوفة على محل لتركبوها وتغيير النظم لان الزينة بفعل الخالق والركوب ليس بفعله ولان المقصود من خلقها الركوب واما التزين بها فحاصل بالعرض وقرئ بغير واو وعلى هذا يحتمل ان يكون علة لتركبوها او مصدرا في موضع الحال من احد الضميرين اى متزينين او متزينا بها

خلق الانسان من نطفة وقوله فاذا هو خصيم مبين استدلال عليه باحوال نفسه فان خلق الجسد الحساس المتحرك بالارادة من الماء المهين لايقدر عليه سوى الاله القادر وايضا النفوس الانسانية في اوّل الفطرة اقل فهما وذكاء وفطنة من نفوس الحيوانات الا ترى ان ولد الدجاجة حين خروجه من قشر البيضة يميز بين الصديق والعدوّ فيهرب من الهرّة ويلتجئ ويميز بين ما يوافقه من الغذاء وما لايوافقه بخلاف ولد الانسان فانه حين انفصاله من بطن الام لايميز البتة بين الضارّ والنافع ثم انه حال كبره يقوى عقله ويكمل فهمه بحيث يقدر على تعقل المعاني الدقيقة والعلوم الغامضة ويتمكن من ان يخاصم ويناظر ويجادل مع من ينازعه في جميع المطالب والمهمات فانتقال نفس الانسان من تلك المرتبة الدنية الى هذه الكياسة المفرطة لابدّ ان يكون بتدبير اله مختار قادر على ما يشاء فهذا هو المراد من قوله تعالى فاذا هو خصيم مبين وقيل معناه فاذا هو خصيم لربه منكر ما اخبر به خالقه من البعث والجزاء مبين ظاهر الخصومة والمكافحة المخاصمة مواجهة ومشافهة والصحيح ان الآية عامة لكونها مذكورة لتقرير الاستدلال على وجود الصانع وكمال قدرته لا لتقرير وقاحة الانسان وتماديه في الكفر والغواية ﴿قوله بعد ما قد رمّ﴾ اى بلي وتفتت يقال رمّ العظم يرم بالكسر رمّة اذا بلي فهو رميم وانما قال تعالى من يحيي العظام وهي رميم والقياس رميمة لان فعيلا وفعولا قد يستوي فيهما المذكر المؤنث والجمع مثل رسول وعدوّ وصديق ولما كان اشرف الاجسام الموجودة في العالم السفلي بعد الانسان الحيوانات التي ينتفع بها الانسان وهي الانعام ذكرها بعد ذكر الانسان والانعام عبارة عن الازواج الثمانية وهي الضأن والمعز والابل والبقر والغنم اسم للجنس المتناول للضأن والمعز والدفء السخونة واللام في قوله تعالى لكم فيها دفء يجوز ان تتعلق بخلقها اى خلقها لاجلكم ولمنافعكم ويكون قوله فيها دفء جملة اسمية قدم فيها الخبر او يكون فيها حالا من دفء لانه لو تأخر لكان صفة له قال الواحدي تم الكلام عند قوله والانعام خلقها لكم ثم ابتدأ وقال فيها دفء وقيل احسن الوجهين ان يكون الوقف عند قوله خلقها وابدأ بقوله لكم فيها دفء ليناسب قوله ولكم فيها جمال فانه معطوف والتقدير لكم فيها دفء ولكم فيها جمال ﴿قوله وتقديم الظرف﴾ جواب عما يقال تقديم الظرف في قوله ومنها تأكلون يفيد الحصر وليس الامر كذلك فانه يؤكل من غير الانعام كالدجاج والبط وصيد البر والبحر والحبوب والثمار ومحصول الجواب ان المراد حصر الاكل المعتاد المعتمد عليه في المعاش والحصر بهذا المعنى صحيح ﴿قوله الى مراحها﴾ بضم الميم وهو اسم للمكان الذي تأوي اليه الابل والغنم بالليل يقال اراح ابله اى ردّها الى المراح وذلك لايكون الا بعد الزوال ويقال سرح القوم ابلهم سرحا اذا اخرجوها الغداة الى المرعى ﴿قوله حافلة الضروع﴾ اى ممتلئة يقال حفل الوادي بالسيل اى امتلأ ﴿قوله لم تكونوا بالغيه ان لم تكن الانعام ولم تخلق﴾ اشارة الى جواب ما يقال كيف ناسب قوله لم تكونوا بالغيه قوله وتحمل اثقالكم فان المناسب للامتنان بخلق الانعام لحمل الاثقال ان يوصف البلد بان يقال لم تكونوا حامليها اليه فان الحمل شيء والبلوغ شيء آخر والمناسب للمقام هو الاوّل دون الثاني * وتقرير الجواب ان بينهما مناسبة من حيث المعنى وذلك لان تنكير البلد للتفخيم والتهويل والمعنى الى بلد بعيد غاية البعد بحيث لايبلغ الانسان اليه بالمشي على رجليه فضلا عن ان يبلغه وهو يحمل اثقاله على ظهره ولما كان المقام مقام توصيف البلد بالبعد وتحقيق بعده حسن توصيفه بقوله لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس فقوله تعالى لم تكونوا صفة لبلد وقوله الا بشق الانفس حال من الضمير المرفوع في بالغيه اى لم تبلغوه الاملتبسين بالمشقة والعامة على كسر الشين وقرئ بفتحها وقيل هما مصدران بمعنى واحد وهو المشقة وقيل الشق بالكسر كما يكون بمعنى المشقة يكون ايضا بمعنى نصف الشيء ويجوز حمل اللفظ على كل واحد من المعنيين ههنا اما حمله على المعنى الاوّل فظاهر واما حمله على نصف الشيء فالمعنى لم تكونوا بالغيه عند ذهاب نصف قوّتكم ونقصانها ﴿قوله ولتتزينوا بها زينة﴾ يعني ان زينة منصوب على انه مصدر فعل محذوف وقيل انها مفعول لاجله معطوف على محل قوله لتركبوها ولم ينصب الاوّل لفقدان شرط نصبه وهو اتحاد الفاعل فان الخالق هو الله تعالى والراكب المخاطبون بخلاف قوله وزينة فان فاعله الزائن الذي هو الخالق فاتحد الفاعل روى عن ابي يوسف ومحمد رحمهما الله انهما يبيحان اكل لحم الخيل لما روى عن جابر رضي الله عنه انه قال كنا قد جعلنا في قدورنا لحم الخيل ولحم الحمار فنهانا عليه الصلاة والسلام ان نأكل لحم الحمار وامرنا بان نأكل لحم الخيل وروي عن اسماء بنت ابي بكر رضي الله عنهما انها قالت نحرنا فرسا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكلناه وروي عن حسن عن ابي

واستدل به على حرمة لحومها ولا دليل فيه اذ لا يلزم من تعليل الفعل بما يقصد منه غالبا ان لا يقصد منه غيره اصلا ويدل عليه ان الآية مكية وعامة المفسرين والمحدثين على ان الحمر الاهلية حرّمت عام خيبر (ويخلق مالا تعلمون) لما فصل الحيوانات التي يحتاج اليها غالبا احتياجا ضروريا او غير ضروري اجمل غيرها ويجوز ان يكون اخبارا بان له من الخلائق مالا علم لنا به وان يراد به ماخلق في الجنة والنار مما لا يخطر على قلب بشر (وعلى الله قصد السبيل) بيان مستقيم الطريق الموصل الى الحق او اقامة السبيل وتعديلها رحمة وفضلا او عليه قصد السبيل يصل اليه من يسلكه لامحالة يقال سبيل قصد وقاصد اى مستقيم كانه يقصد الوجه الذي يقصده السالك لا يميل عنه والمراد من السبيل الجنس ولذلك اضاف اليه القصد وقال (ومنها جائر) مائل عن القصد او عن الله وتغيير الاسلوب لانه ليس بحق على الله تعالى ان يبين طريق الضلالة او لان المقصود بيان سبيله وتقسيم السبيل الى القصد والجائر انما جاء بالعرض وقرئ ومنكم جائر اى عن القصد (ولو شاء لهداكم اجمعين) اى ولو شاء هدايتكم اجمعين لهداكم الى قصد السبيل هداية مستلزمة للاهتداء (هو الذي انزل من السماء) من السحاب او من جانب السماء (ماء لكم منه شراب) ماتشربونه ولكم صلة انزل او خبر شراب ومن تبعيضية متعلقة به وتقديمها يوهم حصر المشروب فيه ولا بأس به لان مياه العيون والآبار منه لقوله فسلكه ينابيع وقوله فاسكناه في الارض (ومنه شجر) ومنه يكون شجر يعني الشجر الذي ترعاه المواشي وقيل كل ماينبت على الارض شجر قال الشاعر * نعلفها اللحم اذا عز الشجر * والخيل في اطعامها اللحم ضرر * (فيه تسيمون) ترعون من سامت الماشية واسامها صاحبها واصلها السومة وهي العلامة لانها تؤثر بالرعي علامات (ينبت لكم به الزرع) وقرأ ابوبكر بالنون على التفخيم (والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات) وبعض كلها اذ لم ينبت في الارض كل مايمكن من الثمار ولعل تقديم مايسام فيه على مايؤكل منه لانه سيصير غذاء حيوانيا وهو اشرف الاغذية ومن هذا تقديم الزرع والتصريح بالاجناس الثلاثة وترتيبها

حنيفة انه كان يحرم اكلها والرواية الظاهرة عن ابي حنيفة انه لا يحرّم الاكل بل يكرهه كراهة تنزيه ولم يصرح بالتحريم لاختلاف الصحابة والسلف ﴿قوله واستدل به على حرمة لحومها﴾ حيث قيل منفعة الاكل اعظم من منفعة الركوب فلو جاز اكل لحم الخيل لكان الانسب بيان هذه المنفعة فلما بين منفعة الركوب علم منه حرمة لحوم هذه المذكورات وان تمام المقصود من خلقها هو الركوب والزينة فان الانعام وماذكر بعدها من الخيل والبغال والحمير وان كان الانسان يحتاج اليها غالبا الا ان احتياجه الى الانعام ضروري لا يتأتى له ان يعيش بدونها لكونها مناط مأكولاته وملبوساته بخلاف ماذكر بعدها من الانواع الثلاثة فان الاحتياج اليها ليس من ضروريات الانسان وبقي من الحيوانات مالا ينتفع به الانسان غالبا فذكره على سبيل الاجمال بقوله ويخلق مالا تعلمون ﴿قوله بيان مستقيم الطريق﴾ اى على تقدير المضاف وان يكون القصد مصدرا بمعنى الاستقامة والعدل وصف به السبيل على طريق قولك رجل عدل فهو بمعنى قاصد يقال سبيل قصد وقاصد اى مستقيم كأنه يقصد الوجه الذي يؤمه السالك لا يعدل عنه ولما شرح الله تعالى دلائل التوحيد قال وعلى الله قصد السبيل اى حق عليه بيان مايكون مستقيما من السبيل ومايكون جائرا وليس كلمة على ههنا للوجوب اذ لا يجب على الله تعالى شيء لكن بيان الرشد من الغي مما تقتضيه الحكمة الالهية كأنه قيل انما ذكرت هذه الدلائل وشرحتها ازاحة للعذر وازالة للعلة ليهلك من هلك عن بينة ويحيي من حيّ عن بينة ﴿قوله او اقامة السبيل وتعديلها﴾ اى ويجوز ان يكون المعنى وحق على الله تعديل الطريق وجعلها مستقيمة فان قصد السبيل معناه لغة استقامة الطريق وكون هذه الاستقامة على الله تعالى معناه انه حق عليه تعالى تعديل طريق المكلفين بان يهديهم الى مايوصل الى مرضاته ﴿قوله او عليه قصد السبيل﴾ اى او يمرّ على فضل الله ورضوانه مستقيم الطريق بمعنى ان من سلكه يصل الى ذلك لامحالة فعلى هذا يكون قوله تعالى ومنها جائر بمعنى ومن الطريق ماهو جائر مائل عن الله ورضوانه يؤدي من سلكه الى نهيه وعقابه ﴿قوله وتغيير الاسلوب﴾ يعني الظاهر ان يقال وعليه جائرها على معنى وعليه بيان المائل المعوج منها وعدل عن هذا الاسلوب بناء على ان مقتضى الحكمة انما هو بيان الطريق المستقيم المؤدي الى السعادة الابدية او بيان مايمرّ عليه ويوصل الى الله ﴿قوله تعالى ولو شاء لهداكم اجمعين﴾ صريح في انه تعالى ماشاء هداية الكفار جميعا وما اراد منهم الايمان لان كلمة لو تفيد انتفاء الشيء لانتفاء غيره فمعنى الآية ماشاء هدايتهم فلا جرم ماهداهم لعلمه بان بعضهم لا يختار ذلك بل يختار مايوافق هواه ثم انه تعالى لما قرّر الاستدلال على وجود الصانع الحكيم بعجائب احوال الحيوانات ذكر بعده الاستدلال عليه بعجائب احوال النبات لان اشرف مافي العالم السفلي بعد الحيوان هو النبات فقال تعالى هو الذي انزل من السماء ماء ﴿قوله ولكم صلة انزل﴾ اى متعلق به فيكون شراب مبتدأ ومنه خبره قدّم عليه والجملة صفة لقوله ماء ﴿قوله وتقديمها يوهم حصر المشروب فيه﴾ اى في المطر لان معناه منه لا من غيره مع انا قد نشرب ماء الينابيع والآبار ولا بأس به لان ماء الارض من جملة ماء المطر فسكن فيها ﴿قوله ومنه يكون شجر﴾ اى بسببه نبت الشجر فان من في قوله ومنه شجر للسببية ويدل عليه قوله ينبت لكم به الزرع والذي ينبت في الارض بسبب ماء السماء نوعان نجم وشجر فالنجم كل ماينجم اى يظهر ويطلع من الارض مما ليس له ساق والشجر ماله ساق وقوله تعالى فيه تسيمون اى في الشجر تخلون مواشيكم ترعى يقتضي ان يراد بالشجر الاشجار التي ترعاها الماشية ويمكن اسامتها فيها فان الابل تقدر على رعي اوراق الاشجار الكبار فلهذا قال المصنف يعني الشجر الذي ترعاه المواشي مماله ساق ثم عطف عليه قوله وقيل كل ماينبت على الارض شجر سواء كان له ساق اولم يكن واستدل على صحة هذا القول بقول الشاعر

* نعلفها اللحم اذا عز الشجر * والخيل في اطعامها اللحم ضرر *

يقول الخيل نغذيها اللحم الذي هو الضرع بان نسقيها اللبن المحلوب منه اذا اجدبت الارض وقل الكلأ فانه اطلق الشجر على الكلأ ﴿قوله ترعون﴾ اى ترعون مواشيكم من قولك رعيت الابل ارعاها اذا خليتها ترعى وانت ترقبها ويقال رعى البعير الكلأ بنفسه والرعي بهذا المعنى لا يصلح ان يذكر في تفسير تسيمون بضم التاء من قوله اسام ماشيته اذا ارسلها وخلاها ترعى وسامت هي تسوم سوما اذا رعت بنفسها حيث شاءت قال الزجاج اخذ ذلك من السومة وهي العلامة وتأويلها انها تؤثر في الارض برعيها علامات ﴿قوله ولعل تقديم مايسام فيه الخ﴾ يعني ان النبات قسمان احدهما معد لرعي الانعام وقد ذكره بقوله تسيمون وثانيهما مخلوق لان يكون غذاء للانسان وهو

المراد بقوله ينبت لكم به الزرع والزيتون وكان الظاهر ان يقدم ما يأكله الانسان لاما يكون مرعى للحيوانات من النبات الا ان مرعى الحيوان بسبب اكل الحيوان اياه يكون جزأ منه فيصير غذآء حيوانيا وهو اشرف من الاغذية النباتية فبهذا الاعتبار يكون مرعى الحيوان اشرف مما يأكله الانسان فلذلك قدم الاول على الثانى لان الغذآء الحيوانى انما يحصل من اسامة الحيوانات والسعى فى تسمينها بواسطة الرعى ثم ان الغذآء النباتى قسمان حبوب وفواكه فهو تعالى اشار الى الحبوب بلفظ الزرع والى الفواكه بقوله والزيتون والنخيل والاعناب ولاشك ان الحبوب اشرف فى الغذآئية بالنسبة الى الفواكه واشرف الفواكه الزيتون والنخيل والاعناب فلذلك خص هذه الفواكه الثلاث بالذكر مع كثرة الفواكه واشرف هذه الثلاث هو الزيتون لانه فاكهة من وجه وادم من وجه لكثرة ما فيه من الدهن ومنافع الادهان كثيرة حيث تصلح للاكل والطلى واشتعال السرج واشرف الباقيين النخيل فلذلك قدم الزيتون على النخيل وقدم النخيل على الاعناب ﴿ قوله نفعكم بها حال كونها مسخرات ﴾ جواب عما يقال فيه تحصيل الحاصل وتقييد الشئ بنفسه وتكرار بلا فائدة • وتقرير الجواب ان سخرها لكم بمعنى نفعكم بها عبر عن النفع بالتسخير لكون النفع غاية للتسخير مترتبا عليه فهو تعبير عن الشئ بغايته والامر فى هذه الآية امر تكوين لا امر تكليف بناء على ان الافلاك والكواكب جمادات على ما ذهب اليه اكثر المسلمين فالامر المتعلق بها امر تخليق وتدبير لا امر تكليف بالفعل ومنهم من يقول انها ليست جمادات فهم يحملون الامر على الادآء والتكليف ﴿ قوله رفعا للدور والتسلسل ﴾ فانه لو اسند حوادث العالم السفلى الى الحركات الفلكية والكوكبية لاحتاجت تلك الحركات الى ان تستند الى حركات اخرى ولاشك ان الحركات الكوكبية والفلكية لا يمكن استنادها الى افلاك وكواكب اخرى والا لزم الدور او التسلسل وكلاهما محالان ولا يمكن استناد تلك الحركات والاوضاع الى قوات الافلاك والكواكب من حيث انها اجسام متماثلة فلو كان جسم معين من تلك الاجسام علة لصفة ووضع معين لكان كل جسم واجب الاتصاف بذلك الوضع والصفة ولامتنع اختلاف الصفات والاوضاع فثبت ان الجسم يمتنع ان يكون متحركا لكونه جسما وبقى ان يكون متحركا لغيره وذلك الغير اما ان يكون قوة قائمة به او امرا مباينا عنه والاول باطل لان البحث المذكور يعود بان يقال ان ذلك الجسم بعينه لم اختص بتلك القوة بعينها دون سائر الاجسام فتعين ان تكون تلك الحركة مستندة الى امر مباين عنه وذلك المباين لا يخلو اما ان يكون موجبا بالذات الى جميع الاجسام على السوية فلا يكون بعض الاجسام بقبول بعض الصفات المعينة اولى من بعض فتعين ان يكون فاعلا مختارا قادرا على ما يشاء وهو الله تعالى وان الحركات الفلكية على تقدير استناد الحوادث السفلية اليها حادثة بتخليق الله تعالى وتقديره وتكوينه وكان هذا اعترافا بان الكل من الله تعالى وباحداثه وتخليقه وهذا هو المراد من قوله تعالى وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم الآية يعنى ان كانت تلك الحوادث السفلية لاجل تعاقب الليل والنهار وحركات الشمس والقمر فهذه الاشياء لابد وان يكون حدوثها بتخليق الله تعالى وتسخيره قطعا للتسلسل ولما تم هذا الدليل فى هذا المقام ختم الآية بقوله ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون يعنى ان كل من كان له عقل يعلم ان التسلسل والقول بما يؤدى اليه باطل بل لابد من الانتهاء فى آخر الامر الى الفاعل المختار القديم تعالى شأنه من غير احتياج الى تفكر وتأمل بخلاف الاستدلال باحوال النبات على وجود الله بوجد الكائنات فان احوال النبات وان كانت دالة عليه الا ان دلالتها على وجوده تحتاج الى التفكر والتأمل فانه لما ذكر انه تعالى انزل من السماء ماء فانبت به الزرع والزيتون ونحوهما توهم ان يقال لا نسلم انه هو الذى انبتها ولم لا يجوز ان يقال هذه الاشياء انما حدثت بسبب اختلاف الفصول الاربعة وتأثيرات الشمس والقمر والكواكب فما لم يقم الدليل على فساد هذا الاحتمال لا يكون الاستدلال باحوال النبات وافيا بافادة هذا المطلوب قاطعا للشكوك والريوب بل يكون الاحتياج الى التفكر والتأمل باقيا بعد فلهذا السبب ختم الاستدلال باختلاف الليل والنهار وتسخير الشمس والقمر والنجوم لما خلقت له بقوله ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون تنبيها على ان هذا الدليل واف لافادة هذا المطلوب لمن له عقل سليم ولا يحوجه الى مزيد التفكر والتأمل فان من يعقل ان اختلاف الفصول والاوضاع الفلكية والكوكبية لا يستند الى افلاك واوضاع ضرورة بطلان التسلسل يقطع بان جميع الحوادث مستندة اليه تعالى ابتدآء وانتهاء وجمع لفظ الآية للدلالة على اختلاف انواع الدلالة ﴿ قوله او مصدر ميمى ﴾ عطف على قوله حال من الجميع فيكون مسخرات مفعولا مطلقا على ان يكون مسخر بمعنى التسخير لان المصدر الميمى من المزيدات يكون على وزن

(ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون) على وجود الصانع وحكمته فان من تأمل ان الحبة تقع فى الارض وتصل اليها نداوة تنفذ فيها فينشق اعلاها ويخرج منه ساق الشجر وينشق اسفلها فيخرج منه عروقها ثم تنمو ويخرج منها الاوراق والازهار والاكمام والثمار ويشتمل كل منها على اجسام مختلفة الاشكال والطبائع مع اتحاد المواد ونسبة الطبائع السفلية والتأثيرات الفلكية الى الكل علم ان ذلك ليس الا بفعل فاعل مختار مقدس عن منازعة الاضداد والانداد ولعل فصل الآية به لذلك (وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم) بان هيأها لمنافعكم (مسخرات بامره) حال من الجميع اى نفعكم بها حال كونها مسخرات لله تعالى خلقها ودبرها كيف شاء او لما خلقن له بايجاده وتقديره او بحكمه وفيه ايذان بالجواب عما عسى ان يقال ان المؤثر فى تكوين النبات حركات الكواكب واوضاعها فان ذلك ان سلم فلا ريب فى انها ايضا ممكنة الذات والصفات واقعة على بعض الوجوه المحتملة فلابد لها من موجد مخصص مختار واجب الوجود رفعا للدور والتسلسل او مصدر ميمى جمع لاختلاف الانواع وقرأ حفص والنجوم مسخرات على الابتدآء والخبر فيكون تعميما للحكم بعد تخصيصه

اسم المفعول من ذلك الباب ويجوز ان يجمع المصدر للدلالة على اختلاف الانواع والمعنى انه سخرها انواعا من التسخير على اسلوب قولك ضربه ضربات ﴿قوله ورفع ابن عامر﴾ فانه قرأ والشمس والقمر والنجوم مسخرات بالرفع فى الاربعة وقرأ حفص برفع النجوم ومسخرات فقط والباقون بنصب الجميع وكسر تاء مسخرات * فان قيل التسخير انما يتعلق بمن له حياة وقدرة يصح منه الانقياد والمخالفة حتى يقهر ويسخر فكيف يصح ان يتعلق التسخير بما هو من قبيل الاعراض كالليل والنهار وما هو من قبيل الجمادات كما فى المذكورات * فالجواب ان تسخير هذه الاشياء عبارة عن انه تعالى خلق هذه الاشياء ودبرها كيف شاء من غير ان يتوهم الامتناع والمخالفة من قبلها فهن مسخرات لله تعالى دبرها كيف شاء من غير ان يتوهم الامتناع او هو عبارة عن انه تعالى جعل فيها منافع للخلق تصل اليهم تلك المنافع شئن او ابين ولم يجعل لهن ما يمتنع عن الخلق استيفاء تلك المنافع منهن بسببه فهن مسخرات لما خلقن له بايجاده وتقديره على الوجهين فالمراد بالامر امر التكوين والتقدير لا امر التكليف والحاصل انه تعالى لما كوّن هذه الاشياء على وجه ملائم لمصالح العباد وتكونت على وفق ارادته صارت شبيهة بالعبد المنقاد المطواع فاطلق على هذا التكوين والتدبير لفظ التسخير على طريق التمثيل فصيغ المشتقات استعارة تبعية وكانت قرينة للاستعارة المكنية ﴿قوله يذكرون ان اختلافها ليس الا بصنع صانع﴾ اشارة الى انه تعالى ختم الاستدلال باختلاف اصناف ما ذرأ بقوله لقوم يذكرون بناء على ان خلاصة هذا الدليل راجعة الى ما ذكر فى الاستدلال باحوال النبات من ان الحبة الواقعة فى الارض ينشق اسفلها فيخرج منه عروق الشجر وينشق اعلاها فيخرج منه ساقها ثم تنمو ويخرج منها الاوراق والازهار والاكمام والثمار الى قوله علم ان ذلك ليس الا بفعل فاعل مختار فيتم الاستدلال باحوال النبات فلذلك قال ان فى ذلك لآية لقوم يذكرون ثم انه تعالى لما احتج على اثبات الصانع بالاجرام العلوية والسفلية من السموات والارض وخلقة نوع الانسان وانواع الحيوانات والنباتات شرع الآن فى الاستدلال عليه بعجائب احوال العناصر فبدأ منها بالاستدلال بعنصر الماء * واعلم ان علماء الهيئة قالوا ثلاثة ارباع كرة الارض غائصة فى الماء الذى هو البحر المحيط وهو كله عنصر الماء وحصل فى هذا الربع المسكون سبعة من البحار كما قال تعالى والبحر يمده من بعده سبعة ابحر والبحار التى سخرها الله تعالى للناس هى هذه البحار ومعنى تسخير الله تعالى اياها للخلق جعلها بحيث يتمكن الناس من الانتفاع بها اما بالركوب او بالغوص لاستخراج ما فيها من اللؤلؤ والمرجان واصطياد ما فيها من اللحوم الطرية ونحو ذلك والماء الزعاق هو المالح الاجاج اى المر ﴿قوله وتمسك به الامام مالك﴾ حيث قال كيف لا يحنث باكل السمك مع انه تعالى نص على كونه لحما فى هذه الآية وليس فوق بيان الله تعالى بيان روى عن ابى حنيفة انه لما قال لحم السمك ليس بلحم حتى لو حلف لا يأكل اللحم فاكل لحم السمك لا يحنث وسمعه سفيان انكر عليه واحتج عليه بهذه الآية فبعث اليه ابو حنيفة وسأله عن رجل حلف لا يصلى على البساط فصلى على الارض فهل يحنث او لا قال سفيان لا يحنث فقال السائل أليس الله تعالى قال والله جعل لكم الارض بساطا فعرف سفيان ان ذلك كان بتلقين ابى حنيفة ﴿قوله تشقه بحيزومها﴾ اى بوسط صدورها قال اهل اللغة مخر السفينة شقها الماء بصدرها وعن الفراء ان المخر صوت جرى الفلك وقوله تعالى منه لحما طريا يجوز ان يتعلق بقوله لتأكلوا وان يتعلق بمحذوف على ان يكون حالا من النكرة بعده وكذا منه فى قوله وتستخرجوا منه حلية يحتمل الوجهين المذكورين والحلية اسم لما يتحلى به وقوله تعالى وترى الفلك جملة معترضة بين التعليلين وهما قوله لتأكلوا منه وما عطف عليه وقوله ولتبتغوا وانما قلنا معترضة لانه خطاب لواحد وقع بين خطابين لجمع ﴿قوله بركوبها للتجارة﴾ اضافة الركوب الى ضمير الفلك يشعر ان يكون تقدير الكلام لتنتفعوا بكونها مواخر فيه ولتبتغوا الربح والنماء من فضل الله بركوبها للتجارة فاذا وجدتم ما تبتغونه من فضل الله واحسانه فلعلكم تؤدون حق شكره اذ لو جعل معطوفا على قوله تعالى لتأكلوا منه لحما وجعل قوله وترى الفلك اعتراضا بين التعليلين كما هو الظاهر لكان المناسب تذكير الضمير بان يقال بركوبه التجارة ﴿قوله كراهة ان تميل بكم﴾ الميد الميل والحركة والاضطراب يمينا وشمالا يقال ماد يميد ميدا ﴿قوله او ان تتحرك بادنى سبب للتحريك﴾ كالسفينة اذا القيت على وجه الماء فانها تميل من جانب الى جانب وتضطرب فاذا وضعت اجرام ثقيلة فى تلك السفينة استقرت على وجه الماء واستوت لان تلك الاجرام بسبب ثقلها تتوجه نحو المركز وتمنع السفينة عن ان تضطرب يمينا وشمالا فكذلك الجبال بالنسبة الى الارض فانها بمنزلة الاوتاد بالنسبة الى الامواج كما قال تعالى

ورفع ابن عامر الشمس والقمر ايضا (ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون) جمع الآية وذكر العقل لانها تدل انواعا من الدلالة ظاهرة لذوى العقول السليمة غير محوجة الى استيفاء فكر كاحوال النبات (وما ذرأ لكم فى الارض) عطف على الليل اى وسخر لكم ما خلق لكم فيها من حيوان ونبات (مختلفا الوانه) اصنافه فانها تتخالف باللون غالبا (ان فى ذلك لآية لقوم يذكرون) ان اختلافها فى الطبائع والهيئات والمناظر ليس الا بصنع صانع حكيم (وهو الذى سخر البحر) جعله بحيث تتمكنون من الانتفاع به بالركوب والاصطياد والغوص (لتأكلوا منه لحما طريا) هو السمك ووصفه بالطراوة لانه ارطب اللحوم فيسرع اليه الفساد فيسارع الى اكله ولاظهار قدرته فى خلقه عذبا طريا فى ماء زعاق وتمسك به مالك والثورى على ان من حلف ان لا يأكل لحما حنث باكل السمك واجيب عنه بان مبنى الايمان على العرف وهو لا يفهم منه عند الاطلاق الا ترى ان الله تعالى سمى الكافر دابة ولا يحنث الحالف على ان لا يركب دابة بركوبه (وتستخرجوا منه حلية تلبسونها) كاللؤلؤ والمرجان اى تلبسها نساؤكم فاسند اليهم لانهن من جملتهم ولانهن يتزين بها لاجلهم (وترى الفلك) السفن (مواخر فيه) جوارى فيه تشقه بحيزومها من المخر وهو شق الماء وقيل صوت جرى الفلك (ولتبتغوا من فضله) من سعة رزقه بركوبها للتجارة (ولعلكم تشكرون) اى تعرفون نعم الله تعالى فتقومون بحقها ولعل تخصيصه بتعقيب الشكر لانه اقوى فى باب الانعام من حيث انه جعل المهالك سببا للانتفاع وتحصيل المعاش (والقى فى الارض رواسى) جبالا رواسى (ان تميد بكم) كراهة ان تميل بكم وتضطرب وذلك لان الارض قبل ان تخلق فيها الجبال كانت كرة خفيفة بسيطة الطبع وكان من حقها ان تتحرك بالاستدارة كالافلاك او ان تتحرك بادنى سبب للتحريك فلما خلقت الجبال على وجهها تفاوتت جوانبها وتوجهت الجبال بثقلها نحو المركز فصارت كالاوتاد التى تمنعها عن الحركة

وقيل لما خلق الله الارض جعلت تمور فقالت الملائكة ماهي بمقرّ احد على ظهرها فاصبحت وقد ارسيت بالجبال (وانهارا) وجعل فيها انهارا لان القى فيه معناه (وسبلا لعلكم تهتدون) لمقاصدكم او الى معرفة الله سبحانه وتعالى (وعلامات) معالم تستدل بها السابلة من جبل وسهل وريح ونحو ذلك (وبالنجم هم يهتدون) بالليل فى البرارى والبحار والمراد بالنجم الجنس ويدل عليه قرآءة وبالنجم بضمتين وضمة وسكون على الجمع وقيل الثريا والفرقدان وبنات النعش والجدى ولعل الضمير لقريش لانهم كانوا كثيرى الاسفار للتجارة مشهورين بالاهتدآء فى مسائرهم بالنجوم واخراج الكلام عن سنن الخطاب وتقديم النجم واقحام الضمير للتخصيص كأنه قيل وبالنجم هؤلاء خصوصا يهتدون فالاعتبار بذلك والشكر عليه الزم لهم واوجب عليهم (أفمن يخلق كمن لايخلق) انكار بعد اقامة الدلائل المتكاثرة على كمال قدرته وتناهى حكمته والتفرّد بخلق ما عدّد من مبدعاته لان يساويه ويستحق مشاركته ما لايقدر على خلق شئ من ذلك بل على ايجاد شئ مّا وكان حق الكلام أفمن لايخلق كمن يخلق لكنه عكس تنبيها على انهم بالاشراك بالله سبحانه وتعالى جعلوه من جنس المخلوقات العجزة شبيها بها والمراد بمن لايخلق كل ماعبد من دون الله سبحانه وتعالى مغلبا فيه اولوا العلم منهم او الاصنام واجرآؤها مجرى اولى العلم لانهم سموها آلهة ومن حق الاله ان يعلم او للمشاكلة بينه وبين من يخلق او للمبالغة فكأنه قيل ان من يخلق ليس كمن لا يخلق من اولى العلم فكيف بمن لا علم عنده (أفلا تذكرون) فتعرفوا فساد ذلك فانه لجلائه كالحاصل للعقل الذى يحضر عنده بادنى تذكر والتفات (وان تعدّوا نعمة الله لاتحصوها) اى لاتضبطوا عددها فضلا عن ان تطيقوا القيام بشكرها اتبع ذلك تعداد النعم والزام الحجة على تفرّده باستحقاق العبادة تنبيها على ان ورآء ما عدّد نعما لاتنحصر وان حق عبادته غير مقدور (ان الله لغفور) حيث يتجاوز عن تقصيركم فى ادآء شكرها (رحيم) لايقطعها لتفريطكم فيه ولايعاجلكم بالعقوبة على كفرانها

وجعلنا الجبال اوتادا على طريق التشبيه البليغ ﴿قوله ماهى بمقرّ أحد على ظهرها﴾ كذا فيما رأيته من النسخ والظاهر ان يقال بمقرة احد بتأنيث مقرّة منوّنة او غير منوّنة لكونها خبرا عن ضمير الارض ﴿قوله لان القى فيه معناه﴾ اى معنى جعل فان الالقاء حقيقة هو طرح الشئ من اعلى الى اسفل ولايخفى ان اثبات الجبال الرواسى فى وجه الارض ليس بطريق الالقاء بل بطريق الجعل والخلق ويدل عليه قوله فى آية اخرى وجعل فيها رواسى من فوقها ولما كان قوله فى هذه والقى فى الارض رواسى بمعنى وجعل فيها رواسى ثم عطف قوله وانهارا وسبلا على قوله رواسى كان المعنى وجعل فيها رواسى وانهارا وسبلا ومعنى القاء السبل وجعلها فى الارض انه تعالى اظهرها وبينها ليهتدى بها من يشاء الى مقصده ووضع فيها علامات اى معالم وهو جمع معلم وهو الاثر الذى يستدل به على الطريق من جبل وسهل وريح ونحوها مما يستدل به فى النهار ولعل النهار تهب فيه الريح من جهة الى جهة اخرى فيستدل بها على الطريق فى الليل كما يستدل بالجبل ونحوه قال الامام ورأيت جماعة يشمون التراب وبواسطة ذلك الشم يعرفون الطرقات ﴿قوله ولعل الضمير لقريش﴾ يعنى غير اسلوب الخطاب فى قوله ان تميد بكم الى طريق الغيبة فى قوله وبالنجم هو يهتدون وخص اولئك الغائبين بالاهتدآء دون غيرهم بدلالة تقديم هم على يهتدون وخص اهتدآءهم بالنجم دون غيرهم حيث قدّم بالنجم على عامله الذى هو يهتدون فلعل المراد بهؤلاء الغائبين قريش فانهم امتازوا من بين جملة الناس بكثرة الاسفار للتجارة ومن سافر فى الديار لتجارة يكون اكثر سفره واتفاق ظلمة الليالى فيكون اهتدآؤه مختصا بالنجم وقوله عن سنن الخطاب اى عن طريقه الى طريق الغيبة اشارة الى قريش لكون هذا المعنى فيهم اتم واكمل ثم انه تعالى لما اقام الدليل على وجود الاله القادر ووجود نعمه واحسانه اتبعه بذكر مايدل على بطلان عبادة غيره بانه الذى هو المتفرّد بخلق هذه الآثار البعيدة والمولى لجميع هذه النعم الجليلة فقال افمن يخلق كمن لايخلق ﴿قوله انكار بعد اقامة الدلائل﴾ الانكار مستفاد من الهمزة والبعدية من الفاء ولما كان المقصود من هذا الكلام الانكار على من يجعل غير الخالق مثل الخالق فى تسميته باسم الاله فى الاشتغال بعبادته كان الظاهر ان يقال أفمن لايخلق كمن يخلق ليتم الالزام والتجهيل فى جعلهم العاجز كالقادر الا انه تعالى عكس هذا النظم للتنبيه على كمال جهالة المشركين فانه لاشك فى انحطاط شأن من لايخلق شيأ وهم مخلوقون بالنسبة الى خالقهم فمن سلك سبيل الاشتراك يلزمه ان يجعل الخالق القادر مماثلا لهؤلاء المخلوقات العجزة وهو غاية الجهالة والغواية فانكر عليهم فى هذه الجهالة فقال افمن يخلق كمن لايخلق عبر عن الاصنام التى هى جمادات بلفظ حقه ان يطلق على اولى العلم لاجرآئها مجرى اولى العلم او للمشاكلة او للمبالغة فى انكار المماثلة بين الخالق والاصنام فانه اذا امتنعت المماثلة بين الخالق وبين من لايخلق من اولى العلم كان امتناعها بين الخالق وبين من لايخلق ولايعلم بطريق الاولى ﴿قوله فانه لجلائه كالحاصل﴾ يعنى ان قوله تعالى أفلا تذكرون استعارة تبعية شبه ادراك الصورة الجلية الغير الحاصلة بالحاصلة المخزونة تشبيها مضمرا بتذكر الصورة المخزونة التى ذهل عنها فاطلق عليه اسم التذكر بناء على تلك المشابهة ثم اشتق منه تذكرون او هو استعارة مكنية شبهت الصورة الجلية الغير الحاصلة بالحاصلة المخزونة تشبيها مضمرا فى النفس وجعلت نسبة التذكر اليها تخييلا ﴿قوله بادنى تذكر﴾ الظاهر ان يقال بادنى توجه ﴿قوله فضلا عن ان تطيقوا القيام بشكرها﴾ يعنى ان الاشتغال بشكر النعم مشروط بعلم المنعم عليه بتلك النعم على سبيل التفصيل فان مالايكون معلوما امتنع الاشتغال بشكره واذا كان عقل الانسان قاصرا عن احصاء نعم الله تعالى والاحاطة بها تفصيلا امتنع منه ان يشتغل بشكرها على الوجه الذى يكون ذلك الشكر لائقا بتلك النعم فلما كان احصاء النعم والعلم بتفاصيلها من لوازم الطاقة على القيام بشكرها كان انتفاء الاحصاء مستلزما لانتفاء الطاقة على الشكر * فان قيل اذا لم يكن القيام بالشكر مما لايطيقه الانسان فكيف امرهم الله تعالى بذلك * فالجواب ان الشكر المأمور به هو الاشتغال بالعبادة على حسب الطاقة بان يلاحظ كمال عظمة الله تعالى وكبريائه وكثرة ماانعم به عليه من وجوه فضله واحسانه ويجتهد فى رعاية حدوده وتكاليفه على حسب طاقته واستطاعته ﴿قوله وتزييف للشرك باعتبار العلم﴾ يعنى انه تعالى زيف الشرك وعبادة الاصنام فى الآية الاولى باعتبار القدرة على الخلق وزيفه فى هذه الآية باعتبار العلم كأنه قال ان الاله يجب ان يكون عالما بالسرّ والعلانية والاصنام جمادات لاشعور لها بشئ اصلا فكيف تحسن عبادتها وقرأ العامة تسرّون وتعلنون بتاء الخطاب وقرأ عاصم فى رواية حفص يسرّون ويعلنون ويدعون فى كلهنّ بياء الغيبة للغائبة وكذلك الكسائى وروى عن عاصم يدعون خاصة بياء الغائبة والباقون كلهم بتاء

(والله يعلم ماتسرّون وماتعلنون) من عقائدكم واعمالكم وهو وعيد وتزييف للشرك باعتبار العلم

(الخطاب)

الخطاب للمخاطبة كذا فى تفسير التيسير وليس فى تفسير القرآء الاقوله قرأعاصم والذين يدعون بالياء والباقون بالتاء

قوله لمانفى المشاركة بين من يخلق ومن لايخلق اشارة الى جواب مايقال من ان قوله تعالى فى اوّل الآية أفمن يخلق يفيدان هذه الاصنام لاتخلق شيأ فيكون قوله ههنالايخلقون شيأ تكرارا محضا فاوجه وقوعه فى القرآن * وتقرير الجواب ان ماذكر اوّلا لايدل على ماذكر بعده بل كل واحد منهما مقدمة مستقلة لدليل بطلان القول بالاشراك وترتيب الدليل هكذا الآلهة الذين يعبدهم المشركون من دون الله لايخلقون شيأ ولاشئ مما لايخلق بشريك مماثل للخالق فلاشئ من الاصنام بشريك للخالق فلاتكرار **قوله** هم اموات لاتعتريهم الحياة اشارة الى ان قوله اموات خبر مبتدأ محذوف والى دفع مايقال من ان قوله اموات يفيدكونهم غير احياء فاالفائدة فى ذكر قوله غير احياء بعد ذكر اموات دفعه اوّلا بان قوله غير احياء صفة مخصصة لقوله اموات فان من الاموات ماتعتريه الحياة بعد زمان كالنطفة والبيضة ونحوهما ومالاتعتريه الحياة ابدا والاصنام من قبيل الثانى فكيف تكون شركاء للاله الحق الحىّ الذى لايجوز ان يعتريه الموت ابدا والحال ان الميت الذى لاتعتريه الحياة ابدا فى غاية البعد عن الحىّ الذى لايعتريه الموت ابدا ويمتنع ذلك فى حقه قطعا ودفعه ثانيا بان المراد بقوله اموات مايتناول الاموات حالا كالاصنام وعيسى وعزير والاموات مآلا كالملائكة الذينهم تعبدهم طائفة من المشركين والاموات بهذا المعنى يلزم ان لاتكون احياء بالذات الا انها وصفت بانها غير احياء بالذات للتأكيد كما فى قوله نفخة واحدة فانه لما كان المقصود نفى الالهية عن شركاء المشركين اقتضى المقام الاهتمام بنفى لوازم الالوهية عنها وتوصيفها بماينافى الالوهية فلذلك اكد كونها امواتا حالا اومآلا بكونها غير احياء بالذات فانه تعالى وصفهم بثلاث صفات كل واحدة منها تنافى الالوهية وهى انهم غير خالقين بل هم مخلوقون وانهم اموات غير احياء وانهم لايعلمون وقت البعث والمقصود منها نفى الالوهية عنهم واثبات وجوب كون الاله خالقا غير مخلوق حيا لايموت عالما بالغيب كعلمه بالشهادة فالذى يكون موصوفا باضداد هذه الاوصاف لايكون الها قطعا **قوله** ولايعلمون وقت بعثهم او بعث عبدتهم اشارة الى ان ضمير يشعرون للمعبودات البتة وان ضمير يبعثون يحتمل ان يكون للمعبودات ايضا ويكون المعنى ان الاصنام لايشعرون متى يبعثها الله تعالى قال ابن عباس ان الله تعالى يبعث الاصنام ولها ارواح ومعها شياطينها فتتبرأ من عابديها فيؤمر بالكل الى النار ويحتمل ان يكون للعابدين ويكون المعنى ان الاصنام وسائر المعبودات من دون الله لايشعرون وقت بعث عبدتهم فكيف يكون لهم وقت جزآء منهم على عبادتهم **قوله** وفيه تنبيه اى فى قوله ومايشعرون ايان يبعثون تنبيه على انه لابدّ من البعث وان البعث من لوازم التكليف على معنى ان من شأن المعبود ان يجازى عابده الذى كلفه بعبادته والدنيا دار تكليف لاتتأتى المجازاة فيها فلابدّ من دار الجزآء وبعث الخلق للثواب والعقاب ثم انه لابدّ للاله من العلم بماصدر من المكلف وبمايعادله من الثواب والعقاب وبالوقت المقدّر للجزآء والذى لايعلم شيأ من ذلك كيف يكون الها وقوله تعالى ايان منصوب بمابعده لابماقبله وهو يشعرون لانه استفهام علق يشعرون **قوله** تكرير للمدّعى بعد اقامة الحجج يعنى ان قوله تعالى الهكم اله واحد فذلكة لماسبق واعادة للمدّعى بعد اقامة الحجج عليه مفصلا كرّره ليكون توطئة لماذكر بعده من بيان مالاجله اصرّ الكفار على القول بالشرك وانكار التوحيد والفاء فى قوله فالذين جواب شرط محذوف كأنه قال اوّلا قد ثبت بالدلائل الواضحة ان الالوهية مختصة بالله تعالى وانه واحد متفرّد بالالوهية ثم قال اذا كان كذلك فمن حقه ان يخص بالعبادة وينزه عن الشريك فمن لم يحترز عن الشرك بعد اقامة هذه الدلائل لم ينتفع بها اى بهذه الدلائل حيث استمرّ على ضلاله القديم واستمراره انما يكون لاجل انه لايؤمن بالآخرة بل ينكرها فلذلك لايرغب فى الثواب ولا يرهب من الوقوع فى العقاب فيبقى قلبه منكرا لكل كلام يخالف هواه ومستكبرا عن الرجوع الى قول الناصح فلاجرم يبقى مصرّا على الجهل والضلال **قوله** وانكار قلوبهم عطف على قوله عدم ايمانهم بالآخرة وكذا قوله والاستكبار عطف عليه ايضا والمراد بالاوّل عدم الايمان بالآخرة فانه هو العمدة فى باب الاصرار على الضلال وبالآخرين انكار القلوب والاستكبار وبكونهما مرتبين على الاوّل وقوعهما خبرا للمبتدأ المتضمن لمعنى الشرط

قوله لاجرم حقا نقل الجوهرى عن الفرآء ان قولهم لاجرم كلمة كانت فى الاصل بمعنى لابدّ ولامحالة فجرت على ذلك وكثرت حتى تحوّلت الى معنى القسم وصارت بمنزلة حقا فلذلك يجاب عنها باللام كما يجاب عن القسم بها الا تراهم يقولون لاجرم لآتينك وقيل لا ردّ لكلامهم وجرم بمعنى حق ووجب بمعنى ان لا نافية لكلام متقدم تكلم به الكفرة

(والذين تدعون من دون الله) اى
والآلهة الذين تعبدونهم من دون الله وقرأ
ابوبكر يدعون بالياء وقرأ حفص ثلاثها بالياء
(لايخلقون شيأ) لمانفى المشاركة بين من يخلق
ومن لايخلق بين انهم لايخلقون شيأ لينتج انهم
لايشاركونه ثم آكد ذلك بان اثبت لهم صفات
تنافى الالوهية فقال (وهم يخلقون) لانها
ذوات ممكنة مفتقرة الوجود الى التخليق
والاله ينبغى ان يكون واجب الوجود
(اموات) هم اموات لاتعتريهم الحياة
او اموات حالا اومآلا (غير أحياء) بالذات
ليتناول كل معبود والاله ينبغى ان يكون
حيا بالذات لايعتريه الممات (ومايشعرون
ايان يبعثون) ولايعلمون وقت بعثهم او بعث
عبدتهم فكيف يكون لهم وقت جزآء على
عبادتهم والاله ينبغى ان يكون عالما بالغيوب
مقدّرا للثواب والعقاب وفيه تنبيه على ان
البعث من توابع التكليف (الهكم اله
واحد) تكرير للمدّعى بعد اقامة الحجج
(فالذين لايؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة
وهم مستكبرون) بيان لمااقتضى اصرارهم
بعد وضوح الحق وذلك عدم ايمانهم بالآخرة
فان المؤمن بها يكون طالبا للدلائل متأملا
فيما يسمع فينتفع به والكافر بها تكون حاله
بالعكس وانكار قلوبهم مالا يعرف الا
بالبرهان اتباعا للاسلاف وركونا الى المألوف
فانه ينافى النظر والاستكبار عن اتباع
الرسول وتصديقه والالتفات الى قوله
والاوّل هو العمدة فى الباب ولذلك رتب
عليه ثبوت الآخرين (لاجرم) حقا

فردّالله تعالى عليهم ذلك بقوله لاكما ردّلا هذه الواقعة قبل القسم فى قوله لا اقسم وقوله فلا وربك لايؤمنون ثم اتى بعدها بجملة فعلية وهى جرم انلهم كذا اى حق ووجب انيكون الامر كذافيكون مابعد جرم مرفوعا بالفاعلية وقيل انلاجرم لفظ مركب من لاالنافية وجرم جعلا لفظا واحدا مبنيا بناء خمسة عشر وصار بعدالتركيب بمعنى حق فيرتفع مابعد هما بالفاعلية ايضا فقوله تعالى لاجرم انلهم النار معناه حق وثبت كون النار مثوى لهم واستقرارهالهم وقيل انلاجرم بمنزلة لارجل فى كون لانافية للجنس وجرم اسمها مبنى معهاعلى الفتح وهى واسمها فى محل الرفع بالابتدآء ومابعدهما خبر لاالنافية وصار معناها لامحالة ولابدّ ان الله تعالى يجازيهم على حسب عمله بمااسرّوا واعلنوا ﴿ قوله فضلاعن الذين استكبروا من توحيده ﴾ يعنى ان المستكبرين يعم كل من عرف الحق واستكبر عن قبوله وعرف النعمة واستكبر عن شكرها ويدخل فى هذا القبح من سيق له الكلام دخولا اوّليا وهم المشركون الذين يستكبرون عن التوحيد وجاز انيكون لفظ المستكبرين من وضع الظاهر موضع ضمير المشركين المستكبرين عن التوحيد فقط وتكون النكتة فى العدول عن الضمير الاشارة الى علة الحكم بانه تعالى لايحبهم ثم انه تعالى لما بالغ فى تقرير دلائل التوحيد وبطلان مذهب عبدة الاوثان حكى عن منكرى النبوّة وبين انعاقبة طعنهم انيحملوا الاوزار واشار اليه المصنف بقوله فحملوا اوزار ضلالتهم فانه عليه الصلاة والسلام لما احتج على صدقه فى دعوى النبوّة بانزال القرءآن المعجز عليه طعنوا فى القرءآن وقالوا انه اساطير الاوّلين وليس هو من قبيل المعجزات فقال تعالى انما قالوا ذلك ليحملوا اوزارهم كاملة واللام فيه لام العاقبة لانهم لميصفوا القرءآن بانه اساطير الاوّلين لاجل انيحملوا ولكن لما كانت عاقبة ذلك التوصيف انيحملوها شابه الحمل المذكور الغرض المطلوب من الفعل فحسن ادخال لام العلة عليه كما فى قوله تعالى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا ﴿ قوله ماذا ﴾ فى محل الرفع على الابتدآء وقوله انزل ربكم خبره اى اىّ شئ انزل ربكم غاية مافى الباب انيكون التركيب من قبيل زيد ضربت فى حذف العائد المنصوب والمسئلة مختلف فيها بين النحاة والصحيح جوازه والقائم مقام الفاعل لقوله قيل هو الجملة من قوله ماذا انزل ربكم لانها هى المقولة والبصريون يأبون ذلك ويجعلون القائم مقامه ضمير المصدر لان الجملة لاتكون فاعلة ولاقائمة مقام الفاعل واختلفوا فى قائل هذا القول وفاعله المحذوف بعد اتفاقهم على ان المقول لهم المشركون الطاعنون فى القرءآن وكونه منزّلا من الله تعالى فقيل هو كلام بعضهم لبعض وقيل هو قول المسلمين لهم وقيل هو قول المقتسمين الذين اقتسموا مداخل مكة ينفرون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سألهم وفود الحاج عما انزل الله تعالى على رسوله كذا فى التفسير الكبير وفيه تسامح والمراد انه قول الوافدين على المشركين كما اختاره المصنف وعلى تقدير ان يكون هذا قول بعض المشركين لبعض يكون قوله ماذا انزل ربكم مبنيا على التهكم لانهم منكرون للانزال والنبوّة ﴿ قوله اى ماتدّعون نزوله او المنزّل اساطير الاوّلين ﴾ وارتفاع اساطير دليل على ان ماذا مرفوع على الابتدآء وخبره مابعده لانه لوكان منصوبا على انه مفعول محذوف لطابق الجواب السؤال فان جواب المرفوع ينبغى انيكون مرفوعا وجواب المنصوب منصوبا ولميقرأ احد اساطير الاوّلين بالنصب ﴿ قوله وبعض اوزار ضلال من يضلونهم وهو حصة التسبب ﴾ يعنى ان كلمة من فى قوله تعالى ومن اوزار الذين يضلونهم تبعيضية اى ان الرؤساء فى كمال الضلالة حيث جمعوا بين الضلالة عن الحق بانفسهم وبين الضلالة التى يتعدى اثرها الى الغير وهى ضلالة الاضلال فلما كانت ضلالتهم كاملة لاجرم حملوا اوزار ضلالتهم كاملة وكذلك الاتباع فان لهم ضلالة منسبية من اضلال الرؤساء اياهم ولهم ضلالة غيرها فالرؤساء يحملون من اوزار الاتباع ماهو حصة الضلال الحاصل فيهم باضلال الرؤساء اياهم ولايحمل الرؤساء جميع اوزار الاتباع وهذا لايخالف ماروى عن ابى هريرة رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم * من دعا الى هدى فاتبع كان له من الاجر مثل اجور من تبعه لاينقص ذلك من اجورهم شيأ ومن دعا الى ضلال فاتبع كان له من الاثم مثل آثام من تبعه من غير انينقص من آثامهم شئ * لان المراد ببعض اوزار من ضل هو وزر الضلالة الذى تسبب فيه المضل وكذلك الآثام المذكورة فى الحديث * قال الامام واعلم انه ليس المراد انه تعالى يحملهم اوزار غيرهم ويدل عليه قوله تعالى وان ليس للانسان الا ماسعى وقوله ولاتزر وازرة وزر اخرى بل المعنى ان الرئيس اذا وضع سنة قبيحة استحق بذلك عقابا عظيما حتى يكون ذلك العقاب مساويا لكل مايستحقه كل واحد من الاتباع ثم نقل عن الواحدى انه قال انها لوكانت للتبعيضية لخف عن الاتباع بعض اوزارهم وذلك غير جائز

(ان الله يعلم مايسرّون وما يعلنون) فيجازيهم وهو فى موضع الرفع بجرم لانه مصدر اوفعل (انه لايحب المستكبرين) فضلا عن الذين استكبروا عن توحيده او اتباع رسوله (واذا قيل لهم ماذا انزل ربكم) القائل بعضهم على التهكم او الوافدون عليهم او المسلمون (قالوا اساطير الاوّلين) اى ماتدّعون نزوله او المنزّل اساطير الاوّلين وانما سموه منزّلا على التهكم او على الفرض اى على تقدير انه منزّل فهو اساطير لاتحقيق فيه والقائلون له قيل هم المقتسمون (ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيامة) اى قالوا ذلك اضلالا للناس فحملوا اوزار ضلالتهم كاملة فان اضلالهم نتيجة رسوخهم فى الضلال (ومن اوزار الذين يضلونهم) وبعض اوزار ضلال من يضلونهم وهو حصة التسبب

(لقوله)

(بغير علم) حال من المفعول اى يضلون من لايعلم انهم ضلال وفائدتها الدلالة على ان جهلهم لايعذرهم اذ كان عليهم ان يبحثوا ويميزوا بين المحق والمبطل (الاساء مايزرون) بئس شيأ يزرونه فعلهم (قدمكر الذين من قبلهم) اى سوّوا منصوبات ليمكروا بها رسل الله عليهم الصلاة والسلام
(فأتى الله بنيانهم من القواعد) فأتاها امره من جهة العمد التى بنوا عليها بان ضعضعت (فخرّ عليهم السقف من فوقهم) وصار سبب هلاكهم (واتاهم العذاب من حيث لا يشعرون) لايحتسبون ولايتوقعون وهو على سبيل التمثيل وقيل المراد به نمرود بن كنعان بنى الصرح ببابل سمكه خمسة آلاف ذراع ليترصد من فى السماء فأهب الله الريح فخرّ عليه وعلى قومه فهلكوا (ثم يوم القيامة يخزيهم) يذلهم اويعذبهم بالنار لقوله ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته (ويقول اين شركائى) اضاف الى نفسه استهزاء اوحكاية لاضافتهم زيادة فى توبيخهم قرأ البزى بخلاف عنه اين شركاى بغير همز والباقون بالهمز (الذين كنتم تشاقون فيهم) تعادون المؤمنين فى شأنهم وقرأ نافع بكسر النون بمعنى تشاقوننى فان مشاقة المؤمنين كمشاقة الله عزوجل (قال الذين اوتوا العلم) اى الانبياء اوالعلماء الذين كانوا يدعونهم الى التوحيد فيشاقونهم ويتكبرون عليهم اوالملائكة (ان الخزى اليوم والسوء) الذلة والعذاب (على الكافرين) وفائدة قولهم اظهار الشماتة بهم وزيادة الاهانة وحكايته لان يكون لطفا ووعظا لمن سمعه (الذين تتوفاهم الملائكة) وقرأ حمزة بالياء وقرئ بادغام التاء فى التاء وموضع الموصول يحتمل الاوجه الثلاثة (ظالمى انفسهم) بان عرضوها للعذاب المخلد (فألقوا السلم) فسالموا واخبتوا حين عاينوا الموت (ماكنا نعمل من سوء) قائلين ما كنا نعمل من سوء كفران وعدوان ويجوز ان يكون تفسير السلم على ان المراد به القول الدال على الاستسلام (بلى) اى فتجيبهم الملائكة بلى (ان الله عليم بما كنتم تعملون) فهو يجازيكم عليه وقيل قوله فألقوا السلم الى آخر الآية استئناف ورجوع الى شرح حالهم يوم القيامة وعلى هذا اوّل من لم يجوّز الكذب يومئذ ما كنا نعمل من سوء بانا لم نكن فى زعمنا واعتقادنا عاملين سوأ واحتمل ان يكون الرادّ عليهم هو الله اواولوا العلم (فادخلوا ابواب جهنم) كل صنف بابه المعدّ له وقيل ابواب جهنم اصناف عذابها (خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين) جهنم

لقوله عليه الصلاة والسلام من غير ان ينقص من آثامهم شئ ولكنها للجنس اى ليحملوا من جنس اوزار الاتباع انتهى كلامه ولايخفى ان من التى تكون لبيان الجنس لايكون تقديرها هكذا بل الظاهر ان يقال فى تقديرها واوزارهم التى هى اوزار الذين يضلونهم ﴿قوله حال من المفعول﴾ ويجوز ان يكون حالا من الفاعل فالمعنى حينئذ يضلونهم جهلا منهم بما يستحقونه من العذاب الشديد على ذلك الاضلال الاان الفائدة المتفرّعة على كونه حالا من المفعول تفوت حينئذ فانه تعالى لما وصف الذين لايعلمون انهم ضلال بالضلال وبكونهم حاملين للاوزار حيث اضاف اليهم اوزار من يضلونهم والاضلال لايتحقق بدون الضلال علم منه ان جهلهم بذلك لايخرجهم عن كونهم ضلالا حاملى الاوزار فى انفسهم * واعلم انه تعالى حكى عن المشركين انهم وصفوا القرآن بانه اساطير الاوّلين اى احاديثهم واباطيلهم ولم يجب عنه ببيان حقيقته وكونه كلاما الٓهيا معجزا بل اقتصر على مجرّد بث الوعيد بناء على ماتكرّر من بيان ذلك فى مواضع متعدّدة من القرآن ثم انه عليه الصلاة والسلام لما تأسف من قول المشركين فى حق القرآن انه اساطير الاوّلين وجعلهم هذا القول وسيلة الى تكذيبه فى دعوى الرسالة نزل قوله قدمكر الذين من قبلهم الآية والمراد بالمكر ههنا التدبير الفاسد اى قدمكر الكفار الذين كانوا قبل هؤلاء المشركين بانبيائهم كما مكر بك هؤلاء ولم يضر ذلك بالانبياء بل ابطل الله تعالى مكرهم وردّ فى نفوسهم كيدهم وتحقق فيهم معنى ماقيل من حفر لاخيه جبا وقع فيه منكبا والمنصوبات جمع منصوبة وهى الحيلة يقال سوّى فلان منصوبة وهى فى الاصل صفة الشبكة اوالحبالة فجرت مجرى الاسماء كالدابة والعجوز وفسر الزجاج القواعد بالاساطين التى تعمد البنيان اى انهدمت عمد البنيان فانهدم اى اتاه بعماد يعتمد عليه والعمد بضمتين جمع عماد ﴿قوله بان ضعضعت﴾ اى انهدمت القواعد * الجوهرى ضعضعه اى هدمه حتى الارض وهو استعارة تمثيلية شبه حالهم فى انهم سوّوا منصوبات ليمكروا بها الانبياء فجعلها الله تعالى سبب هلاكهم بحال قوم بنوا بنيانا وعمدوه بالاساطين فاتى البنيان من تلك الاساطين بان ضعضعت فسقط عليهم السقف وهلكوا واليوم فى قوله تعالى ان الخزى اليوم معمول للخبر وهو قوله على الكافرين اى كائن على الكافرين اليوم وفصل بين العامل ومعموله بالمعطوف اتساعا فى الظروف ﴿قوله وقرأ حمزة بالياء﴾ اى التحتانية اذلاتأنيث فى الملائكة ومن قرأ بالتاء الفوقانية نظر الى لفظ الملائكة ﴿قوله وموضع الموصول يحتمل الاوجه الثلاثة﴾ الجرّ على انه صفة لماقبله والنصب بتقدير اعنى والرفع بتقديرهم الذين وعلى التقادير يكون قوله تتوفاهم واردا على حكاية الحال الماضية لان الذين اوتوا العلم يقولون هذا القول حين يرون خزى الكفار وفضاحتهم يوم القيامة على اظهار الشماتة بهم وزيادة الاهانة لهم والظاهر ان توفى الملائكة اياهم امر ماض بالنسبة الى يوم القيامة فيكون التعبير عنه بلفظ المستقبل مبنيا على حكاية الحال الماضية وقوله فألقوا السلم يجوز ان يكون معطوفا على تتوفاهم لكونه بمعنى الماضى وان يكون معطوفا على قوله قال الذين اوتوا العلم فتكون المسالمة المذكورة من جملة احوالهم الواقعة يوم القيامة ولاتكون من جملة مقالة اولى العلم بخلاف ما اذا كان معطوفا على تتوفاهم الا ان قول المصنف واخبتوا حين عاينوا الموت يدل على انه جعله معطوفا على تتوفاهم والاخبات الخشوع يقال اخبت لله اى تواضع واصل الالقاء فى الاجسام واستعمل هنا فى اظهارهم الانقياد اشعارا بغاية خضوعهم واستكانتهم وانها كالشئ الملق بين يدى الغالب القاهر ﴿قوله ما كنا نعمل من سوء﴾ مقول قول مضمر منصوب على انه حال من فاعل ألقوا اى فألقوا السلم قائلين ذلك ومن سوء مفعول نعمل زيدت فيه من ويجوز ان يكون تفسيرا للسلم الذى هو القول لانه بمعنى القول الدال على الاستسلام والانقياد والاقرار لله تعالى بالربوبية كما قال تعالى فى آية اخرى فألقوا اليهم القول كأنه قيل فألقوا مايدل على الاستسلام وقالوا ما كنا نعمل من سوء وهذا الاستسلام وان وقع من المشركين يوم القيامة بان قالوا فيه ما كنا نعمل فى الدنيا من سوء على سبيل الكذب كان ذلك دالا على صحة قول من يجوّز صدور الكذب من اهل القيامة لفرط الخوف والدهشة وهو ظاهر واما الذين قالوا ان الكذب لايجوز عليهم فانهم قالوا معنى الآية على تقدير ان يكون المراد من حكاية كلام المشركين يوم القيامة ما كنا نعمل من سوء انا لم نكن فى زعمنا واعتقادنا عاملين سوأ فجاب عنه ردّا عليهم وتكذيبا لهم قولهم ما كنا نعمل من سوء بقول بلى الخ ولايبعد ان يكون قائل هذا القول هو الله سبحانه وتعالى اوبعض الملائكة او الذين اوتوا العلم والمعنى انه تعالى عالم بما كنتم عليه فى الدنيا فيجازيكم عليه ولاينفعكم هذا ثم صرح بذكر العقاب فقال فادخلوا ابواب جهنم ﴿قوله وقيل قوله فألقوا السلم الخ﴾

(وقيل للذين اتقوا) يعني المؤمنين (ماذا انزل ربكم قالوا خيرا) اى انزل خيرا وفي نصبه دليل على انهم لم يتلعثموا في الجواب واطبقوه على السؤال معترفين بالانزال على خلاف الكفرة روى ان احياء العرب كانوا يبعثون ايام الموسم من يأتيهم بخبر النبي صلى الله عليه وسلم فاذا جاء الوافد المقتسمين قالوا له ماقالوا واذا جاء المؤمنين قالوا له ذلك (للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة) مكافاة في الدنيا (ولدار الآخرة خير) اى ولثوابهم في الآخرة خير منها وهو عدة للذين اتقوا على قولهم ويجوز ان يكون بما بعده حكاية لقولهم بدلا وتفسيرا لخيرا على انه منتصب بقالوا (ولنعم دار المتقين) دار الآخرة فحذفت لتقدم ذكرها وقوله (جنات عدن) خبر مبتدأ محذوف ويجوز ان يكون المخصوص بالمدح (يدخلونها تجرى من تحتها الانهار لهم فيها مايشاؤن) من انواع المشتهيات وفي تقديم الظرف تنبيه على ان الانسان لايجد جميع مايريده الا في الجنة (كذلك يجزى الله المتقين) مثل هذا الجزآء يجزيهم وهو يؤيد الوجه الاول (الذين تتوفاهم الملائكة طيبين) طاهرين من ظلم انفسهم بالكفر والمعاصي لانه في مقابلة ظالمي انفسهم وقيل فرحين ببشارة الملائكة اياهم بالجنة او طيبين بقبض ارواحهم لتوجه نفوسهم بالكلية الى حضرة القدس (يقولون سلام عليكم) لايلحقكم بعد مكروه (ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون) حين تبعثون فانها معدة لكم على اعمالكم وقيل هذا التوفي وفاة الحشر لان الامر بالدخول حينئذ (هل ينظرون) ماينتظر الكفار المار ذكرهم (الا ان تأتيهم الملائكة) لقبض ارواحهم وقرأ حمزة والكسائي بالياء (او يأتي امر ربك) القيامة او العذاب المستأصل (كذلك) مثل ذلك الفعل من الشرك والتكذيب (فعل الذين من قبلهم) فاصابهم مااصاب (وما ظلمهم الله) بتدميرهم (ولكن كانوا انفسهم يظلمون) بكفرهم ومعاصيهم المؤدية اليه (فأصابهم سيئات ما عملوا) اى جزاء سيئات اعمالهم على حذف المضاف او تسمية الجزآء باسمها (وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون) واحاط بهم جزاؤه والحيق لايستعمل الا في الشر (وقال الذين اشركوا لوشاء الله ماعبدنا من دونه من شئ نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شئ) انما قالوا ذلك استهزآء ومنعا للبعثة والتكليف متمسكين بان ماشاء الله يجب ومالم يشأ يمتنع فما الفائدة فيهما او انكار القبح ماانكر عليهم من الشرك وتحريم البحائر ونحوها محتجين بانها لوكانت مستقبحة لماشاء الله صدورها منهم ولشاء خلافه ملجئا اليه لااعتذار اذلم يعتقدوا قبح اعمالهم وفيما بعده تنبيه على الجواب من الشبهتين (اولم يبعث)

عطف على مايفهم من التقرير السابق فانه يفهم منه ان قوله تعالى فألقوا حكاية لشرح حال الكفار عند القرب من الموت ومعاينته وعلى هذا القول يكون فألقوا استئنافا يتم كلام الذين اوتوا العلم عند قوله ظالمي انفسهم ويكون قوله قال الذين اوتوا العلم الى قوله انفسهم جملة معترضة بين قوله تعالى ثم يوم القيامة يخزيهم وبين قوله فالقوا السلم ﴿قوله وفي نصبه دليل على انهم لم يتلعثموا﴾ اى لم يمكثوا في الجواب واطبقوه على السؤال معترفين بالانزال وقد اشتهران في نحو ماذا صنعت وجهين احدهما ان تكون ما استفهامية بمعنى اى شئ ويكون ذا بمعنى الذى فيكون الكلام جملة اسمية تقديره اى شئ صنعته فحق ماذكر في جوابه ان يكون مرفوعا على انه خبر مبتدأ محذوف ليكون الجواب مطابقا للسؤال وثانيهما ان يكون ماذا بمنزلة اسم واحد معناه اى شئ منصوب المحل على انه مفعول صنعت لانه غير مشتغل عنه بضميره فيكون الكلام جملة فعلية فحق جوابه النصب على ان يكون مفعولا لفعل مقدر ليطابق السؤال وفي هذه الآية الكريمة قد اجاب المقرون بالانزال بالنصب حيث قالوا خيرا اى انزل خيرا بخلاف المنكرين للانزال فانهم اجابوا بالرفع حيث قالوا اساطير الاولين لكون اللائق بحال كل واحد من الفريقين ان يجيب بما اجاب به فلذلك اجابوا بالرفع فان قولهم اساطير الاولين كان مطابقا له وبيانه موقوف على الفرق بين ان يكون السؤال جملة اسمية وبين كونه فعلية وهو انه اذا سأل سائل اى شئ انزل ربكم فقد تقرر عنده اصل الانزال وانما يسأل عن تعيين المنزل ولادلالة فيه على كون المخاطب مقرا بالانزال او منكرا له بخلاف ما اذا سئل بان يقال اى شئ الذى انزله ربكم فان السؤال بهذا الطريق يدل على كون المخاطب معترفا بالانزال لماتقرر ان الجملة التى تقع صلة للموصول حقها ان يكون مضمونها معلوما للمخاطب فلما اجاب المخاطب بان ماتدعون او المنزل اساطير الاولين خالف السائل المخاطب فقد اجاب المخاطب بانه غير مسلم عندى بل ماتدعى نزوله او المنزل اساطير الاولين مطابقا للسائل فيما زعمه من ان اصل النزول محقق مسلم عنده فكان جوابه مخالفا للسؤال ومطابقا لما يقتضيه حاله ولو اجاب بالنصب لكان موافقا للسائل في الاعتراف بكون اصل النزول مسلما عنده ولكان مناقضا لنفسه في توصيف ما اعترف بكونه منزلا من ربه بانه اساطير اذمن المعلوم ان المنزل من قبله لايكون اساطير بخلاف المقر فان اللائق بحاله ان يحمل السؤال على الجملة الفعلية ويجيب بالنصب لانه كان اللائق بحاله ان لايتلعثم ويوافق السائل في الاعتراف باصل النزول لا ان يكون متلعثما في الجواب ويجيب بتعيين ان المنزل ماهو فلو اجاب بالرفع وقال المنزل خير لكان موافقا للسائل في الاعتراف باصل النزول الا انه يكون متلعثما في الجواب بتغييره اسلوب السائل فانه سأل بالجملة الفعلية طالبا لتعيين المفعول وهو قد اجاب بتحقيق كون المنزل خيرا ﴿قوله وهو عدة﴾ اى قوله تعالى للذين احسنوا الحسنى الآية كلام منقطع عما قبله اى ليس من جملة كلام الذين اتقوا بل هو ابتدآء كلام من الله تعالى بين به ان من احسن اعتقادا وعملا فله حسنة في الدنيا وحسنة في الآخرة والذى يفهم من تقرير المصنف انه جعل قوله في هذه الدنيا متعلقا بقوله احسنوا وحمل قوله حسنة على المكافأة الواقعة في الدنيا بقرينة قوله بعد ذلك ولدار الآخرة خير ويجوز ان يتعلق بمحذوف على انه حال من حسنة اذلو تأخر عنها لكان صفة لها ولا وجه لجعله متعلقا بنفس حسنة لتقدمه عليها ويدخلونها صفة جنات وتجرى اما صفة اخرى او حال من مفعول يدخلونها وقوله لهم فيها مايشاؤن جملة اسمية والخبر اما لهم واما فيها واعرابها كاعراب الجملة التى قبلها ﴿قوله وهو يؤيد الوجه الاول﴾ وهو كون قوله تعالى للذين احسنوا الى آخر الآية عدة للذين اتقوا على قولهم وقوله تعالى الذين تتوفاهم الملائكة صفة للمتقين وطيبين حال من المفعول ويقولون حال من الفاعل اى يقبضون ارواحهم مسلمين عليهم او مبلغين سلام الله عليهم ويحتمل ان يكون الذين مبتدأ ويقولون خبره فلابد حينئذ من عائد محذوف ثم انه تعالى لما وصف جزآء الذين اتقوا على قولهم في حق القرآن انه خير عاد الى بيان ان اولئك الكفار الذين طعنوا في القرآن بان قالوا اساطير الاولين ماينتظرون في الايمان بك وبما انزل اليك الا الوقت الذى لاينفعهم الايمان في ذلك الوقت ﴿قوله تعالى فاصابهم﴾ معطوف على قوله فعل الذين ومابينهما اعتراض ﴿قوله انما قالوا ذلك استهزآء﴾ ذكر الامام الواحدى في الوسيط ان الزجاج قال انهم قالوا هذا على الاستهزآء ولو قالوه معتقدين لكانوا مؤمنين ولكنهم قالوا ذلك مستهزئين انتهى وزاد المصنف انهم قصدوا بذلك الطعن في النبوة والتكليف متمسكين في ذلك بالقول بالجبر وقالوا الكل من الله تعالى ولوشاء الله منا الايمان والتوحيد لحصل لنا ذلك سوآء بعث الرسول

اولم يبعث فلا فائدة فى البعثة فالحوادث كلها منوطة بمشيئة الله تعالى ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ولا يستحقون بهذا القول اللوم والتوبيخ فى البعثة * قال الامام فى الجواب عن شبهة الكفار ان قولهم لما كان الكل من الله تعالى كانت بعثة الانبياء عبثا اعتراض على الله فان قولهم اذا لم يكن فى بعثة الرسل مزيد فائدة فى حصول الايمان واندفاع الكفر والعصيان كانت بعثة الانبياء غير جائزة من الله تعالى هذا القول منهم صار جاريا مجرى طلب العلة فى احكام الله تعالى وفى افعاله وذلك باطل بل لله تعالى ان يحكم فى ملكه مايشاء ويفعل مايريد ولا يجوز ان يقال له لم فعلت هذا ولم تفعل ذاك فهذا القول من الكفار من حيث دلالته على تعليق جميع الحوادث بمشيئة الله صحيح والفساد والانكار انما يتوجه اليه من حيث انهم قصدوا الاعتراض على الله وطلبوا العلة فى احكامه وافعاله ويدل عليه انه تعالى صرح فى آخر هذه الآية بهذا المعنى فقال ولقد بعثنا فى كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فبين تعالى بهذا المعنى ان سنة الله فى عبيده الارسال اليهم وامرهم بعبادة الله ونهيهم عن عبادة الطاغوت ثم قال فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة والمعنى انه تعالى وان امر الكل بالايمان ونهى الكل عن الكفر والعصيان الا انه تعالى هدى البعض واضل البعض فهذه سنة قديمة لله تعالى مع عباده ويحسن منه ذلك بحكم كونه آلها منزها عن اعتراضات المعترضين فثبت انه تعالى انما حكم على هؤلاء الكفار باستحقاق الخزى واللعن لا لانهم كذبوا فى قولهم لو شاء الله ماعبدنا من دونه من شئ بل لانهم قالوا ذلك بناء على اعتقادهم انه لو كان الامر كذلك لامتنع جواز بعثة الانبياء والرسل وتكليف العباد بالاوامر والنواهى فلا جرم استحقوا على هذا الاعتقاد مزيد الذم واللعن فهذا هو الجواب الصحيح فى امثال هذه الشبهات ﴿ قوله وماشاء الله وقوعه انما يجب وقوعه لا مطلقا بل باسباب قدرها له ﴾ لما كانت خلاصة شبهة الكفار ان تعلق مشيئة الله كافية فى تحقق الحوادث فاى حاجة الى بعثة الرسل اشار تعالى بقوله فهل على الرسل الا البلاغ المبين الى ان المؤثر فى حصول الاهتدآء ليس الا الله تعالى ولا تأثير فيه لتبليغ الرسل الا ان له مدخلا فيه من حيث توسطه بينه تعالى وبين المكلفين وتعلق مشيئة الله تعالى بوجود الحوادث وان يوجبها الا انها لا تعلق لها بوجود شئ منها الا عند تحقق اسبابها العادية التى من جملتها سعى المكلف ومباشرته لاسباب حصولها باخبار الانبياء بالنسبة الى اهتدآء من اهتدى وضلالة من ضل فان كون الدنيا دار تكليف والكسب والاختيار يستدعى ان تجعل الحوادث مرتبطة بالاسباب العادية وذلك من كمال الحكمة الالهية والا فلا حاجة الى توسط الاسباب فى نفاذ قدرته ومشيئته فاى واسطة فى حصول امور الآخرة فاانكر عليه الشرع قبيح شرعا وواقع بقدرة الله تعالى ومشيئته عند كسب العبد واختياره اياه فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة يعنى فمنهم من هداه الله الى الايمان واتباع الحق ومنهم من اضله عن الحق واعماه عن الهدى واوقعه فى الكفر والضلال وهذا يدل على ان امر الله تعالى لا يوافق ارادته بل قد يأمر بالشئ ولا يريده وينهى عن الشئ ويريده وهذا مذهب اهل الحق والمعتزلة يقولون الامر والارادة متطابقان ونحن نقول ان الامر والارادة قد يختلفان ولفظ هذه الآية صريح فى قولنا وهو ان الامر بالايمان عام فى حق الكل واما ارادة الايمان فخاصة بالبعض دون البعض ﴿ قوله يأمر بعبادة الله ﴾ اشارة الى ان ان فى قوله ان اعبدوا الله مصدرية اى بعثناه بان اعبدوا الله والباء المقدرة متعلقة بمحذوف منصوب المحل على انه حال من رسولا واختلف فى الطاغوت قال بعضهم كل ماعبد من دون الله تعالى فهو طاغوت وقال الحسن الطاغوت الشيطان والمراد من اجتنابه اجتناب مايدعو هو اليه مما نهى عنه شرعا ولما كان ذلك الارتكاب بامر الشيطان ووسوسته سمى ذلك عبادة للشيطان ثم انه لما بين ان البعثة كالغذآء الصالح تكون سببا لهداية قوم وضلال آخرين امر قريشا بان يسيروا فى الارض ويعاينوا هلاك من ضل بتكذيب الرسل ليعتبروا بذلك ويعلموا ان العذاب نازل بهم كما نزل باؤلئك لاجل ضلالهم وتكذيبهم ثم انه بين ان من حقت عليه الضلالة لا يهتدى فقال ان تحرص على هداهم الآية وقرأ الكوفيون لا يهدى بفتح الياء وكسر الدال فقوله من يضل مفعول يهدى وفاعله مضمر فيه راجع الى الجلالة والعائد على من محذوف اى الذى يضله الله تعالى وقيل يجوز ان يكون لا يهدى بمعنى لا يهتدى فان هدى كما يكون متعديا يكون ايضا لازما يقال هدى الرجل اى اهتدى والمعنى ان الله تعالى اذا اضل احدا لم يصر ذلك مهتديا فقوله من يضل فاعل يهدى بمعنى يهتدى والباقون لا يهدى بضم الياء وفتح الدال على بناء المفعول ومن قائم مقام فاعله وعائده محذوف ايضا فتكون الآية نظير قوله تعالى من يضلل الله فلا هادى له وقوله فمن يهديه من بعد

(كذلك فعل الذين من قبلهم) فأشركوا با
وحرموا حله وردوا ارسله (فهل على الرس
الا البلاغ المبين) الا الابلاغ الموضح الح
وهو ان لم يؤثر فى هدى من شاء الله هداه لك
يؤدى اليه على سبيل التوسط وماشاء ا
وقوعه انما يجب وقوعه لامطلقا بل باسبا
قدرها له ثم بين ان البعثة امر جرت به الس
الالهية فى الامم كلها سببا لهدى من ار
وزيادة الضلال لمن اراد ضلاله كالغذآء اهتد
الصالح فانه ينفع المزاج السوى ويقويه ويض
المنحرف ويفنيه بقوله تعالى (ولقد بعثنا فى
امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت
يأمر بعبادة الله تعالى واجتناب الطاغو
(فمنهم من هدى الله) ووفقهم للايمان بارشاد
(ومنهم من حقت عليه الضلالة) اذ لم يوفق
ولم يرد هداهم وفيه تنبيه على فساد الشب
الثانية لما فيه من الدلالة على ان تحقق الضلا
وثباته بفعل الله تعالى وارادته من حيث
قسيم من هدى الله وقد صرح به فى الآ
الاخرى (فسيروا فى الارض) يامعش
قريش (فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين
من عاد وثمود وغيرهم لعلكم تعتبرون (
تحرص) يامحمد (على هداهم فان الله لا يهد
من يضل) من يريد ضلاله وهو المعنى
حقت عليه الضلالة وقرأ غير الكوفي
لا يهدى على البناء للمفعول وهو ابلغ (ومال
من ناصرين) من ينصرهم بدفع العذاب ع

(واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت) عطف على وقال الذين اشركوا ايذانا بانهم كما انكروا التوحيد انكروا البعث مقسمين عليه زيادة في البت على فساده ولقد ردّ الله تعالى عليهم ابلغ ردّ فقال (بلى) يبعثهم (وعدا) مصدر مؤكد لنفسه وهو مادل عليه بلى فان يبعث موعد من الله تعالى (عليه) انجازه لامتناع الخلف في وعده او لان البعث مقتضى حكمته (حقا) صفة اخرى لوعد (ولكن اكثر الناس لا يعلمون) انهم يبعثون اما لعدم علمهم بانه من مواجب الحكمة التي جرت عادته بمراعاتها واما لقصر نظرهم على المألوف فيتوهمون امتناعه ثم انه تعالى بين الامرين فقال (ليبين لهم) اي يبعثهم ليبين لهم (الذي يختلفون فيه) وهو الحق (وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين) فيما كانوا يزعمون وهو اشارة الى السبب الداعي الى البعث المقتضي له من حيث الحكمة وهو المميز بين الحق والباطل والمحق والمبطل بالثواب والعقاب ثم قال (انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون) وهو بيان امكانه وتقريره ان تكوين الله تعالى بمحض قدرته ومشيئته لا توقف له على سبق المواد والمدد والا لزم التسلسل فكما امكن له تكوين الاشياء ابتداء بلا سبق مادة ومثال امكن له تكوينها اعادة بعده ونصب ابن عامر والكسائي ههنا وفي يس فيكون عطفا على نقول او جوابا للامر (والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا) هم رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه المهاجرون ظلمهم قريش فهاجر بعضهم الى الحبشة ثم الى المدينة وبعضهم الى المدينة او المحبوسون المعذبون بمكة بعد هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم وهم بلال وصهيب وخباب وعمار وعابس وابو جندل وسهيل رضي الله تعالى عنهم وقوله في الله اي في حقه ولوجهه (لنبوئنهم في الدنيا حسنة) مباءة حسنة وهي المدينة او تبوئة حسنة (ولأجر الآخرة اكبر) مما تعجل لهم في الدنيا وعن عمر رضي الله تعالى عنه انه كان اذا اعطى رجلا من المهاجرين عطاء قال له خذ بارك الله لك فيه هذا ما وعدك الله تعالى في الدنيا وما ادخر لك في الآخرة افضل (لو كانوا يعلمون) الضمير للكفار اي لو علموا ان الله يجمع لهؤلاء المهاجرين خير الدارين لوافقوهم او للمهاجرين اي لو علموا ذلك لزادوا في اجتهادهم وصبرهم (الذين صبروا) على الشدائد كاذى الكفرة ومفارقة الوطن ومحله النصب او الرفع على المدح (وعلى ربهم يتوكلون) منقطعين الى الله تعالى مفوضين اليه الامر كله (وما ارسلنا من قبلك الا رجالا يوحى اليهم) ردّ لقول قريش الله اعظم من ان يكون رسوله بشرا اي جرت السنة الآلهية بان لا يبعث للدعوة العامة الا بشرا يوحى اليه على ألسنة الملائكة والحكمة في ذلك قد ذكرت في سورة الانعام فان شككتم فيه (فاسألوا اهل الذكر) اهل الكتاب او علماء الاخبار ليعلموكم (ان كنتم لا تعلمون) وفي الآية دليل على انه تعالى لم يرسل امرأة ولا ملكا للدعوة العامة واما قوله تعالى جاعل الملائكة رسلا معناه رسلا الى الملائكة او الى الانبياء عليهم الصلاة والسلام وقيل لم يبعثوا الى الانبياء الا متمثلين بصورة الرجال وردّ بما روى انه عليه الصلاة والسلام رأى جبريل عليه السلام على صورته التي هو عليها مرتين وعلى وجوب المراجعة الى العلماء فيما لا يعلم (بالبينات والزبر) اي ارسلناهم بالبينات والزبر اي

الله اي من بعد اضلال الله تعالى اياه وهو ابلغ في نفي الهداية عنه ﴿قوله انكروا البعث مقسمين عليه﴾ وجعلوا انكاره ذريعة الى انكار النبوّة لانه عليه الصلاة والسلام انما يدعو الى طاعة الله تعالى ورعاية حدوده وتكاليفه بسبب ترغيبه في ثواب الآخرة والترهيب من عقابه الكائنين بعد البعث فاذا بطل القول بالبعث بطل نبوّة من دعا الى الاقرار به لكونه داعيا الى الباطل ثم انهم ادّعوا البديهة في انكارهم البعث وقالوا الانسان ليس الا هذه البنية المخصوصة فاذا مات وتفرقت اجزآؤه وبطل المزاج والاعتدال امتنع عوده بعينه لان الشيء اذا عدم وفني ولم يبق له ذات ولا حقيقة بعد فنائه فالذي يعود يجب ان يكون شيأ مغايرا للاوّل لا عينه واشاروا الى ادّعائهم ضرورة ذلك الانكار بالاقسام واليمين ولم يصرّحوا بتفريع بطلان القول بالنبوّة على بطلان القول بالبعث لكون تفرعه عليه جليا مستغنيا عن التصريح ﴿قوله مصدر مؤكد لنفسه﴾ فان وعدا معنى مضمون الجملة التي دل عليها بلى وتلك الجملة لا محتمل لها من المصادر الا ذلك المصدر الذي هو الوعد فقوله وعدا يؤكد الوعد المدلول عليه ببلى واللام في قوله ليبين متعلق بالفعل المقدّر بعد حرف الايجاب اي بلى يبعثهم ليبين لهم بالبعث الذي اختلفوا فيه مع المؤمنين وذهبوا فيه الى خلاف ماذهب اليه المؤمنون ﴿قوله بين الامرين﴾ بين اوّلا ان البعث مقتضى الحكمة فان الحكمة تقتضي التمييز بين المحق والمبطل وبين المظلوم والظالم بمجازاة كل احد على حسب عمله وذلك التمييز لا يكون الا بالبعث والجزاء وقدمر ان البعث من توابع التكليف ومقتضياته ثم بين امكان البعث وان اقسامهم على نفيه وانكاره انما نشأ من قصر نظرهم على ما ألفوه من استمرار الميت على الموت وعدم طريان الحياة عليه وعدم التفاتهم الى ما يدل على امكانه وصحته فقال انما قولنا لشيء الآية كلمة انّ مكفوفة بما وقولنا مرفوع على الابتداء وان نقول خبره وكن فيكون من كان التامة التي بمعنى الحدوث والوجود اي اذا اراد حدوث شيء لم يكن وسماه شيأ وان كان معدوما لقربه الى الوجود فليس الا ان يقول له احدث يجبه عقيبه من غير توقف واللام في قوله لشيء وفي له لام التبليغ كما في قولك قلت له قم وجعلها الزجاج للسببية فيهما اي انما قولنا لاجل شيء ان نقول لاجله وليس بواضح وقرأ الجمهور فيكون برفع النون وقرأ ابن عامر والكسائي بنصبها قال الفرآء ولقرآءة الرفع وجهان الاوّل ان يجعل قوله ان نقول له كن كلاما تاما ثم عبر عنه بانه سيكون كما يقال ان زيدا يكفيه ان آمر فيفعل برفع قولك فيفعل والثاني ان يجعل كلاما مبتدأ اي فهو يكون ووجه قرآءة النصب ان يكون معطوفا على ان نقول وبعد كونه منصوبا على انه جواب كن لان قوله كن وان كان على لفظ الامر فليس القصد به ههنا الامر بل المقصود بيان ان يكون الله تعالى لا يحتاج الى سبق المادة والمدة * فان قيل قوله كن ان كان خطابا مع المعدوم فهو محال وان كان خطابا مع الموجود كان امرا بتحصيل الحاصل وهو محال * والجواب انه لا قول ثمة ولا خطاب فالمقصود بيان سهولة خلق الانسان عليه وانه متى اراد الشيء كان فمثل الله تعالى تكوينه للمكوّنات بمجرّد تعلق ارادته من غير توقف وامتناع بامر الآمر المطاع اذا امر المأمور المطيع المسارع في الامتثال فعبر عن سرعة تكوينه على الوجه المذكور بالامر المستلزم للامتثال فانه تعالى لو اراد خلق الدنيا والآخرة بما فيهما من السموات والارض والجنة والنار وما فيهما في قدر لمحة البصر لقدر على ذلك ولكن خاطب الخلق بما يفهمون والمعنى ان ايجاد كل مقدور على الله تعالى بهذه السهولة فكيف يمتنع عليه البعث الذي هو اهون من الابدآء بالنسبة الى عقولنا ثم انه تعالى لما حكى عن الكفار انهم اقسموا بالله جهد أيمانهم على انكار البعث والقيامة وجعلوه ذريعة الى تكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم دل ذلك على انهم يعادون المسلمين ويؤذونهم ايذآء يلجئ طائفة منهم الى المهاجرة عن الاهل والاوطان فبين الله تعالى ما لهؤلاء المهاجرين من الحسنة في الدنيا والآخرة فقال والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا الآية وقوله في الله يدل على ان الهجرة اذا لم تكن لله لم يكن لها قدر واعتبار وكانت بمنزلة الانتقال من بلد الى بلد ﴿قوله مباءة حسنة﴾ او دارا حسنة او بلدة حسنة وهي المدينة آواهم اهلها ونصروهم وهو اشارة الى ان قوله حسنة صفة لموصوف محذوف مفعول ثان لقوله لنبوّئنهم لانه يتضمن معنى لنعطينهم والمباءة منزل القوم وعلى قوله او تبوئة حسنة يكون حسنة صفة لمصدر محذوف ﴿قوله اي ارسلناهم بالبينات﴾ على ان قوله بالبينات متعلق بمحذوف جوابا لسؤال مقدّر كأنه قيل بم ارسلوا فقيل بالبينات والزبر ﴿قوله داخلا في الاستثناء مع رجالا﴾ حال من فاعل يتعلق فان تعلقه بما ارسلنا يتصوّر على وجهين احدهما ان يتعلق به غير داخل مع رجالا في الاستثناء بان يكون المستثنى المفرغ رجالا فقط ويكون بالبينات قيدا للمستثنى منه المقدر ويكون على نية التقدير على ارادة

(الاستثناء)

الاستثناء ويكون التقدير ومارسلنا جماعة من الجماعات بالبينات والزبر الارجالا يوحى اليهم كما فى قول الشاعر

* بينهم عذبوا بالنار جارهمو * ولا يعذب الاالله بالنار *

اى لا يعذب بالنار الاالله على مايقتضيه سياق الكلام ومثل هذا التركيب ضعيف لان الاصل ان يذكر المستثنى منه بجميع ما يتعلق به بتمامه ثم يستثنى منه وفى هذه الصورة قد تأخر بعض قيود المستثنى منه عن المستثنى وثانيهما ان تعلق الجار والمجرور بقوله ومارسلنا حال كونه داخلا مع المستثنى فى حكم الاستثناء بان يتعدد المستثنى المفرّغ ويكون التقدير ما ارسلنا جماعة من الجماعات بشئ من الاشياء الا رجالا بالبينات والضعف الذى يتوجه على تعلقه بما ارسلنا غير داخل مع رجالا لا يتوجه على تعلقه به بهذا الوجه فلهذا احترز على تعلقه به على الوجه الاوّل بقوله داخلا فى الاستثناء مع رجالا وكذا تقدير قولك ماضربت الازيدا بالسوط ماضربت احدا بالسوط الازيدا لما فيه من ذكر الاستثناء قبل تمام المستثنى منه بجميع قيوده والوجه الثالث ان يكون بالبينات صفة رجالا فيتعلق بمحذوف اى الارجالا ملتبسين بالبينات مصاحبين اها والوجه الرابع ان يتعلق بيوحى على انه مفعول به غير صريح له اى يوحى اليهم بالبينات كما يقال اوحى اليه بحق والوجه الخامس ان يتعلق بيوحى على انه حال من القائم مقام فاعله وهو اليهم اى يوحى اليهم ملتبسين بالبينات والزبر ومعنى تعلقه بيوحى حينئذ مع انه انما يتعلق بمحذوف كون يوحى هو العامل فى متعلقه وقوله تعالى فاسألوا يكون اعتراضا على جميع الوجوه المتقدمة والمعنى على الوجه الاوّل فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لاتعلمون انا ارسلناهم بالبينات وعلى الثالث فاسألوهم ان كنتم لاتعلمون انا ما ارسلنا الارجالا ملتبسين بالبينات وعلى الرابع فاسألوهم ان كنتم لاتعلمون انه يوحى اليهم ملتبسين بالبينات والوجه السادس ان يتعلق بقوله لا تعلمون على معنى فاسألوهم ان لم يكن عندكم علم بالبينات والزبر فان من قدر على اقامة البينات على صحة ماقلنا اوكان عنده كتاب ناطق بصحته فانه يستغنى عن السؤال ﴿قوله على ان الشرط للتبكيت والالزام﴾ يعنى ان الاصل فى الشرط الذى تعلق به الحكم بكلمة ان يكون محتمل الوقوع وقد استعملت هنا فى امر معلوم مقطوع به لان الكلام مع قريش لقول المفسرين ان هذه الآية ردّ لقول قريش الله اعظم من ان يكون رسوله بشرا ولاشك ان قريشا لم يكونوا من علم البينات والزبر فى شئ فالمقصود من تعليق السؤال بهذا الشرط التبكيت والالزام اى لاارتياب فى انكم غير عالمين بالبينات والزبر واحتمال عدم علمكم بها يستلزم السؤال فكيف اذا كنتم غير عالمين بها البتة ولستم ايضا ممن يسألون منهم لانكم تعلمون انهم لايجيبونكم الابما ذكرنا من انا مارسلنا من قبل ارسال هذا الرسول الارجالا يوحى اليهم فلم يبق لهم طريق سوى التسليم والاذعان وعليه قول الاجير ان كنت عملت لك فأعطنى حقى وقرأ حفص نوحى اليهم بالنون وكسر الحاء والباقون بالياء وفتح الحاء وحمزة والكسائى يميلانها على اصلها ﴿قوله بتوسط انزاله اليك﴾ بيان لوجه قوله مانزل اليهم مع ان القرآن منزل الى الرسول صلى الله عليه وسلم ودفع لما يقال من ان كونه عليه الصلاة والسلام مبينا لما نزل يقتضى ان يكون القرآن كله مجملا بان يكون المراد منه خفيا لايطلع عليه مالم تأت البينات من قبل المجمل لان المفتقر الى البيان يكون مجملا مع ان بعضه محكم والمحكم يجب ان يكون مبينا ووجه الدفع ان القرآن المشتمل على الاحكام المتعلقة بهم لما كان منزلا عليه عليه الصلاة والسلام بالذات ليبلغه اليهم ويبين احكامه لهم لم تكن البينات بمعنى بيان المجمل بل بمعنى تبليغ ما كلفوا به اليهم ولوسلم انه بمعنى المجمل فالمراد ببيان مانزل بيان ما كان مجملا منه بقرينة ان المحكم لايحتاج الى البيان ﴿قوله والتبين﴾ على ان المبين لجميع التكاليف والاحكام هو الرسول صلى الله عليه وسلم لعلنا منها ان القياس ليس بحجة لانه لوكان حجة لما تعين الرسول صلى الله عليه وسلم لبيان جميع مانزل اليهم لجواز ان يبين المكلف بعض الاحكام بطريق القياس * وتقرير الجواب ان شارع جميع التكاليف والاحكام هو الله تعالى والقياس هو المظهر لبعض منها وهو عليه الصلاة والسلام مرشد الى مايكون طريقا لاظهاره فصار بذلك مبينا لجميع مانزل اليهم فان التبيين اعم من ان ينص بما هو المقصود من الاحكام او يرشد الى مايدل عليه ويؤيد هذا الجواب عطف قوله ولعلهم يتفكرون على قوله لیبين فان الاحكام المنصوص عليها لايحتاج الى التفكر ثم انه تعالى لما ردّ قول قريش فى استبعاد ان يكون البشر رسولا من الله تعالى ونص على ارساله عليه الصلاة والسلام ليبين للناس مانزل اليهم شرع فى تهديد ماكريه والسيئات منصوب على انه صفة مصدر محذوف وان يخسف معمول أمن وخسوف المكان ذهابه فى الارض يقال خسف الله به الارض خسفا اى غاب به

كقولك ماضربت الازيدا بالسوط اوصفة لهم اى رجالا ملتبسين بالبينات او بيوحى على المفعولية او الحال من القائم مقام فاعله وهو اليهم على ان قوله فاسألوا اعتراض او بلا تعلمون على ان الشرط للتبكيت والالزام (وانزلنا اليك الذكر) اى القرآن وانما سمى ذكرا لانه موعظة وتنبيه (لتبين للناس مانزل اليهم) فى الذكر بتوسط انزاله اليك مما امروا به ونهوا عنه اومما تشابه عليهم والتبيين اعم من ان ينص بالمقصود او يرشد الى مايدل عليه كالقياس ودليل العقل (ولعلهم يتفكرون) وارادة ان يتأملوا فيه فيتنبهوا للحقائق (أفأمن الذين مكروا السيئات) اى المكرات السيئات وهم الذين احتالوا لهلاك الانبياء او الذين مكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وراموا صدّ اصحابه عن الايمان (ان يخسف الله بهم الارض) كما خسف بقارون (او يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون) بغتة من جانب السماء كما فعل بقوم لوط

فبها هدّدهم الله تعالى اوّلا بذلك وثانيا بان يأتيهم ملائكة العذاب من جانب السماء فتهلكهم بغتة وثالثا ان تأخذهم العقوبة في اسفارهم فانهم لايعجزون الله تعالى بسبب ذهابهم في البلاد البعيدة بل يهلكهم الله تعالى حيث كانوا ورابعا بان يأخذهم بالعذاب لكن لايأخذهم به ابتدآء بل يخيفهم اوّلا ثم يعذبهم بعده فانه تعالى اذا اهلك فرقة فخافت التي تليها زمانا تكون الاخافة نوعا من التعذيب ثم اذا اهلكهم بعد ذلك يكون ذلك الاهلاك اشدّ عليهم وافضح من اهلاكهم ابتدآء او ان يأخذهم جميعا بالعذاب على ان ينقص شيأ بعد شيء في انفسهم واموالهم بان يظهر فيهم القتل او الموت او الغارة فيأخذ منهم شيأ فشيأ حتى يأتي الاخذ على جميعهم والحاصل انه تعالى خوّفهم بخسف يحصل في الارض او بعذاب ينزل من السماء او بآفات تحدث دفعة واحدة حال انهم لم يكونوا عالمين بعلاماتها ودلائلها او بآفات تحدث قليلا قليلا الى ان يأتي الهلاك على جميعهم ﴿قوله تخوّف الرحل منها تامكا قردا كما تخوّف عود النبعة السفن﴾ وروى الجوهري ظهر النبعة بدل عود النبعة وتخوّف اى تنقص منها اى من الناقة والتامك السنام والقرد ماتلبد من الصوف الجوهري سحاب قرد ركب بعضه بعضا والنبع شجر يتخذ منه القسيّ والسفن بالتحريك الحديدة التي ينحت بها ويطلق على المبرد ايضا يصف ناقة اثر الرحل في سنامها ونقصه كما ينقص المبرد من العود ويقول تنقص الرحل منها سناما مشرفا مرتفعا متراكم اللحم اى ركب بعضه فوق بعض ﴿قوله لاتضلوا﴾ مجزوم على انه جواب الامر وهو عليكم لانه بمعنى الزموا اى لاتضلوا الديوان وروى لاتضلوا اى لاتضلوا في تفسير كتاب الله تعالى ديوانكم من دوّن الكتب اذا جمعها وقطعها لانه قطع من القراطيس مجموعة وديوان الشاعر مجموع متفرّقات اشعاره ثم انه تعالى لما هدّد المشركين بانواع عذابه اردفه بذكر مايدل على كمال قدرته ليعلموا انه لايعجز عن ايصال ماذكره من انواع العذاب فقال اولم يروا الآية قرأ حمزة والكسائي اولم تروا بالتاء على الخطاب جريا على اسلوب قوله فان ربكم والباقون بالياء جريا على قوله أفأمن الذين مكروا وقرأ ابو عمرو تتفيأ بتاءين والباقون بياء وتاء وكلمة ما في قوله ماخلق الله موصولة مبهمة ومن شيء بيان لها فان قيل كيف يبين الموصول وهو مبهم مثله بل هو ازيد ابهاما مماقبله * فالجواب ان شيأ لما وصف بقوله يتفيأ ظلاله اختص بالمخلوقات التي لها ظلال متفيئة من الجبال والاشجار والابنية ونحوها من الاجرام الكثيفة فصلح بذلك لان يكون مبنيا لما خلق الله فلما كان البيان في الحقيقة مستندا الى ماوقع صفة لشيء قال المصنف بيانها يتفيأ ظلاله وقوله يتفيأ يتفعل من الفيء يقال فاء الظل يفيء فيئا اذا رجع وعاد بعد ماكان ضياء الشمس نسخه فان ظل الارض ينبسط على وجه الارض بغروب الشمس فاذا طلعت الشمس ينتسخ من الظل ماكان في جانب المشرق من الاجرام الكثيفة الى ان ينتصف النهار فاذا مالت الشمس الى جانب المغرب رجع الظل الذي نسخته الشمس في جانب المشرق الى ذلك الجانب ايضا فذلك الظل يسمى فيئا فالظل اعم من الفيء حيث يطلق الظل على ماكان قبل الزوال وبعده والفيء لايطلق الا ماكان بعد الزوال قال الازهري تفيء الظلال رجوعها بعد انتصاف النهار والتفيء لايكون الا بالعشيّ بسبب انصراف الشمس عنه والظل مايكون بالغداة وهو مالم تنله الشمس وقيل الفيء والظل مترادفان يطلق كل واحد منهما على ماكان قبل الزوال وماكان بعده واستدل عليه بقول الشاعر

* فسلام الاله يغدو عليهم * وفيوء الفردوس ذات الظلال *

فان الشاعر اطلق لفظ الفيء في هذا البيت على مالم تنسخه الشمس لان مافي الجنة من الظل دآئم لايحصل بعد ان كان زآئلا بسبب ضوء الشمس لقوله تعالى اكلها دآئم وظلها واضيف لفظ الظلال الى ضمير مفرد لان مرجع الضمير وان كان مفردا في اللفظ وهو قوله ماخلق الله لكنه كثير في المعنى وهو نظير قوله تعالى لتستووا على ظهوره فانه اضيف الظهور الى ضمير مفرد لرجوعه الى ماهو كثير في المعنى وهو قوله ماتركبون ثم قيل المراد باليمين والشمائل يمين الفلك الذي هو المشرق وشماله الذي هو المغرب تشبيها لجانب المشرق باقوى جانبي الانسان وهو جانب يمينه من حيث ان اقوى الحركات الفلكية التي هي الحركة اليومية آخذة من المشرق الى المغرب فلذلك جعل المشرق يمين الفلك والمغرب شماله ووجه تفيء الظلال عن يمين الفلك الى الشمال وبالعكس ظاهر وهو ان الشمس عند طلوعها الى وقت انتهائها الى وسط الفلك تكون ظلالها مائلة الى الجانب الغربي ثم بزوالها ترجع الظلال الى الجانب الشرقي وقيل المراد باليمين والشمائل يمين الاجرام التي لها ظلال فان ظلالها تتفيأ من جانب يمينها الى جانب شمالها وبالعكس وعلى القولين يكون اطلاق لفظ اليمين والشمال على جانبي الاشياء المذكورة على سبيل الاستعارة

(اويأخذهم في تقلبهم) اى متقلبين في مسائرهم ومتاجرهم (فما هم بمعجزين اويأخذهم على تخوّف) على مخافة بان يهلك قوما قبلهم فيتخوّفوا فيأتيهم العذاب وهم متخوّفون او على تنقص شيأ بعد شيء في انفسهم واموالهم حتى يهلكوا من تخوّفته اذا تنقصته روى ان عمر رضي الله تعالى عنه قال على المنبر ماتقولون فيها فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال هذه لغتنا التخوّف التنقص فقال هل تعرف العرب ذلك في اشعارها قال نعم قال شاعرنا ابو كبير يصف ناقته

تخوّف الرحل منها تامكا قردا *

كما تخوّف عود النبعة السفن *

فقال عمر عليكم بديوانكم لاتضلوا قالوا وما ديواننا قال شعر الجاهلية فان فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم (فان ربكم لرؤف رحيم) حيث لايعاجلكم بالعقوبة (اولم يروا الى ماخلق الله من شيء) استفهام انكار اى قد رأوا امثال هذه الصنائع فما بالهم لم يتفكروا فيها ليظهر لهم كمال قدرته وقهره فيخافوا منه وما موصولة مبهمة بيانها (يتفيأ ظلاله) اى اولم ينظروا الى المخلوقات التي لها ظلال متفيئة وقرأ حمزة والكسائي تروا بالتاء وابو عمرو تتفيأ بالتاء

(عن اليمين والشمائل) عن ايمانها وشمائلها او عن جانبي كل واحد منها استعارة من يمين الانسان وشماله ولعل توحيد اليمين وجمع الشمائل باعتبار اللفظ والمعنى كتوحيد الضمير فى ظلاله وجمعه فى قوله (سجدا لله وهم داخرون) وهما حالان من الضمير فى ظلاله والمراد من السجود الاستسلام سوآء كان بالطبع او الاختيار يقال سجدت النخلة اذا مالت لكثرة الحمل وسجد البعير اذا طأطأ رأسه ليركب اوسجدا حال من الظلال وهم داخرون حال من الضمير والمعنى ترجع الظلال بارتفاع الشمس وانحدارها او باختلاف مشارقها ومغاربها بتقدير الله تعالى من جانب الى جانب منقادة لما قدرلها من التفيئ او واقعة على الارض ملتصقة بها على هيئة الساجد والاجرام فى انفسها ايضا داخرة اى صاغرة منقادة لافعال الله تعالى فيها وجمع داخرون بالواو لان من جملتها من يعقل او لان الدخور من اوصاف العقلاء وقيل المراد باليمين والشمائل يمين الفلك وهو جانبه الشرقى لان الكواكب تظهر منه آخذة فى الارتفاع والسطوع وشماله وهو الجانب الغربى المقابل له فان الظلال فى اول النهار تبتدئ من المشرق واقعة على الربع الغربى من الارض وعند الزوال تبتدئ من المغرب واقعة على الربع الشرقى من الارض (ولله يسجد مافى السموات ومافى الارض) اى ينقاد انقيادا يعم الانقياد لارادته وتأثيره طبعا والانقياد لتكليفه وامره طوعا ليصح اسناده الى عامة اهل السموات والارض وقوله (من دابة) بيان لهما لان الدبيب هو الحركة الجسمانية سوآء كانت فى ارض او سماء (والملائكة) عطف على المبين عطف جبريل على الملائكة للتعظيم او عطف المجردات على الجسمانيات وبه احتج من قال ان الملائكة ارواح مجردة او بيان لما فى الارض والملائكة تكرير لما فى السموات وتعيين له اجلالا وتعظيما والمراد بها ملائكتها من الحفظة وغيرهم وما لما استعمل للعقلاء كما استعمل لغيرهم كان استعماله حيث اجتمع القبيلان اولى من اطلاق من تغليبا للعقلاء (وهم لايستكبرون) عن عبادته (يخافون ربهم من فوقهم) يخافونه ان يرسل عذابا من فوقهم او يخافونه وهو فوقهم بالقهر كقوله تعالى وهو القاهر فوق عباده والجملة حال من الضمير فى لايستكبرون او بيان له وتقرير لان من خاف الله تعالى لم يستكبر عن عبادته (ويفعلون مايؤمرون) من الطاعة والتدبير وفيه دليل على ان الملائكة مكلفون مدارون بين الخوف والرجاء (وقال الله لاتتخذوا الهين اثنين) ذكر العدد مع ان المعدود يدل عليه دلالة على ان مساق النهى اليه

التصريحية او على سبيل التخييل للاستعارة المكنية لانهما لايطلقان على سبيل الحقيقة الا على جانبي الانسان والظاهر ان قوله عن اليمين متعلق بيتفيأ اى يتجاوز الظلال عن اليمين الى الشمال وبالعكس والتعريف الحاصل بالايمان والشمائل بدل من التعريف الحاصل بالاضافة والمصنف اشار الى الاول بقوله عن ايمانها وشمائلها والى الثانى بقوله او عن جانبي كل واحد منها واشار بايراد لفظ عن ايمانها بدل اللفظ المفرد المطابق لما فى نظم القرآن لان لفظ اليمين وان كان مفردا فهو اسم جنس يتناول جميع مسمياته فعبر به عن الجمع لخفة المفرد كما فى قوله تعالى ويولون الدبر اى الادبار ﴿قوله باعتبار اللفظ والمعنى﴾ فان لفظ ما مفرد معناه كثير فافرد لفظ اليمين اعتبار الافراد ما اضيف هو اليه من حيث اللفظ وجمع لفظ الشمائل اعتبارا لكثرة معنى ماخلق الله فان قوله عن اليمين والشمائل بمعنى عن يمين ماخلق الله وشماله وسجدا جمع ساجد كراكع وركع ﴿قوله وهما حالان من الضمير فى ظلاله﴾ والمعنى يتفيأ ظلال ماخلق الله فى حال كون انفسهم ساجدين لله تعالى متواضعين متصاغرين منقادين لحكمه والجمهور وان كانوا لايجوّزون انتصاب الحال من المضاف اليه الا ان منهم من جوّز ذلك اذا كان المضاف جزأ من المضاف اليه نحو حلقت رأس زيد قائما او كالجزء منه كما فى قوله تعالى اتبع ملة ابراهيم حنيفا وظل الشئ بمنزلة الجزء منه اذ هو ناشئ عنه والعامل فى مثل هذا الحال معنى الاختصاص والالتصاق المستفاد من الاضافة ﴿قوله او سجدا حال من الظلال وهم داخرون حال من الضمير﴾ اى فى ظلاله فالمعنى ظلالهم ساجدة وهم فى انفسهم صاغرون متواضعون ﴿قوله او واقعة على الارض﴾ يعنى جعلت الظلال ساجدة اما لكونها منقادة لارادة الله تعالى خاضعة لتقديره وتدبيره او لكونها واقعة على الارض ملتصقة بها على هيئة الساجدين ولما كانت هيئة الظلال شبيهة بهيئة الساجدين اطلق عليها لفظ السجود على سبيل الاستعارة وكان الحسن يقول اما ظلك فيسجد لربك واما انت فلا تسجد له بئس ماصنعت وعن مجاهد ظل الكافر يصلى وهو لايصلى وقيل ظل كل شئ يسجد لله تعالى سوآء كان ذلك الشئ ساجدا ام لا ﴿قوله عطف جبريل على الملائكة﴾ بناء على ان اسم الدابة يتناول الاجسام اللطيفة السماوية والدواب الكثيفة الارضية من حيث ان كل واحد من النوعين له دبيب يليق به فيكون عطف الملائكة على المبين من قبيل عطف الخاص على العام اظهارا لشرفه وان جعل اسم الدابة مختصا بالحيوانى الجسمانى الذى يتحرك ويدب وجعل الملائكة ارواحا محضة مجرّدة عن الدبيب والحركة الجسمانية يكون من عطف احد المتباينين على الآخر * قال صاحب الكشاف فان قلت هلا جيئ بمن دون ما تغليبا للعقلاء على غيرهم والمصنف اجاب عنه بان استعمال كلمة ما فى القبيلين حقيقة فهو اولى من سلوك طريق التغليب الذى هو من باب المجاز وقوله تعالى وهم لايستكبرون يجوز ان يكون استئنافا اخبر بذلك عنهم وان يكون حالا من فاعل يسجد وقوله يخافون ربهم من باب حذف المضاف اى يخافون عذاب ربهم ومن فوقهم صفة للمضاف المقدّر اى الكائن من فوقهم وصف العذاب بذلك لان اكثر مايأتى من العذاب المهلك انما يأتى من فوق ويجوز ان يكون من فوقهم حالا من ربهم اى يخافون ربهم عاليا عليهم علوّ الرتبة والقدرة قاهرا لهم كيف يشاء ويدل على صحة هذا المعنى قوله تعالى وهو القاهر فوق عباده * واحتج الطاعنون فى عصمة الملائكة بهذه الآية فقالوا انه تعالى وصفهم بالخوف فلولا انهم يجدون من انفسهم الاقدام على الذنب لما حصل لهم الخوف * واجيب عنه بوجهين الاوّل انه تعالى حذرهم من العقاب حيث قال ومن يقل منهم انى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم فلخوف العقاب يتركون الذنب والثانى ان ذلك الخوف خوف الاجلال كقوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وكقوله عليه الصلاة والسلام * انى لأخشاكم لله * فانه يدل على انه كلما كانت معرفة الله تعالى اتم كان الخوف اكثر منه واعظم وهذا الخوف لايكون الاخوف الاجلال والهيبة من كمال الكبرياء ﴿قوله ذكر العدد﴾ جواب عما يقال انما يحتاج الى ذكر العدد حيث لا يتعين العدد بدلالة المعدود عليه وذلك انما يكون اذا كان المعدود ورآء الواحد والاثنين واما نحو رجل ورجلين فانهما يدلان على الوحدة والاثنينية فلا حاجة الى ذكر شئ زآئد يدل على الوحدة والاثنينية معهما فما وجه قوله تعالى الهين اثنين انما هو اله واحد وذكر المصنف لذكر العدد فائدتين الاولى الدلالة على ان الكلام مسوق للنهى عن اتخاذ الاثنين من الآلهة فان لفظ الهين حامل لمعنى الجنسية اعنى الآلهة ومعنى العدد اعنى الاثنينية وكذا لفظ اله حامل لمعنى الجنسية والوحدة والغرض المسوق له الكلام فى الاوّل النهى عن اتخاذ الاثنين من اله لا عن اتخاذ جنس الاله وفى الثانى اثبات الواحد من الاله لا اثبات جنسه فوصف الهين باثنين واله بواحد ايضاحا لهذا الغرض وتفسيرا فان حق الكلام

اوايماء بان الاثنينية تنافي الالهية كما ذكر الواحد في قوله (انما هو اله واحد) للدلالة على ان المقصود اثبات الوحدانية دون الالهية اوالتنبيه على ان الوحدة من لوازم الالهية (فاياي فارهبون) نقل من الغيبة الى التكلم مبالغة في الترهيب وتصريحا بالمقصود فكأنه قال فانا ذلك الاله الواحد فاياي فارهبون لاغيري (وله مافي السموات والارض) خلقا وملكا (وله الدين) اي الطاعة (واصبا) لازما لما تقرر من انه الاله وحده والحقيق بان يرهب منه وقيل واصبا من الوصب اي وله الدين ذا كلفة وقيل الدين الجزاء اي وله الجزاء دائما لا ينقطع ثوابه لمن آمن وعقابه لمن كفر (أفغير الله تتقون) ولا ضار سواه كما لانافع غيره كما قال تعالى (ومابكم من نعمة فمن الله) اي واي شئ اتصل بكم من نعمة فهو من الله وما شرطية او موصولة متضمنة معنى الشرط باعتبار الاخبار دون الحصول فان استقرار النعمة بهم يكون سببا للاخبار بانها من الله تعالى لا لحصولها منه (ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون) فما تتضرعون الا اليه والجؤار رفع الصوت في الدعاء والاستغاثة (ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون) وهم كفاركم

ان يجيئ لماسيق له الكلام من الغرض وذلك قد يكون بحذف مايخيل غرضا آخر وزيادة مايزيل ذلك التخيل والاول كما تقول اللباس طويل واللابس قصير اذا رأيت لباسا طويلا على امرأة قصيرة والثاني كما نحن فيه فانه زيد فيه لفظ واحد واثنين مع انفهام الوحدة والاثنينية من لفظ الموصوف اعتناء بشأنهما ودلالة على انهما الغرض المسوق له الكلام فكل واحد من لفظي اثنين وواحد وصف صناعي جيئ به لبيان الغرض وتفسيره كما في قوله تعالى ومامن دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه اذ قوله في الارض صفة لدابة ويطير بجناحيه صفة لطائر ليدل على ان القصد الى الجنس دون الوحدة فالاثنان يشتركان في ان الوصف فيهما للبيان ويفترقان من حيث انه في الهين اثنين واله واحد لبيان القصد الى العدد دون الجنس بخلاف الوصف في قوله تعالى ومامن دابة وفي قوله يطير بجناحيه فانه لبيان القصد الى الجنس دون العدد والخطيب الدمشقي اورد هذه الآية في باب الوصف وذكر انه للبيان والتفسير واورده السكاكي في باب عطف البيان مصرحا بانه من قبيل التابع الذي يراد به البيان والتفسير وذهب العلامة الى ان مذهب صاحب الكشاف ان الهين اثنين ونفخة واحدة من التأكيد الصناعي بناء على قوله شفع اسم الله والهين بما يؤكد للدلالة على ان المعني بهما العدد لا الجنس ولا خلاف بينهم اذ ليس في كلام السكاكي مايدل على انه عطف بيان صناعي لانه لا يكون الا بتكرير لفظ المتبوع او بالفاظ مخصوصة وكلا الامرين منتف ههنا والفائدة الثانية لذكر العدد في هذه الآية مااشار اليه بقوله اوايماء بان الاثنينية تنافي الالهية ووجه الايماء ان توصيف الهين باثنين يشعر بان علة النهي هي الاثنينية وكونها منافية للالهية ووجه المنافاة انا لو فرضنا تعدد الواجب لذاته لكانا مشتركين في الوجوب الذاتي ومتباينين بالتعيين ومابه المشاركة غير مابه المباينة فيكون كل واحد منهما مركبا من جزءين وكل مركب ممكن وقد فرض ان كل واحد منهما واجب لذاته هذا خلف ولانا لو فرضنا الهين فلا يخلو اما ان يكون كل واحد منهما علة مستقلة لكل واحد من الممكنات الموجودات او يكون لكل واحد منهما معلول مغاير لمعلول الآخر والاول يستلزم توارد العلتين المستقلتين على معلول شخصي والثاني يستلزم التمانع والتنازع ولانه لو حاول احدهما تحريك جسم مثلا والآخر تسكينه فاما ان يحصل مراد كل واحد منهما وهو محال لاستلزامه اجتماع الضدين في موضع واحد او لا يحصل مراد كل واحد منهما فيلزم عجزهما والعاجز لا يكون الها او يحصل مراد احدهما فيلزم عجز احدهما دون الآخر فلا يكون الآخر الها فثبت ان الاثنينية تنافي الالهية وانتظام قوله تعالى وقال الله لاتتخذوا بما قبله انه معطوف على قوله ماخلق الله من شئ على اسلوب قوله * علفتها تبنا وماء باردا * وقوله * متقلدا سيفا ورمحا * اي وسقيتها ماء باردا وحاملا رمحا اي اولم ينظروا الى ماخلق الله من الدلائل الدالة على كمال قدرته ولم يستمعوا الى ماقاله الله واوحاه في الكتب المنزلة من بيان التوحيد ونفي الشركاء **قوله وتصريحا بالمقصود** وهو ان الاله الذي ثبتت وحدته هو متكلم هذا الكلام ليسارع الى تأمل كلامه ويتعظ بما فيه من وجوه الهدى والارشاد **قوله فاياي** منصوب بفعل مقدر بعده يفسره هذا الظاهر اي اياي ارهبوا فارهبون والواو في قوله وله مافي السموات عاطفة على قوله اله واحد وهو مفرد فيجب ان تأول الجملة المعطوفة ايضا بالمفرد لانها لما عطفت على الخبر كانت هي ايضا خبرا ويجوز كونها معطوفة على الجملة باسرها وهي قوله انما هو اله واحد ويجوز ان تكون واو ابتداء واستئناف فانه قد يؤتى بالواو اول كلام من غير ان يقصد بها عطف وتشريك وقوله واصبا حال من الدين والعامل فيها الاستقرار الذي تعلق به الحال الواقع خبرا والواصب الدائم قال تعالى ولهم عذاب واصب قيل ليس من احد يدان له ويطاع الا انقطع ذلك الدين والطاعة بسبب في حال الحياة او بالموت الا الحق تعالى فانه طاعته لازمة ابدا لان العلة في كونه تعالى مطاعا وهي تفرده بالالهية ثابتة لازمة له ابدا فيدوم له معلولها الذي هو الطاعة والانقياد **قوله وقيل واصبا من الوصب** وهو التعب ويكون بناء فاعل حينئذ للنسب بمعنى ذا وصب لان الدين فيه تكاليف ومشاق على العباد **قوله واي شئ اتصل بكم من نعمة** على ان ما شرطية وفعل الشرط بعدها محذوف وقوله فمن الله جواب الشرط قال الفراء التقدير ومايكن بكم ورد هذا الوجه بانه لا يحذف فعل الشرط الا بعد ان خاصة في موضعين احدهما ان تكون في باب الاشتغال نحو وان احد من المشركين استجارك لان المحذوف في حكم المذكور والثاني ان تكون متلوة بلا النافية وان يدل على الشرط مع ماتقدم من الكلام كقوله

فطلقها فلست لها بكفؤ * والا يعل مفرقك الحسام

اي وان لا تطلقها اضرب رأسك بالسيف فحذف لدلالة قوله فطلقها ويحتمل ان تكون كلمة ما موصولة وبكم صلة فهي

(مبتدأ)

مبتدأ و قوله فمن الله خبرها زيدت الفاء فى الخبر لتضمن الموصول معنى الشرط و من نعمة بيان للموصول و التقدير و الذى استقرّ بكم من نعمة فهو من الله و لما كان مضمون الصلة فى مثاله سببا لحصول مضمون الخبر كما فى قولك الذى يأتينى فله درهم و ليس استقرار النعمة بالمخاطبين سببا لحصولها من الله بل الامر بالعكس بين المصنف ان الوجه فى كون مضمون الصلة شرطا لمضمون الخبر كون مضمونها سببا للاخبار بانها من الله لا لحصولها منه و وجه ارتباط الآية بما قبلها انه تعالى بين اوّلا انه يجب على العاقل ان لا يتقى غير الله ثم بين فى هذه الآية انه يجب عليه ان لا يشكر احدا الا الله اذ لا منعم غيره تعالى ثم بين انه اذا اتفق لاحدهم مضرّة توجب زوال شئ من تلك النعم فالى الله يجأر اى يرفع صوته بالاستغاثة و التضرّع لعلمه بانه لا تضرّع للخلق الا اليه فكأنه تعالى قال لهم فاين انتم عن هذه الطريقة فى حال الرخاء و السلامة ثم بين انهم عند كشف الضرّ و سلامة الاحوال يفترقون ففريق منهم يبقى على مثل ما كان عليه حال الضرّ اى لا يفزع الا الى الله و فريق منهم يتغير حالهم فيشركون بالله تعالى غيره و هذا غاية الجهل و الضلالة لانه لما شهدت فطرته الاصلية عند نزول البلاء و الضرّ بانه لا مفزع للعبد الا الله تعالى فعند زوال البلاء يجب ان لا ينصرف عن ذلك الاعتقاد و مقتضاه و هذا التقرير مبنى على ان يكون منكم صفة لفريق و من للتبعيض و هذا انما يكون اذا كان الخطاب فى قوله و ما بكم من نعمة عاما و يكون المراد بالفريق من دامت حالته فى دين الله و استمرّ على ما كان عليه من العبودية ﴿قوله كأنهم قصدوا بشركهم كفران النعمة﴾ بان اضافوها الى شركائهم و اصنامهم اشارة الى ان اللام فى قوله تعالى ليكفروا لام العاقبة كما فى قوله فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوّا و لما كان شركهم مؤدّيا الى كفران النعمة صار الكفران لهم غرضا مطلوبا من الشرك فادخل عليه لام العلة تشبيها لعاقبة الشئ بعلته و قيل انها لام كى متعلقة بيشركون و المعنى ان اشراكهم سببه كفرهم به اى بالقرآن و بما جاء به محمد عليه الصلاة و السلام من النبوّة و الشرآئع على ان يكون المراد بقوله تعالى بما آتيناهم القرآن و النبوّة و ما يتفرّع عليهما ﴿قوله و قرئ فيمتعوا﴾ بضم الياء التحتانية و هذا المضارع فى هذه القرآءة يجوز ان يكون حذف النون فيه للنصب عطفا على ليكفروا ان كانت اللام فيه لام الصيرورة او للنصب ايضا و لكن على جواب الامر ان كانت اللام لام الامر الوارد للتهديد و يجوز ان يكون حذف النون فيه للجزم عطفا على ليكفروا ان كانت اللام فيه للامر ﴿قوله او التى لا يعلمونها﴾ فالمعنى و يجعلون لآلهتهم التى ليس اعتقادهم فى حقها علما فانهم يعتقدون انها آلهة و انها تنفع و تضرّ و ان طاعتهم اياها تنفعهم و اعراضهم عنها يضرّهم و ليس شئ من هذه الاعتقادات علما لكونها مخالفة للواقع فصح ان يقال انهم لا يعلمونها فان من رأى شيأ و اعتقد انه انسان و هو شجر او حجر صح ان يقال انه لا يعلم ذلك الشئ مع انه يعرف ذاته و لو كان لا يعلمونها بمعنى لا يعرفون ذاتها يفسد المعنى لانه يستحيل ان يجعل الشخص نصيبا من رزقه لمن لا يعلمه ﴿قوله او لجهلهم﴾ معطوف على قوله اى لآلهتهم و المعنى و يجعلون لعدم علمهم نصيبا و المجعول له هو الآلهة و حذف العلم به و الجعل بمعنى التصيير و نصيبا هو المفعول الاوّل للجعل و الجار قبله هو الثانى و مما رزقناهم يجوز ان يكون نعتا لنصيبا و ان يتعلق بالجعل فمن على الاوّل للتبعيض و على الثانى للابتدآء و كان مشركوا العرب يجعلون لاوثانهم جزأ من اموالهم لقوله تعالى فى حقهم قالوا هذا لله بزعمهم و هذا لشركائنا اى يجعلون نصيبا من الحرث و الانعام لله تعالى يتقرّبون به اليه و نصيبا للاصنام يتقرّبون به اليها و قيل المراد بهذا النصيب البحيرة و السائبة و الوصيلة و الحام ثم انه تعالى لما حكى عن هؤلاء المشركين قولهم الفاسد بطريق الغيبة التفت اليهم و خاطبهم مقسما على نفسه قائلا تالله لتسألن الخ اى انكم تسألون سؤال توبيخ و تهديد عما تقولونه على الله تعالى من انه امركم بذلك و يجوز فى ما يشتهون الرفع بالابتدآء كأنه بعدما حكى عنهم انهم يجعلون لله البنات استأنف به و يجوز ان تكون ما منصوبة المحل عطفا على البنات و لهم عطف على الله اى يجعلون لهم ما يشتهون و هذا الوجه يقتضى ان يكون ضمير الفاعل و المفعول لشئ واحد فان ضمير الفاعل و هو واو يجعلون عبارة عن المشركين و كذا الضمير المجرور فى لهم عبارة عنهم ايضا و قد تقرّر فى النحو انه لا يجوز اتحاد ضميرى الفاعل و المفعول الا فى باب ظننت و اخواتها من افعال القلوب و لا فرق فى عدم وقوعه بين ان يتعدّى الفعل الى الضمير بنفسه او بحرف الجرّ فلا يجوز زيد ضربه اى ضرب نفسه و لا زيد مرّ به اى مرّ بنفسه و يجوز زيد ظنه قائما و زيد فقده و عدمه اى ظن نفسه قائما و فقد نفسه و عدمها اذا تقرّر هذا فجعل ما منصوبة عطفا على البنات يؤدّى الى اتحاد ضميرى الفاعل و المفعول الذى عدّى اليه الفعل بحرف الجرّ قال الامام اجاز الفرآء فى ما وجهين الاوّل ان تكون فى محل النصب على معنى

(ليكفروا) بعبادة غيره هذا اذا كان الخط
عاما فان كان خاصا بالمشركين كان من البـ
فكأنه قال فاذا فريق وهم انتم ويجـ
ان يكون من للتبعيض على ان يعتبر بعضـ
كقوله فلما نجاهم الى البرّ فمنهم مقتـ
(بما آتيناهم) من نعمة الكشف عنهم كأ
قصدوا بشركهم كفران النعمة او انـ
كونها من الله تعالى (فتمتعوا) امر تهـ
(فسوف تعلمون) اغلظ وعيده وقر
فيمتعوا مبنيا للمفعول عطفا على ليكفـ
وعلى هذا جاز ان تكون اللام لام الا
الوارد للتهديد والفاء للجواب (ويجعلـ
لما لا يعلمون) اى لآلهتهم التى لا علم لها لا
جماد فيكون الضمير لما او التى لا يعلمو
فيعتقدون فيها جهالات مثل انها تنفـ
وتشفع لهم على ان العائد الى ما محذو
او لجهلهم على ان ما مصدرية والمجعول
محذوف العلم به (نصيبا مما رزقناهم)
الزروع والانعام (تالله لتسألنّ عما كـ
تفترون) من انها آلهة حقيقة بالتقرّ
اليها وهو وعيد لهم عليه (ويجعلون
البنات) كانت خزاعة وكنانة يقولو
ان الملائكة بنات الله (سبحانه) تنزيـ
من قولهم او تعجب منه (ولهم ما يشتهو
يعنى البنين ويجوز فيما يشتهون الرفع بالابـ
والنصب بالعطف على البنات على ان الجـ
بمعنى الاختيار وهو ان افضى الى ان يكو
ضمير الفاعل والمفعول لشئ واحد لكـ
لا يبعد تجويزه فى المعطوف

ويجعلون لانفسهم مايشتهون والثانى ان يكون رفعا على الابتدآء لانه تم الكلام عند قوله سبحانه ثم ابتدأ فقال ولهم مايشتهون يعنى البنين وهو كقوله ام له البنات ولكم البنون ثم اختار الوجه الثانى لانه لو كان فى محل النصب ينبغى ان يقال ولانفسهم مايشتهون لانك تقول جعل لنفسه كذا وكذا ولاتقول جعل له وابى الزجاج اجازة الوجه الاوّل وقال مافى موضع رفع لاغير والتقدير ولهم الشئ الذى يشتهون ولايجوز النصب لان العرب تقول جعل لنفسه مايشتهى ولاتقول جعل له مايشتهى وهو معنى لنفسه انتهى ماذكره الامام بعبارته والحاصل ان الممتنع هو اتحاد ضمير الفاعل مع ضمير المفعول بان يكونا عبارتين عن شئ واحد فلايمتنع ان يقال زيد ضرب نفسه وضرب نفسه زيد اذ لامتناع اتحاد الضمير شرط آخر وهو ان يكون كل واحد من الضميرين متصلا اذ لو كان ضمير المفعول منفصلا جاز اتحاده مع الضمير المرفوع نحو زيد ماضرب الااياه والمصنف فرق بين اتحاد ضمير الفاعل مع ضمير المفعول المذكور إبتدآء و بين اتحاده مع ضمير المفعول المذكور معطوفا على ضمير المفعول المرفوع بالابتدآء وجعل الممتنع هو الاتحاد على الوجه الاوّل دون الوجه الثانى ﴿قوله اخبر بولادتها﴾ يعنى ان التبشير ههنا بمعنى الاخبار مطلقا وان كان فى عرف اللغة مختصا بالاخبار بالخبر الذى يفيد السرور والاخبار بولادة الانثى لمالم يفد السرور حمل على مطلق الاخبار ﴿قوله صار او دام النهار كله﴾ يعنى ان ظلول الشئ على صفة قد يعبر به عن كونه عليها فى تمام النهار وقد يكون بمعنى صيرورته عليها مطلقا وعلى التقديرين يكون ظل من الافعال الناقصة ووجهه اسمها ومسودّا خبرها ﴿قوله واسوداد الوجه كناية عن الاغتمام والتشوير﴾ التشوير التخجيل يقال شوّر به فتشوّر اى اخجله فخجل اذا فعل به مايستحيى منه والمناسب التشوّر بدل التشوير ولعله سهو من قلم الناسخ وقوله كناية عن الاغتمام لكون اسوداده وغبرته من لوازم الغم كما ان اشراقه واستنارته من لوازم الفرح فان الانسان اذا قوى فرحه انبسط روح قلبه الى الاطراف فيستبشر وجهه واذا قوى غمه تختنق الروح فى داخل قلبه فلايبقى منها اثر قوىّ فى ظاهر الوجه فلاجرم يصفرّ وجهه ويظهر فيه اثر الارضية والكآبة ﴿قوله محدّثا نفسه﴾ اشارة الى ان الجملة الاستفهامية معمولة لشئ محذوف هو حال من فاعل يتوارى وهو مراد من قال انها فى موضع الحال لان النحاة قد نصوا على ان الحال لاتقع جملة طلبية فالمعنى يتوارى محدّثا نفسه ومتفكرا أيمسكه على هون وتذكير ضمير يمسكه ويدسه اعتبارا بلفظ ما فى قوله مابشر به وقوله على هون يحتمل ان يكون حالا من الفاعل الممسك او من المفعول اى يمسكها ذليلة مهانة والدس اخفاء الشئ والمراد به ههنا الوءد وهو دفن المولود حيا وكانت العرب تدفن البنات احياء خوفا من الفقر عليهن وطمع غير الاكفاء فيهن نقل عن صحيح مسلم انه عليه الصلاة والسلام قال «من ابتلى من البنات بشئ فاحسن اليهن كنّ له سترا من النار» وقال عليه الصلاة والسلام «من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة انا وهو كهاتين» وضم اصابعه اخرجهما مسلم ﴿قوله المنادية بالموت﴾ وصف الحاجة الى الولد التى هى بيان صفة السوء فان الافراد الانسانية يطرأ عليهم الموت والفناء والملائكة لايتوالدلكون انفسهم مصونة عن تطرّق الفناء اليها ﴿قوله او من دابة ظالمة﴾ عطف على قوله من دابة قط قيل على الاوّل التنكير فى الدابة للجنس وعلى هذا للنوع ولما دل ظاهر الآية على ان ظلم الناس يوجب اهلاك جميع الدواب ظالمة كانت او غير ظالمة ولا وجه لاهلاك غير الظالمة منها اشار المصنف الى ان الآية على ظاهرها وان هلاك الجميع بسبب شؤم ظلم الناس وايده بماروى عن ابن مسعود رضى الله عنه قيل فى طريق هلاك الجميع انه تعالى يمسك القطر بشؤم ظلمهم وانقطاعه يوجب انقطاع النسل فلايبقى على ظهرها دابة قط وقوله وقيل لو اهلك الآباء بكفرهم لم يكن الابناء اى وذلك يستلزم ان لايبقى فى العالم احد من الناس اذ من المعلوم انه لااحد الا وفى آبائه من يستحق العذاب فاذا هلكوا فقد انقطع نسلهم فيلزم ان لايبقى فى العالم احد من الناس وذلك يستلزم ان لايبقى احد من الدواب ايضا لان الدواب مخلوقة لمنافع العباد ومصالحهم واذا لم يبق من ينتفع بها فقد انتفت الحكمة فى بقائها فوجب اهلاكها ووجه انتظام الآية بماقبلها انه تعالى لما حكى عن القوم عظيم كفرهم وقبيح قولهم بين انه يمهلهم ولايعاجلهم بالعقوبة لحكمة توجب ذلك ﴿قوله ولايلزم من عموم الناس﴾ جواب عن احتجاج الطاعنين فى عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام بهذه الآية قائلين انه تعالى اضاف الظلم الى ما يعبر به عن جميع اولاد آدم من الانبياء وغيرهم فلولا ان كل واحد منهم اتى بالذنب والمعصية لما صحت اضافة المعصية الى كافة الناس وتقرير الجواب انا لانسلم ان اضافة الظلم الى الناس بناء على كون كلهم ظالمين لجواز ان يضاف الحكم الصادر عن بعض القوم الى كلهم نحو بنوا فلان قتلوا زيدا مع ان القاتل واحد منهم فلما جاز ذلك فبالاولى

(واذا بشر احدهم بالانثى) اخبر بولادتها (ظلّ وجهه) صار او دام النهار كله (مسودّا) من الكآبة والحياء من الناس واسوداد الوجه كناية عن الاغتمام والتشوير (وهو كظيم) مملوء غيظا من المرأة (يتوارى من القوم) يستخفى منهم (من سوء مابشر به) من سوء المبشر به عرفا (أيمسكه) محدّثا نفسه متفكرا فى ان يتركه (على هون) ذلّ (ام يدسه فى التراب) ام يخفيه فيه ويئده وتذكير الضمير للفظ ما وقرئ بالتأنيث فيهما (ألا ساء مايحكمون) حيث يجعلون لمن تعالى عن الولد ماهذا محله عندهم (للذين لايؤمنون بالآخرة مثل السوء) صفة السوء وهى الحاجة الى الولد المنادية بالموت واشتهاء الذكور استظهارا بهم وكراهة الاناث ووأدهن خشية الاملاق (ولله المثل الاعلى) وهو الوجوب الذاتى والغنى المطلق والجود الفائق والنزاهة عن صفات المخلوقين (وهو العزيز الحكيم) المتفرّد بكمال القدرة والحكمة (ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم) بكفرهم ومعاصيهم (ماترك عليها) على الارض وانما اضمرها من غير ذكر لدلالة الناس او الدابة عليها (من دابة) قط بشؤم ظلمهم وعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه كاد الجعل يهلك فى جحره بذنب ابن آدم او من دابة ظالمة وقيل لو اهلك الآباء بكفرهم لم يكن الابناء (ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى) سماه لاعمارهم او لعذابهم كى يتوالدوا (فاذا جاء اجلهم لايستأخرون ساعة ولايستقدمون) بل هلكوا وعذبوا حينئذ لامحالة ولايلزم من عموم الناس واضافة الظلم اليهم ان يكونوا كلهم ظالمين حتى الانبياء عليهم الصلاة والسلام لجواز ان يضاف اليهم ماشاع فيهم وصدر عن اكثرهم

(ان يضاف)

ان يضاف اليهم ماشاع فيهم و صدر عن اكثرهم * واجيب ايضا بانه قدثبت بالدلائل القاطعة ان كل الناس ليسوا ظالمين منها قوله تعالى ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات ولو كان المقتصد و السابق ظالمين لفسد ذلك التقسيم فعلنا ان المقتصدين و السابقين ليسوا ظالمين فثبت بهذا الدليل انه لايجوز ان يقال كل الخلق ظالمون فوجب ان يخصص الناس المذكورون فى قوله تعالى ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم بالعصاة الذين هم استحقوا العقاب او يحمل التعريف فيه على العهد و المعهود المشركون الذين تقدم ذكرهم والذين اثبتوا لله البنات وعلى التقديرين يسقط استدلال الطاعنين فى عصمتهم بهذه الآية

﴿ قوله والاستخفاف بالرسل واراذل الاموال ﴾ معطوفان على البنات فانهم كما يكرهون البنات و الشركاء فى رياستهم يكرهون ايضا ان يستخف رسلهم وان يخصصوا برذائل الاموال و ان يخص شركاؤهم فى رياستهم بكرآئم الاموال ثم انهم يجعلون لله تعالى جميع هذه المكروهات عندهم فانهم يسمون الملائكة بنات الله و يثبتون له شركاء فى الوهيته ويستخفون برسله ويجعلون ارذل اموالهم وللاصنام اكرمها ﴿ قوله مع ذلك ﴾ الجعل المشتمل على القول والفعل القبيحين الجمهور على ان الكذب منصوب على انه مفعول به و ان لهم الحسنى بدل منه بدل كل من كل اى تصف وتبين ألسنتهم معنى كاذبا غير مطابق للواقع وهو ان لهم الحسنى عند الله فى الآخرة * فان قيل كيف يحكمون بذلك وهم كانوا منكرين للقيامة * اجيب بان جميعهم لم ينكروا القيامة بل كان فى العرب جمع يقرّون بالبعث و القيامة حتى روى انهم كانوا يربطون البعير النفيس على قبر الميت و يتركونه الى ان يموت و يقولون ان ذلك الميت اذا حشر فانه يحشر معه مركوبه * واجيب ايضا بان حكمهم بذلك لايستلزم اعتقادهم بالبعث و القيامة لجواز ان يكونوا منكرين لها طبعا و يكون حكمهم بذلك مبنيا على الفرض والتقدير بان يقولوا ان كان محمد صادقا فى قوله بالبعث و النشور فانه يحصل لنا الجنة و الثواب بهذا الدين الذى نحن عليه ويؤيد هذا الجواب ماحكاه الله تعالى عنهم بقوله ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى فان كلمة ان انما تستعمل فى الامور المحتملة التى لاقطع بتحققها و الاصل ان فريقا من الكفار يدعى الاشتراك مع المؤمنين فى نعيم الآخرة كما كان لهم اشتراك معهم فى نعيم الدنيا كقوله تعالى ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سوآء محياهم ومماتهم ساء مايحكمون ومنهم من ادعى ان نعيم الآخرة لانفسهم خاصة وان النار للمؤمنين لما يرون اكثر المؤمنين على الفقر والقلة ويرون انفسهم اصحاب السعة فى انواع الاموال فيحتمل ان يكون قوله تعالى وتصف ألسنتهم الكذب ان لهم الحسنى واردا فى حق الذين ادعوا ان الجنة لانفسهم خاصة ثم كذبهم الله تعالى فى قولهم بان لهم الحسنى فقال لاجرم ان لهم النار اى حقا ان لهم النار وقيل لا ردّ لقولهم اى ليس الامر كما وصفوا وزعموا جرم فعلهم اى كسب ذلك القول فعلى هذا يكون أنّ مع ما فى حيزه فى محل النصب بوقوع الكسب عليه

﴿ قوله من افرطته فى طلب الماء اذا قدمته ﴾ وهو منقول بالهمزة من فرط الى كذا اى تقدم اليه وجعل صاحب الكشاف فعل وافعل بمعنى حيث قال فالمفتوح بمعنى مقدمون الى النار معجلون اليها من افرطت فلانا وفرطته فى طلب الماء اذا قدمته والمعنى على قرآءة نافع انهم متجاوزون الحد فى معاصى الله تعالى وافرط بمعنى تجاوز الحد لازم فلايجئ منه اسم المفعول ويقال فرّط فى الامر بالتشديد اذا قصر فيه ثم انه تعالى سلى رسوله صلى الله عليه وسلم فيما كان يناله من الغم بسبب جهالات القوم فقال تالله لقد ارسلنا الآية وختم تسليته بمايدل على انك لم تبعث الا لتبلغ وتبين للناس ماهو الحق من العقائد و الاعمال لالان تلتفت الى سفاهات قومك وجها لاتهم وتغتم لاجلها فقال وماانزلنا عليك الكتاب الآية ثم انتقل الى تقرير دلائل الوهيته وتفرده بها فقال والله انزل من السماء ماء الآية تنبيها على ان دلائل حقية مادعوت اليه واضحة وان من خالفك فانما يخالف عنادا فلاتحزن عليهم ولاتك فى ضيق مما يمكرون ﴿ قوله فان الانعام اسم جمع ﴾ علة لقوله للفظ يعنى ان انعاما اسم مفرد بمعنى الجمع مثل أسمال وأخلاق وأكياش وأعشار فانها اسماء مفردة حيث يوصف بها المفرد يقال ثوب اسمال واخلاق اذا كانت الخلوقة فيه كله وكذا السمول يقال خلق الثوب وسمل اى بلى وثوب اكياش وهو ضرب من الثياب يغزل غزله مرتين وفى المثل عليك بالثوب الاكياش فانه من ثياب الاكياس ويقال ايضا برمة أعشار ﴿ قوله دلالة يعبر بها ﴾ اشارة الى ان العبرة مصدر بمعنى العبور اطلق على مايعبر به الى العلم مبالغة فى كونه سببا للعبور وقيل ذكر الضمير فى بطونه مع ان الظاهر ان يقال فى بطونها لرجوعه الى الانعام لكون المراد بعضا منها وهو

(ويجعلون لله مايكرهون) اى مايكرهون
لانفسهم من البنات و الشركاء فى الرياسة
والاستخفاف بالرسل و اراذل الاموال
(وتصف السنتهم الكذب) مع ذلك وهو
(ان لهم الحسنى) اى عند الله تعالى كقوله
ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى وقرئ
الكذب جمع كذوب صفة للالسنة (لاجرم
ان لهم النار) ردّ لكلامهم واثبات لضدّ
(وانهم مفرطون) مقدمون الى النار من
افرطته فى طلب الماء اذا قدمته وقرأ نافع
بكسر الرآء على انه من الافراط المعاصى
وقرئ بالتشديد مفتوحا من فرطته فى طلب
الماء ومكسورا من التفريط فى الطاعات (تالله
لقد ارسلنا الى امم من قبلك فزين لهم الشيطان
اعمالهم) فأصرّوا على قبائحها وكفروا
بالمرسلين (فهو وليهم اليوم) اى فى الدنيا
وعبر باليوم عن زمانها او فهو وليهم حين كان
يزين لهم او يوم القيامة على انه حكاية حال
ماضية او آتية ويجوز ان يكون الضمير لقريش
اى زين الشيطان للكفرة المتقدمين اعمالهم
وهو ولىّ هؤلاء اليوم يغرّهم ويغويهم
وان يقدر مضاف اى فهو ولىّ امثالهم والولىّ
القرين حيث كان او الناصر فيكون نفيا
للناصر لهم على ابلغ الوجوه (ولهم عذاب
اليم) فى القيامة (وماانزلنا عليك الكتاب
الا لتبين لهم) للناس (الذى اختلفوا فيه)
من التوحيد والقدر واحوال المعاد واحكام
الافعال (وهدى ورحمة لقوم يؤمنون)
معطوفان على محل لتبين فانهما فعلا المنزل
بخلاف التبيين (والله انزل من السماء
ماء فاحيى به الارض بعد موتها) انبت فيها
انواع النبات بعد يبسها (ان فى ذلك لآية لقوم
يسمعون) سماع تدبر وانصاف (وان لكم
فى الانعام لعبرة) دلالة يعبر بها من الجهل
الى العلم

(نسقيكم مما في بطونه) استئناف لبيان العبرة وانما ذكر الضمير ووحده ههنا للفظ وانثه في سورة المؤمنين للمعنى فان الانعام اسم جمع

ولذلك عده سيبويه في المفردات المبنية على أفعال كأخلاق وأكياش ومن قال انه جمع نعم جعل الضمير للبعض فان اللبن لبعضها دون جميعها او لواحده او له على المعنى فان المراد به الجنس وقرأ نافع وابن عامر وابو بكر ويعقوب نسقيكم بالفتح هنا وفي المؤمنين (من بين فرث ودم لبنا) فانه يخلق من بعض اجزاء الدم المتولد من الاجزاء اللطيفة التي في الفرث وهو الاشياء المأكولة المنهضمة بعض الانهضام في الكرش وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان البهيمة اذا اعتلفت وانطبخ العلف في كرشها كان اسفله فرثا واوسطه لبنا واعلاه دما ولعله ان صح فالمراد ان اوسطه يكون مادة اللبن واعلاه مادة الدم الذي يغذي البدن لانهما لا يتكونان في الكرش بل الكبد يجذب صفاوة الطعام المنهضم في الكرش ويبقى ثفله وهو الفرث ثم يمسكها ريثما يهضمها هضما ثانيا فيحدث اخلاطا اربعة معها مائية فتميز القوة المميزة تلك المائية بما زاد على قدر الحاجة من المرتين وتدفعها الى الكلية والمرارة والطحال ثم يوزع الباقي على الاعضاء بحسبها فيجري الى كل حقه على ما يليق به بتقدير العليم الحكيم ثم ان كان الحيوان انثى زاد اخلاطها على قدر غذائها لاستيلاء البرودة والرطوبة على مزاجها فيندفع الزائد اولا الى الرحم لاجل الجنين فاذا انفصل انصب ذلك الزائد او بعضه الى الضروع فيبيض بمجاورة لحومها الغددية البيض فيصير لبنا ومن تدبر صنع الله تعالى في احداث الاخلاط والالبان واعداد مقارها ومجاريها والاسباب المولدة لها والقوى المتصرفة فيها كل وقت على ما يليق به اضطر الى الاقرار بكمال حكمته وتناهي رحمته ومن الاولى تبعيضية لان اللبن بعض ما في بطونها والثانية ابتدائية كقولك سقيت من الحوض لان بين الفرث والدم المحل الذي يبتدئ منه الاسقاء وهي متعلقة بنسقيكم او حال من لبنا قدمت عليه لتنكيره وللتنبيه على انه موضع العبرة (خالصا) صافيا لا يستصحب لون الدم ولا رائحة الفرث او مصفى عما يصحبه من الاجزاء الكثيفة بتضييق مخرجه (سائغا للشاربين) سهل المرور في حلقهم وقرئ سيغا بالتشديد والتخفيف

(الخروج)

اشارة الى ان المذكور لا الالبان لها فكان العبرة انما هي لبعض منها وقيل ذكر باعتبار ما ذكر ومن في قوله مما في بطونه يجوز ان تكون للتبعيض لان اللبن بعض ما في بطونها وفي قوله من بين فرث لابتداء الغاية لان الاسقاء يبتدأ من المكان الواقع بين الفرث والدم وهو اللبن الواقع اولا في خلال الفرث وثانيا في خلال الدم ويجوز ان تكون الاولى لابتداء الغاية فيكون مجرور الثانية بدلا من مجرور الاولى لئلا يتعلق جاران متحدان لفظا ومعنى بعامل واحد وهو نسقيكم وهو من بدل الاشتمال لان المكان مشتمل على ما حل فيه ومن فتح النون في قوله نسقيكم فدليله واضح اذ يقال سقيته ماء ولبنا وما كان سقيا للشفعة فهو بفتح النون ومن ضم النون جعله من قولهم اسقاه اذا جعل له شربا كقوله تعالى وأسقيناكم ماء فراتا اي جعلناه لكم شربا وقيل سقى واسقى كلاهما بمعنى والفرث سرجين الكرش لكل مجتر وهو للحيوان بمنزلة المعدة للانسان قال المص في الفرث وهو الخ يوهم ان يكون هو في قوله وهو بعض الاشياء راجعا الى الفرث وليس كذلك بل ينبغي ان يكون راجعا الى الدم لان المنهضم بعض الانهضام في الكرش هو الدم لا الفرث اي بعض الاشياء المأكولة ثم قال الكبد يجذب صفاوة الطعام المنهضم في الكرش ويبقى ثفله وهو الفرث * قال الامام القول الصحيح في كيفية تولد اللبن ان الحيوان اذا تناول الغذاء وصل ذلك العلف الى معدته او الى كرشه سواء كان من الانعام او غيرها فاذا طبخ وحصل الهضم الاول فيه فما كان منه صافيا يجذب الى الكبد وما كان كثيفا ينزل الى الامعاء ثم ذلك الذي يحصل منه في الكبد ينطبخ فيها ويصير دما وذلك هو الهضم الثاني ويكون ذلك مخلوطا بالصفراء والسوداء وزيادة المائية اما الصفراء فتذهب الى المرارة والسوداء الى الطحال والماء الى الكلية ومنها الى المثانة واما ذلك الدم فانه يدخل في الاوردة وهي العروق النابتة من الكبد وهناك يحصل الهضم الثالث وبين الكبد والضروع عروق كثيرة فينصب الدم من تلك العروق الى الضروع والضرع لحم غددي رخو ابيض فيقلب الله عز وجل الدم الى صورة اللبن فاذا تقرر هذا ظهر ان الدم واللبن ليسا البتة في الكرش ومنعه الحس ايضا فان هذه الحيوانات تذبح ذبحا متواليا وما رأى احد في كرشها لا دما ولا لبنا ولو كان تولد اللبن والدم في الكرش لوجب ان يشاهد ذلك في بعض الاحوال والشيء الذي دلت المشاهدة على فساده لم يجب المصير اليه فقول من قال ان المراد من قوله تعالى من بين فرث ودم هو ان هذه الثلاثة تتوالد من موضع واحد فالفرث يكون في اسفل الكرش والدم يكون في اعلاه واللبن يكون في الوسط قول مخالف للحس والتجربة وايضا لو تولد الدم في اعلى المعدة والكرش كان تحته لكان الحيوان يقيء الدم وذلك باطل قطعا فلذلك ذهب المحققون الى ان المراد من قوله تعالى نسقيكم من بين فرث ودم لبنا انما نسقيكم لبنا متولدا من الاجزاء التي كانت حاصلة فيما بين الفرث اولا ثم كانت حاصلة فيما بين الدم ثانيا فصفاه الله تعالى عن تلك الكثيفة الغليظة وخلق فيها الصفات التي باعتبارها صارت لبنا موافقا لبدن الطفل وانما قلنا ان مادة اللبن كانت حاصلة فيما بين الفرث اولا والدم ثانيا بناء على ان اللبن انما يتولد من بعض اجزاء الدم والدم انما يتولد من الاجزاء اللطيفة التي في الفرث وهي الاشياء المأكولة الحاصلة في الكرش

قوله ومن تدبر صنع الله الخ بيانه من وجوه الاول انه تعالى خلق في اسفل المعدة منفذا يخرج منه ثفل الغذاء فاذا تناول الانسان غذاء وشربه انطبق ذلك المنفذ انطباقا كليا لا يخرج منه شيء من ذلك المأكول والمشروب الى ان يكمل انهضامه في المعدة وينجذب ما صفا منه الى الكبد ويبقى الثفل هناك فحينئذ ينفتح ذلك المنفذ وينزل منه الثفل فحصول الانطباق تارة والانفتاح اخرى بحسب الحاجة وبقدر المنفعة مما لا يتأتى الا بتقدير العليم الحكيم والثاني انه تعالى اودع في الكبد قوة هاضمة طباخة تطبخ بها تلك الاجزاء اللطيفة في الكبد وتنقلب دما ثم انه تعالى اودع في المرارة قوة جاذبة للصفراء وفي الطحال قوة جاذبة للسوداء وفي الكلية قوة جاذبة لزيادة المائية حتى يبقى الدم صافيا اي الصافي الموافق لما تقدم منه في البدن وتخصيص كل واحد من هذه الاعضاء بتلك القوة الحاصلة فيها لا يمكن الا بتقدير العليم الحكيم والثالث ان في الوقت الذي يكون الجنين في رحم الام ينصب من ذلك الدم نصيب وافر اليه حتى يصير مادة لنمو اعضاء ذلك الولد وازدياده فاذا انفصل ذلك الجنين عن الرحم ينصب ذلك النصيب الى جانب الثدي يتولد منه اللبن الذي يكون له غذاء فاذا كبر الولد لم ينصب ذلك النصيب لا الى الرحم ولا الى الثدي بل ينصب الى جميع بدن المغتذي فانصباب ذلك الدم في كل وقت الى عضو آخر انصبابا موافقا للحكمة والمصلحة لا يتأتى الا بتقدير الفاعل المختار الحكيم والرابع انه تعالى جعل الثقوب والمسام التي احدثها في حلمة الثدي ضيقة جدا بحيث اذا اتصل المص والحلب بتلك الحلمة لا يخرج منها الا ما كان في غاية الصفاء واللطافة فانه لا يمكنها

الخروج من تلك المنافذ الضيقة فتبقى محبوسة فى الداخل فكانت حلمة الثدى بسبب ضيق المنافذ كالمصفاة فبهذا الطريق يصير ذلك اللبن خالصا موافقا لبدن الصبي سائغا للشاربين والخامس انه تعالى ألهم ذلك الصبي وهداه الى المص فان الام لما ألقمت حلمة الثدى للطفل الصغير ألهمه ذلك العمل المخصوص والا لما حصل بتخليق ذلك اللبن فى الثدى فائدة والى غير ذلك من غرائب الحكم ودقائق الفضل والرحمة فسبحان من شهد بجميع ذرات الاعلى والاسفل بكمال قدرته وبدائع حكمته له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين **﴿قوله والسكر مصدر﴾** سكر يسكر سكرا وسكرا سمى به الخمر تسمية للشيء باسم مسببه * فان قيل الخمر محرمة فكيف ذكرها الله تعالى فى معرض الانعام اجيب عنه بان هذه السورة مكية وتحريم الخمر نزل فى سورة المائدة وهى مدنية فكان نزول هذه الآية قبل كونها محرمة وقيل السكر هو عصير العنب والزبيب والتمر اذا طبخ حتى يذهب ثلثاه ثم يترك حتى يشتد وهو حلال عند ابى حنيفة قدس الله روحه الى حد السكر واحتج عليه بان هذه الآية تدل على ان السكر حلال لانه تعالى ذكره فى معرض الانعام والمنقور رد بقوله عليه الصلاة والسلام * الخمر حرام لعينها والسكر من كل شراب حرام باخبار جمة * قيل ان ابا على الجبائى صنف كتابا فى تحليل النبيذ فلما شيخ واخذت منه السن العافية قيل له لو شربت منه تقوى فابى فقيل له قد صنفت فى تحليله فقال تناولته الدعارة فسمج بالمروءة اى صحبه اصحاب الدعارة وهى الخبث والفجور فقبح فى المروءة للتشبه بهم يقال رجل داعر اى خبيث فاجر وفيه دعارة والكلام على حذف المضاف اى تناولته اصحاب الدعارة **﴿قوله والآية ان كانت سابقة على تحريم الخمر فدالة على كراهتها﴾** بطريق التعريض حيث عطف قوله ورزقا حسنا على السكر ومايكون مقابلا للرزق الحسن لاجرم يكون قبيحا ومكروها **﴿قوله والا﴾** اى وان كانت نازلة بعد تحريمها تكون جامعة بين العتاب والمنة اذ قوله رزقا حسنا بطريق المنة كانه تعالى وبخهم على الجمع بين السكر والرزق الحسن **﴿قوله وقيل الطعم﴾** اى قيل السكر الطعام واحتج عليه بقوله * جعلت اعراض الكرام سكرا * اى جعلت ذمهم وغيبتهم طعاما ونقلا النقل بالضم مايتنقل به على الشراب وقيل هذا بالخمر اشبه منه بالطعام والمعنى جعلت تتخمر باعراض الكرام جعل شغفه بغيبتهم وتمزيق اعراضهم جاريا مجرى شرب الخمر وقيل السكر سد الجوع من السكر بفتح السين وسكون الكاف وهو مصدر سكرت النهر اسكره اذا سددته **﴿قوله يستعملون عقولهم﴾** يعنى ان قوله يعقلون لم يقصد تعديته الى المفعول بل هو منزل منزلة اللازم **﴿قوله ألهمها وقذف فى قلوبها﴾** اى سخرها وقرر فى نفوسها هذه الاعمال التى يعجز عنها العقلاء من البشر وان كانوا فى غاية الذكاء والكياسة وقوله وقذف عطف تفسير لقوله ألهمها فان الهام البهائم ان يسخرها الله تعالى وينشئها على طبائع يصدر عنها مايصدر من الاحوال الغريبة من غير ان يعلمها احد كسباحة الاوز وطيران الطير فى الهواء بطبعهما من غير تعلم ومعنى كون الفعل طبيعيا ان لامدخل للاختيار فيه لاكون الطبيعة مؤثرة فيه اذ لامؤثر الا الله تعالى قال القرطبي الالهام هو مايخلقه الله تعالى فى القلب ابتداء من غير سبب ظاهر قال تعالى ونفس وماسواها فألهمها فجورها وتقواها ومن ذلك البهائم ومايخلقه الله تعالى فيها من ادراك منافعها واجتناب مضارها وتدبير معايشها الاترى حذاقة النحل فى صنعتها وبنائها البيوت المسدسة من اضلاع متساوية لايزيد بعضها على بعض فانها لو كانت مربعة بقيت منها فرج ضائعة عند دخولها فيها ولو كانت مستديرة بقيت الفرج التى بين البيوت ضائعة والعقلاء من البشر لايمكنهم بناء مثل هذه البيوت الا بآلات وادوات مثل المسطرة والبركار وبالجملة لو كانت تلك البيوت مشكلة بما عدا الشكل المسدس من الاشكال لبقى فى داخلها او فيما بينها فرج خالية ضائعة فاهتداء ذلك الحيوان الضعيف الى هذه الصنعة المشتمل على الحكمة اللطيفة واخراج العسل منه فى ذلك من غير تفكر وسابق تدبير دليل على ان احدا القى فى قلوبها كما يلقى الشيطان وسوسته ويلهم الملك بنى آدم اشياء من غير ان علموا ان احدا دعاهم الى ذلك او القى فى قلوبهم لانها لما وقعت فى قلوبها من غير ان يسبق منها فكر وتدبير علم ان هناك ملقيا واخراج العسل المصفى من لعابه دليل قاطع وبرهان ساطع على ان لهذا العالم آلها قادرا عليما حكيما يفعل ما يشاء **﴿قوله ولعل ذكره﴾** ذكر اولا ان البيت هنا مستعار لمحل النحل تشبيها له بما يبنيه الانسان ويبيت فيه من الابنية فى اشتماله على حسن الصنعة وصحة القسمة ثم قال لعل النكتة فى سلوك الاستعارة التنبيه على مافى محل العسل من الصنائع العجيبة التى لايقدر عليها المهندسون الا بالآلات والانظار الدقيقة **﴿قوله من كل ثمرة تشتهيها﴾** اشارة الى ان الاستغراق المدلول عليه بقوله من كل الثمرات المراد به الاستغراق العرفى كما فى قوله تعالى

واوتيت من كل شيء فان بلقيس لم تؤت جميع مايطلق عليه اسم الشيء بل المراد انها اوتيت من كل شيء اوتى الملوك اياه فقوله تعالى ان اتخذى من الجبال بيوتا ثم قوله كلى من كل الثمرات فيه طباق وهو الجمع بين معنيين متقابلين فى الجملة لانه اورد فى الاول من التبعيضية وفى الثانى كلمة كل وفيه ارشاد لها الى وجوه العمل وترتيبه حيث سخرها الله تعالى لان تسوى البيت ثم تأخذ من كل ثمرة جزأ الجرس للعسل ﴿قوله فاسلكى ما اكلت فى مسالكه﴾ اى التى هى اجوافك وعروقك على ان قوله فاسلكى امر من سلكت الشيء فى الشيء فانسلك اى ادخلته فيه فدخل وهو متعد ولهذا قدر قوله ما اكلت ليكون مفعولا والسبل مجاز عن مسالك الغذاء وهى الاجواف والعروق فقوله من اجوافك بيان للمسالك وقوله اوفاسلكى الطرق على ان قوله فاسلكى لازم من السلوك والسبل مجاز والمراد سبل عمل العسل وقوله فاسلكى راجعة على ان فاسلكى لازم والسبل حقيقة والمراد سبل الرجوع الى البيوت فهذه ثلاثة اوجه اى اذا اكلت الثمار فى المواضع البعيدة عن بيوتك فاسلكى سبل ربك راجعة الى بيوتك والجرس اكل النحل وهو فى الاصل صوت النحل عند الاكل سمى اكلها جرسا لانها تصوت عند الاكل وزاد صاحب الكشاف احتمالا رابعا وهو ان يكون المراد بالسبل سبل الذهاب الى طلب الثمار ويكون المعنى ثم اقصدى اكل الثمار فاسلكى فى طلبها ومظانها سبل ربك ولعل الوجه فى عدم التفات المصنف اليه كونه مستلزما لان يكون قوله ثم كلى بمعنى ثم اقصدى اكل الثمار والفاء فى فاسلكى على ماهو الوجه الاول للعطف والتعقيب وعلى الوجوه الاخر جواب شرط محذوف اى اذا اكلتها فاسلكى ﴿قوله وانت ذلل﴾ جمع الخبر مع ان المبتدأ مفرد لان الخطاب فى قوله تعالى فاسلكى سبل ربك لجنس النحل بدليل قوله تعالى واوحى ربك الى النحل وقد اشار المصنف اليه بقوله وتأنيث الضمير على المعنى يعنى ان الجنس فى معنى الجماعة ﴿قوله عدل به عن خطاب النحل﴾ على طريق الامر التكليفى اظهارا لكمال قدرته ووحدانيته وتخلص منه الى خطاب الناس وامتنانه بما انعم عليهم بخلق النحل والهامه لاجل انتفاعهم والظاهر ان توجه الامر والتكليف الى البهائم كما فى هذه الآية وفى قوله تعالى ياايها النمل ادخلوا مساكنكم على طريق التمثيل شبه خلق الله تعالى اياها على غرائز وطبائع توجب ما اسند اليها من الاحوال بامرها وتكليفها فعبر عن المشبه بلفظ المشبه به وان كان لايبعد ان يكون لهذه الحيوانات عقول تصلح بها لان يتوجه اليها من الله تعالى امر ونهى ثم ان كانت النحل نوعين احدهما مايسكن الجبال والغياض جمع غيضة ولايكون تحت تصرف احد من الناس وثانيهما مايسكن فى بيوت الناس ومما يعرشونه اى يبنونه ويرفعونه من سقوف البيت ويكون فى تصرفهم فالاول هو المراد بقوله تعالى اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر والثانى هو المراد بقوله تعالى ومما يعرشون اى يعرشه الناس والعرش سرير الملك وعرش البيت سقفه والعرش والعريش مايستظل به وعرش يعرش عرشا اى بنى بيتا من خشب والمراد بما يعرشه الناس ههنا اما مايبنونه لانفسهم من البيوت ويؤمر النحل بان تتخذ بعضا منها بيوتا تعسل فيها واما مايبنونه للنحل من الاماكن وهى خلايا النحل ﴿قوله واحتج به﴾ اى بقوله تعالى يخرج من بطونها اعلم انهم اختلفوا فى كيفية حصول العسل فالمشهور ان النحل تأكل من الازهار والاوراق العطرة فما اكلته ينقلب فى جوفها وداخل بدنها عسلا ثم تقئ ادخارا للشتاء وذلك هو العسل ومنهم من يقول يحدث فى الهوآء طل لطيف فى الليالى فيقع على اوراق الاشجار والازهار وقد يكون كثيرا يجتمع منه اجزآء محسوسة كالترنجبيل وقد تكون الاجزآء الطلية صغيرة لطيفة فالنحل تلتقط تلك الذرات اللطيفة من الازهار والاوراق بافواهها وتتغذى بها فاذا شبعت التقطت شيأ آخر من تلك الذرات وذهبت بها الى بيوتها كانها تدخر بها غذاءها للشتاء فاذا اجتمع فى بيوتها شيء كثير من تلك الاجزآء الطلية ينعقد عسلا ومال الامام الى هذا المذهب وقال انه اقرب الى العقل والاستقرآء ومال المصنف الى ماهو المختار عند المحققين من الحكماء حيث قال اولا فاسلكى اى ادخلى ما اكلت فى اجوافك التى تحيل النور المر عسلا وهو تصريح بان ما اكلته النحل انما ينقلب عسلا فى اجوافها ومنافذها كلها لافى خلاياها ومعاسلها ثم قال ومن ذهب الى المذهب الآخر فقد احتاج الى تفسير البطون بالافواه ويدل على ضعف هذا المذهب ايضا قوله تعالى ثم كلى فانه يدل على ان لمعدة النحل تأثيرا فى تكون العسل ومن جعل العسل نباتيا محضا فسر البطون بالافواه فليت شعرى ماذا يصنع بقوله تعالى ثم كلى ﴿قوله امابنفسه اومع غيره﴾ اشارة الى جواب مايقال من ان تعريف الناس يفيد العموم فدلت الآية على ان العسل شفاء من كل دآء مع انه

(ثم كلى من كل الثمرات) من كل ثمرة تشتهيها مرها وحلوها (فاسلكى) ما أكلت (سبل ربك) فى مسالكه التى يحيل فيها بقدرته النور المر عسلا من اجوافك اوفاسلكى الطرق التى الهمك فى عمل العسل اوفاسلكى راجعة الى بيوتك سبل ربك لاتتوعر عليك ولاتلتبس (ذللا) جمع ذلول وهى حال من السبل اى مذللة ذللها الله تعالى وسهلها لك اومن الضمير فى اسلكى اى وانت ذلل منقادة لما امرت به (يخرج من بطونها) عدل به عن خطاب النحل الى خطاب الناس لانه محل الانعام عليهم والمقصود من خلق النحل والهامه لاجلهم (شراب) يعنى العسل لانه مما يشرب واحتج به من زعم ان النحل تأكل الازهار والاوراق العطرة فيستحيل فى باطنها عسلا ثم تقيء ادخارا للشتاء ومن زعم انها تلتقط بافواهها اجزآء طلية حلوة صغيرة متفرقة على الاوراق والازهار وتضعها فى بيوتها ادخارا فاذا اجتمع فى بيوتها شيء كثير منها كان العسل فسر البطون بالافواه (مختلف ألوانه) ابيض واصفر واحمر واسود بحسب اختلاف سن النحل والفصل (فيه شفاء للناس) امابنفسه كما فى الامراض البلغمية اومع غيره كما فى سائر الامراض اذقلما يكون معجون الا والعسل جزء منه مع ان التنكير فيه مشعر بالتبعيض ويجوز ان يكون للتعظيم

يضر الصفراوى والمحمومين والمحرورين *وتقرير الجواب ان مايكون علاجا الصفراوى ايضا بما يتم ويكمل بالعسل
فيكون شفاء من كل داء بهذا الاعتبار ثم اجاب بمنع دلالة الآية على ان العسل شفاء لكل مرض لانه تعالى لم يقل
شفاء لكل الناس ولكل داء وفى كل حال بل اشار بتنكير شفاء الى ان فيه بعض الشفاء وان جاز ان يكون التنكير
فيه لتعظيم ما فيه من الشفاء وماروى عن قتادة رضى الله عنه انما يدل على كونه شفاء فى الجملة لا على كونه
شفاء لكل داء لجواز ان يكون استطلاق بطن الرجل من فضلة بلغمية فاحتاج الى شرب العسل لانضاجها
ودفعها وقوله عليه الصلاة والسلام *وكذب بطن اخيك* معناه ان بطنه لم يأخذ من العسل ماينضج مادته
ويصلح مزاجه الا انه لما ذكر قوله صدق الله حسن ان يقال فى جنبه كذب بطن اخيك روما للمشاكلة
﴿قوله فكأنما انشط من عقال﴾ اى تخلص يقال نشطت الحبل انشطه اى عقدته وانشطته اى حللته
وقد يقال كأنما نشط من عقال وليس بصحيح ﴿قوله وقيل الضمير للقرءآن﴾ تم الامتنان على الناس
بخلق النحل والهامه طريق تولد العسل منه عند قوله يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه ثم ابتدأ وقال فيه
شفاء للناس اى فى هذا القرءآن شفاء للناس من آفة الكفر والبدعة ولم يرض المصنف بهذا القول لان الاصل
فى الضمير ان يرجع الى اقرب المذكورات قبله وما ذلك الا قوله شراب مختلف الوانه وارجاعه الى مالم يذكر
قبله بعيد ولان قوله عليه الصلاة والسلام فى حديث قتادة *صدق الله وكذب بطن اخيك* يدل على انه عليه
الصلاة والسلام جعل ضمير فيه للشراب المذكور قبله فلا وجه لجعله راجعا الى القرءآن ثم انه تعالى لما استدل
على ان هذا العالم لابد له من اله واجب الوجود لذاته ببعض احوال النبات ثم ببعض عجائب الحيوان اتبعه
بذكر اختلاف اعمار الناس ومراتبها واختصاص كل مرتبة بحكم يخالف حكم باقى المراتب والعقلاء ضبطوا
مراتب اعمار الانسان فى اربع المرتبة الاولى سن النشو والنماء ونهايته الى ثلاثين سنة اوالى خمس وثلاثين سنة
والمرتبة الثانية سن الوقوف وهو سن الشباب ونهايته الى ان تتم اربعون سنة من عمره والمرتبة الثالثة سن
الكهولة وهو سن الانحطاط اليسير الخفى ونهايته الى سبعين سنة والرابعة وهو سن الانحطاط العظيم الظاهر
وتمامه عند الاطباء الى مائة وعشرين سنة فاختلاف احوال البدن الحيوانى بالتزايد والوقوف والانحطاط
الخفى والجلى مع استوآء احوال التربية والتدبير الكائنين من قبل نفسه يدل على انه بتدبير الفاعل المختار قبل
الارتداد الى ارذل العمر واراد به محض الكافر لان المسلم لايزداد بسبب طول العمر الا كرامة عندالله تعالى
ولا يجوز ان يقال فى حقه انه تعالى رده الى ارذل العمر لقوله تعالى ثم رددناه اسفل سافلين الا الذين آمنوا
وعملوا الصالحات فانه صريح فى ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لا يردون الى اسفل سافلين وعن عكرمة ان
من قرأ القرءآن لا يرد الى ارذل العمر ﴿قوله ليصير الى حالة﴾ اللام فى هذه العبارة لام كى المفيدة للتعليل
والفعل بعدها منصوب باضمار ان المصدرية ويحتمل ان تكون لام العاقبة والتى فى نظم القرءآن لايجوز ان تكون
لام كى لان كى بعدها مذكورة صريحا بل هى اما لام العاقبة او اللام التى تكون لمجرد التعليل من غير ان يضمر
بعدها ان المصدرية وكى بعدها مصدرية ناصبة بنفسها للفعل بعدها وهى مع منصوبها فى تأويل مصدر مجرور
باللام المتعلقة بقوله يرد ولا اشعار لكى بالتعليل فى هذا الموضع قال ابو البقاء شيأ منصوب بالمصدر على قول
البصريين وبعلم على قول الكوفيين انتهى يعنى انه من قبيل ماتنازع فيه عاملان لانه قد تقدمه عاملان يعلم وعلم
فعلى رأى البصريين وهو المختار يكون منصوبا بعلم وقوله تعالى لكيلا يعلم بعد علم شيأ كناية عن النسيان لان
الناسى يلزمه ان يعلم شيأ ثم ينساه فلا يعلمه بعد ما علمه وهذه صفة الاطفال والهرم بكسر الراء الشيخ الفانى
﴿قوله فمنكم غنى ومنكم فقير﴾ وليس غنى المكثر من كياسته ووفور عقله وكثرة سعيه واجتهاده
ولا فقر المقل من بلادته ونقصان عقله وقلة سعيه فانك ترى اكيس الناس واكثرهم عقلا وفهما يفنى عمره فى طلب
القليل فى الدنيا ولا ينال ذلك وترى أجهل الناس واخسهم عقلا وفهما ينفتح عليهم ابواب الدنيا ولو كان الغنى
منوطا بالسعى وكمال العقل لما وجد فى اكمل الناس عقلا واكثرهم سعيا فى تحصيل الدنيا من هو اقل نصيبا منها فلما
رأينا الاعقل الافضل اقل نصيبا منها والاخس الاجهل اوفر نصيبا علمنا ان ذلك بسبب قسمة القسام الذى يفعل مايشاء
كما قال الله تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا وروى عن الامام الشافعى رضى الله عنه انه قال ومما يدل على
ان القضاء والقدر حق بؤس اللبيب وطيب عيش الاحمق وهذا التفاوت غير مختص بالمال بل هو حاصل فى الذكاء

وعن قتادة ان رجلا اتى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال ان اخى يشتكى بطنه فقال
اسقه العسل فذهب ثم رجع فقال قد سقيته
فما نفع فقال اذهب واسقه عسلا فقد صدق الله
وكذب بطن اخيك فسقاه فشفاه الله تعالى
فبرئ فكأنما انشط من عقال وقيل الضمير
للقرءآن او لما بين الله من احوال النحل
(ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون) فان من
تدبر اختصاص النحل بتلك العلوم الدقيقة
والافعال العجيبة حق التدبر علم قطعا انه
لابد من قادر حكيم يلهمها ذلك ويحملها
عليه (والله خلقكم ثم يتوفاكم) بآجال
مختلفة (ومنكم من يرد) يعاد (الى ارذل
العمر) اخسه يعنى الهرم الذى يشابه
الطفولية فى نقصان القوة والعقل وقيل هو
خمس وتسعون سنة وقيل خمس وسبعون
سنة (لكيلا يعلم بعد علم شيأ) ليصير الى حالة
شبيهة بحال الطفولية فى النسيان وسوء
الفهم (ان الله عليم) بمقادير اعمارهم
(قدير) يميت الشاب النشيط ويبقى الهرم
الفانى وفيه تنبيه على ان تفاوت آجال
الناس ليس الا بتقدير قادر حكيم ركب ابنيتهم
وعدل امزجتهم على قدر معلوم ولو كان
ذلك مقتضى الطباع لم يبلغ التفاوت هذا المبلغ
(والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق)
فمنكم غنى ومنكم فقير ومنكم موالى يتولون
رزقهم ورزق غيرهم ومنكم مماليك حالهم
على خلاف ذلك (فما الذين فضلوا برادى
رزقهم) بمعطى رزقهم (على ماملكت
ايمانهم) على مماليكهم فانما يردون عليهم
رزقهم الذى جعله الله تعالى فى ايديهم
(فهم فيه سوآء) فالموالى والمماليك سوآء
فى ان الله رزقهم فالجملة لازمة للجملة المنفية
اومقررة لها ويجوز ان تكون واقعة موقع
الجواب كأنه قيل فما الذين فضلوا برادى
رزقهم على ماملكت ايمانهم فيستووا
فى الرزق على انه رد وانكار على المشركين
فانهم يشركون بالله بعض مخلوقاته
فى الالوهية ولا يرضون ان تشاركهم
عبيدهم فيما انعم الله عليهم فيساووهم فيه

والبلادة والحسن والقبح والصحة والسقم ونحو ذلك اسند الله تعالى تفاوت ارزاق عباده الى نفسه ويلزم منه كونه تعالى هوالرازق للجميع على وجه فضل بعضهم على بعض فى الرزق ثم فرّع عليه ان المفضلين فى الرزق ليسوا رازقين مماليكهم شيأ من الرزق الكائن من قبلهم بل الرازق للجميع هوالله تعالى وحده لكنه اجرى رزق المماليك على ايدي الموالى فقوله فاالذين فضلوا لازم لماقبله وقوله فهم فيه سوآء اى الجميع فى الرزق من الله سوآء لازم للجملة المنفية متفرّع عليها اومقرّر مؤكد لها ويجوز ان يكون جوابا للنفى المذكور قبله ردّا على المشركين ﴿قوله وقرأ ابوبكر﴾ اى وقرأ الباقون بياء الغيبة مراعاة لقوله فاالذين فضلوا وقوله فهم فيه سوآء ثم انه تعالى استدل على وجود الاله العليم القادر المختار بنوع آخر من احوال الناس فقال مخاطبا للكل والله جعل لكم اى انه تعالى خلق النساء ليتزوّج بهنّ الذكور وجعل ازواجهم من جنسهم ليستأنسوا بهنّ ومن جعل خطاب الجمع فى قوله جعل لكم من انفسكم ازواجا للتعظيم وحمله على خلق حوّآء من نفس آدم فقد ارتكب خلاف الظاهر من غير ضرورة ﴿قوله فان الحافد هو المسرع فى الخدمة﴾ يعنى ان الحفدة وان كانت اعم من البنات والاعم لادلالة له على الخاص الاان البنات لكونها اكمل فى الخدمة واسرع فيها يتبادر الذهن من لفظ الحفدة اليها عند الاطلاق قال الواحدى اصل الحفدة من الحفد وهو الخفة فى الخدمة والعمل يقال حفد يحفد حفذا وحفودا اذا اسرع ومنه ما فى دعاء القنوت واليك نسعى ونحفد فالحفدة جمع الحافد وهو كل من يحفد فى خدمتك ويسرع فى العمل بطاعتك فمعنى الحفدة فى اللغة الاعوان والخدم ثم يجب ان يكون المراد من الحفدة الاعوان الذين حصلوا للرجل من قبل المرأة لانه تعالى قال وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة فالاعوان الذين لايكونون من قبل المرأة لايدخلون تحت هذه الآية فلذلك قيل هم الاختان وقيل الربائب وقيل هم الاصهار وقيل ولدالولد والاولى دخول الكل فيه لمابينا من ان اللفظ يحتمل الكل من حيث كونه موضوعا للقدر المشترك بين الكل ثم انه تعالى لماذكر انعامه على عبيده بالمنكوح ومافيه من المنافع والمصالح ذكر انعامه عليهم بطيبات النعم نباتية كانت اوحيوانية فقال ورزقكم من الطيبات ثم قال تعالى افبالباطل يؤمنون والهمزة فيه للانكار والتوبيخ والفاء للدلالة على ان صدور ماسند اليهم من القبائح عنهم بعدتقرّر ماذكر قبلها اشدّقباحة وضلالة والمراد بالباطل اعتقاد ان الاصنام تنفعهم اواعتقاد ان من الطيبات مايحرم عليهم وكذا الكلام فى قوله تعالى أفبنعمة الله يجحدون والمراد بنعمة الله ماانعم به على جميع عباده من الرزق وسوّى فيه بين الموالى والمماليك وجحودها اضافة بعضها الى الشركاء وانكار كونها من الله تعالى اوما انعم به عليهم من ايضاح الدلائل الدالة على تفرّده تعالى بالوهيته وتنزهه عن الشركاء والانداد وجحودها عدم الالتفات الى تلك الدلائل وترك التأمل فيها بالانهماك فى تقليد الآباء الضالين بين الله تعالى انه هوالرازق لجميع عباده من الموالى والمماليك ثم فرّع عليه توبيخ المشركين على اتخاذهم الشركاء وانكر عليهم بقوله افبنعمة الله يجحدون باضافة بعض مارزقهم الله الى تلك الشركاء وجحود انه من عندالله اواوضح لهم دلائل الحق ثم وبخ عليهم لعدم التفاتهم اليها ورجوعهم بها الى الحق ثم فصل لذآئذ النعم اوحالاتها ثم اعاد التوبيخ على المشركين فيماهم عليه من الاعتقاد الباطل والمذهب الزآئغ وقدّم المعمول على عامله فى الموضعين ولايصار اليه الالنكتة وهى ههنا اما الاهتمام ووجهه ان الغرض الذى سيق له الكلام فى الاوّل ليس انكار نفس الجحود بل الغرض انكار متعلق الجحود وهونعمة الله تعالى فكان محل الاهتمام فقدّم المفعول لذلك واما ايهام التخصيص مبالغة فان تقديم المفعول به يفيد الحصر والتخصيص فكانه قيل فلا يجحدون الابنعمة الله ولايؤمنون الابالباطل ولمالم يستقم ارادة حقيقة التخصيص كفى ان يراد مايفيد التخصيص ولماكان نسبة جحود نعمة الله اليهم كافيا فى توبيخهم كان نسبة تخصيص الجحود بها اليهم ابلغ فى التوبيخ وكذا نسبة الايمان بالباطل لما كان كافيا فى التوبيخ كان نسبة ذلك اليهم بطريق يفيد التخصيص ابلغ فيه ﴿قوله وبنعمة الله هم يكفرون﴾ داخل فى حيز الاستفهام الانكارى ويفهم من تقرير المصنف ان قوله تعالى ويعبدون من دون الله معطوف على قوله يكفرون بيانا وتفسيرا لكفرهم بنعمة الله لقوله فان اتخاذ الشركاء يقتضى ان يضاف اليهم بعض ماانعم الله عليهم ويجحدون انه من عندالله ﴿قوله ورزقاان جعلته مصدرا فشيأ منصوب به﴾ على معنى لايملك ان يرزق شيأ وان كان بمعنى المرزوق المنتفع به كان شيأ بدلا منه بمعنى لاقليلا ولا كثيرا ومن السماء والارض متعلق بقوله رزقا ان كان مصدرا والمعنى لايملك لهم ان يرزق من جانب السماء المطر ومن جانب

(الارض)

(أفبنعمة الله يجحدون) حيث يتخذون له شركاء فانه يقتضى ان يضاف اليهم بعض ماانعم الله عليهم ويجحدوا انه من عندالله اوحيث انكروا امثال هذه الحجج بعد ماانعم الله عليهم بايضاحها والباء لتضمين الجحود معنى الكفر وقرأ ابوبكر تجحدون بالتاء لقوله تعالى خلقكم وفضل بعضكم (والله جعل لكم من انفسكم ازواجا) اى من جنسكم لتأنسوا بها ولتكون اولادكم مثلكم وقيل هو خلق حوّآء من آدم (وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة) واولاد اولاد وبنات فان الحافد هوالمسرع فى الخدمة والبنات يخدمن فى البيوت اتم خدمة وقيل هم الاختان على البنات وقيل الربائب ويجوز ان يراد بها البنون انفسهم والعطف لتغاير الوصفين (ورزقكم من الطيبات) من اللذآئذ اومن الحلالات ومن للتبعيض فان المرزوق فى الدنيا انموذج منها (أفبالباطل يؤمنون) وهوان الاصنام تنفعهم اوان من الطيبات مايحرم عليهم كالبحائر والسوائب (وبنعمة الله هم يكفرون) حيث اضافوا نعمه الى الاصنام اوحرّموا ماأحل الله لهم وتقديم الصلة على الفعل اما للاهتمام اولايهام التخصيص مبالغة اوللمحافظة على الفواصل (ويعبدون من دون الله مالايملك لهم رزقا من السموات والارض شيأ) من مطر ونبات ورزقاان جعلته مصدرا فشيأ منصوب به والافبدل منه

(ولايستطيعون) ان يملكوه او لا استطاعة لهم اصلا وجمع الضمير فيه وتوحيده في مالايملك لان مامفرد في معنى الآلهة ويجوز ان يعود الى الكفار اى ولايستطيع هؤلاء مع انهم احياء متصرّفون شيأ من ﴿ ١٩١ ﴾ ذلك فكيف بالجماد (فلا تضربوا لله الامثال) فلا تجعلوا له مثلا تشركونه به او تقيسونه عليه فان ضرب المثل تشبيه حال بحال (ان الله يعلم) فساد ماتعوّلون عليه من القياس على ان عبادة عبيد الملك ادخل في التعظيم من عبادته وعظم جرمكم فيما تفعلون (وانتم لاتعلمون) ذلك ولو علمتموه لما جرأتم عليه فهو تعليل للنهى او انه يعلم كنه الاشياء وانتم لاتعلمونه فدعوا رأيكم دون نصه ويجوز ان يراد فلا تضربوا لله الامثال فانه يعلم كيف تضرب الامثال وانتم لا تعلمون ثم علمهم كيف تضرب فضرب مثلا لنفسه ولمن عبددونه فقال (ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شئ ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرّا وجهرا هل يستوون) مثل مايشرك به بالمملوك العاجز عن التصرّف رأسا ومثل نفسه بالحرّ المالك الذى رزقه الله مالا كثيرا فهو متصرّف فيه وينفق منه كيف شاء واحتج بامتناع الاشراك والتسوية بينهما مع تشاركهما في الجنسية والمخلوقية على امتناع التسوية بين الاصنام التى هى اعجز المخلوقات وبين الله الغنى القادر على الاطلاق وقيل هو تمثيل للكافر المخذول والمؤمن الموفق وتقييد العبد بالمملوك للتمييز من الحرّ فانه ايضا عبد الله وسلب القدرة للتمييز عن المكاتب والمأذون وجعله قسيما للمالك المتصرّف يدل على ان المملوك لا يملك والاظهر ان من نكرة موصوفة لتطابق عبدا وجمع الضمير في يستوون لانه للجنسين فان المعنى هل يستوى الاحرار والعبيد (الحمد لله) كل الحمد له لايستحقه غيره فضلا عن العبادة لانه مولى النعم كلها (بل اكثرهم لايعلمون) فيضيفون نعمه الى غيره ويعبدونه لاجلها (وضرب الله مثلا رجلين احدهما ابكم) ولد اخرس لايفهم ولايفهم (لايقدر على شئ) من الصنائع والتدابير لنقصان عقله (وهو كل على مولاه) عيال وثقل على من يلى امره (اينما يوجهه) حيث مايرسله مولاه في امر وقرئ يوجه على البناء للمفعول ويوجه بمعنى يتوجه كقوله اينما اوجه الق سعدا وتوجه بلفظ الماضى (لايأت بخير) بنجح وكفاية مهم (هل يستوى هو ومن يأمر بالعدل) ومن هو فهم منطيق ذو كفاية ورشد ينفع الناس بحثهم على العدل الشامل لجامع الفضائل (وهو على صراط مستقيم) وهو في نفسه على طريق مستقيم لايتوجه الى مطلب الا ويبلغه باقرب سعى

الارض النبات والثمار التى تخرج منها او متعلق بمحذوف هو صفة لرزقا ان كان اسما لما يرزق ﴿قوله ولا يستطيعون ان يملكوه﴾ جواب عما يقال من ان قوله لايستطيعون فعل متعدّ يستدعى مفعولا تقديره ولايستطيعونه ومعناه بعينه معنى قوله لايملك لهم رزقا فهو من عطف الشئ على نفسه وتقرير الجواب انا لانسلم ان لايستطيعون يستدعى تقدير ضمير يرجع الى الرزق بل اجرى مجرى اللازم كقولك فلان يعطى ويمنع اى يفعل الاعطاء والمنع فالمعنى انهم لايملكون رزقا وليس لهم استطاعة اصلا وان سلمنا انه يستدعى ذلك لكن لانسلم ان ذلك الضمير يرجع الى الرزق بل هو راجع الى تملك الرزق والمعنى انهم لايقدرون على تملك الرزق فضلا عن ان يملكوه بالفعل ﴿قوله فلا تجعلوا له مثلا تشركونه به او تقيسونه عليه﴾ يعنى ان المقصود بنهيهم عن الاشراك تفريعه على قوله ويعبدون من دون الله الخ فانه تعالى لما وصف المشركين بانهم يعبدون مالايملك شيأ من الرزق ولا استطاعة لهم اصلا فرع على ذلك نهيهم عن ان يجعلوا له مثلا يشركون به تعالى في الوهيته او يقيسون تعظيمه على تعظيم ذلك المثل بان يقولوا هو مثل له تعالى في استحقاق التعظيم لما ان عبادة عبيد الملك ادخل في تعظيمه من عبادة نفسه بالذات فالمثل على الاوّل مايعبدونه من الشركاء وعلى الثانى مايقيسونه به مما يعظم شانه عندهم ﴿قوله فساد ماتعوّلون عليه﴾ اى تعتمدون عليه في ان تجعلوا له مثلا ومن القياس بيان ما ﴿قوله وجعله قسيما﴾ اى توصيف العبد بانه مملوك لايقدر على شئ ثم جعله قسيما لقوله ومن رزقناه الخ يدل على ان المملوكية تنافى المالكية فان الفقهاء احتجوا بهذه الآية على ان العبد لايملك شيأ ووجه دلالتها عليه انه ثبت في اصول الفقه ان الحكم المذكور عقيب الوصف المناسب يدل على كون ذلك الوصف علة لذلك الحكم وكونه عبدا وصف مشعر بالذل والمقهورية وقوله لايقدر على شئ حكم مذكور عقيبه فهذا يقتضى ان يكون العلة لعدم القدرة على شئ هى كونه عبدا مملوكا فثبت ان العبد لايملك شيأ وان ملك والآية تدل على ماذكر من وجه آخر وهو انه تعالى قال بعد ذكر العبد ومن رزقناه منا رزقا حسنا فوجب ان لايحصل هذا الوصف للعبد حتى يحصل الامتياز بين القسم الثانى والاوّل فانه لو ملك العبد لكان الله تعالى قد آتاه رزقا حسنا لان الملك الحلال رزق حسن سواء كان قليلا او كثيرا فلا يكون احد القسمين قسيما للآخر ﴿قوله وقيل هو تمثيل للكافر المخذول﴾ فالمعنى على الاوّل لايستوى عندكم العبد المملوك العاجز عن التصرّف بالحرّ المالك الذى قدر رزقه الله المال فهو يتصرّف فيه وينفق كيف يشاء فكيف يستوى من يملك الانفاق والانعام على التوالى والدوام وهو المعبود الحق بمن لايملك شيأ من ذلك وهو المعبود الباطل وعلى الثانى لايستوى عندكم العبد والحرّ المذكوران فكيف يستوى المؤمن الموفق للطاعات والخيرات والاعمال الصالحة التى يجهر بها المؤمن ويخفيها في بيته والكافر المخذول الذى حرمه الله التوفيق فهو لايحصل منه عمل صالح ولا يوفق لباب من ابواب الطاعات والانفاق قد يعبر به عن العمل الصالح حتى ذهب بعض المفسرين في قوله تعالى لن تنالوا البرّ حتى تنفقوا مما تحبون الى ان المعنى حتى تعملوا الطاعات فان العامل المطيع ينفق قواه وجوارحه ابتغاء لوجه الله تعالى والانفاق سرّا وجهرا اتيان مايجهر به من الاعمال كالصلوات المفروضة والحج والجهاد والاعمال التى تظهر للناس واتيان مايخفى من الاعمال كالنوافل التى يصنعها المرء في بيته والاعمال القلبية ثم انه تعالى لما بين امتناع المساواة بين العبد المملوك الذى لايقدر على شئ وبين السيد الكريم الغنى على الاطلاق عقبه بقوله الحمد لله للدلالة على انه تعالى هو الغنىّ المطلق القادر على الانفاق والافضال وان من يعبد الاصنام التى لاتملك ولاتقدر على شئ البتة في غاية الجهالة والضلال ﴿قوله تعالى اينما يوجه لايأت بخير﴾ مجزومان على انهما شرط وجزاء وقرئ اينما يوجه بالهاء الواحدة الساكنة وكسر الجيم وفاعله ضمير الابكم فيكون يوجه بمعنى يتوجه يقال وجه يوجه بمعنى توجه يتوجه مثل قدم بمعنى تقدم وقد اشتهر ان المقدّمة بمعنى المتقدّمة وقوله اينما اوجه الق سعدا مثل يضرب لمن يتلقاه الشرّ اينما يتوجه وكان اصله ان رجلا اسمه اضبط كان سيد قومه فاصابه منهم جفوة فارتحل عنهم الى آخرين فرآهم يصنعون بساداتهم مثل صنع قومه فقال اينما اوجه الق سعدا وسعد كان رجلا شريرا والنجح والنجاح الظفر بالحوائج وفي الكلام حذف مايقابل قوله احدهما ابكم كأنه قيل والآخر ناطق متصرّف قادر على الصنائع والتدابير لكمال عقله وسلامة اعضائه وهو خفيف على مولاه ولايتحمل التعب والمؤونة من قبله اصلا اينما يوجهه يأت بخير ونجح دل عليه قوله هل يستوى هو ومن يأمر بالعدل وقوله ومن يأمر مرفوع

معطوف على الضمير المرفوع فى يستوى وسوّغه الفصل بالضمير المنفصل وقوله وهو على صراط مستقيم اما استئناف او حال ﴿قوله وانما قابل تلك الصفات﴾ اى الاربع وهى انه ابكم وانه عاجز لايقدر على شئ وانه كل اى ثقيل على مولاه وان مولاه اينما يرسله لايأت بخير وهى صفات الاصنام فانها لاتسمع ولاتنطق وانها عاجزة لاتقدر على شئ وانها كل على عابديها تحتاج الى ان تحملها وتضعها وتمسح عنها ما وقع عليها من الاذى وتخدمها والى اىّ مهم يوجهها عابدوها لاتأت بخير قابل تعالى تلك الصفات الاربع بهذين الوصفين وهما كونه آمرا بالعدل وكونه فى نفسه على صراط مستقيم لانهما كمال مايقابل تلك الصفات الاربع لان كونه آمرا بالعدل يتضمن كونه ذافهم منطيقا قادرا على كفاية الناس وارشادهم الى ما فيه صلاح حالهم فى الدارين بحثهم على العدل الشامل لجامع الفضائل وكونه على صراط مستقيم وسيرة صالحة سنية يتضمن كونه بحيث انه الى اىّ مطلب يتوجه يبلغه ويظفر به باقرب سعى فالرجل الموصوف بتلك الصفات الاربع اذا لم يكن مساويا فى الفضل والشرف لمن اتصف بهذين الوصفين مع استوائهما فى الخلقة والصورة البشرية فلأن يحكم بان الجماد لايكون مساويا لرب العالمين فى المعبودية كان اولى او فلأن لايكون الكافر مساويا للمؤمن كان اولى بين الله تعالى بضرب هذا المثل ان الذى لاينطق بالحق ولايأمر بالعدل ليس كالذى يأمر بالعدل مع كونه فى نفسه متصفا بالعدل متباعدا عن الظلم والجور وبين فى المثل الاوّل ان الذى لايملك الانفاق ليس كالذى يملكه ﴿قوله يختص به علمه﴾ وجه ارتباط هذه الآية بما قبلها انه مثل نفسه بالذى يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم ومعلوم ان احدا لايكون كذلك الا اذا كان كاملا فى العلم والقدرة فبين بقوله ولله غيب السموات والارض كونه كاملا فى العلم وبين كمال قدرته بقوله وما امر الساعة الا كلمح البصر والساعة هى الوقت الذى تقوم فيه القيامة سميت ساعة لانها تفجأ الانسان فى ساعة فيموت الخلق بصيحة واحدة وقوله او هو اقرب ليس المراد منه الشك بل المراد بل هو اقرب اضرابا عن تشبيه امر قيام الساعة فى السرعة برجع الطرف من اعلى الحدقة الى اسفلها ولاشك ان الحدقة مؤلفة من اجزآء لاتتجزأ ولمح البصر عبارة عن مرور الجفن على جملة تلك الاجزآء التى منها تتركب الحدقة فيكون الزمان الذى يحصل فيه لمح البصر مركبا من آنات وازمان متعاقبة والله تعالى قادر على اقامة القيامة فى زمان واحد من تلك الازمان فلذلك اضرب عن تشبيه الاوّل الى الحكم بانه اقرب تنبيها على ذلك وقال الزجاج المراد الابهام على المخاطبين انه تعالى يأتى بالساعة فى زمان لمح البصر وفيما هو اقل منه لان المراد من تشبيه امر قيامها بامر لمح البصر تشبيه زمان الاوّل بزمان الثانى وهذا هو الذى اراد المصنف بقوله او للتخيير لانه تعالى لما ابهم الامر عليهم فقد خيرهم بين الامرين وعلى الوجهين يكون المقصود تقريب وقوعها وان كان بعيدا بالنسبة الينا ﴿قوله والهاء مزيدة﴾ يعنى ان اصل امّهاتكم اماتكم الا انه زيدت الهاء فيه كما زيدت فى اهراق اصله اراق وقوله لاتعلمون شيأ حال من مفعول اخرجكم اى اخرجكم غير عالمين وقوله شيأ منصوب اما على المصدرية اى شيأ من العلم او على انه مفعول به والعلم ههنا العرفان فيتعدى الى واحد ﴿قوله مستصحبين جهل الجمادية﴾ اى لا الجهل الذى هو عدم العلم عما من شأنه ان يكون عالما لان الجنين فى بطن امّه فى حكم الجماد خلوّه عن العلوم البديهية رأسا فضلا عن العلوم النظرية المكتسبة التى يترتب عليها العلوم البديهية فان النفس فى مبدأ الفطرة كانت خالية عن جميع العلوم الا انه تعالى لما خلق لها قوى وحواس ظاهرة وباطنة توسلت بها الى ان ترسم فيها ماهيات المحسوسات لما بينها وبينها من المشاركات والمباينات وان تنتزع منها صورا كلية بصورة تمكن بترتيبها على وجه خاص من اكتساب المجهولات التصوّرية وتمكن بادراك النسبة بين بعض تلك التصوّرية مع بعض من ايقاع تلك النسبة وانتزاعها وادراك انها واقعة وليست بواقعة مثل ادراك ان الكل اعظم من الجزء ومثل هذه الادراكات علوم تصديقية تمكن النفس ترتيبها على الوجه الخاص من اكتساب المجهولات التصديقية فظهر ان السبب الاوّل لحدوث العلم فى النفس هو انه تعالى اعطى هذه الحواس واليه اشار بقوله تعالى والله اخرجكم من بطون امّهاتكم لاتعلمون شيأ وجعل لكم السمع والابصار والافئدة ليصير حصولها سببا لانتقال نفوسكم من الجهل الى العلم بالطريق المذكور * فان قيل قوله تعالى وجعل لكم السمع والابصار عطف على قوله اخرجكم ويفهم منه ان يكون جعل لكم السمع والابصار متأخرا عن الاخراج من البطن وليس كذلك * فالجواب ان حرف الواو لايقتضى الترتيب وايضا اذا حملنا السمع على الاستماع والابصار على الرؤية زال السؤال وهذا اذا جعلنا قوله

وانما قابل تلك الصفات بهذين الوصفين لانهما كمال مايقابلهما وهذا تمثيل ثان ضربه الله تعالى لنفسه وللاصنام لابطال المشاركة بينه وبينها او للمؤمن والكافر (ولله غيب السموات والارض) يختص به علمه لايعلمه غيره وهو ماغاب فيهما عن العباد بان لم يكن محسوسا ولم يدل عليه محسوس وقيل يوم القيامة فان علمه غائب عن اهل السموات والارض (وما امر الساعة) وما امر قيام القيامة فى سرعته وسهولته (الا كلمح البصر) الا كرجع الطرف من اعلى الحدقة الى اسفلها (او هو اقرب) او امرها اقرب منه بان يكون فى زمان نصف تلك الحركة بل فى الآن الذى يبتدأ فيه فانه تعالى يحيي الخلائق دفعة وما يوجد دفعة كان فى آن واو للتخيير او بمعنى بل وقيل معناه ان قيام الساعة وان تراخى فهو عند الله كالشئ الذى يقولون فيه هو كلمح البصر او هو اقرب مبالغة فى استقرابه (ان الله على كل شئ قدير) فيقدر على ان يحيي الخلائق دفعة كما قدر أن احياهم متدرّجا ثم دل على قدرته فقال (والله اخرجكم من بطون امّهاتكم) وقرأ الكسائى بكسر الهمزة على انه لغة او اتباع لما قبلها وحمزة بكسرها وكسر الميم والهاء مزيدة مثلها فى اهراق (لاتعلمون شيأ) جهالا مستصحبين جهل الجمادية (وجعل لكم السمع والابصار والافئدة) اداة تتعلمون بها فتحسون بمشاعركم جزئيات الاشياء فتدركونها ثم تتنبهون بقلوبكم لمشاركات ومباينات بينها بتكرار الاحساس حتى يتحصل لكم العلوم البديهية وتتمكنوا من تحصيل العالم الكسبية بالنظر فيها (لعلكم تشكرون) كى تعرفوا ما انعم الله عليكم طورا بعد طور فتشكروا

(في جو السماء) في الهواء المتباعد من الارض (ما يمسكهن) فيه (الا الله) فان ثقل جسدها يقتضي سقوطها ولا علاقة فوقها ولا دعامة تحتها تمسكها (ان في ذلك لآيات) تسخير الطير للطيران بان خلقها خلقة يمكن معها الطيران وخلق الجو بحيث يمكن الطيران فيه وامساكها في الهواء على خلاف طبعها (لقوم يؤمنون) لانهم هم المنتفعون بها (والله جعل لكم من بيوتكم سكنا) موضعا تسكنون فيه وقت اقامتكم كالبيوت المتخذة من الحجر والمدر فعل بمعنى مفعول (وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا) هي القباب المتخذة من الادم ويجوز ان تتناول المتخذة من الوبر والصوف والشعر من حيث انها نابتة على جلودها يصدق عليها انها من جلودها (تستخفونها) تجدونها خفيفة يخف عليكم حملها ونقلها (يوم ظعنكم) وقت ترحالكم (ويوم اقامتكم) ووضعها او ضربها وقت الحضر او النزول وقرأ الحجازيان والبصريان يوم ظعنكم بالفتح وهو لغة (ومن اصوافها واوبارها واشعارها) الصوف للضأن والوبر للابل والشعر للمعز واضافتها الى ضمير الانعام لانها من جملتها (اثاثا) ما يلبس ويفرش (ومتاعا) ما يتجر به (الى حين) الى مدة من الزمان فانها لصلابتها تبقى مدة مديدة او الى حين مماتكم او الى ان تقضوا منه اوطاركم (والله جعل لكم مما خلق) من الشجر والجبل والابنية وغيرها (ظلالا) تتقون بها حر الشمس (وجعل لكم من الجبال اكنانا) مواضع تسكنون بها من الكهوف والبيوت المنحوتة فيها جمع كن (وجعل لكم سرابيل) ثيابا من الصوف والكتان والقطن وغيرها (تقيكم الحر) خصه بالذكر اكتفاء باحد الضدين او لان وقاية الحر كانت أهم عندهم (وسرابيل تقيكم بأسكم) يعني الدروع والجواشن والسربال يعم كل ما يلبس (كذلك) كاتمام هذه النعم التي تقدمت (يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون) اي تنظرون في نعمه فتؤمنون به او تنقادون لحكمه وقرئ تسلمون من السلامة اي تشكرون فتسلمون من العذاب او تنظرون فيها فتسلمون من الشرك وقيل تسلمون من الجراح بلبس الدروع (فان تولوا) اعرضوا او لم يقبلوا منك (فانما عليك البلاغ المبين) فلا يضرك فانما عليك البلاغ وقد بلغت وهذا من اقامة السبب مقام المسبب (يعرفون نعمة الله) اي يعرف المشركون نعمة الله التي عددها عليهم وغيرها حيث يعترفون بها وبانها من الله (ثم ينكرونها) بعبادتهم غير المنعم بها وقولهم انها بشفاعة آلهتنا او بسبب كذا او باعراضهم عن اداء حقوقها وقيل نعمة الله نبوة محمد صلى الله عليه وسلم عرفوها بالمعجزات ثم انكروها عنادا ومعنى ثم استبعاد الانكار بعد المعرفة (واكثرهم الكافرون) الجاحدون عنادا وذكر الاكثر اما لان بعضهم لم يعرف الحق لنقصان العقل او التفريط في النظر او لم تقم عليه الحجة لانه لم يبلغ حد التكليف واما لانه يقام مقام الكل كما في قوله بل اكثرهم لا يعلمون (ويوم نبعث من كل امة شهيدا) وهو نبيها يشهد لهم وعليهم بالايمان والكفر (ثم لا يؤذن للذين كفروا) في الاعتذار اذ لا عذر لهم وقيل في الرجوع الى الدنيا وثم لزيادة ما يحيق بهم من شدة المنع عن الاعتذار لما فيه من الاقناط الكلي على ما يمنون به من شهادة الانبياء عليهم السلام (ولا هم يستعتبون) ولا هم يسترضون من العتبى وهي الرضى والانتصاب

وجعل معطوفا على اخرجكم فيكون داخلا فيما اخبر به عن المبتدأ ويجوز ان يكون مستأنفا كما قال البغوي تم الكلام عند قوله لا تعلمون شيأ ثم ابتدأ فقال وجعل لكم السمع الآية لان الله تعالى جعل هذه الاشياء لهم قبل الخروج من بطون الامهات ﴿قوله والاسباب المؤاتية له﴾ اي الموافقة للطلب يقال آتيته على ذلك الامر مؤاتاة اذا وافقته وطاوعته والعامة تقول واتيته * قال الامام هذا دليل على كمال قدرته فانه لولا انه تعالى خلق الطير خلقة يمكنه معها الطيران وخلق الجو خلقة يمكنه معها الطيران فيه لما امكن ذلك فانه تعالى اعطى الطير جناحا تبسطه مرة وتكسره اخرى مثل ما يعمل السابح في الماء وخلق الهواء خلقة لطيفة رقيقة يسهل بسببها خرقه والنفاذ فيه ولولا ذلك لما كان الطيران ممكنا ﴿قوله وقرأ الحجازيان﴾ وهما نافع وابن كثير والبصريان وهما ابو عمرو ويعقوب يوم ظعنكم بفتح العين والباقون بسكونها وهما لغتان كالشعر والشعر والنهر والنهر * واعلم ان البيوت التي يسكن الانسان فيها على قسمين احدهما البيوت المتخذة من الخشب والطين والحجر والآلات التي بها يمكن تسقيف البيوت واليها الاشارة بقوله تعالى والله جعل لكم من بيوتكم سكنا اي ما تسكنون فيه والجعل بمعنى الخلق فيتعدى الى واحد وهو سكنا ومن بيوتكم متعلق بمحذوف على انه حال من سكنا قدم عليه لكونه نكرة ويجوز ان يكون بمعنى التصيير فيكون سكنا مفعوله الثاني والقسم الثاني من البيوت القباب والخيام والفساطيط واليه الاشارة بقوله تعالى وجعل لكم من جلود الخ اي بيوتا يمكن نقلها وتحويلها من مكان الى مكان والظعن في الاصل سير البادية لنجعة او حضور ماء والنجعة بالضم طلب الكلأ في موضعه وقد يطلق على طلب كل ما يتغذى به من الطعام او طلب مربع وقد يطلق الظاعن على كل خارج لسفر والسكن المسكن وانشد الفراء

* جاء الشتاء ولم اعدد له سكنا * ياويح نفسي من حفر القراميص *

والبيت ما يأوي الانسان اليه ليلا ليبيت فيه وجعل السكن بعضا من البيوت يدل على ان السكون المعتبر في السكن بمعنى الاقامة التي هي ضد السفر ويؤيده ان المصنف فسر السكن بقوله موضعا تسكنون فيه وقت اقامتكم فكان هذا قرينة على ان المراد بالسكن البيوت المتخذة من الحجر والمدر والخشب قال المفسرون الاثاث انواع متاع البيت من الفرش والالبسة من قولهم شعر اثيث اي كثير واث النبت يئث أثا اذا كثر والتف ولا واحد للاثاث وقيل واحدها اثاثة وعطف المتاع على الاثاث لما اقتضى المغايرة بينهما اشار المصنف الى الفرق بينهما بان حمل المتاع على ما يتجر به والاثاث على ما لا يقصد به التجارة بل يقصد به الخدمة من الاكتساء والتغطي والافتراش وقوله اثاثا الظاهر انه منصوب عطفا على بيوتا اي وجعل لكم من اصوافها اثاثا فيكون قد عطف المجرور على المجرور والمنصوب على المنصوب ﴿قوله والسربال يعم كل ما يلبس﴾ سواء كان لبسه للتوقي عن الحر والبرد او عن الشدة في الحرب ولا يختص بالاول بدليل انه تعالى جعل ما يقي عن شدة الطعن والضرب والرمي من قبيل السرابيل ﴿قوله وقرئ تسلمون﴾ بفتح التاء واللام مضارع سلم وهو مناسب لقوله تقيكم بأسكم فان المراد به الدروع الملبوسة في الحروب الا ان المصنف لم يرض بكونه مربوطا به واختار كونه مربوطا بقوله كذلك يتم نعمته عليكم كما انه مرتبط به على قراءة العامة ﴿قوله وهذا من اقامة السبب مقام المسبب﴾ يعني ان ما هو جواب للشرط حقيقة محذوف وهو فانت معذور ولما كان تبليغه عليه الصلاة والسلام سببا لكونه معذورا غير متضرر بقولهم اقيم هذا السبب مقام المسبب وجعل جوابا للشرط وقوله تعالى يعرفون نعمة الله استئناف لبيان حالهم في توليهم عن الايمان وذمهم بانهم يعرفون جميع ما انعم الله تعالى عليهم من النعم المذكورة في هذه السورة وغيرها ويعترفون بان جميعها من الله ثم ينكرونها بان يقولوا رزقنا الله اياها بشفاعة آلهتنا فلا يشكرونها والتولي عن الايمان بهذا الطريق لما كان يستلزم مجاهرة الكفار عنادا لجواز ان لا يعلم المتولي المذكور بطلان اعتقاد ان ما انعم الله عليه انما هو بشفاعة الآلهة قال واكثرهم الكافرون ترقيا في ذمهم بمعنى انهم مع كونهم يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها كافرون * فان قيل هم كلهم كافرون فما معنى قوله واكثرهم الكافرون * قلنا لانه لما حمل الكافر على الجاحد المعاند خرج من تولى جاهلا بصدق الرسول صلى الله عليه وسلم لكونه غير معاند ولانه كثيرا ما يراد الجميع بلفظ الاكثر كما في قوله تعالى الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون ثم انه تعالى لما ذكر الذين تولوا عن الايمان ووصفهم بما وصفهم اتبعه بالوعيد فذكر حال يوم القيامة فقال ويوم نبعث اي اذكر يوم نبعث ﴿قوله يمنون﴾ اي يبتلون * الجوهري منوته ومنيته اذا ابتليته ﴿قوله ولا هم يسترضون﴾ هو من الارضاء لا من الرضى اي لا يطلبون الارضاء على ان الاستعتاب طلب العتبى

وكذاقوله (واذارأى الذين ظلموا العذاب) عذاب جهنم (فلايخفف عنهم) اى العذاب (ولاهم ينظرون) يمهلون (واذارأى الذين اشركوا شركاءهم) اوثانهم التى دعوها شركاء او الشياطين الذين شاركوهم فى الكفر بالحمل عليه (قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك) نعبدهم او نطيعهم وهو اعتراف بانهم كانوا مخطئين فى ذلك او التماس بان يشطر عذابهم (فألقوا اليهم القول انكم لكاذبون) اى اجابوهم بالتكذيب فى انهم شركاء الله وانهم ماعبدوهم حقيقة وانما عبدوا اهواءهم كقوله تعالى كلاسيكفرون بعبادتهم ولايمتنع انطاق الله الاصنام به حينئذ او فى انهم حملوهم على الكفر والزموهم اياه كقوله وما كان لى عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لى (وألقوا) وألقى الذين ظلموا (الى الله يومئذ السلم) الاستسلام لحكمه بعد الاستكبار فى الدنيا (وضل عنهم) وضاع عنهم وبطل (ما كانوا يفترون) من ان آلهتهم ينصرونهم ويشفعون لهم حين كذبوهم وتبرأوا منهم (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله) بالمنع عن الاسلام والحمل على الكفر (زدناهم عذابا) لصدهم (فوق العذاب) المستحق بكفرهم (بما كانوا يفسدون) بكونهم مفسدين بصدهم (ويوم نبعث فى كل امة شهيدا عليهم من انفسهم) يعنى نبيهم فان نبى كل امة بعث منهم (وجئنابك) يا محمد (شهيدا على هؤلاء) على امتك (ونزلنا عليك الكتاب) استئناف او حال باضمار قد (تبيانا) بيانا بليغا (لكل شئ) من امور الدين على التفصيل او الاجمال بالاحالة الى السنة او القياس (وهدى ورحمة) للجميع وانما حرمان المحروم من تفريطه (وبشرى للمسلمين) خاصة

وهو اسم بمعنى الاعتاب الذى هو ازالة العتب فقوله تعالى ولاهم يستعتبون معناه لايطلب منهم الاعتاب اى ازالة عتاب ربهم وغضبه بان يتوبوا ويزجروا عماهم عليه من الكفر والمعاصى لان الآخرة ليست بدار تكليف وعمل وانما يطلب ذلك منهم فى الدنيا وفى الصحاح يقال اعتبنى فلان اذا عاد الى مسرتى راجعا عن الاساءة فظهر بما ذكرنا ان تفسير الاستعتاب بالاسترضاء وتفسير الاعتاب بالارضاء تفسير باللازم ﴿قوله وكذا قوله واذا رأى الذين ظلموا﴾ يعنى انه ايضا منصوب بمحذوف اى اذا رأوه وقعوا فيه ويحيق بهم مايحيق والفاء فى قوله تعالى فلا يخفف عنهم ليست فاء جواب اذا بل هى عاطفة لما بعدها على الجزاء المقدر لان جوابها متى كان مضارعا لايكون مصدرا بالفاء سواء كان موجبا كما فى قوله تعالى واذا تتلى عليهم آياتنا بينات تعرف فى وجوه او منفيا نحو اذا جاء زيد لايكرمك وانما يصدر بالفاء اذا كان جملة اسمية نحو اذا جاءنى زيد فانا اكرمه وتقدير المبتدأ فى الآية بان يجعل تقديرها فهو لايخفف خلاف الظاهر وقوله تعالى الذين ظلموا مظهر وقع موقع المضمر للاشعار بان العذاب لايخفف عنهم ويجب ان يكون دائما وهو المراد من قوله ولاهم ينظرون ﴿قوله اوثانهم التى دعوها شركاء﴾ يراها المشركون لان الله تعالى يبعثها الفائدتين الاولى ان يشاهدها المشركون فى غاية الذل والحقارة والثانية ان تكذب تلك الاصنام المشركين فى قولهم انها شركاء الله تعالى فى استحقاق العبادة ومن قال ان المراد بالشركاء الشياطين الذين دعوا الكفار الى الكفر انما ذهب الى هذا القول لانه تعالى حكى عن اولئك الشركاء انهم ألقوا الى الذين اشركوا انكم لكاذبون والاصنام جمادات فلايصح منهم هذا القول فوجب ان يكون المراد من الشركاء الشياطين حتى يصح منهم هذا القول ودليل هذا ضعيف لانه تعالى قادر على ان يخلق الحياة والعقل والنطق فى تلك الاصنام فحينئذ يصح منها هذا القول ﴿قوله وهو اعتراف﴾ جواب عما يقال ما الفائدة فى قول المشركين ربنا هؤلاء شركاؤنا مع ان فائدة الخبر ولازمه كلاهما معلومان لله تعالى * وتقرير الجواب الاول ان المشركين يقولون هذا الكلام تعجبا من حضور تلك الاصنام مع انه لاذنب لها واعترافا بانهم كانوا مخطئين فى عبادتها وتقرير الثانى ان المشركين انما قالوا ذلك احالة لهذا الذنب على تلك الاصنام وظنوا ان ذلك ينجيهم من عذاب الله او ينقص من عذابهم بأن يحمل شطر منه على الاصنام فعندهذا تكذبهم تلك الاصنام وهو قوله تعالى فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون فى قولكم فى حقنا انهم شركاء الله فى المعبودية او فى استحقاق العبادة او فى انهم حملوا المشركين على الكفر وقوله تعالى الذين كفروا مبتدأ وزدناهم خبره لما ذكر الله تعالى وعيد الذين كفروا اتبعه بوعيد من ضم الى الكفر صد الغير عن سبيل الله فان رؤساء الكفر وقادتهم وسادتهم ضلوا بانفسهم وأضلوا اتباعهم فلهم العذاب الاليم بكفرهم بانفسهم وزيادة العذاب باضلالهم غيرهم ثم انه تعالى ذكر نوعا آخر من التهديدات المانعة للمكلفين عن المعاصى فقال ويوم نبعث اى اذكر يا محمد يوم نبعث فى كل جماعة نبيا يشهد على من كذب وعصى لانه لما بعث فى كل امة رسولا وبلغهم الرسول رسالة الله فاى عذر بقى للمكلف فى ارتكاب المعصية قال تعالى وان من امة الا خلا فيها نذير وقوله تعالى وجئنابك شهيدا تخصيص بعد التعميم كقوله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح ﴿قوله بيانا بليغا﴾ اشارة الى ان التبيان اسم فى معنى البيان كالتلقاء فى معنى اللقاء كما نقل عن الزجاج الا انه روى ثعلب عن الكوفيين والمبرد عن البصريين انهم قالوا لم يأت من المصادر على تفعال الا حرفان تبيان وتلقاء فعلى هذا يجب ان تكون المصادر التى تكون على تفعال كلها مفتوحة التاء كالتسيار والتذكار والتكرار والتهذار والتلعاب وان يكون ماهو مكسور التاء غير التبيان والتلقاء اسماء نحو التمساح والتمثال وقوله بليغا اشارة الى ان صيغة تفعال سواء كانت مفتوحة التاء او مكسورتها اذا كانت مصدرا او اسما بمعنى المصدر تكون من ابنية المبالغة وتكرير الفعل فالتكرار والتذكار والتلعاب بمعنى كثرة الكر والذكر واللعب قال المفسرون القرآن تبيان لكل شئ يحتاج اليه من الامر والنهى والحلال والحرام والحدود والاحكام وقال نفاة القياس دلت هذه الآية على ان القرآن تبيان لكل شئ اى لكل شئ من العلوم الدينية لان غير ذلك ليس مما يجب الالتفات اليه وعلوم الدين اما اصول واما فروع فاما علم الاصول فهو بتمامه موجود فى القرآن واما علم الفروع فالاصل برآءة الذمة الا ما ورد على سبيل التفصيل فى هذا الكتاب وذلك يدل على انه لاتكليف من الله تعالى الا ما ورد فى هذا واذا كان كذلك كان القول بالقياس باطلا وكان القرآن وافيا ببيان كل الاحكام واما الفقهاء فانهم قالوا القرآن انما كان تبيانا لكل شئ لانه دل على ان الاجماع

حجة وكذا كل واحد من القياس وخبر الواحد فضلا عن السنة المتواترة واذا ثبت حكم من الاحكام باحد هذه الاصول كان ذلك الحكم ثابتا بالقرءآن روى عن على رضى الله عنه انه قال كل شئ علمه فى القرءآن الا ان الرجال تعجز عنه فبعضه مبين فيه بان نص عليه صريحا وبعضه مبين على وجه الاجمال بالاحالة على ما يوجب العلم من بيان النبى صلى الله عليه وسلم او اجماع المسلمين او القياس على ما نص عليه للاشتراك فى علة الحكم ثم انه تعالى لما استقصى فى شرح الوعد والوعيد والترغيب والترهيب اتبعه بقوله ان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية وهى اجمع آية لوجوه ارشاد المكلفين وهدايتهم الى ما فيه صلاح حالهم فى الدارين امر الله تعالى فى هذه الآية بثلاثة اشياء وهى العدل والاحسان وايتاء ذى القربى ونهى عن ثلاثة وهى الفحشاء والمنكر والبغى اما العدل فهو عبارة عن الامر المتوسط بين طرفى الافراط والتفريط ورعاية العدل واجبة فى جميع الاشياء لاسيما فيما يتعلق بالاعتقاد وفيما يتعلق بافعال الجوارح وفيما يتعلق بالاخلاق النفسانية واجل وجوه العدل اعتقادا الاعتقاد بوحدة الاله فان نفى الاله تعطيل محض واثبات اكثر من اله تشريك وتشبيه وهما مذمومان والعدل هو اثبات اله واحد واعتقاد انه لا اله الا الله وايضا الاعتقاد بان العبد ليس له قدرة ولا اختيار جبر محض والاعتقاد بانه مستقل بافعاله قدر محض وهما مذمومان والعدل ان يقال ان العبد يفعل الفعل بواسطة انه تعالى يخلق فيه قدرة كاسبة تدعوه الى الفعل والقدرة المؤثرة ليست الا لله تعالى والعدل فيما يتعلق باعمال الجوارح كالتعبد باداء الواجبات المتوسط بين البطالة والترهب فان قوما من اهل البطالة ونفاة التكاليف يقولون الاحتراز عن شئ من المعاصى ليس لله عليه تكليف اصلا وقال قوم من المانوية انه يجب على الانسان ان يجتنب عن كل اكل الطيبات وان يبالغ فى تعذيب نفسه وان يحترز عن كل ما يميل الطبع اليه حتى انهم يخصون انفسهم ويحترزون من التزوج وعن اكل الطعام الطيب وانهم يحرقون انفسهم ويرمون انفسهم من شاهق الجبل فهذان الطريقان مذمومان والعدل الوسط هو هذا الشرع الذى جاءنا به محمد صلى الله عليه وسلم ثم ان الزيادة على العدل فى باب العمل بحسب الكمية قد تكون احسانا الى نفسه اذا كانت على الوجه الذى استحسنه الشرع وندب اليه كالتطوع بعد اداء الواجبات وقد تكون اساءة على خلاف الوجه المشروع وكذا الزيادة بحسب الكيفية وبالجملة فالمبالغة فى اداء الطاعات بحسب الكمية وبحسب الكيفية هو الاحسان والاحسان بهذا المعنى يدخل فيه التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله ومن الظاهر ان الشفقة على خلق الله اقسام كثيرة اشرفها واجلها صلة الرحم فقوله وايتاء ذى القربى من قبيل التخصيص بعد التعميم ايذانا بشرف الخاص ومبالغة فى الحث عليه ﴿قوله عن الافراط فى متابعة القوة الشهوية﴾ البهيمية والغضبية السبعية والوهمية الشيطانية والعقلية الملكية والثلاث الاول هى المداخل التى يأتى الشيطان من قبلها بخلاف القوة الرابعة اعنى القوة العقلية الملكية فان الشيطان لا يغوى الانسان من قبلها اذ لا مناسبة بينها وبين الشرور الشيطانية فلا وجه لان يتوسل الشيطان بها الى اغواء بنى آدم بخلاف القوى الثلاث الاول فانها مبدأ الشرور والقبائح وداعية اليها فان الفحشاء اثر القوة الشهوية والمنكر اثر الغضب والبغى اثر القوة الوهمية فان القوة الشهوية انما ترغب فى تحصيل اللذات الشهوية والتى خرجت منها عن الحد المأذون فيه شرعا فهى المسماة بالفحشاء واما القوة الغضبية السبعية فهى ابدا تسعى فى ايصال الشر والبلاء والايذاء الى سائر الناس ولاشك ان الناس ينكرون تلك الحالة فالمنكر عبارة عن الافراط الحاصل من اثارة القوة الغضبية فقول المصنف والمنكر ما ينكر على متعاطيه من اثارة القوة الغضبية معناه ان المنكر من اثارة القوة الغضبية هو الحد الخارج عما يقبله الناس من اثارة الغضبية وتهيجها واما القوة الوهمية الشيطانية فهى ابدا تسعى فى الاستعلاء على الناس والترفع واظهار الرياسة والتقدم وذلك هو المراد من البغى فانه لا معنى للبغى الا التطاول على الناس والترفع عليهم فظهر بما ذكر ان هذه الالفاظ الثلاثة منطبقة على احوال هذه القوى الثلاث ﴿قوله وصارت سبب اسلام عثمان بن مظعون﴾ روى عن ابن عباس ان عثمان بن مظعون قال ما اسلمت اولا الا حياء من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يتقرر الاسلام فى قلبى فحضرته عليه الصلاة والسلام ذات يوم فبينما هو يحدثنى اذ رأيت بصره شخص الى السماء ثم خفضه عن يمينه ثم عاد لمثل ذلك فسألته فقال بينما انا احدثك اذ جبريل عليه الصلاة والسلام نزل عن يمينى فقال يا محمد ان الله يأمر بالعدل شهادة ان لا اله الا الله والاحسان القيام بالفرائض وايتاء ذى القربى

(ان الله يأمر بالعدل) بالتوسط فى الامور
اعتقادا كالتوحيد المتوسط بين التعطيل
والتشريك والقول بالكسب المتوسط بين محض
الجبر والقدر وعملا كالتعبد باداء الواجبات
المتوسط بين البطالة والترهب وخلقا كالجود
المتوسط بين البخل والتبذير (والاحسان)
احسان الطاعات وهو اما بحسب الكمية
كالتطوع بالنوافل او بحسب الكيفية كما قال
عليه الصلاة والسلام الاحسان ان تعبد الله
كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك (وايتا
ذى القربى) واعطاء الاقارب ما يحتاجون اليه
وهو تخصيص بعد تعميم للمبالغة (وينهى
عن الفحشاء) عن الافراط فى متابعة القوة
الشهوية كالزنى فانه اقبح احوال الانسان
واشنعها (والمنكر) ما ينكر على متعاطيه
من اثارة القوة الغضبية (والبغى) والاستعلا
والاستيلاء على الناس والتجبر عليهم فانه
الشيطنة التى هى مقتضى القوة الوهمية
ولا يوجد من الانسان شر الا وهو مندرج
فى هذه الاقسام صادر بتوسط احدى هذه
القوى الثلاث ولذلك قال ابن مسعود
رضى الله عنه هى اجمع آية فى القرءآن للخير
والشر وصارت سبب اسلام عثمان ابن مظعون
رضى الله تعالى عنه ولو لم يكن فى القرءآن غير
هذه الآية لصدق عليه انه تبيان لكل شئ
وهدى ورحمة للعالمين ولعل ايرادها عقيب
قوله ونزلنا عليك الكتاب للتنبيه عليه

اى صلة الرحم وينهى عن الفحشاء الزنى والمنكر مالايعرف فى شريعة ولا سنة والبغى الاستطالة قال عثمان فوقع الايمان فى قلبى واتيت ابا طالب فاخبرته فقال يامعشر قريش اتبعوا ابن اخى ولئن كان صادقا او كاذبا فانه مايأمركم الا بمكارم الاخلاق فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم من عمه اللين قال ياعماه اتأمر الناس ان يتبعونى وتدع نفسك فنزل انك لاتهدى من احببت ولكن الله يهدى من يشاء روى ان بنى امية كانوا يسبون اميرالمؤمنين علىّ بن ابى طالب فى الخطبة رضى الله عنه الى ان ولى عمر بن عبد العزيز الخلافة فترك ذلك وكتب الى العمال فى الآفاق بترك ذلك وكان سبب محبته عليا انه قال كنت بالمدينة اتعلم العلم وكنت الزم عبدالله بن عبد الله بن عيينة فبلغه شئ من ذلك فاتيته يوما وهو يصلى فاطال الصلاة فقعدت انتظر فراغه فلما فرغ التفت الىّ وقال متى علمت ان الله تعالى غضب على اهل بدر وبيعة الرضوان بعدان رضى الله عنهم قلت لم اسمع بذلك قال فما الذى بلغنى عنك فى علىّ قلت ماهو قال يابنى انك تمضى فى خطبتك فاذا اتيت الى ذكره عرف منك تقصيرا وخطبت كذلك قلت نم قال يابنى ان الذين حولنا لو يعلمون من علىّ مانعلم لما تفرقوا عنا فى اولاده فلما ولى الخلافة لم يكن عنده من الرغبة فى الدنيا مايرتكب بسببها هذا الامر العظيم فترك ذلك وكتب بتركه وقرأ عوضه ان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية فحل هذا الفعل عند الناس محلا عظيما واكثروا مدحه بذلك **قوله تعالى يعظكم** الظاهر انه مستأنف فى قوة التعليل للامر بما تقدم اى ان الوعظ سبب لما تقدم من الامر والنهى المذكورين ويبعد جعله حالا من فاعل ينهى اذلا وجه لتخصيص الحال بهذا الفاعل دون فاعل يأمر فان الوعظ يكون بكل واحد من الاوامر والنواهى ولا خصوصية له بالنهى ثم انه تعالى لما جمع جميع المأمورات والمنهيات فى هذه الآية على سبيل الاجمال ذكر بعدها بعض تلك الاقسام على سبيل التفصيل فبدأ بالوفاء بعهدالله فقال واوفوا بعهد الله وهو معطوف من حيث المعنى على قوله ان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية عطف الخاص على العام اهتماما بوفاء العهد والثبات عليه واستشهد المصنف بقوله تعالى ان الذين يبايعونك على ان عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهدالله واحد ولم يرد ان هذه الآية واردة فى تلك البيعة اعنى بيعة الرضوان لان هذه السورة مكية نزلت حين كان المسلمون مستضعفين فيما بين قريش وانما هذه البيعة هى البيعة الاولى وكل من دخل فى الاسلام فقد بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه البيعة **قوله وقيل كل امر يجب الوفاء به** اى العمل بمقتضاه فعهد الله تعالى يتناول الادلة العقلية والسمعية عند هذا القائل وان لم يكونا من العهود التى يلتزمها الانسان باختيار نفسه لانهما اوكد فى لزوم الوفاء بما يدلان على وجوبه بالنسبة الى اليمين وسائر العهود ولذلك لايصح فى هذين الدليلين التغير والاختلاف ويصح فى غيرهما ذلك وربما ندب فيه ترك الوفاء فان اليمين انما يجب الوفاء به اذا لم يكن الصلاح فى خلافه لقوله عليه الصلاة والسلام * من حلف على يمين ورأى غيرها خيرا منها فليأت بالذى هو خير ثم ليكفر عن يمينه * ولم يرض المصنف بهذا القول وقال لايلائمه قوله اذا عاهدتم لانه يدل على ان المراد بعهدالله مايلتزمه الانسان باختياره ومعنى الوفاء به الثبات عليه كانه قيل اثبتوا على ماعاهدتم الله عليه وبايعتم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تؤكد تلك البيعة بالايمان التى يحلفون بها على الثبات عليها والتوكيد مصدر وكد يوكد بالواو وفيه لغة اخرى اكد يؤكد بالهمزة ونظيره قولهم ورخت الكتاب وارخته قال الراغب وكدت القول والعهد واكدته بمعنى احكمته وكل واحدة منهما لغة اصلية وليست الهمزة بدلا من الواو لانهما متساويتان فى الاستعمال فليس ادعاء كون احداهما اصلا والاخرى منقولة منها اولى من عكسه وذهب المصنف الى ان الكلمة واوية وان الهمزة مبدلة من الواو على ماهو مذهب الزجاج وتوكيدها مصدر مضاف الى مفعوله وقوله وقد جعلتم حال امامن فاعل تنقضوا وامامن فاعل المصدر وان كان محذوفا وقوله تعالى ولاتنقضوا الايمان بعد توكيدها عام دخله التخصيص لما تقدم من قوله عليه الصلاة والسلام * من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليأت بالذى هو خير وليكفر عن يمينه * **قوله شاهدا بتلك البيعة** وبما يترتب عليها من الثبات عليها والعمل بمقتضاها ومن نقضها والعمل بما ينافيها فان من حلف بالله تعالى على امر فقد منع نفسه عن اتيان مايخالفه احترازا عن هتك حرمة اسمه تعالى وما يتفرع عليه من تهديد اليم عذابه فصار بذلك كانه جعل الله تعالى شاهدا عليه يراقب أنه هل يحنث فى يمينه او يحفظه ويترقبه والشاهد بهذا المعنى لما شابه الكفيل من حيث ان الكفيل مراع لحال المكفول به رقيب عليه عبر عن الشاهد بالكفيل فقوله كفيلا من قبيل التشبيه البليغ

(ثم انه)

(يعظكم) بالامر والنهى والميز بين الخير والشر (لعلكم تذكرون) تتعظون (واوفوا بعهدالله) يعنى البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام لقوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وقيل كل امر يجب الوفاء به ولا يلائمه قوله (اذا عاهدتم) وقيل النذر وقيل الايمان بالله (ولاتنقضوا الايمان) ايمان البيعة او مطلق الايمان (بعد توكيدها) بعد توثيقها بذكر الله تعالى ومنه أكد بقلب الواو همزة (وقد جعلتم الله عليكم كفيلا) شاهدا بتلك البيعة فان الكفيل مراع لحال المكفول به رقيب عليه (ان الله يعلم ماتفعلون) فى نقض الايمان والعهود (ولاتكونوا كالتى نقضت غزلها) ماغزلته مصدر بمعنى المفعول (من بعد قوة) متعلق بنقضت اى نقضت غزلها من بعد ابرام واحكام (انكاثا) طاقات نكث فتلها جمع نكث وانتصابه على الحال من غزلها او المفعول الثانى لنقضت فانه بمعنى صيرت

والمراد به تشبيه الناقض بمن هذا شأنه وقيل هى ريطة بنت سعد بن تيم القرشية فانها كانت خرقاء تفعل ذلك (تتخذون ايمانكم دخلا بينكم) حال من الضمير فى ولاتكونوا او فى الجار الواقع موقع الخبر اى ولاتكونوا متشبهين بامرأة هذا شأنها متخذى ايمانكم مفسدة ودخلا بينكم واصل الدخل مايدخل الشئ ولم يكن منه (ان تكون امة هى اربى من امة) بان تكون جماعة ازيد عددا واوفر مالا من جماعة والمعنى لاتغدروا بقوم لكثرتكم وقلتهم اولكثرة منابذتهم وقوتهم كقريش فانهم كانوا اذارأوا شوكة فى اعادى حلفائهم نقضوا عهدهم وحالفوا اعدآءهم (انما يبلوكم الله به) الضمير لان تكون امة لانه بمعنى المصدر اى يختبركم بكونكم اربى لينظر أتتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله وبيعة رسوله ام تغترون بكثرة قريش وشوكتهم وقلة المؤمنين وضعفهم وقيل الضمير للاربى وقيل للامر بالوفاء (وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون) اذا جازاكم على اعمالكم بالثواب والعقاب (ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة) متفقة على الاسلام (ولكن يضل من يشاء) بالخذلان (ويهدى من يشاء) بالتوفيق (ولتسألن عما كنتم تعملون) سؤال تبكيت ومجازاة (ولاتتخذوا ايمانكم دخلا بينكم) تصريح بالنهى عنه بعد التضمين تأكيدا ومبالغة فى قبح المنهى (فتزل قدم) اى عن محجة الاسلام (بعد ثبوتها) عليها والمراد اقدامهم وانما وحد ونكر للدلالة على ان زلل قدم واحدة عظيم فكيف باقدام كثيرة (وتذوقوا السوء) العذاب فى الدنيا (بما صددتم عن سبيل الله) بصدودكم عن الوفاء او صدكم غيركم عنه فان من نقض البيعة وارتد جعل ذلك سنة لغيره (ولكم عذاب عظيم) فى الآخرة (ولاتشتروا بعهد الله) ولاتستبدلوا عهد الله وبيعة رسوله (ثمنا قليلا) عرضا يسيرا وهو ما كانت قريش يعدون لضعاف المسلمين ويشترطون لهم على الارتداد (ان ما عند الله) من النصر والتغنيم فى الدنيا والثواب فى الآخرة (هو خير لكم) مما يعدونكم (ان كنتم تعلمون) ان كنتم من اهل العلم والتمييز (ما عندكم) من اعراض الدنيا (ينفد) ينقضى (وما عند الله) من خزآئن رحمته (باق) لاينفد وهو تعليل للحكم السابق ودليل على ان نعيم اهل الجنة باق (وليجزين الذين صبروا اجرهم) على الفاقة واذى الكفار اوعلى مشاق التكاليف وقرأ ابن كثير وعاصم بالنون (باحسن ما كانوا يعملون) بما ترجح فعله من اعمالهم كالواجبات والمندوبات او بجزآء احسن من اعمالهم

ثم انه تعالى مثل نقض العهد بنقض الغزل بعد ابرامه واحكامه تأكيدا لوجوب الوفاء وتحريم النقض فقال ولاتكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا والنكث بالكسر مصدر قولك نكثت الحبل اذا نقضت فتله والانكاث هنا جمع نكث بمعنى منكوث اى منقوض ﴿ **قوله** والمراد به تشبيه الناقض بمن هذا شأنه ﴾ كائنا من كان لاتشبيهه بشخص معين يفعل ذلك وهو امرأة اسمها ريطة وذلك لان المقصود من الامثال صرف المكلف عن الفعل اذا كان قبيحا والدعاء اليه اذا كان حسنا وذلك يتم بدون التعيين وان تحقق فى الخارج من اتصف به ﴿ **قوله** تعالى دخلا ﴾ مفعول ثان لتتخذون ويحتمل ان يكون مفعولا من اجله والدخل الفساد والدغل وهو الغش والخيانة وقيل هو ان تظهر الوفاء وتبطن الغدر والنقض وقيل الدخل الداخل فى الشئ وليس منه وقيل ما ادخل فى الشئ على فساد وقال الجوهرى دخلا بينكم اى مكرا وخديعة وهم دخل فى بنى فلان اذا انتسبوا اليهم وليسوا منهم هذه كلمات القوم فى بيان مفهوم لفظ الدخل والمصنف اختار منها كونه موضعا للنقض والابرام والافساد فيكون جعل ماعقد للافساد عين الفساد للمبالغة فى النهى والتقبيح وقوله تعالى ان تكون اى بسبب ان تكون متعلق بقوله تتخذون وقوله تكون يجوز ان تكون تامة وامة فاعلها وان تكون ناقصة وامة اسمها وقوله هى على التقديرين مبتدأ واربى خبره والجملة فى محل النصب على الحال على الوجه الاول وعلى انها خبر كان على الثانى وجعل الامام قوله تعالى تتخذون ايمانكم استفهاما على سبيل الانكار والمعنى أتتخذون ايمانكم دخلا بينكم بسبب ان تكون امة ازيد فى القوة والكثرة من امة اخرى ولم يلتفت المصنف اليه لان ارتكاب تقدير الهمزة مع صحة المعنى وانتظامه ليس باولى من غير ارتكاب التقدير بلا دليل ﴿ **قوله** تصريح للنهى عنه بعد التضمين ﴾ فان قوله تعالى ولاتكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا تتخذون ايمانكم مفسدة وموضع الدغل والمكر والخديعة يتضمن النهى عن اتخاذ الايمان دخلا من حيث ان موضعه النهى عن مشابهة تلك المرأة حال اتخاذ الايمان دخلا وقد تقرر ان النهى عن المقيد يرجع الى قيده فيكون المنهى عنه حقيقة هو القيد فيكون قوله ولاتتخذوا معطوفا على قوله ولاتكونوا مع قيده وقوله انما يبلوكم الله به وليبينن لكم تعليلا لقوله تعالى ولاتكونوا وقوله ولو شاء الله معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه تأكيدا لمعنى الابتلاء وانه تعالى ينصر قليل العدد والعدد بحكم الآلهية على ذى القوة والشوكة والمال كما انه بحكم الآلهية يضل من يشاء ويهدى من يشاء وقوله ولتسألن معطوفا على قوله يبلوكم وقوله تعالى فتزل منصوب باضمار ان فى جواب النهى ﴿ **قوله** بصدودكم ﴾ على ان ما مصدرية وان صددتم لازم من الصدود وهو الاعراض وقوله او صدكم غيركم على انه متعد من الصد وهو المنع ومفعوله محذوف ثم انه تعالى اكد هذا اليمين والتحذير فقال ولاتشتروا بعهد الله ثمنا اى لاتنقضوا عهودكم تطلبون بنقضها عرضا قليلا من الدنيا ولكن اوفوا بعهدها فان ما عند الله من الثواب هو خير لكم ثم ذكر دليلا قاطعا على ان ما عند الله خير فقال ما عندكم ينفد اى يذهب ويفنى ﴿ **قوله** بما ترجح فعله ﴾ اشارة الى جواب ما يقال من ان كلمة ما مصدرية واحسن افعل تفضيل فيكون المعنى لنجزينهم اجرهم بمقابلة احسن اعمالهم ويفهم منه ان لايجازى المرء بمقابلة اعماله الحسنة وهو خلاف مايدل عليه قوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره * وتقرير الجواب ان صيغة احسن ههنا ليست للتفضيل بل هى صيغة بمعنى الحسن الذى يترجح فعله على تركه من الواجبات والمندوبات فان المؤمن يثاب بكل واحدة منهما بخلاف المباحات التى لايترجح احد طرفيها على الآخر فان المؤمن لايثاب بها ولا بتركها سلمنا انها للتفضيل لكن لانسلم ان الموصوف باحسن هو العمل بل الموصوف به هو الجزآء المقدر واضافة احسن بمعنى من ثم انه تعالى لما بالغ فى النهى من نقض العهود والايمان وبيان مايترتب عليه من عذاب الدنيا والآخرة عقبه بالترغيب فى الصبر على مشاق التكاليف مع فقرهم وقلة عددهم وكثرة الكفرة وعلى بيعة الاسلام والوفاء بعهد الله الذى هو البيعة لرسول الله والكفرة اربى منهم عددا وشوكة ومالا او على مشاق التكاليف الشرعية مطلقا التى من جملتها الوفاء بالعهد ببيان انه تعالى يجازيه على اعماله الحسنة واجبة كانت او مندوبة او ببيان انه تعالى يجازيه بجزآء هو احسن من اعماله ثم ان كان المراد بالصبر الصبر على مشاق الاحتراز عن نقض ايمان البيعة يكون قوله تعالى من عمل صالحا الآية ترغيبا فى اتيان كل ما كان من شرآئع الاسلام بان وعد على اتباعه سعادة الدنيا والآخرة وان كان المراد به الصبر على مشاق

التكاليف بمعنى توطئة النفس على رعاية حق الربوبية وتحقيق مقتضى العبودية وقهر النفس الامّارة بالسوء بمخالفة مقتضياتها وحظوظها الطبيعية يكون قوله من عمل صالحا الآية ترغيبا في الاعمال الظاهرة البدنية بعد الترغيب في الاخلاق النفسانية والفضائل القلبية وتصريحا بان كون الاعمال الصالحة مؤدّية الى الحياة الطيبة وثواب الآخرة مشروط بالايمان * فان قيل كيف يكون مشروطا به مع ان قوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرّة خيرا يره يدل على ان العمل الصالح يفيد الاجر مطلقا * قلنا لانسلم ذلك فان رؤيته لاتستلزم كون العامل مثابا بعمله لجواز ان يكون فائدة عمله تخفيف العقاب فانه لايتوقف على الايمان واليه اشار المصنف بقوله وانما المتوقع عليها تخفيف العقاب ﴿ قوله بينه بالنوعين ﴾ جواب عما يقال من ان كلة من تفيد العموم فما الفائدة في ذكر الذكر والانثى * وتقرير الجواب ان لفظ من صح اطلاقه على النوعين ﴿ قوله وقيل في الآخرة ﴾ لعلّ وجه ضعفه انه تعالى عقبه بقوله ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون ولاشبهة في ان المراد به مايكون في الآخرة فينبغي ان يحمل الحياة الطيبة على مايكون في الدنيا وايضا لو حمل الحياة الطيبة على مايكون في الآخرة لزم ان لايعذب المؤمن الذى عمل عملا واحدا من الاعمال الصالحة بعذاب الآخرة اصلا لان من عذب بقدر ذنوبه كيف يصح ان يقال في حقه انه تعالى احياه حياة طيبة في الآخرة فان قوله من عمل صالحا يصدق على من اتى بعمل واحد مما يكفي في اجراء حكم الاسلام عليه وذلك لايستلزم ان لايعذب اصلا بل امره منوط بمشيئة الله تعالى ان شاء عذبه بقدر ذنوبه وان شاء عفا عنه فان مصيره على التقديرين الى الجنة بخلاف مالو حملت على مايكون في الدنيا فان من عمل عملا واحدا مما يصح ان يجرى عليه حكم الاسلام بسببه يكون حياته في الدنيا طيبة يسلم في نفسه وماله ويستقل في اموره وادنى مراتب طيب حياته في الدنيا ان يسلم في نفسه ثم انه يجزى في الآخرة بعمله ذلك قيل الحياة الطيبة في الدنيا عبادة الله تعالى مع اكل الحلال وقيل القناعة لانه لايطيب في الدنيا الاعيش القانع واما الحريص فانه يكون ابدا في الكدّ والعناء ولاشك ان عيش المؤمن في الدنيا اطيب من عيش الكافر لان المؤمن يعرف ان رزقه انما حصل بتدبير الله تعالى ويعرف انه محسن كريم لايفعل الا الصواب فيكون راضيا بكل ماقضاه وقدّره لعلمه بان مصلحته في ذلك والكافر لايعرف هذه الاصول فكان ابدا في الحزن والعناء وايضا المؤمن يعلم ان خيرات الدنيا واجبة التغير سريعة التقلب فلولا تغيرها وانقلابها لم تصل من غيره اليه فلا جرم لايعظم فرحه بوجدانها وغمه بفقدانها ثم انه تعالى لما ذكر انه يجازى على الاعمال الصالحة اتبعه بالارشاد الى طريق تخلص به الاعمال عن وساوس الشيطان وهو الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم والقائه الوساوس في كل قلب خص قرآءة القرآن بالذكر من بين الاعمال الصالحة لانها داعية الى كل عمل صالح من الاعمال القلبية والقالبية فكانت بذلك رأس الاعمال الصالحة ولما كانت الفاء في قوله فاستعذ بالله للتعقيب دل ظاهر الآية على ان تكون الاستعاذة بعد قرآءة القرآن كما ذهب اليه جماعة من الصحابة والتابعين وقالوا انه لولم يأت بالاستعاذة بعد القرآءة لربما يوسوس اليه الشيطان انك قد اتيت من العمل الصالح مايمحو الله تعالى به ذنوب كذا وكذا سنة فيعتمد على عمله فيضيع ثواب قرآءته واما اذا استعاذ بعد القرآءة فحينئذ تندفع الوساوس ويبقى الثواب الموعود مصونا عن الخلل الا ان الاكثر من علماء الصحابة والتابعين قد اتفقوا على ان الاستعاذة متقدمة على القرآءة وقالوا معنى الآية اذا اردت ان تقرأ القرآن فاستعذ بالله وليس معناه استعذ بعد القرآءة ونظيره قوله تعالى اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وقولك اذا اكلت فقل بسم الله واذا سافرت فتأهب وقد روى ائمة القرآءة مسندا عن نافع عن جبير بن مطعم انه عليه الصلاة والسلام كان يقول قبل القرآءة اعوذ بالله من الشيطان الرجيم وعن معقل بن يسار انه عليه الصلاة والسلام قال * من قال حين يصبح ثلاث مرات اعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم وقرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر وكل الله به سبعين الف ملك يصلون عليه حتى يمسى * وفي شرح الشاطبية اجمع القرآء وجمهور الفقهاء على ان الاستعاذة حال الشروع في القرآن ودل الحديث على ان التقديم هو السنة وفي سببية القرآءة لها والفاء في فاستعذ لمادلت على السببية قدرت الارادة ليصح معنى السببية ﴿ قوله اقرأنيه جبريل عن القلم عن اللوح المحفوظ ﴾ هكذا رواه القرآء في كتب القرآءة وينبغي ان لايكون المراد بالقلم القلم الاعلى لانه متقدم في الرتبة على اللوح بالنص وانما يراد به القلم الذى نسخ به من اللوح ونزل به جبريل عليه الصلاة والسلام الى سماء الدنيا ﴿ قوله

(من عمل صالحا من ذكر او انثى) بينه بالنوعين دفعا للتخصيص (وهو مؤمن) اذ لا اعتداد باعمال الكفرة في استحقاق الثواب وانما المتوقع عليها تخفيف العقاب (فلنحيينه حياة طيبة) في الدنيا يعيش عيشا طيبا فانه ان كان موسرا فظاهر وان كان معسرا كان يطيب عيشه بالقناعة والرضى بالقسمة وتوقع الاجر العظيم في الآخرة بخلاف الكافر فانه ان كان معسرا فظاهر وان كان موسرا لم يدع الحرص وخوف الفوات ان يتهنأ بعيشه وقيل في الآخرة (ولنجزينهم اجرهم باحسن ماكانوا يعملون) من الطاعة (فاذا قرأت القرآن) اذا اردت قرآءته كقوله تعالى اذا قمتم الى الصلاة (فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) فاسأل الله ان يعيذك من وساوسه لئلا يوسوسك في القرآءة والجمهور على انه للاستحباب وفيه دليل على ان المصلي يستعيذ في كل ركعة لان الحكم المترتب على شرط يتكرر بتكرره قياسا وتعقيبه لذكر العمل الصالح والوعد عليه ايذان بان الاستعاذة عند القرآءة من هذا القبيل وعن ابن مسعود قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت اعوذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم فقال قل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا اقرأنيه جبريل عن القلم عن اللوح المحفوظ (انه ليس له سلطان) تسلط وولاية (على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) على اولياء الله تعالى المؤمنين والمتوكلين عليه فانهم لايطيعون اوامره ولايقبلون وساوسه الافيما يحتقرون على ندور وغفلة ولذلك امروا بالاستعاذة فذكر السلطنة بعد الامر بالاستعاذة لئلا يتوهم منه ان له سلطانا

لئلا يتوهم منه ان له سلطانا» فان قارئ القرآن لما امر بان يسأل الله تعالى ان يعيذه من وسواسه توهم منه ان له تسلطا وولاية على اغواء بنى آدم كلهم فنفى الله تعالى انه لاتسلط له على المؤمنين بالله والمتوكلين عليه بعصمة الله تعالى اياهم من طاعته وقبول وسوسته فقوله تعالى انه ليس له سلطان الآية فى معرض التعليل للامر بالاستعاذة واشارة الى ان الاستعاذة المأمور بها ليست عبارة عن مجرد القول الفارغ من الالتجاء الى عصمة الله تعالى وتفويض الامر اليه معتقدا بانه لاحول عن معصية الله تعالى الا بعصمته ولا قوة على طاعته الا بتوفيقه وهذا الالتجاء والاعتقاد انما يكون بالايمان به اولا والتوكل عليه ثانيا فمن جمع بين الامرين لايكون للشيطان عليه سبيل البتة «قوله يحبونه ويطيعونه» يقال توليته اذا واليته واطعته ومنه قوله تعالى ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا ويقال ايضا توليت عنه بمعنى اعرضت عنه يتعدى بنفسه اذا كان بمعنى الاطاعة والموالاة وبكلمة عن اذا كان بمعنى الاعراض «قوله بالله او بسبب الشيطان» يعنى ان ضميربه يحتمل ان يرجع الى ربهم ويكون الباء صلة مشركون محذوفا اى هم مشركون بالله من اجل الشيطان او بسبب حمله اياهم على الشرك والعصيان «قوله لفظا او حكما» يعنى ان تبديل الآية مكان الآية قد يكون بان ينسخ تلاوة آية وينزل آية اخرى تتلى بدلها وقد يكون بان ينسخ حكم آية من غير ان ينسخ تلاوة لفظها ويشرع مكانه حكم آخر والتبديل رفع الشئ مع وضع غيره مكانه والمراد به ههنا النسخ * واعلم انه تعالى شرع ههنا فى حكاية شبهات منكرى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم روى عن ابن عباس رضى الله عنه انه قال كان المشركون اذا نزلت آية فيها شدة ثم نزلت آية اخرى تنسخها الى اخف منها يقولون ان محمدا يسخر باصحابه يأمرهم اليوم بأمر وينهاهم عنه غدا انما هو مفتر يتقوله من تلقاء نفسه فانزل الله تعالى هذه الآية والظاهر ان قوله تعالى والله اعلم بما ينزل اعتراض بين الشرط وجوابه جيئ به توبيخا للكفار على قولهم انما انت مفتر اى اذا كان هو اعلم بما ينزل من المصالح فالهم ينسبون محمدا الى الافتراء بناء على تبديله آية مكان آية ونسخ بعضها ببعض مع ان ذلك مقتضى الحكمة البالغة والمصلحة اللائقة بكل وقت وزمان ويحتمل ان تكون جملة حالية من فاعل بدلنا اى بدلناها عالمين بما فى التبديل من الحكمة والمصلحة وانما عدل عن التكلم الى الغيبة للاشارة الى علة العلم والمشركون نسبوه عليه الصلاة والسلام الى الافتراء بانواع من المبالغات وهى تصدير الجملة باداة الحصر على طريق قصر الموصوف على الصفة والخطاب والجملة الاسمية الدالة على الثبوت والاستقرار وحذف مفعول لايعلمون للعلم به اى لايعلمون حكمة الاحكام وما فى تبديلها من المصالح والحكم «قوله كقولهم حاتم الجود» بمعنى حاتم جواد او صاحب جود وكذا روح القدس بمعنى روح مقدس او صاحب قدس اضيف الموصوف الى صفته للاشعار باختصاصه بها وانه ليس شأنه سوى الاتصاف بها «قوله وفى ينزل ونزله تنبيه على ان انزاله مدرجا على حسب المصالح بما يقتضى التبديل» يعنى ان بناء فعل هنا للعمل المتكرر فى مهلة اى لوجود اصله شيأ فشيأ كدرجته الى كذا اذا بلغته اليه درجة درجة فتنزيل القرآن توزيع نزوله الى الاوقات بانزاله مدرجا على حسب المصالح وذلك يقتضى ان ينسخ حكم آية ويبدل مكانه اخر وذلك لان المصالح تختلف باختلاف الاوقات فلا جرم يكون انزاله متدرجا على حسب اختلاف المصالح مستلزما للنسخ والتبديل ومقتضيا اياه لما بنى المشركون قولهم انما انت مفتر على اشتمال القرآن على النسخ والتبديل كان قوله قل نزله روح القدس واردا لبيان فساد سندهم لان ايثار اللفظ الدال على تدرج النزول للتنبيه على حقية النسخ والتبديل اشارة الى مايقتضيهما والمعنى ان جبريل نزل بالقرآن من كلام ربك ملتبسا بالحق اى الامر الصحيح الثابت ليثبت الذين آمنوا بما فيه من الحجج والآيات فيزدادوا تصديقا ويقينا وقرئ ليثبت مخففا من اثبت «قوله وفيه تعريض الخ» اى وفى اثبات التثبيت والهدى والبشارة للمؤمنين تعريض بحصول اضدادها للمشركين وذلك لان قوله قل نزله روح القدس الآية جواب عن قول المشركين انما انت مفتر فانهم ارادوا بقولهم انما انت مفتر ان هذا ليس من كلام الله تعالى لان الله تعالى لايسخر من احد بان يأمره اليوم بشئ وينهاه غدا عنه بل هو من تلقاء نفسك واجيبوا بان هذا من الله تعالى وزيد فى التصور بان قيل نزله روح القدس ثم زيد قوله بالحق دفعا لطعنهم بالطف الوجوه اى تنزيلا ملتبسا بالحق والحكمة ومصالح الخلق ثم شنع على قبح افعالهم بان قيل ليثبت الذين آمنوا الخ تعريضا بان اضداد هذه الخصال حاصلة فيهم وانهم متزلزلون ضالون موبخون

(انما سلطانه على الذين يتولونه) يحبونه ويطيعونه (والذين هم به) بالله او بسبب الشيطان (مشركون واذا بدلنا آية مكان آية) بالنسخ فجعلنا الآية الناسخة مكان المنسوخة لفظا او حكما (والله اعلم بما ينزل) من المصالح فلعل مايكون مصلحة فى وقت يصير مفسدة بعده فينسخه ومالايكون مصلحة حينئذ يكون مصلحة الآن فيثبته مكانه وقرأ ابن كثير وابو عمرو ينزل بالتخفيف (قالوا) اى الكفرة (انما انت مفتر) متقول على الله تأمر بشئ ثم يبدو لك فتنهى عنه وهو جواب اذا والله اعلم بما ينزل اعتراض لتوبيخ الكفار على قولهم والتنبيه على فساد سندهم ويجوز ان يكون حالا (بل اكثرهم لايعلمون) حكمة الاحكام ولايميزون الخطأ من الصواب (قل نزله روح القدس) يعنى جبريل عليه السلام واضافة الروح الى القدس وهو الطهر كقولهم حاتم الجود وقرأ ابن كثير روح القدس بالتخفيف وفى ينزل ونزله تنبيه على ان انزاله مدرجا على حسب المصالح بما يقتضى التبديل (من ربك بالحق) ملتبسا بالحكمة (ليثبت الذين آمنوا) على الايمان بانه كلامه وانهم اذا سمعوا الناسخ وتدبروا ما فيه من رعاية الصلاح والحكمة رسخت عقائدهم واطمأنت قلوبهم (وهدى وبشرى للمسلمين) المنقادين لحكمه وهما معطوفان على محل ليثبت اى تثبيتا وهداية وبشارة وفيه تعريض بحصول اضداد ذلك لغيرهم وقرئ ليثبت بالتخفيف (ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر) يعنون جبرا الرومى غلام عامر بن الحضرمى وقيل جبرا ويسارا كانا يصنعان السيوف بمكة ويقرآن التوراة والانجيل وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يمر عليهما ويسمع مايقرآنه وقيل عائشا غلام حويطب بن عبد العزى قد اسلم وكان صاحب كتب وقيل سلمان الفارسى (لسان الذى يلحدون اليه اعجمى) لغة الرجل الذى يميلون قولهم عن الاستقامة اليه مأخوذ من لحد القبر وقرأ حمزة والكسائى يلحدون بفتح الياء والحاء لسان اعجمى غير بين

منذرون بالخزى والنكال واللعن فى الدنيا والآخرة ليزيد فى غيظهم وضيقتهم وما احسن هذا البيان ثم انه تعالى حكى شبهة اخرى عن طاعنى نبوته عليه الصلاة والسلام بانه يتعلم هذه الكلمات من غيره ثم يظهرها من نفسه ويزعم انه انما عرفها بالوحى وهو كاذب فيه ثم انه تعالى اجاب عنه بان قال لسان الذى يلحدون اليه اعجمى الآية واللسان وان كان اسما لجارحة المتكلم الا ان العرب يطلقونه على اللغة والالحاد فى اللغة الميل يقال لحد اليه وألحد اذا مال عن القصد ومنه يقال للعادل عن الحق ملحد وقرأ حمزة والكسائى يلحدون بفتح الياء والحاء اى يميلون وقرأ الباقون بضم الياء وكسر الحاء والالحاد قد يكون بمعنى الامالة * قال صاحب الكشاف يقال ألحد القبر ولحده فهو ملحد وملحود اذا امال حفره عن الاستوآء والاستقامة فحفر فى شق منه ثم استعير لكل امالة عن الاستقامة فقيل ألحد فلان فى قوله وألحد فى فعله ودينه ومنه الملحد لانه امال مذهبه عن الاديان كلها فعلى هذا يكون كل واحد من ألحد ولحد متعديا وفسر هذه الآية بالقولين قال الفرآء يميلون اليه القرآن اويميلون قولهم عن الاستقامة اليه وكون اللغة عبارة اعجمية عبارة عن كونها مبهمة لايتضح المراد منها والاعجم الذى لا يفصح مراده ولا يبين كلامه وان كان عربيا واشار المصنف اليه بقوله لغة الرجل الذى ذكروه لسان اعجمى غير بين ﴿ **قوله** ماتلقفه ﴾ اى اخذه وتناوله بسرعة يقال لقفت الشئ القفه لقفا وتلقفته اذا تناولته بسرعة بين المصنف بطلان مازعمه المشركون من انه عليه الصلاة والسلام تعلم القرآن من بشر ثم ادّعى انه اوحى اليه بواسطة الملك بوجهين الاوّل ان القرآن المبين كيف يكون مأخوذا ممن لسانه اعجمى غير بين ومن المعلوم ان المعانى المبينة الواضحة لاتؤخذ ممن لاتعرف لغته ولسانه والثانى انا سلمنا انه اخذ تلك المعانى باستماع الكلام الاعجمى الذى لايفهمه هو ولا انتم لكن لانسلم انه اخذ منه لفظ القرآن ايضا لان لفظه لكونه فى اعلى درجات الفصاحة والبلاغة يمتنع ان يكون كلام البشر ثم اشار الى بطلان ذلك بوجوه اخر الاوّل ان تعلم مافى القرآن من العلوم الكثيرة والمعانى الدقيقة لايتأتى ان يحصل فى بعض اوقات مرور المتعلم على المعلم بل يحتاج الى ملازمته مدّة متطاولة ولوكان الامر كذلك لاشتهر فيما بين الخلق انه عليه الصلاة والسلام تعلم من فلان وفلان ولم يتفوه بذلك احد سواهم والثانى ان تعلم تلك العلوم الكثيرة المتعلقة باحوال جميع المكلفين فى السنين لايتصوّر الامن معلم بلغ فى غاية الفضل والتحقيق الى حيث يكون مشارا اليه بالبنان ويخضع له اهل الدنيا باجمعهم فكيف يذهب الوهم الى تعلمها من غلام سوقى يدعى بعبد فلان باستماع كلمات اعجمية تعلمها لم يعرف معناها ﴿ **قوله** واولئك اشارة الى الذين كفروا ﴾ لانهم المذكورون بقوله الذين لايؤمنون او الى قريش لان سياق الكلام فيهم لانهم هم الذين قالوا انما انت مفتر وقالوا انما يعلمه بشر والمشار اليه على الاوّل وان كان متناولا لقريش وغيرهم الا انهم يدخلون فيه دخولا اوّليا * ولما ورد ان يقال انه تعالى اثبت افترآء الكذب للذين لايؤمنون حيث قال انما يفترى الكذب الذين لايؤمنون فما فائدة قوله بعد ذلك واولئك هم الكاذبون أليس هو مستدركا خاليا عن الفائدة * نبه بهذا الكلام على وجه يندفع به الاستدراك ووجه اندفاعه على تقدير ان تكون الاشارة الى قريش ظاهر لانهم لما نسبوا الكذب والافترآء اليه عليه الصلاة والسلام بقولهم انما انت مفتر قلب الله تعالى ذلك الامر عليهم وجعل قوله انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون مقدّمة كلية يتفرّع عليها المقصود كانه قيل انهم لايؤمنون بآيات الله وكل من لايؤمن بها فهم الذين يفترون الكذب فقريش هم المفترون الكاذبون لاانت فلا استدراك ووجه اندفاعه على تقدير ان تكون الاشارة الى قوله ان الذين لايؤمنون بآيات الله لايهديهم الله لعنادهم ومكابرتهم انهم كانوا يعاندون بآيات الله ويكابرونها ويكذبون مع علمهم انها آيات الله لان مضمون الجملة الاولى عاما ويحتمل ان يكون فى قوم علم الله انهم لا يؤمنون بآيات الله ويموتون عليه فمن علم الله منه ذلك لا يهديه اذ افترآء الكذب لا يصدر الا من الذين لا يؤمنون بآيات الله ولا يصدر عمن آمن بها لان خوف العقاب اذا يردعه عنه ومضمون الثانية خص الجماعة الذين يعرفهم المخاطب بانهم الكاذبون من الذين كفروا بآيات الله على ان يكون تعريف الكاذبين للعهد الخارجى واشار المصنف اليه بقوله هم الكاذبون على الحقيقة وان كان التعريف الذى فيه تعريف الجنس والحقيقة بان يكون الكاذبون اشارة الى مايعرفه كل احد من حقيقة الكاذبين وخصوصياتهم يكون مضمون الثانية خص تلك الحقيقة بهم مبالغة كما فى قولك عمرو الشجاع اى الكامل فى الشجاعة تبرز الكلام فى صورة توهم ان الشجاعة منحصرة فيه لا تتجاوز الى غيره لعدم الاعتداد بشجاعة غيره

(وهذا) القرآن (لسان عربى مبين) ذو بيان وفصاحة والجملتان مستأنفتان لابطال طعنهم وتقريره يحتمل وجهين احدهما ان مايسمعه منه كلام اعجمى لايفهمه هو ولا انتم والقرآن عربى تفهمونه بادنى تأمل فكيف يكون ماتلقفه منه وثانيهما هب انه يفهم منه المعنى باستماع كلامه ولكن لم يتلقف منه اللفظ لان ذاك اعجمى وهذا عربى والقرآن كما هو معجز باعتبار المعنى فهو معجز من حيث اللفظ مع ان العلوم الكثيرة التى فى القرآن لايمكن تعلمها الا بملازمة معلم فائق فى تلك العلوم مدّة متطاولة فكيف يعلم جميع ذلك من غلام سوقى سمع منه بعض اوقات مروره عليه كلمات اعجمية تعلمها لم يعرف معناها وطعنهم فى القرآن بامثال هذه الكلمات الركيكة دليل على غاية عجزهم (ان الذين لايؤمنون بآيات الله) لايصدقون انها من عند الله (لايهديهم الله) الى الحق او الى سبيل النجاة وقيل الى الجنة (ولهم عذاب اليم) فى الآخرة هددهم على كفرهم بالقرآن بعدما اماط شبهتهم وردّ طعنهم فيه ثم قلب الامر عليهم فقال (انما يفترى الكذب الذين لايؤمنون بآيات الله) لانهم لايخافون عقابا يردعهم عنه (واولئك) اشارة الى الذين كفروا او الى قريش (هم الكاذبون) اى الكاذبون على الحقيقة او الكاملون فى الكذب لان تكذيب آيات الله والطعن فيها بهذه الخرافات اعظم الكذب او الذين عادتهم الكذب لايصرفهم عنه دين ولا مروءة او الكاذبون فى قولهم انما انت مفتر انما يعلمه بشر

لقصورها عن رتبة الكمال فكذا الحال فى قوله تعالى واولئك هم الكاذبون واليه اشار بقوله او الكاملون فى الكذب وعلى التقديرين تفيد الجملة الثانية غير ماتفيده الاولى فلا استدراك وكذا ان اريد بالثانية اولئك الذين عادتهم الكذب واستمروا عليه بناء على انه عبر عن المسند فى الجملة الاولى بلفظ الفعل الدال على الحدوث وعدم الدوام وفى الثانية عدل الى الجملة الدالة على الاستمرار والوجه الرابع لاندفاع الاستدراك ان ماثبت للذين كفروا فى الجملة الاولى هو مطلق الكذب وماثبت لهم فى الثانية هو الكذب المخصوص الواقع فى قولهم انما انت مفتر وانما يعلمه بشر وفى الآية دليل على ان الكذب من اكبر الكبائر وافحش الفواحش لان كلمة انما للحصر فدلت على ان الكذب والفرية لايقدم عليه الا من كان كافرا بآيات الله وهذا تهديد عظيم روى الامام محيي الدين والسنة فى تفسيره ان عبدالله بن جراد قال قلت يارسول الله المؤمن يزنى قال * قد يكون ذلك * قلت المؤمن يسرق قال * قد يكون ذلك قلت المؤمن يكذب قال * لا قال الله تعالى انما يفترى الكذب الذين لايؤمنون بآيات الله ﴿قوله بدل من الذين لايؤمنون﴾ فان قلت كيف يكون بدلا منه مع ان قوله تعالى انما يفترى الكذب رد لقول قريش انما انت مفتر وهم ماكفروا بعد الايمان * اجيب عنه بان قوله تعالى من بعد ايمانه المراد منه من بعد تمكنه من الايمان كقوله تعالى اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى اذ لاهدى لهم بل تمكنهم من الهدى والاعراض عن الايمان بعد التمكن منه على سبيل العناد والتمرد ابلغ فى ابطال مقالتهم كانه قيل انما يفترى الكذب من كفر بالله عنادا بعد تمكنه من الايمان الصحيح المستند الى الدليل القاطع والبرهان الساطع واستثنى منه المكره فلم يدخل تحت من افترى الكذب ﴿قوله او مبتدأ خبره محذوف﴾ تقديره فعليه غضب حذف لدلالة مابعد من الثانية عليه وكذا ان كانت من شرطية حذف جوابها اعتمادا على دلالة مابعد من فان جواب من شرح يدل عليه تقديره فعليهم غضب الامن اكره لكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب اى فتح صدره ووسعه لقبول الكفر وطابت به نفسه واصل الشرح بسط اللحم ونحوه يقال شرحت اللحم وشرحت الكلام المشكل اى بسطته واظهرت معانيه ومنه شرح الصدر وصدرا منصوب على التمييز والاصل شرح صدره فاسند الفعل الى المضاف اليه وانتصب صدرا على التمييز وقال الامام انتصب صدرا على انه مفعول للشرح والتقدير ولكن من شرح بالكفر صدره وحذف الضمير لانه لايشكل بصدر غيره اذ البشر لايقدر على شرح صدر غيره فهو نكرة ويراد به المعرفة ﴿قوله استثناء متصل﴾ لان من اكره على كلمة الكفر داخل فى جنس من كفر لان الكفر لغة يعم القول والعقد ﴿قوله تعالى وقلبه مطمئن بالايمان﴾ جملة حالية اى الامن اكره فى هذه الحالة ووجه الاستدراك فى قوله ولكن من شرح بالكفر دفع توهم ان من اكره من غير اعتقاد له او مع اعتقاد والعياذ بالله مستثنى من استحقاق الغضب والعذاب العظيم وقوله وقلبه مطمئن لاينفى ذلك الوهم فاحتيج الى الاستدراك لدفع ذلك الوهم روى عن مجاهد انه قال اول من اظهر الاسلام سبعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابوبكر وحباب وصهيب وبلال وعمار وسمية رضوان الله عليهم اجمعين اما الرسول فمنعه ابوطالب واما ابوبكر فمنعه قومه واخذوا الآخرين والبسوهم ادرع الحديد ثم اجلسوهم فى الشمس فبلغ منهم الجهد بحر الحديد والشمس واتاهم ابوجهل يشتمهم ويوبخهم وشتم سمية ثم طعن بالحربة فى فرجها وقال الآخرون ماقالوا لهم غير بلال فانهم جعلوا يعذبونه ويقول احد احد حتى ملوه فتركوه قال عمار كنا نتكلم بالذى ارادوا غير بلال هانت عليه نفسه فتركوه وقال حباب لقد اوقدوا لى نارا مااطفاها الا ودك ظهرى قال الامام قوله تعالى فعليهم غضب معناه انه تعالى حكم عليهم بالعذاب ثم وصف ذلك العذاب فقال ولهم عذاب عظيم اذ لا اعظم من جرمه لان الغضب لكونه من الكيفيات النفسانية المستحيلة فى حقه تعالى يراد غايته وهى العذاب فيكون فائدة قوله ولهم عذاب عظيم توصيف ذلك بالعظم ﴿قوله اى الكافرين فى علمه﴾ فالمعنى انه تعالى لايهدى الى مايوجب ثبات الايمان ولايعصم من الزيغ والميل عن الحق من علم الله انه يختار الكفر وان يموت عليه واذا كان كل واحد من ايثار الامور الدنيوية وعدم هدايتهم الى مايوجب الثبات على الحق سببا للكفر بعد تبين الحق وقبوله يكون سببا لما يترتب عليه من العذاب العظيم ثم انه تعالى بين طريق عدم هدايتهم الى مايوجب الثبات على الحق بقوله اولئك الذين طبع الله على قلوبهم اى خلق فى قلوبهم ومشاعرهم لاطبع عليها حقيقة فان القلوب والمشاعر لاتقبل حقيقة الطبع ثم وصفهم بكمال الغفلة حيث حصر حقيقة الغفلة فيهم بحيث لا تجاوزهم الى غيرهم وذلك اما لكونهم كاملين فى الغفلة

(من كفر بالله من بعد ايمانه) بدل من الذين لايؤمنون وما بينهما اعتراض اومن اولئك اومن الكاذبون اومبتدأ خبره محذوف دل عليه قوله فعليهم غضب ويجوز ان ينتصب بالذم وان تكون من شرطية محذوفة الجواب (الامن اكره) على الافتراء او كلمة الكفر استثناء متصل لان الكفر لغة يعم القول والعقد كالايمان (وقلبه مطمئن بالايمان) لم تتغير عقيدته وفيه دليل على ان الايمان هو التصديق بالقلب (ولكن من شرح بالكفر صدرا) اعتقده وطاب به نفسا (فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم) اذ لا اعظم من جرمه روى ان قريشا اكرهوا عمارا وابويه ياسرا وسمية على الارتداد فربطوا سمية بين بعيرين ووجئ بحربة فى قبلها وقالوا انك اسلمت من اجل الرجال فقتلت وقتلوا ياسرا وهما اول قتيلين فى الاسلام واعطاهم عمار بلسانه ماارادوا مكرها فقيل يارسول الله ان عمارا كفر فقال كلا ان عمارا ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فاتى عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكى فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه فقال مالك ان عادوا لك فعدلهم بما قلت وهو دليل على جواز التكلم بالكفر عند الاكراه وان كان الافضل ان يتجنب عنه اعزازا للدين كما فعله ابواه لماروى ان مسيلمة اخذ رجلين فقال لاحدهما ماتقول فى محمد قال رسول الله قال فماذا تقول فى فقال انت ايضا فخلاه وقال للآخر ماتقول فى محمد قال رسول الله قال فماتقول فى قال انا اصم فاعاد عليه ثلاثا فاعاد جوابه فقتله فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اما الاول فقد اخذ برخصة الله واما الثانى فقد صدع بالحق فهنيئا له (ذلك) اشارة الى الكفر بعد الايمان او الوعيد (بانهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة) بسبب انهم آثروها عليها (وان الله لايهدى القوم الكافرين) اى الكافرين فى علمه الى مايوجب ثبات الايمان ولايعصمهم من الزيغ (اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم) فابت عن ادراك الحق والتأمل فيه (واولئك هم الغافلون) الكاملون فى الغفلة عما يراد بهم اذ اغفلتهم الحالة الراهنة عن تدبر العواقب (لاجرم انهم فى الآخرة هم الخاسرون) اذ ضيعوا اعمارهم وصرفوها فيما افضى بهم الى العذاب المخلد

بحيث لاتعد غفلة غيرهم فى جنب غفلتهم فان من اتصف بما ذكر من الاستحقاق لغضب الله تعالى وعذابه العظيم واثار الحياة الدنيا على الحياة الآخرة والحرمان من هداية الله تعالى وكونه مطبوعا على قلبه ومشاعره ثم غفل عما يراد به من العذاب الشديد الدآئم فى الآخرة تكون غفلته اشد واكمل ويكون عن الطاعات وتحصيل اسباب السعادات الابدية ابعد فلاجرم يكون فى الآخرة اخسر ثم انه تعالى لما ذكر حال من كفر بالله بعد ايمانه وحال من اكره على الكفر فاظهر الكفر حذرا من الهلاك ذكر بعده حال من اظهر الكفر مكرها اذا هاجروا وجاهدوا وصبروا وحال من آذى المسلمين واكرههم وحملهم على الارتداد على القرآءتين فى قوله من بعد ما فتنوا فقال ثم ان ربك للذين هاجروا الآية ﴿قوله بالولاية والنصر﴾ اشارة الى ان قوله تعالى للذين هاجروا خبران كما تقول ان زيدا لك اى هو لك لا عليك بمعنى هو ناصر لك لا خاذل لك ﴿قوله تجادل عن ذاتها﴾ اشارة الى ان النفس الثانية عبارة عن ذات الشخص وعينه وحقيقته والنفس الاولى عن جسد الشخص وجملته فليس للنفس نفس اخرى تضاف احداهما الى الاخرى روى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لكعب الاحبار خوفنا قال يا امير المؤمنين والذى نفسى بيده لو وافيت فى القيامة بعمل سبعين نبيا لاتت عليك امارات وانت لايهمك الانفسك وان لجهنم زمزمة مايبقى ملك مقرب ولانبى مرسل الا وقع جاثيا على ركبتيه حتى ابراهيم خليل الرحمن يقول يارب لااسألك الا نفسى وان تصديق ذلك قوله تعالى يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها ومعنى المجادلة عنها الاعتذار عنها والسعى فى خلاصها ﴿قوله اى وجعلها﴾ اشارة الى ان ضرب عدى الى مفعولين اولهما القرية الموصوفة وثانيهما مثلا لتضمين ضرب معنى جعل فان ضرب المثل اعتماله ووضعه من ضرب اللبن والخاتم فلا يتعدى الا الى مفعول واحد فلما عدى ههنا الى مفعولين احتيج الى اعتبار التضمين والمراد بالقرية اهلها بقرينة ما اسند اليها من كفران النعم والجوع والخوف وقوله بما كانوا يصنعون لما هدد الله تعالى الكفار بالوعيد الشديد الواقع فى الآخرة هددهم ايضا بآفات الدنيا وهى الوقوع فى الجوع والخوف * واعلم ان المثل قد يضرب بشئ موصوف بصفة معينة سوآء كان الشئ موجودا او لم يكن لان المثل انما يضرب لترغيب المكلف فى الاتصاف بتلك الصفة او لتنفيره عنها ولا مدخل فى ذلك الترغيب والترهيب لتحقق تلك الصفة فى شئ بعينه كما مر فى قوله ولاتكونوا كالتى نقضت غزلها وقد يضرب بشئ معين فالمقصود ضرب القرية الموصوفة مثلا سوآء كان ترهيب كل قوم انعم الله عليهم فكفروا فانزل الله تعالى بهم نقمته او ترهيب كفار مكة بخصوصهم ولايلزم ان تكون القرية الموصوفة الممثل بها قرية من قرى الاولين بل قرية كانت حالها كذلك فضربها الله مثلا لاهل مكة او لكل قوم شأنهم كشأن اهل مكة وان لايكون موجودا فى قرى الاولين مثلها بل يقدر قرية على هذه الصفة فيضرب بها المثل ثم ان اهل مكة قد ابتلاهم الله تعالى بما ذكر من المحن فانهم كانوا آمنين لاتغار عليهم العرب بل كانوا يحترمونهم ويخصونهم بالتعظيم والتكريم لكونهم اهل حرم الله مع انهم كانوا يغير بعضهم على بعض وكانوا مطمئنين فى بلدهم من حيث ان ذلك البلد كان ملائما لامزجتهم فاطمأنوا اليه واستقروا فيه من غير اضطراب وانزعاج وكان يأتيهم رزقهم رغدا من كل مكان وهذه النعم الثلاث جمعها من قال ثلاثة ليس لها نهايه * الامن والصحة والكفايه * فقوله تعالى آمنة اشارة الى الامن وقوله مطمئنة اشارة الى الصحة وقوله يأتيها رزقها اشارة الى الكفاية والمفهوم من كلام المصنف ان يكون الاطمئنان اثر الامن ولازمه من حيث ان الخوف يوجب الانزعاج وينافى الاطمئنان ثم انه تعالى زاد على هذه النعم المذكورة فى حق اهل مكة حيث بعث فيهم رسولا من انفسهم ينذرهم عما يوجب العذاب الاليم ويدعوهم الى النعيم المقيم فكفروا به وبالغوا فى ايذآئه فسلط الله عليهم البلاء وابتلاهم بالجوع سبع سنين وقطعت عنهم العرب الميرة بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جهدوا واكلوا العظام المحرقة والجيف والكلاب الميتة والعلهز وهو الوبر الذى يعجن بالدم وابتلاهم الله تعالى بالخوف حيث كان عليه الصلاة والسلام يبعث اليهم السرايا فيغيرون عليهم ﴿قوله استعار الذوق﴾ لما كان فى الآية اشكال من حيث ان الله تعالى اوقع الاذاقة على اللباس مع ان اللباس ليس مما يدرك بالذوق ثم اضاف اللباس الى الجوع والخوف وليس لهما لباس فكيف صحت اضافة اللباس اليهما اشار المصنف الى دفع الاشكال المذكور بان جعل الذوق مستعارا لادراك اثر الضرر بان شبه ادراك الانسان اثر مايضره باحساس طعم الشئ المر بالفم الذى هو الذوق فاطلق على المشبه الذى هو امر عقلى اسم المشبه به وهو الذوق وجعل اللباس مستعارا لما غشيهم واشتمل عليهم من الجوع والخوف بان شبه مايغشى الانسان

(ويلتبس)

(ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا) اى عذبوا كعمار رضى الله تعالى عنه بالولاية والنصر وثم لتباعد حال هؤلاء عن حال اولئك وقرأ ابن عامر فتنوا بالفتح اى بعد ما عذبوا المؤمنين كالحضرمى اكره مولاه جبرا حتى ارتد ثم اسلما وهاجرا (ثم جاهدوا وصبروا) على الجهاد وما اصابهم من المشاق (ان ربك من بعدها) من بعد الهجرة والجهاد والصبر (لغفور) لما فعلوا قبل (رحيم) منعم عليهم مجازاة على ما صنعوا بعد (يوم تأتى كل نفس) منصوب برحيم او باذكر (تجادل عن نفسها) تجادل عن ذاتها وتسعى فى خلاصها لايهمها شأن غيرها فتقول نفسى نفسى (وتوفى كل نفس ما عملت) جزآء ما عملت (وهم لايظلمون) لاينقصون اجورهم (وضرب الله مثلا قرية) اى وجعلها مثلا لكل قوم انعم الله عليهم فابطرتهم النعمة فكفروا فانزل الله بهم النقمة او لمكة (كانت آمنة مطمئنة) لايزعج اهلها خوف (يأتيها رزقها) اقواتها (رغدا) واسعا (من كل مكان) من نواحيها (فكفرت بانعم الله) بنعمه جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وادرع او جمع نعم كبؤس وابؤس (فاذاقها الله لباس الجوع والخوف) استعار الذوق لادراك اثر الضرر واللباس لما غشيهم واشتمل عليهم من الجوع والخوف

ويلتبس به من اثر الجوع والخوف باللباس الحقيقي والجامع بينهما كونهما مشتملين على الانسان وغاشيين له ثم اطلق اسم اللباس على مايغشى الانسان من اثرهما وجعل اضافته اليهما قرينة صارفة عن ارادة المعنى الحقيقي فكل واحد من الاذاقة واللباس استعارة مغايرة لاستعارة الآخر ثم اوقعت الاذاقة المستعارة على اللباس المستعار بان جعل اللباس مفعولا للاذاقة بالنظر الى المستعارله يعنى ان الاذاقة بمعنى الاصابة والايصال وان لم تكن ملائمة للمعنى الذى استعير منه اللباس لكنها ملائمة للمعنى الذى استعيرله اللباس وهو اثر الخوف والجوع الذى يغشى الانسان كما يغشاه اللباس فاوقعت الاذاقة بمعنى الاصابة على اللباس فاطلاق الاذاقة بمعنى الاصابة او الايصال على اللباس بالمعنى المجازى بطريق التجريد لكونها ملائمة لما هو اثر الجوع والخوف فان الاستعارة على ثلاثة اقسام مطلقة ومجردة ومرشحة فالمطلقة مالم تقرن بصفة ممايلائم المستعارله او المستعار منه والاستعارة المجردة ماقرنت بمايلائم المستعارله كقوله * غمر الرداء * اى كثير العطايا استعير الرداء للعطاء من حيث انه يصون عرض صاحبه كما يصون الرداء مايلقى عليه ثم وصف الرداء بالغمر الذى يلائم العطاء دون المعنى المستعار منه وهو الرداء الحقيقى تجريد والاستعارة المرشحة ما قرنت بما يلائم المستعار منه كقوله

ينازعنى ردآئى عبد عمرو	رويدك يا اخا عمرو بن بكر
لى الشطر الذى ملكت يمينى	ودونك فاعتجر منه بشطر

استعار الرداء للسيف والاعتجار لف العمامة على الرأس من غير ادارة تحت الحنك ثم اوقع الاعتجار على شطر الرداء بالنظر الى المستعار منه لكونه ملائما للرداء الحقيقى ومعنى البيت يجاذبنى سيفى عبدعمرو ويريدان يأخذه منى فقلت له رويدك لى الشطر الاعلى من السيف وهو طرفه الذى فى يمينى وخذ انت الطرف الآخر منه فاعتجر اى لف برأسك ﴿قوله غلقت لضحكته رقاب المال﴾ اى بقيت رقاب الرهن فى يد المرتهن ولم يتأت للممدوح فكهامنه يقال غلق الرهن اذا استحقه المرتهن وذلك اذا لم يفك فى الوقت المشروط يقول اذا اضحك ضحكة ايقن السائل انه بذلك التبسم استغلق رقاب ماله ويعطى بلا خلاف ﴿قوله بعدما زجرهم عن الكفر﴾ اشارة الى ان الفاء فى قوله تعالى فكلوا للتفريع مابعدها على ماذكر قبلها من التمثيل وماحل بهم من العذاب حال التباسهم بالظلم كانه قيل اذا تبين لكم مضمون التمثيل وتحقق عندكم ان ماحل بهم بسبب التباسهم بالظلم فاتركوا الشرك والظلم حتى تأكلوا وتشكروا وامتنعوا عن صنع الجاهلية ومذاهبها الفاسدة بعدما علمتم وخامة عاقبتها ﴿قوله عدد عليهم محرماته ليعلم ان ماعداها حل لهم﴾ اعلم انه تعالى حصر المحرمات فى هذه الاربعة فى هذه السورة وحصرها ايضا فى هذه الاربعة فى سورة الانعام حيث قال قل لا اجد فيما اوحى الى محرما على طاعم وهاتان السورتان مكيتان وحصرها ايضا فى هذه الاربعة فى سورة البقرة وحصرها ايضا فى هذه الاربعة فى سورة المائدة فانه تعالى قال فى اول تلك السورة احلت لكم بهيمة الانعام الا مايتلى عليكم فاباح الكل الا مايتلى عليهم واجمعوا على ان المراد بقوله الا مايتلى عليكم هو قوله تعالى فى تلك السورة حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به فذلك تلك الاربعة المذكورة فى تلك السور الثلاث ثم قال والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما اكل السبع الا ما ذكيتم وهذه الاشياء داخلة فى الميتة ثم قال وما ذبح على النصب وهو احد الاصناف الداخلة تحت قوله وما اهل لغير الله به فثبت ان السور الاربع دالة على حصر المحرمات فى هذه الاربعة سورتان مكيتان وسورتان مدنيتان فان سورة البقرة مدنية وسورة المائدة من آخر مانزل بالمدينة فمجموع مانزل فى مكة والمدينة دال على انحصار المحرمات فيها وما زاد عليها فبدليل شرعى يثبت الحكم به وما ذهب اليه الكفار من زيادة المحرمات على هذه الاربعة بلا شرع ثابت مقرر لايصح القول بزيادته اذ هو قول مزيف فانهم كانوا يحرمون البحيرة والسائبة والوصيلة والحام وكانوا يقولون مافى بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا فتحريمها ذهاب الى زيادة المحرمات باهوآئهم وجهالاتهم متجاوزين عن اتباع ماشرعه الله تعالى على لسان انبيائه وزادوا ايضا فى المحللات حيث حللوا الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل به لغير الله فبين الله تعالى ان المحرمات هى هذه الاربعة وأكد هذا البيان بالنهى عن التحريم بمجرد اهوآئهم فقال ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب ﴿قوله تعالى حلالا طيبا﴾ قال بعضهم الحلال والطيب واحد كانه قال كلوا ما احل لكم فهو كقوله تعالى فانكحوا ماطاب لكم اى ماحل لكم وقال بعضهم الطيب ما تستطيبه النفس وتتلذذ به لان من الحلال مالا تتلذذ به النفس بل تكرهه فانه تعالى جعل غذآء

واوقع الاذاقة عليه بالنظر الى المستعارله كقول كثير * غمر الردآء اذا تبسم ضاحكا * غلقت لضحكته رقاب المال * فانه استعار الردآء للمعروف لانه يصون عرض صاحبه صون الردآء مايلقى عليه واضاف اليه الغمر الذى هو وصف المعروف والنوال لا وصف الردآء نظرا الى المستعار له وقد ينظر الى المستعار كقوله

ينازعنى ردآئى عبد عمرو * رويدك يا اخا عمرو بن بكر * لى الشطر الذى ملكت يمينى * ودونك فاعتجر منه بشطر *

استعار الردآء لسيفه ثم قال فاعتجر نظرا الى المستعار (بما كانوا يصنعون) بصنيعهم (ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم والضمير لاهل مكة عاد الى ذكرهم بعد ما ذكر مثلهم (فاخذهم العذاب وهم ظالمون) اى حال التباسهم بالظلم والعذاب ما اصابهم من الجدب الشديد او وقعة بدر (فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا) امرهم باكل ما احل الله لهم وشكر ما انعم عليهم بعدما زجرهم عن الكفر وهددهم عليه بما ذكر من التمثيل والعذاب الذى حل بهم صدا لهم عن صنيع الجاهلية ومذاهبها الفاسدة (واشكروا نعمة الله ان كنتم اياه تعبدون) تطيعون او ان صح زعمكم انكم تقصدون بعبادة الآلهة عبادته (انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم) لما امرهم بتناول ما احل لهم عدد عليهم محرماته ليعلم ان ماعداها حل لهم ثم أكد ذلك بالنهى عن التحريم والتحليل باهوآئهم فقال (ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام) كما قالوا مافى بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا الآية وسياق الكلام وتصدير الجملة بانما حصر المحرمات فى الاجناس الاربعة الا ما اقيم عليه دليل كالسباع والحمر الاهلية

البشر ماهو اطيب و الذ و جعل للبهائم و الانعام ماهو اخبث و اخشن ولاشك ان ماهو اطيب و الذ اتم نعمة و ادعى الى الشكر و قوله تعالى فمن اضطرّ غير باغ اى فمن اضطرّ الى تناول ماذكر من المحرّمات وقيل معناه غير باغ على الوالى ولامتعدّ على الناس بالخروج لقطع الطريق فعلى هذا لايباح تناول شئ من المحرّمات فى سفر المعصية ﴿قوله وانتصاب الكذب بلا تقولوا﴾ على انه مفعول به و يحتمل ان يكون مفعولا مطلقا فان القول قد يتعدّى و قد لا يتعدّى فهو مفعول به و الا فمفعول مطلق فعلى هذا تكون ما موصولة و اللام صلة لقوله لاتقولوا اى لاتقولوا الكذب لما تصفه السنتكم من البهائم وذلك الكذب هو ان تقولوا فى حقها هذا حلال وهذا حرام ومتعلقة بتصف بان يكون مسوقا لبيان الوصف الذى تبينه الالسنة فالفاء فى قول المصنف فتقول كالفاء التى فى قوله تعالى فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا انفسكم فان الفاء العاطفة للجمل قد تفيد كون المذكور بعدها كلاما مرتبا على ماقبلها فى الذكر لان مضمون مابعدها واقع عقيب مضمون ماقبلها فى الزمان كقوله تعالى ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين وقوله و اورثنا الارض نتبوّأ من الجنة حيث نشاء فنعم اجر العاملين فان ذكر ذم الشئ ومدحه انما يصح بعد جرى ذكره ومن هذا الباب عطف تفصيل المجمل كقوله تعالى ونادى نوح ربه فقال رب ان ابنى من اهلى فان موضع ذكر التفصيل بعد الاجمال ومنه قوله تعالى وكم من قرية اهلكناها فجاءها بأسنا بياتا وهم نائمون فان تبييت البأس تفصيل الاهلاك المجمل وما نحن فيه من هذا القبيل فان قول الالسنة هذا حلال وهذا حرام تفصيل للوصف الذى اسند اليها فكلمة ما ايضا موصولة و اللام صلة ولا تقولوا ﴿قوله او مفعول لاتقولوا﴾ عطف على قوله بدل منه وقوله لوصف السنتكم الكذب اشارة الى ان اللام فى قوله لما تصف للتعليل والمعنى لاتقولوا هذا حلال وهذا حرام لاجل وصف السنتكم الكذب اى لاجل قول تنطق به السنتكم من غير حجة * فان قيل حمل الآية على هذا الوجه يؤدّى الى التكرار لان قوله لتفتروا على الله الكذب عين قولك لاجل وصف السنتكم الكذب * فالجواب ان قوله لما تصف ألسنتكم ليس فيه بيان انه كذب على الله فاعاد قوله لتفتروا على الله الكذب ليفيد هذا البيان الزآئد ونظيره فى القرءآن كثير فانه تعالى يذكر كلاما ثم يعيده بعينه مع فائدة زائدة ﴿قوله ووصف السنتهم بالكذب﴾ جواب عما يقال الكذب مصدر لكذب والالف واللام فيه لتعريف الحقيقة والسنتهم لاتصف اى لاتوضح ولاتبين حقيقة الكذب وماهيته بل تتكلم كلاما موصوفا بالكذب فما وجه كون الكذب مفعول تصف * وتقرير الجواب نعم ان مقتضى الظاهر ان يقال مما تصف السنتكم الكلام الكاذب ونظهره الا انه جعل الظاهر المتبيّن بالسنتهم نفس الكذب وحقيقته مبالغة فى وصف كلامهم بالكذب فان اصل الكلام مما تصف السنتكم الكلام الكاذب ثم عدل عنه فقيل الكلام الكذب مبالغة على طريق رجل عدل ثم حذف الموصوف واقيم الكذب مقامه فقيل لما تصف السنتكم الكذب كما يقال

وجهها يصف الجمال * مع ان وجهها انما يظهر الشكل المخصوص الموصوف بالجمال لانفس الجمال وحقيقة الا ان وجهها لما كان فى غاية الحسن والجمال صار كأنه عين حقيقة الجمال فاذا وصف الشكل الجميل صح ان يقال انه وصف نفس الجمال وكذلك العين لما كانت تشبه الساحر وتصفه كمال المشابهة والتوصيف صح ان يقال انها تصف السحر ﴿قوله وقرئ الكذب بالجرّ بدلا من ما﴾ قال ابو البقاء ويقرأ بفتح الكاف وكسر الذال والباء على البدل من جعلها مصدرية او بمعنى الذى انتهى اى ولاتقولوا لوصف السنتكم الكذب او للذى تصف السنتكم الكذب والمراد من كونه بدلا من ما المصدرية كونه بدلا منها مع مافى حيزها اى من المصدر المنسبك منها وهو وصف السنتكم ﴿قوله والكذب﴾ اى وقرئ الكذب بضم الكاف والذال ورفع الباء على انه صفة الالسنة جمع كذوب كصبور وصبر او جمع كاذب كشارف وشرف او جمع كذاب نحو كتاب وكتب وهو مصدر بمعنى الكذب قال والمرء يتبعه كذابه * اى كذبه وقرئ الكذب بفتحتين ونصب الباء تقديرا على قصد الذم الالسنة او بمعنى الكلم الكواذب اى ولما تصف السنتكم الكلم الكواذب ﴿قوله تعليل لايتضمن الغرض﴾ يعنى ان اللام فيه لام العاقبة والصيرورة لا التعليل الصريح اذ ليس الافترآء على الله غرضا لهم من التحريم والتحليل من غير حجة بل كانوا ينسبون ذلك التحريم والتحليل اليه تعالى ويقولون انه تعالى امرنا بذلك فكان عاقبة قولهم هذا افترآء على الله تعالى ثم انه تعالى اوعد المفترين فقال ان الذين يفترون على الله الكذب لايفلحون ثم بين ان ماهم فيه من نعيم الدنيا يزول عنهم عن قريب فقال متاع قليل اى ما يتمتعون به من نعيم الدنيا شئ قليل فى ذاته و بحسب

وانتصاب الكذب بلا تقولوا وهذا حلال وهذا حرام بدل منه او متعلق بتصف على ارادة القول اى ولاتقولوا الكذب لما تصفه ألسنتكم فتقول هذا حلال وهذا حرام او مفعول لاتقولوا والكذب منتصب بتصف وما مصدرية اى ولاتقولوا هذا حلال وهذا حرام لوصف ألسنتكم الكذب اى ولاتحرّموا ولاتحللوا بمجرد قول تنطق به ألسنتكم من غير دليل ووصف ألسنتهم بالكذب مبالغة فى وصف كلامهم بالكذب كان حقيقة الكذب كانت مجهولة وألسنتهم تصفها وتعرّفها بكلامهم هذا ولذلك عدّ من فصيح الكلام كقولهم وجهها يصف الجمال وعينها تصف السحر وقرئ الكذب بالجرّ بدلا عما والكذب جمع كذوب اوكذاب بالرفع صفة للالسنة وبالنصب على الذم او بمعنى الكلم الكواذب (لتفتروا على الله الكذب) تعليل لايتضمن الغرض (ان الذين يفترون على الله الكذب لايفلحون) لما كان المفترى يفترى لتحصيل مطلوب نفى عنهم الفلاح وبينه بقوله (متاع قليل) اى ما يفترون لاجله او ماهم فيه منفعة قليلة تنقطع عن قريب (ولهم عذاب اليم) فى الآخرة

مدة الانتفاع به بل متاع كل الدنيا قليل ثم انه تعالى لما بين مايحل و يحرم لاهل الاسلام اتبعه ببيان ما خص اليهود بتحريمه فقال و على الذين هادوا حرّمنا ما قصصنا عليك من قبل اى من قبل تحريمنا على اهل ملتك ما عددناه من المحرّمات ﴿قوله كما يكون للمضرة﴾ اى لمضرة ما حرّم لمن اكله فان ما حرّم على المسلمين لم يحرم عليهم الا صونا لهم عن مضرّته بخلاف اليهود فانه حرّم عليهم ما حرّم جزاء لبغيهم و عقوبة على ظلمهم و قال ايضا ذلك جزيناهم ببغيهم ثم انه تعالى لما بالغ فى تهديد المشركين على انواع قبائحهم من انكار البعث و النبوة و كون القرآن العظيم من عند الله و تحريم ما احل الله و تحليل ما حرّمه و نحو ذلك بين ان امثال تلك القبائح لا تمنعهم من قبول التوبة و حصول المغفرة و الرحمة اذا ندموا على ما فعلوا و آمنوا و اطاعوا و لم يقدّر للجهالة متعلق لتعم كل جهالة وكل من يفعل السوء فانما يفعله ملتبسا بالجهالة اما الكفر فلأن احدا لا يرضى به مع العلم بكونه كفرا و انه مالم يعتقد ان ما هو عليه حق لا يختاره و لا يثبت عليه و اما المعصية فما لم تصر الشهوة غالبة على العقل و العلم لم تصدر تلك المعصية فثبت ان كل من عمل السوء فانما يقدم عليه بسبب الجهالة فلذلك قيل كل من عصى الله فهو جاهل ثم انه تعالى لما زيف فى هذه السورة مذاهب المشركين من الشرك و الطعن فى النبوة و تحريم ما احله الله تعالى ذكر فى آخر السورة من هو رئيس الموحدين و وصفه باوصاف شريفة و طريقة حسنة مقبولة لذوى العقول ليكون ذكره حاملا لهؤلاء المشركين على الاقرار بالتوحيد و الاقتداء به فى الاتصاف بما له من الفضائل و الكمالات فقال ان ابراهيم كان امة قانتا لله الآية سميت الامة امة لكثرة افرادها و فى الحديث * لولا ان الكلاب امة لامرت بقتلها * جعل الله ابراهيم عليه الصلاة و السلام امة تشبيها له بالامة من حيث استجماعه فضائل لا تكاد توجد الا متفرقة فى جماعة فان ذلك ليس ببديع من قدرة الله تعالى كما قال الشاعر

❊ وليس من الله بمستنكر ❊ ان يجمع العالم فى واحد ❊

يعنى ان الله تعالى قادر ان يجمع فى واحد ما فى الناس من انواع الفضل و الكمال و الدامغة اسم لشجة بلغت ام الدماغ وهى الجلدة التى تجمع الدماغ شبه المذاهب الزائغة باشخاص لها رؤس مشتملة على الدماغ و شبه ابطال حجج تلك المذاهب بشجها شجة دامغة فاطلق اسم الدمغ على الابطال المذكور ثم اشتق من الدمغ بمعنى الابطال لفظة الدامغة بمعنى المبطلة فجعل هذه الاستعارة التبعية تخييلا لما اضمر من تشبيه المذاهب الزائغة بالاشخاص المذكورة وهذا التشبيه المضمر فى النفس هو الاستعارة بالكناية عند الخطيب الدمشقى ﴿قوله ولذلك عقب ذكره تزييف مذاهب المشركين﴾ اى و لاجل كونه عليه الصلاة و السلام رئيس الموحدين جعل الله تعالى ذكره عليه الصلاة و السلام بحيث يعقب التزييف و يخلفه على ان قوله تزييف ثانى مفعولى عقب يقال عقبه مخففا يعقبه بمعنى خلفه يخلفه و عاقب كل شئ آخره الذى يخلفه و يكون بعده و بالتضعيف يتعدى الى اثنين و ان شئت قلت عقب ذكره تزييف بان يجعل عقب ثلاثيا و ذكره مرفوعا على انه فاعل عقب و تزييف منصوبا على المفعولية ﴿قوله او لانه كان وحده مؤمنا﴾ فسمي الامة و الرحلة بضم الراء الذى يرحل اليه يقال انتم رحلتى اى الذين أرتحل اليهم و النخبة المنتخب يقال جاءنى نخبة اصحابه اى خيارهم فان كان امة فعلة بمعنى المفعول يكون اما بمعنى المأموم اى المقصود الذى يؤمه الناس اى يقصدونه ليأخذوا منه الخير * الجوهرى الأم بالفتح القصد يقال امه يؤمه اذا قصده و اما بمعنى المؤتم به المقتدى به * الجوهرى اممت القوم فى الصلاة امامة و ائتم به اى اقتدى و وصف الله تعالى ابراهيم عليه الصلاة و السلام بتسع صفات الصفة الاولى انه كان امة اى كالأمة من حيث استجماعه فضائل لا تكاد توجد الا متفرقة فى الجماعة و الثانية كونه قانتا لله تعالى اى مطيعا له قائما بما امره قال الراغب القنوت لزوم الطاعات مع الخضوع و فسر بكل واحد منهما فى قوله تعالى كل له قانتون قيل خاضعون و قيل طائعون و الثالثة كونه حنيفا اى مائلا عن الملل الى ملة الاسلام و الرابعة انه لم يكن من المشركين و كيف يكون مشركا وقد كان اكبر همته فى حال صغره و كبره مصروفا الى تقرير دلائل ثبوت الصانع و وحدته حتى قابل ملك زمانه و اقام عليه الحجج و البراهين الدالة على وجود الاله القادر على كل شئ مثل قوله ربى الذى يحيى و يميت وقوله فان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب ثم ابطل عبادة الاصنام و الكواكب بقوله لا احب الآفلين ثم كسر تلك الاصنام حتى آل الامر الى ان ألقوه فى النار ثم طلب من الله تعالى ان يريه كيفية احياء الموتى ليحصل له مزيد الطمأنينة و من وقف على علم القرآن علم ان ابراهيم عليه الصلاة و السلام كان مستغرقا

(وعلى الذين هادوا حرّمنا ما قصصنا عليك) اى فى سورة الانعام فى قوله و على الذين هادوا حرّمنا كل ذى ظفر (من قبل) متعلق بحرّمنا او بقصصنا (وما ظلمناهم) بالتحريم (ولكن كانوا انفسهم يظلمون) حيث فعلوا ما عوقبوا به عليه و فيه تنبيه على الفرق بينهم و بين غيرهم فى التحريم و انه كما يكون للمضرة يكون للعقوبة (ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة) بسببها او ملتبسين بها لتعم الجهل بالله و بعقابه و عدم التدبر فى العواقب لغلبة الشهوة و السوء يعم الافتراء على الله و غيره (ثم تابوا من بعد ذلك و اصلحوا ان ربك من بعدها) من بعد التوبة (لغفور) لذلك السوء (رحيم) يثيب على الانابة (ان ابراهيم كان امة) لكماله و استجماعه فضائل لا تكاد توجد الا متفرقة فى اشخاص كثيرة كقوله
وليس من الله بمستنكر *
ان يجمع العالم فى واحد *
و هو عليه السلام رئيس الموحدين و قدوة المحققين الذى جادل فرق المشركين و ابطل مذاهبهم الزائغة بالحجج الدامغة و لذلك عقب ذكره تزييف مذاهب المشركين من الشرك و الطعن فى النبوة و تحريم ما احله او لانه كان وحده مؤمنا و كان سائر الناس كفارا و قيل هى فعلة بمعنى مفعول كالرحلة و النخبة من امه اذا قصده او اقتدى به فان الناس كانوا يؤمونه للاستفادة و يقتدون بسيرته لقوله انى جاعلك للناس اماما (قانتا لله) مطيعا له قائما باوامره (حنيفا) مائلا عن الباطل (ولم يك من المشركين) كما زعموا فان قريشا كانوا يزعمون انهم على ملة ابراهيم صلوات الله عليه (شاكرا لانعمه) ذكر بلفظ القلة للتنبيه على انه كان لا يخل بشكر النعم القليلة فكيف بالكثيرة (اجتباه) للنبوة (وهداه الى صراط مستقيم) فى الدعوة الى الله (وآتيناه فى الدنيا حسنة) بان حببه الى الناس حتى ان ارباب الملل يتولونه و يثنون عليه و رزقه اولادا طيبة و عمرا طويلا فى السعة و الطاعة (وانه فى الآخرة لمن الصالحين) لمن اهل الجنة كما سأله بقوله و ألحقنى بالصالحين

في بحر التوحيد و الخامسة كونه شاكرا لانعامه روى انه عليه الصلاة و السلام كان لايتغدّى الامع ضيف فلم يجد ذات يوم ضيفا فأخر غداءه فاذا هو بقوم من الملائكة في صورة البشر فدعاهم الى الطعام فخيلوا له ان بهم جذاما فقال الآن وجبت مؤاكلتكم شكرا لله تعالى على انه عافاني مما ابتلاكم فلولا قوة عزمكم على الصبر على مااصابكم لما ابتلاكم بهذا البلاء و السادسة مادل عليه قوله اجتباه اى اصطفاه للنبوة و اختاره للخلة و السابعة مادل عليه قوله وهداه الى صراط مستقيم في الدعوة الى الله والترغيب في الدين الحق و الترهيب و التنفير عن الدين الباطل و الثامنة مادل عليه قوله وآتيناه في الدنيا حسنة قال قتادة ان الله تعالى حببه الى كل الخلق وكل اهل الاديان يتولونه اى يحبونه و يفتخرون بالانتساب اليه اما المسلمون و اليهود و النصارى فظاهر و اما كفار قريش و سائر العرب فانه لافخر لهم الا به وذلك لانه تعالى اجاب دعاءه في قوله واجعل لى لسان صدق في الآخرين حتى قال من يصلي منا كما صليت على ابراهيم و على آل ابراهيم و التاسعة قوله وانه في الآخرة لمن الصالحين اجاب الله تعالى دعاءه في قوله رب هب لى حكما وألحقني بالصالحين وكونه من الصالحين لاينفي كونه في اعلى مقامات الصالحين ثم انه تعالى لما وصفه بهذه المدائح التسع وصفه بخصلة عاشرة هي اجل و اشرف من المدائح السابقة وهي ان يكون سيد الانبياء و المرسلين عليه و عليهم صلوات الله وسلامه اجمعين مأمورا باتباع ملته فكلمة ثم للتنبيه على ان منزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلى من منزلته عليه الصلاة و السلام وكون نبينا صلى الله عليه وسلم مأمورا باتباع ملته لاينافي اختصاصه بفضائل اخر يفضل بها على جميع الانبياء عليهم الصلاة و السلام واصل الملة الدين لقوله عليه الصلاة و السلام لايتوارث اهل ملتين اى اهل دينين ﴿قوله حنيفا في التوحيد﴾ اشارة الى ان قوله حنيفا حال من المضاف اليه وامتناع الحال من المضاف اليه ليس على اطلاقه وانما يمتنع اذا لم يكن بين المضاف و المضاف اليه ملابسة قوية مثل ان يكون المضاف جزأ من المضاف اليه او بمنزلة الجزء منه والملة ههنا بمنزلة الجزء من ابراهيم فلذلك كان انتصاب الحال منه بمنزلة انتصابها من الملة و العامل فيهامعنى الاضافة وقوله تعالى انما جعل السبت الآية جواب عمايقال انه عليه الصلاة و السلام لما امر بمتابعة ابراهيم عليه الصلاة و السلام فكيف خالفه باختيار يوم الجمعة فان الظاهر ان ابراهيم قد اختار في شرعه تعظيم يوم السبت بشهادة ان قوم موسى عليه الصلاة و السلام يعظمون يوم السبت وروى ذلك على ان تعظيمه شريعة متواترة من يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم الصلاة و السلام روى عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال امرهم موسى عليه الصلاة و السلام بالجمعة وقال تفرغوا لله تعالى في كل سبعة ايام يوما واحدا وهو يوم الجمعة ولاتعملوا فيه شيأ من اعمالكم فابوا ان يقبلوا ذلك وقالوا لانريد الااليوم الذي فرغ الله تعالى فيه من الخلق وهو يوم السبت فجعل عليهم السبت وشدد عليهم ثم جاءهم عيسى عليه الصلاة و السلام وامرهم ايضا بالجمعة فقالت النصارى لانريد ان يكون عيدهم بعد عيدنا فاتخذوا الاحد وروى ابو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله كتب يوم الجمعة على من كان قبلنا فاختلفوا فيه وهدانا اليه فالناس لنافيه تبع اليهود غدا و النصارى بعدغد فقوله تعالى على الذين اختلفوا فيه ليس معناه ان اليهود اختلفوا فمنهم من قال بالسبت ومنهم من لم يقل به لان اليهود متفقون على ذلك بل معناه انهم اختلفوا على نبيهم من حيث انه امرهم باختيار الجمعة وخالفوه باختيارهم يوما آخر ومما يدل عقلا على ان يوم الجمعة سيد الايام واجدر للاختيار ان اهل الملل اتفقوا على انه تعالى خلق العالم في ستة ايام وبدأ بالخلق و التكوين في يوم الاحد واتم في يوم الجمعة وكان يوم السبت يوم الفراغ فقال اليهود نحن نوافق ربنا في ترك الاعمال فعينوا السبت لهذا المعنى وقالت النصارى مبدأ الخلق و التكوين يوم الاحد فنجعل هذا اليوم عيدا لنا فهذا وجه الفريقين في اختيار اليومين ونحن نقول يوم الجمعة هو يوم التمام و الكمال وتمام النعمة وكمالها هو الموجب لكمال الفرح و السرور و الموجب للاشتغال بالشكر والخضوع فكان يوم الجمعة افضل بالنسبة الى سائر الايام من هذا الوجه وفضله عليها من هذا الوجه يصلح ان يكون وجها عقليا للتخصيص بجعله يوم العيد و العبادة الزائدة وقيل معنى اختلافهم في السبت انهم احلوا الصيد فيه تارة وحرموه اخرى ولم يتفقوا على كلمة واحدة مع انه تعالى امرهم بتعظيمه والامتناع عن الصيد فيه قال قتادة استحل الصيد فيه بعضهم زمن داود يعني اهل ايلة فجعل السبت عليهم حيث عوقبوا بترك تحريمه بان لعنوا ومسخوا قردة دون الذين نهوا آباءهم عن ذلك ثم انه تعالى لما امره عليه الصلاة و السلام باتباع ابراهيم عليه السلام بين في اى شئ يتبعه فقال ادع الى سبيل ربك بالحكمة

(ثم اوحينا اليك) يامحمد وثم اما لتعظيمه و التنبيه على ان اجل مااوتي ابراهيم اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ملته اولتراخي ايامه (ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا) في التوحيد و الدعوة اليه بالرفق و ايراد الدلائل مرة بعد اخرى و المجادلة مع كل احد على حسب فهمه (وماكان من المشركين) بل كان قدوة الموحدين (انما جعل السبت) تعظيم السبت و التخلي فيه للعبادة (على الذين اختلفوا فيه) اى على نبيهم وهم اليهود امرهم موسى عليه السلام ان يتفرغوا للعبادة يوم الجمعة فابوا الا طائفة منهم وقالوا نريد يوم السبت لانه تعالى فرغ فيه من خلق السموات و الارض فالزمهم الله السبت وشدد الامر عليهم وقيل معناه انما جعل وبال السبت وهو المسخ على الذين اختلفوا فيه فأحلوا الصيد فيه تارة وحرموه اخرى واحتالوا له الحيل وذكرهم ههنا لتهديد المشركين كذكر القرية التي كفرت بانعم الله (وان ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) بالمجازاة على الاختلاف او بمجازاة كل فريق من الآبين و المعظمين بما يستحقه

قوله بالمقالة المحكمة اشارة الى ان المراد بالحكمة البراهين القطعية المفيدة للمعارف الحقيقية والعلوم اليقينية وبالموعظة الحسنة الامارات الظنية والدلائل الاقناعية وبالدلائل الجدلية الدلائل التى يكون المقصود من ذكرها الزام الخصم والخامه ثم ان الجدل على قسمين احدهما هو الدليل المركب من مقدّمات مشهورة مسلمة عند الخصم وهذا القسم هو الجدل الواقع على الوجه الاحسن والقسم الثانى مايكون مركبا من مقدّمات فاسدة الا ان المستدل يوردها ويجوّزها دفعا لشغب الخصم وسفاهته بسلوك الطريق الفاسدة عند المناظرة وهذا القسم لايليق بالعقلاء وانما اللائق بهم هو القسم الاوّل وذلك هو المراد بقوله تعالى وجادلهم بالتى هى احسن فهو تعالى حصر الحجج والدلائل الصادرة عن العقلاء فى هذه الاقسام المذكورة فى الآية الكريمة والذين يدعون الى الحق بطريق المناظرة ثلاث طوآئف القسم الاوّل الكاملون الطالبون للمعارف الحقيقية والعلوم اليقينية وهى الحكمة والقسم الثانى الذين يغلب عليهم المشاغبة والمخاصمة لا طلب الحق واليقين والمكالمة اللائقة بهم المجادلة التى تفيد الافحام والالزام فهاتان الطائفتان قسمان الاوّل منهما هم الكاملون فى الاستكمال بحسب القوّة النظرية والثانى هم الناقصون الذين لم يستعدوا للاستكمال بحسب القوّة النظرية والقسم الثالث هم المتوسطون بين الطائفتين حيث لم يبلغوا فى الكمال الى درجة الحكماء المحققين ولا فى النقصان الى حد المشاغبين بل هم اقوام بقوا على الفطرة الأصلية والسلامة الخلقية وما بلغوا الى درجة الاستعداد لفهم الدلائل اليقينية والمعارف الحكمية والمكالمة مع هؤلاء لاتمكن الا بالموعظة الحسنة وهى الدلائل الاقناعية الظنية والتكلم مع المشاغبين بالجدل على الطريق الاحسن ودلت هذه الآية الكريمة على ان الدعوة لابدّ ان تكون بالدلائل القطعية التى هى الحكمة والا فبالدلائل الظنية وهى الموعظة واما الجدل فهو ليس من طرق الدعوة بل المقصود منه غرض آخر وهو الالزام والافحام واليه اشار المصنف بقوله وجادل معانديهم بالطريقة التى هى احسن طرق المجادلة ثم انه تعالى قال ان ربك هو اعلم يعنى معناه انك يامحمد مكلف بالدعوة الى الله بهذه الطرق المذكورة واما حصول الهداية فلايتعلق بك فهو تعالى اعلم بالضالين واعلم بالمهتدين فان جواهر النفوس البشرية مختلفة بالماهية فبعضها نفوس مشرقة صافية قليلة التعلق بالجسمانية كثيرة الانجذاب الى عالم الروحانيات ولما كانت هذه الاستعدادات من لوازم جواهرها لاجرم يمتنع انقلابها وزوالها قال تعالى اشتغل انت بالدعوة ولا تطمع فى حصول الهداية للكل فانه تعالى هو العالم بخصوصيات استعدادات النفوس ولكل نفس فطرة مخصوصة كما قال فطرة الله التى فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله **قوله لما امره بالدعوة الخ** بيان لارتباط هذه الآية بما قبلها فان المحقين لما امروا بالدعوة الى الدين الحق وكانت الدعوة المذكورة تتضمن امر المبطلين بالرجوع عن دين آبائهم واسلافهم والحكم عليه بانه كفر وضلالة وكان ذلك مما يشوّش قلوبهم وربما يحملهم ذلك على ايذآء الداعى بنحو الشتم والضرب والقتل وكان يؤدّى المحقين الى تأديب هؤلاء السفهاء المشاغبين بالضرب والقتل ونحو ذلك ولم يرض المصنف بما قيل من كون الآية نازلة فى قصة حمزة لان تلك القصة لاتعلق لها بما قبل الآية فذلك القول يستلزم القول بجواز ان لايرتبط بعض الآيات ببعض وما روى من انه عليه الصلاة والسلام ترك العزم على المثلة وكفر عن يمينه بسبب هذه الآية لايقتضى كون الآية نازلة فى تلك القصة لجواز كونها نازلة لحكمة اخرى وتمسكه عليه الصلاة والسلام فى الانتهاء عما عزمه من المثلة بهذه الآية من حيث كون حرمة المثلة متفرّعة من عموم هذه الآية لاجرم امر الله تعالى المحقين فى هذا المقام برعاية العدل والانصاف وترك الزيادة فقال تعالى وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ماعوقبتم به ولا تزيدوا عليه فان استيفاء الزيادة ظلم وهو تعالى لايرضى بالظلم وفى الآية دلالة على ان الاولى ترك المقاصة فانك اذا قلت لمريض ان كنت تأكل الفاكهة فكل التفاح فانه يفهم منه ان الاولى ان لايأكلها ثم انه تعالى عدل من طريق التعريض الى التصريح حيث قال ولئن صبرتم لهو خير للصابرين فانه تصريح بان الاولى ترك الانتقام ولما كان الصبر شاقا شديدا ذكر بعده مايفيد سهولته لمن اختار العفو فقال وما صبرك الا بالله ولما كان السبب الحامل على الغضب والانتقام لايخلو عن امرين احدهما فوات نفع كان من الماضى والآخر توقع ضرر يكون فى المستقبل نهى عن الالتفات الى السبب الاوّل بقوله ولاتحزن عليهم اى على الكافرين بسبب اعراضهم عنك واستحقاقهم للعذاب الدآئم او على المؤمنين وعن الالتفات

(ادع) من بعثت اليهم (الى سبيل ربك) الى الاسلام (بالحكمة) بالمقالة المحكمة وهو الدليل الموضح للحق المزيح للشبهة (والموعظة الحسنة) الخطابات المقنعة والعبر النافعة والاولى لدعوة خواص الامّة الطالبين للحقائق والثانية لدعوة عوامهم (وجادلهم) وجادل معانديهم (بالتى هى احسن) بالطريقة التى هى احسن طرق المجادلة من الرفق واللين وايثار الوجه الايسر والمقدّمات التى هى اشهر فان ذلك انفع فى تسكين لهبهم وتبيين شغبهم (ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين) اى انما عليك البلاغ والدعوة واما حصول الهداية والضلال والمجازاة عليهما فلا اليك بل الله اعلم بالضالين والمهتدين وهو المجازى لهم (وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ماعوقبتم به) لما امره بالدعوة وبين طرقها اشار اليه والى من شايعه بترك المخالفة ومراعاة العدل مع من يناصبهم فان الدعوة لاتنفك عنه من حيث انها تتضمن رفض العادات وترك الشهوات والقدح فى دين الاسلاف والحكم عليهم بالكفر والضلال وقيل انه عليه الصلاة والسلام لما رأى حمزة وقد مثل به قال والله لئن اظفرنى الله بهم لامثلن بسبعين مكانك فنزلت فكفر عن يمينه وفيه دليل على ان للمقتص ان يماثل الجانى وليس له ان يجاوزه وحث على العفو تعريضا بقوله وان عاقبتم وتصريحا على الوجه الآكد بقوله (ولئن صبرتم لهو) اى لاصبر (خير للصابرين) من الانتقام للمنتقمين ثم صرح بالامر به لرسول الله صلى الله عليه وسلم لانه اولى الناس به لزيادة علمه بالله ووثوقه عليه فقال (واصبر وماصبرك الا بالله) الا بتوفيقه وتثبيته (ولاتحزن عليهم) على الكافرين او على المؤمنين ومافعل بهم (ولاتك فى ضيق مما يمكرون) فى ضيق صدر من مكرهم

وقرأ ابن كثير فى ضيق بالكسر هنا وفى النمل وهما لغتان كالقول والقيل ويجوز ان يكون الضيق تخفيف ضيق (ان الله مع الذين اتقوا) المعاصى (والذين هم محسنون) فى اعمالهم بالولاية والفضل اومع الذين اتقوا الله بتعظيم امره والذين هم محسنون بالشفقة على خلقه * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النحل لم يحاسبه الله بما انعم عليه فى دار الدنيا وان مات يوم تلاها اوليلته كان له من الاجر كالذى مات واحسن الوصية

سورة بنى اسرآئيل مكية وقيل الاقوله تعالى وان كادوا ليفتنونك الى آخر ثمان آيات وهى مائة وعشر آيات

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(سبحان الذى اسرى بعبده ليلا) سبحان اسم بمعنى التسبيح الذى هو التنزيه وقد يستعمل علما فيقطع عن الاضافة ويمنع الصرف قال قد قلت لما جاءنى فخره * سبحان من علقمة الفاخر * وانتصابه بفعل متروك اظهاره وتصدير الكلام به للتنزيه عن العجز عما ذكر بعد واسرى وسرى بمعنى وليلا نصب على الظرف وفائدته الدلالة بتنكيره على تقليل مدة الاسرآء ولذلك قرئ من الليل اى بعضه كقوله ومن الليل فتهجد به (من المسجد الحرام) بعينه لما روى انه عليه الصلاة السلام قال بينا انا فى المسجد الحرام فى الحجر عند البيت بين النائم واليقظان اذ أتانى جبريل بالبراق اومن الحرم وسماه المسجد الحرام لانه كله مسجد اولانه محيط به ليطابق المبدأ المنتهى لما روى انه صلى الله عليه وسلم كان نائما فى بيت ام هانئ بعد صلاة العشاء فاسرى به ورجع من ليلته وقص القصة عليها وقال مثل لى النبيون فصليت بهم ثم خرج الى المسجد الحرام واخبر به قريشا فتعجبوا منه استحالة وارتد ناس ممن آمن به وسعى رجال الى ابى بكر رضى الله تعالى عنه فقال ان كان قال لقد صدق فقالوا اتصدقه على ذلك قال انى لاصدقه على ابعد من ذلك فسمى الصديق واستنعته طائفة سافروا الى بيت المقدس فجلى له فطفق ينظر اليه وينعته لهم فقالوا اما النعت فقد اصاب فقالوا اخبرنا عن عيرنا فاخبرهم بعدد جمالها واحوالها وقال تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل اورق فخرجوا يشدون الى الثنية فصادفوا العير كما اخبر ثم لم يؤمنوا وقالوا ما هذا الا سحر مبين وكان ذلك قبل الهجرة بسنة واختلف فى انه كان فى المنام اوفى اليقظة بروحه اوبجسده والاكثر على انه اسرى بجسده الى بيت المقدس ثم عرج به الى السموات حتى انتهى الى سدرة المنتهى ولذلك تعجب قريش واستحالوه *

الى السبب الثانى بقوله ولاتك فى ضيق مما يمكرون اى اثبت على دعوتك ودع ما اصابك منهم من الاذى **قوله** وقرأ ابن كثير فى ضيق بالكسر اى بكسر الضاد والباقون بفتحها وهما لغتان بمعنى وقيل المفتوح مخفف من ضيق المشدد كميت فى ميت اى فى امر ضيق امر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بان يدعو الخلق الى سبيل رب العالمين باحد الطرق الثلاثة كل طائفة بما يليق بها من طرق الدعوة ثم قال ان ادت الدعوة المذكورة الى مناصبة المبطلين لاتزيدوا فى الانتقام على قدر اعتدآئهم ورمز فى هذه المرتبة الى ان ترك الانتقام هو الاولى ثم عدل عن الرمز الى التصريح حيث قال واصبر ثم ترقى فى المرتبة الرابعة الى التهديد على استيفاء الزيادة فقال ان الله مع الذين اتقوا عن المعاصى بالصبر على اذى السفهاء وترك اصل الانتقام منهم ومن تأمل هذه الآية الكريمة وترتيبها عرف ان الامر بالمعروف والنهى عن المنكر يجب ان يكون على هذا الوجه وان القرآن العظيم بحر لاساحل له قيل لبعض العلماء عند قرب وفاته اوص فقال انما الوصية من المال ولامال لى ولكنى اوصيك بخواتيم سورة النحل * والحمد لله على جزيل آلائه تم فى اوآئل جمادى الاولى من شهور سنة خمسين وتسعمائة

سورة بنى اسرآئيل مكية وهى مائة واحدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله وقد يستعمل علما يعنى ان اكثر استعماله على انه اسم مضاف غير علم لان الاعلام لاتضاف الا ان يقع فيها الاشتراك اتفاقا وان استعماله علما شاذ نادر فحينئذ يمنع من الصرف للتعريف والالف والنون المزيدتين فى آخره كعثمان والدليل على ان سبحان علم للتسبيح قول الشاعر

قد قلت لما جاءنى فخره * سبحان من علقمة الفاخر *

فانه لولا انه علم لوجب صرفه لان الالف والنون فى غير الصفات انما تمنع مع العلمية والعرب تقول سبحان من كذا اذا تعجبت منه **قوله** سبحان من علقمة الفاخر معناه العجب منه اذا فخر واصل السبح السير السريع فى الماء اوفى الهوآء يقال سبح سبحا وسباحة واستعير لمر النجوم فى الفلك كل فى فلك يسبحون ولجرى الفرس والسابحات سبحا ولسرعة الذهاب فى العمل وان لك فى النهار سبحا طويلا والتسبيح تنزيه الله واصله المر السريع فى عبادة الله وسبحان الله معناه التنزيه نصب على المصدر كانه قال ابرئ الله من السوء برآءة وهو فى الآية على معنى الامر اى نزهوا الله وبرؤه من قول المشركين ومن العجز عما اراده ومن جملته اسرآء عبده فى بعض من الليل من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الى ماشاء الله **قوله** واسرى وسرى بمعنى يقال سريت سرى ومسرى واسريت بمعنى سرت ليلا والذى بالالف لغة اهل الحجاز والفعل على اللغتين لازم وعدى فى الآية بالباء فى بعبده * ولما ورد ان يقال الاسرآء لايكون الا بالليل فما الفائدة فى قوله ليلا * اجاب عنه بقوله وفائدته الدلالة بتنكيره على تقليل مدة الاسرآء يعنى ان اسم الجنس اذا استعمل منكرا يكون تنكيره اما لبيان شخصا اونوعا فيكون المعنى اسرى بعبده ليلا واحدا من الليالى اونوعا واحدا من انواعها دفعا لتوهم ان يكون الاسرآء فى ليالى متعددة كما فى قوله سيروا فيها ليالى اى اى ليل دنا فيه المحب الى المحبوب وفاز فى مقام الشهود بالمطلوب واما للتكثير او التقليل فكان ليلا المنكر بمنزلة اللفظ المشترك الذى لايتبين المراد منه الا بالقرينة المعينة للمراد وتصدير السورة بالكلمة الدالة على التعجب البليغ قرينة دالة على ان الوارد بعدها امر خارق للعادة وآية عظيمة لايقدر عليها الا الله عز وجل فما قيل بعدها ليلا تبين بتلك القرينة ان المراد منه بعض الليل فان التبعيض قريب من التقليل فكانه قيل اسرى بعبده فى بعض ليل من مكة الى بيت المقدس مسيرة اربعين ليلة فتعين بهذه القرينة ان المراد تقليل مدة الاسرآء والدلالة على ان الاسرآء وقع فى بعض الليل **قوله** ليطابق المبدأ المنتهى علة لكون المراد ان المسجد الحرام المحيط به على طريق تسمية احد الملابسين باسم الآخر فانهم اتفقوا على ان المراد بقوله الى المسجد الاقصى بيت المقدس وكلمة الى فيه لانتهاء الغاية وسمى بالاقصى لبعد المسافة بينه وبين المسجد الحرام ولم يكن خلفه مسجد فيكون ابعد المساجد من مكة فمدلول قوله الى المسجد الاقصى انه وصل الى ذلك المسجد فاما كونه دخل ذلك المسجد ام لا فليس فى اللفظ دلالة عليه فلما كان المراد بالمنتهى الحد الملتبس بالمسجد الاقصى كان المناسب ان يكون المراد بالمبدأ ايضا الحد الملتبس بالمسجد الحرام ليطابق المبدأ المنتهى **قوله** واستنعته اى طلبوا منه عليه الصلاة والسلام ان يبين لهم نعت بيت المقدس والمسجد الاقصى فجلى اى ظهر له فى الحال فطفق ينظر اليه وينعته لهم **قوله** ولذلك تعجب قريش واستحالوه بناء على ان ارتفاع الجسد من مكة الى بيت المقدس ثم منه الى ما فوق العرش

فى مقدار ثلث الليل مما لايقبله العقل * قال الامام و مما يدل على جوازه عقلا انه ثبت فى الهندسة ان قرص الشمس يساوى كرة الارض مائة و نيفا و ستين مرّة ثم انا نشاهد ان طلوع القرص يحصل فى زمان لطيف سريع و ذلك يدل على ان بلوغ الحركة فى السرعة الى الحدّ المذكور امر ممكن فى نفسه غاية ما فى الباب انه يبقى التعجب الا ان مثل هذا التعجب لايختص بهذا المقام بل هو حاصل فى جميع المعجزات فمجرّد التعجب لايستلزم الانكار و البطلان و ايضا كما يستبعد فى العقل صعود الجسم الكثيف من مركز العالم الى ما فوق العرش فكذلك يستبعد نزول الجسم اللطيف الروحانى من فوق العرش الى مركز العالم فان كان القول بمعراج محمد صلى الله عليه وسلم فى ليلة واحدة ممتنعا كان القول بنزول جبريل عليه الصلاة و السلام من العرش الى مكة فى اللحظة الواحدة ممتنعا ولو حكمنا بهذا الامتناع كان ذلك طعنا فى نبوّة جميع الانبياء عليهم الصلاة و السلام و القول بثبوت المعراج متفرّع على تسليم جواز اصل النبوّة فثبت ان القائلين بامتناع حصول حركة جسمانية سريعة الى هذا الحدّ يلزمهم القول بامتناع نزول جبريل عليه الصلاة و السلام فى لحظة واحدة من العرش الى مكة و لما كان ذلك باطلا كان ماذكر ايضا باطلا * فان قالوا نحن لانقول ان جبريل عليه السلام جسم ينتقل من مكان الى مكان و انما نقول المراد من نزول جبريل عليه الصلاة و السلام هو زوال الحجب الجسمانية عن روح محمد صلى الله عليه وسلم حتى يظهر فى روحه من المكاشفات و المشاهدات بعض ما كان حاضرا متجليا فى ذات جبريل عليه الصلاة و السلام * قلنا تفسير الوحى بهذا الوجه هو قول الحكماء فاما جمهور المفسرين فهم يقرّون بان جبريل جسم وان نزوله عبارة عن انتقاله من عالم الافلاك الى مكة و اذا كان كذلك كان الالزام المذكور قويا وهذا تقرير ما ذهب اليه الاكثرون من طوآئف المسلمين و ذهب الاقلون الى انه عليه الصلاة و السلام ما اسرى الا بروحه روى عن حذيفة انه كان ذلك رؤيا و انه ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم و انما اسرى بروحه و حكى هذا القول عن عائشة رضى الله عنها و عن معاوية و الذى ذهب اليه اهل التحقيق انه تعالى اسرى بروح محمد صلى الله عليه وسلم و جسده من مكة الى المسجد الاقصى و اختلف العلماء فى ان الاسرآء و المعراج هل كانا فى ليلة واحدة او كل واحد فى ليلة فنهم من زعم ان الاسرآء وقع فى اليقظة و المعراج فى النوم و ذهب آخرون الى ان الاسرآء وقع مرّتين مرّة بروحه مناما و مرّة بروحه و جسده يقظة و ذهب آخرون الى تعدد الاسرآء فى اليقظه و قال انها اربع اسرآآت لتعدّد الروايات فى الاسرآء و اختلاف مايذكر فيها فبعضهم يذكر شيأ لم يذكره الآخر و بعضهم يسقط شيأ ذكره الآخر وهذا لايدل على التعدّد لان بعض الرواة قد يحدث ببعض الخبر لعلمه به و نسيانه البعض الآخر او يذكر ما هو الاهم عنده او يبسط تارة فيسوق الحديث كله و تارة يحدّث المخاطب بما هو الانفع له ﴿ **قوله** و صرف الكلام من الغيبة ﴾ يعنى ان الجمهور قرأوا لنريه بنون العظمة على اسلوب قوله باركنا ففيهما التفات من الغيبة فى قوله اسرى بعبده الى التكلم فى باركنا و فى لنريه ثم التفت من التكلم الى الغيبة فى قوله انه هو السميع ففى الكلام التفاتان و قرئ ليريه بياء الغيبة و على هذه القرآءة يكون فى الآية اربع التفاتات لانه التفت اوّلا من الغيبة فى قوله الذى اسرى بعبده الى التكلم و قوله و آتينا موسى الكتاب معطوف على الجملة السابقة الدالة على تنزيه الله تعالى على طريق عطف الجملة على الجملة ذكر الله تعالى اكرامه محمدا صلى الله عليه وسلم بانه اسرى به و ذكر فى هذه الآية انه اكرم موسى عليه الصلاة و السلام قبله بايتاء الكتاب و الضمير المنصوب فى جعلناه يجوز ان يكون للكتاب و هو الظاهر و ان يكون لموسى عليه الصلاة و السلام ﴿ **قوله** على اى لاتتخذوا ﴾ اى على ان يكون ان فيه مفسرة و لا ناهية على طريقة قولك كتبت اليه ان افعل كذا فان ان فيه مفسرة للمفعول المقدّر للفظ كتبت اى كتبت اليه شيأ هو افعل كذا فكلمة ان حرف دال على ان افعل كذا يفسر به المقدّر لكتبت الدال على معنى القول و المؤدّى معناه فكذا ان التى فى الآية مفسرة بمعنى اى تفسر ما تضمنه الكتاب من التكاليف فان نهى بنى اسرآئيل عن ان يتخذوا من دونه تعالى وكيلا اى ربا يكلون اليه امورهم فى معنى تكليفهم بان يتعبدوا بامتثال جميع ما كلفهم الله تعالى من الاوامر و النواهى و لا يلتفتوا الى ما تدعو اليه نفوسهم و طبائعهم و رؤساؤهم الضالون و قرأ ابو عمرو ان لايتخذوا بياء الغيبة جريا على قوله لبنى اسرآئيل و الباقون ان لاتتخذوا بتاء الخطاب التفاتا و حكم ان فى قرآءة ابى عمرو مصدرية ناصبة للفعل بعدها على حذف الخافض اى لئلا يتخذوا من دونى وكيلا اى ربا يكلون اليه امورهم ﴿ **قوله** او النداء ﴾ فالمعنى لاتتخذوا

من دونى وكيلا ياذرية من حملنا مع نوح فى السفينة وهم مؤمنوا قومه وبنواسرآئيل من نسل سام بن نوح وبنى انتصابه على النداء على قرآءة ان لاتتخذوا بتاء الخطاب لان النداء انما يكون للحاضر لالمن غاب عنهم فلا وجه لانتصابه على النداء على قرآءة ان لايتخذوا بياء الغيبة كما لاوجه لكونها مصدرية على قرآءة الخطاب لان بنى اسرآئيل غائبون ويحتمل ان يكون انتصاب ذرية على انه مفعول اوّل ليتخذوا وقوله وكيلا ثانيهما قدم على الاوّل وهو وان كان مفرد اللفظ الا انه فى معنى الجمع والمعنى لاتتخذوا ذرية من حملنا مع نوح وكلاء كقوله ولايأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا ومن ذرية المحمولين مع نوح عيسى وعزير عليهم الصلاة والسلام ﴿قوله او بدل من واو تتخذوا﴾ قال ابو البقاء هذا على القرآءة بالياء لانهم غائبون يعنى قوله ذرية لكونه اسما ظاهرا منزلا منزلة الغائب لايصح ابدالها من ضمير المخاطب قال ابن الحاجب فى الكافية ولايبدل ظاهر من مضمر بدل الكل الا من ضمير الغائب نحو ضربته زيدا فان الابدال انما يكون لتبيين الذات المرادة وتوضيحها بكون البدل اوضح تعريفا وابين دلالة عليها وضمير المتكلم والمخاطب لتعين مدلولهما حسا ابين واوضح من الاسم الظاهر لان مدلوله انما يتعين بحسب العقل فقط فلو ابدل الظاهر من ضمير المتكلم والمخاطب لكان المقصود بالنسبة اقل تعيينا ودلالة على الذات المرادة من غير المقصود وذا لايجوز فلهذا جاز ضربته زيدا ولم يجز مرّ بى المسكين زيد ولاعليك الكريم المعوّل ﴿قوله وفيه ايماء﴾ اشارة الى وجه ارتباط قوله انه كان عبدا شكورا بماقبله يعنى انه استئناف لبيان علة ماذكر قبله وحث الذرية على الاقتدآء به ﴿قوله واوحينا اليهم وحيا مقضيا مبتوتا﴾ اشارة الى ان القضاء اتمام الشئ على وجه البت والاحكام وضمن ههنا معنى الايحاء لاقتضائه كلمة الى لما ذكر الله تعالى انعامه على بنى اسرآئيل بانزال التوراة وانه جعل التوراة هدى لهم بين انهم مااهتدوا بهداه بل وقعوا فى الفساد فقال وقضينا الى بنى اسرآئيل اى اعلمناهم واخبارهم فيما آتيناهم من الكتاب انهم سيفسدون ومفعول لتفسدنّ محذوف اى لتفسدنّ ماكلفتم بارتكاب المعاصى ومخالفة احكام التوراة ويجوز ان لايقدّر له مفعول اى لتوقعنّ الفساد ﴿قوله مرّتين افسادتين﴾ اشارة الى ان مرّتين منصوب على المصدرية وكذا علوّا فانه مصدر علا يعلو ﴿قوله وقتل شعياء﴾ قدكان عادة الله تعالى انه اذا ملك الملك على بنى اسرآئيل بعث معه نبيا يسدّده ويرشده ولاينزل عليهم الكتب وانما يؤمرون باتباع الاحكام التى فى التوراة فلك الله تعالى منهم ملكا يدعى صديقة فبعث معه شعياء وهو الذى بشر ببعثة عيسى ومحمد بعده عليه الصلاة والسلام وعليهم فلك ذلك الملك بنى اسرآئيل وبيت المقدس زمانا فلما انقضى ملكه عظمت فيهم الاحداث فبعث الله تعالى سنجاريب ملك بابل ومعه ستمائة الف راية فاقبل سائرا حتى نزل حول بيت المقدس والملك مريض فى مسافة فرسخ فاوحى الله تعالى الى شعياء النبى ان ائت ملك بنى اسرآئيل فمره ان يوصى وصيته ويستخلف على ملكه من يشاء من اهل بيته فاتى شعياء ملك بنى اسرآئيل فاخبره بما اوحى اليه فقال الملك الملك لله رضينا بقضاء الله فاستقبل القبلة وصلى ودعا وبكى للانابة والتسليم وطلب الرحمة فى الدنيا وكان عبدا صالحا فاوحى الله تعالى الى شعياء ان تخبر الملك بان ربه قد رحمه واخر اجله خمس عشرة سنة وانجاه من عدوّه سنجاريب فاتاه شعياء فاخبره به فخرّ الملك ساجدا متضرّعا فشفى الله تعالى قرحته واصبح عسكر العدوّ كلهم موتى الا سنجاريب وخمسة نفر من كنانة احدهم بخت نصر فصرخ رجل على باب المدينة ياملك بنى اسرآئيل ان الله قدكفاك عدوّك فاخرج فان سنجاريب ومن معه قدهلكوا فخرج الملك وفتشوا هل بقى منهم احد فلم يوجد سنجاريب فى الموتى فتفرّق طالبوه فوجدوه مع اصحابه الخمسة فى مغارة فجعلوهم فى الجوامع ثم اتوابهم ملك بنى اسرآئيل فلما رآهم الملك خرّ ساجدا من حين طلعت الشمس الى العصر ثم رفع رأسه فامر امير عسكره ان يقيدهم بالاغلال ويطوف بهم حول بيت المقدس وايلياء فطاف بهم سبعين يوما مقيدين فاوحى الله تعالى الى شعياء النبى ان قل لملك بنى اسرآئيل يرسل سنجاريب ومن معه لينذروا من ورآءهم وليكرمهم ويحملهم حتى يبلغوا بلادهم فبلغ شعياء الملك ذلك ففعل فخرج سنجاريب ومن معه حتى قدموا بابل فلبث سنجاريب بعد ذلك سبع سنين ثم مات واستخلف بخت نصر ابن ابنه ثم قبض الله تعالى ملك بنى اسرآئيل صديقة فمرج امر بنى اسرآئيل وتنازعوا الملك حتى قتل بعضهم بعضا ونبيهم شعياء معهم لايقبلون منه شيأ فجمعهم يوما وقام فيهم خطيبا بامر الله فالهمه الله تعالى خطبة بليغة ووعظهم وامرهم ونهاهم وحذرهم عقابه تعالى ان اصروا على ماهم عليه فلما فرغ شعياء من مقالته عدوا عليه ليقتلوه فهرب منهم فلقيته

وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف او بدل من واو تتخذوا وذرية بكسر الذال وفيه تذكير بانعام الله تعالى عليهم فى انجاء آبائهم من الغرق بحملهم مع نوح عليه السلام فى السفينة (انه) ان نوحا عليه السلام (كان عبدا شكورا) يحمد الله تعالى على مجامع حالاته وفيه ايماء بان انجاءه ومن معه كان ببركة شكره وحث للذرية على الاقتدآء به وقيل الضمير لموسى عليه الصلاة والسلام (وقضينا الى بنى اسرآئيل) واوحينا اليهم وحيا مقضيا مبتوتا (فى الكتاب) فى التوراة (لتفسدنّ فى الارض) جواب قسم محذوف او قضينا على اجرآء القضاء المبتوت مجرى القسم (مرّتين) افسادتين اولاهما مخالفة احكام التوراة وقتل شعياء وثانيتهما قتل زكريا ويحيى وقصد قتل عيسى عليهم السلام (ولتعلنّ علوّا كبيرا) ولتستكبرنّ عن طاعة الله تعالى او لتظلمنّ الناس

(شجرة)

شجرة فانفلقت له فدخل فيها فادركه الشيطان فاخذ هدبة من ثوبه فاراهم اياها فوضعوا المنشار فى وسطها فنشروها حتى قطعوها وقطعوه فى وسطها واستخلف الله تعالى على بنى اسرآئيل بعد ذلك رجلا منهم يقال له ناشيه ابن اموص وبعث لهم ارميابن حلقيا نبيا وكان من سبط هرون عليه الصلاة والسلام وذكروا انه الخضر واسمه ارميا وسمى خضرا لانه جلس على فروة بيضاء فقام عنها وهى تهتز خضرآء فبعث الله ارميا الى ذلك الملك يسدده ويرشده فعظمت الاحداث فى بنى اسرآئيل وركبوا المعاصى واستحلوا المحارم فاوحى الله تعالى الى ارميا ان ائت قومك من بنى اسرآئيل فاقصص عليهم ماآمرك به وذكرهم نعمتى وعرفهم باحداثهم فقام ارميا فيهم ولم يدر مايقول فألهمه الله عزوجل فى الوقت خطبة بليغة بين لهم فيها ثواب الطاعة وعقاب المعصية وقال فى آخرها عن الله عزوجل وانى حلفت بعزتى لاقيضن لهم فتنة يتحير فيها الحليم ولأسلطن عليهم جبارا قاسيا ألبسه الهيبة وانزع من صدره الرحمة يتبعه عدد مثل سواد الليل المظلم ثم اوحى الله تعالى الى ارمياء انى مهلك بنى اسرآئيل بملك اهل بابل فسلط الله عليهم بخت نصر فقتل علماءهم وحرّق التوراة وخرب المسجد والقى فيه الجيف وسبى سبعين الفا وذهب بهم الى بابل فكانوا بها سبعين سنة ثم لما اراد الله هلاك بخت نصر انبعث فقال لمن بين يديه من بنى اسرآئيل ارأيتم هذا البيت الذى خرّبت والناس الذين قتلت من هم وما هذا البيت قالوا هذا بيت الله وهؤلاء اهله كانوا من ذرارى الانبياء فظلموا وتعدّوا فسلطت عليهم بذنوبهم وقد كان ربهم ورب الخلق اجمعين يكرمهم ويعزهم فلما فعلوا مافعلوا اهلكهم وسلط عليهم غيرهم فاستكبر وظن انه بجبروته فعل ذلك ببنى اسرآئيل قال فاخبرونى كيف بى ان اطلع الى السماء العليا فاقتل من فيها واتخذها ملكا فانى قد عرفت من فى الارض قالوا مايقدر عليها احد من الخلائق قال لتفعلنّ او لاقتلنكم عن آخركم فبكوا وتضرّعوا الى الله فبعث الله عليه بقدرته بعوضة فدخلت منخره حتى عضت بام دماغه فما كان يقرّ ولايسكن حتى يوطأ رأسه على ام دماغه فلما مات شق رأسه فوجد البعوضة عاضة فى ام دماغه ليرى الله تعالى العباد قدرته ونجى الله تعالى من فى يديه من بنى اسرآئيل فردّهم الى الشام فبنوا فيه وكثروا حتى كانوا على احسن ما كانوا عليه ثم انهم لما دخلوا الشام دخلوها وليس معهم عهد من الله تعالى وكانت التوراة قد احرقت وكان عزير من السبايا الذين كانوا ببابل فرجع الى الشام يبكى عليها ليله ونهاره وقد خرج من الناس وهو كذلك اذ اقبل اليه رجل وقال ياعزير مايبكيك فقال ابكى على كتاب الله وعهده الذى كان بين اظهرنا الذى لايصلح دنيانا وآخرتنا غيره قال افتحب ان يردّ اليك مافات قال نعم قال ارجع فصم وتطهر فصام وتطهر وطهر ثيابه ثم عمد الى المكان الذى وعده فجلس فيه فاتاه ذلك الرجل باناء فيه ماء وكان ملكا بعثه الله اليه فسقاه من ذلك الاناء فمثلت التوراة فى صدره فرجع الى بنى اسرآئيل فوضع لهم التوراة فاحبوه حتى لم يحبوا كحبه شيأ قط ثم قبضه الله وجعلت بنو اسرآئيل بعد ذلك يحدثون الاحداث وكلما بعث الله تعالى فيهم الرسل كانوا فريقا يكذبون وفريقا يقتلون حتى كان آخر من بعث الله فيهم من انبيائه زكريا ويحيى وعيسى عليهم الصلاة والسلام وكانوا من بيت آل داود فمات زكريا وقيل قتلوا زكريا ويحيى وقصدوا قتل عيسى عليه الصلاة والسلام ثم انهم اختلفوا فى العباد الذين بعثهم الله على بنى اسرآئيل حتى تعظموا وتكبروا واستحلوا المحارم وسفكوا الدماء الذى هو اوّل الفسادين منهم فقيل بخت نصر وجنوده وقيل هم جالوت وجنوده سلطه الله تعالى عليهم حتى اهلكهم وقهرهم الى ان ردّ الله الكرّة عليهم بتقوية طالوت حين محاربة جالوت فلما التقى العسكران تقدم جالوت وطلب من يقاتله فقتل داود وقيل سنجاريب * قال الامام لا تعلق كثير غرض فى معرفة الاقوام باعيانهم بل المقصود من هذه الآيات بيان ان بنى اسرآئيل افسدوا فى الارض بكثرة المعاصى فسلط الله عليهم قوما قهروهم بالقتل والسبى وتخريب الديار ثم ردّ الله اليهم الدولة وامدهم باموال وبنين ثم افسدوا مرّة ثانية فرجع الله اليهم بالقهر وان عادوا الى الافساد عاد الله اليهم بالقهر والتعذيب

﴿ قوله فجاسوا ﴾ الجوس بفتح الجيم وضمها مصدر جاس يجوس اى فتش وطلب الشئ باستقصاء كما يجوس الرجل الاخبار ويطلبها والخلال هو الانفراج بين الشيئين والديار بيت المقدس ثم انه تعالى لما بين ان افسادهم الاوّل استمرّ الى ان بعث الله اليهم قوما اولى بأس شديد فقهروهم بالقتل والاسر ونحوهما بين على طريق الاستئناف ان ضرر افسادهم وعصيانهم لايتعدى الى غيرهم بقوله ان احسنتم فان حقيقة الحال انكم ان احسنتم واطعتم الله تعالى فنفعة ذلك الاحسان لاترجع الا اليكم وان اسأتم فضرّتها لاتتعدى عنكم الى غيركم روى عن علىّ رضى الله عنه انه

(فاذاجاء وعداولاهما) وعدعقاب اولاهم
(بعثنا عليكم عبادا لنا) بخت نصر عامل
لهراسف على بابل وجنوده وقيل جالوت
الخزرى وقيل سنجاريب من اهل نينوى
(اولى بأس شديد) ذوى قوّة وبطش
فى الحرب شديد (فجاسوا) تردّدوا الطلبكم
وقرئ بالحاء وهما اخوان (خلال الديار)
وسطها للقتل والغارة فقتلوا كبارهم وسبوا
صغارهم وحرّقوا التوراة وخربوا
المسجد والمعتزلة لما منعوا تسليط الله الكافر
على ذلك اوّلوا البعث بالتخلية وعدم المنع
(وكان وعدا مفعولا) وكان وعد عقابهم
لابدّ ان يفعل (ثم رددنا لكم الكرّة) اى
الدولة والغلبة (عليهم) على الذين بعثوا
عليكم وذلك بان ألقى الله فى قلب بهمن بن
اسفنديار لما ورث الملك من جدّه كشاسف
بن لهراسف شفقة عليهم فردّ اسراهم الى
الشام وملك دانيال عليهم فاستولوا على
من كان فيها من اتباع بخت نصر اوبان سلط
داود على جالوت فقتله (وامددناكم باموال
وبنين وجعلناكم اكثر نفيرا) مما كنتم والنفير
من ينفر مع الرجل من قومه وقيل جمع
نفر وهم المجتمعون للذهاب الى العدو
(ان احسنتم احسنتم لانفسكم) لان ثوابها
لها (وان اسأتم فلها) فان وبالها عليها
وانما ذكرها باللام ازدواجا

(فاذاجاء وعد الآخرة) وعد عقوبة المرّة الآخرة (ليسوؤا وجوهكم) اى بعثناهم ليسوؤا وجوهكم اى ليجعلوها بادية

آثار المساءة فيها فحذف لدلالة ذكره اوّلا عليه وقرأ ابن عامر وحمزة وابوبكر ليسوء على التوحيد والضمير فيه للوعد او البعث او لله ويعضده قرآءة الكسائى بالنون وقرئ لنسوءن بالنون والياء والنون المخففة والمثقلة وليسوءن بفتح اللام على الاوجه الاربعة على انه جواب اذا واللام فى قوله (وليدخلوا المسجد) متعلق بمحذوف هو بعثناهم (كما دخلوه اوّل مرّة وليتبروا) ليهلكوا (ماعلوا) ماغلبوه واستولوا عليه او مدّة علوّهم (تتبيرا) وذلك بان سلط الله عليهم الفرس مرّة اخرى فغزاهم ملك بابل من ملوك الطوآئف اسمه جوذرز وقيل خردوس قيل دخل صاحب الجيش مذبح قرابينهم فوجد فيه دما يغلى فسألهم عنه فقالوا دم قربان لم يقبل منا فقال ماصدقونى فقتل عليه ألوفا منهم فلم يهدأ الدم ثم قال ان لم تصدقونى ماتركت منكم احدا فقالوا انه دم يحيى فقال لمثل هذا ينتقم ربكم منكم ثم قال يايحيى قد علم ربى وربك مااصاب قومك من اجلك فاهدأ باذن الله تعالى قبل ان لاابقى احدا منهم فهدأ (عسى ربكم ان يرحمكم) بعد المرّة الاخرى (وان عدتم) نوبة اخرى (عدنا) مرّة ثالثة الى عقوبتكم وقد عادوا بتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم وقصد قتله فعاد الله تعالى بتسليطه عليهم فقتل قريظة واجلى بنى النضير وضرب الجزية على الباقين هذا لهم فى الدنيا (وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا) محبسا لايقدرون على الخروج منها ابد الآباد وقيل بساطا كما يبسط الحصير (ان هذا القرءآن يهدى للتى هى اقوم) للحالة او الطريقة التى هى اقوم الحالات او الطرق (ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا كبيرا) وقرأ حمزة والكسائى ويبشر بالتخفيف (وان الذين لايؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذابا اليما) عطفا على ان لهم اجرا كبيرا والمعنى انه يبشر المؤمنين ببشارتين ثوابهم وعقاب اعدآئهم او على يبشر باضمار يخبر

قال مااحسنت الى احد ولااسأت اليه **﴿قوله فحذف لدلالة ذكره اوّلا﴾** اى حذف جواب اذا وهو قوله بعثناكم لدلالة ماتقدّم عليه وهو قوله بعثنا عليكم عبادا لنا وكذا حذف موصوف الآخرة فان التقدير وعد المرّة الآخرة للعقوبة **﴿قوله اى ليجعلوها بادية آثار المساءة فيها﴾** يعنى ان المساءة وهى الحزن من الاعراض النفسانية القلبية ولاتتعلق بالوجوه الا انها عدّيت الى الوجوه لكون آثارها بادية فيها فانه اذا حصل الفرح فى القلب ظهرت النضرة والاشراق فى الوجه وان حصل الحزن والخوف فى القلب ظهر الكلوح والغبرة والسواد فى الوجه وذلك ان الانسان اذا قوى فرحه انبسط روح قلبه الى الاطراف فاستبشر وجهه واذا قوى غمه يختنق الروح فى داخل قلبه فلايسرى اثره الى الوجه فلاجرم يظهر فيه اثر الارضية والغبرة فساءة الوجه كناية عن الغم الشديد فلهذا عدّيت المساءة الى الوجه فى هذه الآية **﴿قوله وقرئ لنسوءن﴾** على الاوجه الاربعة بنون العظمة وبنون التأكيد المخففة والمثقلة وبياء الغيبة ونون التأكيد واللام مكسورة فى الجميع على انها لام الامر والجملة جواب اذا على انها لام كى لان نون التأكيد لاتدخل على المضارع الا اذا كان فيه معنى الطلب والتمنى والاستفهام والعرض ولكن على حذف الفاء اى فليسوءن لماتقرّر فى النحو من ان الجزآء اذا لم يكن ماضيا بغير قد لفظا او معنى ولم يكن المضارع مثبتا ولامنفيا بلا وجب دخول الفاء فى الجزآء سوآء كان جملة اسمية كقوله تعالى أفان مت فهم الخالدون او امرا كقوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى او نهيا كقوله تعالى فان علمتموهنّ مؤمنات فلاترجعوهنّ الى الكفار اوغير ذلك وقرئ ليسوءن على الاوجه الاربعة بفتح اللام على انها لام القسم وهو جواب القسم المقدّر لفظا وجواب الشرط معنى فلاحاجة الى تقدير جواب ولايجوز حينئذ ان يكون قوله وليدخلوا المسجد معطوفا على ليسوؤا بل يتعلق بمحذوف معطوف عليه تقديره وبعثناهم ليدخلوا وانما اتى بالواو ليعلم انه معطوف على جواب الشرط وبالجملة من جعل اللام الاولى لام كى جعل اللام التى فى قوله وليدخلوا ايضا لام كى معطوفة عليها عطف علة على اخرى ومن جعلها لام امر اولام قسم جعل اللام فى ليدخلوا لام التعليل متعلقة بمحذوف وان جعلت الاولى لام امر يجوز ان تكون الثانية ايضا كذلك وقوله كما دخلوه صفة مصدر محذوف **﴿قوله ماغلبوه﴾** على ان تكون ماموصولة منصوبة المحل على انها مفعول بها اى ليهلكوا الذى علوا وغلبوا عليه وظفروا به وقوله او مدّة علوّهم على ان تكون مامصدرية قائمة مقام الوقت كما فى قولك آتيك خفوق النجم اى زمان خفوقه فيكون عدم ذكر المفعول اما لقصد التعميم او لتنزيل الفعل منزلة اللازم نحو هو يعطى ويمنع وقوله تتبيرا مصدر مؤكد كما فى قوله تعالى وكلم الله موسى تكليما اى حقا لاشك فيه **﴿قوله وذلك بان سلط الله﴾** يعنى بعث العباد اولى البأس الشديد عند افسادهم مرّة ثانية بقتل زكريا ويحيى وقصد قتل عيسى عليهم الصلاة والسلام وقع بان سلط الله عليهم الفرس مرّة اخرى حتى قتلوهم وسبوهم ونفوهم من ديارهم فذلك قوله تعالى ليسوؤا وجوهكم الآية وقوله عسى ربكم من جملة ماقضاه الله تعالى الى بنى اسرآئيل فى التوراة والمعنى لعل ربكم يابنى اسرآئيل ان يرحمكم ويعفو عنكم بعد انتقامه منكم مرّة ثانية ثم عاد الله عليهم برحمته حتى كثروا وانتشروا ثم انهم قد عادوا بتكذيب سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم فعاد الله تعالى عليهم بالتعذيب على ايدى العرب فجرى على بنى النضير وقريظة وبنى قينقاع ويهود خيبر ماجرى من القتل والجلاء ثم الباقون منهم مقهورون بالجزية لاملك لهم ولاسلطان ابدا **﴿قوله محبسا لايقدرون على الخروج منها ابد الآباد﴾** جواب عما يقال ان قوله حصيرا فعيل بمعنى فاعل وقد اجرى على جهنم وهى مؤنث سماعى فينبغى ان يقال حصيرة بالتاء لماتقرّر من ان فعيلا بمعنى فاعل يلزم تأنيثه وبمعنى مفعول يجب تذكيره وما جاء شاذا من النوعين بحسب تأويله * وتقرير الجواب ان جهنم مؤوّل بالسجن والحبس وقيل انها فى معنى الفراش والبساط ويجوز ان يقال تأنيث جهنم مجازى فلذلك ذكر صفته ثم انه تعالى لما شرح معاملته مع عباده المخلصين وهو اسرآء سيد المرسلين وايتاء التوراة لموسى عليهما الصلاة والسلام وبين مافعله فى حق العصاة بتسليط من يعينهم عليهم ويتبين به ان طاعة الله تعالى توجب كل خير ومعصيته توجب كل بلية وقهر لاجرم اثنى على القرءآن فقال ان هذا القرءآن يهدى الآية **﴿قوله التى﴾** صفة لمحذوف اى للطريقة التى هى اقوم الطرق وعدل الى الحذف مع ان الذكر هو الاصل ليذهب ذهن السامع كل مذهب مما يهدى اليه القرءآن من وجوه الخير فان ابهام الموصوف وعدم تعينه بنحو الملة او الطريقة او الحالة او الخصلة يؤدّى الى ان ينتقل الذهن اليها والى مايشاكلها فكانه قيل يهدى لما لايدخل تحت

الوصف والحصر بخلاف مالوذكر واحد من الامور المذكورة فان ذلك يتعين حينئذ وحقيقة اقوم ههنا الزيادة المطلقة كما فى قولنا الله اكبر لان ماهدى اليه القرءآن من الملل والشرآئع لايشاركه سائر الاديان والملل فى اصل الاستقامة حتى يقال حصولها فى هذه الملة اكثر واكمل من حصولها فى غيرها وصف الله تعالى القرءآن بثلاثة اوصاف اولها انه يهدى للتى هى اقوم وثانيها انه يبشر المؤمنين الذين اهتدوا لما هدى اليه القرءآن من الطرق بالاجر الكبير لان من سلك اقوم الطرق لابد ان يفوز باعز المقاصد ولما كان الاجر الكبير مبشرا به وجب ان يكون تقدير قوله تعالى ان لهم اجرا كبيرا بان لهم وحذف حرف الجر من ان وان كثير شائع والصفة الثالثة قوله تعالى وان الذين لايؤمنون فانه ان كان معطوفا على قوله ان لهم اجرا كان المعنى ويبشر المؤمنين بان لاعدآئهم عذابا اليما وان كان معطوفا على يبشر باضمار يخبر يكون المعنى ان هذا القرءآن يهدى للتى هى اقوم ويبشر المؤمنين بكذا ويخبر بان الذين لايؤمنون كذا * فان قيل هذه الآية فى شرح احوال اليهود وهم ماكانوا ينكرون الايمان بالآخرة فكيف يليق بهذا الوصف قوله وان الذين لايؤمنون بالآخرة اعتدنا لهم عذابا اليما * اجيب عنه بوجهين احدهما ان اكثر اليهود ينكرون الثواب والعقاب الجسمانى والثانى انهم يؤمنون بالآخرة على خلاف ماهى عليه كقولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودات فمثل هذا القول ليس ايمانا بحقيقة الآخرة ثم انه تعالى لما بين شأن القرءآن وكونه مدارا لمنافع الدارين بين ان الانسان قد يعدل عن التمسك بشرآئعه والرجوع الى بيانه ويقدم على مالا فائدة له فيه فقال ويدع الانسان بالشر والباء فى الموضعين متعلقة بالدعاء اى يدعوالله عند غضبه بما يعلم انه شر او بما يحسب انه خير وهو شر له مثل دعائه بما هو خير فى نفسه وفى علمه والقياس ان تثبت واو يدعو لانه فى موضع الرفع الا انه لما وجب سقوطها لفظا لاجتماع الساكنين اسقطت فى الخط ايضا على خلاف القياس ونظيره سندع الزبانية وسوف يؤت الله المؤمنين **قوله** صبرا اى مصبورا يقال قتل فلان صبرا اذا حبس على القتل حتى يقتل **قوله** تدلان على القادر الحكيم لما قال يهدى للتى هى اقوم وكان اقوم الاحوال المتعلقة بالاعتقاد الاعتقاد بان هذا العالم لابد له من صانع قادر حكيم ذكر مايكون هاديا ودليلا يؤدى الى هذا الاعتقاد **قوله** مبصرة لما كان الابصار عبارة عن ادراك الشئ بحاسة البصر وذلك لايتصور فى النهار جعل الابصار مجازا عن الاضاءة على طريق اطلاق اسم المسبب على السبب من حيث ان الاضاءة سبب لحصول الابصار ويجوز ان يكون بناء ابصرته لتعدية بصر يقال بصرت بالشئ اذا علمته قال تعالى بصرت بما لم يبصروا به فلا يكون ابصرت الشئ بمعنى رأيته بل بمعنى بصرت به وعرفته فيكون اسناد الابصار الى النهار من قبيل اسناد الحكم الى سببه **قوله** اومبصرا اهله على ان يكون تركيب ابصر الرجل لاسناد الفعل الى فاعله والمراد اسناده الى من يلابس ذلك الفاعل كما يقال اضعف الرجل اذا ضعفت ماشيته واجبن الرجل اذا كان اهله جبناء فقولك ابصر النهار معناه ابصر اهله وهذا على تقدير ان يكون المعنى وجعلنا نفس الليل والنهار آيتين وقيل ليس المراد بالآيتين نفس الليل والنهار بل مافيهما من النيرين الشمس والقمر على حذف المضاف امامن الاول فالتقدير وجعلنا نيرى الليل والنهار آيتين واما من الثانى فالتقدير وجعلنا الليل والنهار ذوى آيتين فعلى هذا لاتكون اضافة آية الليل وآية النهار بيانية بل تكون بمعنى اللام وقوله تعالى وكل شئ فصلناه منصوب على الاشتغال ورجح نصبه لتقدم جملة فعلية وكذلك وكل انسان ألزمناه وذكر المصدر وهو قوله تفصيلا لاجل تأكيد الكلام وتحقيقه كانه قيل فصلناه حقا واليه اشار المصنف بقوله بيانا غير ملتبس لما بين الله تعالى من اول السورة الى هنا ان سعادة الانسان دائرة على طاعة الرحمن وشقاوته منوطة بالعصيان وبين ايضا علو شأن القرءآن وانحطاط شأن الانسان وان من جملة ما فى القرءآن من البيان بيان ان الليل والنهار آيتان اتبعه بقوله وكل شئ فصلناه تفصيلا ثم صرح بان من جملة مابينه الله تعالى ان كل ماقدره الله تعالى على الانسان وحكم به عليه فى سابق علمه لازم له يجب حصوله له ويمتنع زواله عنه فقال وكل انسان الزمناه طائره اى عمله وسائر ماقدر له من السعادة والشقاوة والرزق والمصائب وكونه طويل العمر اوقصيره سليم الاعضاء اومعيبها ونحوذلك **قوله** كانه طير اليه من عش الغيب ووكر القدر اشارة الى ان الطائر مستعار لتعذر حمله على الحقيقة لان المقدر لايطير حقيقة فى وصوله الى الانسان من المقر الاصلى فكما ان الطائر الحقيقى يأتى الى كل مايأتى اليه منتقلا من عشه ووكره فكذلك الحوادث تنتهى الى الانسان بعد ثبوتها فى علم الله تعالى وعالم الغيب ووكر الطائر ماكان من شجر اوجبل

(ويدع الانسان بالشر) ويدع الله تعالى عند غضبه بالشر على نفسه واهله وماله اويدعوه بما يحسبه خيرا وهو شر (دعاءه بالخير) مثل دعائه بالخير (وكان الانسان عجولا) يسارع الى كل مايخطر بباله لاينظر عاقبته وقيل المراد آدم عليه السلام فانه لما انتهى الروح الى سرته ذهب لينهض فسقط روى انه عليه السلام دفع اسيرا الى سودة بنت زمعة فرحمته لانينه فارخت اكتافه فهرب فدعا عليها بقطع اليد ثم ندم فقال عليه السلام اللهم انما انا بشر فمن دعوت عليه فاجعل دعائى رحمة له فنزلت ويجوز ان يريد بالانسان الكافر وبالدعاء استعجاله بالعذاب استهزاء كقول النضر بن الحارث اللهم انصر خير الحزبين اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الآية فاجيب له فضرب عنقه يوم بدر صبرا (وجعلنا الليل والنهار آيتين) تدلان على القادر الحكيم بتعاقبهما على نسق واحد بامكان غيره (فمحونا آية الليل) اى الآية التى هى الليل بالاشراق والاضافة فيها للتبيين كاضافة العدد الى المعدود (وجعلنا آية النهار مبصرة) مضيئة اومبصرة للناس من ابصره فبصر اومبصرا اهله كقولهم اجبن الرجل اذا كان اهله جبناء وقيل الآيتان القمر والشمس وتقدير الكلام وجعلنا نيرى الليل والنهار آيتين اوجعلنا الليل والنهار ذوى آيتين ومحو آية الليل التى هى القمر جعلها مظلمة فى نفسها مطموسة النور اونقص نورها شيأ فشيأ الى المحاق وجعل آية النهار التى هى الشمس مبصرة جعلها ذات شعاع تبصر الاشياء بضوئها (لتبتغوا فضلا من ربكم) لتطلبوا فى بياض النهار اسباب معاشكم وتتوصلوا به الى استبانة اعمالكم (ولتعلموا) باختلافهما او بحركتهما (عدد السنين والحساب) وجنس الحساب (وكل شئ) تفتقرون اليه فى امر الدين والدنيا (فصلناه تفصيلا) بيناه بيانا غير ملتبس (وكل انسان ألزمناه طائره) عمله وماقدر له كانه طير اليه من عش الغيب ووكر القدر

وعش الطائر موضعه الذى يجمعه من دقاق العيدان وغيرها فى افنان الشجر فاذا كان فى جبل او جدار او نحوهما فهو وكر والاضافة فى قوله عش الغيب ووكر القدر بيانية والقضاء هو الارادة الازلية المقتضية لنظام الموجودات على ترتيب خاص والقدر تعلق تلك الارادة بالاشياء فى اوقاتها استعير العش والوكر لعالم الغيب والتقدير العلى ﴿قوله لما كانوا يتيمنون ويتشاءمون﴾ اى لما جعلوا الطائر سببا للخير والشر واسندوهما اليه باعتبار سنوحه وبروحه استعير الطائر لما كان سببا لهما وهو قدر الله وقسمته وعمل العبد فكانا سببى الخير والشر وسنوح الطائر عبارة عن مروره عن مياسر الانسان الى ميامنه وبروحه عبارة عن ضد ذلك كانوا يتيمنون بالاول ويتشاءمون بالثانى شبه المصنف المقدرات من حيث كونها سبب الخير والشر المكتسب والتقدير الازلى بالطائر على زعم العرب وجعل هذا التشبيه طريقا لاطلاق اسم الطائر عليهما بعدما اشار الى تحقق المشابهة بين الاعمال والطائر من وجه آخر وهو المجيئ من المقر الاصلى ﴿لزوم الطوق فى عنقه﴾ الظاهر ان ليس المراد تقدير متعلق قوله فى عنقه لان اللزوم والالزام لايتعديان بكلمة فى بل المقصود الايماء الى ان قوله فى عنقه جيئ به بعد تمام الكلام بقوله الزمناه طائره للدلالة على كمال الالزام بحيث لاسبيل الى ان ينفك عنه ماقدر له من الخير والشر اصلا فانه اذا قصدت المبالغة فى الزام الشيئ لاحد يقال جعلت هذا الشيئ فى عنقك اى قلدتك اياه والزمتك حفظه لان من عظمت رغبته فى حفظ الشيئ يربطه على عنقه ويجعله فى موضع القلادة قال اهل المعانى انما خص العنق من بين سائر الاعضاء بكونه محل الالزام لان ماعلق عليه يكون الزم بالشخص لان الذى عليه اما خير يزينه او شر يشينه وما يزين يكون كالطوق والحلى ومايشين يكون كالغل وكل واحد منهما مما يلازم صاحبه وانا اقول كان الظاهر ان يقال الزمناه عنقه بالنصب على انه بدل من مفعول الزمناه الا انه جيئ بكلمة فى للدلالة على كمال الالزام حتى كان الطائر شيئ حال فى عنقه لا امر معلق عليه ﴿قوله ونصبه﴾ اى ونصب كتاب يحتمل ان يكون على انه حال من مفعول به اى اخرج بنون العظمة مضارع اخرج ويحتمل ان يكون على انه حال من المفعول المحذوف والتقدير ونخرجه له كتابا اى نخرج الطائر ويعضده قرآءة ويخرج بضم الياء وفتح الرآء اى يخرج الطائر كتابا قال الحسن يا ابن آدم بسطت لك صحيفة ووكل بك ملكان فهما عن يمينك وعن شمالك فاما الذى عن يمينك فيحفظ حسناتك واما الذى عن شمالك فيحفظ سيئاتك حتى اذا مت طويت صحيفتك وجعلت معك فى قبرك حتى تخرج لك يوم القيامة فعلى هذا قوله تعالى ونخرج له يوم القيامة معناه نخرج من قبره ﴿قوله من لقيته كذا﴾ وهو منقول بتضعيف العين من لقيت الشيئ فيتعدى الى اثنين قال تعالى ولقاهم نضرة وسرورا ﴿قوله اى كفى نفسك﴾ فعلى هذا ينبغى ان يؤنث الفعل لتأنيث فاعله كما فى قوله وماتأتيهم من آية الا انه ذكر لكونه مسندا الى ظاهر المؤنث الغير الحقيق وفى مثله يجوز الامران وقوله لكشف الغطاء هذا على ان يكون المراد بالكتاب المخرج له يوم القيامة نفسه المنتقشة بظاهر اعماله فان كل عمل يصدر من الانسان كثيرا كان او قليلا قويا كان او ضعيفا فانه يحصل بسببه فى جوهر النفس الانسانية اثر مخصوص فان كان ذلك الاثر اثرا يجذب الروح من حضرة الحق الى الاشتغال بالخلق كان ذلك من موجبات الشقاوة والخذلان وان كان يجذبه الى التبتل والانقطاع اليه تعالى كان موجبا للسعادة والايقان الا ان تلك الآثار تخفى مادام الروح متعلقا بالبدن لان اشتغال الروح بتدبير البدن يمنع من انكشاف هذه الاحوال وظهورها واذا انقطع تعلق الروح عن تدبير البدن وتخلص عن كونه محتجبا بحجاب البدن فحينئذ زال الغطاء وانكشف الحجاب فيخرج من عمق البدن المظلم حال كونه كتابا منتقشا بالاعمال الصادرة فى الدنيا ويكون هذا الكتاب فى هذا الوقت كانه منشور بعد ان كان مطويا مغمورا فى ظلمة البدن وعند ذلك تشاهد القوة العقلية جميع تلك الاشياء مكتوبة بالكتابة الذاتية فى جوهر الروح فيقال له فى تلك الحالة اقرأ كتابك ثم يقال له كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا فان كانت تلك الآثار من موجبات الشقاوة حصلت الشقاوة لامحالة * واعلم انه تعالى جعل كل مايصدر من العبد باختياره من قول وفعل ولحة وفكرة ونحو ذلك مما تعلق به الارادة الازلية والعناية الالهية كالطير الذى يطير اليه وذلك لانه تعالى قدر لكل احد فى الازل مقدارا من الخير والشر فذلك الحكم الذى سبق فى علمه الازلى لابد وان يصل اليه هو ذلك الطائر فعند ذلك عرف ان الكفاية الابدية لاتتم الا بالعناية الازلية والارادة السابقة ثم ان كل طائر وصل اليه من عالم الغيب محفوظ فى صحيفة عمله ومنتقش منه اثر فى جوهر روحه يلقى اليه ذلك الكتاب منشورا ويجازى على حسب مافى كتابه ثم انه تعالى بين ان ثواب العمل

لما كانوا يتيمنون ويتشاءمون بسنوح الطائر وبروحه استعير لما هو سبب الخير والشر من قدر الله وعمل العبد (فى عنقه) لزوم الطوق فى عنقه (ونخرج له يوم القيامة كتابا) هى صحيفة عمله اونفسه المنتقشة بآثار اعماله فان الافعال الاختيارية تحدث فى النفس احوالا ولذلك يفيد تكريرها لها ملكات ونصبه بانه مفعول او حال من مفعول محذوف هو ضمير الطائر ويعضده قرآءة يعقوب ويخرج من خرج يخرج وقرئ ويخرج اى الله تعالى (يلقاه منشورا) لكشف الغطاء وهما صفتان للكتاب او يلقاه صفة ومنشورا حال من مفعوله وقرأ ابن عامر يلقاه على البناء للمفعول من لقيته كذا (اقرأ كتابك) على ارادة القول (كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا) اى كفى نفسك والباء مزيدة وحسيبا تمييز وعلى صلته لانه اما بمعنى الحاسب كالصريم بمعنى الصارم وضريب القداح بمعنى ضاربها من حسب عليه كذا او بمعنى الكافى فوضع موضع الشهيد لانه يكفى المدعى مااهمه وتذكيره على ان الحساب والشهادة مما يتولاه الرجال اوعلى تأويل النفس بالشخص

(الصالح)

الصالح وعقاب العمل السيء يختص بفاعله لايتعدى منه الى غيره فقال من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها ثم قرر ذلك بقوله ولاتزر وازرة وزر اخرى قال الزجاج وزر يزر وزرا فهو وازر ومعناه اثم يأثم عن ابن عباس ان الوليد بن المغيرة قال اتبعونى وانا احمل اوزاركم فقال تعالى ولاتزر وازرة وزر اخرى ثم انه تعالى لما بين انه لايعذب احدا بما يعلم منه من اختياره المعاصى واتباعه الشهوات ما لم يعمل به اى لايجعل علمه حجة على من علم منه انه اذا امره عصاه بل يبعث اليه رسولا يمهد له الشرآئع فاذا خالف ما امر به من الطاعة وظهر عصيانه للناس فحينئذ يعذبه لانه تعالى الزم عليهم الحجة ببعثة الرسل ولم يبق للناس على الله حجة بعد بعثهم قال تعالى ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك من قبل ان نذل ونخزى حيث قال ههنا وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا يلزمهم الحجة بين طريق تعذيبه من قضى عليه الشقاوة فى الازل وعلم منه اختيار الضلالة فقال واذا اردنا ان نهلك قرية اى قضى الله تعالى باهلاكها لعلمه بان اهلها يختارون الضلالة على الهدى فان الحوادث كلها مسبوقة بقضاء الله تعالى وقدره والقضاء عبارة عن الارادة الازلية والسعادة الالهية المقتضية لنظام الموجودات على ترتيب خاص والقدر عبارة عن تعلق تلك الارادة بالاشياء فى اوقاتها لانفاذ القضاء السابق امرنا مترفيها اى عظماءها الذين ابطرتهم النعمة وسعة العيش بطاعة الرسول الذى بعث اليهم حتى اذا عصوه عنادا ومكابرة فعند ذلك يهلكون ولايهلكون بمجرد علمنا بانهم لايقدمون الاعلى المعصية ولايختارون اومتابعة الهوى والشهوة فمعنى الآية اذا اردنا امضاء ماسبق من القضاء باهلاك قوم امرنا المتنعمين المغترين الظانين ان اموالهم واولادهم وانصارهم ترد عنهم بأسنا بالايمان والعمل بشرآئع دينى على مابلغهم عنى رسولى ففسقوا اى خرجوا عما امرهم الله تعالى فاستحقوا العذاب فحينئذ يحق عليهم القضاء السابق باهلاكهم لظهور معاصيهم فحينئذ ندمرها والحاصل ان المعنى واذا اردنا ان نهلك قرية بسبب علمنا بانهم لايقدمون الاعلى المعصية لم نكتف فى تحقيق ذلك الاهلاك بمجرد ذلك العلم بل امرنا مترفيها ففسقوا واذا ظهر منهم ذلك الفسق فحينئذ نوقع العذاب الموعود به وهذا كالتقرير لقوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وقوله وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث فى امها رسولا وقوله وما كان ربك مهلك القرى بظلم واهلها غافلون فلما حكم الله تعالى فى هذه الآيات انه لايهلك قرية حتى يخالفوا امر الله لاجرم ذكر ههنا انه يأمرهم فاذا خالفوا الامر فعند ذلك استوجبوا العذاب والاهلاك المعبر عنه بقوله فحق عليها القول فدمرناها تدميرا اى اهلكناها هلاك الاستئصال والدمار هلاك الاستئصال فقول المصنف لانفاذ قضائنا السابق اشارة الى دفع مايقال انه تعالى كيف يريد اهلاك قوم ابتداء اى من غير ان يسبق منهم مايستحقون الاهلاك بسببه مع انه تعالى قال ان الله لايغير مابقوم حتى يغيروا ما بانفسهم وقال وما كنا مهلكى القرى الا واهلها ظالمون ثم اشار الى دفعه بوجه آخر وهو ان المراد بارادة اهلاكها دنو وقت هلاكها تشبيها لدنو وقت الشيء بارادته فى كونه كالسبب المؤدى اليه كما يقال اذا اراد المريض ان يموت ازداد مرضه شدة واذا اراد التاجر ان يفتقر اتاه الخسران من كل جهة وليس المراد ان المريض يريد ان يموت حقيقة والتاجر يريد ان يفتقر حقيقة بل الارادة مجاز عن دنو الوقت لكونه كالارادة فى التأدى الى الموت والفقر فكذلك الحال ههنا **﴿قوله ويدل على ذلك ماقبله ومابعده﴾** يعنى انه تعالى قال امرنا مترفيها ولم يصرح بما ذا يأمرهم فاختلف العلماء فى ان المأمور به ماهو فذهب اكثر المفسرين الى ان المراد به الطاعة وذهب صاحب الكشاف الى ان المراد به الفسق وان المعنى امرناهم بالفسق ففسقوا وجعل امرهم بالفسق مجازا عن ان يصب عليهم انواع النعمة صبا ويجعلوها ذريعة الى المعاصى واتباع الشهوات فصاروا بذلك كانهم مأمورون بالفسق والافلا وجه لامرهم بالفسق حقيقة بان يقال لهم افسقوا وشدد النكر على من جعل المعنى امرناهم بالطاعة ففسقوا وقال انه تقدير شيء لادليل عليه مع الاعراض عن تقدير مايدل عليه الدليل فان قوله تعالى امرنا مترفيها ففسقوا فيها يدل على ان المعنى امرناهم بالفسق ففسقوا فانه اذا قيل امرته فقام وامرته فقرأ فهم منه ان المأمور به قيام اوقرآءة فكذا فيما نحن فيه لايفهم الا ان المأمور به هو الفسق لاامر آخر فتقدير الطاعة تقدير شيء لادليل عليه مع العدول عما يقتضيه الدليل ومنع المصنف كونه تقديرا بلا دليل حيث قال ان مابعده وماقبله يدل على ان المقدر هو الطاعة اما دلالة مابعده عليه فلان الفسق هو الخروج عن الطاعة الخ واما دلالة ماقبله عليه فلان الرسول انما يبعث ليطاع ويعمل بالشرآئع التى يبلغها

(من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فا...
يضل عليها) لاينجى اهتدآؤه غيره ولا يرد...
ضلاله سواه (ولاتزر وازرة وزرا اخرى...
ولاتحمل نفس حاملة وزرا وزر نفس اخر...
بل انما تحمل وزرها (وما كنا معذبين حتى
نبعث رسولا) يبين الحجج ويمهد الشرآ...
فيلزمهم الحجة وفيه دليل على ان لاوجوب قب...
الشرع (واذا اردنا ان نهلك قرية) وا...
تعلقت ارادتنا باهلاك قوم لانفاذ قضا...
السابق اودنا وقته المقدر كقولهم اذا ار...
المريض ان يموت ازداد مرضه شدة (امر...
مترفيها) متنعميها بالطاعة على لسان رسو...
بعثناه اليهم ويدل على ذلك ماقبله و مابعد...
فان الفسق هو الخروج عن الطاعة و التمر...
فى العصيان فيدل على الطاعة من طري...
المقابلة وقيل امرناهم بالفسق لقوله

الرسول عن الله تعالى اليهم فيطيعوا ربهم فيما امرهم به فيدل ذلك دلالة ظاهرة على ان المعنى امرنا مترفيها بان يطيعوا الرسول الذي بعث اليهم ﴿**قوله** او التسبب له﴾ لامعنى لكلمة او ههنا لان الحمل على الفسق لامحل له سوى السببية ﴿**قوله** وقيل معناه كثرنا﴾ قرأ الجمهور امرنا بالتخفيف والقصر وفيه وجهان احدهما انه من الامر الذي هو ضدّ النهي وقدمرّ ماتعلق بهذا الوجه وثانيهما ان امرنا بمعنى كثرنا قال الواحدي العرب تقول امر القوم اذا كثروا وامرهم الله اذا كثرهم وآمرهم ايضا بالمدّ لان امر الثلاثي يستعمل لازما بمعنى كثر ويستعمل ايضا متعديا بمعنى آمر بالمدّ اي كثر واستعمل في الآية متعديا فيكون فعل وافعل بمعنى وهو معنى قول المصنف يقال امرت الشيء وآمرته فامر اذا كثرته واستدل على استعمال الثلاثي متعديا بقوله عليه الصلاة والسلام * خير المال سكة مأبورة ومهرة مأمورة * اي مكثرة كثر الله ولدها فلولا ان الثلاثي متعدّ لمابنى منه اسم المفعول وقرئ امرنا بكسر الميم بمعنى امرنا بالفتح روي عن ابي عبيدة امره الله وامره بفتح الميم وكسرها وقرئ آمرنا بالمدّ والهمزة فيه للتعدية * حكى الجوهري عن ابي عبيدة ان آمرته بالمدّ وامرته لغتان بمعنى كثرته ومنه الحديث * خير المال سكة مأبورة ومهرة مأمورة * اي كثيرة النتاج والنسل وامر هو اي كثر فخرج على تقدير قولهم علم فلان ذلك واعلمته اياه ذلك قال يعقوب ولم يقله احد غيره قال الحسن امر ماله بالكسر اي كثر وامر القوم اي كثروا وآمر الله ماله بالمدّ وانما قيل مهرة مامورة للازدواج والاصل مؤمرة على مفعلة كما قال عليه الصلاة والسلام للنساء * ارجعن مأزورات غير مأجورات * وانما هو موزورات من الوزر فقيل مأزورات للازدواج بقوله مأجورات وقرئ ايضا امّرنا بالتشديد وفيه وجهان احدهما ان يكون التضعيف للتعدية عدّى الفعل تارة بالهمزة واخرى بتضعيف العين والثاني ان يكون بمعنى جعلناهم امرآء في الصحاح امر فلان وامر ايضا بالضم اي صار اميرا والمصدر الامرة بالكسر والامارة والمهر ولد الفرس والجمع امهار ومهار والانثى مهرة والجمع مهر ومهرات وفرس ممهر اي ذات مهر والسكة الطريقة المصطفة من النخل وسكة مأبورة اي ملقحة يقال ابر فلان نخله اي لقحه واصلحه وتأبير النخل تلقيحه ﴿**قوله** وهو ايضا مجاز من معنى الطلب﴾ اي كما ان امرناهم بالفسق مجاز من الحمل عليه او التسبب له فكذا امرناهم بمعنى كثرناهم ايضا مجاز من قبيل اطلاق مايدل على السبب وارادة المسبب فانك اذا قلت امر الله المهرة وامر الله المترفين واردت معنى كثرهم فقد استعملت الامر الذي هو ضدّ النهي في لازم معناه فانه تعالى اذا قال للمهرة كوني كثيرة النتاج اوقال للمترفين كونوا كثيري الاعوان والاموال والعدد والعدد تكون كثرتهم لازمة له متفرّعة عليه لامحالة ﴿**قوله** بحلوله او بظهور معاصيهم﴾ الاوّل على ان يكون قوله فحق عليها القول لتفريع الحكم على السبب المؤدي اليه والثاني على ان يكون التركيب من قبيل قولك اطعمته فاشبعته وسقيته فارويته فان الاشباع ليس حكما متفرّعا على الاطعام وكذا الارواء ليس امرا مغايرا للسقي فان كلمة الفاء في مثلهما لتفسير ماقبلها وتبيينه فيكون تحقق كلمة العذاب السابقة عبارة عن ظهور فسقهم ومعاصيهم الثابتة في العلم الازلي والقضاء السابق وهذا على ان يكون امرنا من الامر الذي هو ضدّ النهي وان كان بمعنى كثرنا يكون قوله فحق عليها القول بيانا لانهما كهم في المعاصي لان تكثير المترفين وتسليطهم على الضعفاء وتفريع الفسق عليه يستلزم انهماك الجميع في الفسق ثم انه تعالى لما بين طريق اهلاك قوم يستحقون الاهلاك على ظهور معصيتهم الثابتة في العلم الازلي بين ان الاهلاك على الطريق المذكور كان عادته مع الذين فسقوا وتمرّدوا من القرون الذين كانوا بعد نوح عليه الصلاة والسلام تخويفا لكفار مكة فقال وكم اهلكنا الآية فقوله كم منصوب باهلكنا ومن القرون تمييز لكم ومن في من بعد نوح لابتداء الغاية ولما اختلف معناهما جاز اتحاد متعلقهما والقرن مائة وعشرون سنة وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في اوّل قرن آخره يزيد بن معاوية وقيل مائة سنة وقيل ثمانون سنة وقيل اربعون ﴿**قوله** بذنوب عباده﴾ متعلق بخبيرا قدّم على عامله والخبير هو الذي لاتعزب عنه الاخبار الباطنة فلايجري في الملك والملكوت شيء ولاتتحرك ذرّة ولاتسكن ولاتضطرب نفس ولاتطمئنّ الا ويكون عنده خبره وهو بمعنى العليم لكن العلم القديم اذا اضيف الى الخفايا الباطنة سمي خبرا وصاحبه خبيرا كذا في المقصد الاقصى للغزالي رحمه الله ولما كان متعلق الخبير بواطن الامور ومتعلق البصير ظواهرها قدّم الخبير على البصير لكون البواطن مقدّمة بالشرف على الظواهر ﴿**قوله** مقصورا عليها همه﴾ انما قيده به لقوله تعالى ثم جعلنا له جهنم ومن المعلوم ان من يريد الدنيا

(فسقوا فيها) كقولك امرته فقرأ فانه لايفهم منه الا الامر بالقرآة على ان الامر مجاز من الحمل عليه او التسبب له بان صب عليهم من النعم ماابطرهم وافضى بهم الى الفسوق ويحتمل ان لايكون له مفعول منوي كقولهم امرته فعصاني وقيل معناه كثرنا يقال امرت الشيء وآمرته فامر اذا كثرته وفي الحديث خير المال سكة مأبورة ومهرة مأمورة اي كثيرة النتاج وهو ايضا مجاز من معنى الطلب ويؤيده قرآءة يعقوب آمرنا ورواية امّرنا عن ابي عمرو ويحتمل ان يكون منقولا من امر بالضم امارة اي جعلناهم امرآء وتخصيص المترفين لان غيرهم يتبعهم ولانهم اسرع الى الحماقة واقدر على الفجور (فحق عليها القول) يعني كلمة العذاب السابقة بحلوله او بظهور معاصيهم او بانهماكهم في المعاصي (فدمرناها تدميرا) اهلكناها باهلاك اهلها وتخريب ديارهم (وكم اهلكنا) وكثيرا اهلكنا (من القرون) بيان لكم وتمييز له (من بعد نوح) كعاد وثمود (وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا) يدرك بواطنها وظواهرها فيعاقب عليها وتقديم الخبير لتقدّم متعلقه (من كان يريد العاجلة) مقصورا عليها همه (عجلنا له فيها مانشاء لمن نريد) قيد المعجل والمعجل له بالمشيئة والارادة لانه لايجد كل متمنّ ماتمناه ولاكل واحد جميع مايهواه وليعلم ان الامر بالمشيئة والهم فضل ولمن نريد بدل من له بدل البعض

والآخرة معا لايكون حكمه كذلك ومن فى من كان شرطية وعجلنا جوابها ومانشاء مفعوله ولمن نريد بدل بعض من كل من ضميرله باعادة العامل تقديره لمن نريد تعجيله له وقوله تعالى ثم جعلناله جهنم جعل هنا بمعنى صير ومفعولاه له جهنم لانعقاد الجملة منهما وقيل ثانيهما محذوف اى مصيرا اومأوى ويصلاها اى يدخلها حال امامن الضمير فى قوله له واما من جهنم ومذموما حال من فاعل يصلاها ﴿قوله وقيل الآية فى المنافقين﴾ فيكون المعنى من كان يريد العاجلة بعمل الآخرة كالجهاد والصوم والصلاة وهو معطوف من حيث المعنى على قوله مقصورا عليها همه فانه يتناول المنافق والكافر المجاهر والمراد بالعاجلة الدنيا لانها تكون قبل الآخرة قبل هذه الآية مرتبطة بقوله تعالى وكل انسان ألزمناه طائره اى ما قدرله وماطيراليه من عش الغيب بين اوّلا ان ماقدرله من الاعمال يصدر منه ثم بين ان ذلك العمل محفوظ يلقاه مكشوفا يوم القيامة فهو يجازى على حسب عمله وبين هاهنا ان العامل فى الدنيا قسمان منهم من يريد بعمله الدنيا ويقصر همه عليها فحاله انا نعجل القدر الذى نشاء تعجيله فى الدنيا لا القدر الذى يشاؤه العامل لمن نريد ان نعجل له شيأ فيها الا ان عاقبته جهنم ندخله فيها فيصلى عينها مذموما اى ملوما مدحورا اى منفيا مطرودا من رحمة الله تعالى اشار الله به الى ان عقوبة من قصر همه على الدنيا مضرّة مقرونة بالذم الى المضرّة العظيمة وقوله مذموما اشارة الى اقترانها بالذم والاهانة وان تلك المضرّة دائمة خالية عن شوب المنفعة فقوله ثم جعلناله جهنم يصلاها اشارة الى المضرّة العظيمة وقوله مذموما اشارة الى اقترانها بالذم والاهانة وقوله مدحورا اشارة الى البعد والطرد من رحمة الله تعالى وذلك يستلزم ان تكون تلك المضرّة خالية عن شوب النفع والرحمة لكونها دائمة غير مبدلة بالخلاص والراحة ﴿قوله حقهامن السعى﴾ اشارة الى ان قوله سعيها مفعول مطلق مبين للنوع وهذا المعنى مستفاد من اضافة السعى الى ضمير الآخرة وعبدة الاوثان وان كانوا يزعمون انهم انما يسعون فيما عملوه طلبا لمنافع الآخرة ويقولون اله العالم اجل واعظم من ان يقدر الواحد منا على اظهار عبوديته وخدمته بل غاية قدرتنا ان نشتغل بعبادة بعض المقربين من عباد الله كالملك والكوكب ونحوهما ثم ان ذلك المقرّب يشتغل بعبادة الله تعالى فانهم لايتقربون الى الله تعالى بهذا الطريق بل هو تقرّب بما يخترعون بآرائهم الفاسدة واللام فى لها لام العلة اى سعى لاجل الآخرة وهو يدل على ان الساعى انما يثاب على سعيه اذا كان سعيه مقرونا بالنية والاخلاص وحاصل الآية ان القسم الثانى من العمال تحقق فيه اربعة امور احدها ان يريد الآخرة اى يريد ثوابها ومنافعها ولايقصر همه على الدنيا وثانيها ان يسعى سعيا يليق بالآخرة وثالثها ان يكون سعيه مقرونا بالنية والاخلاص لاكن هاجر الى المدينة لاجل ان يتزوّج بام قيس ولاكن هاجر لاجل ان ينال منفعة الدنيا والآخرة ورابعها ان تكون هذه الامور المذكورة مسبوقة بالايمان الصحيح فعند اجتماع هذه الشرائط يكون السعى مشكورا والعمل مبرورا وشكر العبد عبارة عن ان يجعل جوارحه ولسانه مشغولا بالافعال الدالة على تعظيم المنعم وكونه معظما عند ذلك الشاكر كما قيل

﴿ افادتكم النعماء منى ثلاثة ﴿ يدى ولسانى والضمير المحجبا ﴾

والله تعالى يعامل المطيعين بهذه الامور الثلاثة فانه تعالى عالم بكونهم محسنين فى تلك الاعمال وانه يثنى عليهم بكلامه القديم وانه تعالى يعاملهم بمعاملات دالة على كونهم مطيعين عند الله ولما اتصف الله بهذه الامور الثلاثة بالنسبة الى المؤمن المطيع وصف نفسه تعالى بانه شاكر وجعل المؤمن مشكورا على طاعته من قبل الله تعالى ثم انه تعالى لما بين ان من يريد العاجلة يعجل له فيها القدر الذى شاء الله تعجيله ومن يريد الآخرة يثاب على سعيه وطاعته بين ان كل واحد من الفريقين يعطى ماقسم له من الاموال والاولاد ونحوهما مماينتفع به فى الدنيا على وجه يكون آنفه مددا لسالفه ولايحرم من العاجلة من اراد الآخرة وان كان يحرم من الآخرة من قصر همه على العاجلة فان العطايا الدنيوية لاتمنع عن احد مؤمنا كان او كافرا لان الكل مخلوق فى دار التكليف والعمل فوجب ازاحة القدر وازالة العلة عن الكل بايصال متاع الدنيا الى الكل على القدر الذى تقتضيه الحكمة ثم انه تعالى امره عليه الصلاة والسلام بان ينظر ويرى تفاوت اهل الدنيا فى متاعها ويعلم ان تفاوت درجات الآخرة ودركاتها وتفاوت اهلها فيها اكثر من تفاوت اسباب الدنيا وتفاوت اهلها فيها فان نسبة التفاوت فى درجات منافع الآخرة ودركات عقابها الى التفاوت فى امور الدنيا كنسبة نفس الآخرة الى نفس الدنيا ثم انه تعالى لما بين ان سعادة الآخرة منوطة بارادة الآخرة بان يسعى سعيا موافقا لطلب الآخرة وبان يكون مؤمنا شرع فى تفصيل هذه الامور

وقرئ مايشاء والضمير فيه لله تعالى حـ
يطابق المشهورة وقيل لمن فيكون مخصوص
بمن ارادالله تعالى به ذلك وقيل الآ
فى المنافقين كانوا يراؤن المسلمين ويغزون مع
ولم يكن غرضهم الامساهمتهم فى الغنا
ونحوها (ثم جعلناله جهنم يصلاها مذمو
مدحورا) مطرودا من رحمة الله تعا
(ومن ارادالآخرة وسعى لها سعيها) حقها م
السعى وهو الاتيان بما امربه والانتهاء عمانه
عنه لا التقرب بما يخترعون بآرائهم وفا
اللام اعتبار النية والاخلاص (وهو مؤمن
ايمانا صحيحا لاشرك معه ولاتكذيب فا
العمدة (فاولئك) الجامعون للشروط الثلا
(كان سعيهم مشكورا) من الله تعالى اى مقو
عنده مثابا عليه فان شكر الله الثواب ع
الطاعة (كلا) كل واحد من الفريق
والتنوين بدل من المضاف اليه (نمد) بالعـ
مرة بعد اخرى ونجعل آنفه مددا لسال
(هؤلاء وهؤلاء) بدل من كـ
(من عطاء ربك) من معطاه متعلق
(وما كان عطاء ربك محظورا) ممنوعا لايمـ
فى الدنيا من مؤمن ولا كافر تفضلا (انظر كيـ
فضلنا بعضهم على بعض) فى الرز
وانتصاب كيف بفضلنا على الحـ
(وللآخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا
اى التفاوت فى الآخرة اكبر لان التفاوت
بالجنة ودرجاتها والنار ودركاتها

الجملة فبدأ بشرح حقيقة الايمان وبيان ماهو العمدة فيه وهو التوحيد و التبرى من الشرك فقال لاتجعل مع الله آلها آخر ثم ذكر عقيبه سائر الاعمال التى يكون من عمل بها ساعيا سعى الآخرة ﴿قوله اولكل احد﴾ قيل هذا الاحتمال اولى لانه تعالى عطف عليه قوله وقضى ربك ان لاتعبدوا الا اياه الى قوله امايبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما وهذا لايليق بالنبى صلى الله عليه وسلم لان ابويه مابلغا عنده الكبر فعلنا ان المخاطب بهذا نوع الانسان ﴿قوله اوفتعجز﴾ يعنى ان قوله فتقعد يجوز ان يكون بمعنى فتصير فينتصب مابعده على الخبرية وان يكون على اصل معناه ويكون كناية عن ملزومه الذى هو العجز فان القادر المتمكن من تحصيل الخيرات يسعى فى تحصيلها والسعى انما يتأتى بالقيام على الرجل بخلاف العاجز عن تحصيلها فانه لايسعى بل يبقى جالسا قاعدا عن السعى و الطلب فلما كان القعود من لوازم العجز و الضعف صح ان يكنى به عنه فيكون مذموما منصوبا على الحال و قوله تعالى فتقعد منصوب باضمار ان بعد الفاء جوابا للنهى كقولك لاتنقطع عنا فنجفوك اى لايكن منك انقطاع فحصل ان نجفوك فمابعد الفاء متعلق بالجملة المتقدمة على حرف الفاء التى هى حرف العطف وسماه النحويون جوابا لكونه مشابها للجزاء فى ان الثانى مسبب عن الاول الاترى ان المعنى ان انقطعت جفوناك فكذلك تقدير الآية ان جعلت مع الله الها آخر صرت مذموما بكل لسان مخذولا من قبله تعالى لانه يكلك الى من اتخذته شريكا له ولا نصر عنده ولاعون او عجزت عن دفع ماتوجه اليك من المكاره لانه تعالى لاينصرك ومن المعلوم ان الشركاء لايقدرون على النصر و الشفاعة ﴿قوله وامر امرا مقطوعا به﴾ يعنى ان القضاء فى اصل اللغة اتمام الشئ والفراغ منه و ماتم وفرغ منه يلزمه ان يتقرر ولايتغير اى لايقبل النسخ والتغيير فاذا استعمل القضاء فى موضع الامر و الالزام كما فى هذه الآية يفهم منه ان الايجاد و التكوين على ذلك الوجه دون الآخر امر مقرر موافق للحكمة كما فى قوله تعالى فقضاهن سبع سموات وقد يطلق القضاء على تعلق الارادة الالهية بوجود الشئ من حيث انه يوجبه ويطلق ايضا على وجود جميع الموجودات فى اللوح المحفوظ اجمالا و القدر هو تفصيل قضائه السابق بايجادها فى مواد الاحكام الخارجة واحدا بعد واحد ولما ذكر فى الآية ماهو الركن الاعظم فى الايمان و التوحيد اتبعه بذكر ما هو من الشرائع المترتبة عليه وهو انواع النوع الاول تخصيص العبادة لله تعالى والاحتراز عن عبادة غيره ﴿قوله ويجوز ان تكون ان مفسرة ولاناهية﴾ يعنى اى لاتعبدوا لوقوعها بعد ماهو بمعنى القول و اما ان جعلت مصدرية ناصبة لمابعدها فحينئذ تكون لانافية لان صلة المصدرية لاتكون شيأ مما فيه معنى الطلب على الاصح وان اجاز سيبويه كون صلة المصدرية ذلك فقال يجوز ان يقال فى تقدير امرته ان قم امرته بان قم اى بالقيام و اختاره المصنف فى بعض المواضع ﴿قوله وبان تحسنوا﴾ على ان الباء فى قوله وبالوالدين متعلقة بقضى ﴿قوله احسانا﴾ واقع موقع فعله المحذوف والجملة معطوفة على جملة قوله ان لاتعبدوا على تقدير ان تكون كلمة ان فيها مصدرية عطف الجملة المثبتة على المنفية وقوله اوواحسنوا بالوالدين احسانا على ان يكون قوله احسانا واقعا موقع فعل الامر المحذوف ويكون بالوالدين متعلقا بذلك المحذوف على التقدرين وتكون هذه الجملة الامرية معطوفة على ان لاتعبدوا على ان تكون ان فيها مفسرة ولاناهية عطف الجملة الامرية على النهى ووجه المناسبة بين تخصيص العبادة به تعالى وبين الوالدين ان السبب الحقيق لوجود الانسان هو الله تعالى و السبب الظاهر الابوان فامر بتعظيم السبب الحقيق ثم اتبعه بالامر بتعظيم السبب الظاهرى ﴿قوله ويدل على قرآءة حمزة و الكسائى﴾ فانهما قرأ ايبلغان بالف التثنية قبل نون التأكيد المشددة المكسورة على ان الالف ضمير الوالدين لتقدم ذكرهما فيكون احدهما بدلا منه بدل البعض من الكل ويكون او كلاهما بدلا منه ايضا لكونه معطوفا على البدل وهو بدل الكل من الكل لان كلاهما مرادف لالف التثنية ولايجوز ان يكون الاول بدلا و الثانى تأكيدا معطوفا على البدل لان عطفه على البدل يدل على ان تأكيد التثنية غير مراد والحاصل ان بين ابدال الاول بدل البعض وبين تأكيد المبدل منه بكلاهما تدافعا لان فائدة التأكيد دفع توهم ارادة احدهما واما الاعتراض بانه لاتدافع بناء على ان المعنى اما يبلغان احدهما او يبلغان كلاهما فيراد البدل اولا و التأكيد ثانيا فمدفوع بانه اذ ذاك يخرج الكلام عن كون كلاهما معطوفا على احدهما اى عطف الجملة وهو معنى قول المصنف ولذلك لم يجز ان يكون تأكيدا للالف اى ولاجل ان يكون كلاهما معطوفا على البدل الذى هو احدهما على قرآءة يبلغان لم يجز ان يكون كلاهما تأكيدا للالف لان التأكيد يجب ان يكون معمولا لعامل المؤكد فلما ابدل احدهما من المؤكد بدل البعض كان المقصود بالنسبة هو البعض فينافيه تأكيده بالكل

(لاتجعل مع الله الها اخر) الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم والمراد به امته او لكل احد (فتقعد) فتصير من قولهم شحذ الشفرة حتى قعدت كانها حربة او فتعجز من قولهم قعد عن الشئ اذا عجز عنه (مذموما مخذولا) جامعا على نفسك الذم من الملائكة والمؤمنين والخذلان من الله تعالى ومفهومه ان الموحد يكون ممدوحا منصورا (وقضى ربك) وامر امرا مقطوعا به (ان لاتعبدوا) بان لاتعبدوا (الا اياه) لان غاية التعظيم لاتحق الا لمن له غاية العظمة ونهاية الانعام وهو كالتفصيل لسعى الآخرة ويجوز ان تكون ان مفسرة ولاناهية (وبالوالدين احسانا) وبان تحسنوا او واحسنوا بالوالدين احسانا لانهما السبب الظاهر للوجود والتعيش ولايجوز ان تتعلق الباء بالاحسان لان صلته لاتتقدم عليه (اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما) اما هى ان الشرطية زيدت عليها ما تأكيدا ولذلك صح لحوق النون المؤكدة للفعل واحدهما فاعل يبلغن ويدل على قرآءة حمزة والكسائى من الف يبلغان الراجع الى الوالدين وكلاهما عطف على احدهما فاعلا او بدلا ولذلك لم يجز ان يكون تأكيدا للالف ومعنى عندك ان يكونا فى كنفه وكفالته

(وان)

و ان قدر فعل آخر مسند الى ضمير التثنية وكان كلاهما تأكيدا لذلك الضمير لزم الخروج عن البحث لان المفروض كونه تأكيداً لفاعل الفعل المذكور **قوله** وقيل اسم الفعل الذى هو اتضجر عطف على قوله وهو صوت اى قيل انه ليس من قبيل الاصوات بل هو اسم للفعل المضارع وهو قليل فان الاكثر فى باب اسماء الافعال ان يكون اسما للامر نحو رويد فانه اسم لامهل وبله اسم لدع وقد يكون اسما للفعل الماضى نحو هيهات اسم لبعد ولم يذكر ابن الحاجب ما كان اسما للفعل المضارع حيث قال فى الكافية اسماء الافعال ما كان بمعنى الامر او الماضى نحو رويد زيدا اى امهله وهيهات ذلك اى بعد **قوله** وهو مبنى على الكسر لانه لو بنى على السكون لاجتمع ساكنان لان الفاء الاولى ساكنة وفيه سبع قراآت ثلاث فى المتواتر واربع فى الشاذ فقرأ نافع وحفص بالكسر والتنوين وابن كثير وابن عامر بالفتح دون التنوين ثم والباقون بالكسر دون تنوين ولا خلاف بينهم فى تشديد الفاء وقرأ نافع فى رواية اف بالرفع والتنوين وقرئ بالضم من غير تنوين وبالنصب والتنوين واف بالسكون **قوله** قياسا بطريق الاولى اى بواسطة القياس الجلى الذى يكون من باب الاستدلال على الاعلى وقيل النهى عنه يدل على المنع من سائر انواع الايذآء دلالة لفظية من حيث ان اهل العرف اذا قالوا لاتقل لفلان اف عنوا به لاتتعرض له بنوع من انواع الاذى كقولك فلان لايملك النقير والقطمير فانه يدل بحسب العرف على انه لايملك شيأ النقير النقرة التى فى ظهر النواة والقطمير القشرة الرقيقة التى تكون على النواة **قوله** ولذلك اى ولكون النهى عن التأفيف يدل على المنع من سائر انواع الايذآء اما بالاستدلال بحرمة الادنى على حرمة الاعلى او بكونه دالا عليه دلالة لفظية بحسب العرف والشرس والشراسة سوء الخلق يقال رجل شرس اى سيئ الخلق شديد الخلاف **قوله** تذلل لهما وتواضع معهما يريد ان خفض الجناح استعارة تمثيلية استعير للتذلل والتواضع لان الطائر اذا قصد الجو بسط جناحه واذا هم بالنزول خفض الجناح فشبه ما يتصور من الانسان فى حال التواضع من الانخفاض بما يشاهد من الطائر عند انحطاطه من الجو ثم كثر استعماله فيه حتى صار عبارة عن التواضع واما الوجه فى اضافة الجناح الى الذل وليس له جناح فكونها دليلا على الاستعارة بالكناية مخيلا كون الذل من جنس الطائر ويسمى اثبات الامر المختص بالمشبه به للمشبه استعارة تخييلية فانه شبه الذل بالطائر تشبيها مضمرا فى النفس ولم يصرح من اركان التشبيه بشئ سوى المشبه وهو الذل ودل على ذلك التشبيه المضمر فى النفس بان اثبت للذل المشبه ما يختص بالمشبه به وهو الجناح من غير ان يتحقق فى الذل شئ يجرى عليه اسم الجناح بل الوهم يخترع له صورة تشبهه بالجناح فاثبتت تلك الصورة المخترعة ليكون اثباتها قرينة للاستعارة بالكناية ونظيره فى قول لبيد

❊ وغداة ريح قد كشفت وقرّة ❊ اذ اصبحت بيد الشمال زمامها ❊

فانه شبه الشمال بالانسان واضاف اليه لازم الانسان وقت اشتغاله بالعمل وهو اليد على سبيل الاستعارة التخييلية وكذلك شبه القرّة بالناقة واثبت لها ما به قوام انقيادها وهو الزمام على سبيل التخييل هذا على ان يكون ضمير زمامها للقرّة ويحتمل ان يكون للغداة بل هو الظاهر فتكون الاستعارة بالكناية هى تشبيه الغداة بالناقة والقرّة والقرّ البرد يقول كم من غداة تهب الشمال وهى ابرد الرياح وقرّة قد ملكت الشمال زمامها فهى فى قبضتها متصرفة على حكم ارادتها قد كشفت وانما اذهبت غادية البرد عن الناس بايقاد نار القرى ونحر الجزور لهم وتحرير المعنى كم من برد كففت غاديته باطعام الناس فعلى هذا يكون اضافة الجناح الى الذل تفيد غاية المبالغة فى التذلل لان خفض الجناح عبارة عن التذلل والتذلل منه غاية التذلل **قوله** او اراد جناحه عطف على قوله جعل للذل جناحا فيكون هذا وجها ثانيا لاضافة الجناح الى الذل مع ان الذل لاجناح له وتقريره ان اضافة الجناح الى الذل ليست بمعنى اللام حتى يستبعد ويقال ما معنى اضافة الجناح اليه بل المراد من الجناح جناح المخاطب واضافته الى الذل من قبيل اضافة الموصوف الى صفته كانه قيل واخفض لو الديك جناحك الذليل كما يقال حاتم الجود وحاتم الجواد **قوله** وقرئ الذل بالكسر قيل الذل بالكسر فى الدابة ضد الصعوبة وبالضم للانسان ضد العز ولما كان ما يلحق الانسان اشد واكثر واوقع بالنسبة الى ما يلحق الدابة وهو كونها ذلولا منقادة لصاحبها فرقوا بينهما فاختاروا الضمة التى هى اقوى الحركات لما يلحق الانسان والكسر الضعيف لما يلحق الدابة للاشارة الى ما بينهما من الفرق **قوله** من فرط رحمتك عليهما اشارة الى ان كلمة من للتعليل كما فى قوله

(فلا تقل لهما اف) فلا تضجر مما يستقذ
منهما ولا تستثقل من مؤنتهما وهو صو
يدل على تضجر وقيل اسم الفعل الذ
هو اتضجر وهو مبنى على الكسر لالت
الساكنين وتنوينه فى قرآءة نافع وحفص
للتنكير وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقو
بالفتح على التخفيف وقرئ به منونا وبالض
للاتباع كمنذ منونا وغير منون والنهى ع
ذلك يدل على المنع من سائر انواع الايذ
قياسا بطريق الاولى وقيل عرفا كقو
فلان لايملك النقير والقطمير ولذلك م
رسول الله صلى الله عليه وسلم حذيف
من قتل ابيه وهو فى صف المشركين نه
عما يؤذيهما بعد الامر بالاحسان بهم
(ولا تنهرهما) ولا تزجرهما عما لا يعجب
باغلاظ وقيل النهى والنهر والنهم اخوا
(وقل لهما) بدل التأفيف والنهر (قو
كريما) جميلا لاشراسة فيه (واخفض له
جناح الذل) تذلل لهما وتواضع معهم
جعل للذل جناحا كما جعل لبيد فى قو
وغداة ريح قد كشفت وقرّة *
اذ اصبحت بيد الشمال زمامه
للشمال يدا وللقرّة زماما وامره بخفض
مبالغة او اراد جناحه كقوله تعالى واخفض
جناحك للمؤمنين واضافته الى الذل للبي
والمبالغة كما اضيف حاتم الى الجود والمع
واخفض لهما جناحك الذليل وقرئ الذ
بالكسر وهو الانقياد والنعت منه ذلو
(من الرحمة) من فرط رحمتك عليهم
لافتقارهما الى من كان افقر خلق الله تعا
اليهما بالامس

(وقل رب ارحمهما) وادع الله تعالى ان يرحمهما برحمته الباقية ولاتكتف برحمتك الفانية وان كانا كافرين لان من الرحمة ان يهديهما (كما ربياني صغيرا) رحمة مثل رحمتهما علىّ وتربيتهما وارشادهما لى فى صغرى وفاء بوعدك للراحمين روى

ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابوىّ بلغا من الكبر انى الى منهما ماوليامنى فى الصغر فهل قضيتهما حقهما قال لا فانهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك وانت تفعل ذلك وتريد موتهما (ربكم اعلم بما فى نفوسكم) من قصد البرّ اليهما واعتقاد مايجب لهما من التوقير وكانه تهديد على ان يضمر لهما كراهة واستثقالا (ان تكونوا صالحين) قاصدين الصلاح (فانه كان للاوّابين) للتوّابين (غفورا) مافرط منهم عند حرج الصدر من اذية او تقصير وفيه تشديد عظيم ويجوز ان يكون عاما لكل تائب ويندرج فيه الجانى على ابويه اندراجا اوّليا لوروده على اثره (وآت ذا القربى حقه) من صلة الرحم وحسن المعاشرة والبرّ عليهم وقال ابو حنيفة حقهم اذا كانوا محارم فقرآء ان ينفق عليهم وقيل المراد بذا القربى اقارب الرسول صلى الله عليه وسلم (والمسكين وابن السبيل ولاتبذر تبذيرا) بصرف المال فيما لاينبغى وانفاقه على وجه الاسراف واصل التبذير التفريق وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لسعد وهو يتوضأ ماهذا السرف فقال او فى الوضوء سرف قال نعم وان كنت على نهر جار (ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين) امثالهم فى الشرارة فان التضييع والاتلاف شرّا واصدقاءهم واتباعهم لانهم يطيعونهم فى الاسراف والصرف فى المعاصى روى انهم كانوا ينحرون الابل ويتياسرون عليها ويبذرون اموالهم فى السمعة فنهاهم الله تعالى عن ذلك وامرهم بالانفاق فى القربات (وكان الشيطان لربه كفورا) مبالغا فى الكفر به فما ينبغى ان يطاع (واماتعرضن عنهم) وان اعرضت عن ذى القربى والمسكين وابن السبيل حياء من الردّ ويجوز ان يراد بالاعراض عنهم ان لاينفعهم على سبيل الكناية (ابتغاء رحمة من ربك ترجوها) لانتظار رزق من الله ترجوه ان يأتيك فتعطيه او منتظرين له وقيل معناه لفقد رزق من ربك ترجوه ان يفتح لك فوضع الابتغاء موضعه لانه مسبب عنه ويجوز ان تتعلق بالجواب الذى هو قوله تعالى (فقل لهم قولا ميسورا) اى فقل لهم قولا لينا ابتغاء رحمة الله برحمتك عليهم باجمال القول لهم والميسور من يسر الامر مثل سعد الرجل ونحس وقيل القول الميسور الدعاء لهم بالميسور وهو اليسر مثل اغناكم الله تعالى ورزقنا الله واياكم

تعالى بما خطاياهم اغرقوا اى واخفض جناحك من اجل الرحمة وقوله رحمة مثل رحمتهما علىّ اشارة الى ان الكاف فى محل النصب على انه صفة مصدر محذوف ولم يقل رحمة مثل تربيتهما الىّ مع ان المذكور فى القرآن هو التربية للاشارة الى ان التربية لكونها ناشئة عن الرحمة كانها عين الرحمة ﴿قوله وفاء بوعدك﴾ مفعول له لقوله تعالى ارحمهما قال عليه الصلاة والسلام * الراحمون يرحمهم الرحمن * وقال عليه الصلاة والسلام * رضى الله فى رضى الوالد وسخطه فى سخط الوالد * وقال * لايدخل الجنة منان ولا عاق ولا مدمن خمر ﴿قوله وان كانا كافرين﴾ اشارة الى ردّ ماقيل من ان الآية منسوخة بقوله تعالى ماكان للنبى والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين فلاينبغى للمسلم ان يستغفر لوالديه اذا كانا مشركين ولايقول لهما رب ارحمهما لانهما وان كانا كافرين فله ان يدعو الله لهما بالهداية والارشاد وان يطلب الرحمة لهما بعد حصول الايمان ووجه الردّ ماذكره المصنف * قال الامام قوله تعالى وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا امر وظاهر كون الامر للوجوب انه لايقتضى التكرار فيكفى فى العمل بمقتضى هذه الآية ذكر هذا القول فى العمر مرّة وسئل سفيان كم يدعو الانسان لوالديه فى اليوم مرّة او فى الشهر او فى السنة فقال نرجوا ان يجزيه اذا دعا لهما فى اواخر التشهدات كما قال تعالى ياايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما وقال تعالى واذكروا الله فى ايام معدودات فهم يكبرون فى ادبار الصلوات ﴿قوله وفيه تشديد عظيم﴾ وكيف لاوقد غفر مافرط منهم على سبيل المبادرة فى حق من كان اوّابا وهو صيغة مبالغة فيقتضى الكثرة والمداومة كما روى عن سعيد بن المسيب ان الاوّاب هو الرجل الذى كلما اذنب بادر بالتوبة وقوله تعالى وآت ذا القربى حقه الذى يدل على ان المراد بذى القربى غير الوالدين كون التوصية نوعا آخر من انواع السعى الموافق لطلب الآخرة المدلول عليه بقوله تعالى وسعى لها سعيها وهو معطوف على قوله وقضى ربك ان لاتعبدوا الا اياه الى هذا الموضع والمعنى انك بعد فراغك من برّ الوالدين يجب عليك ان تشتغل ببرّ سائر الاقارب الاقرب فالاقرب ثم باصلاح احوال المساكين وابناء السبيل * وذوو القربى ان كانوا محارم وفقرآء عاجزين عن الكسب وكان الرجل موسرا حقهم ان ينفق الرجل عليهم بقدر الحاجة عند ابى حنيفة رحمه الله تعالى وقال الامام الشافعى لايجب الانفاق الا على الولد والوالدين محتسبا وان كانوا مياسير ولم يكونوا محارم كابناء العم فحقهم صلتهم بالمودّة والزيارة وحسن المعاشرة والمؤالفة فى السرّآء والضرّآء ونحو ذلك ﴿قوله تعالى واماتعرضنّ عنهم الآية﴾ قيل انها نزلت فى مهجع وبلال وصهيب وسالم وخباب رضى الله تعالى عنهم وكانوا يسألون النبى صلى الله عليه وسلم فى الاحايين مايحتاجون اليه وقد لايجد عليه الصلاة والسلام مايدفعه اليهم فيعرض عنهم حياء منهم ويمسك عن القول فنزلت يعنى انه عليه الصلاة والسلام لما كان يعرض عنهم بوجهه الكريم ويسكت ولايجيبهم حياء من التصريح بردّهم قال تعالى واماتعرضن عنهم ولما لم يكن لترتيب قوله فقل لهم قولا ميسورا على تحقق الاعراض المترقب منه عليه الصلاة والسلام فى المستقبل وجه لانه فى قوّة قولك وان لم تجبهم فاجبهم بقول فيه يسر قال فى توجيه الآية وان اعرضت عنهم اى فيما مضى فاجبهم من بعد بقول ميسور فيكون قوله تعرضن على حكاية الحال الماضية ثم عطف على هذا التأويل قوله ويجوز ان يراد بالاعراض الخ اى ويجوز ان يكون الاعراض كناية عن عدم النفع بدفع مايحتاجون اليه لعدم الاستطاعة عليه بناء على ان الاعراض بالوجه من لوازم عدم النفع فحينئذ يكون ترتيب الجزآء المذكور عليه ظاهرا ﴿قوله لانتظار رزق من الله﴾ يعنى ان قوله ابتغاء رحمة مفعول له لقوله تعرضن وعلة للاعراض بان يكون الابتغاء بمعنى الانتظار فانه يصلح ان يكون علة حاملة على الاعراض ويجوز ان يكون انتصابه على انه مصدر واقع موقع الحال من فاعل تعرضن او من ضمير عنهم ﴿قوله وقيل معناه لفقد رزق﴾ يعنى ان قوله تعالى ابتغاء متعلق بالشرط منصوب به الا انه لايجوز اجرآء الكلام على ظاهره لان الاعراض عن المحتاج ليس لابتغاء رحمة الله بل هو مجاز عن فقد الرزق لانه سبب لابتغائه فهو من قبيل اطلاق المسبب على السبب ثم قال ويجوز ان يكون الابتغاء متعلقا بالجواب منصوبا به على معنى قل لهم قولا سهلا ابتغاء وهذا الجواز مبنى على قول من يجوّز اعمال مابعد الفاء الجزآئية فيما قبلها وقد ثبت ذلك فى قوله تعالى فاما اليتيم فلاتقهر الآية فان اليتيم ومابعده منصوبان بمابعد فاء الجواب ﴿قوله والميسور من يسر الامر﴾ يعنى انه اسم مفعول من يسر كما ان المسعود والمنحوس كذلك يقال سعد الرجل فهو مسعود ونحس فهو منحوس ثم قيل ويحتمل ان يكون الميسور مصدرا بمعنى اليسر ويكون المعنى قل لهم قولا

يذكر فيه معنى اليسر ويدل على طلب اليسر مثل اغنا كم الله ورزقنا الله واياكم وفى الصحاح المجلود مصدر بمعنى الجلادة كالمحلوف والمعقول يقال عقل يعقل عقلا ومعقولا ويقال حلف اى اقسم يحلف حلفا ومحلوفا وهو احد ماجاء من المصادر على مفعول مثل المجرود والمعقود والمعسور ﴿قوله تمثيلان لمنع الشحيح﴾ اى لامتناع البخيل عن انفاق ماله على المحاويج مثل حال من يده مغلولة الى عنقه فلا يقدر على شئ من التصريف وحال من يسرف بحال من يبسط يده كل البسط فلا يبق شئ فى كفه ثم استعمل الفاظ الممثل به فى الممثل والمعنى لاتجعل يدك فى الانقباض عن الانفاق كالمغلولة الممنوعة من الانبساط ولا تتوسع فى الانفاق توسعا بحيث لايبق فى يدك شئ وحاصل الكلام ان الحكماء ذكروا فى الكتب الاخلاق وان لكل خلق طرفى افراط وتفريط وهمامذمومان والخلق الفاضل ماهو العدل القاسط بين الطرفين فالبخل افراط فى الامساك والاسراف تفريط والمعتدل وهو الكرم الوسط ﴿قوله نادما اومنقطعابك﴾ الجوهرى حسر الشخص بالكسر يحسر حسرا وحسرة فهو حسير اذاتلهف وتحزن على الشئ الفائت وحسر البعير يحسر حسورا اعيى واستحسر وتحسر مثله وحسرته انا حسرا تعدى ولايتعدى وقطع بفلان فهو مقطوع به وانقطع به فهو منقطع به اذا عجز عن سفره من نفقة ذهبت او من راحلة عطبت واتاه امر لايقدر بسببه على ان يتحرك ﴿قوله حسره السفر اذابلغ منه﴾ يقال بلغ منه المرض اذااثر فيه تأثيرا بليغا ﴿قوله فقال من ساعة الى ساعة يظهر فعد الينا﴾ على هذه الرواية يحتمل ان كلمة من متعلقة بمحذوف اى اخر سؤالك من ساعة ليس فيها دروع الى ساعة يظهر لنا فيها درع ودرع المرأة قيصها وهذا القول مبنى على رواية الكشاف وهى هكذا من ساعة الى ساعة فعد الينا وعلى تلك الرواية يحتمل ان يكون من متعلقة بيظهر ﴿قوله ثم سلاه بقوله ان ربك يبسط الرزق﴾ الظاهر ان ليس مقصوده ان الآية نازلة لتسليه عليه الصلاة والسلام بخصوصه عما حصل من الاعسار والاضافة بل المراد انها نازلة لتسلية المعسرين مطلقا وحصل له عليه الصلاة والسلام التسلى فى ضمن هذه التسلية العامة وذلك لان الخاطب فى قوله تعالى وآت ذا القربى حقه عام للكل بقرينة كونه معطوفا على قوله وقضى ربك ان لاتعبدوا الا اياه وان قيل انه خطاب له عليه الصلاة والسلام بخصوصه امره الله تعالى ان يؤتى اقاربه الحقوق التى وجبت لهم فى مال الفئ والغنيمة واوجب عليه ايضا ان يؤتى حق المساكين وابناء السبيل من هذين المالين كما اشار اليه بقوله وقيل المراد بذا القربى اقارب الرسول صلى الله عليه وسلم ولما كان الخطاب فى هذه الآيات يعم الكل وامر الله تعالى الموسرين منهم بالانفاق على المعسرين منهم سلاهم بقوله ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر اى يضيق بحسب مشيئته وهى تابعة للحكمة والمصلحة عند المعتزلة وبالعكس عندنا وليس اعسار المعسر لهوان منك عليه ولا لبخل به عليك لكونه مهانا عندالله ولا لبخل منه تعالى عليه بل هو لكون مصلحته فيه وفى ضمن هذه التسلية العامة تحصل تسليته عليه الصلاة والسلام ايضا فقوله بمشيئته التابعة للحكمة ليس معناه ان افعاله تعالى ومشيئته معللة بالحكمة والمصلحة وان رعاية ماهو الاصلح فى حق العبد واجبة عليه بل المراد ان مشيئته تعالى موافقة للحكمة ولاتخلو عنها وانه تعالى منزه عن ان يفعل مالاحكمة فيه ولامصلحة ﴿قوله ويجوز ان يراد الخ﴾ اشارة الى وجهين آخرين لانتظام هذه الآية بما قبلها وعلى كل واحد من الوجهين تكون هذه الآية تعليلا للآية الناطقة بالنهى عن القبض المفرط والبسط المفرط والامر بالاقتصاد تقرير الاوّل ان القبض المفرط والبسط المفرط كل واحد منهما مختص بالله فاقتصد انت واترك ماهو مختص به تعالى وتقرير الثانى انكم اذا تحققتم وتأملتم فيما بسط الله وقبض وامعنتم النظر فيه وجدتموه مقتصدا يقبض تارة ويبسط اخرى فاقتصدوا واستنوا بسنته ﴿قوله وان يكون تمهيدا﴾ من حيث انه يدل على انه تعالى متكفل بارزاق العباد على حسب مشيئته المتضمنة للحكم والمصالح فحق ان يبنى عليه النهى عن قتل الاولاد خشية الانفاق فان العرب كانوا يقتلون البنات لعجزهنّ عن الكسب وقدرة البنين عليه بسبب اقدامهم على النهب والغارة وايضا كانوا يخافون ان فقر البنات ينفر اكفاءهنّ عن الرغبة فيهنّ فيحتاجون الى انكاحهنّ من غير الاكفاء وفى ذلك عار شديد ﴿قوله والخطئ﴾ بكسر الخاء وسكون الطاء والهمزة بعدها مصدر خطئ يخطأ بمعنى اثم يأثم وكلاهما من باب علم يعلم علما وهو قرآءة الجمهور وقرأ ابن ذكوان عن ابن عامر خطأ بفتح الخاء والطاء من غير مدّ وفيه وجهان الاوّل ان يكون اسم مصدر من اخطأ يخطئ اخطاء اذا اتى بماليس بصواب فهو مغاير الخطأ الذى يقابل العمد والثانى ان يكون لغة فى الخطئ بمعنى الاثم كمثل ومثل وحذر وحذر فالمعنى على هذه القرآءة ان قتلهم ليس

(ولاتجعل يدك مغلولة الى عنقك ولاتبسطه[ا]
كل البسط) تمثيلان لمنع الشحيح واسراف
المبذر نهى عنهما آمرا بالاقتصاد بينهما الذى
هو الكرم (فتقعد ملوما) فتصير ملوما عندالله
وعند النـاس بالاسراف وسـوء التدبير
(محسورا) نادما او منقطعا بك بلاشئ عندك
من حسره السفر اذا بلغ منه وعن جابر بينـ[ا]
رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس اتاه صبي
فقال ان امى تستكسيك درعا فقال صلى الله
عليه وسلم من ساعة الى ساعة يظهر فعد الينـ[ا]
فذهب الى امه فقالت قل له ان امى تستكسيك
الدرع الذى عليك فدخل صلى الله عليه وسلم
داره ونزع قيصه واعطاه وقعد عريانا واذن
بلال وانتظروا الصلاة فلم يخرج فانزل الله
ذلك ثم سلاه بقوله (ان ربك يبسط الرزق
لمن يشاء ويقدر) يوسعه ويضيقه بمشيئته
التـابعة للحكمة البـالغة فليس مارهقك
من الاضافة الا لمصلحتك (انه كان بعباده
خبيرا بصيرا) يعلم سرّهم وعلنهم فيعلم
من مصالحهم مايخفى عليهم ويجوز ان يراد ان
البسط والقبض من امر الله تعـالى العالم
بالسرآئر والظواهر فاما العبـاد فعليهم
ان يقتصدوا اوانه تعـالى يبسط تارة ويقبض
اخرى فاستنوا بسنته ولاتقبضوا كل القبض
ولاتبسطوا كل البسط وان يكون تمهيدا لقوله
تعالى (ولاتقتلوا اولادكم خشية املاق)
مخافة الفاقة وقتلهم اولادهم هو وأدهم بناتهم
مخافة الفقر فنهاهم عنه وضمن لهم ارزاقهم
فقال (نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطئا
كبيرا) ذنبا كبيرا لمافيه من قطع التناسل وانقطاع
النوع والخطئ الاثم يقال خطئ خطئا كاثم
اثما وقرأ ابن عامر خطأ وهو اسم من اخطأ يضادّ
الصواب وقيل لغة فيه كمثل ومثل وحذر وحذر

وقرأ ابن كثير خطاء بالمدّ والكسر وهو اما لغة فيه اومصدر خاطأ وهو وان لم يسمع لكنه جاء فى قوله

تخاطأه القناص حتى وجدته * وخرطومه فى منقع الماء راسب *

وهو مبنى عليه وقرئ خطاء بالفتح والمدّ وخطا بحذف الهمزة مفتوحا ومكسورا (ولاتقربوا الزنى) بالعزم والاتيان بالمقدّمات فضلا ان تباشروه (انه كان فاحشة) فعلة ظاهرة القبح زائدته (وساء سبيلا) وبئس طريقا طريقه وهو الغصب على الابضاع المؤدّى الى قطع الانساب وتهييج الفتن (ولاتقتلوا النفس التى حرّم الله الا بالحق) الا باحدى ثلاث كفر بعد ايمان وزنى بعد احصان وقتل مؤمن معصوم عمدا (ومن قتل مظلوما) غيرمستوجب للقتل (فقدجعلنا لوليه) للذى يلى امره بعدوفاته وهو الوارث (سلطانا) تسلطا بالمؤاخذة بمقتضى القتل على من قتله اوبالقصاص على القاتل فان قوله تعالى مظلوما يدل على ان القتل عمدا عدوان فان الخطأ لايسمى ظلما (فلايسرف) اى القاتل (فى القتل) بان يقتل من لايستحق قتله فان العاقل لايفعل مايعود عليه بالهلاك او الولى بالمثلة اوقتل غير القاتل ويؤيد الاوّل قرآءة ابىّ فلا تسرفوا وقرأ حمزة والكسائى فلا تسرف على خطاب احدهما (انه كان منصورا) علة النهى على الاستئناف والضمير اما للمقتول فانه منصور فى الدنيا بثبوت القصاص بقتله وفى الآخرة بالثواب واما لوليه فان الله تعالى نصره حيث اوجب القصاص له وامر الولاة بمعونته واما للذى يقتله الولى اسرافا بايجاب القصاص اوالتعزير والوزر على المسرف (ولا تقربوا مال اليتيم) فضلا عن ان تتصرّفوا فيه (الا بالتى هى احسن) الا بالطريقة التى هى احسن بان تثميه اوتثمره (حتى يبلغ اشدّه) غاية لجواز التصرّف الذى دل عليه الاستثناء

بصواب وقرأ ابن كثير خطاء بكسر الخاء وفتح الطاء والمدّ فيه وجهان ايضا الاوّل ان يكون لغة فى خطئ والثانى ان يكون مصدر خاطأ يخاطئ خطاء مثل قاتل يقاتل قتالا وخاطأ وان لم يسمع لكنه جاء تخاطأ ومجيئه يدل على وجود خاطأ لان تفاعل مطاوع فاعل كباعدته فتباعد وناولته فتناول فى قول الشاعر

* تخاطأه القناص حتى وجدته * وخرطومه فى منقع الماء راسب *

القناص الصياد ومنقع الماء بالفتح الموضع الذى يحبس فيه الماء اى قصده الصياد ففرّ منه وخاطأه فعلى هذا معنى الآية ان الذين يقتلون اولادهم كان قتلهم الاولاد خطأ اى عدولا عن الحق والصواب وقرئ خطاء بالفتح والمدّ وهو اسم مصدر اخطأ كالعطاء اسم الاعطاء وقرئ خطا بفتح الخاء والطاء المنوّنة اصله خطأ كقرآءة ابن ذكوان الا انه سهل الهمزة بابدا لها الفا ثم حذفها لساكنين كعصا وقرئ خطا بكسر الخاء كزنى ﴿ **قوله** الا باحدى ثلاث ﴾ اشارة الى ان قوله تعالى بالحق متعلق بلاتقتلوا كانه قيل لاتقتلوا النفس التى عصمها الله تعالى وحقن دمها بالاسلام اوبالعهد اوبسبب من الاسباب الا بان تستحق القتل بارتكاب شئ مما يوجب قتلها الا ان قوله تعالى الا بالحق محتمل ليس فيه بيان ان ذلك الحق ماهو وان الشئ الذى يستحق المرء بسببه لان يقتل اى شئ هو فبينه عليه الصلاة والسلام بقوله * لايحل دم امرء مسلم الا لاحد معان ثلاثة كفر بعد ايمان وزنى بعد احصان وقتل نفس بغير حق * وقوله تعالى انما جزآء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الارض فسادا ان يقتلوا اويصلبوا دل على ان قطع الطريق من جملة الاسباب التى يحل بها دم المرء وقوله تعالى قاتلوا الذين لايؤمنون بالله ولاباليوم الاخر وقوله اقتلوهم حيث وجدتموهم دل على ان الكفر مع الحرب من جملة الاسباب المبيحة لقتل النفس ومن جملة الاسباب المبيحة للقتل عند الامام الشافعى ترك الصلاة عمدا مجانا معتقدا بفرضيتها وعمل اللواطة وقول الساحر قتلت فلانا بسحرى والقتل بالمثقل فانه يوجب القصاص عنده خلافا لابى حنيفة فى الجميع وبالجملة الاصل فى الدماء الحرمة والحل انما يثبت باسباب عارضة محللة لها بين الشارع كيفيتها وقوله تعالى الا بالحق بين على سبيل الاجمال ان قتل النفس قد يباح بسبب مّا وقد فصل بعض تلك الاسباب بنص القرآن وبعضها بالاحاديث المشهورة ﴿ **قوله** تسلطا بالمؤاخذة بمقتضى القتل ﴾ اى بموجبه على من عليه لما جعل ثبوت التسلط لولى القتيل متفرّعا على مجرّد كون القتيل مقتولا ظلما مع قطع النظر عن كون ذلك القتل عمدا عدوانا موجبا للقصاص اوخطأ موجبا للدية جعل الجزآء المتفرّع على ذلك الشرط ان قتل عمدا ان يثبت للوارث التسلط بالمؤاخذة بمقتضى القتل سوآء كان ذلك المقتضى ثابتا على القاتل وهو ان يقتصّ منه اوان يعطى دية القتيل فان اولياء المقتول مخيرون بين امرين ان احبوا قتلوا وان احبوا اخذوا الدية من ماله اوكان ثابتا على العاقلة ان كان القتل خطأ ثم اشار الى جواز ان يكون المراد بالتسلط المتفرّع عليه التسلط على القاتل بان يقتصّ منه ﴿ **قوله** فلايسرف اى القاتل ﴾ اى اذا تقرّر انه تعالى جعل لولى المقتول ظلما تسلطا على القاتل فى الاقتصاص منه فلايسرف القاتل فى القتل بان يقتل من لايحق قتله فيقتل فيكون قد اسرف فى القتل حيث كان سببا لهلاك نفسه وهلاك غيره وفى الارتداع عنه سلامة نفسه وسلامة نفس الغير فعلى هذا يكون الضمير فى قوله انه كان منصورا للمقتول اى لايسرف القاتل المبتدى لان من قتل مظلوما كان منصورا فى الدنيا بايجاب القود على قاتله بان يقتص له وليه فان لم يكن له ولى فالسلطان وليه ﴿ **قوله** او الولى بالمثلة اوقتل غير القاتل ﴾ عطف على قوله القاتل يعنى يحتمل ان يكون المنوى فى قوله فلايسرف ضمير الولى واسراف الولى يكون على وجهين احدهما ان لايكتفى بقتل القاتل بل يقتله ثم يمثل به ويقطع اعضاءه وثانيهما ان لايكتفى بقتل القاتل بل يقتل به جماعة غيره وكل ذلك كان يفعله اهل الجاهلية كانوا يقتلون غير القاتل وكذا كانوا يمثلون بالمقتول فنهى عن كل منهما ﴿ **قوله** والضمير اما للمقتول واما لوليه ﴾ على تقدير ان يكون الحكم المعلل فلايسرف القاتل ﴿ **قوله** واما للذى يقتله الولى اسرافا ﴾ على تقدير ان يكون المعلل فلايسرف الولى بالمثلة وقتل غير القاتل فان الذين قتله الولى اسرافا منصور بايجاب القصاص على المسرف ان كان اسرافه بالمثلة ثم انه تعالى لما نهى عن اتلاف النفوس اتبعه بالنهى عن اتلاف الاموال فقال ولاتقربوا مال اليتيم الآية وخص مال اليتيم بالذكر لانى لضعفه وكال عجزه يعظم ضرره باتلاف ماله ونظيره قوله ولاتأكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا اى مخافة ان يكبروا فيأخذوا اموالهم منكم ومبادرة فى اكله ﴿ **قوله** غاية لجواز التصرّف ﴾ لا للنهى اذ لايجوز للوصى ان يتصرّف

فى مال الصبي بعد بلوغ اشدّه اى بعد بلوغه الى حيث يمكنه بسبب عقله و رشده القيام بمصالح نفسه و عند ذلك لاتبقى ولاية غيره عليه و ذلك حدّ البلوغ و اذا بلغ غير كامل العقل لم تترك الولاية عليه قيل اشدّ الرجل غير اشدّ اليتيم و ان كان لفظهما واحدا لان قوله تعالى حتى اذا بلغ اشدّه آتيناه حكما انما هو الاكتهال و ذلك ثلاثون سنة و اشدّ الغلام ان يشتدّ خلقه و ذلك ببلوغه ثمانى عشرة سنة ﴿قوله بما عاهدكم الله﴾ على ان العهد بمعنى الوصية و التكليف قال الزجاج كل ما امر الله به ونهى عنه فهو من العهد ﴿قوله او ما عاهدتموه وغيره﴾ على ان يكون العهد بمعنى العقد و الالتزام كالنذر و الشروع فى النوافل و المعاملات الواقعة بين العباد فمقتضى هذه الآية ان كل عقد و عهد يجرى بين انسانين كعقد البيع و الشركة و الصلح و غيرها فانه يجب عليهما بمقتضى ذلك العقد ﴿قوله يطلب من المعاهد ان لا يضيعه﴾ يعنى ان قولك سألته الشئ معناه طلبته منه و ليس المراد من كون العهد مسؤلا كون ذاته مطلوبا بل المعنى ان عدم تضييع العهد كان مطلوبا من المعاهد و ان المعاهد كان مسئولا مطلوبا فحذف المضاف و المضاف اليه وهما العدم و التضييع وكذا المطلوب منه اعتمادا على دلالة المقام على المراد ﴿قوله او مسئولا عنه﴾ فان صاحب العهد اذا سئل لم نكثت العهد و ما وفيت به يكون العهد مسئولا عنه فحذف الجار و اوصل مسئولا الى الضمير ﴿قوله او يسأل العهد لم نكثت﴾ بان يكون ضمير مسئولا راجعا الى العهد و ينسب اليه السؤال على طريق الاستعارة التمثيلية بان يشبه العهد بمن نكث عهده و سئل عن نكث عهده و استعمل عبارة المشبه به فى المشبه او شبه العهد بمن نكث عهده تشبيها مضمرا فى النفس و يجعل نسبة السؤال اليه تخييلا للاستعارة بالكناية و الاستشهاد بسؤال الموؤودة باى ذنب قتلت فى مجرد السؤال لان سؤالها بعد الاحياء يوم القيامة وهو سؤال على التحقيق وسؤال العهد على التخييل ولا تبكيت فى الكلام على الوجه الاوّل و انما هو فى الوجه الثانى و الثالث ﴿قوله ولا تتبع﴾ فان قوله تعالى لا تقف مأخوذ من قولهم قفوت اثر فلان اقفوه قفوا وقفوّا اذا اتبعت اثره و سميت قافية الشعر قافية لانها تقفو البيت و سمى القفا قفا لانه مؤخر بدن الانسان كانه شئ يتبعه و يقفوه فمعنى الآية لا تتبع ما لا علم لك به من قول او فعل و حاصله يرجع الى النهى عن الحكم بما لا يكون و القافة جمع قائف وهو من يتبع آثار اقدام الناس و يستدل بها على احوال الانسان كحكم المشركين فى باب الالهيات و النبوّات بما يعتقدونه بسبب تقليد اسلافهم او اتباع اهوآئهم رجما بالغيب ﴿قوله واحتج به من منع اتباع الظن﴾ اى العمل بالقياس بان قال القياس لا يفيد الا الظنّ و الظنّ يغاير العلم فالحكم فى دين الله بالقياس حكم بغير المعلوم فوجب ان لا يجوز بمقتضى هذه الآية * واجاب عنه بان الظن قد يسمى علما كما فى قوله تعالى اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهنّ الله اعلم بايمانهنّ فان علمتموهنّ مؤمنات فلا ترجعوهنّ الى الكفار و من المعلوم انه انما يمكن العلم بايمانهنّ بناء على اقرارهنّ و امارات تدل عليه و هو لا يفيد الا الظنّ و قد رأيت انه تعالى سمى هذا الظنّ علما و قيل انه مخصوص بالعقائد فالمنهى عنه هو اتباع الادلة الظنية فى الاعتقادات فلا ينافى جواز اتباعها فى العمليات كيف و قد ثبت ان الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين قد تكلموا فى الحوادث بارآئهم و شاوروا فى امرهم و ولى ابو بكر و عمر رضى الله عنهما الخلافة باجماع الصحابة بغير نص من الرسول صلى الله عليه وسلم و جعلها عمر شورى و لم يرد ذلك من النبي صلى الله عليه وسلم فلا يقال انهم فعلوا ما فعلوا و قالوا ما قالوا مخالفين لمقتضى هذه الآية تاركين اياه فدل على ان قوله تعالى و لا تقف ما ليس لك به علم ليس فيه الاجتهاد فى الاحكام و تشبيه الفروع بالاصول المنصوص عليها لان الامّة قد اجمعوا على ان العمل بالظن جائز فى صور كثيرة منها العلم بالفتوى فانه عمل بالظن و منها العمل بالشهادة فانه عمل بالظن و منها تقص قيم المتلفات و ارش الجنايات فانه لا سبيل اليه الا بالظن و منها الصلاة على الميت و دفنه فى مقابر المسلمين و توريث المسلم من ابنه بناء على اسلامه وهو مظنون و منها اكل الذبيحة بناء على اعتقاد انها ذبيحة مسلم وهو مظنون * وسند الاجماع فى مثل هذه الصورة قوله نحن نحكم بالظاهر وهو يتولى السرآئر و ذلك تصريح فى ان الظن معتبر فى باب العمل فلذلك تخص هذه الآية بالعقائد و قيل انها مخصوصة بالرمى و شهادة الزور و معناها لا ترم و لا تقل ما ليس لك به علم * نقل عن محمد بن الحنفية ان المراد منه شهادة الزور و قال ابن عباس لا تشهد الا بما رأته عينك و سمعته اذنك و وعاه قلبك و من هذا القبيل قذف المحصن و المحصنة و رميهما بالاكاذيب فان بعض الناس يذكرون مثالب الناس و عيوبهم و يهجونهم و يبالغون فيه فالمقصود النهى عنه و عن امثاله و يؤيد كون الآية مخصوصة بالرمى قوله عليه الصلاة و السلام * من قفا مؤمنا بما ليس فيه حبسه الله

(واوفوا بالعهد) بما عاهدكم الله من تكاليفه او ما عاهدتموه وغيره (ان العهد كان مسئولا) مطلوبا يطلب من المعاهد ان لا يضيعه ويفى به او مسئولا عنه يسأل الناكث و يعاتب عليه او يسأل العهد لم نكثت تبكيتا للناكث كما يقال للموؤودة باىّ ذنب قتلت فيكون تخييلا ويجوز ان يراد صاحب العهد كان مسئولا (واوفوا الكيل اذا كلتم) ولا تبخسوا فيه (وزنوا بالقسطاس المستقيم) بالميزان السوىّ وهو رومى معرّب ولا يقدح ذلك فى عربية القرآن لان العجمى اذا استعملته العرب وأجرته مجرى كلامهم فى الاعراب والتعريف والتنكير ونحوها صار عربيا وقرأ حمزة والكسائى وحفص بكسر القاف هنا وفى الشعرآء (ذلك خير واحسن تأويلا) واحسن عاقبة تفعيل من آل اذا رجع (ولا تقف) ولا تتبع وقرئ ولا تقف من قاف اثره اذا قفاه ومنه القافة (ما ليس لك به علم) ما لم يتعلق به علمك تقليدا او رجما بالغيب واحتج به من منع اتباع الظن وجوابه ان المراد بالعلم هو الاعتقاد الراجح المستفاد من سند سوآء كان قطعا او ظنا واستعماله بهذا المعنى شائع

وقيل انه مخصوص بالعقائد وقيل بالرمى وشهادة الزور ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام من قفا مؤمنا بما ليس فيه حبسه الله فى ردغة الخبال حتى يأتى بالمخرج وقول الكميت * ولا ارمى البرى بغير ذنب * ولا اقفو الحواصن ان قفينا (ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك) اى كل هذه الاعضاء فاجراها مجرى العقلاء لما كانت مسئولة عن احوالها شاهدة على صاحبها هذا وان اولاء وان غلب فى العقلاء لكنه من حيث انه اسم جمع لذا وهو يعم القبيلين جاء لغيرهم كقوله والعيش بعد اولئك الايام (كان عنه مسئولا) فى ثلاثتها ضمير كل اى كان كل واحد منها مسئولا عن نفسه يعنى عما فعل به صاحبه ويجوز ان يكون الضمير فى عنه لمصدر لا تقف او لصاحب السمع والبصر وقيل مسئولا مسند الى عنه كقوله تعالى غير المغضوب عليهم والمعنى يسأل صاحبه عنه وهو خطأ لان الفاعل وما يقوم مقامه لا يتقدم وفيه دليل على ان العبد مؤاخذ بعزمه على المعصية وقرئ والفواد بقلب الهمزة واوا بعد الضمة ثم ابدالها بالفتح (ولا تمش فى الارض مرحا) اى ذا مرح وهو الاختيال وقرئ مرحا وهو باعتبار الحكم ابلغ وان كان المصدر آكد من صريح النعت (انك لن تخرق الارض) لن تجعل فيها خرقا لشدة وطئتك (ولن تبلغ الجبال طولا) بتطاولك وهو تهكم بالمختال وتعليل للنهى بان الاختيال حماقة مجردة لا تعود بجدوى ليس فى التذلل (كل ذلك) اشارة الى الخصال الخمس والعشرين المذكورة من قوله تعالى ولا تجعل مع الله الها آخر وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انها المكتوبة فى الواح موسى عليه السلام (كان سيئه) يعنى المنهى عنه فان المذكورة مأمورات ومناهى وقرأ الحجازيان والبصريان سيئة على انها خبر كان والاسم ضمير كل وذلك اشارة الى مانهى عنه خاصة وعلى هذا قوله (عند ربك مكروها) بدل من سيئة او صفة لها محمولة على المعنى فانه بمعنى سيئا وقد قرئ به ويجوز ان ينتصب مكروها على الحال من المستكن فى كان او فى الظرف على انه صفة سيئة والمراد به المبغوض المقابل للمرضى لا ما يقابل المراد لقيام القاطع على ان الحوادث كلها واقعة بارادته تعالى (ذلك) اشارة الى الاحكام المتقدمة (مما اوحى اليك ربك من الحكمة) التى هى معرفة الحق لذاته والخير للعمل به (ولا تجعل مع الله الها آخر) كرره للتنبيه على ان التوحيد مبدأ الامر ومنتهاه فان من لا قصد له لا يقبل عمله ومن قصد بفعله او تركه غيره ضاع سعيه وانه رأس الحكمة وملاكها ورتب عليه اولا ما هو غاية الشرك فى الدنيا وثانيا ما هو نتيجته فى العقبى فقال تعالى (فتلقى فى جهنم ملوما) تلوم نفسك (مدحورا) مبعدا من رحمة الله تعالى (أفأصفاكم ربكم بالبنين) خطاب لمن قالوا الملائكة بنات الله والهمزة للانكار والمعنى أفخصكم ربكم بفضل الاولاد وهم البنون (واتخذ من الملائكة اناثا) بناتا لنفسه هذا خلاف ما عليه عقولكم وعادتكم (انكم لتقولون قولا عظيما) باضافة الاولاد اليه [illegible] تفضيلا لانفسكم عليه حيث تجعلون له ما تكرهون ثم تجعلوا الملائكة الذين هم من اشرف الخلق أدونهم [illegible]

فى ردغة الخبال والردغة بفتح الدال وسكونها وبالغين المعجمة الماء والطين والوحل الشديد وفى حديث الخبال عصارة اهل النار وهو فى الاصل الفساد وقوله حتى يأتى بالمخرج يريد حتى يرجع عما قال اى حتى يخرج من عهدته وقول الكميت

* ولا ارمى البرئ بغير ذنب * ولا اقفو الحواصن ان قفينا *

الحواصن جمع حاصنة بمعنى محصنة وهى المرأة العفيفة ﴿قوله فى ثلاثتها﴾ وهى كان عنه مسئولا ولا يبعد ان يخلق الله الحياة والعقل والنطق فى هذه الاعضاء ثم انه تعالى يوجه السؤال اليها ويسألها أصرفها صاحبها فى الطاعة ام فى المعصية ويحتمل ان يكون التقدير ان صاحب السمع والبصر والفؤاد هو المسئول بناء على ان السؤال لا يصح الا ممن يكون عاقلا ناطقا وهذه الجوارح ليست كذلك بل العاقل الفاهم هو الانسان فيقال له لم سمعت ما لا يحل لك سماعه ولم نظرت الى ما لا يحل لك النظر اليه ولم عزمت على ما لا يحل لك العزم عليه ﴿قوله اى ذا مرح﴾ اشارة الى ان المرح بفتح الراء مصدر واقع موقع الحال بتقدير المضاف والمرح شدة الفرح يقال مرح يمرح مرحا فهو مرح المصدر بفتح الراء والنعت بكسرها والمراد من الآية النهى عن ان يمشى الانسان مشيا يدل على الكبرياء والعظمة اى لا تمش فى الارض مختالا فخورا وقد جاء بكسر الراء وان كان ابلغ فى الدلالة على المعنى المراد وهى نهى المخاطب عن المشى بالكبر والتعظم الا ان المصدر آكد اى اكثر تقريرا للاتصاف بالمرح وفيه بحث لان المصدر انما يكون آكد للاتصاف اذا ترك على حاله كما فى رجل عدل واما اذا اول المصدر بقوله ذا مرح كما فعل المصنف فحينئذ لا يكون فرق بين القراءتين ولما كانت مشية المرح مشتملة على شدة الوطأة والتكبر على الارض بمشيه عليها وعلى التطاول والتعظم قال تعالى فى تعليل النهى عنها انك لن تخرق الارض اى كيف تتكبر على الارض ولن تقدر على ان تجعل فيها خرقا وشقا وكيف تتعظم وتتطاول ولن تبلغ الجبال طولا فانت احقر واضعف من كل واحد من الجمادين فكيف يليق بك التكبر ﴿قوله يعنى المنهى عنه﴾ فان الكوفيين وابن عامر لما قرأوا سيئه بضم الهمزة والهاء وتذكير الكلمة من غير تنوين باضافة سيئ الى الضمير الراجع الى قوله كل ذلك مشيرا بقوله ذلك الى جميع ما تقدم وفيه السيئ والحسن حكم على سيئ ما تقدم وهو المنهى بانه كان عند ربك مكروها وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب سيئة بفتح الهمزة وتاء تأنيث منصوبة منونة فحينئذ يكون ذلك اشارة الى ما نهى عنه خاصة ويحتمل ان يكون اشارة الى مصدرى قوله تعالى لا تقف ولا تمش وهما قفو ما ليس لك به علم والمشى فى الارض مرحا على طريق قوله تعالى لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك ﴿قوله والمراد به المبغوض﴾ جواب عن استدلال المعتزلة بهذه الآية على ان هذه الآية دلت على ان هذه الاعمال مكروهة عند الله تعالى والمكروه لا يكون مرادا فهذه الاعمال لا تكون مرادة لله تعالى واذا ثبت انها ليست بارادة الله تعالى وجب ان لا تكون مخلوقة لله تعالى لان كونها مخلوقة له تعالى يستلزم كونها مرادة له ﴿قوله ذلك اشارة الى الاحكام المتقدمة﴾ وهى الخصال الخمس والعشرون بعضها نواهى وسماها حكمة لان الحكمة عبارة عن معرفة الحق لذاته والخير للعمل به والامر بالتوحيد من القسم الاول وباقى التكاليف من القسم الثانى فانها خيرات تعلم لاجل العمل بها ﴿قوله ورتب عليه﴾ اى على قوله تعالى ولا تجعل مع الله الها آخر ما هو غاية الشرك فى الدنيا حيث قال فتقعد مذموما مخذولا والذم والخذلان يحصلان فى الدنيا والقاؤه فى جهنم ملوما مدحورا حيث يحصل يوم القيامة وهذا الكلام لا يتضح الا ببيان الفرق بين المذموم والمخذول وبين الملوم والمدحور فنقول كونه مذموما معناه ان يذكر ان الفعل الذى اقدم عليه قبيح ومنكر فهذا معنى كونه مذموما واذا ذكر ذلك له يقال له لم فعلت مثل هذا الفعل وما الذى حملك عليه وما استفدت من هذا العمل الا الحاق الضرر بنفسك فهذا هو اللوم فثبت ان اول الامر هو ان يصير مذموما وآخره ان يصير ملوما واما الفرق بين المخذول وبين المدحور فهو ان المخذول عبارة عن الضعيف يقال تخاذلت اعضاؤه اى ضعفت واما المدحور الذى هو المطرود فهو عبارة عن الاستخفاف والاهانة قال تعالى ويخلد فيه مهانا فكونه مخذولا عبارة عن ترك اعانته وتفويضه الى نفسه وكونه مدحورا عبارة عن اهانته والاستخفاف به فثبت ان اول الامر ان يصير مخذولا وآخره ان يصير مدحورا ثم انه تعالى لما امر بالتوحيد ونهى عن اثبات الشريك لله تعالى واوعد عليه اتبعه بذكر فساد طريقة من اثبت الولد لله تعالى لا سيما كون ذلك الولد اخس الاولاد فقال أفأصفاكم ربكم بالبنين اى اتزعمون انه تعالى اختاركم فجعل لكم الصفوة ولنفسه الاخس بان اختصكم بالبنين واتخذ من الملائكة اناثا وتقولون

(ولقد صرّفنا) كرّرنا هذا المعنى بوجوه من التقرير (في هذا القرآن) في مواضع منه ويجوز ان يراد بهذا القرآن ابطال اضافة البنات اليه على تقدير ولقد صرّفنا القول في هذا المعنى او اوقعنا التصريف فيه وقرئ صرفنا بالتخفيف (ليذكروا) ليتذكروا وقرأ حمزة والكسائي هنا وفي الفرقان ليذكروا من الذكر الذي هو بمعنى التذكر (ومايزيدهم الانفورا) عن الحق وقلة طمأنينة اليه (قل لوكان معه آلهة كما تقولون) ايها المشركون وقرأ ابن كثير وحفص عن عاصم بالياء فيه وفي مابعده على ان الكلام مع الرسول صلى الله عليه وسلم ووافقهما نافع وابن عامر وابو عمرو وابوبكر ويعقوب في الثانية على ان الاولى مما امر الرسول صلى الله عليه وسلم ان يخاطب به المشركين والثانية مما نزه به نفسه عن مقالهم (اذالابتغوا الى ذي العرش سبيلا) جواب عن قولهم وجزاء للو والمعنى لطلبوا الى من هو مالك الملك سبيلا بالمعازة كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض او بالتقرب اليه والطاعة لعلمهم بقدرته وعجزهم كقوله تعالى اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة (سبحانه) تنزه تنزيها (وتعالى عمايقولون علوّا) تعاليا (كبيرا) متباعدا غاية البعد عمايقولون فانه في اعلى مراتب الوجود وهو كونه واجب الوجود والبقاء لذاته واتخاذ الولد من ادنى مراتبه فانه من خواص ماءيمتنع بقاؤه (تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شئ الايسبح بحمده) ينزهه عما هو من لوازم الامكان وتوابع الحدوث بلسان الحال حيث تدل بامكانها وحدوثها على الصانع القديم الواجب لذاته (ولكن لاتفقهون تسبيحهم) ايها المشركون لاخلالكم بالنظر الصحيح الذي به يفهم تسبيحهم ويجوز ان يحمل التسبيح على المشترك بين اللفظ والدلالة لاسناده الى مايتصور منه اللفظ والى مالايتصور منه وعليهما عند من جوّز اطلاق اللفظ على معنييه وقرأ ابن كثير وابن عامر ونافع وابوبكر يسبح بالياء (انه كان حليما) حين لم يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وشرككم (غفورا) لمن تاب منكم (واذاقرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لايؤمنون بالآخرة حجابا) يحجبهم عن فهم ما تقرأه عليهم (مستورا) ذاستر كقوله تعالى وعده مأتيا وقولهم سيل مفعم اومستورا عن الحس او بحجاب آخر لايفهمون

ان الملائكة بنات الله والهمزة فيه للانكار والتوبيخ والتفضيح باختيار مذهب ظاهر الفساد وقوله تعالى واتخذ يجوز ان يكون معطوفا على أفاصفاكم فيكون داخلا في حيز الانكار ويجوز ان يكون الواو فيه للحال وقد مقدرة عند قوم واتخذ يجوز ان يكون متعديا الى اثنين قال ابوالبقاء اناثا مفعول اوّل لاتخذ وثانيهما محذوف اي اولادا واختاره المصنف ايضا حيث قال بناتا لنفسه ومن الملائكة متعلق باتخذ او بمحذوف على انه حال من النكرة بعده وفيما ذهب اليه ابوالبقاء نظر لانه يستلزم ان يبتدأ بالنكرة من غير مسوغ لان مايقع مفعولا اوّلا في هذا الباب يجب ان يصح وقوعه مبتدأ ومالايصح ان يكون مبتدأ لايصح كونه مفعولا اوّلا والظاهر ان يقال المفعول الثاني هو من الملائكة قدم على الاوّل كما في قولك في الدار رجل اويقال ان اتخذ ههنا متعدية الى واحد كما في قوله تعالى وقالوا اتخذ الله ولدا ﴿قوله كررنا هذا المعنى بوجوه من التقرير﴾ اشارة الى ان مفعول صرّفنا محذوف وهو قوله هذا المعنى والمراد به ابطال اضافتهم البنات الى الله تعالى والمراد من تصريفه صرف تقريره من وجه الى وجه آخر وتلخيصه تكرير تقريره وتبيينه بوجوه مختلفة في مواضع من التنزيل ﴿قوله ويجوز ان يراد بهذا القرآن ابطال اضافة البنات اليه تعالى﴾ بان يطلق القرآن على المعنى بطريق اطلاق اسم الدال على المدلول وحينئذ يقدّر لصرّفنا مفعول وهو القول ووجه ظرفية هذا المعنى لتصريف القول كونه محلا لتغيير القول وصرفه من اسلوب الى اسلوب آخر ﴿قوله من الذكر الذي هو بمعنى التذكر﴾ وهو التفكر والتأمل فان الذكر قد يجيء بهذا المعنى كقوله تعالى خذوا ما آتيناكم بقوّة واذكروا مافيه والتذكر الاعتبار والاتعاظ قال الواحدي التذكر ههنا اشبه من الذكر لان المراد منه التذكر والتدبر وليس المراد منه الذكر الذي يحصل بعد النسيان ثم ان المقصود من التذكر والاتعاظ ان تطمئن قلوبهم الى هذا المعنى الذي كرّر تقريره بوجوه مختلفة بقرينة قوله ومايزيدهم الانفورا فان النفور مقابل للطمأنينة كانه قيل كرّرنا القول في هذا المعنى او كرّرنا هذا المعنى في القرآن المنزل ليتعظوا ويطمئنوا اليه فمايزيدهم الانفورا وفيه تعكيس بماينبغي من حيث ان حق هذا التكرير ان يزيدهم اتعاظا وطمأنينة قلب ومع هذا قد زادهم نفورا وعنادا والكاف في قوله تعالى كما تقولون في محل النصب على انه صفة مصدر محذوف اي كونا مثل قولكم وقوله تعالى عطف على ماتضمنه المصدر تقديره تنزه وتعالى وعن متعلقة به ﴿قوله حيث تدل بامكانها وحدوثها على الصانع القديم الواجب لذاته﴾ هذا التعليل مبني على ان قوله تعالى يسبح استعارة تبعية شبه دلالة ماذكر على تنزيه الله تعالى عما لايجوز عليه من لوازم الامكان وتوابع الحدوث بالتسبيح فاستعمل يسبح مكان يدل كما في قولهم نطق الحال لما ابطل الله تعالى قول الذين قالوا الملائكة بنات الله ونزه ذاته عمانسبوا اليه عقبه بقوله تسبح له السموات السبع دلالة على ان الاكوان باسرها دالة شاهدة بتلك النزاهة ولكن ايها المشركون لاتفهمون دلالتها عليها الاخلالكم بالنظر الصحيح ﴿قوله ويجوز ان يحمل التسبيح الخ﴾ عطف على ماسبق من حيث المعنى فان التسبيح الحقيق وهو ان يقول المسبح بلسانه سبحان الله مثلا لما لم يتصوّر من الجمادات لتوقفه على الفهم والنطق حمل التسبيح اوّلا على الدلالة على وحدانية الله تعالى وتنزهه عما لايليق بالالوهية تشبيها الدلالة الحال بالتسبيح الحقيق والتسبيح بهذا المعنى المجازي حاصل في جميع الموجودات والحي المكلف كما يسبح الله تعالى بهذا التسبيح المجازي يسبحه ايضا بالقول ثم قال ويجوز ان يحمل التسبيح على عموم المجاز بان يراد مطلق الدلالة سواء كانت دلالة الحال اودلالة اللسان لاسناده الى مايتصوّر منه اللفظ وهو الملائكة والثقلان والى مالايتصوّر منه ذلك وهو السموات والارض ولايجوز ان يحمل على المعنيين جميعا الاعند من يجوز كون الكلمة الواحدة في حالة واحدة محمولة على الحقيقة والمجاز ﴿قوله وقرأ ابن كثير وابن عامر ونافع وابوبكر يسبح بالياء﴾ اي الياء المنقوطة من تحت لاسناد الفعل الى ظاهر المؤنث الغير الحقيقي ولوجود الفصل بين الفعل وفاعله المؤنث والباقون بتاء التأنيث ﴿قوله حين لم يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وشرككم﴾ جواب عما يقال كيف يصح ان يجعل خطاب لاتفقهون للمشركين ولايخاطب بالحلم والمغفرة الا المؤمنون * وتقرير الجواب ان قوله تعالى انه كان حليما استئناف في موضع التعجب كانه قيل ما احلمه واعظم غفرانه حيث يعلم من هؤلاء المعاندين ماهم عليه ثم لايعاجلهم بالعقوبة ﴿قوله مستورا ذاستر﴾ على ان مستورا من باب النسب كقولهم مكان مهول وجارية مغنوجة اي ذو هول وذات غنج ورجل مرطوب اي ذو رطوبة وكان وعده مأتيا بمعنى ذي اتيان لانه يؤتى اليه وسيل مفعم بفتح العين اي ذو ملء لانه مملوء فان السيل مفعم بكسر العين والوادي مفعم

ولايفقهون انهم لايفهمون نفي عنهم ان يفهموا ماانزل عليهم من الآيات بعد مانفي عنهم التفقه للدلالات المنصوبة في الانفس والآفاق تقريراً له وبياناً لكونهم مطبوعين على الضلالة كما صرّح به بقوله (وجعلنا على قلوبهم اكنة) تكنها وتحول دونها عن ادراك الحق وقوله (ان يفقهوه) كراهة ان يفقهوه ويجوز ان يكون مفعولا لمادل عليه قوله وجعلنا على قلوبهم اكنة اي منعناهم ان يفقهوه (وفي آذانهم وقرا) يمنعهم من استماعه استماع تأمل في لفظه وتدبر في معناه ولما كان القرآن معجزا من حيث اللفظ والمعنى اثبت لمنكريه مايمنع عن فهم المعنى وادراك اللفظ (واذا ذكرت ربك في القرآن وحده) واحدا غير مشفوع به آلهتهم مصدر وقع موقع الحال واصله يحد وحده اوبمعنى واحدا وحده (ولوا على ادبارهم نفورا) هربا من استماع التوحيد ونفرة اوتولية ويجوز ان يكون جمع نافر كقاعد وقعود (نحن اعلم بما يستمعون به) بسببه ولاجله من الهزؤ بك وبالقرآن (اذ يستمعون اليك) ظرف لاعلم وكذا (واذهم نجوى) اي نحن اعلم بغرضهم من الاستماع حين هم مستمعون اليك مضمرون له وحين هم ذوو نجوى يتناجون به ونجوى مصدر ويحتمل ان يكون جمع نجيّ (اذ يقول الظالمون ان تتبعون الارجلا مسحورا) مقدّر باذكر اوبدل من اذهم نجوى على وضع الظالمين موضع الضمير للدلالة على ان تناجيهم بقولهم هذا من باب الظلم والمسحور هو الذي سحر به فزال عقله وقيل الذي له سحر وهو الرئة اي الارجلا يتنفس ويأكل ويشرب مثلكم (انظر كيف ضربوا لك الامثال) مثلوك بالشاعر والساحر والكاهن والمجنون (فضلوا) عن الحق في جميع ذلك (فلا يستطيعون سبيلا) الى طعن موجه فيتهافتون ويخبطون كالمتحير في امره لايدري مايصنع اوالى الرشاد (وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا) وحطاما (أئنا لمبعوثون خلقا جديدا) على الانكار والاستبعاد لما بين غضاضة الحيّ ويبوسة الرميم من المباعدة والمنافاة والعامل في اذامادل عليه مبعوثون لانفسه لان مابعد ان لايعمل فيماقبلها وخلقا مصدر اوحال (قل) جوابا لهم (كونوا حجارة او حديدا او خلقا مما يكبر في صدوركم) اي مما يكبر عندكم عن قبول الحياة لكونه ابعد شئ منها فان قدرته تعالى لاتقصر عن احيائكم لاشتراك الاجسام في قبول الاعراض فكيف اذا كنتم عظاما مرفوتة وقد كانت غضة موصوفة بالحياة قبل والشئ اقبل لما عهد فيه مما لم يعهد (فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم اول مرة) وكنتم ترابا وماهو ابعد منه من الحياة (فسينغضون اليك رؤسهم) فسيحركونها نحوك تعجبا واستهزاء

(زيد)

بفتح العين، الجوهري الفم الممتلئ يقال ساعد فم وافعمت الاناء ملأته وافعم المسك البيت ملأه بريحه والحجاب ليس بمستور بل المستور ماوراءه فلذلك جعل المستور للنسب ويحتمل ان يكون توصيف الحجاب بكونه مستورا عبارة عن كونه غير مرئي على طريق اطلاق الملزوم وارادة لازمه لانّ مايكون مستورا يلزمه ان لايرى ﴿**قوله** او بحجاب آخر﴾ بان يكونوا محجوبين بالحجاب الاول عن فهم مايقرأ عليهم وبالحجاب الثاني حجبوا عن فهم كونهم محجوبين عن فهم مايتلى عليهم وهو قوله لايفقهون ولا يفهمون انهم لايفهمون ﴿**قوله** نفي عنهم ان يفهموا ماانزل عليهم﴾ بيان لوجه ارتباط هذه الآية بماقبلها وذلك انه تعالى ابطل مقالة المشركين ونزه نفسه عمانسبوا اليه تعالى ثم قال تسبح له السموات السبع الآية على معنى ان جميع الكائنات تدل على تنزيهه عن جميع لوازم الامكان والحدوث ولكن لاتفقهون الدلالات المنصوبة في الانفس والآفاق ثم قرّر ذلك بقوله واذا قرأت القرآن الآية وقوله تعالى ان يفقهوه اما مفعول له بتقدير المضاف اومفعول به على تقدير ومنعناهم ان يفقهوه لدلالة الجملة على قوله ومنعناهم ﴿**قوله** واصله يحد وحده﴾ فحذف الفعل الذي هو يحد واقيم المصدر مقامه ولوقيل المصدر بمعنى اسم الفاعل كأنه قيل واحدا لكان له وجه ﴿**قوله** هربا ونفرة اوتولية﴾ الاول على ان يكون انتصاب نفورا على انه مفعول له اي تركوا مجلس الذكر هربا عن استماعه والثاني على انه مفعول مطلق من غير لفظ الفعل لان التولي والنفور بمعنى وان كان جمع نافر يكون حالا من فاعل ولوا فالكفار كانوا عند استماع القرآن على حالتين فاذا سمعوا من القرآن ماليس فيه ذكر الله تعالى بقوا مبهوتين متحيرين لايفهمون منه شيأ واذا سمعوا آيات فيها ذكر الله تعالى وذم المشركين تركوا ذلك المجلس وولوا هاربين ثم ان القوم لما وصفوه عليه الصلاة والسلام بكونه مسحورا فاسد العقل ذكر مايدل على فساد عقله عليه الصلاة والسلام بحسب زعمهم وهو قولهم انه عليه الصلاة والسلام يدعي ان الانسان بعد مايصير عظاما ورفاتا يعود حيا طريا كما كان فحكى الله تعالى عنهم ذلك تجهيلا لهم وابطالا لمقالتهم فقال وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا قال الواحدي الرفت كسر الشئ بيدك تقول رفته وارفته على وزن جبرته واجبرته بكسر العين في المضارع اذا كسرته كما يكسر المدر والعظم البالي والرفات الاجزاء المتفتتة من كل شئ يقال رفت رفتا فهو مرفوت مثل حطم حطما فهو محطوم وزنا ومعنى والحطام اسم بمعنى المحطوم كالجذاذ والرضاض والفتات ﴿**قوله** وخلقا مصدر﴾ اي على غير لفظ الفعل اي أئنا لمبعوثون بعثا جديدا وحال بمعنى مخلوقين فالقوم لما استبعدوا ان يردّوا الى حال الحياة بعد ان صاروا عظاما ورفاتا ابانا يجعلها حية عاقلة كما كانت والدليل على صحة ذلك ان تلك الاجسام قابلة للحياة والعقل على خلاف مازعموا من امتناع العظام المرفوتة عن قبول الحياة لغلبة اليبس عليها اجابهم الله تعالى بما معناه تحولوا وتعادوا بعد الموت الى ايّ صفة تزعمون انها اشدّ منافاة للحياة وابعد عن قبولها كصفة الحجرية والحديدية ونحوهما مما هو ابعد من قبول الحياة بالنسبة الى حال كونكم عظاما مرفوتة في صفة الحياة والعقل والادراك ونحوها مماهو لازم الحياة فانه تعالى يعيد الحياة اليها اذ لولم تكن قابلة لها لما قبلت اياها في اوّل الامر والله العالم عالم بجميع الجزئيات فلاتشتبه عليه اجزاء بدن زيد المطيع باجزاء بدن عمرو العاصي وقادر على الممكنات واذا ثبت ان عود الحياة الى تلك الاجزاء ممكن قطعا سواء صارت عظاما ورفاتا او صارت شيأ ابعد من العظام المرفوتة في قبول الحياة نحو ان تصير حجارة او حديدا فقوله تعالى كونوا حجارة ليس المراد منه الامر بل المراد انكم لو كنتم كذلك لما اعجزتم الله تعالى عن الاعادة وذلك كقول القائل للرجل اتلومني وتغلظ علي وانا فلان فيقول كن من شئت كن ابن الخليفة فسأطلب منك حقي فكذا المعنى ههنا كونوا على ايّ صفة كانت فاعادة الحياة اليكم ممكنة ﴿**قوله** فسيحركونها﴾ يقال انغض رأسه ينغضه انغاضا اذا حركه انكارا او استبعادا وامانغض ثلاثيا ينغض بفتح الغين وضمها فمعناه تحرك وهو لايتعدى ﴿**قوله** وان يكون اسم عسى او خبره والاسم مضمر﴾ اعلم ان عسى يرفع الاسم وينصب الخبر نحو كان كقوله: عسى الغوير ابؤسا وعسيت صائما الا ان خبرها في الاغلب يكون ان مع الفعل نحو عسى زيد ان يخرج فان زيدا فيه مرفوع على انه اسم عسى وان يخرج منصوب المحل على انه خبرها والتقدير عسى زيد الخروج اي ذا الخروج واحتيج الى تقدير المضاف لئلا يلزم كون الحدث خبرا عن الجثة وتستعمل على وجه آخر وهو ان تتم بمرفوعها الذي كان منصوب المحل في الاستعمال الاوّل وتستغني عن خبرها لاشتمال الاسم على المنسوب والمنسوب اليه نحو عسى ان يخرج زيد فالآية التي نحن فيها يحتمل ان يكون اسم عسى فيها راجعا الى البعث وتكون كلمة ان مع مافي حيزها خبر عسى كما في قوله عسى

زيد ان يخرج والظاهر ان يكون ضميرا لفظ يكون التامة ويكون التقدير عسى البعث ان يقع فى زمان قريب وان يكون قوله يوم يدعوكم بدلا من قريبا والمعنى عسى ان يقع البعث يوم يدعوكم وهو يوم النفخة الاخيرة ويحتمل ان يكون منصوبا باذكر جعل قوله تعالى يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده مجازا على طريق التمثيل كما فى قوله كن فيكون لان حقيقة الدعاء والاجابة غير معقول فى حق الاموات فالظاهر انه لادعاء ههنا ولااجابة ولاخطاب ولامخاطب شبه حال المكلفين من لدن آدم عليه الصلاة والسلام الى يوم النفخة الاولى ومطاوعة الجميع لارادة الباعث وانبعاثهم انبعاث شخص واحد منقاد لامر الآمر المطاع بالدعوة والاجابة فعبر عن الحالة المشبهة بمايعبر به عن المشبه به والاستجابة فى الاصل موافقة الداعى فيمادعا اليه وهى الاجابة الاان الاستجابة تقتضى طلب الموافقة فهو اوكد من الاجابة وقد ورد فى الاخبار ان اسرافيل عليه الصلاة والسلام يقوم على صخرة بيت المقدس يدعو اهل القبور فى قرن يقول ايتها العظام البالية واللحوم المتفرقة والعروق المتقطعة اخرجوا من قبوركم فيخرجون وظاهره يدل على ان الدعاء القول والاجابة اجابة القول والعمل فلا ينبغى لنا الا ان نقول آمنت بالله وبما جاء من عند الله على مراد الله وآمنت بالله وبرسول الله وبما جاء من عنده على مراده وقوله بحمده حال من فاعل تستجيبون اى تستجيبون ملتبسين بحمده ﴿ قوله وتستقصرون مدة لبثكم فى القبور ﴾ ينبغى ان يراد من اللبث فى القبور لبثهم فيما بين النفختين الاولى والثانية فانه يزال عنهم العذاب فى هذا الوقت كما روى عن ابن عباس انهم لما بعثوا وعاينوا اهوال القيامة استقصروا مدة لبثهم فى القبور فيما بين النفختين استقصار من اماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما او بعض يوم وانما قلنا هذا لان الكلام مع من ينكر البعث ويقول متى هو فلا جرم ان يكون هو فى العذاب الشديد من حين مات فكيف يمكنه ان يستقصر جميع تلك المدة كالذى مرّ على قرية فان من كان مبتلى بالعذاب الشديد فى القبر فلا يستقصر مقامه فيه يوم يبعثه الله فيبعث الاان يقال يوم البعث والانبعاث يوم ممتدّ يتناول الزمان الذى قاسى فيه شدآئد عذاب النار واهواله فان من عاينها وابتلى بها يصح منه ان يستقصر مدة لبثه فى القبر ويستحقر ماابتلى به فيه بالنسبة الى ماابتلى به بعد البعث فان من كان فى بلاء وشدة اذا انزل به ماهو اشدّ منه واعظم استقصر ماكان فيه قبل ذلك فكذا المشرك اذا عاين عذاب القيامة واهوالها استقصر ماكان فيه من العذاب فى القبر ونسى ذلك ثم انه تعالى لما بين صحة المعاد بقوله قل الذى فطركم اول مرّة امر النبى صلى الله عليه وسلم بان يقول للمؤمنين اذا اردتم ايراد الحجج الدالة على صحة الحشر والمعاد على المخالفين فاذكروا تلك الدلائل والحجج بالطريق الاحسن وهو ان لايكون ذكرها مخلوطا بالشتم والسبّ اذلو اختلط بذكرها شئ من السبّ لقابلوكم بمثله كما قال تعالى ولاتسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم ويزداد الغضب وتتكامل النفرة ويمتنع حصول المقصود بخلاف ما اذا اقتصر على ذكر الحجة بالطريق الاحسن الخالى من الشتم والايذآء فان ذكرها على هذا الوجه يؤثر فى القلب تأثيرا شديدا ﴿ قوله تفسير التى هى احسن ﴾ فيكون المراد بقوله قل لعبادى الذين آمنوا ويكون قوله ربكم اعلم بكم خطابا مع الكفار على انه مقول لقوله يقولوا وقوله التى هى احسن توطئة وتمهيدا له وقوله وماارسلناك عليهم وكيلا كالتذييل لمجموع مجادلته مع المشركين فامر المؤمنين بها من لدن قوله وقالوا أئذا كنا عظاما الى ههنا ويكون المعنى ايها المشركون ان يشأ ربكم يرحمكم بان يوفقكم للايمان والمعرفة وان يشأ يمتكم على الكفر فيعذبكم الاان تلك المشيئة غائبة عنكم فاجتهدوا انتم فى طلب الدين ولاتصرّوا على الجهل والباطل لئلاتصيروا محرومين من السعادات الابدية وقوله ان الشيطان ينزغ بينهم اعتراض بين المفسر والمفسر ثم انه تعالى لما قال ربكم اعلم بكم قال بعده وربك اعلم بمن فى السموات والارض بمعنى ان علمه غير مقصور عليكم ولا على احوالكم بل علمه متعلق بجميع الموجودات والكائنات فيعلم حال كل احد ويعلم مايليق به من المصالح والمفاسد فلهذا السبب فضل بعض النبيين على بعض وآتى موسى التوراة وداود الزبور وعيسى الانجيل وخص كلا منهم بما يقتضيه علمه ومشيئته فيه فلم يبعد ايضا ان يؤتى خاتم النبيين القرآن ويفضله على جميع افراد نوع الانسان وان يخص اصحابه العراة الجوّع بشرف صحبته وكل ذلك لاجل انه تعالى لاينظر الى الصور وظواهر العلائق الجسمانية وانما ينظر الى طهارة الباطن واستعداده للتحلى بالفضائل النفسانية والمعارف الذوقية الربانية والحاصل انه تعالى ردّ أوّلا على المشركين فى استبعادهم البعث بقولهم أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون وامر النبى صلى الله عليه وسلم ان يجيبهم ويجادلهم بالطريق الذى امره به

(ويقولون متى هو قل عسى ان يكون قريبا) فان كل ماهو آت قريب وانتصابه على الخبر او الظرف اى يكون فى زمان قريب وان يكون اسم عسى او خبره والاسم مضمر (يوم يدعوكم فتستجيبون) اى يوم يبعثكم فتنبعثون استعار لهما الدعاء والاستجابة للتنبيه على سرعتهما وتيسر امرهما وان المقصود منهما الاحضار للمحاسبة والجزآء (بحمده) حال منهم اى حامدين الله تعالى على كمال قدرته كما قيل انهم ينفضون التراب عن رؤسهم ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك او منقادين لبعثه انقياد الحامدين عليه (وتظنون ان لبثتم الاقليلا) وتستقصرون مدة لبثكم فى القبور كالذى مرّ على قرية او مدة حياتكم لماترون من الهول (وقل لعبادى) يعنى المؤمنين (يقولوا التى هى احسن) الكلمة التى هى احسن ولايخاشنوا المشركين (ان الشيطان ينزغ بينهم) يهيج بينهم المرآء والشرّ فلعل المخاشنة بهم تفضى الى العناد وازدياد الفساد (ان الشيطان كان للانسان عدوّا مبينا) ظاهر العداوة (ربكم اعلم بكم ان يشأ يرحمكم او ان يشأ يعذبكم) تفسير للتى هى احسن وما بينهما اعتراض اى قولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولاتصرّحوا بانهم من اهل النار فانه يهيجهم على الشرّ مع ان ختام امرهم غيب لايعلمه الاالله

ثم امر المؤمنين بان يجادلوا معهم بالطريقة التى هى احسن ولا يخاشنوهم لئلا يفوت المقصود ثم قال فى آخره كيف تخاشنهم انت والمؤمنون وما ارسلناك تقسرهم على الايمان ثم انه تعالى ردّ على المشركين فى استبعادهم امر النبوّة بعدالردّ عليهم فى استبعادهم البعث بمثل قولهم كيف يكون يتيم ابى طالب نبيا ويكون العراة الجوّع اصحابه فقال وربك اعلم بمن فى السموات والارض على معنى انهم ان كانوا لايعلمون وجه استحقاقك للنبوّة واستحقاق اصحابك للتقدّم فى اتباعك والاهتدآء لدينك فاعلم ان ربك اعلم باحوال من فى السموات والارض وبما آتى كل واحد منهم من الفضل والتقدّم ولذلك لاتتفاوت مراتب الانبياء فى الاتصاف بالملك وتشييد القصور والبقاع حتى ان داود عليه الصلاة والسلام مع كونه ملكا عظيما لم يذكر الله تعالى ماآتاه من الملك وذكر ماآتاه من الكتاب للتنبيه على ان المراد من تفضيل بعض النبيين على بعض هو التفضيل بالعلم والدين والفضائل النفسانية والتبرى من العلائق الجسمانية لابالمال والجاه فظهر بما ذكر من التقرير ان ليس المراد منه البعض المطلق والكلام مسوق لتقرير ما اجمل فى قوله وربك اعلم بمن فى السموات والارض فان علمه بمن فيهما عبارة عن انه تعالى انما يفضل منهم من يفضله على حسب علمه بحاله ومشيئته فى حقه وقوله وآتينا داود زبورا انما ذكر فى هذا المقام للتنبيه على ان المراد بتفضيل بعض الانبياء على بعض التفضيل بالفضائل النفسانية والعلوم الدينية لابالملك وسعة المال حتى انه تعالى لم يتعرّض لشئ من فضائل داود عليه الصلاة والسلام سوى ماشرفه به من ايتائه الزبور **قوله وقيل هو** اى قوله تعالى ولقد فضلنا الآية اشارة الى تفضيل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى قيل ان المراد بالبعض المعهود نبينا وذكر هذا المعطوف فى مقام تبيينه وكان الزبور مشتملا على وجه تفضيله وهو انه عليه الصلاة والسلام خاتم الانبياء وان امته عليه الصلاة والسلام خير الامم فان ذلك مكتوب فى زبور داود عليه الصلاة والسلام قال الله تعالى ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادى الصالحون والمراد بهم نبينا صلى الله عليه وسلم وامته فكان عطفه عليه تنبيها على وجه تفضيله **قوله وتنكيره ههنا** يعنى ان الزبور علم لكتاب داود عليه الصلاة والسلام فكيف عرّف تارة ونكر اخرى والتعريف العلمى يغنى عن التعريف اللامى واجاب عنه اوّلا بانه ليس من الاعلام المرتجلة بل هو من الاعلام المنقولة فانه منقول عن اسم صفة كحاتم وعباس او عن اسم معنى كفضل لانه اسم فعول بمعنى مفعول كحلوب او بمعنى المصدر كقبول وبعد مانقل الى العلمية جاز تعريفه تلميحا واشارة الى اصله وجاز تنكيره اعتبارا لعلميته كعباس والعباس وفضل والفضل وثانيا بانه ليس من الاعلام بل هو اسم جنس بمعنى المزبور وهو المكتوب فاذا اريد به المعهود المعين يحتاج الى تعريفه باللام كما فى قوله تعالى ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر وان اريد به فرد من جنس المزبور عظيم الشان كامل فى كونه كتابا يستعمل نكرة كما فى قوله تعالى وآتينا داود زبورا وكذا ان اريد به قطعة من قطع الزبور المعهود بان يكون الزبور اسما مشتركا بين الكل والبعض كما يطلق على الكل يطلق على كل بعض منه كما يطلق على بعض القرءآن قرءآن فلما قصد به فرد مما يصدق عليه زبور بمعنى قطعة من الزبور نكر كما فى قوله تعالى وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى **قوله انها آلهة** اشارة الى ان كل واحد من مفعولى زعمتم محذوف لدلالة المقام عليه اى زعمتموهم آلهة او زعمتم انها آلهة **قوله كالملائكة والمسيح وعزير** لم يذكر الاصنام لانه تعالى قال فى صفتهم اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة وابتغاء الوسيلة الى الله تعالى لايليق بالاصنام البتة فينبغى ان تكون الآية نازلة فى قوم عبدت الملائكة من المشركين الزاعمين انه ليس لنا اهلية ان نشتغل بعبادة الله تعالى فنحن نعبد بعض المقربين من عباد الله تعالى وهم الملائكة فاتخذوا للملك الذى عبدوه تمثالا وصورة واشتغلوا بعبادة ذلك التمثال على زعم انه تمثال ملك فانزل الله تعالى هذه الآية احتجاجا على بطلان قولهم ووجه الاحتجاج ان الاله المعبود هو القادر على ازالة الضرر وايصال النفع والاشياء التى يعبدونها لايقدرون على كشف الضرّ ولا على تحصيل النفع وغاية شأن الملائكة انهم عباد مكرمون لايسبقونه بالقول وهم بامره يعملون فوجب القطع بان شيأ منها ليس باله وروى عن ابن عباس ومجاهد انها نزلت فى الذين عبدوا المسيح وعزيرا والملائكة والشمس والقمر والنجوم وفى الوسيط قال المفسرون ان المشركين من قريش واهل مكة اصابهم قحط شديد سبع سنين حتى اكلوا الكلاب والجيف واستغاثوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله قل ادعوا الذين زعمتم اى ادعيتم انها آلهة من دون الله **قوله هؤلاء الآلهة يبتغون** اشارة الى ان اولئك مبتدأ يشير الى الذين زعمهم المشركون انهم آلهة من دون الله وقوله الذين يدعون صفة للمبتدأ وفاعل

(وما ارسلناك عليهم وكيلا) موكولا اليك امرهم تقسرهم على الايمان وانما ارسلناك مبشرا ونذيرا فدارهم وامر اصحابك بالاحتمال منهم روى ان المشركين افرطوا فى ايذآئهم فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وقيل شتم عمر رجل منهم فهم به فامره الله بالعفو (وربك اعلم بمن فى السموات والارض) وباحوالهم فيختار منهم لنبوّته وولايته من يشاء وهو ردّ لاستبعاد قريش ان يكون يتيم ابى طالب نبيا وان يكون العراة الجوّع اصحابه (ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض) بالفضائل النفسانية والتبرى من العلائق الجسمانية لابكثرة الاموال والاتباع حتى داود عليه السلام فان شرفه بما اوحى اليه من الكتاب لابما اوتيه من الملك وقيل هو اشارة الى تفضيل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله (وآتينا داود زبورا) تنبيه على وجه تفضيله وهو انه خاتم الانبياء وامته خير الامم المدلول عليه بما كتب فى الزبور من ان الارض يرثها عبادى الصالحون وتنكيره ههنا وتعريفه فى قوله ولقد كتبنا فى الزبور لانه فى الاصل فعول للمفعول كالحلوب او المصدر كالقبول ويؤيده قرآءة حمزة بالضم وهو كالعباس او الفضل اولان المراد وآتينا داود بعض الزبر او بعضا من الزبور فيه ذكر الرسول عليه الصلاة والسلام (قل ادعوا الذين زعمتم) انها آلهة (من دونه) كالملائكة والمسيح وعزير (فلا يملكون) فلايستطيعون (كشف الضرّ عنكم) كالمرض والفقر والقحط (ولا تحويلا) ولا تحويل ذلك منكم الى غيركم (اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة) هؤلاء الآلهة يبتغون الى الله القربة بالطاعة (ايهم اقرب) بدل من واو يبتغون اى يبتغى من هو اقرب منهم الى الله الوسيلة فكيف بغير الاقرب (ويرجون رحمته ويخافون عذابه) كسائر العباد فكيف تزعمون انهم آلهة (ان عذاب ربك كان محذورا) حقيقا بان يحذره كل احد حتى الرسل والملائكة

(يدعون)

يدعون ضمير المشركين وعائداً لصلة محذوف والمعنى اولئك الآلهة الذين يدعونهم المشركون لكشف ضرّهم او يدعونهم الآلهة فمفعولها او مفعولاها محذوفان ويبتغون خبر المبتدأ والوسيلة القربة وايهم موصولة بمعنى الذى حذف صدر صلتها وهى بدل من الضمير فى يدعون والتقدير ماذكره بقوله يبتغى من هو اقرب منهم الى الله الوسيلة اى التقرّب اليه تعالى فكيف بغير الاقرب ﴿قوله بالموت والاستئصال﴾ فان الهلاك قد يستعمل فى الموت كقوله تعالى ان امرؤ هلك اى مات عن قتادة انه قال هذا قضاء من الله تعالى كما سمعت ليس منه بدّ اما ان يهلكنا بموت كقوله كل نفس ذآئقة الموت او يهلكنا بعذاب مستأصل اذ تركوا امره وكذبوا رسله حمل الاهلاك على الامانة من غير تسليط احد على الميت والتعذيب الشديد على الاهلاك بعذاب الاستئصال وقال الزجاج مامن اهل قرية الا وسيهلك اما بموت واما بعذاب يستأصلهم وقال مقاتل اما المؤمنة الصالحة فبالموت واما الطالحة فبالعذاب وهذه كلمات متقاربة سكت المصنف عنها لانه تعالى جعل التعذيب قسيما للاهلاك فلا بدّ ان يكون ادنى حالا من الاهلاك وعليه فلا وجه لحمله على عذاب الاستئصال بخلاف قتل الرؤساء واصابة انواع البلاء فانه ادنى حالا من اهلاك الاستئصال والله اعلم لما قال تعالى فى الآية المتقدمة ان عذاب ربك كان محذورا بين ان كل قرية مع اهلها لابدّ ان يرجع حالها الى احد امرين اما الاهلاك واما التعذيب وقيل المراد من قوله وان من قرية قرى الكفار ولابدّ ان يكون عاقبتها احد الامرين اما الاستئصال بالكلية وهو المراد من الاهلاك واما العذاب الشديد من قتل كبرآئهم وتسليط المسلمين عليهم بالسبى واغتنام الاموال واخذ الجزية فتصير القرى كلها فى حكم اهل الاسلام على ماقال بعض اهل التأويل فى قوله تعالى اولم يروا انا نأتى الارض ننقصها من اطرافها لايزال ينقص اهل الكفر قرية فقرية وبلدة فبلدة حتى تصير الارض كلها لاهل الاسلام وهو ماروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال * زويت لى الارض فرأيت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتى ما زوى لى منها * فذلك والله اعلم تأويل قوله تعالى الانحن مهلكوها قبل يوم القيامة او معذبوها عذابا شديدا اى نهلك اهل الكفر ويحتمل ان يكون المراد من الآية انه يفنى جميع من كان على وجه الارض ويجعل الارض مستوية لابناء فيها ولا ارتفاع حيث قال كل من عليها فان وقال ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفا فيذرها قاعا صفصفا لاترى فيها عوجا ولا امتا وقال وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا ونحو ذلك وجميع ذلك يدل على انه لايبقى عليها احد ولا بناء فتصير كلها صفصفا لاترى فيها عوجا ولا امتا فذلك هلاكها او تعذيبها والله اعلم كذا فى شرح التأويلات ﴿قوله واستوجبوا الاستئصال﴾ وذلك انه تعالى قد انزل ابان رسالة كل رسول من الآيات والحجج مالا يحتاج الامة بعدها الى انزال آية اخرى فاذا سألوا شيأ من الآيات بعد ذلك يكون ذلك السؤال سؤال تعنت وعناد لاسؤال استرشاد واستهدآء وقد جرت سنة الله تعالى على ان كل من سأل تعنتا وتمرّدا شيأ من الآيات واظهر الله تعالى ماسأله ولم يعتبر بها وكفر بعد رؤيتها ولم يؤمن بسببها يحل بهم عذاب الاستئصال الاترى ان قوم عيسى عليه الصلاة والسلام سألوه ان يسأل ربه ان ينزل عليهم مائدة من السماء تكون لهم آية فسأله فاخبره الله تعالى انه ينزلها عليهم ثم اخبر ان من كفر منهم بعد انزالها عليهم فانه يعذبه عذابا لايعذبه احدا من العالمين وذلك لان سؤالهم كان مبنيا على التمرّد والعناد * روى ان اهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يجعل الله تعالى لهم الصفا ذهبا وان يزيل عنهم الجبال التى حوالى مكة حتى يزرعوا تلك الاراضى فطلب عليه الصلاة والسلام ذلك من الله تعالى فقال تعالى ان شئت فعلت ذلك لكن بشرط ان كفروا اهلكتهم فقال عليه الصلاة والسلام لااريد ذلك فنزلت هذه الآية وكانت كفار قريش يقترحون عليه عليه الصلاة والسلام اظهار معجزات قاهرة غير ذلك مثل قولهم لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا وقولهم له عليه الصلاة والسلام انك تزعم انه كان قبلك انبياء فنهم من سخرت له الريح ومنهم من كان يحيى الموتى فأتنا بشئ من هذه المعجزات فاجاب الله تعالى عنه بقوله ومامنعنا ان نرسل بالآيات الا ان كذب بها الاوّلون اى مامنعنا ان نرسل بها الاعلمنا بان الآخرين يكذبون بها كما كذبت بها الاوّلون فيستوجبون بذلك التكذيب عذاب الاستئصال على ماجرت عليه السنة الالهية وقد سبق من وعده انه لايهلك هذه الامّة بعذاب الاستئصال رحمة وفضلا وتكريما لنبيهم الذى ارسله رحمة للعالمين بل اخر جزآءهم الى يوم القيامة ﴿قوله بينة ذات ابصار﴾ اشارة الى ان مبصرة حال من الناقة والاسناد مجازى لان الابصار قائم بمن اعتبر بها واستدل والناقة سبب ابصار الحق وتصديق الرسول فقوله مبصرة بتاء النسبة اى بينة ذات ابصار على معنى ان فيها ابصارا لمن تأملها يبصر بسببها الحق او بينة

(وان من قرية الانحن مهلكوها قبل يوم
القيامة) بالموت والاستئصال (او معذبوها
عذابا شديدا) بالقتل وانواع البلية (كان
ذلك فى الكتاب) فى اللوح المحفوظ
(مسطورا) مكتوبا (ومامنعنا ان نرسل
بالآيات) وماصرفنا عن ارسال الآيات
التى اقترحتها قريش (الا ان كذب بها
الاوّلون) الاتكذيب الاوّلين الذين هم
امثالهم فى الطبع كعاد وثمود وانها لو ارسلت
لكذبوا بها تكذيب اولئك واستوجبوا
الاستئصال على مامضت به سنتنا وقد قضينا
ان لانستأصلهم لان فيهم من يؤمن او يلد
من يؤمن ثم ذكر بعض الامم المهلكة
بتكذيب الآيات المقترحة فقال (وآتينا
ثمود الناقة) بسؤالهم (مبصرة) بينة
ذات ابصار او بصائر

اوجا علتهم ذوى بصائر وقرئ بالفتح (فظلموا بها) فكفروا بها اوفظلموا انفسهم بسبب عقرها (ومانرسل بالآيات) اى الآيات المقترحة (الاتخويفا) من نزول العذاب المستأصل فان لم يخافوا أنزل اوبغير المقترحة كالمعجزات وآيات القرءآن الاتخويفا بعذاب الآخرة فان امر من بعثت اليهم مؤخرالى يوم القيامة والباء مزيدة اوفى موقع الحال والمفعول محذوف (واذقلنالك) واذكر اذ اوحينااليك (ان ربك احاط بالناس) فهم فى قبضة قدرته او احاط بقريش بمعنى اهلكهم من احاط بهم العدو فهى بشارة بوقعة بدر والتعبير بلفظ الماضى لتحقق وقوعه (وماجعلنا الرؤيا التى اريناك) ليلة المعراج وتعلق به من قال انه كان فى المنام ومن قال انه كان فى اليقظة فسر الرؤيا بالرؤية اوعام الحديبية حين رأى انه دخل مكة وفيه ان الآية مكية الاان يقال رآها بمكة وحكاها حينئذ ولعله رؤيا رآها فى وقعة بدر لقوله اذ يريكهم الله فى منامك قليلا ولماروى انه لماورد ماءه قال لكأنى انظر الى مصارع القوم هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان فتسامعت به قريش واستسخروا منه وقيل رأى قوما من بنى امية يرقون منبره وينزون عليه نزو القردة فقال هو حظهم من الدنيا يعطونه باسلامهم وعلى هذا كان المراد بقوله (الا فتنة للناس) ماحدث فى ايامهم (والشجرة الملعونة فى القرءآن) عطف على الرؤيا وهى شجرة الزقوم لماسمع المشركون ذكرها قالوا ان محمدا يزعم ان الجحيم تحرق الحجارة ثم يقول ينبت فيها الشجر ولم يعلموا ان من قدران يحمى وبر السمندل من ان تأكله النار واحشاء النعامة من اذى الجمر وقطع الحديد المحماة الحمر التى تبتلعها قدران يخلق فى النار شجرة لاتحرقها ولعنها فى القرءآن لعن طاعميها ووصفت به على المجاز للمبالغة اووصفها بانها فى اصل الجحيم فانه ابعد مكان من الرحمة اوبانها مكروهة مؤذية من قولهم طعام ملعون لما كان ضارا وقد اوّلت بالشيطان وابى جهل والحكم بن ابى العاصى وقرئت بالرفع على الابتداء والخبر محذوف اى والشجرة الملعونة فى القرءآن كذلك (ونخوفهم) بانواع التخويف (فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا) الاعتوا متجاوز الحد

ذات بصائر وهو جمع بصيرة بمعنى الحجة الواضحة وتسمى بصيرة على الاسناد المجازى لكونها سببا للابصار والناقة وان كانت شيأ واحدا لكنها مشتملة على آيات كثيرة من ظهورها من الصخرة الصماء وظهور سقيها عقيب خروجها وعظم ضرعها وكثرة درّها وغير ذلك ﴿قوله او جاعلتهم ذوى بصائر﴾ اى حجج وقرئ بالفتح اى بفتح الميم والصاد بمعنى محل ابصار كقوله عليه الصلاة والسلام * الولد مبخلة مجبنة * اجرآء لها مجرى الامكنة على طريق ارض مسبعة ﴿قوله اى الآيات المقترحة﴾ فان اصل الآيات يظهرها الله تعالى لان يستدل بها على صدق مدّعى النبوّة واما الآيات التى اقترحها القوم بعد ظهور مايكون كافيا فى الدلالة على صدق المدّعى فليس ارسالها لاجل ان يهتدى بها القوم لكونهم معاندين غير طالبين للرشاد وانما يرسلها الله تعالى لاجل ان يخافوا من نزول العذاب المستأصل ويعدّوها كمقدّمة الجيش وطليعته من حيث معاينتهم كمال قدرة الله تعالى حال تعنتهم ومخالفتهم امره ﴿قوله اوبغير المقترحة﴾ فان قيل المقصود الاعظم من اظهار الآيات ان يستدل بها على صدق المدّعى فكيف قيل ليس المقصود من اظهارها الا التخويف * فالجواب ان ظهور الآية الخارقة للعادة انما يؤدّى الى التصديق والايمان من حيث دلالتها على ان من لم يتفكر فيها ولم يستدل بها على الصدق يستحق العذاب الشديد فهذا الخوف هو الذى يحمله على التفكر والتأمل فى تلك المعجزة والباء فى قوله بالآيات امامزيدة فى المفعول او التقدير ومانرسل الرسل ملتبسين بالآيات والمعجزات الاتخويفا وقوله تعالى واذ قلنا لك كأنه جواب عما خطر بباله عليه الصلاة والسلام من ان عدم ارسال ما اقترحه القوم من الآيات يوجب ان يزداد عنادهم الى حيث يمنعه من تبليغ رسالته واظهار دينه كأنه قيل لاتتوهم ذلك واذكر ما اوحى اليك ربك من ان الناس فى قبضة قدرتى انصرك واعصمك منهم على ماانت عليه ﴿قوله اوعام الحديبية﴾ عطف على قوله ليلة المعراج اى المراد رؤياه التى رآها فى عمرة الحديبية فانه عليه الصلاة والسلام رأى ان يدخل مكة واخبر بذلك اصحابه فلما منع من البيت الحرام عام الحديبية كان ذلك فتنة لبعض القوم حتى قال عمر لابى بكر رضى الله تعالى عنهما قد اخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم انا ندخل البيت ونطوف به فقال ابو بكر انه لم يخبرنا انا نفعل ذلك فى هذه السنة وسنفعل ذلك فى سنة اخرى فلما جاء العام المقبل دخلها فانزل الله تعالى لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق وكون الواقعة مدنية لاينافى كون رؤيتها حاصلة فى مكة كما ان مارآه ليلة المعراج كان فتنة للناس من حيث انه عليه الصلاة والسلام لما ذكر لهم قصة الاسرآء كذبه وكفربه كثير ممن كان قدآمن به وازداد المخلصون ايمانا ﴿قوله ولعله رؤيا رآها فى وقعة بدر﴾ وماقيل من ان تلك الواقعة مدنية والسورة مكية فجوابه ماذكرنا من ان كونها مدنية لاينافى ان تقع رؤية مايتعلق بها فى مكة ﴿قوله ان من قدر ان يحمى وبر السمندل﴾ وهو دويبة تكون فى بلاد الترك لاتؤثر فيها النار ويتخذ من وبرها مناديل فاذا اتسخت المناديل القيت فى النار فيذهب الوسخ ويبقى المنديل ﴿قوله ولعنها فى القرءآن﴾ جواب عما يقال ليس فى القرءآن لعن هذه الشجرة فكيف وصفت بانها ملعونة فى القرءآن * اجاب عنه اوّلا بان اسناد اللعن الى الشجرة اسناد مجازى من قبيل اسناد وصف طاعميها من الكفرة والظلمة اليها وثانيا بان اللعن فى اللغة التبعيد فلما كانت هذه الشجرة مبعدة عن جميع وجوه الخير حيث كان موضع استقرارها اصل الجحيم سميت ملعونة بناء على عرف العرب فانهم يقولون لكل طعام مكروه ضارّ انه ملعون لكونه ضارّا مكروها وهو المراد بكونها ملعونة فى القرءآن ﴿قوله وقد اوّلت بالشيطان﴾ عطف على قوله وهى شجرة الزقوم وقيل المراد بالشجرة الملعونة فى القرءآن الشيطان الخ روى عن ابن عباس ان الشجرة الملعونة فى القرءآن المراد بها بنو امية بن الحكم بن ابى العاص قال رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام ان بنى مروان يتداولون منبره فقص رؤياه على ابى بكر وعمر وقد خلا فى بيته معهما فلما تفرّقوا سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الحكم يخبر برؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشتدّ ذلك عليه واتهم عمر فى افشاء سرّه ثم ظهر ان الحكم كان يتسمع اليهم والى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الواحدى هذه القصة كانت بالمدينة والسورة مكية فيبعد هذا التفسير الا ان يقال هذه الآية مدنية ولم يقل به احد ومما يؤكد هذا التأويل قول عائشة رضى الله عنها لمروان لعن الله اباك وانت فى صلبه فانت ابعض من لعنه الله قيل فى وجه ذكر الرؤيا وذكر الشجرة التى جعلها الله تعالى فتنة للناس بهذا القول ان القوم لما طلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم الاتيان بالمعجزات القاهرة واجيبوا بانه لامصلحة فى اظهارها لانها لو ظهرت ولم يؤمنوا انزل الله عليهم عذاب الاستئصال وقد رفع ذلك عن هذه الامّة صار عدم ظهورها شبهة لهم فى انه عليه الصلاة

(والسلام)

والسلام ليس بصادق فى دعوى الرسالة والا لما امتنع عن اظهارها وكانت شبهتهم هذه مظنة ان تورث نوع اضطراب فى قلب النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية تسلية له عليه الصلاة والسلام كأنه قيل هذه الشبهة لا توهن امرك ولا تصير سببا لضعف حالك الاترى ان ذكر تلك الرؤيا صار سببا لوقوع الشبهة العظيمة وكذا ذكر الشجرة المصوفة ثم ان تلك الشبهات ما اوجب ضعفا فى امرك ولا فتورا فى اجتماع المحقين عليك فكذلك هذه الشبهة الحاصلة بسبب عدم ظهور هذه المعجزات المقترحة لا توجب فتورا فى حالك ولا ضعفا فى امرك ثم انه تعالى وصفهم بقسوة القلب والتمادى فى الغىّ والطغيان حيث قال ونخوّفهم فما يزيدهم الا طغيانا اشارة الى وجه آخر لعدم اظهار ما اقترحوه من الآيات والمعجزات فان من لم يتأثر من التخويف بمخاوف الدنيا والآخرة كيف ينتفع باظهار ما اقترحه من الآيات تعنتا وعنادا ﴿ قوله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم الآية ﴾ متصل بقوله ان الشيطان كان للانسان عدوّا مبينا فانه تعالى بين به انه عدوّ لهم من قديم الزمان وبين ههنا سبب عداوته وانه من اىّ وقت كان عدوّا لهم ﴿ قوله وفيه ﴾ اى فى قوله طينا سواء كان انتصابه بنزع الخافض او على انه حال من عائد الموصول او من نفس الموصول ايماء الى ان الانكار المدلول عليه بقوله ءأسجد مبنى على كون اصله اشرف من اصل آدم عليه الصلاة والسلام كأنه قال كيف اسجد له وسجود الاشرف للادنى غير معقول ﴿ قوله والمعنى اخبرنى ﴾ اطلق لفظ الاستفهام واريد الامر بجامع الطلب والرؤية التى هى سبب للاخبار المسبب عنها فى لفظ ارأيت تجوّز من وجهين ﴿ قوله مع التقرير ﴾ اى مع انه تعالى قرّر قوله هذا ولم ينكر عليه فى ذلك القول ﴿ قوله او تفرّسا من خلقه ﴾ فانه عرف انه مركب من قوّة بهيمية شهوانية وقوّة سبعية غضبية وقوّة وهمية شيطانية وقوّة عقلية ملكية وعرف ان القوى الثلاث الشهوانية والغضبية والوهمية هى المستولية فى اوّل الخلقة ثم ان القوّة العقلية انما تكمل فى آخر الامر ومتى كان الامر كذلك علم اللعين بالفراسة ان اغواءه يؤثر فيهم ﴿ قوله امض لما قصدته ﴾ يعنى ان قوله تعالى اذهب ليس من الذهاب الذى هو ضدّ المجيء وانما معناه امض لشأنك الذى اخترته والمقصود التخلية وتفويض الامر اليه ﴿ قوله من قولهم فر لصاحبك ﴾ يعنى ان وفر يستعمل لازما ومتعديا يقال وفر الشيء بنفسه وفورا ويقال وفرته افره وفرا فهو موفور فعدّى ﴿ قوله باضمار فعله ﴾ اى تجازون جزاء او حال موطئة كقولك جاء زيد رجلا صالحا والحال الموطئة اسم جامد فصفته هى الحال فى الحقيقة وذلك الاسم كأنه وطاء وطريق لما هو حال حقيقة لمجيئه قبلها موصوفا بها كقرآنا فى قوله تعالى انا انزلناه قرآنا عربيا ﴿ قوله واستخف ﴾ ولو قال واستخفف بفك الادغام لكان اوفق للفسر وهو استفزز يقال استفزه الخوف او الفرح اى استخفه وافززته انا اى افزعته وازعجته وطيرت فؤاده ورجل فزّ اى خفيف ومن فى من استطعت موصولة فى محل النصب على انها مفعول استفزز اى استفزز الذى استطعت افزازه منهم قال ابن عباس صوت ابليس دعاؤه الى معصية الله تعالى وقيل المراد بصوته الغناء واللهو واللعب ومعنى الامر ههنا التهديد كما يقال اجهد جهدك فسترى ما ينزل بك ﴿ قوله من الجلبة وهى الصياح ﴾ وقيل فعل وافعل بمعنى يقال اجلب على العدوّ اجلابا اذا جمع عليه الخيول والمعنى حينئذ اجمع عليهم كل ما تقدر عليه من مكايدك والباء فى بخيلك زائدة على هذا القول ﴿ قوله والخيل الخيالة ﴾ اى اصحاب الخيول بمعنى ان الخيل تطلق على الفرسان كما فى قوله عليه الصلاة والسلام «يا خيل الله اركبي» اى يا اصحاب خيل الله وقد تقع على نفس الافراس كما فى قوله تعالى والخيل والبغال والحمير لتركبوها والمراد به ههنا الاوّل والمراد بخيل ابليس ورجله كل من كان فى معصية من راكب وماش ﴿ قوله ويجوز ان يكون تمثيلا ﴾ اى ان يكون قوله واستفزز من استطعت واجلب عليهم بخيلك ورجلك تمثيلا لحال الشيطان فى تسلطه واغوائه من غير ان يكون هناك استفزاز وصوت وخيل ورجل بحال مغوار قدّر فيه هذه الامور المذكورة فاستعمل فى حال الشيطان ما استعمل فى حال المغوار اى كثير الغارات اثبت لابليس اوّلا صوتا يستفزّ به العصاة وهو دعاؤه اياهم الى المعصية والفساد واعوانا من الخيالة والرجالة يصيح بهم على العصاة ويحتمل ان يكون لابليس جند من الشياطين بعضهم راكب وبعضهم راجل والاقرب ان يكون الكلام من قبيل الاستعارة التمثيلية بان يشبه حال ابليس بحال المغوار الذى يجتهد فى امره بالصوت والاعوان من الخيالة والرجالة «فان قيل كيف امر الله ابليس بهذه الاشياء وهو يقول ان الله لا يأمر بالفحشاء» والجواب انه ليس امر تكليف بل هو امر تهديد كقوله اعملوا ما شئتم ويتضمن تعجيز

﴿واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس قال ءأسجد لمن خلقت طينا﴾ لمن خلقته من طين فنصب بنزع الخافض ويجوز ان يكون حالا من الراجع الى الموصول اى خلقته وهو طين او منه اى ءأسجد له واصله طين وفيه على الوجوه ايماء بعلة الانكار ﴿قال أرأيتك هذا الذى كرّمت علىّ﴾ الكاف لتأكيد الخطاب لا محل له من الاعراب وهذا مفعول اوّل والذى صفته والمفعول الثانى محذوف لدلالة صلته عليه والمعنى اخبرنى عن هذا الذى كرّمته علىّ بامرى بالسجود له لم كرّمته علىّ ﴿لئن اخرتنى الى يوم القيامة﴾ كلام مبتدأ واللام موطئة للقسم وجوابه ﴿لاحتنكنّ ذريته الا قليلا﴾ اى لاستأصلنهم باغواء الا قليلا لا اقدر ان اقاوم شكيمتهم من احتنك الجراد الارض اذا جرّد ما عليها اكلا مأخوذ من الحنك وانما علم ان ذلك يتسهل له اما استنباطا من قول الملائكة أتجعل فيها من يفسد فيها مع التقرير او تفرسا من خلقه ذا وهم وشهوة وغضب ﴿قال اذهب﴾ امض لما قصدته وهو طرد وتخلية بينه وبين ما سوّلت له نفسه ﴿فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم﴾ جزاؤك وجزاؤهم فغلب المخاطب على الغائب ويجوز ان يكون الخطاب للتابعين على الالتفات ﴿جزاء موفورا﴾ مكملا من قولهم فر لصاحبك عرضه وانتصاب جزاء على المصدر باضمار فعله او بما فى جزاؤكم من معنى تجازون او حال موطئة لقوله موفورا ﴿واستفزز﴾ واستخف ﴿من استطعت منهم﴾ ان تستفزه والفز الخفيف ﴿بصوتك﴾ بدعائك الى الفساد ﴿وأجلب عليهم﴾ وصح عليهم من الجلبة وهى الصياح ﴿بخيلك ورجلك﴾ باعوانك من راجل وراكب والخيل الخيالة ومنه قوله عليه الصلاة والسلام يا خيل الله اركبي والرجل اسم جمع للراجل كالصحب والركب ويجوز ان يكون تمثيلا لتسلطه على من يغويه بمغوار صوّت على قوم فاستفزهم من اماكنهم وأجلب عليهم بجنده حتى استأصلهم وقرأ حفص ورجلك بالكسر وغيره بالضم وهما لغتان كندس وندس ومعناه وجمعك الرجل وقرئ ورجالك ورجالك

(وشاركهم فى الاموال) بحملهم على كسبها وجمعها من الحرام والتصرّف فيها على مالاينبغى (والاولاد) بالحث على التوصل الى الولد بالسبب المحرم والاشراك فيه بتسميته عبد العزى والتضليل بالحمل على الاديان الزآئغة والحرف الذميمة والافعال القبيحة (وعدهم) المواعيد الباطلة كشفاعة الآلهة والاتكال على كرامة الآباء وتأخير التوبة لطول الامل (ومايعدهم الشيطان الاغرورا) اعتراض لبيان مواعيده والغرور تزيين الخطأ بما يوهم انه صواب (ان عبادى) يعنى المخلصين وتعظيم الاضافة والتقييد فى قوله الاعبادك منهم المخلصين يخصصهم (ليس لك عليهم سلطان) اى على اغوآئهم قدرة (وكفى بربك وكيلا) يتوكلون به فى الاستعاذة منك على الحقيقة (ربكم الذى يزجى) هو الذى يجرى (لكم الفلك فى البحر لتبتغوا من فضله) الربح وانواع الامتعة التى لاتكون عندكم (انه كان بكم رحيما) حيث هيأ لكم ماتحتاجون اليه وسهل عليكم ماتعسر من اسبابه (واذا مسكم الضرّ فى البحر) خوف الغرق (ضل من تدعون) ذهب عن خواطركم كل من تدعونه فى حوادثكم (الااياه) وحده فانكم حينئذ لايخطر ببالكم سواه فلاتدعون لكشفه الااياه او ضل كل من تعبدونه عن اغاثتكم الاالله (فلما نجاكم) من الغرق (الى البرّ اعرضتم) عن التوحيد وقيل اتسعتم فى كفران النعمة كقول ذى الرمة

عطاءفتى تمكن فى المعالى * فاعرض فى المكارم واستطالا

(وكان الانسان كفورا) كالتعليل للاعراض (أفامنتم) الهمزة فيه للانكار والفاء للعطف على محذوف تقديره أنجوتم فامنتم فحملكم ذلك على الاعراض فان من قدر ان يهلككم فى البحر بالغرق قادر ان يهلككم فى البرّ بالخسف وغيره (ان يخسف بكم جانب البرّ) ان يقلبه الله وانتم عليه او يقلبه بسببكم فبكم حال او صلة ليخسف وقرأ ابن كثير وابو عمرو بالنون فيه وفى الاربعة التى بعده وفى ذكر الجانب تنبيه على انهم لما وصلوا الساحل كفروا واعرضوا وان الجوانب والجهات فى قدرته سوآء لامعقل يؤمن فيه من اسباب الهلاك (او يرسل عليكم حاصبا) ريحا تحصب اى ترمى بالحصباء (ثم لاتجدوا لكم وكيلا) يحفظكم من ذلك فانه لارادّ لفعله (ام أمنتم ان يعيدكم فيه) فى البحر (تارة اخرى) بخلق دواعى تلجئكم الى ان ترجعوا فتركبوه (فيرسل عليكم قاصفا من الريح) لاتمرّ بشئ الاقصفته اى كسرته (فيغرقكم) وعن يعقوب بالتاء على اسناده الى ضمير الريح (بما كفرتم) بسبب اشراككم او كفرانكم نعمة الانجاء (ثم لاتجدوا لكم علينا به تبيعا) مطالبا يتبعنا بانتصار اوصرف (ولقد كرّمنا بنى آدم) بحسن الصورة والمزاج الاعدل واعتدال القامة والتمييز بالعقل والافهام بالنطق والاشارة والخط والتهدى الى اسباب المعاش والمعاد والتسلط على مافى الارض والتمكن من الصناعات وانسياق الاسباب والمسببات العلوية والسفلية الى مايعود عليهم بالمنافع الى غير ذلك مما يقف الحصر دون احصائه ومن ذلك ماذكره ابن عباس وهو ان كل حيوان (الانسان)

ابليس فى تعريفه ان ذلك لايضرّ الله شيأ ولا ينقص من ملكه شيأ وان سلطان ابليس انما يجرى على الجهال الذين قد اخرجهم الله تعالى من جملة من شرّفهم بعبوديته ﴿ قوله اعتراض ﴾ اى هو كلام وقع فى اثناء ماخوطب به ابليس لبيان حال مواعيده وليس من جملة ماخوطب به ابليس والاقيل ماتعده انت ﴿ قوله والغرور تزيين الخطأ ﴾ فان قيل مواعيد الشيطان ليس نفس الغرور فكيف قيل ومايعدهم الاغرورا * فالجواب ان تقدير الكلام مايعدهم الاوعدا ذا غرور اوجعل مواعيده نفس الغرور مبالغة كما فى رجل عدل ويحتمل ان يكون قوله الاغرورا مفعولا من اجله اى مايعدهم شيأ من الامانى الكاذبة الا لاجل الغرور ثم انه تعالى لما مكن ابليس من ان يأتى بأقصى مايقدر عليه فى باب الوسوسة وكان ذلك سببا لحصول الخوف الشديد فى قلب الانسان قال وكفى بربك وكيلا والمعنى ان الشيطان وان مكنه الله تعالى من ذلك الا ان سلطانه وولايته مقصورة على من استعبده هو واسترقه حيث آثر الحظوظ العاجلة الخسيسة واختار اتباع الشياطين على ابتغاء رضى الرحمن وتولاه كما قال تعالى انما سلطانه على الذين يتولونه واما من لازم طريق العبودية واستعبده محافظة حق الربوبية واتخذ ربه مفزعا يفزع اليه ومعتمدا يعتمد عليه فى جميع اموره فانه تعالى يدفع عنه كيد الشيطان ويعصمه من اضلاله واغوآئه ﴿ قوله ربكم الذى يزجى ﴾ تعليل لكفايته وبيان لقدرته على عصمة من توكل عليه فى اموره ورد فى الخبر ان الله تعالى لما لعن ابليس وطرده قال يارب اسألك ان تعيننى على بنى آدم قال اعنتك قال يارب زدنى قال اجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم فى الاموال والاولاد وعدهم فاستعاذ آدم بالله تعالى وقال انك جعلت بينى وبين ابليس عداوة وقوّيته علىّ فاعنى عليه يارب فقال اذا عملت حسنة فلك بها عشر وان عملت سيئة فواحدة قال يارب زدنى قال اغفر لمن شئت ولاابالى فقال آدم حسبى يارب والخطاب فى قوله ربكم وفى قوله انه كان بكم رحيما عام فى حق الكل والمراد من الرحمة منافع الدنيا والازجاء سوق الشئ حالا بعد حال والمعنى ربكم الذى يسير الفلك على وجه البحر لتبتغوا من فضله ﴿ قوله وقيل اتسعتم ﴾ على ان يكون اعرضتم من العرض مقابل الطول من قولهم اعرض فى الشئ وعرضه اذا جعله عريضا او صار عريضا كما فى قوله * فاعرض فى المكارم اى صار عريضا فيها واتسع ﴿ قوله ان يقلبه الله وانتم عليه ﴾ اى ان يقلب الله تعالى جانب البرّ مصحوبا بكم على ان يكون جانب البرّ مفعولا به لقوله يخسف كالارض فى قوله تعالى فخسفنا به وبداره الارض ويكون بكم حالا من المفعول بتقدير مصحوبا بكم وفاعله مستتر فيه يرجع الى الجلالة وقوله او يقلبه بسببكم على ان تكون الباء سببية متعلقة بيخسف ﴿ قوله لامعقل ﴾ اى لاملجأ ﴿ قوله ريحا تحصب ﴾ وفى الصحاح الحاصب الريح الشديدة التى تثير الحصباء وهى الحصى يقال حصبت الرجل احصبه بالكسر اى رميته بالحصباء والقصف الكسر يقال قصفت الريح السفينة وريح قاصف اى شديد ورعد قاصف شديد الصوت ﴿ قوله مطالبا يتبعنا بانتصار اوصرف ﴾ يعنى ان التبيع من يلازم الغير لمطالبته بالحق اى لاتجدوا لكم من يتبعنا بانكار مانزل بكم وانتقامه منا بسببه ولا من يتبعنا بصرفه عنكم ومنعه ايانا من انزاله بكم ﴿ قوله بحسن الصورة ﴾ فان صورة الانسان احسن من صور جميع الحيوانات قال تعالى فاحسن صوركم والله تعالى لما ذكر خلق الانسان قال فتبارك الله احسن الخالقين وقال ولقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم والمزاج الاعدل يدل على انه تعالى جعل ارزاقهم اطيب الارزاق وجعل لغيرهم ماخبث منها ومافضل منهم واعتدال القامة اى بالنسبة الى سائر الحيوانات فان فى الاشجار مايماثله من جهة القامة والتمييز بالعقل فان الانسان يشارك سائر الحيوانات فيما لها من القوى فان النفس النباتية لها قوى ثلاث قوّة الاغتذآء والنماء وتوليد المثل والنفس الحيوانية لها قوّتان زيادة على هذه الثلاث وهما القوّة الحساسة سوآء كانت ظاهرة اوباطنة والقوّة المحركة بالاختيار فهذه القوى الخمس اعنى قوى الاغتذآء والنماء والتوليد والحس والحركة الاختيارية حاصلة للنفس الانسانية ثم ان النفس الانسانية مختصة بقوّة اخرى وهى القوّة العاقلة المدركة لحقائق الاشياء كما هى وهى التى يتجلى بها نور معرفة الله تعالى وضوء كبريائه فهذه القوّة لانسبة لها فى الشرف والفضل الى القوى النباتية والحيوانية والافهام بالنطق فان ماسوى الانسان من الحيوانات عاجز عن تفهيم ماحصل فى باطنه من لذة او الم تفهيما تاما وافيا بخلاف الانسان فانه يمكنه تفهيمه وتعريف غيره كل ماعرفه ووقف عليه واحاط به فكونه قادرا على هذا التعريف هو المراد بكونه ناطقا سوآء كان ذلك التعريف باستعمال آلة اللسان او بغيره كما فى الانسان الاخرس فانه يمكنه ذلك بطريق الاشارة او بطريق الكتابة ومن كرامات

(وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) بالغلبة والاستيلاء اوبالشرف والكرامة والمستثنى جنس الملائكة اوالخواص منهم ولايلزم من عدم تفضيل الجنس عدم تفضيل بعض افراده والمسئلة موضع نظر وقداوّل الكثير بالكل وفيه تعسف

الانسان ان آتاه الخط وذلك لان ما استنبطه كل انسان من العلوم قليل فاذا اودع الانسان ماعلمه فى الكتاب وجاء انسان آخر واستفاد بذلك الكتاب وضم اليه من عند نفسه اشياء اخر ثم جاء ثالث وفعل كذلك ثم لايزالون يتعاقبون ويضم كل متأخر مباحث كثيرة الى علم المتقدمين كثرت العلوم والفضائل وانتهت المباحث العقلية والمطالب الشرعية الى اقصى الغايات واكمل النهايات ومعلوم ان هذه النعمة المستفادة لاتتأتى الا بواسطة الخط والكتب ولهذه الفضيلة الثابتة فى الكتب قال تعالى اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم والتسلط على مافى الارض فان الارض بالنسبة الينا كالام الحاضنة تكفلنا احياء وامواتا وينتفع بالماء العذب بالشرب وسقى الاشجار والبساتين وبالبحر ايضا كما قال وسخر لكم البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه وبالهواء لانه مادة حياتنا ولولا هبوب الرياح لاستولى الطين على هذه العمارة وبالنار اذبها طبخ الاغذية والاشربة والاستضاءة بضوئها فى الليالى المظلمة وهى الدافعة لضرر البرد وهذا وجه انتفاعه بالبسائط الارضية واما المركبات من المعادن والحيوان والنبات فالانسان هو المستولى عليها والمنتفع بها وبالجملة جميع منافع هذا العالم مصروفة الى الانسان والانسان فيه كالرئيس المخدوم والملك المطاع وسائر الحيوان بالنسبة اليه كالعبد وكل ذلك يدل على انه تعالى خصه من عنده بمزيد التكريم والتفضيل والتكريم جعل الشئ مكرّما باعطائه مايكون مكرّما بسببه ولا يعتبر فى مفهومه الاضافة الى الغير بخلاف التفضيل ﴿قوله بالغلبة والاستيلاء﴾ فاللازم ان لايكون الانسان مفضلا على الجن والملك ونحوهما وان اريد بتفضيلهم على الكثير التفضيل بالشرف والكرامة يكون المراد بالقليل الذى لايكون الانسان مفضلا عليه بالشرف الملائكة بل يكون الملك افضل من الانسان وهذا القول مذهب ابن عباس واختاره الزجاج على مارواه الواحدى فى البسيط ﴿قوله والمستثنى جنس الملائكة اوالخواص منهم﴾ يعنى ان المخرج بقوله تعالى على كثير ممن خلقنا وهو القليل الذى لايكون الانسان مفضلا عليه اختلف فى تعيينه فقيل انه جنس الملائكة وقيل انه خواصهم كجبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل عليهم الصلاة والسلام قال الامام محيى السنة وفى تفضيل الملائكة على البشر اختلاف قال قوم فضلوا على جميع الخلق وعلى الملائكة كلهم وقد يوضع الاكثر موضع الكل كما قال الله تعالى هل أنبئكم على من تنزل الشياطين الى قوله واكثرهم كاذبون اى كلهم وفى حديث عن جابر مرفوعا قال لما خلق الله تعالى آدم وذريته قالت الملائكة ربنا انك اعطيت بنى آدم دنيا يأكلون ويشربون وينكحون ويتمتعون ولم تعطنا ذلك فاعطنا ذلك فى الآخرة فقال وعزتى لااجعل ذرية من خلقته بيدى كمن قلت له كن فكان وقال ابوهريرة المؤمن اكرم على الله من الملائكة الذين عنده كذا اورده الواحدى فى البسيط وقال قوم الملك افضل من البشر على الاطلاق تمسكا بهذه الآية قال الامام الرازى وهو فى الحقيقة تمسك بدليل الخطاب وذهب الحنفية الى ان خواص بنى آدم وهم المرسلون افضل من جملة الملائكة وخواص الملائكة افضل من عوام بنى آدم والاتقياء والزهاد افضل من عوام الملائكة لان تقرير الدليل ان يقال تخصيص الكثير بالذكر يدل على ان الحال فى القليل بالضد وذلك تمسك بدليل الخطاب وقال الكلبى فضل بنوا آدم على الخلائق كلهم الا على طائفة من الملائكة وهو قول المصنف او الخواص منهم وهم جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت واشباههم قال الامام محيى السنة والاولى ان يقال عوام المؤمنين افضل من عوام الملائكة وخواص المؤمنين افضل من خواص الملائكة قال الله تعالى ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية وروى عن ابى هريرة انه قال المؤمن اكرم على الله من الملائكة * وقال الامام ابو منصور الماتريدى اما الكلام فى تفضيل البشر على الملائكة والملائكة على البشر فانا لانتكلم فيه بما لم نعلم وليس لنا الى معرفته حاجة فالامر فيه الى الله تعالى ﴿قوله ولايلزم من عدم تفضيل الجنس﴾ اى جنس بنى آدم يعنى ان سلمنا ان قوله تعالى وفضلناهم على كثير يدل على ان جنس بنى آدم ليسوا مفضلين على جنس الملائكة او على الخواص منهم بناء على ان الكثير لم يعبر به عن الكل فان المراد بالتفضيل الشرف والكرامة لكن اللازم منه وهو ان لايكون جميع افراد بنى آدم مفضلا على ماذكر لاينافى ان يكون بعض الافراد مفضلا عليه وذلك لان الاضافة الى بنى آدم ليست للعهد الخارجى ولا الذهنى لان الكلام ليس فى تكريم بعض الافراد وتفضيله ولا لتعريف نفس الحقيقة بقرينة ذكر بنى آدم فى مقابلة كثير من الخلق وذكر الحقيقة فى مقابلة الفرد غير معقول فتعين ان تكون اضافة بنى آدم للاستغراق فظهر بذلك وجه قوله ولايلزم من عدم

تفضيل الجنس عدم تفضيل بعض افراده ثم ذكر انه تعالى لما ذكر ان الشيطان ليس له سلطان على المخلصين من عباد الله تعالى وانه كان فى عصمة من يتوكل عليه واتبعه بذكر مايدل على كمال قدرته من اجرآء السفن لهم فى البحر ابتغاء منافع الدنيا وان تكريمه لبنى آدم ليس من جهة تسخير الفلك لهم فقط بل انه تعالى كرّمهم من وجوه شتى من جملتها انه حملهم فى البرّ والبحر ورزقهم من الطيبات وفضلهم على كثير من المخلوقات حرّضهم على الاجتهاد فى اكتساب الخيرات المؤدّية الى سعادة الآخرة فقال يوم ندعو كل اناس بامامهم الآية قرأه الجمهور بنون العظمة وقرئ يدعو بياء الغيبة واسناد الفعل الى ضمير الجلالة او الملك وكل اناس على القرآءتين منصوب على انه مفعول به وقرئ يدعى مبنيا للمفعول وحينئذ كل مرفوع لقيامه مقام الفاعل وقرئ يدعو بضم الياء وفتح العين بعدها واو ساكنة نقل عن القرآء انه قال اهل العربية لايعرفون وجها لهذه القرآءة ولعل القارئ قرأ يدعا بفتحة ممزوجة بالضمة فظن الراوى انه قرأ يدعو وذكر لها وجهين الاوّل ان الاصل يدعا على بناء المفعول الا ان القارئ قلب الالف واوا حال الوقف على لغة قوم يقولون هذه افعو وعصو وصلو فى الافعى والعصا والصلا ثم اجرى الوصل مجرى الوقف وكل مرفوع لقيامه مقام الفاعل والوجه الثانى ان الفعل مفرد والاصل يدعا ابدلت الواو من الالف لتدل على ان الفاعل جمع وليست ضمير جمع بل الفعل باق على افراده كما فى قولهم اكلونى البراغيث واعراب الفعل بالحركة التقديرية ومعنى كون الواو علامة الجمع انها حرف جيئ به ليدل على ان الفاعل جمع كما يؤتى بالتاء لتدل على ان الفاعل مؤنث فعلى هذا كل مرفوع على انه قائم مقام الفاعل ﴿ **قوله** او ضميره ﴾ ونون الرفع محذوفة لقلة المبالاة بها فان علامة الرفع قد تكون مقدرة كما فى نحو يرمى ويغزو ويدعا فان رفعها بالحركة التقديرية فعلى هذا الوجه يكون كل مرفوعا على انه بدل من الواو التى هى ضمير الجمع وجعل الواو ضميرا اولى من جعلها علامة الجمع لان جعلها علامة يستلزم ارتكاب حذف الفاعل من غير سبب وذلك غير معهود فى قواعد العربية والباء فى قوله تعالى بامامهم متعلقة بقوله ندعو اى ندعوهم باسم امامهم الذى يأتمون به ويقتدون فيقال ياامة فلان وياهل القرآن مثلا ويجوز ان يكون بامامهم فى موضع الحال والباء متعلقة بمحذوف اى ندعوهم ملتبسين بكتابهم والامام من يؤتم به ويقتدى والمراد به نبيهم وقيل كتابهم السماوى الذى انزل عليهم فان كل امة تقتدى بكتابها كما تقتدى بنبيها وقيل رئيسهم الذى كان يدعوهم فى الدنيا الى هدى اوالى ضلالة فيقال يااصحاب عالم كذا وفاضل كذا ويااتباع نمرود ويااتباع فرعون من رؤساء كل قوم فى الدين محقين كانوا اومبطلين وقيل كتاب اعمالهم فيقال يااصحاب كتاب الخير ويااصحاب كتاب الشرّ فيقام الامتياز بحسب الاعمال مقام الامتياز بالانساب وقيل القوى الحاملة لهم على عقائدهم وافعالهم كالقوّة النظرية والعملية والقوّة الغضبية والشهوية سوآء كانت شهوة النقود او شهوة الضياع او شهوة الجاه والرياسة والقوّة العقلية الداعية الى العفة والشجاعة والكرم والصبر والقناعة ونحو ذلك من الاخلاق الذميمة والحميدة ومايدعو اليها من القوى النفسانية فان كل ذلك بمنزلة الامام وقيل امامهم امّهاتهم والمعنى ان كل اناس يدعى يوم القيامة باسماء امّهاتهم دون اسماء آبائهم والحكمة فى ذلك ثلاثة امور منها اجلال عيسى عليه الصلاة والسلام اذ لم يكن له اب يدعى باسمه فلا جرم يدعى باسم امّه فدعى سائر الناس باسماء امّهاتهم اتباعا له عليه الصلاة والسلام واجلالا له وتعظيما ﴿ **قوله** ولا ينقصون من اجورهم ادنى شئ ﴾ يعنى ان المراد من المظلومية المنفية نقص مايستحقونه من الثواب الموعود بازآء عملهم وان الفتيل مستعار للشئ التافه الحقير وهو فى الاصل اسم للقشرة الرقيقة التى تكون على ظهر النواة وسميت فتيلا لانه اذا اراد الانسان استخراجها انفتلت وقيل الفتيل هو الوسخ الذى يفتله الانسان بين سبابته وابهامه وهو فعيل بمعنى مفعول ﴿ **قوله** وجمع اسم الاشارة والضمير ﴾ جواب عما يقال اسم الاشارة وضمير يقرأون كتابهم عبارة عما يعبر عنه بضمير قوله كتابه بيمينه فلم افرد الاوّل وجمع الثانى وتقرير الجواب انه حمل اوّلا على لفظ من اوتى فافرد الضمير الراجع اليه وحمل ثانيا على معناه فجمع ماهو عبارة عنه ﴿ **قوله** وتعليق القرآءة باتيان الكتاب باليمين ﴾ مع ان من اوتى كتابه بشماله يقرأ كتابه ايضا مبنى على ان اصحاب الشمال تثقل ألسنتهم فيعجزون عن القرآءة الكاملة المبينة بسبب ماغشيهم من الخجالة والحيرة حين معاينتهم مافى كتابهم من القبائح بخلاف اصحاب اليمين فان حالهم على عكس ذلك فلا جرم انهم يقرأون كتابهم على احسن الوجوه وابينها ثم انهم لايكتفون بقرآءتهم بانفسهم بل يقولون لاهل المحشر هاؤم اقرأوا كتابيه يدل على حال مقابليهم انهم

(لايقدرون)

(يوم ندعو) نصب باضمار اذكر اوظرف لما دل عليه ولا يظلمون وقرئ يدعو ويدعى ويدعو على قلب الالف واوا فى لغة من يقول افعو او على ان الواو علامة الجمع كما فى قوله واسرّوا النجوى الذين ظلموا او ضميره وكل بدل منه والنون محذوفة لقلة المبالاة بها فانها ليست الا علامة الرفع وهو قد يقدر كما فى يدعى (كل اناس بامامهم) بمن ائتموا به من نبىّ او مقدم فى الدين او كتاب او دين وقيل بكتاب اعمالهم التى قدموها فيقال ياصاحب كتاب كذا اى تنقطع علقة الانساب وتبقى نسبة الاعمال وقيل بالقوى الحاملة لهم على عقائدهم وافعالهم وقيل بامّهاتهم جمع امّ كخف وخفاف والحكمة فى ذلك اجلال عيسى عليه السلام واظهار شرف الحسن والحسين رضى الله عنهما وان لايفتضح اولاد الزنى (فمن اوتى) من المدعوّين (كتابه بيمينه) اى كتاب عمله (فاولئك يقرأون كتابهم) ابتهاجا وتبجحا بما يرون فيه (ولا يظلمون فتيلا) ولا ينقصون من اجورهم ادنى شئ وجمع اسم الاشارة والضمير لان من اوتى فى معنى الجمع وتعليق القرآءة باتيان الكتاب باليمين يدل على ان من اوتى كتابه بشماله اذا اطلع على مافيه غشيهم من الخجل والحيرة ما يحبس ألسنتهم عن القرآءة ولذلك لم يذكرهم

لايقدرون على قرآءة كتابهم على طريق الابتهاج والتبجح فاستغنى عن ذكر حال مقابليهم **﴿قوله اعمى القلب﴾** اى ليس المراد بالعمى فى قوله ومن كان فى هذه اعمى فهو فى الآخرة اعمى عمى البصر بل المراد منه عمى القلب ولا يمكن حمل العمى فى قوله فهو فى الآخرة اعمى على عمى البصر لانهم يعرفون الله تعالى بالضرورة وكان المراد منه العمى عن طريق الجنة والنجاة من النار لما روى انه لما نزلت هذه الآية جاء ابن ام مكتوم وكان ضريرا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله انا فى الدنيا اعمى أفاكون فى الآخرة اعمى فانزل الله تعالى انها لاتعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور وقيل المراد بالعمى الثانى عمى البصر لقوله تعالى ونحشره يوم القيامة اعمى قال رب لم حشرتنى اعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك اتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى وقوله ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما وهذا المعنى من جملة عقوبتهم **﴿قوله لزوال الاستعداد﴾** يعنى انه وان كان فى الدنيا ضالا عن الصراط المستقيم الا ان ضلاله فى الآخرة اشد واقوى بالنسبة الى ضلاله الكائن فى الدنيا لانه يمكنه الاهتدآء فى الدنيا بالتوبة عماهو فيه وبالخروج عن جهله وعماهو فيه بالتفكر فى الادلة وتحصيل ما كلف به من الايمان بالغيب والاعمال الصالحة بخلاف ضلاله فى الآخرة فانه لايمكنه الخروج عنه لزوال الاستعداد للاهتدآء الى الحق الذى كلف به ولزوال الآلة والمهلة **﴿قوله وقيل الثانى للتفضيل﴾** يعنى قيل ان لفظ اعمى فى قوله تعالى فهو فى الآخرة اعمى ليس افعل التى للصفة بل هى صيغة التفضيل بمعنى اشد عمى ولذلك عطف عليه قوله تعالى واضل سبيلا واختلف فى تقرير المعنى حينئذ فقيل هذه اشارة الى النعم المذكورة فى الآيات المتقدمة من قوله تعالى الذى يزجى لكم الفلك الى قوله تفضيلا فالمعنى من كان فى هذه النعم التى رآها وعاينها اعمى ولم يعلم كونها نعمة آلهية وصلت اليه بقدرة الله تعالى ورحمته فهو فى الآخرة التى لم يرها ولم يعاينها اشد عمى عن معرفة كون النعم المشاهدة بين السماء والارض والبحار والجبال والناس والدواب اثر قدرة الله تعالى والاستدلال بها عليه فهو فى الآخرة اى فى امرها اشد عمى واضل سبيلا وابعد عن تحصيل العلم به وعلى القولين يكون العمى عن الامرين حاصلا فى الدنيا والعمى المفضل هو عمى القلب عن معرفة احوال الآخرة والمفضل عليه هو عمى القلب عن معرفة كون العالم ومافيه من النعم من آثار قدرة الفاعل المختار الخلاق لما يشاء الفعال لما يريد وقيل هذه اشارة الى الدنيا ايضا والمعنى من كان فى الدنيا ضالا كافرا فهو فى الآخرة اعمى واضل سبيلا لانه فى الدنيا تقبل توبته وفى الآخرة لاتقبل توبته وفى الدنيا يهتدى الى التخلص عما يهلكه من المهلكات بازالة عماه وجهله بالتفكر فى الدلائل المنصوبة وفى الآخرة لايهتدى الى ذلك البتة واضل سبيلا لان ضلاله فى الآخرة لاسبيل له الى الخروج منه بخلاف ضلاله فى الدنيا **﴿قوله ولذلك لم يمله﴾** اى ولكون الثانى للتفضيل قرأ ابو عمرو ويعقوب وابو بكر عن عاصم من كان فى هذه اعمى بالامالة والكسر فهو فى الآخرة اعمى بالفتح والتفخيم وقرأ حمزة والكسائى وابو بكر فى رواية بالامالة فيهما لكون الكلمة من ذوات الياء والباقون وهم ابن كثير ونافع وابن عامر وحفص عن عاصم بالفتح والتفخيم فيهما لانه الاصل وابو عمرو فرق بينهما فامال الاول لانه ليس افعل تفضيل فألفه متطرفة لفظا وتقديرا والاطراف محل التغيير غالبا فاميل اعتبارا لكون الكلمة من ذوات الياء وايضا آخر الكلمة موضع الوقف والالف تخفى فى الوقف فاذا اميلت جيئ بها نحو الياء فتظهر بخلاف ما اذا كانت فى وسط الكلمة كألف اعمالكم فانه ليس محل الوقف فابقيت الالف فيه على اصل حالها واما الثانى فانه للتفضيل فألفه فى حكم المتوسط لان تمام افعل التفضيل بمن الداخلة على المفضول فهى فى حكم الملفوظ بها لكونها شديدة الاتصال بماقبلها فلم تكن الالف واقعة فى الطرف كانت مصونة عن التغيير فبقيت على حالها ورد هذا الوجه بانهم امالوا قوله ولا ادنى من ذلك مع التصريح بمن فلأن يميلوا اعمى مقدرا معه من اولى واحرى **﴿قوله لانعشر ولانحشر ولانجبى فى صلاتنا﴾** اى اشترطوا ان لايؤخذ عشر اموالهم وقيل ارادوا بالعشر الصدقة الواجبة ويجوز ان يسمى آخذ مايجب على المسلمين من ربع العشر عاشرا لاضافة مايؤخذ منهم الى العشر ونصف العشر وقد يؤخذ العشر بتمامه وهو زكاة ماسقته السماء واشترطوا ايضا ان لايحشروا اى ان لايبعثوا الى الغزو وقتال الكفار والجبية ان يقوم الانسان قيام الراكع وفى حديث ابن مسعود فى ذكر القيامة حين ينفخ فى الصور فيقومون فيجبون جبية رجل واحد قياما لرب العالمين قال ابو عبيدة الجبية تكون فى حالين احدهما ان يضع يديه على ركبتيه وهو قائم والوجه الآخر ان ينكب على وجهه باركا وهو السجود وقولهم ولانجبى يريدون به ولانصلى تسمية للصلاة باسم جزئها والحاصل انهم اشترطوا ان لايكون عليهم

مع ان قوله (ومن كان فى هذه اعمى فهو فى الآخرة اعمى) ايضا مشعر بذلك فان الاعمى لايقرأ الكتاب والمعنى ومن كان فى هذه الدنيا اعمى القلب لايبصر رشده كان فى الآخرة اعمى لايرى طريق النجاة (واضل سبيلا) منه فى الدنيا لزوال الاستعداد وفقدان الآلة والمهلة وقيل لان الاهتدآء بعد لاينفعه والاعمى مستعار من فاقد الحاسة وقيل الثانى للتفضيل من عمى بقلبه كالاجهل والابله ولذلك لم يمله ابو عمرو ويعقوب فان افعل التفضيل تمامه بمن فكانت الفه فى حكم المتوسطة فى اعمالكم بخلاف النعت فان ألفه واقعة فى الطرف لفظا وحكما فكانت معرضة للامالة من حيث انها تصير ياء فى التثنية وقد اما لهما حمزة والكسائى وابو بكر وقرأ ورش بين بين فيهما (وان كادوا ليفتنونك) نزلت فى ثقيف قالوا لاندخل فى امرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب لانعشر ولانحشر ولانجبى فى صلاتنا وكل ربا لنا فهو لنا وكل ربا علينا فهو موضوع عنا وان تمتعنا باللات سنة وان تحرم وادينا كما حرمت مكة فان قالت العرب لم فعلت ذلك فقل ان الله امرنى وقيل فى قريش قالوا لانمكنك من استلام الحجر حتى تلم بآلهتنا وتمسها بيدك وان هى المخففة واللام هى الفارقة

والمعنى ان الشان قاربوا بمبالغتهم ان يوقعوك فى الفتنة بالاستزال (عن الذى اوحينا اليك) من الاحكام (لتفترى علينا غيره) غير ما اوحينا اليك (واذا لاتخذوك
خليلا) ولو اتبعت مرادهم لاتخذوك بافتتانك وليالهم بريئا من ولايتى (ولولا ان ثبتناك) ولو تثبيتنا اياك (لقد كدت تركن اليهم
شيأ قليلا) لقاربت ان تميل الى اتباع مرادهم
والمعنى انك كنت على صدد الركون اليهم
لقوة خدعهم وشدة احتيالهم لكن ادركتك
عصمتنا فمنعت ان تقرب من الركون فضلا
عن ان تركن اليهم وهو صريح فى انه عليه
السلام ماهم باجابتهم مع قوة الداعى اليها
ودليل على ان العصمة بتوفيق الله وحفظه
(اذا لأذقناك) اى لو قاربت لأذقناك
(ضعف الحياة وضعف الممات) اى عذاب
الدنيا وعذاب الآخرة ضعف مايعذب به
فى الدارين بمثل هذا الفعل غيرك لان خطأ
الخطير اخطر وكان اصل الكلام عذابا ضعفا
فى الحياة وعذابا ضعفا فى الممات بمعنى
مضاعفا ثم حذف الموصوف واقيمت الصفة
مقامه ثم اضيفت كما يضاف موصوفها وقيل
الضعف من اسماء العذاب وقيل المراد بضعف
الحياة عذاب الآخرة وبضعف الممات
عذاب القبر (ثم لاتجدلك علينا نصيرا)
يدفع العذاب عنك (وان كادوا) وان كاد
اهل مكة (ليستفزونك) ليزعجونك بعداوتهم
(من الارض) ارض مكة (ليخرجوك منها
واذا لايلبثون خلفك) ولو خرجت
لايبقون بعد خروجك (الا قليلا) الا زمانا
قليلا وقد كان كذلك فانهم اهلكوا ببدر بعد
هجرته بسنة وقيل الآية نزلت فى اليهود
حسدوا مقام النبى صلى الله عليه وسلم
بالمدينة فقالوا الشام مقام الانبياء فان كنت
نبيا فالحق بها حتى نؤمن بك فوقع ذلك فى قلبه
فخرج مرحلة فنزلت فرجع ثم قتل منهم
بنوا قريظة واجلى بنوا النضير بقليل وقرئ
لايلبثوا منصوبا باذا على انه معطوف على
جملة قوله وان كادوا ليستفزونك لا على
خبر كاد فان اذا لاتعمل اذا كان معتمدا مابعدها
على ماقبلها وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى
ويعقوب وحفص خلافك وهو لغة فيه
قال الشاعر

عفت الديار خلافهم فكانما * بسط الشواطب بينهن حصيرا *

(سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا) نصب
على المصدر اى سن الله ذلك سنة وهو
ان يهلك كل امة اخرجوا رسولهم من بين
اظهرهم فالسنة لله واضافتها الى الرسل لانها من اجلهم ويدل عليه (ولا تجد لسنتنا تحويلا) اى تغييرا (أقم الصلاة لدلوك الشمس) (ومن)
لزوالها ويدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام اتانى جبريل لدلوك الشمس حين زالت الشمس فصلى بى الظهر وقيل لغروبها

زكاة وجهاد وصلاة وان كل ربا يستحقونه على غيرهم فهو لهم وكل ربا يستحقه غيرهم عليهم فهو موضع عنهم وان تترك لهم الاصنام حولا بشرط ان لايكسروها بايديهم عند رأس الحول وان يقدروا على منع من قصد واديهم المسمى بوج ليعضد شجره ويقلع حشيشه كما حرم حرم مكة شرفها الله ﴿قوله ولو اتبعت مرادهم﴾ اشارة الى ان اذا حرف جواب وجزاء فاقام اداة الشرط مقامها دليلا على تضمنها معنى المجازاة وقوله لاتخذوك جواب قسم محذوف تقديره اذن والله لاتخذوك وليس مراد المصنف ان كلمة لو مقدرة فى النظم واذا لاتخذوك جواب لها اذ لا حاجة الى تقديرها وانما المراد تفسير المعنى وهو لايوجبه الاعراب واصل الفتنة الاختبار يقال فتن الصائغ الذهب اذا ادخله النار واذابه ليميز جيده من رديئه ثم استعمل فى كل من ازال الشئ عن حده وجهته ويقال فتنه اى خدعه وصرفه عما هو عليه فقوله وان كادوا ليفتنونك عن الذى اوحينا اليك اى يزيلونك ويصرفونك عن الذى اوحينا اليك وهو القرآن اى عن حكمه وذلك لان فى اعطائهم ما ارادوا مخالفة لحكم القرآن واللام لام العاقبة فى لتفترى علينا غيره اى بان يقول الله امرنى بذلك ﴿قوله عذاب الدنيا وعذاب الآخرة﴾ اضمر العذاب وجعل الحياة والممات عبارتين عن الدنيا والآخرة لان العذاب يوصف بالضعف كما فى قوله تعالى فآتهم عذابا ضعفا من النار اى عذابا مضاعفا وقوله من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا فى النار قال لكل ضعف اى عذاب مضاعف وحاصل المعنى انك لو مكنت خواطر الشيطان من قلبك وعقدت على الركون اليه همك لاستحقيت تضعيف العذاب عليك فى الدنيا والآخرة ولصار عذابك مثلى عذاب المشركين فى الدنيا ومثلى عذابهم فى الآخرة والسبب فى تضعيف هذا العذاب ان اقسام نعم الله تعالى فى حق الانبياء عليهم الصلاة والسلام اكثر فكانت ذنوبهم اعظم فلذلك كانت العقوبة المستحقة عليهم اكثر ونظيره قوله تعالى يا نساء النبى من يأت منكن بفاحشة مبينة يضعف لها العذاب ضعفين وقوله فى حق الاماء فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب لان الرق منصف للنعمة ﴿قوله وان كاد اهل مكة﴾ اى وان الشان قرب اهل مكة ليزعجونك من ارض مكة على ان ان مخففة واللام فارقة والاستفزاز هو الازعاج بسرعة جعل اسم كاد مشركى مكة وحمل الارض على ارض مكة على ماقاله مجاهد وقتادة لان الآية مكية وماقبلها اخبار عن احوال اهل مكة يعنى هم المشركون ان يخرجوه من مكة فكفهم الله تعالى عنه وامره عليه الصلاة والسلام بالهجرة فخرج بنفسه * فان قيل قال الله تعالى وكأين من قرية هى اشد قوة من قريتك التى اخرجتك يعنى اهلها وهو صريح فى انهم اخرجوه وذكرههنا وان كادوا ليستفزونك من الارض فكيف الجمع بينهما على قول من قال المراد بالارض ههنا ارض مكة * اجيب بان قوله اخرجتك من قبيل اسناد الحكم الى سببه فانهم هموا باخراجه عليه الصلاة والسلام منها الا انه عليه الصلاة والسلام ماخرج باخراجهم وانما خرج بامر الله تعالى فزال التناقض ﴿قوله لايلبثوا﴾ بحذف النون قرأ الجمهور لايلبثون برفع الفعل واثبات النون بعد اذا ولم يعملوا اذا لكونها متوسطة بين المعطوف والمعطوف عليه فان لايلبثون معطوف على قول يستفزونك وهو مرفوع لخلوه عن الجازم والناصب على انه خبر كاد والمعطوف على خبر كاد واقع موقع خبر كاد فيكون واقعا موقع الاسم فلا تعمل اذا فيه لاعتماد مابعدها على ماقبلها فيصير اذا لغوا واذا قرئ لايلبثوا بغير النون لايكون معطوفا على خبر كاد فيلزم الغاء اذن بل تكون جملة قوله اذا لايلبثوا معطوفة على جملة قوله وان كادوا ليستفزونك ﴿قوله عفت الديار خلافهم فكأنما * بسط الشواطب بينهن حصيرا﴾ عفت اى اندرست وخلافهم اى بعدهم والشواطب النساء اللاتى تشقق الجريد ليعمل منه الحصير والشطبة السعفة الخضراء الرطبة والجمع الشطب يقال شطبت المرأة الجريد شطبا اذا شققته لتعمل منه الحصير يصف دروس ديار الاحباب بعدهم بانها غير مسكونة حيث شبه مابقى بعد ترحل الاهل من الديار بالشطب التى تقشر حال نسج الحصير فقال فكانما بسط الشواطب بين تلك الديار ماينسج منه الحصير لنسجه لانهن بسطن نفس الحصير للجلوس عليه فانه لايناسب الاسناد الى الشواطب ثم انه تعالى لما قال له عليه الصلاة والسلام يوم ندعو كل اناس بامامهم الآية امره بالمواظبة على اشرف الطاعات بعد الايمان فقال اقم الصلاة الآية ويجوز ان يرتبط بقوله وان كادوا ليستفزونك من الارض الآية فكأنه قيل لاتبال بسعيهم فى اخراجك من بلدك ولاتلتفت اليهم واشتغل بعبادة الله تعالى والمداومة على اداء الصلاة فانه تعالى يدفع مكرهم وشرهم عنك ويجعل يدك فوق ايديهم ودينك غالبا على اديانهم ونظيره قوله تعالى فى سورة طه فاصبر على مايقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها

ومن آناء الليل فسبح واطراف النهار لعلك ترضى وقوله فى سورة الحجر فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين اختلف اهل اللغة والمفسرون فى معنى دلوك الشمس على قولين احدهما ان دلوكها غروبها روى عن علىّ رضى الله عنه انه قال دلوك الشمس غروبها وروى هذا القول من جماعة من الصحابة رضى الله عنهم والقول الثانى ان دلوك الشمس هو زوالها من كبد السماء وهو اختيار اكثر الصحابة والتابعين ويدل على صحة هذا القول وجوه الاوّل ماروى عن جابر انه قال طعم عندى رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه ثم خرجوا حين زالت الشمس فقال عليه الصلاة والسلام * هذا حين دلكت الشمس * والثانى ماروى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال اتانى جبريل عليه الصلاة والسلام لدلوك الشمس حين زالت الشمس فصلى بى الظهر * والثالث قول اهل اللغة معنى الدلوك فى كلام العرب الزوال ولذا قيل للشمس اذا زالت نصف النهار دالكة وقيل لها ايضا اذا افلت دالكة لانها فى الحالتين زائلة هكذا قاله الازهرى وقال القفال اصل الدلوك الميل يقال مالت الشمس للزوال ويقال مالت للغروب قال الازهرى الاولى حمل الدلوك على الزوال فى نصف النهار والمعنى أقم الصلاة اى ادّها من وقت زوال الشمس الى غسق الليل وعلى هذا التقرير يدخل فيه الظهر والعصر والمغرب والعشاء ثم قال وقرءآن الفجر فاذا حملنا الدلوك على الزوال دخلت الصلوات الخمس فى هذه الآية فان حملناه على الغروب لم يدخل فيه الاثلاث صلوات وهى المغرب والعشاء والصبح وحمل كلام الله تعالى على مايكون اكثر فائدة اولى فوجب ان يكون المراد من الدلوك الزوال ﴿ قوله وكذا كل ماتركب من الدال واللام ﴾ فان جميع ذلك يتضمن معنى الانتقال كدلح اى مشى بحمله غير منبسط الخطو لثقله عليه ودلج يدلج دلوجا من باب دخل يدخل دخولا وهو بالجيم المعجمة والاوّل بالحاء المهملة ومعناه اخذ الدلو ومشى بها من رأس البئر الى الحوض حتى يفرغها فيه وذلك الموضع مدلج ومدلجة والدلج بفتح اللام اسم للسير من اوّل الليل ودلع الرجل لسانه فدلع اى خرج يتعدّى ولايتعدّى ودلف الشيخ اذا مشى وقارب الخطو والدله التحير وذهاب العقل من الهوى يقال دلهه الحب اى حيره وادهشه ودله هو بنفسه يدله اى تحير والمصنف فسر دلوك الشمس بزوالها ثم نقل انه يفسر بغروبها ثم اشار الى وجه كل واحد من التفسيرين فقال واصل التركيب الانتقال يعنى ان الدلوك فى اصل اللغة ينبئ عن التغير والانتقال من حال الى حال وهو حاصل فى كل واحد من الغروب والزوال فكان كل واحد منهما من انواع الدلوك فصح اطلاقه على كل واحد منهما اطلاق الكلى على كل واحد من افراده وجزئياته ثم نقل مايرجح ان يكون المراد به الزوال وهو كون الدلوك مشتقا من الدالك والدلوك بهذا المعنى صفة الناظر الى الشمس واضيف الى الشمس لكونها حاملة للناظر اليها على ان يدلك عينيه ليدفع تأثيرها من شعاع الشمس وذلك التأثير انما يحصل فيها عند النظر الى الشمس وقت دنوّها من الزوال فظهر ان مراد من يقول الدلوك من الدالك بيان ان الدلوك بمعنى الزوال ﴿ قوله وصلاة الصبح ﴾ على معنى واقم صلاة الصبح لان قوله وقرءآن الفجر معطوف على قوله الصلاة فيكون المعنى واقم قرءآن الفجر اى صلاتها تسمية لها باسم بعض اركانها ﴿ قوله تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار ﴾ يعنى ان ملائكة الليل وملائكة النهار يجتمعون فى صلاة الصبح خلف الامام تنزل عليهم ملائكة النهار وهم فى صلاة الغداة قبل ان تعرج ملائكة الليل لقيام شئ من ظلمة الليل بعد فاذا فرغ الامام من صلاته عرجت ملائكة الليل ومكثت ملائكة النهار ثم ان ملائكة الليل اذا صعدت قالت يارب انا تركنا عبادك يصلون لك وتقول ملائكة النهار ربنا أتينا عبادك وهم يصلون فيقول الله تعالى للملائكته اشهدوا انى قد غفرت لهم ﴿ قوله او شواهد القدرة ﴾ عطف على قوله ملائكة الليل والمعنى ان قرءآن الفجر تشهده دلائل القدرة الباهرة فان الانسان اذا شرع فى اداء صلاة الصبح فى اوّل وقتها الذى هو وقت بقاء الظلمة يستمرّ الى الضياء وهو فى اثناء الصلاة بعد والظلمة مناسبة للموت والعدم والضوء مناسب للحياة والوجود فالمصلى يشاهد فى اثناء صلاته انقلاب كلية هذا العالم من الظلمة الى الضياء فكانّما تحوّلت من العدم الى الوجود ويشهد عقله السليم بان هذا التقليب والتحويل لايقدر عليه الا الحق سبحانه ويستنير باطنه بنور هذه المعرفة وقوّة اليقين ﴿ قوله او كثير من المصلين ﴾ اى يشهده كثير من المصلين فى العادة وقوله او من حقه ان يشهده الجم الغفير فعلى هذا يكون المقصود الترغيب فى ان تؤدّى هذه الصلاة بالجماعة ووجه الفرق بينها وبين سائر الصلوات ان تأثير هذه الصلاة فى تصفيته وتنويره اكثر من تأثير سائر الصلوات فاذا حضر جمع من المسلمين لاداء هذه الصلاة استنار قلب كل واحد منهم بسبب ذلك الاجتماع لانه ينعكس نور معرفة الله تعالى ونور طاعته فى ذلك الوقت من قلب كل واحد الى قلب

واصل التركيب للانتقال ومنه الدالك فان الدالك لاتستقر يده وكذا كل ماتركب من الدال واللام كدلح ودلج ودلع ودلف ودله وقيل الدلوك من الدالك لان الناظر اليها يدلك عينيه ليدفع شعاعها واللام للتأقيت مثلها لثلاث خلون (الى غسق الليل) الى ظلمته وهو وقت صلاة العشاء الاخيرة (وقرءآن الفجر) وصلاة الصبح سميت قرءآنا لانه ركنها كما سميت ركوعا وسجودا واستدل به على وجوب القرآءة فيها ولادليل فيه لجواز ان يكون التجوّز لكونها مندوبة فيها نعم لو فسر بالقرآءة فى صلاة الفجر دل الامر باقامتها على الوجوب فيها نصا وفى غيرها قياسا (ان قرءآن الفجر كان مشهودا) تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار اوشواهد القدرة من تبدّل الظلمة بالضياء والنوم الذى هواخ الموت بالانتباه اوكثير من المصلين او من حقه ان يشهده الجم الغفير والآية جامعة للصلوات الخمس ان فسر الدلوك بالزوال ولصلاة الليل وحدها ان فسر بالغروب وقيل المراد بالصلاة صلاة المغرب

وقوله لدلوك الشمس الى غسق الليل بيان لمبدأ الوقت ومنتهاه واستدل به على ان الوقت يمتد الى غروب الشفق (ومن الليل فتهجد به) وبعض الليل فاترك الهجود للصلاة والضمير للقرءآن (نافلة لك) فريضة زائدة لك على الصلوات المفروضة

او فضيلة لك لاختصاص وجوبه بك (عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا) مقاما يحمده القائم فيه وكل من عرفه وهو مطلق فى كل مقام يتضمن كرامة والمشهور انه مقام الشفاعة لما روى ابو هريرة رضى الله تعالى عنه انه عليه الصلاة والسلام قال هو المقام الذى اشفع فيه لامتى ولاشعاره بان الناس يحمدونه لقيامه فيه وماذاك الامقام الشفاعة وانتصابه على الظرف باضمار فعله اى فيقيمك مقاما او بتضمين يبعثك معناه او الحال بمعنى ان يبعثك ذامقام (وقل رب ادخلنى) اى فى القبر (مدخل صدق) ادخالا مرضيا (واخرجنى) اى منه عند البعث (مخرج صدق) اخراجا ملقى بالكرامة وقيل المراد ادخال المدينة والاخراج من مكة وقيل ادخاله مكة ظاهرا عليها واخراجه منها آمنا من المشركين وقيل ادخاله الغار واخراجه منه سالما وقيل ادخاله فيما حمله من اعباء الرسالة واخراجه منه مؤديا حقه وقيل ادخاله فى كل مايلابسه من مكان اوأمر واخراجه منه وقرئ مدخل ومخرج بالفتح على معنى ادخلنى فادخل دخولا واخرجنى فاخرج خروجا (واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا) حجة تنصرنى على من خالفنى او ملكا ينصر الاسلام على الكفر فاستجاب له بقوله فان حزب الله هم الغالبون ليظهره على الدين كله ليستخلفنهم فى الارض (وقل جاء الحق) الاسلام (وزهق الباطل) وذهب وهلك الشرك من زهق روحه اذا خرج (ان الباطل كان زهوقا) مضمحلا غير ثابت عن ابن مسعود انه عليه الصلاة والسلام دخل مكة يوم الفتح وفيها ثلاثمائة وستون صنما فجعل ينكث بمخصرة فى عين واحد واحد منها فيقول جاء الحق وزهق الباطل فينكب لوجهه حتى القى جميعها وبقى صنم خزاعة فوق الكعبة وكان من صفر فقال ياعلى ارم به فصعد فرمى به وكسره (وننزل من القرءآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين) ماهو فى تقويم دينهم واستصلاح نفوسهم كالدواء الشافى للمرضى ومن للبيان فان كله كذلك وقيل انها للتبعيض والمعنى ان منه مايشفى من المرض كالفاتحة وآيات الشفاء وقرأ البصريان ننزل بالتخفيف

(وحال)

الآخر فتصير ارواحهم كالمرآئى المشرقة المتقابلة اذا وقعت عليها انوار الشمس فانه ينعكس النور من كل واحدة من تلك المرآئى الى الاخرى فكذا فى هذه الصورة ولهذا السبب كل من له ذوق سليم اذا ادّى هذه الصلاة بالجماعة وجد من قلبه فسحة ونورا ﴿قوله بيان لمبدأ الوقت ومنتهاه﴾ وذلك لان اللام فى قوله لدلوك الشمس للتعقيب وقوله الى غسق الليل متعلق باقم وكلمة الى لانتهاء غاية الاقامة وغسق الليل تراكم ظلمته واشتدادها والظلمة المتراكمة انما تحصل عند غيبوبة الشفق الابيض والحكم الممدود الى غاية يكون مشروعا قبل حصول تلك الغاية منتهيا عندها فيكون قوله لدلوك الشمس الى غسق الليل بيانا لمبدأ الوقت ومنتهاه ﴿قوله من الليل﴾ متعلق بتهجد اى تهجد بالقرءآن بعض الليل كما يشعر به قوله وبعض الليل فاترك الهجود والاظهر ان يكون متعلقا بمقدر عطف عليه فتهجد لان الفاء لابدلها من معطوف عليه والتقدير وقم من الليل اى فى بعض الليل فتهجد بالقرءآن فالمراد منه الصلاة المشتملة على القرءآن عبر عنها باسم بعض اركانها والمعروف فى كلام العرب ان الهجود عبارة عن النوم بالليل يقال هجد فلان اذا نام بالليل ثم لما رأينا فى عرف الشرع انه يقال لمن انتبه بالليل من نومه وقام الى الصلاة انه متهجد وجب ان يقال سمى ذلك متهجدا من حيث انه ألقى الهجود عن نفسه كما قيل للعابد متحنث لالقائه الحنث وهو الاثم والخوف عن نفسه ونافلة مصدر على وزن العافية منصوب بفعله المقدر اى تنفل نافلة لك والنافلة فى اللغة الزيادة على الاصل ومعناها فى هذه الآية ايضا الزيادة وفى تفسير كونها زيادة قولان مبنيان على ان صلاة الليل أكانت واجبة على النبى صلى الله عليه وسلم ام لا فمنهم من قال انها كانت واجبة عليه بقوله تعالى ياايها المزمل قم الليل الا قليلا ثم نسخت فصارت نافلة اى تطوعا وزيادة على الفرآئض وقال آخرون ان صلاة الليل كانت واجبة عليه عليه الصلاة والسلام ومعنى كونها نافلة له على التخصيص انها فريضة زآئدة له عليه الصلاة والسلام على الصلوات الخمس واختار المصنف هذا القول لان فتهجد امر وصيغة الامر للوجوب فوجب ان يكون التهجد واجبا عليه ومن قال ان صلاة الليل ليست بواجبة عليه بل هى تطوع فى حقه كما هى تطوع فى حق امته قال فى وجه قوله نافلة لك بلام الاختصاص انه تعالى غفر للنبى صلى الله عليه وسلم ماتقدم من ذنبه وماتأخر فكل طاعة يأتى بها سوى المكتوبة فانه لايكون تأثيرها فى كفارة الذنوب البتة بل يكون تأثيرها فى زيادة الدرجات وكثرة الثواب فلما كانت لزيادة المثوبات سميت نافلة بمعنى زيادة المثوبات بخلاف الامة فان لهم ذنوبا محتاجة الى الكفارات فهم محتاجون الى النوافل لتكفير الذنوب والسيئات لالمحض زيادة المثوبات وللاشارة الى هذا المعنى جعلت تطوعاته عليه الصلاة والسلام زوآئد ونوافل فى مثوبته بخلاف تطوعات امته ﴿قوله ولاشعاره﴾ عطف على قوله لما روى فهو وجه ثان لكون المراد بالمقام المحمود مقام الشفاعة وتقرير كون المقام من حيث هو مقام محمودا يشعر بالانعام عليه وذلك الانعام لايجوز ان يراد به تبليغ الدين والهداية الى الشرع القويم والصراط المستقيم لان ذلك الانعام كان حاصلا الآن وقوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا يشعر بكون المراد منه مقام الشفاعة واتفق المفسرون على ان كلمة عسى من الله تدخل فيما هو قطعى الوقوع لان لفظ عسى يفيد الاطماع ومن اطمع انسانا فى شئ ثم حرمه كان عارا عليه والله تعالى اكرم من ان يطمع احدا فى شئ ثم لايعطيه ﴿قوله اى فى القبر﴾ قدم هذا الوجه واختاره لكونه مناسب المذكور عقيب قوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا والعامة على ضم الميم فى قوله مدخل ومخرج لوقوعهما بعد فعل رباعى وجعلهما المصنف مصدرا ميميا وان جاز ان يكونا اسمى مكان وقرئ بفتح الميم فيهما على ان كل واحد منهما مصدر ميمى من الفعل الثلاثى منصوب بفعل مقدر موافق لهما تقديره فادخل مدخل واخرج مخرج والاضافة فيهما للتعيين مدحا للمضاف كانه سأل الله تعالى ادخالا حسنا واخراجا حسنا لايرى فيه مايكرهه وان كان المعنى ادخلنى مكة ظاهرا عليها يكون المأمور به ان يسأل الله تعالى ان يفتح له مكة ويدخل فيها ادخالا مرضيا وان كان المراد ادخال المدينة والاخراج من مكة تكون الآية مرتبطة بقوله وان كادوا ليستفزونك من الارض والمعنى ان كفار مكة لما ارادوا اخراجه عليه الصلاة والسلام من مكة امره الله تعالى بالهجرة الى المدينة وقال له قل رب ادخلنى مدخل صدق وهو ادخاله المدينة واخرجنى مخرج صدق وهو اخراجه من مكة او ادخاله الغار واخراجه منه ﴿قوله ومن للبيان﴾ فان قيل من البيانية لابد ان يتقدمها مايحتاج الى البيان لا ان تقدم هى عليه وهاهنا قد تقدمت عليه فكيف تكون بيانية * فالجواب ان المبين لايجب تقدمه لفظا بل يكفى تقدمه رتبة وهو حاصل هاهنا فان قوله من القرءآن بيان لمفعول ننزل وهو قوله ماهو شفاء

وحال منه كما ان من الاوثان فى قوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان حال من الرجس وبيان له وذو الحال متقدّم من حيث الرتبة على الحال وان كانت تبعيضية يكون من القرءآن مفعولا به وماهو شفاء بدلا منه شبه المؤمنون بالمرضى من حيث احتياجهم فى تقوية دينهم وعقائدهم واصلاح نفوسهم واخلاقهم الى مايعينهم ويصلح شأنهم فى البابين وشبه القرءآن بالدوآء الشافى من حيث كونه خالعا ومزيلا لضعف العقائد والاخلاق الذميمة ويصلح شأن المؤمن فى باب العقائد والاعمال والاخلاق فعبر عن المشبه باسم المشبه به فقيل وننزل من القرءآن ماهو شفاء ثم بين المراد بهذا اللفظ المستعار بقوله من القرءآن وان شئت قلت ذكر طرفى التشبيه البليغ وجعل كون القرءآن بمنزلة الشفاء بالنسبة الى المؤمنين تخييلا للاستعارة التى هى تشبيه المؤمنين بالمرضى *ثم انه تعالى لما وصف القرءآن بانه شفاء ورحمة للمؤمنين وانه لا يزيد الظالمين الاخزيا وخسارا بين ان شأن نوع الانسان انه ان فاز بالنعمة والدولة اغترّ بها ونسى ذكر الله تعالى والاشتغال به ثم اتبع ذلك بقوله قل كل يعمل على شاكلته اى على حسب طريقته المشاكلة لما هو عليه من الهدى والضلال فالكافر يعمل مايشبه طريقته من الاعراض عن الذكر عند الانعام ومن اليأس من رحمة الله عند الشدّة والمؤمن يفعل مايشبه طريقته من الشكر عند الرخاء والصبر عند البلاء ويدل على هذا قوله تعالى فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا اى المؤمن الذى لا يعرض عند النعمة ولا ييأس عند المحنة ثم ذكر وجها آخر وهو ان يكون المراد بالشاكلة مايشاكل جوهر روحه والمعنى كل احد يفعل على وفق مايشاكل جوهر نفسه ومقتضى روحه فان كانت نفسه نفسا مشرقة طاهرة علوية صدرت عنه افعال فاضلة كريمة وان كانت نفسه نفسا كدرة خبيثة سفلية ظلمانية صدرت عنه افعال خسيسة *قال الامام اختلف العقلاء فى ان النفوس الناطقة البشرية هل هى مختلفة بالماهية اولا فنهم من قال انها مختلفة بالماهية وان اختلاف افعالها واحوالها لاجل اختلاف جواهرها وماهياتها ومنهم من قال انها متساوية فى الماهية واختلاف افعالها لاجل اختلاف امزجة ابدانها ثم قال والمختار عندى هو القسم الاوّل والقرءآن مشعر بذلك فانه تعالى بين فى الآية المتقدّمة ان القرءآن بالنسبة الى البعض يفيد الشفاء والرحمة وبالنسبة الى البعض الآخر يفيد الخسار والخزى ثم اتبعه بقوله قل كل يعمل على شاكلته ومعناه ان اللائق بتلك النفوس الطاهرة ان يظهر فيها من القرءآن آثار السعادة والكمال وتلك النفوس الكدرة ان يظهر فيها من القرءآن آثار الخزى والضلال كما ان الشمس تعقد الملح وتلين الدهن وتبيض ثوب القصار وهذا الكلام انما يتم المقصود منه اذا كانت الارواح والنفوس مختلفة بماهياتها فبعضها مشرقة صافية يظهر فيها من القرءآن آثار السعادة والكمال وتلك النفوس نور على نور وبعضها كدرة ظلمانية فيظهر فيها من القرءآن ضلال ونكال على نكال انتهى كلامه والمصنف اشار الى القول الاوّل بقوله اوجوهر روحه والى الثانى بقوله واحواله التابعة لمزاج بدنه من غير تعرّض لترجيح احد القولين على الآخر ويحتمل ان يكون قوله هذا ترجيحا للقول الاوّل ويكون عطف قوله واحواله التابعة للاشارة الى ان اختلاف جوهر الروح بالماهية انما يقتضى اختلاف الافعال بواسطة اختلاف تدبيره فى مادّة بدنه

قوله من الابداعيات اى من الامور المخترعة لا على مثال والسؤال عن الروح وان كان يقع على وجوه كثيرة احدها ان يقال اى شئ ماهية الروح وحقيقته اهو متحيز ام حال فى المتحيز ام موجود غير متحيز ولا حال فى المتحيز وثانيها ان يقال الروح هل هو قديم او حادث وثالثها انه هل يبقى بعد موت الاجسام او يفنى ونحو ذلك من احوالها الا ان الظاهر انهم سألوه عليه الصلاة والسلام عن حقيقة الروح وانه عليه الصلاة والسلام اجابهم بان بين لهم ذات الروح ببعض عوارضه واحواله وهو قوله تعالى قل الروح من امر ربى يعنى انه موجود بامر الله تعالى وتكوينه وانه ليس من عالم الخلق حتى يمكن تعريفه لاهل الظاهر اذ من البين انه لا يتجاوز ادراككم عن عالم المحسوسات وماتدركونه من المعانى المعقولة ليس الاصورا منتزعة من الجزئيات المحسوسة على حسب الاستعدادات المختلفة بل هو من عالم الامر اى عالم الابداع الذى هو عالم الذوات المجرّدة عن الهيولى والجواهر المقدّسة عن الشكل واللون والجهة والاين فلا يمكنكم ادراكه ايها المحجوبون بالكون لقصور ادراككم عنه فالجواب المذكور اشارة الى ان الروح مما لا يمكن معرفة ذاته الا بعوارض تميزه عما يلتبس به ولذلك اقتصر على هذا الجواب كما اقتصر موسى عليه الصلاة والسلام فى جواب ومارب العالمين على ذكر بعض صفاته وان ارادوا بسؤالهم عن الروح انه هل هو قديم او حادث يكون الجواب بانه من امر ربى بمعنى انه حادث بتكوينه وموجود بامره اى بقوله كن ولفظ الامر قد جاء بمعنى الفعل كما فى قوله تعالى وما امر فرعون

﴿ ولا يزيد الظالمين الاخسارا ﴾ لتكذيبهم وكفرهم به ﴿ واذا انعمنا على الانسان ﴾ بالصحة والسعة ﴿ اعرض ﴾ عن ذكر الله ﴿ ونأى بجانبه ﴾ لوى عطفه وبعد بنفسه عنه كانه مستغن مستبدّ بامره ويجوز ان يكون كناية عن الاستكبار لانه من عادة المستكبرين وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان هنا وفى فصلت وناء على القلب او على انه بمعنى نهض ﴿ واذا مسه الشرّ ﴾ من مرض او فقر ﴿ كان يؤوسا ﴾ شديد اليأس من روح الله ﴿ قل كل يعمل على شاكلته ﴾ قل كل احد يعمل على طريقته التى تشاكل حاله فى الهدى والضلالة او جوهر روحه واحواله التابعة لمزاج بدنه ﴿ فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا ﴾ اسدّ طريقا وابين منهجا وقد فسرت الشاكلة بالطبيعة والعادة والدين ﴿ ويسألونك عن الروح ﴾ الذى يحيى به بدن الانسان ويدبره ﴿ قل الروح من امر ربى ﴾ من الابداعيات الكائنة بكن من غير مادّة وتولد من اصل كاعضاء جسده اواوجد بامره وحدث بتكوينه على ان السؤال عن قدمه وحدوثه

برشيد اى ومافعله برشيد وقوله فلما جاء امرنا اى فعلنا فقوله تعالى قل الروح من امر ربى اى من فعل ربى وانه حادث حصل بفعل الله وتكوينه وايجاده ﴿قوله وقيل مما استأثره الله بعلمه﴾ الظاهران يقال مما استأثر الله بعلمه بدون الضمير بمعنى استبد وتفرد بعلمه واستعماله متعديا غير معهود فى اللغة ومعنى الجواب حينئذ قل معرفة الروح من شأن الله تعالى لامن شأن غيره على ان يقدر المضاف بعد قوله قل ويكون الامر بمعنى الشأن وهذا التوجيه يطابقه قوله وما اوتيتم من العلم الا قليلا ولم يرض المصنف بهذا الوجه لان معرفة الروح ليست اعظم شأنا من معرفة الله تعالى واذا كانت معرفته تعالى ممكنة بل حاصلة فاىّ مانع يمنع من معرفة الروح مع ان مسألة الروح يعرفها اوساط العقلاء من الفلاسفة والمتكلمين فكيف يليق بالرسول الذى هواعلم العلماء وافضل الفضلاء ان يقول انا لا اعرف هذه المسألة وانما علمها من امر ربى وشأنه فلذلك اختار ان يكون السؤال عن حقيقة الروح او عن قدمه وحدوثه وانه عليه الصلاة والسلام اجاب عن ذلك السؤال بان بين لهم ماسألوه فى قوله نزل به الروح الامين على قلبك وفى قوله فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا حيث سألوا الرسول صلى الله عليه وسلم كيف جبريل فى نفسه وكيف قيامه فى تبليغ الوحى فقال قل الروح من امر ربى اى انه من عالم الامر او موجود بامره وتكوينه اوينزل ويبلغ بامر ربه كما قال جبريل عليه الصلاة والسلام وما نتنزل الا بامر ربك ﴿قوله وقيل خلق﴾ اى قيل ان الروح المسئول عنه فى هذه الآية ملك من ملائكة السموات وهواعظمهم قدرا وقوة وهو المراد من قوله تعالى يوم يقوم الروح والملائكة صفا روى عن علىّ رضى الله عنه انه قال انه ملك له سبعون الف وجه لكل وجه سبعون الف لسان لكل لسان سبعون الف لغة يسبح الله تعالى بتلك اللغات كلها وما خلق الله تعالى خلقا اعظم من الروح غير العرش ولوشاء ان يبتلع السموات السبع والارضين السبع ومافيهنّ بلقمة واحدة لفعل صورة خلقه على صورة الملائكة وصورة وجهه على صورة الآدميين يقوم يوم القيامة عن يمين العرش وهو اقرب الخلق الى الله تعالى اليوم بعد الحجب السبعين ويقرب الى الله عز وجل يوم القيامة وهو يشفع لاهل التوحيد ولولا ان بينه وبين الملائكة سترا من نور لاحترق اهل السموات من نوره ﴿قوله وقيل القرآن﴾ اى وقيل المراد بالروح المسئول عنه فى هذه الآية القرآن لانه تعالى سمى القرآن فى كثير من الآيات روحا منها قوله تعالى وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا وقوله ينزل الملائكة بالروح من امره ولان القرآن تحصل به حياة الارواح والعقول اذ به تحصل معرفة الله ومعرفة ملائكته وكتبه ورسله واحوال الآخرة والارواح انما تحيى بهذه المعارف مع ان اللائق بهذا الموضع القرآن لانه تقدمه قوله تعالى وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين وجاء بعده ولئن شئنا لنذهبن بالذى اوحينا اليك الى قوله على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا فلما كان ماقبل هذه الآية ومابعدها فى وصف القرآن ناسب ان يكون المراد بالروح المذكور فى هذه الآية ايضا القرآن ولما استعظم القوم امر القرآن وسألوا انه هل هو من جنس الشعر والكهانة اجابهم الله تعالى بانه ليس من جنس كلام الشعر وانما هو كلام ظهر بامر الله تعالى ووحيه وتنزيله فقال قل الروح من امر ربى اى القرآن انما ظهر بامر ربى ووحيه ﴿قوله ولعل اكثر الاشياء لايدركه الحس﴾ جواب عما يقال سلمنا ان علم الانسان مقتصر على مايستفيده بواسطة الحواس لكن كيف يلزم منه ان يكون معلومه شيأ قليلا بالنسبة الى معلومات الله تعالى ومعلومات النفوس المجردة عن الحجب الطبيعية والغواشى الجسمانية واشار بقوله من احساس الجزئيات اى بطريق الاحساس المستفاد من احساس الجزئيات المعرفة لذاته الى ان الانسان يجوز له ان يعلم شيأ من الابداعيات على سبيل التشبيه والمقايسة بما شاهده فى عالم الشهادة كما يعلم الملائكة واحوال الآخرة بهذا الطريق ﴿قوله ومحوناه من المصاحف والصدور﴾ اشارة الى جواب من زعم ان هذه الآية تدل على ان القرآن مخلوق لان القديم لايقبل الازالة والاذهاب لما تقرر من ان ماثبت قدمه يمتنع عدمه * وتقرير الجواب ان المراد بهذا الاذهاب ازالة العلم به عن القلوب وازالة النقش الدال عليه من المصاحف وذلك لا يوجب كون ذلك المعلوم المدلول بماعليه محدثا روى محيى السنة فى تفسيره عن عبد الله بن مسعود انه قال اقرأوا القرآن قبل ان يرفع فانه لاتقوم الساعة حتى يرفع قيل هذه المصاحف ترفع فكيف بما فى صدور الناس قال يسرى عليهم ليلا فيرفع ما فى صدورهم فيصبحون لايحفظون شيأ ولايجدون فى المصاحف شيأ ثم يفيضون فى الشعر وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال لاتقوم الساعة حتى يرجع القرآن من حيث نزل له دوىّ حول العرش كدوىّ النحل فيقول الرب تعالى مالك فيقول يارب

وقيل مما استأثره الله بعلمه لما روى ان اليهود قالوا لقريش سلوه عن اصحاب الكهف وعن ذى القرنين وعن الروح فان اجاب عنها اوسكت فليس بنبىّ وان اجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبىّ فبين لهم القصتين وابهم امر الروح وهو مبهم فى التوراة وقيل الروح جبريل وقيل خلق اعظم من الملك وقيل القرآن ومن امر ربى معناه من وحيه (وما اوتيتم من العلم الا قليلا) تستفيدونه بتوسط حواسكم فان اكتساب العقل للمعارف النظرية انما هو من الضروريات المستفادة من احساس الجزئيات ولذلك قيل من فقد حسا فقد فقد علما ولعل اكثر الاشياء لايدركه الحس ولاشيأ من احواله المعرفة لذاته وهو اشارة الى ان الروح مما لايمكن معرفة ذاته الا بعوارض تميزه عما يلتبس به فلهذا اقتصر على هذا الجواب كما اقتصر موسى فى جواب ومارب العالمين بذكر بعض صفاته روى انه عليه الصلاة والسلام لما قال لهم ذلك قالوا نحن مختصون بهذا الخطاب فقال بل نحن وانتم فقالوا ما اعجب شأنك ساعة تقول ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا وساعة تقول هذا فنزلت ولو ان مافى الارض من شجرة اقلام وما قالوه لسوء فهمهم لان الحكمة الانسانية ان يعلم من الخير والحق ماتسعه الطاقة البشرية بل ماينتظم به معاشه ومعاده وهو بالاضافة الى معلومات الله التى لانهاية لها قليل ينال به خير الدارين وهو بالاضافة اليه كثير (ولئن شئنا لنذهبن بالذى اوحينا اليك) اللام الاولى موطئة للقسم ولنذهبن جوابه النائب مناب جزاء الشرط والمعنى ان شئنا ذهبنا بالقرآن ومحوناه من المصاحف والصدور

اتلى ولايعمل بى اتلى ولايعمل بى ﴿قوله يعنى ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به﴾ يعنى انه على تقدير ان يكون الاستثناء منقطعا يكون استدراكا على قوله ولئن شئنا لنذهبن بالذى اوحينا وعلى تقدير ان يكون متصلا يكون المستثنى منه قوله وكيلا بناء على ان الرحمة من جنس الوكيل مندرجة فيه كما قال ابو البقاء ﴿قوله ولولاهى﴾ اى اللام الموطئة فان القسم مقدر معها لجاز ان يكون قوله لايأتون جواب الشرط غير مجزوم بناء على ان حرف الشرط اذا لم يعمل فيما هو اقرب منه فلأن لايعمل فى الأبعد اولى كما فى البيت فانه رفع يقول فيه مع انه جواب الشرط لما ذكرنا ﴿قوله ولعله لم يذكر الملائكة الخ﴾ يعنى ان هذه الآية دلت على وقوع التحدى مع الجن والانس فلما ظهر عجز كل واحد من الفريقين عن اتيان مثله ظهر ان القرءآن ليس من نظم هذين الفريقين ولم يلزم منه كونه وحيا الهيا لجواز كونه من نظم الملائكة وانما يظهر ذلك لو ذكر الملائكة ووقع التحدى مع جميع الفرق الثلاث فلم يذكر الملائكة اجاب عنه اولا بان المقصود من تحقيق اعجاز القرءآن دفع شبهة القوم باحتمال كونه كلام البشر او الجن ولم يذهب احد منهم الى احتمال كونه تأليف الملائكة فلذلك لم يذكر الملائكة فى مقام التحدى وثانيا بانه لاوجه لذكر الملائكة فى هذا المقام من حيث كونهم وسائط فى اتيانه ونزوله الى البشر ﴿قوله ويجوز ان تكون الآية تقريرا﴾ لاتيانا لكونه معجزا بعد الامتنان بتنزيله ثم بابقائه كما يفهم ذلك من التقرير السابق ﴿قوله كررنا بوجوه مختلفة من كل معنى﴾ اشارة الى ان قوله تعالى من كل مثل مفعول صرّفنا وكلمة من فيه زائدة فى المفعول وقد جوّز الكوفيون والاخفش زيادتها فى الاثبات والمعنى ولقد صرّفنا تقرير كل معنى من الترغيب والترهيب والوعد والوعيد والمواعظ وتقرير الدلائل الدالة على حقية ماهو الحق فى باب الاعتقاد والعمل وبطلان ماهو الباطل منهما من وجه الى وجه آخر وكرّرنا تقريره بوجوه مختلفة ليذكروا ويذعنوا الى الحق فابى اكثر اهل مكة الاجحودا للحق واصرارا على الكفر والعناد ﴿قوله وانما جاز ذلك﴾ يعنى ان قوله الا كفورا مستثنى مفرّغ فى الكلام الموجب وقد تقرّر ان عدم ذكر المستثنى منه انما يجوز فى غير الموجب ولايجوز فى الموجب لفساد المعنى فكان القياس ان لايجوز ان يقال ابى اكثر الناس الا كفورا الا انه جاز من حيث ان قوله ابى اكثر الناس فى قوّة لم يفعلوا ولم يرضوا الا كفورا وفسر الكفور بالجحود لانه تعالى اثبت نبوّة النبى صلى الله عليه وسلم ببيان كون القرءآن معجزا وانه عليه الصلاة والسلام اظهره على وفق دعواه وحينئذ يتم الدليل على كونه نبيا صادقا لان كل من ادّعى النبوّة واظهر المعجزة على وفق دعواه فهو نبىّ صادق فصح انه نبىّ صادق عليه الصلاة والسلام وليس من شرط كونه نبيا صادقا تواتر المعجزات الكثيرة وتواليها لانه يستلزم ان لاينتهى الامر فيه الى حدّ ينقطع عنده عناد المعاندين لانه كلما اتى الرسول بمعجز اقترحوا عليه معجزا آخر لا الى نهاية فكفار مكة بعد ان اظهر كون القرءآن معجزا التمسوا منه عليه الصلاة والسلام ستة انواع من المعجزات فالتماسهم هذا ليس الا تعنتا وجحودا ﴿قوله وقرأ الكوفيون ويعقوب تفجر﴾ بفتح التاء وسكون الفاء وضم الجيم خفيفة مضارع فجرت الماء فانفجر بمعنى بجسته فانبجس ويؤيد هذه القرآءة كون الينبوع واحدا وقرأ الباقون بضم التاء وفتح الفاء وكسر الجيم المشددة مضارع فجر للتكثير واتفقوا على ان الثانية بالتشديد للتصريح بمصدرها ﴿قوله لاينضب ماؤها﴾ بضم الضاد اى لايغور فى الارض ولايتسفل ونبع الماء ينبع نبوعا اى خرج واليعبوب الفرس الكثير الجرى والنهر الشديد الجرية وعب الماء اذا زخر وكثر وارتفع يقال زخر الوادى اذا امتلأ وارتفع ماؤه وبحر زاخر والعباب بالضم معظم الماء وكثرته وارتفاعه اقترح القوم وقالوا له عليه الصلاة والسلام ازل عنا جبال مكة وفجر لنا الينبوع ليسهل علينا امر الزراعة والحراثة ثم قالوا فان لم تستطع اظهار الخير فأظهر الشرّ بان تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا اى قطعا جمع كسفة وهى القطعة مثل قربة وقرب وانتصابه على الحال من السماء ﴿قوله وحفص فيما عدا الطور﴾ الظاهر انه معطوف على ابن كثير كما ان قوله وابن عامر وقوله ونافع وابو بكر معطوفان عليه فيكون المعنى وسكنه حفص فيما عدا الطور وهو مخالف لما ذكره الامام الرازى فى تفسيره وهو قوله قرأ ابن عامر كسفا بفتح السين ههنا وفى سائر القرءآن بسكونها وقرأ نافع وابو بكر عن عاصم ههنا وفى الروم بفتح السين وفى باقى القرءآن بسكونها وقرأ حفص فى سائر القرءآن بالفتح الا فى الطور وقرأ ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائى فى الروم بفتح السين وفى سائر القرءآن بسكونها هذه عبارة الامام فى الكبير وفى تفسير الامام ابى الليث وحاشية الطيبى وتفسير القرآءة هكذا قرأ نافع وعاصم وابن عامر كسفا بفتح السين والباقون باسكانها والله اعلم فمن فتح السين جعله جمع كسفة نحو قطعة وقطع

(ثم لاتجدلك به علينا وكيلا) من يتوكل علينا استرداده مسطورا محفوظا (الارحمة من ربك) فانها ان نالتك فلعلها تستردّه عليك ويجوز ان يكون استثناء منقطعا بمعنى ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به فيكون امتنانا بابقائه بعد المنة فى تنزيله (ان فضله كان عليك كبيرا) كارساله وانزال الكتاب عليه وابقائه فى حفظه (قل لئن اجتمعت الانس والجنّ على ان يأتوا بمثل هذا القرءآن) فى البلاغة وحسن النظم وكمال المعنى (لايأتون بمثله) وفيهم العرب العرباء وارباب البيان واهل التحقيق وهو جواب قسم محذوف دل عليه اللام الموطئة ولولا هى لكان جواب الشرط بلاجزم لكون الشرط ماضيا كقول زهير

وان أتاه خليل يوم مسئلة * يقول لاغائب مالى ولاحرم *

(ولوكان بعضهم لبعض ظهيرا) ولو تظاهروا على الاتيان به ولعله لم يذكر الملائكة لان اتيانهم بمثله لايخرجه عن كونه معجزة ولانهم كانوا وسائط فى اتيانه ويجوز ان تكون الآية تقريرا لقوله ثم لاتجدلك به علينا وكيلا (ولقد صرّفنا) كرّرنا بوجوه مختلفة زيادة فى التقرير والبيان (للناس فى هذا القرءآن من كل مثل) من كل معنى هو كالمثل فى غرابته ووقوعه موقعا فى الانفس (فأبى اكثر الناس الا كفورا) الاجحودا وانما جاز ذلك ولم يجز ضربت الازيدا لانه متأوّل بالنفى (وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر من الارض ينبوعا) تعنتا واقتراحا بعد ما الزمهم الحجة ببيان اعجاز القرءآن وانضمام غيره من المعجزات اليه وقرأ الكوفيون ويعقوب تفجر بالتخفيف والارض ارض مكة والينبوع عين لاينضب ماؤها يفعول من نبع الماء كيعبوب من عب الماء اذا زخر (اوتكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا) اويكون لك بستان يشتمل على ذلك (اوتسقط السماء كما زعمت علينا كسفا) يعنون قوله تعالى اونسقط عليهم كسفا من السماء وهو كقطع لفظا ومعنى وقد سكنه ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائى ويعقوب فى جميع القرءآن الا فى الروم وابن عامر الا فى هذه السورة وابو بكر ونافع فى غيرهما وحفص فيما عدا الطور وهو اما مخفف من المفتوح كسدر وسدرا وفعل بمعنى مفعول كالطحن

(اوتأتى بالله والملائكة قبيلا) كفيلا بما تدعيه اوشاهدا على صحته ضامنا لدركه اومقابلا كالعشير بمعنى المعاشر وهو حال من الله وحال الملائكة محذوفة لدلالتها عليها كما حذف الخبر فى قوله * ومن يك امسى بالمدينة رحله * فانى وقيار بها الغريب * اوجماعة فيكون حالا من الملائكة (او يكون لك بيت من زخرف) من ذهب وقد قرئ به واصله الزينة (او ترقى فى السماء) فى معارجها (ولن نؤمن لرقيك) وحده (حتى تنزل علينا كتابا نقرأه) وكان فى تصديقك (قل سبحان ربى) تعجبا من اقتراحاتهم او تنزيها لله من ان يأتى او يتحكم عليه او يشاركه احد فى القدرة وقرأ ابن كثير وابن عامر قال سبحان ربى اى قال الرسول (هل كنت الا بشرا) كسائر الناس (رسولا) كسائر الرسل وكانوا لا يأتون قومهم الا بما يظهره الله عليهم على ما يلائم حال قومهم ولم يكن امر الآيات اليهم ولا لهم ان يتحكموا على الله حتى يتخيرونها علىّ هذا هو الجواب المجمل واما التفصيل فقد ذكر فى آيات اخر كقوله ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس ولو فتحنا عليهم بابا (وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى) اى وما منعهم الايمان بعد نزول الوحى وظهور الحق (الا ان قالوا أبعث الله بشرا رسولا) الا قولهم هذا والمعنى انه لم يبق لهم شبهة تمنعهم عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن الا انكارهم ان يرسل الله بشرا (قل) جوابا لشبهتهم (لو كان فى الارض ملائكة يمشون) كما يمشى بنو آدم (مطمئنين) ساكنين فيها (لنزلنا عليهم من السما ملكا رسولا) لتمكنهم من الاجتماع به والتلقى منه واما الانس فعامتهم عماة عن ادراك الملك والتلقف منه فان ذلك مشروط بنوع من التناسب والتجانس وملكا يحتمل ان يكون حالا من رسولا وان يكون موصوفا به وكذلك بشرا والاول اوفق (قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم) على انى رسول اليكم باظهاره المعجزة على وفق دعواى او على انى بلغت ما ارسلت به اليكم وانكم عاندتم وشهيدا نصب على الحال او التمييز (انه كان بعباده خبيرا بصيرا) يعلم احوالهم الباطنة منها والظاهرة فيجازيهم عليها وفيه تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وتهديد للكفار (ومن يهد الله فهو المهتدى ومن يضلل فلن تجد لهم اولياء من دونه) يهدونه (ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم) يسحبون عليها او يمشون بها روى انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يمشون على وجوههم قال ان الذى امشاهم على اقدامهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم (عميا وبكما وصما) لا يبصرون ما يقر اعينهم ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم ولا ينطقون بما يقبل منهم لانهم فى دنياهم لم يستبصروا بالآيات والعبر وتصاموا عن استماع الحق وابوا ان ينطقوا بالصدق ويجوز ان يحشروا بعد الحساب من الموقف الى النار مؤوفى القوى والحواس (مأواهم جهنم كلما خبت) سكن لهبها بان اكلت جلودهم ولحومهم (زدناهم سعيرا) توقدا بان تبدل جلودهم ولحومهم فتعود ملتهبة مستعرة فانهم لما كذبوا بالاعادة بعد الافناء جزاهم الله بان لا يزالون على (على) الاعادة والافناء واليه اشار بقوله (ذلك جزآؤهم بانهم كفروا بآياتنا وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا ائنا لمبعوثون خلقا جديدا) لان الاشارة الى ما تقدم [illegible]

وكسرة وكسر ومن سكنه جعله ايضا جمعا على وزن فعل بفتح العين لكنه سكن عينه تخفيفا كما خففت سدر اصله سدر بفتح الدال جمع سدرة او جعله فعلا بمعنى المفعول كالطحن بمعنى المطحون والكاف فى قوله كما زعمت صفة محذوف اى اسقاطا مثل مزعومك على ان ما مصدرية والمصدر بمعنى المفعول والمراد بمزعومه عليه الصلاة والسلام ماحكى عنه تعالى من قوله ان نشأ نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السماء وان يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب مركوم اى لا يصدقون انها كسف ساقطة للعذاب فعلم منه ان ماحكى عنهم فى هذه السورة من قولهم او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا انما يقولونه عنادا وتمردا لا لتحصيل اليقين ﴿ قوله كفيلا او مقابلا او جماعة ﴾ فسر القبيل بثلاثة اوجه الاول الكفيل يقال قبل به يقبل ويقبل قبالة والثانى المقابل كالعشير بمعنى المعاشر والثالث الجماعة يكون من الثلاثة فصاعدا من قوم شتى كالروم والزنج والعرب والقبيل بهذا المعنى يجمع على قبل ومنه قوله تعالى وحشرنا عليهم كل شئ قبلا اى قبيلا واذا كان قبيلا بمعنى كفيلا كان التقدير او تأتى بالله قبيلا وبالملائكة قبيلا واذا كان مقابلا كان التقدير تأتى بالله مقابلا وبالملائكة مقابلين وعلى الوجهين يكون قبيلا حالا من الله وحال الملائكة محذوف لدلالة المذكور عليه كما حذف خبر قيار فى قوله

* فمن يك امسى بالمدينة رحله * فانى وقيار بها لغريب *

اى فانى لغريب وقيار كذلك وان كان قبيلا بمعنى جماعة يجوز ان يكون حالا من الله والملائكة وان يكون حالا من الملائكة فقط اى فوجا بعد فوج وكل فوج من الجن والانس قبيل ﴿ قوله فى معارجها ﴾ قدر المضاف لان هذا الفعل اذا عدى بكلمة فى انما يعدى الى ما هو آلة الارتقاء يقال رقى فى السلم وفى الدرجة والرقى الصعود يقال رقى بكسر العين يرقى بالفتح رقيا على وزن فعول اصله رقويا فادغم بعد قلب الواو ياء ﴿ قوله ولن نؤمن لاجل رقيك وحده ﴾ روى عن عبد الله بن ابى انه قال لن نؤمن لك حتى تضع على السماء سلما ثم ترقى فيه وانا انظر اليك حتى تأتيها ثم تأتى معك بصك منشور معه اربعة من الملائكة يشهدون ان الامر كما تقول فقال تعالى له عليه الصلاة والسلام قل سبحان ربى ﴿ قوله حتى يتخيرونها علىّ ﴾ اى حتى يحكمون علىّ باختيارها يقال تخير عليه اى اقترح عليه فى اختيار الخير ﴿ قوله باظهاره المعجزة على وفق دعواى ﴾ اذ كان ذلك شهادة منه تعالى على كونه عليه الصلاة والسلام صادقا فى دعوى الرسالة ومن شهد الله تعالى على صدقه فهو صادق فكل من قال بعد ذلك يجب ان يكون الرسول ملكا لا انسانا يكون كلامه مهملا لا يلتفت اليه ﴿ قوله لا يبصرون ما يقر اعينهم ﴾ اشارة الى جواب ما يقال كيف يحشرون عميا وبكما وصما وقد قال تعالى ورأى المجرمون النار وقال سمعوا لها تغيظا وقال دعوا هنالك ثبورا وقال يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها وقال حكاية عن الكفار والله ربنا ما كنا مشركين فثبت بهذه الآيات انهم يرون ويسمعون وينطقون فكيف قال ههنا عميا وبكما وصما * اجاب عنه المصنف اولا بان المعنى انهم يحشرون عميا بحيث لا يرون شيأ يسرهم صما لا يسمعون شيأ يلتذون بسماعه بكما لا ينطقون بحجة * ثم اشار الى الجواب ثانيا بقوله ويجوز ان يحشروا الخ يعنى انهم يكونون رائين سامعين ناطقين فى الموقف ولولا ذلك لما قدروا على ان يطالعوا كتبهم ولا ان يسمعوا الزام حجة الله عليهم الا انهم اذا اخذوا يذهبون من الموقف الى النار يجعلهم الله تعالى عميا وبكما وصما ﴿ قوله مؤوفى القوى ﴾ من الآفة يقال ايف الزرع على ما لم يسم فاعله اى اصابته آفة فهو مؤوف ﴿ قوله توقدا ﴾ اشارة الى ان السعير مصدر بمعنى التسعير وهو التوقد والتلهب كالنذير والنكير بمعنى الانذار والانكار ويجوز ان يكون السعير بمعنى النار المسعورة يقال سعرت النار بمعنى هيجتها والهبتها وقد تشدد العين لتكثير المبالغة * فان قيل قال تعالى لا يخفف عنهم العذاب وقوله كلما خبت يدل على ان العذاب يخفف عنهم فى ذلك الوقت * اجيب بان قوله كلما خبت معناه كلما ارادت ان تخبو زدناهم تسعرا وتلهبا ﴿ قوله تعالى ذلك جزآؤهم ﴾ مبتدأ وخبر والباء فى قوله بانهم كفروا باء السببية اى ذلك العذاب الموصوف المذكور فيما تقدم جزآؤهم بسبب انهم كفروا بآياتنا الدالة على صدق مدعى النبوة مكابرة وعنادا وعطف على كفرهم بالآيات المذكورة قولهم وقالوا ائذا كنا عظاما الخ يعنى انهم كما انكروا النبوة انكروا البعث والحشر واستبعدوا ان يعود الانسان بعينه بعد ان يصير عظاما ورفاتا واجاب الله تعالى عن هذا الاستبعاد بقوله اولم يروا الخ يعنى ان من خلق السموات والارض كيف يستبعد منه ان يقدر على اعادتهم باعيانهم واراد بخلق مثلهم خلق انفسهم ثانيا فان مثل الشئ لما كان مساويا له فى حالته جاز ان يعبر به عن الشئ نفسه الا ترى انه يقال مثلك لا يفعل هذا ويراد انت لا تفعله وقيل المراد انه قادر

على ان يخلق عبيدا آخرين يوحدونه ويقرّون بكمال حكمته وقدرته ويتركون ذكر الشبهات الفاسدة وما اختاره المصنف انسب بالمقام وتم الجواب عندقوله تعالى قادر على ان يخلق مثلهم ثم عطف قوله وجعل لهم اجلا على جملة الجواب وهى قوله اولم يروا الخ فانه فى قوّة قد رأوا فليس هو داخلا فى حيز الانكار بل هو معطوف على جملة رأسها وقوله لاريب فيه صفة لاجلا اى اجلا غير مرتاب فيه فان اريد به اجل الموت فوجه الافراد واضح وان اريد به اجل القيامة يكون المقصود من هذه الجملة بيان ان لوقوعه ودخوله فى الوجود وقتا معلوما عندالله وبيان انه فى نفسه امر ممكن الوجود بناء على ان اعادة امثالهم اهون فى عقولهم من خلق السموات والارض ابتدآء ﴿قوله وانتم مرفوع بفعل يفسره مابعده﴾ اى وليس بمرفوع على الابتدآء لان كلمة لو للشرط والتعليق والمعلق عليه لابدّ ان يكون من الاحوال المتغيرة القائمة بالذوات ولايجوز ان يعلق الحكم بنفس الذوات وكان من حقها ان تختص بالافعال لان الاسم يدل على المعانى والاحوال فلابدّ ان يليها الفعل ظاهرا او مضمرا ولما وقع الاسم بعدها فى الآية وجب ان يقال ان ذلك الاسم مرفوع بفعل مقدر يفسره هذا الظاهر والاصل لو تملكون فحذف الفعل لدلالة مابعده عليه فانفصل الضمير وهو الواو اذ لايمكن بناؤه متصلا بعد حذف رافعه ونظيره فى وجوب تقدير الفعل قوله وان احد من المشركين اى وان استجارك احد وقول حاتم * لوذات سوار لطمتنى * اى لو لطمتنى ذات سوار لان لو طالبة للفعل فلما لم يوجد لفظا جعل مقدّرا والمعنى لو لطمنى من كان كفؤا لى لها علىّ ولكن لطمنى من هو غير كفئ وقيل اراد لو لطمنى حرّة فكنى بكون اللاطمة ذات سوار عن الحرّة لان العرب قلما يلبسون الاماء السوار فالمعنى لو كانت اللاطمة حرّة لكان اخف علىّ وذكر للعدول عن الظاهر الى طريق الحذف والتفسير فائدتين الاولى المبالغة فى ترتب الجزآء على الشرط لان تكرار الشرط يتضمن تكرار الجزآء الثانية الدلالة على الاختصاص وهو التعليق وذلك ان انتم وان كان فاعلا لفعل مقدّر الا انه لما كان عبارة عن ضمير تملكون المتأخر ومتحدا معه بالذات كان من حيث المعنى فاعلاله قدّم عليه وقد تقرّر فى علم المعانى ان تقديم الفاعل المعنوى يفيد الاختصاص فقوله تعالى لو انتم تملكون يدل على انهم المختصون بهذه الحالة الخسيسة والشح الكامل فانه من المعلوم ان خزآئن الله تعالى غير متناهية لايتصوّر نفادها بكثرة الانفاق فمن ملكها واستولى عليها من غير منازع ومزاحم ثم امسكها ولم يقض بها حاجة احد من المحتاجين يكون فى غاية الشح ونهاية البخل ﴿قوله لبخلتم﴾ اشارة الى ان امسكتم لايقدّر له مفعول ويجعل لازما لتضمنه معنى بخلتم ويجوز ان يجعل متعدّيا ويقدر له مفعول اى لأمسكتم المال والخيرات التى ملكتموها الا انه لما حصل المقصود بدون التقدير استغنى عنه وخشية الانفاق مفعول له لقوله امسكتم وقيل انه مصدر فى موضع الحال اى لامسكتم خاشين الانفاق وفيه نظر لان المصدر المعرّف لايقع موقع الحال الا سماعا نحو وارسلها العراك ولايقاس عليه والانفاق مصدر انفق اذا اخرج المال وجعله المصنف مصدر انفق بمعنى انفد وفى الصحاح نفق الزاد ينفق نفقا اى نفد وانفق الرجل اى افتقر واذهب ماله فعلى هذا خشية الانفاق معناه خشية الفاقة والافتقار ﴿قوله اذ لا احد الا ويختار النفع لنفسه﴾ جواب عما يقال كيف يصح ان يخاطب كافة الانسان خطابا عاما ويصفهم بالبخل المفرط بهذه المبالغة العظيمة مع ان فى الانسان من هو جواد كريم * وتقرير الجواب وصف كافة الانسان بالبخل لان الاصل فيهم البخل من حيث خلق محتاجا الى ماينتظم به احواله والمحتاج لابدّ وان يحب مابه يدفع حاجته وان يمسكه لنفسه ولايؤثر به غيره وان اتفق ان يؤثر به غيره انما يفعل ذلك لطلب عوض يفوق ماانفق مثل ان يحمد ويذكر بالجميل او يخرج من عهدة الواجب او يتقرّب به الى الله تعالى وقلما ينفق لا لعوض وفائدة تصل اليه فكان المنفق بهذه الكيفية بهذا الغرض فى الحقيقة بخيلا فان الجود هو العطاء تفضلا من غير داعى يدعو اليه سوى الكرم ودفع حاجة المحتاج ثم اشار الى وجه آخر وهو انه وصف الكل بالبخل على اقامة الاكثر مقام الكل لان البخلاء اغلب فيهم وقيل الخطاب فى قوله تعالى قل لو انتم تملكون خزآئن رحمة ربى الآية ليس للكل بل هو خطاب للذين قالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا فانهم لما طلبوا اجرآء الانهار والعيون فى بلدهم لتكثر اموالهم اجابهم الله تعالى بانكم لو تملكون خزآئن رحمة الله لبقيتم على بخلكم وشحكم ولما اقدمتم على ايصال النفع الى احد فلا فائدة فى اسعافكم بما طلبتموه وقوله تعالى قتورا اى بخيلا ممسكا يقال قتر على عياله يقتر ويقتر قترا وقتورا اى ضيق عليهم فى الانفاق وقصر وكذلك التقتير والاقتار ثلاث لغات ﴿قوله فعلى هذا المراد بالآيات الاحكام العامة للملل﴾ اذ لو اريد بها

(اولم يروا) اولم يعلموا (ان الله الذى خلق السموات والارض قادر على ان يخلق مثلهم) فانهم ليسوا اشدّ خلقا منهن ولا الاعاد اصعب عليه من الابدآء (وجعل لهم اجلا لاريب فيه) هو الموت او القيامة (فأبى الظالمون) مع وضوح الحق (الا كفورا) الا جحودا (قل لو انتم تملكون خزآئن رحمة ربى) خزآئن رزقه وسائر نعمه وانتم مرفوع بفعل يفسره مابعده كقول حاتم * لوذات سوار لطمتنى * وفائدة هذ الحذف والتفسير المبالغة مع الايجاز والدلال على الاختصاص (اذن لأمسكتم خشية الانفاق) لبخلتم مخافة النفاد بالانفاق اذ لا احد الا ويختار النفع لنفسه ولو آثر غير بشئ فانما يؤثره لعوض يفوقه فهو اذن بخيل بالاضافة الى جود الله تعالى وكرمه هذا وان البخلاء اغلب فيهم (وكان الانسان قتورا) بخيلا لان بناء امره على الحاجة والضنة بما يحتاج اليه وملاحظة العوض فيما يبذله (ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات) هى العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم وانفجار الماء من الحجر وانفلاق البحر ونتق الطور على بنى اسرائيل وقيل الطوفان والسنون ونقص الثمرات مكان الثلاث الاخيرة وعن صفوان ان يهودي سأل النبى صلى الله عليه وسلم عنها فقال ان لاتشركوا بالله شيأ ولاتسرقوا ولاتزنو ولاتقتلوا النفس التى حرّم الله الا بالحق ولاتسحروا ولاتأكلوا الربا ولا تمشو ببرئ الى ذى سلطان ليقتله ولاتقذفو محصنة ولاتفرّوا من الزحف وعليكم خاصة اليهود ان لاتعدوا فى السبت فقبل اليهودي يده ورجله فعلى هذا المراد بالآيات الاحكا العامة للملل الثابتة فى كل الشرآئع سميت بذلك لانها تدل على حال من يتعاطى متعلقه فى الآخرة من السعادة والشقاوة وقوله وعليكم خاصة اليهود ان لاتعدوا حكم مستأنف زآئد على الجواب ولذلك غير في سياق الكلام

الاحكام المطلقة سوآء كانت عامة اوخاصة لما كان الجواب مطابقا للسؤال لان الآيات المذكورة فى الجواب عشر والسؤال عن تسع كانه عليه الصلاة والسلام قال اعلموا معاشر اليهود ان الآيات التى اوتيها موسى عليه الصلاة والسلام ولم تنسخها شريعة وتكون نحن وانتم فيها سوآء هذه المذكورات لكن آية اخرى تختص بكم وهى هذه الآية العاشرة قيل فى ارتباط هذه الآية بماقبلها انها جواب عن قولهم لن نؤمن لك حتى تأتينا بهذه الآيات المعجزات وتقريره انه تعالى قال انا قد آتينا موسى معجزات مساوية لهذه الاشياء التى طلبتموها بل اقوى منها واعظم فلوحصل فى علمنا ان جعلها فى زمانك مصلحة لفعلناها كما فعلنا فى زمان موسى لكن لما علمنا ان جعلها فى زمانك لامصلحة فيه لم نفعلها وقوله تعالى بينات يجوز ان يكون منصوبا على انه صفة للعدد وان يكون مجرورا على انه صفة للمعدود ﴿قوله فقلنا له سلهم من فرعون﴾ على ان يكون قوله تعالى فاسأل خطابا لموسى عليه الصلاة والسلام اذلوكان الخطاب لنبينا صلى الله عليه وسلم لما احتيج الى تقدير القول فالمسؤل هو فرعون والمسؤل عنه انقاذ بنى اسرآئيل من ايدى القبط فانهم كانوا بمنزلة الاسرى فى يد فرعون والمعنى ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فارسلناه الى فرعون وملئه وقلنا له اذجاءهم سل بنى اسرآئيل وخلهم وشأنهم فالسؤال بمعنى الطلب من قولهم سألته الشئ لامن قولهم سألته عن الشئ واذجاءهم متعلق بقلنا المقدر ﴿قوله اوسلهم عن حال دينهم﴾ على ان يكون الخطاب ايضا لموسى عليه الصلاة والسلام بتقدير القول الا ان المسؤل حينئذ بنو اسرآئيل والمسؤل عنه شأن دينهم والمعنى فقلنا لموسى سل بنى اسرآئيل اذجاءهم عن حال دينهم وقل لهم هل انتم ثابتون على ملة ابراهيم عليه الصلاة والسلام اودخلتم فى دين فرعون واذمتعلقة بقلنا المقدر ايضا ﴿قوله ويؤيده﴾ اى يؤيد كون الخطاب لموسى عليه الصلاة والسلام بتقدير القول ووجه التأييد ان تلك القرآءة صريح فى ان السائل هو موسى عليه الصلاة والسلام لان ضمير سال عائد اليه والمعنى فطلب موسى بنى اسرآئيل من فرعون اوسألهم عن حال دينهم واذجاءهم فى هذه القرآءة متعلقة بسال ﴿قوله اوفسل يامحمد﴾ عطف على قوله فقلنا له سلهم من فرعون اى ويجوز ان يكون السائل سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم والمسؤلون بنى اسرآئيل والمسؤل عنه ماجرى بين موسى وفرعون بعد ان اظهر موسى له ماآتاه الله من المعجزات التسع اى سلهم ان فرعون هل قبل آيات موسى وآمن بها او انكرها واصر على الكفر لتسلى نفسك ولاتضطرب من تعنت المشركين اوسلهم عن الآيات العامة الغير المنسوخة التى آتاها الله تعالى موسى فانه امر محقق عندهم ثابت فى كتابهم وليس المقصود حقيقة السؤال ببيان شئ من العام بل كونهم اعنى المسؤلين من اهل علمه ولهذا لم يسأل عليه الصلاة والسلام منهم ﴿قوله وعلى هذا كان اذنصبا بآتينا﴾ اى ظرفا له وتكون جملة فاسأل بنى اسرآئيل معترضة بين الظرف وعامله وفائدة الاعتراض ازدياد اليقين فان تظاهر الادلة يوجب طمأنينة القلب اوهو من باب التهييج والالهاب وزيادة التثبيت والطمأنينة على اسلوب قوله تعالى فان كنت فى شك مماانزلنا اليك فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك والمعنى ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات اذجاء بنى اسرآئيل او فرعون وملأه فاسأل عن ذلك من مسلمى اهل الكتاب يخبروك به كما اخبرت ﴿قوله اوباضمار يخبروك﴾ الذى هو جواب قوله فاسأل بنى اسرآئيل فلايكون اذجاءهم ظرفا ليخبروك اذلايتصور وقوع اخبارهم عن حال الآيات التسع لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم فى زمان مجيئ موسى عليه الصلاة والسلام الى بنى اسرآئيل بل يكون مفعولا به واخبارهم اياه عليه الصلاة والسلام ذلك الزمان عبارة عن اخبارهم اياه ماوقع فى ذلك الزمان من القصة بتمامها والمعنى سل بنى اسرآئيل عن حال الآيات التسع فانهم يخبرونك القصة بتمامها من لدن مجيئ موسى من مدين الى مصر عند اتيانه اليهم وذهابه الى فرعون وطلبه منه ارسال بنى اسرآئيل معه وادعائه النبوة واظهار تلك الآيات القاهرة باسرها وعجز فرعون وعناده الا انه يجب ان يكون قوله اذجاءهم بمعنى اذجاء آباءهم بتقدير المضاف لان الخطاب لسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وبنو اسرآئيل هم الموجودون فى زمانه وموسى عليه الصلاة والسلام ماجاءهم بل جاء آباءهم وان كان اذجاءهم منصوبا باضمار اذكر على انه مفعول به جاز ان لايجعل فاسأل اعتراضا بان يجعل اذكر بدلا من اسأل لماسبق من ان المقصود من السؤال بيان كون المسؤلين من اهل علمه والفاء فى قوله فقال له فرعون على هذه الاوجه فصيحة والمعنى اذجاءهم فذهب الى فرعون فادعى النبوة واظهر المعجزة وكذبه فقال ﴿قوله وقرأ الكسائى بالضم﴾ والقرآءة بفتح التاء

﴿فاسال بنى اسرائيل اذجاءهم﴾ فقلنا له سلهم من فرعون ليرسلهم معك اوسلهم عن ايمانهم وحال دينهم ويؤيده قرآءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسال على لفظ المضى بغير همز وهو لغة قريش واذمتعلق بقلنا اوسال على هذه القرآءة اوفسل يامحمد بنى اسرئيل عما جرى بين موسى وفرعون اذجاءهم اوعن الآيات ليظهر للمشركين صدقك اولتتسلى نفسك اولتعلم انه تعالى لوأتى بمااقترحوا لأصروا على العناد والمكابرة كمن قبلهم اوليزداد يقينك لان تظاهر الادلة يوجب قوة اليقين وطمأنينة القلب وعلى هذا كان اذنصبا بآتينا اوباضمار يخبروك على انه جواب الامر اوباضمار اذكر على الاستئناف ﴿فقال له فرعون انى لأظنك ياموسى مسحورا﴾ سحرت فتخبط عقلك ﴿قال لقدعلمت﴾ يافرعون وقرأ الكسائى بالضم على اخباره عن نفسه ﴿ما انزل هؤلاء﴾ يعنى الآيات ﴿الارب السموات والارض بصائر﴾ بينات تبصرك صدقى ولكنك تعاند وانتصابه على الحال

(وانى لاظنك يافرعون مثبورا) مصروفا عن الخير مطبوعا على الشر من قولهم ماثبرك عن هذا اى ماصرفك او هالكا قارع ظنه بظنه وشتان مابين الظنين فان ظن فرعون كذب محض وظن موسى يحوم حوم اليقين من تظاهر اماراته وقرئ وان اخالك يافرعون لمثبورا على ان المخففة واللام هى الفارقة (فاراد) فرعون (ان يستفزهم) ان يستخف موسى وقومه وينفيهم (من الارض) ارض مصر او الارض مطلقا بالقتل والاستئصال (فاغرقناه ومن معه جميعا) فعكسنا عليه مكره فاستفززناه وقومه بالاغراق (وقلنا من بعده) من بعد فرعون واغراقه (لبنى اسرآئيل اسكنوا الارض) التى اراد ان يستفزكم منها (فاذا جاء وعد الآخرة) الكرة او الحياة او الساعة او الدار الآخرة يعنى قيام القيامة (جئنا بكم لفيفا) مختلطين اياكم واياهم ثم نحكم بينكم ونميز سعداءكم من اشقيائكم واللفيف الجماعات من قبائل شتى (وبالحق انزلناه وبالحق نزل) اى وما انزلنا القرءآن الاملتبسا بالحق المقتضى لانزاله ومانزل الاملتبسا بالحق الذى اشتمل عليه وقيل وماانزلناه من السماء الامحفوظا بالرصد من الملائكة ومانزل على الرسول الامحفوظا بهم من تخليط الشياطين ولعله اراد به نفى اعتراء البطلان له اول الامر وآخره (وما ارسلناك الامبشرا) للمطيع بالثواب (ونذيرا) للعاصى من العقاب فلاعليك الا التبشير والانذار (وقرءآنا فرقناه) نزلناه مفرقا منجما وقيل فرقنا فيه الحق من الباطل فحذف الجار كما فى قوله ويوما شهدناه وقرئ بالتشديد لكثرة نجومه فانه نزل فى تضاعيف عشرين سنة (لتقرأه على الناس على مكث) على مهل وتؤدة فانه ايسر للحفظ واعون فى الفهم وقرئ بالفتح وهو لغة فيه (ونزلناه تنزيلا) على حسب الحوادث (قل آمنوا به اولا تؤمنوا) فان ايمانكم بالقرءآن لايزيده كمالا وامتناعكم عنه لايورثه نقصانا وقوله (ان الذين اوتوا العلم من قبله) تعليل له اى ان لم تؤمنوا به فقد آمن به من هو خير منكم وهم العلماء الذين قرأوا الكتب السابقة وعرفوا حقيقة الوحى وامارات النبوة وتمكنوا من الميز بين المحق والمبطل اورأوا نعتك وصفة ماانزل اليك فى تلك الكتب ويجوز ان يكون تعليلا لقل على سبيل التسلية كانه قيل تسل بايمان العلماء عن ايمان الجهلة ولاتكترث بايمانهم واعراضهم (اذا يتلى عليهم) القرءآن (يخرون للاذقان سجدا) يسقطون على وجوههم تعظيما لامر الله وشكرا لانجازه وعده فى تلك الكتب ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم على فترة من الرسل وانزاله القرءآن عليه (ويقولون سبحان ربنا) من خلف الوعد (ان كان وعد ربنا لمفعولا) انه كان وعده كائنا لامحالة (ويخرون للاذقان يبكون) كرره لاختلاف الحال او السبب فان الاول للشكر عند انجاز الوعد والثانى لما اثر فيهم من مواعظ القرءآن حال كونهم باكين من خشية الله وذكر الذقن لانه اول مايلقى الارض من وجه الساجد واللام فيه لاختصاص الخرور به (ويزيدهم) سماع القرءآن (خشوعا) لما يزيدهم علما ويقينا بالله

اجود لان احتجاج موسى عليه الصلاة والسلام على فرعون بعلم فرعون اوكد من الاحتجاج بعلم نفسه ﴿قوله فان ظن فرعون كذب محض﴾ فانه وصف موسى بكونه مسحورا مزال العقل ولاشك انه كذب محض لادليل عليه ولاامارة وموسى وصف فرعون بكونه مثبورا اى مصروفا عن الخير وهالكا وتصدقه الامارات المتظاهرة وهى ان موسى عليه الصلاة والسلام اثبت نبوته بالمعجزات القاهرة التى لايرتاب العاقل فى انها من عند الله تعالى وانه تعالى انما اظهرها على يده تصديقا له فى دعواه وكل من انكرها لايحمله على الانكار الا الحسد والعناد والجهل وحب الدنيا ومن كان كذلك تكون عاقبته الهلاك والثبور ﴿قوله وقرئ وان اخالك﴾ مضارع قولك خلت الشئ خيلا وخيلة ومخيلة اى ظننته وفى المثل «من يسمع يخل» وهو من باب ظننت وتقول فى مستقبله اخال بكسر الهمزة وهو الافصح وبنو اسد تقول اخال بفتح الهمزة وهو القياس ثم انه تعالى لما بين اعجاز القرءآن وكفايته فى الدلالة على صدق مدعى النبوة عاد الى تعظيم القرءآن وبيان شأنه فقال وبالحق انزلناه وبالحق نزل اى ماارد نا بانزاله الا تقرير الحق وتبيينه فلما اردنا هذا المعنى بانزاله وقع وحصل نزوله بسبب الحق فعلى هذا يكون بالحق متعلقا بانزلنا والباء سببية وعلى ماذكره المصنف تكون الباء متعلقة بمحذوف والجار والمجرور فى محل النصب على انه حال من مفعول انزلناه اوفاعل نزل والحق الاول عبارة عن الحكمة الداعية لانزاله والحق الثانى هو الثابت الذى لايزول كما ان الباطل هو الزائل الذاهب وكل مااشتمل عليه هذا الكتاب الكريم من دلائل التوحيد وصفات الاكرام وكون الملائكة عبادا لايقبل الزوال ﴿قوله الامحفوظا بالرصد﴾ تفسير لقوله بالحق وبيان لكونه منصوبا على انه حال من المفعول وكل واحد من لفظى الحق على هذا عبارة عن الثابت المقابل للباطل والذى لايكون انزاله ونزوله الاحال كونه ثابتا غير باطل لايكون الامحفوظا بالرصد كذلك الآيات لاتكون فى تينك الحالين الامحفوظة بالرصد وهو جمع راصد كالحرس جمع حارس ثم انه تعالى لما بين اعجاز القرءآن بين عظم شأن رسوله فقال وماارسلناك الخ اى فمن آمن بك واتبع دينك بما اظهرته من المعجزات فقد اهتدى ومن عاندك واقترح معجزات اخر فلا عليك من كفرهم شئ لانك ماارسلت الامبشرا ونذيرا اليس لك وراء ذلك شئ من اكراه على الدين اونحو ذلك وقرءآنا فرقناه بالنصب «فان قيل النصب على الاشتغال انما يجوز حيث يجوز فى الاسم المذكور الرفع بالابتداء وقرءآنا نكرة لايصلح للابتداء فكيف يجوز فيه النصب على الاشتغال «فالجواب ان التنكير فيه للتعظيم فكان فى حكم المخصص بالوصف فكانه قيل وقرءآنا اى قرءآن بمعنى قرءآن عظيم فرقناه ﴿قوله تعالى على مكث﴾ متعلق بمحذوف على انه حال من فاعل لتقرأه ثم انه تعالى خاطب الذين اقترحوا تلك المعجزات العظيمة على وجه التهديد والانكار فقال قل آمنوا به اولا تؤمنوا اى فقد انزل الله تعالى وبلغ الرسول فاختاروا ماتريدون وهو فى معنى الامر بالاعراض عنهم كانه قال له اتركهم ولاتبال بهم والفرق بين كون قوله تعالى ان الذين اوتوا العلم من قبله تعليلا لقوله آمنوا به اولاتؤمنوا وبين كونه تعليلا لقل هو ان المقصود بقوله تعالى ان الذين اوتوا العلم على الاول هو تحقير اهل مكة وتجهيلهم وماحصل من تسليته عليه الصلاة والسلام بايمان العلماء انما يحصل فى ضمن هذا القصد والمقصود على الثانى انما هو التسلية وماحصل من تجهيل القوم وعدم المبالاة بهم انما يحصل تبعا وضمنا ﴿قوله وذكر الذقن﴾ جواب عما يقال المقصود من قوله تعالى ويخرون اى يسقطون حكاية الهيئة الحاصلة لهم عند استماع القرءآن التى هى هيئة السجود وهى انما تحصل بالسقوط على الجبهة والانف والظاهر ان يقول ويسجدون اى ويخرون على وجوههم او على جباههم وانوفهم فاوجه ذكر الاذقان هنا «واجاب عنه بان الذقن اول مايلقى الارض من وجه الساجد «وفيه بحث لان الظاهر ان اول مايلقى الارض من وجه الساجد هو الجبهة والانف دون الذقن الا ان يقال المراد بكون الذقن اول مايلقى الارض كونه اقرب الى الارض واقدم من سائر مايلقى الارض من اجزاء الوجه والقائم الذى بصدد السجود فالاولية بمعنى الاقدمية فعبر عن خرور الساجد بخرور اقرب اجزاء وجهه الى الارض واقدمها ﴿قوله واللام فيه لاختصاص الخرور به﴾ فيه بحث لان اختصاص الخرور بالذقن عبارة عن كون سقوط الساجد مقصورا على الذقن لايتعدى الى سائر الاعضاء على منوال قول صاحب الكشاف فى قوله تعالى له الملك وله الحمد قدم الظرفان ليدل على اختصاص الملك والحمد بالله تعالى ومن المعلوم انه لااختصاص لخرور الساجد بالذقن الذى هو مجتمع اللحيين بل هو لايسقط عليه اصلا الا ان يقال ليس المقصود من الآية بيان انهم يسجدون حقيقة اذا تلى عليهم القرءآن بل المقصود بيان انهم ينقادون لماسمعوا ويخضعون له كمال الانقياد والخضوع فاخرج الكلام على

﴿ قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ﴾ نزل حين سمع المشركون رسول الله يقول يا الله يا رحمن فقالوا انه ينهانا ان نعبد آلهين وهو يدعو الها آخر او قالت اليهود
انك لتقل ذكر الرحمن وقد اكثره الله فى التوراة فالمراد على الاول هو التسوية بين اللفظين بانهما يطلقان على ذات واحدة وان اختلف
اعتبار اطلاقهما والتوحيد انما هو للذات
الذى هو المعبود المطلق وعلى الثانى انهما
سيان فى حسن الاطلاق والافضاء الى
المقصود وهو اجوب لقوله ﴿ ايا ما تدعوا
فله الاسماء الحسنى ﴾ والدعاء فى الآية
بمعنى التسمية وهو يتعدى الى مفعولين
حذف اولهما استغناء عنه وأو للتخيير والتنوين
فى ايا عوض عن المضاف اليه وما صلة
لتأكيد ما فى ايا من الابهام والضمير فى فله
للمسمى لان التسمية له لا للاسم وكان اصل
الكلام ايا ما تدعوا فهو حسن فوضع موضعه
فله الاسماء الحسنى للمبالغة والدلالة على
ما هو الدليل عليه وكونها حسنى لدلالتها
على صفات الجلال والاكرام ﴿ ولا تجهر
بصلاتك ﴾ بقرآءة صلاتك حتى تسمع
المشركين فان ذلك يحملهم على السب واللغو
فيها ﴿ ولا تخافت بها ﴾ حتى لا تسمع من خلفك
من المؤمنين ﴿ وابتغ بين ذلك سبيلا ﴾ بين الجهر
والمخافتة سبيلا وسطا فان الاقتصاد فى جميع
الامور محبوب روى ان ابا بكر رضى الله عنه
كان يخفت ويقول انا اناجى ربى وقد علم
حاجتى وعمر رضى الله عنه كان يجهر ويقول
اطرد الشيطان واوقظ الوسنان فلما نزلت
امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر
ان يرفع قليلا وعمر ان يخفض قليلا وقيل معناه
لا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها باسرها
وابتغ بين ذلك سبيلا بالاخفات نهارا والجهر
ليلا ﴿ وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم
يكن له شريك فى الملك ﴾ فى الالوهية ﴿ ولم يكن
له ولى من الذل ﴾ ولى يواليه من اجل مذلة به
ليدفعها بموالاته نفى عنه ان يكون له ما يشاركه
من جنسه ومن غير جنسه اختيارا او اضطرارا
وما يعاونه ويقويه ورتب الحمد عليه للدلالة
على انه الذى يستحق جنس الحمد لانه كامل
الذات المتفرد بالايجاد المنعم على الاطلاق
وما عداه ناقص مملوك نعمة او منعم عليه
ولذلك عطف عليه قوله ﴿ وكبره تكبيرا ﴾
وفيه تنبيه على ان العبد وان بالغ فى التنزيه
والتمجيد واجتهد فى العبادة والتحميد ينبغى
ان يعترف بالقصور عن حقه فى ذلك * روى
انه عليه الصلاة والسلام كان اذا افصح الغلام من بنى عبد المطلب علمه هذه الآية وعنه عليه السلام من قرأ سورة بنى اسرآئيل (بخاتمة)
فرق قلبه عند ذكر الوالدين كان له قنطار فى الجنة والقنطار الف اوقية ومائتا اوقية

سبيل الاستعارة التمثيلية بان شبهت الهيئة الحاصلة من كمال الانقياد والخضوع بهيئة من يخص الخرور بالذقن
من حيث ان هيئة الخرور على الوجه اقصى هيئات الخضوع ثم ان الذقن مع كونه ابعد شئ من الارض من اجزآء
وجه من خر على وجهه اذا خص الخرور به كان وصول سائر اجزآء الوجه الى الارض اتم واولى فعبر عن الهيئة المشبهة
بما يعبر به عن المشبه بها تصويرا لغاية خضوعهم ونظيره فى كون الكلام محمولا على التمثيل دون الحقيقة قوله تعالى
انقلبتم على اعقابكم وقوله فنبذوه ورآء ظهورهم ﴿ قوله وهو اجوب ﴾ اى كون المراد من الآية انه لا رجحان
لاحد الاسمين على الآخر بل هما سيان فى حسن الاطلاق والافضاء الى المقصود اجوب لما ذكر بعده وذلك
لان اعتراض اليهود كان تعييرا للمسلمين على ترجيح احد الاسمين على الآخر واعتراض المشركين كان تعييرا على الجمع
بين اللفظين فقوله تعالى ايا ما تدعوا مطابق للرد على اليهود لان المعنى اى اسم من الاسمين سميتموه به فهو حسن
لا رجحان لاحدهما على الآخر فى الحسن ولا يظهر كونه ردا على من يقول كيف تعبدون آلهين وتمنعون عنهما
﴿ قوله حذف اولهما ﴾ اى فى الموضعين لان المفعول هو المسمى وهو محذوف فيهما وانما المذكور فيهما
هو المفعول الثانى وهو الاسم والتقدير سموا معبودكم الله او سموه الرحمن اى هذين الاسمين تدعوه وتسموه فقوله ايا
منصوب بتدعوا على انه مفعول ثان له والظاهر ان قوله وأو للتخيير مبنى على كون الآية مسوقة للرد على اليهود الذين
رجحوا تسميته تعالى باسم الرحمن وطعنوا فى المسلمين بتغليبهم ذكر هذا الاسم فان الجواب بالتخيير انما يناسب الرد على
من زعم رجحان التسمية باحد الاسمين ولو كانت الآية مسوقة للرد على المشركين الذين حظروا الجمع بين الاسمين
لكان المناسب ان تحمل كلمة او على الاباحة فانها وان كانت لاحد الشيئين او الاشياء الا انها اذا وقعت حيث تحصل
بالجمع بين الفعلين او الافعال فضيلة وشرف فى الغالب تحمل على الاباحة نحو تعلم الفقه او النحو وجالس الحسن او ابن
سيرين وان وقعت حيث لا يحصل به ذلك تحمل على التخيير نحو اضرب زيدا او عمرا ولا شك انها اذا وقعت فى جواب
من منع الجمع بين الاسمين يكون حملها على الاباحة انسب لكون المقام مقام الترغيب فى الجمع بينهما ذكر فى شرح الرضى
ان أو اذا كان فى الامر فله معنيان التخيير والاباحة فان حصل للمأمور بالجمع بين الامرين فضيلة وشرف
فى الغالب فهى للاباحة نحو تعلم الفقه او النحو والا فهى للتخيير نحو اضرب زيدا او عمرا والفرق بينهما ان الاباحة
يجوز فيها الجمع بين الفعلين والاقتصار على احدهما وفى التخيير يحتم احدهما ولا يجوز الجمع ﴿ قوله بقرآءة صلاتك ﴾
بتقدير المضاف او على اطلاق اسم الكل وارادة الجزء فان الصلاة عبارة عن مجموع الافعال والاذكار والجهر
والمخافتة من عوارض الصوت يقال خفت صوته يخفت خفتا وخفوتا اذا ضعف وسكن وصوت خفيت اى
ضعيف خفى روى انه عليه الصلاة والسلام كان يرفع صوته بالقرآءة فاذا سمعه المشركون سبوا القرآن ومن انزله
ومن جاء به فانزل الله تعالى هذه الآية ﴿ قوله وفيه تنبيه ﴾ وجه التنبيه انه تعالى امره عليه الصلاة والسلام
بان يخص الحمد والثناء بالآله المنزه عن جميع صفات النقصان المنفرد بالملك المنعم على الاطلاق ثم امره بان يصفه بصفة
الكبرياء المطلق فى ذاته وصفاته وافعاله واحكامه ويعتقد انه واجب الوجود لذاته غنى عن كل ما سواه ويعتقد
ان كل ما كان صفة له فهو من صفات العظمة والجلال والعز والكمال وان كل واحدة من تلك الصفات ازلية قديمة
سرمدية منزهة عن التغير والزوال وان كل واحدة منها متعلقة بما لا نهاية له من التعلقات ويعتقد ان كل ما يجرى
فى ملكه وسلطانه واقع بقضائه وقدره ومشيئته وقالت المعتزلة انا نكبر الله تعالى ونعظمه عن ان يكون فاعلا لهذه
القبائح والفواحش بل نعتقد ان حكمته تقتضى التنزه والتقدس عنها وعن ارادتها قال واحد من رؤساء المعتزلة
يقال له القاضى عبد الجبار الهمذانى حيث رأى الاستاذ ابا اسحق الاسفراينى سبحان من تنزه عن الفحشاء فقال
الاستاذ ابو اسحق سبحان من لا يجرى فى ملكه الا ما يشاء ويعتقد انه ملك مطاع وله الامر والنهى والرفع والخفض
ولا اعتراض لاحد عليه فى شئ من احكامه ثم انه تعالى اكد التكبير المأمور به فقال تكبيرا اى اقصى ما يقدر عليه
الانسان الضعيف بان يجتهد ويسعى فى تعظيمه وتقديسه حسبما يسعه قدرته ثم يعترف بان عقله وفهمه لا يفى بمعرفة
جلال الله تعالى ولسانه لا يفى بشكره وثنائه وجوارحه واعضاءه لا تفى بخدمته فيكبر الله تعالى على قدر طاقته
فانه جل عن ان يكبره تكبيرا يليق بعزه ومجده ﴿ قوله اذا افصح الغلام ﴾ اى فهم ما يقوله فى اول ما يتكلم
وخلص كلامه عن اللكنة والمراد بهذه الآية قوله تعالى وقل الحمد لله الى آخر السورة عن عمر بن الخطاب رضى الله
تعالى عنه انه قال قول العبد الله اكبر خير من الدنيا وما فيها قيل افتتحت التوراة بفاتحة سورة الانعام واختتمت

بخاتمة هذه السورة والحمد لله رب العالمين

سورة الكهف وهى مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله رتب استحقاق الحمد ـ اشارة الى ان ليس تقدير الكلام قولوا الحمد لله بل هو جملة اسمية لامحل لها من الاعراب ناطقة بان حقيقة الحمد له وجميع افراده مختصة به تعالى وانه المستحق لها لانه الذى وصلت الى كل احد نعمته وان الذى وصلت النعمة على يده طريق لوصولها الى الحامد وذلك الغير وان استحق الحمد ايضا فى مقابلة سعيه واجتهاده فى قضاء حاجة المحتاج الا ان التمكين والاقدار على ذلك السعى ليس الا منه تعالى وبتوفيقه فما يتوجه الى ذلك الغير من الحمد فهو بالحقيقة راجع اليه تعالى وانه تعالى مستعمل لذلك الغير فى ايصال نعمته الى العبد الا ان الحمد لا يجب ان يكون فى مقابلة النعمة البتة بل قد يكون بمقابلة الفضائل الغير المتعدية كما اشار اليه بقوله فى آخر السورة السابقة ورتب الحمد عليه للدلالة على انه الذى يستحق جنس الحمد لانه كامل الذات ويدل عليه ايضا انه تعالى ذكر الحمد لنفسه ليدل على كماله ويدل على اثره اما ما يدل على قدرته وسلطانه فكقوله تعالى الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا وقوله تعالى الحمد لله فاطر السموات والارض واما ما يدل على انعامه وافضاله فكقوله تعالى الحمد لله رب العالمين وقوله تعالى الحمد لله الذى انزل على عبده الكتاب **قوله** وهو فى المعانى ـ قال ابن السكيت كل ما ينتصب كالحائط والعود قيل فيه عوج بالفتح والعوج بالكسر ما كان فى عرض او دين او معاش يقال فى دينه عوج كذا فى الصحاح **قوله** او قيما بمصالح العباد ـ يقال فلان قيم المسجد اذا كان قائما بمصالح المسجد مقيما شأنه وكذا قيم الاطفال فالقرءآن لما كان سببا لهداية الخلق قائما باصلاح الارواح البشرية كان كالقيم المشفق القائم بمصالح الاطفال **قوله** او على الكتب ـ عطف على قوله بمصالح العباد فان بعض اهل التأويل فسر القيم بالشاهد وقال القرءآن قيم على الكتب المتقدمة وشاهد عليها فى الزيادة والنقصان وفى التغيير والتحريف مبين ما زادوا فيها وما نقصوا وما حرفوا وغيروا والحاصل ان قيما اذا لم يقدر له متعلق كان بمعنى مستقيما فيكون بمعنى غير ذى عوج الا ان من عادة العرب تكرار الكلام واعادته كقوله تعالى محصنات غير مسافحات فانهن اذا كن محصنات لم يكن مسافحات واذا كن مسافحات لم يكن محصنات فهما يؤديان معنى واحدا الا انه كرر بناء على عادة العرب وكذا قوله تعالى لينذر بأسا شديدا فان الشديد هو البأس وكرر للتأكيد هذا اذا لم يقدر لقوله قيما متعلق واما اذا قدر له متعلق فاما ان يقدر على نحو ما فى قوله تعالى افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت اى رقيب حفيظ شهيد فيكون تتميما لقوله ولم يجعل له عوجا لان المعنى حينئذ انه كامل فى نفسه مكمل لغيره فيكون بالغا فى الاستقامة جدا ويقدر له الباء على نحو قولهم فلان قيم بهذا الامر اى قائم بمصالحه فيكون تكميلا بمعنى انه مستقيم فى نفسه قيم بامور غيره **قوله** تقديره جعله قيما ـ زيادة بل ايضا اى ولم يجعل له عوجا بل جعله قيما وقوله قيما سواء كان منصوبا بمضمر او على انه حال من الضمير فى له يكون قوله ولم يجعل له عوجا معطوفا على جملة الصلة بخلاف ما اذا كان قيما حالا من الكتاب فانه حينئذ لا يكون قوله ولم يجعل له عوجا معطوفا على قوله انزل الكتاب لئلا يلزم الفصل بين الحال وذى الحال باجنبى فان الحال من تمام المعطوف عليه وبعض منه والمعطوف اجنبى فاصل بينهما ولا يجوز الفصل بين الحال وذى الحال باجنبى وعلى تقدير ان يكون قوله ولم يجعل معطوفا على انزل قال بعض اهل التأويل الكلام محمول على التقديم والتأخير اى انزل على عبده الكتاب قيما ولم يجعل له عوجا واحسن الوجوه ان يجعل قيما منصوبا بمضمر لان الظاهر ان قوله ولم يجعل معطوف على انزل فلو جعل قيما حالا من الكتاب لزم العطف قبل تمام الصلة وحمل الكلام على التقديم والتأخير بعيد جدا وكذلك جعل قوله ولم يجعل حالا من الكتاب كأنه قيل انزله منتفيا عنه العوج بعيد خلاف الظاهر * واعلم ان حفصا وقف على تنوين عوجا مبدلا الفا بسكتة لطيفة من غير قطع نفس اشعارا بان قيما ليس متصلا بعوجا وانما هو من صفة الكتاب وغيره لم يعبأ بهذا الوهم فلم يسكت اتكالا على فهم المعنى وفعل حفص فى مواضع من القرءآن مثل ما فعله ههنا من سكتة لطيفة نافية للوهم الفاسد فمنها انه يقف على مرقدنا ويبتدئ بقوله هذا ما وعد الرحمن ليفهم من الوقف ان كلام الكفار قد انقضى وان ما بعده كلام غيرهم قيل هم الملائكة وقيل المؤمنون ومنها انه يقف على من فى قوله كلا اذا بلغت التراقى وقيل من راق ويبتدئ براق لئلا يتوهم انها كلمة واحدة على فعال اسم مبنى للمبالغة من مرق يمرق فهو مراق ومنها انه يقف على لام بل فى قوله تعالى بل ران

سورة الكهف مكية وقيل الا قوله
واصبر نفسك مع الذين يدعون
ربهم وهى مائة واحدى عشرة آية

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الحمد لله الذى انزل على عبده الكتاب
يعنى القرءآن رتب استحقاق الحمد على انزا
تنبيها على انه اعظم نعمائه وذلك لانه الهاد
الى ما فيه كمال العباد والداعى الى ما
ينتظم صلاح المعاش والمعاد (ولم يجعل
عوجا) شيأ من العوج باختلال فى اللف
وتناف فى المعنى او انحراف من الدعوة ال
جناب الحق وهو فى المعانى كالعو
فى الاعيان (قيما) مستقيما معتدلا لا افرا
فيه ولا تفريط او قيما بمصالح العباد فيكو
وصفا له بالتكميل بعد وصفه بالكمال او ع
الكتب السابقة يشهد بصحتها وانتصا
بمضمر تقديره جعله قيما او على الحال من الضم
فى له اومن الكتاب على ان الواو
ولم يجعل للحال دون العطف اذ لو كا
للعطف كان المعطوف فاصلا بين ابعاض
المعطوف عليه ولذلك قيل فيه تقد
وتأخير وقرئ قيما

(لينذر بأسا شديدا) اى لينذر الذين كفروا عذابا شديدا فحذف المفعول الاوّل اكتفاء بدلالة القرينة واقتصارا على الغرض المسوق اليه (من لدنه) صادرا من عنده وقرأ ابوبكر باسكان الدال اسكان الباء من سبع مع الاشمام ليدل على اصله وكسر النون لالتقاء الساكنين وكسر الهاء للاتباع (ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا حسنا) هو الجنة (ماكثين فيه) فى الاجر (ابدا) بلا انقطاع (وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا) خصهم بالذكر وكرّر الانذار متعلقا بهم استعظاما لكفرهم وانما لم يذكر المنذر به استغناء بتقدّم ذكره (مالهم به من علم) اى بالولد او باتخاذه او بالقول والمعنى انهم يقولونه عن جهل مفرط وتوهم كاذب او تقليد لما سمعوه من اوائلهم من غير علم بالمعنى الذى ارادوا به فانهم كانوا يطلقون الاب والابن بمعنى المؤثر والاثر او بالله اذ لو علموه لما جوّزوا نسبة الاتخاذ اليه (ولا لآبائهم) الذين تقوّلوه بمعنى التبنى (كبرت كلمة) عظمت مقالتهم هذه فى الكفر لما فيها من التشبيه والتشريك وايهام احتياجه تعالى الى ولد يعينه وخلفه الى غير ذلك من الزيغ وكلمة نصب على التميز وقرئ بالرفع على الفاعلية (تخرج من افواههم) صفة لها تفيد استعظام اجترائهم على اخراجها من افواههم والخارج بالذات هو الهوآء الحامل لها وقيل صفة محذوف هو المخصوص بالذم لان كبر ههنا بمعنى بئس وقرئ كبرت بالسكون مع الاشمام (ان يقولون الا كذبا فلعلك باخع نفسك) قاتلها (على آثارهم) اذا ولوا عن الايمان شبهه لما يداخله من الوجد على توليهم بمن فارقته اعزته فهو يتحسر على آثارهم ويبخع نفسه وجدا عليهم وقرئ باخع نفسك على الاضافة (ان لم يؤمنوا بهذا الحديث) بهذا القرآن (اسفا) للتأسف عليهم او متأسفا عليهم والاسف فرط الحزن والغضب وقرئ ان بالفتح على لان فلا يجوز اعمال باخع الا اذا جعل حكاية حال ماضية

ويبتدئ بران لما تقدّم ﴿قوله صادرا من عنده﴾ اشارة الى ان من لدن متعلق بمحذوف منصوب على انه نعت لبأسا او حال من الضمير فى شديدا وان لدن بمعنى عند ﴿قوله وقرأ ابو بكر﴾ اى لدنهى باسكان الدال واشمامها شيأ من الضم وبكسر النون والهاء موصولة بياء ووجهه انه سكن الدال تخفيفا كتسكين عين عضد وسبع فالتقى ساكنان فكسر النون لالتقاء الساكنين فكان حقه ان يكسر الاوّل على القاعدة المعروفة الا انه يلزم منه العود الى مافرّ منه ثم لما كسرت النون كسرت الهاء ايضا اتباعا ووصلها بياء واشمام الدال شيأ من الضم اشارة الى إصلها وقرأ الباقون من لدنه بضم الدال واسكان النون وضم الهاء وابن كثير يصلها بواو ويقرأ من لدنهو نحو منهو وعنهو وغيره لايصلها بشئ ﴿قوله استعظاما لكفرهم﴾ فان الخاص قد يعطف على العام للتنبيه على مرتبة الخاص وتنزيل تلك المرتبه منزلة المتباين حكما اذلا يعلم حكم احد المتباينين ببيان حكم المباين الآخر بل لابدّ من ذكر الآخر بعده والتنصيص على حكمه فكذا يعطف الخاص على العام ويبين حكمه قصدا واصالة بناء على تنزيله منزلة المباين بالنسبة العام المذكور قبله بطريق تنزيل التغاير فى الوصف منزلة التباين فى الذات وقوله تعالى مالهم به من علم لايستدعى تحقق المعلوم فى نفسه لان انتفاء العلم بالشئ قد يكون للجهل بالطريق الموصل اليه وقد يكون لانه فى نفسه محال لايمكن تعلق العلم به ومانحن فيه من قبيل الثانى وهذا معنى قوله يقولونه عن جهل مفرط اى لايحكم به عقولهم ولايؤدّى اليه فكرهم البتة لكونه فى غاية الفساد والبطلان بل هو مجرّد لقلقة لسانهم يجرى على ألسنتهم ليس فى قلوبهم من معناه شئ ووصفت الكلمة بالخروج الذى هو من صفات الاجسام بناء على ان الاصوات والحروف والكلمات المركبة منها انما تحدث بسبب خروج النفس من الحلق فوصفت الاعراض المذكورة بوصف مايكون سببا لحدوثها والا فالاعراض لايصح عليها الخروج والانتقال ﴿قوله فانهم كانوا يطلقون الاب الخ﴾ لعل هذا الاطلاق كان جائزا فى شريعة من قبلنا كما يجوز فى شريعتنا نسبة الغضب والرحمة ونحوهما اليه تعالى على ارادة غاياتها الا انه لم يجز فى شريعتنا اطلاق الاب عليه تعالى ولا اطلاق الابن على بعض عبيده لايهامه معانى فاسدة ﴿قوله وكلمة نصب على التميز﴾ لانها ترفع الابهام المستقرّ عن ذات مقدرة وهى النسبة الملحوظة فى قولك كبرت المقالة او الكلمة فانها مبهمة لان من سمع تلك الجملة يجوّز ان يكون المراد ان تلك المقالة كبرت كذبا او جهلا او افترآء فلما اضمر فاعل كبرت فيه حصل الابهام واحتاج الى رفعه بخلاف ما اذا قرئ برفع الكلمة على الفاعلية فانه لايضمر فيه شئ فيكون حينئذ على طريق قولك عظم فلان وعلى تقدير الاضمار يكون ذلك راجعا الى مقالتهم المفهومة من قوله تعالى قالوا اتخذ الله ولدا اى كبرت مقالتهم تلك كلمة ومعنى الكلام التعجب اى ما اكبرها كلمة وقوله تخرج من افواههم صفة الكلمة تؤذن باستعظامها لان بعض مايخطر بالبال لايجترئ الانسان على اظهاره باللفظ ﴿قوله وقيل صفة محذوف﴾ يعنى قيل ان كبرت بمعنى بئس وفاعله مضمر مفسر بالنكرة المنصوبة بعده على التميز كما فى قولك بئس رجلا والمخصوص بالذم محذوف تقديره كبرت كلمة الخارجة من افواههم وقرئ كبرت بسكون الباء واشمام الضم وهى لغة تميم ﴿قوله قاتلها﴾ البخع الاهلاك يقال بخع الرجل نفسه بخعا وبخوعا اى اهلكها على وجد والمقصود من الآية تسلية الرسول صلى الله عليه وسلم والمعنى لايعظم حزنك وأسفك بسبب كفرهم فانا بعثناك منذرا وبشيرا واما تحصيل الايمان فى قلوبهم فلا قدرة لك عليه والفاء فى قوله فلعلك جواب الشرط وهو قوله ان لم يؤمنوا قدّم عليه وحقه التأخير وقال الجمهور جواب الشرط محذوف لدلالة قوله فلعلك قيل كلمة لعل وهنا للاشفاق الذى يقصد به التسلى والحث على ترك التحزن والتأسف ثم قيل الاسف هو النهاية فى الغضب كقوله تعالى فلما آسفونا انتقمنا منهم قال اهل التأويل المعنى فلما اغضبونا وقيل الاسف هو النهاية فى الحزن كقوله تعالى يااسفا على يوسف اى ياحزنا فانه عليه الصلاة والسلام كادت نفسه الكريمة تهلك حزنا عليهم واشفاقا من ان تلف انفسهم فى النار بتركهم الايمان وفيه دلالة على انه عليه الصلاة والسلام لم يكن يقاتل الكفرة للقتل والاتلاف وانما يقاتلهم ليسلموا ويتخلصوا من الهلاك الابدى فان من كان باخع نفسه اشفاقا عليهم من الهلاك كيف يقاتلهم للاهلاك وقوله تعالى على آثارهم متعلق بقوله باخع اى باخع نفسك من بعد هلاكهم حال بقاء آثارهم وعلاماتهم وعدم اندراسها بالكلية فانه يصح ان يقال مات الثانى فى اثر الاوّل اى حال بقاء أثره ﴿قوله وقرئ ان بالفتح﴾ قرأ الجمهور ان لم يؤمنوا بكسر الهمزة على انها شرطية فعلى هذه القرآءة يكون باخع للاستقبال فيعمل لان الشرطية للاستقبال كأنه قيل لعلك تبخع نفسك الآن او غدا ان لم يصدر منهم ايمان

(اناجعلنا ماعلى الارض) من الحيوان والنبات والمعادن (زينةلها) ولاهلها (لنبلوهم ايهم احسن عملا) فى تعاطيه وهو من زهد فيه ولم يغترّبه وقنع منه عايزجى به ايامه وصرفه على ماينبغى وفيه تسكين لرسول الله صلى الله عليه وسلم (وانالجاعلون ماعليها صعيدا جرزا) تزهيدفيه والجرز الارض التى قطع نباتها مأخوذ من الجرز وهو القطع والمعنى انالنعيد ماعليها من الزينة ترابامستويابالارض ونجعله كصعيد املس لانبات فيه (ام حسبت) بل احسبت (ان اصحاب الكهف والرقيم) فى ابقاء حياتهم مدّة مديدة (كانوا من آياتنا عجبا) وقصتهم بالاضافة الى خلق ماعلى الارض من الاجناس والانواع الفائتة للحصر على طبائع متباعدة وهيئات متخالفة تعجب الناظرين من مادّة واحدة ثم ردّها اليها ليس بعجيب مع انه من آيات الله كالنزر الحقير والكهف الغار الواسع فى الجبل والرقيم اسم الجبل او الوادى الذى فيه كهفهم او اسم قريتهم او كلبهم قال امية بن ابى الصلت

وليس بها الا الرقيم مجاورا * وصيدهموا والقوم فى الكهف همدا *

اولوح رصاصىّ او حجرىّ رقت فيه اسماؤهم وجعل على باب الكهف وقيل اصحاب الرقيم قوم آخرون كانوا ثلاثة خرجوا يرتادون لاهليهم فاخذتهم السماء فأووا الى الكهف فانحطت صخرة وسدّت بابه فقال احدهم اذكروا ايكم عمل حسنة لعل الله يرحمنا ببركته فقال احدهم استعملت اجراء ذات يوم فجاء رجل وسط النهار وعمل فى بقيته مثل عملهم فاعطيته مثل اجرهم فغضب احدهم وترك اجره فوضعته فى جانب البيت ثم مرّبى بقر فاشتريت به فصيلة فبلغت ماشاء الله فرجع الىّ بعدحين شيخا ضعيفا لااعرفه وقال انّ لى عندك حقا وذكره حتى عرفته فدفعتها اليه جميعا اللهم ان كنت فعلت ذلك لوجهك فافرج عنا فانصدع الجبل حتى رأوا الضوء وقال آخر كان فىّ فضل واصابت الناس شدّة فجاءتنى امرأة فطلبت منى معروفا فقلت والله ماهودون نفسك فأبت وعادت ثم رجعت ثلاثا ثم ذكرت زوجها فقال اجيبى له واغيثى عيالك فأتت وسلمت الىّ نفسها فلماكشفتها وهممت بها ارتعدت فقلت مالك قالت اخاف الله فقلت لها خفته فى الشدّة ولم اخفه فى الرخاء فتركتها واعطيتها ملتمسها اللهم ان كنت فعلته لوجهك فافرج عنا فانصدع حتى تعارفوا وقال الثالث كان لى ابوان همان وكان لى غنم وكنت اطعمهما واسقيهما ثم ارجع الى غنمى فحبسنى ذات يوم غيث فلم ارح حتى امسيت فأتيت اهلى واخذت محلبى فحلبت فيه ومضيت اليهما فوجدتهما نائمين فشق علىّ ان اوقظهما فتوقفت جالسا ومحلبى على يدى حتى ايقظهما الصبح فسقيتهما اللهم ان كنت فعلته لوجهك فافرج عنا ففرّج الله عنهم فخرجوا وقد رفع ذلك نعمان بن بشير (اذ أوى الفتية الى الكهف) يعنى فتية من اشراف الروم ارادهم دقيانوس على الشرك فأبوا وهربوا الى الكهف

وقرئ شاذا بفتح الهمزة على حذف الجار اى لان لم يؤمنوا فعلى هذه القرآءة المناسب ان يكون باخع للمضىّ لان لم يؤمنوا ماض ولاضرورة تدعو الى صرفه عن معناه فلا يعمل الا اذا جعل حكاية حال ماضية كأنه قيل لعلك تحبت نفسك لاجل ان لم يؤمنوا فجيئ باسم الفاعل لتصوير تلك الحالة فى ذهن السامع واستحضارها وان لم يحمل على حكاية الحال الماضية لايعمل فيجب اضافته الى مابعده ﴿قوله وفيه تسكين﴾ اى تسكين لوجده واغتمامه على عدم ايمانهم ووجه التسكين ان الآية لما دلت على ان اهل الارض لم يعط لهم ماعليها من الزينة لينتفعوا به مجانا وانما اعطى لهم ذلك ابتلاء واختبارا ليظهر منهم ماعلم الله تعالى انه يكون منهم فيجازى كل واحد بمن آثر الحياة الدنيا وزينتها ومن آثر رضى الرحمن وطاعته على حسب قصده ونيته ظهر له عليه الصلاة والسلام ان شأنه ومايليق به ليس الابشارة المطيع وانذار العاصى وانه تعالى هو المطلع على اعمالهم ونياتهم ومن يستحق لان يخلق فيه الاهتداء او الضلالة فيسكن بذلك وجده وغضبه والزهد خلاف الرغبة يقال زهد فى الشيئ وعن الشيئ بمعنى واحد اى لم يرده ولم يرغب فيه والصعيد التراب وقيل الصعيد المستوى من الارض وقيل هو وجه الارض مطلقا والجرز الذى لانبات فيه ولاماء ﴿قوله بل احسبت﴾ اشارة الى ان ام منقطعة مقدرة ببل والهمزة وبل هى التى للانتقال لالابطال ماسبق والهمزة للانكار وذكر الله تعالى اوّلا من الآيات الكلية تزيين الارض بماخلق فوقها من الاجناس التى لاحصر لها ثم ذكر انه يزيل ذلك كله ويجعله كأن لم يكن ثم اضرب عنه وقال ام حسبت كأنه قيل يتعجب من قصة اصحاب الكهف ولايتفكر فى سائر الآيات فان تزيين الارض بانواع المعادن والحيوان والنبات وازالتها بالكلية بعد مااخذت الارض زخرفها وازينت اعظم واعجب من قصة اصحاب الكهف والانسان عادته ان يتعجب من شيئ قل ايناسه به وان كان الذى بحضرته اعجب منه قال الامام تعجبوا من قصة اصحاب الكهف وسألوها من رسول الله صلى الله عليه وسلم على سبيل الامتحان فقال الله تعالى ام حسبت انهم كانوا من آياتنا عجبا فقط فلا تحسبن ذلك فان آياتنا كلها عجب فان من كان قادرا على تخليق السموات والارض ثم تزيين الارض بانواع المعادن والنبات والحيوان ثم جعلها بعد ذلك صعيدا جرزا خاليا من الكل كيف يستبعدون قدرته على حفظ طائفة مدّة ثلاثمائة سنة او اكثر فى النوم روى ان قريشا بعثوا الى المدينة رهطا وقالوا لهم سلوا احبار اليهود عن محمد وصفته واخبروهم عن قوله فانهم اهل الكتاب الاوّل وعندهم من العلم ماليس عندنا من علم الانبياء فخرج الرهط حتى قدموا المدينة فسألوا احبار اليهود عن اخبار محمد صلى الله عليه وسلم فقال احبار اليهود سلوه عن ثلاث عن فتية ذهبوا فى الدهر الاوّل ما كان من امرهم فان حديثهم عجب وعن رجل طوّاف قد بلغ مشارق الارض ومغاربها ما كان نبأه وسلوه عن الروح ماهو فان اخبركم عن اثنين ولم يخبركم عن الثالث فهو نبىّ والا فتقوّل فلما قدم الرهط مكة قالوا قدجئناكم بتفصيل مابيننا وبين محمد واخبروا ماقالت اليهود فجاؤا رسول الله صلى الله عليه وسلم وسألوه فقال عليه الصلاة والسلام اخبركم بماسألتم عنه غدا ولم يستثن فانصرفوا عنه ومكث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يذكرون خمس عشرة ليلة وشق عليه ذلك حتى ارجف اهل مكة به وقالوا وعدنا محمد غدا واليوم مضى خمس عشرة ليلة وشق عليه ذلك ثم جاء جبريل من عند الله عز وجل بسورة اصحاب الكهف وفيها معاتبة الله تعالى اياه على جزمه وفيها خبراولئك الفتية وخبر الرجل الطوّاف وعجبا فى قوله تعالى كانوا من آياتنا عجبا خبر كان ومن آياتنا حال منه لانه فى الاصل صفته فلما قدّم صار حالا قال امية بن ابى الصلت

* وليس بها الا الرقيم مجاورا * وصيدهموا والقوم فى الكهف همدا *

استشهد على ان الرقيم الكلب وهذا يدل على ان قصة اصحاب الكهف كانت فى علم العرب وان لم يكونوا عالميها على وجهها * الوصيد فناء البيت وهو مفعول مجاورا والهمد جمع هامد بمعنى الراقد والنائم يعنى ان اصحاب الكهف كانوا رقودا فى الغار وكلبهم مجاورا لوصيدهم كما قال تعالى وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد ﴿قوله اولوح رصاصىّ﴾ فيكون الرقيم بمعنى المرقوم وهو المكتوب قال تعالى كتاب مرقوم اى مكتوب ﴿قوله تعالى اذ أوى الفتية﴾ منصوب بعجبا او باذكر المقدّر لابقوله ام حسبت لانه كان بين النبى صلى الله عليه وسلم وبينهم مدّة طويلة فلايجوز حسبانه عليه الصلاة والسلام فى ذلك الوقت الذى أووا فيه الى الكهف اى صاروا فيه وكانوا فتية اى شبانا متقاربين فى الاسنان من اولاد عظماء الروم آمنوا بربهم وكان ذلك الايمان عبرة

وتفكرا منهم فى عظمة الله تعالى وملكه وقدرته لم يأتهم بذلك وحى ولم يقرأوا كتابا ولم يدركوا زمان نبوّة وكانوا فى زمن فترة قبل ان يبعث الله تعالى عيسى عليه الصلاة والسلام ثم بعثه الله تعالى وهم فى الكهف راقدون ولبث فى امّته ثلاثا وثلاثين سنة ثم رفعه الله ومضى بعده زمان طويل ثم بعثهم الله تعالى وايقظهم واطلع اهل ذلك العصر على حالهم ليعلموا ان وعد الله بالبعث حق وان الساعة آتية ﴿قوله او اجعل امرنا كله رشدا﴾ على ان تكون كلمة من فى قوله من امرنا رشدا تجريدية اذ هو الامر بعينه مبالغة فى ارشاده ولهذا قال اجعل امرنا كله رشدا والتجريد من المحسنات البديعية المعنوية وهو ان ينتزع من امر ذى صفة امر آخر مماثل لذلك الامر ذى الصفة فى تلك الصفة لاجل المبالغة فى كمال تلك الصفة فى ذلك الامر ذى الصفة حتى كأنه بلغ من الاتصاف بتلك الصفة الى حيث يصح ان ينتزع منه موصوف آخر بتلك الصفة فان جعلت كلمة من فى الآية تجريدية يكون مطلوبهم ان يبلغ امرهم فى الرشد والهداية حدّا يصح مع ذلك الحدّ ان يستخلص منه امر آخر مثله فى الرشد وفى الوجه الاوّل تكون من متعلقة بهيئ ويكون المعنى انهم لما هربوا الى الكهف وفارقوا الناس وطلبوا سلامة الدين سألوا ربهم ان يهيئ لهم الرشد والاستقامة فى مفارقتهم الكفار ﴿قوله بمعنى انمناهم انامة لاتنبههم فيها الاصوات﴾ يعنى ان ضرب الحجاب المانع من ان تصل الاصوات الموقظة الى آذانهم واسماعهم كناية عن الانامة الثقيلة وانما صلح كناية عنها لان الصوت والتنبيه طريق ازالة النوم فسدّ طريقه يدل على استحكام النوم وثقله وخصت الآذان دون العيون مع ان النوم يتعلق بها دون الآذان لان ضرب الحجاب على العين لايصلح كناية عن المبالغة فى النوم لان سدّ الابصار انما يدل على كمال ان لايكون ماهو طريق الازالة مؤثرا فى زواله ﴿قوله بنى على امرأته﴾ اى بنى عليها القبة عند دخوله عليها فان المعرّس كان يبنى على اهله حجابا ﴿قوله ظرفان لضربنا﴾ الاوّل ظرف مكان والثانى ظرف زمان والمعنى انمناهم فيه سنين ذوات عدد وقد بينها الله تعالى بقوله ولبثوا فى كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا ﴿قوله ليتعلق علمنا تعلقا حاليا﴾ لما كان قوله تعالى لنعلم متعلقا بقوله بعثنا ودل الكلام على ان يكون علمه تعالى حادثا مترتبا على ايقاظهم دفع ذلك الاحتمال بما يدل على ان علمه تعالى سرمدىّ لايجوز عليه التغير والزوال وانما التغير فى المعلومات وانه تعالى عالم بها فى الازل على ما ستكون عليه فى اوقات حدوثها وبقائها وكلما تجدّد لها حال من الاحوال تعلق علمه تعالى بتلك الحال عند تجدّدها فالتجدّد والتغير انما هو فى تعلقات العلم لا فى نفسه وقال هشام انه تعالى لايعلم الحوادث قبل وقوعها ولا يعلمها الا عند حدوثها واحتج عليه بهذه الآية ﴿قوله المختلفين منهم او من غيرهم﴾ اشارة الى ان اهل التأويل اختلفوا فى الحزبين قال مجاهد رضى الله عنه ان الحزبين من الفتية لان اصحاب الكهف لما انتبهوا اختلفوا فى انهم كم ناموا ويدل عليه قوله تعالى قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم قالوا ربكم اعلم بما لبثتم فاصحاب الكهف كانوا حزبين استقل احدهما مدّة لبثهم واستطالها آخرون وهم الذين قالوا ربكم اعلم بما لبثتم وقال الفرّآء ان طائفتين من المسلمين اختلفوا فى مدّة لبثهم فى الكهف قبل خروجهم منه فبعثهم الله تعالى ولم يبين ذلك بل ابهمه وليس لنا حاجة الى تعيين ما ابهم الله تعالى بيانه ﴿قوله ولما لبثوا حال منه﴾ اى من امدا لانه لو تأخر عنه لكان نعتاله فلما قدّم عليه صار حالا والمعنى ضبط امدا كائنا لزمان لبثهم فى الكهف وان كانت اللام لام العلة يكون المعنى حينئذ لنعلم اىّ الحزبين احصى اى علم كقوله احصاه الله ونسوه للسبب الذى لبثوا فيه لاجله ﴿قوله وقيل احصى اسم تفضيل﴾ لم يرض به لان افعل من كذا لايبنى من باب افعل يفعل وقولهم ما اولاه للخير وما اعطاه للمال من الشواذ والشاذ النادر لايقاس عليه والمذلق يروى بالدال والذال وهو رجل من بنى عبد شمس وابوه واجداده يعرفون بالافلاس قال الشاعر فى حقه

۞ فانك ان ترجو تميما ونفعها ۞ كراجى الندا والعرف عند المذلق ۞

وقوله وامدا نصب بفعل دل عليه احصى اى دل احصى الذى هو للتفضيل على ذلك الفعل المضمر من جنسه واحتيج الى الاضمار لان افعل التفضيل لايعمل فى مظهر واوّل البيت

۞ ولم ار مثل الحىّ حيا مصبحا ۞ ولا مثلنا يوم التقينا فوارسا ۞

۞ اكرّ واحمى للحقيقة منهموا ۞ واضرب منا بالسيوف القوانسا ۞

المصبح المغار عليه وقت الصبح وحقيقة الرجل مايحق على الرجل ان يحميه والدفاع عنه من اهل بيته والقوانس

(قالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة) توجب لنا المغفرة والرزق والامن من العدوّ (وهيئ لنا من امرنا) من الامر الذى نحن عليه من مفارقة الكفار (رشدا) نصير بسببه راشدين مهتدين او اجعل امرنا كله رشدا كقولك رأيت منك اسدا واصل التهيئة احداث هيئة الشئ (فضربنا على آذانهم) اى ضربنا عليها حجابا يمنع السماع بمعنى أنمناهم انامة لاتنبههم فيها الاصوات فحذف المفعول كما حذف فى قولهم بنى على امرأته (فى الكهف سنين) ظرفان لضربنا (عددا) اى ذوات عدد ووصف السنين به يحتمل التكثير والتقليل فان مدّة لبثهم كبعض يوم عنده (ثم بعثناهم) ايقظناهم (لنعلم) ليتعلق علمنا تعلقا حاليا مطابقا لتعلقه اوّلا تعلقا استقباليا (اىّ الحزبين) المختلفين منهم او من غيرهم فى مدّة لبثهم (احصى لما لبثوا امدا) ضبط امدا لزمان لبثهم وما فى اىّ من معنى الاستفهام علق عنه لنعلم فهو مبتدأ واحصى خبره وهو فعل ماض وامدا مفعوله ولما لبثوا حال منه او مفعول له وقيل انه المفعول واللام مزيدة وما موصولة وامدا تمييز وقيل احصى اسم تفضيل من الاحصاء بحذف الزوائد كقولهم هو احصى للمال وافلس من ابن المذلق وامدا نصب بفعل دل عليه احصى كقوله * واضرب منا بالسيوف القوانسا

جمع قونس وهو اعلى البيضة من الحديد ويطلق على مابين اذنى الفرس ايضا يمدح كلا الفريقين اعدآء واصحابه
يقول لم ارمغارا عليهم مثل الذين صبحناهم ولامغيرين مثلنا يوم لقيناهم وصف المغار عليهم بكمال الشجاعة
ليكون ادل على شجاعة من غلب عليهم فالقوانس فى البيت منصوب بفعل مقدر من جنس افعل التفضيل
اى يضرب القوانس لابنفس افعل التفضيل لانه لايعمل فى المظهر فكذا فيما نحن بصدده * فان قيل انه انما لايعمل
فى مظهر فاعل او مفعول به فلم لايجوز ان يكون امدا منصوبا على التمييز ويعمل فيه احصى كما فى اكثر منه مالا
واحسن وجها * اجيب بان التمييز فى امثال ذلك انما هو فاعل فى المعنى لان المال هو الذى كثر والوجه هو الذى
حسن وليس الامد هو الذى احصى ﴿ **قوله** تعالى آمنوا بربهم ﴾ فيه التفات من التكلم الى الغيبة اذ لوجاء على نسق
قوله نحن نقص عليك لقيل بربك وقوله زدناهم وربطنا التفات من هذه الغيبة الى التكلم ايضا ﴿ **قوله** وقوّيناها
بالصبر ﴾ يعنى ان قوله تعالى وربطنا على قلوبهم استعارة تبعية شبه تثبيت قلوبهم وتقويتها وحملها على الصبر على
الشدآئد التى يحملونها بربط الدابة وشدها بالرباط وهو الحبل فان ربط الدابة شدها بالرباط والمربط ايضا هو الحبل
ومن المجاز ربط الله على قلوبهم لانه يتعدى بنفسه الا انه نزل منزلة اللازم وزيدت كلمة على الاستعلائية للمبالغة
والدلالة على كون الربط والتقوية مستوليا على قلوبهم مستقرا عليها كما فى قوله ويجرح دوما فى عراقيبهم نصلى
﴿ **قوله** اذ قاموا ﴾ منصوب بربطنا والمعنى قوّينا قلوبهم اذ قاموا بين يدى ملكهم دقيانوس حين عاتبهم على ترك
عبادة الصنم فقالوا ربنا رب السموات والارض اقرّوا بربوبية الله تعالى بين يدى ذلك الجبار بتقوية الله تعالى
اياهم على مخالفته وعصيانه وقيل انهم كانوا عظماء المدينة فخرجوا منها ذات يوم فاجتمعوا ورآء المدينة من غير ميعاد
فقال اكبرهم انى لأجد فى شيأ وهو ان ربى رب السموات والارض فقالوا نحن كذلك نجد فى انفسنا فقاموا جميعا
فقالوا ربنا رب السموات والارض ﴿ **قوله** والله لقد قلنا قولا ذا شطط ﴾ يعنى ان قوله لقد قلنا جواب قسم
مضمر وشططا مصدر شطت الدار تشط اى بعدت وشط الرجل اى بعد عن الحق والشطط مجاوزة القرب فى كل
شئ اشار اليه بقوله مفرط فى الظلم وانتصابه على انه صفة مصدر محذوف اى قولا ذا شطط لان اذا جواب وجزآء
﴿ **قوله** تعالى لولا يأتون ﴾ تحضيض فيه معنى الانكار وقوله عليهم تقديره على عبادتهم وعلى اتخاذهم فحذف
المضاف للعلم به ولم يكتفوا بالانكار على اتخاذهم الشركاء وعبادتهم اياها من غير ان يقيموا برهانا قطعيا على صحته
بل قالوا فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا اى لا احد اظلم منه يعنون ان الحكم بان له تعالى شريكا وولدا مع
فقدان ما يدل عليه ظلم وافترآء عليه تعالى ﴿ **قوله** تعالى ومايعبدون ﴾ ذكر فيه ثلاثة اوجه الاول ان ما بمعنى
الذى والعائد محذوف اى واعتزلتم الذى يعبدونه اشار اليه بقوله ومعبوديهم وقوله الا الله مستثنى متصل من الذى
يعبدونه والثانى ان تكون ما مصدرية وان يكون الا الله مستثنى متصلا ايضا بتقدير المضاف اى واذ اعتزلتموهم
اى تركتموهم وعبادتهم الا عبادة الله والثالث ان تكون نافية وتكون الجملة من كلام الله تعالى وقعت معترضة
بين اذ وجوابه لتحقيق اعتزالهم والا مستثنى مفرغ اخبر الله تعالى عن الفتية انهم لايعبدون غيره ﴿ **قوله**
من امركم ﴾ متعلق بالفعل قبله ومن لابتدآء الغاية او للتبعيض وقيل هى بمعنى بدل كما فى قوله تعالى ارضيتم بالحياة
الدنيا من الآخرة ويجوز ان يكون حالا من مرفقا فيتعلق بمحذوف ﴿ **قوله** تعالى مرفقا ﴾ قرأ الجمهور بكسر
الميم وفتح الفاء وقرأ نافع وابن عامر بفتح الميم وكسر الفاء فقيل هما لغتان بمعنى واحد فى الجارحة وفى ما يرتفق به
اى ينتفع به وقد يستعمل كل واحد منهما فى موضع الآخر وقيل هما لغتان فيما يرتفق به واما الجارحة فبكسر
الميم فقط ﴿ **قوله** لنصوع يقينهم ﴾ اى لخلوص يقينهم عن شوب الشك والناصع الخالص من كل شئ ﴿ **قوله**
لو رأيتهم ﴾ يعنى ان قوله تعالى وترى ليس المراد به ان المخاطب يرى هذه الصورة بل المقصود بيان ان باب ذلك
الكهف الى جهة الشمال نحو بنات نعش فتكون الشمس طالعة وغاربة لاتدخل عليهم فيؤذيهم حرها وتغير
الوانهم فالمعنى انك لو رأيتهم على هذه الصورة ثم اخبر انهم كانوا فى متسع من الكهف ينالهم فيه برد الريح ونسيم
الهوآء فقال وهم فى فجوة منه اى من الكهف والفجوة متسع فى مكان الراغب فى فجوة اى فى ساحة واسعة ﴿ **قوله**
لان الكهف كان جنوبيا ﴾ اى كانت ساحة الغار وداخله فى جانب الجنوب وذلك يقتضى ان يكون بابه فى جانب
الشمال ﴿ **قوله** اولان الله تعالى زوّرها عنه ﴾ يعنى ان للمفسرين فى تفسير الآية قولين الاول ان باب ذلك
الكهف كان الى جانب الشمال مستقبل بنات نعش لايقع فيه شعاع الشمس عند الطلوع ولا عند الغروب ولا فيما

(نحن نقص عليك نبأهم بالحق) بالصدق
(انهم فتية) شبان جمع فتى كصبى وصبية
(آمنوا بربهم وزدناهم هدى) بالتثبت
(وربطنا على قلوبهم) وقوّيناها بالصبر
على هجر الوطن والاهل والمال والجرآءة
على اظهار الحق والرد على دقيانوس
الجبار (اذ قاموا) بين يديه (فقالوا
ربنا رب السموات والارض لن ندعو من
دونه الها لقد قلنا اذا شططا) والله لقد
قلنا قولا ذا شطط اى ذا بعد عن الحق
مفرط فى الظلم (هؤلاء) مبتدأ (قومنا)
عطف بيان (اتخذوا من دونه آلهة) خبره
وهو اخبار فى معنى انكار (لولا يأتون) هلا
يأتون (عليهم) على عبادتهم (بسلطان بين)
ببرهان ظاهر فان الدين لايؤخذ الا به وفيه
دليل على ان مالا دليل عليه من الديانات
مردود وان التقليد فيه غير جائز (فمن اظلم ممن
افترى على الله كذبا) بنسبة الشريك اليه
(واذ اعتزلتموهم) خطاب بعضهم لبعض
(ومايعبدون الا الله) عطف على الضمير
المنصوب اى واذ اعتزلتم القوم ومعبوديهم
الا الله فانهم كانوا يعبدون الله ويعبدون
الاصنام كسائر المشركين ويجوز ان تكون
ما مصدرية على تقدير واذ اعتزلتموهم
وعبادتهم الا عبادة الله وان تكون نافية على
انه اخبار من الله تعالى عن الفتية بالتوحيد
معترض بين اذ وجوابه لتحقيق اعتزالهم
(فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم) يبسط
الرزق لكم ويوسع عليكم (من رحمته)
فى الدارين (ويهيئ لكم من امركم مرفقا)
ما ترتفقون به اى تنتفعون وجزمهم بذلك
لنصوع يقينهم وقوة وثوقهم بفضل الله تعالى
وقرأ نافع وابن عامر مرفقا بفتح الميم وكسر
الفاء وهو مصدر جاء شاذا كالمرجع والمحيض
فان قياسه الفتح (وترى الشمس) لو رأيتهم
والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او
لكل احد (اذا طلعت تزاور عن كهفهم) تميل
عنه ولا يقع شعاعها عليهم فيؤذيهم لان
الكهف كان جنوبيا او لان الله تعالى زوّرها
عنه

واصله تتزاور فادغمت التاء فى الزاى وقرأ الكوفيون بحذفها وابن عامر ويعقوب تزورّ كتحمرّ وقرئ تزوارّ كتحمارّ وكلها من الزور بمعنى الميل (ذات اليمين) جهة اليمين وحقيقتها الجهة ذات اسم اليمين (واذا غربت تقرضهم) تقطعهم وتصرم عنهم (ذات الشمال) يعنى يمين الكهف وشماله لقوله (وهم فى فجوة منه) اى وهم فى متسع من الكهف يعنى فى وسطه بحيث ينالهم روح الهوآء ولا يؤذيهم كرب الغار ولا حرّ الشمس وذلك لان باب الكهف فى مقابلة بنات النعش واقرب المشارق والمغارب الى محاذاته مشرق رأس السرطان ومغربه والشمس اذا كان مدارها مداره تطلع مائلة عنه مقابلة لجانبه الايمن وهو الذى يلى المغرب وتغرب محاذية لجانبه الايسر فيقع شعاعها على جانبيه ويحلل عفونته ويعدّل هوآءه ولا يقع عليهم فيؤذى اجسادهم ويبلى ثيابهم (ذلك من آيات الله) اى شأنهم او ايوآؤهم الى كهف شأنه كذلك او اخبارك قصتهم او ازورار الشمس وقرضها طالعة وغاربة من آياته (من يهد الله) بالتوفيق (فهو المهتد) الذى اصاب الفلاح والمراد به اما الثناء عليهم والتنبيه على ان امثال هذه الآيات كثيرة ولكنّ المنتفع بها من وفقه الله تعالى للتأمل فيها والاستبصار بها (ومن يضلل) ومن يخذله (فلن تجد له وليا مرشدا) من يليه ويرشده (وتحسبهم ايقاظا) لانفتاح عيونهم اولكثرة تقلبهم (وهم رقود) نيام (ونقلبهم) فى رقدتهم (ذات اليمين وذات الشمال) كيلا تأكل الارض مايليها من ابدانهم على طول الزمان وقرئ يقلبهم بالياء والضمير لله تعالى وتقلبهم على المصدر منصوب بفعل يدل عليه وتحسبهم اى وترى تقلبهم (وكلبهم) هو كلب مرّوا به فتبعهم فطردوه فأنطقه الله تعالى فقال انا احب احباء الله فناموا وانا احرسكم او كلب راع مرّوا به فتبعهم وتبعه الكلب ويؤيده قرآءة من قرأ وكالبهم اى وصاحب كلبهم (باسط ذراعيه) حكاية حال ماضية ولذلك اعمل اسم الفاعل (بالوصيد) بفناء الكهف وقيل الوصيد الباب وقيل العتبة (لو اطلعت عليهم) فنظرت اليهم وقرئ لو اطلعت عليهم بضم الواو (لوليت منهم فرارا) لهربت منهم وفرارا يحتمل المصدر لانه نوع من التولية والعلة والحال (ولملئت منهم رعبا) خوفا يملأ صدرك لما ألبسهم الله من الهيبة او لعظم اجرامهم وانفتاح عيونهم وقيل لوحشة مكانهم وعن معاوية رضى الله عنه انه غزا الروم فمرّ بالكهف فقال لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا اليهم فقال له ابن عباس رضى الله عنه ليس لك ذلك وقد منع الله تعالى من هو خير منك فقال لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا فلم يسمع وبعث ناسا فلما دخلوا جاءت ريح فأحرقتهم وقرأ الحجازيان لملّئت بالتشديد للمبالغة وابن عامر والكسائى ويعقوب رعبا بالتثقيل (وكذلك بعثناهم) وكما انمناهم آية بعثناهم آية على كمال قدرتنا (ليتساءلوا بينهم) ليسأل بعضهم بعضا فيتعرّفوا حالهم وما صنع الله بهم فيزدادوا يقينا على كمال قدرة الله تعالى ويستبصروا به امر البعث ويشكروا ما انعم به عليهم (بعاقبة)

بين ذلك من حيث ان الشمس اذا طلعت تطلع عن يمين الكهف واذا غربت تغرب عن شماله فضوء الشمس ماكان يصل الى داخل الكهف وكان الهوآء الطيب والنسيم الموافق يصل اليهم فلاجرم بقيت اجسامهم مصونة عن العفونة والفساد والقول الثانى ان الله تعالى منع ضوء الشمس عن الوقوع عليهم عند طلوعها وعند غروبها وكان ذلك فعلا خارقا للعادة وكرامة عظيمة خص الله تعالى بها اصحاب الكهف قاله الزجاج واستدل على صحته بقوله ذلك من آيات الله قال ولو كان الامر كما ذكره اصحاب القول الاوّل لما كان ذلك كرامة عجيبة من آيات الله «قوله واصله تتزاور» وذلك لانه اختار قرآءة تزاور بفتح الزاى المشدّدة واصله تتزاور فاسكنت التاء الثانية فادغمت فى الزاى وقرأ الكوفيون تزاور بحذف احدى التاءين للتخفيف وابن عامر ويعقوب تزور بسكون الزاى وتشديد الرآء من الازورار وهو العدول عن الشئ والزور بالتحريك الميل يقال زور عنه وازورّ عنه وتزاور عنه تزاورا كله عدل عنه وانحرف «قوله وحقيقتها الجهة ذات اسم اليمين» اى خلاصة المعنى ان الشمس حين طلوعها تميل عن كهفهم جهة اليمين الان ذات اليمين صفة اقيمت مقام الموصوف لما تقرّر ان كلمة ذو وذات موضوعة لان يوصف بها النكرة ولعل تعريف الجهة للعهد الذهنى فيكون كالنكرة معنى ولو قال جهة ذات اسم اليمين لكان اظهر «قوله والمراد به اما الثناء عليهم» لانهم تفكروا فى دلائل وحدانية الله تعالى وعظمته وقدرته من غير ان يأتيهم بذلك وحى الهى ومن غير ان يقرأوا كتابا سماويا وان يجالسوا اهل التوحيد والمعرفة لكونهم فى زمان فترة من الرسل قبل ان يبعث الله تعالى عيسى عليه الصلاة والسلام فيكون قوله تعالى من يهد الله فهو المهتدى كالتذييل للكلام السابق من قوله تعالى اذ أوى الفتية الى الكهف الى ههنا وجئ به عاما فى كل من سلك طريق المهتدين ومن آثر الغواية وقلبه قلب اسلافه الضالين ليدخل اصحاب الكهف فى الاوّلين دخولا اوّليا ويدخل دقيانوس الضال فى الآخرين كذلك والتذييل هو ان تقطع الكلام بما يشتمل على معناه تأكيدا ولا محل له من الاعراب «قوله او التنبيه الخ» على ان يكون قوله من يهد الله فهو المهتدى مرتبطا بقوله ذلك من آيات الله وفى التيسير قيل ذلك من آيات الله اى ما اخبرنا من قصتهم آية صدقك فى دعوى النبوّة فمن هداه الله بها صدّقك لذلك فآمنوا بالله تعالى ووحدوه واعتزلوا اهل الشرك والضلال وآثروا المواضع الخالية فى الجبال على طيب العيش فى الاوطان والاموال طلبا لمرضاة الملك المتعال «قوله تعالى وتحسبهم ايقاظا» قرأ نافع وابن كثير وابو عمرو والكسائى بكسر السين ومعناه كما ذكر فى قوله وترى الشمس اى فلو رأيتهم لحسبتهم ايقاظا وهو جمع يقظ ويقظ بضم القاف وكسرها وهو اليقظان ورقود جمع راقد كقاعد وقعود «قوله او كلب راعى مرّوا به» اى مرّوا براعى غنم فقال لهم اين تذهبون فقالوا نفرّ من هذا الجبار فقال الراعى ما انا اغنى عن ربى منكم فترك غنمه ولحق بهم فتبعه كلبه «قوله وقيل الوصيد الباب» قيل الكهف لايكون له باب ولا عتبة والمراد موضع الباب والعتبة «قوله وقرئ لو اطلعت عليهم بضم الواو» وقرأها الجمهور بكسر الواو على ما هو الاصل فى التقاء الساكنين وقرئ بضم الواو تشبيها لها بواو الضمير عن عباس رضى الله عنهما انه غزا مع معوية غزوة المصطلق نحو الروم فمرّوا بالكهف الذى فيه اصحاب الكهف فقال معوية لو كشف لنا عن هؤلاء لنظرنا اليهم فقال له ابن عباس ليس لك ذلك قد منع الله ذلك من هو خير منك فقال لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا فقال معوية لاانتهى حتى اعلم علمهم فبعث رجالا فقال لهم اذهبوا فادخلوا الكهف فارسل الله عليهم ريحا فاحرقتهم كذا فى الوسيط «قوله ليسأل بعضهم بعضا فيتعرفوا حالهم» فانه يجوز ان حالة غريبة تدل على كمال قدرة الله تعالى فيزدادون هدى واستيقانا وفى شرح التأويل اخبر الله تعالى انه انما بعثهم للتساؤل فحينئذ لاتكون اللام لام كى بل هى لام العاقبة لانه لما علم منهم مايكون عند بعثهم من التساؤل بعثهم لذلك وكذلك جميع مايخلق ويشاء انما يخلق لما يعلم انه كذا فيظهر ما علم على ما علم وهو كقوله تعالى ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجنّ والانس ذرأهم لما علم انه يكون منهم وهو ان يعملوا عمل اهل جهنم فيصيروا اليها وعلى هذا قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون معناه ان من علم انه يعبد ويعمل عمل اهل الجنة خلقه كذلك والحاصل ان كل مايخلقه الله تعالى انما يخلقه لما يعلم انه يكون منه اذ لايجوز ان يخلق لغير ما يعلم انه يكون منه اذ يجرى الفعل لذلك مجرى العجز او الجهل بالعواقب وهو متعال عن ذلك علوّا كبيرا او يخرج الفعل لذلك مخرج العجز او الجهل بالعواقب فاذا كان الله تعالى عالما بما كان ومايكون وتعالى عن ان يكون فعله عبثا لم يجز ان يخلق شيأ بغير ما علم انه يكون وهكذا يكون فى الشاهد فان من عمل عملا لغير ما علم انه يكون فهو عابث وجاهل

(قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم) بناء على غالب ظنهم لان النائم لا يحصى مدة لبثه ولذلك احالوا العلم الى الله تعالى (قالوا ربكم اعلم بما لبثتم) ويجوز ان يكون ذلك قول بعضهم وهذا انكار الآخرين عليهم وقيل انهم لما دخلوا الكهف غدوة وانتبهوا ظهيرة وظنوا انهم فى يومهم او اليوم الذى بعده قالوا ذلك فلما نظروا الى طول اظفارهم واشعارهم قالوا هذا ثم علموا ان الامر ملتبس لا طريق لهم الى علمه اخذوا فيما يهمهم وقالوا (فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى المدينة) والورق الفضة مضروبة كانت او غيرها وقرأ ابو عمرو وحمزة وابو بكر وروح عن يعقوب بالتخفيف وقرئ بالتثقيل وادغام القاف فى الكاف وبالتخفيف مكسور الواو مدغما وغير مدغم ورد المدغم لالتقاء الساكنين على غير حده وحملهم له دليل على ان التزود رأى المتوكلين والمدينة طرسوس (فلينظر ايها) اى اهلها (ازكى طعاما) احل واطيب واكثر وارخص (فليأتكم برزق منه وليتلطف) وليتكلف اللطف فى المعاملة حتى لا يغبن او فى التخفى حتى لا يعرف (ولا يشعرن بكم احدا) ولا يفعلن ما يؤدى الى الشعور (انهم ان يظهروا عليكم) ان يطلعوا عليكم او يظفروا بكم والضمير للاهل المقدر فى ايها (يرجموكم) يقتلوكم بالرجم (او يعيدكم فى ملتهم) او يصيروكم اليها كرها من العود بمعنى الصيرورة وقيل كانوا اولا على دينهم فآمنوا (ولن تفلحوا اذا ابدا) اذ دخلتم فى ملتهم (وكذلك اعثرنا عليهم) وكما انمناهم وبعثناهم لتزداد بصيرتهم اطلعنا عليهم (ليعلموا) ليعلم الذين اطلعناهم على حالهم (ان وعد الله) بالبعث او الموعود الذى هو البعث (حق) لان نومهم وانتباههم كحال من يموت ثم يبعث (وان الساعة لا ريب فيها) وان القيامة لا ريب فى امكانها فان من توفى نفوسهم وامسكها ثلاثمائة سنين حافظا ابدانها عن التحلل والتفتت ثم ارسلها اليها قدر ان يتوفى نفوس جميع الناس ممسكا اياها الى ان يحشر ابدانها فيردها عليها (اذ يتنازعون) ظرف لاعثرنا اى اعثرنا عليهم حين يتنازعون (بينهم امرهم) امر دينهم وكان بعضهم يقول تبعث الارواح مجردة وبعضهم يقول يبعثان ليرتفع الخلاف ويتبين انهما يبعثان معا او امر الفتية حين اماتهم الله ثانيا بالموت فقال بعضهم ماتوا وقال آخرون ناموا نومهم اول مرة

بعاقبة عمله وكم فى قوله تعالى كم لبثتم استفهامية منصوبة بالفعل الذى بعدها كما فى قولك كم يوما صمت لان الفعل الذى بعدها غير مشتغل بضميرها وفى مثله تكون كم معربة على حسب اقتضاء العامل والمميز محذوف تقديره كم يوما لبثتم حذف لدلالة الجواب عليه واو فى قوله او بعض يوم للشك منهم لما ذكره من ان جوابهم هذا مبنى على غالب الظن قيل انهم دخلوا الكهف اول النهار فنظروا حين استيقظوا فاذا هو آخر النهار فقالوا لبثنا يوما ثم رأوا من الشمس بقية فقالوا او بعض يوم وهم فى هذا الجواب وان كانوا مخطئين الا انهم لما بنوا هذا الجواب على غالب الظن وكان الامر عندهم كذلك لم يوصفوا فيه بالكذب ولم يؤاخذوا به ﴿قوله ولذلك احالوا العلم الى الله تعالى﴾ يدل على ان الذين قالوا ربكم اعلم بما لبثتم هم الذين قالوا لبثنا يوما او بعض يوم وان ما بعده بدل منه وعلى الاحتمال الثانى يكون اصحاب الكهف ثلاث فرق قال واحد منهم كم لبثتم واجاب جماعة منهم بان قالوا لبثنا يوما او بعض يوم وانكر عليهم الآخرون بان قالوا ربكم اعلم بما لبثتم روى ان ابن عباس استدل بهذه الآية على ان الصحيح من الاقوال فى عددهم انهم سبعة لان الله تعالى قال فى اول الآية قال قائل منهم هذا واحد وقال فى جواب قول هذا القائل قالوا لبثنا يوما او بعض يوم وقالوا اقول جمع اول واقله ثلاثة ثم قال قالوا ربكم اعلم بما لبثتم وهذا قول جمع آخر سواهم خاطب هذا الجمع الاول بان قالوا ربكم اعلم بما لبثتم فكان المجيبون ستة والسائل واحدا فالمجموع سبعة ﴿قوله ثم لما علموا ان الامر ملتبس لا طريق لهم الى علمه اخذوا فيما يهمهم﴾ بيان لوجه ارتباط قولهم فابعثوا احدكم الآية بما قبله الذى هو تذاكر حديث اللبث مع انه لا مناسبة بينهما بحسب الظاهر وتقريره ان الآية من باب اسلوب الحكيم كقوله

اتت تشتكى عندى مزاولة القرى ❊ وقد رأت الضيفان ينحون منزلى

فقلت كأنى ما سمعت كلامها ❊ هم الضيف جدى فى قراهم وعجلى

وكقول بعضهم للحجاج وقد قال الحجاج له متوعدا لاحملنك على الادهم يعنى القيد مثل الامير يحمل على الادهم والاشهب اى على الفرس الادهم يعنى الذى غلب سواده والاشهب الذى غلب بياضه فان المتكلم قد يتلقى المخاطب بغير كلامه لحمله على وجه آخر وقوله وقرأ ابو عمرو الى قوله بالتخفيف اى باسكان الراء وفتح الواو والباقون بكسر الراء وقرأ ابن كثير بورقكم بكسر الراء وادغام القاف فى الكاف وقرئ بالتخفيف اى باسكان الراء وكسر الواو وبادغام القاف فى الكاف وبعدم ادغامها ﴿قوله وحملهم له﴾ اى حمل اصحاب الكهف الورق يدل على ان امساك الزاد امر مشروع لا ينافى التوكل ﴿قوله من العود بمعنى الصيرورة﴾ كما يقال للآخرة معاد فانه من العود بمعنى التحول لا من العود بمعنى الرجوع الى الامر الاول ﴿قوله اذ دخلتم فى ملتهم﴾ قدره لكون اذا مضافا * فان قيل أليس انهم لو اكرهوا على الكفر حتى اظهروه لم يكن عليهم مضرة فكيف قالوا ولن تفلحوا اذا ابدا * اجيب بانه يحتمل ان يكون المراد انهم خافوا من انهم لو ردوا الى الكفر وبقوا مظهرين لذلك الكفر مدة لربما تميل قلوبهم الى ذلك الكفر ويصيرون كافرين فى الحقيقة فلهذا الاحتمال خافوا وقالوا ذلك ﴿قوله أطلعنا عليهم﴾ اى على احوالهم غيرهم يقال عثرت على كذا اى علمته واختلفوا فى السبب الذى عرف الناس طول مدة اصحاب الكهف على وجهين الاول انه طالت شعورهم واظفارهم طولا مخالفا للعادة وظهرت فى بشرة وجوههم آثار عجيبة تدل على ان مدتهم قد طالت طولا خارجا عن العادة والثانى ان ذلك الرجل الذى بعثوه الى المدينة لما ذهب الى السوق ليشترى الطعام اخرج الدراهم التى عليها اسم دقيانوس فقال صاحب الطعام هذه الدراهم غير موجودة فى هذا اليوم وانما كانت موجودة قبل هذا الوقت بمدة مديدة ودهر داهر فلعلك وجدت كنزا فاجتمع الناس اليه وحملوه الى ملك البلد فقال الملك من اين وجدت هذه الدراهم فقال بعت بها امس شيأ من التمر وخرجنا فرارا من الملك دقيانوس فعرف ذلك الملك انه ما وجد كنزا بل الله تعالى بعثه بعد موته ﴿قوله ليعلموا ان وعد الله بالبعث﴾ على ان الوعد مصدر على حاله اى ليعلموا ان ما اخبرهم الرسل من بعث الاموات ليس اختراعا من عند انفسهم بل كونه وعد الله تعالى وخبرا منه حق فان القوم لما علموا ان الله تعالى أنامهم مدة طويلة وابقاهم من غير طعام ولا شراب فى تلك المدة على ان الانسان لا يبقى من غير طعام ولا شراب فى مدة اسبوع فضلا عن مثل تلك المدة علموا ان من قدر على حفظهم من كل ضرر واذى وابقائهم فيها لقادر على البعث والاحياء بعد الموت ولا يعجز عن شئ يريد كونه ﴿قوله حين اماتهم الله تعالى ثانيا﴾ فان الملك وقومه لما رأوا

او قال طائفة تبنى عليهم بنيانا يسكنه الناس ويتخذونه قرية وقال آخرون لنتخذن عليهم مسجدا يصلى فيه كما قال تعالى (قالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم اعلم بهم قال الذين غلبوا على امرهم لنتخذن عليهم مسجد) وقوله ربهم اعلم بهم اعتراض امامن الله ردا على الخائضين فى امرهم من اولئك المتنازعين فى زمانهم اومن المتنازعين فيهم على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم اومن المتنازعين للرد الى الله بعدما تذاكروا امرهم وتناقلوا الكلام فى انسابهم واحوالهم فلم يتحقق لهم ذلك حتى ان المبعوث لما دخل السوق واخرج الدراهم وكان عليها اسم دقيانوس اتهموه بانه وجد كنزا فذهبوا به الى الملك وكان نصرانيا موحدا فقص عليه القصص فقال بعضهم ان آباءنا اخبرونا ان فتية فروا بدينهم من دقيانوس فلعلهم هؤلاء فانطلق الملك واهل المدينة من مؤمن وكافر وابصروهم وكلموهم ثم قالت الفتية للملك نستودعك الله ونعيذك به من شر الجن والانس ثم رجعوا الى مضاجعهم فماتوا فدفنهم الملك فى الكهف وبنى عليهم مسجدا وقيل لما انتهوا الى الكهف قال لهم الفتى مكانكم حتى ادخل اولا لئلا يفزعوا فدخل فعمى عليهم المدخل فبنوا ثم مسجدا (سيقولون) اى الخائضون فى قصتهم فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم من اهل الكتاب والمؤمنين (ثلاثة رابعهم كلبهم) اى هم ثلاثة رجال يربعهم كلبهم بانضمامه اليهم قيل هو قول اليهود وقيل هو قول السيد من نصارى نجران وكان يعقوبيا (ويقولون خمسة سادسهم كلبهم) قاله النصارى او العاقب منهم وكان نسطوريا (رجما بالغيب) يرمون رميا بالخبر الخفى الذى لامطلع لهم عليه واتيانا به اوظنا بالغيب من قولهم رجم بالظن اذا ظن وانما لم يذكر بالسين اكتفاء بعطفه على ماهو فيه (ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم) انما قاله المسلمون باخبار الرسول صلى الله عليه وسلم لهم عن جبرائيل عليه السلام وايماء الله تعالى اليه بان اتبعه قوله (قل ربى اعلم بعدتهم مايعلمهم الاقليل) واتبع الاولين قوله رجما بالغيب وبان اثبت العلم بهم لطائفة بعدما حصر اقوال الطوائف فى الثلاثة المذكورة فان عدم ايراد رابع فى نحو هذا المحل دليل العدم مع ان الاصل ينفيه ثم رد الاولين بان اتبعهما رجما بالغيب ليتعين الثالث وبان ادخل فيه الواو على الجملة الواقعة صفة للنكرة تشبيها لها بالواقعة حالا من المعرفة لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على ان اتصافه بها امر ثابت

اصحاب الكهف ووقفوا على احوالهم عاد القوم الى كهفهم فاماتهم الله تعالى فعند هذا اختلف الناس فقال قوم انهم نيام كالمرة الاولى وقال آخرون بل الآن ماتوا ﴿**قوله** او قال طائفة تبنى عليهم بنيانا﴾ عطف على قوله فقال وقوله بنيانا يجوز ان يكون مفعولا به جمع بنيانة وان يكون مصدرا ﴿**قوله** وقيل لما انتهوا الى الكهف﴾ اى وروى ان الملك واهل المدينة لم يدخلوا عليهم وعمى عليهم مكانهم حين دخله الفتى وهو يمليخا وانما علم اهل المدينة حقيقة البعث وحقيقة استدلاله باخبار يمليخا عنهم وثبت عندهم صدقه بما شاهدوا من حاله ومامعه ﴿**قوله** قيل هو قول اليهود﴾ وهذا القول يستدعى ان يكون اطلاع اهل المدينة على حال اصحاب الكهف قبل بعثة موسى عليه الصلاة والسلام لان علم اليهود باحوالهم يستلزم ان تكون احوالهم مذكورة فى التوراة وذكر فى شرح التأويلات انه اختلف فى وقتهم قال بعضهم كان فيمابين عيسى ومحمد صلوات الله عليهما وسلامه وقال بعضهم كان ذلك قبل بعث موسى عليه الصلاة والسلام وهو قول الحسن وابى بكر وغيرهما وهذا اشبه لانهم انما سألوا عنه اهل التوراة وهم اليهود فلا يحتمل ان يكون بعد عيسى وهم لايؤمنون بعيسى ولا بالانجيل ﴿**قوله** تعالى قال الذين غلبوا على امرهم﴾ اى امر اصحاب الكهف قيل المراد به الملك المسلم وقيل اولياء اصحاب الكهف وقيل رؤساء البلد لان من له الغلبة فى هذا النزاع لابد ان يكون احد هؤلاء ذكر فى القصة ان الملك جعل على باب الكهف مسجدا وجعل عنده عيدا عظيما وامر ان يؤتى كل سنة وعن الزجاج انه قال هذا يدل على انه لما ظهر امرهم غلب المؤمنون بالبعث والنشور لان المساجد للمؤمنين به ثم انه تعالى اخبر انه سيقع نزاع فى عددهم وقد وقع ذلك لما وفد نصارى نجران على النبى صلى الله عليه وسلم فجرى ذكر اصحاب الكهف فقالت اليعقوبية منهم كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم وقالت النسطورية منهم كانوا خمسة سادسهم كلبهم وقالت المسلمون كانوا سبعة وثامنهم كلبهم ولفظ يقولون فى المواضع الثلاثة جميعا للاستقبال اما الاول فلكونه مصدرا بسين الاستقبال واما الآخران فلكونهما معطوفين على يقولون الاول فيكونان داخلين فى حكم السين وهو المتبادر من قوله اكتفاء بعطفه على ماهو فيه لان الواو ولما كانت لمطلق الجمع كان معنى يقولون بعد سيقولون انه سيحصل منهم الاقوال الثلاثة فلو قيل سيقولون بعد سيقولون لكان تكرارا لما يدل على الاستقبال وان جعل الاخيران معطوفين على قوله سيقولون يحملان ايضا على الاستقبال لاشتراك لفظ المضارع بين الحال والاستقبال واختصاصه فى هذا الموضع بالاستقبال بقرينة المقام كاختصاص الاول به بواسطة السين ﴿**قوله** يرمون رميا بالخبر الخفى الذى لامطلع لهم عليه واتيانا به﴾ اشارة الى ان رجما منصوب بمقدر من لفظه اى يرجمون رجما وان الرجم معناه الرمى واتيان الكلام والتكلم به من غير تدبر وعلم بحقيقة كلامه والمطلع مصدر ميمى بمعنى الاطلاع ويحتمل ان يكون اسم فاعل من باب الافعال ﴿**قوله** وبان ادخل فيه الواو على الجملة الواقعة صفة للنكرة﴾ فان الجملة اذا وقعت صفة للنكرة جاز ان يدخلها الواو لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف فان للصفة نوع اتصال بالموصوف فاذا اريد تأكيد ذلك الاتصال واللصوق وسط بينهما هذه الواو لتؤذن ان هذه الصفة غير منفكة عن الموصوف لازمة له غير مفارقة عنه كما توسط بين الجملة الواقعة حالا وبين ذى الحال تأكيدا لما بينهما من اللصوق والاتصال وتنبيها على اللصوق والاتصال الاترى ان ماوقع صفة للنكرة اذا تقدم عليها وهى بعينها تصير حالا ولو لم يكونا متحدتين معنى لما كان كذلك سوآء كان فى الصورة اى فى اعتبار المعرفة والنكرة اوفى المعنى ايضا لما ذكرنا فلما توسطت الواو بين الجملة والمعرفة التى قبلها لمجرد الربط وتأكيد الاتصال توسطت بين الجملة والنكرة ايضا لذلك وماقيل من ان دخول الواو بين الصفة والموصوف غير مستقيم لاتحاد الصفة والموصوف ذاتا وحكما وتأكيدا للصوق يقتضى شيئين مبنى على ان تكون الواو فى مثل هذا الموضع عاطفة مقتضية للمغايرة وليست كذلك بل هى تجردت لمحض الجمعية واللصوق فان واو العطف تقتضى المغايرة وتضمن معنى الجمعية فاذا اريد منها معنى الجمعية دون المغايرة كان من باب اطلاق اسم الكل على الجزء كهمزة الاستفهام فى قوله تعالى سوآء عليهم أأنذرتهم ام لم تنذرهم لايؤمنون فان الهمزة فيه مسلوبة الدلالة على معنى الاستفهام متمحضة لمجرد الاستوآء كتمحيض الندآء فى قولك انا نفعل كذا ايتها العصابة فانه لمجرد الاختصاص ومسلوب عنه معنى طلب الاقبال وقيل انها واو الثمانية فان السبعة عند العرب كانت متميزة عن سائر اسماء العدد من حيث دلالتها

على الكثرة والمبالغة فى العدد قال تعالى ان تستغفر لهم سبعين مرّة على معنى ان تكثر الاستغفار لهم غاية الاكثار فاذا ذكروا سبعة جاؤا بالواو لتدل على ان السبعة دالة على الكثرة والمبالغة فى العدد وان مدخولها ثامن فلما كانت السبعة اصلا فى المبالغة فى العدد عندهم كانوا اذا وصلوا الى الثمانية ذكروا لفظا يدل على الاستئناف فقالوا وثامنهم وكان قريش اذا عدّوا يقولون واحد اثنان ثلاثة اربعة خمسة ستة سبعة وثمانية تسعة فيدخلون الواو على عقد الثمانية خاصة وكان العقد عندهم سبعة كما انه اليوم عندنا عشرة فاذا جاوز السبعة جاؤا بالواو على الاستئناف ونظيره قوله تعالى التائبون العابدون الى قوله والناهون عن المنكر وقوله تعالى فى حق ازواج النبي صلى الله عليه وسلم عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن مسلمات مؤمنات الى قوله وابكارا فان قوله والناهون عن المنكر هو الثامن ومنه قوله تعالى اذا جاؤها وفتحت ابوابها بالواو لان ابواب الجنة ثمانية وابواب النار سبعة وكذا قوله وابكارا ثامن ماتقدّم ولم يذكر المصنف هذا الوجه لان هذه الواو لم تثبت فى اللغة وقد انكرها حذاق النحاة ﴿قوله واسماؤهم يمليخا ومكشلينا ومشلينيا هؤلاء اصحاب يمين الملك ومرنوش ودبرنوش وشاذنوش اصحاب يساره﴾ وكان الملك يستشير هؤلاء الستة وكانوا يتصرّفون فى مهماته والسابع الراعى الذى وافقهم حين هربوا من ملكهم دقيانوس قيل اسمه كفيشططيوش وروى عن ابن عباس ان اسماءهم مكشلينا ويمليخا ومرطوش وينبوش وساربنوش ودونوارش وكفيشططيوش قال عبدالله بن عمر اذا وقع الحريق فى موضع فكتبت هذه الاسماء على قطعة ورق وطرحت فى الحريق طفئ باذن الله تعالى ﴿قوله فلا تجادل فى شأن الفتية﴾ فان المرآء فى اللغة الجدال يقال مارى يمارى مماراة ومرآء اى جادل والمراد بكون الجدال ظاهرا ان لا يتعمق بل يقتصر على ما اوحى اليه فى القرآن وهو انه لايعلم عددهم الا القليل فوجب التوقف وترك قطع النزاع ونظيره قوله تعالى ولاتجادلوا اهل الكتاب الا بالتى هى احسن ونقل عن الفرآء انه اتاه صلى الله عليه وسلم فريقان من نصارى نجران يعقوبى ونسطورى فسألهم النبي صلى الله عليه وسلم عن عدد اصحاب الكهف فنهى عنه بقوله تعالى ولاتستفت فيهم منهم احدا ﴿قوله ولم يستثن﴾ اى لم يقل ان شاء الله سمى قولك ان شاء الله كلمة استثناء لانه عبر عنها بقوله الا ان يشاء الله قيل احتبس الوحى بعده خمسة عشر يوما وفى رواية اربعين يوما ثم نزلت هذه الآية جعل قوله الا ان يشاء الله متعلقا بالنهى وذكر لتعلقه به وجهين الاوّل ان يجعل الا ان يشاء الله مستثنى مفرّغا من اعم الاحوال بان يقدّر المضاف بعد الباء المقدّرة بعد الا ويحذف مفعول المشيئة وهو الضمير الراجع الى الفعل المدلول عليه بقوله انى فاعل ذلك اى لاتقولنّ انى فاعله غدا فى حال من الاحوال الا فى حال كونك ملتبسا بذكر مشيئة الله والثانى ان يجعل مستثنى مفرّغا من اعم الاوقات اى لاتقولنّ ذلك من تلقاء نفسك فى وقت ما الا فى وقت ان يشاء الله ان تقوله بمعنى ان يأذن لك فيه وفيه وجه ثالث وهو الا ان يشاء الله فى معنى كلمة تأبيد كأنه قيل فلا تقولنّه من تلقاء نفسك ابدا فيحمل الاستثناء على تأكيد النهى والمبالغة على هذا الوجه فهو وجه تعلقه به ﴿قوله ولا يجوز تعليقه بفاعل﴾ لان قوله تعالى الا ان يشاء الله ان كان متصلا بقوله انى فاعل لا يخلو اما ان يكون المستثنى اقتران المشيئة بالفعل او اعتراضها قبله ولا وجه لشئ منها اما الاوّل فلان المشيئة المقترنة بالفعل سوآء كانت مشيئة الفعل بالفعل توجب الفعل ولا تنافيه حتى يصح استثناؤه من قوله انى فاعل ذلك بكل حال ومشيئة الله تعالى بترك الفعل لايمكن اقترانها بفعل العبد حتى يصح استثناؤها منه واما الثانى فلأنه لو كان المراد انى فاعل ذلك غدا بكل حال الا فى حال ان تعترض مشيئة الله تعالى بترك الفعل لأفاد كون هذا القول منهيا عنه ولا وجه لان ينهى العبد عن ان يقول انى فاعل ذلك فيما يستقبل الا ان يشاء الله تعالى منى ترك الفعل لان تمكن العبد من الفعل متوقف على انتفاء مشيئة الترك فكيف ينهى عن تقييد الفعل بانتفائها وتعليقه عليه فلما امتنع تعلقه بقوله انى فاعل تعين تعلقه بالنهى على احد الوجهين نهى الله تعالى عن ان يعد الانسان عدة ولا يستثنى فيها لان العدة اضافة الفعل الى نفسه وهو لايستقل فى افعاله فلذلك امر بان يلحق الاستثناء بها لئلا يلحقه معرّة الخلف فى الوعد اذا لم يفعل ما وعد فقول الواعد ان شاء الله يدفع عنه حنث خلف الوعد على تقدير عدم وفائه بعهده لان ارادة الله تعالى لايقدر العبد على ايقاعها فلا يحنث بتركه الا انهم اختلفوا فى ان الاستثناء هل يجب ان يكون متصلا بما قبله فى اللفظ لدفع الحنث او لا يجب فذهب ابن عباس ومن تبعه الى انه لايجب ان يكون متصلا به حتى اذا نسى ان يقول ان شاء الله ثم تذكر بعد سنة وقاله كفى

وعن علىّ رضى الله عنه هم سبعة وثامنهم
كلبهم واسماءهم يمليخا ومكشلينا ومشلينيا
هؤلاء اصحاب يمين الملك ومرنوش
ودبرنوش وشاذنوش اصحاب يساره وكا
يستشيرهم والسابع الراعى الذى وافقهم
واسم كلبهم قطمير واسم مدينتهم افسوس
وقيل الاقوال الثلاثة لاهل الكتاب والقليل
منهم (فلا تمار فيهم الا مرآء ظاهرا) فلا تجادل
فى شأن الفتية الا جدالا ظاهرا غير متعمق فيه
وهو ان تقص عليهم ما فى القرآن من غ
تجهيل لهم والردّ عليهم (ولا تستفت فيهم
منهم احدا) ولا تسأل احدا منهم عن قصتهم
سؤال مسترشد فان فيما اوحى اليك لمندوحة
عن غيره مع انه لاعلم لهم بها ولا سؤال متعنت
تريد تفضيح المسئول عنه وتزييف ما عند
فانه مخل بمكارم الاخلاق (ولا تقولنّ لشئ
انى فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله) نهى
تأديب من الله تعالى لنبيه حين قالت اليهو
لقريش سلوه عن الروح واصحاب الكهف
وذى القرنين فسألوه فقال ائتونى غدا اخبر
ولم يستثن فابطأ عليه الوحى بضعة عشر يو
حتى شق عليه وكذبته قريش والاستثناء من
النهى اى ولا تقولنّ لاجل شئ تعزم علي
انى فاعله فيما يستقبل الا بان يشاء الله اى
الا ملتبسا بمشيئته قائلا ان شاء الله او الا
وقت ان يشاء الله ان تقوله بمعنى ان يأذن لك
فيه ولا يجوز تعليقه بفاعل لان استثناء اقتران
المشيئة بالفعل غير سديد واستثناء اعتراضها
دونه لايناسب النهى

في دفع الحنث واحتج عليه بقوله تعالى واذكر ربك اذا نسيت وذلك لان الظاهر انه كلام متصل بماقبله والتقدير انه اذا نسي ان يقول ان شاء الله فليذكره اذا تذكر وقوله واذكر غير مختص بوقت معين بل يتناول جميع الاوقات فوجب ان يكون دافعا للحنث في اي وقت ذكره * واعلم ان استدلال ابن عباس ظاهر في ان الاستثناء لايجب ان يكون متصلا واما الفقهاء فقالوا انا لو جوزنا ذلك لزم ان لايستقر شئ من العهود والايمان * حكي انه بلغ المنصور أن اباحنيفة خالف ابن عباس في الاستثناء المنفصل فاستحضره لينكر عليه فقال له ابوحنيفة هذا يرجع عليك فانك تأخذ البيعة بالايمان كما يقول المبايع ابايعك على السمع والطاعة ثم يؤكدها بالايمان بان يقول والله لااخرج من هذه البيعة فلو جاز انفصال الاستثناء لجاز ان يخرج من عندك ويستثني بان يقول الازمان كذا اولامر كذا او ان يفعل كذا فاستحسن المنصور كلامه ورضي عنه * قال الامام حاصل كلامهم يرجع الى تخصيص النص بالقياس وفيه مافيه وايضا فلو قال ان شاء الله تعالى في نفسه خفية بلسانه بحيث لم يسمعه احد فهو معتبر ودافع للحنث بالاجماع مع ان المحذور الذي ذكروه حاصل فثبت ان الذي عولوا عليه ليس بقوي والاولى ان يحتج على وجوب كون الاستثناء متصلا بدليل آخر ﴿ قوله ولذلك جوز ﴾ اي لما ذكر من الآية ولماروي انه عليه الصلاة والسلام قال ان شاء الله لما نزل قوله تعالى واذكر ربك اذا نسيت ولماروي عن ابن عباس استدل المصنف بها على جواز تأخير الاستثناء عن القول السابق ثم ذكر دليل عامة الفقهاء على عدم جوازه على سبيل المعارضة لدليل المجوز ثم اجاب عن دليل المجوز بقوله وليس في الآية والخبر * وتقريره ان معنى الآية قل ان شاء الله اذا سبق منك وعد وفرط منك نسيان لذلك ثم تذكرته وهو انما يدل على جواز تأخير الاستثناء عن القول السابق ان لوكان الاستثناء المتدارك به من القول السابق ولم يلزم ذلك لانه يجوز ان يكون الاستثناء من مقدر يدل عليه القول السابق مثلا اذا قال اكرمك فيما يستقبل ونسي الاستثناء ثم تذكره بعد زمان فقال ان شاء الله تعالى جاز ان لايتعلق هذا الاستثناء بالوعد السابق بل بمقدر يدل عليه ذلك الوعد وكذا الحال فيماروي من الخبر فان قوله عليه الصلاة والسلام ان شاء الله ليس متعلقا بقوله السابق في غدا اخبركم بل بمقدر يدل هو عليه ولم يندفع به حنث خلف الوعد الذي هو من قبيل ترك الاولى والافضل ﴿ قوله ويجوز ان يكون المعنى ﴾ عطف على قوله مشيئة ربك بحسب المعنى وهو جواب آخر من قبل عامة الفقهاء بمنع ان يكون معنى الآية واذكر مشيئة ربك واستثن اذا ذكرته وباحتمال عدم ارتباطها بما قبلها وضبط ماذكره من الوجوه ان قوله واذكر ربك اذا نسيت اما ان يكون متعلقا بما قبله اولا بل يكون كلاما مستأنفا فان تعلقه بماقبله فيه احتمالان الاول ان يكون المعنى اذا نسيت ان تقول ان شاء الله حين وعدت فقله اذا تذكرت والثاني ان يكون المعنى اذا نسيت ذلك استغفر الله وتب اليه ويكون المقصود من الامر بالاستغفار المبالغة في الحث على الاستثناء على سبيل التغليظ والتشديد على تركه بايهام ان تركه من الذنوب التي تجب فيها التوبة وان لم يتعلق بماقبله بل كان كلاما مستأنفا ففيه قولان فعلى القول الاول يقدر مفعول تركت وهو قوله بعض ماامرك به لا على الثاني بل يجرى مجرى اللازم فسر قوله اذا نسيت بقوله اذا تركت بعض ماامرك به لان النسيان قديستعمل في الترك مجازا بطريق اطلاق المسبب وارادة السبب لان الترك سبب للنسيان فالنسيان المذموم هو ما كان مستندا الى السبب الاختياري والمعذور من نحو ماروي في الحديث * رفع عن امتي الخطأ والنسيان * هو مالم يستند الى سبب كذلك وهناك قول ثالث وهو ان يحمل قوله تعالى واذكر ربك اذا نسيت على اداء الصلاة المنسية عند ذكرها فيكون مفعول نسيت مقدرا هو اداء الصلاة والظاهر هو الاحتمال الاول وان يكون واذكر ربك اذا نسيت متعلقا بماقبله لانه على تقدير ان يكون كلاما مستأنفا يلزم جواز عدم ارتباط بعض الآيات ببعضها وهو بعيد ﴿ قوله واظهر دلالة ﴾ عطف تفسير لقوله اقرب رشدا فسر اقرب باظهر وفسر رشدا بقوله دلالة والرشد مصدر رشد يرشد من باب علم ومعناه ضد الغواية لا الدلالة التي هي ارشاد الغير فتفسيره بالدلالة يستلزم ان يكون الرشد بمعنى سبب الرشد وان يكون تسمية المعجزة بارشد للمبالغة في كونها سببا له على تأويل انها ذو رشد وجعل لفظ هذا في قوله لاقرب من هذا رشدا اشارة الى نبأ اصحاب الكهف فكان المعنى ايها المشركون انكم قد استعظمتم الاخبار عن حالهم وبيان نبأهم وقصتهم وقد بينت لكم مااوحي الي واني لأطمع من ربي ان يعطيني من الآيات الدالة على نبوتي ماهو اعظم في الدلالة عليها ويؤيد هذا التأويل قوله تعالى ام حسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا افتتح القصة بتقليل

(واذكر ربك) مشيئة ربك وقل ان شاء الله كماروي انه لما نزل قال عليه الصلاة والسلام ان شاء الله (اذا نسيت) اذا فرط منك نسيان لذلك ثم تذكرته وعن ابن عباس ولو بعد سنة مالم يحنث ولذلك جوز تأخير الاستثناء عنه وعامة الفقهاء على خلافه لانه لو صح ذلك لم يتقرر اقرار ولاطلاق ولا اعتاق ولم يعلم صدق ولا كذب وليس في الآية والخبر ان الاستثناء المتدارك به من القول السابق بل هو من مقدر مدلول به عليه ويجوز ان يكون المعنى واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت الاستثناء مبالغة في الحث عليه اواذكر ربك وعقابه اذا تركت بعض ماامرك به ليبعثك على التدارك اواذكره اذا اعتراك النسيان ليذكرك المنسي (وقل عسى ان يهدين ربي) يدلني (لأقرب من هذا رشدا) لاقرب رشدا واظهر دلالة على اني نبي من نبأ اصحاب الكهف وقد هداه لاعظم من ذلك كقصص الانبياء المتباعد عنه ايامهم والاخبار بالغيوب والحوادث النازلة في اعصار المستقبلة الى قيام الساعة

(شأنها)

شأنها ثم اختمها باطماع ماهو اعظم منها و اقرب ارشاداً للمسترشدين ﴿ قوله اولأقرب رشداً و ادنى خيراً من المنسى ﴾ فعلى هذا يكون قوله تعالى وقل عسى مرتبطا بقوله و اذكر ربك لا بمجموع القصة بان يكون معطوفا على ماهو العامل فى قوله تعالى اذأوى الفتية الى الكهف على معنى اذكر اذأوى الفتية و قل عسى ان يهدين ربى ويكون المعنى على الوجه الثانى و اذكر ربك اذا نسيت شيأ واطمع منه ان يهديك لشئ آخر بدل المنسى و قل عسى ان يهدينى ربى لشئ آخر وهو اقرب رشداً و منفعة من المنسى فيكون لفظ هذا اشارة الى المنسى ﴿ قوله وهو بيان لما اجمله ﴾ اى بقوله فضربنا على آذانهم فى الكهف سنين عددا فانه تعالى اجمل قصتهم بقوله اذأوى الفتية الى قوله نحو نقص عليك نبأهم ثم شرع فى تفصيلها بقوله نحن نقص وساق الكلام فى تفصيلها الى ان مبين فى آخر مدة لبثهم فى كهفهم احيا نامحفوظة اجسادهم ﴿ قوله على وضع الجمع موضع الواحد ﴾ فانه لا وجه لقرآءة الاضافة سوى ان يكون سنين تمييزا وحق مائة ان يضاف الى مميزه مفردا و يقال ثلاثمائة سنة كما يقال ثلاثمائة رجل و ثلاثمائة درهم قال ابن الحاجب و مميز مائة و الف و تثنيتهما و جمعهما مخفوض مفرد فقد ظهر ان الاصل فى الاستعمال افراد مميز مائة لكن وضع الجمع مكانه مبالغة فى الدلالة على الكثرة كما وضع الجمع موضع الواحد فى قوله تعالى بالاخسرين اعمالا فان الاصل فيه بالاخسرين عملا لاستقلاله بحصول الفائدة مع كون المفرد اخف لكن اوثر الجمع مبالغة و تنصيصا على الانواع بان كل نوع كأنه جنس مستقل يكفى لزيادة خسرانهم هذا هو الوجه العام لوضع الجمع موضع الواحد و سوّغه ههنا امران الاوّل ان ما فى لفظ سنين من علامة الجمع ليست متمحضة لكونها علامة الجمع بل هى جبر لما حذف من لفظ سنة فكانت كأنها من تمام بناء الواحد قيل اصل سنة سنهة مثل جبهة لانها من سنهت النخلة و تسنهت اذا اتت عليها السنون وقيل المحذوف منه الواو وتشهد اطلاقات العرب على كل واحد من القولين فانهم يقولون سنهت عنده و تسنيت عنده واستأجرته مساناة و مسانهة و تقول فى التصغير سنية و سنيهة و الثانى ان الاصل اى القياس المرفوض فى العدد اضافته الى الجمع لكون المعدود جماعة اى فيما فوق الواحد و الاثنين لان العدد المضاف ليس الا مافوقهما الا انه قد يعدل عنه الى المفرد لغرض فلما اضافه الى الجمع استعمل على الاصل المرفوض و قوله ومن لم يضف ابدل السنين من ثلاث جعله صاحب الكشاف عطف بيان له و هو الظاهر لان جعله بدلا يستلزم ان لا يكون تعيين مدة لبثهم مقصودا و ليس كذلك بل المقصود ذلك لانه لما قيل ثلاثمائة لم يعرف انها ايام او شهور او سنون فبين انها سنون وقوله تسعا مفعول به لقوله ازدادوا على وزن افتعلوا ابدلت تاء افتعل دالا لوقوعها بعد الزاى و قلبت الياء ألفا فصار ازدادوا وكان زاد متعديا الى اثنين نحو زادهم مرضا و زدناهم هدى فلما نقل الى باب الافتعال عدّى الى واحد والاصل ازدادوا تسع سنين فحذف التمييز لدلالة ما تقدم عليه اذ لا تقول عندى ثلاثمائة درهم وتسعة الا وانت تريد تسعة دراهم ولو اردت تسعة ثياب او نحوها لم يجز لانه ليس من جنس ما قبله حتى يدل عليه فلما نزل قوله تعالى ولبثوا فى كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا قالت نصارى نجران اما الثلاثمائة فقد عرفناها واما التسع فلا علم لنا بها فنزل قوله تعالى قل الله اعلم بما لبثوا اى انه تعالى اعلم بمقدار لبثهم من اهل الكتاب المختلفين فيه لانه المنفرد بعلم ما غاب فى السموات و الارض عن العباد وادراكهم فيكون عالما بمدة لبثهم لا محالة ﴿ قوله ومحله الرفع على الفاعلية ﴾ فان المعنى ما ابصر الله بكل موجود واسمعه لكل مسموع زيدت الباء فى الفاعل اصلاحا للفظ قال نجم الدين الاسترابادى فى شرح الكافية و اما احسن بزيد فعند سيبويه لفظ افعل صورته الامر ومعناه الماضى من افعل اى صار ذا فعل كالحم اى صار ذالحم و الباء بعده زآئدة فى الفاعل وضعف قوله ان الامر بمعنى الماضى بانه مما لم يعهد بل جاء الماضى بمعنى الامر و بان افعل بمعنى صار ذا كذا قليل وبان زيادة الباء فى الفاعل قليل و المطرد زيادتها فى المفعول ﴿ قوله والنصب ﴾ اى ومحله النصب على المفعولية فان قولك احسن بزيد امر لكل احد بان يجعل زيدا حسنا اى بان يصفه بالحسن فكأنه قيل صفه بالحسن كيف شئت فان فيه كل ما يمكن ان يكون فى الشخص وهذا معنى مناسب للتعجب بخلاف تقدير سيبويه وايضا همزة الجعل اكثر من همزة صار ذا كذا وان لم يكن شئ منهما قياسا مطردا هذا اصل هذا التركيب فالمعنى الامر والخطاب لكل واحد و صار ملخصه انشاء التعجب فهمزة افعل ان كانت للجعل و التعدية فالباء مزيدة فى المفعول و ان كانت للصيرورة كانت الباء للتعدية ﴿ قوله وقرأ ابن عامر بالتاء ﴾ اى بتاء الخطاب و الجزم عطفا على قوله ولا تقولن لشئ وقوله واذكر ربك اذا نسيت وقوله وقل عسى اى و لا تشرك انت ايها الانسان

اولأقرب رشدا و ادنى خيرا من المنسى (ولبثوا فى كهفهم ثلاثمائة سنين وازداو[ا] تسعا) يعنى لبثهم فيه احياء مضروبا على آذانهم وهو بيان لما اجمله قبل وقيل انه حكاية كلام اهل الكتاب فانهم اختلفو[ا] فى مدة لبثهم كما اختلفوا فى عدتهم فقال بعضهم ثلاثمائة سنين وقال بعضهم ثلاثمائة وتسع سنين وقرأ حمزة والكسائى ثلاثمائة سنين بالاضافة على وضع الجمع موضع الواحد ويحسنه ههنا ان علامة الجمع فيه جبر لما حذف من الواحد وان الاصل فى العدد اضافته الى الجمع ومن لم يضف ابدل السنين من ثلاث (قل الله اعلم بما لبثوا له غيب السموات والارض) له ما غاب فيهما وخفى من احوال اهلهما فلا خلق يخفى عليه علما (أبصر به وأسمع) ذكر بصيغة التعجب للدلالة على ان امره فى الادراك خارج عما عليه ادراك السامعين و المبصرين اذ لا يحجبه شئ ولا يتفاوت دونه لطيف و كثيف و صغير وكبير وخفى وجلى والهاء تعود الى الله ومحله الرفع على الفاعلية والباء مزيدة عند سيبويه وكان اصله أبصر اى صار ذا بصر ثم نقل الى صيغة الامر بمعنى الانشاء فبرز الضمير لعدم لياق الصيغة له او لزيادة الباء كما فى قوله تعالى وكفى به والنصب على المفعولية عند الاخفش والفاعل ضمير المأمور وهو كل احد والباء مزيدة ان كانت الهمزة للتعدية ومعدية ان كانت للصيرورة (مالهم) الضمير لاهل السموات والارض (من دونه من ولى) يتولى امورهم (ولا يشرك فى حكمه) فى قضائه (احدا) منهم ولا يجعل له فيه مدخلا وقرأ ابن عامر وقالون عن يعقوب بالتاء والجزم على نهى كل احد عن الاشراك

ثم لما دل اشتمال القرآن على قصة اصحاب الكهف من حيث انها من المغيبات بالاضافة الى الرسول صلى الله عليه وسلم على انه وحي معجز امره بان يداوم درسه ويلازم اصحابه فقال (واتل ما اوحي اليك من كتاب ربك) من القرآن ولا تسمع لقولهم ائت بقرآن غير هذا او بدله (لا مبدل لكلماته) لا احد يقدر على تبديلها وتغييرها غيره (ولن تجد من دونه ملتحدا) ملتجأ تعدل اليه اذ همت به (واصبر نفسك) احبسها وثبتها (مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي) في مجامع اوقاتهم او في طرفي النهار وقرأ ابن عامر بالغدوة وفيه ان غدوة علم في الاكثر فتكون اللام فيه على تأويل التنكير (يريدون وجهه) رضى الله وطاعته (ولا تعد عيناك عنهم) ولا يجاوزهم نظرك الى غيرهم وتعديته بعن لتضمينه معنى نبا يقال نبت وعلت عنه عينه اقتحمته ولم تعلق به والغرض في هذا اعطاء معنيين اى لا تقتحمهم عيناك متجاوزتين الى غيرهم وقرئ ولا تعد عينيك ولا تعد من اعداه وعداه والمراد نهي الرسول ان يزدري بفقراء المؤمنين وتعلو عينه عن رثاثة زيهم طموحا الى طراوة زي الاغنياء (تريد زينة الحياة الدنيا) حال من الكاف في القراءة المشهورة ومن المستكن في الفعل في غيرها (ولا تطع من اغفلنا قلبه) من جعلنا قلبه غافلا (عن ذكرنا) كامية بن خلف في دعائك الى طرد الفقراء عن مجلسك لصناديد قريش وفيه تنبيه على ان الداعي له الى هذا الاستدعاء غفلة قلبه عن المعقولات وانهماكه في المحسوسات حتى خفي عليه ان الشرف بحلية النفس لا بزينة الجسد وانه لو اطاعه كان مثله في الغباوة والمعتزلة لما غاظهم اسناد الاغفال الى الله تعالى قالوا انه مثل اجبنته اذا وجدته كذلك او نسبته اليه او من اغفل ابله اذا تركها بغير سمة اى لم نسمه بذكرنا كقلوب الذين كتبنا في قلوبهم الايمان واحتجوا على ان المراد ليس ظاهر ما ذكر اولا بقوله (واتبع هواه) وجوابه ما مر غير مرة وقرئ اغفلنا باسناد الفعل الى القلب على معنى حسبنا قلبه غافلين عن ذكرنا اياه بالمؤاخذة (وكان امره فرطا) اى تقدما على الحق ونبذا له وراء ظهره

وقرأ الباقون بالياء التحتانية ورفع الفعل على انه نفي محض مسند الى ضمير الباري تعالى اى لا يشرك الله في حكمه وقضائه احدا من خلقه فلا يجوز ان يحكم حاكم بغير ما انزل الله وحكم به وليس لاحد ان يحكم من ذات نفسه فيكون شريكا لله تعالى في حكمه ﴿قوله امره بان يداوم درسه ويلازم اصحابه﴾ فان كفار قريش لما سألوه عليه الصلاة والسلام عن قصة اصحاب الكهف وقالوا له ان اخبرتنا بما سألناك صدقناك واتبعناك واخبرهم بها قالوا له عليه الصلاة والسلام ان اردت ان نجالسك فاطرد عنك هؤلاء الفقراء والسفلة الذين اجتمعوا عندك نتبعك فانزل الله تعالى واتل ما اوحي اليك حتى بلغ انا اعتدنا للظالمين نارا فقام عليه الصلاة والسلام يلتمسهم حتى اصابهم في مؤخر المسجد يذكرون الله تعالى فقال الحمد لله الذي لم يمتني حتى امرني ان اصبر نفسي مع رجال من امتي معكم المحيا ومعكم الممات * قال الامام من هذه الآيات الى قصة موسى والخضر كلام واحد نزل قصة واحدة وهي ان اكابر قريش اجتمعوا وقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان اردت ان نؤمن بك فاطرد من عندك من هؤلاء الذين آمنوا بك فنهاه الله تعالى عن ذلك ومنعه منه وبين في جملة هذه الآيات ان الذي اقترحوه والتمسوه مطلوب فاسد ثم قال قوله تعالى واتل ما اوحي الخ يتناول القراءة ويتناول الاتباع ايضا فيكون المعنى الزم قراءة الكتاب الذي اوحاه اليك ربك والزم العمل به ﴿قوله لا احد يقدر على تبديلها﴾ اى بطريق من طرق النسخ مع ان النسخ ليس بتبديل في الحقيقة بل المنسوخ مغيي الى وقت طريان الناسخ فالنسخ كالغاية له فكيف يكون تبديلا ﴿قوله وفيه ان غدوة علم في الاكثر﴾ والاعلام لا يدخلها الالف واللام الجوهري الغد اصله غدو لحذفوا الواو بلا عوض قال لبيد

* وما الناس الا كالديار واهلها * فيوم بها حلوا وغدو بلاقع *

فجاء به على اصله والغدوة ما بين صلاة الغداة وطلوع الشمس يقال اتيته غدوة غير مصروفة لانها معرفة مثل سحر ﴿قوله وتعديته بعن﴾ جواب عما يقال من ان قوله ولا تعد نهي من عداه اذا جاوزه وهو يتعدى بنفسه كما اشار اليه بقوله ولا يجاوزهم نظرك الي غيرهم وكان الظاهر ان يقال ولا تعدهم عيناك فلم جيء بكلمة عن * واجاب عنه بان عدا لما ضمن معنى نبا عدى تعديته يقال نبا الشيء عنه ينبو اى تجافى وتباعد ونبا بصرى عن الشيء اذا اقتحمه ولم يعلق به ويقال اقتحمته عيني اى ازدرته واعتبر التضمين لتحصيل مجموع المعنيين معنى المجاوزة ومعنى الاقتحام ولو قيل ولا تنب عيناك عنهم لفهم معنى الاقتحام ولم يفهم معنى المجاوزة فجمع بين مادة العدو وكلمة عن ليحصل مجموع المعنيين وذلك ابلغ من افادة المعنى الواحد ﴿قوله والمعتزلة لما غاظهم اسناد الاغفال اليه تعالى﴾ اعلم ان اصحابنا احتجوا بهذه الآية على انه تعالى هو الذي يخلق الجهل والغفلة في قلوب الجهال لان قوله اغفلنا يدل على هذا المعنى فالمعنى من خلقنا ظلمة الكفر في قلبهم باختيارهم الكفر وقالت المعتزلة ليس المراد بقوله تعالى اغفلنا خلق الغفلة وايجادها في القلب بل هو من قبيل قول معدي كرب لبني سليم * قاتلنا كم فما اجبنا كم * وسألنا كم فما ابخلنا كم وهجونا كم فما افحمنا كم * اى ما وجدنا كم جبناء ولا بخلاء ولا مفحمين فان الهمزة فيه للوجدان فكذا في الآية ويحتمل ان تكون الهمزة في هذه الافعال لنسبة الفاعل الى اصل الفعل فكذا في الآية واحتجوا على ان بناء الافعال في الآية ليس للايجاد والتكوين لقوله تعالى بعده واتبع هواه فانه لو كان المعنى اوجدنا الغفلة في قلبه حقيقة لكان المناسب ان يقال فاتبع هواه ليدل على ان الاغفال سبب في الاتباع فلذا اسند الاتباع الى شهوتهم لا الى مشيئة الله وقد مر مرارا ان القدرة المؤثرة ليست الا لله تعالى فلذلك قال قل كل من عند الله وان العبد له قدرة كاسبة يصح اسناد افعاله الاختيارية اليه بسببها والعامة قرأوا من اغفلنا قلبه باسناد الفعل الى المتكلم المعظم نفسه ونصب قلبه على انه مفعول به وقرئ اغفلنا قلبه بفتح اللام ورفع قلبه على الفاعلية على معنى حسبنا قلبه غافلين من اغفلته اذا وجدته غافلا دلت الآية على ان اشر احوال الانسان ان يكون قلبه خاليا عن ذكر الحق ويكون مملوأ من الهوى الداعي الى الاشتغال بالخلق ﴿قوله اى تقدما على الحق﴾ يعني ان اصل الكلمة ينبئ عن العجلة والسبق يقال فرط منه قول قبيح اى سبق وفرس فرط اى سريعة تتقدم الخيل وفي الصحاح فرط عليه اى عجل وعدا ومنه قوله تعالى اننا نخاف ان يفرط علينا او ان يطغى وفرط عليه سبق وفرطت القوم افرطهم فرطا اى سبقتهم الى الماء فانا فارط والجمع فراط وفراط القطيع من الغنم متقدماتها الى الوادي والماء وافرط في الامر اى جاوز فيه الحد والاسم منه الفرط بالتسكين

والفرط بالتحريك الذى يتقدم الواردة ليهيء لهم الارشية والدلاء ويمدر الحياض ويستقى لهم وهو فعل بمعنى فاعل مثل تبع بمعنى تابع ومنه قيل للطفل الميت اللهم اجعله لنافرطا اى اجرا يتقدمنا وامر فرط اى مجاوز فيه الحد ومنه قوله تعالى وكان امره فرطا الى هنا كلام الجوهرى فالفرط على قوله فعل بمعنى المفعول والمعنى لاتطع من كان اموره التى يلابسها مجاوزا فيها الحد والحق بحيث كان نابذا له وراء ظهره ﴿قوله ومنه الفرط﴾ يجوز ان تكون الفاء فيه مفتوحه والراء ساكنة وان تكونا مفتوحتين ﴿قوله الحق مايكون من جهة الله﴾ يعنى ان الحق مبتدأ ومن ربك خبره والجملة مقول القول ووجه ارتباط الآية بما قبلها انه تعالى لما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لايلتفت الى اولئك الاغنياء الذين قالوا ان طردت الفقراء من عندك وخليت لنا مجلسك نؤمن بك ونجلس معك امره بعد ذلك بان يقول لهؤلاء الحق مايكون من عندالله لامايقتضيه الهوى فان خالفتم اهواءكم وقبلتم الحق الذى جاءكم من عندالله اصبتم وعاد نفعه عليكم وان لم تقبلوه عاد ضرره عليكم ولا مدخل فى اصابة الحق والاهتداء به لكون اهل مجلسكم فقراء او اغنياء خاملين او مشهورين بالعزة والجاه ثم انه تعالى رتب عليه وعيد من كابر عقله وعاند ربه وترك الحق الصريح ووعد من اذعن للحق وآمن وعمل بمقتضاه بقوله فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر وعلل ذلك بقوله انا اعتدنا للظالمين نارا الى آخر الآيات ﴿قوله ويجوز ان يكون الحق خبر مبتدأ محذوف﴾ نحو هذا الحق او الذى أتيتكم به الحق كائنا من ربكم والحق هو العامل فى الظرف والمبتدأ المقدر عبارة عما ذكر من اول السورة الى هنا او عما اوحى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وايا ما كان يكون قوله تعالى وقل الحق من ربكم كالفذلكة لما ذكر من مفتتح السورة او لجميع ما جاء به عليه الصلاة والسلام ثم رتب مابعده عليه بالفاء فالمعنى ما جئتكم به من حديث الكتاب القيم المعرى عن كل الاعوجاج الظاهر الاعجاز الكاشف عن المغيبات المحتوى على مكارم الاخلاق المزيح للعلل والاعذار المزيل للريب والشبهات حق كائن من الرب العزيز الحكيم ﴿قوله وهو لايقتضى استقلال العبد بفعله﴾ جواب عن قول المعتزلة ان قوله فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر صريح فى ان الايمان والكفر والطاعة والمعصية مفوض الى العبد واختياره فمن انكر ذلك فقد خالف صريح القرآن وتقرير الجواب صريح الآية وصريح العقل ايضا وان دل على ان نحو الايمان والكفر وسائر الافعال الاختيارية يمتنع حصوله بدون مشيئة العبد وقصده اليه واختياره له الا ان تلك المشيئة والقصد ليست بمشيئة اخرى سابقة عليها والالزم ان يكون كل قصد ومشيئة مسبوقا بقصد آخر الى غير نهاية وهو محال فوجب انتهاء ذلك القصد الى قصد واختيار يخلقه الله تعالى من غير قصد سابق عليه واذا توقف فعل العبد على ذلك القصد الذى لامدخل له فيه فكيف يصح ان يقال ان العبد مستقل فى فعله بل يجب القول بان الكل من عندالله ﴿قوله شبه به مايحيط بهم من النار﴾ فتكون الاضافة فى سرادقها بمعنى من كما فى خاتم فضة فان الاغنياء الذين يتفاخرون فى الدنيا تحيط بهم النار من اللباس والطعام والشراب وغير ذلك كما قال سرابيلهم من قطران وقال ليس لهم طعام الا من ضريع وقال فى حق شرابهم يغاثوا بماء كالمهل والله اعلم والحجرة كل مكان محجور عن الغير اى ممنوع عنه من الحجر وهو المنع اثبت الله تعالى للنار شيأ شبيها بما يحيط بهم من جميع الجهات بحيث لامخلص لهم منها ولا فرجة فيها يتفرجون بالنظر الى ماوراءها من النار بل هى محيطة بهم من كل الجوانب وقيل المراد من هذا السرادق الدخان الذى وصفه الله تعالى فى قوله الى ظل ذى ثلاث شعب وقالوا هذه الاحاطة بهم انما تكون قبل دخولهم النار فيغشاهم هذا الدخان ويحيط بهم كالسرادق حول الفسطاط ﴿قوله وقيل حائط من نار﴾ روى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال سرادق النار اربعة جدر كل جدار مسيرة اربعين سنة* والمعنى انهم وراء هذه الجدر فهى بهم محيطة ﴿قوله كالجسد المذاب﴾ يعنى قيل ان المهل كل شيء اذيب من الاجساد السبعة المعدنية كالذهب والفضة والنحاس والرصاص وغيرها وقيل هو دردى الزيت ﴿قوله وهو على طريقة قوله فأعتبوا بالصيلم﴾ يعنى قوله تعالى يغاثوا بماء كالمهل وارد على طريق التهكم بهم وتحقيرهم حيث ذكرت الاغاثة مما هم فيه من شدة العطش واريد مايضاد الاغاثة وهو ان يؤتى بماء كالمهل اذا قرب اليه شوى وجهه وسقطت فروة رأسه واذا شرب منه قطع امعاءه حتى تخرج من دبره فالمعنى ان يستغيثوا اى يطلبوا الغوث والمدد مما هم فيه من شدة العطش يؤتوا بماء كالمهل مكان مايغاث به المستغيث من العطش فسمى إيتاء ذلك الماء اغاثة على سبيل التهكم والتحقير كما فى قوله

❁ غضبت تميم ان يقتل عامر ❁ يوم النسار فأعتبوا بالصيلم ❁

يقال فرس فرط اى متقدم للخيل ومن[ه]
الفرط (وقل الحق من ربكم) الحق مايكو[ن]
من جهة الله لا ما يقتضيه الهوى ويجو[ز]
ان يكون الحق خبر مبتدأ محذوف ومن
ربكم حالا (فمن شاء فليؤمن ومن شا[ء]
فليكفر) لا ابالى بايمان من آمن ولا كف[ر]
من كفر وهو يقتضى استقلال العب[د]
بفعله فانه وان كان بمشيئته فمشيئته ليست
الا بمشيئة (انا اعتدنا) هيأنا (للظالمي[ن]
نارا احاط بهم سرادقها) فسطاطه[ا]
شبه به مايحيط بهم من النار وقيل السرادق
الحجرة التى تكون حول الفسطاط وقيل
سرادقها دخانها وقيل حائط من نا[ر]
(وان يستغيثوا) من العطش (يغاثو[ا]
بماء كالمهل) كالجسد المذاب وقيل كدردى
الزيت وهو على طريقة قوله فأعتبو[ا]
بالصيلم (يشوى الوجوه) اذا قدم ليشرب
من فرط حرارته وهو صفة ثانية لما[ء]
اوحال من المهل او الضمير فى الكاف

(بئس الشراب) المهل (وساءت) النار (مرتفقا) متكأ واصل الارتفاق نصب المرفق تحت الخد وهو لمقابلة قوله وحسنت مرتفقا والا فلا ارتفاق لاهل النار (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لانضيع اجر من احسن عملا) خبر ان الاولى هي الثانية بما في حيزها والراجع محذوف تقديره من احسن عملا منهم او مستغنى عنه بعموم من احسن عملا كما هو مستغنى عنه في قولك نعم الرجل زيد او واقع موقعه الظاهر فان من احسن عملا على الحقيقة لايحسن اطلاقه الا على الذين آمنوا وعملوا الصالحات اوخبرها (اولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الانهار) وما بينهما اعتراض وعلى الاول استئناف لبيان الاجر اوخبر ثان (يحلون فيها من اساور من ذهب) من الاولى للابتداء والثانية للبيان صفة لاساور وتنكيرها لتعظيم حسنها عن الاحاطة به وهو جمع اسورة اواسوار في جمع سوار (ويلبسون ثيابا خضرا) لان الخضرة احسن الالوان واكثرها طراوة (من سندس واستبرق) مارق من الديباج وماغلظ منه جمع بين النوعين للدلالة على ان فيها ماتشتهي الانفس وتلذ الاعين (متكئين فيها على الارآئك) على السرر كما هو هيئة المتنعمين (نعم الثواب) الجنة ونعيمها (وحسنت) الارآئك (مرتفقا) متكأ (واضرب لهم مثلا) للكافر والمؤمن (رجلين) حال رجلين مقدرين اوموجودين هما اخوان من بني اسرآئيل كافر اسمه قرطوس ومؤمن اسمه يهودا ورثا من ابيهما ثمانية آلاف دينار فتشاطرا فاشترى الكافر بها ضياعا وعقارا وصرفها المؤمن في وجوه الخير وآل امرهما الى ماحكاه الله تعالى وقيل الممثل بهما اخوان من بني مخزوم كافر وهو الاسود بن عبد الاسد ومؤمن وهو ابو سلمة عبدالله زوج ام سلمة قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم (جعلنا لاحدهما جنتين) بستانين (من اعناب) من الكروم والجملة بتمامها بيان التمثيل او صفة للرجلين (وحففناهما بنخل) وجعلنا النخل محيطة بهما مؤزرا بها كرومهما يقال حفه القوم اذا احاطوا به وحففته بهم اذا جعلتهم حافين حوله فيزيده الباء مفعولا ثانيا كقولك غشيته وغشيته به (وجعلنا بينهما) وسطهما (زرعا) ليكون كل منهما جامعا للاقوات والفواكه متواصل العمارة على الشكل الحسن والترتيب الانيق (كلتا الجنتين آتت اكلها) ثمرها وافراد الضمير لافراد كلتا وقرئ كل الجنتين آتى اكله (ولم تظلم منه) ولم تنقص من اكلها (شيأ) يعهد في سائر البساتين فان الثمار تتم في عام وتنقص في عام غالبا

والثار بكسر النون ماء لبني عامر والصيلم الداهية والامر العظيم واعتبوا اي ارضوا وازيل غضبهم جعلت الداهية لهم مكان الاعتاب الذي يجري بين الاحبة تهكما بهم والشوى انضاج اللحم من غير مرقة تكون مع ذلك الشيء المشوي ﴿قوله واصل الارتفاق نصب المرفق﴾ وهو موصل الذراع والعضد فسر المرتفق في الآية بالمتكأ وهو موضع الاتكاء على مرفق يده بان ينصبه ويجعله دعامة نحره وذلك انما يكون للاستراحة ولا استراحة لاهل النار فلا اتكاء ﴿قوله وهو لمقابلة قوله وحسنت مرتفقا﴾ يعني اثبات المرتفق لاهل النار مع انه لا ارتفاق لهم مبني على المشاكلة لقوله تعالى في حق ارآئك اهل الجنة وحسنت مرتفقا فان الآية التالية المقابلة لهذه الآية لما كانت مفصولة بذكر الارتفاق جعلت هذه الآية ايضا مفصولة بذكره لاجل المشاكلة لان اثبات المرتفق للكفار مبني على التهكم كاثبات الاغاثة لهم في قوله تعالى يغاثوا بماء كالمهل ثم انه تعالى لما ذكر وعيد الظالمين اردفه بوعد الصالحين فقال ان الذين آمنوا الآية وقوله تعالى انا لانضيع اجر من احسن عملا يجوز ان يكون خبر ان الذين آمنوا بحذف العائد اي منهم او بتنزيل العموم منزلة العائد كما في قولك نعم الرجل زيد على قول من يجعل المخصوص مرفوعا بالابتداء وماقبله خبره وهو المختار فان قولك نعم الرجل جملة فعلية والجملة الواقعة خبرا للمبتدأ لابد ان تكون مشتملة على الضمير العائد الى المبتدأ واستغنى عنه في باب نعم لتنزيل استغراق الرجل وعمومه للمبتدأ ولغيره منزلة العائد واما على قول من يجعل المخصوص خبر مبتدأ محذوف ويجعل الكلام مبنيا على تقدير سؤال وهو انه لما قيل نعم الرجل مثلا قيل من هو فقيل زيد اي هو زيد فحينئذ يكون الكلام جملتين ليس في شيء منهما خبر جملة حتى يحتاج الى العائد او باقامة قوله من احسن عملا مقام الضمير لكونه عبارة عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ومتحدا معهم في المعنى كما في الجملة الواقعة خبرا عن ضمير الشأن فانها لما كانت عبارة عن الضمير المذكور استغنى فيها عن العائد ﴿قوله اوخبرها اولئك﴾ عطف على قوله هي الثانية بما في حيزها ﴿قوله اوخبر ثان﴾ عطف على قوله استئناف ﴿قوله وهو جمع اسورة﴾ واسورة جمع سوار وهو زينة تلبس في الزند من اليد وهو من زينة الملوك كانوا يسوّرون في ايديهم ويتوّجون على رؤسهم وقال ابو عبيدة اساور جمع اسوار على حذف الزيادة اصله اساوير وقوله في جمع سوار احتراز عن قول من قال ان اساور جمع اسوار بكسر الهمزة اوضمها في الصحاح وقد يكون اساور جمع اسوار واسوار قال تعالى يحلون فيها من اساور من ذهب وقال ابو عمرو بن العلاء واحدها سوار قال الشاعر

* والله لولا صبية صغار * كأنما وجوههم اقمار * اخاف ان يصيبهم اقتار * اولاطم ليس له سوار *
* لما رأني ملك جبار *

على كل واحد منهم ثلاث اسورة سوار من ذهب لاجل هذه الآية وسوار من فضة لقوله تعالى وحلوا اساور من فضة وسوار من لؤلؤ لقوله تعالى ولؤلؤ ولباسهم فيها حرير * فان قيل ما السبب في انه تعالى قال في الحلي يحلون على مالم يسم فاعله وقال في السندس والاستبرق ويلبسون باسناد اللبس اليهم * قلنا يحتمل ان يكون اللبس اشارة الى مااستوجبوه بعملهم بمقتضى الوعد الالهي وان يكون الحلي اشارة الى ماتفضل به عليهم ابتداء تفضلا زآئدا على مقدار الوعد ثم انه تعالى لما بين عاقبة الظالمين الذين اغتروا بزينة الدنيا وزخارفها وافتخروا بها على فقرآء المسلمين وآثروها على ماعندالله تعالى من الثواب الجزيل وبين ايضا عاقبة من آمن بالله وبالبعث والجزآء وعمل بمقتضى ايمانه شبه حال الفريقين بحال رجلين موصوفين تصويرا للامر المعقول بصورة المحسوس لزيادة الايضاح والبيان فقال واضرب لهم مثلا الآية فتبين به ان كثرة الاموال والاتباع لاتصلح لان يفتخر بها لاحتمال ان يصير الفقير غنيا والغني فقيرا بل الفخر انما هو بطاعة الله التي هي زينة المؤمنين وقوله تعالى جعلنا لاحدهما جنتين ان كان بيانا وتفسيرا للمثل لايكون له محل من الاعراب وان كان صفة لجنتين يكون في محل النصب ﴿قوله مؤزرا بها﴾ اي ملتفا وفي الاساس ومن المجاز ازرع يؤازر بعضه بعضا اذا التف وتأزر النبت اي التف وتلاصق ﴿قوله ليكون كل منهما جامعا للاقوات والفواكه﴾ لاشتماله على الكروم المحفوفة بالنخل وكون كل واحد منهما منتهيا في احد جوانبه الى الارض المزروعة فيكون بذلك جامعا لماذكر ومتواصل العمارة وتكون منفعته متواصلة لاتيانه في كل وقت بمنفعة جديدة وثمرة مرغوبة ﴿قوله وافراد الضمير﴾ في آتت والظاهر ان يقال آتتا مبني على رجوعه الى كلتا وهو مفرد اللفظ وان كان مثنى المعنى فاعتبر جانب لفظه والمعنى اعطت كل واحدة

(وفجرنا خلالهما نهرا) ليدوم شربهما فانه الاصل ويزيد بهاؤهما وعن يعقوب وفجرنا بالتخفيف (وكان له ثمر) انواع من المال سوى الجنتين من ثمر ماله اذا كثره قرأ عاصم بفتح الثاء والميم وابو عمرو بضم الثاء واسكان الميم

والباقون بضمهما وكذلك واحيط بثمره (فقال لصاحبه وهو يحاوره) وهو راجعه فى الكلام من حار اذا رجع (انا اكثر منك مالا واعز نفرا) حشما واعوانا وقيل اولادا ذكورا لانهم الذي ينفرون معه (ودخل جنته) بصاحبه يطوف به فيها ويفاخره بها وافراد الجنة لان المراد ماهو جنته وهى ماتمتع به من الدنيا تنبيها على انه لاجنة له غيرها ولا حظ له فى الجنة التى وعد المتقون او لاتصال كل واحدة من جنتيه بالاخرى او لان الدخول يكون فى واحدة واحدة (وهو ظالم لنفسه) ضار لها بعجبه وكفره (قال ما اظنّ ان تبيد هذه) اى تفنى هذه الجنة (ابدا) لطول امله وتماديه على غفلته واغتراره بمهلته (وما اظن الساعة قائمة) كائنة (ولئن رددت الى ربى) بالبعث كما زعمت (لأجدنّ خيرا منها) من جنته وقرأ الحجازيان والشامى منهما اى من الجنتين (منقلبا) مرجعا وعاقبة لانها فانية وتلك باقية وانما اقسم على ذلك لاعتقاده انه تعالى انما اولاهما اولاه لاستيهاله واستحقاقه اياه لذاته وهو معه اينما يلقاه (قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب) لانه اصل مادتك او مادة اصلك (ثم من نطفة) فانها مادتك القريبة (ثم سوّاك رجلا) ثم عدلك وكملك انسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال جعل كفره بالبعث كفرا بالله تعالى لان منشأه الشك فى كمال قدرة الله تعالى ولذلك رتب الانكار على خلقه اياه من التراب فان من قدر على بدء خلقه منه قدر على ان يعيده منه (لكنا هو الله ربى ولا اشرك بربى احدا) اصله لكن انا فحذفت الهمزة والقيت حركتها على نون لكن فتلاقت النونان وكان الادغام وقرآءة ابن عامر ويعقوب فى رواية بالالف فى الوصل لتعويضها عن الهمزة او لاجراء الوصل مجرى الوقف وقد قرئ لكن انا على الاصل وهو ضمير الشأن وهو بالجملة الواقعة خبرا له خبر انا او ضمير الله والله بدله وربى خبره والجملة خبر انا والاستدراك من أكفرت كانه قال انت كافر بالله لكنى مؤمن به وقرئ ولكن هو الله ربى ولكن انا لااله الا هو ربى (ولولا اذ دخلت جنتك قلت) وهلا قلت عند دخولها (ما شاء الله) الامر ماشاء الله او ماشاء الله كائن على ان ما موصوله او اىّ شئ شاء الله كان على انها شرطية والجواب محذوف اقرارا بانها وما فيها بمشيئة الله ان شاء ابقاها وان شاء ابادها (لاقوّة الا بالله) فهلا قلت لاقوّة الا بالله اعترافا بالعجز على نفسك والقدرة لله وان ماتيسر لك من عمارتها وتدبير امرها فبمعونته واقداره وعن النبي صلى الله عليه وسلم من رأى شيأ فاعجبه فقال ماشاء الله لاقوّة الا بالله لم يضرّه

من الجنتين اكلها اى ثمرها تاما ولم تظلم اى لم تنقص منه شيأ والظلم النقصان يقال ظلمنى حق اى نقصنى ولما وصفهما بوفاء الثمار وتمام الاكل من غير نقصان وصفهما بما هو اصل الخير ومادّته وهو امر الشرب فقال وفجرنا خلالهما نهرا والعامة على تشديد الجيم للمبالغة فى وفائه شربا لهما فانه وان كان نهرا واحدا الا انه لما كان يتلئ ويصل الى جوانب كلتا الجنتين ويدوم فى كل وقت كان كالانهار وقرئ بالتخفيف على الاصل لانه نهر واحد والعامة على فتح هاء نهر وقرئ بسكونها قرأ عاصم كان له اى صاحب البستان ثمر بفتح الثاء والميم فيه وفى قوله واحيط بثمره وهو جمع ثمرة كشجر وشجرة وقرأ ابو عمرو بضم الثاء وسكون الميم فيهما والباقون بضم الثاء والميم فيهما ومن ضمهما يقول انه جمع ثمار يقال ثمار وثمر يخفف ويثقل كالحمار والحمر والكتاب والكتب ويجوز ان يكون ثمر بضمتين جمعا لثمر بفتحتين كخشب وخشب وبالسكون كاسد واسد وذكر اهل اللغة انه بالضم انواع المال من الذهب والفضة وغيرهما وبالفتح حمل الشجر وكان ابن عباس يقرأ بالضم ويقول هو انواع المال من ثمر ماله اذا كثره وعن مجاهد ان الثمر هو الذهب والفضة خاصة وقيل هو المال والولد ﴿قوله تعالى فقال له صاحبه﴾ يعنى قال صاحب البستان للمؤمن وقوله وهو يحاوره يجوز ان يكون حالا من الفاعل او من المفعول مبينا للهيئة اذ لايلزم من القول المحاورة وهى مراجعة الكلام من حار اى رجع قال تعالى انه ظن ان لن يحور وقال امرؤ القيس

وما المرء الا كالشهاب وضوئه ❊ يحور رمادا بعد اذ هو ساطع

والنفر العشيرة الذين يذبون عن الرجل وينفرون معه والمعنى ان الكافر ترفع على المؤمن بجاهه وماله ثم اراد ان يظهر للمؤمن كثرة ماله وصنوف ما يملكه مما يوجب البهجة والسرور فاخذ بيد اخيه المؤمن يطوف به فيها ويريه بهجتها وحسنها وهو قوله تعالى ودخل جنته الخ ﴿قوله لان المراد ماهو جنته﴾ اى مايقال له انه جنة فلان على ان التعريف فيه للعهد الذهنى والمعهود هو الفرد الملحوظ بالاضافة اليه مع قطع النظر عن كونهما قطعتين بينهما مزارع او بقعة واحدة من غيران يراد بها ماشاهده وقت الدخول او يراد دخول كل واحدة منهما على حدة او باعتبار كونهما بمنزلة جنة واحدة نظرا الى اتصالهما وخلوّهما من نكتة تقيد بها احداهما ﴿قوله تعالى وهو ظالم﴾ حال من فاعل دخل ولنفسه مفعول ظالم واللام فيه مزيدة لتقوية العامل لكونه فرعا وقوله قال ما اظنّ ان تبيد هذه ابدا الظاهر انه مستأنف جيئ به بيانا لسبب ظلمه فانه لما راقه واعجبه حسنها وزهرتها ظنّ انها لاتفنى ابدا وما اكتفى بهذا الكفر بل ضم اليه قوله وما اظنّ الساعة قائمة فجمع بين كفرين * فان قيل هب انه شك فى البعث والقيامة فكيف قال ما اظنّ ان تبيد هذه ابدا مع ان الحس يدل على ان ما فى الدنيا كلها فى معرض الزوال والفناء * اجيب بان مراده انها لاتبيد مدة حياته ﴿قوله وانما اقسم على ذلك﴾ يعنى ان الكافر بنى جزمه بذلك على مقدمتين الاولى انه تعالى انما اعطاه الجاه والمال فى الدنيا لكونه اهلا مستحقا لذلك والثانية ان الاستحقاق باق بعد الموت والمقدمة الاولى كاذبة لان فتح باب الدنيا على الانسان كثيرا ما يكون للاستدراج ﴿قوله لانه اصل مادتك﴾ نظرا الى ان النطفة تتولد من الدم المتولد من الاغذية النباتية المتولدة من التراب فكان التراب مادّة بعيدة للانسان والاغذية الحيوانية لابدّ ان تنتهى الى الغذاء النباتى المنتهى الى التراب ﴿قوله او مادة اصلك﴾ فان آدم عليه الصلاة والسلام مخلوق من التراب وخلقه سبب فى خلق كل احد ﴿قوله ولذلك﴾ اى ولكون منشأ كفره بالبعث شكه فى كمال قدرة الله تعالى علل انكاره على كفره بالله تعالى باثبات قدرته تعالى لاثبات وجوده ثم ان المؤمن وبخ الكافر على كفره بان قال له ولولا اذ دخلت لما تقرر من ان حرف التحضيض اذا دخل على الماضى يكون للتوبيخ وكلمة ما ان كانت شرطية تكون فى محل النصب على انها مفعول شاء قدمت عليه وجوبا احتج اصحابنا بهذه الآية على ان كل ما اراده الله تعالى واقع وما لم يرده لم يقع فثبت انه تعالى لم يرد ايمان الكافر وطاعة العاصى فكانت حجة لنا على المعتزلة ومعنى الآية هلا قلت عند دخولك جنتك ورؤيتك ما انعم الله تعالى به عليك ماشاء الله من ابقائها وافنائها كائن لامعارض لمشيئته وشكرت على انعامه اليك بدل الاشتغال والافتخار بالنعمة عن المنعم وملاحظة التمتع بها دهرا طويلا بناء على طول الامل وتماديا فى الغفلة والاغترار بالمهلة روى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال من اعطى خيرا من اهل او مال فيقال عند ذلك ماشاء الله لاقوّة الا بالله لم ير فيه مكروها * كذا فى الكواشى

(ان ترن انا اقل منك مالا وولدا) يحتمل ان يكون انا فصلا وان يكون تأكيدا للمفعول الاوّل وقرئ اقل بالرفع على انه خبر انا والجملة مفعول ثان لترنى وفى قوله وولدا دليل لمن فسر النفر بالاولاد (فعسى ربى ان يؤتين خيرا من جنتك) فى الدنيا او فى الآخرة لايمانى وهو جواب الشرط (ويرسل عليها) على جنتك لكفرك (حسبانا من السماء) مرامى جمع حسبانة وهى الصواعق وقيل هو مصدر بمعنى الحساب والمراد به التقدير بتخريبها او عذاب حساب الاعمال السيئة (فتصبح صعيدا زلقا) ارضا ملساء يزلق عليها باستئصال نباتها واشجارها (او يصبح ماؤها غورا) غائرا فى الارض مصدر وصف به كالزلق (فلن تستطيع له طلبا) للماء الغائر تردّدا فى ردّه (واحيط بثمره) واهلك امواله حسبما توقعه صاحبه وانذره منه وهو مأخوذ من احاط به العدوّ فانه اذا احاط به غلبه واذا غلبه اهلكه ونظيره اتى عليه اذا اهلكه من اتى عليهم العدوّ اذا جاءهم مستعليا عليهم (فاصبح يقلب كفيه) ظهر البطن تلهفا وتحسرا (على ماانفق فيها) فى عمارتها وهو متعلق بيقلب لان تقليب الكفين كناية عن الندم فكأنه قيل فاصبح يندم او حال اى متحسرا على ماانفق فيها (وهى خاوية) ساقطة (على عروشها) بان سقطت عروشها على الارض وسقطت الكروم فوقها (ويقول) عطف على يقلب او حال من ضميره (ياليتنى لم اشرك بربى احدا) كأنه تذكر موعظة اخيه وعلم انه اتى من قبل شركه فتمنى انه لم يكن مشركا فلم يهلك الله بستانه ويحتمل ان يكون توبة من الشرك وندما على ماسبق منه (ولم تكن له فئة) وقرأ حمزة والكسائى بالياء لتقدمه (ينصرونه) يقدرون على نصره بدفع الاهلاك اورد المهلك والاتيان بمثله (من دون الله) فانه القادر على ذلك وحده (وما كان منتصرا) ممتنعا بقوته عن انتقام الله منه (هنالك) فى ذلك المقام وتلك الحال (الولاية لله الحق) النصرة له وحده لايقدر عليها غيره تقرير لقوله ولم يكن له فئة ينصرونه او ينصر فيها اولياءه المؤمنين على الكفرة كما نصر فيما فعل بالكافر اخاه المؤمن ويعضده قوله (هو خير ثوابا وخير عقبا) اى لاوليائه وقرأ حمزة والكسائى الولاية بالكسر ومعناها السلطان والملك اى هنالك السلطان له لايغلب ولايمنع منه او لايعبد غيره كقوله فاذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فيكون تنبيها على ان قوله ياليتنى لم اشرك كان عن اضطرار وجزع مما دهاه وقيل هنالك اشارة الى الآخرة وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائى الحق بالرفع صفة للولاية وقرئ بالنصب على المصدر المؤكد وقرأ عاصم وحمزة عقبا بالسكون وقرئ عقبى وكلها بمعنى العاقبة (واضرب لهم مثل الحياة الدنيا) اذكر لهم ماتشبهه الحياة فى الدنيا فى زهرتها وسرعة زوالها او صفتها الغريبة (كماء) هو كماء ويجوز ان يكون مفعولا ثانيا لاضرب على انه بمعنى صيره (انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض) فالتف بسببه وخالط بعضه بعضا من كثرته وتكاثفه او نجع فى النبات حتى روى ورف وعلى هذا كان حقه فاختلط بنبات الارض لكن لما كان كل من المختلطين موصوفا بصفة صاحبه عكس للمبالغة فى كثرته (فاصبح هشيما) مهشوما مكسورا (تذروه الرياح) تفرقه وقرئ تذريه من اذرى والمشبه به ليس الماء ولا حاله بل الكيفية المنتزعة من الجملة وهى حال النبات المنبت بالماء يكون اخضر وارقا

(وعن)

﴿قوله يحتمل ان يكون انا فصلا﴾ هذا الاحتمال على تقدير ان يكون الرؤية علمية لانها ان كانت بصرية تعين ان يكون انا تأكيدا لياء المتكلم لان ضمير الفصل يشترط ان يقع بين المبتدأ والخبر او بين ما اصله المبتدأ والخبر ﴿قوله وهى الصواعق﴾ وقيل الحسبان سهام صغار ترمى فى القسىّ الفارسية سميت حسبانا لكونها سهاما معدودة محسوبة تجمع فترمى بمرّة واحدة وقيل الحسبان العذاب الا ان ابابكر الاصم قال عذابا على حساب ماعملوا ويقال اصاب الارض حسبان اى جراد ولعل اصل الحسبان السهام التى ترمى واطلاقه على الصواعق على سبيل الاستعارة وهى القطع من النار تشبيها للصواعق بها ومن قال انه مصدر كالغفران والبطلان ينبغى ان يجعله بمعنى اسم المفعول اى شيأ مما يعدّ اى يدخل فى الحساب ويعتدّ به من انواع العذاب المرتبة على الكفر الا ان المتبادر من عبارة المصنف ان يكون المراد بالحساب الحكم الازلى والتقدير الالهى المتعلق بتخريب الجنة وبارساله ووقوع المعلوم المقدّر عند تعلق الارادة بوقوعه او يكون الحساب على اصل الاعمال السيئة ومقدارها على ان يكون او عذاب معطوفا على قوله التقدير وقوله حساب الاعمال منصوبا بنزع الخافض اى بحسابها والصعيد وجه الارض والزلق والغور فى الاصل مصدران وصف بهما مبالغة والمعنى عسى ان يصبح ماؤها وهو النهر الذى فى خلالها غائرا ذاهبا فى الارض بحيث لايبقى له اثر حتى تقدر على ان تطلبه وتردّه الى موضعه وخلاصة كلام المؤمن ارجو ان ارزق ماهو خير وافضل من جنتك وان تهلك جنتك ﴿قوله ظهر البطن﴾ منصوب على انه مفعول مطلق اى يقلب كفيه تقليبا خاصا بالنادمين المتلهفين فان قوله يقلب كفيه كناية عن الندم لان النادم يفعل ذلك فلما كان قوله يقلب متضمنا لمعنى يندم عدّى بعلى ﴿قوله او حال﴾ عطف على قوله متعلق بيقلب والمعنى او متعلق بمحذوف على انه حال من فاعل يقلب اى متحسرا على ما انفق ﴿قوله او حال من ضميره﴾ على اعتبار حذف المبتدأ لتكون الجملة اسمية اى يقلب وهو يقول لما تقرّر من ان الجملة الحالية ان كانت جملة فعلية والفعل مضارع مثبت امتنع دخول الواو عليها ﴿قوله كأنه تذكر موعظة اخيه﴾ من قوله انت كافر بالله لكنى مؤمن الى قوله ان ترنى اقر منك فانا اتوقع من صنع الله تعالى ان يقلب مابى ومابك من الفقر والغنى ويرزقنى لايمانى جنة خيرا من جنتك ويسلبك لكفرك ما انعم به عليك ويخرب بستانك ﴿قوله وقرأ حمزة والكسائى بالياء﴾ اى بياء التذكير فى لم يكن لتقدم الفعل ووجود الفصل واقامته مقام علامة التأنيث ﴿قوله النصرة له وحده﴾ يعنى ان الولاية لى وهى بالفتح بمعنى تولى الامر والنصرة والمعنى فى ذلك الموضع وتلك الحال يريد الله تعالى اظهار كرامة اوليائه واذلال اعدآئه لايتولى الامر احد غير الله تعالى ينصر من يشاء اعزازه ويذل من يشاء اذلاله وقرأ حمزة والكسائى الولاية بكسر الواو والمعنى هنالك السلطان والغلبة له تعالى لايغلب او لايعبد غيره بل يلتجئ اليه كل مضطر مغلوب فيه فلذلك قال الكافر ياليتنى لم اشرك بربى احدا جزعا مما ساقه اليه شؤم كفره ولو كان ندمه على الشرك ورغبته فى التوحيد بناء على النظر فى الادلة وامتثالا لامر الله وتصديقا لكتابه ونبيه لكان ايمانا مقبولا عند الله تعالى لكن كان ندمه وتوبته عند مشاهدة البأس مبنيا على اعتقاده انه لو كان موحدا غير مشرك ومتعظا بموعظة اخيه لبقيت عليه جنته فلم يقبل ولم يصر به مؤمنا لكونه لاجل طلب الدنيا لاخالصا لوجه الله تعالى فالآية بهذا المعنى تكون نظير قوله تعالى فاذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين ﴿قوله وقرئ بالنصب على المصدر المؤكد﴾ فانه يؤكد مضمون الجملة التى لها محتمل غيره نحو زيد ابوك حقا وهنالك فى محل النصب على انه ظرف معمول لما تعلق به خبر الولاية وهو قوله لله ﴿قوله اذكر لهم﴾ اى للمشركين الذين استكبروا على فقرآء المسلمين وافتخروا باموالهم واعوانهم يريد انه يجوز ان يجعل اضرب بمعنى اذكر فيتعدى الى واحد فعلى هذا يكون كماء انزلناه خبر مبتدأ محذوف اى هو كماء وان يكون بمعنى صير فيكون كماء مفعولا ثانيا ﴿قوله او نجع فى النبات﴾ اى نفذ فتكون الباء فيه للتعدية لا للسببية لان الماء لرقته هو الذى ينفذ فى النبات ولاينفذ النبات فى الماء فكان حق العبارة فاختلط بنبات الارض ونجع فيه يقال نجع فيه الدوآء اذا نفعه ونجع الطعام اذا هنئ ورف النبات رفيفا اذا اهتز نضارة وتلألأ ﴿قوله مهشوما﴾ من الهشم وهو كسر الشئ اليابس والهشيم من النبات اليابس المتكسر ﴿قوله من الصلوات الخمس الخ﴾ عن ابن مسعود وابن عباس وغيرهما رضى الله عنهم ان الباقيات الصالحات الصلوات الخمس وهى الحسنات يذهبن السيئات وعن سعيد بن جبير انها الصلوات الخمس والجمعة ورمضان الى رمضان والحج الى الحج

والحمدلله ولا اله الاالله والله اكبر والكلام الطيب (خير عند ربك) من المال والبنين (ثوابا) عائدة (وخير املا) لان صاحبها ينال بها فى الآخرة ما كان يأمل بها فى الدنيا (ويوم نسير الجبال) واذكر يوم نقلعها ونسيرها فى الجو او نذهب بها فنجعلها هباء منبثا ويجوز عطفه على عند ربك اى الباقيات الصالحات خير عند الله ويوم القيامة وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر تسير بالتاء والبناء للمفعول وقرئ تسير من سارت (وترى الارض بارزة) بادية برزت من تحت الجبال ليس عليها مايسترها وقرئ وترى على بناء المفعول (وحشرناهم) وجمعناهم الى الموقف ومجيئه ماضيا بعد نسير وترى لتحقيق الحشر اوللدلالة على ان حشرهم قبل التسيير ليعاينوا ويشاهدوا ما وعدلهم وعلى هذا تكون الواو للحال باضمار قد (فلم نغادر) فلم نترك (منهم احدا) يقال غادره واغدره اذا تركه ومنه الغدر لترك الوفاء والغدير لما غادره السيل وقرئ بالياء (وعرضوا على ربك) تشبيه حالهم بحال الجند المعروضين على السلطان لا ليعرفهم بل ليأمر فيهم (صفا) مصطفين لا يحجب احد احدا (لقد جئتمونا) على اضمار القول على وجه يكون حالا او عاملا فى يوم نسير (كما خلقناكم اول مرة) عراة لا شئ معكم من المال والوالد لقوله ولقد جئتمونا فرادى او احياء كخلقتكم الاولى لقوله (بل زعمتم ان لن نجعل لكم موعدا) وقتا لانجاز الوعد بالبعث والنشور وان الانبياء كذبوكم به وبل للخروج من قصة الى اخرى (ووضع الكتاب) صحائف الاعمال فى الايمان والشمائل او فى الميزان وقيل هو كناية عن وضع الحساب (فترى المجرمين مشفقين) خائفين (مما فيه) من الذنوب (ويقولون ياويلتنا) ينادون هلكتهم التى هلكوا بها من بين المهلكات (مالهذا الكتاب) تعجبا من شأنه (لا يغادر صغيرة) هنة صغيرة (ولا كبيرة الا احصاها) الا عدها واحاط بها (ووجدوا ما عملوا حاضرا) مكتوبا فى الصحف (ولا يظلم ربك احدا) فيكتب عليه مالم يفعل او يزيد فى عقابه الملائم لعمله (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس) كرره فى مواضع لكونه مقدمة للامور المقصود بيانها فى تلك المحال وههنا لما شنع على المفتخرين واستقبح صنيعهم قرر ذلك بانه من سنن ابليس او لما بين حال المغرور بالدنيا والمعرض عنها وكان سبب الاغترار بها حب الشهوات وتسويل الشيطان زهدهم اولا فى زخارف الدنيا بانها عرضة الزوال والاعمال الصالحة خير وابقى من انفسها واعلاها ثم نفرهم عن الشيطان بتذكير ما بينهم من العداوة القديمة وهكذا مذهب كل تكرير فى القرآن (كان من الجن) حال باضمار قد او استئناف للتعليل كأنه قيل ماله لم يسجد فقيل كان من الجن (ففسق عن امر ربه) فخرج عن امره بترك السجود والفاء للتسبب وفيه دليل على ان الملك لا يعصى البتة وانما عصى ابليس لانه كان جنيا فى اصله والكلام المستقصى فيه فى سورة البقرة

وعن الضحاك انها الفرائض وفى رواية عن ابن عباس انها الكلام الطيب وفى رواية عنه انها جميع الاعمال الحسنة فان جميعها باقيات لبقاء اجرها ونفعها وسميت صالحات لانتفاء الفساد عنها وعن انس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لجلسائه * خذوا جنتكم * قالوا أحضر عدو قال * جنتكم من النار قولوا سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فانهن المقدمات وهن المعقبات وهن الباقيات الصالحات * وعن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم * ان عجزتم عن الليل ان تكابدوه وعن العدو أن تجاهدوه فلا تعجزوا عن قول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر فقولوها فانهن الباقيات الصالحات * **قوله لا يحجب احد احدا** اشارة الى ان اصطفافهم عبارة عن ظهورهم متميزين بحيث يرى جماعتهم كما يرى كل واحد وقوله تعالى صفا حال من مرفوع عرضوا وهو فى الاصل مصدر يقال صف صفا ثم يطلق على جماعة المصطفين واختلف فى صفاهنا هل هو مفرد وقع موقع الجمع والمراد صفوف بدليل ماورد فى الحديث الصحيح وهو انه * يجمع الله الاولين والآخرين فى صعيد واحد صفوفا * وفى حديث آخر * اهل الجنة مائة وعشرون صفا انتم منها ثمانون صفا * ونظيره فى وقوع المفرد موقع الجمع قوله تعالى ثم يخرجكم طفلا اى اطفالا وقيل بل الخلائق يكونون صفا واحدا وهو ابلغ فى القدرة واما الحديثان فيحملان على اختلاف الاحوال يوم القيامة لانه طويل مقداره خمسون الف سنة فتارة يكونون فيه صفا واحدا وتارة صفوفا وقيل صفاهنا معناه قياما لقوله تعالى فاذكروا اسم الله عليها صواف اى قياما **قوله على وجه يكون حالا** اى عرضوا وقد قيل لهم لقد جئتمونا او عاملا فى يوم نسير الجبال اى نقول لهم يوم نسير الجبال لقد جئتمونا كما خلقناكم وليس المراد تشبيه حال البعث من القبور بحال النشأة الاولى من كل وجه لانهم خلقوا صغارا لا عقل لهم ولا قدرة بل المراد تقريع المشركين المنكرين للبعث المفتخرين على فقراء المسلمين المؤمنين بالاموال والاعوان بان يقال لهم لقد جئتم حفاة بغير اموال ولا اعوان ولقد بعثتم وشاهدتم ان البعث والقيامة حق واقع كما وقع خلقكم اول مرة **قوله وبل للخروج من قصة الى اخرى** يعنى ان الاضراب ههنا ليس لابطال القصة الاولى بل للانتقال الى ماهو اهم منها فانه تعالى لما بين خساسة الدنيا بتمثيل حالها بحال النبات الذى يكون بعد حدوثه اخضر وارقا ثم هشيما تطيره الرياح فيصير كأن لم يكن اتبعه باحوال القيامة ثم اضرب عن بيانها وانتقل عنه الى تقريع الكفار الذين ينكرون البعث والحساب وان فى قوله ان لن نجعل مخففة من الثقيلة اى بل زعمتم ان الشأن ان لن نجعل لكم موعدا للبعث تبعثون فيه وتحاسبون **قوله ينادون هلكتهم التى هلكوا بها** الويلة والويل الهلكة لما رأوا اعمالهم محصاة عليهم فى كتابهم وعلموا انهم مجازون بها ومهلكون نادوا بالويل والهلاك فان كل من وقع فى مهلكة يدعو بها كما فى قوله تعالى ياحسرة على العباد فانه نداء للحسرة عليهم كأنه قيل لها تعالى ياحسرة فان هذه الحال من الاحوال التى حقك ان تحضرى فيها الا انهم لما نادوا الويلة المضافة الى انفسهم حيث قالوا ياويلتنا كان المنادى هلكتهم التى هلكوا بها لا جنس الهلاك **قوله هنة صغيرة** الهنة يكنى بها من الخصلة السوء يقال فى فلان هنات اى خصلات شر ولا يقال ذلك فى الخير **قوله قرر ذلك** اى قرر قبح الكبر والافتخار ببيان انه من سنن ابليس فانه لما امتنع عن السجود لآدم استكبارا وافتخارا بان اصله نار واصل آدم تراب والنار علوى نورانى لطيف فيكون اشرف من التراب الذى هو سفلى ظلمانى كثيف واداه ذلك الكبر الى ان صار ملعونا مخلدا فى النار بعد ان كان رئيس الملائكة ومقدمهم ومعلمهم واشدهم اجتهادا فى العبادة حتى لم يبق فى سبع السموات ولا فى سبع الارضين موضع قدر شبر الا وقد سجد اللعين لله تعالى عليه سجدة حتى امتلأت من العجب نفسه حيث لم ير احدا مثله فابى ان يسجد لآدم استكبارا فقال انا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين فلعنه الله تعالى وطرده والملائكة لما خلقوا من النور الروحانى العلوى كان من طبعهم الانقياد لامر الله تعالى والطاعة والعبودية فلذلك لما امروا بالسجود لآدم لم يمتنعوا عن ذلك وسجدوا طوعا ورغبة امتثالا لامر الله تعالى وانقيادا لحكمه كما قال تعالى لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون بخلاف ابليس فانه تعالى لما خلقه للضلالة والغواية والضلال والاغواء خلق من النار التى طبعها الاستعلاء والاستكبار ونظمه الله فى سلك الملائكة منذ خلقه وكساه كسوة الملائكة تشبث بافعالهم تقليدا لا تحقيقا حتى عد من جملتهم وذكر فى زمرتهم بل زاد عليهم فى الاجتهاد بالاعتياد والاعتقاد فاتخذوه رئيسا ومعلما لما رأوا منه من الاشتداد والاسترادة فى الاجتهاد بالارادة فلما امتحن بالسجود لآدم فى جملة الملائكة ظهر ما تقتضيه

(أفتتخذونه) اعقيب ماوجد منه تتخذونه والهمزة للانكار والتعجب (وذريته) اولاده اواتباعه وسماهم ذرية مجازا (اولياء من دونى) فتستبدلونهم بى فتطيعونهم بدل طاعتى (وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا) من الله تعالى ابليس وذريته (ماشهدتهم خلق السموات والارض ولاخلق انفسهم) نفى احضار ابليس وذريته خلق السموات والارض واحضار بعضهم خلق بعض ليدل على نفى الاعتضاد بهم فى ذلك كما صرح به بقوله (وما كنت متخذ المضلين عضدا) اى اعوانا ردا لاتخاذهم اولياء من دون الله شركاء له فى العبادة فان استحقاق العبادة من توابع الخالقية والاشتراك فيه يستلزم الاشتراك فيها فوضع المضلين موضع الضمير ذما لهم واستبعادا للاعتضاد بهم وقيل الضمير للمشركين والمعنى ماشهدتهم خلق ذلك وما خصصتهم بعلوم لايعرفها غيرهم حتى لو آمنوا اتبعهم الناس كما يزعمون فلاتلتفت الى قولهم طمعا فى نصرتهم للدين فانه لاينبغى لى ان اعتضد بالمضلين لدينى ويعضده قرآءة من قرأ وما كنت على خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم وقرئ متخذا المضلين على الاصل وعضدا بالتخفيف وعضدا بالاتباع وعضدا كخدم جمع عاضد من عضده اذا قواه (ويوم يقول) اى الله تعالى للكافرين وقرأ حمزة بالنون (نادوا شركائى الذين زعمتم) انهم شركائى اوشفعاؤكم ليمنعوكم من عذابى واضافة الشركاء على زعمهم للتوبيخ والمراد ما عبد من دونه وقيل ابليس وذريته (فدعوهم) فنادوهم للاغاثة (فلم يستجيبوا لهم) فلم يغيثوهم (وجعلنا بينهم) بين الكفار وآلهتهم (موبقا) مهلكا يشتركون فيه وهو النار اوعداوة هى فى شدتها هلاك كقول عمر رضى الله عنه لايكن حبك كلفا ولابغضك تلفا اسم مكان اومصدر من وبق يوبق وبقا اذا هلك

الجبلة وخلع عنه كسوة اهل الرغبة والرهبة ليميز الله الخبيث من الطيب فطاشت تلك الخادعات وتلاشت منه تلك العبادات وعاد المشوم الى طبعه حين تبين الرشد من اهله فسجدت الملائكة وأبى ابليس واستكبر من غيه وظهر انه كان من الجن كأنه قال ماكان ابليس من الملائكة قط طرفة عين بل كان من الذين تولدوا من الجان وهو ابو الجن واصله واول من عصى ربه كما ان آدم عليه الصلاة والسلام اول الانس وابوهم روى انه تعالى لما خلق الارض خلق الجان من مارج من نار يعنى من لهب من نار لادخان لها فكثر نسله وهم الجن بنو الجان فاسكنهم الارض فعبدوا الله دهرا طويلا فى الارض ثم ظهر فيهم البغى والحسد فاقتتلوا وافسدوا فبعث الله تعالى اليهم جندا من الملائكة فهبطوا الى الارض وحاربوا الجن وهزموهم وطردوهم من وجه الارض الى شعوب الجبال وجزآئر البحور روى ان الملائكة سبوا ابليس من بين الجن ونشأ عند الملائكة وكان مغمورا مغلوبا بالالوف منهم فغلبوا عليه فلما كان ابليس داخلا فيهم بالتغليب تناوله امر الملائكة بالسجود لآدم فكان قوله تعالى فسجدوا الا ابليس استثناء متصلا نظرا الى دخوله فيهم بالتغليب ويجوز ان يكون منقطعا وقيل الاستثناء متصل بناء على انه قد كان ملكا من جملة الملائكة فغير الله تعالى صورته وطبعه وصيره الى صورة الجن وطبعهم وسيرهم بعد ابائه واستكباره وكفره فصار ممسوخا كما مسخ الله تعالى بعض بنى آدم فصاروا قردة وخنازير الا انه لما سأل النظرة الى قيام الساعة بقى وصار له نسل والحال ان سائر الممسوخات لاتبقى بعد ثلاثة ايام ولايصير لها نسل فعلى هذا يكون قوله كان من الجن بمعنى صار من الجن بان مسخت صورته الى صورة الجن وكذا قوله وكان من الكافرين اى صار من الكافرين وقيل معناه كان فى علمه الازلى انه يكون من الجن وقت عصيانه ربه وابائه السجود وكذا قوله وكان من الكافرين معناه كان فى علم الله تعالى انه سيكون كافرا لان جمهور المحققين ذهبوا الى ان ابليس لم يكن كافرا من اول الامر بل انه كان مؤمنا ثم صار كافرا برده امر الله تعالى واستقباحه كما ان عبدة الاصنام كانوا كفرة وقت عبادتها ثم صاروا مؤمنين بالتبرى منها الى انه لما كان الاعتبار فى الايمان والكفر بالخواتيم وموافاة الموت قيل ان الذى علم الله من حاله انه يتوفى على الكفر هو الكافر على الحقيقة وان صلى وصام قبله اذ العبرة بالخواتيم وان كان بحكم الحال مؤمنا وهذه المقالات منسوبة الى الشيخ الاشعرى رحمه الله تعالى ﴿**قوله** أعقيب ماوجد منه تتخذونه﴾ حكى الله تعالى اولا عداوة ابليس وذريته لاولاد آدم ثم انكر على الكفار الذين افتخروا على فقرآء المسلمين بشرف الانساب وكثرة الاموال والاتباع فى تركهم الدين الحق بناء على التكبر والترفع فكأنه قال تعالى لهم انكم فى هذا الفعل اقتديتم بابليس فى تكبره على آدم وعلمتم ان ابليس عدو لكم فكيف تقتدون به فى طريقته المذمومة وكل من كان غرضه من اظهار العلم والمناظرة التفاخر والتكبر فهو مقتد بابليس فيدخل فى هذا الانكار والتعجب روى عن النسفى انه قال كنت جالسا يوما اذ اقبل رجل فقال اخبرنى هل لابليس زوجة فقلت ان ذلك العرس ماشهدته ثم تذكرت قوله تعالى افتتخذونه وذريته اولياء من دونى فعلمت انه لايكون له ذرية الا من زوجة فقلت نعم وعن قتادة انهم يتوالدون كما يتوالد بنو آدم وقيل انه يدخل ذنبه او ذكره فى دبره فيبيض فتنفلق البيضة عن جماعة من الشياطين والله اعلم ثم انه تعالى لما قرر ان القول الذى قالوه فى الافتخار على الفقرآء والاستكبار عليهم اقتدآء بابليس عاد بعده الى تهويل احوال يوم القيامة فقال ويوم يقول اى اذكر لهم يوم يقول عطفا على قوله واذ قلنا للملائكة ليعلموا احوالهم واحوال آلهتهم يوم القيامة اذ يقول الله لهم نادوا شركائى اى ادعوا من زعمتم انهم شركائى حتى اهلتموهم للعبادة ﴿**قوله** فنادوهم للاغاثة﴾ بان قالوا لهم انا كنا لكم تبعا فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار ﴿**قوله** مهلكا يشتركون فيه﴾ على ان يكون الموبق اسم مكان يعنى ان الله تعالى يدخل هؤلاء المشركين فى موضع الهلاك وهو النار ويجعل الهتهم فى موضع آخر مثل ان يجعل عيسى عليه الصلاة والسلام فى الجنة ويجعل الملائكة الذين ادعوا انهم شركاء الله فى موضع آخر اراده الله تعالى من دار الكرامة فتكون جهنم موبقا بين هؤلاء الكفار وبين الملائكة وعيسى عليهم السلام ﴿**قوله** او عداوة هى فى شدتها هلاك﴾ على ان يكون الموبق مصدرا وعبر عن العداوة بالهلاك اما على طريق التوصيف بالمصدر للمبالغة فى استلزامها الهلاك واما على المجاز باعتبار ما يؤول اليه كأنه قيل جعلنا بينهم عداوة تجرهم وتؤديهم الى الهلاك والتلف كقوله * ولا بغضك تلفا * اى ولايكن بغضك بحيث يجر الى التلف والهلاك والكلف من كلفت بهذا الامر اى اولعت به وهو اشد الحب ونهاية الكلف الولوع بالشئ مع شغل قلب ومشقة ومنه قول عمر رضى الله عنه وعثمان كلف باقاربه اى شديد الحب لهم

قوله وقيل البين الوصل فلا يكون ظرفا بل يكون مفعولا اوّلا لجعلنا ويكون موبقا مفعولا ثانيا وان جعل ظرفا يكون موبقا مفعولا اوّلا لجعل ويكون الظرف المقدّم مفعولا ثانيا له ويجوز ان يكون جعلنا بمعنى خلقنا فيتعدّى الى واحد وتعلق الظرف حينئذ بالجعل او بمحذوف على انه حال من موبقا **قوله مخالطوها** فسر المواقعة بالمخالطة لان مخالطة الشئ لغيره اذا كانت قوية تامة يقال لها مواقعة **قوله من كل جنس يحتاجون اليه** لما كان لفظ المثل فى اصل اللغة بمعنى الشبه وفى عرف الناس بمعنى المثل السائر المشبه مضربه بمورده ويطلق مجازا على كل حالة غريبة وصفة عجيبة وقصة بديعة تشبيها بالمثل السائر فى الغرابة والمثل الذى تكرّر تقريره فى القرءآن بوجوه مختلفة ليس المثل باحد هذه المعانى بل الذى تكرّر فيه هو تقرير دلائل الوحدانية والنبوّة وتحقيق احوال البعث والقيامة وبيان الاحكام والوعد والوعيد والقصص والامثال وهذه الامور ليست من قبيل المثل المفسر باحد التفاسير المذكورة الا انها لما كانت امورا مهمة يحتاج الانسان الى بيانها اشدّ الاحتياج صح اطلاق لفظ المثل عليها تشبيها لها بالمثل السائر فلذلك قال المصنف فى تفسير الآية من كل جنس يحتاجون اليه والظاهر ان مفعول صرّفنا محذوف وقوله تعالى من كل مثل صفة لذلك المحذوف والمعنى ولقد صرّفنا فى هذا القرءآن للناس معنى من كل جنس يحتاجون اليه ويجوز ان يكون من كل مثل هو المفعول على ان تكون كلمة من زآئدة على رأى الاخفش والكوفيين وشئ فى قوله تعالى اكثر شئ جدلا وضع موضع الاشياء التى يتأتى منها الجدل اى افضلها واحدا واحدا والمعنى ان الانسان اكثر شئ جدلا من كل شئ يجادل والتفضيل مستفاد من اضافة افعل التفضيل الى النكرة فانه اذا اضيف الى النكرة المفردة واريد بيان كون صاحب افعل زآئدا على ما اضيف اليه فى المعنى المدلول عليه بالمصدر الذى اشتق منه افعل التفضيل يجب ان يكون المفضل داخلا فيمن اضيف اليهم فردا منهم ليحصل المقصود من الشركة والزيادة فاذا اضيف الى النكرة المفردة نحو زيد افضل رجل واكثر شئ جدلا يجب ان تكون النكرة بمعنى الجنس المتناول للفضل وامثاله ليكون المفضل بعضا منهم ومشاركا معهم فى اصل الفعل وزآئدا عليهم فيه فاذا قيل زيد افضل رجل وهما افضل رجلين وهم افضل رجال كان معناه زيد افضل من كل رجل وهما افضل من كل رجلين قيس فضلهما بفضلهما وذكر فى شرح الرضى فى بحث الاضافة ومذهب سيبويه ان اضافة افعل التفضيل حقيقية مطلقا وذلك انه فى حال الاضافة على ضربين احدهما ان يكون بعض المضاف اليه فيدخل فيه اى فيما اضيف اليه والمعنى انّ صاحبه مفضل فى المعنى الذى وضع له المصدر المشتق هو منه على كل واحد مما بقى منهم بعده من اجزآء المضاف اليه فان زيدا فى قولك زيد اظرف الناس مفضل فى الظرافة على كل واحد ممن بقى منهم بعده ولا يلزم منه تفضيل الشئ على نفسه لانك لم تفضله على جميع اجزآء المضاف اليه بل على مابقى من المضاف اليه بعد خروج هذا المفضل منه فالاضافة فى هذا المعنى بتقدير اللام كما فى قولك بعض القوم وثلثهم وجزؤهم واحدهم فاذا كانت اضافته بهذا المعنى كاضافة بعض القوم يكون بتقدير اللام مثله فيكون بعضه بدليل قوله تعالى فتبارك الله احسن الخالقين وثانيهما ان يكون صاحب افعل مفضلا على جميع افراد نوعه مطلقا ثم تضيفه الى شئ للتخصيص سوآء كان ذلك الشئ مشتملا على امثال المفضل نحو زيد افضل اخوته اولم يكن نحو زيد افضل بغداد اى افضل افراد نوع الانسان وله اختصاص ببغداد فالاضافة اليه لاجل التخصيص كما فى غلام زيد ومصارع مصر لا لتفضيله على اجزآء المضاف اليه فهذه الاضافة لاجل التخصيص حقيقية اتفاقا بمعنى اللام ثم تقول افعل بالمعنى الاوّل اما ان تضيفه الى المعرفة او النكرة فان اضفته الى المعرفة لم يجز ان تكون مفردة نحو افضل الرجل وافضل زيد اذ لا يمكن كونه بعض المضاف اليه بل اذا كان ذلك الواحد من اسماء الاجناس التى يقع لفظ مفردها على القليل والكثير نحو البرنىّ اطيب التمر جاز والرجل ليس جنسا بهذا المعنى فتقول زيد افضل الرجلين اى احدهما المفضل على الآخر وافضل الرجال اى احدهم المفضل على كل واحد من الباقين واما اذا اضفته الى النكرة فتجوز اضافته الى الواحد والمثنى والمجموع نحو زيد افضل رجل والزيدان افضل رجلين والزيدون افضل رجال اى احدهم فيتطابق صاحب افعل والمضاف اليه افرادا وتثنية وجمعا وانما جاز اىّ رجل هو واىّ رجلين هما واىّ رجال هم مع ان المجرور فى جميعها ليس فى الظاهر جملة معينة لكون المضاف بعضا منها لان المراد بكل واحد من هذه المجرورات الجنس المستغرق المجتمع من المسئول ومن امثاله فيكون فى الحقيقة منقسما الى المسئول وامثاله فمعنى اىّ رجل اىّ قسم من اقسام الرجال

وقيل البين الوصل اى جعلنا تواصلهم فى الدنيا هلاكا يوم القيامة (ورأى المجرمون النار فظنوا) فأيقنوا (انهم مواقعوها) مخالطوها واقعون فيها (ولم يجدوا عنها مصرفا) انصرافا اومكانا ينصرفون اليه (ولقد صرّفنا فى هذا القرءآن للناس من كل مثل) من كل جنس يحتاجون اليه (وكان الانسان اكثر شئ) يتأتى منه الجدل

(جدلا) خصومة بالباطل وانتصابه على التمييز (ومامنع الناس ان يؤمنوا) من الايمان (اذجاءهم الهدى) وهو الرسول الداعى والقرآن المبين (ويستغفروا ربهم) ومن الاستغفار من الذنوب (الاان تأتيهم سنة الاوّلين) الاطلب اوانتظار اوتقدير ان تأتيهم سنة الاوّلين وهو الاستئصال فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه (اويأتيهم العذاب) عذاب الآخرة (قبلا) عيانا وقرأ الكوفيون قبلا بضمتين وهو لغة فيه اوجمع قبيل بمعنى انواع وقرئ بفتحتين وهو ايضالغة يقال لقيته مقابلة وقبلا وقبلا وقبلا وقبليا وانتصابه على الحال من الضمير او العذاب (ومانرسل المرسلين الامبشرين ومنذرين) للمؤمنين والكافرين (ويجادل الذين كفروا بالباطل) باقتراح الآيات بعدظهور المعجزات والسؤال عن قصة اصحاب الكهف ونحوها تعنتا (ليدحضوا به) ليزيلوا بالجدال (الحق) عن مقره ويبطلوه من ادحاض القدم وهو ازلاقها وذلك قولهم للرسل ماانتم الابشر مثلنا ولوشاءالله لأنزل ملائكة ونحو ذلك (واتخذوا آياتى) يعنى القرآن (وماانذروا) وانذارهم او والذى انذروا به من العقاب (هزوًا) استهزاء وقرئ هزأ بالسكون وهو مايستهزأ به على التقديرين (ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه) بالقرآن (فاعرض عنها) فلم يتدبرها ولم يتذكر بها (ونسى ماقدمت يداه) من الكفر والمعاصى ولم يتفكر فى عاقبتها (اناجعلنا على قلوبهم اكنة) تعليل لاعراضهم ونسيانهم بانهم مطبوع على قلوبهم (ان يفقهوه) كراهة ان يفقهوه وتذكير الضمير وافراده للمعنى (وفى آذانهم وقرا) يمنعهم ان يستمعوه حق استماعه (وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا) تحقيقا ولا تقليدا لانهم لايفقهون ولايسمعون واذا كما عرفت جزاء وجواب للرسول صلى الله عليه وسلم على تقدير قوله مالى لاادعوهم فان حرصه على اسلامهم يدل عليه (وربك الغفور) البليغ المغفرة (ذو الرحمة) الموصوف بالرحمة (لويؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب) استشهاد على ذلك بامهال قريش مع افراطهم فى عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم (بل لهم موعد) وهو يوم بدر اويوم القيامة (لن يجدوا من دونه موئلا) منجى ولاملجأ يقال وأل اذانجا ووأل اليه اذالجأ اليه (وتلك القرى) يعنى قرى عاد وثمود واضرابهم وتلك مبتدأ خبره (اهلكناهم) اومفعول مضمر مفسر به والقرى صفته ولابدّ من تقدير مضاف فى احدهما ليكون مرجع الضمائر (لما ظلموا) كقريش بالتكذيب والمرآء وانواع المعاصى (وجعلنا لمهلكهم موعدا) لاهلاكهم وقتامعلوما لايستأخرون عنه ساعة ولايستقدمون فليعتبروا بهم ولايغترّوا (ارتحل) بتأخير العذاب عنهم وقرأ ابوبكر لمهلكهم بفتح الميم واللام اى لهلاكهم وحفص بكسر اللام حملا على ماشذ من مصادر يفعل كالمرجع والمحيض (واذقال موسى) مقدر باذكر

اذاقسموا رجلا رجلا واىّ رجلين اى اىّ قسم من اقسام هذا الجنس اذا قسم رجلين رجلين وكذا يجوز زيد افضل رجل اى افضل اقسام هذا الجنس اذا قسم رجلا رجلا الى هنا كلام الرضى رحمه الله تعالى ﴿قوله خصومة بالباطل﴾ فان القرآن الكريم قدكر الله فيه تقرير جميع مايحتاج اليه الانسان فى كل واحدة من النشأتين بوجوه مختلفة واساليب عجيبة يتحير الناظرون فيها بالتأمل والاستبصار من اجل فضل الله تعالى ورحمته لعباده ومع هذا فانهم لايتدبرون دلائله ومافيه من الهدى والبيان لكونهم مجبولين على المجادلة والمخاصمة والعناد وبها يقطعون الطريق على انفسهم فتارة يجادلون مع الانبياء ولايقبلونهم بالنبوّة والرسالة ويقاتلونهم وتارة يجادلون فى الكتب المنزلة ويقولون ماانزل الله على بشر من شئ وتارة يجادلون فى متشابهاتها وتارة فى ناسخها ومنسوخها وتارة فى قدمها وحدوثها ونحو ذلك ولو تفرّغوا من المجادلة الى المعادلة والمجاهدة ومن المنازعة الى التعليم والمطاوعة لامتلأت قلوبهم بنور المعرفة والهداية وتوصلوا بذلك الى عز الدارين وكان الانسان ظلوما جهولا ﴿قوله من الايمان﴾ اورد كلمة من لتوضيح المعنى ولاضرورة الى تقديرها لان منع قديتعدّى الى مفعوله الثانى بنفسه تقول اعطيته مالاومنعته شرّافان قوله ان يؤمنوا منصوب المحل على انه مفعول ثان لمنع وقوله الاان تأتيهم مرفوع المحل على الفاعلية واذ ظرف لمنع ﴿قوله وهو الاستئصال﴾ اى سنة الله تعالى فى المصرّين على الكفر والعناد بعد قيام الحجة وظهور الآيات ان يعذبوا بعذاب الاستئصال وذلك لم يتحقق بعد فى حقهم حتى يجعل مانعا من ايمانهم فوجب تقدير المضاف اذهم لايجعلون ايمانهم موقوفا على نزول عذاب الاستئصال اوعذاب الآخرة لان العاقل لايرضى بحصول هذين الامرين الا انه قيل فى حقهم انهم يزعمون ان الايمان متوقف على نزول احد الامرين وقدعدم حصول الموقوف عليه تشبيها لحالهم بحال من يعتقد توقف الايمان على احدهما ويترقب نزوله من عنده ومحصول المعنى لم يمنع الناس من الايمان الاالتعنت والعناد لانه قد ظهر لهم من الحجج والآيات مالولم يعاندوا ولا كابروا الزمهم الايمان بها والتصديق لكن الذى منعهم من الايمان ماذكر من عنادهم وقيل معنى الآية مامنع كفار مكة من الايمان بعد قيام البرهان الا انى قدّرت فى حقهم ماهو سنتى فيمن قبلهم من المكذبين من التعذيب فتكون الآية نازلة فيمن قتل من المشركين يوم بدر ﴿قوله وهو لغة فيه﴾ الجوهرى رأيته قبلا وقبلا بالضم اى مقابلة وعيانا ورأيته قبلا بكسر القاف اى عيانا والقبيل الكفيل والجماعة من الثلاثة فصاعدا من قوم شتى مثل الروم والزنج والعرب والجمع قبل وقوله تعالى وحشرنا عليهم كل شئ قبلا قال الاخفش اى قبيلا وقال الحسن عيانا ﴿قوله استهزآء﴾ من قبيل التوصيف بالمصدر للمبالغة والافالقرآن وانذارهم العقاب المنذر به ليس شئ منهما استهزآء فانما بالمستهزئين * الجوهرى الهزؤ والهزؤ السخرية تقول هزئت منه وهزئت به واستهزأت به والهزأة بالتحريك من يهزأ بالناس ﴿قوله على تقدير قوله مالى لاادعوهم﴾ متعلق بقوله وجواب وقوله فان حرصه على اسلامهم بيان لمايدل على المقدّر يعنى ان الجملة الشرطية جواب لقوله عليه الصلاة والسلام المدلول عليه بماهو عليه من حرصه على اسلامهم فانه عليه الصلاة والسلام لما قيل له انا جعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفى آذانهم وقرأفهم منه انه قيل له انهم مأوفوا القلوب والآذان فأعرض عنهم واترك دعوتهم فنزل لكمال حرصه على اسلامهم منزلة من يسأل ويقول مالى لاادعوهم وقدبعثت للدعوة فاجيب عن هذا السؤال المقدّر بانك ان تدعهم الى الهدى فلن يتأثروا بدعوتك اذا اى فى تلك الحال وهى كونهم مطبوعا على قلوبهم وآذانهم ولما اشتمل الجواب على الشرط الذى هو سبب كان مابعد اذا جزآء مسببا عنه فصح ان اذا جواب وجزآء ﴿قوله ولابدّ من تقدير مضاف فى احدهما﴾ اى اما فى تلك او فى القرى اى اهل تلك القرى اوتلك اصحاب القرى ﴿قوله لاهلاكهم﴾ اشارة الى ان المهلك بضم الميم وفتح اللام على وزن اسم المفعول مصدر اهلك ومن قرأه بفتحتين جعله مصدرا ميميا من الثلاثى على القياس ﴿قوله مقدر باذكر﴾ عطف على قوله تعالى واذقلنا للملائكة اى واذكر يامحمد لهؤلاء المشركين المنكرين على فقرآء المسلمين قصة موسى عليه الصلاة والسلام وتواضعه للذى ذهب اليه يتعلم منه وفيه تقريعهم على تكبرهم ومدح المؤمنين على تواضعهم وفيه ايضا تعريف اهل الكتاب والمشركين ان اخفاء اصحاب الكهف وذى القرنين عن محمد صلى الله عليه وسلم وتأخر الوحى عنه لايدل على انه ليس بنبىّ فان موسى عليه الصلاة والسلام كان نبيا اصطفاه الله تعالى بكلامه وبانزال التوراة عليه ثم ذهب يتعلم من العلم ماعلمه غيره واىّ بعد فى ان يكون العالم الكامل فى اكثر العلوم يجهل بعض الاشياء فيحتاج فى تعلمها الى من دونه فلذلك

ارتحل موسى عليه الصلاة والسلام الى الخضر وقال له هل اتبعك على ان تعلمنى مما علمت رشدا فظهر ان هذه القصة مع كونها قصة مستقلة فى نفسها فهى نافعة فى تقرير المقصود من القصتين المتقدمتين ﴿قوله وقوله حتى ابلغ﴾ مجرور بالعطف على المجرور بالاضافة فى قوله لدلالة حاله وقوله عليه اى على الخبر متعلق بالدلالة وتوضيح المقام ان لا ابرح يجوز ان يكون من الافعال الناقصة المستدعية خبرا منصوبا من قولهم لا ابرح افعل ذلك اى لا ازال افعله من زال يزال وان يكون من الافعال التامة الغير المحتاجة الى الخبر من قولهم برح مكانه اى زال عنه وصار الى البراح وهو المتسع من الارض لازرع فيه ولا شجر من زال يزول زوالا وأزاله غيره فذكر المصنف اوّلا انه من الافعال الناقصة لكن حذف خبره لان الحال والكلام يدلان عليه معا اما الحال فلانها كانت حال سفر واما الكلام فلان قوله حتى ابلغ مجمع البحرين غاية مضروبة تستدعى ما هى غاية له فلابدّ ان يكون المعنى لا ابرح ولا ازال اسير واسافر حتى ابلغ ثم ذكر وجها آخر لكونه من الافعال الناقصة وهو ان فى الكلام حذف مضاف تقديره لايبرح مسيرى ثم حذف المضاف واقيم ياء المتكلم مقامه فانقلبت مرفوعة مستترة بعد ان كانت مجرورة المحل بارزة وكذا انقلب الفعل من لفظ الغائب الى لفظ المتكلم وبقى حتى ابلغ هو الخبر وفيه بحث وهو ان هذه الجملة خالية عن ضمير يربطها ويعود الى قوله مسيرى فكيف تكون هذه الجملة خبرا عن مسيرى فى الاصل والضمير الذى فيها يعود الى ضمير المتكلم الذى اضيف اليه المسير وذلك لايكتفى به رابطا الا ان يقال العائد محذوف تقديره حتى ابلغ به اى بمسيرى او يقال جعلها خبرا على طريق التوسع والمسامحة اقامة لما هو غاية للخبر مقام الخبر والتقدير لايبرح مسيرى حاصلا او مستمرّا حتى ابلغ وفرقه من الوجه الاوّل مع اشتراك الوجهين فى حذف الخبر أنّ حذف الخبر فى الوجه الثانى متفرّع على حذف المضاف من الاسم بخلاف الوجه الاوّل فهما متغايران فى التخريج النحوىّ وان اتحدا فى الاحتياج الى حذف الخبر ثم ذكر وجها آخر وهو ان يكون لا ابرح بمعنى لا ازول على حذف الصلة اى لا ازول عما انا عليه من المسير ولا افارقه ولا اتركه حتى ابلغ وعلى هذا الوجه وان لم يحذف الخبر لكن حذف المفعول الغير الصريح فالحذف لابدّ منه على كل واحد من التقديرين ﴿قوله وعد لقاء الخضر فيه﴾ روى ان موسى عليه الصلاة والسلام سأل ربه اىّ عبادك احب اليك قال الذى يذكرنى ولا ينسانى قال فاىّ عبادك اقضى قال الذى يقضى ولا يتبع الهوى قال فاىّ عبادك اعلم قال الذى يبتغى علم الناس الى علمه عسى ان يصيب كلمة تدله على هدى او تردّه عن ردى فقال موسى ان كان فى عبادك من هو اعلم منى فادللنى عليه فقال اعلم منك الخضر قال اين اطلبه قال على الساحل عند الصخرة قال كيف لى به قال تأخذ حوتا فى مكتل فحيث فقدته فهو هناك فقال لفتاه اذا فقدت الحوت فأخبرنى فذهبا يمشيان حتى بلغا مجمع بينهما فرقد موسى فاضطرب الحوت عند الصخرة فطفر الى البحر وسار وقيل ان يوشع توضأ فى ذلك المكان من عين تسمى ماء الحياة لايصيب ذلك الماء شيأ الا يحيى فانتضح الماء على الحوت المالح فعاش ووثب فى الماء وقيل انفجر هناك عين من الجنة ووصلت قطرات من تلك العين الى السمكة وهى فى المكتل فاضطربت وعاشت فوثبت فى البحر والحاصل انه تعالى بين لموسى عليه الصلاة والسلام ان هذا العالم موضعه مجمع البحرين وما عين له موضعا بعينه لكن جعل انقلاب الحوت حيا علامة دالة على مسكنه المعين ﴿قوله والمعنى حتى يقع اما بلوغ المجمع او مضىّ الحقب﴾ حقبا منصوب على الظرفية ﴿قوله او حتى ابلغ الا ان﴾ يعنى ان كلمة او بمعنى الا ان اى لا ازال اسير حتى ابلغ مجمع البحرين الا ان امضى زمانا اتيقن معه فوات مجمع البحرين ﴿قوله فاعجب بها﴾ اى استحسن تلك الخطبة لبلاغتها واشتمالها على المعارف والعلوم الكثيرة من قولهم اعجبنى هذا الشئ لحسنه ﴿قوله وكان على مقدمة ذى القرنين الاكبر﴾ وهو من اولاد سام بن نوح لقى ابراهيم عليه الصلاة والسلام فطاف الدنيا والخضر على مقدمته وسدّ يأجوج ومأجوج وبنى الاسكندرية واما ذو القرنين الاصغر فهو اليونانى الذى قتل دارى وسلب ملكه وتزوّج ابنته واجتمع له ملك الروم وفارس وطاف الدنيا وبلغ الظلمات وقال الامام اختلف الناس فى ان ذا القرنين من هو وذكروا اقوالا الاوّل انه هو الاسكندر بن فيلبوس اليونانى قالوا والدليل عليه ان القرآن دل على ان الرجل المسمى بذى القرنين بلغ ملكه الى المغرب بدليل قوله تعالى حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب فى عين حمئة وايضا بلغ ملكه اقصى المشرق وان يأجوج ومأجوج قوم من الترك يسكنون فى اقصى الشمال بدليل ان السدّ المذكور فى القرآن يقال فى كتب التاريخ انه مبنى فى اقصى

(لفتاه) يوشع بن نون بن افرآئيم بن يوسف عليهم الصلاة والسلام فانه كان يخدمه ويتبعه ولذلك سماه فتاه وقيل لعبده (لا ابرح) اى لا ازال اسير فحذف الخبر لدلالة حاله وهو السفر وقوله (حتى ابلغ مجمع البحرين) من حيث انها تستدعى ذا غاية عليه ويجوز ان يكون اصله لايبرح مسيرى حتى ابلغ على ان حتى ابلغ هو الخبر فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فانقلب الضمير والفعل وان يكون لا ابرح بمعنى لا ازول عما انا عليه من السير والطلب ولا افارقه فلايستدعى الخبر ومجمع البحرين ملتقى بحرى فارس والروم مما يلى المشرق وعد لقاء الخضر فيه وقيل البحران موسى والخضر عليهما الصلاة والسلام فان موسى كان بحر علم الظاهر والخضر كان بحر علم الباطن وقرئ مجمع بكسر الميم على الشذوذ من يفعل كالمشرق والمطلع (او أمضى حقبا) او اسير زمانا طويلا والمعنى حتى يقع اما بلوغ المجمع او مضىّ الحقب او حتى ابلغ الا ان امضى زمانا اتيقن معه فوات المجمع والحقب الدهر وقيل ثمانون سنة وقيل سبعون روى ان موسى عليه السلام خطب الناس بعد هلاك القبط ودخوله مصر خطبة بليغة فاعجب بها فقيل له هل تعلم احدا اعلم منك فقال لا فاوحى الله اليه بل عبدنا الخضر وهو بمجمع البحرين وكان الخضر فى ايام افريدون وكان على مقدمة ذى القرنين الاكبر وبقى الى ايام موسى وقيل ان موسى عليه السلام سأل ربه اىّ عبادك احب اليك قال الذى يذكرنى ولا ينسانى قال فاىّ عبادك اقضى قال الذى يقضى بالحق ولا يتبع الهوى قال فاىّ عبادك اعلم قال الذى يبتغى علم الناس الى علمه عسى ان يصيب كلمة تدله على هدى او تردّه عن ردى فقال ان كان فى عبادك اعلم منى فادللنى عليه قال اعلم منك الخضر قال اين اطلبه قال على الساحل عند الصخرة قال كيف لى به قال تأخذ حوتا فى مكتل فحيث فقدته فهو هناك فقال لفتاه اذا فقدت الحوت فأخبرنى فذهبا يمشيان

الشمال فهذا المسمى بذى القرنين قددل القرآن على ان ملكه بلغ اقصى المشرق والمغرب والشمال وهذا هو تمام القدر المعمور من الارض ومثل هذا الملك البسيط لاشك انه على خلاف العادات وما كان كذلك وجب ان يبقى ذكره مخلدا على وجه الدهر وان لايبقى مستترا والملك الذى اشتهر فى كتب التواريخ انه بلغ ملكه الى هذا الحد ليس الا الاسكندر وذلك انه لما مات ابوه فيلبوس جمع ملوك الروم بعدأن كانوا طغاة ثم جمع ملوك الغرب وقهرهم وامعن حتى انتهى الى البحر الاخضر ثم عاد الى مصر فبنى الاسكندرية وسماها باسم نفسه ثم دخل الشام وقصد بنى اسرآئيل وورد بيت المقدس وذبح فى مذابحهم ثم انعطف الى ارمينية وباب الابواب ودانت له العراقيون والقبط والبربر ثم توجه الى دارى بن دارى وهزمه مرّات الى ان قتله صاحب حرسه فاستولى الاسكندر على ممالك الفرس ثم قصد الى الهند والصين وغزا الامم البعيدة ورجع الى خراسان وبنى المدآئن الكثيرة ورجع الى العراق ومرض بشهرزور ومات بها فلما ثبت بالقرآن ان ذا القرنين كان رجلا ملك الارض بالكلية او مايقرب منها وثبت بعلم التواريخ ان الذى هذا شأنه ما كان الا الاسكندر وجب القطع بان المراد بذى القرنين هو الاسكندر بن فيلبوس اليونانى * ثم قال الامام الا ان فيه اشكالا قويا وهو انه كان تلميذ ارسطاطاليس الحكيم وهو على مذهبه فتعظيم الله تعالى اياه يوجب الحكم بان مذهب ارسطاطاليس حق وصدق وذلك مما لاسبيل اليه * واجيب عنه بما روى من ان الخضر كان على مقدمة ذى القرنين فدعاه الخضر عليه السلام الى الاسلام فاسلم وكان على ملة الخليل عليه الصلاة والسلام وقد استوزره فلم يقبل منه وانقطع بسببه وبهذا يندفع الاشكال المذكور ان صح والله اعلم وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال كان الخضر ابن ملك من الملوك فاراد ابوه ان يستخلفه من بعده فلم يقبل وهرب منه ولحق بجزآئر البحر فطلبه ابوه فلم يقدر عليه ﴿قوله اى مجمع البحرين﴾ يعنى ان ضمير بينهما البحرين وان حق الاجتماع ان يضاف الى البحرين لا الى البين وانما اضيف الى البين توسعا قال الامام اجمع المفسرون على ان المعنى انطلقا الى ان بلغا مجمع البحرين بارجاع ضمير بينهما الى البحرين ويحتمل ان يرجع الى موسى والخضر عليهما السلام ويكون المعنى ولما بلغا الموضع الذى هو مجمع موسى وصاحبه الذى كان يقصده لان ذلك الموضع الذى وقع فيه نسيان الحوت هو الموضع الذى كان الخضر يسكن فيه او يسكن بقربه والظاهر ان لفظ البحرين على هذا الاحتمال باق على اصل معناه لا كما قيل من ان البحرين موسى والخضر عليهما السلام ﴿قوله نسى موسى ان يطلبه ويتعرّف حاله﴾ قيل النسيان فعل يوشع وحده والكلام على حذف المضاف اى نسى احدهما كقوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان والمصنف لم يرض به بل جعل النسيان مسندا اليهما على معنى نسيا امر الحوت نسى موسى ان يتعرّف حاله ونسى يوشع ان يذكر لموسى ماشاهد من الحوت وهو اضطرابه ووثبته فى البحر ذاهبا فيه وقدر المضاف ومن المعلوم ان ليس المراد من نسيان الحوت نسيان ذاته بل نسيان حاله قيل انهما خرجا من الشام وذهبا نحو أرمينية فانتهيا الى الصخرة التى قيل لموسى انك تجد عندها العبد الصالح الذى تطلبه فلما انتهيا اليها وضع موسى عليه الصلاة والسلام رأسه فنام فاضطرب الحوت ووثب فى البحر وشاهده يوشع ورآه ولم يره موسى ونسى يوشع ان يذكر امره لموسى وتوضيح الفرق بين قوله نسى موسى ان يطلبه وبين قوله وقيل نسيا تفقد امره الخ يتوقف على بيان مقدمة وهى انه تعالى بين لموسى عليه الصلاة والسلام ان موضع الخضر بمجمع البحرين ثم ان ذلك المجمع لما كان متسعا عريضا لايتعين ان موضع ملاقاة الخضر من ذلك المكان المتسع اىّ موضع هو جعل فقدان الحوت المشوىّ علامة دالة على الظفر بالمطلوب وتعيين مكانه من بين ذلك المكان المتسع الذى عبر عنه بمجمع البحرين فلما بلغا ذلك المجمع الذى يتعين به مكان الخضر بنوع تعين كان على موسى عليه الصلاة والسلام ان يطلب مابه يتعين خصوص مسكنه ويتعرّف حاله هل هو باق فى المكتل او مفقود ذاهب وكان على يوشع ان يذكر له مارأى من حاله فنسى كل واحد منهما ماهو اللائق بحاله وارتحلا من ذلك الموضع من غير ان يطلب موسى عليه الصلاة والسلام الحوت ويتعرّف حاله ومن غير ان يذكر يوشع مارأى من حياة الحوت ودخوله البحر وهذا مااختاره المصنف وذكره بقوله نسى موسى ان يطلبه الخ ولم يرض بقول من قال ان مانسيه كل واحد منهما امر واحد وهو تفقد مايكون امارة على الظفر بالمطلوب من احوال الحوت لان هذا هو الذى نسيه موسى واما يوشع فقد شاهد من الحوت هذه الامارة وانما نسى ان يذكرها لموسى ﴿قوله مسلكا﴾ على ان السرب مصدر كالطلب اريد به الموضع والمذهب يسرب فيه اى يسلك ويذهب فيه من قولهم سرب اى ذهب على

(فلما بلغا مجمع بينهما) اى مجمع البحرين وبينهما ظرف اضيف اليه على الاتساع او بمعنى الوصل (نسيا حوتهما) نسى موسى ان يطلبه ويتعرّف حاله ويوشع ان يذكر له مارأى من حياته ووقوعه فى البحر روى ان موسى رقد فاضطرب الحوت المشوىّ ووثب فى البحر معجزة لموسى او الخضر وقيل توضأ يوشع من عين الحياة فانتضح الماء عليه فعاش ووثب فى الماء وقيل نسيا تفقدا امره ومايكون منه امارة على الظفر بالمطلوب (فاتخذ سبيله فى البحر سربا) فاتخذ الحوت طريقه فى البحر مسلكا من قوله وسارب بالنهار وقيل امسك الله جرية الماء على الحوت فصار كالطاق عليه ونصبه على المفعول الثانى وفى البحر حال منه او من السبيل ويجوز تعلقه باتخذ (فلما جاوزا) مجمع البحرين

(قال لفتاه آتنا غداءنا) ما نتغدى به (لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا) قيل لم ينصب حتى جاوز الموعد فلما جاوزه وسار الليلة والغد الى الظهر القى عليه الجوع والنصب
وقيل لم يعى موسى فى سفر غيره ويؤيده التقييد باسم الاشارة (قال أرأيت اذ أوينا) أرأيت ما دهانى اذ أوينا (الى الصخرة) يعنى الصخرة التى رقد عندها موسى وقيل هى الصخرة
التى دون نهر الزيت (فانى نسيت الحوت) فقدته او نسيت ذكره بما رأيت منه (وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره) اى وما انسانى ذكره الا الشيطان فان أن أذكره
بدل من الضمير وقرئ ان اذكره وهو اعتذار عن نسيانه بشغل الشيطان له بوساوسه والحال وان كانت عجيبة لا ينسى مثلها لكنه لما ضرى

بمشاهدة امثالها عند موسى وألفها قل اهتمامه بها ولعله نسى ذلك لاستغراقه فى الاستبصار وانجذاب شراشره الى جناب القدس بما عراه من مشاهدة الآيات الباهرة وانما نسبه الى الشيطان هضما لنفسه اولان عدم احتمال القوة للجانبين واشتغالها باحدهما عن الآخر يعد من نقصان صاحبها (واتخذ سبيله فى البحر عجبا) سبيلا عجبا وهو كونه كالسرب او اتخاذا عجبا والمفعول الثانى هو الظرف وقيل هو مصدر فعله المضمر اى قال فى آخر كلامه او موسى فى جوابه عجبا تعجبا من تلك الحال وقيل الفعل لموسى اى اتخذ موسى سبيل الحوت فى البحر عجبا (قال ذلك) اى امر الحوت (ما كنا نبغ) نطلب لانه امارة المطلوب (فارتدا على آثارهما) فرجعا فى الطريق الذى جاآ فيه (قصصا) يقصان قصصا اى يتبعان آثارهما اتباعا او مقتصين حتى أتيا الصخرة (فوجدا عبدا من عبادنا) والجمهور على انه الخضر واسمه بليا بن ملكان وقيل اليسع وقيل الياس (آتيناه رحمة من عندنا) هى الوحى والنبوة (وعلمناه من لدنا علما) مما يختص بنا ولا يعلم الا بتوفيقنا وهو علم الغيوب (قال له موسى هل اتبعك على ان تعلمنى) على شرط ان تعلمنى وهو فى موضع الحال من الكاف (مما علمت رشدا) علما ذا رشد وهو اصابة الخير وقرأ البصريان بفتحتين وهما لغتان كالبخل والبخل وهو مفعول تعلمنى ومفعول علمت العائد المحذوف وكلاهما منقولان من علم الذى له مفعول واحد ويجوز ان يكون علة لاتبعك او مصدرا باضمار فعله ولا ينافى نبوته وكونه صاحب شريعة ان يتعلم من غيره ما لم يكن شرطا فى ابواب الدين فان الرسول ينبغى ان يكون اعلم ممن ارسل اليه فيما بعث به من اصول الدين وفروعه لا مطلقا وقد راعى فى ذلك غاية التواضع والادب فاستجهل نفسه واستأذن ان يكون تابعا له وسأل منه ان يرشده وينعم عليه بتعليم بعض ما انعم الله عليه (قال انك لن تستطيع معى صبرا) نفى عنه استطاعة الصبر معه على وجوه من التأكيد كأنه مما لا يصح ولا يستقيم وعلل

ذلك واعتذر عنه بقوله (وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا) اى وكيف تصبر وانت نبى على ما اتولى من امور ظواهرها مناكير وبواطنها لم يحط بها خبرك وخبرا تمييز او مصدر لان لم تحط به بمعنى لم تخبره (قال ستجدنى ان شاء الله صابرا) معك غير منكر عليك (ولا اعصى لك امرا) عطف على صابرا اى ستجدنى صابرا وغير عاص او على ستجدنى وتعليق الوعد بالمشيئة اما للتيمن او لعلمه بصعوبة الامر فان مشاهدة الفساد والصبر على خلاف المعتاد شديد بلا خلف وفيه دليل على ان افعال العباد واقعة بمشيئة الله تعالى

وجهه فى الارض والسرب ايضا بيت فى الارض لا منفذ له واذا كان له منفذ يقال له نفق * الجوهرى النفق سرب فى الارض له مخلص الى مكان فقيل ومنه السرب فى الآية روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال معنى جعل سبيله فى البحر سربا انه دخل فى البحر كما يدخل فى السرب كأن الماء ارتفع بعضه فصار كالطاق والكوة فذهب الحوت فيه فصار الماء على الحوت كالطاق وصار الحوت فى البحر كأنه فى السرب ﴿قوله ما نتغدى به﴾ الغداء ما يعد للاكل غدوة والعشاء ما يعد للاكل عشية ﴿قوله قيل لم ينصب حتى جاوز الموعد﴾ فيكون حكمة هذا الاشارة الى مسيرهما بعد المجاوزة وكان هذا المسير اتعب لهما مما سبق لان رجاء المطلوب يقرب البعيد والخيبة تبعد القريب ولهذا ورد فى الحديث ان موسى عليه الصلاة والسلام لم ينصب الا منذ جاوز الموضع الذى حده الله تعالى ﴿قوله أرأيت ما دهانى اذ أوينا﴾ يعنى ان قوله أرأيت بمعنى اخبرنى حذف مفعوله الذى هو المستخبر عنه وهو المظروف لقوله اذ أوينا وهو ظرف قوله فانى نسيت الحوت وحذف لدلالة مقام الحيرة عليه ونهر الزيت علم لنهر هناك سمى نهر الزيت لكثرة اشجار الزيت على شاطئه ﴿قوله تعالى وما انسانيه الا الشيطان﴾ قرأ حفص بضم الهاء فيه وفى قوله فى سورة الفتح عليه فى الوصل والباقون بكسرها فيهما وان اذكره فى محل النصب على انه بدل من هاء انسانيه بدل اشتمال اى انسانى ذكره ﴿قوله سبيلا عجبا﴾ على ان يكون فاعل اتخذ ضمير الحوت وسبيله اول مفعولى اتخذ وفى البحر يجوز ان يتعلق بقوله اتخذ وان يتعلق بمحذوف على انه حال من المفعول الاول او الثانى وعجبا صفة محذوف هو ثانى المفعولين ﴿قوله او اتخاذا عجبا﴾ على ان عجبا صفة محذوف هو مفعول مطلق لاتخذ وفى البحر هو المفعول الثانى ﴿قوله او موسى فى جوابه﴾ عطف على المستتر فى قال لقيام الفصل مقام التأكيد اى قال فتى موسى فى آخر كلامه عجبا اى عجبت عجبا فحكى الله تعالى ذلك او قال موسى ذلك فى جواب فتاه فحكى الله تعالى ذلك عنه وهذا الاحتمال الاخير ليس مما يعول عليه لان موسى عليه الصلاة والسلام لما قال ليوشع آتنا غداءنا اجابه بقوله أرأيت اذ أوينا الى الصخرة وهى كلمة تعجب وقال واتخذ سبيله فى البحر اى تعجب فتى موسى من ذلك فحكى الله تعالى تعجبه والارتياب فى نفسه بعيد من بلاغة التنزيل بل ينبغى ان يكون عجبا مقول فتى موسى ﴿قوله يقصان قصصا﴾ على ان قصصا مصدر منصوب بفعل مقدر من لفظه او مصدر لقوله فارتدا على آثارهما لان معناه اقتصا على آثارهما ﴿قوله او مقتصين﴾ على انه مصدر بمعنى اسم الفاعل فنصبه على الحال ﴿قوله تعالى علما﴾ مفعول ثان لعلمناه ولو كان مفعولا مطلقا لقيل تعليما وقوله من لدنا يجوز ان يتعلق بالفعل قبله او بمحذوف على انه حال من علما ﴿قوله وهو فى موضع الحال من الكاف﴾ فى اتبعك اى اتبعك باذلا لى علمك ﴿قوله او مصدرا باضمار فعله﴾ اى على ان تعلمنى وترشدنى رشدا او مما علمت وارشدت رشدا ﴿قوله فاستجهل نفسه﴾ فان قوله على ان تعلمنى اقرار منه على نفسه بالجهل وعلى استاذه بالعلم وقوله مما علمت كلمة من فيه للتبعيض فطلب تعليم بعض ما علم كأنه يقول لا اطلب منك ان تجعلنى مساويا لك فى العلم بل اطلب منك ان تفيدنى بعض ما علمت روى انه لما قال له موسى هل اتبعك على ان تعلمنى مما علمت رشدا قال له الخضر كفى بالتوراة علما وببنى اسرائيل شغلا فقال له موسى ان الله امرنى بهذا فحينئذ قال له انك لن تستطيع معى صبرا وانما قال ذلك لانه علم انه يرى امورا كثيرة منكرة بحسب الظاهر ولا يجوز للانبياء ان يصبروا على المنكرات ثم بين عذره فى ترك الصبر فقال وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا وخبرا تمييز لقوله لم تحط وهو منقول من الفاعلية اذ الاصل بما لم يحط به خبرك اى علمك ويجوز ان يكون مفعولا مطلقا من غير لفظ الفعل لان قوله لم تحط به بمعنى لم تخبر به خبرا * الجوهرى من اين خبرت هذا الامر اى من اين علمت والاسم الخبر بالضم وهو العلم بالشئ وقولهم لاخبرن خبرك اى لاعلمن خبر علمك ﴿قوله وفيه دليل على ان افعال العباد واقعة بمشيئة الله تعالى﴾ فان الصبر فى مقام التوقف واجب مأمور به فلو كان جميع ما امر الله به وأوجبه على العبد قد أراده الله تعالى لما كان لتعليق صبره بمشيئة الله فائدة فان كلمة ان تفيد الشك فقوله ستجدنى ان شاء الله معناه ستجدنى صابرا ان شاء الله كونى صابرا وهذا يقتضى وقوع الشك فى ان الله تعالى هل يريد كونه صابرا اولا وكونه مشكوكا فيه يدل على انه تعالى قد لا يريد من العبد ما اوجبه عليه وانه تعالى قد يأمر بالشئ مع انه لا يريده لا كما زعمت المعتزلة من ان الامر يستلزم الارادة ولما كان تحقق مشيئة الله تعالى غيبا لا يعلم حصولها الا اذا علمنا حصول متعلقها كان تعليق ما التزمه من الصبر بحصولها موهما لكونه غير

(قال فان اتبعتنى فلا تسألنى عن شئ) فلا تفاتحنى بالسؤال عن شئ انكرته منى و لم تعلم وجه صحته (حتى احدث لك منه ذكرا) حتى ابتدئك ببيانه و قرأ نافع و ابن عامر فلا تسألنى بالنون الثقيلة (فانطلقا) على الساحل يطلبان السفينة (حتى اذا ركبا فى السفينة خرقها) اخذ الخضر فأسا فخرق السفينة بان قلع لوحين من ألواحها (قال أخرقتها لتغرق اهلها) فان خرقها سبب لدخول الماء فيها المفضى الى غرق اهلها وقرئ لتغرّق بالتشديد للتكثير وقرأ حمزة و الكسائى ليغرق اهلها على اسناده الى الأهل (لقد جئت شيأ امرا) اتيت امرا عظيما من امر الامر اذا عظم (قال ألم اقل انك لن تستطيع معى صبرا) تذكير لما ذكره قبل (قال لاتؤاخذنى بما نسيت) بالذى نسيته اوبشئ نسيته يعنى وصيته بان لايعترض عليه او بنسيانى اياها وهو اعتذار بالنسيان اخرجه فى معرض النهى عن المؤاخذة مع قيام المانع لها وقيل اراد بالنسيان الترك اى لاتؤاخذنى بما تركت من وصيتك اول مرة وقيل انه من معاريض الكلام والمراد شئ آخر نسيه (ولا ترهقنى من امرى عسرا) ولا تغشنى عسرا من امرى بالمضايقة والمؤاخذة على المنسى فان ذلك يعسر علىّ متابعتك وعسرا مفعول ثان لترهق فانه يقال رهقه اذا غشيه وأرهقه اياه وقرئ عسرا بضمتين (فانطلقا) اى بعد ما خرجا من السفينة (حتى اذا لقيا غلاما فقتله) قيل فتل عنقه وقيل ضرب برأسه الحائط وقيل اضجعه فذبحه والفاء للدلالة على انه لما لقيه قتله من غير تروّ واستكشاف حال ولذلك (قال أقتلت نفسا زاكية بغير نفس) اى طاهرة من الذنوب وقرأ ابن كثير و نافع و ابو عمرو ورويس عن يعقوب زاكية والاوّل ابلغ وقال ابو عمرو الزاكية التى لم تذنب قط والزكية التى اذنبت ثم غفرت ولعله اختار الاوّل لذلك فانها كانت صغيرة لم تبلغ الحلم اوانه لم يرها قد اذنبت ذنبا يقتضى قتلها اوقتلت نفسا فتقاد بها نبه به على ان القتل انما يباح حدّا او قصاصا وكلا الامرين منتف ولعل تغيير النظم بان جعل خرقها جزآء واعتراض موسى عليه السلام مستأنفا وفى الثانية قتله من جملة الشرط واعتراضه جزآء لان القتل اقبح والاعتراض عليه ادخل فكان جديرا بان يجعل عمدة الكلام ولذلك فصله بقوله (لقد جئت شيأ نكرا) اى منكرا و قرأ نافع فى رواية قالون وورش وابن عامر ويعقوب و ابو بكر بضمتين (قال ألم اقل لك انك لن تستطيع معى صبرا) زاد فيه لك مكافحة بالعقاب على رفض الوصية و وسما لقلة الثبات والصبر لما تكرّر منه الاشمئزاز والاستنكار ولم يرعو بالتذكير اوّل مرّة حتى زاد فى الاستنكار ثانى مرّة (قال ان سألتك عن شئ بعدها فلا تصاحبنى) اى وان سألت صحبتك و عن يعقوب فلا تصحبنى اى فلا تجعلنى صاحبك (قد بلغت من لدنى عذرا) قد وجدت عذرا من قبلى لما خالفتك ثلاث مرّات و عن رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله اخى موسى استحيى فقال ذلك ولو لبث مع صاحبه لأبصر اعجب الاعاجيب و قرأ نافع من لدنى بتحريك النون والاكتفاء بها عن نون الدعامة كقوله * قدنى من نصر الخبيبين قدى * و ابو بكر لدنى بتحريك النون واسكان الدال اسكان الضاد من عضد (فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية) قرية انطاكية وقيل ابلة بصرة وقيل ارمينية (استطعما اهلها فابوا ان يضيفوهما) وقرئ يضيفوهما من اضافه يقال ضافه اذا نزل به ضيفا واضافه وضيفه انزله واصل التركيب للميل يقال ضاف السهم عن الغرض اذا مال (فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض) يدانى ان يسقط فاستعيرت الارادة للمشارفة كما استعير لها الهم والعزم قال * يريد الرمح صدر ابى برآء * ويعدل عن دماء بنى عقيل * وقال آخر * ان دهرا يلف شملى بجمل * لزمان يهم بالاحسان *

عازم عليه ومعلوم انه عازم على الصبر فيكون تعليق الوعد بالمشيئة اما للتيمن اولعله بصعوبة الامر لا لكونه غير عازم على الصبر كتعليق من قال انت طالق ان شاء الله فانه لايقع الطلاق ولايكون الزوج عازما على الطلاق بهذا القول والمقصود من هذا الكلام دفع مايقال من ان ماحكاه الله تعالى عن الخضر وموسى عليهما الصلاة والسلام يستلزم صدور الكذب من احدهما فان الخضر قال لموسى انك لن تستطيع معى صبرا وقال موسى ستجدنى ان شاء الله صابرا وكل واحد من هذين القولين يكذب الآخر فيلزم الحاق الكذب باحدهما وصدور الكذب من احدهما ينافى عصمة الانبياء * وتقرير الجواب انه لم يحصل صدور الكذب من واحد منهما اما من الخضر فلتحقق عدم الصبر من موسى باستخباره عما رأى من الخضر وانكره نظرا الى ظاهره واما من موسى فانه قد استثنى فى جوابه وقال ستجدنى ان شاء الله صابرا فان التعليق بالمشيئة يدفع الحنث وينافى الكذب وقيل انه من معاريض الكلام بان لايكون النسيان بمعنى الترك بل اراد به مايقابل الذكر الا انه لايراد به نسيان وصيته بل النسيان فى الجملة اذ الانسان لايخلو عن نسيان لما روى عن ابن عباس انه سمى انسانا لانه عهد اليه فنسى والتعريض خلاف التصريح وذلك يكون بان تصرّح بذكر شئ وتميل كلامك الى عرض وناحية لم تذكر كقولك ما اقبح البخل تعرّض للمخاطب انه بخيل فعلى الاوّل قد كان موسى نسى وصية الخضر حقيقة ونهاه عن المؤاخذة معتذرا بالنسيان المانع عنها وعلى الثانى لم ينس فى نفس الامر بل نهاه عن اخذه بالنسيان موهما من قبيل المعاريض او حمل النسيان على الترك لان المؤاخذة بالنسيان حقيقة مما لايصدر من النبى فلا يحتاج الى النهى عنها وجعل صورة المنهى فى الوجه الاوّل طريقا الى الاعتذار بالنسيان الناشئ عن قلة التحفظ ﴿قوله ولذلك﴾ اى ولكون القتل اقبح والاعتراض عليه ادخل فصله بقوله لقد جئت شيأ نكرا فان النكر اعظم من الامر فى القبح لان ما يشتد ويعظم من الامور لايلزم ان يكون منكرا والشئ انما يكون نكرا اذا انكرته العقول ونفرت عنه الطباع والنفوس ﴿قوله قدنى من نصر الخبيبين قدى﴾ اكتفى بتحريك الدال من قدى عن نون الوقاية والخبيبان عبدالله بن الزبير وابنه خبيب وقيل هو واخوه مصعب ومن روى الخبيبين على الجمع اراد ثلاثتهم وقرأ ابو بكر لدنى بضم الدال وتشديد النون وعن الزجاج قال اجود القرآآت تشديد النون لان اصل لدن الاسكان فاذا اضفته الى نفسك زدت نونا ليسلم سكون النون الاصلية فتقول من لدنى كما تقول منى وعنى ومن قال لدنى لم يجز له ان يقول منى وعنى بترك نون الوقاية لان لدن اسم غير متمكن فلا ضير فى تحريك آخره بخلاف من وعن فانهما حرفان والدليل على ان الاسماء يجوز فيها حذف النون قولهم قدى فى قدنى فان قد اسم غير متمكن * قال الجوهرى بعد ما ذكر ان كلمة قد حرف لاتدخل الا على الافعال واما قولهم قدك بمعنى حسبك فهو اسم وتقول قدى وقدنى ايضا بالنون على غير القياس لان هذه النون انما تزاد فى الافعال وقاية لها عن صورة الجرّ مثل ضربنى وشتمنى ﴿قوله تعالى استطعما اهلها﴾ اى سألاهم الطعام فان آخر كسب الجائع الاقدام على المسألة والاستطعام وهو امر مباح فى كل الشرآئع وربما يجب ذلك عند خوف التلف والضرر الشديد عن ابى بن كعب ان النبى صلى الله عليه وسلم قال كانوا اهل قرية لئام * قال الامام رأيت فى كتب الحكايات ان اهل تلك القرية لما سمعوا نزول هذه الآية استحيوا وجاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحمل من الذهب وقالوا يارسول الله نشترى بهذا الذهب ان تجعل الباء تاء حتى تصير القرآءة هكذا فأتوا أن يضيفوهما اى اتوا لان يضيفوهما اى اتيان اهل تلك القرية اليهما لاجل الضيافة وقالوا غرضنا منه ان يدفع عنا هذا اللؤم فامتنع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان تغيير هذه النقطة يوجب دخول الكذب فى كلام الله وذلك يوجب القدح فى الآلهية فعلمنا به ان تغيير هذه النقطة الواحدة يوجب بطلان الربوبية والعبودية ﴿قوله فاستعيرت الارادة﴾ فانها لكونها من صفات الاحياء لايوصف الجدار بها حقيقة فشبه مشارفة الجدار الى الانقضاض بالارادة بجامع الميلان بينهما فاستعيرت لها فهى استعارة تبعية ﴿قوله يلف شملى﴾ اى يجمع ماتشتت من امرى وجمل اسم محبوبته يقول ان دهرا يجمع بينى وبين محبوبتى دهر همه الاحسان لا الاساءة شبه مساعدة الزمان لاجتماعه مع محبوبته بالهم فاستعيرلها ﴿قوله وقرئ ان ينقض﴾ على بناء المفعول من النقض بمعنى الهدم يقال نقض البناء ينقضه اذا هدمه وان ينقاص من قاصه يقيصه اى كسره وتقول العرب انقاصت السن اذا انشقت طولا ﴿قوله لينتعشا﴾ اى ليتقويا ويرتفعا عن انحطاط الضرورة يقال نعشه الله اى رفعه وانتعش

العاثر اذا نهض من عثرته نفى عنه مشيئة اتخاذ الاجر على عمله تحريضا له على اخذه كأنه قال لم تشأ ذلك وقد علمت حالنا وحالهم ﴿قوله او تعريضا بانه﴾ اى بان الاشتغال باصلاح الجدار فضول اى فعل زآئد لا يهمنا الا انك لا تفعله لاخذ الاجر وليس لنا فى نفس اقامة الجدار فائدة فهى من فضول العمل ﴿قوله واتخذ افتعل من تخذ﴾ على وزن علم والظاهر انه افتعل من اخذ اصله ائتخذ ابدلت الهمزة ياء ثم ابدلت الياء تاء وادغمت فى التاء وذلك لان مادة تخذ لم يذكرها الجوهرى بل قال الاتخاذ افتعال من الاخذ الا انه ادغم بعد تليين الهمزة وابدال الياء تاء ثم لما كثر استعماله على لفظ الافتعال توهموا ان التاء اصلية فبنوا منه فعل يفعل وقالوا تخذ يتخذ وقرئ لتخذت عليه اجرا وقولهم اخت كذا يبدلون الذال تاء فيدغمونها فى التاء هذا كلامه الا ان البصريين يجعلونه من الاخذ بناء على انه لما جاء فى بعض القرآءت لتخذت دل على ان هذه اللغة واقعة فى كلام العرب وكانت التاء الاولى فى اتخذ دآئرة بين الاصالة والانقلاب عن الهمزة ولاشك ان الاولى تحمل على الاصالة فلهذا قطعوا بانه ليس من الاخذ ﴿قوله الاشارة الى الفراق الموعود﴾ فان المشار اليه لا يجب ان يكون موجودا حاضرا وقت الاشارة بل يكفى ان يكون موجودا ذهنا ويدل عليه قوله تعالى تلك الدار الآخرة وهى معدومة وقت نزول القرءآن ولما وعده موسى عليه الصلاة والسلام انه ان حدثت منه مسألة ثالثة يفارقه ولا يلح عليه فى المصاحبة فلما وقع منه الاعتراض على ترك الاجر وحل ميعاد الفراق الموعود تصور الخضر عليه السلام ذلك الفراق الموعود فاشار اليه وجعله مبتدأ واخبر عنه على طريق قولك هذا اخوك فان لفظ هذا لا يشاربه الى غير الاخ فكذا فى الآية وخص الاعتراض الثالث بكونه سبب الفراق دون الاولين لان لموسى عليه الصلاة والسلام فى السؤالين الاولين عذرا وهو كون الظاهر كان منكرا بخلاف الاعتراض الثالث فانه غير مبنى على امر منكر وانما بناه على طمعه الذى هو منكر فى نفسه فان الطمع اردى الخصال فلما انطلق موسى عليه الصلاة والسلام بما ينبئ عن الطمع قال له الخضر هذا فراق بينى وبينك وجعله سببا للفراق واصله هذا فراق بينى وبينك فاضيف المصدر الى الظرف كما يضاف الى المفعول به ﴿قوله سأنبئك بالخبر الباطن الخ﴾ اى بالحكمة التى تخفى عليك فيما توليته من الامور سميت تأويلا لكونها مرجعا ومصيرا لتلك الامور من قولهم آل الامر الى كذا اى صار اليه وتلك الحكمة خفيت على موسى لان احكام الانبياء عليهم الصلاة والسلام مبنية على الظواهر كما قال عليه الصلاة والسلام * نحن نحكم بالظواهر والله يتولى السرآئر * اى من يتولى سرآئر الامور وظواهرها هو الله تعالى والظاهر فى اموال الناس ونفوسهم ان لا يكون لغيرهم ولاية التصرف فيها من غير سبب والخضر لما تصرف فى اموال الناس ونفوسهم من غير سبب ظاهر يبيح ذلك التصرف كان ذلك التصرف منكرا فى حكم الشرع الا انه تعالى لما آتى الخضر قوة عقلية قدر بها ان يطلع على بواطن الامور ويقف على الاسرار الالهية التى هى اسباب معتبرة فى نفس الامر لما ذكر من التصرفات فعل ما فعل لتلك الاسرار الخفية والحكم الالهية فظهر بهذا تفاوت ما بين موسى والخضر عليهما السلام فى باب العلم وان مرتبة الخضر كانت فوق مرتبة موسى فيه * فان قيل ظهر مما ذكر انه تعالى خص الخضر بما علمه من العلوم اللدنية فكانت مرتبته فوق مرتبة موسى باختصاصه بتلك العلوم والاطلاع على بواطن الاشياء وحقائقها وموسى لا يعلم هذا النوع من العلوم الالهية فكان من الواجب على الخضر ان يظهر له علما يمكنه تعلمه وهذه المسائل الثلاث علوم لا يمكن تعلمها فما الفائدة فى ذكرها واظهارها * فالجواب ان العلم بالاسرار الالهية وان كان لا يمكن تعلمه بنفسه من البشر الا انه يمكن ان يتعلم طريق حصوله بتصفية الباطن وتجريد النفس وتطهير القلب من العلائق البدنية ثم ان موسى عليه السلام لما استكمل بمعرفة الشرآئع الظاهرة بعثه الله تعالى الى هذا العالم ليعلم ان كمال الانسان بان ينتقل من علوم الشريعة المبنية على الظواهر الى علوم البواطن والحقائق المبنية على التنزه عما يشغل سره عن الحق والتوجه الى جناب القدس وعالم الغيب ﴿قوله قدامهم او خلفهم﴾ اى ان لفظ ورآء من الاضداد يطلق على كل واحد من جهتى الامام والخلف قال تعالى من ورآئهم جهنم اى امامهم وقال ويذرون ورآءهم يوما ثقيلا وذلك ان ورآء وان كان ظرف مكان الا انه مأخوذ من التوارى وهو التستر والاختفاء يقال واريت الشئ اى اخفيته وتوارى هو اى تستر وكل ما غاب عنك فهو متوارى عنك وانت متوارى عنه فيصح ان يقال لكل ما غاب عنك انه ورآءك وما كان امام الشئ او قدامه اذا كان غائبا عنه لا يبعد ان يطلق عليه لفظة ورآء ولكون الورآء بمعنى القدام احتج بوروده فى القرءآن بذلك المعنى وبقرآءة ابن عباس وكان امامهم ملك وان كان الملك الغاصب فى جهة خلفهم لا بد ان يكون

او تعريضا بانه فضول لما فى لو من التنى كأنه لما رأى الحرمان ومساس الحاجة واشتغاله بما لا يعنيه لم يتمالك نفسه واتخذ افتعل من تخذ كاتبع من تبع وليس من الاخذ عند البصريين وقرأ ابن كثير والبصريان لتخذت اى لأخذت واظهر ابن كثير ويعقوب وحفص الذال وادغمه الباقون (قال هذا فراق بينى وبينك) الاشارة الى الفراق الموعود بقوله فلا تصاحبنى اوالى الاعتراض الثالث اوالوقت اى هذا الاعتراض سبب فراقنا او هذا الوقت وقته واضافة الفراق الى البين اضافة المصدر الى الظرف على الاتساع وقد قرئ على الاصل (سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا) بالخبر الباطن فيما لم تستطع الصبر عليه لكونه منكرا من حيث الظاهر (اما السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر) لمحاويج وهو دليل على ان المسكين يطلق على من يملك شيأ اذا لم يكفه وقيل سموا مساكين لعجزهم عن دفع الملك ولزمانتهم فانها كانت لعشرة اخوة خمسة زمنى وخمسة يعملون فى البحر (فاردت ان اعيبها) اجعلها ذات عيب (وكان ورآءهم ملك) قدامهم او خلفهم وكان رجوعهم عليه واسمه جلندى بن كركر وقيل منوار بن جلندى الازدى (يأخذ كل سفينة غصبا) من اصحابها وكان حق النظم ان يتأخر قوله فاردت ان اعيبها عن قوله وكان ورآءهم ملك لان ارادة التعيب مسبب عن خوف الغصب

وانما قدّم للعناية اولان السبب لما كان مجموع الامرين خوف الغصب ومسكنة الملاك رتّبه على اقوى الجزءين وأدعاهما وعقبه بالآخر على سبيل التقييد والتتميم وقرئ كل سفينة صالحة والمعنى عليها (واما الغلام فكان ابواه مؤمنين فخشينا ان يرهقهما) ان يغشاهما (طغيانا وكفرا) لنعمتهما بعقوقه فيلحقهما شرّا او يقرن بايمانهما طغيانه وكفره فيجتمع في بيت واحد مؤمنان وطاغ كافر او يعديهما بعلته فيرتدّا باضلاله او بممالأته على طغيانه وكفره حباله وانما خشى ذلك لان الله تعالى اعلمه وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان نجدة الحرورى كتب اليه كيف قتله وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن قتل الولدان فكتب اليه ان علمت من حال الولدان ماعلمه عالم موسى فلك ان تقتل وقرئ فخاف ربك اى فكره كراهة من خاف سوء عاقبته ويجوز ان يكون قوله فخشينا حكاية قول الله تعالى (فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه) ان يرزقهما بدله ولدا خيرا منه (زكاة) طهارة من الذنوب والاخلاق الرديئة (واقرب رحما) رحمة وعطفا على والديه قيل ولدت لهما جارية فتزوّجها نبيّ فولدت نبيا هدى الله به امة من الامم قرأ نافع وابو عمرو ويبدّلهما بالتشديد وابن عامر ويعقوب رحما بالتثقيل وانتصابه على التمييز والعامل اسم التفضيل وكذلك زكاة (واما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة) قيل اسمهما اصرم وصريم واسم المقتول خيسون (وكان تحته كنز لهما) من ذهب وفضة روى ذلك مرفوعا والذم على كنزهما في قوله والذين يكنزون الذهب والفضة لمن لايؤدّى زكاتهما وماتعلق بهما من الحقوق وقيل من كتب العلم وقيل كان لوحا من ذهب مكتوبا فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها لااله الاالله محمد رسول الله (وكان ابوهما صالحا) تنبيه على ان سعيه في ذلك كان لصلاحه وقيل كان بينهما وبين الاب الذى حفظا فيه سبعة آباء وكان سياحا واسمه كاشح (فاراد ربك ان يبلغا اشدّهما) اى الحلم وكمال الرأى (ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك) مرحومين من ربك ويجوز ان يكون علة اومصدرا لاراد فان ارادة الخير رحمة وقيل متعلق بمحذوف وتقديره فعلت مافعلت رحمة من ربك ولعل اسناد الارادة اوّلا الى نفسه لانه المباشر للتعييب وثانيا الى الله والى نفسه لان التبديل باهلاك الغلام وايجاد الله بدله وثالثا الى الله وحده لانه لامدخل له في بلوغ الغلامين اولان الاوّل في نفسه شرّ والثالث خير والثانى ممتزج اولاختلاف حال العارف في الالتفات الى الوسائط (وما فعلته) وما فعلت ما رأيته (عن امرى) عن رأيى وانما فعلته بامر الله عزوجل ومبنى ذلك على انه متى تعارض ضرران يجب تحمل اهونهما لدفع اعظمهما وهو اصل ممهد غيران الشرائع في تفاصيله مختلفة (ذلك تأويل مالم تسطع عليه صبرا) اى مالم تستطع فحذف التاء تخفيفا ومن فوائد هذه القصة ان لايعجب المرء بعلمه ولا يبادر الى انكار مالم

مرجع السفينة عليه حتى يكون لخرقها فائدة وقوله تعالى غصبا يحتمل ان يكون مصدرا في موضع الحال وان يكون مفعولا مطلقا لبيان نوع الاخذ نحو رجع القهقرى ﴿قوله وانما قدّم للعناية﴾ يعنى قدّم المسبب الذى هو ارادة التعييب على السبب وهو خوف الغصب مع ان حق المسبب ان يترتب على السبب ويتأخر عنه لوجهين احدهما العناية بتقديمه ووجه العناية ان موسى عليه الصلاة والسلام بنى انكاره على خرق السفينة على كون خرقها مؤدّيا الى اغراق اهلها لمن خرقها فانما يريد اغراق اهلها فكان الاهم بالنسبة الى المجيب ان يدفع مبنى انكاره فدفعه بان خرقها لارادة تعييبها لالاجل الاغراق وثانيهما ان السبب ليس مجرّد خوف غصب السفينة الصحيحة بل كون السفينة للمساكين جزؤ سبب التعييب وذكر الجزء الآخر عقيبه على سبيل التقييد لانه حال من فاعل اردت باضمار قد ﴿قوله اويقرن بايمانهما﴾ عطف على قوله فيلحقهما شرّا يعنى ان اثبات الطغيان واغشاءه اياهما يحتمل ان يكون المراد به ان يؤذيهما ويلحقهما شرّا بسبب عقوقه او ان يجمع بين كفره وايمانهما في بيت واحد يقال قرنت الشئ بالشئ اى وصلته به ويقال غشيه غشيانا اذا جاءه واغشاه اياه غيره كذا في الصحاح ﴿قوله اويعديهما بعلته﴾ عطف على ماقبله ايضا وهو من العدوى بمعنى تجاوز نحو الجرب عن صاحبه الى غيره يقال اعدى فلان فلانا من خلقه او من علة به او جرب اى يحتمل ان يكون المراد باغشائه الطغيان اياهما ان يحملهما حبه على ان يتابعاه على دينه او يرتدّا باضلاله والممالأة المساعدة يقال مالأته على الامر ممالأة اى ساعدته عليه وشايعته ﴿قوله اى كفره كراهة من خاف﴾ على ان يكون قوله فخاف استعارة تبعية متفرّعة على المجاز المرسل حيث اطلق اسم السبب وهو خوف سوء العاقبة على المسبب الذى هو الكراهة واسندت الكراهة المبنية على الخوف اليه تعالى تشبيها لكراهيته تعالى بكراهية الخائف ﴿قوله ويجوز ان يكون قوله فخشينا حكاية قول الله تعالى﴾ عطف على قوله وانما خشى ذلك والمعنى ان الله تعالى اعلمه بحال الغلام واطلعه على سرّه وقال له اقتل الغلام لانا نكره كراهة من يخاف سوء العاقبة ان يغشى الغلام والديه طغيانا وكفرا ولما قال الخضر واما الغلام فكان ابواه مؤمنين درج قول الله تعالى فخشينا في اثناء كلامه ولم يقل فخشيت ايماء الى اضمحلال ارادته في ارادة الله تعالى واعلاما بان علمه مقتبس من المشكاة القدسية ولاشوب فيه لرأيه وتحقيقا لقوله تعالى وآتيناه من لدنا كما قال جبريل عليه السلام لمريم لاهب لك غلاما والواهب هو الله تعالى وهو مبلغ لكلام الله تعالى اياها ﴿قوله وبين الاب الذى حفظا فيه﴾ اى روعى جانبهما لاجله وكرامته وفي المغرب الحفظ خلاف النسيان وقد يجعل عبارة عن الصون وترك الابتذال ﴿قوله ومبنى ذلك﴾ اى مبنى مافعله الخضر في المسائل الثلاث تحمل ادنى الضررين لدفع اعلاهما اما المسئلة الاولى فلأن الخضر علم انه لولم يعب تلك السفينة بالتخريق لغصبها ذلك الملك وفاتت منافعها على ملاكها بالكلية وان خرقها ينقص بعض ماليتها وهو اهون بالنسبة الى الضرر الاوّل فوجب تحمله دفعا لما هو اعظم منه فكذا المسئلة الثالثة لان المشقة الحاصلة بسبب الاقدام على اقامة ذلك الجدار لو سقط لضاع اولئك الايتام وفيه ضرر شديد قيل وقال الخضر لموسى عليه الصلاة والسلام حين قال له اخرقتها لتغرق اهلها قد القتك امّك في اليم فلم تغرق فلم خفت الغرق عليهم مع حفظ الله تعالى ولما قال اقتلت نفسا زاكية بغير نفس قال انك قتلت القبطى بالوكزة فلم تعاتبنى بهذا ولما قال له لوشئت لتخذت عليه اجرا قال انك سقيت لابنتى شعيب فلم تطلب لذلك اجرا فلم تأمرنى بذلك فكان له وجوه تنبيه في هذه القصة قال وهب ثم انطلق موسى والخضر حتى قعدا على الصخرة فاقبل طائر فغمس منقاره في البحر ثم اخرجه فمسحه على جناحيه فقال الخضر انه يقول ماعلم الخلق في علم الله الابقدر ما حملت بمنقارى وقال موسى للخضر حين اراد ان يفارقه اوصنى قال لاتضحك من غير عجب ولاتعير الخاطئ بخطيئته وابك على خطيئتك ولاتؤخر عمل اليوم لغد وروى ايضا ان موسى لما اراد ان يفارقه قال اوصنى قال لاتطلب العلم لتحدّث به واطلبه لتعمل به ﴿قوله يعنى اسكندر الرومى﴾ فيه نظر لان الاسكندر الرومى هو ذو القرنين الاوّل كان مؤمنا عبدا صالحا وقيل كان نبيا وقد اسلم على يدى ابراهيم عليه الصلاة والسلام وكان وزيره الخضر وهو اوّل التابعة وكانت مدّة ملكه الفي سنة لانه كان في دين الخليل الى ان ادركه سيل العرم ومابعده وكانت امّه رومية وكان يقال لها فيلسوف لعقلها وذو القرنين الثانى كان فيلسوفا حكيما مشركا كافرا وكان وزيره ارسطاطاليس الفيلسوف كذا نقل من تاريخ ابن كثير وفي تفسير الكواشي انه صلى الله عليه وسلم سئل عن ذى القرنين فقال لم يكن نبيا ولاملكا ولكن كان عبدا احب الله فاحبه الله

(وناصح)

وقيل المشرق والمغرب ولذلك سمي ذا القرنين اولانه طاف قرني الدنيا شرقها وغربها وقيل لانه انقرض في ايامه قرنان من الناس

وقيل كان له قرنان اي ضفيرتان وقيل كان لتاجه قرنان ويحتمل انه لقب بذلك لشجاعته كما يقال الكبش للشجاع كأنه ينطح اقرانه واختلف في نبوته مع الاتفاق على ايمانه وصلاحه والسائلون هم اليهود سألوه امتحانا اومشركوا مكة (قل سأتلوا عليكم منه ذكرا) خطاب للسائلين والهاء لذى القرنين وقيل لله (انا مكناله في الارض) اي مكناله امره من التصرف فيها كيف شاء فحذف المفعول (وآتيناه من كل شئ) اراده وتوجه اليه (سببا) وصلة توصله اليه من العلم والقدرة والآلة (فاتبع سببا) اي فاراد بلوغ المغرب فاتبع سببا يوصله اليه وقرأ الكوفيون وابن عامر بقطع الالف مخففة التاء (حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة) ذات حمأة من حمئت البئر اذا صارت ذات حمأة وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وابوبكر حامية اي حارة ولاتنافي بينهما لجواز ان تكون العين جامعة للوصفين اوحمية على ان ياءها مقلوبة عن الهمزة لكسرة ماقبلها ولعله بلغ ساحل المحيط فرآها كذلك اذلم يكن في مطمح بصره غيرالماء ولذلك قال وجدها تغرب ولم يقل كانت تغرب وقيل ان ابن عباس سمع معاوية يقرأ حامية فقال حمئة فبعث معاوية الى كعب الاحبار كيف تجد الشمس تغرب قال في ماء وطين كذلك نجده في التوراة (ووجد عندها) عند تلك العين (قوما) قيل كان لباسهم جلود الوحش وطعامهم مالفظه البحر وكانوا كفارا فخيره الله بين ان يعذبهم اويدعوهم الى الايمان كما حكى بقوله (قلنا ياذا القرنين اما ان تعذب) اي بالقتل على كفرهم (واما ان تتخذ فيهم حسنا) بالارشاد وتعليم الشرآئع وقيل خيره بين القتل والاسر وسماه احسانا في مقابلة القتل ويؤيد الاول قوله (قال اما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا) اي فاختار الدعوة وقال اما من دعوته فظلم نفسه بالاصرار على كفره او استمر على ظلمه الذي هو الشرك فنعذبه انا ومن معي في الدنيا بالقتل ثم يعذبه الله في الآخرة عذابا منكرا لم يعهد مثله

وناصح الله فناصحه الله واسمه عبدالله او الاسكندر من القرون الاول من ولد يونان بن يافث بن نوح او كان بعد ثمود قالوا وعاش الفا وستمائة سنة ﴿قوله قرنان من الناس﴾ الجوهري القرن من الناس اهل زمان واحد ويطلق القرن ايضا على ثمانين سنة وقيل على ثلاثين سنة وعلى مايماثلك في السن تقول هو على قرني اي على سني وعلى جانب الرأس ايضا قيل ومنه سمي ذو القرنين ذكر في اوّل هذه السورة ان اليهود امروا المشركين ان يسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قصة اصحاب الكهف وعن قصة ذي القرنين وعن الروح فالمراد من قوله ويسألونك عن ذي القرنين هو ذلك السؤال عن عقبة بن عامر قال ان نفرا من اهل الكتاب جاؤا بالصحف او الكتب فقالوا استأذن لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لندخل عليه فانصرفت اليه فاخبرته فقال عليه الصلاة والسلام مالهم يسألونني عما لااعلم انما انا عبد لاعلم لي الا ماعلمني ربي ثم قال ابغني وضوأ اتوضأ به ثم قام الى مسجد في بيته وركع ركعتين فانصرف حتى بدا السرور في وجهه ثم قال اذهب فادخلهم ومن وجدت بالباب من اصحابي فادخلهم فلما رآهم النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم ان شئتم اخبرتكم بما اردتم ان تسألوني عنه وان شئتم غير ذلك فافعلوا فهذا ان ثبت يدل على انه آتاه نبأ ذي القرنين وخبره قبل ان يسألوا عنه واما اهل التأويل فانهم قالوا جميعا انه سئل قبل ان ينزل عليه خبره ثم نزل ذلك بعد السؤال ﴿قوله وصلة﴾ اي مايتوصل به كالقربة بمعنى مايتقرب به قالوا السبب في اصل اللغة عبارة عن الحبل ثم استعير لكل مايتوصل به الى المقصود فهو يتناول العلم والقدرة والآلة فالمعنى واعطيناه من كل شئ مقاصده واغراضه والامور التي يتوصل بها الى تحصيل ذلك الشئ فانه تعالى اعطاه من كل شئ يحتاج اليه في فتح الممالك وضبطها وتدبير امرها مايتوصل به الى اسباب تحصيل ذلك المراد فاي مقصود اراده هيأ الله له مايوصله اليه فيتبعه قرأ نافع وابن كثير وابو عمرو فاتبع سببا بوصل الهمزة وتشديد التاء وكذلك ثم اتبع اي سلك وسار وقرأ الكوفيون وابن عامر فأتبع ثم أتبع في الثلاثة بقطع الهمزة وتخفيف التاء فقيل هما بمعنى واحد فيتعديان الى مفعول واحد وقيل أتبع بالقطع متعدّ الى اثنين حذف احدهما تقديره فأتبع سببا سببا ﴿قوله اوحمية﴾ عطف على قوله حارّة اي يجوز ان يكون حامية بالالف بدون الهمزة بمعنى حارّة من قولهم حمي النهار بالكسر وحمي التنّور جميعا اذا اشتدّ حرّه ويجوز ان يكون بمعنى حمئة بهمزة من غيرالف اي ذات حمأة وهي الطين الاسود على ان تكون ياء حامية مقلوبة عن الهمزة فتكون قرآءة حمئة وحامية بمعنى واحد ﴿قوله ولعله بلغ﴾ جواب سؤال مقدّر وهو ان يقال قد تقرّر ان الشمس في السماء الرابعة ولها فلك خاص يدور بها في السماء فكيف يكون غروبها في عين حمئة * وتقرير الجواب انه تعالى لم يخبر بان غروبها في الحقيقة في عين حمئة وانما اخبر بان ذا القرنين يجدها ويظن انها تغرب فيها حيث قال وجدها تغرب في عين حمئة فانه لما بلغ موضعا من المغرب لم يبق بعده شئ من العمارات وجد الشمس كأنها تغرب في هذه العين المظلمة وان لم يكن كذلك في الحقيقة اذ تغيب ورآء البحر ولاشك ان البحار الغربية قوية السخونة فهي حامية وهي ايضا حمئة لكثرة مافيها من الماء ومن الحمأة السودآء فقوله تغرب في عين حمئة اشارة الى ان الجانب الغربيّ من الارض قد احاط البحر به وهو موضع شديد السخونة قال اهل الاخبار في صفة ذلك الموضع اشياء عجيبة قال ابن جريج هناك مدينة لها اثنا عشر الف باب لولا اصوات اهلها لسمع الناس صوت الشمس حين تجزّ اسمها رومية وفي رواية لسمعوا صوت مرها في السماء كصوت المنشار في الخشب وروى ان الله تعالى خلق مدينتين احداهما بالمشرق والاخرى بالمغرب اسم الشرقية جابلق والغربية جابلص وهما اللتان يقول لهما الناس جابلقا وجابلصا وعلى كل مدينة منهما عشرة آلاف باب بين كل بابين مسيرة فرسخ يبيت كل ليلة على كل باب من هذه الابواب عشرة آلاف رجل لايعودون بعد النوبة ابدا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفس محمد بيده لولا كثرة اصوات اهل هاتين المدينتين وضجتهم لسمع اهل الدنيا سقطة الشمس حين تسقط وحين تطلع ومن ورآء هاتين المدينتين اربع امم ناسك ومنسك وهائل ويائل ومن دونها يأجوج ومأجوج وقد انطلق بي جبريل ليلة اسري بي فدعوت يأجوج ومأجوج الى الله فأبوا ان يجيبوني فهم في النار مع من عصى من ولد آدم وولد ابليس ثم انطلق بي الى اهل المدينتين فدعوتهم الى الله فأجابوني فهم اخواننا في الدين من احسن منهم فهو مع محسنكم ومن اساء منهم فهو مع مسيئكم * ﴿قوله فبالهام﴾ اي من غير واسطة وذلك يدل على انه كان غير نبيّ وحمل هذا اللفظ على ان المراد انه تعالى خاطبه على لسان بعض الانبياء عدول عن الظاهر والقول بان القول بمعنى الالهام لايخلو عن بعد فنقل الامام

(وأمّا من آمن وعمل صالحا) وهو مايقتضيه الايمان (فله) في الدارين (جزآء الحسنى) فعلته الحسنى وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب وحفص جزآء منوّنا منصوبا على الحال اى فله المثوبة الحسنى مجزيا بها او على المصدر لفعله المقدّر حالا اى يجزى بها جزآء او التمييز وقرئ منصوبا غير منوّن على ان تنوينه حذف لالتقاء الساكنين ومنوّنا مرفوعا على انه المبتدأ والحسنى بدله ويجوز ان يكون اما واما للتقسيم دون التخيير اى ليكن شأنك معهم اما التعذيب واما الاحسان فالاوّل لمن اصرّ على الكفر والثاني لمن تاب عنه ونداء الله اياه ان كان نبيا فبوحي وان كان غيره فبالهام او على لسان نبيّ (وسنقول له من امرنا) مما نأمر به (يسرا) سهلا متيسرا غير شاق وتقديره ذا يسر وقرئ بضمتين (ثم أتبع سببا) ثم اتبع طريقا يوصله الى المشرق (حتى اذا بلغ مطلع الشمس) يعني الموضع الذي تطلع الشمس عليه اوّلا من معمورة الارض وقرئ بفتح اللام على اضمار مضاف اى مكان مطلع الشمس فانه مصدر (وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها

سترا) من اللباس او البناء فان ارضهم لا تمسك الابنية او انهم اتخذوا الاسراب بدل الابنية (كذلك) اى امر ذي القرنين كما وصفناه في رفعة المكانة وبسطة الملك او امره فيهم كامره في اهل المغرب من التخيير والاختيار ويجوز ان يكون صفة مصدر محذوف لوجد او نجعل او صفة قوم اى على قوم مثل ذلك القبيل الذي تغرب عليهم الشمس في الكفر والحكم (وقد احطنا بما لديه) من الجنود والآلات والعدد والاسباب (خبرا) علما تعلق بظواهره وخفاياه والمراد ان كثرة ذلك بلغت مبلغا لا يحيط به الا علم اللطيف الخبير (ثم اتبع سببا) يعني طريقا ثالثا معترضا بين المشرق والمغرب آخذا من الجنوب الى الشمال (حتى اذا بلغ بين السدّين) بين الجبال بين المبنيّ بينهما سدّه وهما جبلا ارمينية واذربيجان وقيل جبلان في اواخر الشمال في منقطع ارض الترك منيفان من ورآئهما يأجوج ومأجوج وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي وابو بكر ويعقوب بين السدّين بالضم وهما لغتان وقيل المضموم لما خلقه الله تعالى والمفتوح لما عمله الناس لانه في الاصل مصدر سمّي به حدث يحدثه الناس وقيل بالعكس وبين ههنا مفعول به وهو من الظروف المتصرّفة (وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا) لغرابة لغتهم وقلة فطنتهم وقرأ حمزة والكسائي يفقهون اى لا يفهمون السامع كلامهم ولا يبينونه لتلعثمهم فيه (قالوا يا ذا القرنين) اى قال مترجموهم وفي مصحف ابن مسعود قال الذين من دونهم (ان يأجوج ومأجوج) قبيلتان من ولد يافث ابن نوح وقيل يأجوج من الترك ومأجوج من الجيل وهما اسمان اعجميان بدليل منع الصرف وقيل عربيان من أجّ الظليم اذا اسرع واصلهما الهمزة كما قرأ عاصم ومنع الصرف للتعريف والتأنيث (مفسدون في الارض) اى في ارضنا بالقتل والتخريب واتلاف الزرع قيل كانوا يخرجون في الربيع فلا يتركون اخضر الا اكلوه ولا يابسا الا احتملوه وقيل كانوا يأكلون الناس (فهل نجعل لك خرجا) جعلا نخرجه من اموالنا وقرأ حمزة والكسائي خراجا وكلاهما واحد كالنول والنوال وقيل الخراج على الارض والذمة والخرج المصدر (على ان تجعل بيننا وبينهم سدّا) يحجز دون خروجهم علينا وقد ضمه من ضم السدّين غير حمزة والكسائي (قال ما مكّني فيه ربي خير) ما جعلني فيه مكينا من المال والملك خير مما تبذلون لي من الخراج ولا حاجة بي اليه وقرأ (وخروج) ابن كثير مكنني على الاصل (فأعينوني بقوّة) اى بقوّة فعلة او بما اتقوّى به من الآلات (اجعل بينكم وبينهم ردما) حاجزا حصينا وهو اكبر من السدّ من قولهم ثوب مردّم اذا كان فيه رقاع فوق رقاع (آتوني زبر الحديد) قطعه والزبرة القطعة الكبيرة وهو لا ينافي ردّ الخراج والاقتصار على المعونة لان الايتاء بمعنى المناولة ويدل عليه قرآءة ابي بكر ردما ائتوني بكسر التنوين موصولة الهمزة على معنى جيئوني بزبر الحديد والباء محذوفة حذفها في امرتك الخير ولان اعطاء الآلة من الاعانة بالقوّة دون الخراج على العمل (حتى اذا ساوى بين الصدفين) بين جانبي الجبلين بتنضيدها وقرأ ابن كثير وابن عامر والبصريان بضمتين وابو بكر بضم الصاد وسكون الدال وقرئ بفتح الصاد

الواحدى عن الانبارى انه قال ان كان ذو القرنين نبيا فان الله تعالى قال له كما يقول للانبياء اما بتكلم او بوحي اى لا بالهام ﴿قوله فعلته الحسنى﴾ اختار قرآءة من عدا حفصا وحمزة والكسائي وهي رفع جزآء من غير تنوين باضافته الى الحسنى وهي الايمان والعمل الصالح ﴿قوله وتقديره ذا يسر﴾ يعني ان يسرا صفة مصدر محذوف اى قولا ذا يسر وتقييده بقوله من امرنا للدلالة على انه من قول الله كما هو كذلك على تقدير ان يكون حكاية قول جبريل ثم ان ذا القرنين لما وصل الى قرب الاماكن المسكونة من مغرب الشمس انصرف وقصد اقرب الاماكن المسكونة من مطلع الشمس فاتبع طريقا يوصله اليه والعامة على كسر اللام من مطلع وهو اسم مكان بحسب استعمال العرب ومن فتح اللام لا يريد المكان لانه خلاف ما تواطأ عليه اهل اللغة بل يريد المصدر فيحمل الكلام حينئذ على اضمار المضاف الا ان عبارة ابي البقاء تشير الى انه لا فرق بين فتح اللام وكسرها في جواز حمل الكلمة على المعنيين حيث قال مطلع الشمس ﴿قوله لغرابة لغتهم﴾ اى لكونهم لا يعرفون غير لغة انفسهم فما كانوا يفقهون اللسان الذي يتكلم به ذو القرنين وقوله تعالى من دونهما بمعنى امام السدّين ﴿قوله اى قال مترجوهم﴾ لما وصفهم الله تعالى بانهم لا يفقهون قولا ولا يفقهون غيرهم احتاج اى ذو القرنين في فهم كلامهم وتفهيم كلامه اياهم الى من يترجم بينه وبينهم ووجود ذلك المترجم من جملة الاسباب التي آتاها الله تعالى اياه ﴿قوله تعالى حتى اذا ساوى﴾ فيه اضمار اى فأتوه بها فنضدها اى وضع تلك الزبر بعضها على بعض حتى صارت بحيث سدّت ما بين الجبلين الى اعلاهما ثم وضع المنافخ عليها فنفخ فيها حتى صارت كالنار ثم صب النحاس المذاب على الحديد المحمى فالتصق بعضه ببعض وصار جبلا صلدا بين جانبي الجبلين سمي كل جانب للجبلين صدفا لكونه مصادفا ومقابلا للآخر من قولك صادفت الرجل اى لاقيته وقابلته وصارت الزبر المنضودة مساوية لهما كالحشو فيما بينهما * واعلم ان هذا معجز قاهر لان هذه الزبر الكثيرة اذا نفخ عليها حتى صارت كالنار لم يقدر الحيوان على القرب منها والنفخ عليها لا يمكن الا بالقرب منها فكأنه تعالى صرف تأثير تلك الحرارة العظيمة عن ابدان اولئك النافخين عليها قيل كان بعد ما بين السدّين مائة فرسخ وحفر له الاساس حتى بلغ الماء وجعل عرضه خمسين ذراعا وارتفاعه مائتي ذراع وجعل حشو الاساس الصخور وطينه النحاس يذاب فيصب عليها فصار كأنه عرق من جبل تحت الارض فلما ملأ حشو الاساس بهذا الوجه وبلغ وجه الارض جعل بناء السدّ من زبر الحديد بينها الحطب والفحم نضد الزبر صفا ووضع عليها الحطب والفحم صفا ثم نضد الزبر صفا آخر ونضد فوقها الحطب والفحم وهكذا الى ان بلغ ارتفاع السدّ مائتي ذراع فصار السدّ في ارتفاعه مساويا للجبلين ثم قال للعملة انفخوا على الزبر المبنية بالكير ففعلوا فصارت كالنار فان الحديد اذا احمي يصير كالنار فاكلت النار ما في خلال الحديد من الفحم والحطب وصب عليه القطر وهو النحاس المذاب الصالح لان يقطر كالماء فصار النحاس مكان الحطب وتخلل خلال الحديد ولصق كل واحد منهما بالآخر وامتزجا بحيث صار المجموع جبلا صلدا ملسا ﴿قوله وبه تمسك البصريون الخ﴾ فانهم يقولون المختار اعمال ثاني المتنازعين مع تجويز اعمال الاوّل ايضا والكوفيون يختارون اعمال الاوّل مع تجويز اعمال الثاني ثم انهم اتفقوا على انه ان اعمل الاوّل واقتضى الثاني المفعول اضمر ذلك المفعول لعدم استلزامه الاضمار قبل الذكر مع انه يندفع به التباس المفعول لغيره وان جاز الحذف ايضا كسائر المفاعيل فوجه استدلال البصريين على مذهبهم بهذه الآية انه لو اعمل الاوّل لقيل آتوني افرغه بالضمير الراجع الى قطرا بناء على ان المختار ان لا يحذف ضمير المفعول في الثاني لانه يؤدّي الى اللبس وحذف المفعول وان جاز لكن لا يليق بفصاحة القرآن حمله على خلاف المختار ﴿قوله تعالى قال هذا رحمة من ربي الآية﴾ يعلم منه ان الله تعالى من كمال حكمته وقدرته ورفعته جعل لوجود كل سبب من اسباب السموات والارض ولبلوغ كل احد الى مقام من مقامات الدنيا والآخرة والى قربة من قربات الحضرة الالهية سببا مناسبا له فاذا اراد بلوغ احد الى مقام او قربه او رفعة بسبب ذلك وفقه لاتباع ذلك السبب كما آتى ذا القرنين من كل شيء سببا ووفقه لاتباع السبب فاتبع سببا حتى بلغ به مشرق الارض ومغربها وجوانبها كلها وسخر الخلق له وحصل مقاصد الملك والسياسة باتباع اسبابها كذلك آتى كل رسول ونبي وولي ومؤمن ومسلم وفاسق ومنافق وكافر اسباب بلوغه الى الرسالة والنبوّة والولاية والايمان والاسلام والفسق والنفاق والكفر ووفقهم لاتباع الاسباب التي آتاهم اياها الى مقاماتهم ودرجاتهم ودركاتهم حتى يبلغ كل مقام قربه من الجنة او النار ﴿قوله تعالى ونفخ في الصور﴾ لما كان اندكاك السدّ

اذ لو كان قطرا مفعول آتونى لاضمر مفعول افرغ حذرا من الالباس وقرأ حمزة وابو بكر قال ائتونى موصولة الالف (فما اسطاعوا) بحذف التاء حذرا من تلاقى متقاربين وقرأ حمزة بالادغام جامعا بين الساكنين على غير حده وقرئ بقلب السين صادا (ان يظهروه) ان يعلوه بالصعود لارتفاعه وانملاسه (وما استطاعوا له نقبا) لثخنه وصلابته قيل حفر للاساس حتى بلغ الماء وجعله من الصخر والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد بينها الحطب والفحم حتى ساوى اعلى الجبلين ثم وضع المنافخ حتى صار كالنار فصب النحاس المذاب عليه فاختلط والتصق بعضه ببعض وصار جبلا صلدا وقيل بناه من الصخور مرتبطا بعضها ببعض بكلاليب من حديد ونحاس مذاب فى تجاويفها (قال هذا) هذا السد او الاقدار على تسويته (رحمة ﴿٢٧٥﴾ من ربى) على عباده (فاذا جاء وعد ربى) وقت وعده بخروج يأجوج ومأجوج او بقيام الساعة بان شارف يوم القيامة (جعله دكا) مدكوكا مبسوطا مسوّى بالارض مصدر بمعنى المفعول ومنه جمل ادك لمنبسط السنام وقرأ الكوفيون دكاء بالمد اى ارضا مستوية (وكان وعد ربى حقا) كائنا لامحالة وهو آخر حكاية ذى القرنين (وتركنا بعضهم يومئذ يموج فى بعض) وجعلنا بعض يأجوج ومأجوج حين يخرجون مما وراء السد يموجون بعضهم فى بعض مزدحمين فى البلاد او يموج بعض الخلائق فى بعض ويضطربون ويختلطون انسهم وجنهم حيارى ويؤيده (ونفخ فى الصور) لقيام الساعة (فجمعناهم جمعا) للحساب والجزاء (وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا) وابرزناها واظهرناها لهم (الذين كانت اعينهم فى غطاء عن ذكرى) عن آياتى التى ينظر اليها فاذكر بالتوحيد والتعظيم (وكانوا لايستطيعون سمعا) استماعا لذكرى وكلامى لافراط صممهم عن الحق فان الاصم قديستطيع السمع اذا صيح به وهؤلاء كأنهم اصميت مسامعهم بالكلية (أفحسب الذين كفروا) أفظنوا والاستفهام للانكار (ان يتخذوا عبادى) اتخاذهم الملائكة والمسيح (من دونى اولياء) معبودين نافعهم او لا اعذبهم به فحذف المفعول الثانى كما يحذف الخبر للقرينة اوسد ان يتخذوا مسد مفعوليه وقرئ أفحسب الذين كفروا اى أفكافيهم فى النجاة وان بما فى حيزه مرتفع بانه فاعل حسب فان النعت اذا اعتمد على الهمزة ساوى الفعل فى العمل او خبر له (انا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا) ما يقام للنزيل وفيه تهكم وتنبيه على ان لهم وراءها من العذاب ما تستحقر دونه (قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا) نصب على التمييز وجمع لانه من اسماء الفاعلين او لتنوع اعمالهم (الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا) ضاع وبطل لكفرهم وعجبهم كالرهبانية فانهم خسروا دنياهم وآخرتهم ومحله الرفع على الخبر لمحذوف فانه جواب السؤال او الجر على البدل او النصب على الذم (وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا) لعجبهم واعتقادهم انهم على الحق (اولئك الذين كفروا بآيات ربهم) بالقرآن او بدلائله المنصوبة على التوحيد والنبوة (ولقائه) بالبعث على ما هو عليه او لقاء عذابه (فحبطت اعمالهم) بكفرهم فلا يثابون عليها (فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا) فنزدرى بهم ولا نجعل لهم مقدارا واعتبارا او لانضع لهم ميزانا يوزن به اعمالهم لانحباطها (ذلك) اى الامر ذلك وقوله (جزاؤهم جهنم) جملة مبينة له ويجوز ان يكون ذلك مبتدأ والجملة خبره والعائد محذوف اى جزاؤهم به او جزاؤهم بدله وجهنم خبره او جزاؤهم خبره وجهنم عطف بيان للخبر (بما كفروا واتخذوا آياتى ورسلى هزوا) اى بسبب ذلك (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا) فيما سبق من حكم الله ووعده والفردوس اعلى درجات الجنة واصله البستان الذى يجمع الكرم والنخل (خالدين فيها) حال مقدرة (لايبغون عنها حولا) تحولا اذ لايجدون اطيب منها حتى تنازعهم اليه انفسهم ويجوز ان يراد به تأكيد الخلود (قل لو كان البحر مدادا) ما يكتب به وهو اسم ما يمد به

وخروج يأجوج ومأجوج من علامات قيام الساعة ذكر الله تعالى بعده النفخ فى الصور لقيام الساعة قيل الصور قرن من نور يجعل فيه الارواح يقال ان فيه من الثقب على عدد ارواح الخلائق عن مجاهد انه كالبوق ذكره البخارى فاذا نفخ فيه صاحب الصور النفخة الثانية ذهب كل روح الى جسده فاذاهم من الاجداث الى ربهم ينسلون اى من القبور ينسلون اى يخرجون سراعا وقد روى ان الله خلق الصور حين فرغ من السموات والارض وان عظم كل دائرة فيه كغلظ السموات والارض وفى حديث ابى هريرة والذى نفسى بيده ان عظم كل دائرة فيه كعرض السموات والارض وروى ان له رأسين رأس بالمشرق ورأس بالمغرب والله اعلم واختلف فى عدد النفخات فقيل ثلاث نفخة الفزع لقوله تعالى ونفخ فى الصور ففزع من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله ونفخة الصعق ونفخة البعث لقوله تعالى ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه اخرى فاذاهم قيام ينظرون وهذا اختيار ابن العربى وقيل هما نفختان ونفخة الفزع هى نفخة الصعق لان الامرين متلازمان فانهم اذا فزعوا فزعا ماتوا قيل اتفقت الروايات على ان بين النفختين اربعين سنة وذلك بعد ان يجمع الله ما تفرق من الاجساد فى بطون السباع وحيوانات الماء وبطن الارض وما اصاب النيران منها بالحرق والمياه بالغرق وما ابلته الشمس وذرته الرياح فاذا جمعها واكمل كل بدن منها ولم يبق الا الارواح جمع الارواح فى الصور وامر اسرافيل عليه الصلاة والسلام فارسلها بنفخة من ثقب الصور فرجع كل روح الى جسده باذن الله تعالى وقد انكر بعض اهل الزيغ ان يكون الصور قرنا قال ابو الهيثم من انكر ان يكون الصور قرنا فهو كمن ينكر العرش والميزان ويطلب لهما تأويلات ﴿قوله من آياتى التى ينظر اليها فأذكر﴾ يعنى ان نظر الآيات الدالة على الالوهية والمصنوعات الدالة على القدرة الباهرة كان سببا لذكر الله تعالى عند مشاهدتها كما يقال ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فأطلق المسبب واريد السبب وانما احتيج الى حمل الآية على المجاز المرسل لان المقصود وسمة الكافرين بالعمى والصمم كما فهم من قوله الذين كانت اعينهم فى غطاء عن ذكرى اذ الذكر لايقال فيه اعينهم فى غطاء عنه بل انما يناسبه الصمم ﴿قوله كأنهم اصميت مسامعهم﴾ اى ابطلت وازيلت قواهم السامعة من قولهم اصميت الصيد اذا رميته فقتلته وانت تراه وفى بعض النسخ اصمتت اى جعلت مصمتة لاجوف لها ﴿قوله اتخاذهم الملائكة والمسيح﴾ يعنى ان قوله ان يتخذوا فى محل النصب على انه اوّل مفعولى حسب وثانيهما محذوف واراد بقوله عبادى الملائكة وعيسى عليهم الصلاة والسلام وقال ابن عباس يعنى الشياطين تولوهم واطاعوهم من دون الله وقال مقاتل يعنى الاصنام سماها عبادا كما فى قوله ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم ﴿قوله وقرئ أفحسب﴾ بسكون السين ورفع الباء على انه مبتدأ وان مع ما فى حيزها خبره فحسب مبتدأ مضاف الى الذين كفروا وان يتخذوا خبره ويجوز ان يكون حسب بمعنى المحسب والكافى وان يتخذوا فاعله بناء على اسم الفاعل اذا اعتمد على الهمزة ساوى الفعل فى العمل ﴿قوله وجمع لانه من اسماء الفاعلين﴾ يعنى ان اسم الجنس وان كان يتناول آحاد مدلوله الا انه لايدل على اختلاف فاعله ولا على تنوع مدلوله فجمع العمل ليدل على احد الامرين ﴿قوله الامر ذلك﴾ على ان يكون ذلك خبر مبتدأ محذوف والمعنى الامر ذلك الذى ذكرت من حبوط اعمالهم وخساسة اقدارهم ويجوز ان يكون ذلك مبتدأ مشارا به الى ما ذكر من اعمالهم الباطلة وجزاؤهم مبتدأ ثانيا وجهنم خبره وهو مع خبره خبر الاوّل والعائد محذوف اى جزاؤهم به كذا ويجوز ان يكون ذلك مبتدأ اشار به الى الجزاء الحاضر فى الذهن ويكون جزاؤهم بدلا منه وجهنم خبره لما بين الله تعالى سوء صنيعهم بقوله اولئك الى فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا انتقل الذهن الى معنى الجزاء فاشير اليه بقوله ذلك وجعل خبره او جعل بدل الجزاء وجعل جهنم خبره او عطف بيان للخبر ثم انه تعالى لما بين وعيد الكفار وان جهنم نزل لهم اتبعه بوعد المؤمنين وبيان ان جنة الفردوس نزل لهم واضافة جنات الى الفردوس اضافة تعيين عن قتادة الفردوس وسط الجنة وافضلها وعن كعب ليس فى الجنان اعلى من جنة الفردوس وفيها الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم ان فى الجنة مائتى درجة ما بين كل درجتين مسيرة مائة عام والفردوس من فوقها فاذا سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس فان فوقه عرش الرحمن ومنه انفجرت انهار الجنة قال بعضهم انه تعالى جعل الجنة بكليتها نزلا للمؤمنين والكريم اذا اعطى النزل اوّلا فلابد وان يتبعه بالخلعة والكرامة الزائدة وما بعد الجنة الا رؤيته تعالى وكذلك فى الآية الاولى لما جعل الله تعالى جهنم نزلا للكافرين لم يبق عذاب آخر بعد جهنم

الا كونهم محجوبين عن رؤية الله تعالى كما قال كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ﴿قوله وهو اسم ما يمد به الشئ﴾ اى يزاد يقال امددت الجيش بمدد والاستمداد طلب المدد والحبر اسم خاص لما يوضع فى المحبرة ويكتب به والمداد يطلق على كل ما يمد به غيره كالحبر للدواة والزيت للسراج قال ابن الانبارى سمى الحبر مدادا لامداد الكاتب واصله من الزيادة ومجئ الشئ بعد الشئ ويقال للزيت الذى يوقد به السراج مداد لكونه ممدا لما فى منه بالاشتعال والمعنى لو كان البحر مدادا للقلم والقلم يكتب كلمات الله وحكمته لنفد البحر قبل ان تنفد تلك الكلمات فان كلماته تعالى غير متناهية والبحر كيف ما فرض فى الاتساع والعظمة متناه والمتناهى لايفى البتة بغير المتناهى قيل فى سبب نزول هذه الآية انهم لما سألوا عن الروح وعن كذا وكذا ونزل فى جواب الروح فى آخر الآية وما اوتيتم من العلم الا قليلا قالت اليهود انه يقول انا قد اوتينا الحكمة ثم يقول ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا فكيف يجتمع هذا مع قوله وما اوتيتم من العلم الا قليلا فنزلت هذه الآية اى وان كانت الحكمة وهى القرآن خيرا كثيرا وقد آتانيه الله تعالى ولكنه قطرة من بحر كلمات الله فانه كما لا غاية لذات الله تعالى ولصفات كماله فى علمه وحكمته فكذا لا غاية للكلمات الدالة عليها ﴿قوله وقرئ بالياء﴾ يعنى ان حمزة والكسائى قرآ ينفد بالياء من تحت لكون تأنيث الكلمات غير حقيقى والباقون بالتاء من فوق لتأنيث اللفظ والعامة على قرآءة مددا بفتح الميم وقرئ بكسر الميم ونصب الكلمة على التمييز على انها جمع مدة وهى اسم ما استمد به من المداد على القلم وجواب ولو جئنا محذوف للعلم به تقديره لنفد ﴿قوله يأمل حسن لقائه﴾ الحسن فيه مستفاد من قوله يرجو لان الرجاء ظن المنافع الواصلة اليه كما ان الخوف ظن المضار الواصلة اليه ﴿قوله فقال ان الله لا يقبل ما شورك فيه﴾ وروى انه عليه الصلاة والسلام قال فى جواب جندب «لك اجران اجر السر واجر العلانية» فالرواية الاولى محمولة على ما اذا قصد به الرياء والسمعة والرواية الثانية محمولة على ما اذا قصد ان يقتدى به كما هو دأب الكاملين روى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال «من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة فهو معصوم الى ستة ايام تكون وان خرج الدجال عصم منه» وقد تمت سورة الكهف بحمد الله تعالى وعونه

﴿ سورة مريم عليها السلام وهى مكية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿قوله امال ابو عمرو الهاء﴾ امالة الالف ضد تفخيمها واشباعها وهى ان ينحو بالالف نحو الياء وبالفتحة نحو الكسرة ليتجانس الصوت فان سبب ذلك ان يقع بقرب الالف كسرة سوآء كانت الكسرة متقدمة على الالف كما فى عماد او متأخرة كما فى عالم وكذا تمال الالف اذا كانت الالف منقلبة عن حرف مكسور كما فى خاف او عن ياء كما فى هاب وباع ورمى وكذا اذا كانت صائرة موضع ياء كما فى دعوى فان الفها تصير ياء فى دعويان وكما فى حبلى كقولك حبليان ولا خلاف فى الاسماء الثلاثة وهى كاف وعين وصاد فانها لا تمال بالاتفاق وذلك لان اسماء حروف التهجى على نوعين ثنائى وثلاثى وجرت عادة العرب على ان ينطقوا بالثنائيات مقطوعة عما بعدها فيقولون باياطاها وكذلك امثالها وعلى ان ينطقوا بالثلاثيات التى وسطها الالف باشباع فتحتها فيقولون دال ذال كاف صاد وكذلك امثالها واما اسم ازاى فقد اختلفوا فى التلفظ به فمنهم من اظهر الياء بعد الالف وجعله ثلاثيا فهو لا يميله ومنهم من لم يظهر الياء ويجعله ثنائيا فهو يميله والاصل فى جميع هذه المواضع اشباع الفتحة والامالة فرع عليه وعلى هذا يجوز اشباع كل ممال ولا يجوز امالة كل مشبع من المفتوحات والعامة على تسكين اواخر اسماء هذه الحروف حتى ان بعضا من القرآء يقف على كل واحد منها وقفة يسيرة ويفصل بعضها عن بعض بادنى سكتة مبالغة فى تمييز بعضها عن بعض ثم انهم اختلفوا فى امالة يا وها وتفخيمهما مع كونهما ثنائيتين فاختار ابو عمرو امالة ها وتفخيم يا بناء على ان اشباع الفتحة اصل والامالة وان كانت فرعا الا انه فرع مشهور كثير الاستعمال فاشبع احد الاسمين واميل الآخر ليكون القارئ جامعا بين مراعاة الاصل والفرع المشهور وهو احسن من مراعاة احدهما وتضييع الآخر وخصوا ها بالامالة فرقا بينها وبين ها التى للتنبيه فانها لا تمال قط وقول المصنف لان ألفات اسماء التهجى يا آت محل بحث لان هذه الاسماء لا اشتقاق لها حتى يحكم بان ألفاتها يا آت فى الاصل وان هذا التعليل يستدعى امالة كلمة يا ايضا فلابد من الفرق بين كلمتى ها ويا حتى يخص الاول بالامالة دون الثانى لذلك الا ان يقال لما لم يكن لها اصل حملوها على المنقلبة من الواو تارة فلا يميلوها وحملوا المنقلبة عن

(لكلمات ربى) لكلمات علمه وحكمته (لنفد البحر) لنفد جنس البحر باسره لان كل جسم متناه (قبل ان تنفد كلمات ربى) فانها غير متناهية لا تنفد كعلمه (ولو جئنا بمثله) بمثل البحر الموجود (مددا) زيادة ومعونة لان مجموع المتناهيين متناه بل مجموع ما يدخل فى الوجود من الاجسام لا يكون الا متناهيا للدلائل القاطعة على تناهى الابعاد والمتناهى ينفد قبل ان ينفد غير المتناهى لا محالة وقرئ ينفد بالياء ومددا بكسر الميم جمع مدة وهو ما يستمده الكاتب ومدادا وسبب نزولها ان اليهود قالوا فى كتابكم ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا وتقرأون وما اوتيتم من العلم الا قليلا (قل انما انا بشر مثلكم) لا ادعى الاحاطة على كلماته (يوحى الىّ انما الهكم اله واحد) وانما تميزت عنكم بذلك (فمن كان يرجو لقاء ربه) يأمل حسن لقائه (فليعمل عملا صالحا) يرتضيه الله (ولا يشرك بعبادة ربه احدا) بان يرآئيه او يطلب منه اجرا روى ان جندب بن زهير قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم انى لأعمل العمل لله فاذا اطلع عليه سرنى فقال عليه الصلاة والسلام ان الله لا يقبل ما شورك فيه ونزلت تصديقا له وعنه عليه الصلاة والسلام اتقوا الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر قال الرياء والآية جامعة لخلاصتى العلم والعمل وهما التوحيد والاخلاص فى الطاعة وعن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ خاتمة الكهف عند مضجعه كان له نور فى مضجعه يتلألأ الى مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم فان كان مضجعه بمكة كان له نور يتلألأ من مضجعه الى البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يستيقظ وعنه عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الكهف من آخرها كانت له نورا من قرنه الى قدمه ومن قرأها كلها كانت له نورا من الارض الى السماء والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

﴿ سورة مريم مكية الا آية السجدة ﴾
﴿ وهى ثمان او تسع وتسعون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(كهيعص) أمال ابو عمرو الهاء لان ألفات اسماء التهجى يا آت

الياء اخرى فاما لوها بجوّزوا الامرين دفعا للتحكم وخصوا الاعتبار المؤدّى الى الامالة بكلمة هافرقا بينها وبين هاء التنبيه ﴿قوله وابن عامر وحمزة الياء﴾ يعني انهما امالا الياء وفخما الهاء جمعا بين مراعاة الاصل والفرع المشهور وخصا الياء بالفرع لان الكسرة من جنس الياء فامالة حركة الياء الى ما يجانسها وهو الكسرة اولى من امالة حركة الهاء ومن امالهما جميعا نظر الى الوجه الذي اعتبره ابو عمرو وابن عامر وحمزة في ياوها ومن اشبع فتحتهما فقد تمسك بالاصل ﴿قوله ونافع بين بين﴾ يعني انه امال الالف بجعلها بين مخرج الالف ومخرج الياء على السوآء لا بان جعل امالتها نحو الياء اكثر ثم ان نافعا وابن كثير وعاصما يظهرون دال صاد قبل ذال ذكر لانه الاصل وادغمها فيها الباقون ﴿قوله فانه مشتمل عليه﴾ اى ان ماقبله وهو كهيعص سوآء اوّل بالسورة او بالقرآن مشتمل على ذكر رحمة الله عبده زكريا فيصح ان يحكم على كهيعص بانه الذكر بمعنى انه ذاكر ومبين لها او ذو الذكر والبيان وهو كأنه جواب عن قول ابي البقاء من أن قول القرآء ان قوله تعالى ذكر رحمة ربك خبر الحروف المقطعة بعيد لان الخبر هو المبتدأ في المعنى وليس في الحروف المقطعة ذكر رحمة ولا في ذكر الرحمة معناها وذكر مصدر مضاف قيل الى مفعوله وهو الرحمة والرحمة في نفسها مصدر ايضا مضاف الى فاعله وعبده مفعول رحمة وفاعل الذكر غير مذكور لفظا وتقديره ذكر الله رحمته عبده زكريا وقيل بل ذكر مضاف الى فاعله على الاتساع ويكون عبده منصوبا بنفس الذكر والتقدير ذكرت الرحمة عبده فجعلت الرحمة ذاكرة له مجازا وزكريا بدل او عطف بيان او منصوب باضمار اعني هذا على قرآءة ذكر بصيغة المصدر وفيه قرآءة اخرى وهي ان يقرأ على صيغة الماضي بتخفيف الكاف وتشديدها وان يقرأ على صيغة الامر من باب التفعيل الا ان لفظ رحمة على قرآءة التشديد مفعول ثان قدّم على الاوّل وهو عبده والفاعل اما ضمير القرآن او ضمير البارى تعالى والتقدير ذكر القرآن المتلوّ او ذكر الله عبده رحمته اى جعل العبد يذكر رحمته ويجوز على المجاز المتقدم ان يكون رحمة ربك هو المفعول الاوّل والمعنى ان الله جعل الرحمة ذاكرة للعبد وعلى قرآءة التخفيف يكون رحمة منصوبا على انه مفعول به وعبده مرفوعا على انه فاعل الفعل قبله وزكريا مرفوعا على انه بدل او بيان او على انه خبر مبتدأ محذوف وعلى قرآءة ذكر بلفظ الامر الظاهر ان يكون مفعوله الاوّل محذوفا ورحمة منصوبا على المفعول الثاني وعبده منصوبا على انه مفعول رحمة اى ذكر امتك رحمة ربك عبده زكريا ويكون كهيعص كلاما تاما والمراد بالرحمة اجابة الله تعالى دعاءه حين سأل الولد في ابان الكبر ووقته وابان الشئ بالكسر والتشديد وقته يقال كل الفاكهة في ابانها اى في وقتها ﴿قوله او لان ضعف الهرم اخفى صوته﴾ عطف على قوله لان الاخفاء والجهر يعني انه اتى باقصى ماقدر عليه من رفع الصوت الا ان ذلك الصوت كان خفيا في الواقع لنهاية ضعفه بسبب الكبر فعلى هذا يكون قوله نادى ربه باقيا على ظاهره فان النداء هو طلب الاقبال بالجهر ورفع الصوت * قال الجوهري ناداه مناداة ونداء اى صاح به وما كان من زكريا كان صيحة ونداء نظرا الى قصده فعبر عنه بالنداء لذلك ووصف بكونه خفيا في الواقع * واما ان قيل ان زكريا قصد اخفاء دعائه مع قومه لئلا يلام على طلب الولد في زمان الكبر او من مواليه الذين خافهم فلا وجه لتسمية ذلك الدعاء نداء مع انه لا جهر فيه * قلنا الجهر لا يشترط في ندائه تعالى بل هو مشروط في نداء المخلوق الذي يحتاج في الاطلاع على ضمير من يطلب اقباله الى ان يسمع منه صوتا دالا على ما في ضميره واليه اشار المصنف بقوله لان الاخفاء والجهر عند الله سيان ﴿قوله تفسير النداء﴾ يعني لم يعطف على ماقبله لكمال اتصاله به من حيث كونه تفسيرا او بيانا له ﴿قوله ولانه اصلب مافيه﴾ الفرق بين الوجهين مع اشتراكهما في ان كل واحد منهما كناية عن وهن جميع البدن وضعفه ان الوجه الاوّل يستلزم ضعف جميع البدن من حيث كون العظم عماد جميع البدن واصل بنائه والوجه الثاني يستلزمه من حيث كونه اصلب ما في البدن مع قطع النظر عن كونه عماده واصل بنائه ولما كان كل واحد من كون العظم عماد البدن وكونه اشدّ مافيه واصلبه ينتقل منه الى ضعف جميع البدن من غير ملاحظة الآخر كان كل واحد منهما دليلا مستقلا لتخصيص العظم بالذكر وقيل في الفرق بينهما ان الاوّل كناية مترتبة على تشبيه البدن بالبيت وتشبيه العظم بالعمود كما يشعر به قوله لانه دعامة البدن واصل بنائه والثاني ليس كذلك ورد بان العظم عمود البدن واصل لبنائه وقد ذكره علماء التشريح لاسيما عظام الصلب فليس الوجه الاوّل مبنيا على التشبيه ﴿قوله وتوحيده لان المراد به الجنس﴾ واذا كان العظم الذي هو عمود الجسد قد اصابه الوهن او الذي تقوم به الاعضاء او الذي هو اصلب الاجزاء كان اصابته اسائر

(واشتعل الرأس شيبا) شبه الشيب في بياضه وانارته بشواظ النار وانتشاره وفشوه في الشعر باشتعالها ثم اخرج مخرج الاستعارة واسند الاشتعال الى الرأس الذي هو مكان الشيب مبالغة وجعله مميزا ايضاحا للمقصود واكتفي باللام عن الاضافة للدلالة على ان علم المخاطب بتعين المراد يغني عن التقييد (ولم اكن بدعائك رب شقيا) بل كلما دعوتك استجبت لي وهو توسل بما سلف معه من الاستجابة وتنبيه على ان المدعو له وان لم يكن معتادا فاجابته معتادة وانه تعالى عوده بالاجابة واطمعه فيها ومن حق الكريم ان لا يخيب من اطمعه (واني خفت الموالي) يعني بني عمه وكانوا اشرار بني اسرائيل فخاف ان لا يحسنوا خلافته على امته ويبدلوا عليهم دينهم (من ورآئي) بعد موتي وعن ابن كثير المد والقصر بفتح الياء وهو متعلق بمحذوف او بمعنى الموالي اي خفت فعل الموالي من ورآئي او الذين يلون الامر من ورآئي وقرئ خفت الموالي من ورآئي اي قلوا وعجزوا عن اقامة الدين بعدي او خفوا ودرجوا قدامي فعلى هذا كان الظرف متعلقا بخفت (وكانت امرأتي عاقرا) لاتلد

الاجزآء والاعضاء اولى ولا دخل لجمع العظام في افادة هذا المعنى ولو جمع لكان الغرض المسوق له الكلام حينئذ العدد لا الجنس ولا مدخل لاعتبار العدد في هذا المقام ﴿قوله شبه الشيب﴾ اي تشبيها مضمرا في النفس بشواظ النار اي بلهبها الخالص عن الدخان واقتصر من طرفي التشبيه على ذكر المشبه وهو الشيب كما اقتصر على ذكر المشبه في انشبت المنية اظفارها ودل على هذا التشبيه باثبات الاشتعال للشيب كما دل على تشبيه المنية بالسبع باثبات الاظفار لها فتشبيه الشيب بالشواظ استعارة بالكناية واثبات الاشتعال له استعارة تخييلية وشبه انتشار الشيب في شعر الرأس باشتعال النار ودل عليه باثبات لازم المشبه به حيث اقتصر واخرج التشبيه الثاني مخرج الاستعارة التصريحية التبعية حيث اطلق اسم المشبه به وهو الاشتعال على هذا المعنى المجازي واشتق منه لفظ اشتعل فكان استعارة تصريحية تبعية وكانت هذه قرينة للاستعارة بالكناية * فان قيل اللفظ المستعار في الاستعارة التخييلية يجب ان لا يتحقق معناه لا حسا ولا عقلا بل يكون معناه صورة وهمية محضة كلفظ الاظفار فان الوهم اخترع للمنية صورة شبيهة بصورة الاظفار المحققة ثم عبر عن تلك الصورة الشبيهة باسم المشبه به وهو الاظفار فمعناه صورة وهمية لا تحقق لها حسا ولا عقلا والمعنى الذي عني بلفظ اشتعل ليس صورة وهمية بل هو امر ثابت للشيب فالجواب ان الاشتعال بمعنى الانتشار والنشور امر محقق ثابت للشيب حسا الا ان الاشتعال الحقيقي الذي هو من لوازم المشبه وهو الشواظ انما ثبت له باختراع الوهم وهذا القدر كاف في كونها استعارة تخييلية وقرينة للاستعارة بالكناية وكونها صورة وهمية لا تحقق لها حسا ولا عقلا ﴿قوله واسند الاشتعال الى الرأس﴾ يعني ان الاشتعال بمعنى الانتشار والنشور حقه ان يسند الى الشيب لانه من الصفات القائمة به لكنه اسند الى مكان الشعر الذي هو محل الشيب للمبالغة في الدلالة على شمول اشتعال الشيب * واعلم ان اصل الكلام المتعارف الاوساط في هذا المقام ان يقال اني شخت عدل عنه الى ما هو ابلغ منه وهو شاب رأسي لانه كناية عن الشيخوخة والكناية ابلغ من التصريح ثم عدل عنه الى ما هو ابلغ وهو اشتعل شيب رأسي فانه ابلغ من شاب رأسي اذ ليس فيه تعريض لانتشار الشيب ثم عدل عنه الى ما هو ابلغ وهو اشتعل رأسي شيبا فانه ابلغ من قولك اشتعل شيب رأسي من جهات احداها اسناد الاشتعال الى الرأس لافادة شمول الاشتعال اذ وزن اشتعل شيب رأسي واشتعل رأسي شيبا وزن اشتعل النار في بيتي واشتعل بيتي نارا والفرق بين وثانيتها ما في التمييز من التفصيل بعد الاجمال وثالثتها تنكير شيبا لافادة الكمال ثم عدل عنه الى ما هو ابلغ وهو اشتعل الرأس شيبا لما فيه من مزيد التقرير لان التعويل فيه على شهادة العقل دون اللفظ فلما اشتمل الكلام على هذه اللطائف ترقى الى اعلى درجات البلاغة ﴿قوله ايضاحا للمقصود﴾ فان شيبا تمييز منقول من الفاعلية اذ الاصل اشتعل شيب الرأس فلما قصد سلوك طريق التفصيل بعد الاجمال ابهم ما هو المشتعل حقيقة ثم ميز بقوله شيبا لتعين ان المشتعل هو الشيب ﴿قوله بل كلما دعوتك﴾ اشارة الى ان قوله بدعائك من اضافة المصدر الى مفعوله اي بدعائي اياك وقوله شقيا اي خائبا فان العرب تقول سعد فلان بحاجته اذا ظفر بها وشقي بها اذا خاب ولم ينلها ﴿قوله يعني بني عمه﴾ بناء على ان تعريف الموالي للعهد الخارجي وان المولى وان كان يراد به الناصر وابن العم والمالك والصاحب الا ان المراد في الآية ابن العم قال الشاعر

* مهلا بني عمنا موالينا * لا تنبشوا بيننا ما كان مدفونا *

وقوله واني خفت الموالي وان خرج على لفظ الماضي لكنه يفيد انه في المستقبل ايضا كقولك اني خفت وخشيت ان يكون كذا تريد انا خائف بعد لانه قد زال الخوف مني وكذا قوله وكانت امرأتي عاقرا ﴿قوله وعن ابن كثير﴾ قرأ الجمهور ورآئي بالمد اي بهمزة مكسورة بعدها ياء ساكنة وعن ابن كثير روايتان احداهما بالمد كالجمهور والاخرى بالقصر اي بدون الهمزة وفتح الياء في كل واحدة من قرآءتي المد والقصر ﴿قوله وهو متعلق بمحذوف﴾ يريد بالتعلق تعلق الظرفية لا تعلق المفعولية لان خفت اخذ مفعوله وهو الموالي وليس ظرفا لخفت لفساد المعنى وهو كون خوفه من الموالي الكائنين في الحال واقعا بعد موته لان معنى من ورآئي بعد موتي وعلى ان يكون ظرفا لمعنى الولاية يكون المعنى خفت الذين يلون الامر بعد موتي ﴿قوله وقرئ خفت الموالي﴾ بفتح الخاء والفاء المشددة من الخفة بمعنى القلة او بمعنى قدامي ويقال درج القوم اذا انقرضوا والدرج بمعنى الطي استعير للموت والموالي في هذه القرآءة مرفوع على انه فاعل خفت وفي قرآءة العامة منصوب على انه مفعول به وقوله تعالى من لدنك يجوز ان يتعلق بهب ويجوز ان يتعلق بمحذوف على انه

حال من وليا لانه فى الاصل صفة للنكرة قدم عليها ﴿قوله وليا من صلبى﴾ قال بعض المفسرين طلب زكريا من يلى امر الدين ويقوم مقامه فى رعاية امره ولدا كان او غيره وقال الاكثرون انه طلب ولدا من صلبه استشهادا بقوله تعالى فى سورة آل عمران حكاية عنه قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء واحتج ذلك البعض بعموم لفظ الولى وبانه لما بشر بالولد استعظمه وقال أنى يكون لى غلام ولو كان دعاؤه لان يهبه الله تعالى ولدا لما استعظم ذلك حين بشر به والظاهر ان هذا الدليل لايعارض دليل الاكثرين لانه ليس استعظاما بل سؤال عن جهة حصول الولد كأنه قيل هل يهبه لى من امرأتى ونحن على حالنا من الهرم والضعف او بان يحولنا شابين او يهبه لى من امرأة غيرها لحصول دعائه هب لى ولدا وارثا منى ومن آل يعقوب فيه صلاح ونفع فى الدين وذلك يتناول النبوة والعلم والسيرة الحسنة والمنصب النافع فى الدين والمال الصالح ومن جزم الفعلين قصد السببية على معنى ان تهب يرث ومن رفعهما لم يقصدها وجعلهما صفة لوليا فعلى هذا يكون يرث من جملة المطلوب فلهذا لم يرض به صاحب المفتاح وجعله استئنافا لان الانبياء مستجابوا الدعوة فلو دعا زكريا ربه ان يهبه وليا يرثه لاجاب الله دعاءه ووهب له ذلك ولم يوهب وليا كذلك لهلاك يحيى قبل زكريا عليهما الصلاة والسلام ولو جعل يرث مستأنفا لايكون من جملة المطلوب بل يكون بيانا للغرض وغرض الانبياء يجوز ان لايحصل وجعله صاحب الكشاف صفة لان الثابت عنده هلاك زكريا قبل يحيى ذكره فى سورة بنى اسرائيل فى قوله لتفسدن فى الارض مرتين حيث قال اولاهما قتل زكريا والآخرة قتل يحيى بن زكريا وقيل قتل عيسى بن مريم عليهم السلام وقيل لاغضاضة ان يستجاب النبى بعض ماسأل دون بعض فانه روى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال * سألت الله تعالى ثلاثا فاعطانى اثنين منها ومنعنى واحدة * ﴿قوله وهو يعقوب بن اسحق عليهما الصلاة والسلام﴾ قال الامام اكثر المفسرين على ان يعقوب ههنا هو يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم الصلاة والسلام لان زوجة زكريا عليه السلام هى ايشاع اخت مريم بنت عمران بن ماثان وكانت من ولد سليمان بن داود من ولد يهود ابن يعقوب بن اسحق وكان بين عمران بن ماثان وعمران بن يصهر الف وثمانمائة سنة صرح به المصنف فى اول سورة آل عمران وكانت النبوة فى سبط يعقوب بن اسحق عليهما الصلاة والسلام وقال بعض المفسرين ليس المراد من يعقوب ههنا ولد اسحق بل هو اخو عمران بن ماثان وكان آل يعقوب اخوال يحيى بن زكريا لما مر ان ام يحيى هى بنت عمران بن ماثان فتكون قرابة آل يعقوب ليحيى من قبل امه فيكونون اخواله وعلى تقدير ان يكون يعقوب اخا زكريا يكون آل يعقوب اعماما ليحيى قال الكلبى كان بنوا ماثان رؤس بنى اسرائيل وملوكهم وكان زكريا رأس الاحبار يومئذ فاراد ان يرث ولده منه حبورته ويرث من بنى ماثان ملكهم ﴿قوله واورث﴾ هو تصغير وارث والاصل وويرث بواوين وجب قلب اولاهما همزة لاجتماعهما متحركتين فى اول الكلمة كما فى اويصل اصله وويصل تصغير واصل والواو الثانية بدل من الف فاعل ﴿قوله وهذا يسمى التجريد﴾ اى هذا الصنيع وهو ان ينتزع من امر ذى صفة آخر مثله فيها ابدا انا بكمالها فيه نحو ان تجرد من الولى وهو الوارث نفسه وارثا آخر ايذانا بكمال الوارثة فيه وقد يكون التجريد بكلمة فى كما فى قوله تعالى فى صفة الجنة لهم فيها دار الخلد * واعلم ان زكريا عليه الصلاة والسلام قدم على سؤال الولد امورا ثلاثة احدها استيلاء الضعف عليه وعلى امرأته وذلك مما يزيد الدعاء تأكيدا لما فيه من الاتكال على حول الله وقوته والتبرى من الاسباب الظاهرة وثانيها انه تعالى عوده بالاجابة ولم يرد دعاءه قط والكريم اذا عود احدا بالاحسان لايقطعه بالآخرة لاسيما فى زمان كونه احوج اليه وثالثها كون المطلوب منتفعا به فى امر الدين وهو قوله وانى خفت الموالى وفرع سؤال الولد على هذه الامور الثلاثة وقوله تعالى يازكريا فيه اختصار اى فاستجبنا دعاءه وقلنا يازكريا فعلى هذا كان النداء من الله تعالى كما ذهب اليه اكثر المفسرين لانه ذكر قبل هذه الآية ان زكريا نادى ربه نداء خفيا وسأله الولد وذكر بعدها انه عليه الصلاة والسلام قال رب أنى يكون لى غلام ولما كان ماقبل هذه الآية ومابعدها خطابا مع الله تعالى وجب ان يكون نداء زكريا من الله تعالى والا لفسد النظم * وقيل هو نداء الملك لقوله تعالى فى سورة آل عمران فنادته الملائكة وهو قائم يصلى فى المحراب ان الله يبشرك بيحيى * والجواب ان حصول النداء من الملائكة وهو قائم لاينافى حصوله من الله تعالى وقوله وهو شاهد اى مدح يحيى بانه لم يكن له سمى قبل شاهد بان التسمية بالاسامى النادرة الغريبة تنويه اى رفع لقدر المسمى يقال ناه الشئ ينوه اى ارتفع ونوهته تنويها اذا رفعته ونوهت باسمه اذا رفعت ذكره ﴿قوله كقوله تعالى هل تعلم له سميا﴾ اى مثلا وشبيها

(فهب لى من لدنك) فان مثله لا يرجى الا من
فضلك وكمال قدرتك فانى وامرأتى لاتصلح
للولادة (وليا) من صلبى (يرثنى ويرث من
آل يعقوب) صفتان له وجزمهما ابو عمرو
والكسائى على انهما جواب الدعاء والمراد
وراثة الشرع والعلم فان الانبياء لايورثون المال
وقيل يرثنى الحبورة فانه كان حبرا ويرث من
آل يعقوب الملك وهو يعقوب بن اسحق عليهما
الصلاة والسلام وقيل يعقوب كان اخا زكريا
او كان اخا عمران بن ماثان من نسل سليمان عليه
السلام وقرئ يرثنى وارث آل يعقوب على
الحال من احد الضميرين واويرث بالتصغير
لصغره ووارث من آل يعقوب على انه فاعل
يرثنى وهذا يسمى التجريد فى علم البيان لانه
جرد من المذكور اولا مع انه المراد (واجعله
رب رضيا) ترضاه قولا وعملا (يازكريا ا
نبشرك بغلام اسمه يحيى) جواب لندائه
ووعد باجابة دعائه وانما تولى تسميته تشريفا
(لم نجعل له من قبل سميا) لم يسم احد بيحيى
قبله وهو شاهد بان التسمية بالاسامى الغريبة
تنويه للمسمى وقيل مما شبيها كقوله تعالى هل
تعلم له سميا لان المتماثلين يتشاركان فى الاسم

فى صفات الجلال والجمال فان اوّل الآية فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا ومعلوم ان مجرّد تفرّده بالاسم لايوجب عبادته * فان قيل لوكان السمى فى الآية بمعنى المثل لزم تفضيل يحيى على الانبياء الذين قبله كآدم ونوح وابراهيم وموسى عليهم الصلاة والسلام وذلك باطل * اجيب بان المراد هل تعلم له شبيها فيما خص به من الاوصاف وهو ان كل الناس انما يسميهم آباؤهم وامّهاتهم بعد دخولهم فى الوجود واما يحيى عليه الصلاة والسلام فان الله تعالى هو الذى سماه قبل دخوله فى الوجود فكان ذلك من خواصه ولم يكن له شبيه فى هذه الخاصية وانه ولد بين شيخ فان وعجوز عاقر وانه كان حصورا لايقرب النساء حصرا لنفسه اى منعا لها من الشهوات ولايقرب اللعب واللهو ﴿قوله لانه حيى به رحم امّه﴾ وزال عقرها الذى هو بمنزلة الموت للرحم وقيل سمى يحيى لان الله تعالى احيى قلبه بالايمان والطاعة فانه تعالى سمى المطيع حيا والعاصى ميتا بقوله تعالى اومن كان ميتا فاحييناه قيل ان يحيى اوّل من آمن بعيسى فصار قلبه حيا بذلك وذلك ان امّ يحيى كانت حاملا به فاستقبلتها مريم وقد حملت بعيسى فقالت لها امّ يحيى يامريم أحامل انت فقالت مريم لماذا تقولين كذا فقالت انى ارى مافى بطنى يسجد لما فى بطنك وقيل احياه الله تعالى بالطاعة حتى لم يعص ولم يهمّ بمعصية لما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم * مامن احد الا وقد عصى اوهمّ بمعصية الا يحيى بن زكريا فانه لم يهم ولم يعملها ﴿قوله تعالى وقد بلغت من الكبر عتيا﴾ حال من ياء المتكلم فى قوله أنى يكون لى غلام معطوفة على قوله وكانت امرأتى وقد مقدرة فيها والمعنى أنى يكون لى غلام حين بلوغى عتيا مع ان العقر صفة قديمة لامرأتى لم يولد لى منها غلام حال شبابى وحال كهولتى لكون امرأتى عاقرا من ابتداء انشائها فكيف تلد حال شيخوختى مع قدم عقرها وتمكن هذه الصفة فيها وضعف بدنى ومحو قوتى ﴿قوله جساوة﴾ اى يبسا وانجمادا يقال جسا الشيخ جسوا اى بلغ غاية السنّ وفعل الشئ فعولا اى يبس وفعل الشيخ فعلا يبس جلده على عظمه ﴿قوله ثم قلبت الثانية وادغمت﴾ فصار عتيا بضم العين وكسر التاء وهى قرآءة غير حمزة والكسائى وحفص فانهم قرأوا عتيا وصليا وجثيا بكسر اوّلها للاتباع وقرأ حمزة والكسائى بكسر العين والباقون بضم اوّل ذلك كله ﴿قوله وانما استعجب الولد الخ﴾ جواب عما يقال الظاهر ان الاستفهام فى قوله تعالى أنى يكون لى ولد ليس استفهام انكار بل هو استفهام تعجب وما وجهه مع انه هو الذى طلب الولد فى حال كبره وعقر امرأته وطلبه ذلك يستلزم علمه بكونه تعالى قادرا على هبة الولد لهما فما وجه تعجبه حال مابشر به مع علمه بقدرة الله تعالى عليه * وتقرير الجواب ان علمه بامكان حصول الولد من صلبهما لكونه تعالى قادرا على كل الممكنات لاينافى ان يتعجب ويستعظم كمال قدرة الله تعالى على تكوين الاشياء من غير توسط الاسباب والوسائط ﴿قوله ولذلك﴾ اى ولكون قول زكريا عليه الصلاة والسلام أنى يكون لى غلام اعترافا بكمال قدرة الله وبان تأثيرها لايتوقف على الاسباب بان قال كذلك على ان محل الكاف رفع على انه خبر مبتدأ محذوف والتقدير الامر كذلك وقوله قال رب ابتداء كلام استؤنف به جوابا لما يقال فماذا قال الله تعالى بعد تصديقه زكريا فاجيب قال ربك هو علىّ هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيأ وقد تقرّر ان الكاف الذى بمعنى مثل فى كذلك تكون مقحمة للتأكيد لما مرّ ان لفظ المثل فى قولهم مثلك لايبخل بمعنى انت لاتبخل فالمعنى فى الآية انه تعالى قال مثل ذلك الكلام هو علىّ هين فيكون الكاف بمعنى مثل زآئدا فى الآية اشارة الى ماسبق ذكره وهو قول زكريا رب أنى يكون لى غلام الخ او ماوعد الله تعالى اياه بقوله يازكريا انا نبشرك بغلام ﴿قوله ويؤيد الاوّل﴾ وهو ان يكون كذلك خبر مبتدأ محذوف وتكون الجملة مقول قال الاوّل على قرآءة من قرأ وهو علىّ هين بالواو فان تخلل الواو فيه بين الجملة وذلك يمنع من كون ذلك اشارة الى مبهم وكون الجملة تفسيرا لان المفسر يتعين ان يكون محله هو علىّ هين وان جعلت الكاف منصوبة بقال الثانية تكون قال الثانية مع مافى حيزها مقول قال الاولى واقحام القول الثانى على قرآءة الواو تكرارا ﴿قوله اوكما وعدت﴾ لافائدة يعتدّ بها فيه غير ان الاوّل بفتح التاء والموعود له هو ان يحصل له الغلام المبشر به فى المستقبل فيكون هين بمعنى يهون حصوله علىّ والثانى بضم التاء والذى وعده الله تعالى بالنسبة اليه تعالى هين ازلا وابدا وان كان بالنسبة الى زكريا لايهون عليه ﴿قوله بل كنت معدوما﴾ ومن قدر على الخلق والايجاد من العدم الصرف كان قادرا على تبديل صفات الشيخ الضعيف والشيخة العاقرة بان يعيد اليهما القوّة التى منها يتولد الماآن اللذان يخلق من اجتماعهما الولد والمعدوم ليس بشئ عند اهل السنة وبعض المعتزلة خلافا لبعضهم ومنهم من قال المعدوم شئ ﴿قوله علامة اعلم بها

والاظهر انه اعجمى وان كان عربيا فمنقول من فعل كيعيش ويعمر قيل سمى به لانه حيى به رحم امّه اولان دين الله حيى بدعوته (قال رب أنى يكون لى غلام وكانت امرأتى عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا) جساوة وقحولا فى المفاصل واصله عتو وكقعود فاستثقلوا توالى الضمتين والواوين فكسروا التاء فانقلبت الواو الاولى ياء ثم قلبت الثانية وادغمت وقرأ حمزة والكسائى عتيا بالكسر وانما استعجب الولد من شيخ فان وعجوز عاقر اعترافا بان المؤثر فيه كمال قدرته فان الوسائط عند التحقيق ملغاة ولذلك (قال) اى الله او الملك المبلغ للبشارة تصديقا له (كذلك) الامر كذلك ويجوز ان تكون الكاف منصوبة بقال فى (قال ربك) وذلك اشارة الى مبهم تفسيره (هو علىّ هين) ويؤيد الاوّل قرآءة من قرأ وهو علىّ هين اى الامر كما قلت اوكما وعدت وهو علىّ هين لااحتاج فيما اريد ان افعله الى الاسباب ومفعول قال الثانى محذوف اى افعل ذلك وهو علىّ هين (وقد خلقتك من قبل ولم تك شيأ) بل كنت معدوما صرفا وفيه دليل على ان المعدوم ليس بشئ وقرأ حمزة والكسائى وقد خلقناك (قال رب اجعل لى آية) علامة اعلم بها وقوع مابشرتنى به (قال آيتك ان لاتكلم الناس ثلاث ليال سويا) سوىّ الخلق مابك من خرس ولابكم وانما ذكر الليالى ههنا والايام فى آل عمران للدلالة على انه استمرّ عليه المنع من كلام الناس والتجرّد للذكر والشكر ثلاثة ايام ولياليهنّ

وقوع مابشرتني به فان البشارة بالولد وقعت مطلقة فلا يعرف وقتها بمجرد البشارة فطلب آية يعلم بها وقت وقوع ذلك الغلام في رحم امه ليزداد في الشكر ودعاء السلامة واتفقوا على ان تلك الآية هي تعذر الكلام عليه فان مجرد السكوت مع القدرة على الكلام لا يكون معجزا ثم اختلفوا على قولين احدهما انه اعتقل لسانه اصلا والثاني انه امتنع عليه الكلام مع القوم على وجه المخاطبة مع انه كان متمكنا من ذكر الله تعالى ومن قرآءة التوراة واختار المصنف هذا القول حيث قال والتجرد للذكر والشكر وقوله تعالى سويا حال من فاعل تكلم اى لا تكلم الناس في هذه المدة حال كونك صحيحا سويا والمحراب يطلق على المسجد وعلى الغرفة وقوله ان سبحوا يجوز ان يكون تفسيرا لأوحى وان يكون بمعنى المصدر المنصوب على انه مفعول اوحينا وبكرة وعشيا ظرفان للتسبيح ﴿قوله وقيل كتب لهم على الارض﴾ لم يرض به لقوله تعالى في سورة آل عمران آيتك ان لا تكلم الناس ثلاثة ايام الا رمزا والرمز لا يطلق على الكتابة روى عن ابي العالية ان البكرة صلاة الفجر والعشي صلاة المغرب فيحتمل ان يكون المعنى انهم يصلون معه في محرابه هاتين الصلاتين بان يخرج اليهم فيأذن لهم بلسانه في دخول محرابه فلما اعتقل لسانه خرج اليهم على عادته فاذن لهم بالاشارة بدل الكلام وفيه دلالة على ان الصلاة كانت في الامم الماضية في ختم الليل والنهار ﴿قوله على تقدير القول﴾ اى فوهبناله يحيي وقلناله بعد ولادته في حال طفوليته يا يحيي وصف الله تعالى اياه بهذه الصفات التسع كرامة له الصفة الاولى كونه مخاطبا من الله بقوله خذ الكتاب فدل ذلك على انه تعالى بلغ يحيي المبلغ الذي يجوز ان يخاطب فيه بذلك والصفة الثانية قوله وآتيناه الحكم صبيا فان صيرورة الصبي في صغره عاقلا قوي القلب بحيث يقدر على قرآءة التوراة بالفهم والاستبصار وتجري كلمات الحكمة على لسانه كما تجري على السنة الحكماء ليس اغرب من انشقاق القمر وانفلاق البحر والصفة الثالثة قوله تعالى وحنانا من لدنا وزكاة وهو معطوف على الحكم اى وآتيناه تحننا والحنان الرحمة واللين وحنين الناقة صوتها اذا اشتاقت الى ولدها والصفة الرابعة قوله تعالى وزكاة اى وآتيناه زكاة اى عملا صالحا زاكيا او كونه متصدقا به على ابويه والصفة الخامسة قوله تعالى وكان تقيا يتقي عما نهى الله عنه ويجتنبه واولى الناس بهذا الوصف من لم يعص الله تعالى والصفة السادسة قوله وبرا بوالديه ولا عبادة بعد تعظيم الله تعالى مثل تعظيم الوالدين ولهذا قال تعالى وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا والصفة السابعة قوله ولم يكن جبارا والمراد وصفه بالتواضع ولين الجانب والصفة الثامنة قوله عصيا وهو ابلغ من العاصي كما ان العليم ابلغ من العالم والصفة التاسعة قوله وسلام عليه اى امان من الله تعالى له وسلامة وهو عطف على آتيناه قيل اوحش ما يكون الخلق فيه ثلاثة مواطن يوم ولد فيرى نفسه خارجا مما كان فيه ويوم يموت فيرى ما لم يشاهده قط ويوم يبعث حيا فيرى محشرا عظيما فاكرمه الله تعالى يحيي عليه الصلاة والسلام فخصه بالسلامة والسلام عليه في هذه المواطن الثلاثة ثم انه تعالى لما ذكر ولادة يحيي عليه الصلاة والسلام من شيخ فان وعجوز عاقر ذكر ولادة عيسى عليه الصلاة والسلام من غير اب وقدم القصة الاولى على الثانية على طريق الترقي مما هو اقرب الى العقل والعادة الى ما هو ابعد عنهما فقال واذكر في الكتاب مريم اذ انتبذت وذكر لكلمة اذ اربعة اوجه الاول كونها بدل اشتمال من المحذوف المضاف الى مريم والثاني كونها بدل كل منه بناء على ان يراد بالظرف ما وقع فيه والثالث ان يكون ظرفا للمضاف المقدر اى اذكر قصة مريم او خبرها او نبأها اذ انتبذت والرابع ان يكون بمعنى ان المصدرية فيكون بدل اشتمال اى واذكر مريم انتباذها وتقدير المثال لا اكرمك لان لم تكرمني اى لعدم اكرامك ولا يجوز ان يكون ظرفا لاذكر لان الذكر ليس في ذلك الوقت والنبذ اصله الطرح والالقاء والانتباذ افتعال منه وانتبذت اى اعتزلت وتباعدت وانفردت على سرعة الى مكان هي ناحية الشرق من بيت المقدس او من دارها ثم انها لم تقتصر على ذلك بل اتخذت من دون اهلها حجابا اى حائلا يحول بينها وبينهم ثم لا بد في احتجابها من ان يكون لغرض صحيح وليس بمذكور في القرآن واختلف المفسرون فيه على وجوه فقيل انها لما رأت الحيض تباعدت من مكانها المعتاد للعبادة تنتظر الطهر لتغتسل وتعود فلما طهرت جاءها جبريل عليه الصلاة والسلام وقيل قعدت في المشرقة وهو موضع قعود في الشمس وضم الرآء وفتحها لغة فيه وفيه لغتان اخريان مشراق وشرقة بفتح الشين وسكون الرآء احتجبت عن اهلها لتخلى للعبادة ولا تشتغل عنها وقيل كان لها في منزل زكريا محراب على حدة تسكنه وكان زكريا اذا خرج اغلق عليها الباب فتمنت خلوة في الجبل لتفلي رأسها فانفرج السقف لها فخرجت فجلست في المشرقة وراء الجبل فاتاها الملك وقيل عطشت فخرجت الى

المغارة للسبق والله اعلم «**قوله** لتستأنس بكلامه» فانه لو ظهر فى صورة الملائكة لنفرت عنه ولم تقدر على استماع كلامه «**قوله** ولعله» اى ولعل تمثله فى تلك الصورة البهية لتهيج شهوتها اطلق الروح على جبريل عليه الصلاة والسلام تشبيها له بالروح فى انه سبب لحياة الدين كما ان الروح سبب لحياة البدن وهذه استعارة فى مجرد الروح ثم اضيف الروح الى ضمير المتكلم ليعلم ان المراد منه ليس روح البدن فهو قرينة الاستعارة «**قوله** وتحتفل» اى تنصرف وتذهب يقال حفلته فاحتفل اى جلوته عن مكانه فاجتلى «**قوله** ويجوز ان يكون للمبالغة» اى فى عوذها بالرحمن عطف على ماقبله من حيث المعنى فان محصول ماقبله ان قوله ان كنت تقيا لتقييد الحكم المدلول عليه بماقدر جزاء ثم قال ويجوز ان لايكون المقصود منه تقييد الحكم بل يكون للمبالغة فى عوذها بالرحمن كأنها قالت انى عائذة منك ان كنت تقيا فكيف ان لم تتق كقوله عليه السلام * نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه * فان الشرط فيه للمبالغة فى نفى العصيان على انه لو لم يخف منه تعالى لم يعصه فكيف اذا خاف منه ثم ان جبريل عليه الصلاة والسلام لما علم خوفها قال انما انا رسول ربك على طريق قصر الموصوف على الصفة ليزول عنها ذلك الخوف اى ليس بى ماتخافين منى لاجله وانما شأنى الرسالة من قبل ربك فى هبة الغلام واسند الهبة الى نفسه لكونه سببا فى هبته من حيث انه تعالى وهب الغلام لمريم بواسطة نفخ الملك فى درعها ويجوز ان يكون ضمير أهب لله تعالى على ان يكون الملك حاكيا لها كلام ربها بقول مضمر كأنه قال انما انا رسول ربك لابلغ اليك ماقاله الله تعالى فى حقك وهو قوله اهب لك غلاما «**قوله** ولم يباشرنى رجل بالحلال» جواب عما يقال قولها ولم يمسسنى بشر كاف فى مقصودها وهو ان تقول انما يكون بمس البشر وليس بى ذلك فلم قالت بعده ولم اك بغيا * وتقرير الجواب انها حملت المس على المس المشروع وهو مايكون مسبوقا بالنكاح فلذلك احتاجت الى ان تقول ولم اك بغيا كأنها قالت الولد لايكون الا بنكاح او سفاح ولم يتحقق شئ منهما عندى ونحو المس والمباشرة والقربان مما يكنى به عن الغشيان المشروع وان كان بحسب اللغة يعم المشروع وغيره الا ان المؤمن انما يطلق مثل هذه الكنايات على الوطئ المشروع ولا يكنى عن الزنى الا بما فيه تعيير وتقبيح نحو خبث بها وفجر «**قوله** ولذلك لم تلحقه التاء» اى ولكونه فعولا بمعنى الفاعل يستوى فيه المذكر والمؤنث فيقال بغى للذكر الفاجر والمرأة التى تبغى الرجال لم تلحقه التاء وانما يفرق بينهما بالتاء اذا كان بمعنى المفعول فيقال ناقة حلوبة مثلا وان جعل البغى فعيلا بمعنى فاعل ينبغى ان يكون بتاء التأنيث نحو امرأة بصيرة وقديرة الا انه لم تلحقه التاء لانه للمبالغة او للنسب كذا قاله ابو البقاء وتبعه المصنف وجه التعليل بهما ان التاء انما تلحق اسماء الفاعلين حملا لها على الفعل وانما تحمل عليه اذا كانت جارية عليه وموافقة له لفظا ومعنى بان تكون للحال او الاستقبال والفاعل الذى يكون للمبالغة والنسب يكون للدوام والثبوت لا للحال ولا للاستقبال فلما لم يجر على الفعل لفظا ولا معنى لم تلحقه التاء فرقا بينه وبين مايجرى عليه لفظا ومعنى وكذا لا تلحق التاء ماكان للنسب مما هو على فاعل نحو تامر ولابن وحائض اذا اريد بها ذات تمر وذات لبن وذات حيض فكذا بغى اذا كان بمعنى ذات بغى وتعليل الاستواء بكون الصفة للمبالغة مطلقا لا وجه له لانهم صرحوا بان ابنية المبالغة من الثلاثى ثلاثة اقسام الاول مايفرق فيه بين المذكر والمؤنث مطلقا اى سواء كان جاريا على الموصوف اولا يكون كصبار وصديق وامير فجعلوا نحو امير مما يلحقه التاء مطلقا والثانى مايستويان فيه مع الموصوف ويفترقان بدونه كمطعام ومسكين وفعول الذى لايكون بمعنى مفعول كناقة ركوبة والثالث مايستويان فيه مطلقا كضحكة وعلامة «**قوله** ونفعل ذلك لنجعله» يعنى ان قوله ولنجعله علة لمعلل محذوف وجملة التعليل مع المعلل معطوفة على قوله هو على هين «**قوله** او لنبين به قدرتنا ولنجعله» على ان يكون معطوفا على علة مضمرة عطف مفرد على مفرد وحمل الكلام على اضمار المعلل اولى لان اضماره يغنى عن اضمار العلة بخلاف اضمار العلة فانه لايغنى عن اضمار المعلل اذ لم يذكر قبل العلة المضمرة مايصح تعليله بها اذ لايصح ان يقال هو على هين لنبين به قدرتنا بل لابد ان يجعل التقدير هو على هين وفعلنا ذلك لنبين به قدرتنا والظاهر ان الضمير فى قوله هو على هين راجع الى خلق ذلك الغلام بغير ذكر وكذا ضمير نجعله آية فان ذلك الخلق آية على كمال قدرة الله تعالى لانه قد تقرر انه تعالى لما خلق آدم من غير ذكر ولا انثى وخلق حواء من ذكر بلا انثى ظهر انه تعالى قادر على انواع الخلق يخلق كيف يشاء وانه على كل شئ قدير الا ان عطف قوله ورحمة منا على قوله آية يستدعى ان يكون ضمير نجعله للغلام لان من كان رحمة للعباد هو الغلام فانه النعمة لمن تبعه فى دنياه وآخرته

فبيناهى فى مغتسلها اتاها جبرائيل متمثلا بصورة شاب امرد سوى الخلق لتستأنس بكلامه ولعله لتهيج شهوتها به فتنحدر نطفتها الى رحمها (قالت انى اعوذ بالرحمن منك) من غاية عفافها (ان كنت تقيا) تتقى الله وتحتفل بالاستعاذة وجواب الشرط محذوف دل عليه ماقبله اى فانى عائذة منك او فاتعظ بتعويذى او فلا تتعرض لى ويجوز ان يكون للمبالغة اى ان كنت تقيا متورعا فانى اعوذ منك فكيف اذا لم تكن كذلك (قال انما انا رسول ربك) الذى استعذت به (لأهب لك غلاما) اى لأكون سببا فى هبته بالنفخ فى الدرع ويجوز ان يكون حكاية لقوله سبحانه ويؤيده قرآءة ابى عمرو وابن كثير عن نافع ويعقوب بالياء (زكيا) طاهرا من الذنوب او ناميا على الخير اى مترقيا من سن الى سن على الخير والصلاح (قالت أنى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر) ولم يباشرنى رجل بالحلال فان هذه الكنايات انما تطلق فيه اما الزنى فانما يقال فيه خبث بها وفجر ونحو ذلك ويعضده عطف قوله (ولم اك بغيا) عليه وهو فعول من البغى قلبت واوه ياء وادغمت ثم كسرت الغين اتباعا ولذلك لم تلحقه التاء او فعيل بمعنى فاعل ولم تلحقه التاء لانه للمبالغة او للنسبة كطالق (قال كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله) اى ونفعل ذلك لنجعله او لنبين به قدرتنا ولنجعله وقيل عطف على لأهب على طريقة الالتفات (آية للناس) علامة لهم وبرهانا على كمال قدرتنا (ورحمة منا) على العباد يهتدون بارشاده

﴿قوله اى تعلق به قضاء الله﴾ اى حكمه قال تعالى وقضى ربك ان لاتعبدوا الا اياه وماحكم الله بوقوعه يجب وقوعه لانه لو لم يقع لانقلب علم الله جهلا وهو محال ﴿قوله او قدر وسطر فى اللوح﴾ على ان يكون القضاء بمعنى التقدير ومنه القضاء والقدر ﴿قوله اوكان امرا حقيقا بان يقضى ويفعل﴾ على ان يكون القضاء بمعنى الصنع والفراغ يقال قضيت حاجتى وقال تعالى فقضاهن سبع سموات ولما كان نفس خلقه وايجاده رحمة للعباد وكان خلقه على هذا الوجه علامة دالة على كمال قدرة الله تعالى كان امرا حقيقا بان يقضى ويفعل فصار بذلك كانه امر مقضى ومفعول فلذلك قيل فى حقه قبل ان يولد انه كان امرا مقضيا ﴿قوله بان نفخ فى درعها﴾ قيل ان جبريل عليه الصلاة والسلام رفع درعها فنفخ فى جيبه فحملت حين لبسته وقيل نفخ جبريل عليه السلام من بعد فوصل الريح اليها فحملت بعيسى فى الحال وقيل قد جيب درعها باصبعه ثم نفخ فى الجيب حتى وصلت النفخة الى الرحم وقيل نفخ فى ذيلها قال السدى اخذ بكميها فنفخ فى جيب درعها فدخلت النفخة صدرها فحملت فجاءتها اختها امرأة زكريا وهى حامل بيحيى تزورها فلما التزمتها عرفت انها حبلى وذكرت مريم حالها فقالت امرأة زكريا انى وجدت مافى بطنى يسجد لما فى بطنك فذلك قوله تعالى فى حق يحيى عليه الصلاة والسلام مصدقا بكلمة من الله وقيل ان النفخة كانت فى فيها فوصلت الى بطنها فحملت فى الحال وعلى التقادير ظهر ان فى الكلام حذفا وهو وكان امرا مقضيا فنفخ فيها فحملته اى حملت عيسى فى بطنها ﴿قوله وهو فى بطنها﴾ يريد ان الباء فى به للملابسة وان الجار والمجرور فى محل النصب على انه حال من فاعل انتبذت كقوله تنبت بالدهن اى تنبت والدهن فيها كما ان بنا فى قول المتنبى حال من فاعل تدوس اى تدوس الجماجم ونحن عليها والدوس الوطئ بالارجل واول البيت

❁ كأن خيولنا كانت قديما ❁	تسقى فى قحوفهم الحليبا ❁
❁ فمرت غير نافرة عليهم ❁	تدوس بنا الجماجم والتريبا ❁

القحوف جمع قحف وهو العظم الذى فوق الدماغ والحليب اللبن والضمير فى قحوفهم للاعداء والجماجم جمع جمجمة وهى عظم الرأس المشتمل على الدماغ والتريب عظم الصدر والعرب تسقى اللبن كرام خيولها يقول كأن خيلنا كانت تسقى اللبن فى اقحاف رؤس الاعداء فألفت بها فكانت خيولنا تمر عليهم وتدوس اى تطأ بأرجلها جماجمهم وترائبهم ونحن عليها ولم تنفر عنهم * فان قلت لم لم تجعل الباء فى قوله فانتبذت به للتعدية * فالجواب ان المفعول الذى يتعدى الفعل اليه بالباء يجب ان يكون بحيث لا يستلزم صدور الفعل من الفاعل التعلق به كما فى قولك ذهبت بزيد وصدور الانتباذ من الفاعل يستلزم انتباذ مافى بطنها من الجنين فلا فائدة فى ايراد حرف التعدية والقصى البعيد يقال مكان قاص وقصى مثل عاص وعصى واختلف فى علة الانتباذ على وجوه احدها مارواه الثعلبى عن وهب انه قال ان مريم لما حملت بعيسى عليه الصلاة والسلام كان لها ابن عم يسمى يوسف النجار وكانا منطلقين الى المسجد الذى عند جبل صهيون فكان مريم ويوسف يخدمان ذلك المسجد ولا يعلم من اهل زمانهما احد أشد اجتهادا وعبادة منهما واول من عرف بامر مريم يوسف فتحير فى امرها فكلما اراد ان يتهمها ذكر صلاحها وعبادتها وانها لم تغب عنه ساعة قط واذا اراد ان يبرئها رأى الذى ظهر بها من الحمل فاول ماتكلم ان قال لها انه قد وقع فى نفسى شئ من امرك وقد حرصت على كتمانه فغلبنى ذلك فرأيت ان الكلام فيه اشفى لصدرى فقالت قل قولا جميلا فقال اخبرينى يامريم هل ينبت زرع بغير بذر وهل تنبت شجرة من غير غيث وهل يكون ولد من غير ذكر قالت نعم الم تعلم ان الله انبت الزرع يوم خلقه من غير بذر وهذا البذر انما حصل من الزرع الذى انبته الله تعالى من غير بذر أولم تعلم ان الله انبت الشجر بغير غيث وبالقدرة جعل الغيث حياة الشجر بعد ماخلق كل واحد منهما على حدة اولم تعلم ان الله تعالى خلق آدم وامرأته من غير ذكر ولا انثى فعند ذلك زالت التهمة عن قلب يوسف فكان ينوب عنها فى خدمة المسجد لاستيلاء الضعف عليها بسبب الحمل وتضييق القلب فلما دنا نفاسها اوحى الله تعالى اليها ان اخرجى من ارض قومك لئلا يقتلوا ولدك فاحتملها يوسف الى ارض مصر على حمار له فلما بلغت تلك البلاد وادركها النفاس الجأها المخاض الى اصل نخلة وذلك فى زمان برد فاحتضنتها فوضعت عندها وثانيها انها استحيت من زكريا فذهبت الى مكان بعيد لئلا يعلم بها زكريا عليه الصلاة والسلام وثالثها انها لما كانت فى نهاية الشهرة استحيت من هذه الواقعة ورابعها انها خافت على ولدها لو ولدته فيما بين اظهرهم * واعلم ان هذه الوجوه كلها محتملة وليس فى القرآن مايدل على شئ منها

(وكان امرا مقضيا) اى تعلق به قضاء الل
فى الازل اوقدر وسطر فى اللوح اوكا
امرا حقيقا بان يقضى ويفعل لكونه آي
ورحمة (فحملته) بان نفخ فى درعه
فدخلت النفخة فى جوفها وكانت مدة حمله
سبعة اشهر وقيل ستة وقيل ثمانية ولم يعش
مولود وضع لثمانية غيره وقيل ساعة كما حملت
نبذته وسنها ثلاث عشرة سنة وقيل عش
سنين وقد حاضت حيضتين (فانتبذت به
فاعتزلت وهو فى بطنها كقوله * تدوس
بنا الجماجم والتريبا * والجار والجرو
فى موضع الحال (مكانا قصيا) بعيدا من اهله
وراء الجبل وقيل اقصى الدار

(فاجاءها المخاض) فألجاها المخاض وهو في الاصل منقول من جاء لكنه خص به في الاستعمال كآتى في اعطى وقرئ المخاض بالكسر وهمامصدر مخضت المرأة اذاتحرك الولدفي بطنها للخروج (الى جذع النخلة) لتستتربه وتعتمد عليه عندالولادةوهومابين العذق والغصن وكانت نخلة يابسة لارأس لها ولاخضرة فيها وكان الوقت شتاء والتعريف امّاللجنس اوللعهد اذلم يكن ثمة غيرهاوكانت كالمتعالم عندالناس ولعله تعالى ألهمهاذلك ليريهامن آياتها مايسكن روعتها ويطعمها الرطب الذى هو خرسة النفساء الموافقة لها (قالت ياليتني مت قبل هذا) استحياء من الناس ومخافة لومهم وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر وابو بكر مت من مات يموت (وكنت نسيا) مامن شأنه ان ينسى ولايطلب ونظيره الذبح لمايذبح وقرأ حمزة وحفص بالفتح وهو لغةفيه او مصدر سمى به وقرئ وبالهمزة وهو الحليب المخلوط بالماء ينسأه اهله لقلته (منسيا) منسى الذكر بحيث لايخطر بالهم وقرئ بكسر الميم على الاتباع (فناداها من تحتها) عيسى وقيل جبريل كان يقبل الولد وقيل تحتها اسفل من مكانهاوقرأنافع وحمزةوالكسائي وحفص وروح من تحتها بالكسر والجر على ان في نادى ضمير أحدهما وقيل الضمير في تحتها للنخلة (ان لاتحزنى) اى لاتحزنى اوبان لاتحزنى (قدجعل ربك تحتك سريا) جدولا هكذا روى مرفوعا وقيل سيدا من السرو وهو عيسى (وهزى اليك بجذع النخلة) وأميليه اليك والباءمزيدة للتأكيد اوافعلى الهز والامالة به اوهزى الثمرة بهزه والهزتحريك بجذب ودفع (تساقط عليك) تتساقط فادغمت التاء الثانية في السين وحذفها حمزة وقرأ يعقوب بالياء وحفص تساقط من ساقطت بمعنى اسقطت وقرئ يتساقط وبسقط وتسقط فالتاء للنخلة والياء للجذع

قالاولى السكوت عنها **قوله كالمتعالم** مفعول من تعالمه الجميع اى علموه **قوله من تحتها عيسى** عليه الصلاة والسلام قدّم هذا الاحتمال لان من تحتها بفتح الميم انمايستعمل اذا كان قدعلم قبل ذلك ان تحتها احدا والذى علم كونه تحتها هو عيسى عليه الصلاة والسلام فوجب ان يكون هو المراد به ولان ذلك الموضع موضع اللوث والنظر الى العورة فلايليق بالملك ان يكون في ذلك الموضع بمنزلة القابلة فالمعنى انه تعالى انطقه لها حين وضعته تطييبا لقلبها وازالة للوحشة عنها حتى تشاهد في اوّل الامر مايبشرها تطييبا لقلبها من علو شأن ذلك الولد ومن قال المنادى هو جبريل عليه الصلاة والسلام قال انه ارسل اليها ليناديها بهذه الكلمات كما ارسل اليها في اوّل الامر تذكيرا للبشارات المتقدمة وكان المراد بالنداء هنا الخطاب لا الصيحة برفع الصوت كما في قوله تعالى اذنادى ربه نداء خفيا ولما كان هذا الكلام مبنيا على ان يكون المعنى من تحت مريم عطف عليه احتمال ان يكون المعنى من تحت مكانها بان يكون المنادى في مكان اسفل من مكانها وفيه وجهان الاوّل ان يكونا معا في مكان مستو ويكون هناك مبدأ معين لتلك النخلة فكل من كان اقرب منها كان فوق وكل من كان ابعد كان تحت وعلى هذا الوجه قال بعضهم انه ناداها من اقصى الوادى والثانى ان يكون موضع احدهما اعلى من موضع الآخر فيكون صاحب العلو فوق صاحب السفل وعلى هذا الوجه روى عن عكرمة انها كانت حين ولدت على داسة وجبريل عليه السلام كان اسفل منها والداسة الاكمة المرتفعة عن الارض **قوله ان لاتحزنى اى لاتحزنى** على ان تكون ان مفسرة لتقدّمها ماهو بمعنى القول وكلمة لاعلى هذا نافية وحذف نون تحزنى للجزم وقوله اوبان لاتحزنى على ان تكون ان مصدرية ولانافية وحذف النون للنصب **قوله هكذا روى مرفوعا** اى انه عليه الصلاة والسلام سئل عن السرىّ فقال هو الجدول وهو النهر الصغير وسمى سريا لان الماء يسرى فيه ويؤيد هذا التفسير قوله تعالى فكلى واشربى فان تفريعه على ذكر السرىّ وتساقط الرطب الجنى انمايحسن بان يراد بالسرىّ الجدول حتى يجمع في تسليتها بين الماء والرطب فتؤمر بان يقال فكلى واشربى * قال صاحب الكشاف فان قلت ماكان حزنها لفقد الطعام والشراب حتى تسلى بالسرىّ والرطب قلت لم تقع التسلية بهما من حيث انهما طعام وشراب ولكن من حيث انهما معجزتان تريان الناس انها من اهل العصمة والبعد من الريبة وان مثلها مما قذفوها به بمعزل وان لها امورا خارجة من العادات خارقة لما ألفوا واعتادوا حتى يتبين لهم ان ولادها من غير فحل ليس ببدع من شأنها **قوله وقيل سيدا من السرو** يقال سرا يسرو سروا من باب نصر وسرى يسرى سرى من باب علم وسرو يسرو سراوة من باب حسن والجميع بمعنى صار سريا اى سيدا وجمع السرىّ سراة وجمع السراة سروات والمراد بالسرىّ ههنا عيسى عليه الصلاة والسلام ويؤيد هذا القول ان النهر لايكون تحت الانسان بل يكون الى جنبه ومن قال السرىّ هو النهر استشهد بماروى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال ضرب عيسى او جبريل بعقبه الارض فظهر ماء عذب فجرى النهر وقيل انه كان هناك ماء جار والاوّل اقرب يقينا لان قوله قدجعل ربك تحتك سريا يشعر بالجدول في ذلك الوقت ولان الله تعالى ذكر ذلك تعظيما لشأنها وذلك لايثبت الاعلى الاوّل **قوله واميليه اليك** اشارة الى ان الهز مضمن معنى الامالة لان الهز بمعنى التحريك لايتعدّى بالى بل يتعدّى بنفسه فالباء زائدة في المفعول كما في قوله تعالى ولاتلقوا بايديكم الى التهلكة والتقدير حركى جذع النخلة مميلة ذلك اليك **قوله اوافعلى الهز والامالة به** على ان ينزل الفعل المتعدّى منزلة اللازم للمبالغة على طريق قولهم فلان يعطى ويمنع ثم يعدّى كما يعدّى الفعل اللازم فتكون الباء للظرفية فلاتكون زائدة بل تكون للتعدية كما في قول الشاعر

* فان تعتذر بالمحل عن ذى ضروعها * الى الضيف يجرح في عراقيبها نصلى *

فانه جعل الجرح لازما ثم عدّاه بفي اراد بذى ضروعها اللبن الذى في الضرع والمحل الجدب وهو انقطاع المطر ويبس الارض من الكلا ويجرح جواب الشرط ونصلى فاعله والمراد بالنصل السيف والعراقيب جمع عرقوب وهو العصب الغليظ فوق عقب الحيوان ومعنى البيت اذا اعتذرت الناقة الى الضيف من قلة اللبن بسبب المحل وخلو الارض من الكلا اذبحها للضيفان **قوله اوهزى الثمرة بهزه** اى بهز الجذع على ان يكون مفعول الهز محذوفا وتكون الباء للاستعانة كما في قولك كتبت بالقلم * فان قلت ان الهز والتحريك يقع على الجذع اصالة وعلى الثمر تبعا فتقديم الثمر يستلزم ان يجعل الاصل تبعا والتبع اصلا فلاوجه لارتكابه مع قيام المعنى الصحيح الحاصل بان تجعل الباء صلة لتأكيد التعلق * قلنا هز الثمر وان كان تابعا بحسب الوجود الا انه اصل بالنظر الى ان

(المقصود)

المقصود هو الثمر وقوله وحذفها حمزة اى قرأ تساقط بفتح التاء وتخفيف السين وفتح القاف والذى اختارها المصنف يساقط بفتح الياء التحتانية وادغام تاء التفاعل وقرأ حفص تساقط على انه مضارع ساقط بمعنى أسقط ذكره الجوهرى وقرئ تتساقط باظهار التاءين على الاصل وقرئ تسقط ويسقط بضم حرف المضارعة وهى التاء فى الاولى والياء فى الثانية وبسكون السين وكسر القاف من اسقط وقرئ تسقط ويسقط بفتح حرف المضارعة التى هى التاء فى الاولى والياء فى الثانية وسكون السين وضم القاف ورفع الرطب بالفاعلية بتأويله بالثمرة على قرآءة التاء فالمجموع تسع قرآآت **﴿قوله لما فيه من المعجزات﴾** اى لمريم على ان يراد بالمعجزة مطلق الامر الخارق للعادة فتتناول الكرامة ويحتمل ان يراد بها معجزات لعيسى عليه الصلاة والسلام على ماقيل انه عليه الصلاة والسلام اعطى النبوّة فى حال طفوليته والا فالوجه ان يكون ذلك ارهاصا لنبوّة عيسى وكرامة لامه لان المعجزة هى الفعل الخارق للعادة الصادر بمن يدّعى النبوّة على وجه التحدّى ولا دعوى ولا تحدّى من احدهما والارهاص مايظهر على يد الانبياء قبل نبوّتهم كاظلال الغمام لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم فى طريق الشام وارتجاج ايوان كسرى ليلة ولد **﴿قوله او من الرطب وعصيره﴾** على ان يراد بالسرىّ السيد والاوّل على ان يراد به الجدول **﴿قوله او من القرّ﴾** بضم القاف وهو البرد ويطلق على القرار ايضا والسخنة الحرارة **﴿قوله تعالى فاما ترينّ﴾** دخلت فيه ان الشرطية على ما الزآئد للتأكيد فادغمت فيها وكتبت النون متصلة بما وترين اصله ترأيين حذفت الهمزة كما فى ترى وقلبت الياء القائم حذفت الالف لاجتماع الساكنين فلما دخلت نون التأكيد سقطت نون الاعراب فاجتمع ساكنان فكسرت ياء الضمير فصار فاما ترينّ **﴿قوله وقرئ ترئنّ﴾** بقلب ياء الضمير همزة على لغة من يقول لبأت بالحج اصله لبيت بالحج تلبية اى قلت لبيك اللهم لبيك بنية الحج لجريان التآخى بين الهمزة وحروف اللين فى الابدال حيث قلبت الهمزة حرف لين تارة كما فى راس ولوم وبير وقلب حرف اللين همزة اخرى كما فى أخره وأقتت فلما استحكم التآخى بينهما فى الابدال ابدلت ياء ترين همزة ودخلت فيه ان الشرطية على ما الزآئدة للتأكيد فادغمت النون وكتبت متصلة بها وترين اصله ترأيين حذف الهمزة كما فى ىرى وقلبت الياء الفا وحذفت الالف **﴿قوله صمتا او صياما﴾** لاشك ان المعنى فاما ترين من البشر احدا فسألك الكلام معه فقولى كذا ولا تكلميه فى امر لتشيا فان الامساك عن الكلام مراد من الصوم لامحالة وذلك اما بان يكون الصوم عبارة عن الامساك عن الكلام فقط او يكون عبارة عن الامساك عن المفطرات الثلاث والكلام جميعا وكل واحد من المعنيين محتمل فى الآية فان الصوم فى اللغة هو الامساك عن الطعام والشراب والكلام فيصوم عن الكلام كما يصوم عن الطعام ولا يتكلم حتى يمسى فعلى هذا يكون النذر بالصوم نذرا بالامتناع عن الكلام صريحا وعلى الاوّل ضمنا **﴿قوله بعد ان اخبرتكم بنذرى﴾** اشارة الى جواب مايقال لما التزمت الصمت كيف يصح منها ان تقول انى نذرت للرحمن صوما وهذا الكلام منها ترك لما نذرت من الصوم وحاصل الجواب انها كانت مأمورة بهذا الكلام عند رؤيتها اياهم يسألونها عن سبب ولادتها لقوله تعالى فقولى وبه تكون ناذرة ويجب السكوت عليها بعد هذا الكلام فهى ليست بمأمورة بان تنذر فى الحال بل هى مأمورة بان تصبر الى ان يأتيها قومها فيتهموها فتقول لهم حينئذ انى نذرت للرحمن صوما وقيل فى الجواب انها ماتكلمت معهم لانها كانت مأمورة بان تأتى بهذا النذر عند رؤيتهم فلو انت بهذا النذر وتكلمت معهم بعد ذلك لكانت تاركة للوفاء بنذرها وما تكلمت بل سكتت واشارت بانها نذرت الصوم فالمراد بالقول فى قوله تعالى قولى انشاء النذر بالقول لا جواب القوم واعلامهم بنذرها **﴿قوله وانما اكلم الملائكة واناجى ربى﴾** مفهوم قوله لن اكلم اليوم انسيا حيث نفت عن نفسها التكلم المتعلق بالانس **﴿قوله وامرها بذلك﴾** يعنى امرها الله تعالى بان تنذر الصوم ولا تباشر الكلام بينهم لوجهين الاوّل كراهة مجادلة السفهاء فدل ذلك على ان السكوت عن السفيه واجب قيل اذل الناس سفيه لم يجد مسافها والثانى الاكتفاء بكلام عيسى عليه الصلاة والسلام لكون كلامه اقوى فى ازالة التهمة من كلامها **﴿قوله مع ولدها﴾** اشارة الى ان به فى محل النصب على انه حال من فاعل اتت اى أتت مصاحبة به نحو جاء بثيابه اى ملتبسا بها وقوله حاملة اياه يحتمل ان يكون حالا ثانية من فاعل اتت وان يكون حالا من الهاء فى به **﴿قوله بعدما طهرت من النفاس﴾** بناء على ماروى عن ابن عباس ان يوسف النجار احتمل مريم وابنها وانتهى بهما الى غار فادخلهما فيه ومكثوا به اربعين يوما حتى طهرت من النفاس ثم أتت به قومها تحمله فكلمها عيسى فى الطريق فقال اماه أبشرى فانى عبد الله ومسيحه **﴿قوله بديعا﴾** من قولهم

(رطبا جنيا) تمييزا ومفعول روى انها كانت نخلة يابسة لارأس لها ولا ثمر وكان الوقت شتاء فهزتها فجعل الله تعالى لها رأسا وخوصا ورطبا وتسليتها بذلك لما فيه من المعجزات الدالة على برآءة ساحتها فان مثلها لايتصوّر لمن يرتكب الفواحش والمنبهة لمن رآها عليه على ان من قدر ان يثمر النخلة اليابسة فى الشتاء قدر ان يحبلها من غير فحل وانه ليس ببدع من شأنها مع مافيه من الشراب والطعام ولذلك رتب عليه الامرين فقال (فكلى واشربى) اى من الرطب وماء السرىّ او من الرطب وعصيره (وقرّى عينا) وطيبى نفسك وارفضى عنها ما احزنك وقرئ وقِرّى بالكسر وهو لغة نجد واشتقاقه من القرار فان العين اذا رأت مايسرّ النفس سكنت اليه من النظر الى غيره او من القرّ فان دمعة السرور باردة ودمعة الحزن حارّة ولذلك يقال قرّة العين وسخنتها للمحبوب والمكروه (فاما ترينّ من البشر احدا) فان ترى آدميا وقرئ ترئنّ على لغة من يقول لبأت بالحج لتآخ بين الهمزة وحرف اللين (فقولى انى نذرت للرحمن صوما) صمتا وقد قرئ به او صياما وكانوا لايتكلمون فى صيامهم (فلن اكلم اليوم انسيا) بعد ان أخبرتكم بنذرى وانما اكلم الملائكة واناجى ربى وقيل اخبرتهم بنذرها بالاشارة وامرها بذلك لكراهة المجادلة والاكتفاء بكلام عيسى عليه السلام فانه كاف فى قطع الطاعن (فأتت به) اى مع ولدها (قومها) راجعة اليهم بعدما طهرت من النفاس (تحمله) حاملة اياه (قالوا يامريم لقد جئت شيأ فريا) بديعا منكرا من فرى الجلد

فلان يفرى الفرى اى يأتى بالعجب فى عمله و ظاهر اللفظ يحتمل ان يراد انك قدجئت شيأ عجيبا خارجا عن العادة من غير قصد التعيير و الذم الا ان المصنف حمله على الذم حيث اتبعه بقوله منكرا لقولهم بعد يا اخت هرون ما كان ابوك امرأ سوء فان ظاهر هذا القول التوبيخ ﴿قوله وكانت من اعقاب من كان معه﴾ اى كانت مريم ممن يعقب هرون النبي عليه الصلاة و السلام فى طبقة الاخوة بان تكون مريم من نسل اخت هرون او اخيه و قيل ليست من نسل اخت هرون او اخيه بل كانت من نسل نفسه عليه السلام و انما قيل لها يا اخت هرون بمعنى يا واحدة من قبيلة هرون بان يراد بهرون القبيلة التى هو ابوها كما يقال يا اخا همدان اى يا واحدا منهم و همدان اسم قبيلة ﴿قوله او لما رأوا قبل من صلاحها﴾ عطف على قوله تهكما يعنى انهم شبهوها بالرجل الصالح المسمى بهرون وسموها باسمه على سبيل الاستعارة التهكمية المبنية على تشبيه احد الضدين بالآخر بجامع الضدية تنزيلا للتضاد منزلة التناسب بواسطة التهكم او على سبيل الاستعارة التحقيقية على معنى كنت عندنا مثله فى الصلاح ﴿قوله او شتموها به﴾ عطف على قوله شبهوها به الاول نشر لقوله هو رجل صالح و الثانى نشر لقوله او طالح و المعنى انت فى الحال مثله و الشخص يقال له يا شبيه الفاسق سب له روى انه كان فى بنى اسرآئيل رجل صالح يسمى هرون نسب اليه كل من عرف بالصلاح وذلك ان هرون الصالح تبع جنازته اربعون الفا كلهم يسمون بهرون تبركا به و باسمه ﴿قوله وصبيا حال﴾ اى وليس بخبر لكان لانها زآئدة لا تنصب الخبر و المعنى كيف نكلم من استقر فى المهد حال كونه صبيا و قيل كان تامة بمعنى وجد فصبيا حال من الضمير فيه و قيل انها دآئمة اى ناقصة على بابها من دلالتها على اقتران مضمون الجملة بالزمان الماضى من غير تعرض للانقطاع و لذلك يعبر عنها بانها ترادف مازال و لفظ كان و ان كان يفيد تقييد مضمون الجملة بالزمان الماضى مطلقا الا ان المراد منه فى الآية الزمان القريب بقرينة المقام و المعنى كيف نكلم من كان بالامس وقريبا من هذا الوقت فى المهد و غرضهم من ذلك استمرار حال الصبي به و ان عيسى لم يبرح بعد عنه ولو تكلم من هو بالمهد لم يكن فيه اهلية تلك الوكالة من حيث ان حاله كالشاهد على ذلك ﴿قوله او بمعنى صار﴾ اى كيف نكلم من صار فى المهد صبيا فصبيا على هذا خبرها قيل المهد محرابها لما روى انها اخذته فى خرقة فأتت به قومها فلما رأوها قالوا ما قالوا و المهد يطلق على المقر مطلقا كما فى قوله تعالى و جعل لكم الارض مهادا و قيل هو مهد الصبي اى كيف نكلم صبيا سبيله ان ينام فى المهد ومن اهله و ان لم يكن فى تلك الحال موضوعا فيه * فان قيل كيف عرفت مريم من حال عيسى انه يتكلم * اجيب عنه بان جبريل او عيسى عليهما الصلاة السلام نادى من تحتها ان لا تحزنى و امرها عند رؤية الناس بالسكوت فصار ذلك كالتنبيه لها على ان المجيب هو عيسى او لعلها عرفت ذلك بالوحى الى زكريا او بالوحى اليها على سبيل الكرامة لها ﴿قوله و للرد على من زعم ربوبيته﴾ يعنى ان الحاجة فى ذلك الوقت و ان كانت الى دفع تهمة الزنى عن امه الا ان الله تعالى انطقه اول ما تكلم بان يقر على نفسه بالعبودية لله عز وجل لئلا يتخذه النصارى الها كانه تعالى جعل ازالة التهمة عن ذاته المقدسة اولى من ازالة التهمة عن مريم فلذلك انطقه اول ما تكلم بقوله انى عبدالله ﴿قوله نفاعا معلما للخير﴾ حيث ينتفع اصحاب الآفات بسبب دعائه فانه كان يحيى الموتى ويبرئ الاكمه و الابرص وانه كان يعلم الناس دينهم و يدعوهم الى طريق الحق فان ضلوا فمن قبل انفسهم لا من قبل نفسه ﴿قوله و امرنى بالصلاة﴾ قيل قوله و اوصانى بالصلاة و الزكاة لا يدل على انه تعالى اوصاه بادآئهما فى الحال بل بعد بلوغه حد التكليف وحصول شرآئط الوجوب و الادآء و لا يفيد ان جعله الله تعالى لما انفصل عن امه قوى التركيب كامل العقل بحيث يمكنه أدآء الصلاة و الزكاة مع صغر جثته و آتاه الكتاب و سائر ما خص به من الفضائل و لكن هذا هو الاوفق لقوله ما دمت حيا فانه يفيد أن هذا التكليف متوجه اليه فى جميع زمان حياته و الآية تدل ايضا على ان تكاليفه لم يتغير حين كان فى الارض وحين رفع الى السماء و حين ينزل مرة اخرى ﴿قوله ولم يجعلنى جبارا شقيا عندالله من فرط تكبره﴾ لما كان المقصود من عطف هذه الجملة على ماقبلها تأكيد مضمون ماقبلها كان المعنى و جعلنى برا خاضعا متواضعا لامى و لم يجعلنى عاتيا متكبرا مضيعا لحق و الدتى التى تأكد حقها لقيامها مقام الوالدين الا انه عليه الصلاة السلام عبر عن هذا المعنى بما يستلزمه وهو كونه جبارا شقيا فى علم الله لكون الكناية ابلغ من التصريح ﴿قوله و التعريف للعهد﴾ و المعهود هو السلام المذكور فى قصة يحيى عليه الصلاة و السلام وهو قوله تعالى و سلام عليه يوم ولد و يوم يموت و يوم يبعث حيا فالمعنى و السلام الموجه اليه فى المواطن الثلاثة موجه اليه ايضا لكن السلام المعين الذى توجه الى يحيى يستحيل ان يتوجه الى شخص آخر وغاية

(ياخت هرون) يعنون هرون النبي عليه الصلاة و السلام وكانت من اعقاب من كان معه فى طبقة الاخوة وقيل كانت من نسله وكان بينهما الف سنة وقيل هو رجل صالح او طالح كان فى زمانهم شبهوها به تهكما او لما رأوا قبل من صلاحها او شتموها به (ماكان ابوك امرأ سوء وما كانت امك بغيا) تقرير لان ما جاءت به فرى وتنبيه على ان الفواحش من اولاد الصالحين افحش (فاشارت اليه) الى عيسى ان كلموه ليجيبكم (قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبيا) ولم نعهد صبيا فى المهد كلمه عاقل وكان زآئدة والظرف صلة من وصبيا حال من المستكن فيه او تامة او دآئمة كقوله تعالى وكان الله عليما حكيما او بمعنى صار (قال انى عبدالله) انطقه الله تعالى به اولا لانه اول المقامات وللرد على من زعم ربوبيته (آتانى الكتاب) الانجيل (وجعلنى نبيا وجعلنى مباركا) نفاعا معلما للخير والتعبير بلفظ الماضى اما باعتبار ما سبق فى قضائه او بجعل المحقق وقوعه كالواقع وقيل اكمل الله عقله واستنبأه طفلا (اينما كنت) حيث كنت (وأوصانى) وأمرنى (بالصلاة والزكاة) زكاة المال ان ملكته او تطهير النفس عن الرذآئل (ما دمت حيا وبرا بوالدتى) وبارا بها عطف على مباركا وقرئ بالكسر على انه مصدر وصف به او منصوب بفعل دل عليه اوصانى اى وكلفنى برا ويؤيده القرآءة بالكسر والجر عطفا على الصلاة (ولم يجعلنى جبارا شقيا) عندالله من فرط تكبره (والسلام على يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا) كما هو على يحيى والتعريف للعهد والاظهر انه للجنس والتعريض باللعن على اعدآئه فانه لما جعل جنس السلام على نفسه عرض بان ضده عليهم كقوله تعالى والسلام على من اتبع الهدى فانه تعريض بان العذاب على من كذب وتولى

الامر ان يتوجه اليه مثله وهو غير معهود بل ليس ذلك الكلام المتوجه الى يحيى ايضا معهودا بين عيسى وبين قومه اذلم يجر بينهم ذكره ومن حق المشار اليه بلام العهد ان يكون معهودا فكان حمل الكلام على العهد خفيا والاظهر ان يحمل على الجنس والتعريض باللعنة على من اتهم مريم بالزنى ووجه كونه التعريض ان اللام للجنس فلما قال وجنس السلام علىّ اصالة وعلى اتباعى تبعا فقد عرّض بان ضد ذلك على من عاداه وروى عن عيسى عليه الصلاة والسلام انه قال ليحيى انت خير منى سلم الله عليك وسلمت على نفسى واجاب الحسن فقال ان تسليمه على نفسه تسليم الله عليه لانه انما فعله باذن الله * قال الامام واعلم ان اليهود والنصارى ينكرون ان عيسى عليه الصلاة والسلام تكلم فى المهد وفى زمان الطفولية واحتجوا عليه بان هذا من الوقائع العجيبة التى تتوافر الدواعى الى نقلها فلو وجدت لنقلت بالتواتر ولو كان كذلك لعرفه النصارى لاسيما وهم اشدّ الناس بحثا عن احواله واشدّ الناس غلوّا فيه حتى زعموا كونه الٰها فلما لم يعرفه النصارى مع شدّة الحب وكمال البحث عن احواله علمنا انه لم يوجد ولان اليهود اظهروا عداوته لما اظهر ادّعاء النبوّة فلو انه عليه الصلاة والسلام تكلم فى زمان الطفولية وادّعى الرسالة لكانت عداوتهم معه اشدّ ولكان قصدهم قتله اعظم فحيث لم يحصل شئ من ذلك علمنا انه ما تكلم واما المسلمون فقد احتجوا من جهة العقل على انه تكلم بانه لولا كلامه الذى دلهم على برآءة امّه من الزنى لما تركوا اقامة حد الزنى عليها ففى تركهم لذلك دلالة على انه عليه الصلاة والسلام تكلم فى المهد واجابوا عن الشبهة الاولى بانه ربما كان الحاضرون عند كلامه قليلين فلذلك لم يشتهر وعن الثانية بقولهم لعل اليهود ما حضروا هناك وما سمعوا كلامه وانما سمع كلامه اقاربه فلذلك لم يشتغلوا بقصد قتله انتهى كلامه ﴿قوله وهو تكذيب لهم فيما يصفونه﴾ من انه ابن الله او هو الله او ثالث ثلاثة ووجه التكذيب انه تعالى اشار اليه عليه الصلاة والسلام بقوله ذلك اى ذلك الموصوف بهذه الصفات المذكورة بقوله انى عبد الله آتانى الكتاب الخ واخبر عنه بانه عيسى بن مريم ونص على انه ولد هذه المرأة وقد ذكر قبل ان امّه لما انتبذت به مكانا شرقيا ارسلنا اليها روحنا فوهب لها غلاما زكيا بان نفخ فى قميصها فحملته ووضعته عند جذع النخلة وهذه المذكورات توصيف له عليه الصلاة والسلام باضداد مايصفه النصارى به فهو تكذيب لهم بما يكون برهانا على كذبهم فهو ابلغ من ان يقال لهم كذبتم فيما وصفتموه به ﴿قوله ثم عكس الحكم﴾ اى بانهم حكموا بانه عليه الصلاة والسلام هو الله او ابنه فقال تعالى ما كان لله ان يتخذ من ولد حيث صرّح بنفى الولد عنه واحاله اى لايصح له ذلك ولا ينبغى بل يستحيل واكد بقوله سبحانه ثم بين استحالة ذلك بقوله اذا قضى امرا فان قضى هنا بمعنى خلق كما فى قوله فقضاهنّ سبع سموات والمراد انه اذا اراد خلق شئ فانه يكون من غير توقف على سبب وآلة ووجه الدلالة ان من كان شأنه ذلك كان منزّها عن اتخاذ الولد لعدم احتياجه حينئذ الى شئ ﴿قوله والاضافة للبيان﴾ اى هى من اضافة الموصوف الى الصفة اى القول الحق كقوله وعد الصدق اى الوعد الصدق والمحكوم عليه بانه القول الحق هو القول بان عيسى عليه الصلاة والسلام ابن مريم او تمام قصة مريم الى هنا ﴿قوله ومعناه كلمة الله﴾ اى معنى قوله قول الحق سواء كان صفة عيسى او بدله كلمة الله وسمى عيسى عليه الصلاة والسلام قولا كما سمى كلمة لانه انما تكوّن بكلمة كن ونشأ عنها فسمى المسبب باسم سببه ﴿قوله على انه مصدر مؤكد﴾ اى لمضمون الجملة التى لها محتمل غيره اى اقول قول الحق كقولك هذا عبد الحق وقولك رجع القهقرى فان المصدر فى كليتهما مؤكد لما يحتمل غيره الا ان المحتمل فى الاوّل جملة وفى الثانى مفرد اعنى مجرّد الفعل عن نسبته الى الفاعل وقولك لا فعلته البتة من قبيل الاوّل اى قطعت بالفعل وجزمت به قطعة واحدة اى ليس فيه تردّد بحيث جزم به ثم تردّد فيه ثم جزم به مرّة اخرى فيكون قطعتين او اكثر بل هو قطعة واحدة لايثنى فيها النظر ويحتمل ان يكون منصوبا على المدح ان جعل القول بمعنى الكلمة والحق من اسماء الله * قال صاحب الكشاف ثم انه تعالى بين استحالة اتخاذ الولد على الله تعالى بانه اذا اراد شيأ من الاجناس كلها اوجده بكلمة كن وهو منزه عن شبه الحيوانات المتوالدة والقول ههنا مجاز ومعناه ان ارادته للشئ يتبعها كونه لامحالة من غير توقف على سبب فشبه ذلك بامر الآمر المطاع اذا ورد على المأمور الممتثل انتهى ﴿قوله من﴾ موصولة صلتها اذا اراد الخ وقوله اذا اراد شيأ تفسير لقوله اذا قضى اى اذا اراد قضاءه فالمعنى اذا اراد ايجاد شئ فكما اراده يكون لامحالة ولا يتوقف كونه على اسباب وادوات وقوله تعالى كن عبارة عن نفاذ قدرة الله تعالى ومشيئته فى الممكنات فان تعلق الارادة الازلية

(ذلك عيسى بن مريم) اى الذى تقدّم نعته هو عيسى بن مريم لا مايصفه النصارى وهو تكذيب لهم فيما يصفونه على الوجه الابلغ والطريق البرهانى حيث جعله الموصوف باضداد مايصفونه ثم عكس الحكم (قول الحق) خبر محذوف اى هو قول الحق الذى لاريب فيه والاضافة للبيان والضمير للكلام السابق او لتمام القصة وقيل صفة عيسى او بدله او خبر ثان ومعناه كلمة الله وقرأ عاصم وابن عامر ويعقوب قول بالنصب على انه مصدر مؤكد وقرئ قال الحق وهو بمعنى القول (الذى فيه يمترون) فى امره يشكون او يتنازعون فقالت اليهود ساحر وقالت النصارى ابن الله وقرئ بالتاء على الخطاب (ما كان لله ان يتخذ من ولد سبحانه) تكذيب للنصارى وتنزيه لله تعالى عما بهتوه (اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون) تبكيت لهم بان من اذا اراد شيأ اوجده بكن كان منزّها عن شبه الخلق والحاجة فى اتخاذ الولد باحبال الاناث وقرأ ابن عامر فيكون بالنصب على الجواب

بالمراد من حيث كونه موجبا لوقوعه يجرى مجرى امر الآمر المطاع ووقوع المراد عقيب تعلق تلك الارادة به يجرى مجرى امتثال المأمور المنقاد لاوامر مولاه فعبرالله عن هذا المعنى بهذه العبارة على سبيل الاستعارة التمثيلية ومن الناس من اجرى الآية على ظاهرها وزعم انه تعالى اذا احدث شيأ قال له كن وهذا ضعيف لانه تعالى اما ان يقول له كن قبل حدوثه او حال حدوثه فان كان الاوّل كان ذلك خطابا مع المعدوم وهو عبث وان كان الثانى فهو حال حدوثه قد وجد بالقدرة والارادة فاىّ تأثير لقوله كن فيه ومنهم من زعم ان المراد بقوله كن هو التخليق وهو التكوين وذلك لان القدرة على الشئ غير تكوين الشئ فانه تعالى قادر فى الازل وغير مكوّن فى الازل ولانه الآن قادر على عوالم سوى هذا العالم وغير مكوّن لها فالقادرية غير المكوّنية والتكوين ليس نفس المكوّن لانا نقول المكوّن انما حدث لان الله تعالى كوّنه واوجده فلو كان التكوين نفس المكوّن لكان قولنا المكوّن انما وجد بتكوين الله بمنزلة قولنا المكوّن انما وجد بنفسه وذلك محال فثبت ان التكوين غير المكوّن فقوله كن اشارة الى الصفة المسماة بالتكوين ﴿قوله سبق تفسيره﴾ وهو ان المقصود من هذا الكلام دعوة الخلق الى الحق وهو الاستكمال بحسب القوّة النظرية اصلا ويتفرّع عليه الامر بالتوحيد فاشار الى الاستكمال بالاعتقاد الحق الذى عمدته الاعتقاد بوجود الآله المستجمع لجميع صفات الجلال والجمال ووحدته فقال ان الله ربى وربكم وفرّع عليه الاستكمال بحسب القوّة العملية الكائن بملازمة الطاعة التى هى الاتيان بالاوامر والانتهاء عن النواهى فقال فاعبدوه * فان قيل ان قائل ان الله ربى وربكم لايصح ان يكون هو الله تعالى * قلنا فيه قولان الاوّل ان قائله هو سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم اى قل يا محمد ان الله ربى وربكم بعد ظهور ان عيسى عبد الله المولود من مريم والثانى ان قائله هو عيسى وان الواو فى وان الله ربى عطفت مابعدها على قوله انى عبد الله آتانى الكتاب وفيه ضعف لانه يقتضى وقوع قوله ذلك عيسى بن مريم الى قوله كن فيكون وهو كلام الله اعتراضا بين كلامى عيسى والاعتراض انما يكون من كلام المتكلم ومن قرأ وان الله بفتح الهمزة بناها على حذف حرف الجرّ متعلقا بما بعده والتقدير ولان الله ربى وربكم فاعبدوه كقوله تعالى وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله اى ولان المساجد لله فلا تدعوا واللام متعلقة بلا تدعوا والتقدير فلا تدعوا مع الله احدا فى المساجد لان المساجد لله فعلى هذا يعمل مابعد الفاء السببيه فيما قبلها بخلاف الجزآئية وقيل فى وجه هذه القرآءة انه معطوف على الصلاة فى قول عيسى اى اوصانى بالصلاة وبان الله ربى ويؤيده مافى مصحف ابىّ وبان الله ربى باظهار الباء اقول هذا القول ضعيف لكثرة الفواصل بين المتعاطفين ولا يؤيده ظهور الباء فى مصحف ابىّ لان الباء باء السببية والمعنى وبسبب ان الله ربى وربكم فاعبدوه فهى كاللام ومن قرأ وان بكسر الهمزة جعله كلاما مستأنفا ويؤيدها قرآءة ابىّ ان الله بكسر الهمزة بدون الواو وترتيب الامر بالعبادة على وصف الربوبية فى قوله تعالى هو ربى وربكم فاعبدوه يدل على انه انما يلزمنا عبادة الله تعالى لكونه ربا لنا ومنعما علينا بانواع النعم لماتقرر من ان ترتيب الحكم على الوصف المشتق مشعر بالعلية لاسيما اذا كان الترتيب بالفاء السببية وسمى القول بالتوحيد ونفى الولد والصاحبة صراطا مستقيما تشبيها له بالطريق من حيث انه يؤدّى الى الجنة ﴿قوله اليهود والنصارى﴾ قالت اليهود انه ساحر كذاب ولد لغير رشدة وانه ابن يوسف النجار والنصارى يختلفون فيما بينهم فى شأنه عليه الصلاة والسلام قال قتادة بنوا اسرآئيل بعدما رفع عيسى عليه الصلاة والسلام الى السماء افترقوا اربع فرق فاخرج كل قوم عالمهم فاختلفوا فى شأنه فقال احدهم هو الله هبط الارض فاحيى من احيى واماتَ من أمات ثم صعد الى السماء وهم اليعقوبية فقالت الثلاثة له كذبت ثم قال اثنان للثالث قل فيه فقال هو ابن الله اظهره ماشاء ثم رفعه الى السماء وهم النسطورية فقال له الاثنان كذبت ثم قال احد الاثنين منهم للآخر قل فيه فقال هو ثالث ثلاثة الله آله وامه آله وهو نفسه الثالث وهم الاسرآئيلية ملوك النصارى وقال الرابع هو عبد الله ورسوله وكلمته وهو المسلم الموحد قال اما تعلمون ان عيسى كان يطعم وينام وان الله تعالى لايجوز ذلك عليه فخاصمهم فقام لكل رجل منهم اتباع على ما قال فاقتتلوا فظهروا على المسلمين منهم ﴿قوله من شهود يوم عظيم هوله﴾ يعنى ان مشهد امامن الشهود بمعنى الحضور او من الشهادة واياما كان فاما ان يكون مصدرا ميميا او اسم مكان او اسم زمان واذا كان من الشهادة فالمراد اما الشهادة عليهم او شهادتهم فى حق عيسى عليه الصلاة والسلام فهذه تسعة اوجه واضافة مشهد الى يوم فى الجميع بمعنى فى كضرب اليوم ﴿قوله او من وقت الشهود او من مكانه﴾ اى من زمان شهودهم هول الحساب فى يوم

(وان الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم) سبق تفسيره فى سورة آل عمران وقرأ الحجازيان والبصريان ان بالفتح على ولأن وقيل انه معطوف على الصلاة (فاختلف الاحزاب من بينهم) اليهود والنصارى او فرق النصارى نسطورية قالوا انه ابن الله ويعقوبية قالوا هو الله هبط الى الارض ثم صعد الى السماء وملكانية قالوا هو ثالث ثلاثة وموحدون قالوا هو عبد الله ونبيه (فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم) من شهود يوم عظيم هوله وحسابه وجزآؤه وهو يوم القيامة او من وقت الشهود او من مكانه او من شهادة ذلك اليوم عليهم وهو ان يشهد عليهم الملائكة والانبياء وألسنتهم وايديهم وارجلهم بالكفر والفسوق او من وقت الشهادة او من مكانها

القيامة او من مكان شهودهم اياه فى ذلك اليوم ﴿ **قوله** وقيل هو ماشهدوا به ﴾ اى قيل المراد بالمشهد المأخوذ من الشهادة ماشهدوا به فى حق عيسى وامه لاماشهد به عليهم الملائكة والانبياء وجوارحهم وعلى هذا ان كان المشهد مصدرا ميميا يكون المعنى وبل لهم من عقوبة شهادتهم فى حقهما فى ذلك اليوم ولاوجه لان يكون اسم زمان اومكان حينئذ الاتكاف بعيد وعلى تقدير جعله مصدرا ميميا وان كان يصح المعنى الاان المصنف لم يرض به لان تخصيص المشهود به بماشهدوا به فى حق عيسى وامه لايناسب التعبير عنهم بقوله للذين كفروا فانه يشعر بان استحقاقهم للويل معلل بمطلق الكفر ﴿ **قوله** تعجب ﴾ فان التعجب له صيغتان احداهما ما افعله والثانية افعل به فقوله تعالى أسمع وقوله وأبصر معناه الظاهر مااسمعهم وماابصرهم والمتعجب يجوز عليه الجهل فذكر لتوجيه هذه الصيغة فى هذا المقام ثلاثة اوجه الاول ان يرجع التعجب الى العباد والمعنى ان اسماعهم وابصارهم يومئذ جدير بان يتعجب منهما بعد ماكانوا صماعميا فى الدنيا والثانى انه ليس المراد التعجب بل المراد التهديد بماسيسمعون ويبصرون يومئذ مما يسوءهم فعلى الوجه الاول متعلق الاسماع والابصار منسى ليعم كل مايصح ان يسمع ويبصر وعلى هذا الوجه منوى وهو مايسوءهم ويصدع قلوبهم والثالث ان هذه الصيغة وان اشتهر استعمالها فى معنى التعجب الا انها فى الاصل لفظ امر وقداستعملت ههنا فى اصل معناها والمأمور هو رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى اسمع الناس وابصرهم مواعيد ذلك اليوم والباء زآئدة فى المفعول كما فى قوله تعالى ولاتلقوا بايديكم الى التهلكة ﴿ **قوله** والجار والمجرور على الاول ﴾ اى على ان تكون هذه الصيغة للتعجب على احد الوجهين فى موضع الرفع على الفاعلية وذلك لان اكرم بزيد مثلا اصله اكرم زيد اى صار زيدذا كرم كاغدّ البعير بمعنى صار ذاغدّة الاانه اخرج لفظ الماضى الذى معناه الخبر على لفظ الامر كما اخرج على لفظ الخبر مامعناه الامر والدعاء كقوله تعالى والمطلقات يتربصن بانفسهن والمراد الامر وقولهم رحمه الله والمراد الدعاء والباء زآئدة لازمة اصلاحا للفظ لانه لولم تزد الباء لكان ماهو على لفظ الامر الحاضر مسندا الى الاسم الظاهر وقدتقرران فاعله لايكون الاضميرا مستترا وللتنبيه على نقله الى معنى انشاء التعجب فالباء زآئدة فى المرفوع كما فى قوله تعالى وكفى بالله شهيدا فيكون الجار والمجرور فى موضع الرفع على الفاعلية ﴿ **قوله** وسجل على اغفالهم بانه ضلال بين ﴾ فان لكن استدراك على قوله اسمع بهم وابصر يوم يأتوننا فالمعنى لكن هم اليوم صم عمى لايسمعون ولاينظرون فعبر عن اغفالهم هذا بالضلال المبين ﴿ **قوله** يوم تحسر الناس ﴾ الظاهر ان يوم الحسرة مفعول انذرهم لاظرف اذليس المعنى انذرهم فى هذا اليوم ومايقع فيه ممالاتطيق سماعه الاذان ولاتسع تصوره الاذهان ويوم الحسرة قيل يوم الموت وقيل هو يوم القيامة وقيل هو يوم يذبح فيه الموت وقيل هو حين يخرج آخر فريق من المسلمين من النار ثم تسدّ طبقاتها وكل من هذه الايام يصدق عليه انه حين قضى الامر اى اتم وامضى وفرغ منه فان يوم الموت قدصار الامر بحيث لايتدارك ويوم القيامة يستقرّ كل احد فى مقرّه الذى هو موضع الخلود وحين يذبح الموت ينقطع مايؤمله الكفار من انتهاء عذابهم بطريان الموت عليهم كما ينتهى عذاب الدنيابذلك وبذبحه يتم الامر وينقطع الامل وكذا حين اخرج آخر المؤمنين والظاهر ان الموت عرض لايصير جسما حيوانيا والمراد بذبحه بمنظر الفريقين اعلامهما انه لاموت بعد ذلك البتة فطريق الاعلام غيرمعلوم لنا ﴿ **قوله** ملك ولاملك ﴾ الملك بالضم هو التصرّف فى المملكة بالامر والنهى ومنه اشتق الملك على وزن كبد وهو المتصرف بالامر والنهى والملك بالكسر اختصاص رقبة الغير بالانسان بحيث يستقل فى منافعها ويتمكن من التصرّف فيها والوراثة الاستقلال بالملك والتصرّف خلافة عن الغير وحاصل الوجه الاول ان الارث مجاز عن الاختصاص الملكى اوان الملك يبقى مقتصرا على الله تعالى بحيث لم يبق لاحد على الارض ولاعلى من عليها ملك ولاملك كما كان يدعى فى دار التكليف ان لفلان ملكا ولفلان ملكا وحاصل الوجه الثانى انه مجاز عن توفى الارض ومن عليها بالافناء والاهلاك توفى الوارث لارثه وعلى الوجهين الظاهر ان تعريف الارض محمول على العموم لاالعهد ﴿ **قوله** ملازما الصدق كثير التصديق ﴾ يعنى ان الصدّيق من ابنية المبالغة للصادق وكون الشخص مبالغا فى الصدق يكون بحسب الكم وبحسب الكيف ومن لازم الصدق فى اقواله وافعاله واخلاقه ولم يصدر عنه الامايطابق الحق والواقع وكثر ايضا تصديقه بجميع ماورد من عند الله تعالى قولا وعملا بحيث لم يقع منه توقف ومهلة فى قبول شئ مماظهر له من الحقوق كان مبالغا فى الصدق كما وكيفا فلذلك قال تعالى فى حقه انه كان صدّيقا وقال ايضا وابراهيم الذى وفى وقال واذابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن والصدق اصل

وقيل هو ماشهدوا به فى عيسى وامـ
(أسمع بهم وأبصر) تعجب معناه ان اسماعهـ
وابصارهم (يوم يأتوننا) اى يوم القيامـ
جدير بان يتعجب منهما بعد ماكانوا صماعميـ
فى الدنيا او التهديد بما سيسمعون
ويبصرون يومئذ وقيل امر بان يسمعهـ
ويبصرهم مواعيد ذلك اليوم ومايحيق
بهم فيه والجار والمجرور على الاول
فى موضع الرفع وعلى الثانى فى موضـ
النصب (لكن الظالمون اليوم فى ضلال
مبين) اوقع الظالمين موقع الضمير اشعار
بانهم ظلموا انفسهم حيث اغفلوا الاستماع
والنظر حين ينفعهم وسجل على اغفالهـ
بانه ضلال بين (وأنذرهم يوم الحسرة
يوم تحسر الناس المسيئ على اساءتـ
والمحسن على قلة احسانه (اذقضى الامر
فرغ من الحساب وتصادر الفريقان الى
الجنة والنار والابدل من اليوم اوظرف
للحسرة (وهم فى غفلة وهم لايؤمنون) حا
متعلقة بقوله فى ضلال مبين ومابينهما
اعتراض اوبانذرهم غافلين غير مؤمنـ
فيكون حالا متضمنة التعليل (انا نحن نر
الارض ومن عليها) لايبقى لاحد غير
عليها وعليهم ملك ولاملك اوتتوفى
الارض ومن عليها بالافناء والاهلاك توفى
الوارث لارثه (والينا يرجعون) يردّو
للجزاء (واذكر فى الكتاب ابراهيم انه كا
صدّيقا) ملازما الصدق كثير التصديـ
لكثرة ماصدّق به من غيوب الله وآيا
وكتبه ورسله (نبيا) استنبأه الله تعا

(اذقال) بدل من ابراهيم ومابينهما اعتراض اومتعلق بكان او بصديقا نبيا (لابيه يا ابت) التاء معوضة من ياء الاضافة ولذلك لايقال يا ابتي ويقال يا ابتا وانما يذكر الاستعطاف ولذلك كررها (لم تعبد مالايسمع ولايبصر) فيعرف حالك ويسمع ذكرك ويرى خشوعك (ولايغني عنك شيأ) في جلب نفع ودفع ضر دعاه الى الهدى وبين ضلاله واحتج عليه ابلغ احتجاج وارشقه برفق وحسن ادب حيث لم يصرح بضلاله بل طلب العلة التي تدعوه الى عبادة مايستخف به العقل الصريح ويأبى الركون اليه فضلا عن عبادته التي هي غاية التعظيم ولاتحق الالمن له الاستغناء التام والانعام العام وهو الخالق الرازق المحيي المميت المعاقب المثيب ونبه على ان العاقل ينبغي ان يفعل مايفعل لغرض صحيح والشئ لوكان حيا مميزا سميعا بصيرا مقتدرا على النفع والضر ولكن كان ممكنا لاستنكف العقل القويم عن عبادته وان كان اشرف الخلق كالملائكة والنبيين لما يراه مثله في الحاجة والانقياد للقدرة الواجبة فكيف اذا كان جمادا لايسمع ولايبصر ثم دعاه الى ان يتبعه ليهديه الحق القويم والصراط المستقيم لما لم يكن محظوظا من العلم الالهي مستقلا بالنظر السوي فقال (يا ابت اني قدجاءني من العلم مالم يأتك فاتبعني اهدك صراطا سويا) ولم يسم اباه بالجهل المفرط ولانفسه بالعلم الفائق بل جعل نفسه كرفيق له في مسير يكون اعرف بالطريق ثم ثبطه عما كان عليه بانه مع خلوه عن النفع مستلزم للضر فانه في الحقيقة عبادة للشيطان من حيث انه الآمر به فقال (يا ابت لاتعبد الشيطان) واستهجن ذلك وبين وجه الضر فيه بان الشيطان مستعص على ربك المولى للنعم كلها بقوله (ان الشيطان كان للرحمن عصيا) ومعلوم ان المطاوع للعاصي عاص وكل عاص حقيق بان يسترد منه النعم وينتقم منه ولذلك عقبه بتخويفه سوء عاقبته ومايجره اليه فقال (يا ابت اني اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا) قرينا في اللعن او العذاب تليه ويليك اوثابتا على موالاته فانه اكبر من العذاب كما ان رضوان الله اكبر من الثواب وذكر الخوف والمس وتنكير العذاب اما للمجاملة او لخفاء العاقبة ولعل اقتصاره على عصيان الشيطان من جناياته لارتقاء همته في الربانية اولانه ملاكها اولانه من حيث انه نتيجة معاداته لآدم وذريته منبه عليها (قال أراغب انت عن آلهتي يا ابراهيم) قابل استعطافه ولطفه في الارشاد بالفظاظة وغلظة العناد (بين)
فناداه باسمه ولم يقابل يا ابت بيابني وأخره وقدم الخبر على المبتدأ وصدره بالهمزة لانكار نفس الرغبة على ضرب من التعجب كأنها مما لايرغب عنها عاقل

كل فضيلة وملاك كل كمال وخير ولما كان الصديق اعم من النبي لان كل نبي يجب ان يكون صديقا ولا يجب ان يكون كل صديق نبيا انتقل من ذكر كونه صديقا الى ذكر كونه نبيا على سبيل التصديق على قوله ملازما للصدق بل جعلهما جميعا تفسيرا للصدق على سبيل الترقي لما كذب الله تعالى النصارى فيما زعموه في حق عيسى عليه الصلاة والسلام بين ضلال عبدة الاصنام بالشروع في قصة ابراهيم عليه الصلاة والسلام فانه كان ابا العرب وكانوا مقرين بعلو شأنه وحقية دينه على ماقال تعالى ملة ابيكم ابراهيم فكأنه تعالى قال للعرب ان كنتم من المقلدين لآبائكم كما تقولون انا وجدنا آباءنا على امة فمعلوم ان اشرف آبائكم واجلهم قدرا هو ابراهيم فقلدوه في ترك عبادة الاوثان وان كنتم من المستدلين فانظروا فيما اقام من الدليل الدال على بطلان الشرك لتعرفوا فساد عبادة الاوثان ﴿قوله ولايقال يا ابتي﴾ اى لئلا يجمع بين العوض والمعوض عنه ويقال يا ابتا لكون الالف بدلا من الياء ﴿قوله دعاه الى الهدى واحتج عليه وثم دعاه وثم ثبطه﴾ امور متعاطفة ﴿قوله ابلغ احتجاج﴾ منصوب على انه مفعول مطلق للنوع وقوله وارشقه عطف عليه والرشاقة اللطافة يقال رجل رشيق القد اى لطيفه والركون الميل اليسير والعبادة الخضوع لمن هو في غاية الفضل والافضال وقوله يا ابت لاتعبد الشيطان بمعنى لاتطعه فيما يوسوس اليك ويقول لك واشار المصنف اليه بقوله ومعلوم ان المطاوع للعاصي عاص حيث عبر عن عبادة الشيطان بمطاوعته لما امر به واشار الى ان قوله عصيا للمبالغة بقوله ان الشيطان مستعص اى بالغ في العصيان كأنه يطلب من نفسه ان يعصي ربه وعبدة الاوثان وان كانوا يعتذرون في عبادتها بانها تماثيل الكواكب المدبرة لهذا العالم او انها تماثيل اشخاص معظمة عند الله يصلحون لان يكونوا شفعاء ونحو ذلك من الاعذار الفاسدة فما ذكره ابراهيم عليه الصلاة والسلام في حق التماثيل بانها لاتسمع ولاتبصر ولاتغني عن عابدها شيأ من الاغناء لايبطل اعذارهم بحسب الظاهر الا انه عليه الصلاة والسلام احتج عليهم بذلك بناء على انهم يزعمون ان عبادتها تنفعهم وان طريقتهم مقبولة مستحسنة فبين عليه الصلاة والسلام فساد زعمهم ﴿قوله اوثابتا على موالاته﴾ اى على الدخول في جملة اعوانه واولاده وعدم الخروج عنهم بالدخول في زمرة اولياء الله فالثبات على موالاة الشيطان عبارة عن ثبات حكم الموالاة الواقعة بينهما في الدنيا وثباتها بهذا المعنى لاينافي قوله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو ﴿قوله فانه اكبر﴾ جواب عما يقال رتب الله تعالى كونه وليا للشيطان على مس العذاب بالفاء السببية وهو ان يكون ولاية الشيطان اسوأ حالا واعظم عقوبة من مس العذاب نفسه حيث جعل هو موصلا اليها او جعلت هي نتيجة له والظاهر ان الامر بالعكس فان الموالاة مؤدية اليه معنى لانه مقابل الرضوان وقد قال الله تعالى في حق الرضوان انه اكبر من الثواب نفسه فيكون مايقابله اسوأ حالا من العقاب نفسه فلذلك رتب ولاية الشيطان على العذاب نفسه بالفاء السببية وجعلها اعظم محذورا واسوأ حالا منه ﴿قوله وذكر الخوف والمس وتنكير العذاب﴾ جواب عما يقال المقام يقتضي ان يقال اعلم واثق لان عذاب المشرك مقطوع به وان المس والتنكير يدلان على تقليل عذاب المشرك مع ان عذابه غليظ واجاب عنه بان ذلك مبني على المقابلة بالجميل وترك التغليظ او على عدم علمه بان اباه سيموت على الكفر فانه يجوز ان يؤمن فيصير من اهل الثواب وهذا الجواب يمنع القطع في حقه ﴿قوله ولعل اقتصاره الخ﴾ جواب عما يقال للشيطان وصفان كل واحد منهما يصلح علة للنهي عن عبادته احدهما عصيانه لله تعالى بترك سجوده لآدم استعظاما لامره تعالى اياه بذلك وثانيهما عداوته للانسان قال تعالى فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن امر ربه افتتخذونه وذريته اولياء من دوني وهم لكم عدو فلم اقتصر ابراهيم عليه الصلاة والسلام من هذين الوصفين على ذكر العصيان واجاب عنه بثلاثة اوجه الاول انه عليه الصلاة والسلام لم يلتفت الى معاداته لآدم وذريته بل اقتصر من جناياته على ذكر مايختص منها برب العزة لعلو درجته في كونه ربانيا اى متألها عارفا بالله وبما يليق بشأنه فلم يرض بما ارتكبه الشيطان في حق الله تعالى جناية والثاني ان عصيانه للرحمن ملاك جناياته كلها واصلها الذي يتفرع عليه غيره فان ملاك الشئ مايتفرع عليه الشئ ويقوم به والثالث ان عصيانه منبه على معاداته لآدم عليه الصلاة والسلام من حيث انه نشأ من حسده لآدم ومعاداته اياه ﴿قوله وقدم الخبر على المبتدأ﴾ جعل قوله أراغب خبرا مقدما وانت مبتدأ مؤخرا وان جاز ان يكون اراغب مبتدأ لاعتماده على همزة الاستفهام وانت فاعل سد مسد الخبر بل هو الاولى لوجهين احدهما انه ليس فيه تقديم ولا تأخير اذ رتبة الفاعل التأخير عن رافعه والثاني انه لايلزم منه الفصل

لأرجمنك اى فاحذرنى واهجرنى (مليا) زمانا طويلا من الملاوة اومليا بالذهاب عنى (قال سلام عليك) توديع ومتاركة ومقابلة السيئة بالحسنة اى لااصيبك بمكروه ولااقول لك بعد مايؤذيك ولكن (سأستغفرلك ربى) لعله يوفقك للتوبة والايمان فان حقيقة الاستغفار للكافر استدعاء التوفيق لمايوجب مغفرته وقدمر تقريره فى سورة التوبة (انه كان بى حفيا) بليغافى البرّ والالطاف (وأعتزلكم وماتدعون من دون الله) بالمهاجرة بدينى (وأدعو ربى) واعبده وحده (عسى ان لااكون بدعاء ربى شقيا) خائبا ضائع السعى مثلكم فى دعاء آلهتكم وفى تصدير الكلام بعسى التواضع وهضم النفس والتنبيه على ان الاجابة والاثابة تفضل غير واجب وان ملاك الامر خاتمته وهو غيب (فلما اعتزلهم ومايعبدون من دون الله) بالهجرة الى الشام (وهبناله اسحق ويعقوب) بدل من فارقهم من الكفرة قيل انه لماقصدالشام اتى اولاحران وتزوج بسارة وولدت له اسحق وولدمنه يعقوب ولعل تخصيصهما بالذكر لانهما شجرتا الانبياء اولانه ارادان يذكرا سمعيل بفضله على الانفراد (وكلا جعلنانبيا) وكلامنهما اومنهم (ووهبنالهم من رحمتنا) النبوّة والاموال والاولاد (وجعلنالهم لسان صدق عليا) يفتخربهم الناس ويثنون عليهم استجابة لدعوته واجعل لى لسان صدق فى الآخرين والمراد باللسان مايوجدبه ولسان العرب لغتهم واضافته الى الصدق وتوصيفه بالعلوّ للدلالة على انهم احقاء بمايثنون عليهم وان محامدهم لاتخفى على تباعد الاعصار وتحوّل الدول وتبدّل الملل (واذكر فى الكتاب موسى انه كان مخلصا) موحدا اخلص عبادته عن الشرك والرياء اواسلم وجهه لله واخلص نفسه عماسواه وقرأ الكوفيون بالفتح على ان الله اخلصه (وكان رسولا نبيا) ارسله الله الى الخلق فأنبأهم عنه ولذلك قدم رسولا مع انه اخص واعلى (وناديناه من جانب الطور الايمن) من ناحيته اليمنى من اليمين وهى التى تلى يمين موسى اومن جانبه الميمون من اليمن بان تمثل له الكلام من تلك الجهة (وقربناه) تقريب تشريف شبهه بمن قربه الملك لمناجاته (نجيا) مناجيا حال من احد الضميرين وقيل مرتفعا من النجو وهو الارتفاع لماروى انه رفع فوق السموات حتى سمع صرير القلم (ووهبناله من رحمتنا) من اجل رحمتنا اوبعض رحمتنا (اخاه) معاضدة اخيه وموازرته اجابة لدعوته واجعل لى وزيرا من اهلى فانه كان اسنّ من موسى وهو مفعول اوبدل (هرون) عطف بيان له (نبيا) حال منه (واذكر فى الكتاب اسمعيل انه كان صادق الوعد) ذكره بذلك لانه المشهور به والموصوف باشياء فى هذا الباب لم تعهد من غيره وناهيك انه وعد الصبر على الذبح فقال ستجدنى ان شاء الله من الصابرين فوفى (وكان رسولا نبيا) يدل على ان الرسول لايلزم ان يكون صاحب شريعة فان اولاد ابراهيم كانوا على شريعته (وكان يأمر اهله بالصلاة والزكاة) اشتغالا بالاهم وهوان يقبل الرجل على نفسه ومن هو اقرب الناس اليه بالتكميل قال الله تعالى وأنذر عشيرتك الاقربين وأمر اهلك بالصلاة قوا انفسكم واهليكم نارا وقيل اهله امته فان الانبياء آباء الامم (وكان عند ربه مرضيا) لاستقامته اقواله وافعاله (واذكر فى الكتاب ادريس) وهو سبط شيث وجدّ ابى نوح واسمه اخنوخ واشتقاق ادريس من الدرس يردّه منع صرفه نعم لايبعد ان يكون معناه فى تلك اللغة قريبا من ذلك فلقب به لكثرة

بين العامل ومعموله بما ليس معمولا للعامل وذلك لان قوله عن آلهتى متعلق بأراغب فاذا جعل انت فاعلا فقد حصل الفصل بما هو كالجزء من العامل بخلاف جعله خبرا واما لوجعل مبتدأ فانه حينئذ يكون اجنبيا غير معمول لأراغب ولعل المصنف اراد بالخبر المحكوم به وبالمبتدأ المحكوم عليه فان أراغب ان جعل مبتدأ لايكون مسندا اليه بل يكون المسند اليه فاعله ويكون هو محكومابه مفيدا فائدة الخبر والمعنى انت معرض عن آلهتى وعبادتها ﴿ قوله زمانا طويلا ﴾ على ان مليا منصوب على انه ظرف زمان والملاوة يجوز فى ميمها الحركات الثلاث يقال اقت عنده ملاوة من الدهر اى حينا وبرهة ومضى ملىّ من النهار اى ساعة طويلة ﴿ قوله اومليا بالذهاب عنى ﴾ اى سليما مطيقا به من قولهم فلان ملىّ بكذا اى مطيق به قادر عليه فيكون منصوبا على انه حال من فاعل اهجرنى اى اتركنى حسبما تقدر عليه والا اصبتك بمالاتقدر عليه ﴿ قوله واضافته الى الصدق ﴾ على طريق اضافة الموصوف الى الصفة فان المراد باللسان مايوجد به من الاثنية بطريق ذكر السبب وارادة المسبب اوذكر المحل وارادة الحال وتلك الاثنية لكونها صادقة لاكذب فيها توصف بالصدق مبالغة كأنه قيل وجعلنالهم ثناء صادقا يذكرهم الامم كلها الى قيام الساعة بمالهم من الخصائل المرضية ويصلون على ابراهيم عليه الصلاة والسلام وعلى آل ابراهيم فى الصلوات الى قيام الساعة وعلو تلك الاثنية عبارة عن امتدادها واتصافها الى قيام الساعة فالكلام نشر على ترتيب اللف ﴿ قوله ولذلك ﴾ اى ولكون الانباء متفرّعا على الارسال فى الوجود سواء كان الارسال ارسال نفس النبىّ اوارسال من هو اقدم فان الرسول هو الذى ينزل عليه الوحى والكتاب والنبى يقابله من غير عكس مع اشتراكهما فى ان كل واحد منهما صاحب وحى اى يوحى اليه ﴿ قوله وهى التى تلى يمين موسى ﴾ يعنى ان الايمن صفة للجانب والمراد بالجانب الايمن يمين موسى عليه الصلاة والسلام لان الطور جبل بين مصر ومدين وليس للجبل يمين ولايسار فوجب ان يكون اليمين راجعا الى يمين الذى يأتيه والمعنى وناديناه من الجانب الذى كان على يمين موسى وهو متوجه الى الطور واضيف الجانب الايمن الى الطور للملابسة ﴿ قوله شبهه بمن قربه الملك ﴾ لما كان الاصل فى القرب قرب المكان ولايتصوّر القرب المكانى بالنسبة الى الله تعالى شبه تقريبه وتكليمه اياه بان كلمه بما لم يكلم به غيره مناجيا بحيث لم يطلع على ذلك غيرهما بتقريب الملك بعض خواصه لمناجاته فاطلق اسم التقريب عليه استعارة اصلية وسرت الاستعارة الى المشتق ﴿ قوله من النجو ﴾ الجوهرى النجو والنجوة المكان المرتفع الذى تظن انه نجاؤك لانه لايعلوه السيل ﴿ قوله صرير القلم ﴾ اى صوته يقال صرّ القلم والباب يصرّ صريرا اى صوّت وصرير البكرة صوتها عند الاستقاء وكذلك صرير الباب وصرير البعير وفى الكشاف حتى سمع صرير القلم الذى كتب به التوراة والواح التوراة كتبت قبل خلق آدم باربعين سنة على مافى الحديث الصحيح الوارد فى شان محاجة آدم موسى عليهما الصلاة والسلام وكتبتها فى اللوح المحفوظ اقدم وايضا لعل الكتبة التى سمع موسى صرير قلمها كتبة ثالثة ولايبعد ﴿ قوله فانه كان اسنّ ﴾ علة لتقدير المضاف فى قوله معاضدة اخيه لان هرون لما كان اسنّ من موسى عليهما الصلاة والسلام لزم ان لايكون نفس هرون موهوبا لموسى لان الموهوب يجب ان يكون اقل سنا من الموهوب له كما فى قوله تعالى ووهبناله اسحق ويعقوب ﴿ قوله وعد الصبر على الذبح فوفى ﴾ روى عن ابن عباس انه وعد صاحباله ان ينتظره فى مكان فانتظره سنة وروى ان عيسى عليه الصلاة والسلام قال له رجل انتظرنى آتك قال عيسى عليه الصلاة والسلام نعم وانطلق الرجل ونسى الميعاد ثم جاء الى ذلك المكان وعيسى هناك للميعاد وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم واعد رجلا ونسى ذلك الرجل الميعاد فانتظره من الضحى الى قريب من غروب الشمس وسئل الشعبى عن الرجل يعد ميعادا الى اىّ وقت ينتظر قال ان واعد به نهارا فكل النهار وان واعد به ليلا فكل الليل ﴿ قوله اشتغالا بالاهم ﴾ تعليل للابتداء باهله فى الامر بالعبادة البدنية والمالية فان المقصود من ذكر الاحكام المقيدة ليس بيان صدور الفعل من فاعله بل مقصود بيان كونه مقيدا بالقيد المذكور فالمقصود بقوله تعالى وكان يأمر اهله بيان انه عليه الصلاة والسلام يبدأ بمن هو اقرب الناس اليه فى الامر بالعبادة لكون تكميلهم اهم بالنسبة اليه لكثرة حقهم عليه بالنسبة الى حق سائر امته فيكملهم ليجعلهم قدوة لمن سواهم ولم يرض بماقيل من ان المراد باهله جميع امته التى هو خيرهم فانه عليه الصلاة والسلام كان رسولا اليهم لانه خلاف الظاهر ﴿ قوله وهو سبط شيث ﴾ اى من نسله وولد اولاده فان ادريس هو اخنوخ بن يرد بن مهلائيل بن قينان بن انوش بن شيث بن

آدم وينتهي اليه نسب نوح عليه الصلاة والسلام فانه نوح بن لمك بن متوشلخ بن اخنوخ الذي هو ادريس وكان خياطا واول من خاط الثياب فلبسها وكان من قبله يلبسون الجلود واول من اتخذ الصلاح وقاتل الكفار ﴿قوله يعني شرف النبوة﴾ يعني قيل المراد بالمكان العلي رفعة المكانة والمنزلة عند الله تعالى وقيل المراد به المكان الرفيع وذلك المكان اما الجنة واما السماء السادسة ومن قال بالاول قال انه اذيق الموت ساعة ثم احيي ثم ادخل الجنة ولم يخرج منها فهو حي هناك لا يموت بعد واختلف الذين قالوا انه في السماء أهو حي في السماء ام ميت فقيل هو ميت وقيل حي قيل اربعة من الانبياء احياء اثنان في الارض الخضر والياس واثنان في السماء ادريس وعيسى عليهم الصلاة والسلام وقصة ادريس آخر القصص ثم انه تعالى اثنى على كل من تقدم ذكره من الانبياء بالثناء الشامل لهم بعد ما اثنى على كل واحد منهم بما يخصه من الثناء ﴿قوله بيان للموصول﴾ يعني ان كلمة من في من النبيين بيانية لان المنعم عليه يجوز ان يكون نبيا وغير نبي والانبياء كلهم منعم عليهم والخاص يبين العام وحملها على التبعيض باطل لان المنعم عليهم ليس بعض النبيين بل كلهم الا ان المنعم عليهم بعض من ذرية آدم فجاز ان تكون من الثانية للتبعيض كما جاز ان تكون للبيان بدلا من النبيين في قوله من النبيين فوجب ان يحمل تعريف الموصول على الجنس للمبالغة كما في قوله ذلك الكتاب وان يقدر مضاف بان يقال اولئك بعض الذين انعم الله عليهم من النبيين وجمعهم في كونهم من ذرية آدم ثم خص بعضهم بانهم ممن حمله الله تعالى في السفينة مع نوح فقال وممن حملنا مع نوح والذي اختص بكونه من ذرية آدم من غير ان يكون ممن حمل مع نوح هو ادريس عليهما السلام فانه كان سابقا على نوح لما مر من انه جد أب نوح واسمعيل واسحق ويعقوب من ذرية ابراهيم كما قال ومن ذرية ابراهيم ثم خص بعضهم بانهم من ولد اسرآئيل وهو يعقوب عليه الصلاة والسلام وهم موسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى من قبل الام كما قال تعالى واسرآئيل عطفا على ابراهيم اي ومن ذرية اسرآئيل وكلهم من ذرية آدم ولكن جعل من قرب من آدم من ذريته وجعل من بعد منه من ذرية من قرب منه تشريفا لكل واحد بأب يقرب منه فرتب الله احوال الانبياء الذين ذكرهم على هذا الترتيب تنبيها بذلك على انهم كما فضلوا باعمالهم فهم في منزلة الفضل بولادتهم من هؤلاء الانبياء ثم قال وممن هدينا اي الى الحق واجتبينا اي اصطفينا تنبيها بذلك على انهم كما اختصوا بهذه المنازل اختصوا بهداية الله تعالى لهم وانه تعالى اختارهم للرسالة وقوله تعالى وممن هدينا يحتمل العطف على من الاولى والثانية والمعنى على الاول انعم الله عليهم من النبيين وممن هدينا واجتبينا وعلى الثاني انعم الله عليهم من النبيين الذين هم بعض ذرية آدم وبعض من حملنا مع نوح وبعض من هدينا واجتبينا ﴿قوله والبكي جمع باك﴾ على خلاف القياس والقياس في جمع اسم الفاعل من الناقص ان يجمع على فعلة نحو قاض وقضاة ورام ورماة ولم يسمع بكاة في جمع باك بل المستعمل في جمعه بكي واصله بكوي مثل شاهد وشهود وقاعد وقعود ومن قال في بكيا انه مصدر فقد اخطأ لان سجدا جمع ساجد وبكيا معطوف عليه وسجدا حال مقدرة لانهم حال الخرور ليسوا ساجدين والمراد بآيات الله تعالى ما خصهم الله تعالى به من الكتب المنزلة عليهم مما يتضمن الوعد والوعيد والترغيب والترهيب والمعنى ان الانبياء المذكورين مع ما انعم الله عليهم من انواع النعم كان شأنهم اذا تتلى عليهم آيات الله وكتبه المنزلة عليهم يخرون سجدا وبكيا خضوعا وخشوعا وخوفا وطمعا ثم انه تعالى لما وصف هؤلاء الانبياء بصفات المدح ترغيبا لنا في التأسي بطريقتهم ذكر بعدهم من هو بالضد منهم فقال فخلف من بعدهم خلف اي جاء من بعد هؤلاء الانبياء خلف من اولادهم يقال خلفه اذا اعقبه ثم قيل في عقب الخير خلف بفتح اللام وفي عقب الشر خلف بالسكون كما قالوا في جانب الشر وعيد وفي جانب الخير وعد قال الشاعر

* خلفت خلفا ولم تدع خلفا * ليت بهم كان لا بك التلفا *

﴿قوله كشرب الخمر﴾ عن ابن عباس قال الذين اتبعوا الشهوات هم اليهود تركوا الصلاة المفروضة وشربوا الخمر واستحلوا نكاح الاخت من الاب ﴿قوله وركوب المنظور﴾ اي الفرس والبغل لا للجهاد بل لاجل ما ينظر اليه ﴿قوله كقوله فمن يلق خيرا﴾ قابل الغي بالخير فدل على انه اراد بالغي الشر وما قبل البيت

* أمن حلم اصبحت تنكت واجما * وقد تعترى الاحلام من كان نائما *

يقال نكت في الارض اذا جعل يخط وينقر باصبعه وهو كناية عن المتهم لان المتهم يفعل ذلك والواجم الحزين يقول أمن اضغاث احلام تصبح حزينا تنكت في الارض ومن كان نائما تعتريه الاحلام ثم قال

﴿انه كان صديقا نبيا ورفعناه مكانا عليا﴾ يعني شرف النبوة والزلفى عند الله وقيل الجنة وقيل السماء السادسة او الرابعة ﴿اولئك﴾ اشارة الى المذكورين في السورة من زكريا الى ادريس ﴿الذين انعم الله عليهم﴾ بانواع النعم الدينية والدنيوية ﴿من النبيين﴾ بيان للموصول ﴿من ذرية آدم﴾ بدل منه باعادة الجار ويجوز ان تكون من فيه للتبعيض لان المنعم عليهم اعم من الانبياء واخص من الذرية ﴿وممن حملنا مع نوح﴾ اي ومن ذرية من حملنا خصوصا وهم من عدا ادريس فان ابراهيم كان من ذرية سام بن نوح ﴿ومن ذرية ابراهيم﴾ الباقون ﴿واسرآئيل﴾ عطف على ابراهيم اي ومن ذرية اسرآئيل اي يعقوب وكان منهم موسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى وفيه دليل على ان اولاد البنات من الذرية ﴿وممن هدينا﴾ ومن جملة من هديناه الى الحق ﴿واجتبينا﴾ للنبوة والكرامة ﴿اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا﴾ خبر لاولئك ان جعلت الموصول صفته واستئناف ان جعلته خبره لبيان خشيتهم من الله واخباتهم له مع ما لهم من علو الطبقة في شرف النسب وكمال النفس والزلفى من الله عز وجل وعن النبي عليه السلام اتلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا والبكي جمع باك كالسجود في جمع ساجد وقرئ يتلى بالياء لان التأنيث غير حقيقي وقرأ حمزة والكسائي بكيا بكسر الباء ﴿فخلف من بعدهم خلف﴾ فعقبهم وجاء بعدهم عقب سوء يقال خلف صدق بالفتح وخلف سوء بالسكون ﴿اضاعوا الصلاة﴾ تركوها او اخروها عن وقتها ﴿واتبعوا الشهوات﴾ كشرب الخمر واستحلال نكاح الاخت من الاب والانهماك في المعاصي وعن علي رضي الله عنه واتبعوا الشهوات من بناء المشيد وركوب المنظور ولبس المشهور ﴿فسوف يلقون غيا﴾ شرا كقوله

* فمن يلق خيرا يحمد الناس امره *
ومن يغو لا يعدم على الغي لائما *

اوجزاء غي كقوله يلق اثاما او غيا عن طريق الجنة وقيل هو واد في جهنم تستعيذ منه اوديتها

❁ فمن يلق خيرا يحمد الناس امره ❁ ومن يغو لا يعدم على الغي لائما ❁

اى ومن يفعل الشر لا يعدم من يلومه عليه ومن يغو بالكسر من غوى وبالفتح من غوى يغوى غيا وغواية فهو غاو وقوله الا من تاب وآمن يدل على ان الآية فى الكفرة لانه لا يقال آمن الا لمن كان كافرا بحسب التغليظ كما روى عن قتادة ان المراد بالخلف المذكور بقوله تعالى فخلف من بعدهم خلف اليهود وعن مجاهد انهم النصارى وقيل هم مشركوا العرب وهم اولاد اسماعيل عليه الصلاة والسلام وقيل الآية نزلت فى حق المسلمين الذين يؤخرون الصلوات عن اوقاتها وعلى قول من حمل الآية على الكفار يكون قوله تعالى الا من تاب وآمن استثناء منقطعا والمعنى الا من رجع عن كفره وآمن على شرطه وعمل صالحا بعد ايمانه وعلى قول من حملها على المسلمين يكون متصلا ويكون المعنى الا من تاب عن ذنوبه ودام على ايمانه فاولئك يدخلون الجنة * فان قيل الاستثناء دل على ان التوبة والايمان والعمل الصالح لابد منها جميعا لدخول الجنة والنجاة من النار وهو محل بحث لان من تاب عن كفره ولم يدخل وقت الصلاة او كانت المرأة حائضا فانه لا يجب عليهما الصلاة والزكاة ايضا غير واجبة وكذا الصوم فمها لو ماتا فى ذلك الوقت كانا من اهل النجاة مع انه لم يصدر منهما عمل فما وجه ترتيب النجاة على العمل الصالح * اجيب بان هذه الصورة نادرة والاحكام انما تبنى على الاعم الاغلب ﴿قوله ولا ينقصون شيأ من جزاء اعمالهم﴾ لفظ شيأ فى هذا التركيب منصوب على انه مفعول على اقامة المفعول به المنصوب بنزع الخافض مقام الفاعل فان نقص قد يستعمل لازما وقد يستعمل متعديا الى واحد يقال نقص الشئ نقصا ونقصانا ونقصته انا وقد يتعدى الى ثان بواسطة حرف الجر فيقال نقصت من زيد حقه وقد تقرر فى النحو انه اذا وجد المفعول به تعين للقيام مقام الفاعل واذا لم يوجد فالجميع سواء ويجوز قيام المنصوب بنزع الخافض مع وجود المفعول به بدون حرف الجر مقام الفاعل ذكر فى الرضى منع نيابة المنصوب بسقوط الجار كما فى امرتك الخير والوجه الجواز لالحاقه بالمفعول به الصريح انتهى ﴿قوله ويجوز ان ينتصب شيأ على المصدر﴾ اى شيأ من الظلم وفى قوله شيأ منكرا فى سياق النفى اشارة الى ان اعمال الخير التى فعلوها فى حال الكفر يثيبهم الله تعالى عليها مثل الصدقة وصلة الرحم قال محيى السنة فى شرح السنة اذا اسلم الكافر يثيبه الله تعالى على اعمال الخير التى عملها فى حال الكفر كما يتجاوز عنه ويعفو عما فعل فى حال الكفر من السيئات ﴿قوله وعدن علم﴾ لما جعل جنات بدلا من المعرفة ولا يحسن ابدال النكرة من المعرفة الا موصوفة كما فى قوله تعالى بالناصية ناصية كاذبة وايضا لما وصف جنات بقوله التى وعد الرحمن عباده ولا توصف النكرات بالمعارف احتيج الى تعريف جنات عدن ولا سبيل الى تعريفها الا بتعريف عدن ولفظ عدن ليس فيه شئ من التعريف سوى العلمية وسوى وقوعه مضافا اليه فى العلم فان ما كان مضافا اليه فى العلم لابد ان يكون معرفة مثل عبدالله وعبد مناف وعلل علمية عدن اولا بوقوعه مضافا اليه فى العلم وثانيا بكونه علما للعدن بمعنى الاقامة اى لحقيقة معنى الاقامة وجنسها فان اعلام الاجناس موضوعة للحقائق الذهنية المتعينة كاسامة فانه علم للحقيقة الذهنية الاسدية وكلفظ برة فانه اسم للبرة المعرف بلام الجنس وكذا لفظ عدن فانه علم لمعنى العدن المعرف تعريف الجنس ﴿قوله اى وعدها اياهم وهى غائبة عنهم﴾ على ان الباء فى قوله بالغيب للملابسة كما فرض كون الغيوب من جنس الغيب وهو حال من المفعول المحذوف لوعد اى وعدها وهى غائبة عنهم او من المفعول الثانى وهو عباده ﴿قوله او وعدهم بايمانهم﴾ على ان الباء فيه للسببية بتقدير المضاف والمعنى وعدها عباده بسبب تصديقهم بالغيب وايمانهم به ﴿قوله وعده الذى هو الجنة﴾ جعل الوعد بمعنى الموعود لئلا يحتاج الى جعل المأتى بمعنى الآتى فانه لو جعل الوعد بمعنى المصدر لاحتيج اليه لان الوعد بمعنى المصدر معناه ان وعده الله آت لا محالة وبمعنى المفعول معناه ان الموعود وهو الجنة مأتى اى يأتونها العباد لا محالة او المأتى اسم مفعول على بابه من اتى اليه احسانا اذا فعله والمعنى ان الرحمن كان وعده لعباده بالجنة مفعولا منجزا لامتناع الخلف فى وعده يقال انجز وعده اذا وفى به فهو تعالى وان وعدهم بامر غائب عنهم فذلك الامر كأنه حاضر حاصل لهم ﴿قوله فضول كلام﴾ وهو الكلام الذى سبيله ان يلغى ويطرح لخلوه عن الفائدة نزه الله تعالى دار التى وعدها عباده عن العيب والنقيصة اذ لا تكليف فيها وجعل الاستثناء اولا منقطعا لان السلام سواء كان بمعنى التسليم او بمعنى القول الذى لا يتطرق اليهم الغير بسببه ليس من جنس اللغو ثم يستثنى منه اصوات العصافير ونحوها من الطيور قال المبرد السلام دعاء الانسان لصاحبه بان يسلم من الآفات فى دينه وبدنه وتخلص

من المكروه ثم فشا استعماله فى الاكرام حتى لايفهم منه غيره ولهذا لو تركته لحملك صاحبك على الاهانة ﴿قوله على عادة المتنعمين﴾ جواب عن سؤال مقدر وهو ان المقصود من هذه الآيات وصف الجنة باحوال مستعظمة ووصول الرزق اليهم بكرة وعشيا ليس من الامور المستعظمة فما الوجه فى مدح الجنة به * واجاب عنه بوجهين الاوّل ماروى عن الحسن من انه تعالى اراد ان يرغب كل قوم بما احبوه فى الدنيا فلذلك ذكر اساور الذهب والفضة ولبس الحرير وهى من عادة العجم والارآئك التى هى الحجال المضروبة على الاسرّة وكانت عادة اشراف اليمن ولاشئ كان احب الى العرب من الغدآء والعشاء فوعدهم بذلك والثانى انه كناية عن اعتدال احوال اهل الجنة من حيث المطاعم والمشارب فان اعدل احوال المطاعم وابعدها عن الضرر هو التغدّى والتعشى وهى عادة محمودة متوسطة بين الزهادة من الطعام والتفريط فيه بالاكل فى اليوم والليلة مرّة وبين الرغابة والافراط فيه وهى الاكل متى وجدوه مرّة بعد اخرى ثم نقل جوابا ثالثا وهو ان ذكره البكرة والعشىّ لبيان دوام رزق اهل الجنة لا لبيان ان الرزق انما يحصل لهم فى هذين الوقتين المعلومين كما يقال انا عند فلان صباحا ومساء وبكرة وعشيا ويراد دوام الحضور عنده فى كل وقت * فان قيل كيف يتحقق البكرة والعشى بالنسبة الى اهل الجنة ولاصباح ولامساء ولاليل ولانهار بالنسبة اليهم قال تعالى لايرون فيها شمسا ولازمهريرا وقال عليه الصلاة والسلام * لاصباح عند ربك ولامساء بل هم فى نور ابدا * واجيب بان المراد انهم يأكلون مطلقا لا ان فى الجنة غدوة وعشيا اذ قيل انهم فيها يعرفون مقدار النهار برفع الحجب ومقدار الليل بارخائها وروى ان بين غدآئهم وعشائهم ست ساعات ﴿قوله نبقيها عليهم من ثمرة تقواهم﴾ شبه اعمال المتقى بالمورث وشبه ثمرة تلك الاعمال بترك المورث اذا قضى نحبه يبقى للوارث ماله كذلك اعمال المتقين تنقضى وتبقى ثمرتها لهم وهو الجنة فعبر عن ابقاء تلك الثمرات لهم بالايراث واشتق منه نورث فصار استعارة تبعية ونكتة العدول الى المجاز التنبيه على ان تمليك تلك الثمرات لهم اقوى وجوه التمليك كأنه قيل نملك الجنة اياهم اقوى تمليك والآية تدل على ان المتقى يدخل الجنة وليس فيها دلالة على ان غير المتقى لايدخلها وايضا صاحب الكبيرة يصدق عليه انه متق لكونه متقيا عن الكفر فيدخلها ﴿قوله حكاية قول جبريل عليه السلام﴾ ولاشك ان قوله تعالى تلك الجنة التى نورث من عبادنا من كان تقيا كلام الله تعالى فلا وجه لعطف هذه الجملة المحكية عليه بل هى معطوفة على ماتقدم من اوّل السورة الى هنا عطف القصة على القصة واللازم فى مثله تناسب القصتين المتعاطفتين فى الغرض الذى سيق الكلام لاجله وذلك التناسب موجود ههنا فان المقصود من ذكر أقاصيص الانبياء عليهم الصلاة والسلام تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وتثبيته وهى المقصودة من هذه الحكاية ايضا فانه تعالى لما فرغ من اقاصيص الانبياء وذنبها بيان ما احدث الخلف بعدهم وحكم عليهم بانهم سوف يلقون غيا واستثنى اهل الهداية والتوفيق منهم وقال فى حقهم فاولئك يدخلون الجنة عقب ذلك بذكر حكاية نزول جبريل عليه السلام كانه قال للنبى صلى الله عليه وسلم انك وان اشتقت الىّ ولكنى اليك اشوق الاان امرنا موكول الى الله عز وجل يتصرّف فينا بحسب مشيئته وارادته وحكمته لااعتراض لاحد عليه وليس اجتنابى عنك لاجل ان ربك ودّعك وقلاك كما يقول المشركون وما كان ربك نسيا تاركا لك ولاشك ان فى ذكرها زيادة التسلية له عليه الصلاة والسلام ﴿قوله ثم نزل ببيان ذلك﴾ اى ثم نزل جبريل ببيان مايجيب لمن سأل عن قصة اصحاب الكهف وغيرها ونزل حينئذ قوله تعالى وماننزّل الا بامر ربك وقوله ولاتقولنّ لشئ انى فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله وسورة والضحى ﴿قوله وقيل ان الآية حكاية قول المتقين الخ﴾ القائل له اختاره ليناسب ماقبله ويظهر عطفه عليه والتنزّل هنا من النزول فى المكان اى مانحلها ونتخذها منازل كما اشار اليه بقوله ننزل الجنة لكنه خلاف الظاهر وايضا مقتضاه بامر ربنا لان خطاب النبى صلى الله عليه وسلم كما فى الوجه الاوّل غير ظاهر الا ان يكون حكاه الله على المعنى لان ربهم وربه واحد ولو حكاه على لفظهم لقال ربنا وانما حكى كذلك ليجعل تمهيدا لما بعده وكذا وما كان ربك نسيا اذ لم يقل ربهم ومرّضه لانه لايوافق سبب النزول واما كون الخطاب من جماعة المتقين او واحد منهم فبعيد وقوله ولطفه اشارة الى ان الامر هنا امر تكريم ولطف كقولك للمسافر انزل هنا ﴿قوله ما كان ربك ناسيا الاعمال العاملين﴾ اشارة الى ان المنفى اصل النسيان لازيادته حتى يقتضى ثبوت اصله وانما المبالغة باعتبار كثرة من فرض

(ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) على عادة المتنعمين والتوسط بين الزهادة والرغابة وقيل المراد دوام الرزق ودروره (تلك الجنة التى نورث من عبادنا من كان تقيا) نبقيها عليهم من ثمرة تقواهم كما نبقى على الوارث مال مورثه والوراثة اقوى لفظ يستعمل فى التمليك والاستحقاق من حيث انها لاتعقب بفسخ ولا استرجاع ولاتبطل برد واسقاط وقيل يورث المتقون من الجنة المساكن التى كانت لاهل النار لو اطاعوا زيادة فى كرامتهم وعن يعقوب نورّث بالتشديد (وماننزّل الا بامر ربك) حكاية قول جبريل حين استبطاه رسول الله عليه الصلاة والسلام لما سئل عن قصة اصحاب الكهف وذى القرنين والروح ولم يدر مايجيب ورجا ان يوحى اليه فيه فابطأ عليه خمسة عشر يوما وقيل اربعين حتى قال المشركون ودّعه ربه وقلاه ثم نزل ببيان ذلك والتنزّل النزول على مهل لانه مطاوع نزّل وقد يطلق بمعنى النزول مطلقا كما يطلق نزّل بمعنى انزل والمعنى وماننزّل وقتا غب وقت الا بامر الله على مقتضى حكمته وقرئ ومايتنزّل بالياء والضمير للوحى (له مابين ايدينا وماخلفنا ومابين ذلك) وهو مانحن فيه من الاماكن والاحايين لاننتقل من مكان الى مكان اولاننزّل فى زمان دون زمان الا بامره ومشيئته (وما كان ربك نسيا) تاركا لك اى ماكان عدم النزول الا لعدم الامر به ولم يكن ذلك عن ترك الله لك وتوديعه اياك كما زعمت الكفرة وانما كان لحكمة رآها فيه وقيل ان الآية حكاية قول المتقين حين يدخلون الجنة والمعنى وماننزّل الجنة الا بامر الله ولطفه وهو مالك الامور كلها السالفة والمترقبة والحاضرة فما وجدناه ومانجده من لطفه وفضله وقوله وماكان ربك نسيا تقرير من الله لقولهم اى وماكان ربك ناسيا لاعمال العاملين وماوعدلهم من الثواب عليها

تعلقه به كما فى وما ربك بظلام للعبيد فى احد الوجوه وقوله بيان لامتناع النسيان لان رب هذه المخلوقات العظيمة المدبر لامرها والممسك لها فى كل حال لايمكن ان يجرى عليه الغفلة والنسيان على مامر فى قوله لاتأخذه سنة ولانوم له مافى السموات ومافى الارض ﴿ قوله وهو خبر محذوف او بدل من ربك ﴾ فى قوله وما كان ربك نسيا وفى الكشاف هو بدل من ربك ويجوز ان يكون خبر مبتدأ محذوف اى هو رب السموات والارض كقوله وقائلة خولان فانكح فتاتهم * وعلى هذا الوجه يجوز ان يكون وما كان ربك نسيا من كلام المتقين ومابعده من كلام رب العزة انتهى وانما لم يجز على البدل ان يكون من كلامهم لانه لايظهر اذ ذاك ترتب قوله فاعبده الخ عليه لانه من كلام الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم فى الدنيا بلاشك وجعله جواب شرط محذوف على تقدير اذا عرفت احوال اهل الجنة واقوالهم فأقبل على العمل لايلائم فصاحة التنزيل للعدول عن السبب الظاهر الى الخفى كذا فى الكشف ولم يذكره المصنف لمافيه من التكلف بل جعله من كلام الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم كمامر ﴿ قوله خطاب للرسول الخ ﴾ الترتيب مأخوذ من الفاء وقوله لما عرفت الخ اشارة الى وجه الترتب وقوله او اعمال بالنصب عطف على مفعول ينسالك اشارة الى تفسيره على كونه حكاية قول المتقين وقوله فاقبل لم يقل فاستمر لان الاقبال كان حاصلا قبل لئلا يتكرر مع مابعده لان معناه الثبات والاستمرار فلا يتوهم ماذكر كما قيل ﴿ قوله وانما عدى باللام الخ ﴾ اى والمعروف تعديته بعلى لمافيه من معنى الثبوت المتعدى بها كأنه قيل اصبر ثابتا على طريق التضمين وجعل العبادة بمنزلة القرن اشارة الى قوله رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر وقيل انه استعارة تبعية ملوحة الى مكنية بجعل العبادة بمنزلة القرن والصبر والمداومة عليها بمنزلة الثبات له ولو كان تضمينا لم يحتج الى ان العبادة بمنزلة القرن وفيه نظر ﴿ قوله مثلا يستحق ان يسمى الها الخ ﴾ يعنى ان اصل السمى المشارك فى الاسم وذلك يقتضى المماثلة خصوصا فى اسماء الاجناس فاريد بنفى السمى نفى المثل على طريق الكناية ونفى السمى حينئذ يجوز ان يراد به نفى المشاركة فيما يطلق عليه مطلقا كاله لان الكفرة وان سموا اصنامهم آلهة لكنها تسمية باطلة لااعتداد بها وان يراد به نفى المشاركة فيما يختص به كالله والرحمن كما نقل عن ابن عباس رضى الله عنهما واشار اليه المصنف رحمه الله بقوله او احدا يسمى الله وقوله فان المشركين الخ تعليل للاول او لهما لان الله اصله الاله كمامر فتأمل ﴿ قوله لظهور احديته ﴾ اى احديته الذاتية المقتضية للتفرد باسمائه العلية وتعالى بكسر اللام اسم مصدر مضاف وقوله وهو تقرير للامر اى كونه لايفعل الاباذنه وامره وقوله ولايستحق العبادة اى التى هى غاية الخضوع اذلا تليق بغيره المتعدد الامثال وهذا يعلم من ذكره بعد الامر بعبادته فلا يرد ان التفرد بالتسمية لايدل على التفرد بالعبادة ﴿ قوله المراد به الجنس بأسره الخ ﴾ لما كان هذا القول لم يصدر الا من الكفار المنكرين للبعث اختلف فى تفسيره فقيل ال فيه للعهد والمراد شخص وهو ابى بن خلف لعنه الله او جماعة معينون وهم هؤلاء الكفرة وقيل انها للجنس وهو حينئذ مجاز اما فى الطرف بان اطلق جنس الانسان واريد بعض افراده كما يطلق الكل على اجزآئه او فى الانسان بان يسند الى الكل ماصدر من البعض كما يقال بنوا فلان قتلوا قتيلا والقاتل واحد منهم ولامنافاة بين كون التعريف للجنس المفيد للعموم وارادة البعض كما توهم وانما الكلام فى انه هل يشترط فى مثله لصحته او لحسنه رضى الباقين به او مطاوعتهم ومساعدتهم حتى يعد كأنه صدر منهم اولا فان قلنا بالاول ورد عليه الاعتراض بان بقية الناس من المؤمنين لم يرضوه وايضا صرح المصنف رحمه الله باشتراطه فى سورة السجدة فان لم يقل به هنا تناقض كلامه وان وفق بينهما بعض اهل العصر بما لاطائل تحته فيحتاج الى تكلف ماقيل ان الاستغراب مركوز فى طبائع الكل قبل النظر فى الدليل فالرضى حاصل بالنظر الى الطبع والجبلة لكن كلام المصنف لايساعده كماستراه والحق عدم اشتراط ذلك وانما يشترط لحسنه نكتة يقتضيها مقام الكلام حتى يعد كأنه صدر من الجميع فقد تكون الرضى وقد تكون المظاهرة وقد تكون عدم الغوث والمدد ولذا اوجب الشرع القسامة والدية وقد تكون غير ذلك فذكر المصنف رحمه الله وجها فى محل لايقتضى تعينه فكانت النكتة هنا انه لما وقع بينهم اعلان قول لاينبغى ان يقال مثله واذا قيل لاينبغى ان يترك قائله بدون منع او قتل جعل ذلك بمنزلة الرضى حثا لهم على انكاره قولا وفعلا فتأمل * واعلم ان ماذكره لايختص بالنسبة الاسنادية بل يجرى فى الاضافة كقوله * فسيف بنى عبس وقد ضربوا به * كما فى الكشاف وقوله على الخبر المراد به مايقابل الانشاء الذى منه الاستفهام ولبعض الناس هنا كلام مختل لاحاجة الى ايراده وقيل ان المراد بكونه على الخبر

وقوله (رب السموات والارض ومابينهما)
بيان لامتناع النسيان عليه وهو خبر محذوف
او بدل من ربك (فاعبده واصطبر لعبادته)
خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم مرتب
عليه اى لما عرفت ربك بانه لاينبغى له ان ينسال
او اعمال العمال فأقبل على عبادته واصطبر
عليها ولاتتشوش بابطاء الوحى وهزء الكفرة
وانما عدى باللام لتضمنه معنى الثبات
للعبادة فيما يورد عليه من الشدآئد والمشاق
كقولك للمحارب اصطبر لقرنك (هل
تعلم له سميا) مثلا يستحق ان يسمى اله
او احدا يسمى الله فان المشركين وان سمو
الصنم الها لم يسموه الله قط وذلك لظهور
احديته وتعالى ذاته عن المماثلة بحيث لم يقبل
اللبس والمكابرة وهو تقرير للامر اى اذ
صح ان لا احد مثله ولا يستحق العباد
غيره لم يكن بد من التسليم لامره والاشتغال
بعبادته والاصطبار على مشاقها (ويقول
الانسان) المراد به الجنس بأسره فان القول
مقول فيما بينهم وان لم يقل كلهم كقولك
بنوا فلان قتلوا فلانا والقاتل واحد منهم
او بعضهم المعهود وهم الكفرة او ابى بن
خلف فانه اخذ عظاما بالية ففتها وقال
يزعم محمد انا نبعث بعد الموت (أئذا مامت
لسوف اخرج حيا) من الارض او من حال
الموت

بحسب الظاهر والا فالهمزة مقدّرة فيه وليس بمتعين كما ذكره المعرب وقوله من الارض فالخروج حقيق او من حال الموت فهو مجاز عن الانتقال من حال الى اخرى ﴿ **قوله** لان المنكر كون مابعد الموت وقت الحياة الخ ﴾ يعنى ان تقديم الظرف لان الاخراج الى الحياة ليس بمنكر مطلقا وانما المنكر كونه بعد الموت فقدّم الظرف لانه محل الانكار والاصل فى المنكر ان يلى الهمزة ويحتمل انه اريد انكار وقته بعينه مبالغة لانه يفيد انكاره بطريق برهانى كما ذكره الطيبى ولما كان وقت اخراجه وخروج الروح ليس وقت اخراجه حيا بل بعده بزمان طويل قال الرضى ان فيه معطوفا محذوفا لقيام القرينة عليه والمعنى ائذا مامت وصرت رميما ابعث اى مع اجتماع الامرين كقوله ائذا متنا وكنا عظاما ورفاتا نبعث خلقا جديدا فمن قال انه لا حاجة اليه لم يصب اللهم الا ان يراد بحال الموت زمان ممتدّ الى اوّل زهوق الروح كما هو المتبادر منه وربما يكون فى كلام المصنف رحمه الله اشارة اليه او يقال انهم اذا احالوه فى تلك الحال علم احالته اذا كانوا رفاتا بالطريق الاولى وفى كلام الفاضل المحشى هنا شئ فتأمل ﴿ **قوله** وانتصابه بفعل دل عليه اخرج ﴾ سوآء كان من لفظه او معناه كابعث ونحوه وعدّ المانع اللام وحدها دون سوف لانها لاتمنع على الصحيح خلافا لابن عطية قيل ان الرضى ذكر ان كلمة الشرط تدل على لزوم الجزآء للشرط ولتحصل هذا الغرض عمل فى اذا جزآؤه مع كونه بعد حرف لايعمل مابعده فيما قبله كالفاء فى فسبح وان فى قولك ان جئتنى فانى مكرم ولام الابتدآء فى قوله ائذا مامت لسوف اخرج حيا انتهى * فان قلت هذا مبناه على ان العامل الجواب والجمهور على انه الشرط كما فى المغنى * قلت ذاك فى اذا الشرطية وهذه ظرفية انتهى ولايخفى ان كلام الرضى ليس بمتفق عليه كما فى كتب العربية واما ماذكره من السؤال والجواب فانه لايصح ان يكون على كلام الرضى فانه مخالف لصريح كلامه من جعلها شرطية ولا من قبل المصنف رحمه الله فانه لايعارض كلام الرضى فلا حاجة لايراده برمته وسياقه يأباه فتدبر ﴿ **قوله** وهى هنا مخلصة الخ ﴾ هذا بناء على ان اللام اذا دخلت على المضارع خلصته للحال وهو قول النحاة ومن قال انها لاتخلصه يحتج بمثل هذه الآية ولا يحتاج الى دعوى تجريدها للتوكيد وقوله كما خلصت بصيغة المجهول وهذا ايضا بناء على ان اصله الاله وال فيه للتعريف والتعويض عن الهمزة المحذوفة فانها اذا اجتمعت مع حرف الندآء جعلت لمحض التعويض لئلا يجتمع تعريفان وهذا احد الاقوال المشهورة فيه ايضا ولذا قطعت همزته وقوله فساغ الخ تعليل لما نحن فيه ﴿ **قوله** مع ان الاصل ان يتقدمهما الخ ﴾ تبع فى هذا الزمخشرى حيث قال وسطت همزة الانكار بين المعطوف عليه وحرف العطف يعنى أيقول ذلك ولايذكر حال النشأة الاولى حتى لاينكر الاخرى فان تلك اعجب واغرب الخ وهو مخالف للمذهبين فى مثله بحسب الظاهر من انها مقدّمة من تأخير فاصله والايذكر الخ او داخلة على مقدّر واصله ايقول كذا ولا الخ واما كونها مؤخرة من تقديم فلم يقله احد مع انه قيل عليه ان الهمزة ليست من المعطوف لتقدّمها عليه ولا من المعطوف عليه لتأخرها عنه وكيف يدخل الانكار على يقول مع تأخر الهمزة عنه وفيه ابطال صدارتها فالاولى ان يقال لايذكر معطوف على مقول مقدّر بعد الهمزة لدلالة الاوّل عليه فيرتفع الاشكالان وقيل لايخلو اما ان يعطف لايذكر على يقول المذكور او على المقدّر فعلى الاوّل لايستقيم تقريره المعنى بقوله ايقول ذلك ولايذكر لان التقدير حينئذ اولايذكر وعلى الثانى لايصح قوله ووسطت همزة الانكار بين المعطوف عليه وحرف العطف قيل ويمكن ان يجاب باختيار الاوّل وقوله ايقول ذلك ولايذكر بيان لحصل المعنى لا لتقدير اللفظ وذلك لان الهمزة افادت انكار الجمع لدخولها على الواو المفيدة له وكأنه قيل اينكر الجمع بين القول وعدم التذكر فصح قوله ايقول ذلك ولايذكر واما السؤال ببطلان صدارة الهمزة فلا وجه له لما ثبت من التوسع فيها خاصة انتهى * اقول فى هذا كله تكلف ما لا حاجة اليه مع خروجه كله عن القانون النحوى اما الاوّل فلأن كلامهم غير محتاج لما ذكروه كما ستسمعه من كتب واما الثانى فلمخالفته لما ذهب اليه النحاة من المذهبين لانه لم يقل احد انها مؤخرة من تقديم وايضا صدارتها انما هو بالنسبة الى جملتها بالاتفاق وتقدّمها على الواو أتم فيه كما صرّح به فى المغنى فلا حاجة الى التوسع المذكور كما انه لا حاجة الى ماقيل ان وجوب التصدير انما هو اذا بقيت على معناها الاصلى الاستفهامى اما اذا تولد منها معنى آخر كالانكار والتوبيخ فلا يبقى وجوب التصدير ولذا قال المصنف رحمه الله مع ان الاصل الخ اذا عرفت هذا فمعنى كلام الشيخين هنا وهو بيان لمعنى النظم مبنى على القول بعدم التقدير انه لما دخل حرف الانكار على العاطف فتوسط فى الكلام مع ان القول المذكور منكر كعدم التذكر فاجابوا بانه وان كان اصل المعنى المراد منه هذا ومقتضاه ان يقال ايقول

وتقديم الظرف وايلاؤه حرف الانكار لان المنكر كون مابعد الموت وقت الحياة وانتصابه بفعل دل عليه اخرج لا به فان مابعد اللام لايعمل فيما قبلها وهى ههنا مخلصة للتوكيد مجرّدة عن معنى الحال كما خلصت الهمزة واللام فى ياالله للتعويض فساغ اقترانها بحرف الاستقبال وروى عن ابن ذكوان اذامامت بهمزة واحدة مكسورة على الخبر (أولايذكر الانسان) عطف على يقول وتوسيط همزة الانكار بينه وبين العاطف مع ان الاصل ان يتقدمهما للدلالة على ان المنكر بالذات هو المعطوف وان المعطوف عليه انما نشأ منه

فانه لو تذكر وتأمل (انا خلقناه من قبل ولم يك شيأ) بل كان عدماصرفا لم يقل ذلك فانه اعجب من جمع المواد بعد التفريق وايجاد مثل ما كان فيهما من الاعراض وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وقالون عن يعقوب يذكر من الذكر الذى يراد به التفكر وقرئ يتذكر على الاصل (فوربك لنحشرنهم) اقسام باسمه مضافا الى نبيه تحقيقا للامر وتفخيما لشان رسول الله صلى الله عليه وسلم (والشياطين) عطف اومفعول معه لما روى ان الكفرة يحشرون مع قرنائهم من الشياطين الذين اغووهم كل مع شيطانه فى سلسلة وهذا وان كان مخصوصا بهم ساغ نسبته الى الجنس باسره فانهم اذحشروا وفيهم الكفرة مقرونين بالشياطين فقد حشروا جميعا معهم (ثم لنحضرنهم حول جهنم) ليرى السعدآء مانجاهم الله منه فيزدادوا غبطة وسرورا وينال الاشقياء ما ادخروا لمعادهم عدة ويزدادوا غيظا من رجوع السعدآء عنهم الى دار الثواب وشماتتهم عليهم (جثيا) على ركبهم لمايدهمهم من هول المطلع اولانه من توابع التواقف للحساب قبل التواصل الى الثواب والعقاب واهل الموقف جاثون لقوله وترى كل امة جاثية على المعتاد فى مواقف التقاول وان كان المراد بالانسان الكفرة فلعلهم يساقون جثاة من الموقف الى شاطئ جهنم اهانة بهم اولعجزهم عن القيام لما عراهم من الشدة وقرأ حمزة والكسائى وحفص جثيا بالكسر (ثم لننزعن من كل شيعة) من كل امة شايعت دينا (ايهم اشد على الرحمن عتيا) من كان اعصى واعتى منهم فنطرحهم فيها وفى ذكر الاشد تنبيه على انه تعالى يعفو عن كثير من اهل العصيان ولو خص ذلك بالكفرة فالمراد انه يميز طوآئفهم اعتاهم فاعتاهم ويطرحهم فى النار على الترتيب اويدخل كلا طبقتها التى تليق بهم وايهم مبنى على الضم عند سيبويه لان حقه ان يبنى كسائر الموصولات لكنه اعرب حملا على كل وبعض للزوم الاضافة فاذا حذف صدر صلته زاد نقصه فعاد الى حقه منصوب المحل بننزعن ولذلك قرئ منصوبا ومرفوع عند غيره اما بالابتدآء على انه استفهامى وخبره اشد

اذا الخ الا انه عدل عنه للدلالة على ان المنكر بالذات عدم التذكر والقول انما نشأ عنه فلا وجه لما قاله المحشى فانه لو تأمل لم يقله **﴿قوله بل كان عدماصرفا الخ﴾** بناء على ان الشئ يختص بالموجود وقد تقدم تفصيله وقوله فانه اى الخلق المفهوم من خلقنا وانما كان اعجب لانه لم يسبق له مثال يحذى حذوه ولم يجمع له مادة قبل حتى يعاد على احد المذهبين المعروفين فى المعاد كما اشار اليه المصنف رحمه الله وقوله على الاصل اى بدون ادغام فانه خلافه والتفخيم لشأنه صلى الله عليه وسلم من الاضافة فانها للتعظيم كبيت الله وقوله لما روى الخ تأييد للمعية للتصريح بها فى الحديث وقوله مخصوصا بهم اى بالكفرة وقوله ساغ بالغين المعجمة اى جاز ونسبته الى الجنس باسره نسبة مجازية كما مر وقوله فانهم بيان لوجه التجوز فيه وقوله فقد حشروا جميعا معهم لجاز نسبته مجازا لهم وقوله ليرى بيان لحكمة حشرهم معهم والغبطة هنا حسن الحال والمسرة وقوله وشماتتهم عليهم كان الظاهر ان يقول بهم فكأنه علقه بمقدر اى متغاظين عليهم وقوله يدهمهم بالدال المهملة اى يفجأهم وهذا بناء على العموم فى الانسان فالمؤمن يجثو اذا قرب منها والكفار مستمرون على الجثى لعدم استطاعة القيام فلا ينافى جمع ضمير نحشرهم ان يراد بالانسان واحد كما تقدم والعدة بضم العين المهملة مايعد لما بعده **﴿قوله اولانه من توابع التواقف﴾** اى من لوازمه والتواقف تفاعل من الوقوف والتقاول تفاعل من القول والمفاعلة فيه حقيقة بخلاف اخواته فانها فيه للمشاكلة يعنى ان الجثى وهو جلوس المستوفز على ركبه شأن من يجيئ لمجلس امير وقوله قبل التواصل الخ اى قبل الوصول الى جزآء ماهو سبب له وهذا عام لجميع اهل الموقف كما فى الآية المذكورة على احد تفسيريها لا خاص كما قيل وانما الفرق ان المؤمنين يقومون بعد تلك الحالة والكفار يبقون على هيئاتهم الاولى فليس فى تقريره سوء ترتيب وقوله على المعتاد اى فى الحساب حال من ضمير جاثون اومتعلق به وقوله وان كان الظاهر الفاء لانه لف ونشر وقوله فلعلهم عبر به لانه من المغيبات وقوله جثاة اى للهول كما مر على ان جثيا حال مقدرة بخلافه على ماقبله لان قوله لنحضرنهم حول جهنم جثيا يقتضى ان يكونوا فى الاحضار وهو امر ممتد كذلك فان اريد العموم لايكون كذلك لان منهم السعداء وهم يمشون على اقدامهم فاذا وصلوا الى شاطئ النار تجاثوا فان قلت جثيا حال مقدرة بالنسبة الى السعداء وغير مقدرة بالنسبة الى الاشقياء فكيف يصح التقدير وعدمه فى حالة واحدة * قلت ان اريد بالجثى الجثى حول جهنم فهى مقدرة بالنسبة الى الكل ويجوز ان يكون من اسناد ماللبعض الى الكل كما مر وكل منهما مجاز فتأمل والقرآءة بكسر الجيم للاتباع قرأ حمزة والكسائى وحفص جثيا بكسر الجيم اتباعا والباقون بالضم ووقع فى النسخ هنا تحريف **﴿قوله من كل امة شايعت دينا﴾** اى تبعت دينا من الاديان وفى نسخة ربنا فيكون تفسيرا للاشد عتيا مقدما عليه كما سيأتى والاولى هى المشهورة وهذا بناء على ابقاء الشيعة على معناها المتبادر منها وهى الفرقة والفئة مطلقا فتشمل المؤمنين كما اشار اليه بقوله ولو خص الخ وقوله تنبيه ولم يفسره بما فى الكشاف بطائفة تبعت غاويا من الغواة لان المقام يقتضى التخصيص وان كان عاما للاتباع بحسب الوضع * لكنه اورد عليه ان قوله اشد عتيا يقتضى اشتراكهم فى العتى بل فى اشديته وهو لايناسب المؤمنين * واجيب عنه بانه يكتفى بالتقدير او يجعل من نسبة ماللبعض الى الكل وهذا اظهر ولابعد فيه من جهة العربية لان التفضيل على طائفة لايقتضى مشاركة كل فرد فرد كما اذا قلت هو اشجع العرب لايلزمه وجود الشجاعة فى جميع افرادهم وقوله اعصى اشارة الى ان العتو على هذا بمعنى العصيان لانه كما فسره الراغب النبو عن الطاعة وبه يهون مامر ووجه التنبيه على هذا انه خص العذاب بالاشد معصية ففيه ايماء الى التجاوز عن كثير منهم فلا وجه لما قيل انه لادلالة له عليه وقوله ويطرحهم اويدخل فيه اشارة الى ان فى النظم حذفا وايجازا وكثيرا منصوب على نزع الخافض وهو عن لا اللام وقوله طبقاتها وفى نسخة طبقتها اى النار **﴿قوله وايهم مبنى على الضم عندسيبويه﴾** أى المشددة تكون موصولة واستفهامية وشرطية واختلف فيها وفى اعرابها هنا فذهب سيبويه الى انها موصولة وكان حقها ان تبنى كسائر الموصولات لشبهها الحرف بافتقارها لما بعدها من الصلة لكنها لما لزمت الاضافة الى المفرد لفظا نحو ايهم اوتقديرا نحو ايا وهى من خواص الاسماء بعد الشبه فرجعت الى الاصل فى الاسماء وهو الاعراب ولانها اذا اضيفت الى نكرة كانت بمعنى كل نحو اى رجل واذا اضيفت الى معرفة كانت بمعنى بعض نحو اى الرجلين كما ذكره النحاة فحملت فى الاعراب على ماهى بمعناه كما ذكره المصنف رحمه الله لكنها اذا حذف صدر صلتها عنده ازداد نقصها المعنوى وهو الابهام والافتقار الى الصلة بنقص الصلة التى هى كجزئها فقوى مشابهتها

للحرف فعادت الى ماهو حق الموصول وهو البناء فهى على هذا منصوبة محلا والجملة بعدها المحذوفة المبتدأ لامحل لها من الاعراب والقرآءة بالنصب عن طلحة تقتضى انها مفعول نتزعنّ وقد خطئ فى هذا بانه لم يسمع مثله وبانه يقول باعرابها اذا افردت عن الاضافة فكيف اذا اضيفت كما فى المغنى وهو مفصل فى محله وقوله ومرفوع معطوف على قوله منصوب المحل ﴿قوله والجملة محكية﴾ اى بالقول الذى هو صلة الموصول المحذوف الذى هو مفعول لننزعنّ واىّ استفهامية لاموصولة كما بينه وهذا قول الخليل رحمه الله ولما كان لامعنى لجعل النزع لمن يسأل عنه بهذا الاستفهام اوّله بعضهم بانه مجاز عن تقارب احوالهم وتشابهها فى العتوّ حتى يستحق ان يسأل عنها او المراد الذين يجاب بهم عن هذا السؤال وهو مع تكلفه فيه حذف الموصول مع بعض الصلة وهو تكلف على تكلف ومثله لايقاس وقوله او معلق عنها فالجملة فى محل نصب والمعنى لننزعنّ جواب من يسأل عنه بهذا ولما كان التعليق عند الجمهور مختص بافعال القلوب اجاب عنه بانه نزع شئ عن شئ يقتضى افرازه وتمييزه عنه وهو سبب للعلم به فهو لتضمنه معنى يلزمه العلم عومل معاملته والاولى ان يقال انه مستلزم العلم لعلم من يراهم بذلك ومن لايرى التعليق مختصا بافعال القلوب كيونس لايحتاج الى التأويل ﴿قوله او مستأنفة﴾ اى استئنافا نحويا او بيانيا ان كانت اىّ موصولة كأن قيل من المنزوعون فقيل هم الذين هم اشدّ واما اذا كانت استئنافية فالظاهر الاوّل ويجوز الثانى على التأويل السابق وجعل من زآئدة على مذهب الاخفش الذى يجوّز زيادتها فى الاثبات وكونها مفعولا لتأويلها باسم وهو بعض قيل هو على تقدير تخصيصه بالكفرة وفيه نظر ﴿قوله واما بشيعة﴾ معطوف على قوله بالابتدآء وهذا منقول عن المبرد فى الاعراب فمن قال انه لم ينقله غير المصنف لم يصب قال ابو البقاء يعنى ان ايهم فاعل لما تضمنه شيعة من معنى الفعل والتقدير لننزعنّ من كل فريق يشيع ايهم اشدّ واىّ موصولة بمعنى الذى فتأمل وقيل اىّ هنا شرطية ﴿قوله وعلى للبيان الخ﴾ يعنى ان الجار والمجرور متعلق بفعل محذوف او بمصدر مبين لان المعنى على من والصلى بماذا كما فى سقياله ورعياله كأنه قيل على من عتوا فقال عتوا على الرحمن وبماذا يصلون فقيل يصلون بالنار لابالمصدر المذكور لان معمول المصدر لايتقدم عليه فمن جوّزه مطلقا او فى الجار والمجرور للتوسع فيه جوّزه هنا وكذا من قال ان عتيا وصليا جمع عات وصال وهو منصوب على الحالية ﴿قوله نحن اعلم بالذين هم اولى بالصلى الخ﴾ قيل هذا على كون صليا تمييزا عن النسبة التى بين اولى والمجرور ومابعده على انه تمييز عن النسبة التى بين المبتدأ والخبر وقيل ان الاوّل على تقدير كونه للبيان ومابعده على تعلقه بافعل فتأمل وقوله وقرأ حمزة الخ وقع فى بعض النسخ وقد قرأوا به فى جثيا كما مرّ وهو اتباع وكذا فى عتيا فالاولى ذكره ايضا وقوله ويجوز وكان المراد اوّلا الفرق باجمعها ﴿قوله التفات﴾ اى من الغيبة للحضور وهو جار على التفسيرين فى الانسان بالعموم والخصوص وعلى الثانى الورود بين ويجوز ان يكون خطابا للناس دون التفات لما مرّ كما فى الكشاف وقوله الا واصلها الخ يعنى ان المراد بالورود دخولها حقيقة لكنها لاتحرقهم بل تصير عليهم بردا وسلاما كنار ابراهيم عليه الصلاة والسلام كما ورد فى الحديث وعليه كثير من سلف المفسرين واهل السنة او المراد به الجواز على الصراط او القرب منها او الجثوّ حولها ورجحه الشيخان كغيرهما لانه يلائم قوله ثم ننجى الذين الخ لان الظاهر منه انه تفصيل وتفريق بعد مااشتركوا فيه ويقدّر فيه مضاف ايضا اى نذر الظالمين فيما حولها بقرينة قوله لنحضرنهم حول جهنم والمراد المرور على الصراط بعده واما على التفسير الاوّل فلايحتاج الى تأويله فتأمله وقوله خامدة بالخاء المعجمة والجيم والاوّل اولى اى ساكنة وتنهار اى تسقط وتقع والمراد انها تحرقهم وتشعل كما يقال وقع فى البلد حريق ﴿قوله واجبا﴾ اى كالواجب فى تحتم وقوعه والمقصود المبالغة اذ لايجب على الله شئ عند اهل السنة واليه اشار بقوله وقضى الخ هو تفسير مقضيا كما ان ماقبله تفسير حتما ﴿قوله وقيل اقسم عليه﴾ اى معنى كان حتما مقضيا كان قسما لازما والمقصود منه انشاء القسم وقد يقال ان على ربك المقصود منه اليمين كما تقول لله علىّ كذا اذ لا معنى له الا تأكد اللزوم والقسم لايذكر الا لمثله وعلىّ ورد فى كلامهم كثيرا للقسم كقوله

علىّ اذا ماجئت ليلى ازورها ٭ زيارة بيت الله رجلان حافيا

فان صيغة النذر قد يراد بها اليمين كما صرّحوا به او المراد بهذه الجملة القسم كقولهم عزمت عليك الا مافعلت كذا وورد فى الحديث لايموت لاحدكم ثلاثة من الولد فتمسه النار الا تحلة القسم فقال ابو عبيد وتبعه جماعة من المفسرين ان المراد بالقسم فى الحديث قوله وان منكم الا واردها الآية واعترض الازهرى فى التهذيب بانه

والجملة محكية وتقدير الكلام لننزعنّ من كل شيعة الذين يقال فيهم ايهم اشدّ او معلق عنها لننزعنّ لتضمنه معنى التمييز اللازم للعلم او مستأنفة والفعل واقع على كل شيعة على زيادة من او على معنى لننزعنّ بعض شيعة كل واما بشيعة لانها بمعنى تشيع وعلى للبيان او متعلق بافعل وكذا الباء فى قوله (ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها صليا) اى لنحن اعلم بالذين هم اولى بالصلىّ او صليهم اولى بالنار وهم المنتزعون ويجوز ان يراد بهم وباشدّهم عتيا رؤساء الشيع فان عذابهم مضاعف لضلالهم واضلالهم وقرأ حمزة والكسائى وحفص صليا بكسر الصاد (وان منكم) وما منكم التفات الى الانسان ويؤيده انه قرئ وان منهم (الا واردها) الا واصلها وحاضر دونها يمرّ بها المؤمنون وهى خامدة وتنهار بغيرهم وعن جابر انه عليه السلام سئل عنه فقال اذا دخل اهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض أليس قد وعدنا ربنا ان نرد النار فيقال لهم قد وردتموها وهى خامدة واما قوله تعالى اولئك عنها مبعدون فالمراد عن عذابها وقيل ورودها الجواز على الصراط فانه ممدود عليها (كان على ربك حتما مقضيا) كان ورودهم واجبا اوجبه الله على نفسه وقضى بان وعد به وعدا لايمكن خلفه وقيل اقسم عليه

لاقسم فيها فكيف يكون له تحلة وقيل ان هذا اصل معناه ولكن لما كان مايتحلل به يكون امرا قليلا ان اريد به ايقاع شئ من المحلوف عليه كبر قسمه او ذكر مايمنعه من الحنث وهو قوله ان شاءالله فعبر به عن القلة كقول كعب وقعهن الارض تحليل * قال ابن هشام فى شرح بانت سعاد اللهم الا ان يقال ان قوله تعالى وان منكم الاواردها معطوف على ماجيب به القسم فى قوله فوربك لنحشرنهم الخ وهذا مراد من قال ان الواو للقسم وفيه بعد وقال السبكى هذا عجيب فان القسم مقدر فى قوله وان منكم ويدل عليه شيئان احدهما قوله كان على ربك حتما مقضيا قال الحسن وقتادة قسما واجبا وروى عن ابن مسعود رضى الله عنه والثانى ان النبى صلى الله عليه وسلم فهم منه القسم كامر الحديث ولك ان تقول انه لاتقدير فيه والمعنى ماقررناه كامر او يقال الجملة معطوفة على جواب القسم او حال وحديث البعد غير مسموع لعدم تخلل الفاصل ﴿قوله وهو دليل على ان المراد بالورود الجثو الخ﴾ وجه الدلالة انه لما ذكر ان الجميع واردوها ثم قسمهم الى ناج والى متروك على حاله فى الجثى علم ان مقابله جاث لكنه غير متروك على جثيه فجاء ماذكر وهو ظاهر والدليل هو قوله وتذر الظالمين الخ وقد بين ايضا بان المؤمنين يفارقون الكفرة الى الجنة بعد تجاثيهم وتبقى الكفرة فى مكانهم جاثين والتركيب يدل على انجاء المتقين من الورطة التى تبقى الظالمون فيها للتقابل بينهما فدل على ان تلك الورطة هى الجثو حولها وانهما يشتركان فيها وقد كانا اشتركا فى الورود فدل هذا على ان المراد بالورود هو الجثو وهذا انما يأتى بتقدير مضاف فى قوله فيها اى فى حواليها بقرينة الجثو كما اشار اليه المصنف رحمه الله فمن قال انه لايجرى فى كلام المصنف رحمه الله لم يصب لكنه قيل على ان الجثو انما يصلح قرينة ان ثبت انه لاجثو فى النار وهو غير معلوم وايد بان الظالمين لايتركون حولها بل يدخلون النار ورد بان الجثو حول جهنم علم من الآية السابقة فرد هذا اليها والتفصيل بالمعلوم اولى وليس المراد بالدلالة الدلالة القطعية حتى يخل بها الاحتمال وقوله لايتركون الخ لادليل فيه ولايخفى ان ماادعاه من الاولوية الظاهر خلافه لان جثيا نكرة اعيدت فالظاهر انها غير الاولى لاسيما وقد وقعت فاصلة وهى كالقافية لايحسن تكرارها مع مافيها من التقدير المخالف للظاهر فتأمل ﴿قوله او ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم الخ﴾ او هنا لمنع الجمع لان ماهو بين اللفظ والمعنى بنفسه لايكون مبينا ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم كالمجمل ونحوه لاسيما ومبينة على الاول بمعنى مثبتة بصيغة اسم الفاعل وهذا بمعنى مبينة بصيغة اسم المفعول فلاحاجة الى القول بانها لمنع الخلو حتى يقال ان فيه تغليبا اذا اريد بالآيات جميعها ليخرج المتشابهات وقوله واضحات الاعجاز فهو من بان بمعنى ظهر كالاول فلو قدمه كان اظهر وعلى هذا فالاسناد اليها مجاز او بتقدير مضاف وقوله لاجلهم فاللام للتعليل وقوله او معهم فاللام صلة القول كقلت له كذا اذا خاطبته به وماوقع فى بعض النسخ او منهم تحريف ﴿قوله موضع قيام او مكانا﴾ كان الظاهر اى مكانا لان اصل معناه الاول ثم استعمل لمطلق المكان كما فى الكشاف وماقيل ان او للتخيير فى التعبير والتفسير لايجدى لانهما ليسا مترادفين فالظاهر انه اراد ان المقام محل القيام فان المقام بمعنى المعاش كما ذكره الراغب فى قوله قياما للناس فهو على ظاهره وان كان مقابل القعود فهو خاص اريد به عام ففيه زيادة على مافى الكشاف وهو على الاول بمعنى المنزل فتتوافق القرآءتان ولايتكرر مع قوله نديا ولذا قدمه والندى كالنادى مجتمع لندوة القوم ومحادثتهم ومنزل ان كان بضم الميم بمعنى النزول فهو عطف على اقامة وان كان بفتحها فهو عطف على موضع وكان الظاهر ضمه حينئذ ﴿قوله والمعنى الخ﴾ ناظر الى مامر فى تفسير بينات وعلمهم معطوف على الحال وبظاهر متعلق به لابقصور حتى يكون الظاهر ابدال الباء بعلى كما قيل وقوله ايضا اى كما رد عليهم انكار الحشر بقوله اولايذكر الخ والتهديد بما فيه من الاشارة لاهلاكهم والنقض هنا لما استدلوا به من حسن حالهم فى الدنيا على حسن حالهم فى الآخرة لتخلفه فيمن قبلهم من القرون وهو نقض اجمالى كما بين فى آداب البحث او هو بمعناه اللغوى وهو الابطال وكم خبرية او استفهامية وهى على كل حال لها الصدر فلذا قدمت والقرن اهل كل عصر وقد اختلف فى مدته وهو من قرن الحيوان سمى به لتقدمه كما اشار اليه ومنه قرن الشمس لاول مايطلع منها ﴿قوله وهم احسن صفة لكم﴾ بناء على انه يجوز وصفها كما ذكره الزمخشرى وتبعه ابو البقاء ورده ابو حيان بان النحاة صرحوا بان كم سواء كانت خبرية او استفهامية لاتوصف ولايوصف بها كالضمير وجعله صفة قرن ولايرد عليه كم من رجل قام وكم من قرية هلكت بناء على ان الجار والمجرور يتعين تعلقه بمحذوف هو صفة لكم كما ادعى بعضهم ان الرضى اشار اليه لانه يجوز فى الجار والمجرور ان يكون خبر المبتدأ محذوفا والجملة مفسرة لامحل لها فما ادعاه غير

(ثم ننجى الذين اتقوا) فيساقون الى الجنة
وقرأ الكسائى ويعقوب ننجى بالتخفيف وقرئ
ثم بفتح الثاء اى هناك (ونذر الظالمين فيها
جثيا) منهارة بهم كما كانوا وهو دليل على ان
المراد بالورود الجثو حواليها وان المؤمنين
يفارقون الفجرة الى الجنة بعد تجاثيهم وتبقى
الفجرة فيها منهارة بهم على هيئاتهم (واذا تتلى
عليهم آياتنا بينات) مرتلات الالفاظ مبينات
المعانى بنفسها او ببيان الرسول صلى الله عليه
وسلم او واضحات الاعجاز (قال الذين كفروا
للذين آمنوا) لاجلهم او معهم (اى الفريقين)
المؤمنين والكافرين (خير مقاما) موضع قيام
او مكانا وقرأ ابن كثير بالضم اى موضع اقامة
ومنزل (واحسن نديا) مجلسا ومجتمعا والمعنى
انهم لما سمعوا الآيات الواضحات وعجزوا
عن معارضتها والدخل عليها اخذوا فى
الافتخار بمالهم من حظوظ الدنيا والاستدلال
بزيادة حظهم فيها على فضلهم وحسن حالهم
عندالله لقصور نظرهم على الحال وعلمهم
بظاهر من الحياة الدنيا فرد عليهم ذلك ايضا
مع التهديد نقضا بقوله (وكم اهلكنا قبلهم
من قرن هم احسن اثاثا ورئيا) وكم مفعول
اهلكنا ومن قرن بيانه وانما سمى اهل كل
عصر قرنا لانه يتقدم من بعده وهم احسن
صفة لكم واثاثا تمييز عن النسبة وهو متاع
البيت وقيل هو ماجد منه والخرثى مارث منه

والرءى المنظر فعل من الرؤية لما يرى كالطحن والخبر وقرأ قالون وابن ذكوان ريا على قلب الهمزة وادغامها او على انه من الرى الذى هو النعمة وابو بكر زيئا على القلب وقرئ ريا بحذف الهمزة وزيا من الزى وهو الجمع فانها محاسن مجموعة ثم بين ان تمتيعهم استدراج وليس باكرام وانما العيار على الفضل والنقص مايكون فى الآخرة بقوله (قل من كان فى الضلالة فليمدد له الرحمن مدا) فيمده ويمهله بطول العمر والتمتع به وانما اخرجه على لفظ الامر ايذانا بأن امهاله مماينبغى ان يفعله استدراجا وقطعا لمعاذيره كقوله تعالى انما نملى لهم ليزدادوا اثما وكقوله اولم نعمركم مايتذكر فيه من تذكر (حتى اذا رأوا مايوعدون) غاية المد وقيل غاية قول الذين كفروا للذين آمنوا اى الفريقين خير حتى اذا رأوا مايوعدون (اما العذاب واما الساعة) تفصيل للموعود فانه اما العذاب فى الدنيا وهو غلبة المسلمين عليهم وتعذيبهم اياهم قتلا واسرا واما يوم القيامة وما ينالهم فيه من الخزى والنكال (فسيعلمون من هو شر مكانا) من الفريقين بان عاينوا الامر على عكس ماقدروه وعاد ما متعوا به خذلانا ووبالا عليهم وهو جواب الشرط والجملة محكية بعد حتى (واضعف جندا) اى فئة وانصارا قابل به احسن نديا من حيث ان حسن النادى باجتماع وجوه القوم واعيانهم وظهور شوكتهم واستظهارهم (ويزيد الله الذين اهتدوا هدى) عطف على الشرطية المحكية بعد القول كأنه لما بين ان امهال الكافر وتمتيعه بالحياة الدنيا ليس لفضله

مسلم عنده والخرثى بضم الخاء المعجمة وسكون الراء المهملة وثاء مثلثة ومثناة تحتية مارث اى قدم وبلى وقيل مالبس وقيل ارد أ المتاع ﴿قوله والرءى المنظر فعل من الرؤية الخ﴾ يعنى انه على هذا فعل بمعنى مفعول واما على القرآءة الاخرى فيحتمل انه منه ايضا لكن ابدلت همزته ياء وادغمت ويحتمل انه لاابدال فيه وانه من روى من الماء يروى ريا ضد عطش ولما كان الرى به النضارة والحسن استعمل فيه كما يقال هو ريان من النعيم كما قال ريان من ماء النعيم يلفه ورق الشباب * وقوله على انه من الرى ان كان بفتح الراء فهو ظاهر لان الرى اسم مأخوذ من ذلك المصدر وان كان بالكسر كما ضبط بالقلم فى اكثرها فهو مصدر والنعمة بفتح النون ويجوز كسرها التنعم والترفه فأتى بمن الابتدآئية المقتضية لتغايرهما كما فى الكشاف مع اتحادهما لفظا ومعنى لان مدخول من معناه الحقيقى هو الترفه والمراد به على طريق المجاز او الكناية المنظر الجميل والهيئة الحسنة فاقيل انه نظر الى المغايرة باعتبار كونه مذكورا فى النظم ومنقولا عن اهل اللغة او الى ان الثانى مصدر ومافى النظم اسم فانه كذلك فى القاموس وهذا اولى تكلف بارد وقوله على القلب اى القلب المكانى بتقديم اللام على العين فوزنه فلع كما يقال فى رأى رآء ﴿قوله كالطحن﴾ بكسر الطاء وسكون الحاء المهملتين وتون الحب المطحون والخبر بكسر الخاء المعجمة وسكون الباء الموحدة ورآء مهملة من خبر الارض اذا زرعها وهو مصدر بمعنى المزارعة وبمعنى مايزارع عليه اسم كالطحن كما ذكره ابن السيد فى مثلثاته ﴿قوله وقرئ ريا بحذف الهمزة﴾ اى والقصر وهى قرآءة ابن عباس رضى الله عنهما وقد قرئ ايضا بالمد ومعناها مرآه بعضهم بعضا كما فى الدر المصون واما هذه القرآءة فقد خرجت على وجهين احدهما ان يكون اصلها ريا بتشديد الياء فخففت بحذف احدى اليائين وهى الثانية لانها التى حصلت بها الثقل ولان الآخر محل التغيير والثانى ان يكون اصلها ريئا بياء ساكنة بعدها همزة فنقلت حركة الهمزة الى الياء ثم خففت على القاعدة المعروفة ﴿قوله وزيا من الزى الخ﴾ الزى الثانى بالفتح مصدر زواه بمعنى جمعه لان الزى بمعنى الهيئة ويكون بمعنى الاثاث ايضا كما ذكره المبرد فى قول الثقفى

* أشاقتك الظعائن يوم بانوا * بذى الزى الجميل من الاثاث *

وهو واوى لايائى كما فى القاموس وقوله فانه اى الزى بالكسر ﴿قوله ثم بين الخ﴾ اى بين بعد النقض الجواب عما تمسكوا به وقوله وانما العيار وهو من قولهم عايرت بين المكيال والميزان اذا امتحنته وعداه بعلى لتضمنه معنى الدلالة والفضل هنا بمعنى الزيادة ولذا قابله بالنقص ﴿قوله فيمده ويمهله بطول العمر﴾ اشارة الى ان معنى المد وهو تطويل الحبل ونحوه اريد به تطويل العمر وقوله وانما اخرجه الخ اشارة الى ان صيغة الامر مستعارة للخبر كما يستعار الخبر للامر وقد اشار اليه بقوله اولا فيمده لانه لكونه كائنا لامحالة كالمأمور به الممتثل ليقطع اعذارهم وتقوم عليهم الحجة كما فى الآيتين المذكورتين او هو دعاء بامهالهم وتنفيس مدة حياتهم كما فى الكشاف ﴿قوله غاية المد﴾ فيه تسمح لان الغاية امامجموع الشرط وجوابه ان قلنا ان المجموع هو الكلام او مفهوم الجواب ان قلنا انه هو الكلام والشرط قيدله وعلى القول الثانى فابينهما اعتراض ومرضه لبعده وصاحب الكشاف اختار هذا وقدمه ﴿قوله تفصيل للموعود﴾ التفصيل مستفاد من اما كما ذكره النحاة ولا كلام فيه وانما الكلام فى قوله يوم القيامة * فان قيل ان المد والقول ينقطعان حين الموت وعند معاينة العذاب ولذلك يؤمن عنده كل كافر * فالمراد بالساعة مايشمله ومن مات فقد قامت قيامته ولايخفى ان ماذكره من التأويل لتتصل الغاية بالمغيا لايناسب مافى النظم لان الساعة لاتطلق عليه كيوم القيامة وامر الفاصل سهل لان امور هذه الدار لزوالها لاتعد فاصلة لتقضيها الاترى قوله تعالى اغرقوا فادخلوا نارا والمناسب وعيدهم بمايشاهدونه فى الدارين لانه الدال على الخزى ﴿قوله والجملة محكية بعد حتى﴾ فهى مستأنفة وحتى ليست جارة ولاعاطفة وهكذا هى حيث دخلت على اذا الشرطية عند الجمهور وهى منصوبة بالشرط او الجزآء على الخلاف المشهور وذهب ابن مالك الى انها جارة كما فى المغنى وقوله محكية اشارة الى انها غاية للقول باحد القولين فهو جار عليهما فليس هذا على انه غاية للمد ثم مابعده صريح فيه ﴿قوله اى فئة وانصار الخ﴾ وجه التقابل فيه ظاهر فالمراد بالندى من فيه كما يقال المجلس العالى للتعظيم فلذا عبر به وبالمقام ثمة وعبر هنا بالمكان والجند اشارة الى ان الاول فيه مسرة وحبور بخلاف هذا فانه مكان شر ومحاربة فتأمل ﴿قوله عطف على الشرطية المحكية بعد القول الخ﴾ فى هذه الجملة وجوه فقيل انها مستأنفة لامحل لها وقيل انها معطوفة على جواب

من وهو قوله فليمدد الخ واختاره فى الكشاف * واعترض بانه غير مناسب معنى اذ لايتجه ان يقال من كان فى الضلالة يزيد الله الذى اهتدوا هدى ولاامرا سوآء كان دعاء اوخبرا فى صورة الامر لانه فى موضع الخبر ان كانت موصولة وفى موضع الجزآء ان كانت شرطيـة فهو فى حكم الجزآء وعلى كلا التقـديرين فهى خالية من ضمير يربط الخبر بالمبتـدأ والجواب بالشرط * واجيب بان المعنى من كان فى الضلالة زيد فى ضلالته وزيد فى هداية اعدآئه لانه مما يغيظه ومن شرطية لاموصولة واشـتراط ضمير يعود من الجزآء على اسم الشرط غير الظرفى ممنوع فانه غير متفق عليه عند النحاة كما فى الدر المصون مع انه مقدر كما سمعته وفى كلام المصنف اشارة اليه لكنه لما كان لايخلو من تكلف لم يختره والثالث مااختاره المصنف وهو انه عطف على مجموع الجملة الشرطية ليتم التقابل فانه صلى الله عليه وسلم امر ان يجيبهم فليؤت بذكر القسمين اصالة كما فى الاول وهذا اولى كما فى الكشف ﴿قوله اراد ان يبين الخ﴾ ارادة الخير والتعويض من قوله والباقيات الصالحات الخ فهذا بدل من قصور حظوظه الدنيوية التى كانت لغيره للاسـتدراج وقطع المعاذير وقوله وقيل قد علمت وجه تمريضه وقوله كأنه قيل الخ فلا يلزم عطف الخبر على الانشاء ولاعدم الربط المعنوى واللفظى كما مر وانه وضع فيه الظاهر موضع الضمير ﴿قوله الطاعات التى تبقى عائدتها﴾ اى فائدتها فبقاؤها ببقاء ثوابها وقوله ويدخل اشارة الى ان المراد بها ماذكر وان ماوقع فى بعض التفاسير المأثورة من تفسيرها بما ذكر على سبيل التمثيل لاللتخصيص والحصر ﴿قوله المخدجة﴾ اى الناقصة وقوله سيما بحذف لاكما اجازه الرضى وقال ابوحيان انه لم يسمع فى كلام العرب وقوله كما اشار اليه الخ لان المرد مايرد اليه والمراد به العاقبة وهى بمعنى المآل وقيل انها بمعنى المنفعة من قولهم ليس لهذا الامر مرد وهو قريب منه ﴿قوله والخير ههنا امالمجرد الزيادة الخ﴾ جواب عماقيل كيف فضلوا عليهم فى خيرية الثواب والعاقبة والتفضيل يقتضى المشاركة فيه وهم لاثواب لهم وعاقبتهم لاخير فيها وهو ظاهر وقوله ههنا اى فى هذه الآية اى فى المحلين كما صرح به بعض ارباب الحواشى لا فى قوله خير مردا فقط لانه لمافسر الثواب بالعائدة الشاملة للفائدة الدنيوية لابالثواب المتعارف لم يحتج الى تأويل الخيرية فيه كما قيل وسـترى تفصيله فاجاب اولا بان المقصود مجرد الزيادة بقطع النظر عن مفضل عليه مخصوص يشاركه فى ذلك وتحقيقه كما ذكره بعض علماء العربية ان لافعل اربع حالات احداها وهى الاصل ان يدل على ثلاثة امور اتصاف من هو له بالحدث الذى اشتق منه وبهذا كان وصفا ومشاركة مصحوبه فى تلك الصفة ومزيد موصوفه على مصحوبه فيها وبالاخيرين فارق غيره من الصفات والثـانية ان يخلع عنه ماامتـاز به عن الصفات ويتجرد للمعنى الوصفى والثالثة ان تبقى عليه معانيه الثلاثة ولكن يخلع عنه المعنى الثانى ويخلفه قيد آخر فان الاشتراك مقيد بتلك الصفة التى هى المعنى الاول فيصير مقيدا بالثالث وهو الزيادة لكن لافى المعنى المشـتق منه كقولهم العسل احلى من الخل فان العسل زيادة فى حلاوته وهى اكثر من زيادة الخل فى حموضته قال ابن هشام فى شرح التسهيل وهو بديع جدا والرابعة ان يخلع عنه المعنى الثانى وهو المشاركة وقيد المعنى الثالث وهو كون الزيادة على مصاحبه فيكون للدلالة على الاتصاف بالحدث وعلى الزيادة مطلقا لامقيدة وذلك نحو يوسف احسن اخوته انتهى وهذا الاخير هو الذى اراده المصنف رحمه الله بجوابه الاول فالمعنى ان ثوابهم ومردهم متصف بالزيادة فى الخيرية على من اتصف بها بقطع النظر عن هؤلاء المفتخرين بدنياهم فلا يلزم مشاركتهم فى الخيرية حتى يرد السؤال وثانيا بانه على طريقة قولهم الصيف احر من الشتاء يعنى ليس المراد تفضيل نفس الباقيات على ماانتفع به الكفرة من حيث المنفعة بل فى الكلام حذف واضمار والمعنى ان كل واحد من ثواب المؤمنين وعقاب الكفرة وان كان بالغا الى ماهو غاية الكمال فى بابه لكن بلوغ الثواب غايته ازيد واكثر من بلوغ العقاب غايته كيف لاوفى الجنة من الضعف والافضال مالا يقادر قدره والنـار من عدله تعالى لايزيد عقـاب العاصى على مقدار معصيته والمقصود من بيان حال ثواب المؤمنين ليس تهديد اضدادهم بل هو فى نفسه مقصود بالبيان فلا يرد ان يقال هذا الجواب غير مناسب لمقام التهديد مع انه فى حيز المنع ايضا ﴿قوله كان لخباب عليه مال فتقاضاه﴾ اى خباب بن الارت قال كنت فى الجاهلية اى فى حال الجاهلية فعملت للعاص بن وائل فاجتمع لى عنده مال فاتيته اتقاضاه فقال لى الخ ﴿قوله ولما كانت الرؤية﴾ يعنى ان الرؤية مجاز عن الاخبار فى الاعلام لجامع التنبيه

اراد ان يبين ان قصور حظ المؤمن منها ليس لنقصه بل لان الله عز وجل اراد به ماهو خير وعوضه منه وقيل عطف على فليمدد لانه فى معنى الخبر كأنه قيل من كان فى الضلالة يزيد الله فى ضلاله ويزيد المقابل له هداية (والباقيات الصالحات) الطاعات التى تبقى عائدتها ابد الآباد ويدخل فيها ما قيل من الصلوات الخمس وقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر (خير عند ربك ثوابا) عائدة مما متع به الكفرة من النعم المخدجة الفانية التى يفتخرون بها سيما ومآلها النعيم المقيم ومآل هذه الحسرة والعذاب الدآئم كما اشار اليه بقوله (وخير مردا) والخير ههنا امالمجرد الزيادة او على طريقة قولهم الصيف احر من الشتاء اى ابلغ فى حره منه فى برده (افرأيت الذى كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا) نزلت فى العاص بن وائل كان لخباب عليه مال فتقاضاه فقال له لاحتى تكفر بمحمد فقال لا والله لا اكفر بمحمد حيا ولاميتا ولا حين بعثت قال فاذا بعثت جئنى فيكون لى ثم مال وولد فاعطيك ولما كانت الرؤية اقوى سند الاخبار استعمل أرأيت بمعنى الاخبار والفاء على اصلها والمعنى اخبر بقصة هـذا الكافر عقيب حديث اولئك وقرأ حمزة والكسائى ولدا وهو جمع ولد كأسد فى أسد او لغة فيه كالعرب والعرب

والاستفهام مجاز عن الامر لجامع الطلب فكان ارأيت بمعنى اخبر بعد ذلك اى عقيب ذلك من قال ائذا مامت لسوف اخرج حيافانه تعالى حكى اوّلا قول منكرى الحشر على وجه الانكار عليهم ثم اقام الدليل على صحته ثم قال افرأيت وعطف قصة هذا الكافر على الحكاية السابقة بقوله او لا يذكر الانسان ثم هدد المنكرين وساق الكلام الى ههنا فحكى ههنا كلام من قال على سبيل الاستهزآء والطعن فى القول بالبعث لأُوتينّ مالا وولدا ﴿قوله تعالى اطلع﴾ بهمزة واحدة مفتوحة لانها هى همزة الاستفهام وهمزة الافتعال محذوفة للوصل ومثله أفترى على الله كذبا ﴿قوله وتألى عليه﴾ اى حلف عليه * الجوهرى آلى يؤلى ايلاء حلف وتألى وائتلى مثله فان قوله لأُوتينّ جواب قسم محذوف والجملة القسمية فى محل النصب على انها مقول القول ﴿قوله الا باحد هذين الطريقين﴾ وهو ان يبلغ المرء من شأنه الى ان يرتقى الى عالم الغيب الذى توحد به الواحد القهار او يتقرب اليه ويأخذ منه عهده بان يؤتيه فى الآخرة مالا وولدا ﴿قوله فان وعد الله بالثواب عليهما كالعهد﴾ فمن اتخذ العهد عند الرحمن خالصا لوجهه قبل عهده الرحمن ووعده المثوبة والاكرام واعده عنده وسمى العمل الذى عهد الله عامله بالثواب عهدا لكونه سببا لنيل عهد الله ﴿قوله سنظهر له﴾ يعنى ان سين التسويف وان دخلت فعل الكتبة التى لا تتأخر عما يصدر من المكلف من القول والعمل كما قال تعالى مايلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد الا ان المراد بتسويف الكتبة تعريف تبيينها وظهورها على طريقة قوله * اذا ما انتسبنا لم تلدنى لئيمة * ولم تجدى من ان تقرّى بها بدّا * فان قوله لم تلدنى جواب واذا ظرف لما يستقبل من الزمان وليس المراد عدم الولادة فى المستقبل لان الولادة قد وقعت قبل الانتساب بل المراد ان يتبين ويظهر فى المستقبل انه لم تلده فى الماضى لئيمة وقوله لم تجدى بدّا اى فراقا وخلاصا يقال لابدّ من كذا اى لافراق منه يقول اذا انتسبنا وعين كل واحد منا من اتصلت نسبته اليه علمت يافلانة انى لست بابن لئيمة وظهر لك ماتضطرى الى الاقرار بذلك اقتصر الشاعر على ذكر الامّ لان الامّ اذا كانت من الكرام فالاب اولى ويجوز ان يريد به التعريض بكون امّ المخاطبة لئيمة ﴿قوله او سننتقم منه﴾ على ان يراد بالكتبة المسوّفة التى هى عبارة عن اثبات العمل فى الصحيفة مايؤدّى ذلك اليه من المجازاة والانتقام على طريق اطلاق اسم السبب وارادة المسبب ﴿قوله ونطوّل له من العذاب﴾ على ان يكون المدّ بمعنى تطويل مدّة العذاب والخلود فيه كما يقال مدّالله فى عمره ومدّه فى عيشه اى امهله وطوّل له فيكون من المدّ لامن المدد واشار بقوله مايستأهله الى ان قوله من العذاب صفة موصوف محذوف اى نطوّل له شيأ من العذاب اى نوعا من العذاب يستحقه هذا الكافر الذى قال لأُوتينّ مالا وولدا ﴿قوله او نزيد عذابه﴾ على ان يكون قوله نمدّ من المدد وتضعيف العذاب كما قال تعالى زدناهم عذابا فوق العذاب فان مدّه وامدّه يستعملان بمعنى واحد اى زاده وألحق به مايقوّيه ويقال مدّ الجيش اذا ألحق به المدد ﴿قوله تعالى ونرثه مايقول﴾ يجوز ان يكون الضمير فيه فى محل النصب بنزع الخافض فيكون مايقول مفعولا به والتقدير ونرث منه مايقول اى مسمى مايقوله ومدلوله لانفس قوله ويجوز ان يكون ضمير نرثه مفعولا صريحا ومايقول بدلا منه بدل اشتمال فالمعنى نرث ماعنده من المال والولد باهلاكنا اياه ويأتينا فردا قد سلب منه ما كان له فى الدنيا من علاقة الابوّة والمالية وهذا القول انما يقوله مادام حيافاذا قبضناه حلنا بينه وبين ان يقول ويأتينا فردا غير قائل به ثم انه تعالى لما بالغ فى تحقيق الحشر والنشر والردّ على من انكرهما شرع بعده فى الردّ على عباد الاصنام فقال واتخذوا من دون الله آلهة والمراد بالفردية الانقطاع عنهما فى العاقبة بالكلية ولاشك ان مثل هذه الفردية لايحصل الا للكافر والا فالمؤمن والكافر سوآء عند البعث فى كونهما منفردين عن المال والولد لقوله تعالى ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اوّل مرّة ثم يتفاوتون بعد ذلك فالمؤمن يلاقى احبابه واولاده ومااشتهاه والكافر يحال بينه وبين مايشتهيه وينفرد عنه ابدا ﴿قوله سيجحد الآلهة الى قوله او سينكر الكفرة﴾ يعنى ان ضمير يكفرون يجوز ان يرجع الى الآلهة لانه اقرب مذكور قيل انه تعالى يحيى الاصنام يوم القيامة حتى يوبخوا عبادهم ويتبرأوا منهم فيكون ذلك اعظم لحسرتهم ويجوز ان يرجع الى المشركين وقوله بعبادتهم مصدر مضاف الى فاعله ان عاد الضمير المجرور فيه الى المشركين العابدين والى المفعول ان عاد الى الآلهة وضمير يكونون يتعين ان يكون للآلهة على تقدير ان يفسر الضدّ بضدّ العز وكذا على تقدير ان يفسر بالعون لان مايكون ذلا على المتخذين المشركين ومايكون عونا فى عذابهم هم الآلهة والمعاون قد يسمى ضدّا لانه يضادّ العدوّ وينافيه باعانته لك عليه واما ان فسر الضدّ بالكفر وترك العبادة فضمير يكونون حينئذ يكون للمشركين

(أطلع الغيب) أقد بلغ من عظمة شانه الى ان ارتقى الى عالم الغيب الذى توحد به الواحد القهار حتى ادّعى ان يؤتى فى الآخرة مالا وولدا وتألى عليه (ام اتخذ عند الرحمن عهدا) او اتخذ من علام الغيوب عهدا بذلك فانه لايتوصل الى العلم به الا باحد هذين الطريقين وقيل العهد كلمة الشهادة والعمل الصالح فان وعد الله بالثواب عليهما كالعهد عليه (كلا) ردع وتنبيه على انه مخطئ فيما تصوّره لنفسه (سنكتب مايقول) سنظهر له انا كتبنا قوله على طريقة قوله * اذا ما انتسبنا لم تلدنى لئيمة * اى تبين انى لم تلدنى لئيمة او سننتقم منه انتقام من كتب جريمة العدوّ وحفظها عليه فان نفس الكتبة لاتتأخر عن القول لقوله تعالى مايلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد (ونمدّ له من العذاب مدّا) ونطوّل له من العذاب مايستأهله او نزيد عذابه ونضاعف له لكفره وافترآئه واستهزآئه على الله ولذلك اكده بالمصدر دلالة على فرط غضبه عليه (ونرثه) بموته (مايقول) يعنى المال والولد (ويأتينا) يوم القيامة (فردا) لايصحبه مال ولا ولد كان له فى الدنيا فضلا ان يؤتى ثم زآئدا وقيل فردا رافضا لهذا القول منفردا عنه (واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا) ليتعززوا بهم حيث يكونون لهم وصلة الى الله وشفعاء عنده (كلا) ردع وانكار لتعززهم بها (سيكفرون بعبادتهم) سيجحد الآلهة عبادتهم ويقولون ماعبدتمونا لقوله اذ تبرّأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا او سينكر الكفرة لسوء العاقبة انهم عبدوها لقوله ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين (ويكونون عليهم ضدّا) يؤيد الاوّل اذا فسر الضدّ بضدّ العز اى ويكونون عليهم ذلا او بضدّهم على معنى انها تكون معونة فى عذابهم بان توقد بها نيرانهم او جعل الواو للكفرة اى يكونون كافرين بهم بعد ان كانوا يعبدونها

(ويكون)

ويكون عليهم بمعنى اعدآئهم وضدًّا خبر بعد خبر والمعنى ويكون المشركون اعدآء الآلهة ويكفرون بهم بعد ان كانوا يعبدونها فقول المصنف او جعل الواو للكفرة قسيم لجملة قوله يؤيد الاوّل اذا فسر الضدّ الخ ﴿قوله وتوحيده﴾ جواب عما يقال كيف افرد قوله ضدًّا مع انه خبر عن جمع * وتقرير الجواب انهم وان كانوا اضدادا فى نفس الامر الا انهم كشئ واحد من حيث اشتراك الجميع فى المعنى الذى به مضادّتهم فلذلك جعلوا ضدًّا واحدا ونظيره انه عليه الصلاة والسلام جعل المؤمنين مع كثرتهم يدا واحدة لاتفاق كلمتهم وفرط تضامهم وموافقتهم فجعلهم كشئ واحد لذلك واوّل الحديث * المؤمنون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم ادناهم وهم يد على من سواهم * قوله عليه الصلاة والسلام تتكافأ دماؤهم اى يتساوون فى القصاص والديات والكفؤ النظير والمساوى وقوله وهم يد على من سواهم اى هم مجتمعون على اعدآئهم لايسعهم التخاذل بل يعاون بعضهم بعضا على جميع الاديان كأنه جعل ايديهم يدا واحدة وفعلهم فعلا واحدا ونظيره اجعل الفساق يدا يدا اى فرّق بينهم فان افردت اليد فى مقام الجمع دل على الاتفاق والاجتماع وان جمعت اريد الشتات والافتراق ﴿قوله وقرئ كلا﴾ بفتح الكاف والتنوين على انها كلا التى للردع والتنوين الذى فيها للترنم وهذا التنوين يلحق آخر الابيات والانصاف المصرّعة ويلحق الفعل والاسم المعرّف باللام قال

* اقلى اللوم عاذل والعتابن * وقولى ان اصبت لقد اصابن *

الاصل لقد اصابا والعتابا باشباع فتحة الباء للوزن ثم قلب الاشباع نونا وهذا التنوين فى الحقيقة لترك الترنم لانه انما يؤتى به اشعارا بترك الترنم وذلك لان الالف والواو والياء فى القوافى تصلح للترنم لما فيها من المدّ فيبدل منها التنوين اذا قصد الاشعار بترك الترنم لخلوّ التنوين من المدّ فيجوز ان يكون تنوين كلا من التنوين الذى لترك الترنم وان يكون تنوين التنكير ومثل هذا التنوين يسمى التنوين النائب مناب حرف الاطلاق على ان يكون كلا مصدرا مؤكدا لفعله المحذوف كأنه تعالى لما قال واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا قال تعالى ردًّا عليهم كل هذا الرأى كلا وتكون هذه الجملة مستأنفة ويكون قوله سيكفرون استئنافا آخر ﴿قوله وكلا﴾ اى وقرئ كلا بضم الكاف والتنوين على انه من باب ما اضمر عامله على شريطة التفسير منصوب بفعل يدل عليه سيكفرون مناسب لهذا المفعول لان المراد من سيكفرون انكار الآلهة وكل ما نسب المشركون اليها من الشفاعة والنصرة والابعاد من النار الدال عليه ليكونوا لهم عزا فلذلك قدّر الناصب سيجحدون لكونه مناسبا له ثم انه تعالى لما ذكر حال المشركين مع الاصنام فى الآخرة ذكر بعده حالهم مع الشياطين فى الدنيا وانهم يتولونهم وينقادون فقال الم تر انا ارسلنا الشياطين الآية قيل فى تفسير ارسلناهم سلطناهم اى قيضناهم لهم كقوله تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وهما فى المعنى واحد لانه تعالى اذا ارسلهم عليهم وسلطهم فقد اتصلوا بهم واذا اتصلوا بهم قيضوا وقرن بعضهم ببعض * قال الامام احتج الاصحاب بهذه الآية على انه تعالى مريد لجميع الكائنات فقالوا قول القائل ارسلت فلانا على فلان موضوع لافادة انه سلطه عليه لارادة ان يستولى عليه قال عليه افضل الصلاة والسلام قل باسم الله وارسل كلبك عليه فقوله تعالى انا ارسلنا الشياطين على الكافرين يفيد ان الله تعالى سلطهم عليهم لارادة ان يستولوا عليهم وذلك يفيد المقصود ويتأكد هذا بقوله تعالى تؤزهم أزا فان معناه لتؤزهم ازّا ويتأكد هذا بقوله تعالى واستفزز من استطعت منهم ثم قال لايجوز ان يكون المراد بالارسال التخلية لانه تعالى كما خلى بين الشياطين والكفرة فقد خلى بين الصالحين من عباده وبينهم ثم انه تعالى خص الكافر بانه ارسل الشياطين عليه فلابدّ لتخصيص الكافر بالذكر من فائدة زآئدة ههنا ولابدّ ان يكون من الله تعالى معنى فى الكفار ليس ذلك المعنى فى المؤمنين ومعنى فى المؤمنين ليس ذلك المعنى فى الكفار وهو انه تعالى اذا علم من المؤمنين الرغبة فى الاجابة وفقهم لذلك وهداهم واذا علم من الكفار اباءهم لما ذكر سلطهم عليهم والأزّ والهز والاغراء اخوات معناها التهييج وشدّة الازعاج ﴿قوله فانه لم يبق لهم﴾ اى لم يبق بينك وبين ما تطلبه من هلاكهم الا ايام محصورة وانفاس معدودة والعدّ كناية عن سرعة تقضى آجالهم وقلة ايامهم عدًّا لان الكثير ربما يستمرّ عدّه لكثرته ﴿قوله تعالى يوم نحشر﴾ منصوب باضمار اذكر او بقوله ويكونون عليهم ضدًّا او بما بعده من قوله لا يملكون الشفاعة قال ابن عباس هم الذين اتقوا بطاعته واجتناب معاصيه وقوله تعالى الى الرحمن اى الى جنته ودار كرامته ويدل عليه ما ذكر بعده وهو قوله ونسوق المجرمين الى جهنم لانه مقابله ﴿قوله ولعله لان مساق الكلام فى هذه السورة لتعداد نعمه

وتوحيده لوحدة المعنى الذى به مضادّتهم فانهم بذلك كالشئ الواحد ونظيره قوله عليه الصلاة والسلام وهم يد على من سواهم وقرئ كلا بالتنوين على قلب الالف نونا فى الوقف قلب الف الاطلاق فى قوله * أقلى اللوم عاذل والعتابن * او على معنى كل هذا الرأى كلا وكلا على اضمار فعل يفسره ما بعده اى سيجحدون كلا سيكفرون بعبادتهم (الم تر انا ارسلنا الشياطين على الكافرين) بان سلطناهم عليهم او قيضنا لهم قرناء (تؤزهم أزا) تهزهم وتغريهم على المعاصى بالتسويلات وتحبيب الشهوات والمراد تعجيب رسول الله صلى الله عليه وسلم من اقاويل الكفرة وتماديهم فى الغىّ وتصميمهم على الكفر بعد وضوح الحق على ما نطقت به الآيات المتقدمة (فلا تعجل عليهم) بان يهلكوا حتى تستريح انت والمؤمنون من شرورهم وتطهر الارض من فسادهم (انما نعدّ لهم) ايام آجالهم (عدًّا) والمعنى لاتعجل بهلاكهم فانه لم يبق لهم الا ايام محصورة وانفاس معدودة (يوم نحشر المتقين) نجمعهم (الى الرحمن) الى ربهم الذى غمرهم برحمته ولاختيار هذا الاسم فى هذه السورة شأن ولعله لانّ مساق الكلام فيها لتعداد نعمه الجسام وشرح حال الشاكرين لها والكافرين بها

الجسام﴾ فدل بذكر اسمه الرحمن على انه انما انعم بها تفضلا ورحمة لعباده وذكره له عند شرح احوال الكافرين بها توبيخا لهم بتمكيسهم لما ينبغي فان حق من تفرّد بانعام اصول النعم وفروعها ان يختص بغاية التعظيم والاكرام ولا يشكر غيره وهم به كفروا وضيعوا حقوقه وعبدوا غيره ﴿قوله كما يفد الوفاد على الملوك﴾ اى ركبانا على هيئة حسنة ومحاسن مجموعة عن علىّ رضى الله عنه انه قرأ هذه الآية فقال لا والله ما على ارجلهم يحشرون ولكن يؤتون بنوق لم ير الخلائق مثلها عليها رحال من ذهب وازمتها الزبرجد فيركبون عليها حتى يضربون ابواب الجنة ﴿قوله عطاشا الخ﴾ الورد جمع وارد وهو الذى يسير الى الماء ولما كان العطش لازما للورود صح ارادة عطاشا اى طلابا للماء من لفظ وردا على انه مجاز مرسل بطريق لفظ الملزوم وارادة اللازم ﴿قوله الضمير فيه للعباد﴾ اى لاهل المحشر كلهم واختلف فى ان المراد بالشفاعة شفاعتهم لغيرهم او شفاعة الغير لهم والمصنف قدم الاحتمال الاوّل وقرّره على وجهين الاوّل مبنىّ على ان يراد بالعهد الايمان وما يتفرّع عليه من الاعمال التى وعد الله تعالى لصاحبها سعادة الآخرة وكرامتها والمعنى لا يملك احد من اهل المحشر ان ينفع احدا بشفاعته الا ان يكون الشافع ممن قدم اعمالا صالحة خالصة لوجه الله تعالى مسماة بالعهد لكون عاملها موعودا من قبله تعالى بالكرامات الاخروية التى من جملتها ان يستأهل صاحبها بسببها الان يشفع فى العصاة فقوله على ما وعد الله متعلق بقوله يستعدّ به ويستأهل والوجه الثانى مبنىّ على ان يكون العهد بمعنى الامر والاذن والعهد بهذا المعنى يتعدّى بالباء وهى محذوفة فى الآية كما فى قوله امرتك الخير ﴿قوله ومحلة الرفع﴾ اى ومحل قوله تعالى من اتخذ الرفع على انه بدل من ضمير لا يملكون او النصب على احد الوجهين اى على انه بدل من الشفاعة بتقدير المضاف او على انه مستثنى من ضمير لا يملكون او من الشفاعة على تقدير المضاف فان قوله تعالى لا يملكون الشفاعة كلام تام غير موجب وقد تقرّر ان المستثنى من مثل هذا الكلام يجوز فيه النصب والبدل كقولك ما جاءنى احد الا زيد والا زيدا ﴿قوله وقيل الضمير للمجرمين﴾ عطف على قوله الضمير فيه للعباد فعلى هذا يكون المراد بالشفاعة شفاعة غيرهم لهم لا شفاعتهم لغيرهم لان المجرم لا يستأهل ان يشفع فى مجرم مثله وقوله بالاسلام عطف بيان لقوله به موضح له اشارة الى ان المجرم يستعدّ أن يشفع له بمجرّد ايمانه وان كان من اصحاب الكبائر لما قيل المجرمون لا يستحقون ان يشفع لهم غيرهم الا اذا كانوا قد اتخذوا عند الله عهدا فيدخل فيه صاحب الكبيرة لانه باقراره واعتقاده بالتوحيد والرسالة يصدق عليه انه قد اتخذ عند الرحمن عهدا فيستحق ان يشفع له كما يستحق اصحاب الصغائر لذلك فان كل واحد منهما مجرم موكول امره الى مشيئة الله تعالى ان شاء عذبه وان شاء عفا عنه تفضلا او بشفاعة الشافعين فان الشفاعة انما تكون فيمن استحق التعذيب فعلى هذا التأويل تكون الآية دليلا على بطلان قول المعتزلة من ان صاحب الكبيرة لا يغفر له وصاحب الصغيرة مغفور له ومن كان مغفور الذنب لا معنى للشفاعة فيه فلم يبق للشفاعة متعلق على مذهبهم ومما يدل على ان المجرم يستحق الشفاعة بمجرّد الايمان والاقرار بالشهادتين ما روى عن ابن مسعود رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم * من قال كل صباح ومساء اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انى اعهد اليك فى هذه الحياة الدنيا بانى اشهد انك انت الله لا اله الا انت وحدك لا شريك لك وان محمدا عبدك ورسولك فلا تكلنى الى نفسى طرفة عين فانك ان تكلنى الى نفسى تقرّبنى من الشرّ وتباعدنى من الخير وانى لا اثق الا برحمتك فاجعل لى عندك عهدا تؤدّيه الىّ يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد طبع الله عليه طبعا ووضع تحت العرش فاذا كان يوم القيامة نادى مناد اين الذين لهم عند الله عهد فيدخلون الجنة * هذه رواية الامام الواحدى فى البسيط والطبع الختم وهو التأثير فى الطين ونحوه يقال طبع الكتاب وعلى الكتاب طبعا اذا ختمه والطابع بالفتح الخاتم يريد به انه يختم عليه ويوضع كما يفعله الانسان بما يعز عليه وقال الامام الرازى ظهر بهذا الحديث ان المراد من العهد كلمتا الشهادة وظهر وجه دلالة الآية على ثبوت الشفاعة لاهل الكبائر ﴿قوله الضمير يحتمل الوجهين﴾ يعنى قالوا يحتمل ان يكون للعباد كلهم وان يكون للمجرمين كما يحتملهما ضمير لا يملكون ثم لما ردّ الله تعالى على عبدة الاوثان عاد الى الردّ على من اثبت له ولدا كما قالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقالت العرب الملائكة بنات الله والكل داخلون فى هذه الآية ﴿قوله مرّة﴾ اشارة الى ان بناء التفعل للتكثير نحو تبضع الرجل اى خرج بضعه قليلا قليلا والبضع العرق ووجه التكثير فيه انه مطاوع فعل وهو يكون للتكثير نحو غلقت الابواب وموّتت البهائم فيكثر ما يطاوعه ضرورة فلذلك كان يتفطرن ابلغ من ينفطرن لان الانفطار مطاوع فطر الثلاثى ولا دلالة فيه على الكثرة والمبالغة ولان بناء التفعل

(وفدا) وافدين عليه كما يفد الوفاد على الملوك منتظرين لكراماتهم وانعامهم (ونسوق المجرمين) كما يساق البهائم (الى جهنم وردا) عطاشا فان من يرد الماء لا يرده الا لعطش اوكالدواب التى ترد الماء (لا يملكون الشفاعة) الضمير فيه للعباد المدلول عليه بذكر القسمين وهو الناصب لليوم (الا من اتخذ عند الرحمن عهدا) الا من تحلى بما يستعدّ به ويستأهل ان يشفع للعصاة من الايمان والعمل الصالح على ما وعد الله او الا من اخذ من الله اذنا فيها لقوله لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن من قولهم عهد الامير الى فلان بكذا اذا امره به ومحله الرفع على البدل من الضمير او النصب على تقدير مضاف اى الا شفاعة من اتخذ او على الاستثناء وقيل الضمير للمجرمين والمعنى لا يملكون الشفاعة فيهم الا من اتخذ عند الرحمن عهدا يستعدّ به ان يشفع له بالاسلام (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا) الضمير يحتمل الوجهين لان هذا لما كان مقولا فيما بين الناس جاز ان ينسب اليهم (لقد جئتم شيأ ادّا) على الالتفات للمبالغة فى الذم والتسجيل عليهم بالجرأة على الله والادّ بالفتح والكسر العظيم المنكر والادّة الشدّة وأدّنى الامر وآدنى اثقلنى وعظم علىّ (تكاد السموات) قرأ نافع والكسائى بالياء (يتفطرن منه) يتشققن مرّة بعد اخرى وقرأ ابو عمرو وابن عامر وحمزة وابو بكر ويعقوب ينفطرن والاوّل ابلغ لان التفعل مطاوع فعّل والانفعال مطاوع فعل ولان اصل التفعل للتكلف (وتنشق الارض وتخرّ الجبال هدّا) تهدّ هدّا او مهدودة اولانها تهدّ اى تكسر وهو تقرير لكونه ادّا والمعنى ان هول هذه الكلمة وعظمها بحيث لو تصوّر بصورة محسوسة لم تتحملها هذه الاجرام العظام وتفتتت من شدّتها اولان فظاعتها مجلبة لغضب الله بحيث لولا حلمه لخرب العالم وبدّد قوائمه غضبا على من تفوّه بها

(ان دعوا للرحمن ولدا) يحتمل النصب على العلة لتكاد او لهدا على حذف اللام وافضاء الفعل اليه والجر باضمار اللام او بالابدال من الهاء فى منه والرفع على انه خبر محذوف تقديره الموجب لذلك ان دعوا او فاعل هدا اى هدها دعاء الولد للرحمن وهو من دعا بمعنى سمى المتعدى الى مفعولين وانما اقتصر على المفعول الثانى ليحيط بكل مادعى له ولدا او من دعا بمعنى نسب الذى هو مطاوعه ادعى الى فلان اذا انتسب اليه (وماينبغى للرحمن ان يتخذ ولدا) ولا يليق به اتخاذ الولد ولا ينطلب له لو طلب مثلا لانه مستحيل ولعل ترتيب الحكم بصفة الرحمانية للاشعار بان كل ماعداه نعمة ومنعم عليه فلا يجانس من هو مبدأ النعم كلها ومولى اصولها وفروعها فكيف يمكن ان يتخذه ولدا ثم صرح به فى قوله (ان كل من فى السموات والارض) اى مامنهم (الا آتى الرحمن عبدا) الا وهو مملوك له يأوى اليه بالعبودية والانقياد وقرئ آت الرحمن على الاصل (لقد احصاهم) حصرهم واحاط بهم بحيث لايخرجون عن حوزة علمه وقبضة قدرته (وعدهم عدا) اى عد اشخاصهم وانفاسهم وافعالهم فان كل شئ عنده بمقدار (وكلهم آتية يوم القيامة فردا) منفردا من الاتباع والانصار فلا يجانسه شئ من ذلك ليتخذه ولدا ولايناسبه ليشرك به (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا) سيحدث لهم فى القلوب مودة من غير تعرض منهم لاسبابها وعن النبى عليه الصلاة والسلام اذا احب الله عبدا يقول لجبرآئيل احببت فلانا فأحبه فيحبه جبرآئيل فينادى فى اهل السماء ان الله قد احب فلانا فأحبوه فيحبه اهل السماء ثم توضع له المحبة فى الارض والسين لان السورة مكية وكانوا ممقوتين حينئذ بين الكفرة فوعده ذلك اذا دجا الاسلام اولان الموعود فى القيامة حين يعرض حسناتهم على رؤس الاشهاد فينزع مافى صدورهم من الغل (فانما يسرناه بلسانك) بان انزلناه بلغتك والباء بمعنى على او على اصله لتضمن يسرنا معنى انزلنا اى انزلناه بلغتك (لتبشر به المتقين) الصائرين الى التقوى (وتنذر به قوما لدا) اشداء الخصومة آخذين فى كل لديد اى شق من المراء لفرط لجاجهم فبشر به وانذر (وكم اهلكنا قبلهم من قرن) تخويف للكفرة وتجسير للرسول صلى الله عليه وسلم على انذارهم (هل تحس منهم من احد) هل تشعر باحد منهم وتراه (او تسمع لهم ركزا) وقرئ تسمع من اسمعت والركز الصوت الخفى واصل التركيب هو الخفاء ومنه ركز الرمح اذا غيب طرفه فى الارض والركاز المال المدفون * عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة مريم اعطى عشر حسنات بعدد من كذب زكريا وصدق به ويحيى ومريم وعيسى وسائر الانبياء المذكورين فيها وبعدد من دعا الله فى الدنيا ومن لم يدع

﴿ سورة طه مكية وهى مائة واربع وثلاثون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم) (طه) فخمهما ابن كثير وابن عامر وحفص وقالون عن نافع ويعقوب على الاصل وفخم الطاء وحده ابو عمرو وورش عن نافع لاستعلائه واما لهما الباقون وهما من اسماء الحروف

لما كان للتكلف دل قوله يتفطرن على ان السموات شققت وتكلفت فى حصول التشقق فيهن من شؤم مقالة هؤلاء الكفرة وليس فى بناء الانفعال دلالة على هذا المعنى ولاشك ان ماحصل بالجد والاهتمام يكون ابلغ * فان قيل كيف يؤثر القول باثبات الولد لله تعالى فى انفطار السموات وسقوطها عليهم وانشقاق الارض وخسفها بهم وخرور الجبال وانطباقها عليهم * اجيب بان الله تعالى يقول كدت افعل بالسموات والارض والجبال هذه الافاعيل عند صدور هذه الكلمة منهم غضبا منى على من تفوه بها لولا حلمى وانى لا اعجل بالعقوبة ويجوز ان يكون المعنى ان السموات والارض والجبال تكاد تفعل كذلك لو كانت تعقل من فظاعة هذا القول وهدمه لاركان الدين وقواعده وقوله تعالى يتفطرن فى محل النصب على انه خبر تكاد وقوله هدا الظاهر انه مصدر على غير لفظ الفعل لتقاربهما معنى اذ الخرور والسقوط والهد الانهدام من قولك هد الحائط يهد هدا وقوله اى تكسر تفسير لقوله تعالى تخر وبيان لوجه انتصاب هدا لا لبيان الاحتياج الى تقدير العامل اذ لاحاجة الى تقدير العامل او مصدر من المتعدى واقع موقع الحال اى مهدودة مهدومة يقال هد زيد الحائط يهده هدا اى هدمه وضعضعه والثانى ان يكون مفعولا من اجله اى لانها تهد والهد ليس فعل الجبال اذا بنى للفاعل الا انه فعلها اذا بنى للمفعول فصح ان يكون مفعولا له واليه اشار بقوله اولانها تهد اى تكسر ﴿ قوله يحتمل النصب على العلة لتكاد او لهدا على حذف اللام ﴾ اى ويحتمل النصب بنزع الخافض الدال على العلية وليس مفعولا له صريحا لانتفاء شرط النصب وهو اتحاد فاعل الفعل المعلل وفاعل المفعول له والفرق بين حذف اللام واضمارها هو ان المضمر مقدر فيصير كالملفوظ فلذلك يظهر اثره بخلاف المحذوف فانه متروك بالكلية اى صورة وحكما ﴿ قوله وهو من دعا بمعنى سمى المتعدى الى مفعولين ﴾ يقال دعوته زيدا بمعنى سميته زيدا او دعوته بمعنى ناديته وهذا المعنى غير مراد فى هذا المقام وهو ظاهر فلابد ان يكون دعوا بمعنى سموا الا انه حذف المفعول الاول ليعم كل من سماه المشركون ولدا للرحمن من عزير وعيسى وغيرهما او بمعنى نسبوا قال الشاعر

* دعتنى اخاها بعد ما كان بيننا * من الفعل مالايفعل الاخوان *

وقد قرئ فيهما بالباء ﴿ قوله ولا ينطلب له ﴾ اى لايحصل له ولو طلبه فرضا على طريق فرض المحال يعنى ان ينبغى الشئ مطاوع لقولك بغيت الشئ اى طلبته يقال بغيت الشئ فانبغى كما يقال طلبت الشئ فانطلب ﴿ قوله تعالى ان كل من فى السموات والارض ﴾ كلمة من فيه نكرة موصوفة وصفتها الجار بعدها ويجوز ان تكون موصولة واضافة كل اليها لاينافى كونها موصولة لان تعريف الموصولات كما يجوز ان يشار به الى المعهود للشخص يجوز ايضا ان يراد به العموم والاستغراق فيصح ان يضاف الى الاسم الموصول كما فى قوله * وكل الذى حملتنى احتمل * والفاء فى قوله تعالى فانما يسرناه فصيحة تفصح عن مقدر عطف بها مابعدها عليه والتقدير بلغ هذا المنزل فانما يسرناه على لسانك بانزاله على لغة العرب او فانما انزلناه بلغتك على ان اللسان بمعنى اللغة لتبشر ببشاراته المتقين وتنذر اى وتخوف بانذاراته قوما لدا وهو جمع ألد وهو الخصم المجادل بالباطل الآخذ فى كل لديد اى جانب من الخصومة ولديدا الوادى جانباه ويجوز ان تكون الضمائر فى قوله تعالى يسرناه لتبشر به وتنذر به لهذه السورة الكريمة المشتملة على ذكر التوحيد والنبوة والحشر والرد على فرق المبطلين بتأويل المنزل وان تكون للقرآن كله وضمير قبلهم لهؤلاء القوم اللد وهم اهل مكة هل تحس اى هل تعاين وتشاهد من هؤلاء المهلكين من احد ومنهم حال من احد اذ هو فى الاصل صفة له فلما قدم عليه انقلب حالا ومن احد مفعول زيدت فيه من وقرئ تسمع بضم التاء وفتح الميم مبنيا للمفعول والركز الصوت الخفى من غير ان ينطق بفم ويتركب من حروف مثل صوت مارُكز فى الارض تم هنا مايتعلق بسورة مريم عليها السلام وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا دائما الى يوم الدين امين

﴿ سورة طه عليه الصلاة والسلام ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ قوله لاستعلائه ﴾ فيناسبه التفخيم والهاء من المنخفضة فيناسبها الامالة والاستعلاء ارتفاع اللسان الى الحنك اطبقت اولم تطبق والانخفاض بخلافه والمستعلية سبعة احرف اربعة منها مطبقة الصاد والضاد والطاء والظاء وثلاثة منها غير مطبقة وهى الغين والخاء والقاف ونسبة الاستعلاء الى الحرف مجاز فان الاستعلاء بالحقيقة انما يكون للسان لا للحرف والاطباق ان تطبق على مخرج الحرف من اللسان ماحاذاه من الحنك والانفتاح بخلافه

وقيل معناه يارجل على لغة عك فان صح فلعل اصله ياهذا فتصرفوا فيه بالقلب والاختصار والاستشهاد بقوله
ان السفاهة طاها في خلائقكم *
لاقدس الله اخلاق الملاعين * ضعيف
لجواز ان يكون قسما كقوله حم لا ينصرون
وقرئ طه على انه امر للرسول صلى الله
عليه وسلم بان يطأ الارض بقدميه فانه كان
يقوم في تهجده على احدى رجليه وان اصله
طأ فقلبت همزته هاء اوقلبت من يطأ ألفا
كقوله * لاهناك المرتع * ثم بنى عليه الامر
وضم اليه هاء السكت وعلى هذا يحتمل
ان يكون اصل طه طأها والالف مبدلة
من الهمزة والهاء كناية الارض لكن يرد
ذلك كتبتها على صورة الحرف وكذا
التفسير بيا رجل اواكتفى بشطرى الكلمتين
وعبر عنهما باسمهما (ما انزلنا عليك القرآن
لتشقى) خبر طه ان جعلته مبتدأ على انه
مأول بالسورة او القرآن والقرآن فيه
واقع موقع العائد وجواب ان جعلته مقسما به
ومنادى له ان جعلته نداء واستئناف ان كانت
جملة فعلية او اسمية باضمار مبتدأ او طائفة
من الحروف محكية والمعنى ما انزلنا عليك
القرآن لتتعب بفرط تأسفك على كفر
قريش اذ ما عليك الا ان تبلغ او بكثرة الرياضة
وكثرة التهجد والقيام على ساق والشقاء
شائع بمعنى التعب ومنه اشقى من رائض
المهر وسيد القوم اشقاهم ولعله عدل اليه
للاشعار بانه انزل عليه ليسعد وقيل رد
وتكذيب للكفرة فانهم لما رأوا كثرة عبادته
قالوا انك لتشقى بترك ديننا وان القرآن
انزل عليك لتشقى به (الا تذكرة) لكن
تذكيرا وانتصابها على الاستثناء المنقطع
ولا يجوز ان يكون بدلا من محل لتشقى
لاختلاف الجنسين ولا مفعولا له لانزلنا فان
الفعل الواحد لا يتعدى الى علتين وقيل هو
مصدر في موقع الحال من الكاف او القرآن
او المفعول له على ان لتشقى متعلق بمحذوف
هو صفة القرآن اى ما انزلنا عليك القرآن
المنزل لتتعب بتبلغه الا تذكرة (لمن يخشى)
لمن في قلبه خشية ورقة يتأثر بالانذار او لمن علم
الله منه انه يخشى بالتخويف منه فانه المنتفع به

﴿قوله على لغة عك﴾ وهى قبيلة باليمن * الجوهرى عك بن عدنان اخو معد وهو اليوم في اليمن ولم يرض المصنف بهذا القول حيث حكاه بقوله وقيل ثم قال فان صح الخ اى احتاج في توجيهه الى التكلف البعيد فان ابدال حرف النداء بلفظ طا والاقتصار على ها التنبيه من هذا بعيد غير معهود في لسان العرب وان سلم انه معهود في لغة عك فلا يخلو من البعد فان خطابه تعالى نبيه القرشى بلغة غير قريش بعيد ومعنى البيت ان السفاهة ياهؤلاء في خلائقكم وهو جمع خليقة بمعنى الطبيعة لاقدس الله اى لا طهر الله طبائعكم فانكم ملاعين فوضع الظاهر موضع الضمير للتعليل ﴿قوله وقرئ طه﴾ اى على وزن هب باسقاط الالف بعد الطاء وبالهاء الساكنة على انه امر له عليه الصلاة والسلام بان يطأ الارض بقدميه معا ولا يقوم قياما يتعب فيه كل التعب لما روى انه عليه الصلاة والسلام لما انزل عليه الوحى اجتهد في العبادة حتى كان يراوح بين قدميه في تهجده لطول قيامه في الصلاة وكان يصلى الليل كله فكان يقوم على احدى رجليه تخفيفا على الاخرى اذا طال القيام ثم قيل انه مأخوذ من يطأ وكان اصله طأ كما اخذدع من يدع فقلبت همزته هاء كما قالوا هياك في اياك وهرقت في ارقت فالهاء في طه ليست هاء السكت على هذا بل مبدلة من لام الفعل وقيل قلبت الهمزة في يطأ ألفا كما قلبت في لاهناك المرتع اصله لاهنأك ولما كان قلب الهمزة المتحركة ألفا نادرا اورد له مثالا فاذا بنى منه الامر يكون ط كما يكون الامر من يرى ر ثم ألحق به هاء السكت فصار طه كما يقال قه وره ﴿قوله وعلى هذا﴾ اى على الوجه الثانى وهو ان يكون طه بسكون الهاء مأخوذا من يطأ بعد قلب همزته ألفا يحتمل ان يكون اصله بألفين طاها فلما جاز قلب الهمزة المتحركة ألفا في يطأ كان قلب الساكنة اولى فقلبت فصار طه الآن نقوش الكتابة لما كانت دلائل الالفاظ ووجب ان تكون هيئة الخط مشتملة على ما يدل على كل واحد من الحروف الملفوظة وجب ان يكون الرسم حينئذ طاها بألفين مرسومتين سواء قيل ان اصله طأها اوياهذا وعلى تقدير كون طه من اسماء الحروف كتبت على صورة الحرفين اللذين هما مسميا طاها لا على صورة اسميهما لمعنى يختص باسامى الحروف وهو ما ذكره صاحب الكشاف في اول سورة البقرة وهو قوله الكلم لما كانت مركبة من ذوات الحروف واستمرت العادة متى تهجيت ومتى قيل للكاتب اكتب كيت وكيت ان يلفظ بالاسماء ويقع في الكتابة الحروف انفسها جلت على تلك المشاكلة المألوفة في كتابة هذه الفواتح انتهى كلامه ومن المعلوم ان التلفظ بالاسماء ورسم اسم المسميات امر مخصوص بحروف التهجى لا يجرى في الكلمات المفيدة ﴿قوله او اكتفى﴾ عطف على قوله على انه امر اى او على انه ليس بامر بل هما من اسماء حروف التهجى كما في القراءة المشهورة واصله طاها فاكتفى من الاسم الاول وهو طا بجزئه الاول ومن الاسم الثانى وهو ها بجزئه الاول ايضا فصار طه ثم سكن الهاء لاجل الوقف فصار طه ﴿قوله ومنه اشقى من رائض المهر﴾ اى اتعب ممن يجعل المهر وهو ولد الفرس صالحا للركوب بان تزول عنه الصعوبة وينقاد لصاحبه وفي ذلك العمل مشقة وتعب للرائض ولذلك يضرب به المثل ﴿قوله ولعله عدل اليه﴾ جواب عما يقال الشقاء وان شاع في معنى التعب الا انه في الاصل مقابل للسعادة فلو ذكر التعب هنا لتوهم خلاف المراد وهو سعادة الدارين فاختياره هذا دون ذلك لدفع هذا التوهم والله اعلم فتأمل اى فلو ذكره هنا لتوهم خلاف المراد بالنكته في اختياره ﴿قوله ولا يجوز ان يكون بدلا من محل لتشقى لاختلاف الجنسين﴾ اى جنسى التذكرة والشقاوة فانهما مختلفان غاية الاختلاف فان احداهما ليست هى عين الاخرى ولا بعضها ولا مشتملة عليها فلا يتصور جعل التذكرة بدل كل ولا بعض ولا اشتمال من الشقاوة ضرورة ان ما يقوم مقام الشئ يجب ان يكون بينهما مجانسة بوجه ما في مناسبة ما ولو كانت بدلا منها لكانت بدل الغلط وهو لا يصدر عن قصد وروية فلا يوجد في كلام بليغ فضلا عن ان يوجد في كلامه تعالى ﴿قوله فان الفعل الواحد لا يتعدى الى علتين﴾ فان انزلنا تعدى الى مفعول له وهو لتشقى فلا يتعدى الى آخر من جنسه الا بالبدلية او العطف وفيه بحث وهو ان ما ذكره انما يدل على عدم جواز كونه مفعولا له لنفس انزلنا مع قطع النظر عن كونه معللا بالعلة الاولى ولا يلزم منه ان لا يكون مفعولا له لانزلنا مطلقا لجواز ان يكون الانزال المعلل بالشقاء معللا بالتذكرة بطريق الحصر بالنفى والاستثناء بان لا يكون مجئ اداة النفى لنفى علية التعب للانزال بل انما جئ بها لتفيدان علة الانزال المعلل بتعب المخاطب ليست الا الموعظة وتذكير الاحكام على طريق قولك ماضربت غلامى للتأديب الا معذرة الى ربى فلا حاجة الى ان يجعل لتشقى متعلقا بمحذوف كما قيل وليس فيه ايضا تعدية الفعل الواحد الى علتين ذكر لانتصاب تنزيلا اربعة اوجه الاول ان يكون منصوبا باضمار فعله اى نزل تنزيلا والثانى ان يكون مفعولا به لقوله

(يخشى)

يخشى اى انزاله التذكرة لمن يخشى تنزيل الله تعالى و الثالث انتصابه على المدح و الاختصاص و الرابع انتصابه على انه بدل من تذكرة على ان يكون مصدرا واقعا موقع الحال فيكون تنزيلا مصدرا بمعنى المفعول اى ما انزلناه الا مذكرا منزلا فيكون منزلا بدل الكل من مذكرا لكونهما متحدين ذاتا ﴿قوله اومعنى﴾ اى على تقدير كونه منصوبا على الاستثناء المنقطع فان جعل تذكرة مفعولا له على احد الوجهين و جعل تنزيلا بدلا منه يكون المعنى ما انزلنا القرءآن الا تنزيلا و هو تعليل للشئ بنفسه ان جعل الانزال و التنزيل بمعنى واحد و بنوعه ان جعل التنزيل عبارة عن الانزال على التدريج فانه نوع من مطلق الانزال ﴿قوله بعرض تعظيم المنزل﴾ اى باظهار مايدل على تعظيمه * الجوهرى عرضت الشئ فاعرض اى اظهرته فظهر و هو من النوادر قال تعالى و عرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا قال الفرآء اى ابرزناها حتى تظهر اليها الكفار فخم القرءآن المنزل بذكر مايدل على عظمة منزله ترغيبا فى تدبره و العمل بمدلوله * فان قيل لم عطف الجمع على المفرد فى قوله تعالى ممن خلق الارض و السموات مع ان الاولى رعاية التطابق بين المعطوف و المعطوف عليه * اجيب بان الالف و اللام اذا دخل فى اسم غير علم مفردا كان او جمعا يصرف التعريف الى الجنس اذا لم يمكن حمله على المعهود و ان امكن فلا و لا وجه لحمل تعريف السموات على الآحاد المعدودة فتعين صرفه الى الجنس فليس فى الكلام عطف الجمع على المفرد بل فيه عطف الجنس على الجنس و فيه رعاية التطابق ﴿قوله ثم اشار الى وجه احداث الكائنات﴾ بين وجه ارتباط قوله تعالى الرحمن على العرش استوى بقوله خلق الارض و السموات و جعل قوله الرحمن على العرش استئنافا لبيان طريق خلق ماذكره و قوله بان قصد العرش متعلق بقوله احداث الكائنات و تدبير امرها على طريق التنازع و هو يشعر بانه حمل العرش على الذى تحمله الملائكة و يحفون حوله و حمل الاستوآء على العرش على القصد اليه الا انه عدى بعلى لتضمنه معنى الاستيلاء و الظهور كما قيل فى قوله تعالى ثم استوى الى السماء معناه ثم قصد و اشار الى وجه تخصيص العرش بالذكر مع ان الاستيلاء حاصل بالنسبة الى جميع الكائنات بقوله بان قصد العرش فاجرى منه الاحكام و انزل منه الاسباب و القصد المسند الى الله تعالى ليس المراد به حقيقة القصد لانه اسم للارادة باعتبار الحدوث و ارادته تعالى منزهة عنه بل هو استعارة تبعية شبه خلق السماء بعد خلق ماذكر قبله بمباشرة الخلق فعلا بعد فعل آخر فانها تكون مسبوقة بالقصد الحادث فعبر عن تعلق الارادة الازلية بخلق السماء بالاستوآء بمعنى القصد فاشتق منه لفظ استوى و فى الصحاح المساواة بين الشيئين المعادلة بينهما تقول سويت الشئ فاستوى اى عدلته فاعتدل و استوى على ظهر دابته اى استعلى و استقر عليه و استوى الى السماء اى قصد و استوى على كذا ظهر قال الشاعر

* قد استوى بشر على العراق * من غير سيف و دم مهراق *

انتهى و قد تمسك المشبهة بهذه الآية فى ان معبودهم جالس مستقر على العرش و هو باطل بالعقل و النقل و اختلف اهل الحق فى تأويل هذه الآية فقال بعضهم انا نقطع بان الله تعالى منزه عن المكان و الجهة و انه تعالى لم يرد من الاستوآء الجلوس و الاستقرار بل مراده به شئ آخر الا انا لانشتغل بتعيين ذلك المراد خوفا من الخطأ و قال البعض الآخر لما قامت الادلة العقلية على امتناع الاستقرار و دل ظاهر لفظ الاستوآء على معنى الاستقرار لم يمكن العمل بمقتضى الدليلين ضرورة استحالة كون الشئ الواحد منزها عن المكان و حاصلا فيه معا و لا سبيل ايضا الى ترك العمل بهما لانه يستلزم ارتفاع النقيضين معا و هو باطل و لا الى ترجيح النقل على العقل لان العقل اصل للنقل فانه ما لم يثبت بالدلائل العقلية وجود الصانع و علمه و قدرته و بعثه للرسول لم يثبت العقل فالقدح فى العقل لاجل تصحيح النقل يقتضى القدح فى العقل و النقل معا فلم يبق الا ان يقطع بصحة العقل و يشتغل بتأويل النقل ثم انهم اختلفوا فى تأويله فقال بعض العلماء المراد من الاستوآء الاستيلاء و الاقتدار كما فى قول الشاعر قد استوى بشر على العراق * و المراد من العرش هو الذى تحمله الملائكة و قال صاحب الكشاف العرش سرير الملك و الاستيلاء عليه كناية عن الملك لانه من توابع الملك و روادفه فانه يقال استوى فلان على العرش قصدا للاخبار عنه بانه ملك و ان لم يقعد على العرش البتة و التعبير عن الشئ بطريق الكناية ابلغ و اوقع من الايضاح بذكره لانك مع الكناية كمدعى الشئ بالبينة ﴿قوله ليدل بذلك على كمال قدرته﴾ فان ما فى السموات من الملك و النجم و غيرهما و ما فى الارض من المعدن و النبات و الحيوان و الانسان و ما بينهما من العناصر و ما تحت الثرى

(تنزيلا) نصب باضمار فعله او بيخشى او على
المدح او البدل من تذكرة ان جعل حا
و ان جعل مفعولا له لفظا او معنى فلا لا
الشئ لايعلل بنفسه و لا بنوعه (ممن خلق
الارض و السموات العلى) مع مابعد
الى قوله له الاسماء الحسنى تفخيم لشأ
المنزل بعرض تعظيم المنزل بذكر افعا
و صفاته على الترتيب الذى هو عند العقل
فبدأ بخلق الارض و السموات التى هي
اصول العالم و قدم الارض لانها اقرب ال
الحس و اظهر عنده من السموات العل
و هو جمع العليا تأنيث الاعلى ثم اشار ال
وجه احداث الكائنات و تدبير امرها با
قصد العرش فاجرى منه الاحكام و التقاد
و انزل منه الاسباب على ترتيب و مقاد
حسبما اقتضته حكمته و تعلقت به مشيئ
فقال (الرحمن على العرش استوى
ما فى السموات و ما فى الارض و ما بينه
و ما تحت الثرى) ليدل بذلك على كمال قدر
و ارادته و لما كانت القدرة تابعة للارا
و هى لاتنفك عن العلم عقب ذلك باحا
علمه تعالى بجليات الامور و خفياتها ع
سوآء فقال

(وان تجهر بالقول فانه يعلم السرّ واخفى) اى وان تجهر بذكر الله ودعائه فاعلم انه غنىّ عن جهرك فانه يعلم السرّ واخفى منه وهو ضمير النفس وفيه تنبيه على ان شرع الذكر والدعاء والجهر فيهما ليس لاعلام الله بل لتقرير النفس بالذكر ورسوخه فيها ومنعها عن الاشتغال بغيره وهضمها بالتضرّع والجؤار ثم لما ظهر بذلك انه المستجمع لصفات الالوهية بين انه المتفرّد بها والمتوحد بمقتضاها فقال (الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى) ومن فى ممن خلق الارض صلة لتنزيلا او صفة له والانتقال من التكلم الى الغيبة للتفنن فى الكلام وتفخيم المنزل من وجهين اسناد انزاله الى ضمير الواحد العظيم الشان ونسبته الى المختص بصفات الجلال والاكرام والتنبيه على انه واجب الايمان به والانقياد له من حيث انه كلام من هذا شأنه ويجوز ان يكون انزلنا حكاية كلام جبرآئيل والملائكة النازلين معه وقرئ الرحمن على الجرّ صفة لمن خلق فيكون على العرش استوى خبر محذوف وكذلك ان رفع الرحمن على المدح دون الابتدآء ويجوز ان يكون خبرا ثانيا والثرى الطبقة الترابية من الارض وهى آخر طبقاتها والحسنى تأنيث الاحسن وفضل اسماء الله تعالى على سائر الاسماء فى الحسن لدلالتها على معان هى اشرف المعانى وافضلها (وهل أتاك حديث موسى) قفى تمهيد نبوّته صلى الله عليه وسلم بقصة موسى ليأتم به فى تحمل اعباء النبوّة وتبليغ الرسالة والصبر على مقاساة الشدآئد فان هذه السورة من اوآئل ما نزل (اذ رأى نارا) ظرف للحديث لانه حدث او مفعول لاذكر قيل انه استأذن شعيبا عليه الصلاة والسلام فى الخروج الى امه وخرج باهله فلما وافى وادى طوى وفيه الطور ولد له ابن فى ليلة شاتية مظلمة مثلجة وكانت ليلة الجمعة وقد ضل الطريق وتفرقت ماشيته اذ رأى من جانب الطور نارا (فقال لاهله امكثوا) اقيموا بمكانكم وقرأ حمزة لاهله امكثوا هنا وفى القصص بضم الهاء فى الوصل والباقون بكسرها فيه (انى آنست نارا) ابصرتها ابصارا لا شبهة فيه وقيل الايناس ابصار ما يؤنس به (لعلى آتيكم منها بقبس) بشعلة من النار وقيل جمرة (او اجد على النار هدى) هاديا يدلنى على الطريق او يهدينى ابواب الدين فان افكار الابرار مائلة اليها فى كل ما يعنّ لهم (تغير)

مما لا يعلمه الا الله اذا كان لله خلقا وملكا تحت قدرته وامره لا يمتنع شئ منه عن نفاذ قدرته وارادته فيه دل ذلك على كمال قدرته وارادته * فان قيل الثرى هو السطح الاخير من العالم فلا يكون تحته شئ فكيف يكون الله تعالى مالكا له * اجاب الامام عنه بان الثرى فى اللغة التراب الندىّ فيحتمل ان يكون تحته شئ وهو اما الثور او الحوت او الصخرة او البحر او الهواء على اختلاف الروايات فقوله وما تحت الثرى معناه وما تحت الارض لان ظاهر الارض تراب جاف وما هو اسفل منه فهو تراب مبتل وهو الثرى اى يعلم ما تحت الارض مما بطن فيها كما يعلم ما ظهر منها وما بينها وبين السماء وعن السدّى ما تحت الثرى هو الصخرة التى تحت الارض السابعة والمفسرون يقولون اراد الثرى الذى تحت الصخرة التى على الثور الذى تحت الارض ولا يعلم ما تحت الثرى الا الله تعالى كما لا يعلم احد ما فوق السدرة الا هو قيل السدرة شجرة فى السماء السابعة مما يلى الجنة عروقها تحت الكرسى واغصانها تحت العرش اليها ينتهى علم الخلائق كل ورقة منها تظل امّة من الامم تغشاها الملائكة كأنهم فراش من ذهب عليها الملائكة لا يعلم عددهم الا الله تعالى ومقام جبريل عليه الصلاة والسلام فى وسطها ﴿قوله اى وان تجهر بذكر الله ودعائه فاعلم انه غنىّ عن جهرك﴾ جواب ما يقال ان قوله تعالى فانه يعلم السرّ واخفى جزآء الشرط ومن شرط الجزآء ان يكون مسببا عن الشرط وعلمه تعالى بشئ ما ليس مسببا عن شئ من الممكنات فكيف يكون مسببا عن جهر المخاطب بالقول * وتقرير الجواب ان جزآء الشرط لا يكون الا جملة والمشروط المسبب عن الشرط قد يكون نفس مضمون تلك الجملة التى هى وقوع نسبة تلك الجملة اولا وقوعها كما فى قوله تعالى الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرّا وعلانية فلهم اجرهم عند ربهم وهو ثبوت الاجر لهم عنده تعالى وقد يكون المشروط اعلام المخاطب بمضمون تلك الجملة لا نفس مضمونها كما فى قوله تعالى وما بكم من نعمة فمن الله فان الشرط فيه وهو استقرار النعمة عندنا ليس سببا لنفس كونها من الله تعالى بل هو سبب للاخبار بانها من الله وما نحن فيه من هذا القبيل فان الجهر بالقول ليس سببا لنفس مضمون جملة الجزآء بل هو سبب للاعلام به فعلى هذا الظاهر ان يقول فاعلم انه يعلم السرّ واخفى الا انه عدل عنه الى ما اختاره للاشارة الى ان ما هو جزآء حقيقة حذف فى الآية واقيم مقامه ما يدل عليه فان علم السرّ والاخفى مستلزم للغنى عن الجهر وتحقق الملزوم دليل على تحقق اللازم فلذلك اطلق الملزوم واريد اللازم ﴿قوله وهو ضمير النفس﴾ اى المراد بالاخفى ما تضمره النفس ولم تظهره لاحد لا سرّا ولا جهرا وبالسرّ ما اسررته الى غيرك بالجهر ما ترفع به صوتك ﴿قوله قفى تمهيد نبوّته بقصة موسى﴾ اى اتبع الله تعالى ما ذكره تمهيداً لنبوّة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قوله ما انزلنا عليك القرآن لتشقى الآية قصة موسى عليه الصلاة والسلام يقال قفوت فلانا اى اتبعته وقفيته بفلان اى اتبعته اياه يريد به ان قوله وهل اتاك حديث الى آخر الآية جملة معطوفة على قوله ما انزلنا عليك القرآن لتشقى على طريق عطف القصة على القصة ليكون بمثاله وحملا على الاقتدآء بموسى عليه الصلاة والسلام فى تحمل اعباء النبوّة فان هذه السورة من اوآئل ما نزل فاحتيج فيها الى ارشاد طريق التبليغ وتقوية قلبه وتسليته عما ناله من عناد المعاندين والمعنى انا انزلنا عليك القرآن لتتحمل متاعب التبليغ ومقاولة العتاة من اعدآء الاسلام ومقابلتهم وغير ذلك كما انزلنا على موسى عليه الصلاة والسلام التوراة وقوله تعالى وهل اتاك يحتمل ان يكون اوّل ما اخبر الله تعالى به عن امر موسى عليه الصلاة والسلام فيكون الاستفهام فى هل اتاك للانكار اى لم يأتك الى الآن وقد اتاك الآن فتنبه له وهذا قول الكلبى ويحتمل ان يكون قد اتاه ذلك سابقا فيكون الاستفهام تقريرا فكأنه قال أليس قد اتاك ﴿قوله فى ليلة شاتية﴾ اى ذات برد وشتاء يقال شتوت بموضع كذا اى اقمت به الشتاء ﴿قوله مثلجة﴾ اى ذات ثلج وفى الكشاف انه قدح فصلد زنده اى صوّت ولم يخرج نارا يقال صلد الزند يصلد بالكسر صلودا اذا صوّت ولم يخرج نارا قيل كان موسى عليه الصلاة والسلام رجلا غيورا لا يصحب الرفقة لئلا ترى امرأته فلذلك اخطأ الطريق ﴿قوله بشعلة من النار﴾ اى بشئ فيه لهب مقتبس من معظم النار وقيل القبس الجمرة الغير المشتعلة يقال قبست منه نارا فى رأس عود او فتيلة او غيرها قال اكثر المفسرين ان الذى رآه موسى عليه الصلاة والسلام لم يكن نارا بل كان نور الرب تعالى ذكر بلفظ النار لان موسى حسبه نارا فلما دنا منه رأى شجرة خضرآء من اسفلها الى اعلاها كأنها نار بيضاء فوقف متعجبا من شدّة ضوء تلك النار وشدّة خضرة تلك الشجرة فلا النار تغير خضرتها ولا كثرة ماء الشجرة

تغير ضوء النار فسمع تسبيح الملائكة ورأى نورا عظيما * قال الامام والصحيح انه رأى نارا ليكون صادقا فى خبره اذ الكذب لا يجوز على الانبياء **قوله** ولما كان حصولهما اى حصول الاتيان بالقبس ووجود الهدى مترقبين ومتوقعين بنى الامر فيهما على الرجاء والطمع فقال لعلى ولم يقطع بان يقول انى آتيكم لئلا يعد مالم يتيقن الوفاء به وانظر كيف احترز موسى عن شائبة الكذب قبل نبوته حيث لم يقل آتيكم بل قال لعلى آتيكم وانما قال او اجد على النار هدى لان النار قلما تخلو من اهلها وناس عندها **قوله** كما قال سيبويه فى مررت بزيد تأكيد لقوله او مستعلون المكان القريب منها فانه جعل الصوق بمكان يقرب من النار بمثابة استعلاء نفس النار **قوله** قيل انه لما نودى قال من المتكلم قال وهب لما نودى موسى اجاب سريعا وهو لا يدرى من دعاه فقال انى اسمع كلامك ولا ارى مكانك فاين انت قال انا فوقك ومعك وامامك وخلفك واقرب اليك من نفسك فعلم ان ذلك لا ينبغى الا لربه فايقن بان المنادى هو الله تعالى وايضا لما سمعه من جميع الجهات بحيث لا يتفاوت سماعه من بعض الجهات على سماعه من الجهات الاخر علم بذلك انه ليس بكلام المخلوقين وعلم ذلك بسماعه ذلك الكلام وانه لما رأى النار فى الشجرة الخضرآء بحيث لا تضر خضرة الشجرة ورأى خضرتها بحيث لا تطفئ تلك النار وكل واحد من هذه الامور لا يقدر عليه احد الا الله علم بذلك علما استدلاليا ان ما سمعه كلام الله تعالى وقال اصحابنا يجوز ان يخلق الله له علما ضروريا بذلك ومنع المعتزلة ذلك وقالوا لو حصل العلم الضرورى بكون هذا النداء كلام الله تعالى لحصل العلم الضرورى بوجود الصانع لاستحالة ان تكون الصفة معلومة بالضرورة وتكون الذات معلومة بالاستدلال ولو حصل العلم الضرورى بوجود الصانع لخرج موسى عن كونه مكلفا لان حصول العلم الضرورى ينافى التكليف وقد علم قطعا انه عليه الصلاة والسلام لم يخرج عن التكليف فعلمنا ان الله تعالى عرفه ذلك بان نصب له من الدلائل ما يدل عليه **قوله** وهو اشارة الى انه عليه الصلاة والسلام تلقى من ربه كلامه اى كلامه القديم الذى ليس من جنس الحروف والاصوات وذلك الكلام لا يتلقف منه تعالى تلقفا حسيا لان الحاسة الجسمانية لا تتلقف الكلام القديم القائم بذات الله تعالى وانما تتلقف تلقفا روحانيا وهو ان يلهم الله تعالى به من خصه بكلامه بشرا كان او ملكا والمعتزلة لما انكروا وجود ذلك الكلام قالوا انه تعالى خلق ذلك النداء فى جسم من الاجسام كالشجرة او غيرها لان صريح القرآن دل على ان الله تعالى ناداه بكلامه ولا كلام له سوى ما يتلقف بالحاسة الجسمانية وذلك الكلام حادث فيمتنع ان يقوم بذاته تعالى فلاجرم يكون نداؤه تعالى عبارة عن خلقه اياه فى جسم وانه تعالى قادر عليه يفعله متى شاء واهل السنة لما اثبتوا الكلام النفسى الازلى قالوا انه تعالى اسمعه ذلك الكلام اسماعا روحانيا معنويا ثم انه عليه الصلاة والسلام لما قال عرفت انه كلام الله بانى اسمعه من جميع الجهات وبجميع الاعضاء دل على ان ذلك الكلام تمثل لبدنه **قوله** وقيل معناه فرّغ قلبك يعنى مال اهل الاشارة الى ان النعل فى النوم يعبر بالزوجة فيكون قوله فاخلع نعليك اشارة الى ان لا يلتفت بخاطره الى اهله وماله وان لا يبقى مشغول القلب بامرهما **قوله** والمقدس يحتمل المعنيين وهما طهارة القلب عن العلائق وطهارة القلب عما ينافى التواضع والادب يعنى ان قوله تعالى انك بالواد المقدس يصلح ان يكون تعليلا لقوله تعالى فاخلع نعليك على كل واحد من الاحتمالات المذكورة فى وجه الامر **قوله** بتأويل المكان فان طوى يكون منصرفا على تقدير ان يأول بالمكان اذ ليس فيه حينئذ سوى العلمية وان اوّل بالبقعة كان غير منصرف للتأنيث والعلمية فلا يدخله التنوين حينئذ فابن عامر والكوفيون قرأوا طوى بضم الطاء والتنوين والباقون بضمها من غير تنوين وقرئ بكسر الطاء منونا وبكسرها غير منون فان كان اسما فهو نظير عنب وان كان صفة فهو نظير عدى وسوى وعن الحسن البصرى انه بمعنى الثنى بالكسر والقصر والثنى المكرر مرتين فيكون المعنى على هذه القرآءة انه طهر مرتين فيكون منصوبا بلفظ المقدس لانه بمعناه كأنه قيل المقدس مرتين من التقدس او منصوبا بلفظ نودى * الجوهرى قال بعضهم طوى بالضم مثل طوى بالكسر وهو الشئ المثنى وقالوا فى قوله تعالى بالواد المقدس طوى اى قدس مرتين **قوله** تعالى وانا اخترتك عطف على قوله انا ربك اى نودى وقيل انى انا ربك وانا اخترتك وقرأ حمزة وانا اخترناك بفتح الهمزة وبضمير المتكلم المعظم نفسه عطفا على قوله انى انا ربك فان قوله انى هنا بهمزة مفتوحة على تقدير الباء اى بانى لان النداء يوصله بها تقول ناديته بكذا

ولما كان حصولهما مترقبا بنى الامر فيهما على
الرجاء بخلاف الايناس فانه كان محققا ولذلك
حققه لهم بان ليوطنوا انفسهم عليه ومعنى
الاستعلاء فى على النار ان اهلها مشرفون
عليها او مستعلون المكان القريب منها كما قال
سيبويه فى مررت بزيد انه لصوق بمكان يقرب
منه (فلما أتاها) اتى النار وجد نارا بيضاء تتقد
فى شجرة خضرآء (نودى يا موسى انى انا ربك)
فتحه ابن كثير وابو عمرو اى بأنى وكسره
الباقون باضمار القول او اجرآء النداء مجراه
وتكرير الضمير للتوكيد والتحقيق قيل انه
لما نودى قال من المتكلم قال انى انا الله فوسوس
اليه ابليس لعلك تسمع كلام الشيطان فقال انا
عرفت انه كلام الله بانى اسمعه من جميع الجهات
وبجميع الاعضاء وهو اشارة الى انه عليه
الصلاة والسلام تلقى من ربه كلامه تلقيا
روحانيا ثم تمثل ذلك الكلام لبدنه فانتقل الى
الحس المشترك فانتقش به من غير اختصاص
بعضو وجهة (فاخلع نعليك) امره بذلك لان
الحفوة تواضع وادب ولذلك طاف السلف
حافين وقيل لنجاسة نعليه فانهما كانتا من جلد
حمار غير مدبوغ وقيل معناه فرّغ قلبك من
الاهل والمال (انك بالواد المقدس) تعليل
للامر باحترام البقعة والمقدس يحتمل المعنيين
(طوى) عطف بيان للوادى ونونه ابن عامر
والكوفيون بتأويل المكان وقيل هو كثنى
من الطى مصدر لنودى او المقدس اى نودى
ندآءين او قدس مرتين (وانا اخترتك)
اصطفيتك للنبوة وقرأ حمزة وانا اخترناك
(فاستمع لما يوحى) للذى يوحى اليك اوللوحى

ففتحت همزة ماعطف عليه ايضا وجوّز ابو البقاء ان يكون الفتح على تقدير ولانا اخترناك فاستمع فعلقه باستمع
قال الواحدى ويجوز وانا اخترناك بالكسر ولم يقرأ به وقال شهاب الدين وقرأ السلمى والاعمش وابن هرمز
وانا اخترناك بكسر الهمزة ﴿قوله واللام يحتمل التعلق بكل من الفعلين﴾ بان يكون الكلام من باب التنازع
بين اخترتك وبين استمع كأنه قيل اخترتك لما يوحى واستمع لما يوحى والظاهر تعلقه باستمع واللام مزيدة فى المفعول
كما فى ردف لكم ﴿قوله دال على انه﴾ اى ان مايوحى مقصور على تقرير التوحيد والامر بالعبادة وجه الدلالة
ان البدل هو المقصود بالنسبة وانه كالتفسير والبيان للمبدل منه ﴿قوله وهى تذكر المعبود﴾ فقوله لذكرى
من اضافة المصدر الى مفعوله اى أقمها لتذكرنى وتكون ذاكرا لى فان ذكر الله تعالى عبارة عن الاشتغال بعبادته باللسان
والجنان والاركان فكأنه قيل اقم الصلاة لتكون بملابستها ذاكرا لى ويكون من قبيل اضافة المصدر الى فاعله على
تقدير ان يكون المعنى لانى ذكرتها فى كل كتاب ولم اخل منها شريعة وامرت بها كل امة وكذا على تقدير ان يكون
المعنى لان اذكرك بالمدح والثناء كما قيل فى تفسير قوله تعالى ولذكر الله اكبر اى ذكر الله العبد اكبر من ذكر العبد اياه
والفرق بينهما ان المذكور على الاوّل هو الصلاة وعلى الثانى هو العبد ﴿قوله لاوقات ذكرى﴾ على
ان تكون اللام فى قوله تعالى لذكرى لام التاريخ بمعنى فى كما فى قوله تعالى ياليتنى قدّمت لحياتى اى قدّمت الخيرات
او الطاعات فى اوقات حياتى فى الدنيا ولام التاريخ لاتدخل الا على الوقت ظاهرا او مقدّرا فلذلك قال لاوقات
ذكرى اى صلاتى ﴿قوله اولذكر صلاتى﴾ اما على تقدير المضاف او على ان يكون المضاف ذكر الله مجازا
عن ذكر الصلاة على طريق اطلاق اسم المسبب وارادة السبب فان ذكر الصلاة سبب لذكر الله تعالى فيكون المعنى
اقم الصلاة اذا ذكرتها بعد نسيانها اى ان نسيت صلاة فاقضها اذا ذكرتها وقد نقل هذا التفسير عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال الواحدى اقم الصلاة لذكرى معناه اقم الصلاة متى ذكرت ان عليك صلاة كنت فى وقتها اولم تكن وهذا
قول عامة المفسرين وروى ذلك مرفوعا وذكر باسناد عن انس بن مالك رضى الله عنه ان النبى عليه الصلاة والسلام
قال «من نسى صلاة فليصلها اذا ذكرها لا كفارة لها غيره» وقرأ اقم الصلاة لذكرى «رواه مسلم قال الخطابى هذا الحديث
يحتمل وجهين احدهما انه لايكفرها غير قضائها والآخر انه لايلزمه فى نسيانها غرامة ولا كفارة كما تلزم الكفارة
فى ترك صوم رمضان من غير عذر وكما تلزم المحرم اذا ترك شيأ من نسكه فدية من دم او طعام وليس عليه الا ان يصلى
ماترك فقط قال ابو حنيفة من فاتته صلوات يجب الترتيب فى قضائها مالم تزد على صلاة يوم وليلة واحتج عليه
بقوله تعالى اقم الصلاة لذكرى اى لتذكرها واللام بمعنى عند كما فى قوله تعالى اقم الصلاة لدلوك الشمس اى عند دلوكها
فمعنى الآية اقم الصلاة المتذكرة عند تذكرها وذلك يقتضى رعاية الترتيب كذا ذكره الامام وقوله تعالى
ان الساعة آتية كالتعليل للامر بالعبادة واقامة الصلوات واعلام بان القيامة التى هى موعد جزاء الاعمال آتية
وان كل امرئ يجزى بعمله ان خيرا فخير وان شرّا فشرّ ﴿قوله اريد اخفاء وقتها﴾ كاد وان كان موضوعا
للمقاربة الا انه من الله تعالى للتحقيق والوجوب والمعنى انا اخفى وقتها عن الخلق ليكونوا على حذر منها كل وقت
كما ان عسى فى قوله تعالى قل عسى ان يكون قريبا للقطع بقربه اى هو قريب وقيل المراد اخفاء نفس وقوعها
والمعنى اكاد اخفيها فلا اقول هى آتية لفرط ارادتى اخفاءها ولولا ما فى الاخبار باتيانها مع تعمية وقتها من الله تعالى
للعباد لما اخبرت به وقيل المعنى اكاد اخفى الساعة واتيانها واخفى احوال الجنة ونعيمها واحوال النار وعذاب
جحيمها لئلا تكون عبادتى مشوبة بطمع الجنة وخوف النار بل تكون خالصة لوجهى كما قال تعالى وما امروا
الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين وقوله اكاد اخفيها على ان تكون همزة اخفيها للازالة والسلب اى ازيل خفاءها نحو
اعجمت الكتاب اى ازلت عجمته واشكيته اى ازلت شكواه والمعنى انها لتحقق وقوعها وقربها اكاد اظهرها واقرّب
اظهارها كما قال تعالى اقتربت الساعة وان اقتضت الحكمة تأخرها برهة من الزمان وقرئ اخفيها بفتح الهمزة
من خفاه يخفيه اذا اظهره ﴿قوله عن تصديق الساعة﴾ على ان ضمير عنها للساعة والمراد التصديق باتيانها
فيكون ضمير من لايؤمن بها ايضا للساعة وعلى تقدير ان يكون ضمير عنها للصلاة يكون ضمير بها للساعة والمعنى لايصدّنك
عن الصلاة من لايؤمن بالساعة والاوّل اولى لان الاصل فى الضمير ان يرجع الى اقرب مذكور وهو الساعة
ومن جعل ضمير عنها للصلاة نظر الى انها هى المقصودة بالذكر وقوله تعالى ان الساعة آتية انما ذكر على وجه التعليل للامر
بها ﴿قوله فان صدّ الكافر انما يكون بسبب ضعفه فيه﴾ اى فى دينه علة لكون نظم الآية مبنيا على انه ينبغى

(ان يكون)

و اللام يحتمل التعلق بكل من الفعلين (اننى انا
الله لا اله الا انا فاعبدنى) بدل مما يوحى دال على
انه مقصور على تقرير التوحيد الذى هو منتهى
العلم والامر بالعبادة التى هى كمال العمل
(وأقم الصلاة لذكرى) خصها بالذكر وافردها
بالامر للعلة التى اناط بها اقامتها وهى تذكر
المعبود وشغل القلب واللسان بذكره وقيل
لذكرى لانى ذكرتها فى الكتب وامرت بها ولان
اذكرك بالثناء اولذكرى خاصة لاترآئى بها ولا
تشوبها بذكر غيرى وقيل لاوقات ذكرى
وهو مواقيت الصلاة اولذكر صلاتى لما روى
انه عليه الصلاة والسلام قال من نام عن صلاة
اونسيها فليقضها اذا ذكرها ان الله تعالى يقول
وأقم الصلاة لذكرى (ان الساعة آتية) كائنة
لامحالة (اكاد اخفيها) اريد اخفاء وقتها
او اقرب ان اخفيها فلا اقول انها آتية ولولا
ما فى الاخبار باتيانها من اللطف وقطع الاعذار
لما اخبرت به اواكاد اظهرها من اخفاه اذا سلب
خفاءه ويؤيده القرآءة بالفتح من خفاه اذا اظهره
(لتجزى كل نفس بما تسعى) متعلق بآتية او
باخفيها على المعنى الاخير (فلا يصدّنك عنها)
عن تصديق الساعة اوعن الصلاة (من
لايؤمن بها) نهى الكافر ان يصدّ موسى عنها
والمراد نهيه ان ينصدّ عنها كقوله لا اربنك ههنا
تنبيها على ان فطرته السليمة لو خليت بحالها
لاختارها ولم يعرض عنها وانه ينبغى ان يكون
راسخا فى دينه فان صدّ الكافر انما يكون
بسبب ضعفه فيه

ان يكون ثابتا قويا فى دينه يعنى ان ضعف الرجل فى دينه لما كان سببا لصد الكافر اياه عن دينه كأنه نهى الكافر عن الصدّ المسبب عن الضعف تنبيها و دليلا على نهى الرجل عن الضعف الذى هو سبب لصدّ الكافر فكأنه قيل لاتكونن رخوا ضعيفا فى امر دينك فيصدّك عنه الكافر فالآية من قبيل قولهم لاارينك ههنا فان المتكلم نهى نفسه عن ان يرى المخاطب واراد النهى عن ان يحضر عنده و يكون بمرءاه فذكر المسبب الذى هو ان يرى المخاطب واراد السبب وهو ان يحضر المخاطب عنده واشار الى ان النكتة فى العدول الى المجاز التنبيه على انه لاينصدّ عن الحق بنفسه وان سلامة فطرته تحمله على ترجيح الحق واختياره وان موضع الاحتياط ليس الا ما يأتيه من الصدّ الخارجى **قوله استفهام يتضمن استيقاظا** يعنى ان حقيقة الاستفهام ممتنعة فى حقه تعالى فوجب ان يكون الاستفهام الواقع فى كلامه تعالى لحكمة وهى ههنا ايقاظ السامع وتنبيهه على معظم مايخترعه ويبتدعه فى الخشبة اليابسة فانه عليه الصلاة والسلام لما سئل وماتلك بيمينك اجاب عنها بانها قطعة خشبة يابسة لاتصلح الا لما يصلح له امثالها فقرّر شأنها وحقارتها فاذا اظهر الله تعالى منها تلك الآيات العظيمة كانقلابها حية عظيمة ونحوها ظهر كمال قدرة الله تعالى بتقدير المباينة البعيدة بين المقلوب عنه والمقلوب اليه وتقرّر فى قلبه بمشاهدة هذه المعجزة الباهرة انه تعالى ينصره ولايخذله بين يدى الاعدآء وما فى قوله تعالى وماتلك بيمينك استفهامية مبتدأ وتلك خبرها وبيمينك متعلق بمحذوف منصوب على انه حال عامله معنى الاشارة فى تلك كقوله هذا بعلى شيخا والتقدير ماهى قارّة او مأخوذة بيمينك وجوّز الزمخشرى ان تكون تلك موصولة بمعنى التى وبيمينك صلتها اى ما التى التبست بيمينك وهذا ليس مذهب البصريين فانهم لم يجعلوا شيأ من اسماء الاشارة موصولا الا كلمة ذا واما الكوفيون فيجوّزون ذلك فى جميعها ولم يقل بيدك لاحتمال ان يكون فى يده اليسار شئ من الخاتم ونحوه فلو اجمل اليد تحير فى الجواب **قوله على لغة هذيل** فانهم ارادوا كسر ماقبل ياء المتكلم فلم يقدروا عليه لمكان الالف فقلبوها الى الياء لكونها اخت الكسرة وادغموها فى ياء المتكلم فقالوا عصىّ ويابشرىّ والتوكؤ على العصا الاتكاء عليها سوآء كان حال المشى اوحال الوقوف على رأس الماشية ويقال هش الورق اذا خبطه اى ضربه بالعصا ليسقط والهشاشة الارتياح والخفة للمعروف وشئ هش وهشيش اى رخو لين وهش الخبز يهش بكسر الهاء اى صار هشا **قوله وقرئ اهش** اى بكسر الهاء فقيل هو بمعنى اهش بالضم والمفعول محذوف اى اهش الورق او الشجر اى اضرب بها اوراق الشجر او اغصانها ليسقط ورقها على غنمى لتأكله وقرئ اهس بضم الهاء والسين المهملة وهو السوق والزجر **قوله انحى** يقال انحى عليه بالسوط اذا رفعه موهما ضربه والمراد مايفعله الرعاة لاغنامهم **قوله فعلق بها ادواته** الادوات جمع اداة وهى الآلة كالقوس والكنانة والحلاب ونحوها وفى اكثر النسخ اداوته وهى المطهرة وتجمع على اداوى على وزن مطايا **قوله وعرض الزندين** اى وضعهما على شعبتى العصا عرضا من قولهم عرضت العود على الاناء والزند العود الذى تقدح به النار وهو الاعلى والزندة السفلى وفيها ثقب فاذا اجتمعا قيل زندان ولم يقل زندتان وفى المثل فى كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار كذا فى الصحاح والعرض والالقاء مأربة واحدة للاستظلال * روى عن وهب انه قال كانت عصا موسى عليه الصلاة والسلام ذات شعبتين ومحجن فاذا طالت الشجرة حناها بالمحجن واذا حاول شيأ لواه بالشعبتين واذا سار ألقاها على عاتقه فعلق فيها ادواته من القوس والكنانة والحلاب واذا كان فى البرية ركزها وألقى كساه عليها فكان ظلا وفيها من المعجزات انه كان يستقى بها فتطول بطول البئر وتصير شعبتاها دلوا وتكونان شمعتين بالليل واذا ظهر عدو حاربت عنه واذا اشتهى ثمرة ركزها فاورقت وتغصنت واثمرت وكانت تحمل زاده وسقاءه فتماشيه ويركزها فينبع الماء من تحتها فاذا رفعها نضب وكانت تقيه الهوام وقوله وكانه عليه الصلاة والسلام فهم الخ جواب عما يقال لما قال هى عصاى تم الجواب لانه سئل عما تلك من حقيقة مافى يده وماهيته الموجودة فلما قال هى عصاى تم الجواب فلم ذكر منافعها مفصلا ومجملا وتقرير الجواب انه عليه الصلاة والسلام فهم ان هذا السؤال لا للاستفهام لانه تعالى منزه عن ذلك بل المقصود منه ان تذكر ويستحضر حقيقتها ومايعلم من منافعها وقوله علم ان ذلك آيات باهرة جواب اذا فى قوله حتى اذا رآها وقوله فذكر حقيقتها عطف على قوله فهم ان المقصود وقوله قيل لما القاها جواب عما يقال كيف ذكر الذى انقلب اليه العصا بالفاظ مختلفة وهى الحية والثعبان والجان فان الحية وان كان اسم جنس يقع على الذكر والانثى والصغير والكبير الا ان الجان والثعبان متباينان فان الثعبان اكبر مايكون من الحيات والجان الحية الصغيرة الخفيفة

(واتبع هواه) ميل نفسه الى اللذات المحسوسة المخدجة فقصر نظره عن غيرها (فتردى) فتهلك بالانصداد بصدّه (وماتلك) استفهام يتضمن استيقاظا لما يريه فيها من العجائب (بيمينك) حال من معنى الاشارة وقيل صلة تلك (ياموسى) تكرير زيادة الاستئناس والتنبيه (قال هى عصاى) وقرئ عصىّ على لغة هذيل (اتوكأ عليها) اعتمد عليها اذا اعييت اووقفت على رأس القطيع (واهش بها على غنمى) واخبط الورق بها على رؤس غنمى وقرئ اهش وكلاهما من هش الخبز يهش اذا انكسر لهشاشته وقرئ بالسين من الهس وهو زجر الغنم اى انحى عليها زاجرا لها (ولى فيها مآرب اخرى) حاجات اخر مثل ان كان اذا سار ألقاها على عاتقه فعلق بها ادواته وعرض الزندين على شعبتيها والقى عليها الكساء واستظل به واذا قصر الرشاء وصله بها واذا تعرضت السباع لغنمه قاتل بها وكأنه عليه السلام فهم ان المقصود من السؤال ان يذكر حقيقتها ومايرى من منافعها حتى اذا رآها بعد ذلك على خلاف تلك الحقيقة ووجد منها خصائص اخرى خارقة للعادة مثل ان يشتعل شعبتاها بالليل كالشمع وتصيران دلوا عند الاستقاء وتطول بطول البئر وتحارب عنه اذا ظهر عدو وينبع الماء بركزها وينضب بنزعها وتورق وتثمر اذا اشتهى ثمرة فركزها علم ان ذلك آيات باهرة ومعجزات قاهرة احدثها الله فيها لاجله وليست من خواصها فذكر حقيقتها ومنافعها مفصلا ومجملا على معنى انها من جنس العصىّ تنفع منافع امثالها ليطابق جوابه الغرض الذى فهمه (قال ألقها ياموسى فألقاها فاذا هى حية تسعى) قيل لما ألقاها انقلبت حية صفرآء بغلظ العصا ثم تورمت وعظمت فلذلك سماها جانا تارة نظرا الى المبدأ وثعبانا مرّة باعتبار المنتهى وحية اخرى بالاسم الذى يعم الحالين وقيل كانت فى ضخامة الثعبان وجلادة الجانّ ولذلك قال كأنها جانّ (قال خذها ولاتخف) فانه لما رآها حية تسرع وتبتلع الحجر والشجر خاف وهرب منها

السريعة الحركة والسعي المشي بسرعة وخفة حركة قيل انه لما القاها فاذاهي اعظم ثعبان نظر اليه الناظرون تمشي سرعة ولها عرف كعرف الفرس وكان بين لحييها اربعون ذراعا صارت شعبتاها شدقين لها والمحجن عنقالها وعيناها يتقدان كالنار تمرّ بالصخرة العظيمة مثل الحقة من الابل فتبتلعها وتطعن بنابها في اصل الشجرة العظيمة فتقتلعها وتهتز فيسمع لها صريف عظيم فلما عاين موسى ذلك اخذه من الفزع ما يأخذ البشر عند الاهوال والمخاوف فهرب فعارضه ملك فقال أما تستحيي من ربك بكلمك وتهرب فرجع ولعل الحكمة في قلب العصا حية في ذلك الزمان وهو اوّل زمان الوحي وتحمل الرسالة ان يشاهد انقلابها اوّلا ويزول ما يطرأ للطبيعة البشرية من الخوف والفزع الحاصل بمعاينة مثل ذلك حتى لا يطرأ عليه الخوف بمشاهدة ذلك عند فرعون ﴿ **قوله** تجوّز بها الطريقة ﴾ يعني ان بناء السيرة في الاصل لنوع من السير ثم اتسع فيها فعبر بها عن المذهب والهيئة مطلقا وذكر اوّلا ان سيرتها منصوب على انه مفعول به غير صريح اى سنعيدها الى سيرتها الاولى وثانيا انه مفعول به صريح على انه مفعول ثان لقوله نعيد لان عاد لما كان متعديا الى واحد عدّي بالهمزة الى ثان وثالثا انه ظرف اى سنعيدها في الهيئة التي كانت عليها قبل ورابعا انه مفعول مطلق لفعله المقدّر فعلى هذا الوجه يكون انقلاب الحية عصا مفهوما من مجرّد قوله سنعيدها لان المعنى حينئذ سنعيد العصا بعد ما ذهبت وبطلت صورة العصا فيها بانقلابها الى صورة الحية وقوله تسير سيرتها الاولى له معنى زائد على انقلاب الحية عصا وهو ان تعود المنافع الفائتة بانقلاب العصا حية بخلاف الوجوه الاخر فان انقلاب الحية عصا يفهم من مجموع قوله سنعيدها سيرتها الاولى اى على تلك الوجوه ﴿ **قوله** قيل لما قال له ربه ذلك ﴾ اى لما قال له ربه لا تخف بلغ من ذهاب خوفه وطمأنينة نفسه الى ان ادخل يده في فم الحية واخذ بلحييها فاذاهي عصا كما كانت ويده في شعبتيها في الموضع الذي يضعها فيه اذا اتكأ * واعلم ان ادخاله يده في فم الحية واخذه بلحييها من غير ان يتضرّر به معجزة وانقلاب العصا حية معجزة اخرى ففيها توالي معجزات مع المآرب التي تقدّمت ﴿ **قوله** لانه يجنحهما ﴾ اى يميلهما كما قال الله تعالى وان جنحوا للسلم فاجنح لها ﴿ **قوله** كأنها مشعة ﴾ اى ذات شعاع واعلم ان معنى ضم اليد الى الجناح ما قال في آية اخرى وأدخل يدك في جيبك ويروى انه عليه الصلاة والسلام كان شديد الادمة فكان اذا ادخل يده اليمنى في جيبه وادخلها تحت ابطه الايسر واخرجها كان ليده نور ساطع يضيء بالليل والنهار كضوء الشمس والقمر او اشدّ ضوأ ثم اذا ردّها الى جيبه صارت الى لونها الاوّل بلا نور وبريق واتفق المفسرون على ان السوء كان كناية عن البرص فانه ابغض شيء الى العرب ولهم منه نفرة عظيمة واسماعهم لاسمه ماجة فكان جديرا بان يكنى عنه ولا يصرّح باسمه وقوله من غير سوء يجوز ان يتعلق ببيضاء لكونها صفة مشبهة فيها معنى الفعل كأنه قال تبيض من غير سوء ويجوز ان يتعلق بمحذوف على انه حال من الضمير في بيضاء ﴿ **قوله** اى دللنا بها او فعلنا ذلك ﴾ نشر على ترتيب قوله او بما دل عليه الآية او القصة اى خذ هذه الآية بعد الآية التي هي قلب العصا حية او دللنا بها او فعلنا ما فعلنا بك من ندائك واستماع كلامي اياك واختيارك للنبوّة واظهار المعجزة القاهرة لك لنريك بعض آياتنا الكبرى او لنريك الآية الكبرى حال كونها من آياتنا على ان يكون الكبرى مفعولا ثانيا لنريك ومن آياتنا حال منها وعلى الاوّل يكون المفعول الثاني وهو ضعيف لانه ليس في اليد الا تغير اللون اما العصا ففيها تغير اللون وخلق الزيادة في الجسم وخلق الحياة والقدرة والاعضاء المختلفة وابتلاع الشجر والحجر ثم عودها بعد ذلك عصا كما كانت فهي اعظم قطعا فلا بدّ ان يكون المعنى خذ هذه الآية ايضا بعد قلب العصا لنريك بهاتين الآيتين بعض آياتنا الكبرى او لنريك بهما الكبرى من آياتنا او لنريك من آياتنا الكبرى فعلنا ذلك فلا دلالة على كون اليد كبرى بالنسبة الى العصا ثم انه تعالى لما اظهر له هذه الآيات عقبها بان امره بالذهاب الى فرعون وبين العلة في ذلك بانه طغى اى جاوز حدّ العبودية بدعوى الربوبية ثم جاوز اللعين الحدّ في تلك المجاوزة حيث لم يقنع بدعوى المشاركة فيها حتى قال انا ربكم الاعلى روى عن وهب انه قال قال الله تعالى لموسى عليه الصلاة والسلام استمع لما يوحى من كلامي واحفظ وصيتي وانطلق برسالتي وانك بعيني وسمعي وانك معك يدي وبصري واني البسك جبة سلطاني تستكمل بها القوّة في امري ابعثك الى خلق ضعيف من خلقي بطر نعمتي ونسي شكري وغرّته الدنيا حتى جحد حقي وانكر ربوبيتي اقسم بعزتي لولا الحجة والعهد الذي وضعت بيني وبين خلقي لبطشت به بطشة جبار ولكن هان عليّ وسقط من عيني فبلغه رسالتي وادعه الى عبادتي وحذره من نقمتي وقل له قولا لينا لا يغترّ بلباس الدنيا ناصيته بيدي ولا يطرف ولا ينعس

(سنعيدها سيرتها الاولى) هيئتها وحالتها المتقدمة وهي فعلة من السير تجوّز بها للطريقة والهيئة وانتصابها على نزع الخافض او على ان اعاد منقول من عاده بمعنى عاد اليه او على الظرف اى سنعيدها في طريقتها او على تقدير فعلها اى سنعيد العصا بعد ذهابها تسير سيرتها الاولى فتنتفع بها ما كنت تنتفعه قبل قيل لما قال له ربه ذلك اطمأنت نفسه حتى ادخل يده في فمها واخذ بلحييها (واضمم يدك الى جناحك) الى جنبك تحت العضد يقال لكل ناحيتين جناحان كجناحي العسكر استعارة من جناحي الطائر سميا بذلك لانه يجنحهما عند الطيران (تخرج بيضاء) كأنها مشعة (من غير سوء) من غير عاهة وقبح كني به عن البرص كما كني بالسوءة عن العورة لان الطباع تعافه وتنفر عنه (آية اخرى) معجزة ثانية وهي حال من ضمير تخرج كبيضاء او من ضميرها او مفعول باضمار خذ أو دونك (لنريك من آياتنا الكبرى) متعلق بهذا المضمر او بما دل عليه الآية او القصة اى دللنا بها او فعلنا ذلك لنريك والكبرى صفة آياتنا او مفعول نريك ومن آياتنا حال منها (اذهب الى فرعون) بهاتين الآيتين وادعه الى العبادة (انه طغى) عصى وتكبر (قال رب اشرح لي صدري ويسر لي امري) لما امره الله بخطب عظيم وامر جسيم سأله ان يشرح صدره

ويفسح قلبه لتحمل اعبائه والصبر على مشاقه والتلق لما ينزل عليه ويسهل الامر له باحداث الاسباب ورفع الموانع وفائدة لى

ابهام المشروح والميسر اوّلا ثم رفعه بذ
الصدر والامر تأكيد اومبالغة (واحلل
عقدة من لسانى يفقهوا قولى) فانما يحسن
التبليغ من البليغ وكان فى لسانه رتة من جمر
ادخلها فاه وذلك ان فرعون حمله يوما فأخذ
لحيته ونتفها فغضب وامر بقتله فقالت
آسية انه صبى لايفرق بين الجمر والياقوت
فاحضرا بين يديه فاخذ الجمرة ووضعها
فى فيه ولعل تبيض يده كان لذلك وقيل
احترقت يده واجتهد فرعون فى علاجها
فلم تبرأ ثم لما دعاه قال الى اىّ رب تدعونى قال
الى الذى ابرأ يدى وقد عجزت عنه واختلف
فى زوال العقدة بكمالها فمن قال به تمسك
بقوله قد اوتيت سؤلك ومن لم يقل احتج
بقوله هو افصح منى لسانا وقوله ولايكاد
يبين واجاب عن الاوّل بانه لم يسأل حل
عقدة لسانه مطلقا بل عقدة تمنع الافهام
ولذلك نكرها وجعل يفقهوا جواب الامر
ومن لسانى يحتمل ان يكون صفة عقدة وان
يكون صلة احلل (واجعل لى وزيرا من اهلى
هرون اخى) يعيننى على ما كلفتنى به واشتقاق
الوزير اما من الوزر لانه يحمل الثقل عن
اميره اومن الوزر وهو الملجأ لان الامير
يعتصم برأيه ويلجأ اليه فى اموره ومنه
الموازرة وقيل اصله ازير من الازر بمعنى القوة
فعيل بمعنى مفاعل كالعشير والجليس قلبت
همزته واوا كقلبها فى موازر ومفعولا
اجعل وزيرا وهرون قدم ثانيهما للعناية به
ولى صلة او حال اولى وزيرا وهرون عطف
بيان للوزير اووزيرا ومن اهلى ولى تبيين
كقوله ولم يكن له كفوا احد واخى على
الوجوه بدل من هرون اومبتدأ خبره
(أشدد به ازرى وأشركه فى امرى) على
لفظ الامر وقرأهما ابن عامر بلفظ الخبر على
انهما جواب الامر (كى نسبحك كثيرا
ونذكرك كثيرا) فان التعاون يهيج الرغبات
ويؤدى الى تكاثر الخير وتزايده (انك كنت
بنا بصيرا) عالما باحوالنا وان التعاون مما
يصلحنا وان هرون نعم المعين لى فيما امرتنى به
(قال قد اوتيت سؤلك ياموسى) اى مسؤلك
فعل بمعنى مفعول كالخبز والاكل بمعنى المخبوز
والمأكول (ولقدمننا عليك مرّة اخرى)
اى انعمنا عليك فى وقت آخر (اذ أوحينا
الى امّك) بالهام او فى منام او على لسان نبى فى وقتها او ملك لاعلى وجه النبوة كما اوحى الى مريم

الاعلى فكلمه كلاما طويلا قال فسكت موسى عليه الصلاة والسلام سبعة ايام ثم جاءه ملك فقال اجب ربك فيما امرك فعند ذلك قال رب اشرح لى صدرى الآية ﴿ قوله ويفسح قلبه ﴾ اشارة الى ان المراد بالصدر القلب كما فى قوله أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه وان كان قد يراد به العضو الذى فيه القلب كما فى قوله تعالى فانها لاتعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور وان المراد بشرح القلب توسيعه حتى لايضيق بسفاهة المعاندين ولجاجهم ولايخاف من شوكتهم وكثرتهم ويجترئ على مخاطبة فرعون ومحاجته فانه تعالى اذا وسع قلبه وعلم ان احدا لايقدر على مضرّته الا باذن الله تعالى لم يخف من فرعون وشدّة شوكته وكثرة جنوده وايضا سأل الله تعالى ان يوسع قلبه ليفهم ماينزل عليه من الوحى كأنه قال رب اشرح لى صدرى فأفهم عنك ما انزلت علىّ من الوحى ﴿ قوله وفائدة لى ﴾ جواب عما يقال مافائدة لى فى قوله اشرح لى صدرى ويسر لى امرى مع ان الكلام يستقيم بدونه * وتقرير الجواب انه ابهم الكلام اوّلا فقال اشرح لى ويسر لى فعلم ان ثمة مشروحا وميسرا ثم بين ورفع الابهام بذكر المشروح والميسر وهما الصدر والامر فكان الرفع بعد الابهام اكد لطلب الشرح والتيسير لصدره وامره من ان يقول اشرح صدرى ويسر امرى على التصريح بالمراد ابتداء لان الرفع بعد الابهام تكرار للمعنى الواحد من طريق الاجمال والتفصيل ﴿ قوله ولعل تبيض يده كان لذلك ﴾ اى لكونها سببا لخلاص موسى من ان يقتله فرعون اولكونها آلة لاخذ لحية فرعون ونتفها ﴿ قوله كقلبها فى موازر ﴾ اصله مؤازر قلبت همزته واوا لانضمام ماقبلها فصار موازر وقلبت فى الازير ايضا وان لم ينضم ماقبلها حملا للنظير على النظير فانهما اخوان فى المعنى فيكون كل واحد منهما نظيرا للآخر من حيث المعنى وحملا على المضارع وهو يوازر ﴿ قوله ومفعولا اجعل ﴾ مبتدأ اضيف فيه التثنية الى لفظ اجعل وقوله وزيرا وهرون خبره ووجه العناية بالمفعول الثانى ان المقصود الاهم طلب الوزير ﴿ قوله ولى صلة ﴾ اى يجوز ان يكون قوله لى صلة لفعل الجعل متعلقا به ويجوز ان يتعلق بمحذوف على انه حال من وزيرا لانه فى الاصل صفة لوزيرا فلما قدم عليه انتصب حالا ﴿ قوله اولى وزيرا ﴾ عطف على قوله وزيرا وهرون اى يجوز ان يكون مفعولا اجعل قوله لى وزيرا فيكون الثانى مقدما على المفعول الاوّل وهو وزيرا ومن اهلى يجوز ان يكون صفة لوزيرا وان يتعلق باجعل ﴿ قوله وهرون عطف بيان للوزير ﴾ فيه ان عطف البيان يشترط فيه التوافق بينه وبين متبوعه تعريفا وتنكيرا وقوله وزيرا نكرة فكيف يكون هرون عطف بيان له والظاهر ان يجعل هرون بدلا من وزيرا ﴿ قوله اووزيرا ومن اهلى ﴾ اى يجوز ان يكون مفعولاه وزيرا من اهلى فيكون وزيرا مفعولا اوّلا ومن اهلى مفعولا ثانيا وفيه ان شرط المفعولين فى باب النواسخ صحة انعقاد الجملة الاسمية منهما وانت لو ابتدأت بوزيرا واخبرت عنه بقولك من اهلى لم يجز اذ لامسوّغ للابتداء به ﴿ قوله وقرأهما ابن عامر بلفظ الخبر ﴾ فانه قرأ اشدد بفتح الهمزة وأشركه بضمها على معنى الخبر عن نفسه اى انا افعل ذلك وجزم كل واحد من الفعلين على انهما جواب الامر وان قرئ اشدد على لفظ الامر يكون المعنى قوّ به ظهرى واجعله شريكا لى فى امر الرسالة ﴿ قوله اى أنعمنا عليك ﴾ يعنى انه من قولهم منّ عليه منا بمعنى انعم عليه لامن قولهم منّ عليه منة بمعنى امتنّ عليه لان المنة تهدم الصنيعة والمقام مقام التلطف بناء على انه تعالى راعى مصلحته قبل من غير ان يسألها موسى فكيف لايعطيه مراده بعد السؤال والمعنى مننا عليك الآن باتيانك سؤلك وقد سلفت لنا منن عليك اخرى ﴿ قوله فى وقت آخر ﴾ اشارة الى ان مرّة ظرف مننا اى مننا عليك فى وقت آخر ذى مرّة والمرّة واحدة المرّ الذى هو مصدر قوله مرّ يمرّ مرّا ومرورا اى ذهب * فان قيل لم قال مرّة اخرى مع انه تعالى ذكر مننا كثيرة * اجيب بانه ليس المراد مرّة واحدة من المنن لان ذلك قد يقال فى القليل والكثير والمنن المذكورة ههنا ثمان الاولى قوله اذ أوحينا الى امّك مايوحى والثانية قوله وألقيت عليك محبة والثالثة قوله لتصنع على عينى والرابعة قوله اذ تمشى اختك والخامسة قوله تعالى وقتلت نفسا فنجيناك من الغم والسادسة قوله وفتناك فتونا والسابعة قوله فلبثت سنين فى اهل مدين ثم جئت على قدر ياموسى والثامنة قوله واصطنعتك لنفسى ﴿ قوله بالهام او فى منام ﴾ يعنى ان المراد من هذا الوحى ليس هو الوحى الواصل الى الانبياء لان امّ موسى ماكانت من الانبياء فان المرأة لاتصلح للامارة والقضاء فكيف تصلح للنبوّة ويدل عليه قوله تعالى وما ارسلنا قبلك الا رجالا يوحى اليهم فلذلك اختلف فى المراد من هذا الوحى على وجوه احدها ان امّ موسى رأت رؤيا تأويلها وضع موسى عليه الصلاة والسلام فى التابوت وقذفه فى البحر وان الله ردّه اليها وثانيها ان المراد بالوحى الالهام بان اوقع الله تعالى فى قلبها

عزيمة جازمة على ان تلقيه فى التابوت ثم تقذف التابوت فى اليم وهو نيل مصر فى قول جميع المفسرين فان اليم يقع على البحر والنهر العظيم وثالثها ان المراد بالوحى اليها انه تعالى اوحى ذلك الى بعض الانبياء المبعوث فى ذلك الزمان كشعيب عليه الصلاة والسلام اوغيره ثم ان ذلك النبى عرّفها مااوحى اليه اما مشافهة اومراسلة ورابعها لعله تعالى بعث اليها ملكا لاعلى وجه النبوّة بل على طريق بعثه جبريل الى مريم فى قوله تعالى فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا وبلغ ذلك الملك اليها مااوحى اليه ﴿قوله ولايخل به﴾ بضم الباء وفتح الخاء من اخل الفارس بمركبه اذاترك موضعه الذى عينه له الامير وقوله لعظم شأنه تعليل لقوله لايعلم الابالوحى ﴿قوله وفرط الاهتمام به﴾ تعليل لقوله ينبغى ان يوحى على طريق اللف والنشر المرتب وان فى قوله ان اقذفيه يحتمل ان تكون مصدرية ومفسرة والمراد بقذفه فى التابوت جعله فيه كما فى قوله تعالى وقذف فى قلوبهم الرعب ﴿قوله غلام رماه الله بالحسن يافعا﴾ تمامه له سيماء لاتشق على البصر فقوله غلام اى هو غلام ورماه الله صفة غلام اى هو غلام حصل الله فيه الحسن ووضعه فيه ويافعا اى شابا واليافع من اليفاع وهو ماارتفع من الارض وايفع الغلام اى ارتفع فهو يافع ولايقال موفع وهو من النوادر والسيماء العلامة والمراد بها ههنا الحسن وقوله لايشق على البصر اى يفرح به من ينظر اليه ولايمل من تكرار النظر اليه لكونه فى غاية الحسن ﴿قوله لما كان القاء البحر اياه الى الساحل﴾ جواب عما يقال جعل الله البحر مأمورا بامتثال امره مع ان الامر لايكون الا للمميز العاقل والبحر ليس كذلك * وتقرير الجواب ان قوله فليلقه اليم وان كان امرا صورة الا ان معناه الخبر اى ان تفعل ماامرت به يلقه اليم بالساحل لتعلق ارادتى بذلك واخرج الكلام على سبيل الاستعارة المكنية والتخييلية حيث شبه اليم فى النفس بمأمور ذى تمييز امره آمر مطاع بالالقاء من حيث كون القاء البحر اياه الى الساحل امرا واجب الحصول كحصول المأمور به من المأمور المطيع وجعل امر اليم بقوله فليلقه اليم قرينة التشبيه المضمر وفائدة اخراج الكلام على هذه الصورة التأكيد والمبالغة فى حصول الالقاء ﴿قوله والاولى ان يجعل الضمائر كلها لموسى عليه الصلاة والسلام﴾ لانه لوجعل ضمير ان اقذفيه ويأخذه وعدوّ له لموسى وضمير فاقذفيه وفليلقه اليم للتابوت لزم تفكيك الضمائر وتنافر النظم * فان قيل المقذوف فى البحر وكذا الملقى الى الساحل هو التابوت * قلنا نعم ان المقذوف بالذات والملقى بالذات هو التابوت الا ان موسى عليه الصلاة والسلام مقذوف وملقى بالتبع لكونه فى جوف التابوت فينبغى ان يجعل ضمير فاقذفيه وفليلقه اليم ايضا لموسى حتى لاتفترق الضمائر ولما كان فليلقه اليم امرا من حيث اللفظ انجزم جوابه فى قوله يأخذه ﴿قوله اولان الاوّل﴾ وهو كون فرعون عدوّا لله تعالى حال اخذه موسى لكفره بالله تعالى وعتوّه امر واقع حينئذ وكونه عدوّا لموسى عليه الصلاة والسلام حينئذ غير واقع لان موسى فى ذلك الوقت لم يكن بحيث يعاديه احد بل هو بحيث يؤول امره الى المعاداة معه ولو قيل يأخذه عدوّ لى وله لفهم ان عداوته لموسى من قبل عداوته لله تعالى ﴿قوله ثم قيرته﴾ اى طلته بالقير وهو الزفت ﴿قوله وكان يشرع﴾ اى يدخل من اليم يقال شرعت الدواب فى الماء شرعا وشروعا اى دخلت ﴿قوله اصبح الناس﴾ اى اكلهم صباحة اى جمالا يقال صبح بالضم صباحة فهو صبيح اى جميل حسن ﴿قوله اى محبة كائنة منى﴾ على ان منى ظرف مستقر متعلق بمحذوف هو صفة لمحبة اى محبة حاصلة منى وعلى الثانى يكون ظرفا لغوا متعلقا بألقيت وعلى التقديرين كلمة من ابتدائية والفرق بين الاحتمالين ان الملقى على الاحتمال الاوّل محبة الناس اياه لكن لما كانت المحبة حاصلة واقعة بتخليق الله تعالى من حيث انه تعالى ركزها فى القلوب وصفها بقوله كائنة منى فلذلك احبه عدو الله فرعون وكل من ابصره وعلى الاحتمال الثانى يكون الملقى بالذات هو محبة الله تعالى واما محبة الخلق اياه فانما نشأت وتفرعت عن محبة الله تعالى اياه واليه اشار بقوله اى احببتك ومن احبه الله تعالى احبته القلوب وقد روى عن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا احب الله العبد نادى جبريل ان الله يحب فلانا فأحبوه فيحبه اهل السماء ثم يوضع له القبول فى الارض ﴿قوله وظاهر اللفظ﴾ جواب عما يقال ان ماقيل مخالف لما يفهم من ظاهر لفظ القرآن فان ظاهره يدل على ان اليم ألقاه بساحله وان موسى عليه الصلاة والسلام التقط من الساحل لامن البركة وان ماقيل يدل على ان أمّ موسى ألقته فى اليم فقذفه اليم الى النهر المتشعب منه الشارع الى بستان فرعون فأدّاه النهر الى بركة فى البستان فاخذ من البركة لامن الساحل واشار الى وجه التوفيق بينهما بان حمل لفظ القرآن على ان معناه ألقاه اليم بساحل

(مايوحى) مالايعلم الابالوحى اومماينبغى ان يوحى ولايخل به لعظم شأنه وفرط الاهتمام به (أن اقذفيه فى التابوت) بان اقذفيه اواى اقذفيه لان الوحى بمعنى القول (فاقذفيه فى اليمّ) القذف يقال للالقاء وللوضع كقوله تعالى وقذف فى قلوبهم الرعب وكذلك الرمى كقوله غلام رماه الله بالحسن يافعا (فليلقه اليمّ بالساحل) لما كان القاء البحر اياه الى الساحل امرا واجب الحصول لتعلق الارادة به جعل البحر كأنه ذو تمييز مطيع امره بذلك واخرج الجواب مخرج الامر والاولى ان يجعل الضمائر كلها لموسى مراعاة للنظم والمقذوف فى البحر والملقى الى الساحل وان كان التابوت بالذات فموسى بالعرض (يأخذه عدوّ لى وعدوّ له) جواب فليلقه وتكرير عدوّ للمبالغة اولان الاوّل باعتبار الواقع والثانى باعتبار المتوقع قيل انها جعلت فى التابوت قطنا ووضعته فيه ثم قيرته وألقته فى اليمّ وكان يشرع منه الى بستان فرعون نهر فدفعه الماء اليه فأدّاه الى بركة فى البستان وكان فرعون جالسا على رأسها مع امرأته اسية بنت مزاحم فامر به فاخرج ففتح فاذا هو صبى اصبح الناس وجها فاحبه حبا شديدا كما قال (وألقيت عليك محبة منى) اى محبة كائنة منى قد زرعتها فى القلوب بحيث لايكاد يصبر عنك من رآك فلذلك أحبك فرعون ويجوز ان يتعلق منى بألقيت اى احببتك ومن احبه الله احبته القلوب وظاهر اللفظ ان اليمّ ألقاه بساحله وهو شاطئه

فيه فوهة نهر فرعون يجري منه الى البركة **قوله** لان الماء يسحله تعليل لما دل عليه المعنى كأنه قال سمي الشاطئ ساحلا لان الماء يسحله اي يقشره وينزع عنه ما هو بمنزلة القشر على ظاهره فان السحل في اللغة القشر يقال قشرت العود وغيره اقشره قشرا اى نزعت عنه قشره والمطرة القاشرة هي التي على وجه الارض **قوله** ولتربى ويحسن اليك وانا راعيك وراقبك فسر قوله لتصنع بقوله لتربى ويحسن اليك من قولهم صنع اليه معروفا اذا احسن اليه وفسر قوله على عيني بقوله وانا راعيك اشارة الى انه حال من الضمير المستتر في لتصنع لاصلة له وقوله لتصنع منصوب باضمار ان بعد لام كى وهذه العلة معطوفة على علة مقدّرة قبلها والفعل المعلل هو قوله تعالى وألقيت اى ألقيت عليك المحبة اى ليتعطف عليك ولتصنع ويجوز ان تكون هذه اللام متعلقة بمعلل محذوف وجملة المعلل مع علته معطوفة على الجملة السابقة اى ألقيت عليك محبة مني ولتصنع على عيني فعلت ذلك والعين مجاز عن الرعاية والحراسة بطريق اطلاق اسم السبب على المسبب فان الناظر الى الشيء يحرسه عما لا يريد في حقه ويراعيه حسبما يريد فيه **قوله** وقرئ ولتصنع بكسر اللام وبسكونها على انها ليست لام كى بل هي لام امر الغائب والاصل فيها ان تكون مكسورة ويجوز سكونها بعد الواو والفاء المخففة وذلك في القرآن كثير نحو وليوفوا نذورهم وليطوفوا وقرأ العامة بكسر اللام وضم التاء وفتح النون على البناء للمفعول ونصب الفعل باضمار ان بعد لام كى وقرئ ولتصنع بالنصب وفتح التاء **قوله** ظرف لألقيت او لتصنع والمعنى على الاوّل وألقيت عليك محبة مني وقت مشي اختك وعلى الثاني لتربى ويحسن اليك في هذا الوقت وكونه ظرفا لتصنع اولى لان تقييد التربية بزمان مشي اخته صحيح لان التربية انما وقعت زمان مشي اخته ورده الى امّه بخلاف القاء المحبة عليه فانه وقع قبل ذلك من اوّل ما التقطه فرعون فلا وجه لكونه ظرفا لألقيت الا باعتبار الاتساع في زمان المشي **قوله** او بدل من اذ أوحينا والمعنى ولقد مننا عليك مرّة اخرى اذ أوحينا الى امّك اذ تمشي اختك **قوله** على ان المراد بها وقت متسع جواب لما يقال كيف يكون اذ تمشي اختك بدلا من اذ أوحينا مع ان احد الزمانين غير متحد مع الآخر صدقا بل هما مختلفان متباعدان وليس احدهما بعضا من الآخر ولا مشتملا عليه ايضا واذا اريد بكلمة اذ وقت يسع كل واحد من الفعلين يتحد الزمانان ولا يختلفان الا باعتبار اختلاف الفعل الواقع فيهما فيصح ابدال احدهما من الآخر ومعنى يكفله يضمه اليه ويحضنه ويربيه وتذكير الضمير في يكفله للفظ من وان كان عبارة عن المؤنث ولما التقطه آل فرعون وأحبوه وعزموا على تربيته عندهم طلبوا امرأة ترضعه وتربيه فلم يقبل ثدي امرأة منهن لان الله تعالى قد حرّم عليه المراضع غير امّه وجعل ذلك طريقا لرّده الى امّه فاضطروا الى الاستقصاء في تتبع النساء وبذلك فشا الخبر بمصر ان آل فرعون اخذوا غلاما من النيل وانه لا يقبل ثدي كل امرأة يؤدّى اليه بها فلما علمت ذلك اخت موسى جاءت اليهم متنكرة فقالت هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم **قوله** غم قتله فانه عليه الصلاة والسلام لما قتل القبطي خطأ بان وكزه اى ضربه بجمع يده على ذقنه حين استغاثه الاسرائيلي عليه حصل له الغم من وجهين احدهما من عذاب الدنيا وهو اقتصاص فرعون منه على ما حكاه الله تعالى عنه بقوله فأصبح في المدينة خائفا يترقب والآخر من عقاب الله تعالى حيث قتله لا بامر الله فنجاه الله تعالى من الغمين امامن فرعون فبأن وفقه الله تعالى للهاجرة الى مدين واما من عقاب الآخرة فبأن غفر الله تعالى له باستغفاره حين قال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له **قوله** وابتليناك ابتلاء على ان فتونا مصدر كالعكوف والجلوس جيء به تأكيدا لفعله كأنه قيل وفتناك حقا والفتنة الامتحان والاختبار تقول فتنت الذهب اذا ادخلته النار لتنظر ما جودته كذا في الصحاح قال صاحب الكواشي وفتناك فتونا اى اختبرناك اختبارا بايقاعك في المحن وتخليصك منها وقال صاحب الكشاف الفتنة المحنة وكل ما يشق على الانسان وكل ما يبتلي الله به عباده فتنة قال تعالى ونبلوكم بالشرّ والخير فتنة سأل سعيد بن جبير ابن عباس عن قوله وفتناك فتونا فقال خلصناك من محنة بعد محنة اوّلها ان امّه حملته في السنة التي كان فرعون يقتل فيها الولدان فهذه فتنة يا ابن جبير ثم ألقته امّه في البحر وهو في التابوت ثم منعه الرضاع الا من ثدي امّه ثم اخذ بلحية فرعون حتى هم بقتله ثم تناول الجمرة بيده بدل الدرة ثم قتل قبطيا وخرج الى مدين هاربا خائفا بلا زاد ولا دليل واجر نفسه عشر سنين مهر الصفوراء ابنة شعيب وضل الطريق وتفرّق غنمه في ليلة مظلمة وكان ابن عباس يقول عند ذكر كل واحدة من هذه المحن فهذه فتنة يا ابن جبير فعلى هذا معنى فتناك خلصناك من تلك المحن كما يفتن الذهب بالنار فيخلص من كل خبث ولا بدّ في قوله تعالى وفتناك فتونا من ملاحظة

لان الماء يسحله فالتقط منه لكن لا يبعدان يتأوّل الساحل بجنب فوّهة نهره (ولتصنع على عيني) ولتربى ويحسن اليك وانا راعيك وراقبك والعطف على علة مضمرة مثل ليتعطف عليك او على الجملة السابقة باضمار فعل معلل مثل فعلت ذلك وقرئ ولتصنع بكسر اللام وبسكونها والجزم على انه امر ولتصنع بالنصب وفتح التاء اى وليكون عملك على عين مني لئلا تخالف به عن امري (اذ تمشي اختك) ظرف لألقيت او لتصنع او بدل من اذ أوحينا على ان المراد بها وقت متسع (فتقول هل ادلكم على من يكفله) وذلك انه كان لا يقبل ثدي المراضع فجاءت اخته مريم متفحصة خبره فصادفتهم يطلبون له مرضعة يقبل ثديها فقالت هل ادلكم فجاءت بامّه فقبل ثديها (فرجعناك الى امّك) وفاء بقولنا انا رادّوه اليك (كي تقرّ عينها) بلقائك (ولا تحزن) هي بفراقك او انت بفراقها وفقد اشفاقها (وقتلت نفسا) نفس القبطي الذي استغاثه عليه الاسرائيلي (فنجيناك من الغم) غم قتله خوفا من عقاب الله تعالى واقتصاص فرعون بالمغفرة والامن منه بالهجرة الى مدين (وفتناك فتونا) وابتليناك ابتلاء او انواعا من الابتلاء على انه جمع فتن او فتنة على ترك الاعتداد بالتاء كحجور وبدور في حجرة وبدرة فخلصناك مرّة بعد اخرى وهو اجمال لما ناله في سفره من الهجرة عن الوطن ومفارقة الألاف والمشي راجلا على حذر وفقد الزاد واجر نفسه الى غير ذلك اوله ولما سبق ذكره

التخليص من المحنة امابان يجعل فتناك بمعنى خلصناك من قولهم فتنت الذهب اذا اردت تخليصه اوبان يكون فتناك بمعنى اختبرناك ولم يذكر صلته والتقدير اختبرناك اختبارا بايقاعك فى المحن وتخليصك منها وذلك لانه تعالى قال له عليه الصلاة والسلام ولقد مننا عليك مرّة اخرى ثم عدّ المنن وذكر منها قوله وفتناك فتونا والفتنة بمعنى المحنة ليست من قبيل الانعام الا ان يقال انها لكونها موجبة للثواب من قبيل النعم والمصنف جعل قوله تعالى وفتناك فتونا اجمالا لما ناله فى سفر هجرته من مصر الى مدين ثم جوّز ان يكون اجمالا له ولما سبق ذكره من وضع امّه اياه فى التابوت وقذفه فى اليم الى غير ذلك وقدّم الاحتمال الاوّل لان عدّ ما نال الطفل فتنة فى حقه لا يخلو من بعد ﴿قوله قضاء لأوفى الاجلين﴾ اى الذين خيره شعيب عليهما الصلاة والسلام فى قضاء احدهما مهرا فى تزويج بنته اياه قال تعالى حكاية عنه انى اريد ان انكحك احدى ابنتىّ هاتين على ان تأجرنى ثمانى حجج فان اتممت عشرا فمن عندك فقضى موسى عليه الصلاة والسلام اوفاهما وهذا صريح فى ان موسى لما قضى الاجل المشروط سار باهله الى مصر ولم يمكث فى اهل مدين بعد قضائه ويدل عليه قوله تعالى فلما قضى موسى الاجل وسار باهله وهو الاجل المشروط عليه فى تزوّجه صفوراء بنت شعيب وروى عن وهب انه قال لبث موسى عند شعيب ثمانى وعشرين سنة منها عشر سنين مهر امرأته والباقى ليستكمل الوقت الذى يوحى فيه الى الانبياء بناء على انه جاء مدين وهو ابن ثنتى عشرة سنة فمكث فيه ثمانى وعشرين سنه ليبلغ سنة اربعين سنة وتقدير الآية وفتناك فتونا فخرجت هاربا الى اهل مدين فلبثت سنين فيهم ثم جئت من عندهم مستقرّا اوكائنا على قدر معين فقوله على قدر متعلق بمحذوف منصوب على انه حال من فاعل جئت ﴿قوله على قدر او على مقدار من السنّ﴾ اشارة الى ان قوله على قدر لابدّ فيه من تقدير مضاف اليه لان القدر لا يكون الا لامر من الامور اى على قدرى الذى قدّرته لان اكلمك او على مقدار سنّ فالقدر على الاوّل عبارة عن تعلق الارادة الازلية المقتضية لنظام الموجودات على ترتيب خاص بالاشياء فى اوقات حدوثها وتلك الارادة الازلية هى المسماة بالقضاء وعلى الثانى القدر بمعنى المقدار قال عليه الصلاة والسلام مابعث الله نبيا الا على رأس اربعين سنة ﴿قوله واصطفيتك لمحبتى﴾ اى اخترتك لمحبتى لتتصرف على ارادتى وتشتغل بما امرتك به من اقامة حجتى وتبليغ رسالتى وان تكون فى حركاتك وسكناتك لوجهى لا لنفسك ولا لغيرك والاصطناع افتعال من الصنع بالضم وهو مصدر قولك صنع اليه معروفا واصطناع فلان لفلان اتخاذه صنيعا محسنا اليه بتقريب منزلته وتخصيصه بالتكريم والاجلال عن القفال قال اصطنعتك اصله من قولهم اصطنع فلان فلانا اذا احسن اليه حتى يضاف اليه فيقال هذا صنيع فلان كما يقال هذا جريح فلان ﴿قوله مثله فيما خوّله﴾ اى اعطاه جواب عما يقال كيف قال لنفسى مع انه تعالى غنى عنه فلا يجوز حمل الكلام على ظاهره فلذلك حمله على الاستعارة التمثيلية حيث شبه حال موسى فيما خوّله الله تعالى من التقريب والتكليم والتكريم بحال من قرّبه الملك واستخلصه لنفسه ووجه الشبه منتزع من عدّة امور فكانت الاستعارة تمثيلية ﴿قوله ولا تنيا﴾ يعنى ان ونى ينى ونيا مثل وعد يعد وعدا بمعنى فتر يفتر فتورا والحكمة فى هذا التكليف ان من ذكر جلال الله تعالى وعظمته استحقر غيره فلا يخاف احدا غيره ويتقوّى روحه بذلك الذكر فلا يضعف فى مقصود ﴿قوله وقيل فى تبليغ ذكرى﴾ على ان يكون المراد بالذكر تبليغ الرسالة فان الذكر يقع فى كل العبادات وتبليغ الرسالة من اعظمها قدرا فكان جديرا بان يطلق عليه اسم الذكر روى انه تعالى لما نادى موسى عليه الصلاة والسلام بالواد المقدّس واعطاه سؤله وارسله الى فرعون انطلق من ذلك الموضع الى فرعون وشيعته الملائكة يصافحونه وخلف اهله فى الموضع الذى تركهم فيه فلم يزالوا مقيمين به حتى مرّ بهم راع من اهل مدين فعرفهم فحملهم الى شعيب فمكثوا عنده حتى بلغهم خبر موسى بعدما جاوز بنى اسرآئيل البحر وغرق فرعون وقومه فبعث بهم شعيب الى موسى بمصر ولما انطلق موسى من الطور الى جانب مصر كان لا علم له بالطريق وليس له زاد ولا حمولة ولا صحبه شئ الا العصا يظل صائما ويبيت طاويا يصيب من ثمار الارض ومن الصيد شيأ قليلا حتى ورد ارض مصر الى تمام الامر ﴿قوله قيل اوحى الى هرون﴾ جواب عما يقال كيف اجتمع مع هرون حتى يخاطبا بقوله اذهبا الى فرعون روى انه تعالى اوحى الى هرون انه قد استنبأ موسى وارسله الى فرعون وقومه وانه جعلك وزيرا وشريكا له فى رسالته فاذا كان يوم السبت لغرة ذى الحجة فاخرج قبل طلوع الشمس الى شط النيل فانها الساعة التى تلتقى انت واخوك فيها فأقبل موسى فى ذلك الوقت وخرج هرون من عسكر بنى اسرآئيل حتى التقيا على شط

(فلبثت سنين فى اهل مدين) لبث فيهم عشر سنين قضاء لأوفى الاجلين ومدين على ثمانى مراحل من مصر (ثم جئت على قدر) قدّرته لان اكلمك واستنبئك غير مستقدم وقته المعين ولا مستأخر او على مقدار من السنّ يوحى فيه الى الانبياء (ياموسى) كرره عقيب ماهو غاية الحكاية للتنبيه على ذلك (واصطنعتك لنفسى) واصطفيتك لمحبتى مثله فيما خوّله من الكرامة بمن قرّبه الملك واستخلصه لنفسه (اذهب انت واخوك بآياتى) بمعجزاتى (ولا تنيا) ولا تفترا ولا تقصرا وقرئ تنيا بكسر التاء (فى ذكرى) لا تنسيانى حيثما تقلبتما وقيل فى تبليغ ذكرى والدعاء الىّ (اذهبا الى فرعون انه طغى) امر به اوّلا موسى وحده وههنا اياه واخاه فلا تكرير قيل اوحى الى هرون ان يتلقى موسى وقيل سمع بمقبله فاستقبله

الشيل ﴿ قوله وقيل عداه ﴾ هو تثنية امر الحاضر من وعد يعد يعني قيل المراد بالقول اللين ان موسى اتاه ووعده على قبول الايمان شبابا لايهرم وملكا لاينزع منه الا بالموت وان تبق عليه لذة المطعم والمشرب والمنكح الى حين موته واذا مات دخل الجنة فأعجبه ذلك وكان لايقطع امرا دون هامان وكان غائبا حينئذ فلما قدم اخبره بالذي دعاه اليه موسى وقال اردت ان اقبل منه فقال له هامان كنت ارى لك عقلا ورأيا انت رب وتريد ان تكون مربوبا وانت تعبد وتريد ان تعبد فقلبه عن رأيه وحكي عن عمرو بن دينار انه قال بلغني ان فرعون عمر اربعمائة سنة وتسع سنين فقال له موسى ان اطعتني عمرت مثل ماعمرت فاذا مت دخلت الجنة ﴿ قوله على رجائكما وطمعكما ﴾ يعني لعل للترجي الا انه بالنسبة الى المرسل وهو موسى وهرون اي اذهبا وقولا مترجيين وطامعين فلاحه دون اليأس منه ويستحيل ان يكون ذلك الترجي بالنسبة الى الله تعالى اذ هو عالم بعواقب الامور ﴿ قوله فان الراجي يجتهد ﴾ علة لكون الذهاب والقول اللين مقيدين بكونهما في حال الرجاء دون اليأس يعني انهما تكلفا بالتبليغ على هذا الوجه لانه ابلغ لهما في دعائه الى الحق فان الرسل انما يبعثون لان يدعوا وهم يرجون ويطمعون ان يقبل منهم ﴿ قوله والتذكير للمتحقق ﴾ اي للمتيقن بالحق * الجوهري حققت الامر واحققته ايضا اذا تحققته وصرت منه على يقين وحققت قوله وظنه تحقيقا اي صدقت والمعنى قولا له ذلك راجيين ان يترك الاصرار على انكار الحق وتكذيبه امابان يتذكر اي يتعظ ويقبل الحق قلبا وقالبا اوبان يتوهم انه حق فيخشى بذلك من ان يصر على الانكار ويبقى مترددا ومتوقفا بين الامرين وذلك خير بالنسبة الى الانكار والاصرار عليه ﴿ قوله ان يعجل علينا بالعقوبة ولايصبر الى اتمام الدعوة واظهار المعجزة ﴾ فيتعطل المطلوب من الارسال اليه * فان قيل كيف يخاف موسى وقد آتاه الله تعالى سؤله وشرح صدره وشرح الصدر ينافي حصول الخوف * قلنا لانسلم ذلك لانه قد مر ان السؤال ان يوسع الله قلبه ليتحمل أعباء دعوة فرعون الى عبادة الله تعالى والصبر على مشاقه وتلقي مايوحى اليه على وجه لايتطرق اليه السهو والتحريف وحصول الشرح بهذا المعنى لاينافي حصول الخوف من استعجال فرعون في عقوبتهما قبل اتمام الدعوة واظهار المعجزة وان تفوت الفائدة المطلوبة من ارسالهما اليه من الزام الحجة وقطع المعذرة ونحو ذلك ﴿ قوله واطلاقه ﴾ اي عدم تقييد قوله او ان يطغى بذكر متعلقه بان يقال او ان يطغى عليك كما ذكر متعلق يفرط وهو علينا في قوله ان يفرط علينا لان تجريده عن القيد من حسن الادب والتحاشي عن النطق بالقبيح فان المعنى او ان يطغى بالتخطي الى ان يقول فيك مالا ينبغي لجرآته عليك ﴿ قوله تعالى لاتخافا ﴾ ليس المراد منه النهي عن الخوف لانه من حيث كونه امرا طبيعيا لامدخل للاختيار فيه لايدخل تحت التكليف ثبوتا وانتفاء بل المراد التسلي بوعد الحفظ والنصرة فانه ليس المراد من المعية المعية المكانية بل المراد منها مايلزمها من الحفظ والنصرة كانه قيل انني حافظكما وناصركما ﴿ قوله أسمع وارى مايجري بينكما وبينه ﴾ يعني ان قوله تعالى اسمع وأرى فعلان متعديان لم يذكر مفعولهما وليسا منزلين منزلة اللازم بل قصد تعلقهما بالمفعول الغير المذكور فوجب تقديره على حسب تعيين القرينة ان عاما فعام وان خاصا فخاص والقرينة تقتضي تقدير العام اي أسمع وارى جميع مايجري بينكما وبينه من قول وفعل الخ وذلك لان قوله تعالى اسمع وارى ذكر تأكيدا لقوله انني معكما اخبر اولا بانه حافظهما وناصرهما ثم اخبر بانه يسمع ويرى للدلالة على انه يفعل بهما مايوجب حفظهما ونصرتهما على اتم الوجوه واكملها والحفظ والنصرة انما يتمان ويكملان اذا كان الحافظ والناصر عالما بجميع ماينال من اراد حفظه وهذا يقتضي ان يقدر المفعول عاما بان يقال اسمع وارى جميع مايجري بينكما وبينه ليتم الحفظ ويكمل ويزول خوفهما بالكلية فحذف المفعول قصدا للتعميم مع الاختصار ﴿ قوله ويجوز ان لايقدر شيء ﴾ بان ينزل الفعلان منزلة اللازم ولايقصد تعلقهما بالمفعول فضلا عن عمومه وخصوصه وان يكون القصد الى شأن الحفظ والنصرة والى مايتأتيان بسببه من السمع والبصر مع قطع النظر عن تعلقهما بالمسموع والمبصر لانهما انما ذكرا تتميما لقوله انني معكما لكونهما ممايتم به الحفظ والنصرة ولامدخل في ذلك الاعتبار لتعلقهما بالمفعول والتتميم ان يؤتى في كلام لايوهم خلاف المقصود بفضلة مثل مفعول او حال اونحوهما مماليس بجملة مستقلة ولاركن كلام لنكتة وهي التفصيل في الكلام وان اوتي بها في كلام يوهم خلاف المقصود ليدفع ذلك الايهام سمي اتيانها تكميلا كقوله

❁ فسقى ديارك غير مفسدها ❁ صوب الربيع وديمة تهمي ❁

(فقولا له قولا لينا) مثل هل لك الى ان تزكى واهديك الى ربك فتخشى فانه دعوة في صورة عرض ومشورة حذرا ان يحمله الحماقة على ان يسطو عليكما اواحترا ما لما له من حق التربية عليك وقيل كنياه وكان له ثلاث كنى ابو العباس وابو الوليد وابو مرة وقيل عداه شبابا لايهرم بعده وملكا لايزول الا بالموت (لعله يتذكر او يخشى) متعلق باذهبا او قولا اي باشرا الامر على رجائكما وطمعكما انه يثمر ولايخيب سعيكما فان الراجي مجتهد والآيس متكلف والفائدة في ارسالهما والمبالغة عليهما في الاجتهاد مع علمه بانه لايؤمن الزام الحجة وقطع المعذرة واظهار ماحدث في تضاعيف ذلك من الآيات والتذكر للمتحقق والخشية للمتوهم ولذلك قدم الاول اي ان لم يتحقق صدقكما ولم يتذكر فلا اقل من ان يتوهمه فيخشى (قالا ربنا اننا نخاف ان يفرط علينا) ان يعجل علينا بالعقوبة ولايصبر الى اتمام الدعوة واظهار المعجزة من فرط اذا تقدم ومنه الفارط وفرس فرط يسبق الخيل وقرئ يفرط من افرطته اذا حملته على العجلة اي نخاف ان يحمله حامل من استكبار اوخوف على الملك او شيطان انسي او جني على المعاجلة بالعقاب ويفرط من الافراط في الاذية (او ان يطغى) ان يزداد طغيانا فيتخطى الى ان يقول فيك مالا ينبغي لجرآته وقساوته واطلاقه من حسن الادب (قال لاتخافا انني معكما) بالحفظ والنصرة (اسمع وارى) مايجري بينكما وبينه من قول وفعل فأحدث في كل حال مايصرف شره عنكما ويوجب نصرتي لكما ويجوز ان لايقدر شيء على معنى انني حافظكما سامعا مبصرا والحافظ اذا كان قادرا سميعا بصيرا تم الحفظ

(فأتياه فقولا انا رسولا ربك فارسل معنا بنى اسرائيل) اطلقهم (ولا تعذبهم) بالتكاليف الصعبة وقتل الولدان فانهم كانوا فى ايدى القبط يستخدمونهم ويتعبونهم فى العمل ويقتلون ذكور أولادهم فى عام دون عام وتعقيب الاتيان بذلك دليل على ان تخليص المؤمنين من الكفرة اهمّ من دعوتهم الى الايمان ويجوز ان يكون للتدريج فى الدعوة (قد جئناك بآية من ربك) جملة مقرّرة لما تضمنه الكلام السابق من دعوى الرسالة وانما وحد الآية وكان معه آيتان لان المراد اثبات الدعوى ببرهانها لا الاشارة الى وحدة الحجة وتعددها وكذلك قوله قد جئتكم ببينة فأت بآية او لو جئتك بشئ مبين (والسلام على من اتبع الهدى) سلام الملائكة وخزنة الجنة على المهتدين او السلامة فى الدارين لهم (انا قد اوحى الينا أن العذاب على من كذب وتولى) ان عذاب المشركين على المكذبين للرسل ولعل تغيير النظم والتصريح بالوعيد والتوكيد فيه لان التهديد فى اوّل الامر أهمّ وانجع وبالواقع أليق (قال فمن ربكما يا موسى) اى بعد ما أتياه وقالا له ما امرا به ولعله حذف لدلالة الحال عليه فان المطيع اذا امر بشئ فعله لا محالة وانما خاطب الاثنين وخص موسى بالنداء لانه الاصل وهرون وزيره وتابعه او لانه عرف ان له رتة ولاخيه فصاحة فاراد أن يفحمه ويدل عليه قوله ام انا خير من هذا الذى هو مهين ولا يكاد يبين (قال ربنا الذى اعطى كل شئ) من الانواع (خلقه) صورته وشكله الذى يطابق كماله الممكن له او اعطى خليقته كل شئ يحتاجون اليه ويرتفقون به وقدم المفعول الثانى لانه المقصود بيانه وقيل اعطى كل حيوان نظيره فى الخلق والصورة زوجا وقرئ خلقه صفة للمضاف اليه او المضاف على شذوذ فيكون المفعول الثانى محذوفا اى اعطى كل مخلوق ما يصلحه (ثم هدى) ثم عرّفه كيف يرتفق بما اعطى وكيف يتوصل به الى بقائه وكماله اختيارا او طبعا وهو جواب فى غاية البلاغة لاختصاره واعرابه عن الموجودات بأسرها على مراتبها ودلالته على ان الغنىّ القادر بالذات المنعم على الاطلاق هو الله تعالى وان جميع ما عداه مفتقر اليه منعم عليه فى حدّ ذاته وصفاته وافعاله ولذلك بهت الذى كفر وأفحم عن الدخل عليه فلم ير الا صرف الكلام عنه

اى تسيل والديمة المطر الذى يدوم يوما وليلة فان قوله غير مفسدها منصوب على انه حال من فاعل سق وهو صوب الربيع اى مطره جئ بها ليدفع ما يوهمه قوله فسقى ديارك امطار الربيع والديم من كونها مخربة للديار فان المطر قد يؤول الى خرابها وعلى هذا الوجه يكون قوله اسمع وارى حالين من المستكنّ فى قوله تعالى معكما فلذلك قال على معنى اننى حافظكما سامعا مبصرا ﴿ قوله من دعوى الرسالة ﴾ بيان للكلام السابق والمراد بما تضمنه الكلام السابق هو المجئ بالآية فان دعوى الرسالة لا تثبت الا ببينتها التى هى اظهار المعجزة وكانت دعوى الرسالة متضمنة لدعوى بينتها ﴿ قوله لان المراد اثبات الدعوى ببرهانها ﴾ يعنى ان المراد بقوله بآية جنس ما يكون برهانا لدعوى الرسالة مع قطع النظر عن وحدته وتعدده فلذلك وحدها وقوله سلام الملائكة جعل السلام بمعنى التحية من الملائكة وخزنة الجنة للمهتدين فيكون المقصود من الكلام ترغيب المخاطبين فى الاهتداء بتصديق الرسول واتباع ما جاء به من التكاليف والاحكام وبشارة المهتدين بكونهم من اهل الجنة ثم جوّز ان يكون السلام بمعنى السلامة كالرضاع والرضاعة قال بعض المفسرين قوله والسلام على من اتبع الهدى قول الله تعالى لهما كأنه قال فقولا له انا رسولا ربك وقولا له السلام على من اتبع الهدى وقال آخرون بل كلام الله تعالى تم عند قوله قد جئناك بآية من ربك وقوله بعد ذلك والسلام على من اتبع الهدى وعد من قبلهما لمن آمن وصدّق بالسلامة له من عقوبات الدنيا والآخرة فتكون الجملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب ويكون على بمعنى اللام اى والسلام لمن اتبع الهدى كما ان اللام تكون بمعنى على كما فى قوله تعالى ولهم اللعنة ولهم سوء الدار اى عليهم اللعنة وقوله ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اسأتم فلها ويكون قوله انا قد اوحى الينا استئنافا للتعليل كأنه قيل السلامة من العذاب للمهتدين لانه اوحى الينا ان العذاب على المكذبين للرسل ﴿ قوله ان عذاب المشركين على المكذبين للرسل ﴾ يعنى ان تعريف العذاب فى قوله تعالى ان العذاب للعهد والمعهود هو العذاب المختص بالمشركين وهو عذاب الخلد فى النار وما يوجد فى اكثر النسخ وهو ان عذاب المنزلين اى القبر والنار لا يليق ان ينسب الى المصنف ﴿ قوله ولعل تغيير النظم ﴾ يعنى هذه الجملة ذكرت فى مقابلة قوله والسلام على من اتبع الهدى وكان الظاهر ان تذكر على اسلوب تلك الجملة بان يقال والعذاب على من كذب وتولى بل بأن يقال وعدم السلام عليه لانه هو المقابل للسلامة لكنه صرّح بالوعيد وصدّرت الجملة بانّ وجعل مضمون الجملة مما اوحى اليهما لكون التخلية عن الرذائل فى اوّل الامر أهم بالنسبة الى التحلية بالفضائل كما ان همة من يعالج البدن مصروفة فى اوّل الامر الى تنقية البدن من فضول الاخلاط ثم الى تقويته بالاغذية الصالحة وهكذا الحال فيمن يعالج النفوس فان اللائق لشأنه الاهتمام بالتخلية اوّلا ﴿ قوله اعطى كل شئ من الانواع ﴾ على ان كل شئ مفعول اوّل لاعطى وخلقه بمعنى مخلوقه ثانيهما وضمير خلقه لكل شئ والمعنى اعطى كل شئ من انواع المخلوقات مخلوقه الذى هو صورته وشكله المطابق للكمال المودع فيه فالمراد بمخلوق كل شئ المخلوق الذى يختص بذلك الشئ ويناسبه ويليق به ويتم به الغرض الذى خلق لاجله يدل عليه اضافة الخلق الى الشئ ﴿ قوله او اعطى خليقته ﴾ على ان خلقه اوّل المفعولين وكل شئ ثانيهما قدم على الاوّل لان الغرض منوط بذكر اعطاء كل شئ فلذلك صار المفعول الثانى اهمّ فقدم على الاوّل والخليقة الخلائق يقال هم خليقة الله وهم خلق الله ايضا فالخلق ايضا بمعنى المخلوق الا ان ضمير خلقه يرجع الى الذى وهو الرب تعالى وحينئذ يجب ان يختص كل شئ بما يحتاج اليه المخلوقات وينتفعون به فان الارتفاق هو الانتفاع ﴿ قوله وقيل اعطى كل حيوان نظيره ﴾ على ان كل شئ مفعول اوّل الا انه خص بالحيوان وخلقه بمعنى مخلوقه هو الثانى وضميره لكل شئ ويراد بمخلوق كل حيوان زوجه ومعنى الاختصاص المستفاد من الاضافة كونه نظيرا له فى الخلقة ﴿ قوله وقرئ خلقه ﴾ اى بفتح اللام فعلا ماضيا وهذه الجملة يحتمل ان تكون فى محل النصب على انها صفة كل او فى محل الجر على انها صفة شئ وعلى هذه القراءة يكون المفعول الثانى محذوفا اما على وجه الاختصار اعتمادا على دلالة المقام عليه والمعنى اعطى كل شئ خلقه ما يحتاج اليه واما على وجه الاقتصار والمعنى ان كل شئ خلقه الله لم يخله من اعطائه وانعامه واقتصر الامام الواحدى فى البسيط على هذا الوجه ولم يتعرّض للاوّل كما اقتصر المصنف على الاوّل ولم يتعرّض للثانى ﴿ قوله ولذلك بهت الذى كفر ﴾ لاتفاق العقلاء على ان العاقل لا يجوز ان يعتقد فى نفسه انه خالق هذه السموات والارضين والشمس والقمر وانه خالق نفسه لانه يعلم بالضرورة عجزه عنها ويعلم بالضرورة انها كانت موجودة قبله فلذلك افحم فرعون ولم يتأت له ان يتعرّض للدليل الذى اقامه

موسى عليه الصلاة والسلام على وجود الصانع القادر على كل شئ ويدل على كون هذه القضية مسلمة معلومة بالضرورة قول موسى ربنا الذى اعطى كل شئ خلقه ثم هدى فان كلمة الذى تقتضى وصف المعرفة بجملة معلومة الانتساب اليها فلابدّ وان يكون مضمون الصلة معلوما مسلما عند فرعون الا انه كان يظهر الانكار تكبرا وزورا وبهتانا ويحتمل ان يكون جاهلا بربه بناء على كونه دهريا قائلا لا صانع سوى الدهر اصلا ويكون ادّعاؤه الربوبية لنفسه بمعنى انه يجب عليهم طاعته والانقياد له والاعراض عن طاعة غيره ثم ان موسى لما ذكر دليلا ظاهرا وبرهانا باهرا على وجود الاله العليم القادر على كل شئ وافحم فرعون عن الدخل عليه قال معترضا على موسى فما بال القرون الاولى كقوم نوح وعاد وثمود فان اكثرهم لم يقرّوا بالله وبما دعوا اليه وانما عبدوا الاوثان فلو كان ماذكرته من الدليل حقا لوجب على اهل القرون الماضية ان لا يغفلوا عنه فعارض الحجة بالتقليد وقال معترضا على موسى هكذا وهو اعتراض فاسد مبنى على التقليد المحض غير مستند الى حجة ودليل فلذلك لم يلتفت موسى الى قوله وقال علمها عند ربى ولم يتعلق غرضى باحوالهم ثم عاد الى تقوية كلامه الاوّل وابراز سائر الدلائل فقال الذى جعل لكم الارض الآية ﴿قوله علمها عند ربى﴾ جملة اسمية وقوله فى كتاب متعلق بمحذوف على انه خبر ثان اى علمها مستقرّ عند ربى مثبت فى اللوح المحفوظ اثبته فيه ليكون ما كتب فيه ظاهرا للملائكة فيكون ذلك زيادة لهم فى الاستدلال على انه تعالى عالم بكل المعلومات منزه عن السهو والغفلة * فان قيل علم الله تعالى صفة قائمة بذاته فكيف يكون مثبتا فى كتاب والصفة القائمة بالشئ لا تكون مثبتة فى غيره * فالجواب ان المراد باثباته اثبات متعلقاته التى هى الاحكام المعلومة به واشار المصنف الى جوابه بقوله ويجوز ان يكون تمثيلا اى يجوز ان لا يكون المعنى ان علمها مثبت فى الكتاب حقيقة بل يكون قوله انه مثبت فى الكتاب استعارة تمثيلية شبه تمكن بال القرون الماضية فى علمه ببقاء المكتوب فى الكتاب فكأنه قيل ان بالها فى استقرار علمه عند الله بحيث لا يزول شئ منها عن علمه تعالى كالشئ الذى استحفظه العالم وقيده بالكتبة فيكون المقصود بقوله فى كتاب تأكيد قوله علمها عند ربى ﴿قوله ويؤيده لا يضل ربى ولا ينسى﴾ فان الظاهر انه استئناف لا محل له من الاعراب جيئ به تعليلا لما سبق من استقرار حال القرون الاولى عنده تعالى استقرار الشئ المكتوب فى الكتاب ووجه التعليل انه عليه الصلاة والسلام لم يذكر مفعول لا يضل ولا ينسى ليعم الاشياء كلها فلما كان تعالى بحيث لا يضل ولا يخطئ شيأ من الاشياء بحيث لا يهتدى اليه بل كانت بأسرها حاضرة عنده بذواتها لا يغيب عنه شئ منها وما علم من ذلك لا ينساه ابدا ثبت بذلك ان علم احوال القرون الاولى مستقرّ عنده كأنه فى كتاب فيكون انتظام الكلام هكذا ان فرعون طلب بقوله فما بال القرون الاولى تفصيل ماسبق من قوله والسلام على من اتبع الهدى وان العذاب على من كذب وتولى فأجابه موسى بقوله علمها عند ربى وانها مع ذلك مثبتة فى اللوح المحفوظ ايضا لحكمة لا يعلمها الا هو او بقوله علمها عند ربى كأنها فى كتاب ثم علل احاطة علمه تعالى بها بقوله لا يضل ربى اى لا يخطئ ربى شيأ من الاشياء بمعنى انه عالم بكل المعلومات وما علم منها لم ينسه ابدا بل يبق ذلك العلم ابد الآباد وهذا على تقدير كون قوله لا يضل ربى ولا ينسى مستأنفا لا محل له من الاعراب ويحتمل ان يكون فى محل الجرّ على انه صفة لكتاب والعائد محذوف والتقدير فى كتاب لا يضله ربى بحيث لا يهتدى اليه اى لا يخطئ ذلك الكتاب ربى ولا ينساه اى لا ينسى مافيه يقال ضللت الشئ اضله من باب ضرب وضللت الشئ اضله من باب علم وكلاهما لغتان مشهورتان واللغة الاولى اشهر ﴿قوله ويجوز ان يكون سؤاله دخلا﴾ عطف على قوله فلم ير الا صرف الكلام عنه اى عن السؤال عن ربهما من هو الى ان يسأل عن تفصيل حال الامم الماضية فانه لما سأل عن الاله بقوله فمن ربكما وكان سبيل الجواب عنه الاستدلال على وجوده بما يدل عليه من الآثار التى لا يقدر عليها الا من كان واجب الوجود لذاته مستجمعا لجميع صفات الاجلال والاكرام منزها عن سمات الحدوث والامكان واجاب عليه الصلاة والسلام بالاستدلال عليه بهت الكافر وافحم عن الدخل على ما اقامه من الدليل وصرف الكلام الى وجه آخر على كونه مفحما غير قادر على الدخل وقيل ما بال القرون الاولى ليس مبنيا على كونه مفحما عن الدخل بل اورده على طريق الدخل على قوله عليه الصلاة والسلام ربنا الذى اعطى كل شئ خلقه ثم هدى وتقرير الدخل ظاهر من تقرير المصنف ﴿قوله اى كالمهد تمهدونها﴾ التعريف فيه للعهد الذهنى فلذلك وصف بالجملة كما فى قوله * ولقد أمرّ على اللئيم يسبنى * وصفه بها تنبيها على ان المهد وان كان بمعنى الممهود وهو المفروش المبسوط الا

(قال فما بال القرون الاولى) فما حالهم بعد
موتهم من السعادة والشقاوة (قال علمها
عندربى) اى انه غيب لا يعلمه الا الله وانما
انا عبد مثلك لا اعلم منه الا ما اخبرنى به
(فى كتاب) مثبت فى اللوح المحفوظ ويجوز
ان يكون تمثيلا لتمكنه فى علمه بما استحفظه
العالم وقيده بالكتبة ويؤيده (لا يضل ربى
ولا ينسى) والضلال ان تخطئ الشئ
فى مكانه فلم تهتد اليه والنسيان ان تذهب
عنه بحيث لا يخطر ببالك وهما محالان على
العالم بالذات ويجوز ان يكون سؤاله دخلا
على احاطة قدرة الله بالاشياء كلها وتخصيصه
ابعاضها بالصور والخواص المختلفة بان
ذلك يستدعى علمه بتفاصيل الاشياء وجزئياتها
والقرون الخالية مع كثرتهم وتمادى
مدّتهم وتباعد اطرافهم كيف احاط علمه بهم
وباجزائهم وباحوالهم فيكون معنى الجواب
ان علمه تعالى محيط بذلك كله وانه مثبت
عنده لا يضل ولا ينسى (الذى جعل لكم
الارض مهدا) مرفوع صفة لربى او خبر
لمحذوف او منصوب على المدح قرأ الكوفيون
مهدا اى كالمهد تمهدونها وهو مصدر سمى به
والباقون مهادا وهو اسم ما يمهد كالفراش
او جمع مهد

(وسلك لكم فيها سبلا) وجعل لكم فيها سبلا بين الجبال والأودية والبرارى تسلكونها من ارض الى ارض لتبلغوا منافعها (وانزل من السماء ماء) مطرا (فاخرجنا به) عدل به من لفظ الغيبة الى صيغة التكلم على الحكاية لكلام الله تعالى تنبيها على ظهور مافيه من الدلالة على كمال القدرة والحكمة وايذانا بانه مطاع تنقاد الاشياء المختلفة لمشيئته وعلى هذا نظائره كقوله الم تر ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها أمن خلق السموات والارض وانزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق (ازواجا) اصنافا سميت بذلك لازدواجها واقتران بعضها ببعض (من نبات) بيان وصفة لازواجا وكذلك (شتى) ويحتمل ان يكون صفة لنبات فانه من حيث انه مصدر فى الاصل يستوى فيه الواحد والجمع وهو جمع شتيت كريض ومرضى اى متفرقات فى الصور والاغراض والمنافع يصلح بعضها للناس وبعضها للبهائم فلذلك قال (كلوا وارعوا انعامكم) وهو حال من ضمير فأخرجنا على ارادة القول اى فاخرجنا اصناف النبات قائلين كلوا وارعوا والمعنى معدّيها لانتفاعكم بالاكل والعلف آذنين فيه (انّ فى ذلك لآيات لاولى النهى) لذوى العقول الناهية عن اتباع الباطل وارتكاب القبائح جمع نهية منها خلقناكم) فان التراب اصل خلقة اوّل ائكم واوّل موادّ ابدانكم (وفيها نعيدكم) لوت وتفكيك الاجزاء (ومنها نخرجكم رة اخرى) بتأليف اجزائكم المتفتتة ختلطة بالتراب على الصورة السابقة وردّ رواح اليها (ولقد أريناه آياتنا) بصرناه ها او عرّفناه صحتها (كلها) تأكيد لشمول انواع او لشمول الافراد على ان المراد اتنا آيات معهودة هى الآيات التسع تصة بموسى اوانه عليه السلام اراه ه وعدد عليه ما اوتى غيره من المعجزات

انه مخصوص بما بسطه العباد ليقعدوا او يناموا عليه فلذلك كان قوله جعل لكم الارض مهدا من باب التشبيه البليغ والمهد والمهاد واحد من حيث ان المراد بكل واحد منهما ما يمهد ويفرش ولافرق بينهما الا بان المهد فى الاصل مصدر بمعنى الفرش والبسط سمى به الممهود والمهاد اسم فى الاصل ويجوز ان يكون جمع مهد مثل كعب وكعاب وفرخ وفراخ **﴿قوله وجعل لكم فيها﴾** فان السلك ادخال الشئ فى الشئ فالمعنى ادخل فى الارض لاجلكم طرقا تسلكونها لتبلغوا الى مقاصدكم **﴿قوله عدل به من لفظ الغيبة﴾** يعنى ان قوله فأخرجنا به من كلام موسى لكونه معطوفا على ماقبله بالفاء وماقبله من كلام موسى عليه الصلاة والسلام فيجب ان يكون ماعطف عليه من كلامه فلما كان من كلامه كان ينبغى ان يكون جاريا على اسلوب ماقبله بأن يقال فأخرج به الا انه عدل به من لفظ الغيبة الى صيغة التكلم بناء على ان موسى سمع هذه الكلمات من الله تعالى بعينها فأدرجها فى كلامه فحكاها كما هى على طريق الاقتباس ونكتة العدول عن مقتضى الظاهر الى طريق حكاية كلام الله بعينه كون هذا العدول ادل على كمال القدرة والحكمة بالنسبة الى ان يقال فأخرج به وايضا لما كان هذا العدول مشتملا على وضع ضمير الجمع موضع المفرد كما هو عادة الملوك فى التعبير عن انفسهم وعلى وصف النبات الخارج به بالاختلاف والتشتت دل الكلام على انه ملك مطاع تنقاد المخلوقات على اختلافها وتفرّقها لارادته ولما عدل موسى الى طريق الحكاية لكلام الله تعالى حكى الله تعالى كلامه لنبيه صلى الله عليه وسلم على الوجه الذى ورد من موسى **﴿قوله وعلى هذا نظائره﴾** اى وعلى كون العدول من لفظ الغيبة الى صيغة التكلم للتنبيه والايذان المذكورين قوله تعالى فاخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها وقوله فأنبتنا به حدائق بلفظ التكلم بعد التعبير بلفظ الغيبة وان لم يكن العدول الى التكلم فيها على وجه الحكاية لكلام الله والوجه فى كون العدول الى التكلم فى مثل هذا المقام دالا على كمال القدرة والحكمة ان من اشتهر بالقدرة الفائقة والحذاقة الظاهرة اذا قال من يفعل كذا يفهم منه ان اثر القدرة الباهرة لايقدر عليه غير المتكلم والامر كذلك ههنا فان الماء واحد والارض واحدة والمخرج مختلف ألوانها فلا يكون ذلك الا بايجاد قادر مختار لايمتنع شئ من ارادته ومشيئته **﴿قوله فانه من حيث انه مصدر﴾** جواب مايقال شتى جمع شتيت فكيف يصح ان يكون صفة للنبات * وتقرير الجواب ان النبت والنبات وان سمى بكل واحد منهما النابت الا ان كل واحد منهما مصدر فى الاصل الخ **﴿قوله لذوى العقول﴾** اشارة الى ان النهى جمع نهية كغرفة وغرف وفى الصحاح النهية بالضم واحدة النهى وهى العقول لانها تنهى عن القبيح **﴿قوله واوّل موادّ ابدانكم﴾** فان بنى آدم انما يتولدون من النطفة ودم الطمث وهما يتولدان من الاغذية والغذاء اما حيوانى اونباتى والحيوان ينتهى الى النبات والنبات انما يحدث من امتزاج الماء والتراب فصح انه تعالى خلقنا منها وذلك لاينافى كوننا مخلوقين من النطفة **﴿قوله بصرناه اياها او عرّفناه صحتها﴾** يعنى يجوز ان يكون اريناه من الرؤية بمعنى الابصار وان يكون من الرؤية بمعنى المعرفة وعلى التقديرين اذا نقل الى باب الافعال يتعدى الى مفعولين لكن التزم على الوجه الثانى حذف المضاف حيث قال عرّفناه صحتها اى اوضحناله وجه الدلالة فيها ولاضرورة الى ارتكاب الحذف اذ لو قيل عرفناه آياتنا لاستقام المعنى ولايجوز ان يكون اريناه من الرؤية بمعنى العلم والا لزم حذف المفعول الثالث من باب اعلمت وهو غير جائز والآيات تتناول مايدل على الوحدانية ومايدل على النبوّة فالذى يدل على التوحيد ماذكر فى هذه السورة من قوله ربنا الذى اعطى كل شئ خلقه ثم هدى وقوله الذى جعل لكم الارض مهدا الى قوله فى سورة الشعراء قال فرعون وما رب العالمين قال رب السموات والارض ومابينهما والذى يدل على صدق مدعى النبوّة هى الآيات التسع المختصة بموسى عليه الصلاة والسلام وهى العصا واليد وفلق البحر والحجر والقمل والجراد والضفادع والدم ونتق الجبل واضاف تعالى اراءة الآيات الى نفسه مع ان المظهر لها هو موسى بناء على انه تعالى هو الذى اجراها على يده كما اضاف نفخ الروح الى نفسه حيث قال فنفخنا فيه من روحنا مع ان النفخ كان من جبريل عليه السلام **﴿قوله كلها تأكيد لشمول الانواع﴾** فان الجمع المضاف يفيد الشمول والاستغراق وكلها تأكيد لذلك الشمول والآيات انواع منها ايجاد المعدوم كايجاد الضوء من اليد ومنها اعدام الموجود كاعدام حبال السحرة ومنها تغيير الموجود كقلب العصا حية واعادتها عصا * ولما ورد ان يقال ان قوله كلها يفيد العموم والله تعالى ما اراه جميع الآيات لان من الآيات ما اظهرها على يد الانبياء الذين كانوا قبل موسى والذين كانوا بعده * اجاب عنه اوّلا بان التعريف الحاصل باضافة الآيات للعهد والمعهود الآيات التسع المختصة بموسى

عليه الصلاة والسلام فتكون كلها لشمول تلك الآيات وثانيا بانه عليه الصلاة والسلام اراه الآيات المختصة به واخبره بآيات غيره من الانبياء اجمالا وتفصيلا وما اخبر به فكأنه اراه لانه نبيّ صادق لافرق بين ما يخبر عنه وبين ما يراه عيانا وفيه بعد لان الاخبار بالشيء لايسمى ارآءة الا بمجاز بعيد الا ان تجعل الارآءة بمعنى التقريب ﴿قوله فكذب موسى وابى الايمان والطاعة﴾ حذف مفعول كل واحد من كذب وابى اختصارا لكونه معلوما بدلالة المقام عليه ﴿قوله فان الاخلاف لايلائم الزمان﴾ علة لتفسير الموعد بالمصدر يعنى ان الموعد اما زمان او مكان او مصدر والاولان باطلان فتعين الثالث اما بطلانهما فلان قوله لانخلفه صفة لموعدا فلو كان اسم زمان او مكان للزم ان تعلق الاخلاف بالزمان او المكان والاخلاف انما يتعلق بالوعد لا بالزمان والمكان يقال اخلف وعده ولا يقال اخلف زمانه او مكانه والجعل ههنا بمعنى التصيير وموعدا مفعول اول والظرف هو الثانى والجملة التى هى لانخلفه نحن ولا انت صفة لموعد ونحن تأكيد مصحح للعطف على الضمير المرفوع المستتر فى نخلفه ومكانا منصوب بفعل دل عليه المصدر كانه قيل اجعل بيننا وبينك وعدا ثم قيل عدنا مكانه ﴿قوله لا به﴾ اى لايجوز انتصاب مكانا بنفس المصدر لانه وصف قبل العمل بقوله لانخلفه والمصدر اذا وصف قبل العمل لايعمل عند الجمهور لان معمول المصدر من تتمته ولا يوصف الشيء الا بعد تمامه ﴿قوله وعلى هذا﴾ اى على تقدير ان ينتصب مكانا سوى بكونه بدلا من موعدا بان يقدر مكان مضاف الى موعدا يكون سؤال فرعون بقوله اجعل بيننا وبينك موعدا طباق جواب موسى بقوله موعدكم يوم الزينة * ولما ورد ان يقال انه ليس بمطابق لمسئول فرعون لان الموعد المذكور فى الجواب بمعنى زمان الوعد والا لما صح ان يخبر عنه بقوله يوم الزينة فقوله زمان وعدكم يوم الزينة كيف يطابق قول فرعون اجعل بيننا وبينك مكان وعد * ذكر المصنف فى وجه صحة المطابقة احتمالين الاول ان الجواب وان لم يطابق السؤال لفظا الا انه يطابقه من حيث المعنى لانه عليه الصلاة والسلام لما اجابه بتعيين زمان الوعد بانه يوم الزينة فقد اجابه بتعيين مكانه ايضا لانهم لابدّ لهم ان يجتمعوا يوم الزينة فى مكان بعينه مشتهر باجتماعهم فيه فى ذلك اليوم فالجواب بتعيين زمان الوعد بيان لمكانه ايضا كما اذا قلت لصاحبك اين اراك فقال يوم عرفة فقد اجابك بتعيين مكان الرؤية من حيث المعنى فكانه قال ترانى فى عرفات والاحتمال الثانى ان يقدر مضاف فى الجواب كما يقدر فى السؤال فكأنّ فرعون لما قال اجعل بيننا مكان موعد اجاب بقوله مكان موعدكم مكان يوم الزينة وقدر المكان فى الخبر ايضا ليصح الاخبار عن مكان الوعد بانه يوم الزينة ﴿قوله كما هو على الاول﴾ اى كان انطباق الجواب على تقدير الاول باضمار والمراد بالوجه الاول ان يراد بقوله اجعل موعدا المصدر ولا يقدر مكان مضاف بل ينتصب مكانا سوى بفعل دل عليه موعدا اى عدنا مكانا سوى فيكون مسئول فرعون على هذا الوجه ايضا مكان الوعد وايضا لجواب موسى بقوله موعدكم يوم الزينة لاينطبق على مسئوله الا باعتبار الاضمار ثم ان نظر الى قول فرعون عدنا مكانا فالطباق بان يقدر مكان موعدكم مكان يوم الزينة وان نظر الى قوله فاجعل بيننا وبينك موعدا فالطباق بان يقدر وعدكم وعد يوم الزينة وهذا اولى فليتأمل ﴿قوله وهو ظاهر فى ان المراد بهما المصدر﴾ اذ لو كان الموعد زمانا او مكانا لكان المعنى زمان وعدكم او مكانه واقع يوم الزينة فيلزم حصول الزمان او المكان فى الزمان وهو محال فتعين انه مصدر وحينئذ لابدّ من ان يقدر المضاف قبل موعدكم اذ ليس المراد ان نفس وعدكم واقع يوم الزينة لانه واقع قبل ذلك بل المراد ان انجاز موعدكم واقع يوم الزينة فيكون الجواب بالزمان والمطابقة من حيث المعنى لان المسئول عنه تعيين المكان من حيث ان قوله مكانا سوى منصوب بالفعل المدلول عليه بالمصدر ﴿قوله وهو فى النعت﴾ وفى الصحاح العدى بكسر العين الاعدآء وهو جمع لانظير له قال ابن السكيت ولم يأت فعل فى النعوت الاحرف واحد يقال هؤلاء قوم عدى وقوم عدى اى اعدآء مثل سوى وسوى بكسر العين وضمها ﴿قوله عطف على اليوم او على الزينة﴾ فعلى الاول يكون فى محل الرفع ويكون التقدير موعدكم يوم كذا وموعدكم ان يحشر الناس اى حشرهم وعلى الثانى يكون فى محل الجرّ اى موعدكم يوم الزينة ويوم ان يحشر الناس اى حشرهم وضحى منصوب على انه ظرف يحشر ﴿قوله تعالى فتولى فرعون﴾ اى اعرض عن قبول الحق وقيل ترك ما كان فيه من الشئون الا هذا الامر ويجوز ان يكون المعنى رجع عن المكان الذى وقع فيه المواعدة ﴿قوله بأن تدعوا﴾ اى تسموا آياته ومعجزاته سحرا فان من سماها سحرا فقد جعل الله تعالى ساحرا فيكون هذا افترآء على الله تعالى

(فكذب) موسى من فرط عناده (وابى) الايمان والطاعة لعتوه (قال أجئتنا لتخرجنا من ارضنا) ارض مصر (بسحرك ياموسى) هذا تعلل وتحير ودليل على انه علم كونه محقا حتى خاف منه على ملكه فان الساحر لايقدر ان يخرج ملكا مثله من ارضه (فلنأتينك بسحر مثله) مثل سحرك (فاجعل بيننا وبينك موعدا) وعدا لقوله (لانخلفه نحن ولا انت) فان الاخلاف لايلائم الزمان والمكان وانتصاب (مكانا سوى) بفعل دل عليه المصدر لا به لانه موصوف او بانه بدل من موعدا على تقدير مكان مضاف اليه وعلى هذا يكون طباق الجواب فى قوله (قال موعدكم يوم الزينة) من حيث المعنى فان يوم الزينة يدل على مكان مشتهر باجتماع الناس فيه فى ذلك اليوم او باضمار مثل مكان موعدكم مكان يوم الزينة كما هو على الاول او وعدكم وعد يوم الزينة وقرئ يوم بالنصب وهو ظاهر فى ان المراد بهما المصدر ومعنى سوى منتصفا يستوى مسافته الينا واليك وهو فى النعت كقولهم قوم عدى فى الشذوذ وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة ويعقوب بالضم وقيل فى يوم الزينة يوم عاشورآء ويوم النيروز ويوم عيد كان لهم فى كل عام وانما عينه ليظهر الحق ويزهق الباطل على رؤس الاشهاد ويشيع ذلك فى الاقطار (وان يحشر الناس ضحى) عطف على اليوم او على الزينة وقرئ على بناء الفاعل بالتاء على خطاب فرعون والياء على ان فيه ضمير اليوم او ضمير فرعون على ان الخطاب لقومه (فتولى فرعون فجمع كيده) مايكاد به يعنى السحرة وآلاتهم (ثم اتى) بالموعد (قال لهم موسى ويلكم لاتفتروا على الله كذبا) بان تدعوا آياته سحرا (فيسحتكم بعذاب)

بان يفعل السحر وانه ساحر تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا ﴿قوله فيهلككم ويستأصلكم﴾ يقال سحته الله سحتا من باب فتح وأسحته الله اسحاتا اذا اهلكه واستأصله واصل هذه المادة الدلالة على الاستقصاء والنفاد ومنه سحت الحالق الشعر اى استقصاه ولم يترك منه شيأ ويستعمل فى الاهلاك والاذهاب ﴿قوله حين سمعوا كلامه﴾ وهو قوله لاتفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى * واسرار السحرة نجواهم اخفاؤهم ما تناجوا بينهم عن فرعون قيل نجواهم ان غلبنا موسى اتبعناه وقيل هو قولهم ان كان موسى ساحرا فسنغلبه وان كان من السماء كما قال فله الامر وقيل هو قولهم ان هذان لساحران يريدان ان يخرجاكم من ارضكم والنجوى المناجاة والمكالمة سرا ﴿قوله وقيل الضمير لفرعون وقومه﴾ اى من السحرة وغيرهم وهو عطف على قوله اى تنازعت السحرة * وتلفيق الحديث ضم كلماته الى بعضها اختراعا من عند انفسهم من غير قصد الى حكاية مافى الواقع واظهاره وبناء التفعيل فيه للتكلف يقال لفقت الثوب ألفقه اذا ضممت شقة منه الى اخرى فخطتهما واحاديث ملفقة اى اكاذيب مزخرفة ﴿قوله على لغة بلحارث﴾ بفتح الباء وسكون اللام اصله بنى الحارث حذف النون للتخفيف واوصل الباء بالحارث * واعلم ان القرآء اختلفوا فى قرآءة قوله تعالى ان هذان لساحران فقرأ ابن كثير وحده ان هذان بتخفيف انّ وتشديد النون من هذانّ وحفص كذلك الا انه خفف نون هذان وقرأ ابو عمرو انّ بالتشديد وهذين بالياء وتخفيف نون هذين والباقون كذلك الا انهم قرأوا هذان بالالف فاما القرآءة الاولى وهى قرآءة ابن كثير وحفص فأصح معنى ولفظا وخطا وذلك انهما جعلا ان المخففة من الثقيلة فاهملت على ماهو الاصح لانها لاتعمل الا لمشابهة الفعل من وجوه ولما خففت زال الشبه اللفظى فلا تعمل فلا اشكال فى رفع هذان ولما اهملت كما هو الافصح من وجهيها خيف التباسها بالنافية فجئ باللام فارقة فى الخبر فهذان مبتدأ ولساحران خبره ووافقت خط المصحف فان رسم هذن بدون الالف قال ابو عبيدة رأيتها فى مصحف الامام عثمان هذن ليس فيها الف وهكذا رأيت رفع الاثنين فى ذلك المصحف باسقاط الالف واذا كتبوا النصب والجر كتبوه بالياء ولا يسقطونها وتشديد نون هذانّ من ابن كثير للفرق بين الاسماء المتمكنة وغير المتمكنة واما الكوفيون فعلى ان انّ هنا نافية بمعنى ماهذان الاساحران واللام بمعنى الا وهو خلاف مشهور وقد وافق تخريجهم هنا قرآءة بعضهم ماهذان الاساحران واما قرآءة ابى عمرو فواضحة من حيث الاعراب والمعنى اما الاعراب فهذين اسم انّ المشددة وعلامة نصبه الياء ولساحران خبرها ودخلت اللام تأكيدا واما من حيث المعنى فانهم اثبتوا لهما السحر بالحاق اداة التأكيد لكل واحد من طرفى الجملة لكن فيها اشكال من حيث الخط وذلك انه رسم هذن بدون الف ولا ياء فاثباته بالياء زيادة على خط المصحف واما قرآءة الباقين ان هذان فقد ذكر المصنف لها وجوها الاوّل ان هذان اسم ان ولساحران خبرها وعلى هذا كان الظاهر ان يقرأ هذين كقرآءة ابى عمرو الا انه قرئ بالالف على لغة بنى الحارث فانهم يجعلون الاسم المثنى كالمقصور فيثبتون ألفه فى جميع الاحوال ويقدرون اعرابه بالحركات ويقولون رأيت رجلان واشتريت ثوبان ويقلبون كل ياء ينفتح ماقبلها ألفا قال شاعرهم

❊ ان اباها وابا اباها ❊ قد بلغا فى المجد غايتاها ❊

اى غايتيها وقيل انهم يفعلون ذلك فرارا الى الالف التى هى اخف حروف المد ويقولون كسرت يداه وركبت علاه يعنى يديه وعليه والوجه الثانى ان قوله هذان ليس اسم ان بل اسمها ضمير الشأن المحذوف وقوله هذان لساحران جملة اسمية فى محل الرفع على انها خبر انّ اى انّ الشأن هذان لساحران وفيه ضعف من حيث انه يؤدّى الى دخول لام الابتدآء على خبر المبتدأ من غير ان يؤكد مضمون الجملة بان المكسورة ومثله لايقع الا فى الضرورة كقوله

❊ ام الحليس لعجوز شهربه ❊ ترضى من اللحم بعظم الرقبه ❊

والوجه الثالث أن انّ هنا ليست هى التى تنصب الاسم بل هى بمعنى نعم وهذان مبتدأ ولساحران خبره ومن ورود ان بمعنى نعم قوله

❊ بكر العواذل فى المشيـ ❊ ـب يلمننى وألومهنه ❊

❊ ويقلن شيب قد علا ❊ ك وقد كبرت فقلت انه ❊

اى فقلت نعم والهاء للسكت وروى ان اعرابيا اتى ابن الزبير يستجديه فلم يعطه شيأ فقال الاعرابى لعن الله ناقة حملتنى اليك فقال ابن الزبير انّ وراكبها اى نعم وراكبها وهذا مروىّ عن المبرّد ﴿قوله

فيهلككم ويستأصلكم وقرأ حمزة والكسائى وحفص ويعقوب بالضم من الاسحات وهو لغة نجد وتميم والسحت لغة الحجاز (وقد خاب من افترى) كما خاب فرعون فانه افترى واحتال ليبقى الملك عليه فلم ينفعه (فتنازعوا امرهم بينهم) اى تنازعت السحرة فى امر موسى حين سمعوا كلامه فقال بعضهم هذا ليس من كلام السحرة (وأسرّوا النجوى) بان موسى ان غلبنا اتبعناه اوتنازعوا واختلفوا فيما يعارضون به موسى وتشاوروا فى السرّ وقيل الضمير لفرعون وقومه وقوله (قالوا ان هذان لساحران) تفسير لاسرّوا النجوى كأنهم تشاوروا فى تلفيقه حذرا ان يغلبا فيتبعهما الناس وهذان اسم انّ على لغة بلحارث بن كعب فانهم جعلوا الالف للتثنية واعربوا المثنى تقديرا وقيل اسمها ضمير الشأن المحذوف وهذان لساحران خبرها وقيل ان بمعنى نعم ومابعدها مبتدأ وخبر

وفيهما ﴾ اى وفى الوجه الثانى و الثالث ان لام الابتدآء لاتدخل خبر المبتدأ وانما تدخل على المبتدأ لكونها موضوعة لتأكيد موصوفية المبتدأ بالخبر وتلك الموصوفية لما كانت من احوال المبتدأ وجب ان يختص مايدل عليها بالمبتدأ لان العلة الموجبة لحكم فى محل لابد ان تكون مختصة بذلك المحل فوجب ان تختص لام الابتدآء بالمبتدأ ولاتدخل على الخبر ولا يرد ان يقال هذا الدليل يستلزم ان لاتدخل اللام على الخبر فيما اذا دخلت ان على المبتدأ لان ذلك لاجل الضرورة وهى امتناع اجتماع حرفى التأكيد على المبتدأ ولا ضرورة فيما اذا لم تدخل انّ على المبتدأ ﴿ **قوله** وقيل اصله ﴾ اى قيل فى جواب ماأورد على الوجهين الآخيرين ان اللام ليست داخلة على خبر المبتدأ بل هى داخلة على المبتدأ المقدّر وتقدير الكلام على الوجه الثانى ان الشأن هذان لهما ساحران وعلى الوجه الثالث نم هذان لهما ساحران وتقدير قوله ام الحليس لعجوز ام الحليس لهى عجوز وردّ المصنف هذا الجواب بان المؤكد بلام الابتدآء لايليق به الحذف لان الحذف ينافى الغرض المطلوب من التأكيد ﴿ **قوله** بمذهبكم الذى هو افضل المذاهب ﴾ يعنى ان المثلى تأنيث الامثل وهو افضل الاشبه بالحق وان المراد بالطريقة المذهب الذى يسلكونه ويتدينون به وسموه بالطريقة المثلى والسنة الفضلى بناء على زعمهم فان كل حزب بمالديهم فرحون والزجاج جعل الآية من باب حذف المضاف اى ويذهبا بأهل طريقتكم المثلى ويجعلاهم اتباعا لانفسهما وقال الفراء الطريقة الرجال الاشراف الذين هم قدوة لغيرهم يقال هم طريقة قومهم ويقال للواحد ايضا هو طريقة قومه ومنه قوله تعالى كناطرآئق قددا اى كنا فرقا مختلفة الاهوآء * الجوهرى القدد ايضا الطريقة والفرقة من الناس اذا كان هوى كل واحد على حدة والمقصود على التقديرين ان ينفروا قومهم عن موسى وهرون بانهما يريدان ان يذهبا باشراف قومكم واكابركم وهم بنوا اسرآئيل واخذوا هذا من قول موسى عليه الصلاة والسلام ارسل معنا بنى اسرآئيل وسموا بنى اسرآئيل بذلك لانهم كانوا اكثر القوم يومئذ علما وعددا واموالا وعلى التقادير الباء فى قوله بطريقتكم للتعدية * واعلم انه تعالى لما ذكر ماأسرّوه من النجوى حكى عنهم ماأظهروه ومجموعه يدل على التنفير عن موسى ومتابعة دينه من وجوه احدها قولهم هذان لساحران وهذا طعن منهم فى معجزة موسى مبالغة فى التنفير عنه لانّ كل طبع سليم ينفر عن السحر ويستكره رؤية الساحر من حيث انّ الانسان يعلم انّ السحر تمويه وتلبيس لابقاء له ومن كان السحر مبنى امره يأبى كل احد عن اتباعه وثانيها قولهم يريدان أن يخرجاكم من ارضكم وهو يفيد نفرة عظيمة لان مفارقة المولد والمنشأ شديدة على القلوب وهذا هو الذى حكاه الله تعالى عن فرعون بقوله أجئتنا لتخرجنا من ارضنا بسحرك ياموسى فكأن السحرة تلقفوا هذه الشبهة من فرعون ثم اعادوها على قومهم وثالثها قولهم ويذهبا بطريقتكم المثلى وهذا ايضا له تأثير شديد فى تنفير القلوب فأنّ العدوّ اذا جاء واستولى على جميع مايتعزز به القوم من المذهب واشرافهم وما يرغبون فيه يكون ذلك فى نهاية المشقة على القلب ﴿ **قوله** فأزمعوه ﴾ اى فاعزموا عليه فان كل واحد من العزم والاجماع يتعدّى بعلى يقال عزمت على كذا عزما وعزما بالضم والفتح وعزيمة وعزما اذا اردت فعله وقطعت عليه الا انه حذف صلة أجمعوا فى نظم التنزيل كما حذف صلة العزم فى قوله تعالى ولاتعزموا عقدة النكاح اى على عقدة النكاح فلذلك حذفها المصنف فى قوله فأزمعوه اى اعزموه واما ان قرئ فاجمعوا بوصل الهمزة وفتح الميم من الجمع بمعنى لاتدعوا شيأ من كيدكم الاجئتم به فحينئذ لاحاجة الى اعتبار حذف الصلة فانّ جمع يتعدّى بنفسه ﴿ **قوله** مصطفين ﴾ فيكون من قبيل تسمية المحل باسم الحال ﴿ **قوله** وهو اعتراض ﴾ يعنى انّ قوله قد افلح اليوم من كلام الله تعالى جيئ به بين كلامهم ومقولهم فهو اعتراض باعتبار كونه اجنبيا وقع بين كلامهم وفيه بحث لانّ الظاهر انه من كلامهم قالوا ذلك تحريضا لقومهم على الاجماع والاتفاق على كيدهم بالجدّ والاهتمام فلا اعتراض حينئذ ﴿ **قوله** تعالى قالوا ياموسى ﴾ استئناف جيئ به لبيان ماادّى اليه تواصيهم بالاجماع على كيدهم واتيان مكان الوعد ذوى صف اى فأتوا المكان وقالوا اما ان تلقى مامعك قبلنا واما ان نلقى مامعنا قبلك وهذا التخيير مع تقديمه عليه الصلاة والسلام فى الذكر حسن ادب منهم فلاجرم رزقهم الله تعالى الايمان ببركته ثم انه عليه الصلاة والسلام قابل ادبهم بأدب فقال بل ألقوا والظاهر انه عليه الصلاة والسلام امرهم بذلك ليظهر الفرق بين السحر وبين المعجزة الآلهية كأنه قال ألقوا فسترون عاقبة سحركم وأنّ الله سيبطله وينصر رسوله ويقذف بالحق على الباطل فيدمغه ﴿ **قوله** وتغيير النظم ﴾ مجرور بالعطف على قوله بذكر الاوّل فانّ مافى شقهم من الكلام ابلغ مما فى شقه عليه الصلاة والسلام من حيث انّ زيادة اللفظ تدل على زيادة المعنى

وفيهما ان اللام لايدخل خبر المبتدأ وقيل اص
انه هذان لهما ساحران فحذف الضمير وفيه ا
المؤكد باللام لايليق به الحذف وقرأ ابو عم
انّ هذين وهو ظاهر وابن كثير وحفص
هذان على انها هى المخففة واللام هى الفار
اوالنافية واللام بمعنى الا (يريدان ان يخرجا
من ارضكم) بالاستيلاء عليها (بسحره
ويذهبا بطريقتكم المثلى) بمذهبكم الذى ه
افضل المذاهب باظهار مذهبه واعلاء د
لقوله انى اخاف ان يبدل دينكم وقيل اراد
اهل طريقتكم وهم بنوا اسرآئيل فانهم كا
ارباب علم فيما بينهم لقول موسى ارسل معنا
اسرآئيل وقيل الطريقة اسم لوجوه القو
واشرافهم من حيث انهم قدوة لغير
(فأجمعوا كيدكم) فأزمعوه واجعلوه مج
عليه لايتخلف عنه واحد منكم وقرأ ابو عم
فاجمعوا ويعضده قوله فجمع كيده والض
فى قالوا ان كان للسحرة فهو قول بعضهم لبعض
(ثم ائتوا صفا) مصطفين لانه أهيب فى صد
الرآئين قيل كانوا سبعين ألفا مع كل منهم حب
وعصا وأقبلوا عليه اقبالة واحدة (وقد ا
اليوم من استعلى) فاز بالمطلوب من غلب و
اعتراض (قالوا ياموسى اما ان تلقى واما
نكون اوّل من ألقى) اى بعد ما اتوا مراعاة للاد
وأن بما بعده منصوب بفعل مضمر او مرفو
بخبر محذوف اى اختر القاءك اوّلا او القاءنا
الامر القاؤك او القاؤنا (قال بل ألقوا) مقا
أدب بأدب وعدم مبالاة بسحرهم واسعافا
ما او هموا من الميل الى البدء بذكر الاو
فى شقهم وتغيير النظم الى وجه ابلغ

ولان يبرزوا امامهم ويستنفدوا اقصى وسعهم ثم يظهر الله سلطانه فيقذف بالحق على الباطل فيدمغه (فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى) اى فألقوا فاذا حبالهم وهى للفاجأة والتحقيق انها ظرفية تستدعى متعلقا ينصبها وجملة تضاف اليها لكنها خصت بان يكون المتعلق فعل المفاجأة والجملة ابتدآئية والمعنى فألقوا ففاجأ موسى وقت تخيل سعى حبالهم وعصيهم من سحرهم وذلك بانهم لطخوها بالزئبق فلما ضربت عليها الشمس اضطربت فخيل اليه انها تتحرك وقرأ ابن عامر وروح تخيل بالتاء على اسناده الى ضمير الحبال والعصى وابدال انها تسعى منه بدل الاشتمال وقرئ يخيل على اسناده الى الله وتخيل بمعنى تتخيل (فأوجس فى نفسه خيفة موسى) فأضمر فيها خوفا من مفاجأته على ماهو مقتضى الجبلة البشرية او من ان يخالج الناس شك فلا يتبعوه (قلنا لاتخف) ماتوهمت (انك انت الاعلى) تعليل للنهى وتقرير لغلبته مؤكدا بالاستئناف وحرف التحقيق وتكرير الضمير وتعريف الخبر ولفظ العلو الدال على الغلبة الظاهرة وصيغة التفضيل (وألق مافى يمينك) ابهمه ولم يقل عصاك تحقيرا لها اى لاتبال بكثرة حبالهم وعصيهم وألق العويدة التى فى يدك او تعظيما لها اى لاتحتفل بكثرة هذه الاجرام وعظمها فان فى يمينك ماهو اعظم منها اثرا فألقه (تلقف ماصنعوا) تبتلعه بقدرة الله تعالى واصله تتلقف فحذف احدى التاءين وتاء المضارعة يحتمل التأنيث والخطاب على اسناد الفعل الى السبب وقرأ ابن عامر بالرفع على الحال او الاستئناف وحفص بالجزم والتخفيف على انه من لقفته بمعنى تلقفته (ان ماصنعوا) ان الذى زوّروا وافتعلوا (كيد ساحر) وقرئ بالنصب على ان ما كافة وهو مفعول صنعوا وقرأ حمزة والكسائى سحر بمعنى ذى سحر او بتسمية الساحر سحرا على المبالغة او باضافة الكيد الى السحر للبيان كقولهم علم فقه وانما وحد الساحر لان المراد به الجنس المطلق ولذلك قال (ولايفلح الساحر) اى هذا الجنس وتنكير الاول لتنكير المضاف كقول العجاج

يوم ترى النفوس ما اعدت * فى سعى دنيا طالما قد مدت * كأنه قيل ان ماصنعوا كيد سحرى

علل المصنف قوله عليه الصلاة والسلام بل ألقوا باربع علل والاسعاف بالحاجة قضاؤها ﴿ قوله ويستنفدوا ﴾ اى ويستفرغوا من نفد الشئ بالكسر نفادا اى فنى ﴿ قوله فيدمغه ﴾ تخييل لتشبيه الباطل بالخصم المنتصب فى مقام المجادلة يقال دمغه دمغا اذا شجه حتى بلغت الشجة الدماغ واسمها الدامغة ﴿ قوله اى فألقوا فاذا حبالهم ﴾ يعنى ان الفاء فى قوله تعالى فاذا حبالهم عطف بها عامل الظرف على جملة محذوفة دل عليها سوق الكلام فهى فاء فصيحة وقوله فألقوا معطوف على قوله قال بل ألقوا ﴿ قوله والتحقيق انها ظرفية ﴾ اى ان اذا المفاجأة كاذا الظرفية ظرف بمعنى الوقت لكنها خصت باسم آخر لاختصاصها بكون عاملها فعل المفاجأة فاضافة اذا الى المفاجأة للملابسة بينها وبين المفاجأة يقال فاجأه الموت اى اخذه بغتة وفاجأه السبع اى اتاه بغتة والجملة التى يضاف اليها اذا المفاجأة ابتدآئية اى اسمية فانه لايقع بعدها الا المبتدأ والخبر فقوله حبالهم وعصيهم مبتدأ ويخيل خبره وانها تسعى مفعول يخيل اقيم مقام الفاعل اى يخيل اليه سعيها فان قرآءة الجمهور يخيل بضم الياء الاولى وفتح الثانية مبنيا للمفعول وقوله حبالهم وعصيهم يخيل لما اضيف اليه كلمة اذا صار فى حكم المفرد وهو تخيل حبالهم وعصيهم وكذا قوله انها تسعى لما كان مفعول يخيل صار فى معنى سعيها فاذا قدر فاجأ قبل كلمة اذا عاملا فيها صار التقدير فألقوا ففاجأ موسى وقت تخيل حبالهم وعصيهم سعيها الا ان المصنف قال فى تقدير المعنى فألقوا ففاجأ موسى وقت تخيل سعى حبالهم وعصيهم من سحرهم فأضاف تخيل الى مفعوله ولم يذكر فاعله واضاف السعى الى لفظ حبالهم وعصيهم بدل اضافته الى ضمير سعيها وهذا تصوير لاعراب نظم الآية والمعنى على تخييل مفاجأة موسى بالحبال والعصى مخيلة سعيها وعلق فعل المفاجأة فى تصوير المصنف بظرفه تعلقه بالمفعول به اتساعا فى التعلق مثل الاتساع فى اضافة اسم الفاعل الى الظرف فى قوله تعالى مالك يوم الدين اى انه تعالى مالك الامور كلها فى يوم الدين ﴿ قوله وقرأ ابن عامر ﴾ اى برواية ابن ذكوان تخيل بضم التاء الفوقانية على معنى تخيل الحبال والعصى وانها تسعى بدل اشتمال من المستكن فى تخيل وقرئ نخيل بنون العظمة على ان الله تعالى هو المخيل لاجل الامتحان والابتداء وتخيل بفتح التاء والياء اصله تتخيل فحذف احدى التاءين كما فى قوله تعالى تنزل الملائكة اسند الفعل الى ضمير الحبال وانث لتأنيث جماعة الحبال والعصى وقوله انها تسعى بدل اشتمال من ذلك الضمير كما فى قرآءة تخيل بضم التاء وفتح الياء ﴿ قوله مؤكدا بالاستئناف ﴾ كأنه لما قيل له لاتخف سأل كيف لااخاف والحال يقتضى استشعار الخوف فاجيب انك انت الاعلى ووجه دلالة الاستئناف على التأكيد انه يدل على الاهتمام بشأن المستأنف منه ووجه دلالة تعريف الخبر عليه ان اللام لتعريف الجنس وقد دخلت على الخبر فأفادت ان حقيقة العلو والغلبة مختصة بك لاتتعدى الى غيرك ﴿ قوله تحقيرا لها ﴾ كأنها لحقارتها لم يوضع لها اسم بل اكتفى فى التعبير عنها بلفظ اسم الجنس او النوع ووجه دلالة الابهام على التعظيم انه يدل على ان العصا بلغت فى الكمال وعظم الشأن الى الغاية التى تعجز العبارة عن بيان ماهيتها المخصوصة وانما تأتى ان يعبر عنها بشئ من عوارضها العامة ﴿ قوله تلقف ﴾ قرآءة العامة بفتح اللام وتشديد القاف وجزم الفاء على انه جواب الامر وقرآءة حفص بسكون اللام وتخفيف القاف وقرئ تلقف بالرفع اما على الحال او الاستئناف وانث الفعل فى تلقف حملا على معنى ما لان معناها العصا ويحتمل ان يكون تلقف صيغة المفرد المذكر المخاطب ويكون المستتر فيه موسى ويسند اليه التلقف باعتبار كونه سببا له بالقاء العصا ﴿ قوله على ان ما كافة ﴾ تكف وتمنع الحروف المشبهة عن العمل وتصحح دخولها على الفعل فانها مادامت عاملة لاتدخل على الفعل ويحتمل ان تكون ما مصدرية والتقدير ان صنعهم كيد ساحر وذكر لقرآءة كيد ساحر ثلاثة اوجه الاول تقدير المضاف اى كيد ذى سحر والثانى تسمية الساحر سحرا على المبالغة فانه لكثرة ملابسة السحر وتوغله فيه صار كأنه نفس السحر والثالث انه من قبيل اضافة المبهم الى مميزه نحو مائة درهم وألف دينار او اضافة الجنس الى نوعه للبيان نحو علم فقه وعلم نحو فان الكيد وهو الحيلة تكون سحرا وغيره فأضيف الى السحر للبيان فكأنه قيل كيد هو سحر ﴿ قوله وتنكير الاول ﴾ مع ان القصد فيه ايضا الى الجنس وهو يقتضى تعريفه الا انه لو عرف لصار المضاف ايضا معرفة والمقصود تنكيره لان المراد به نوع من الكيد وهو السحر فنكر ليتوسل بتنكيره الى تنكير المضاف وتنكيره لاينافى ان يراد به الجنس كما نكر دنيا فى قوله فى سعى دنيا مع ان المراد بها المعلوم المعين بتنكير السعى اذ لو عرف الدنيا لصار السعى معرفة والمراد تنكيره اذ المعنى فى سعى ما دنيوى واوله

الحمد لله الذى استقلت * باذنه السماء واطمأنت * باذنه الارض وماتعنت * اوحى لها القرار فاستقرت

(وشدها)

❁ وشدّها بالراسيات الثبت ❁ والجاعل الغيث غياث المسنت ❁ والجامع الناس ليوم الموقت ❁
❁ بعد الممات وهو محيي الموّت ❁ يوم ترى النفوس ما اعدّت ❁ من نزل اذا الامور غيت ❁
❁ فى سعي دنيا طالما قدمدّت ❁

فقوله ماتعنت اى ماتعبت الارض بالمخالفة لله تعالى بل اطاعته بحيث اوحى لها القرار يقال عنى بالكسر يعنى عناء اى تعب ونصب وعنيته اناتعنية فتعنى ويبعد ان يكون من تعنت وتصلب بمعنى قابل غيره طالبا زلته وقوله وما اعدّت اى ماجعلته عدّة وقوله من نزل بيان ماعدّت وغيت الامور اى بلغت غايتها وآخرها والمعنى اذا الامور بلغت اواخرها وقوله فى سعي دنيا ظرف غيت اوظرف طال ان كانت ما فى طالما مصدرية اى مدّت فى سعي دنيا يقول يوم القيامة ترى النفوس ما جعلته عدّة من نزل يوم القيامة * حين تبلغ الامور اوآخرها وقد مدّت * اى امهلت فى جمعها وتهيئة اسبابها ﴿قوله حيث كان واين اقبل﴾ فان الذهاب والاتيان يعبر بهما عن الكون والاقبال يقال انما ذهبت واتيت فانت كذا اى انما كنت واقبلت ﴿قوله فألقاهم ذلك﴾ اى تحقق ان ماظهره موسى عليه الصلاة والسلام ليس بسحر بل هو معجزة آلهية والاعتاب الرجوع عما كان عليه من الاساءة الى الاسترضاء والاطاعة * والروىّ آخر الحروف من فواصل الآية قيل لما ألقى موسى عصاه فاذاهى اعظم من حبالهم ثم اخذت تزداد عظما حتى ملأت الوادى ثم صعدت حتى علقت ذنبها بطرف القبة وكانت ضربت لفرعون قبة يجلس فيها وينظر اليهم وكان طول القبة سبعين ذراعا ثم هبطت فأكلت كل ماعملوا من الكيد والناس ينظرون اليها لايحسبون الا انها سحر ثم اقبلت نحو فرعون لتبتلعه فاتحة فاها ثمانين ذراعا فصاح فرعون بموسى فاخذها فاذاهى عصا كما كانت ونظر السحرة فاذاهى لم تدع من حبالهم وعصيهم شيأ الا اكلته فعرفوا بذلك انه ليس بسحر وقالوا لوكانت سحرا لبقيت الاشياء واستدلوا بتغير احوال الاجسام على وجود الصانع العالم القادر فان كل عاقل يعلم بالضرورة انه لايقدر على ايجاد الحيوان من الجماد وتعظيم جثتها جملة واحدة ثم تصغيرها وتصييرها كما كانت جملة واحدة الا الاله القادر على كل شئ واستدلوا بظهورها على يد موسى على كونه رسولا صادقا من عنده تعالى فلاجرم تابوا وآمنوا وأتوا بما هو النهاية فى الخضوع وهو السجود قال الزمخشرى ما اعجب امرهم ألقوا حبالهم للكفر والجحود ثم ألقوا رؤسهم بعدساعة للشكر والسجود ولما خاف فرعون ان يصير ذلك سببا لاقتداء سائر الناس بهم فى الايمان بالله ورسوله ألقى لهم فى الحال شبهتين الشبهة الاولى قوله لهم آمنتم له قبل ان آذن لكم يعنى انكم اعتمدتم فى الايمان به والاتباع له على اوّل خاطر خطر بالكم من غير بحث ومناظرة وامعان مرّة بعداخرى فى امره فلم يكن ايمانكم عن بصيرة والشبهة الثانية انه لكبيركم فى علم السحر فاصطلحتم على ان تظهروا العجز عن معارضته ترويجا لامره وتعظيما لشأنه ثم هدّدهم صرفا لهم عن الايمان وتنفيرا لغيرهم عن الاقتداء بهم فقال لاقطعنّ ايديكم الآية وبناء التقطيع والتصليب لتكثير المفعول ﴿قوله كأن القطع ابتدئ من مخالفة العضو العضو﴾ فان القطع لما ابتدئ من العضو الذى هو موضع الخلاف صار كأنه قد ابتدئ من نفس الخلاف لما بين الخلاف وموضعه من الملابسة ﴿قوله بالتخفيف﴾ اى تخفيف عين الفعل على انه ثلاثىّ لا بتثقيله للتكثير ﴿قوله شبه تمكن المصلوب بالجذوع﴾ اى فى الجذوع جواب عما يقال ان فعل الصلب يتعدّى الى المفعول الثانى بعلى فلم عدى ههنا بكلمة فى * وتقرير الجواب ان الكلام ههنا من قبيل الاستعارة التبعية شبه متعلق كلمة على وهو التمكن بطريق الاستعلاء بمتعلق كلمة فى وهو التمكن بطريق الظرفية ثم استعير التمكن المشبه به للتمكن المشبهة استعارة اصلية فاستعمل فى التمكن المشبه كلمة فى الموضوعة للدلالة على تمكن الظرفية الذى هو المشبه به فجرت الاستعارة اوّلا واصالة فى تمكن الظرفية وتبعية فى كلمة فى الدالة عليه ﴿قوله لقوله آمنتم له﴾ يعنى انه يدل على ان المراد من قوله اينا اشدّ نفسه الخبيثة وموسى عليه الصلاة والسلام لان معنى آمنتم له اى لاجله وبسببه لانكم خفتم على انفسكم ان يعذبكم ان لم تؤمنوا له ﴿قوله وقيل رب موسى﴾ اى قيل يريد نفسه ورب موسى فالمعنى ولتعلمنّ ايها السحرة اينا اناعلى ايمانكم برب موسى اورب موسى على تركّكم الايمان به اشدّ عذابا لكم وأدوم * فان قيل كيف يعقل من فرعون ان يهدّد السحرة ويبالغ فى وعيدهم الى هذا الحدّ ويستهزئ بموسى ويقول اينا اشدّ عذابا مع قرب عهده بمشاهدة انقلاب العصا حية ومالها من الآثار الهائلة حتى انها قصدت ابتلاع قبة فرعون واضطرّ هو الى ان استغاث بموسى من شرّ ذلك الثعبان فمع قرب عهده بذلك يبعد منه ان يتجاسر على ماذكر من التهوّر * اجيب بانه يجوز ان يكون اشتدّ الخوف فى قلبه ومع ذلك كان يظهر

(حيث اتى) حيث كان واين اقبل (فالقى السحرة سجدا) اى فألقى فتلقفت فتحقق عند السحرة انه ليس بسحر وانما هو من آيات الله ومعجزة من معجزاته فألقاهم ذلك على وجوههم سجدا لله توبة عما صنعوا واعتابا وتعظيما لما رأوا (قالوا آمنا برب هرون وموسى) قدّم هرون لكبر سنه اولروىّ الآية اولأن فرعون ربّى موسى فى صغره فلوا قتصر على موسى اوقدّم ذكره فربما توهم ان المراد فرعون وذكر هرون على الاستتباع روى انهم رأوا فى سجودهم الجنة ومنازلهم فيها (قال آمنتم له) اى لموسى واللام لتضمين الفعل معنى الاتباع (قبل ان اذن لكم) فى الايمان له (انه لكبيركم) لعظيمكم فى فنكم واعلمكم به اولأستاذكم (الذى علمكم السحر) وانتم تواطأتم على مافعلتم (فلأقطعنّ ايديكم وارجلكم من خلاف) اليد اليمنى والرجل اليسرى ومن ابتدائية كأن القطع ابتدئ من مخالفة العضو العضو وهى مع المجرور بها فى موضع النصب على الحال اى لأقطعنها مختلفات وقرئ لأقطعنّ ولأصلبنّ بالتخفيف (ولأصلبنكم فى جذوع النخل) شبه تمكن المصلوب بالجذوع بتمكن المظروف بالظرف وهو اوّل من صلب (ولتعلمنّ اينا) يريد نفسه وموسى لقوله آمنتم له واللام مع الايمان فى كتاب الله لغير الله اراد به توضيع موسى والهزؤ به فانه لم يكن من التعذيب فى شئ وقيل رب موسى الذى آمنوا به (اشد عذابا وابقى) وأدوم عذابا

(قالوا لن نؤثرك) لن نختارك (على ماجاءنا) موسى به ويجوز ان يكون الضمير فيه لما (من البينات) المعجزات الواضحات (والذى فطرنا) عطف على ماجاءنا او قسم (فاقض ماانت قاض) ماانت قاضيه اى صانعه اوحاكم به (انما تقضى هذه الحياة الدنيا) انما تصنع ماتهواه اوتحكم بماتراه فى هذه الدنيا والآخرة خير وابقى فهو كالتعليل لماقبله والتمهيد لما بعده وقرئ تقضى هذه الحياة كقولك صيم يوم الجمعة (انا آمنا بربنا ليغفرلنا خطايانا) من الكفر والمعاصى (وما اكرهتنا عليه من السحر) فى معارضة المعجزة روى انهم قالوا لفرعون ارنا موسى نائما ففعل فوجدوه تحرسه العصا فقالوا ماهذا بسحر فان الساحر اذا نام بطل سحره فأبى الا ان يعارضوه (والله خير وابقى) جزآء اوخير ثوابا وابقى عقابا (انه) ان الامر (من يأت ربه مجرما) بان يموت على كفره وعصيانه (فان له جهنم لايموت فيها) فيستريح (ولايحيى) حياة مهنأة (ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات) فى الدنيا (فاؤلئك لهم الدرجات العلى) المنازل الرفيعة (جنات عدن) بدل من الدرجات (تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها) حال والعامل فيها معنى الاشارة او الاستقرار (وذلك جزآء من تزكى) تطهر من ادناس الكفر والمعاصى والآيات الثلاث يحتمل ان تكون من كلام السحرة وان تكون ابتدآء كلام الله (ولقد اوحينا الى موسى ان أسر بعبادى) اى من مصر (فاضرب لهم طريقا) فاجعل لهم من قولهم ضرب له فى ماله سهما او فاتخذ من ضرب اللبن اذا عمله (فى البحر يبسا) يابسا مصدر وصف به يقال يبس يبسا ويبسا كسقم سقما وسقما ولذلك وصف به المؤنث فقيل شاة يبس للتى جف لبنها وقرئ يبسا وهو امامخفف منه او وصف على فعل كصعب او جمع يابس كصحب وصف به الواحد مبالغة كقوله

كأن قتود رحلى حين ضمت * حوالب غرزا ومعى جياعا

اولتعدده معنى فانه جعل لكل سبط منهم طريقا (لاتخاف دركا) حال من المأمور اى آمنا من ان يدرككم العدو او صفة ثانية والعائد محذوف وقرأ حمزة لاتخف على انه جواب الامر (ولاتخشى) استئناف اى وانت لاتخشى او عطف عليه والالف فيه للاطلاق كقوله وتظنون بالله الظنونا او حال بالواو والمعنى لاتخشى الغرق

الجلادة والوقاحة تمشية لناموسه وترويجا للامر ﴿قوله لن نختارك﴾ اى لن نختار طاعتك والايمان بك وهذا يدل على ان فرعون طلب منهم الرجوع عن الايمان والافعل بهم ما اوعدهم به فأجابوه بما يدل على حصول اليقين التام والبصيرة الكاملة فى اصول الدين وانهم لايؤثرون رضى المخلوق المستوجب معصية الخالق وعقابه الدآئم اذ مضارّ الدنيا لاتصدّ العاقل عن الثبات على مايؤدّى الى سعادة الآخرة ﴿قوله وقرئ تقضى﴾ على البناء للمفعول ورفع الحياة ووجهها ان الحياة فى القرآءة المشهورة لما انتصب على الظرفية اتسع فى الظرف باجرآئه مجرى المفعول به كقولك فى صمت يوم الجمعة صيم يوم الجمعة لماعلم السحرة انهم متى أصرّوا على الايمان اوقع بهم فرعون ما أوعدهم به قالوا اقض ماانت قاض لاعلى وجه الامر لكن اظهروا به ان ذلك الوعيد لايصدّهم عن الايمان البتة ثم بينوا ما لاجله يسهل عليهم احتمال ذلك فقالوا انما تقضى هذه الحياة الدنيا اى قضاؤك وحكمك انمايكون فى هذه الحياة الدنيا وهى فانية تزول عن قريب ومطلوبنا سعادة الآخرة وهى باقية والعقل يقتضى تحمل الضرر الفانى للتوصل الى السعادة الباقية ﴿قوله وما اكرهتنا عليه من السحر فى معارضة المعجزة﴾ يعنى انهم وان كانوا سحرة يعلمون السحر باختيارهم الا انهم كانوا مكرهين فى الحضور واظهار السحر على طريق معارضة المعجزة به لقوله وابعث فى المدآئن حاشرين يأتوك بكل سحار عليم فانه يدل على انهم حضروا وفعلوا مافعلوا بالحشر والاكراه وايضا انهم لما رأوا ان العصا تحفظه وهو نائم أبوا أن يعارضوه وقالوا ماهذا سحر فحملهم فرعون كرها على ان يعارضوه ﴿قوله حياة مهنأة﴾ اى حياة تعدّ نعمة فيهنأ بها ﴿قوله قد عمل الصالحات﴾ يدل على ان الجزآء الموعود انمايكون ان كان اتيا بكل الصالحات وذلك غير معتبر بالاتفاق ولايمكن فينبغى ان يحمل ذلك على ادآء الواجبات ﴿قوله والآيات الثلاث﴾ وهى قوله تعالى انه من يأت ربه مجرما الى قوله تزكى يحتمل ان تكون من تمام قول السحرة ختموا كلامهم بشرح احوال المجرمين واحوال المؤمنين فى عرصة القيامة والهاء فى انه ضمير الشأن والجملة الشرطية خبرها ومجرما حال من فاعل يأت وقوله لايموت يجوز ان يكون حالا من الهاء فى له وان يكون حالا من جهنم لاشتماله على ضمير كل واحد منهما ثم ان موسى عليه الصلاة والسلام لما بالغ فى دعوة فرعون وأراه الآيات المتتابعة التى اظهرها الله تعالى على يده فلم يزد الاعتوّا وعنادا اوحى الله اليه ان أخرج بنى اسرآئيل ليلا فان السرى سير الليل والاسرآء مثله ﴿قوله فاجعل لهم﴾ يعنى ان طريقا منصوب على انه مفعول به لقوله فاضرب بناء على انه بمعنى اجعل او اتخذ والمعنى اجعل لاجل عبورهم طريقا فى البحر يبسا ليس فيه ماء ولاطين ولاندوة ﴿قوله وصف به الواحد مبالغة﴾ جعل الطريق لفرط يبسها كأشياء يابسة كما جعل المعى لفرط جوعه كجماعة جياع او لان المراد بقوله طريقا الجنس وهو فى حكم الجمع لتعدده معنى لاصيغة على ماروى ان البحر انفلق فصار فيه اثناعشر طريقا لكل سبط طريق ﴿قوله كأن قتود رحلى حين ضمت * حوالب غرزا ومعى جياعا﴾ وبعده قوله

على وحشية خذلت خلوج * وكان لهـا طلا طفل فضاعا
فكرّت تبتغيه فصادفته * على دمه ومصرعه السباعا

القتود جمع قتد على خلاف القياس والقتد خشب الرحل والحوالب عروق الضرع وهما حالبان اى عرقان مكتنفان بالسرّة وضمت بفتح الضاد اى ضربت يقال ضمه بالعصا اذا ضربه بها وحوالب مفعول ضمت وغرزا صفة حوالب بتقدير المضاف اى ضربت ذات حوالب والغرز بتقديم المهملة على المعجمة جمع غارزة وهى من النوق القليلة اللبن والغزيرة بتقديم المعجمة هى التى كثر لبنها وعلى وحشية خبر كأن وخذلت اى تأخرت قال الاصمعى اذا تخلف الظبى عن القطيع قيل خذل والخلوج من النوق التى اختلج عنها ولدها فقل لذلك لبنها والطلا الولد من ذوات الظلف والسباع منصوب بمضمر يفسره قوله صادفته شبه حالة قتود رحله حين وضعت على ناقته الموصوفة بالضمور بحالة وضعها على وحشية فقدت ولدها على طريق تشبيه الهيئة بالهيئة ﴿قوله حال من المأمور﴾ اى من فاعل اضرب اى اضرب غير خائف او صفة ثانية لطريقا والعائد محذوف اى لاتخاف فيه والدرك والدرك اسمان من ادرك اى لايدركك فرعون وجنوده ومن قرأ لاتخاف مرفوعا جعل قوله ولاتخشى باثبات الالف معطوفا عليه اى لاتخاف ادراك فرعون ولاتخشى الغرق واما من قرأ لاتخف مجزوما فانه لم يقرأ قوله ولاتخشى الا باثبات الالف فذكر المصنف فى توجيه اثباتها ثلاثة اوجه الاوّل انه كلام مستأنف منقطع عما قبله اخبر الله تعالى

به انه لايحصل له خوف و الواو ابتدآئية و الثانى انه مجزوم بالعطف على المجزوم قبله و علامة جزمه سقوط لام الفعل المعتلة وهذه الالف ليست لام الكلمة وانما هى الف اشباع اتى بها موافقة للفواصل و رؤوس الآى فهى كالالف فى قوله الرسولا و السبيلا و الظنونا و الثالث انه حال من فاعل لاتخف على حذف المبتدأ اى و انت لاتخشى الغرق وانما احتيج الى تأويل الجملة الحالية بالاسمية لان المضارع المنفى بلا كالمثبت فى عدم مباشرة الواو له ﴿قوله و المعنى فأتبعهم فرعون نفسه﴾ على ان أتبع متعدّ الى اثنين حذف ماهو الثانى فى الذكر و الباء فى قوله بجنوده للملابسة والمصاحبة و هى مع المجرور فى محل النصب على انه حال من المفعول المحذوف و قرئ فاتبعهم بتشديد التاء فيتعدّى بنفسه الى واحد و يتعدّى بالباء الى آخر و قيل الباء زآئدة فى المفعول الثانى و التقدير فأتبعهم فرعون جنوده كما فى قوله لاتأخذ بلحيتى و قوله أسرى بعبده ﴿قوله وذادهم خلفهم﴾ اى ساق جنوده خلف موسى و قومه فان الذود السوق يقال ذدت الابل اى سقتها ﴿قوله وفيه﴾ اى فى ابهام فاعل غشيهم مبالغة و تعظيم لما اصابهم وسترهم من اليمّ مع وجازة اللفظ واختصاره ومن فى قوله من اليم للتبعيض ولا ينافيه تعظيم ماغشيهم وقيل بل المعنى علاهم و سترهم من ماء البحر قدر ماغرّقهم فيكون الابهام للتحقير ﴿قوله و الفاعل هو الله او فرعون﴾ و على هذين التقديرين يكون ماغشاهم مفعولا ثانيا ﴿قوله و هو تهكم به﴾ التهكم ان يؤتى بعبارة و المقصود عكس معناها فقوله تعالى و ماهدى اى ماهدى قومه يدل على كونه مهتديا عالما بطريق الهداية الا ان هدايته لم تتعلق بقومه و فرعون مع كونه رئيس الضالين كيف يتوهم كونه مهتديا عالما بطريق الهداية فيكون مايدل على ذلك تهكما فى حقه روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال لما امر الله تعالى موسى ان يقطع بقومه البحر و كان بنو اسرآئيل استعاروا من قوم فرعون الحلىّ و الدواب لعيد يخرجون اليه فخرج بهم ليلا وهم ستمائة الف و ثلاثة آلاف و نيف ليس فيهم ابن ستين و لاعشرين وقد كان يوسف عليه الصلاة و السلام عهد اليهم عند موته ان يخرجوا بعظامه معهم من مصر فلم يعرفوا مكانها حتى دلتهم عجوز على موضع العظام فأخذوها و قال موسى عليه الصلاة و السلام للعجوز احتكمى فقالت اكون معك فى الجنة فلما خرجوا تبعهم فرعون و على مقدّمته ألف الف و خمسمائة ألف سوى الجناحين و القلب فلما انتهى موسى الى البحر قال هنا امرت فأوحى الله تعالى اليه ان اضرب بعصاك البحر فضربه فانفلق فقال لهم موسى ادخلوا فيه فقالوا كيف وهى طرق رطبة فدعا ربه فهبت الصبا فجفت فقالوا نخاف الغرق فى بعضنا فجعل بينهم كوى حتى يرى بعضهم بعضا ثم دخلوا حتى جاوزوا واقبل فرعون الى تلك الطرق فقال قومه له ان موسى قد سحر البحر فصار البحر كما ترى و كان على فرس حصان و اقبل جبريل عليه الصلاة و السلام بين يدى فرعون على فرس حجر وهى الانثى من الخيل فابصر الحصان الحجر فاقتحم بفرعون على اثرها و صاحت الملائكة فى الناس الحقوا فرعون حتى اذا دخل آخرهم و كاد اوّلهم يخرج التقى البحر عليهم فغرقوا فسمع بنوا اسرآئيل خفقة البحر عليهم فقالوا ماهذا ياموسى قال اغرق الله فرعون و قومه فرجعوا حتى ينظروا اليهم و قالوا ياموسى ادع الله حتى يخرجهم لنا فننظر اليهم فدعا فلفظهم البحر الى الساحل و اصابوا من سلاحهم و روى ان موسى عليه الصلاة و السلام لما ضرب بعصاه البحر حصل اثنا عشر طريقا يابسا و بقى الماء قائما بين كل طريقين كالطود العظيم و هو الجبل فأخذ كل سبط من بنى اسرآئيل فى طريق من هذه الطرق كما قال تعالى فصار كل فرق كالطود العظيم و منهم من قال انما حصل طريق واحدة لقوله تعالى فاضرب لهم طريقا فى البحر يبسا و يمكن حمله على الجنس و قوله الايمن منصوب على انه نعت للجانب و جانب مفعول ثان لواعدنا على حذف المضاف اى اتيان جانبه الذى هو على يمين السالك من مصر الى الشام قال المفسرون ليس للجبل يمين و لا يسار بل المراد ان طور سينا عن يمين من انطلق من مصر الى الشام و قرئ الايمن بالجرّ على الجوار نحو جحر ضب خرب او على انه نعت للطور و صف بذلك لما فيه من اليمن ﴿قوله للملابسة﴾ اى للملابسة المواعدة بهم من حيث انه تعالى وعد موسى وحده او وعده مع النقباء السبعين ان يأتوا جانب الطور الايمن فيكلم موسى و يعطيه التوراة لاجل بنى اسرآئيل و بيان دينهم و شرح شريعتهم لما انعم الله تعالى على قوم موسى بأنواع النعم ذكر لهم تلك النعم و حثهم على شكرها و قدم منها ازالة المضرّة لكون المنافع لاينتفع بها مع المضرّة فقال قد انجيناكم من عدوّكم ثم ثنى بذكر المنفعة الدينية و هو قوله و واعدناكم جانب الطور الايمن ثم ثلث بذكر المنفعة الدنيوية و هى قوله و انزلنا عليكم المنّ و السلوى ثم زجرهم عن العصيان بقوله و لاتطغوا فيه ثم بين ان من عصى ثم تاب كان مقبولا عند الله ﴿قوله لذآئذه﴾ يعنى المراد بالطيبات امامايستطيبه الطبع من لذآئذ الاطعمة كالمنّ و السلوى

(فأتبعهم فرعون بجنوده) وذلك ان موسي
خرج بهم اوّل الليل فأخبر فرعون بذلا
فقص أثرهم و المعنى فأتبعهم فرعون نفس
ومعه جنوده فحذف المفعول الثانى وقي
فأتبعهم بمعنى فاتبعهم ويؤيده القرآءة به و البا
للتعدية وقيل الباء مزيدة والمعنى فأتبعه
جنوده وذادهم خلفهم (فغشيهم من الي
ماغشيهم) الضمير لجنوده اوله ولهم وفي
مبالغة ووجازة اى غشيهم ماسمعت قصت
ولا يعرف كنهه الاالله وقرئ فغشاه
ماغشاهم اى غطاهم ماغطاهم والفاع
هو الله تعالى اوماغشاهم اوفرعون لا
الذى ورطهم للهلاك (واضل فرعو
قومه وماهدى) اى اضلهم فى الدي
وماهداهم وهو تهكم به فى قوله وما اهديك
الاسبيل الرشاد او أضلهم فى البحر وما نج
(يابنى اسرآئيل) خطاب لهم بعد انجائه
من البحر واهلاك فرعون على اضمار قل
او للذين منهم فى عهد النبى صلى الله علي
وسلم بما فعل بآبائهم (قد انجيناكم من عدوّكم
فرعون وقومه (وواعدناكم جانب الطو
الايمن) لمناجاة موسى وانزال التوراة علي
وانما عدّى المواعدة اليهم وهى لموسى اول
وللسبعين المختارين للملابسة (وانزلنا عليك
والسلوى) يعنى فى التيه (كلوا من طيبات
مارزقناكم) لذآئذه اوحلالاته وقرأ حمز
والكسائى انجيتكم وواعدتكم مارزقتك
على التاء وقرئ ووعدتكم ووعدنا
والايمن بالجرّ على الجوار مثل جحر

(ولا تطغوا فيه) فيما رزقناكم بالاخلال بشكره والتعدى لما حدالله لكم فيه كالسرف والبطر والمنع عن المستحق (فيحل عليكم غضبى) فيلزمكم عذابى ويجب لكم من حل الدين اذا وجب اداؤه (ومن يحلل عليه غضبى فقد هوى) فقد تردى وهلك وقيل وقع فى الهاوية وقرأ الكسائى يحل ويحلل بالضم من حل يحل اذا نزل (وانى لغفار لمن تاب) عن الشرك (وآمن) بما يجب الايمان به (وعمل صالحا ثم اهتدى) ثم استقام على الهدى المذكور (وما اعجلك عن قومك ياموسى) سؤال عن سبب العجلة يتضمن انكارها من حيث انها نقيصة فى نفسها انضم اليها اغفال القوم وايهام التعظم عليهم فلذلك اجاب موسى عن الامرين وقدم جواب الانكار لانه اهم (قال هم اولاء على اثرى) ماتقدمتهم الا بخطى يسيرة لايعتد بها عادة وليس بينى وبينهم الا مسافة قريبة يتقدم الرفقة بها بعضهم بعضا (وعجلت اليك رب لترضى) فان المسارعة الى امتثال امرك والوفاء بعهدك يوجب مرضاتك (قال فانا قد فتنا قومك من بعدك) ابتليناهم بعبادة العجل بعد خروجك من بينهم وهم الذين خلفهم مع هرون وكانوا ستمائة الف مانجا من عبادة العجل منهم الا اثنا عشر ألفا (واضلهم السامرى) باتخاذ العجل والدعاء الى عبادته وقرئ واضلهم اى اشدهم ضلالة لانه كان ضالا مضلا فان صح انهم اقاموا على الدين بعد ذهابه عشرين ليلة وحسبوها بأيامها اربعين وقالوا قد اكملنا العدة ثم كان امر العجل وان هذا الخطاب كان له عند مقدمه اذ ليس فى الآية مايدل عليه كان ذلك اخبارا من الله له عن المترقب بلفظ الواقع على عادته فان اصل وقوع الشئ ان يكون فى علمه ومقتضى مشيئته والسامرى منسوب الى قبيلة من بنى اسرائيل يقال لها السامرة وقيل كان علجا من كرمان وقيل من اهل باجرماء واسمه موسى بن ظفر وكان منافقا (فرجع موسى الى قومه) بعد ما استوفى الاربعين واخذ التوراة (غضبان) عليهم (اسفا) حزينا بما فعلوا (قال ياقوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا) بان يعطيكم التوراة فيها هدى ونور (أفطال عليكم العهد) اى الزمان يعنى زمان مفارقته لهم (ام اردتم ان يحل عليكم) يجب عليكم (غضب من ربكم) بعبادة ماهو مثل فى الغباوة (فأخلفتم موعدى) وعدكم اياى بالثبات على الايمان بالله والقيام على ما امرتكم به وقيل هو من اخلفت وعده اذا وجدت الخلف فيه اى فوجدتم الخلف فى وعدى لكم بالعود بعد الاربعين وهو لايناسب الترتيب على الترديد ولا على الشق الذى يليه ولا جوابهم له

او يستطيبه الشرع كالحلالات التى من جملتها المن والسلوى فانهما قد انزلهما الله تعالى عليهم ولم تمسهما ايدى الآدميين ﴿قوله فيلزمكم عذابى﴾ هذا المعنى على ان يقرأ يحل بكسر الحاء فان قرآءة العامة بكسر الحاء فى الاولى وكسر اللام الاولى فى الثانية على انهما من حل الدين اذا وجب اداؤه ومن قرأهما بالضم جعلهما من حل بمعنى نزل وقوله تعالى وما اعجلك عن قومك ياموسى يتصل بقوله وواعدناكم جانب الطور الايمن واضمر ههنا فتعجل موسى وقلنا له وما اعجلك دلت الآية على انه تعالى امره بحضور الميقات مع قوم مخصوصين فقال المفسرون هم السبعون الذين اختارهم الله تعالى من جملة بنى اسرآئيل يذهبون معه الى الطور ليأخذوا التوراة فسار بهم موسى عليه الصلاة والسلام ثم تعجل من بينهم شوقا الى مناجاة ربه وخلف السبعين وامرهم ان يتبعوه الى الجبل فالمراد بقوله النقباء السبعون وهو عليه الصلاة والسلام لم يكن ممنوعا عن التقدم عليهم وما وجد نص يدل على المنع من ذلك ولا على الاجتماع معهم فى المجئ ثم تقدمهم شوقا الى كلام ربه بناء على اجتهاده ان ذلك اقرب الى رضى الله تعالى فاخطأ فى ذلك الاجتهاد من حيث ان العجلة نقيصة فى نفسها وقد انضم اليها اغفال القوم وايهام التعظيم عليهم فاستوجب العتاب لذلك يقال اغفلت الشئ اذا تركته على ذكر منك ولما ورد ان يقال قوله وما اعجلك عن قومك سؤال عن سبب العجلة فكان المطابق فى الجواب ان يقال عجلت اليك طلبا لزيادة رضاك او شوقا الى كلامك او مسارعة الى تنجيز موعودك الذى هو اتيان الجانب الايمن من الطور ونحو ذلك والجواب بقوله هم اولاء على اثرى لايطابقه ظاهرا اشار الى الجواب عنه بقوله سؤال عن سبب العجلة يتضمن انكارها يعنى انه لما تضمن الانكار قدم العذر مما انكر عليه فابتدأ به لكون الاعتذار عنه اهم بالنسبة الى بيان السبب ﴿قوله ابتليناهم بعبادة العجل﴾ يعنى ان المراد بالفتنة المحنة التى فيها شدآئد وبلايا والمعنى ألقينا قومك الذين خلفتهم مع هرون فى محنة وفتنة بعبادة العجل وخلقنا فيهم الكفر والضلال لسوء اختيارهم وميلهم الى جانب التقليد والهوى وعدم اتباعهم الدلائل القاطعة التى اقامها صاحب المعجزات القاهرة واسند الاضلال الى السامرى لانه كان سبب ضلالهم حيث اتخذ لهم العجل ودعاهم الى عبادته وقال هذا الهكم واله موسى والا لم يملك احد اضلال احد واسند الفتن الى نفسه لانه خالق الاعيان والاعراض بأسرها والسامرى انما باشر مايؤدى الى تكون العجل من الذهب والحلى والله تعالى هو الذى جعله جسدا ملتبسا بلحم ودم ونفخ فيه الروح وجعل له خوارا فذلك وجه اضافة الفتن اليه تعالى * قرأ العامة واضلهم السامرى على انه فعل ماض مسند الى السامرى وقرئ اضلهم مرفوعا بالابتدآء وهو افعل تفضيل بمعنى اشدهم ضلالا والسامرى خبره ﴿قوله اذ ليس فى الآية مايدل عليه﴾ تعليل لعدم القطع بصحة ماذكر من الامرين الذين اولهما انهم اقاموا على الدين الذى تركهم موسى عليه الصلاة والسلام عليه حين انطلاقه الى الجبل عشرين ليلة ثم ارتدوا بعبادة العجل وثانيهما كون خطاب قد فتنا قومك متوجها اليه عند قدومه الى الطور قبل وقوع الخبر به ثم قال ان صح هذان الامران وكان خطاب قد فتنا قومك بلفظ الماضى واقعا قبل وقوع الفتن بعشرين ليلة كان وجه التوفيق بينهما انه تعالى اخبر عن الفتنة المترقبة بلفظ الموجودة الكائنة على عادته كقوله ونادى اصحاب الجنة ﴿قوله وكان منافقا﴾ اى آمن بموسى ظاهرا وكان من قوم يعبدون البقر وكان حب عبادة البقر راسخا فى نفسه والظاهر ان كلمة ام فى قوله تعالى ام اردتم متصلة معادلة لهمزة الاستفهام والمعنى أفطال عليكم زمان مفارقتى فنسيتم ما امرتكم به ووعدتم اياى من الثبات على دينى الى ان ارجع اليكم من الطور بسبب طول الزمان ام تعمدتم فعل مايكون سببا لمعصية ربكم اى لعقابه فأخلفتم لذلك موعدكم اياى فكأنه قيل انسيتم ذلك الوعد ام تعمدتم المعصية المؤدية الى غضب ربكم وقوله ام اردتم ان يحل عليكم غضب من ربكم لايمكن اجرآؤه على الظاهر لان احدا لايريد ذلك ولكن المعصية لما كانت توجب ذلك ومريد السبب مريد للمسبب بالعرض صح هذا الكلام والمصنف جعل الوعد فى قوله فأخلفتم موعدى مصدرا مضافا الى مفعوله ولم يرض باحتمال كونه مضافا الى فاعله على معنى فوجدتم الخلف فى وعدى لكم بالعود بعد الاربعين ذى القعدة بتمامه وعشر ذى الحجة ملتبسا بكتاب منزل من ربكم فيه شرح دينكم وبيان الفرآئض والاحكام بناء على ان هذا الاحتمال لايناسب ترتيب قوله فأخلفتم موعدى على ماذكره من الترديد لطالب سبب وقوعهم فى الفتنة فلو جعل المصدر مضافا الى فاعله لما كان فى الترديد لطلب سبب وقوعهم فى الفتنة وجه وايضا ذلك الاحتمال لايناسب قوله ام اردتم ان يحل عليكم غضب من ربكم فان تعمدهم المعصية لايصلح سببا لكونه عليه الصلاة والسلام مخلف وعده اياهم بالعود بعد الاربعين وايضا ذلك

(الاحتمال)

(قالوا ما اخلفنا موعدك بملكنا) بان ملكنا امرنا اذ لوخلينا وامرنا ولم يسوّل لنا السامريّ لما اخلفناه وقرأ نافع وعاصم بملكنا بالفتح وحمزة والكسائي بالضم وثلاثها فى الاصل لغات فى مصدر ملكت الشئ (ولكنا حملنا اوزارا من زينة القوم) حملنا احمالا من حليّ القبطى التى استعرناها منهم حين هممنا بالخروج من مصر باسم العرس وقيل استعاروا لعيدكان لهم ثم لم يردّوا عند الخروج مخافة ان يعلموا به وقيل هى ما ألقاه البحر على الساحل بعد اغراقهم فأخذوه ولعلهم سموها اوزارا لانها آثام فان الغنائم لم تكن تحل بعد ولانهم كانوا مستأمنين وليس للمستأمن ان يأخذ مال الحربيّ (فقذفناها) اى فى النار (فكذلك ألقى السامريّ) اى ما كان معه منها روى انهم لما حسبوا ان العدّة قد كملت قال لهم السامريّ انما اخلف موسى ميعادكم لما معكم من حليّ القوم وهو حرام عليكم فالرأى ان نحفر حفيرة ونسجر فيها نارا ونقذف كل مامعنا فيها ففعلوا وقرأ ابوعمرو وحمزة والكسائي وابوبكر وروح حملنا بالفتح والتخفيف (فأخرج لهم عجلا جسدا) من تلك الحليّ المذابة (له خوار) صوت العجل (فقالوا) يعنى السامريّ ومن افتتن به اوّل مارأوه (هذا الهكم واله موسى فنسى) اى فنسيه موسى وذهب يطلبه عند الطور اوفنسى السامريّ اى ترك ما كان عليه من اظهار الايمان (أفلا يرون) أفلا يعلمون (ان لا يرجع اليهم قولا) انه لا يرجع اليهم كلاما ولا يردّ عليهم جوابا وقرئ يرجع بالنصب وفيه ضعف لان أن الناصبة لا تقع بعد افعال اليقين (ولا يملك لهم ضرّا ولا نفعا) ولا يقدر على انفاعهم واضرارهم (ولقد قال لهم هرون من قبل) من قبل رجوع موسى اوقول السامريّ كانه اوّل ماوقع عليه بصره حين طلع من الحفرة توهم ذلك وبادر تحذيرهم (ياقوم انما فتنتم به) بالعجل (وان ربكم الرحمن) لا غير (فاتبعونى واطيعوا امرى) فى الثبات على الدين (قالوا لن نبرح عليه) على العجل وعبادته (عاكفين) مقيمين (حتى يرجع الينا موسى) وهذا الجواب يؤيد الوجه الاوّل (قال ياهرون) اى قال له موسى لما رجع (ما منعك اذ رأيتهم ضلوا) بعبادة العجل (أن لا تتبعن) ان تتبعنى فى الغضب لله والمقاتلة مع من كفر به او ان تأتى عقبي وتلحقنى ولا مزيدة كما فى قوله ما منعك ان لا تسجد (أفعصيت امرى) بالصلابة فى الدين والمحاماة عليه (قال يا ابن امّ) خص الأم استعطافا وترقيقا وقيل لانه كان اخاه من الام والجمهور على انهما كانا من اب وام (لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى) اى بشعر رأسى قبض عليهما يجرّه اليه من شدّة غيظه وفرط غضبه لله وكان عليه الصلاة والسلام احديدا خشنا متصلبا فى كل شئ فلم يتمالك حين رآهم يعبدون العجل (انى خشيت ان تقول فرّقت بين بنى اسرآئيل) لو قاتلت اوفارقت بعضهم بعض (ولم ترقب قولى) حين قلت اخلفنى فى قومى وأصلح فان الاصلاح كان فى حفظ الدهماء والمداراة بهم الى ان ترجع اليهم فتدارك الامر برأيك

الاحتمال لا يناسب جوابهم بقولهم ما اخلفنا موعدك بملكنا فانه اعتذار عن خلفهم فيما وعدوا اياه عليه الصلاة والسلام لا عن وجدانهم الخلف فى وعده لهم بالعود بعدار بعين ﴿قوله حملنا احمالا﴾ الظاهر ان المصنف اختار قرآءة من قرأ حملنا بفتح الحاء والميم الخفيفة حيث تعرّض لكون انفسهم حاملين ومستقرّين ولم يتعرّض لمن بعثهم على الاستعارة والحمل فان نافعا وابن كثير وابن عامر وحفصا قرأوا حملنا بضم الحاء وكسر الميم شديدة والباقون بفتحهما مع تخفيف الميم ونسبة الفعل الى انفسهم وعلى القرآءة الاولى نسبوا الفعل الى غيرهم فقيل ذلك الغير هو موسى عليه الصلاة والسلام حيث امرهم باستعارة الحليّ والخروج بها فكأنه ألزمهم بذلك والاوزار الاحمال والاثقال وسموا الحليّ التى استعاروها من القبط اوزارا لانها آثام من حيث انها تلبس للفخر والخيلاء والترفع على الفقرآء ولانها مادام اصحابها احياء وتصرّفوا فيها باذن اصحابها حل لهم الانتفاع بها فلما هلك اصحابها صار حكمها حكم الغنيمة ولم يحل لهم الانتفاع بالغنائم بعد فأثموا بسببها لان بنى اسرآئيل كانوا مستأمنين بالنسبة الى القبط وليس للمستأمن ان يأخذ مال الحربى اى ليس له ان يأخذه الا باذنه حتى لواخذ ماله بطريق الرباحل عند ابى حنيفة وان جرى ذلك بينه وبين مسلم اسلم هنالك كما يجوز للمسلم المستأمن اخذه من الحربى برضاه وقوله من زينة يجوز ان يتعلق بحملنا وان يتعلق بمحذوف على انه صفة لاوزارا وقوله فكذلك نعت لمصدر محذوف اى فالقى السامريّ ما كان معه من الحليّ اومن التراب الذى اخذه من حافر فرس جبريل حين عبر البحر وذلك انه رأى ماتحت حافره يخضرّ فعلم ان له شأنا فاخذ منه شيأ فجعله فى عمامته فألقاه فى الحليّ المقذوف فى النار القاء مثل القاء بنى اسرآئيل مامعهم من الحليّ المقذوف فى النار * قال الامام قولهم فى حق ذلك العجل الجسد هذا الهكم فيه اشكال لان القوم ان كانوا فى الجهالة بحيث اعتقدوا ان ذلك العجل المعمول فى تلك الساعة هو الخالق للسموات والارض فهم مجانين وليسوا مكلفين ولان مثل هذه السفاهة على مثل ذلك الجمع العظيم محال وان لم يعتقدوا ذلك فكيف قالوا هذا الهكم واله موسى واجاب بان القوم لعلهم كانوا من الحلولية الذين يجوّزون حلول الاله او حلول صفة من صفاته فى ذلك الجسم وان كان ذلك ايضا فى غاية البعد لان ظهور الخوار لا يناسب الالهية لكن لعل القوم كانوا فى نهاية البلادة كيف لا وانهم قالوا لنبيهم بعد مارأوا الآيات العظام اجعل لنا الها كما لهم آلهة قالوا ذلك والحال ان اقدامهم ماجفت من ماء البحر ﴿قوله فنسيه موسى﴾ فيكون هذا من كلام السامريّ وان كان ضمير فنسى للسامرى يكون هذا من كلام الله تعالى ويكون النسيان مجازا عن لازمه الذى هو الترك كانه تعالى اخبر عن السامرى انه ترك ما كان عليه من اظهار الايمان او انه استدلال على حدوث الاجسام وان الاله لا يحل فى شئ ولا يحل فيه شئ ثم بين ما يستدل به على ذلك بقوله أفلا يرون ان لا يرجع اليهم قولا اى استدل على انه لا يصلح ان يكون الها بأن من لا يتكلم ولا ينفع ولا يضرّ كيف يكون الها والحال ان الاله ينبغى ان يكون سامعا بدعاء عابده نافعا له دافعا عنه المضارّ مثيبا ومعاقبا كما قال تعالى حكاية عن ابراهيم عليه الصلاة والسلام لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيأ وقرأ العامة ان لا يرجع برفع يرجع على ان كلمة ان هى المخففة من الثقيلة ويدل على ذلك وقوع اصلها وهى الثقيلة فى قوله ألم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا روى عن الزجاج انه قال الاختيار الرفع بمعنى انه لا يرجع كقوله وحسبوا ان لا تكون فتنة بمعنى انه لا تكون ولا وجه لكون الرؤية ههنا بصرية لان عدم ردّه عليهم جوابا ليس مما يبصر وأن الناصبة لا تقع بعد افعال اليقين لانها تجعل الجملة فى تأويل المفرد فيلزم الاقتصار على احد المفعولين وهو غير جائز فى هذه الافعال ﴿قوله يؤيد الوجه الاوّل﴾ وهو ان يكون هرون عليه الصلاة والسلام قال لهم ذلك بعدما شاهد منهم افتتانهم بعبادة العجل قبل مجئ موسى عليه الصلاة والسلام بعد ماقال السامريّ ماقال ووجه التأييد ان جوابهم بان قالوا لن نبرح مقيمين على عبادة العجل حتى يرجع الينا موسى انما يلائم الوجه الاوّل دون الثانى ﴿قوله ان تتبعنى فى الغضب﴾ يعنى ان المراد باتباع هرون اياه اما الاتباع فى اخلاق اخيه وسيرته او اللحوق به وترك المقام بين اظهر المرتدّين * والمحاماة المخاصمة والمخالفة يقال حميت عليه بالكسر اذا غضبت * واعلم ان المصنف حمل الامر فى قول موسى عليه الصلاة والسلام لاخيه أفعصيت امرى على امره اياه بالصلابة فى الدين واظهار البغض والخصومة مع المخالفين وحمل القول فى قول هرون له ولم ترقب قولى على قول موسى له اخلفنى فى قومى واصلح لئلا يرد ما يقال قول موسى له افعصيت أمرى يدل على انه امره بشئ وان اخاه لم يمتثل امره فكيف يحسن ان يقول اخوه

(قال فما خطبك ياسامرى) اى ثم اقبل عليه وقال له منكرا ماخطبك اى ماطلبك له اوما الذى حملك عليه وهو مصدر خطب الشئ اذا طلبه (قال بصرت بما لم يبصروا به) وقرأ حمزة والكسائى بالتاء على الخطاب اى علمت بما لم تعلموه وفطنت لما لم تفطنوا له وهو أن الرسول الذى جاءك روحانى محض لايمس اثره شيأ الا احياه اورأيت مالم تروه وهو أن جبرآئيل جاءك على فرس الحياة وقيل انما عرفه لان امه ألقته حين ولدته خوفا من فرعون وكان جبرآئيل يغذوه حتى استقل (فقبضت قبضة من اثر الرسول) من تربة موطئه والقبضة المرة من القبض فاطلق على المقبوض كضرب الامير وقرئ بالصاد والاول الاخذ بجميع الكف والثانى الاخذ باطراف الاصابع ونحوهما الخضم والقضم والرسول جبرآئيل عليه الصلاة والسلام ولعله لم يسمه لانه لم يعرف انه جبرآئيل اواراد ان ينبه على الوقت وهو حين ارسل اليه ليذهب به الى الطور (فنبذتها) فى الحلى المذاب اوفى جوف العجل حتى حيى (وكذلك سوّلت لى نفسى) زينته وحسنته لى (قال فاذهب فان لك فى الحياة) عقوبة على مافعلت (ان تقول لامساس) خوفا من ان يمسك احد فتأخذك الحمى ومن مسك فتحامى الناس ويحاموك وتكون طريدا وحيدا كالوحشى النافر وقرئ لامساس كفجار وهو علم للمسة (وان لك موعدا) فى الآخر (لن تخلفه) لن يخلفكه الله وينجزه لك فى الآخرة بعد ماعاقبك فى الدنيا وقرأ ابن كثير والبصريان بكسر اللام اى لن تخلف الواعد اياه وستأتيه لامحالة فحذف المفعول الاوّل لان المقصود هو الموعد ويجوز ان يكون من اخلفت الموعد اذا وجدته خلفا وقرئ بالنون على حكاية قول الله

فى جوابه انما لم امتثل قولك خوفا من ان تقول لم ترقب قولى فهل يصدر مثله من العاقل وعلى تفسير المصنف يكون حاصل الجواب خالفت امرك اياى بالصلابة فى الدين والمقاتلة عليه خوفا من ان تقول لم ترقب قولى ولم تحفظ وصيتى حين قلت لك اخلفنى فى قومى واصلح ولامحذور فى هذا الجواب غاية مافى الباب ان هرون قيد امر موسى اياه بالصلابة فى الدين بان لاتكون تلك الصلابة مؤدية الى تفرقة الدهماء بين بنى اسرآئيل واختلال انتظامهم ﴿قوله اى ماطلبك له﴾ اى اى شئ طلبك له فهو استفهام انكار والمعنى على انكار الطلب واستقباحه وقوله بما لم يبصروا به ان قرئ بالتاء المعجمة من فوق يكون الخطاب لموسى وقومه اوله وحده على طريق التعظيم كما فى قوله تعالى ياايها النبى اذا طلقتم النساء وان قرئ بياء الغيبة يكون مسندا الى بنى اسرآئيل يقال بصر بالشئ اى علمه وابصره اى نظر اليه وقيل بصر بالشئ وابصره بمعنى علمه والعامة على ضم الصاد فى الماضى ومضارعه وقرئ بكسر الصاد فى الماضى وفتحها فى المضارع وهى لغة وقرئ كل واحد من الماضى والمضارع على بناء المفعول اى اعلمت بما لم يعلموا به وذهب عامة المفسرين الى ان المراد بالرسول جبريل عليه الصلاة والسلام وبأثره التراب الذى اخذه من حافر فرسه والتقدير من اثر حافر فرس الرسول ثم اختلفوا فى انه متى رآه فقال الاكثرون انه رآه يوم فلق البحر وقيل ان جبريل لما نزل ليذهب بموسى الى الطور ابصره السامرى من بين الناس ولعله لم يسمه جبريل اوروح القدس اونحوها من الالفاظ الدالة عليه بخصوصه بناء على انه لم يعرف انه جبريل انما عرفه بانه رسول روحانى فلاجرم يكون للتراب الذى اصابه حافر فرسه خاصة احياء مالصق به فلذلك قال فى جواب موسى قبضت قبضة من اثر فرس المرسل اليك حين حل ميقات الذهاب الى الطور والعامة على فتح القاف من قبضة وهى المرة من القبض فهى مصدر سمى به المقبوض على طريق تسمية المفعول بالمصدر وقرئ قبضة بضم القاف وهى اسم لما يقبض وقرئ فقبصت قبصة بالصاد المهملة وهو الاخذ باطراف الاصابع والاوّل بجميع الكف ونحوهما الخضم والقضم فان القضم الاكل باطراف الاسنان والخضم الاكل بجميع الفم ﴿قوله وقيل انما عرفه﴾ عطف على ماقبله من حيث المعنى فانه دل على انه انما عرفه بالامر العرضى الذى يعمه وغيره وهو انه رسول روحانى جاءه ليذهب به الى حيث امره الله تعالى روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان السامرى اختص برؤية جبريل ومعرفته من بين الناس بناء على انه رآه فى صغره بسبب ان فرعون كان قدامر بذبح اولاد بنى اسرآئيل فكانت المرأة تلد وتطرح ولدها بحيث لايشعر به آل فرعون فتأخذ الملائكة الولدان ويربونهم حتى يترعرعوا ويختلطوا بالناس فكان السامرى ممن اخذه جبريل وجعل كف نفسه فى فيه فارتضع مثل العسل واللبن ولم يزل يختلف اليه وهو يعرفه فلذلك عرفه حين رآه راكب حيزوم وقد ارسله الله تعالى اليه ليربيه لماقضى على يديه من الفتنة ﴿قوله يغذوه حتى استقل﴾ اى يربيه حتى استغنى عن تربية الغير والغذآء مايغتذى به من الطعام والشراب والموطئ موضع القدم من وطئت الشئ برجلى ﴿قوله ان تقول لامساس﴾ اى لايمس بعضنا بعضا فكان بعد ذلك يعيش فى البرية مع السباع والوحوش لايمس ولايمس وان اتفق ان يماس احدا رجلا كان اوامرأة حم الماس والممسوس فتحامى الناس وتحاموه فصار فى الناس اوحش من القاتل اللاجئ الى الحرم ومن الوحشى النافر فى البرية فان من لزمه القتل فى الحل فالتجأ الى الحرم لم يتعرض له عند ابى حنيفة الا انه لايطعم ولايسقى ولايباع حتى يضطر الى الخروج فيقتل هنالك فاذا اراد احد ان يمسه يصيح قائلا لامساس اى لاامس ولاامس خوفا من الحمى ثم قيل المراد من المماسة المنفية المس الحقيقى وقيل مايعم جميع انواع المعاملة من المكالمة والمواكلة ونحوهما قرأ العامة لامساس بكسر الميم وفتح السين الاخيرة وهو مصدر فاعل كالقتال مصدر قاتل وقرئ بفتح الميم وكسر السين وهو علم للمسة وهى المرة الواحدة من المس كالفجار علم للفجرة فان فعال على اربعة اقسام اسم كنزال وصفة للمؤنث كفساق بمعنى فاسقة وعلم للاعيان المؤنثة كقطام وعلم للمصدر كفجار وعباب واباب فانها اعلام للفجرة والعبة والابة ثم قال موسى عليه الصلاة والسلام للسامرى ان لك مع هذا النوع من عذاب الدنيا عذابا وعده الله لك فى الآخرة لن تخلفه بضم التاء وفتح اللام وهى قرآءة الجمهور اسند الفعل الى المفعول الاوّل وترك الثانى على حاله اى لن يخلفك الله الوعد وينجزه لك على شركك وفسادك وقرئ لن تخلفه بكسر اللام وذكر المصنف لها وجهين الاوّل ان لايكون الاخلاف على اصل معناه ويكون المفعول الاوّل محذوفا فكما ان الواعد يجوز ان يخلف الموعود له وعده فكذا يجوز ان يخلف الموعود له الواعد وعده بان لايجئ اليه ويتخلص منه بالهرب والفرار والثانى ان تكون همزة

(وانظر الى الهك الذى ظلت عليه عاكفا) ظلت على عبادته مقيما فحذفت اللام الاولى تخفيفا وقرئ بكسر الظاء على نقل حركة اللام اليها (لنحرقنه) اى بالنار ويؤيده قرآءة لنحرقنه او بالمبرد على انه مبالغة فى حرق اذا برد بالمبرد ويعضده قرآءة لنحرقنه (ثم لننسفنه) ثم لنذرينه رمادا او مبرودا وقرئ بضم السين (فى اليم نسفا) فلا يصادف منه شئ والمقصود من ذلك زيادة عقوبته واظهار غباوة المفتتنين به لمن له ادنى نظر (انما الهكم) المستحق لعبادتكم (الله الذى لا اله الا هو) اذ لا احد يماثله او يدانيه فى كمال العلم والقدرة (وسع كل شئ علما) وسع علمه كل ما يصح ان يعلم لا العجل الذى يصاغ ويحرق وان كان حيا فى نفسه كان مثلا فى الغباوة وقرئ وسّع فيكون انتصاب علما على المفعولية لانه وان انتصب على التمييز فى المشهورة لكنه فاعل فى المعنى فلما عدّى الفعل بالتضعيف الى المفعولين صار مفعولا (كذلك) مثل ذلك الاقتصاص يعنى اقتصاص قصة موسى (نقص عليك من انباء ما قد سبق) من اخبار الامور الماضية والامم الدارجة تبصرة لك وزيادة فى علمك وتكثيرا لمعجزاتك وتنبيها وتذكيرا للمستبصرين من امتك (وقد آتيناك من لدنا ذكرا) كتابا مشتملا على هذه الاقاصيص والاخبار حقيقا بالتفكر والاعتبار والتنكير فيه للتعظيم وقيل ذكرا جميلا وصيتا عظيما بين الناس (من اعرض عنه) عن الذكر الذى هو القرآن الجامع لوجوه السعادة والنجاة وقيل عن الله تعالى (فانه يحمل يوم القيامة وزرا) عقوبة ثقيلة فادحة على كفره وذنوبه سماها وزرا تشبيها فى ثقلها على المعاقب وصعوبة احتمالها بالحمل الذى يفدح الحامل وينقض ظهره او اثما عظيما (خالدين فيه) فى الوزر او فى حمله والجمع فيه والتوحيد فى اعرض للحمل على المعنى واللفظ (وساء لهم يوم القيامة حملا) اى بئس لهم ففيه ضمير مبهم يفسره حملا والمخصوص بالذم محذوف اى ساء حملا وزرهم واللام فى لهم للبيان كما فى هيت لك ولو جعلت ساء بمعنى احزن والضمير الذى فيه للوزر اشكل امر اللام ونصب حملا ولم يفد مزيد معنى (يوم ينفخ فى الصور) وقرأ ابو عمرو بالنون على اسناد النفخ الى الآمر به تعظيما له او للنافخ وقرئ بالياء المفتوحة على ان فيه ضمير الله او ضمير اسرافيل وان لم يجر ذكره لانه المشهور بذلك وقرئ فى الصوَر وهو جمع صورة وقد سبق بيان ذلك

اخلف للوجدان بمعنى لن تجد فيه خلفا وقرئ لن نخلفه بضم نون العظمة وكسر اللام على اسناد الفعل الى الله تعالى وحذف المفعول الاول اى لن نخلفكه فموسى انما يقول ذلك على حكاية قول الله تعالى عنه كما فى قول جبريل لأهب لك ﴿قوله ظلت على عبادته﴾ اى امضيت نهارك انت واصحابك مقيمين على عبادته يقال ظللت اعمل كذا اذا عملته بالنهار دون الليل قرأ العامة بحذف احدى اللامين للتخفيف وابقاء الظاء مفتوحة على حالها وقوله لنحرقنه جواب قسم محذوف اى والله لنحرّقنه والعامة على ضم النون وكسر الراء مشددة من حرّقه يحرّقه بالتشديد بمعنى احرقه بالنار وشدّد للكثرة والمبالغة او برده بالمبرد على ان يكون من حرق الشئ يحرقه ويحرقه بضم الراء وكسرها اذا برده بالمبرد ويؤيد الاحتمال الاوّل قرآءة لنحرقنه بضم النون وسكون الحاء وكسر الراء من الاحراق ويعضد الثانى قرآءة لنحرقنه بفتح النون وكسر الراء وضمها خفيفة اى لنبردنه ثم ان موسى عليه السلام لما فرغ من ابطال ما ذهب اليه السامرى عاد الى بيان الدين الحق فقال انما الهكم الله ﴿قوله فلما عدّى الفعل بالتضعيف الى المفعولين صار مفعولا﴾ اى صار ما هو فاعل فى المعنى مفعولا لان من شأن التعدية ان يصير الفاعل مفعولا كما اذا قلت فى خاف زيد عمرا اخوّفت زيدا عمرا بتصيير الفاعل مفعولا وعلى ما فى القرآءة المشهورة كان تمييزا من نسبة وسع الى الضمير المستتر وهو فى المعنى فاعل فصار مفعولا بنقل الفعل الى باب التفعيل ﴿قوله مثل ذلك الاقتصاص﴾ اشارة الى ان محل الكاف نصب على انه نعت للمصدر المحذوف ﴿قوله من انباء﴾ صفة للمحذوف الذى هو مفعول نقص فالتقدير نقص عليك شيأ من انباء ما قد سبق قصصا مثل اقتصاص قصة موسى فرعون اوّلا ثم مع السامرى ثانيا ﴿قوله تبصرة لك الخ﴾ بيان لفائدة ذكر الاقاصيص فى القرآن الكريم فان اشتماله على ما فيه من الاقاصيص كما هى عليه من جملة وجوه كونه معجزا الى غير ذلك من الفوآئد ﴿قوله كتابا مشتملا على هذه الاقاصيص﴾ اشارة الى ان القرآن يسمى ذكرا على طريق تسمية الذات بالمصدر للمبالغة فى اتصافها به فان القرآن العظيم كما انه معجز بنظمه الفائق معجز باشتماله على ذكر اقاصيص الاوّلين على الوجه المطابق لما ذكر فى الكتب الالهية المتقدّمة مع انه عليه السلام ما سمعها من احد ولا قرأها فى كتاب وعلى ذكر جميع ما يحتاج اليه الناس من امور دينهم ودنياهم وايضا سمى ذكرا لكونه حقيقا بالذكر والتذكر والايقاظ والتفكر والاعتبار قال تعالى وهذا ذكر مبارك وقال يا ايها الذى نزل عليه الذكر ثم نقل ان يكون المراد بالذكر الذكر الجميل والصيت العظيم وفى الصحاح الصيت الذكر الجميل الذى ينتشر فى الناس دون القبيح يقال ذهب صيته فى الناس قال تعالى وانه لذكر لك ولقومك ﴿قوله ساءها وزرا﴾ يعنى استعير لها الحمل الثقيل وينقض ظهره اى بثقله ﴿قوله والجمع فيه﴾ اى جمع ضمير خالدين وتوحيد ضمير اعرض مع انهما عبارتان عما عبر عنه بكلمة من للحمل الاوّل على معنى من والثانى على لفظه ﴿قوله اى بئس لهم﴾ يعنى ان ساء هذه هى التى بمعنى بئس لا التى بمعنى احزن ومن شرط افعال المدح والذم ان يكون فاعلها معرّفا باللام او مضافا الى المعرّف به او مضمرا مفسرا بنكرة منصوبة وان يذكر بعد ذلك المخصوص وههنا لم يذكر فاعل ساء فلا بد ان يكون مستترا فيه مميزا بقوله حملا فيكون المستتر فيه مميزا عبارة عن مميزه ولم يذكر المخصوص ايضا فوجب ان يكون محذوفا وتقديره ساء الحمل حملا وزرهم ﴿قوله اشكل امر اللام﴾ اذ لا يقال احزن لهم بل يقال احزنهم ويقال ساءه يسوءه سوأ بالفتح نقيض سرّه واشكل ايضا نصب حملا كما فى قولك احزن لهم الوزر حملا اذ لا وجه لكون حملا تمييزا للوزر وغير التمييز لا وجه له ايضا قيل يمكن ان يقال اللام للبيان كما اذا كان ساء بمعنى بئس وحملا تمييز من النسبة والمعنى احزنهم حمل الوزر وثقله ﴿قوله تعالى يوم ينفخ فى الصور﴾ بدل من يوم القيامة او بيان له او منصوب بيتخافتون او باضمار اذكر قرأ الجمهور ينفخ بضم الياء وفتح الفاء على بناء المفعول والقائم مقام الفاعل هو الجار والمجرور بعده وقرئ ننفخ بفتح نون العظمة على بناء الفاعل على طريق اسناد الفعل الى الآمر وهو البارى تعالى والعدول عن المباشر للنفخ وهو اسرافيل مجاز والنكتة فى المجاز اما تعظيم الآمر بأن لا يجرى فى ملكه الا ما يشاء ولا يحدث حادث الا بامره وتكوينه او تعظيم النافخ بانه ملك مقرب مكرم عند الله بلغ فى قربه منه تعالى ومكانته لديه الى حيث يصح ان يسند ما يصدر عنه من العمل الى ذاته تعالى قرأ الجمهور فى الصور بسكون الواو فقيل انه قرن ينفخ فيه يدعى به الناس للحشر وقيل انه جمع صورة والنفخ نفخ الروح فيه ويؤيده قرآءة من قرأ الصور بفتح الواو والاوّل اولى لقوله تعالى فاذا نقر فى الناقور والله تعالى يعرّف الناس احوال الآخرة بامثال ما شوهد فى الدنيا فان عادة الناس النفخ فى البوق عند ارادة الاجتماع فى الاسفار وفى العساكر والمراد من هذا النفخ هو النفخة الثانية

لقوله بعد ذلك ونحشر المجرمين يومئذ زرقا فانه يدل على ان النفخ فى الصور كالسبب لحشرهم فهو كقوله تعالى يوم ينفخ فى الصور فتأتون افواجا ﴿قوله اسود الكبد﴾ كأنه لشدة عداوته احرق كبده والسبال جمع سبلة وهى الشارب والصهبة حمرة يعلوها سواد وهى من الالوان المختصة بالشعر يقال للرجل اصهب وللمرأة صهباء ويقال زرقت عينه بالكسر وازرقت ازرقاقا وازراقت ازريقاقا ولكون الزرقة من العيوب بنى منها باب الافعيلال فان كان الزرق بمعنى زرق العيون يكون مجازا عن قباحة الصورة لان زرقة عيونهم مستلزمة لكون صورتهم منكرة فاطلق الملزوم واريد اللازم فكأنه قيل نحشرهم على اقبح الصورة وان كان بمعنى العمى يكون كناية لان الزرقة من لوازم العمى ﴿قوله اى فى الدنيا او فى القبر﴾ يؤيد الاول قوله تعالى قال كم لبثتم فى الارض عدد سنين قالوا لبثنا يوما او بعض يوم ويؤيد الثانى قوله ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون مالبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون وقال الذين اوتوا العلم والايمان لقد لبثتم فى كتاب الله الى يوم البعث فان اللبث المضاف الى يوم البعث هو لبثهم فى القبور لا لبثهم فى الدنيا ﴿قوله يستقصرون مدة لبثهم فيها﴾ اى فى الدنيا فانهم عالمون بمقدار عمرهم فيها لكنهم قالوا ذلك استقلالا لمدة لبثهم فيها اما لزوالها والزآئل وان طالت مدته قصير بالانتهاء والزوال واما لانهم لما قابلوا اعمارهم فى الدنيا بأعمار الآخرة وجدوها فى نهاية القلة فقال بعضهم مالبثنا فى الدنيا الا عشرة ايام فقال اعقلهم مالبثنا الا يوما واحدا اى قدر لبثنا فى الدنيا بالقياس الى لبثنا فى الآخرة كعشرة ايام بل كاليوم الواحد بل كالعدم وانما خص العشرة والواحد بالذكر لان القليل فى امثال هذه المواضع لايعبر عنه الا بالعشرة والواحد واما لانهم لما عاينوا الشدآئد وتذكروا ايام النعمة والسرور وتأسفوا عليها وصفوها بالقصر لان ايام السرور قصار قال الشاعر

﴿ تمتع بأيام السرور فانها ﴿ قصار وايام الهموم طوال ﴾

﴿قوله اشد تقالا﴾ اى استقلالا وهو تفاعل من تقال بمعنى استقل اى عد قليلا رجح الله تعالى قول من بالغ فى التقليل لابتنائه على الحكم المذكور ثم انه تعالى لما وصف امر يوم القيامة وبين عظم مانال المجرمين من الحيرة التى تخافتوا بها بمثل هذا الجنس من المقال حكى سؤال من لايؤمن بالحشر فقال ويسألونك عن الجبال روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال سأل رجل من ثقيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كيف تكون الجبال يوم القيامة فنزلت والنسف القلع ومنه نسف البعير النبت اذا اقتلعه بفيه من اصله والنسف ايضا التذرية ومنه قوله تعالى ثم لننسفنه فى اليم نسفا قال الخليل يقلعها وقال ابو عبيد يستأصلها ويطيرها كما قال وبست الجبال بسا ﴿قوله فالاولان﴾ وهما كون مقرها قاعا وصفصفا فان الاستوآء المدلول عليه بهما استوآء بحكم الاحساس بخلاف الاستوآء المدلول عليه بقوله لاترى فيها عوجا ولا امتا فانه استوآء حقيق تام لايحصل بالمراجعة الى الحس وانما يحصل برأى المهندس وعرضه على المقاييس الهندسية ولما كان العوج المنفى بقوله لاترى فيها عوجا العوج الخفى الذى لايدرك بالاحساس التحق بالمعانى فلذلك عبر عنه بالعوج بالكسر والا لكان الظاهر ان يقال عوجا بالفتح لان الارض من قبيل الاعيان ومافيها من الاعوجاج من الكيفيات المحسوسة فقوله لاترى فيها عوجا بالكسر ابلغ فى وصف الارض بالاستوآء بالنسبة الى ان يقال عوجا بالفتح وهذا التوجيه يخدشه قوله تعالى لاترى فان الظاهر منه رؤية العين وهى لاتتعلق بالعوج بالكسر وجعلها من رؤية القلب لايناسب عموم الخطاب لان كل واحد لايعلم الهندسة حتى يتأتى منه علم ذلك ﴿قوله وهو النتوء﴾ اى الارتفاع يقال فى تفسير الكعب هو العظم الناتئ ﴿قوله على اضافة اليوم﴾ ذكر لانتصاب قوله تعالى يومئذ يتبعون الداعى وجهين الاول ان يكون ظرفا ليتبعون والتقدير يوم اذ نسفت الجبال يتبعون والثانى ان يكون بدلا ثانيا من يوم القيامة فى قوله تعالى وساءلهم يوم القيامة حملا البدل الاول يوم ينفخ والثانى يومئذ وحينئذ يكون العامل فيه ساء لانه هو العامل فى المبدل منه والتقدير ساءلهم حملا يوم اذ نسفت الجبال ولم يجعل بدلا من يوم ينفخ لان البدل لايكون له بدل لانه يفضى الى ان يكون البدل مقصودا وغير مقصود معا الا ان هذا الوجه لايخلو عن بعد للفصل الكثير ولاستلزامه ان يكون يتبعون غير مرتبط بما قبله وقيل انه اوجه لمجيء قوله يومئذ لاتنفع الشفاعة بدلا ثالثا على الترقى اى ساءلهم حملا يوم اذ يتبعون الداعى * فان قلت اضافة يوم الى اذ اضافة زمان الى زمان فيلزم ان يكون للزمان زمان وانه محال * اجيب بان المراد بالزمان المضاف المسمى وبالزمان المضاف اليه الاسم كما فى شهر

(ونحشر المجرمين يومئذ) وقرئ يحشر المجرمون (زرقا) زرق العين وصفوا بذلك لان الزرقة اسوأ الوان العين وابغضها الى العرب لان الروم كانوا اعدى اعدآئهم وهم زرق العين ولذلك قالوا فى صفة العدو اسود الكبد اصهب السبال ازرق العين او عميا فان حدقة الاعمى تزراق (يتخافتون بينهم) يخفضون اصواتهم لما يملأ صدورهم من الرعب والهول والخفت خفض الصوت واخفاؤه (ان لبثتم الا عشرا) اى فى الدنيا يستقصرون مدة لبثهم فيها لزوالها او لاستطالتهم مدة الآخرة او لتأسفهم عليها لما عاينوا الشدآئد وعلموا انهم استحقوها على اضاعتها فى قضاء الاوطار واتباع الشهوات او فى القبر لقوله ويوم تقوم الساعة الى آخر الآيات (نحن اعلم بما يقولون) وهو مدة لبثهم (اذ يقول امثلهم طريقة) اعدلهم رأيا او عملا (ان لبثتم الا يوما) استرجاح لقول من يكون اشد تقالا منهم (ويسألونك عن الجبال) عن حال امرها وقد سأل عنها رجل من ثقيف (فقل ينسفها ربى نسفا) يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فيفرقها (فيذرها) فيذر مقارها او الارض واضمارها من غير ذكر لدلالة الجبال عليها كقوله ما ترك على ظهرها من دابة (قاعا) خاليا (صفصفا) مستويا كأن اجزآءها على صف واحد (لاترى فيها عوجا ولا امتا) اعوجاجا ولا نتوا ان تأملت فيها بالقياس الهندسى وثلاثتها احوال مترتبة فالاولان باعتبار الاحساس والثالث باعتبار المقياس ولذلك ذكر العوج بالكسر وهو يختص بالمعانى والامت وهو النتوء اليسير وقيل لاترى استئناف مبين للحالين (يومئذ) اى يوم اذ نسفت على اضافة اليوم الى وقت النسف ويجوز ان يكون بدلا ثانيا من يوم القيامة

(يتبعون الداعى) داعى الله الى المحشر قيل هو اسرافيل يدعو الناس قائما على صخرة بيت المقدس فيقبلون من كل اوب الى صوبه (لاعوج له) لايعوج له مدعو ولايعدل عنه (وخشعت الاصوات للرحمن) خفضت لمهابته (فلاتسمع الاهمسا) صوتا خفيا ومنه الهمس لصوت اخفاف الابل وقد فسر الهمس بخفق اقدامهم ونقلها الى المحشر (يومئذ لاتنفع الشفاعة الامن اذن له الرحمن) الاستثناء من الشفاعة اى الاشفاعة من اذن اومن اعم المفاعيل اى الا من اذن فى ان يشفع له فان الشفاعة تنفعه فمن على الاوّل مرفوع بالبدلية وعلى الثانى منصوب على المفعولية واذن يحتمل ان يكون من الاذن اومن الاذن (ورضى له قولا) اى ورضى لمكانه عند الله قوله فى الشفاعة اورضى لاجله قول الشافع فى شأنه او قوله لاجله وفى شأنه (يعلم مابين ايديهم) ماتقدمهم من الاحوال (وماخلفهم) ومابعدهم مما يستقبلونه (ولايحيطون به علما) ولايحيط علمهم بمعلوماته وقيل بذاته وقيل الضمير لاحد الموصولين او لمجموعهما فانهم لم يعلموا جميع ذلك ولاتفصيل ماعلموا منه (وعنت الوجوه للحى القيوم) ذلت وخضعت له خضوع العناة وهم الاسارى فى يد الملك القهار وظاهرها يقتضى العموم ويجوز ان يراد بها وجوه المجرمين فتكون اللام بدل الاضافة ويؤيده (وقد خاب من حمل ظلما) وهو يحتمل الحال والاستئناف لبيان مالاجله عنت وجوههم (ومن يعمل من الصالحات) بعض الطاعات (وهو مؤمن) لان الايمان شرط فى صحة الطاعات وقبول الخيرات (فلايخاف ظلما) منع ثواب مستحق بالوعد (ولاهضما) ولاكسرا منه بنقصان اوجزاء ظلم وهضم لانه لم يظلم غيره ولم يهضم حقه وقرئ فلايخف على النهى (وكذلك) عطف على كذلك نقص اى مثل ذلك الانزال اومثل انزال هذه الآيات المتضمنة للوعيد (انزلناه قرءآنا عربيا) كله على هذه الوتيرة (وصرّفنا فيه من الوعيد) مكررين فيه آيات الوعيد (لعلهم يتقون) المعاصى فتصير التقوى لهم ملكة (او يحدث لهم ذكرا) عظة واعتبارا حين يسمعونها فيثبطهم عنها ولهذه النكتة اسند التقوى اليهم والاحداث الى القرءآن (فتعالى الله) فى ذاته وصفاته عن مماثلة المخلوقين لا يماثل كلامه كلامهم كما يماثل ذاته ذاتهم (الملك) النافذ امره ونهيه الحقيق بان يرجى وعده ويخشى وعيده (الحق) فى ملكوته يستحقه لذاته او الثابت فى ذاته وصفاته (ولاتعجل بالقرءآن من قبل ان يقضى اليك وحيه) نهى عن الاستعجال فى تلقى الوحى من جبريل ومساوقته فى القرآءة حتى يتم وحيه بعد ذكر الانزال على سبيل الاستطراد

رمضان ويوم الخميس وذات يوم وذات ليلة وذات اليمين وذات الشمال والظاهر انه من اضافة العام الى الخاص كما فى شجر الاراك ﴿ قوله يدعو الناس قائما ﴾ فيقول يا ايتها العظام البالية والاوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يأمركنّ ان تجتمعن لفصل القضاء فيقبلون من كل اوب الى صوبه وصوته لايعدلون ﴿ قوله لايعوج له ﴾ اى لدعائه اى يستوون اليه من غير انحراف ﴿ قوله اومن اعم المفاعيل ﴾ اى لاتنفع الشفاعة احدا الامن اذن فى ان يشفع له فمن على هذا عبارة عن المشفوع وعلى الاوّل عن الشافع ﴿ قوله بخفق اقدامهم ﴾ اى بضربها على الارض ضربا خفيفا وكل ضرب شئ عريض خفيف ﴿ قوله اى ورضى لمكانه ﴾ على تقدير ان يكون الاستثناء من الشفاعة فلام اذن له صلة اذن ولام رضى له للتعليل وقوله اورضى لاجله على تقدير ان يكون الاستثناء من اعم المفاعيل وان تكون اللام فى رضى له متعلقة برضى وعلى الثانى تكون متعلقة بقوله قولا والمعنى الامن اذن له الرحمن فى ان يشفع له ورضى قول الشافع لاجله وفى شأنه ﴿ قوله ماتقدمهم من الاحوال ﴾ اى ماتقدم من احوال الذين يتبعون الداعى ولو فسر قوله مابين ايديهم بما يستقبلونه من الاحوال وقوله وماخلفهم بما مضى منها لكان قريبا الى الشائع ﴿ قوله ولايحيط علمهم بمعلوماته ﴾ اشارة الى ان التمييز محوّل من الفاعلية وان قوله به فيه مضاف مقدر ليكون قوله ولايحيطون به علما مقابلا لقوله يعلم مابين ايديهم وماخلفهم لانه اذا لم يقدر المضاف وقيل المعنى ولايحيطون بذاته لم يصح التقابل وقيل فى اظهار التقابل من غير تقدير المضاف فى به ان الضمير فى به رجع الى مافى ايديهم وماخلفهم بتقدير احدهما لاعلى التعيين او مجموعهما فيؤول المعنى الى ان الخلق لايحيطون بمعلوم الله علما الا بما شاء الله * والعناة جمع عانى وهو الاسير ويسمى الاسير عانيا لخضوعه وذلته لمن هو فى يده ﴿ قوله وظاهرها يقتضى العموم ﴾ وذلك لانه تعالى لما أجاب عن سؤال من قال كيف تكون الجبال يوم القيامة شرح احوال ذلك اليوم فى حق عامة الخلائق فقال اوّلا يومئذ يتبعون وقال ثانيا وخشعت الاصوات للرحمن وقال ثالثا يومئذ لاتنفع الشفاعة الامن اذن له الرحمن وقال رابعا يعلم مابين ايديهم وماخلفهم وقال خامسا وعنت الوجوه فالظاهر ان المراد ذوات المكلفين وانفسهم ذكر الوجوه واريد اصحاب الوجوه لان قوله عنت من صفات المكلفين لامن صفات الوجوه كما فى قوله وجوه يومئذ ناعمة لسعيها راضية وخص الوجوه بالذكر لان اثر الخضوع والذلة يظهر فيها ويتبين بها فالظاهر ان جملة قوله وقد خاب من حمل ظلما حال من الوجوه بحذف العائد اى من حمل ظلما منهم وان خص الوجوه بوجوه المجرمين وجعلت تلك الجملة حالا منهم يكون قوله من حمل ظلما قائما مقام العائد لكونه عبارة عنهم وقوله فلايخاف فى موضع الجزم على انه موضع جواب الشرط والتقدير فهو لايخاف والخيبة اليأس من كل خير ﴿ قوله اى مثل ذلك الانزال ﴾ المشتمل على بيان الغيوب مما كان ومايكون انزلناه يعنى الكتاب قرءآنا عربيا بلسان العرب ولغتهم وصرّفنا فيه من الوعيد من كل ماحلّ بالقرون الماضية وماسيقع بالامم المكذبة للانبياء والكتب النازلة لعلهم يتقون اى لكى يحذروا مايوجب سخط الله تعالى ﴿ قوله مكررين فيه آيات الوعيد ﴾ يدل على انه جعل قوله وصرّفنا فيه من الوعيد حالا وقيدا للانزال وهذا لان كون انزال القرءآن كله على ماذكر فيه من الآيات متضمنا للوعيد انما هو باعتبار تكثر آيات الوعيد فيه لامطلقا ولان قوله لعلهم يتقون متعلق بالانزال المقيد بالتصريف لامطلقا ولا بالتصريف كذلك فلابد من التقييد ﴿ قوله ولهذه النكتة ﴾ وهى كون المراد بالاتقاء الاستمرار على التقوى الحاصل قبل تكرير آيات الوعيد وهو جواب عما يقال لم اضيف الذكر الى القرءآن ولم تضف التقوى اليه * ومحصل الجواب انه لما كان المقصود ان يقال انزلناه كذلك ليستمر المتقون على تقواهم وان لم يوجد المتقى فلا اقل من ان يحدث لهم القرءآن عظة واعتبارا حين يسمعونه وجب ان يضاف التقوى اليهم والاحداث الى القرءآن المنزل حال تكرير آيات الوعيد فيه ﴿ قوله الحق فى ملكوته ﴾ اى الثابت فى ملكيته يستحق تلك الملكية لذاته وتذكير ضمير الملكوت لكونه مصدرا مقدرا بان مع الفعل ﴿ قوله نهى عن الاستعجال فى تلقى الوحى ﴾ روى انه عليه الصلاة السلام كان يتعلم ويتبادر جبريل عليه الصلاة والسلام بالقرآءة عند تبليغ القرءآن خيفة الانفلات والنسيان فنهاه الله تعالى عن ذلك وقال لاتعجل بالقرءآن ﴿ قوله ومساوقته ﴾ اى متابعته يقال فلان فى ساقة العسكر اى فى آخره وهو جمع سائق وهو يساوقه اى يتابعه وتساوقت الابل اى تتابعت والمساوقة المتابعة كأن بعضها يسوق بعضا ﴿ قوله على سبيل الاستطراد ﴾ جعل النهى المذكور استطرادا لكونه اجنبيا بالنسبة الى ماسيق له الكلام فان الكلام مسوق لبيان ان اصلاح بنى آدم يتوقف على ذكره مرة بعد اخرى

وقيل نهى عن تبليغ ما كان مجملا قبل ان يأتى بيانه (وقل رب زدنى علما) اى سل الله زيادة العلم بدل الاستعجال فان ما اوحى اليك تناله لامحالة (ولقد عهدنا الى آدم) ولقد امرناه يقال تقدّم الملك اليه واوعز عليه وعزم عليه وعهد اليه اذا امره واللام جواب قسم محذوف وانما عطف قصة آدم على قوله وصرّفنا فيه من الوعيد للدلالة على ان اساس بنى آدم على العصيان وعرقهم راسخ فى النسيان (من قبل) من قبل هذا الزمان (فنسى) العهد ولم يعن به حتى غفل عنه او ترك ماوصى به من الاحتراز عن الشجرة (ولم نجد له عزما) تصميم رأى وثبات على الامر اذ لو كان ذا عزيمة وتصلب لم يزله الشيطان ولم يستطع تغريره ولعل ذلك كان فى بدء امره قبل ان يجرّب الامور ويذوق شريها واريها وعن النبى صلى الله عليه وسلم لو وزنت احلام بنى آدم بحلم آدم لرجح حلمه وقد قال الله تعالى ولم نجد له عزما وقيل عزما على الذنب لانه اخطأ ولم يتعمده ولم نجد ان كان من الوجود الذى بمعنى العلم فله عزما مفعولاه وان كان من الوجود المناقض للعدم فله حال من عزما او متعلق بنجد (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) مقدّر باذكر اى اذكر حاله فى ذلك الوقت ليتبين لك انه نسى ولم يكن من اولى العزيمة والثبات (فسجدوا الا ابليس) قد سبق فيه القول (أبى) جملة مستأنفة لبيان مامنعه من السجود وهو الاستكبار وعلى هذا لا يقدّر له مفعول مثل السجود المدلول عليه بقوله فسجدوا لان المعنى اظهر الاباء من المطاوعة (فقلنا يا آدم ان هذا عدوّ لك ولزوجك فلا يخرجنكما) فلا يكونن سببا لاخراجكما والمراد نهيهما عن ان يكونا بحيث يتسبب الشيطان الى اخراجهما (من الجنة فتشقى) افرده باسناد الشقاء اليه بعد اشراكهما فى الخروج اكتفاء باستلزام شقائه شقاءها من حيث انه قيم عليها ومحافظة على الفواصل او لان المراد بالشقاء التعب فى طلب المعاش وذلك وظيفة الرجال ويؤيده قوله (ان لك ان لا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى) فانه بيان وتذكير لما له فى الجنة من اسباب الكفاية واقطاب الكفاف التى هى الشبع والرى والكسوة والكنّ مستغنيا عن اكتسابها والسعى فى تحصيل اعواض ماعسى ينقطع ويزول منها بذكر نقائضها ليطرق سمعه باصناف الشقوة المحذر منها

بتكرير آيات الوعيد وتجديد مايدعوه الى اجابة الرب المجيد كما قال وانما عطف قصة آدم على قوله وصرّفنا فيه من الوعيد الخ ولا شك ان النهى اجنبىّ بالنسبة الى هذا المقصود وذكر فى اثنائه لتأدية ذكر شأن القرآن الى تذكره ولم يجعله اعتراضا لانه ليس له فائدة ترجع الى تأكيد مضمون الكلام السابق واللاحق ﴿قوله وقيل نهى عن تبليغ ما كان مجملا﴾ لم يرض به لما فيه من تقييد المطلق وهو القرآن فى قوله تعالى ولا تعجل بالقرآن ولانه يأبى عنه قوله من قبل ان يقضى اليك وحيه ﴿قوله تقدّم الملك اليه﴾ الراغب قدّمت اليه بكذا امرته قبل وقت الحاجة الى الفعل اى قبل ان يدهمه الامر او الناس واوعزت عليه فى كذا اى قدّمت وكذلك وعزت عليه توعيزا وقد يخفف فيقال وعزت عليه وعزا ﴿قوله وانما عطف قصة آدم قوله وصرّفنا فيه﴾ يعنى انها معطوفة على الجملة التى قبلها على طريق عطف القصة على القصة والجملة الثانية وان كانت انشائية والاولى خبرية لكن الانشائية مشتملة على ذيل وقصة فى حكم الخبرية فعطفت على الخبرية كما تعطف الخبرية على مثلها ووجه المناسبة بين القصتين انه تعالى بين بالجملة الاولى ان الانسان انما يثبط عن المعاصى والمنكرات بتكرير آيات الوعيد وتجديد التهديدات حيث قال وصرّفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون او يحدث لهم ذكرا ثم اردفه بقصة آدم كأنه قال ان طاعة بنى آدم للشيطان وتركهم التحفظ من وساوس الشيطان امر قديم فانا قد عهدنا الى آدم من قبل هؤلاء الذين صرّفنا لهم الوعيد وبالغنا فى تنبيهه حيث قلنا له ان هذا عدوّ لك ولزوجك ثم انه مع ذلك نسى وترك ذلك العهد فظهر ان امر البشر فى ترك التحفظ امر قديم ﴿قوله ولم يعن به﴾ اى لم يهتم به ولم يعتد به الاعتداد الصادق يقال عنيت بحاجتك بضم اوّله اعنى بها عناية قال عليه الصلاة والسلام «من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه» اى يهمه ﴿قوله تصميم رأى﴾ معنى العزم فى اللغة توطين النفس على الفعل فالمعنى لم نجد له رأيا معزوما عليه حيث جرى على ماوسوس اليه ابليس اللعين الذى حسده وابى ان يسجد له وقيل لم نجد له حفظا لما امر به وقيل صبرا عما نهى عنه ﴿قوله ويذوق شريها واريها﴾ الشرى بفتح الشين وسكون الراء المهملة الحنظل والارى بفتح الهمزة وسكون الراء العسل اى لعله كان ماوقع منه من نسيان العهد وعدم الثبات على الامر قبل ان يذوق مرّ الامور وحلوها الامن نقصان عقله وقصور حلمه فانه ارجح الناس عقلا واوفرهم حلما لما روى من الحديث وقال الحسن كان عقل آدم مثل عقل جميع ولده ثم قال تعالى ولم نجد له عزما ومعنى هذا انه عليه الصلاة والسلام مع ذلك اثر فيه وسوسته فكيف فى غيره ﴿قوله وعلى هذا لا يقدّر له مفعول﴾ لان قوله ابى السجود لا يصلح جوابا القول من قال لم لم يسجد بخلاف ابى بمعنى انه فعل الاباء واظهره وانه من اهل الاباء عن طاعة المولى ولا فائدة فى افادة هذا الغرض لبيان تعلقه بمفعوله فلذلك نزل منزلة اللازم ثم انه تعالى اشار بقوله فقلنا يا آدم ان هذا عدوّ لك ولزوجك الى علة اخرى لعصيانه وهو حسده الذى هو سبب عداوته لهما فان اللعين كان حسودا فلما رأى آثار نعم الله فى حق آدم حسده فصار عدوّا له فكيف يقدم على ان يسجد له مع عداوته اياه وفيه اشارة الى ان كل من حسد احدا يكون عدوّا له ويريد هلاكه ويسعى فى افساد حاله ثم لما كان المخرج من الجنة حقيقة هو الله تعالى كان قوله فلا يخرجنكما من الجنة من قبيل اسناد الفعل الى السبب فان اللعين بوسوسته يكون سببا لخروجهما من الجنة ثم ان ظاهر الآية وان كان نهى الشيطان عن ان يكون سببا لاخراجهما الا ان المراد نهيهما عن ان يكون فيهما ما يكون سببا لطمع الشيطان فى ان يغويهما ويسعى فيما يؤدّى الى خروجهما من الجنة كأنه قيل كونا شديدى الشكيمة قويى العزيمة فى رعاية ما كلفتما به والاحتراز عما نهيتما عنه بحيث يكون الشيطان خائبا من ان يطمع فى زلتكما ويقدم على اغوائكما وقوله تعالى فتشقى منصوب باضمار ان فى جواب النهى اى لا تباشرا اسباب الخروج فيحصل الشقاء وهو الكدّ والتعب الدنيوى خاصة مثل الحرث والزرع والطحن والعجن والخبز ونحو ذلك مما لا يخلو الناس عنه فى امر معيشتهم ﴿قوله تعالى ان لك ان لا تجوع فيها﴾ لك خبر انّ وان لا تجوع فى محل النصب على انه اسم انّ والتقدير ان لك عدم الجوع والعرى وهو تجرّد الجلد عما يستره يقال عرى يعرى عريا ﴿قوله ولا تضحى﴾ اى وان لا يصيبك حرّ الشمس اذ ليس فيها شمس يقال ضحى الرجل للشمس اذا برز وتعرّض لها الجوهرى ضحيت للشمس بالكسر ضحاء بالمدّ اذا برزت لها وضحيت بالفتح مثله والمستقبل اضحى فى اللغتين جميعا والكنّ السترة الحائلة من الشمس والجمع اكنان قال تعالى وجعل لكم من الجبال اكنانا فهو تعالى لما ذكر ماله فى الجنة من الاقطاب التى يدور عليها كفاف الانسان بذكر نقائضها كان ذكرها على هذا الوجه كأنه تفسير للشقاء المذكور فى قوله فتشقى

(قوله)

والعاطف وان ناب عن انّ لكنه من حيث انه عامل لامن حيث انه حرف تحقيق فلايمتنع دخوله على ان امتناع دخول ان عليه وقرأ نافع وابوبكر وانك لاتظمأ بكسر الهمزة والباقون بفتحها (فوسوس اليه الشيطان)

فأنهى اليه وسوسته (قال يا آدم هل ادلك على شجرة الخلد) الشجرة التى من اكل منها خلد ولم يمت اصلا فاضافها الى الخلد وهو الخلود لانه سببه بزعمه (وملك لايبلى) لايزول ولايضعف (فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة) اخذا يلزقان الورق على سوآتهما للتستر وهو ورق التين (وعصى آدم ربه) باكل الشجرة (فغوى) فضل عن المطلوب وخاب حيث طلب الخلد باكل الشجرة او عن المأمور به او عن الرشد حيث اغترّ بقول العدوّ وقرئ فغوى من غوى الفصيل اذا اتخم من اللبن وفى النعى عليه بالعصيان والغواية مع صغر زلته تعظيم الزلة وزجر بليغ لاولاده عنها (ثم اجتباه ربه) اصطفاه وقرّبه بالحمل على التوبة والتوفيق لها من جبى الىّ كذا فاجتبيته مثل جليت علىّ العروس فاجتليتها واصل الكلمة الجمع (فتاب عليه) فقبل توبته لما تاب (وهدى) الى الثبات على التوبة والتشبث باسباب العصمة (قال اهبطا منها جميعا) الخطاب لآدم وحوّاء اوله ولابليس ولما كانا اصلى الذرّية خاطبهما مخاطبتهم فقال (بعضكم لبعض عدوّ) لامر المعاش كما عليه الناس من التجاذب والتحارب اولاختلال حال كل من النوعين بواسطة الاخر ويؤيد الاوّل قوله (فاما يأتينكم منى هدى) كتاب ورسول (فمن اتبع هداى فلايضل) فى الدنيا (ولا يشقى) فى الآخرة (ومن اعرض عن ذكرى) عن الهدى الذاكر لى والداعى الى عبادتى (فان له معيشة ضنكا) ضيقا مصدر وصف به ولذلك يستوى فيه المذكر والمؤنث وقرئ ضنكى كسكرى وذلك لان مجامع همه ومطامح نظره تكون الى اعراض الدنيا متهالكا على ازديادها خائفا على انتقاصها بخلاف المؤمن الطالب للآخرة مع انه تعالى قديضيق بشؤم الكفر ويوسع ببركة الايمان كما قال وضربت عليهم الذلة والمسكنة ولوانهم اقاموا التوراة والانجيل ولوان اهل القرى آمنوا الآيات وقيل هو الضريع والزقوم فى النار وقيل عذاب القبر (ونحشره) قرئ بسكون الهاء على لفظ الوقف وبالجزم عطفا على محل فان له معيشة ضنكا لانه جواب الشرط (يوم القيامة اعمى) اعمى البصر او القلب ويؤيد الاوّل (قال رب لم حشرتنى اعمى وقد كنت بصيرا) وقد امالهما حمزة والكسائى لان الالف منقلبة من الياء وفرق ابوعمرو بان الاوّل رأس الآية ومحل الوقف فهو جدير بالتغيير

قوله والعاطف وان ناب عن انّ اى المكسورة جواب عما يقال انّ المكسورة لاتدخل على انّ المفتوحة كراهة اجتماع الحرفين بمعنى واحد وهو التحقيق وكراهة اجتماع عاملين يعملان عملا واحدا فلايقال انّ أنّ زيدا منطلق والواو نائبة عن انّ المكسورة وقائمة مقامها كما فى قولك انّ زيدا فى الدار وعمرا فلم ادخلت عليها فى قوله تعالى وانك لاتظمأ فيها * وتقرير الجواب ان الواو ليست موضوعة للتحقيق حتى يجتمع حرفان بمعنى واحد والمفتوحة مع مافى حيزها لما كانت فى تأويل المفرد جاز اجتماعها مع الواو النائبة عن العامل **قوله او عن المأمور به** وهو التباعد عن الشجرة فانه مأمور به فى ضمن قوله تعالى ولاتقربا هذه الشجرة والظاهران يقال فغوى وضل عن الانتهاء عما نهى عنه بقوله ولاتقربا الا ان النهى عن الشئ لما تضمن الامر بضدّه عند الشافعية وكان معنى قوله لاتقربا هذه الشجرة ابعدا عنها قال او عن المأمور به قرأ الجمهور فغوى بفتح الواو بعدها الف بمعنى ضل وقرئ بكسر الواو وفتح الياء بمعنى بشم **قوله وفى النعى عليه بالعصيان** اى وفى تشهيره به يقال نعى فلان على فلان ذنوبه اى اظهر ذنوبه وشهره بها والعصيان ترك الامر وارتكاب المنهى عنه فان كان عمدا يسمى ذنبا وان كان خطأ يسمى زلة والآية دالة على انه عليه الصلاة والسلام صدر عنه عمد المعصية والمصنف سماها زلة بناء على انه عليه الصلاة والسلام انما ترك الانتهاء عن اكل الشجرة اجتهادا لا بان تعمد المعصية ووجه الاجتهاد انه عليه الصلاة والسلام حمل النهى على التنزيه دون التحريم اوحمل قوله تعالى هذه الشجرة على شجرة بعينها دون جنسها ومع ذلك الظاهر انّ هذه الواقعة انما كانت قبل نبوّته عليه الصلاة والسلام ثم اجتباه ربه اى اختاره واصطفاه وتاب عليه بالعفو عنه وهداه الى التوبة حين قال ربنا ظلمنا انفسنا روى عن النبى عليه الصلاة والسلام انه قال لو جمع بكاء اهل الدنيا الى بكاء داود عليه الصلاة والسلام لكان بكاؤه اكثر ولو جمع ذلك الى بكاء نوح عليه الصلاة والسلام لكان بكاء نوح اكثر وانما سمى نوحا لنوحه على نفسه ولو جمع ذلك كله الى بكاء آدم عليه الصلاة والسلام على خطيئته لكان بكاء آدم اكثر قال وهب انه لما كثر بكاؤه امره الله تعالى بان يقول لااله الا انت سبحانك وبحمدك عملت سوأ وظلمت نفسى فاغفرلى انك خير الغافرين فقالها آدم ثم قال قل لااله الا انت عملت سوأ وظلمت نفسى فارحمنى وانت ارحم الراحمين فقالها آدم ثم قال له قل سبحانك لااله الا انت عملت سوأ وظلمت نفسى فتب علىّ انك انت التواب الرحيم قال ابن عباس هنّ الكلمات التى تلقاها آدم من ربه **قوله ولما كانا اصلى الذرّية خاطبهما مخاطبتهم** جواب عما يقال خطاب اهبطا للمثنى وهما آدم وحوّاء او آدم وابليس ومابعده من الخطاب للجمع فكيف جاز ان يخاطب شخصان بما يخاطب به الجماعة * وتقرير الجواب انهما وان كانا شخصين معينين فى انفسهما الا انهما لما كانا اصلى ماتفرّع منهما من الذرّية جعلا بمنزلة الجماعة فخوطبا بما يخاطب به الجماعة فقال بعضكم لبعض عدوّ فانّ ذرية آدم وحوّاء يتعادون لامر المعاش وكذا ذرية آدم وابليس يتعادون لاختلال حال كل واحد من نوعى البشر والشياطين بواسطة الآخر فان نوع البشر اخرجوا من النعيم المقيم بسبب وسوسة ابليس وان ابليس طرد من بين المقدّسين ومقام العليين بسبب ابائه عن السجود لآدم وهذا معنى اختلال كل من النوعين بواسطة الآخر **قوله ويؤيد الاوّل** وهو ان يكون الخطاب لآدم وحوّاء لاله وابليس ووجه التأييد ان خطاب يأتينكم لايدخل فيه ابليس وذريته لانهم آيسون من رحمة الله وملعونون الى يوم القيامة **قوله مصدر وصف به** مبالغة او بتقدير ذات ضنك يقال ضنك عيشه يضنك ضناكة وضنكا من باب نصر ينصر وخلاصة المعنى ان من اتبع كتاب الله تعالى ومواعظ رسوله هداه الله تعالى فلايضل فى امر دينه مادام حيا ووقاه يوم القيامة سوء الحساب ومن اعرض عنه ضاق عيشه فى الدنيا لانه لايجد الخلف فى الانفاق فى الدنيا ولا المثوبة فى العقبى فلاجرم يضيق الانفاق ويلازم الشح فيكون محروما من الخلف فى الدنيا والمثوبة فى الآخرة بخلاف من اتبع الهدى فانه يتسع قلبه فى ذلك لرجاء الخلف والاجر وتطيب نفسه بالقناعة التى هى كنز لايفنى فيكون فى سعة الدنيا والآخرة فيكون المراد بضيق معيشة المعرض ضيق قلبه فى شأن اعراض الدنيا وان كثر مافى يده منها مع انه يضيق على الكافر ويوسع على المؤمن قال الله تعالى ولوانهم اقاموا التوراة والانجيل وما انزل اليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم وقال ولوان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء وقيل المراد بالمعيشة الضنك عذاب الآخرة فى جهنم فان طعام اهلها الضريع والزقوم وشرابهم الحميم والغسلين فلايموتون فيها ولايحيون وقيل المراد بها عذاب القبر روى عن ابى هريرة انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم * ان المؤمن

فى قبره فى روضة خضرآء ويرحب له قبره سبعين ذراعا وينوّر له قبره كالقمر ليلة البدر * ثم قال * أتدرون فيم انزلت هذه الآية فان له معيشة ضنكا وأتدرون ما المعيشة الضنك * قالوا الله ورسوله اعلم قال * عذاب الكافر فى قبره والذى نفسى بيده ليسلط عليه تسعة وتسعون تنينا ينفخون فى جسده ويلدغونه ويلسمونه ويخدشونه الى يوم القيامة * قرآءة العامة ونحشره بالنون ورفع الفعل على الاستئناف تخفيفا وقوله اعمى منصوب على الحال والظاهر ان المراد بالعمى عمى البصر كما فى قوله تعالى ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما وكما فسر الزرق بالعمى وقيل المعنى نحشره اعمى عن الحجة بمعنى انه لاحجة له يهتدى بها الى ما كان عليه من الضلالة قال الفرآء انه يبعث بصيرا ثم يعمى اذا حشر الى جهنم وقيل يكون ذلك بعد ما حوسب وقرأ الكتاب ﴿قوله اى مثل ذلك فعلت﴾ على ان الكاف فى محل النصب على انه مفعول به اى مثل ذلك الفعل الذى فعلنا بك فعلت انت بنفسك ﴿قوله من ضنك العيش﴾ ان كان المراد بالمفضل الحشر على العمى الذى لا يزول ابدا يكون المفضل عليه ضنك العيش فانه يزول وينقضى وان كان المراد بالمفضل عذاب النار يكون المفضل عليه ضنك العيش والحشر على العمى جميعا فان عذاب النار اشدّ من كل واحد منهما اما من ضنك العيش فظاهر واما من العمى فلقوله ولعله اذا دخل النار زال عماه ويحتمل ان يكون المعنى وتركنا اياه فى العمى او فى عذاب النار اشدّ وابقى من تركه لآياتنا ثم انه تعالى لما بين ان من اعرض عن ذكره كيف يحشر يوم القيامة اتبعه بما يعتبر به المكلف من الاحوال الواقعة فى الدنيا بمن كذب الرسل فقال افلم يهد لهم اى افلم يتبين لهم وان كان قوله يهد مسندا الى ضمير الله تعالى او ضمير الرسول عليه الصلاة والسلام يكون كم اهلكنا سادّا مسدّ مفعوليه لان كم الاستفهامية معلقة له فلا يعمل فيها والتعليق وان كان من خصائص افعال القلوب وفعل الهداية ليس منها الا انه جار مجرى باب علمت لان الهداية وهى الدالة على ما يوصل الى المطلوب فيها معنى الاعلام والتبيين ومعنى الاستفهام فيه التقرير اى بين الله تعالى لكفار مكة كثرة اهلاكه القرون للاعتبار او بين الرسول كثرة اهلاكنا ولو اعملت فعل الهداية واظهرت مفاعيله الثلاثة لقلت افلم يعلمهم كثيرا من القرون مهلكا ﴿قوله او مادل عليه كم اهلكنا﴾ قال ابو البقاء ويحتمل ان يكون الفاعل مادل عليه اهلكنا اى اهلاكنا والجملة مفسرة له انتهى فيكون مفعوله محذوفا والمعنى افلم يبين لهم اهلاكنا القرون المكذبين طريق الاعتبار والايقاظ ولا يكون كم فى كم اهلكنا فاعلا ولا مفعولا لان الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله بل هو منصوب باهلكنا وهو مفعول مقدّم اى وكثيرا من القرون اهلكنا ﴿قوله او الجملة بمضمونها﴾ اى ويحتمل ان يكون فاعله هذا الكلام الذى بعده وهو كم اهلكنا الخ بناء على ان المراد لفظه الدال على معناه كما اريد بآمنوا فى قوله تعالى واذا قيل لهم آمنوا اللفظ الدال على معناه لا لمجرّد لفظه بل باعتبار دلالته على معناه وهو كثرة ما اهلك من القرون جعله هاديا لهم كما جعل واعظا وزاجرا ويمشون فى موضع الحال من الضمير فى لهم والضمير فيه لكفار مكة والمعنى انهم يمشون فى مساكن الهالكين من القرون المكذبين فى متاجرهم الى الشام ذاهبين وراجعين ويشاهدون كون منازلهم خرابا بلقعا فينبغى ان يعتبروا بهم ويجتنبوا عما اداهم الى عذاب الاستئصال لئلا يحل بهم ما حل بهؤلاء وقرئ يمشّون بالتشديد لكثرة ما مشوا فى مساكنهم ﴿قوله تعالى ان فى ذلك﴾ اى فى اهلاكهم بسبب كفرهم بالانبياء ﴿قوله لكان مثل ما نزل بعاد﴾ يريد ان اسم كان فى قوله لكان لزاما ضمير راجع الى الاهلاك المدلول عليه بقوله اهلكنا على حذف المضاف اى لكان مثل اهلاكنا اياهم لازما لهؤلاء الكفرة اما على ان لزاما مصدر لازم وصف به او اسم آلة على انه فعال بمعنى مفعل سمى به اللازم تشبيها له بآلة اللزوم فى فرط اللزوم فان اللازم لا ينفك من الملزوم كما ان الآلة لا تنفك عما جعلت آلة له وكون فعال بمعنى مفعل واطلاقه على الفاعل مثل قولهم فلان لزاز خصم اى ملح شديد الخصومة يقال لزه يلزه لزا ولززا اى شدّه والصقه ورجل ملزاى شديد الخصومة لزوم لما طلب ولازّته اى لاصقته ﴿قوله عطف على كلمة﴾ فيكون الكلام على التقديم والتأخير واشار اليه بقوله اولا العدة بتأخير العذاب واجل مسمى الخ لكان العذاب لزاما ثم بين نكتة الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بتوسط جواب لولا بقوله والفصل للدلالة الخ ثم انه لاشك فى ان الكلمة اخبار الله تعالى ملائكته وكتبه فى اللوح المحفوظ ان امة محمد وان كذبوا فسيؤخرون ولا يفعل بهم ما يفعل بغيرهم من الاستئصال واختلفوا فيما لاجله لم يفعل ذلك بامة محمد عليه الصلاة والسلام فقال بعضهم لانه علم ان فيهم من يؤمن وقال آخرون علم ان فى نسلهم من يؤمن ولو نزل بهم العذاب لعمهم الهلاك وقال آخرون المصلحة فيه خفية لا يعلمها

(قال كذلك) اى مثل ذلك فعلت ثم فسره فقال (أتتك آياتنا) واضحة نيرة (فنسيتها) فعميت عنها وتركتها غير منظور اليها (وكذلك) ومثل تركك اياها (اليوم تنسى) تترك فى العمى والعذاب (وكذلك نجزى من اسرف) بالانهماك فى الشهوات والاعراض عن الآيات (ولم يؤمن بآيات ربّه) بل كذبها وخالفها (ولعذاب الآخرة) وهو الحشر على العمى وقيل عذاب النار اى والنار بعد ذلك (اشدّ وابقى) من ضنك العيش او منه ومن العمى ولعله اذا دخل النار زال عماه ليرى محله وحاله او مما فعله من ترك الآيات والكفر بها (أفلم يهد لهم) مسند الى الله او الرسول او مادل عليه (كم اهلكنا قبلهم من القرون) اى اهلاكنا اياهم او الجملة بمضمونها والفعل على الاوّلين معلق يجرى مجرى اعلم ويدل عليه القرآءة بالنون (يمشون فى مساكنهم) ويشاهدون آثار اهلاكهم (انّ فى ذلك لآيات لأولى النهى) لذوى العقول الناهية عن التغافل والتعامى (ولولا كلمة سبقت من ربك) وهى العدّة بتأخير عذاب هذه الامّة الى الآخرة (لكان لزاما) لكان مثل ما نزل بعاد وثمود لازما لهؤلاء الكفرة وهو مصدر وصف به او اسم آلة سمى به اللازم لفرط لزومه كقولهم لزاز خصم (واجل مسمى) عطف على كلمة اى ولولا العدّة بتأخير العذاب واجل مسمى لاعمارهم او لعذابهم وهو يوم القيامة او بدر لكان العذاب لزاما والفصل للدلالة على استقلال كل منهما بنفى لزوم العذاب

الا الله تعالى وقال اهل السنة له تعالى بحكم المالكية ان يخص من يشاء بفضله ومن يشاء بقهره وعذابه من غير علة تقتضي ذلك ﴿قوله ويجوز عطفه﴾ اى عطف قوله واجل مسمى على ضمير المستتر فى كان العائد على الاخذ العاجل المدلول عليه بالسياق فيكون الفصل بالخبر للاهتمام ببيان لزوم الاخذ العاجل لانتفاء العدة بتأخير عذاب هذه الامة والمعنى ولولا عدة سبقت من ربك بتأخير عذاب هذه الامة الى الآخرة لكان الاخذ العاجل واجل مسمى لعذابهم الآجل لازمين لهم كما كانا لازمين لعاد وثمود واضرابهما ولم ينفرد الاجل المسمى دون الاخذ العاجل الا ان هذا الاحتمال انما يكون على تقدير كون قوله لزاما مصدرا وصف به لان المصدر لايثنى ولايجمع بل يفرد على كل حال بخلاف ما اذا كان اسم آلة بمعنى ملزم فانه حينئذ كان ينبغى ان يطابق فى التثنية فيقال لزامين وجوّز ابو البقاء ان يكون لزاما جمع لازم كقيام جمع قائم ثم انه تعالى لما اخبر نبيه عليه الصلاة والسلام بانه لايهلك احدا قبل استيفاء اجله امره بالصبر على مايقولون مما يغمه ويؤذيه مثل تكذيبهم اياه فيما يدّعيه من النبوّة فقال فاصبر على مايقولون اى على ماتسمع منهم مما يؤذيك الى ان يحكم الله فيهم وهذه الآية منسوخة بآية القتال ثم امره بالتسبيح عقيب امره بالصبر لان التسبيح سوآء كان بمعنى التنزيه والاجلال او بمعنى الصلاة بطريق اطلاق الجزء على الكل من قبيل ذكر الله تعالى وذكره يفيد السلوة والراحة وينسى جميع ما اصاب من الغموم والاحزان ألا بذكر الله تطمئنّ القلوب ﴿قوله معترفا بانه مولى النعم كلها﴾ الاعتراف به مستفاد من لفظ الحمد لان الحمد الاصطلاحى انما يكون فى مقابلة النعم وتأكيدا لنعم بقوله كلها مستفاد من اطلاق الحمد حيث لم يقيد بكونه فى مقابلة شئ من النعم ﴿قوله ومن ساعاته﴾ اى فسبح بعض ساعاته والآناء جمع انى كمعى وقيل جمع أنى كرحى يقال أنى يأنى أنيا اى حان ﴿قوله وانما قدّم زمان الليل﴾ اى الزمان الذى هو الليل يعنى قدّم قوله ومن آناء الليل على عامله واخر عنه قوله قبل طلوع الشمس وقبل غروبها اهتماما بشأن الليل حيث ان ماكان بالليل من العبادة افضل مما كان بالنهار لان الشواغل الداعية الى تفريق الخواطر تقل بالليل فيكون ماوقع فيه من العبادة مقرونا بحضور القلب وموافقة القلب اللسان فيكون أدخل فى استحقاق الاجر والفضل وايضا النفس فيه اميل الى الاستراحة فان العبادة الناشئة اى الحادثة فى الليل اشدّ وطئا اى كلفة او ثبات قدم واقوم قيلا اى أشدّ قرآءة لانتفاء الشواغل ﴿قوله ومجيئه بلفظ الجمع﴾ جواب عما يقال النهار له طرفان فكيف قيل واطراف النهار والظاهر ايراد لفظ التثنية كما قال واقم الصلاة طرفى النهار * وتقرير الجواب انه ذكر لفظ الجمع فى موضع ذكر لفظ التثنية لعدم التباس المراد فانه لايلتبس على احد ان النهار له طرفان لاغير وذكر لفظ التثنية فى آية اخرى للتنصيص على المراد وزيادة البيان كما عبر الشاعر عن الامرين تارة بلفظ التثنية واخرى بلفظ الجمع فى قوله ظهراهما مثل ظهور الترسين * لذلك وقبله ومهمهين فدفدين مرتين * وبعده جبتهما بالنعت لابالنعتين * المهمه المفازة البعيدة والفدفد الارض المستوية والمرت بسكون الرآء المفازة التى لانبات بها ولاماء وجبتهما اى قطعتهما ولم ينعت الى الامرّة واحدة بنعت واحد لابنعتين ليتميز كل واحد من المهمهين من الآخر يصف الشاعر نفسه بالفطانة والخبرة فى سلوك المفاوز وبالجرآءة والاقدام على المهالك وانما قال ظهور الترسين كراهة الجمع بين التثنيتين احداهما فى المضاف وثانيتهما فى المضاف اليه كقوله تعالى فقد صغت قلوبكما ﴿قوله او امر بصلاة الظهر﴾ عطف على قوله تعالى تكرير لصلاتى الصبح والمغرب فان قوله واطراف النهار منصوب بالعطف على محل قوله ومن آناء الليل كانه قيل وسبح اطراف النهار التى هى مابعد الزوال وماقبله وعبر بلفظ اطراف باعتبار انه ذو حظ من طرفى النهار ولابدّ مع هذا الاعتبار من الذهاب الى قول من قال اقل الجمع اثنان ﴿قوله فانها نهاية النصف الاوّل﴾ اى فانها تصلى عند الزوال الذى هو نهاية النصف الاوّل الخ ﴿قوله او لان النهار جنس﴾ يتناول كل فرد من افراد النهار فلما كانت صلاة الظهر تتكرّر فى كل نهار جمع وقته لتعدّد النهار التى اضيف هو اليها لالتعدّده فى نفسه ﴿قوله او بالتطوّع فى اجزآء النهار﴾ عطف على قوله بصلاة الظهر فى قوله او امر بصلاة الظهر فقوله تعالى واطراف النهار فيه ثلاثة اوجه ﴿قوله اى نظر عينيك﴾ ومدّ النظر تطويله وان لايكاد يردّه استحسانا للمنظور وتمنيا ان يكون له مثله وفيه دليل على ان النظر الغير الممدود معفوّ عنه لانه لايمكن الاحتراز عنه ولما كان النظر الى الزخارف كالمركوز فى الطباع وان من ابصر منها شيأ احب ان يمدّ اليه نظره ويملأ منه عينيه قيل له عليه السلام ولاتمدّنّ عينيك اى لاتفعل ماعليه جبلت البشر ولقد شدّد المتقون فى وجوب غض

ويجوز عطفه على المستكن فى كان اى لكان الاخذ العاجل واجل مسمى لازمين لهم (فاصبر على مايقولون وسبح بحمد ربك) وصل وانت حامد لربك على هدايته وتوفيقه او نزهه عن الشرك وسائر مايضيفون اليه من النقائص حامدا له على ماميزك بالهدى معترفا بانه مولى النعم كلها (قبل طلوع الشمس) يعنى الفجر (وقبل غروبها) يعنى الظهر والعصر لانهما من آخر النهار او العصر وحده (ومن آناء الليل) ومن ساعاته جمع انى بالكسر والقصر وأناء بالفتح والمدّ (فسبح) يعنى المغرب والعشاء وانما قدّم زمان الليل فيه لاختصاصه بمزيد الفضل فان القلب فيه اجمع والنفس اميل الى الاستراحة فكانت العبادة فيه احمز ولذلك قال تعالى ان ناشئة الليل هى اشدّ وطئا واقوم قيلا (واطراف النهار) تكرير لصلاتى الصبح والمغرب ارادة الاختصاص ومجيئه بلفظ الجمع لأمن الالباس كقوله ظهراهما مثل ظهور الترسين او امر بصلاة الظهر فانها نهاية النصف الاوّل من النهار وبداية النصف الآخر وجمعه باعتبار النصفين او لان النهار جنس او بالتطوّع فى اجزآء النهار (لعلك ترضى) متعلق بسبح اى سبح فى هذه الاوقات طمعا ان تنال عند الله مابه ترضى نفسك وقرأ الكسائى وابو بكر بالبناء للمفعول اى يرضيك ربك (ولاتمدّنّ عينيك) اى نظر عينيك (الى مامتعنا به) استحسانا له وتمنيا ان يكون لك مثله (ازواجا منهم) اصنافا من الكفرة ويجوز ان يكون حالا من الضمير فى به والمفعول منهم اى الى الذى متعنا به وهو اصناف بعضهم او ناسا منهم

(زهرة الحياة الدنيا) منصوب بمحذوف دل عليه متعنا او به على تضمينه معنى اعطينا اوبالبدل من محل به اومن ازواجا بتقدير مضاف ودونه اوبالذم وهى الزينة والبهجة وقرأ يعقوب بالفتح وهى لغة كالجهرة فى الجهرة اوجمع زاهر وصف لهم بانهم زاهروا الدنيا لتنعمهم وبهاء زيهم بخلاف ماعليه المؤمنون الزهاد (لنفتنهم فيه) لنبلوهم ونختبرهم فيه اولنعذبهم فى الآخرة بسببه (ورزق ربك) وما ادخر لك فى الآخرة اومارزقك من الهدى والنبوّة (خير) مما منحهم فى الدنيا (وابقى) فانه لاينقطع (وامر اهلك بالصلاة) امره بان يأمر اهل بيته او التابعين له من امّته بالصلاة بعدما امره بها ليتعاونوا على الاستعانة على خصاصتهم ولايهتموا بامر المعيشة ولا يلتفتوا لفت ارباب الثروة (واصطبر عليها) وداوم عليها (لانسألك رزقا) ان ترزق نفسك ولااهلك (نحن نرزقك) واياهم ففرّغ بالك لامر الآخرة (والعاقبة) المحمودة (للتقوى) لذوى التقوى روى انه عليه الصلاة والسلام كان اذا اصاب اهله ضرّ أمرهم بالصلاة وتلا هذه الآية (وقالوا لولا يأتينا بآية من ربّه) بآية تدل على صدقه فى ادّعاء النبوّة او بآية مقترحة انكارا لما جاءبه من الآيات اوللاعتداد به تعنتا وعنادا فألزمهم باتيانه بالقرءآن الذى هو امّ المعجزات واعظمها واتقنها لان حقيقة المعجزة اختصاص مدّعى النبوّة بنوع من العلم او العمل على وجه خارق للعادة ولاشك ان العلم اصل العمل وأعلى منه قدرا وابقى اثرا فكذا ما كان من هذا القبيل ونبههم ايضا على وجه ابين من وجوه اعجازه المختصة بهذا الباب فقال (اولم تأتهم بينة مافى الصحف الاولى) من التوراة والانجيل وسائر الكتب السماوية فان اشتماله على زبدة مافيها من العقائد والاحكام الكلية مع ان الآتى بها امّى لم يرها ولم يتعلم ممن علمها اعجاز بيّن وفيه اشعار بانه كما يدل على نبوّته برهان لما تقدّمه من الكتب من حيث انه معجز وتلك ليست كذلك بل هى مفتقرة الى مايشهد على صحتها قرأ نافع وابوعمرو وحفص اولم تأتهم بالتاء والباقون بالياء وقرئ الصحف بالتخفيف (ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله) من قبل محمد او البينة والتذكير لانها فى معنى البرهان او المراد بها القرءآن (لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك من قبل ان نذل) بالقتل والسبى فى الدنيا (ونخزى) بدخول النار يوم القيامة وقد قرئ بالبناء للمفعول فيهما (قل كل) اى كل واحد مناومنكم (متربص) منتظر لما يؤول اليه امرنا وامركم (فتربصوا) وقرئ فتمتعوا (فستعلمون من اصحاب الصراط السوىّ) المستقيم وقرئ السواء اى الوسط الجيد والسوءى والسوء اى الشرّ والسوىّ وهو تصغيره (ومن اهتدى) من الضلالة ومن فى الموضعين للاستفهام ومحلها الرفع بالابتداء ويجوز ان تكون الثانية موصولة بخلاف الاولى لعدم العائد فتكون معطوفة على محل الجملة الاستفهامية المعلق عنها الفعل على ان العلم بمعنى المعرفة او على اصحاب او على الصراط

(سورة)

البصر من ابنية الظلة واختيال الفسقة فى اللباس والمركب وغير ذلك لانهم اتخذوا هذه الاشياء لعيون النظار فالناظر اليها محصل لغرضهم وكالمغرى لهم على اتخاذها روى عن ابى رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فبعثنى الى يهودىّ فقال قل له ان رسول الله يقول لك بعنى كذا وكذا من الدقيق اواسلفنى الى هلال رجب فأتيته فقلت له ذلك فقال لا والله لا ابيعه ولااسلفه الا برهن فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته فقال والله لو باعنى او اسلفنى لقضيته وانى لأمين فى السماء وامين فى الارض اذهب بدرعى الحديد اليه فنزلت هذه الآية تسلية له عن الدنيا قال ابو الدرداء الدنيا دار من لادار له ومال من لامال له ولها يجمع من لاعقل له وعن الحسن لولا حمق الناس لخربت الدنيا وعن عيسى بن مريم لاتتخذوا الدنيا دارا فتتخذكم عبيدا وأزواجا منصوب على انه مفعول متعنا او على انه حال من الهاء به روعى لفظ مامرّة فافرد الراجع اليها ومعناها اخرى لجمع ما كانت عبارة عنه ومنهم مفعول متعنا على ان من فيه للتبعيض اى بعضهم اوناسا منهم وذكر لانتصاب زهرة ستة اوجه الاوّل ان يكون منصوبا بفعل مضمر دل عليه متعنا تقديره جعلنا لهم زهرة والثانى ان يكون مفعولا ثانيا لمتعنا على تضمينه معنى اعطينا وازواجا مفعوله الاوّل وزهرة هو الثانى والثالث ان ينتصب على انه بدل من محل به والرابع والخامس ان يكون بدلا من ازواجا على حذف المضاف اى ذوى زهرة اومن غير حذفه بان يجعل اصناف الكفرة نفس الزهرة على المبالغة والسادس ان يكون منصوبا على الذم وهو النصب على الاختصاص بتقدير اعنى والمذموم الموصول او ضميره ذمّه لكونه زينة الدنيا الا الآخرة وعلى تقدير ان تكون زهرة بفتح الهاء جمع زاهر كفاجر وفجرة وبارّ وبررة تكون صفة ازواجا اى اصنافا زاهرى الدنيا اى مشرقى الوجوه متلألئى الالوان والهيئات يقال زهرت النار زهورا اى اضاءت وازهرتها انا والازهر النير ورجل ازهر اى نير ابيض مشرق الوجه والمرأة زهراء ووصف المتمتعون بانهم زاهروا هذه الحياة الدنيا لصفاء ألوانهم وتهلل وجوههم بخلاف ماعليه الصلحاء من تغير الالوان والتبلغ بالقوت والاكتفاء بالمرقعات من الثياب **قوله او لنعذبهم** يؤيده قوله تعالى ولاتعجبك اموالهم ولااولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها فى الحياة الدنيا **قوله على خصاصتهم** قال فى النهاية الخصاصة الجوع والضعف واصلها الفقر والحاجة الى الشئ **قوله انكارا لما جاء به من الآيات او للاعتداد به تعنتا** يعنى ان قول الكفار هلا يأتينا محمد عليه الصلاة والسلام بآية يجوز ان يكون طلبا لآية تدل على صدقه أية آية كانت انكارا لما جاء به مما يدل عليه وان يكون طلبا لآية مقترحة مثل العصا والناقة مع اعتدادهم بما جاء به تعنتا وعنادا ويحتمل ان يكون قوله تعالى فاصبر على مايقولون توطئة لحكاية هذه المقالة من الكفرة ويكون المراد بما يقولون مقالتهم هذه قرأ نافع وابو عمرو وحفص اولم تأتهم بتأنيث الفعل لتأنيث فاعله والباقون بالياء من تحت لكون التأنيث غير حقيقى وقرأ العامة بينة ما باضافة بينة الى ما مرفوعة وهى واضحة وقرئ بتنوين بينة مرفوعة فعلى هذه القراءة تكون ما بدلا من بينة بدل كل من كل او خبر مبتدأ محذوف اى هى مافى الصحف الاولى كالتوراة والانجيل من البشارة بنبينا محمد بارساله نبيا عربيا موصوفا بمافيه من النعوت الكريمة **قوله تعالى ولو أنا اهلكناهم بعذاب الآية** بيان انه لاعذر لهم فى ترك الشرائع وسلوك طريق الضلال بوجه ما ثم انه تعالى ختم السورة بضرب من الوعيد ونوع من الزجر والتهديد فقال قل كل متربص الآية قرأ العامة السوىّ على وزن فعيل بمعنى الدين المستوى المستقيم وقرئ السواء بفتح السين والمدّ بمعنى الوسط الجيد وقرئ السوءى نقيض الحسنى لان الصراط لكونه بمعنى السبيل يجوز تأنيثه وقرئ الصراط السوء بفتح السين وسكون الواو بمعنى الشرّ وقرئ السوىّ بضم السين وفتح الواو وتشديد الياء تصغير سوء والمعنى على القراءآت الثلاث الاخيرة فستعلمون من اصحاب الطريق المعوج والدين الباطل **قوله ومحلها الرفع على الابتداء** ومابعدها الخبر والجملة فى محل النصب سادّة مسدّ المفعولين ومن لما كانت استفهامية بمعنى اينا لم يعمل فيها فستعلمون **قوله على ان العلم بمعنى المعرفة** اذ لو كان على بابه لاحتيج الى تقدير مفعول ثان لعدم جواز الاقتصار على احد مفعوليه وعلى تقدير ان تكون من الثانية موصولة تكون فى حيز مفعول فستعلمون على معنى فستعلمون الذى اهتدى او فى حيز خبر من الاستفهامية على معنى اينا اصحاب الصراط السوىّ والذى اهتدى او فى حيز المجرور باضافة اصحاب اليه على معنى اينا اصحاب الصراط السوىّ واصحاب الذى اهتدى على ان المراد بالذى اهتدى النبى عليه الصلاة والسلام

سورة الانبياء مكية وهى مائة واثنتا عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله بالاضافة الى مامضى جواب عما يقال كيف وصف وقت الحساب بالاقتراب مع انه قد عدّ من بعد نزول هذا القول اكثر من تسعمائة سنة يقال قرب الشيء واقترب اذادنا والحساب بمعنى المحاسبة وهو اظهار ماللعبد وماعليه ليجازى على ذلك قيل المراد به وقت حسابهم وهو يوم القيامة كما قال اقتربت الساعة فسمى يوم القيامة بيوم الحساب تسمية للزمان باعظم ماوقع فيه واشدّه وقعا فى القلوب فان الحساب هو الكاشف عن حال المرء ففى تسميته به تخويف عظيم للمكلفين **قوله واللام صلة لاقترب** الفرق بين كونها صلة وكونها تأكيدا للاضافة ان اللام الجارة اذا كانت صلة لاقترب كان المقترب له اى المدنوّ منه مذكورا وكان المعنى دنا من الناس حسابهم واذا كانت تأكيدا للاضافة لم يكن المقترب له اى المدنوّ منه مذكورا العلم به فيصير المعنى كما قيل اقترب حساب الناس اى الحساب الذى للناس فلما كانت اللام لتأكيد الاختصاص المستفاد من الاضافة كان اصل المعنى اقترب حساب الناس لان المقصود بيان دنوّ وقت حسابهم وهو يحصل من هذا التركيب ثم قدّم المضاف اليه وادخل عليه اللام الجارة المفيدة لاختصاص الحساب بهم المدلول عليه بالاضافة وعرف الحساب تعريف الجنس فصار اقترب للناس الحساب على ان للناس ظرف مستقرّ قدم على الحساب لكون العناية مصروفة الى ذكر المقترب له وبيان ان الحساب لهم لالغيرهم وفى التقديم والتصريح باللام وتعريف الحساب مبالغات ليست فى قولك اقترب حساب الناس ثم حذف لام التعريف من الحساب واضيف الى ضمير الناس تأكيداً لاختصاص الحساب بهم المدلول عليه بلام الاختصاص * فان قيل اذا كان اقترب للناس مقدما فى الاعتبار على ان يقال اقترب للناس حسابهم لم يكن اللام تأكيداً للاضافة بل يكون الامر بالعكس * فالجواب انه اذا كان احدهما تأكيدا للآخر كان كل واحد منهما مؤكدا بالآخر فصح جعل اللام تأكيداً للاضافة ومعنى التأكيد ان كل واحدة من اللام الجارة والاضافة مغنية عن الاخرى فاذا جمع بينهما كانت احداهما تأكيدا للاخرى **قوله معرضون عن التفكر فيه** فان العقول السليمة حاكمة بانه لابدّ من الحساب والجزآء والالزم التسوية بين المطيع والعاصى والمتقين والفجار وهى بعيدة عن مقتضى الحكمة والعدالة **قوله محدث تنزيله** يعنى ان المراد بالذكر كلام الله تعالى الذى يذكرهم مالهم وماعليهم وهو صفة ازلية قديمة الا انه تعالى ازله بالتفاريق واحدث تنزيله فى كل وقت على حسب المصالح وقدر الحاجة فذات المنزل ازلى قديم والمحدث انما هو تنزيله فظهر الجواب عن استدلال المعتزلة بهذه الآية على ان القرءآن محدث قائلين ان القرءآن ذكر لقوله تعالى فى صفة القرءآن ان هو الاذكر للعالمين والذكر محدث بهذه الآية فالقرءآن محدث * واجيب عنه ايضا بان الموصوف بالاتيان وبانه ذكر هو المركب من الحروف والاصوات وحدوثه مما لانزاع فيه وانما النزاع فى قدم كلام الله تعالى عزوجل بمعنى آخر فقوله تعالى مايأتيهم من ذكر الآية بيان لكونهم معرضين وذلك لان الله تعالى يجدّد لهم الذكر كل وقت ويظهر لهم الآية والسورة بعد السورة ليكرّر على اسماعهم الموعظة ليتعظوا فمازيدهم ذلك الا استسخاراً قرأ العامة محدث بالجرّ على انه صفة لذكر محمول على لفظه وقرئ مرفوعا حملا على محله لان من مزيدة فيه كما فى ماجاءنى من احد **قوله لاهية قلوبهم** اى متشاغلة عن التأمل فيه من لهيت عن الشيء الهى لهيا ولهيانا بالضم من باب علم اذا غفلت عنه قدم ذكر اللعب على اللهو كما فى قوله تعالى انما الحياة الدنيا لعب ولهو تنبيها على ان اشتغالهم باللعب الذى معناه السخرية والاستهزآء معلل باللهو الذى معناه الذهول والغفلة فانهم انما اقدموا على اللعب لذهولهم عن الحق **قوله اى استمعوه جامعين** على تقدير ان يكونا حالين مترادفين من واو استمعوه وان كان لاهية حالا من واو يلعبون يكون من قبيل الاحوال المتداخلة لكون الحال الاولى عاملة فى الثانية **قوله بالغوا فى اخفائها** جواب عما يقال من ان النجوى اسم من التناجى فلاتكون الاخفية فامعنى قوله تعالى واسرّوا النجوى * اجاب عنه اوّلا بان معناه بالغوا فى اخفائها وثانيا بان المعنى جعلوها بحيث لايفطن احد لتناجيهم ولايعلم انهم متناجون **قوله بدل من واو أسرّوا** فيكون واو أسرّوا ضميرا عائدا الى ماعاد اليه سائر الضمائر المذكورة ويكون المقصود من ابدال قوله الذين ظلموا من الواو الاعلام بانهم المبالغون فى الظلم وذلك لانه جعل الذين ظلموا مفسرا لهم بهذا الابدال وان كان الذين ظلموا فاعلا يكون واو أسرّوا حرفا جيء به للدلالة على ان الفاعل جمع كما يؤتى بالتاء للدلالة

سورة الانبياء مكية وهى مائة واثنتا عشرة آية

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اقترب للناس حسابهم) بالاضافة الى مامضى اوعند الله لقوله تعالى انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا وقوله ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كألف سنة مماتعدّون اولانّ كل ماهو آت قريب وانما البعيد ماانقرض ومضى واللام صلة لاقترب اوتأكيد للاضافة واصله اقترب حساب الناس ثم اقترب للناس الحساب ثم اقترب للناس حسابهم وخص الناس بالكفار لتقييدهم بقوله (وهم فى غفلة معرضون) اى فى غفلة من الحساب معرضون عن التفكر فيه وهما خبران للضمير ويجوز ان يكون الظرف حالا من المستكنّ فى معرضون (مايأتيهم من ذكر) ينبههم من سنة الغفلة والجهالة (من ربهم) صفة لذكر اوصلة ليأتيهم (محدث) تنزيله ليكرّر على اسماعهم التنبيه كى يتعظوا وقرئ بالرفع حملا على المحل (الا استمعوه وهم يلعبون) يستهزئون به ويسخرون منه لتناهى غفلتهم وفرط اعراضهم عن النظر فى الامور والتفكر فى العواقب وهم يلعبون حال من الواو وكذلك (لاهية قلوبهم) اى استمعوه جامعين بين الاستهزآء به والتلهى والذهول عن التفكر فيه ويجوز ان يكون من واو يلعبون وقرئت بالرفع على انه خبر آخر للضمير (وأسرّوا النجوى) بالغوا فى اخفائها اوجعلوها بحيث خفى تناجيهم بها (الذين ظلموا) بدل من واو أسرّوا للايماء بانهم ظالمون فيما اسرّوا به اوفاعل له والواو لعلامة الجمع اومبتدأ والجملة المتقدمة خبره واصله وهؤلاء اسرّوا النجوى فوضع الموصول موضعه تسجيلا على فعلهم بانه ظلم اومنصوب على الذم

(هل هذا الا بشر مثلكم أفتأتون السحر وانتم تبصرون) بأسره فى موضع النصب بدلا من النجوى اومفعولا لقول مقدّر كأنهم استدلوا بكونه بشرا على كذبه فى ادّعاء الرسالة لاعتقادهم ان الرسول لايكون الاملكا واستلزموا منه ان ماجاء به من الخوارق كالقرآن سحر فانكروا حضوره وانما اسرّوا به تشاورا فى استنباط مايهدم امره ويظهر فساده للناس عامّة (قل ربى يعلم القول فى السماء والارض) جهرا كان اوسرّا فضلا عما أسرّوا به وهو آكد من قوله قل انزله الذى يعلم السرّ فى السموات والارض ولذلك اختير ههنا وليطابق قوله وأسرّوا النجوى فى المبالغه وقرأ حمزة والكسائى وحفص قال بالاخبار عن الرسول (وهو السميع العليم) فلايخفى عليه ماتسرّون ولاما تضمرون (بل قالوا أضغاث احلام بل افتراه بل هو شاعر) اضراب لهم عن قولهم هو سحر الى انه تخاليط الاحلام ثم الى انه كلام افتراه ثم الى انه قول شاعر والظاهر ان بل الاولى لتمام حكاية والابتداء باخرى اوللاضراب عن تحاورهم فى شأن الرسول صلى الله عليه وسلم وماظهر عليه من الآيات الى تقاولهم فى امر القرآن والثانية والثالثة لاضرابهم عن كونه اباطيل خيلت اليه وخلطت عليه الى كونه مفتريات اختلقها من تلقاء نفسه ثم الى انه كلام شعرى يخيل الى السامع معانى لاحقيقة لها ويرغبه فيها ويجوز ان يكون الكل من الله تنزيلا لأقوالهم فى درج الفساد لان كونه شعرا ابعد من كونه مفترى لانه مشحون بالحقائق والحكم وليس فيه مايناسب قول الشعرآء وهو من كونه احلاما لانه مشتمل على مغيبات كثيرة طابقت الواقع والمفترى لايكون كذلك بخلاف الاحلام ولانهم جرّبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم نيفا واربعين سنة وماسمعوا منه كذبا قط وهو من كونه سحرا لانه يجانسه من حيث انهما من الخوارق (فليأتنا بآية كما ارسل الاوّلون) اى كما ارسل به الاوّلون مثل اليد البيضاء والعصا وابرآء الاكمه واحياء الموتى وصحة التشبيه من حيث ان الارسال يتضمن الاتيان بالآية (ماآمنت قبلهم من قرية) من اهل قرية (اهلكناها) باقتراح الآيات لما جاءتهم (أفهم يؤمنون) لو جئتهم بها وهم اعتى منهم وفيه تنبيه على ان عدم الاتيان بالمقترح للابقاء عليهم اذلو أتى به ولم يؤمنوا استوجبوا عذاب الاستئصال كمن قبلهم (الآية)

على ان الفاعل مؤنث ﴿قوله وانما اسرّوا به تشاورا﴾ لما كان هذا الحديث منهم على طريق التشاور فيما بينهم والتحاور فى طلب الطريق الى هدم امره لاجرم اسرّوا به لان عادة المتشاورين ان يجتهدوا فى كتمان سرّهم عن اعدآئهم ﴿قوله جهرا كان اوسرّا﴾ اشارة الى جواب مايقال هلا قيل يعلم السرّ حتى يطابق قوله واسرّوا النجوى * وتقريره ان القول عام يشمل السرّ والجهر فكان العلم بالقول العلم بالسرّ وزيادة فكان آكد فى بيان الاطلاع على نجواهم من ان يقول يعلم السرّ الواقع كما ان قوله يعلم السرّ آكد من قوله يعلم سرّهم مع انه مطابق لقوله واسرّوا النجوى لان النجوى هو القول الواقع بطريق المسارّة والمطلق مطابق لكل واحد مما تحته ﴿قوله ولاما تضمرون﴾ اشارة الى ان متعلق قوله العليم هو مااضمروه فى نفوسهم من غير ان يتكلموا به لاسرّا ولاجهرا لقوله تعالى يعلم السرّ واخفى * قال الامام قدّم السمع على العلم لانه لابدّ من سماع الكلام اوّلا ثم حصول العلم بمعناه ولايخفى ان هذا التوجيه لايصح فيما اسند اليه تعالى من السماع ﴿قوله اضراب لهم﴾ يعنى ان الاضرابات المذكورة فى هذه الآية واقعة فى كلام الذين ظلموا حكاها الله تعالى عنهم كما وقعت فى كلامهم للدلالة على كونهم متحيرين خابطين خبط عشوآء لايميزون بين مضرب عنه ومضرب منه لايدرون مايقولون ولايجدون متمسكا ينفعهم فى هدم امره واظهار فساد ما ادّعاه من الرسالة ولما كان هذا التوجيه مشكلا من حيث ان الاضرابات المذكورة لوكانت واقعة فى كلام الكفرة وانه تعالى حكاها عنهم كما وقعت لوجب ان يكون قالوا مقدّما على بل بأن يقال قالوا بل اضغاث احلام ليفيد الكلام حكاية اضرابهم وتقديم بل على قالوا لايفيد ذلك قال المصنف والاظهر ان تكون بل الاولى اضرابا منه تعالى عن حكاية قولهم هل هذا الابشر مثلكم افتأتون السحر وانتم تبصرون الى حكاية قولهم فى حق القرآن انه اضغاث احلام اويكون اضرابا عن محكى اى عن التحاور فى شأنه عليه الصلاة والسلام وفى شأن ماجاء به من الخوارق الى التقاول فى امر القرآن وان تكون بل الثانية والثالثة من كلام الكفرة اضربوا بهما عن قولهم فى امر القرآن انه اضغاث احلام الى انه مفترى الى انه كلام شعرى ثم جوّز ان تكون كلمة بل من كلام الله تعالى لامحكية عن الكفرة لان الكلام المحكى مايقع بعد القول فيفيد الكلام ان قولهم الثانى افسد من الاوّل والثالث من الثانى والرابع من الثالث ووجه افادة بل هذا المعنى ان الاضراب قديكون لابطال الكلام الاوّل وقديكون للانتقال منه الى خبر آخر أهمّ من الاوّل والاضراب الواقع فى كلام الله تعالى لايحمل على الاوّل لانه يستلزم ان يكون الاوّل باطلا فى نفسه اوغلطا والله تعالى منزه عن ذلك فلابدّ ان يكون الاضراب الواقع فيه للانتقال الى الاهم والاهم فى مقام بطلان مقالة القوم بيان ماهو افسد بالنسبة الى الاوّل فيكون مابعد بل فى مثل هذا المقام افسد بالنسبة الى ماقبلها ﴿قوله وليس فيه مايناسب قول الشعرآء﴾ لان الشعر تخيلات ملفقة وتمويهات مزخرفة يدعو الى الهوى والشيطان والقرآن يدعو الى الهدى وطاعة الرحمن وماعلمناه الشعر وماينبغى له ان هو الاذكر وقرآن مبين لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين وقولهم انه كلام مفترى من عند نفسه مع كونه باطلا فى نفسه لان القوّة البشرية وان استفرغت طوقها لاتطيق اتيان مثله فهو ابعد من قولهم انه اضغاث احلام مع كونه فاسدا فى نفسه من حيث ان الكتاب الذى احكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير كيف يتصوّر كونه من تخاليط الاحلام فهو اشدّ فسادا بالنسبة الى قولهم انه سحر لان تشبيه النظم المعجز الفائق بالسحر اقرب من جعله من تخليط الاحلام لقوله عليه الصلاة والسلام * ان من البيان لسحرا * والاضغاث الحزم من النبات وغيره فاستعير للتخاليط والاباطيل شبهت تخاليط الاحلام واباطيلها بحزم من اخلاط النبات فى كونها مخلوطة من اشياء غير متناسبة ثم استعملت فى الاباطيل بقرينة اضافتها الى الاخلاط والحلم بضم الحاء وسكون اللام هو الرؤيا وضم اللام ايضا لغة فيه فالاحلام بمعنى المنامات سوآء كانت باطلة اوحقة واضيف الاضغاث بمعنى الاباطيل اليها على طريق اضافة الخاص الى العام اضافة بمعنى من وقد تخص الرؤيا بالمنام الحق والحلم بالمنام الباطل كما فى قوله عليه الصلاة والسلام * الرؤيا من الله تعالى والحلم من الشيطان ﴿قوله وصحة التشبيه﴾ جواب عما يقال محل الكاف فى قوله كما ارسل الاوّلون اما جرّ على انه صفة آية اونصب على انه صفة مصدر محذوف فالتقدير على الاوّل بآية مثل ارسال الاوّلين وعلى الثانى اتيانا مثل ارسال الاوّلين وما مصدرية على الوجهين ولاوجه لتشبيه الآية ولالتشبيه اتيانها بارسال الاوّلين * وتقرير الجواب ان الارسال يتضمن اتيان الآية ويستلزمه فذكر الارسال الذى هو ملزوم لاتيان

الآية واريد لازمه مجازا فكأنه قيل بآية مثل آية الاوّلين او اتيانا مثل اتيان الاوّلين واشار المصنف بقوله كما ارسل الاوّلون الى جواب آخر وهو ان كلمة ما فى قوله تعالى كما ارسل الاوّلون موصولة وعائدها محذوف والمعنى بآية مثل الآية التى ارسل بها الاوّلون وتشبيه الآية بالآية تشبيه واضح لاخفاء فيه ثم ان مشركى مكة لما اقترحوا آية شبيهة بآية الاوّلين فى انها لايتطرّق اليها احتمال انها اضغاث احلام اوكلام مفترى اوقول شاعر اجابهم الله تعالى بان الامم التى اهلكناهم باصرارهم على التكذيب بعد ما آتيهم الآيات التى اقترحوها لم يؤمنوا باتيانها فلو أتاهم ما اقترحوه لما آمنوا ايضا لكونهم اعتى منهم فاستوجبوا عذاب الاستئصال مثلهم لان الحكمة الآلهية قد اقتضت انّ من كذبوا بعد الاجابة الى ما اقترحوه لابدّ ان ينزل بهم عذاب الاستئصال وقد سبق وعده فى حق هذه الامّة ان يؤخر عذابهم الى يوم القيامة فلذلك لم يجابوا الى مااقترحوه للابقاء عليهم اى للترحم بهم يقال ابقى على فلان اذا رحمه ﴿قوله والاحالة اليهم﴾ اى احالة المشركين الى اليهود والنصارى فى استعلام ان البشرية لاتنافى الرسالة اما للالزام والاسكات لالاثبات الحكم المتعلق بالاعتقادات بما تقول الكفرة فان اليهود والنصارى وان انكروا نبوّة رسول الله عليه الصلاة والسلام الا انهم لاينكرون ان الرسل كانوا بشرا ثم انهم لما كانوا يوافقون المشركين فى معاداته عليه الصلاة والسلام كان المشركون لايكذبونهم فيما قالوا فى حق الرسل واما لانه لافرق بين المؤمنين والكفار فى حصول العلم بخبرهم اذا بلغ حدّ التواتر ﴿قوله وقرأ حفص نوحى بالنون﴾ اى بنون العظمة مبنيا للفاعل اى نوحى نحن والباقون بالياء وفتح الحاء مبنيا للفعول وهذه الجملة فى محل النصب على انها صفة لرجالا ﴿قوله نفى لما اعتقدوا انها﴾ انث العائد الى ما لكونها عبارة عن الخاصة فان عدم الاحتياج الى الطعام والخلود بمعنى عدم طريان الموت من خواص الملائكة نفاها عن الرسل تحقيقا لكونهم ابشارا جمع بشر مثلهم وابطالا لزعم ان البشرية تنافى الرسالة فان نفى الخاصة اللازمة للملكية يستلزم نفى الملزوم فتحقق كونهم ابشارا مثلهم ﴿قوله وقيل جواب﴾ عطف على قوله نفى لما اعتقدوا وتوضيح هذا القول ان الكفرة كانوا يطعنون فى الرسالة باشياء منها قولهم أبعث الله بشرا رسولا وقولهم هل هذا الابشر مثلكم فألزمهم الله تعالى بان الرسل الذين صدّقهم آباؤهم وآمنوا بهم كانوا من البشر وان رسالتهم صحت بما اظهر الله تعالى على ايديهم من الخوارق والمعجزات فلما صحت رسالتهم بذلك فقد صحت رسالة سيد المرسلين بما يظهره الله تعالى على يديه من الآيات الباهرة فلا يعاب عليه بكونه بشرا ومنها قولهم ان الذى يدّعى الرسالة يأكل الطعام ويشرب وينكح ويمشى فى الاسواق كغيره من الناس كما اخبر الله تعالى عنهم ذلك بقوله مالهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق ونحوه فألزمهم واخبرهم ان الرسل الذين كانوا من قبل كانوا يأكلون الطعام ويشربون ويمشون فى الاسواق ويقضون حوآئجهم فقال وماجعلناهم جسدا لايأكلون الطعام وما كانوا خالدين اى فى الدنيا وقال فى آية اخرى ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرّية فعلى ذلك هذا الرسول المبعوث اليكم كسائر الرسل الذين كانوا من قبل ممن كان يأكل ويشرب وينكح وانه بشر وهو رسول كسائر الرسل ولم يرض المصنف بهذا التأويل لان جعل الكلام اجنبيا عما سيق له الكلام مع امكان ربطه بالمقام لايخلو عن بعد ﴿قوله وتوحيد الجسد﴾ جواب عما يرد من انّ جعل فى الآية الظاهر بمعنى صير فيتعدّى الى مفعولين ثانيهما جسدا ومفعوله الاوّل وهو هم جمع فكيف يصح ان يخبر عن الجمع بالمفرد وايضا الظاهر ان قوله لايأكلون فى محل النصب على انه صفة لجسد فكيف يصح ان يرجع اليه ضمير الجمع وان جعل تقدير الكلام وماجعلناهم ذوى جسد غير طاعمين او وماجعلنا كل واحد منهم جسدا كقوله ثم نخرجكم طفلا اى نخرج كل واحد منكم طفلا سقط الايراد وفى الصحاح الجسد البدن والجسم والجسد ايضا الزعفران اونحوه من الصبغ وهوالدم ايضا والجسد ايضا مصدر قولك جسد به يجسد اذا لصق فهو جاسد وجسيد ويقال الجسد لما اشبع صبغه من الثياب ويقال للزعفران الجساد ﴿قوله اى فى الوعد﴾ يعنى ان صدق يتعدّى الى مفعولين الى ثانيهما بحرف الجرّ وقد يحذف ويقال صدقتك الحديث اى فى الحديث كما فى قوله تعالى واختار موسى قومه اى من قومه وضمير صدقناهم للرسل وقد وعدهم الله تعالى بانجائهم وانجاء من صدّقهم وآمن بهم واهلاك من كذبهم ويدل عليه قوله تعالى فانجيناهم ومن نشأ واهلكنا المسرفين اى بعذاب الاستئصال وليس المراد عذاب الآخرة لانه اخبار بما مضى * والصيت الذكر الجميل الذى ينشر فى الناس دون القبيح يقال له ذكر فى الناس اى صيت

﴿وما ارسلنا قبلك الارجالا يوحى اليهم فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لاتعلمون﴾ جواب لقولهم هل هذا الابشر مثلكم يأمرهم ان يسألوا اهل الكتاب عن حال الرسل المتقدّمة ليزول عنهم الشبهة والاحالة اليهم امّا للالزام فان المشركين كانوا يشاورونهم فى امر النبى عليه السلام ويثقون بقولهم اولان اخبار الجم الغفير يوجب العلم وان كانوا كفارا وقرأ حفص نوحى بالنون ﴿وماجعلناهم جسدا لايأكلون الطعام وما كانوا خالدين﴾ نفى لما اعتقدوا انها من خواص الملك عن الرسل تحقيقا لانهم كانوا ابشارا مثلهم وقيل جواب لقولهم مالهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق وما كانوا خالدين تأكيد وتقرير له فان التعيش بالطعام من توابع التحليل المؤدّى الى الفناء وتوحيد الجسد لارادة الجنس اولانه مصدر فى الاصل او على حذف المضاف او تأويل الضمير بكل واحد وهو جسم ذو لون ولذلك لايطلق على الماء والهوآء ومنه الجساد للزعفران وقيل جسم ذو تركيب لان اصله لجمع الشئ واشتداده ﴿ثم صدقناهم الوعد﴾ اى فى الوعد ﴿فأنجيناهم ومن نشاء﴾ يعنى المؤمنين بهم ومن فى ابقائه حكمة كمن سيؤمن هو او أحد من ذرّيته ولذلك حميت العرب من عذاب الاستئصال ﴿واهلكنا المسرفين﴾ فى الكفر والمعاصى ﴿لقد انزلنا اليكم﴾ ياقريش ﴿كتابا﴾ يعنى القرآن ﴿فيه ذكركم﴾ صيتكم لقوله وانه لذكر لك ولقومك او موعظتكم اوما تطلبون به حسن الذكر من مكارم الاخلاق ﴿أفلا تعقلون﴾ فتؤمنون به

وشرف وفى القرآن صيت لقريش لانه بلسانهم ولغتهم منزل على نبى منهم يشتهرون بشهرته ويشرفون بشرفه لانهم جلته والمرجوع اليهم فى حل معاقده وقد يكون الذكر بمعنى التذكرة والموعظة بالوعد والوعيد فيكون من قبيل قوله تعالى كلا انها تذكرة وقوله وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين ويجوز ان يراد بالذكر مايكون سببا للذكر الجميل من مكارم الاخلاق التى من تخلق بها ينتشر صيته فى الناس وقوله تعالى فيه ذكركم معناه فى علمه والعمل بما فيه جميع ماتحتاجون اليه فى امر دينكم ودنياكم من حسن الجوار وصلة الرحم وتعظيم امر الله والشفقة على عباده وصدق الحديث وأدآء الامانة والوفاء بالعهد وغير ذلك فذكر الذكر واريد به مكارم الاخلاق الموجبة للثناء الحسن فيكون من باب ذكر المسبب وارادة السبب * واعلم ان قوله تعالى ثم صدقناهم الوعد عطف على قوله وما ارسلنا قبلك اى قد ارسلنا قبلك رسلا يوحى اليهم ابشارا مثلك ثم صدقناهم الوعد فمحمد عليه الصلاة والسلام نبى كسائر الانبياء بشر مثلهم ولابد ان يصدقه الله تعالى فى وعده فاحذروا ياقريش سوء العاقبة ونزول البلاء على تكذيبه ثم قال تعالى لقد انزلنا واجاب عن قولهم فليأتنا بآية بقوله ماآمنت ثم اجاب عن قولهم هل هذا الابشر مثلكم بقوله وما ارسلنا وادرج فيه التهديد ايضا بقوله ثم صدقناهم الوعد ثم بين انه قد اتاكم مايكفيكم ويغنيكم عن اقتراح الآيات ويوجب ايمانكم به وهو الكتاب الذى فيه ذكركم أفلا تعقلون فتؤمنون به وترتدعون عن اقتراح الآيات وعن القدح فيه بما لايليق به وتقضى بداهة العقول ببطلانه ﴿قوله فلما ادركوا الخ﴾ لما لم يجب ان يكون مااصاب المهلكين من الناس محسوسا باحدى الحواس الظاهرة جعل قوله تعالى أحسوا استعارة تبعية بان شبه ادراكهم البأس بادراك المحسوس فاطلق عليه اسم الاحساس واشتق منه قوله أحسوا ﴿قوله راكضين دوابهم او مشبهين بهم﴾ يعنى ان الركض ضرب الدابة بالرجل ومنه قوله تعالى اركض برجلك ويجوز ان يكونوا ركبوا دوابهم يركضونها هاربين منهزمين من قريتهم لما ادركتهم مقدمة العذاب ويجوز ان يشبهوا فى سرعة عدوهم على ارجلهم بالراكبين الراكضين لدوابهم ﴿قوله تعالى الى ماأترفتم فيه﴾ اى الى نعمكم التى خولتموها وتوسعتم فيها حتى بطرتم بها فكفرتم واعرضتم عن من جعلها لكم اى عن حمده وشكره قال الخليل المترف الموسع عليه عيشه القليل فيه همه والمعنى ارجعوا الى نعمكم والى مساكنكم التى تسكنونها لعلكم تسألون غدا عن اعمالكم او ارجعوا اليها واجلسوا كما كنتم فى مجالسكم وترتبوا فى مراتبكم حتى يسألكم عبيدكم ومن ينفذ فيه امركم ونهيكم ويقولوا لكم بم تأمرون وبماذا ترسمون كعادة المخدومين اولعل الناس تسألكم مما فى ايديكم ويستشيرونكم فى المهمات والنوازل او ارجعوا الى نعيمكم ومساكنكم لعلكم تسألون غدا عما جرى عليكم وعلى اموالكم ومساكنكم فتجيبوا السائل عن علم ومشاهدة ﴿قوله ياثارات الانبياء﴾ اللام فيه للاستغاثة والثأر الانتقام من القاتل بقتله مكان المقتول يقال ثأر القتيل بالقتل اى قتل قاتله وبابه قطع والمقصود من ندآء الثارات الاخبار عن موجب دعائهم على انفسهم بالويل حيث قالوا ياويلنا وبينوا وجه استحقاقهم به بان قالوا انا كنا ظالمين على انفسنا بتكذيب الرسل قال تعالى فما زالت تلك الكلمة وهى ياويلنا دعواهم اى دعاءهم فتلك مرفوع وعلى انه اسم مازالت ان جعلت الدعوى منصوبة المحل على الخبرية او منصوب على انه خبر وان الدعوى اسم وكل واحد من الوجهين جيد لانهما معرفتان * وحصيدا من باب التشبيه البليغ اى مثل ذلك الزرع المحصود والفعيل بمعنى المفعول يستوى فيه المفرد والجمع والمذكر والمؤنث ﴿قوله وهو مع حصيدا بمنزلة المفعول الثانى﴾ وليس كل واحد منهما مفعولا على حدة لان جعل لايتعدى الى ثلاثة مفاعل فانه قد تعدى الى مفعوله الاول وهو ضمير الجمع فلا يتعدى به الى مفعولين آخرين فلذلك جعل حصيدا خامدين بمنزلة مفعول واحد كما اذا قلت جعلته حلوا حامضا فانه فى معنى جعلته جامعا للطعمين وكذلك مانحن فيه فان معناه جعلناهم جامعين لمماثلة الحصيد والخمود ﴿قوله او صفة له﴾ عطف على قوله بمنزلة المفعول الثانى اى يجوز ان يكون خامدين صفة لحصيدا فانه مفرد فى معنى الجمع وان يكون حالا من الضمير المستكن فى حصيدا وقوله خامدين استعارة تبعية شبه الموت بخمود النار وانطفائها فاطلق عليه اسم الخمود ثم اشتق منه خامدين ﴿قوله فينبغى ان يتسلقوا بها﴾ اى ان يلقوا ويقعوا بسببها فان تسلق مطاوع لقولك سلقته سلقا اذا ألقيته على ظهره وربما يقال سلقيته سلقاء بزيادة الياء واشار المصنف به الى وجه تعلق هذه الآية بما قبلها وهو انه تعالى لما بين اهلاك القرى لاجل تكذيبهم اتبعه بمايدل على انه فعل ذلك عدلا منه ومجازاة على مافعلوه وهو انهم ضيعوا ماخلقه الله تعالى لفوائد دينية ودنيوية اما الدينية فهى ان يتفكر المكلفون

(فيها)

(وكم قصمنا من قرية) واردة من غضب عظيم لان القصم كسر يبين تلاؤم الاجزاء بخلاف الفصم (كانت ظالمة) صفة لاهلها وصفت بها لما اقيمت مقامه (وانشأنا بعدها) بعد اهلاك اهلها (قوما آخرين) مكانهم (فلما أحسوا بأسنا) فلما ادركوا شدة عذابنا ادراك المشاهد المحسوس والضمير للاهل المحذوف (اذاهم منها يركضون) يهربون مسرعين راكضين دوابهم او مشبهين بهم من فرط اسراعهم (لاتركضوا) على ارادة القول اى قيل لهم استهزآء لاتركضوا امابلسان الحال او المقال والقائل ملك او من ثمة من المؤمنين (وارجعوا الى ماأترفتم فيه) من التنعم والتلذذ والاتراف ابطار النعمة (ومساكنكم) التى كانت لكم (لعلكم تسألون) غدا عن اعمالكم او تعذبون فان السؤال من مقدمات العذاب او تقصدون للسؤال والتشاور فى المهام والنوازل (قالوا ياويلنا انا كنا ظالمين) لما رأوا العذاب ولم يروا وجه النجاة فلذلك لم ينفعهم وقيل ان اهل حضور من قرى اليمن بعث اليهم نبى فقتلوه فسلط الله عليهم بخت نصر فوضع السيف فيهم فنادى مناد من السماء ياثارات الانبياء فندموا وقالوا ذلك (فما زالت تلك دعواهم) فما زالوا يرددون ذلك وانما سماه دعوى لان المولول كانه يدعو الويل ويقول ياويل تعال فهذا اوانك وكل من تلك ودعواهم يحتمل الاسمية والخبرية (حتى جعلناهم حصيدا) مثل الحصيد وهو النبت المحصود ولذلك لم يجمع (خامدين) ميتين من خمدت النار وهو مع حصيدا بمنزلة المفعول الثانى كقولك جعلته حلوا حامضا اذ المعنى جعلناهم جامعين لمماثلة الحصيد والخمود او صفة له او حال من ضميره (وماخلقنا السماء والارض ومابينهما لاعبين) وانما خلقناها مشحونة بضروب البدآئع تبصرة للنظار وتذكرة لذوى الاعتبار وتسبيبا لما ينتظم به امور العباد فى المعاش والمعاد فينبغى ان يتسلقوا بها الى تحصيل الكمال ولا يغتروا بزخارفها فانها سريعة الزوال

فيها ويستدلوا بها على عظمة الله وكبريائه وكمال قدرته وحكمته واما الدنيوية فهي ماتعلق بها من المنافع التى لاتعدّ ولاتحصى فمن اغترّ بزخارفها ولم يتسلق بها الى الاستكمال بالكمالات العلمية والعملية فجدير بان يهلك ويجعل نكالا وعبرة لغيره ثم انه تعالى لما ذكر انه لم يخلق هذا السقف المرفوع والمهاد المبسوط ومابينهما من بدآئع الموجودات وغرآئب المصنوعات لان يتلهى به ويلعب بين انه لم يتخذ ما يتلهى به ويلعب من حيث ان الحكمة صارفة عنه لامن جهة عدم القدرة على اتخاذه فقال لو اردنا ان نتخذ لهوا اى مايتلهى به على أنه مصدر بمعنى المفعول يقال لهوت بالشئ بالفتح ألهو لهوا اذا لعبت به لاتخذناه من جهة قدرتنا عليه لكنا لم نتخذه لعدم ارادتنا اتخاذه ومن فسر اللهو بالولد والمرأة فقد اخرج الكلام عن الالتئام بما قبله قال الامام الواحدى اللهو طلب الترويح للنفس ثم المرأة تسمى لهوا وكذا الولد لانه يتروّح بكل واحد منهما ولهذا يقال لامرأة الرجل وولده ريحانتاه والمعنى لو اردنا ان نتخذ امرأة ذات لهو وولدا ذا لهو لاتخذناه من لدنا اى مما نصطفيه ونختاره مما نشاء من خلقنا كقوله لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق مايشاء وقال المفسرون اى من الحور العين وهذا ردّ لقول اليهود فى عزير وقول النصارى فى المسيح وامه من كونهما ولدا وصاحبة ومعنى من لدنا من عندنا اى بحيث لايجرى لاحد فيه تصرّف لان ولد الرجل وزوجته يكونان عنده لاعند غيره انتهى ﴿قوله ويدل على جوابه﴾ يعنى ان كلمة ان فى الآية شرطية وجواب الشرطية محذوف لدلالة جواب لو عليه والتقدير ان كنا فاعلين اتخذناه ولكنا لم نفعله لانه لايليق بالربوبية وفائدة تكرير كلمة الشرط ان الاولى لتعلق الاتخاذ بالارادة والثانية لتعلق الاتخاذ المرتب على الارادة بكونه ممن يفعل ذلك وتقتضيه حكمته ﴿قوله والجملة كالنتيجة للشرطية﴾ كأنه قيل لو اردنا لفعلناه ولكن لم نرده فما كنا فاعلين ثم انه تعالى اضرب عن حديث تعليق اتخاذ ما يتلهى به على تعلق ارادته بذلك وعلى كونه ممن يجوز له ان يفعل ذلك وجعله كالمسكوت عنه الى بيان ماهو اهم بالنسبة الى ماقبله وهو ان شأنه تعالى ان يسلط الحق ويورده على الباطل حتى يذهبه فيهلكه ﴿قوله وانما استعار لذلك﴾ اى استعار القذف للتغليب والتسليط واستعار الدمغ للمحق والمحو بان شبه الحق بالجرم الصلب [illegible] وشبه الباطل بالجرم الرخو الاجوف فقذف بذلك الجرم الثقيل عليه فدمغه على طريق تشبيه المعقول بالمحسوس فان كل واحد من الحق والباطل من قبيل المعقول والجرم الصلب والرخو من قبيل المحسوس وعبر عن هذه الصورة المعقولة بما يدل على الهيئة المحسوسة لتتمكن تلك الهيئة المعقولة فى ذهن السامع فضل تمكن قال صاحب المفتاح اصل استعمال القذف والدمغ فى الاجسام ثم استعير القذف لايراد الحق على الباطل والدمغ لاذهاب الباطل ونحوه فالمستعار منه حسى والمستعار له عقلى وقرآءة فيدمغه بالنصب ضعيفة لما تقرّر فى النحو من ان مابعد الفاء انما ينصب باضمار ان فى جواب الاشياء الستة الامر والنهى والنفى والاستفهام والتمنى والعرض وقوله فيدمغه لم يقع بعد احد هذه الاشياء ولعل من نصبه نظر الى ان المضارع فيه شبه النفى ولهذا قيل انه فى الآية اضعف مما فى البيت لان المضارع فيها للاستمرار وقيل فى توجيه النصب ان المضارع كالتمنى والترجى فى كونهما مترقبين وانما شرطوا فى نصب مابعد الفاء السببية كون ماقبلها احد الاشياء المذكورة لان الفاء السببية تقتضى ان يكون ماقبلها سببا لما بعدها والسببية لاتتحقق الا عند تحقق احد هذه الامور ولذا لم يجز النصب فى الموجب الا فى ضرورة الشعر كما فى البيت المذكور وذلك لان الاشياء الستة مأوّلة بالمصادر فيكون ماقبل الفاء كالشرط المحقق الوقوع ويكون مابعد الفاء كجزآئه المسبب عنه ولما كان المضارع المنصوب بان مفردا وماقبل الفاء المذكورة جملة ولايجوز عطف المفرد على الجملة جعلوا ما بعد الفاء بتقدير مصدر معطوف على مصدر الفعل المقدّم فتقدير زرنى فاكرمك ليكن منك زيارة فاكرام منى وكذا المنصوب بعد الواو فانه ايضا معطوف على المصدر المقدّر من الفعل قبله فتقدير قولك زرنى وازورك ليكن منك زيارة وزيارة منى فاذا تقرّر هذا ظهر ان مراد المصنف بقوله ووجهه مع بعده ان وجه انتصاب فيدمغه مع كون النصب بعيدا لعدم وقوع الفاء بعد احد الاشياء المذكورة ان تجعل الجملة التى قبل الفاء فى تأويل المفرد كالتى بعدها فانها فى تأويل المفرد بأن المضمرة فاذا اوّل ماقبل الفاء ايضا بالمفرد تطابق المعطوفان فى الافراد فتأويل الكلام بل نريد قذف الحق على الباطل فدمغه بعطف قوله فدمغه على القذف المتحصل من الجملة قبله وجعله ابو البقاء معطوفا على الحق اى بل نقذف بالحق فالدمغ وكذا تأويل البيت واريد اللحوق بالحجاز فالاستراحة ﴿قوله وذكره

(لو اردنا ان نتخذ لهوا) مايتلهى به ويلعب (لاتخذناه من لدنا) من جهة قدرتنا او من عندنا مما يليق بحضرتنا من المجرّدات لامن الاجسام المرفوعة والاجرام المبسوطة كعادتكم فى رفع السقوف وتزويقها وتسوية الفرش وتزيينها وقيل اللهو الولد بلغة اليمن وقيل الزوجة والمراد به الردّ على النصارى (ان كنا فاعلين) ذلك ويدل على جوابه الجواب المتقدّم وقيل ان نافية والجملة كالنتيجة للشرطية (بل نقذف بالحق على الباطل) اضراب من اتخاذ اللهو وتنزيه لذاته عن اللعب اى بل من شأننا ان نغلب الحق الذى من جملته الجدّ على الباطل الذى من عداده اللهو (فيدمغه) فيمحقه وانما استعار لذلك القذف وهو الرمى البعيد المستلزم لصلابة المرمى والدمغ الذى هو كسر الدماغ بحيث يشق غشاءه المؤدّى الى زهوق الروح تصويرا لابطاله به ومبالغة فيه وقرئ فيدمغه بالنصب كقوله * سأترك منزلى لبنى تميم * وألحق بالحجاز فأستريحا * ووجهه مع بعده الحمل على المعنى والعطف على الحق (فاذاهو زاهق) هالك والزهوق ذهاب الروح وذكره لترشيح المجاز

لترشيح المجاز﴾ فان قوله فيدمغه استعير من الشجة التى بلغت الدماغ للمحو و البطلان وقرنت الاستعارة بما يلائم المستعار منه فان ذهاب الروح انما يلائم المعنى الاصلى للدمغ فان الدماغ مجمع الحواس فاذا بلغت الشجة اليه يموت الحيوان ﴿قوله وهو فى موضع الحال﴾ اى قوله مما تصفون حال من الويل و العامل الاستقرار الذى تعلق به الخبر اى استقر لكم الويل واقعا مما تصفون اى مما تصفون الله تعالى به مما لايليق به من الصاحبة و الولد و تصفون كلامه بانه سحر وأضغاث احلام ونحو ذلك من الاباطيل ثم انه تعالى لما حكى كلام الطاعنين فى النبوّات و تعنتهم باقتراح الآيات واجاب عن شبههم بانواع التهديدات بين انه منزه عن طاعتهم لانه هو المالك لجميع المحدثات و المخلوقات والملائكة المقرّبون مع كرامتهم و علوّ قدرهم عند الله اذا كانوا خاضعين له تعالى خائفين منه تعالى فالبشر مع ضعفه اولى ان يطيعوه فقال وله من فى السموات والارض ﴿قوله يعنى الملائكة المنزلين منه لكرامتهم الخ﴾ يعنى ان المراد من العندية عندية الشرف لا عندية المكان والجهة وعند وان كان من الظروف المكانية الا انه شبه قرب الشرف والمنزلة بقرب المكان و المسافة فعبر عن المشبه بلفظ المشبه به ﴿قوله وافراده للتعظيم﴾ يعنى ان قوله ومن عنده معطوف على من فى السموات و المراد به الملائكة باجماع المفسرين فيكون عطفه على من فى السموات من قبيل عطف الخاص على العام تنبيها على شرفه لان من فى السموات يتناول من عنده لامحالة وقوله لايستكبرون حال من قوله من فى السموات و ما عطف عليه ان جعل مرفوعا على انه فاعل الظرف على رأى الاخفش وان جعل مرفوعا على الابتدآء وله خبره فحينئذ لاينتصب الحال الا على رأى من يجوّز مجيء الحال من المبتدأ لا عند غيره فيكون اما من الضمير المستكن فى عنده الواقع صلة او من الضمير المستكن فى له الواقع خبرا و يحتمل ان يكون من عنده مبتدأ و لايستكبرون خبره و تكون هذه الجملة معطوفة على الجملة التى قبلها ﴿قوله او لانه أعم منه من وجه﴾ فان قوله من عنده بمعنى المكرّم عنده و فى منزلة منه كما يتناول ملائكة السموات و الارض يتناول الملائكة الذين لا يتبوّأون فى المكان فان ملائكة السموات عنصريون مخلوقون مما خلق منه السموات ومن الملائكة نوع متعال عن التبوء فى السماء و الارض لتجرّدهم من الموادّ العنصرية فلا يكون من عنده اخص مطلقا بالنسبة الى من فى السموات و الارض بل يكون اخص منه من وجه ويجوز ان يكون مباينا له بان يراد به النوع المتعالى عن التبوء ﴿قوله وانما جيء بالاستحسار﴾ جواب عما يقال المناسب لمقام توصيف الملائكة بالاجتهاد فى العبادة و مواظبتهم عليها ان يقال لايحسرون بمعنى انهم لايطرأ عليهم شيء من الاعياء و الفتور و لايستحسرون لايفيد هذا المعنى لانه يدل على انه لايطرأ عليهم غاية الحسور و اقصاه وهذا المعنى لايلائم المقام يقال حسر البعير يحسر حسورا اذا اعيي واحسر مثله و استحسر ابلغ منهما وقد يكون استفعل بمعنى فعل نحو قرّ واستقرّ فلا سؤال ولا جواب و التسبيح بالنسبة الى الملائكة كالتنفس بالنسبة الينا فكما ان قيامنا و قعودنا و تكلمنا وغير ذلك من افعالنا لايشغلنا عن التنفس فكذلك الملائكة لا يشغلهم عن التسبيح شيء من افعالهم ولا تلحقهم فترة الفراغ منه ﴿قوله بل أتخذوا﴾ اشارة الى ان أم هذه منقطعة مقدرة ببل و الهمزة حكى الله تعالى عنهم اوّلا قولهم هل هذا الا بشر مثلكم وثانيا قولهم بل قالوا اضغاث احلام الى قوله كما ارسل الاوّلون ثم اجاب عن كل واحد منهما بضرب من التهديد و الوعيد وساق الكلام الى هنا ثم اضرب عن الحكاية المذكورة و جوابها الى انكار فعلهم الذى هو اشنع من قولهم فقال ام اتخذوا آلهة وقوله من الارض يجوز ان يتعلق بمحذوف هو صفة الالهة اى عملوا وصنعوا آلهة كائنة من الارض ومنسوبة اليها كما يقال فلان من مكة بمعنى انه منسوب اليها ومعنى نسبتها الى الارض كونها مستقرّة عليها و معبودة و هى عليها ويجوز ان يتعلق باتخذوا بمعنى ابتدأوا اتخاذها من الارض بان صنعوها و نحتوها من بعض الحجارة او من بعض جواهرها كالفضة و الصفر والمقصود منه على التقديرين تحقير المتخذ دون تخصيصه لان المنكر حينئذ يكون عدم اتخاذهم الالهة السماوية اى المستقرّة عليها و المعمولة من اجزآئها ولا وجه له وقوله هم ينشرون جملة منصوبة المحل على انها صفة آلهة اى آلهة لايقدر على احياء الموتى الاهم وحدهم قرأ العامة ينشرون بضم الياء وكسر الشين وقرئ بفتح الياء وضم الشين ونشر يكون لازما ومتعديا يقال انشر الله الميت اى احياه فنشر نشورا ونشره نشرا بمعنى انشره انشارا والانكار عليهم باتخاذهم الالهة التى تنفرد باحياء الموتى يدل على انهم يعتقدون ان آلهتهم تحيي الموتى بل تستقل فى ذلك وهم لايعتقدون ذلك كيف وانهم ينكرون البعث رأسا فضلا عن ان تكون الاصنام قادرة عليه

(ولكم الويل مما تصفون) مما تصفونه به مما لايجوز عليه وهو فى موضع الحال وما مصدرية اوموصولة اوموصوفة (وله من فى السموات والارض) خلقا وملكا (ومن عنده) يعنى الملائكة المنزلين منه لكرامتهم عليه منزلة المقرّبين عند الملوك وهو معطوف على من فى السموات وافراده للتعظيم اولانه اعم منه من وجه او المراد به نوع من الملائكة متعال عن التبوّء فى السماء والارض اومبتدأ خبره (لايستكبرون عن عبادته) لا يتعظمون عنها (ولا يستحسرون) ولا يعيون منها وانما جيء بالاستحسار الذى هو ابلغ من الحسور تنبيها على ان عبادتهم بثقلها ودوامها حقيقة بان يستحسر منها ولا يستحسرون (يسبحون الليل والنهار) ينزّهونه ويعظمونه دآئما (لايفترون) حال من الواو فى يسبحون اوهو استئناف اوحال من ضمير قبله (ام اتخذوا آلهة) بل أتخذوا والهمزة لانكار اتخاذهم وقوله (من الارض) صفة لآلهة اومتعلقة بالفعل على معنى الابتدآء وفائدتها التحقير دون التخصيص (هم ينشرون) الموتى وهم وان لم يصرّحوا به لكن لزم من ادّعائهم لها الالهية فان من لوازمها الاقتدار على جميع الممكنات والمراد به تجهيلهم والتهكم بهم وللمبالغة فى ذلك زيد الضمير الموهم لاختصاص الانشار بهم

مستقلة عليه الا ان ادّعاءهم الالهية فى حقها لما استلزم اعتقادهم بذلك صح ان ينكر عليهم بذلك اللازم على طريق التجهيل و التهكم ثم انه تعالى لما انكر عليهم اتخاذهم الآلهة استدل على بطلانه بقوله لوكان فيهما آلهة الا الله لفسدتا اى لوفرض ذلك وقدّر كما قدّر المستحيلات لفسد ماخلقناه بالحق كما قال و ماخلقنا السماء و الارض و مابينهما لاعبين قال اهل النحو فى قوله تعالى الا الله لفسدتا الا ههنا بمعنى غير صفة للنكرة قبلها الا انه لما تعذر الاعراب فيها جعل مااستحقته من الرفع على مابعدها و المعنى لوكان يتولاهما و يدبر امرهما آلهة شتى غير الواحد الذى فطرهما لفسدتا و لايجوز ان تكون الا للاستثناء لانا لوحملناها على الاستثناء لكان المعنى لوكان فيهما آلهة مستثنى منهم الله لفسدتا وهذا يوجب بطريق المفهوم انه لوكان فيهما آلهة معهم الله لايحصل الفساد وذلك باطل لانه لوكان فيهما آلهة سوآء كان الله معهم اولم يكن معهم فالفساد لازم ولما بطل حملها على الاستثناء ثبت ماذكرنا وهو ان المعنى لوكان فى السماء و الارض آلهة غير الله لخربتا وهلك من فيهما بوجود التمانع من الآلهة فان كل امر صدر عن اثنين فصاعدا لايبقى على نظام واحد وانتفاء الفساد اللازم للتعدّد دليل على انتفاء الملزوم وهو التعدّد لكن فى هذه الملازمة وفى انتفاء الثانى نوع خفاء لانه ان اريد بالفساد الفساد بالفعل اى خروجهما بالفعل عن هذا النمط المشاهد فهذا لايلزم من مجرّد التعدّد بل يلزم من تحقق التخالف و التمانع ومجرّد التعدّد لايقتضى التمانع لجواز التوافق وان اريد امكان الفساد فالملازمة مسلمة ضرورة ان اجتماع القادرين على معلول واحد يستلزم امكان تمانعهما المستلزم لامكان فساد المعلول لكن لانسلم بطلان التالى اذ لادليل على امتناع الفساد بل النصوص شاهدة على وقوعه كقوله تعالى اذا السماء انشقت و اذا النجوم انكدرت و يوم تبدّل الارض غير الارض فظهر ان حجية الآية اقناعية والملازمة عادية على ماهو اللائق بالخطابيات فان العادة جارية بتحقق التغالب والتمانع عند تعدّد الحكام والملوك على مااشير اليه بقوله ولعلا بعضهم على بعض و اشار المصنف الى ان المراد بالفساد الفساد بالفعل و جعل الملازمة مبنية على امتناع التوافق بناء على انه يستلزم اجتماع قدرتين مستقلتين على مقدور واحد وقد بين استحالته فى الكلام ﴿قوله لما تعذر الاستثناء لعدم شمول ماقبلها لما بعدها﴾ فان ماقبلها جمع منكر والجمع اذا كان نكرة لايستثنى منه عند جماعة من المحققين اذ لاعموم له بحيث يدخل فيه المستثنى لولا الاستثناء ثم استدل على تعذر الاستثناء بانه يدل على خلاف المراد و بيانه ان الاستثناء قيد للحكم المتعلق بالمستثنى منه فيكون الشرط كون آلة فيهما بقيد ان لاتكون معه تعالى فيكون الفساد لازما لكون الآلهة فيهما دونه تعالى ﴿قوله حملا لها﴾ علة لقوله وصف بالا يعنى ان الاصل فى الاستثناء وفى غير الصفة وقد يحمل كل واحد منهما على الآخر ﴿قوله لانه متفرّع على الاستثناء﴾ اى لان البدل فيما بعد الا مشروط بصحة الاستثناء وقد ثبت تعذر الاستثناء ولانه قد تقرّر ان الواقع بعد الا غير الصفة اذا وقع فى كلام موجب يجب نصبه و ان البدل انما يجوز فى كلام غير موجب و كلمة لو اذا دخلت فى الكلام الموجب لاتجعله منفيا كما لاتجعله كلمة ان منفيا من حيث ان كل واحدة منهما لمجرّد الملازمة فلما لم يكن الكلام غير منفى بدخول لو عليه لم يجز البدل فيما بعد الا الواقع فيه والسرّ فيه ان مابعد الا لو جعل بدلا فى الكلام لكان الاستثناء من اعم العام فى طرف الاثبات وهو ممتنع فيه ولا يمتنع فى طرف النفى فانه يصح ان يقال مافى الدار الا زيد ولا يصح ان يقال كان فى الدار الا زيد لانه يستلزم ان يكون فى الدار جميع الاشياء الا زيد وهو ممتنع فلو حمل مابعد الا فى هذه الآية على البدل رجع المعنى الى قولنا لوكان فيهما آلهة الا الله لفسدتا لان المبدل منه فى حكم المطروح فيقع الاستثناء من اعم العام فى طرف الاثبات ثم انه تعالى لما اقام الدليل الدال على وحدانيته فرّع عليه كونه منزها عما يصفه المشركون فقال فسبحان الله و ادرج تقريعهم فى زعم كون الجماد الذى لايعقل و لايحس شريكا فى الآلهية لرب العرش العظيم ولمن هو القاهر فوق عباده ﴿قوله لايسأل عما يفعل لعظمته وقوّة سلطانه﴾ وكون افعاله مبنية على القدرة الكاملة و الحكمة البالغة فلامساغ لسائل ان يقول له لم فعلت هذا على طريق طلب حكمة فعله وذلك لانه تعالى حكيم بذاته لايخرج فعله عن الحكمة و انما يسأل عن حكمة فعله من يحتمل فعله السفه واما من لايحتمل فعله الا الحكمة فانه لايمكن ان يسأل لم فعلت وقيل معناه لايسأل عما يفعل على وجه الاحتجاج عليه وان جاز ان يسأل على وجه استكشاف الحكمة كقوله تعالى رب لم حشرتنى اعمى واستدل اهل السنة على انه تعالى لايسأل عما يفعل بانه تعالى فاعل كل شئ و لا علة لفعله لانه لو فعل لغرض لايخلو اما ان يكون وجود ذلك الغرض و عدمه بالنسبة اليه على السوآء او لايكون

(لوكان فيهما آلهة الا الله) غير الله و صفت
بالا لما تعذر الاستثناء لعدم شمول ماقبلها
لما بعدها و دلالته على ملازمة الفساد لكون
الآلهة فيهما دونه و المراد ملازمته لكونها
مطلقا او معه حملا لها على غير كما استثنى
بغير حملا عليها و لايجوز الرفع على البدل
لانه متفرّع على الاستثناء و مشروط بان
يكون فى كلام غير موجب (لفسدتا) لبطلتا
لما يكون بينهما من الاختلاف و التمانع فانها
ان توافقت فى المراد تطاردت عليه القدر
و ان تخالفت فيه تعاوقت عنه (فسبحان الله
رب العرش) المحيط بجميع الاجسام الذى
هو محل التدابير و منشأ التقادير (عما يصفون)
من اتخاذ الشريك و الصاحبة و الولد
(لايسأل عما يفعل) لعظمته وقوّة سلطانه
و تفرّده بالالوهية و السلطنة الذاتية (وهم
يسألون) لانهم مملوكون مستعبدون
و الضمير للآلهة او العباد (ام اتخذوا من دونه
آلهة) كرّره استعظاما لكفرهم و استفظاعا
لامرهم و تبكيتا و اظهارا لجهلهم او ضما
لانكار مايكون لهم سندا من النقل الى انكار
مايكون لهم دليلا من العقل على معنى او جدوا
آلهة ينشرون الموتى فاتخذوهم آلهة لما
وجدوا فيهم من خواص الالوهية او وجدوا
فى الكتب الالهية الامر باشراكهم فاتخذوهم
متابعة للامر و يعضد ذلك انه رتب على
الاوّل مايدل على فساده عقلا و على الثانى
مايدل على فساده نقلا

(قل هاتوا برهانكم) على ذلك امّا من العقل او من النقل فانه لايصح القول بما لا دليل عليه كيف وقد تطابقت الحجج على بطلانه عقلا ونقلا (هذا ذكر من معى وذكر من قبلى) من الكتب السماوية فانظروا هل تجدون فيها الا الامر بالتوحيد والنهى عن الاشراك والتوحيد لما لم يتوقف على صحته بعثة الرسل وانزال الكتب صح الاستدلال فيه بالنقل ومن معى امّته ومن قبلى الامم المتقدمة واضافة الذكر اليهم لانّه عظتهم وقرئ بالتنوين والاعمال وبه وبمن الجارة على انّ مع اسم هو ظرف كقبل وبعد وشبههما وبعدهما (بل اكثرهم لايعلمون الحق) ولايميزون بينه وبين الباطل وقرئ الحق بالرفع على انه خبر محذوف وسط للتأكيد بين السبب والمسبب (فهم معرضون) عن التوحيد واتباع الرسول من اجل ذلك (وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه انه لا اله الا انا فاعبدون) تعميم بعد تخصيص فان ذكر من قبلى من حيث انه خبر لاسم الاشارة مخصوص بالموجود بين اظهرهم وهو الكتب الثلاثة قرأ حفص وحمزة والكسائى نوحى بالنون وكسر الحاء والباقون بالياء وفتح الحاء (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا) نزلت فى خزاعة حيث قالوا الملائكة بنات الله (سبحانه) تنزيه عن ذلك (بل عباد) بل هم عباد من حيث انهم مخلوقون وليسوا باولاد (مكرمون) مقرّبون وفيه تنبيه على مدحض القوم وقرئ بالتشديد (لايسبقونه بالقول) لايقولون شيأ حتى يقوله كما هو ديدن العبيد المؤدّبين واصله لايسبق قولهم قوله فنسب السبق اليه واليهم وجعل القول محله واداته تنبيها على استهجان السبق المعرّض به للقائلين على الله مالم يقله وانيب اللام عن الاضافة اختصارا وتجافيا عن تكرير الضمير وقرئ لايسبقونه بالضم من سابقته فسبقته اسبقه (وهم بامره يعملون) لايعملون قط مالم يأمرهم به (يعلم مابين ايديهم وماخلفهم) لايخفى عليه خافية مما قدّموا واخّروا وهو كالعلة لما قبله والتمهيد لما بعده فانهم لاحاطته بذلك يضبطون انفسهم ويراقبون احوالهم (ولايشفعون الا لمن ارتضى) ان يشفع له مهابة منه

فان كان على السوآء استحال ان يكون غرضا وان لم يكن على السوآء لزم كونه تعالى ناقصا فى ذاته وكاملا بغيره وذلك محال * فان قلت وجود ذلك الغرض وعدمه وان كان بالنسبة اليه على السوآء الآن وجوده اولى من عدمه بالنسبة الى العباد * فالجواب ان تحصيل ماهو الاولى فى حق العباد ان كان مساويا لعدم تحصيله بالنسبة اليه لايكون غرضا له وان كان تحصيله اولى يكون مستكملا بالغير وهو محال **﴿قوله من الكتب السماوية﴾** حال من قوله تعالى ذكر من معى وذكر من قبلى والعامل فيه معنى التنبيه او الاشارة المدلول عليهما بقوله هذا واراد به الاشارة الى الموجود بين اظهرهم من الكتب الثلاثة القرآن والتوراة والانجيل والقرآن ذكر وعظة لمن اتبعه عليه الصلاة والسلام الى يوم القيامة والتوراة والانجيل ذكر للامم المتقدمة استدل بهذه الكتب على صحة التوحيد وهى انما توقف على وجود الآله فلا دور **﴿قوله وقرئ بالتنوين والاعمال﴾** العامّة على اضافة ذكر الى من الموصولة اضافة المصدر الى مفعوله كقوله بسؤال نعجتك وقرئ ذكر بالتنوين فيهما ومن بفتح الميم وسكون النون منصوب بانه مفعول له بالمصدر كقوله تعالى او اطعام فى يوم ذى مسغبة يتيما وقرئ ذكر بالتنوين فيهما ومن بكسر الميم وهو قول المصنف وبه وبمن الجارة على ان معى اسم بمعنى عندى ومن قبلى اى جئت به كما جاء به الانبياء من قبلى **﴿قوله وبعدهما﴾** اى وقرئ هذا ذكر معى وذكر قبلى بالتنوين فيهما بدون من **﴿قوله تعالى بل اكثرهم لايعلمون الحق﴾** اى رأسا اضراب من قوله قل هاتوا برهانكم لكونه ادخل فى تضليلهم فان من انتفى عنه العلم رأسا وكان بحيث لايميز بين الحق والباطل مطلقا لايقبل الالزام بان يقال له لايصح القول بما لادليل عليه فان من يبرهن يدل على صحة مذهبه والا فلا يحوم حول ذلك **﴿قوله وسط للتأكيد﴾** يعنى ان قوله هو الحق جملة معترضة وسطت بين السبب الذى هو الجهل والمسبب الذى هو الاعراض تأكيدا لسببية الاوّل للثانى والحكم بالسببية مستفاد من الفاء فى قوله فهم معرضون كانّه حكم اوّلا بان اعراضهم بسبب الجهل ثم قال الحكم بان اعراضهم بسبب الجهل هو الحق لا الباطل والعامّة على نصب الحق على انه مفعول به للفعل الذى قبله ويجوز ان يكون انتصابه على انه مصدر مؤكد لمضمون الجملة التى قبله كما تقول هذا عبدالله الحق وعلى قرآءة الرفع يكون قوله لايعلمون مطلقا غير مقيد بالمتعلق على طريق قولك فلان يعطى ويمنع فاذا وقف على قوله لايعلمون كان جائزا من حيث اللفظ واذا وقف على معرضون كان الوقف تاما من حيث المعنى لان السبب والمسبب كالشئ الواحد وقرأ حمزة والكسائى وحفص نوحى بالنون وكسر الحاء على التعظيم على وفق قوله ارسلنا وقرأ الآخرون بالياء وفتح الحاء على البناء للمفعول وهذه الآية مقرّرة لما سبق من آيات التوحيد لكونها من قبيل التعميم بعد التخصيص **﴿قوله الملائكة بنات الله﴾** واضافوا الى ذلك انه تعالى صاهر سروات الجنّ فولدت له الملائكة **﴿قوله على مدحض القوم﴾** اى على موضع زلة من زعم انهم بنات الله فانهم لما رأوهم مكرّمين مقرّبين لهم صفات فاضلة ليست لغيرهم زلقت ارجلهم من هذا الموضع وزعموا انهم اولاد الله وغفلوا عن كونهم عبادا مقرّبين منقادين لله تعالى وانه تعالى منزّه عن اتخاذ الصاحبة والولد كما انه منزّه عن ان يكون له شريك فى ملكه والوهيته **﴿قوله تنبيها على استهجان السبق المعرّض به للقائلين﴾** وجه التعريض انه تعالى لما قال لايسبقونه بالقول فهم منه بقرينة السياق والمقام ان هناك من صدر عنه السبق بالقول وهم الذين قالوا على الله مالم يقله احد له ادنى علم وعقل من ان له تعالى شريكا وولدا ونحو ذلك ونسب السبق المنفى اليه تعالى واليهم تنبيها على ان السبق المثبت المعرّض به وان كان سبق قولهم قوله الا انه بمنزلة سبق انفسهم عليه تعالى فى الهجنة والقباحة والذى يدل على هذا التهجين ان يقال لايسبقونه بقولهم الا انه انيب اللام عن الاضافة اختصارا فى المعنى بترك التعرّض للمضاف اليه وقرئ لايسبقونه بضم الباء على انه مضارع سبقه اى غلبه فى السبق ومضارع فعل المبالغة مضموم العين مطلقا يقال سابقة فسبقه يسبقه فالسبق المنفى على هذه القرآءة هو السبق على طريق المبالغة على معنى ان تكلفوا بان يغلبوه فى السبق بالقول لاتساعدهم فيه نفوسهم وتأبى عنه عقولهم لما ركز فى قلوبهم من الخشية المسببة عن معرفة جلال الله وعظمته ثم انه تعالى بعد مابين ان قولهم تابع لقوله وانه لايسبق قولهم قوله بين ان عملهم ايضا تابع لامره لايعملون عملا مالم يؤمروا به ومن كانوا فى نهاية الخضوع وكمال العبودية بهذا الحد كيف يكونون آلهة واولادا وكذا الخشية والاشفاق المذكور ان يعدّان من صفات العبيد فلا يكون الموصوف بهما الها واحدا **﴿قوله وهو كالعلة لما قبله﴾** يعنى انه استئناف لبيان مادعاهم الى ماذكر من كمال الخضوع بحيث يكون قولهم تابعا لقوله

وعلمهم تابعا لامره والمعنى انهم لما علموا كونه تعالى عالما بجميع المعلومات يجازى كل نفس حسب عملها علموا
كونه تعالى عالما بظواهرهم وبواطنهم فكان ذلك داعيالهم الى ماذكر من كمال الخضوع ومراقبة الاقوال
والاعمال وهو ايضا كالتمهيد لقوله تعالى ولايشفعون الالمن ارتضى لان علمهم بذلك يقتضى كمال التأدب وقوله
يعلم مابين ايديهم اى ماقدّموه من اعمالهم وماخلفهم اى وماهم عاملون اياه بعد وقيل على العكس ﴿قوله تعالى
وهم من خشيته﴾ اى من خشيتهم منه فاضيف المصدر الى مفعوله مشفقون وجلون خائفون فلايقصرون
فى عبادة الله تعالى والمؤمنون يخافون الله تعالى من كثرة ذنوبهم روى انه عليه الصلاة والسلام رأى جبريل ليلة
المعراج ساقطا كالحلس من خشية الله تعالى والخشية والاشفاق متقاربان فى المعنى والفرق بينهما ان المنظور اليه
فى الخشية جانب المخشى منه وهو عظمته ومهابته وفى الاشفاق جانب الخائف وهو الاعتناء بشأنه وعدم الامن
من ان يصيبه مكروه ثم ان الاشفاق يتعدّى بكل واحد من كلمتى من وعلى يقال اشفق عليه وهو مشفق منه اى حذر
فان عدّى بمن يكون معنى الخوف فيه اظهر من معنى الاعتناء وان عدّى بعلى يكون معنى الاعتناء اظهر من معنى
الخوف ﴿قوله اولم يعلموا﴾ يعنى ان الرؤية قلبية وان مع مافى حيزها سادّة مسدّ المفعولين وليست بصرية
لانهم مارأوها كذلك البتة قال تعالى مااشهدتهم خلق السموات والارض اورد الله تعالى ههنا ستة انواع من
الدلائل الدالة على كمال قدرته وباهر حكمته تأكيداً لدليل وحدانيته وتقريراً لبرهان تنزهه عن الشركاء والانداد
فان من قدر على تحصيل هذا الترتيب العجيب فى هذا العالم كيف يصح ان يكون له شريك فى الوهيته وملكه *
والرتق مصدر بمعنى الضم والالتحام فقوله السموات والارض رتق من قبيل رجل عدل ولذلك قال ذات رتق
اومرتوقتين ولم يقل كانتا رتقتين لان المصدر لايثنى ولايجمع كقوله وما جعلناهم جسدا لايأكلون الطعام
واختلف المفسرون فى وجه فتقهما بعد الالتحام * روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان المعنى كانتا شيأ واحدا
ملتزقة احداهما بالاخرى ففصل الله تعالى بينهما ورفع السماء الى حيث هى وأقرّ الارض واشار المصنف اليه بقوله
كانتا بحيث لافرجة بينهما ففرج وهو ماقيل انه تعالى خلق الارض فى موضع بيت المقدس على هيئة النهر عليها
دخان لازق بها فاصعد الدخان وخلق منه السموات واسكن النهر فى موضعه وخلق منه الارض وبسطها قال كعب
خلق الله السموات والارض ملتصقتين ثم خلق ريحا توسطهما ففتقهما به وقيل المعنى كانت السموات طبقة واحدة
ففتقها بالتحريكات المختلفة فجعلها سبع سموات وكذلك كانت الارض طبقة واحدة ففتقها باختلاف كيفياتها
واحوالها فجعلها سبع ارضين وقيل المعنى كانت شياء واحداً وحقيقة متحدة ففتقها بالهيبة كما جاء فى الحديث
المشهور * اوّل ماخلق الله جوهرة فنظر اليها نظر الرحمة ارتعدت فجمد نصفها فخلق منه العرش فاضطرب فكتب عليه لااله
الاالله محمد رسول الله فسكن العرش وترك الماء يرتعد على حالته الى يوم القيامة وذلك قوله وكان عرشه على الماء ثم
حصل من تلاطم الماء ادخنة متراكمة بعضها على بعض وزبد فخلق منه السموات والارض طباقا وكانتا رتقا فخلق
الريح ففتق بين طباق السموات وطباق الارض ثم جمد ذلك الزبد على وجه الماء ودحى فصارا رضا بقدرته * وقيل المعنى
ان السموات كانت رتقا مستوية صلبة لاتمطر وكذا الارض كانت رتقا لاتنبت ففتق السماء بالمطر والارض بالنبات
ففتق السماء وهى اشدّ الاشياء واصلبها بألين الاشياء وهو الماء وكذلك فتق الارض بألين الاشياء وهو النبات مع
شدّتها وصلابتها فالآية على هذا القول نظير قوله تعالى والسماء ذات الرجع والارض ذات الصدع ورجح هذا
القول بقوله تعالى بعد ذلك وجعلنا من الماء كل شئ حىّ وذلك لايليق الااذا كان للماء تعلق بما تقدّم ولايكون
كذلك الااذا كان المراد بالرتق والفتق ماذكرنا * فان قيل هذا الوجه مرجوح لان المطر لاينزل من السموات بل من
سماء واحدة وهى سماء الدنيا * اجيب بانه اطلق لفظ الجمع على سماء الدنيا لان كل قطعة منها سماء كما يقال ثوب اخلاق
وبرمة اعشار ويجوز ان يراد بلفظ الجمع السموات بأسرها وجعلها مفتوحة مفتوقة بالمطر مبنى على ان لها مدخلا
فى الامطار ففتق السموات والارض بعدما كانتا رتقا على اىّ معنى كان هو الدليل الاوّل من الدلائل الستة
المذكورة فى هذه الآية ﴿قوله فان الفتق عارض﴾ لانه من جملة الممكنات والممكنات بأسرها حادثة مفتقرة
الى مخصص يخصص احد طرفيها بالوقوع ﴿قوله وانما قال كانتا﴾ يعنى ثنى الضمير الراجع الى الجمع باعتبار ان
المرجوع اليه جماعتان ﴿قوله وقرئ رتقا بالفتح﴾ اى بفتح التاء فان كان مصدرا على وزن طلب فوجه الاخبار به
عن المثنى ظاهر واختار المصنف انه فعل بمعنى مفعول كالقبض بمعنى المقبوض والنقض بمعنى المنقوض فكان ينبغى

(وجعلنا من الماء كل شيء حي) وخلقنا من الماء كل حيوان كقوله والله خلق كل دابة من ماء وذلك لانه من اعظم مواده في التركيب او لفرط احتياجه اليه وانتفاعه به بعينه او صيرنا كل شيء حي بسبب من الماء لا يحيى دونه وقرئ حيا على انه صفة كل او مفعول ثان والظرف لغو والشيء مخصوص بالحيوان (أفلا يؤمنون) مع ظهور الآيات (وجعلنا في الارض رواسي) ثابتات من رسا الشيء اذا ثبت (ان تميد بهم) كراهة ان تميل بهم وتضطرب وقيل لان لا تميد فحذف لا لأمن الالباس (وجعلنا فيها) في الارض او الرواسي (فجاجا سبلا) مسالك واسعة وانما قدم فجاجا وهو وصف له ليصير حالا فيدل على انه حين خلقها خلقها كذلك او ليبدل منها سبلا فيدل ضمنا على انه خلقها ووسعها للسابلة مع ما يكون فيه من التوكيد (لعلهم يهتدون) الى مصالحهم (وجعلنا السماء سقفا محفوظا) من الوقوع بقدرته او الفساد والانحلال الى الوقت المعلوم بمشيئته او استراق السمع بالشهب (وهم عن آياتها) احوالها الدالة على وجود الصانع ووحدته وكمال قدرته وتناهي حكمته التي يحس ببعضها ويبحث عن بعضها في علمي الطبيعة والهيئة (معرضون) غير متفكرين (وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر) بيان لبعض تلك الآيات (كل في فلك) اي كل واحد منهما والتنوين بدل من المضاف اليه والمراد بالفلك الجنس كقولهم كساهم الامير حلة (يسبحون) يسرعون على سطح الفلك اسراع السابح على سطح الماء وهو خبر كل والجملة حال من الشمس والقمر وجاز انفرادهما بها لعدم اللبس والضمير لهما وانما جمع باعتبار المطالع وجعل واو العقلاء لان السباحة فعلهم

ان يطابق الخبر عنه في التثنية الا انه افرد بناء على انه صفة موصوف محذوف مفرد في اللفظ والتقدير كانت اشياء رتقا وقوله تعالى وجعلنا يحتمل ان يكون بمعنى خلقنا فيتعدى الى واحد وهو كل شيء وحي صفة شيء ومن ابتدائية متعلقة بالفعل المذكور قبلها فان اريد بالماء النطفة يكون جعلها مبدأ خلق الحيوان ظاهرا كما في قوله تعالى والله خلق كل دابة من ماء وان اريد بالماء حقيقة الماء الذي هو احد العناصر يكون جعلها مبدأ مجازا كما في قوله تعالى خلق الانسان من عجل بان شبه جعل الله تعالى كل حيوان مفرط الاحتياج الى الماء محباله قليل الصبر عنه بخلقه اياه من الماء ثم قيل جعلناه وانشأناه منه بمعنى جعلناه شديد الاحتياج اليه بحيث لا يعيش بدونه فيكون جعلنا استعارة تصريحية تبعية ويحتمل ان يكون بمعنى صيرنا فيتعدى الى اثنين ثانيهما من الماء فعلى هذا كلمة من اتصالية والمعنى صيرنا كل حي متصلا بالماء ملابسا له كما في قوله تعالى المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض اي مشتبك بعض متصل به لا ينفك عنه وانما جعلت اتصالية لان من الماء اذا جعل مفعولا ثانيا لجعل وجب ان يكون مفعوله الاول متصلا بالثاني ولا يتأتى ذلك الا بكونها اتصالية يقال هذا بسبب منه اي ملابسه ومخالطه لا ينفك عنه ولكون الشيء بسبب الغير يستلزم الملابسة والاتصال القوي بينهما فسر المصنف قوله تعالى من الماء بقوله بسبب من الماء الا ان من في كلامه بيانية لا اتصالية وكذا يحتمل الامرين على تقدير ان يكون حيا منصوبا على انه صفة كل وان نصب على انه مفعول ثان يتعين كونه بمعنى صيرنا وكون الشيء مخصوصا بالحيوان سواء اريد به الجسم الحساس المتحرك بالارادة او ما يعم النبات لانه يصير ناميا ذا رطوبة وخضرة ونور وثمر بسبب الماء ويدل عليه قوله تعالى كيف يحيي الارض بعد موتها وهذا هو الدليل الثاني من الدلائل المذكورة في هذه الآية أخبر الله تعالى ان السموات والارض كانتا رتقا ففتق منهما ارزاقهم ثم ذكر انه جعل بالماء حياتهم ثم ذكر انه جعل لهم الارض بحيث تقر باهلها وتسكن بهم بان اثبت عليها الجبال الراسيات ثم ذكر انه جعل لهم فيها سبلا فجاجا ليهتدوا بها الى مصالحهم التي جعلت لهم في البلاد النائية وذكر ايضا نعمته في رفع السماء بلا عمد وحفظها من ان تسقط عليهم وذكر ايضا نعمته فيما جعل لهم من الليل والنهار والشمس والقمر وما فيها من المنافع الراجعة اليهم ليتذكروا ان من قدر على هذه الامور العظيمة وأنعم عليهم بأتم النعم البديعة منزه عن الشريك والولد وانه اله واحد وسلطان عزيز صمد **قوله كراهة ان تميل** يعني ان قوله ان تميد مفعول له اما بتقدير المضاف او بحذف لام العلة ولا النافية فحذف ما حذف لعدم الالتباس قال ابن عباس ان الارض بسطت على وجه الماء فكانت تميد باهلها كما تميد السفينة على الماء فأرساها الله تعالى بالجبال الثوابت كما ترسى السفينة بالمرساة **قوله مسالك واسعة** يعني ان اصل التركيب وجعلنا فيها سبلا فجاجا على ان سبلا هو المفعول وفجاجا صفة فلما قدم عليه انتصب حالا ليدل على انه تعالى حين خلق السبل فيها خلقها واسعة وذلك لان الحال يدل على هيئة ذي الحال حتى تعلق العامل به **قوله او ليبدل منها** اي ويجوز ان يكون فجاجا هو المفعول وسبلا بدلا منه تفسيرا للفجاج وبيانا لكونها نافذة مسلوكة فان الفج قد يكون غير نافذ فمع ما في البدل من التأكيد والسابلة ابناء السبيل المختلفة في الطرقات **قوله بيان لبعض تلك الآيات** فان خلق الليل والنهار متعاقبين وخلق الشمس والقمر والنجوم ومسايرها وطلوعها وغروبها على الحساب القويم والترتيب العجيب آيات باهرة دالة على وجود الصانع المدبر الحكيم **قوله والمراد بالفلك الجنس** جواب عما يقال كيف يصح ان يقال كل واحد الشمس والقمر يسبح في فلك مع ان لكل واحد منهما فلكا على حدة فان قولنا كلهم في دار مثلا وان احتمل ان يكون المراد منه كل واحد منهم في دار على حدة الا انه خلاف المتبادر والمتبادر ان يكونوا مجتمعين في دار واحدة وتبادر هذا المعنى الى الفهم امارة لكون اللفظ حقيقة فيه * وتقرير الجواب كون كل واحد منهما في فلك على حدة لما كان ثابتا بالرصد كان ذلك قرينة صارفة عن حمل لفظ في فلك على الواحد بالشخص فتعين حمله على الواحد بالجنس كما يحمل عليه لفظ حلة بقرينة امتناع ان يكسى الجماعة حلة واحدة بالشخص وقوله يسبحون استعارة تبعية تشبيها لاسراع كل واحد منهما على سطح الفلك باسراع السابح على سطح الماء وضمير الجمع فيه لكل واحد منهما وان كان واحدا بالشخص الا انه اعيد اليه ضمير الجمع لتعدده باعتبار المطالع واحتج ابو علي بن سينا على كون الكواكب احياء ناطقة بقوله تعالى يسبحون وبقوله اني رأيت احد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين قال الجمع بالواو والنون لا يكون الا للاحياء العقلاء العالمين والجواب عنه ما اشار اليه المصنف من انه لما اسند اليهم ما هو من افعال العقلاء فعبر عنهم بضمير العقلاء

وهو السباحة والسجود نزلن منزلة العقلاء فعبر عنهنّ بضمير العقلاء * ولما جعل يسبحون خبر كل وجعل جملة كل في فلك يسبحون حالا من الشمس والقمر ورد ان يقال كيف جاز ان يختص المعطوف بكونه ذا حال مع ان الحال قيد في متعلق العامل في ذي الحال والعامل كما تعلق بالشمس والقمر تعلق بالليل والنهار ايضا فينبغي ان يكون مضمون الجملة الحالية قيدا في المتعلق بالجميع * فأجاب عنه بقوله وجاز انفرادهما بها لعدم اللبس لظهور ان السباحة في الفلك انما تكون للشمس والقمر دون الليل والنهار كما تقول رأيت زيدا وهندا متبرجة اى مظهرة زينتها واختلف الناس في حركات الكواكب والوجوه الممكنة فيها ثلاثة فانه اما ان يكون الفلك ساكنا والكواكب تتحرك فيه كحركة السمك في الماء الراكد واما ان يكون الفلك متحركا والكواكب تتحرك فيه ايضا اما مخالفة لجهة حركته او موافقة لها واما بحركة مساوية لحركة الفلك في السرعة والبطئ او مخالفة واما ان يكون الفلك متحركا والكواكب ساكنة قالت الفلاسفة الرأى الاوّل باطل لانه يوجب خرق الفلك وهو محال وكذا الرأى الثانى فانه ايضا باطل لعين ماذكر فلم يبق الا الاحتمال الثالث وهو ان يكون الكوكب مغروزا في الفلك واقفا فيه والفلك يتحرك فيتحرك الكوكب تبعا لحركة الفلك * قال الامام واعلم ان مدار هذا الكلام على امتناع الخرق وهو باطل بل الحق ان الاحتمالات كلها ممكنة والله تعالى قادر على كل الممكنات والذى يدل عليه لفظ القرءآن ان تكون الافلاك واقفة والكواكب جارية فيها كما يسبح السمك في الماء ﴿قوله قالوا نتربص به ريب المنون﴾ الريب ما يريبك من المكاره والمنون الموت والمعنى ننتظر به ان تصيبه مكاره وحوادث تؤدّيه الى الموت فريب المنون الحوادث المهلكة من حوادث الدهر والشماتة الفرح ببلية العدوّ ولما كانوا يشمتون بموته عليه الصلاة والسلام ابطل الله تعالى شماتتهم بهذه الآية اى قضى الله ان لا يخلد بشرا في الدنيا فكل من فيها عرضة للموت فاذا كان الامر كذلك فان مت انت أيبقى هؤلاء فالهمزة في المعنى دخلت على الخلود لانه هو المنكر بعد تقرّر ذلك أى ان مت أفهم الخالدون لجيئ بالهمزة لانكار هذا المعنى واكد الله تعالى هذا الانكار بقوله كل نفس ذآئقة الموت واشار المصنف الى ان المراد بالنفس النفس الناطقة التى هى الروح الانسانى وان موتها عبارة عن مفارقتها جسدها وقدّر المرارة المستعارة لما يصيب النفس من ألم المفارقة تشبيها له بالكيفية المطعومة وجعل الذوق ترشيحا للاستعارة فلا يرد ماذكره الامام من انّ عموم كل نفس لابدّ ان يراد منه الخصوص فان لله تعالى نفسا كما قال تعلم ما في نفسى ولا اعلم ما في نفسك مع ان الموت لا يجوز عليه وكذا الجمادات لها نفوس وهى لا تموت فانه انما يتجه ان لو كان النفس بمعنى الذات وليس كذلك روى عن عائشة رضى الله عنها انها قالت استأذن ابو بكر على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد مات وسجى عليه الثوب فكشف عن وجهه ووضع فمه بين عينيه ووضع يده على صدغيه وقال وانبياه واخليلاه واصفياه صدق الله ورسوله وما جعلنا البشر من قبلك الخلد أفأن مت فهم الخالدون كل نفس ذآئقة الموت ثم خرج الى الناس فخطب وقال في خطبته من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد رب محمد فان رب محمد حى لا يموت ثم قرأ وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم الآية ثم انه تعالى قرّر القضاء بتسوية الامر بين الخلق وبين وجه الحكمة فيه بان المقصود من هذه الدنيا الابتلاء بالمكاره التى تسمى شرّا وهى المضارّ الدنيوية من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات والشهوات العاجلة التى تسمى خيرا كالنساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسوّمة والانعام والحرث ليظهر ما في علمه من شكر الشاكرين على المنح وصبر الصابرين على المحن ويتميزوا من اضدادهما ويجازى كل احد على حسب ما وجد منه من الصبر والشكر ويعاقب على ما قصر فيه بترك ما وجب عليه منهما وهذه المجازاة لما لم تسعها دار التكليف فلابدّ من دار اخرى لا يصار اليها الا بالموت والنشور فلابدّ لكل نفس ان تموت ثم تبعث فقال ونبلوكم بالشرّ والخير فتنة والينا ترجعون ثم انه تعالى رجع الى تهجينهم وتقبيح حالهم التى هى استهزآؤهم بمن بعث صارفا عن الغواية والعذاب الاليم داعيا الى الهدى والنعيم المقيم مع انهم مستحقون لان يهزأبهم فقال واذا رآك الذين كفروا الخ وان في قوله ان يتخذونك نافية وهى مع ما في حيزها جواب ان الشرطية وهزؤا مصدر وقع موقع اسم المفعول اى مهزوا به والهزؤ السخرية والجملة الاستفهامية بعده محكية بقول مضمر معطوف على جواب الشرط اى ويقولون أهذا الذى يذكر ﴿قوله لدلالة الحال﴾ فانه يقال فلان يذكر الناس ويراد انه يغتابهم ويذكرهم بالعيوب ويقال فلان يذكر الله ويراد انه يصف الله تعالى بالعظمة والجلال ويثنى عليه بما هو اهله ويطلقون فعل الذكر اعتمادا على دلالة الحال والمقام وجملة قوله وهم بذكر الرحمن هم كافرون

﴿وما جعلنا البشر من قبلك الخلد أفان مت فه
الخالدون﴾ نزلت حين قالوا نتربص به ريـ
المنون وفي معناه قوله * فقل للشامتين بنا أفيقو
* سيلقى الشامتون كما لقينا * والفاء لتعلق
الشرط بما قبله والهمزة لانكاره بعد ما تقرّ
ذلك ﴿كل نفس ذآئقة الموت﴾ ذائقة مرار
مفارقتها جسدها وهو برهان على ما انكر
﴿ونبلوكم﴾ ونعاملكم معاملة المختبر ﴿بالشر
والخير﴾ بالبلايا والنعم ﴿فتنة﴾ ابتلاء مصدر مـ
غير لفظه ﴿والينا ترجعون﴾ فنجازيكم حسب
ما يوجد منكم من الصبر والشكر وفيه ايماء با
المقصود من هذه الحياة الابتلاء والتعريض
للثواب والعقاب تقريرا لما سبق ﴿واذا رآك
الذين كفروا ان يتخذونك الا هزؤا﴾
ما يتخذونك الا هزؤا مهزوأ به ويقولون
﴿أهذا الذى يذكر آلهتكم﴾ اى بسوء وانما
اطلقه لدلالة الحال فان ذكر العدوّ لا يكون
الا بسوء ﴿وهم بذكر الرحمن﴾ بالتوحيد
او بارشاده الخلق ببعث الرسل وانزال الكتب
رحمة عليهم او بالقرءآن ﴿هم كافرون﴾ منكرون
فهم احق بان يهزأ بهم وتكرير الضمير للتأكيد
والتخصيص وحيلولة الصلة بينه وبين الخبر

فی موضع النصب علی انها حال من فاعل القول المقدّر او من فاعل یتخذونك ای یقولون ذلك وهم علی هذه الحالة او یتخذونك هزؤا وهم علی حال هی اصل الهزؤ والسخریة وهی الکفر بالله الموجب للهزؤ والسخریة والمصنف اختار الثانی حیث قال فهم احق بان یهزأ بهم وهم الاولی مبتدأ وکافرون خبره وبذکر متعلق بالخبر والتقدیر وهم کافرون منکرون لذکر الرحمن وهم الثانیة تأکید لفظی للاولی لیفید الاختصاص ووقوع الفصل بین المبتدأ والخبر بمعمول الخبر واضافة الذکر الی الرحمن اما من قبیل اضافة المصدر الی مفعوله ای وهم بان یذکروا الرحمن بما یجب من الوحدانیة والتنزیه عن اتخاذ الشریك والصاحبة والولد ونحو ذلك واما من قبیل اضافته الی الفاعل ای بان یذکر الرحمن عباده بارشادهم الی الصراط المستقیم ببعث الرسل وانزال الکتب ویحتمل ان یکون المراد بالذکر القرءآن المنزل الذی هو ذکر للعالمین وموعظة لهم ﴿قوله ولذلك﴾ ای وللاحتیاج الی التأویل فی جعل العجل مبدأ لخلق الانسان قیل انه علی القلب والمعنی خلق العجل من الانسان کقوله تعالی ویوم یعرض الذین کفروا علی النار ای تعرض النار علیهم وهو بعید لانه لما امکن حمل الکلام علی معنی صحیح وهو علی ترتیبه لاوجه لان یقال انه مقلوب روی عن ابن عباس انه قال نزلت الآیة فی النضر بن الحارث حین قال اللهم ان کان هذا هو الحق من عندك فأمطر علینا حجارة من السماء الآیة ﴿قوله والنهی عما جبلت علیه نفوسهم﴾ جواب عما یقال کیف نهی عن الاستعجال الذی جبل علیه الانسان والامور الجبلیة لاتنفك عن الانسان فالنهی عنها من قبیل تکلیف ما لایطاق وهو لایقع بالنص * وتقریر الجواب ان الامور الجبلیة انما تکون من لوازم الانسان اذا خلی الانسان ونفسه وهو لاینافی ان یکون ترکها مقدورا له بان یتهم نفسه الامارة بالسوء ویخالف هواها ویتبع الادلة العقلیة والسمعیة الا تری انه تعالی رکب فیه الشهوة وامره ان یغلبها بما اعطاه من القدرة التی یستطیع بها قمع الشهوة وترك العجلة ونحوهما من الامور الجبلیة وانه تعالی جعل فی وسعه ریاضة نفسه حتی یصیر صبورا حلیما بالریاضة وهو کقوله تعالی ان الانسان خلق هلوعا الآیة اخبر انه تعالی خلقه جزوعا منوعا شحیحا ثم قال الا المصلین فان استثناء المصلین منهم یدل علی ان الانسان یتحوّل بالریاضة عن الحالة التی خلقه الله تعالی علیها الی حالة اخری ﴿قوله وقت وعد العذاب﴾ ای وقت العذاب الموعود علی ان الوقت المقدّر مبتدأ ومتی خبره قدّم علیه فانهم کانوا یستعجلون العذاب الموعود لمن اصرّ علی الکفر والتکذیب ویقولون متی هذا الوعد فاراد الله تعالی نهیهم عن الاستعجال وبیان انه نازل بهم فی الوقت المقدّر له فجعل ذم الانسان علی افراط العجلة وبیان انه مطبوع علیها ذریعة الی نهیه وزجره عن الاستعجال فقولهم متی هذا الوعد هو الاستعجال المذموم الذی ارید نهیهم عنه ﴿قوله تحیط بهم النار من کل جانب﴾ اشارة الی ان قوله عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم عبارة عن جمیع الجوانب کأنه قیل من قدامهم وخلفهم وقوله لما استعجلوا جواب لو المقدّر وحسن حذفه لان ما تقدّم یدل علیه والمعنی لکنهم استعجلوا لجهلهم بهول ذلك الحین وما فیه من العذاب المهین ﴿قوله ویجوز ان یترك مفعول یعلم﴾ ای مفعول لفظ یعلم الذی هو اسم علم لیعلم الذی هو اللفظ الدال علی معنی فی نفسه مقترن باحد الازمنة الثلاثة لانه لو ارید به مسمی لفظ یعلم لما وقع مضافا الیه لان الاضافة من خواص الاسم وقد نص المحققون علی ان کل لفظ وضع بازآء معنی اسما کان او فعلا او حرفا فله اسم علم هو نفس ذلك اللفظ من حیث دلالته علی اللفظ الذی یصدق علیه حدّ الاسم او الفعل او الحرف الا تری انك تقول خرج فعل ومن حرف فتجعل کل واحد من خرج ومن محکوما علیه مع استحالة کون الفعل والحرف مخبرا عنه فلیتأمل ویجوز ان ینزل یعلم منزلة اللازم مبالغة فی تجهیل المستعجلین علی معنی لو کانوا من اولی العلم لما استعجلوا لکنهم استعجلوا لفرط جهلهم وعظم الجهل مستفاد من تنزیل یعلم منزلة اللازم فانه یدل علی انهم لایعلمون شیأ فعلی هذا الوجه یکون حین منصوبا بفعل مضمر ای حین لایکفون عن وجوههم النار یعلمون انهم کانوا مبطلین فی استعجالهم وینتفی عنهم هذا الجهل العظیم فتکون هذه الجملة کلاما مستأنفا فانه لما نفی عنهم العلم رأسا بان قال لو یعلم الذین کفروا توجه ان یقال متی یعلمون ویزول عنهم هذا الجهل العظیم فاجیب بقوله حین لایکفون فکان العامل فی حین ما یدل علیه قول القائل متی یعلمون ﴿قوله بل تأتیهم العدة﴾ علی ان یکون الضمیر المؤنث فی تأتیهم للوعد لکونه فی معنی العدة او للنار او للحین لانه فی معنی الساعة وانتصاب بغتة اما علی المصدریة لان البغت نوع من الاتیان او الحالیة من فاعل تأتیهم ای باغتة یقال بغته ای فجأه ولقیته بغتة ای فجأة والمباغتة المفاجاة وقوله تعالی بل تأتیهم اضراب

(خلق الانسان من عجل) کأنه منه خلق لفرط استعجاله وقلة تأنیه کقولك خلق زید من الکرم جعل ما طبع علیه بمنزلة المطبوع هو منه مبالغة فی لزومه له ولذلك قیل انه علی القلب ومن عجلته مبادرته الی الکفر واستعجال الوعید روی انها نزلت فی النضر بن الحارث حین استعجل العذاب (سأریکم آیاتی) نقماتی فی الدنیا کوقعة بدر وفی الآخرة عذاب النار (فلا تستعجلون) بالاتیان بها والنهی عما جبلت علیه نفوسهم لیقعدوها عن مرادها (ویقولون متی هذا الوعد) وقت وعد العذاب او القیامة (ان کنتم صادقین) یعنون النبی صلی الله علیه وسلم واصحابه رضی الله عنهم (لو یعلم الذین کفروا حین لایکفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ینصرون) محذوف الجواب وحین مفعول به لیعلم ای لو لایعلمون الوقت الذی یستعجلون منه بقولهم متی هذا الوعد وهو حین تحیط بهم النار من کل جانب بحیث لایقدرون علی دفعها ولا یجدون ناصرا یمنعها لما استعجلوا ویجوز ان یترك مفعول یعلم ویضمر لحین فعل بمعنی لو کان لهم علم لما استعجلوا ویعلمون بطلان ما علیهم حین لایکفون وانما وضع الظاهر فیه موضع الضمیر للدلالة علی ما اوجب لهم ذلك (بل تأتیهم) العدة او النار او الساعة (بغتة) فجأة مصدر او حال وقرئ بفتح الغین (فتبهتهم) فتغلبهم او تحیرهم وقرئ الفعلان بالیاء والضمیر للوعد او الحین وکذا فی قوله (فلا یستطیعون ردها) لان الوعد بمعنی النار او العدة والحین بمعنی الساعة ویجوز ان یکون للنار او للبغتة (ولا هم ینظرون) یمهلون وفیه تذکیر بامهالهم فی الدنیا

انتقال حكى الله تعالى انهم يستعجلون العذاب الموعود ويقولون متى هذا الوعد وبين ان سبب ذلك الاستعجال هو عدم علمهم بهول وقت وقوعه ومافيه من العذاب الشديد ثم اضرب وانتقل من بيان السبب الى بيان كيفية وقوع الموعود فقال بل تأتيهم بغتة ولما كان استعجالهم ذلك بطريق الاستهزاء وكان عليه الصلاة والسلام يتأذى ويتحرج من استهزائهم نزل قوله تعالى ولقد استهزئ الآية تسلية له عليه الصلاة والسلام وقوله او لا يعلم الذين كفروا الآية لايخلو ايضا عن التسلية ودفع الحزن عن قلبه المنير فان بيان مال صاحب هذا الاستهزاء من العذاب الشديد يفيد تسلية المهزوبه وازالة حزنه لامحالة ﴿ قوله تعالى ما كانوا به يستهزؤن ﴾ اى جزاء ما كانوا فكأنه قيل سيصيبهم جزاء استهزائهم كما اصاب جزاء استهزاء من قبلهم بانبيائهم فلاتبال باستهزائهم وكن متسليا فارغ البال ثم انه تعالى لمابين استحقاقهم لمااصاب الاولين وانه سيصيبهم لامحالة مثل مااصاب الاولين وان عدم اصابة ذلك اياهم عاجلا انما هو لحفظه وكلاءته حيث امهلهم مدة بمقتضى رحمته العامة ومشيئته وحكمته الباهرة امره عليه الصلاة والسلام ان يسألهم عن الكالئ ليقروا وينتبهوا على أنهم فى قبضة قدرة الله تعالى مسخرون لحكمته ومشيئته لينتهوا عن الاستهزاء والتكذيب ويتمسكوا بحبل الطاعة والتصديق ثم اضرب عن ذلك الامر بقوله بل هم عن ذكر ربهم معرضون اى دعهم عن هذا السؤال لانهم لايصلحون له لاعراضهم عن ذكر الله تعالى فلا يخطرونه ببالهم حتى يخافوا بأسه ثم اذا رزقوا الكلاءة من عذابه عرفوا ان الحافظ هو الله تعالى وحده وصلحوا للسؤال عنه ثم أضرب عن امر التسجيل عليهم بانهم لايصلحون للسؤال الى ماهو أهم وهو الانكار عليهم فيما زعموا ان لهم آلهة تنصرهم وتمنعهم مما استحقوا من العذاب منعا يتجاوز منعنا وحفظنا على ان قوله تعالى من دوننا صفة مصدر محذوف والذى اضيف اليه دون ايضا محذوف وتقدير الكلام تمنعهم منعا كائنا من دون منعنا اى من غير منعنا ويحتمل ان يكون من دوننا بمعنى من عندنا فيكون صفة لمحذوف تعلق بقوله تمنعهم والتقدير تمنعهم من عذاب يكون من عندنا كأنه قيل دعهم عن هذا السؤال لاغفلتهم واعراضهم عن ذكر ربهم بل لاعتقادهم ان لهم آلهة تستقل فى حفظهم وانظر الى من اعرضوا عن ذكر ربهم اليها فان هذا غريب واغرب لان من لايقدر على نصر نفسه ولايصحبه نصر من الله عزوجل كيف ينصر غيره ثم أضرب عما توهموه من ان ماهم فيه من الكلاءة من جهة ان لهم آلهة تمنعهم من تطرق البأس اليهم فقال بل متعنا هؤلاء وآباءهم الآية كأنه قيل دع مازعموا من كونهم محفوظين بكلاءة آلهتهم بل ماهم فيه من الحفظ انما هو منا لامن غيرنا حفظناهم من البأساء ومتعناهم بانواع السراء لكونهم من اهل الاستدراج والانهماك فيمايؤديهم الى العذاب العظيم والعقاب الاليم ويحتمل ان يكون اضرابا عن الاستئناف السابق كأنه قيل دع مايبين بطلان مااعتقدوه من ان يكون لهم آلهة تمنعهم * واعلم انهم انما وقعوا فى ورطة ذلك التوهم الباطل بسبب انه تعالى متعهم بمايشتهون فحسبوا ان ذلك يدوم عليهم فاغتروا واعرضوا عن التأمل فى قول الرسول المبلغ عن الله واتبعوا ماسولت لهم انفسهم من الاوهام الباطلة لقساوة قلوبهم وخباثة طباعهم والافقد اتضح الحق من الباطل وتبين الرشد من الغى فابق الان يتقم منهم على سبيل التدريج بان يعاجلهم بمكاره الدنيا ثم يضطرهم الى عذاب النار فى العقبى واشار الى هذا المعنى بقوله عزمن قائل أفلا يرون اى أغفلوا وعموا فلا يرون كيف شرعنا فى ذلك بان ننقص دار الكفر من جوانبها ونفتح البلاد والقرى من حوالى مكة وندخلها فى ملك نبينا محمد عليه الصلاة والسلام وننقص مافيها من المشركين واحدا بعد واحد بتسليط المسلمين عليها واظهارهم على اهلها بحيث لايقدرون على دفعهم عن انفسهم وديارهم أفهم الغالبون ام المغلوبون فالفاء فى أفلا يرون لعطف الجملة على المقدر والتى فى قوله افهم الغالبون لعطفها على الملفوظ والعبارة الظاهرة فى تأدية هذا المعنى ان يقال أفلا يرون ان عساكر الموحدين المطيعين يأتون ارض المشركين وينقصونها من اطرافها الا انه تعالى اسند فعل المسلمين الى ذاته تنبيها على ان المجازى والمنتقم والمخرب هو الله تعالى حقيقة وان ظهر ذلك بتسلط المسلمين وتمكينهم من التخريب والاهلاك والذى ورد عليه نظم التنزيل تصوير للامر على ماهو عليه فى نفس الامر ثم انه تعالى لمابالغ فى تهديد الكفرة المستهزئين المستعجلين وانذارهم بانواع العذاب قرر ذلك واكد بقوله قل انما انذركم بالوحى الى من القرآن الكريم ﴿ قوله وقرأ ابن عامر ولاتسمع ﴾ اى بضم تاء الخطاب وكسر الميم ونصب الصم الدعاء على انهما مفعولان وقرأ الحسن على قراءة ابن عامر الا انه بضم ياء الغيبة على ان فيه ضميره عليه الصلاة والسلام وقرأ باقى السبعة بفتح ياء الغيبة والميم ورفع الصم

(ولقد استهزئ برسل من قبلك) تسلي
لرسول الله صلى الله عليه وسلم (فحاق بالذين
سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون) وعد
بأن مايفعلونه به يحيق بهم كما حاق بالمستهزئين
بالانبياء مافعلوا يعنى جزاءه (قل) يا محم
للمستهزئين (من يكلؤكم) يحفظكم (بالليل
والنهار من الرحمن) من بأسه ان اراد بك
وفى لفظ الرحمن تنبيه على ان لا كالئ غي
رحمته العامة وان اندفاعه بها بمهلته (بل هم
عن ذكر ربهم معرضون) لايخطرونه
ببالهم فضلا عن ان يخافوا بأسه حتى
اذا كلئوا منه عرفوا الكالئ وصلحو
للسؤال عنه (ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا)
بل ألهم آلهة تمنعهم من العذاب تتجاوز منعن
اومن عذاب يكون من عندنا والاضراب
عن الامر بالسؤال على الترتيب فانه عن
المعروض الغافل عن الشئ بعيد وعن المعتقد
لنقيضه ابعد (لايستطيعون نصر انفسهم ولا
هم منا يصحبون) استئناف بابطال مااعتقدوه
فان مالا يقدر على نصر نفسه ولا يصحبه
نصر من الله كيف ينصر غيره (بل متعنا
هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر)
اضراب عما توهموا ببيان ماهو الداعى
الى حفظهم وهو الاستدراج والتمتيع
بماقدر لهم من الاعمار او عن الدلالة على
بطلانه ببيان ما اوهمهم ذلك وهو انه تعالى
متعهم بالحياة الدنيا وامهلهم حتى طالت
اعمارهم فحسبوا ان لايزالوا كذلك وانه
بسبب ماهم عليه ولذلك عقبه بمايدل على انه
امل كاذب فقال (أفلا يرون انا نأتى الارض)
ارض الكفرة (ننقصها من اطرافها) بتسليط
المسلمين عليها وهو تصوير لمايجريه الله تعالى
على ايدى المسلمين (أفهم الغالبون) رسول الله
والمؤمنين (قل انما انذركم بالوحى) بما اوحى
الى (ولايسمع الصم الدعاء) وقرأ ابن عامر
ولاتسمع الصم على خطاب النبى صلى الله
عليه وسلم وقرئ بالياء على ان فيه ضميره

وانما سماهم الصمّ ووضعه موضع ضميرهم للدلالة على تصامّهم وعدم انتفاعهم بما يسمعون (اذا ماينذرون) منصوب بيسمع
اوبالدعاء والتقييد به لان الكلام فى الانذار
اوللمبالغة فى تصامّهم وتجاسرهم (ولئن
مسّتهم نفحة) ادنى شئ وفيه مبالغات ذكر
المس ومافى النفحة من معنى القلة فان اصل
النفح هبوب رآئحة الشئ والبناء الدال
على المرّة (من عذاب ربك) من الذى ينذرون
به (ليقولنّ ياويلنا انا كنا ظالمين) لدعوا على
انفسهم بالويل واعترفوا عليها بالظلم (ونضع
الموازين القسط) العدل توزن بها صحائف
الاعمال وقيل وضع الموازين تمثيل لارصاد
الحساب السوىّ والجزآء على حسب الاعمال
بالعدل وافراد القسط لانه مصدر وصف
به للمبالغة (ليوم القيامة) لجزآء يوم القيامة
او لاهله اوفيه كقولك جئت لخمس خلون
من الشهر (فلا تظلم نفس شيأ) من حقه اومن
الظلم (وان كان مثقال حبة من خردل) اى
وان كان العمل اوالظلم مقدار حبة ورفع نافع
مثقال على كان التامّة (أتينابها) احضرناها
وقرئ آتينا بمعنى جازينا بها من الايتاء
فانه قريب من أعطينا اومن المؤاتاة فانهم
أتوه بالاعمال وآتاهم بالجزآء واثبنا من الثواب
وجئنا والضمير للمثقال وتأنيثه لاضافته
الى الحبة (وكفى بنا حاسبين) اذلامزيد على
علمنا وعدلنا (ولقد آتينا موسى وهرون
الفرقان وضياء وذكرا للمتقين) اى الكتاب
الجامع لكونه فارقا بين الحق والباطل وضياء
يستضاء به فى ظلمات الحيرة والجهالة وذكرا
يتعظ به المتقون اوذكر ما يحتاجون اليه
من الشرآئع وقيل الفرقان النصر وقيل فلق
البحر وقرئ ضياء بغير واو على انه حال من
الفرقان (الذين يخشون ربهم) صفة للمتقين
اومدح لهم منصوب اومرفوع (بالغيب)
حال من الفاعل او المفعول (وهم من الساعة
مشفقون) خائفون وفى تصدير الضمير وبناء
الحكم عليه مبالغة وتعريض (وهذا ذكر)
يعنى القرءآن (مبارك) كثير خيره (انزلناه)
على محمد (أفأنتم له منكرون) استفهام توبيخ
(ولقد آتينا ابراهيم رشده) الاهتدآء لوجوه
الصلاح واضافته ليدل على انه رشد مثله
وان له شأنا وقرئ رشده وهو لغة

ونصب الدعاء ﴿ قوله للدلالة على تصامّهم ﴾ وجه الدلالة ان تعريف الصم للعهد والمعهود هؤلاء المنذرون وهم ليسوا بصم حقيقة فلما سموا صما دل على انهم شبهوا بالصم لتصامّهم وعدم انتفاعهم بما يسمعون ثم انه تعالى بين ان حالهم ستصير الى ان يصيروا بحيث اذا شاهدوا اليسير مما انذروا به كمس ريح الشئ بدون مس جسمه فعند ذلك يسمعون ويعتذرون ويعترفون على انفسهم بالظلم حيث لاينفعهم فقال ولئن مسّتهم نفحة اى ادنى شئ مما انذروا به بسبب شركهم وتكذيبهم الرسول واصل النفح هبوب الريح يقال نفحت الريح اى هبت هبوبا لينا ونفحه بنائل اى بشئ يسير من العطاء ﴿ قوله توزن بها صحائف الاعمال ﴾ يعنى ان الله تعالى يضع الموازين الحقيقية ويزن بها الاعمال وقد روى انه ميزان له كفتان ولسان وهو بيد جبريل عليه الصلاة والسلام * فان قيل كيف توزن الاعمال وانما هى اعراض لاتوصف بالخفة والثقل المختصين بالجواهر * اجيب بان فى كيفية وزنها وجهين الاوّل ان توزن صحائف الاعمال والثانى انه تعالى يعطيها صور الجواهر فيضع فى كفة الحسنات جواهر بيضاء مشرقة وفى كفة السيئات جواهر سودآء مظلمة والمعتزلة عن آخرهم انكروا وضع الموازين الحقيقية وقالوا يجب ان يحمل ماورد فى القرءآن من الوزن والميزان على رعاية العدل والانصاف بحيث لايقع فيه تفاوت اصلا فوضع الموازين عندهم عبارة عن اعداد المحاسبات الشرّية والخيرية على حسب الاعمال بالعدل والنصفة من غير ان يظلم عباده مثقال ذرّة فمثل ذلك بوضع الموازين الحقيقية لتوزن بها الموزونات للعدل وتسوية الحقوق وعامة اهل السنة على انه تعالى يضع الموازين الحقيقية ويزن بها صحف الاعمال وجمع الموازين مع ان الميزان الموضوع واحد نظرا الى تعدّد مايوزن فيه اولتعظيم شأنه فمن احاطت حسناته بسيئاته ثقلت موازينه بمعنى ان حسناته تذهب سيئاته ومن احاطت سيئاته بحسناته فقد خفت موازينه اى اذهبت حسناته سيئاته كذا روى عن ابن عباس وهو اوفق لما ذهب اليه المعتزلة ﴿ قوله لجزآء يوم القيامة ﴾ يعنى ان اللام فيه اما للتعليل على حذف المضاف اوهى لام التوقيت بمعنى فى كما فى قولك جئت لخمس خلون اى مضين وذهب صاحب الكشاف الى انها لام الاختصاص ومعنى المثال اختصاص المجئ بذلك الزمان ومعنى الآية اختصاص وضع الميزان بيوم القيامة ﴿ قوله شيأ من حقه اومن الظلم ﴾ الاوّل على ان يكون شيأ مفعولا ثانيا لتظلم لانه بمعنى لاتنقص ونقص يتعدّى الى مفعولين يقال نقصه حقه وقال تعالى لاينقصوكم شيأ والثانى على ان يكون مفعولا مطلقا وقرأ العامة أتينا بها بقصر الهمزة من الاتيان بمعنى احضرنا وقرئ بمدّ الهمزة فيحتمل ان يكون وزنه افعلنا من آتى يؤتى ايتاء اوفاعلنا ويؤيده قوله بها لان ماهو بوزن افعلنا يتعدّى الى مفعوليه بنفسه قال تعالى وآتينا ثمود الناقة ثم انه تعالى شرع فى قصص الانبياء عليهم الصلاة والسلام تقوية لقلبه عليه الصلاة والسلام على ادآء الرسالة وتسلية له بانه ليس اوّل من بعث الدعوة المستكبرين ووجه ربط قصة موسى بما قبلها انه تعالى لما امر رسوله عليه الصلاة والسلام ان يقول انما انذركم بالوحى اتبعه بانه عادة الله تعالى فى الانبياء قبله فقال ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وهو مصدر وصف به الكتاب الالهى لكونه فارقا بين الحق والباطل ومابعده معطوف عليه على طريق عطف الصفات والمراد بالجميع شئ واحد هو التوراة فالمعنى ولقد آتيناهما الكتاب الجامع لهذه الاوصاف وقيل المراد بالفرقان النصر على الاعدآء كما فى قوله تعالى وما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان بمعنى يوم بدر حين يفرق بين الحق والباطل ﴿ قوله حال من الفاعل ﴾ بمعنى يخشون ربهم او عذاب ربهم وهم غائبون عنه لم يروه فيأتمرون باوامره وينتهون عن نواهيه اووهم غائبون عن الآخرة لم يروا مافيها من الاهوال اووهم غائبون عن الناس لا كالذين يجتنبون المعاصى بمحضر الناس ويرتكبونها فى الخلوات او من المفعول بمعنى يخشون عذاب ربهم وهو غائب لم يشاهد بعد اويخشون ربهم وهو غائب عن الحس لاتدركه الابصار وانما يؤمنون به ايمانا غيبيا استدلاليا ﴿ قوله مبالغة وتعريض ﴾ من حيث انه يفيد حصر الخوف من الساعة فى المتقين والمنحصر ليس اصل الخوف بل هو الخوف الكامل والحكم بانحصاره فيهم يتضمن الحكم بانتفائه عن غيرهم وهو وجه التعريض بغيرهم ﴿ قوله استفهام توبيخ ﴾ عيّر الله اهل مكة بان القرءآن مع اشتماله على جميع مااشتمل عليه التوراة من الاوصاف مشتمل على امر زآئد على مافيها وهو كونه معجزا لاشتماله على الامور العجيبة والبلاغة البديعة وعلى الادلة العقلية وبيان الشرآئع الحكمية فمثل هذا الكتاب لايتجاسر على انكاره من له ادنى تمييز ﴿ قوله وقرئ رشده ﴾ بفتح الرآء والشين والعامة على ضم الرآء وسكون الشين وهما لغتان كالعدم

والعدم يقال رشد بالفتح رشد رشدا ورشد بالكسر رشد رشدا كلاهما بمعنى والاضافة فيه بمعنى اللام والاختصاص والمعنى ولقد آتينا بجلالنا وعظم شأننا ابراهيم رشدا يليق بمثله وبمحال من انتصب للرسالة وخلة الرحمن ولو قيل الرشد او ترك اللام وضمير الجماعة لما افاد الكلام هذا التفخيم فان الرشد وان كان خلاف الغى الا ان بين رشد المؤمنين والرشد الذى اوتى ابراهيم عليه الصلاة والسلام بونا بعيدا ﴿قوله علمنا انه اهل لما آتيناه﴾ اى من الرشد المفسر بالاهتدآء لوجوه الصلاح فى امور الدين والدنيا فيكون تعليلا لما قبله وعلى الثانى يكون تأكيدا له لان ايتاء الاهتدآء المذكور والعلم بكونه جامعا لمحاسن الاوصاف والخصال بمعنى واحد ومثل هذا التركيب يستعمل فى المعنى الثانى فانك اذا قلت فى حق احد من الفضلاء انا عالم بفلان فقولك هذا فى الدلالة على كونه جامعا لوجوه الفضل اشدّ واقوى مما اذا فصلت صفات كماله ﴿قوله فان التمثال﴾ يعنى انه اسم للشئ المصنوع مشبها بخلق من خلق الله تعالى واصله من مثلت الشئ بالشئ اذا شبهته به واسم ذلك الممثل التمثال فتح عليه الصلاة والسلام لهم باب هذا الكلام الدال على تحقير اصنامهم لينظر فيما يوردونه من شبهة فيبطلها عليهم ﴿قوله ويجوز ان يؤوّل﴾ اى ويجوز ان لا ينزل عاكفون منزلة اللازم وتجعل اللام للتعدية باحد الوجهين ﴿قوله جواب عما لازم الاستفهام﴾ اى جواب عما يقال انه عليه الصلاة والسلام سألهم عن حقيقة التماثيل المعكوف عليها وهم اجابوه ببيان ما حملهم على عبادتها فلا انطباق بين السؤال والجواب * وتقرير الجواب انه ليس جوابا لنفس الاستفهام بل عما لازمه من السؤال عن المقتضى لعبادتها وذلك السؤال اللازم هو أىّ شئ حملكم على عبادتها مع ان شأنها من الحقارة ما رأيتموه والقوم لما لم يجدوا فى جوابه الا طريقة التقليد فاجابوه بأن آباءهم سلكوا قبلهم هذا الطريق فاقتدوا به لاجرم اجابهم ابراهيم عليه الصلاة والسلام بقوله لقد كنتم انتم وآباؤكم فى ضلال مبين فبين ان الباطل لا يصير حقا بكثرة المتمسكين به ﴿قوله وهنّ للسموات﴾ فانه ليس من الضمائر المختصة بالمؤنثات العاقلات بل هو لفظ مشترك بين العاقلات وغيرها قال تعالى منها اربعة حرم ثم قال فلا تظلموا فيهنّ انفسكم لما سمع ابراهيم عليه الصلاة والسلام مقالة القوم وعلم ان استفهامهم ذلك مبنى على انهم حسبوا انه عليه الصلاة والسلام انما انكر عليهم دينهم القديم مع كثرتهم وشوكتهم على وجه المزاح واللعب قال بل ربكم رب السموات الآية كأنه قال ما قلته لكم انما قلته على سبيل الجدّ واظهار الحق ولى برهان على ذلك كأنه ليس المراد من الشهادة فى قوله وانا على ذلكم من الشاهدين حقيقة الشهادة لانه لا شهادة من المدّعى بل استعيرت الشهادة لتحقق الدعوى بالحجة والبرهان اى لست من اللاعبين فى الدعاوى بل من المحتجين عليها بالبراهين القاطعة بمنزلة الشاهد الذى تقطع به الدعاوى ﴿قوله من المتحققين﴾ اى من المتيقنين له يقال تحققت الشئ اذا صرت منه على يقين والشاهد من تحقق الشئ وحققه فقوله من الشاهدين من باب التشبيه البليغ اظهر عليه الصلاة والسلام كونه صادقا جادّا فيما خاطبهم به فى حق اصنامهم اوّلا بقوله بل ربكم رب السموات والارض فدل بذلك على ان من خلقهما على هذا الوجه البديع لمنافع العباد هو الذى يحسن ان يعبد لانّ من يقدر على ذلك يقدر على ان يضرّ وينفع فى الدار الآخرة بالعقاب والثواب واظهره ثانيا بالطريقة الفعلية المدلول عليها بقوله وتالله لأكيدنّ اصنامكم * فان قيل لماذا قال لأكيدنّ اصنامكم والكيد هو الاحتيال على الغير فى ضرر لا يشعر به والاصنام جمادات لا تتضرّر بالكسر ونحوه وايضا ليست هى مما يحتال فى ايقاع الكسر عليها لان الاحتيال انما يكون فى حق من له شعور * اجيب بان ذلك من قبيل التوسع فى الكلام فان القوم كانوا يزعمون ان الاصنام لهنّ شعور ويجوز عليهنّ التضرّر فقال ذلك بناء على زعمهم وقيل المراد لأكيدنكم فى اصنامكم لانه بذلك الفعل قد انزل بهم الغم وقرأ العامة تالله بالتاء المثناة من فوق وقرئ بالباء الموحدة والاصل فى حروف القسم الباء لان تلك الحروف انما تدخل على المقسم به لان تلصق فعل القسم بالمقسم به والاصل فى تأدية معنى الالصاق هو الباء وابدلت الواو من الباء للمناسبة بينهما من حيث كونهما شفويتين ومن حيث ان الواو تفيد معنى الجمعية القريبة من معنى الالصاق والتاء بدل من الواو كما فى وراث وفى التاء معنى زآئد ليس فى اختيها وهو التعجب وذلك لان المقسم عليه بالتاء يجب ان يكون امرا نادر الوقوع وان الشئ المتعجب لا يكثر وقوعه والا لم يكن معجبا ومن ثمة قيل استعمال التاء لا يكون الا مع اسم الله تعالى فكأنه عليه الصلاة والسلام تعجب من تسهيل الكيد على يده وتأتيه منه لان ذلك كان امرا مقنوطا منه لصعوبته لاسيما فى زمن نمرود مع عتوّه وقوّة سلطانه وبعد منصوب بلأكيدنّ ومدبرين حال مؤكدة

(من قبل) من قبل موسى وهرون او محمد
وقيل من قبل استنبائه او بلوغه حيث قال
انى وجهت (وكنا به عالمين) علمنا انه اهل
لما آتيناه او جامع لمحاسن الاوصاف ومكارم
الخصال وفيه اشارة الى ان فعله تعالى باختيار
وحكمة وانه عالم بالجزئيات (اذ قال لابيه
وقومه) متعلق بآتينا او برشده او بمحذوف
اى اذكر من اوقات رشده وقت قوله (ماهذه
التماثيل التى انتم لها عاكفون) تحقير لشأنها
وتوبيخ على اجلالها فان التمثال صورة لا روح
فيها لا تضرّ ولا تنفع واللام للاختصاص
لا للتعدية فان تعدية العكوف بعلى والمعنى
انتم فاعلون العكوف لها ويجوز ان يؤوّل
بعلى او يضمن العكوف معنى العبادة (قالوا
وجدنا آباءنا لها عابدين) فقلدناهم وهو
جواب عما لزم الاستفهام من السؤال عما
اقتضى عبادتها وحملهم عليها (قال لقد
كنتم انتم وآباؤكم فى ضلال مبين)
منخرطون فى سلك ضلال لا يخفى على عاقل
لعدم استناد الفريقين الى دليل والتقليد وان
جاز فانما يجوز لمن علم فى الجملة انه على حق
(قالوا أجئتنا بالحق ام انت من اللاعبين)
كانهم لاستبعادهم تضليل آبائهم ظنوا ان
ماقاله على وجه الملاعبة فقالوا أبجدّ تقوله
ام تلعب به (قال بل ربكم رب السموات
والارض الذى فطرهنّ) اضراب عن كونه
لاعبا باقامة البرهان على ما ادّعاه وهنّ
للسموات والارض او للتماثيل وهو ادخل
فى تضليلهم والزام الحجة عليهم (وانا على
ذلكم) المذكور من التوحيد (من الشاهدين)
من المحققين له والمبرهنين عليه فان الشاهد
من تحقق الشئ وحققه (وتالله) وقرئ
بالباء وهى الاصل والتاء بدل من الواو
المبدلة منها وفيها تعجب (لأكيدنّ
اصنامكم) لأجهدنّ فى كسرها ولفظ
الكيد وما فى التاء من التعجب لصعوبة الامر
وتوقفه على نوع من الحيل (بعد ان تولوا)
عنها (مدبرين) الى عيدكم ولعله قال ذلك سرّا

لان التولى والادبار بمعنى واحد قرأ العامة تولوا بضم التاء واللام مضارع ولى مشددا وقرئ تولوا بفتحهما
مضارع تولى واصله تتولوا فحذف احدى التاءين ويؤيد قرآءة الجميع فتولوا عنه مدبرين والمعنى بعد غيبتكم عنى
وذهابكم الى عيدكم قال السدى كان لهم فى كل سنة عيد يجتمعون فيه وكانوا اذا اجتمعوا فيه ورجعوا منه دخلوا
على الاصنام فسجدوا لها ثم عادوا الى منازلهم فلما كان هذا الوقت قال آزر لابنه ابراهيم عليه الصلاة والسلام
لو خرجت معنا الى عيدنا لأعجبك ديننا فخرج معهم ابراهيم فلما كان ببعض الطريق ألقى نفسه وقال انى سقيم
اشتكى رجلى فلما مضوا وبقى ضعفاء الناس نادى فى آخرهم وقال تالله لأكيدن اصنامكم بعد ان تولوا مدبرين اى
الى عيدكم فسمعوها منه واحتج هذا القائل عليه بقوله تعالى قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم وقال الكلبى
كان ابراهيم عليه الصلاة والسلام من اهل بيت ينظرون فى النجوم وكانوا اذا خرجوا الى عيدهم لم يتركوا
الا مريضا فلما هم ابراهيم عليه الصلاة والسلام بكسر الاصنام نظر قبل يوم العيد الى السماء وقال لاصحابه
ارانى اشتكى غدا وهو قوله فنظر نظرة فى النجوم فقال انى سقيم واصبح فى الغد معصوبا رأسه فخرج القوم الى
عيدهم ولم يتخلف احد غيره وانتشر ذلك فى جماعة فلذلك قال تعالى سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم ثم ان ابراهيم
عليه الصلاة والسلام دخل بيت الاصنام وكانت فى بيت بهى عظيم وهو بيت المقدس امام البيوت فوجد فيه
سبعين صنما مصطفة وثم صنم عظيم مستقبل الباب وكان من ذهب وفى عينيه جوهرتان تضيئان بالليل فكسرها
كلها بفأس فى يده حتى لم يبق الا الكبير ثم علق الفأس فى عنقه ولم يكسره فقوله الا كبيرا لهم استثناء من مفعول
قوله فجعلهم ولهم صفة لكبير وضمير اليه يرجع الى ابراهيم والمعنى انه فعل ذلك ثم قال فى نفسه لعلهم يرجعون
الىّ فى هذه الحادثة فأبكتهم بان اقول لهم بل فعله كبيرهم هذا ويجوز ان يرجع الى الكبير والمعنى لعلهم يرجعون
الى الكبير قائلين مالهؤلاء مكسورة ومالك صحيحا والفأس فى عنقك وانما قال ذلك بناء على كثرة جهالاتهم اولعلهم
كانوا يعتقدون فيها انها تجيب وتتكلم ويحتمل انه عليه الصلاة والسلام قال ذلك مع علمه انهم لا يرجعون اليه
استهزآء بهم ومن فى قوله تعالى من فعل هذا بآلهتنا يحتمل ان تكون استفهامية وهو الظاهر فعلى هذا يكون قوله
انه لمن الظالمين استئنافا لا محل له من الاعراب ويحتمل ان تكون موصولة بمعنى الذى وعلى هذا يكون قوله انه
لمن الظالمين فى محل الرفع على انه خبر للموصول ﴿قوله ويذكر ثانى مفعولى سمع﴾ لان سمع انما يتعدى الى
واحد اذا تعلق بالكيفية المسموعة كقولك سمعت قرآءته واما اذا تعلق بالاعيان التى لا يتعلق بها السماع فحينئذ يتعدى
الى اثنين فيكون فتى مفعولا اولا ويذكرهم فى محل النصب على انه مفعول ثان فانه لا يجوز لك ان تقول سمعت
زيدا وتسكت حتى تذكر شيأ مما يسمع وجعله صفة لفتى ابلغ فى نسبة الذكر اليه لاستوآء الوجهين والاشتمال على
نسبة الفعل الى الفاعل واختصاص الوجه الثانى بنسبة الوصفية فيكون قوله يقال له ابراهيم صفة ثانية لفتى
الا ان المفعول الثانى لابد منه لسمع لما مر من انك لا تقول سمعت زيدا وتسكت حتى تذكر شيأ مما سمعت ﴿قوله
هو ابراهيم﴾ على ان يكون ارتفاع ابراهيم على انه خبر محذوف ثم جوّز ان يكون نائب فاعل مالم يسم فاعله
بمعنى يقال له ويطلق عليه الاسم ولو اريد به المسمى لما جاز قيامه مقام الفاعل لان مفعول القول لا يكون الا جملة
بخلاف ما اذا اريد لفظ ابراهيم فانه حينئذ يجوز ان يقوم مقام الفاعل لان اللفظ فى حكم الجملة فى جواز كونه مقول
القول فيؤدى لكون القول حينئذ بمعنى التسمية كانه قيل يسمى ابراهيم واختلف النحاة فى جواز تسلط القول
على المفرد الذى لا يؤدى معنى جملة ولا هو مقتطع من جملة ولا هو مصدر لقال ولا صفة لمصدر نحو قلت زيدا اى
قلت هذا اللفظ فأجازه جماعة منهم الزمخشرى ومنعه آخرون واما اذا كان المفرد مؤديا معنى جملة كقولك قلت
خطبة او قصيدة او شعرا او اقتطع من جملة كقوله

اذا ذقت فاها قلت طعم مدامة * معتقة مما يجيء به التجر

او كان مصدرا نحو قلت قولا او صفة له نحو قلت حقا او باطلا فانه يتسلط عليه القول اجماعا ﴿قوله برأى منهم﴾
يعنى ان قوله على اعين الناس فى محل النصب على انه حال من الهاء فى به اى ائتوا به وجيئوا به ظاهرا مكشوفا بمرأى
منهم ومنظر واورد حرف الاستعلاء بناء على طريق التشبيه اى تشبيه تمثل صورته فى اعينهم باستعلاء الراكب على
مركبه وتوضيح المقام ان المعنى فأتوا به مستقرا على اعين الناس مستعليا عليها وذلك بان شبه انطباع صورة
المرئى فى القوة الباصرة باستعلاء الراكب على المركب ثم ذكر كلمة على واريد الاستعلاء فهو استعارة تبعية وقرينتها

(فجعلهم جذاذا) قطعا فعال بمعنى مفعول
كالحطام من الجذ وهو القطع وقرأ الكسائى
بالكسر وهو لغة او جمع جذيذ كخفاف
وخفيف وقرئ بالفتح وجذذا جمع
جذيذ وجذذا جمع جذة (الا كبيرا لهم)
للاصنام كسر غيره واستبقاه وجعل
الفأس على عنقه (لعلهم اليه يرجعون)
لانه غلب على ظنه انهم لا يرجعون
الا اليه لتفرده واشتهاره بعداوة آلهتهم
فيحاجهم بقوله بل فعله كبيرهم فيحجهم
او لانهم يرجعون الى الكبير فيسألونه عن
كاسرها اذ من شأن المعبود ان يرجع اليه
فى حل العقد فيبكتهم بذلك او الى الله اى
يرجعون الى توحيده عند تحققهم عجز آلهتهم
(قالوا) حين رجعوا (من فعل هذا
بآلهتنا انه لمن الظالمين) بجرأته على الآلهة
الحقيقة بالاعظام او بافراطه فى حطمها
او بتوريط نفسه للهلاك (قالوا سمعنا فتى
يذكرهم) يعيبهم فلعله فعله ويذكر ثانى
مفعولى سمع او صفة لفتى مصححة لان
يتعلق به السمع وهو ابلغ فى نسبة الذكر
اليه (يقال له ابراهيم) هو ابراهيم ويجوز
رفعه بالفعل لان المراد به الاسم (قالوا
فأتوا به على اعين الناس) بمرأى منهم
بحيث تتمكن صورته فى اعينهم تمكن الراكب
على المركوب (لعلهم يشهدون) بفعله
او قوله او يحضرون عقوبتنا له

اعين الناس فالمراد بالاتيان اتيان مثاله لماسمع بعض القوم قول ابراهيم عليه الصلاة والسلام وتالله لأكيدن اصنامكم وسمعوا سبه لآلهتهم غلب على ظنهم انه الفاعل لذلك فلذلك قالوا سمعنا فتى يذكرهم اى يعيبهم ويسبهم يقال له ابراهيم فهو الذى يظن انه الذى فعل هذا فبلغ ذلك نمرود الجبار واشراف قومه فقالوا فيما بينهم فأتوا به على اعين الناس لعلهم يشهدون عليه انه الذى فعل قيل كرهوا ان يأخذوه بغير بينة وقيل انه ليس من الشهادة بل هو من الشهود وهو الحضور والمعنى لعلهم يحضرون عقوبتنا اياه ﴿قوله حين احضروه﴾ اشارة الى ان فى الكلام حذفا والتقدير فأتوا به فلما شاهدوه قالوا منكرين عليه فعله موبخين له ءانت فعلت هذا وفى قوله ءانت وجهان الاوّل انه فاعل فعل مقدّر يفسره الظاهر بعده والتقدير أفعلت هذا بآلهتنا فلما حذف الفعل انفصل الضمير فعلى هذا لامحل لفعلت الملفوظ بها لانها مفسرة والثانى انه مبتدأ والجملة التى بعده فى محل الرفع على الخبرية وبين الوجهين فرق من حيث المعنى وهو أن اداة الاستفهام اذا دخلت على الفعل يكون الشك فى انه هل وقع اولا ولاشك فى فاعله واذا دخلت على الاسم لايكون الشك فى وقوع الفعل بل يكون وقوعه مقطوعا به ويكون المشكوك فيه هو الاسم الذى دخلت عليه اداة الاستفهام ويشك فى انه هل هو الفاعل او غيره فاذا قلت أقام زيد كان الشك فى قيامه واذا قلت أزيد قام وجعلته مبتدأ كان الشك فى ان الفعل هل صدر منه او من غيره والوجه الاوّل هو المختار عند النحاة لان الفعل تقدّم مايطلبه وهو اداة الاستفهام ﴿قوله اسند الفعل اليه﴾ جواب عما يقال كيف اسند الفعل الى كبيرهم وانه كذب لايليق بالنبى المعصوم * فاجاب عنه اوّلا بان اسناد الفعل اليه من قبيل اسناده الى السبب الحامل فانه عليه الصلاة والسلام لما رأى الاصنام مصطفة مزينة يعظمها المشركون ورأى على الكبير مايدل على زيادة تعظيمهم له وتخصيصهم اياه بمزيد التواضع والخضوع اشتدّ بغضه وغيظه له فحمله ذلك البغض على مافعل بتلك الاصنام فلذلك اسند الفعل الى الكبير لا لانه هو المباشر للفعل الا انه ابقى الكبير مع انه هو السبب الحامل له على استهانة الاصنام وكسرها ليورد عليهم هذا القول الموهم لكون الاسناد اليه حقيقيا ليظهر جهلهم فى عبادة الاصنام وثانيا بانه عليه الصلاة والسلام لم يقصد باسناد الفعل الى الكبير ان ينسب الفعل الصادر عنه الى الصنم الكبير بل قصد به تقرير الفعل لنفسه واثباته لها على اسلوب تعريضى مع الاستهزاء بالكبير لان اثبات الفعل الدائر بين شخصين لمن هو العاجز منهما استهزاء بالعاجز واثبات للقادر منهما كما اذا اجبت من قال لك انت كتبت هذا وانت شهير بحسن الخط وهو امّى لايحسن الخط ولايقدر الا على الخر مشة الفاسدة بل كتبته انت فان قصدك بهذا الجواب تقرير الكتبة لك مع الاستهزاء بالامى لانفيه عنك واثباته للامى وثالثا بانه لم يسند الفعل اليه اعتقادا بل اسنده حكاية لما يلزم من مذهبهم جوازه كأنه قال كيف تنكرون ان يفعله كبيرهم فان من حق من يعبد ويدعى الها ان يقدر على هذا الفعل وعلى ماهو اعظم منه ويؤيد هذا الجواب ماحكى انه قال لهم بل فعله كبيرهم بناء على انه غضب من ان تعبد معه هذه الصغار وهو اكبرمنها هيئة واشرف جوهرا فانه لاوجه لهذا القول الا بان يكون على سبيل الحكاية لما يلزم من مذهبهم ورابعا بان اسناد الفعل الى الكبير مشروط بقوله ان كانوا ينطقون جعل النطق شرطا للفعل واراد به انهم ان قدروا على النطق قدروا على الفعل فلما ظهر عجزهم عن النطق تبين عجزهم عن الفعل ايضا وقوله فاسألوهم اعتراض بين الشرط والجزاء وهذا الجواب يتضمن تجهيل القوم واسناد الفعل الى نفسه ولم يرض المصنف بحمل جوابه عليه الصلاة والسلام على هذا المعنى لكونه تعسفا ومخالفا لظاهر النظم وخامسا بان الكذب انما يلزم على تقدير ان يكون الفعل مسندا الى كبيرهم ولانسلم ذلك لم لايجوز ان يكون مسندا الى ضمير فتى او ابراهيم * ولما ظهر بهذه الاجوبة ان قوله بل فعله كبيرهم ليس بكذب ورد ان يقال فكيف اثبت عليه صلوات الله وسلامه لابراهيم ثلاث كذبات وهى قوله انى سقيم وقوله بل فعله كبيرهم وقوله لسارة هى اختى * فاجاب المصنف عنه بانه عليه الصلاة والسلام سماها كذبات تشبيها لها بالكذبات لكونها على صورة الكذبات ولما قال لهم ابراهيم عليه الصلاة والسلام الزاما للحجة عليهم فاسألوهم ان كانوا ينطقون فرجعوا الى انفسهم اى تفكروا بقلوبهم وراجعوا عقولهم قال بعضهم لبعض انكم انتم الظالمون بهذا السؤال تسألون هذا الرجل وآلهتكم حضور فاتركوا مسألته واسألوا آلهتكم التى بحضرتكم وقرأ الجمهور نكسوا مبنيا للمفعول مخفف الكاف وقوله على رؤسهم حال اى كائنين على رؤسهم ويجوز ان يتعلق بالفعل المذكور قبله والنكس والتنكيس لغتان بمعنى وهو قلب الشئ ورد آخره على أوّله وقرئ نكسوا بالتشديد وليس

(قالوا ءانت فعلت هذا بآلهتنا ياابراهيم) حين احضروه (قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون) اسند الفعل اليه تجوّزا لان غيظه لما رأى من زيادة تعظيمهم له تسبب لمباشرته اياه اوتقريرا لنفسه مع الاستهزاء والتبكيت على اسلوب تعريضى كما لو قال لك من لايحسن الخط فيما كتبته بخط رشيق ءأنت كتبته فقلت بل كتبته او حكاية لما يلزم من مذهبهم جوازه وقيل انه فى المعنى متعلق بقوله ان كانوا ينطقون ومابينهما اعتراض اوالى ضمير فتى او ابراهيم وقوله كبيرهم هذا مبتدأ وخبر ولذلك وقف على فعله ومارُوى انه عليه الصلاة والسلام قال لم يكذب ابراهيم الاثلاث كذبات تسمية للمعاريض كذبا لما شابهت صورتها صورته (فرجعوا الى انفسهم) وراجعوا عقولهم (فقالوا) فقال بعضهم لبعض (انكم انتم الظالمون) بهذا السؤال او بعبادة مالاينطق ولايضر ولاينفع لامن ظلمتموه بقولكم انه لمن الظالمين

التشديد فيه للتعدية ولا للتكثير بل هو لغة بمعنى المخفف وقرئ نكسوا مخففا مبنيا للفاعل وعلى هذا يكون المفعول محذوفا تقديره نكسوا انفسهم على رؤسهم قال المفسرون اجرى الله الحق على ألسنتهم فى القول الاول ثم ادركتهم الشقاوة فردوا الى الكفر بعد ان اقروا على انفسهم بالظلم شبه انقلابهم الى الكفر والمجادلة بالباطل بعد اذعان الحق بصيرورة اسفل الشئ منقلبا الى اعلاه فعبر عنه بالنكس ثم اشتق منه نكسوا فهو استعارة تبعية وقيل المعنى انهم قلبوا على رؤسهم حقيقة لفرط افراطهم خجلا وانكسارا مما بهتهم به ابراهيم عليه الصلاة والسلام فما اجابوه الا بما هو حجة عليهم حيث قالوا فى جواب قوله فاسألوهم ان كانوا ينطقون ولقد علمت ماهؤلاء ينطقون فكيف تأمرنا بسؤالهم فاقروا بهذا للحيرة التى لحقتهم وجملة قوله لقد علمت جواب قسم محذوف والقسم وجوابه معمولان لقول مضمر وذلك القول المضمر حال من مرفوع نكسوا اى نكسوا قائلين والله لقد علمت ماهؤلاء ينطقون قيل كيفية القصة انه لما اجتمع نمرود وقومه لاحراق ابراهيم عليه الصلاة والسلام حبسوه فى بيت وبنوا بنيانا كالحظيرة وذلك قوله تعالى قالوا ابنوا له بنيانا فألقوه فى الجحيم ثم جمعوا الحطب الكثير حتى ان المرأة لو مرضت قالت ان عافانى الله تعالى لاجمعن حطبا لابراهيم وكانت المرأة تغزل وتشترى الحطب بغزلها فتلقيه فى ذلك البنيان احتسابا فى دينها قيل جمعوا له الحطب من اصناف الخشب على ظهر الدواب اربعين يوما ثم اوقدوها فلما اشتعلت النار صار الهواء بحيث لو مر الطير فى اقصى الجو لاحترق من شدة وهجها وروى انهم لم يعلموا كيف يلقونه فيها لعدم تأتى القرب فجاء ابليس وعلمهم عمل المنجنيق فعملوه وقيل صنعه لهم رجل من الاكراد وكان اول من صنع المنجنيق فخسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة ثم عمدوا الى ابراهيم عليه الصلاة والسلام فوضعوه فى المنجنيق مقيدا مغلولا فصاحت السماء والارض ومن فيهما من الملائكة الا الثقلين صيحة واحدة اى ربنا مافى ارضك احد يعبدك غير ابراهيم وانه يحرق فيك فأذن لنا فى نصرته فقال تعالى ان استغاث باحد منكم فلينصره فقد اذنت له فى ذلك وان لم يدع غيرى فانا اعلم به وانا وليه فخلوا بينى وبينه فانه خليلى ليس له خليل غيرى وانا آلهه ليس له آله غيرى فلما ارادوا القاءه فى النار أتاه خازن الرياح فقال ان شئت طيرت النار فى الهوآء وأتاه خازن المياه فقال ان شئت اخمدت النار فقال ابراهيم لا حاجة لى اليكم ثم رفع رأسه الى السماء فقال اللهم انت الواحد فى السماء وانا الواحد فى الارض ليس فى الارض من يعبدك غيرى حسبى الله ونعم الوكيل وحين ألقى فى النار قال لا آله الا انت سبحانك رب العالمين لك الحمد ولك الملك لا شريك لك ثم وضعوه فى المنجنيق ورموه به الى النار فأتاه جبريل فقال له يا ابراهيم ألك حاجة قال اما اليك فلا قال فاسأل ربك قال حسبى من سؤالى علمه بحالى فقال الله تعالى يانار كونى بردا وسلاما على ابراهيم قيل فبردت نار الدنيا كلها يومئذ ولم ينتفع بها احد من اهلها ولو لم يقل على ابراهيم لبقيت ذات برد ابدا ولو لم يقل وسلاما بعد قوله بردا لمات ابراهيم من بردها وقيل جعل كل شئ يطفئ عنه النار الا الوزغة فانها كانت تنفخ النار وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه امر بقتل الوزغة وقال كانت تنفخ النار على ابراهيم قيل ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام لما ألقى فى النار كان فيها اربعين يوما او خمسين يوما وقال ما كنت اطيب عيشا زمانا من الايام التى كنت فيها فى النار قيل لما رموه فى النار اخذت الملائكة باصبعى ابراهيم واقعدوه فى الارض فاذا عين ماء عذب وورد احمر ونرجس ولم تحرق النار منه الا وثاقه قال ابن اسحق فبعث الله ملك الظل فى صورة ابراهيم فجاء فقعد جنب ابراهيم يؤنسه وأتاه جبريل بقميص من حرير الجنة وطنفسة فالبسه القميص واجلسه على الطنفسة وقعد معه يحدثه وقال يا ابراهيم ان ربك يقول اما علمت ان النار لا تضر أحبائى ثم نظر نمرود من صرح له واشرف على ابراهيم فرآه جالسا فى روضة ورأى الملك قاعدا الى جنبه وحوله نار تحرق الحطب فناداه نمرود يا ابراهيم هل تستطيع ان تخرج منها قال نعم قال قم فاخرج فقام يمشى حتى خرج منها قال نمرود من الرجل الذى رأيته معك فى صورتك قال ذلك ملك الظل ارسله ربى ليؤنسنى فيها فقال له نمرود انى مقرب الى الهك قربانا لما رأيت من قدرته وعزته فيما صنع بك وانى ذابح له اربعة آلاف بقرة فقال ابراهيم عليه الصلاة والسلام لا يقبل الله منك ما كنت على دينك هذا قال نمرود لا استطيع ترك ملكى ولكن سوف اذبحها له ثم ذبحها وكف عن ابراهيم وروى انهم لما رأوه سالما لم يحترق منه غير وثاقه قال هاران ابو لوط عليه الصلاة والسلام ان النار لا تحرقه لانه سحر النار لكن اجعلوه على شئ واوقدوا تحته فان الدخان يقتله فجعلوه فوق تبن واوقدوا تحته فطارت شرارة فى لحية أبى لوط فأحرقته وروى ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام ألقى

(ثم نكسوا على رؤسهم) انقلبوا الى المجادلة بعدما استقاموا بالمراجعة شبه عودهم الى الباطل بصيرورة اسفل الشئ مستعليا على اعلاه وقرئ نكسوا بالتشديد ونكسوا اى نكسوا انفسهم (لقد علمت ماهؤلاء ينطقون) فكيف تأمر بسؤالها وهو على ارادة القول (قال أفتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيأ ولا يضركم) انكار لعبادتهم لها بعد اعترافهم بانها جمادات لا تنفع ولا تضر فانه ينافى الالوهية (أف لكم ولما تعبدون من دون الله) تضجر منه على اصراهم بالباطل البين وأف صوت المتضجر ومعناه قبحا ونتنا واللام لبيان المتأفف له (أفلا تعقلون) قبح صنيعكم (قالوا) اخذوا فى المضارة لما عجزوا عن المحاجة (حرقوه) فان النار اهول مايعاقب به (وانصروا آلهتكم) بالانتقام لها (ان كنتم فاعلين) ان كنتم ناصريها نصرا مؤزرا والقائل منهم رجل من اكراد فارس اسمه هينون خسف به الارض وقيل نمرود

(قلنا يانار كوني بردا وسلاما) ذات برد وسلام اى ابردى بردا غير ضارّ وفيه مبالغات جعل النار المسخرة لقدرته مأمورة مطيعة واقامة كونى ذات برد مقام ابردى ثم حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وقيل نصب سلاما بفعله اى وسلمنا سلاما عليه روى انهم بنوا حظيرة بكوثى وجمعوا فيها نارا عظيمة ثم وضعوه فى المنجنيق مغلولا فرموا به فيها فقال له جبريل هل لك حاجة فقال اما اليك فلا فقال فسل ربك قال حسبى من سؤالى علمه بحالى فجعل الله ببركته قوله الحظيرة روضة ولم يحترق منه الا وثاقه فاطلع عليه نمرود من الصرح فقال انى مقرّب الى آلهك فذبح اربعة آلاف بقرة وكف عن ابراهيم وكان اذذاك ابن ست عشرة سنة وانقلاب النار هوآء طيبة ليس ببدع غير انه هكذا على خلاف المعتاد فهو اذا من معجزاته وقيل كانت النار بحالها لكنه تعالى دفع عنه اذاها كما ترى فى السمندل ويشعر به قوله (على ابراهيم وارادوا به كيدا) مكرا فى اضراره (فجعلناهم الاخسرين) اخسر من كل خاسر لما عاد سعيهم برهانا قاطعا على انهم على الباطل وابراهيم على الحق وموجبا لمزيد درجته واستحقاقهم اشدّ العذاب (ونجيناه ولوطا الى الارض التى باركنا فيها للعالمين) اى من العراق الى الشام وبركاته العامة ان اكثر الانبياء بعثوا فيه فانتشرت فى العالمين شرآئعهم التى هى مبادى الكمالات والخيرات الدينية والدنيوية وقيل كثرة النعم والخصب الغالب روى انه نزل بفلسطين ولوط بالمؤتفكة وبينهما مسيرة يوم وليلة (ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة) عطية فهى حال منهما او ولد ولد او زيادة على ماسأل وهو اسحق فتختص بيعقوب ولا بأس به للقرينة (وكلا) يعنى الاربعة (جعلنا صالحين) بان وفقناهم للصلاح وحملناهم عليه فصاروا كاملين (وجعلناهم أئمة) يقتدى بهم (يهدون) الناس الى الحق (بأمرنا) لهم بذلك وارسالنا اياهم حتى صاروا مكملين (واوحينا اليهم فعل الخيرات) ليحثوهم عليه فيتم كمالهم بانضمام العمل الى العلم واصله ان تفعل الخيرات ثم فعلا الخيرات ثم فعل الخيرات

فى النار وهو ابن ست عشرة سنة وقيل فى تفسير قوله تعالى قلنا يانار كونى بردا المعنى انه سبحانه وتعالى جعل النار باردة لاتضرّ ببردها من غير ان يكون هناك قول وخطاب كقوله تعالى ان يقول له كن فيكون اى تكوّنه وذهب اكثر المفسرين الى ان ذلك القول قد وجد والقائل اما جبريل عليه الصلاة والسلام قاله بامر الله تعالى او القائل هو الله تعالى والمصنف مال الى القول الاوّل حيث قال وفيه مبالغات جعل النار المسخرة لقدرته مأمورة مطيعة اى فى ورود التنزيل على هذا النظم مبالغات فى اظهار عظمة الله تعالى وكمال قدرته ونفاذ مشيئته وارادته حيث عبر عن تأثير قدرته فى تدبير النار بما يدل على جعل النار المسخرة لقدرته مأمورة مطيعة مع انه ليس هناك امر وامتثال بل ليس هناك الا تسخيرها للقدرة والارادة لان اثر القدرة هو كون النار باردة لا كونها نفس كيفية البرد والعبارة الدالة على هذا المعنى ان يقال ابردى الا انه اقيم كونى ذات برد مقام ابردى ثم حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه للمبالغة فى الدلالة على زوال كيفية الحرارة والاحراق من النار بحيث تكون ذاتها كانها برد وسلام كما فى قوله

ترتع مارتعت حتى اذا ادّكرت ❁ فانما هى اقبال وادبار

اى ذات اقبال وادبار **قوله وقيل كانت النار بحالها** الا انه تعالى خلق فى جسم ابراهيم عليه الصلاة والسلام كيفية مانعة من وصول اذى النار اليه كما يفعل بخزنة جهنم فى الآخرة وكما انه ركب بنية النعامة بحيث لايضرّها ابتلاع الحديدة المحماة وبدن السمندل بحيث لايضرّه المكث فى النار ولم يرض به لان ظاهر قوله تعالى يانار كونى بردا يقتضى ان نفس النار صارت باردة حتى سلم ابراهيم من تأثيرها لا ان النار بقيت بحالها **قوله من العراق الى الشام** قيل كانت واقعة ابراهيم عليه الصلاة والسلام مع نمرود بكوثى فى حدود بابل من ارض العراق فنجاه الله تعالى من تلك البقعة الى الارض المباركة ثم قيل انها مكة وقيل هى ارض الشام لقوله تعالى الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله وعن سفيان انه خرج الى الشام فقيل له الى اين فقال الى بلد يملا فيها الجراب بدرهم وقد كان لوط النبى عليه الصلاة والسلام آمن بابراهيم بن تارخ عليهما الصلاة والسلام كما قال تعالى فآمن له لوط وكان ابن اخيه هاران بن تارخ ويقال بالحاء وهو لوط بن هاران بن تارخ بن ناحور وآزر لقب تارخ ابى ابراهيم عليه الصلاة والسلام وهاران فكان هاران وابرهيم اخوين وآمنت به ايضا سارّة بنت عم ابراهيم وهى سارّة بنت هاران الاكبر عم ابراهيم فخرج من كوثى مهاجرا الى ربه ومعه لوط وسارّة يلتمس الفرار بدينه والتخلص الى عبادة ربه حتى نزل حرّان فمكث بها ماشاء الله تعالى ثم ارتحل منها ونزل بفلسطين وهى برية الشام ثم خرج منها مهاجرا حتى قدم مصر ثم خرج من مصر وعاد الى ارض الشام ونزل لوط بالمؤتفكة وبعثه الله نبيا الى اهلها روى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ستكون هجرة بعد هجرة فخيار اهل الارض اكرمهم مهاجرا اراد ابراهيم عليه الصلاة والسلام بالهجرة الثانية الهجرة الى الشام والمقصود ترغيب الناس فى المقام بها **قوله عطية** قال الجوهرى النفل والنافلة عطية التطوّع من حيث لايجب ومنه نافلة الصلاة والنافلة ايضا ولد الولد والنوافل العطايا والنوفل الرجل الكثير العطاء فالنافلة المذكورة فى الآية يجوز ان تحمل على العطية الواقعة تفضلا من غير ان تكون جزآء مستحقا مترتبا على ما يدعوا اليه فتكون حالا من المفعول وما عطف عليه جميعا اى وهبنا هما حال كون كل واحد منهما عطية متبرّعا بها وقيل انه منصوب على انه مصدر ووهبنا له من غير لفظه بمعنى ووهبنا له هبة مبتدأة ويجوز ان يحمل على ولد الولد لان يعقوب ولد اسحق عليهما الصلاة والسلام وعلى الزيادة على ماسأل كما فى قوله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك اى زيادة على الفرآئض فانه عليه الصلاة والسلام سأل الله ولدا حيث قال رب هب لى من الصالحين وهو سؤال الولد فاجاب الله تعالى دعاءه ووهب له اسحق ولدا ليستأنس به من وحشة الغربة واعطاه يعقوب من اسحق من غير دعائه فكان ذلك نافلة كالشئ المتطوّع به وزيادة على الولد لكونه ولد الولد فعلى هذين الوجهين يكون حالا من المعطوف عليه فقط كما مرّ فى قوله تعالى كل فى فلك يسبحون من انه حال من الشمس والقمر فقط لعدم اللبس **قوله ليحثوهم عليه فيتم كمالهم بانضمام العمل الى العلم** تعليل لما ذكر ثالثا فى وجوه مدحهم فانه تعالى مدحهم اوّلا بصلاحهم فى انفسهم وكونهم عاملين بطاعة الله تعالى ثم باصلاحهم غيرهم بامر ربهم وارساله اياهم لتكميل عباده ثم بان علمهم واوحى اليهم ان تفعل الخيرات وتقام الصلاة وتؤتى الزكاة ليتم كمالهم بانضمام العمل الى العلم فالظاهر ان

يقول بدل قوله ليحثوا عليه ليكون صلاحهم واصلاحهم مبنيا على العلم الاان ترتب العلم على الايحاء لما كان ظاهرا مكشوفا لم يتعرّض له بل جعل فائدة الايحاء اليهم حث الامّة على فعلها فان معظم مايوحى الى الانبياء هو التكاليف المتعلقة بالامّة فلذلك جعل فعل الخيرات مصدرا من المبنى للمفعول فانه لوجعل من المبنى للفاعل وكان مضافا من حيث المعنى الى ضمير الموحى اليهم وكان التقدير فعلهم الخيرات واقامتهم الصلاة وايتاءهم الزكاة لفهم ان يكون هذه المذكورات من الاحكام المختصة بالموحى اليهم وليس كذلك بل هى من التكاليف العامّة التى يشترك فيها الانبياء والامم فالاصل ان يقال واوحينا اليهم ان تفعل الخيرات وتقام الصلاة وتؤتى الزكاة ثم فعلا الخيرات لانه فى معنى الاوّل لان ان مع الفعل فى معنى المصدر ثم فعل الخيرات اى صيغ ذلك الحرف المصدرى مع مابعده مصدرا منوّنا ناصبا لمابعده ثم اضيف ذلك المصدر الى مفعوله ثم خص من بين الخيرات اقامة الصلاة وايتاء الزكاة تنبيها على مزيد فضلهما وشرفهما بالنسبة الى سائر الخيرات ﴿قوله وحذف تاء الاقامة المعوّضة عن احدى الالفين﴾ احداهما الف الافعال والاخرى الالف المبدلة من واو اقوام يعنى ان مصدر افعل يجيئ على افعال فان كان صحيح العين جاء تاما كالاكرام وان كان معتل العين حذف منه احدى الالفين وعوّض عنها تاء التأنيث فلما قيل فى نظم التنزيل واقام الصلاة بدون التاء اعتذر عن حذفها بقيام المضاف اليه مقامها وقد ورد اثباتها ايضا مع الاضافة قال تعالى يوم ظعنكم ويوم اقامتكم ثم انه تعالى لمابين اصناف ماانعم عليهم وفاء بعهد الربوبية بين اشتغالهم بالطاعة والعبادة وفاء بعهد العبودية فقال وكانوا لنا عابدين ﴿قوله ولوطا آتيناه﴾ منصوب على شريطة التفسير اى وآتينا لوطا آتيناه حكما والجملة معطوفة على قوله ووهبنا له جمع ابراهيم ولوطا عليهما الصلاة والسلام فى قوله ونجيناه ولوطا ثم بين ماانعم به على كل واحد منهما فقال ووهبنا له اسحق ثم قال ولوطا آتيناه فذكر الله تعالى مما آتاه من النعم اربعة امور احدها الحكم وثانيها العلم وثالثها انجاؤه مما يعمل الخبائث ورابعها ادخاله فى رحمته او جنته وان فسر الحكم بالحكمة يراد بها هنا اتيان مايجب فعله وتقتضيه الادلة القاطعة والعقل المميز لاما اشتهر بين القوم من انها العلم الذى يتصل به العمل بما يناسبه فان عطف قوله وعلما عليها يأبى حملها على ذلك المعنى ووجه تفسير الحكم بالنبوّة كونها سببا لتقييد الحكم على الامّة * وسدوم اعظم القرى بالمؤتفكة وهى قرى قوم لوط التى قلبها الله تعالى وجعل عاليها سافلها ﴿قوله تعالى ونوحا﴾ منصوب على العطف على لوطا فيكون مشتركا معه فى عامله الذى هو آتينا المفسر بآتيناه الظاهر وكذلك داود وسليمان والتقدير ونوحا آتيناه حكما وعلما وداود وسليمان آتيناهما وعلى هذا يكون اذ بدلا من نوحا ومن داود وسليمان بدل اشتمال ويجوز ان يكون نوحا منصوبا باضمار اذكر اى اذكر نوحا وداود وسليمان اى اذكر خبرهم وقصتهم وعلى هذا تكون اذ منصوبة بنفس المضاف المقدّر اى خبرهم الواقع فى وقت كذا وكذا ﴿قوله ونصرناه مطاوعه انتصر﴾ يعنى ان نصرنا هنا بمعنى منعنا الذى يطاوعه انتصر بمعنى امتنع قال الله تعالى هل ينصرونكم او ينتصرون اى هل يمنعونكم او يمتنعون والحاصل ان نصر ههنا بمعنى منع لا بمعنى اعان ويدل عليه تعديته بمن فان نصر بمعنى اعان يتعدّى بعلى يقال نصره الله على عدوّه فلما قيل ههنا ونصرناه من القوم علم ان المعنى ومنعناه ونجيناه منهم ومنه قوله تعالى فمن ينصرنا من بأس الله اى يعصمنا من عذابه والانتصار كما يكون بمعنى الامتناع يكون بمعنى الانتقام ايضا ﴿قوله رعته ليلا﴾ النفش ان تنتشر الغنم ليلا وترعى بلا راع من باب دخل وضرب جميعا وانفشها صاحبها اذا تركها ترعى كذلك قال الشاعر * فالها الليلة من انفاش * قال المفسرون دخل رجلان على داود عليه الصلاة والسلام وعنده ابنه سليمان احدهما صاحب حرث والآخر صاحب غنم فقال صاحب الحرث ان هذا انفلتت غنمه فوقعت فى حرثى فلم تبق منه شيأ فقال لك رقاب الغنم فقال سليمان غير هذا ارفق بهما ينطلق اصحاب الحرث بالغنم فيصيبون من ألبانها ومنافعها وتقوم اصحاب الغنم على الحرث حتى اذا كان كليلة نفشت فيه دفع هؤلاء الى هؤلاء غنمهم ودفع هؤلاء الى هؤلاء حرثهم فقال داود القضاء ماقضيت وحكم بذلك واكثر المفسرين على ان الحرث كان كرما قد تدلت عناقيده وقال قتادة كان زرعا كذا فى البسط وجمع الضمير فى حكمهم لكونه عبارة عن الحاكمين والمتحاكمين وهو يستلزم اضافة المصدر الى فاعله ومفعوله دفعة واحدة وهو انما يضاف الى احدهما فقط لان اضافته الى الفاعل على سبيل القيام به واضافته الى المفعول على سبيل الوقوع عليه فهما معمولان مختلفان فلا يكون اللفظ الواحد مستعملا فيهما معا وايضا انه يستلزم الجمع بين الحقيقة والمجاز لان اضافته الى الفاعل حقيقة

وكذلك قوله (واقام الصلاة وايتاء الزكاة) وهو من عطف الخاص على العام للتفضيل وحذف تاء الاقامة المعوّضة عن احدى الالفين لقيام المضاف اليه مقامها (وكانوا لنا عابدين) موحدين مخلصين فى العبادة ولذلك قدم الصلة (ولوطا آتيناه حكما) حكمة او نبوّة او فصلا بين الخصوم (وعلما) بما ينبغى علمه للانبياء (ونجيناه من القرية) قرية سدوم (التى كانت تعمل الخبائث) يعنى اللواط وصفها بصفة اهلها او اسندها اليها على حذف المضاف واقامتها مقامه ويدل عليه (انهم كانوا قوم سوء فاسقين) فانه كالتعليل له (وادخلناه فى رحمتنا) فى اهل رحمتنا او فى جنتنا (انه من الصالحين) الذين سبقت لهم منا الحسنى (ونوحا اذ نادى) اذ دعا الله على قومه بالهلاك (من قبل) من قبل المذكورين (فاستجبنا له) دعاءه (فنجيناه واهله من الكرب العظيم) من الطوفان او أذى قومه والكرب الغم الشديد (ونصرناه) مطاوعه انتصر اى جعلناه منتصرا (من القوم الذين كذبوا بآياتنا انهم كانوا قوم سوء فأغرقناهم اجمعين) لاجتماع الامرين تكذيب الحق والانهماك فى الشر ولم يجتمعا فى قوم الا واهلكهم الله (وداود وسليمان اذ يحكمان فى الحرث) فى الزرع وقيل فى كرم تدلت عناقيده (اذ نفشت فيه غنم القوم) رعته ليلا (وكنا لحكمهم شاهدين) لحكم الحاكمين والمتحاكمين اليهما عالمين (ففهمناها سليمان) الضمير للحكومة او الفتوى وقرئ فأفهمناها روى ان داود حكم بالغنم لصاحب الحرث فقال سليمان وهو ابن احدى عشرة سنة غير هذا ارفق بهما فأمر بدفع الغنم الى اهل الحرث فينتفعون بألبانها واولادها واشعارها والحرث الى ارباب الغنم يقومون عليه حتى يعود الى ما كان ثم يترادّان

والى المفعول مجاز فالجواب ان هذه الاضافة لمجرّد الاختصاص مع قطع النظر عن كون المضاف اليه فاعلا او مفعولا على طريق عموم المجاز كأنّه قيل كنا شاهدين للقضية الواقعة بينهم من اصابة احد الحاكمين وخطأ الآخر واستيفاء كل واحد من المتحاكين حقه على النهج المستقيم ﴿قوله ولعلهما قالا اجتهادا﴾ فان بعض العلماء قال بجواز الاجتهاد للانبياء ليدركوا ثواب المجتهدين لعموم قوله تعالى فاعتبروا يا اولى الابصار والانبياء ائمة اولى الابصار وافضلهم فكيف لا يجوز لهم الاعتبار مع ان الاستنباط ارفع درجات العلماء فوجب انه يكون للانبياء نصيب منه والا لكان كل واحد من المجتهدين افضل منهم فى هذا الباب ويدل عليه ايضا قوله عليه الصلاة والسلام * العلماء ورثة الانبياء * فيستلزم ان تكون درجة الاجتهاد ثابتة للانبياء ليرث العلماء عنهم ذلك ومنهم من لا يجوّز لهم الحكم بالاجتهاد ويقول انهم مستغنون عنه بالوحى فان الاجتهاد انما يصار اليه عند فقد النص والنص ليس بمفقود فى حق الانبياء فلا يجوز لهم الاجتهاد عند اكثر العلماء بخلاف اهل السنة فانهم يجوّزون لهم الحكم بالاجتهاد فجاز ان يجتهدوا ويكون اجتهاد سليمان اشبه بالصواب فيرجع ابوه داود الى اجتهاده قبل الحكم باجتهاد نفسه لان الحكم الواقع بالاجتهاد لا ينقض باجتهاد آخر ويجوز ان يكون الثانى وحيا وحينئذ ينقض الحكم بالاجتهاد وقيل حكما جميعا بالوحى الا ان حكومة داود نسخت بحكومة سليمان واختار المصنف انهما حكما بالاجتهاد لا بالوحى لانهما لو حكما بالوحى لما اختص سليمان بقوله تعالى ففهمناها سليمان بخلاف ما اذا قالا بالاجتهاد وكان اجتهاد سليمان صوابا او اصوب فانه يجوز ان يقال فى حقه ففهمناها سليمان ولما كان الاجتهاد فى نفسه مفتقرا الى العلم ولا يصح بدونه قيل وكلا آتينا حكما وعلما وقيل لو كانا بالاجتهاد لما نقض حكم سليمان حكم داود لان الاجتهاد لا ينقض الاجتهاد فتعين انهما كانا بالوحى والجواب ما مرّ من انهما اجتهدا وكان اجتهاد سليمان اشبه بالصواب فرجع داود الى اجتهاده قبل الحكم باجتهاد نفسه فقد روى فى الاخبار الكثيرة ان داود لم يكن بين الحكم فى ذلك حتى سمع من سليمان ان غير ذلك اولى وروى ان داود ناشده وقال له بحق البنوّة والابوّة الا اخبرتنى بالذى هو اوفق بالفريقين فقال ادفع الغنم الى صاحب الحرث الخ ﴿قوله والاوّل﴾ اى حكم داود بالغنم لصاحب الحرث نظير قول ابى حنيفة فى العبد الجانى انه اذا جنى على النفس يدفعه المولى الى ولى الجناية او يعطى ارش الجناية فان موجب جناية العبد عنده صيرورة العبد جزآء جنايته قلت الجناية او كثرت وللمولى ان يختار الفدآء بالارش فكذا الحال فى حادثة الحرث فان الغنم فيه بمنزلة العبد الجانى فكانت نفس الغنم جزآء جنايتها وقال سليمان لا يزال ملك المالك عن الغنم بل يحال بينه وبين ملكه بان يدفع الغنم الى اهل الحرث لينتفعوا بها بازآء ما فات عنهم من الانتفاع بالحرث الى ان يزول ما طرأ على الحرث من النقص والضرر ويصير كما كان ونظيره قول الامام الشافعى فيمن غصب عبدا فأبق من يده فانه يوجب على الغاصب غرم الحيلولة ويقول انه يضمن قيمة العبد ويحال بينه وبين القيمة لينتفع بها المغصوب منه بازآء ما فوّته الغاصب من منافع العبد فاذا ظهر العبد تردّ لبقاء ملك كل واحد منهما فيما فات عنه وحيل بينه وبينه ﴿قوله الا ان يكون معها حافظ﴾ اى الا ان يكون مع البهيمة سائقها او قائدها فانه يضمن ما اتلفته وهو سائقها او قائدها والذى اتلفته بعد انتهاء سوقها او قودها فلا يضمنه لقوله عليه الصلاة والسلام * جرح العجماء جبار * اى هدر والامام الشافعى يوجب ضمان ما اتلفته ليلا لما روى فى الحديث عن رسول الله عليه الصلاة والسلام ان ناقة لرجل هاربة دخلت حائط رجل فأفسدت ما فيه فكلم النبىّ عليه الصلاة والسلام فيها فقضى ان حفظ الحوآئط بالنهار على اهلها وان حفظ المواشى بالليل على اهلها وان على اهل الماشية ما اصابت ماشيتهم بالليل وقد روى ايضا انه عليه الصلاة والسلام قال ما اصابت الماشية بالليل فعلى اهلها وما اصابت بالنهار فليس على اهلها منه شئ ولعل اباحنيفة يجعله منسوخا بقوله * جرح العجماء جبار ﴿قوله دليل على ان خطأ المجتهد لا يقدح فيه﴾ اى لا يجعله آثما من حيث انه تعالى وان اثنى على سليمان باصابته حيث قال ففهمناها سليمان لكنه تعالى اثنى على المخطئ ايضا بعلمه المؤدّى الى الاجتهاد ولم يأثم بخطأه حيث اثنى عليه بقوله وكلا آتينا حكما وعلما فان العلم المؤدّى الى الاثم والعقاب لا يكون سببا للامتنان عليه والمدح بسببه اختار المصنف قول من ذهب الى ان المجتهد يخطئ ويصيب وان داود وسليمان عليهما الصلاة والسلام قالا بالاجتهاد الا ان داود أخطأ واصاب سليمان وانه يجوز الخطأ على الانبياء الا انهم لا يقرّون واما العلماء فلهم الاجتهاد فى الحوادث اذا لم يجدوا فيها نص كتاب او سنة فاذا اخطأوا فلا اثم عليهم روى انه عليه الصلاة والسلام قال * اذا حكم الحاكم واجتهد فأصاب فله اجران واذا حكم واجتهد فأخطأ فله اجر * يعنى انه يؤجر على اجتهاده

ولعلهما قالا اجتهادا والاوّل نظير قول ابى حنيفة فى العبد الجانى والثانى مثل قول الشافعى بغرم الحيلولة للعبد المغصوب اذا ابق وحكمه فى شرعنا عند الشافعى وجوب ضمان المتلف بالليل اذ المعتاد ضبط الدواب ليلا وكذلك قضى النبى صلى الله عليه وسلم لما دخلت ناقة البرآء حائط وافسدته فقال على اهل الاموال حفظها بالنهار وعلى اهل الماشية حفظها بالليل وعند ابى حنيفة لا ضمان الا ان يكون معها حافظ لقوله عليه السلام جرح العجماء جبار (وكلا آتينا حكما وعلما) دليل على ان خطأ المجتهد لا يقدح فيه

في الحق لان الاجتهاد عبادة لانه يؤجر على الخطأ الا ان الاثم في الخطأ مرفوع عنه اذا بذل جهده في اصابة الحق والحاصل ان في كل حادثة حكما معينا عند الله تعالى وعليه دليل قطعي او ظني فمن وجده اصاب ومن فقده اخطأ ولم يأثم * فان قيل لو تعين الحكم فالمخالف له لم يحكم بما انزل الله فيفسق او يكفر لقوله تعالى ومن لم يحكم بما انزل الله الآية فالجواب انه لما امره بالحكم بما ظنه وان اخطأ فقد حكم بما انزل الله وقوله تعالى وكلا آتينا حكما وعلما لا ينافي ان يكون البعض منهم مخطئا لان خطأ المجتهد لا يوجب ان لا يكون له علم وحكم فان كل مجتهد لا بد ان يكون عالما قادرا على استنباط الاحكام من النصوص اذ لو لم يكن عالما بالغا الى مرتبة الاجتهاد لم يجز له ان يجتهد ويحكم بالاجتهاد

﴿قوله وقيل على ان كل مجتهد مصيب﴾ فيما عليه من الاجتهاد في الحادثة كما ذهب اليه ابو يوسف ومحمد رحمهما الله تعالى * قال صاحب الكشاف وفي قوله ففهمناها سليمان دليل على ان الاصوب كان مع سليمان وفي قوله وكلا آتينا حكما وعلما دليل على انهما جميعا على الصواب ووجه الاستدلال انه لو كان المصيب واحدا منهما وكان مخالفه مخطئا لما صح ان يقال وكلا آتينا حكما وعلما وفيه انه انما يكون دليلا على كونهما من اهل الاجتهاد ولا يدل على كون كل واحد منهما مصيبا وانما يدل عليه ان لو قيل وكلا آتينا حكما وعلما بما حكم الله تعالى به في تلك الحادثة وليس نظم التنزيل هكذا فيجوز ان يكون المراد به آتيناه علما بوجوه الاجتهاد وطرق الاحكام وهو لا يستلزم كونه مصيبا للدليل الذي اقامه الله تعالى ليدل على ما حكم به في تلك الحادثة وايضا القول بان كل مجتهد مصيب مخالف لما يفهم من قوله تعالى ففهمناها سليمان فانه يدل بطريق المفهوم على ان داود لم يفهم الحكم الذي هو الحكم عند الله وانه تعالى لم يفهمه ذلك فكيف يكون مصيبا في حكمه واجتهاده المؤدي اليه ثم اشار بقوله ولولا النقل الى جواب ما يقال لا نسلم ان القول المذكور مخالف لمفهوم قوله ففهمناها سليمان وانما يخالفه ان لو كان داود وسليمان قد اختلفا في الحكم وليس كذلك لما روي عن ابي بكر الاصم انه قال انهما لم يختلفا في الحكم البتة بناء على انه تعالى بين لهما الحكم على لسان سليمان واتفقا على ذلك الحكم * ولما ورد ان يقال لو اتفقا في الحكم بتفهيم الله تعالى اياهما ذلك لكان الظاهر ان يقال ففهمناها اياهما ولا يخص سليمان بالذكر * اشار الى دفعه بقوله على ان قوله ففهمنا اياهما الا ان سليمان عليه الصلاة والسلام لما اختص بصغر السن والفهم منه اغرب خص بالذكر اظهارا لما تفضل به عليه في صغره وتقرير ما اشار اليه بقوله ولولا النقل لاحتمل توافقهما ان احتمال التوافق بناء على ان تخصيص سليمان لاظهار ما تفضل عليه في صغره وهذا التخصيص لاجل اظهار ما تفضل عليه في صغره ينفيه ما نقل انهما قد اختلفا في القول والحكومة فان الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين قد اتفقوا على ان داود قال لصاحب الحرث اذهب فان الغنم لك فلما خرج المتحاكمان من عنده ومرا على سليمان قال كيف قضى بينكما فاخبراه بما قضى به فقال عليه الصلاة والسلام لو كنت انا القاضي لقضيت بغير هذا وروي انه عليه الصلاة والسلام قال غير هذا ارفق بالفريقين فأخبرا داود بذلك فدعاه فقال كيف كنت تقضي بينهما وعلى الرواية الثانية انه دعا سليمان فقال بحق النبوة والابوة الا ما اخبرتني بالذي هو ارفق بالفريقين فقال ان تسلم الغنم الى صاحب الحرث حتى يرتفق بمنافعها وان يعمل صاحب الغنم في اصلاح الحرث حتى يصير كما كان ثم ترد الغنم الى صاحبها والحرث الى صاحبه ولا يخفى ان اجماع الصحابة في بيان كيفية القصة على الوجه المذكور ينفي احتمال توافقهما في الحكم لما بين الله تعالى ما آتاه داود وسليمان عليهما السلام ذكر ما خص به داود فقال وسخرنا مع داود الجبال يسبحن وهو العامل في مع وهو نظير قوله تعالى ياجبال اوّبي معه ويسبحن حال من الجبال والطير معطوف على الجبال وقيل الواو فيه بمعنى مع كذا اعرب ابو البقاء وان جعل يسبحن استئنافا جوابا لمن قال كيف سخرهن يكون قوله مع داود حالا من الجبال اي سخرنا الجبال كائنة مع داود والمراد بكونها معه اما تسبيحها مع تسبيحه واما سيرها مع سيره على ان يكون يسبحن المشدد بمعنى يسبحن الثلاثي من السبح الذي هو السباحة نقل الى باب التفعيل للتكثير ولو لم يقصد الكثرة لقيل يسبحن وان كان من التسبيح بمعنى التقديس فالمراد بتسبيح الجبال معه تسبيح دلالة فانهن يسبحن الله تعالى ويذكرنه بدلالة الحال قال تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم الا ان التسبيح بهذا المعنى لا يختص بكونها مع داود ولعل وجه التخصيص انه عليه الصلاة والسلام كان يفهم تسبيح الجبال وما فيها من الاحجار والاشجار فيزداد يقينا وتعظيما ونشاطا في التسبيح والتقديس واشتياقا اليه ويدل عليه ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال كان داود يفهم تسبيح الحجر والشجر مع ان تخصيص الشيء بالذكر لا يدل على نفي الحكم عما عداه ويحتمل ان يكون

وقيل على ان كل مجتهد مصيب وهو يخالف مفهوم قوله ففهمناها ولولا النقل لاحتمل توافقهما على ان قوله ففهمناها لاظهار ما تفضل عليه في صغره

(المراد)

المراد بتسبيح الجبال معه ان يتمثل له صوت التسبيح من جهتها على طريق انعكاس الصدى من الاجرام الصقيلة العالية كما روى عن ابن وهب انه قال كانت الجبال تجاوبه بالتسبيح ويجوز ان يكون تسبيح الجبال بان يخلق الله تعالى فيها الكلام فان المتكلم والمسبح عند اهل السنة من يقوم به الكلام والتسبيح ويكون محلالهما لامن يوجدهما بخلاف المعتزلة فان المتكلم عندهم من يوجد الكلام والجبال جمادات لايصح منها الفعل ولايصح اسناد التكلم اليها بان يخلق الله تعالى فيها الكلام لان المتكلم هو الله تعالى لا الجبال على زعمهم ﴿قوله وقيل يسرن معه﴾ عطف على قوله يقدّسن ﴿قوله وقرئ بالرفع﴾ اى برفع الطير على انه مبتدأ حذف خبره اى والطير مسخرات ايضا اوعلى انه معطوف على الضمير المرفوع المتصل فى يسبحن وهو ضعيف لانه لم يؤكد ولم يفصل بينهما واجاز الكوفيون مثله من غير استقباح ويجوّزه البصريون ايضا لكن على قبح ﴿قوله فى الاصل اللباس﴾ اى يطلق على مايلبس درعا كان او غيره حتى استعمل فى البيت فيما هو شبيه باللباس الحقيق وقوله البس بكسر الهمزة وفتح الباء من لبست الثوب لبسا بضم اللام من باب علم لامن قولك لبست عليه الامر لبسا بفتح اللام من باب ضرب بمعنى خلطت وتمام البيت * اما نعيمها واما بوسها * اى البس فى كل حالة مايلائمها ويصلح لها وليس المراد لبس ماهو ثوب حقيقة بل المراد عدّ لكل زمان مايليق به وكانت الدرع قبل داود صفائح اى قطع حديد عراضا فاوّل من سردها وحلقها داود عليه الصلاة والسلام فجمعت بين الخفة والتحصين ووجه المعجزة فيه انه عليه الصلاة والسلام فعل ذلك من غير استعانة باداة وآلة من نحو الكير والنار والمطرقة كما قال تعالى وألناله الحديد ﴿قوله بدل منه﴾ اى ان لام كى فى قوله لتحصنكم متعلقة بعلمنا كما تعلقت به اللام التى فى لكم * فلما ورد ان يقال كيف يجوز ان يتعلق حرفا جرّ متحدان لفظا ومعنى بعامل واحد * اجاب عنه بانه بدل منه كما فى قوله تعالى لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم وهو بدل اشتمال لان لتحصنكم فى تأويل لاحصانكم وبين الاحصان وضمير لكم ملابسة الاشتمال وقرأ نافع وابن كثير وحمزة والكسائى وابو عمرو ليحصنكم بالياء من تحت وباسناد الفعل الى داود او اللبوس وقرأ حفص وابن عامر بالتاء من فوق على اسناده الى الصنعة او اللبوس على تأويله بالدرع وقرأ ابو بكر ورويس بنون العظمة جريا على طريقة علمناه والبأس ههنا الحرب وان وقع على السوء كله والمعنى ليمنعكم ويحرسكم من مكاره بأسكم كالقتل والجرح بنحو السيف والسهم والرمح * الجوهرى البأس العذاب والبأس الشدة فى الحرب تقول منه بؤس الرجل يبؤس بأسا اذا كان شديد البأس والخطاب المدلول عليه بقوله تعالى لكم ليحصنكم من بأسكم فهل انتم لهذه الامة من اهل مكة ومن بعدهم الى يوم القيامة اخبر الله تعالى ان اوّل من عمل الدرع داود ثم تعلم الناس منه فتوارثها الناس فعمت النعمة بها كل المحاربين من الخلق الى آخر الدهر فلزمهم شكر الله تعالى على هذه النعمة فلذلك اوجب عليهم الشكر فقال فهل انتم شاكرون اى اشكروا الله تعالى على مايسر الله عليكم هذه الصنعة وحرسكم بها من مضار البأس والحرب قال محيى السنة يقول لداود واهل بيته وقيل يقول لاهل مكة فهل انتم شاكرون نعمتى بطاعة الرسول انتهى كلامه يريد ان الخطاب المذكور يجوز ان يكون لداود واهل بيته بتقدير القول اى فقلنا لهم بعد ما انعمنا عليهم بهذه النعم هل انتم شاكرون ما اعطى من النعم التى ذكرت من تسخير الجبال والطير والانة الحديد وعلم صنعة اللبوس ﴿قوله امر أخرجه فى صورة الاستفهام للمبالغة والتقريع﴾ فان تقريع الاستفهام عن مباشرة الفعل بعد بيان مايوجب مباشرته ابلغ فى ايجابه من الايجاب بصورة الامر لتضمنه التقريع على تركه بعد تحقق مايوجبه ومثله كثير ومنه قوله تعالى فهل انتم منتهون قيل ان داود عليه الصلاة والسلام خرج يوما متنكرا طالبا من يسأله عن سيرته فى مملكته فاستقبله جبريل عليه الصلاة والسلام على صورة آدمى ولم يعرفه داود عليه الصلاة والسلام فقال له كيف ترى سيرة داود فى مملكته فقال له جبريل عليه الصلاة والسلام نعم الرجل هو لولا ان فيه خصلة واحدة قال وماهى قال بلغنى انه يأكل من بيت المال وليس شئ افضل من ان يأكل الرجل من كدّيده فرجع داود عليه الصلاة والسلام وسأل الله تعالى ان يجعل رزقه من كدّيده فألان له الحديد وكان يتخذ الدرع من الحديد ويبيعها ويأكل من ذلك فذلك قوله تعالى وعلمناه اى الهمناه ويقال علمناه بالوحى صنعة لبوس ثم انه تعالى لماذكر النعم التى خص بها داود ذكر بعدها النعم التى خص سليمان بها فانه تعالى ورّث سليمان من داود ملكه ونبوّته وزاد عليه امرين سخرله الريح والشياطين فقال ولسليمان الريح والعامّة على نصب الريح بعامل مقدّر اى وسخرنا الريح لسليمان وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر الجار قبله وعاصفة حال من مفعول سخرنا المقدّر

(وسخرنا مع داود الجبال يسبحن) يقدّسن الله معه اما بلسان الحال او بصوت يتمثل له او بخلق الله فيها وقيل يسرن معه من السباحة وهو حال او استئناف لبيان وجه التسخير ومع متعلقة به او بسخرنا (والطير) عطف على الجبال او مفعول معه وقرئ بالرفع على الابتداء او العطف على الضمير على ضعف (وكنا فاعلين) لأمثاله فليس ببدع منا وان كان عجيبا عندكم (وعلمناه صنعة لبوس) عمل الدرع وهو فى الاصل اللباس قال

البس لكل حالة لبوسها * قيل كانت صفائح فحلقها وسردها * (لكم) متعلق بعلم او صفة للبوس (لتحصنكم من بأسكم) بدل منه بدل الاشتمال باعادة الجار والضمير لداود او للبوس وفى قرآءة ابن عامر وحفص بالتاء للصنعة او للبوس على تأويل الدرع وفى قرآءة ابى بكر ورويس بالنون لله عز وجل (فهل انتم شاكرون) ذلك امر أخرجه فى صورة الاستفهام للمبالغة والتقريع (ولسليمان الريح) وسخرنا له الريح

على قرآءة من نصب او من فاعل الاستقرار الذى تعلق به الخبر على قرآءة من رفع والعاصفة الشديدة الهبوب والرخاء اللينة **قوله** ولعل اللام فيه دون الاوّل جواب عما يقال ما الفائدة فى تخصيص داود بلفظ مع وسليمان بلفظ اللام حيث قال فى حق داود وسخرنا مع داود الجبال وقال فى حق سليمان وسخرنا لسليمان الريح وراعى هذا الاسلوب ايضا فى قوله ياجبال اوّبى معه وقال وسخرناله الريح تجرى بامره رخاء * وتقرير الجواب ان ما كان خارقا فى حق كل واحد منهما وان كان معجزا تشرف به صاحبه الا ان سليمان لما كان مستخدما لما هو معجز له استخدام المالك لمملوكه نسب اليه باللام دون داود فانه تشرف به من حيث موافقته له عند تسبيحه وليس نسبة معجزه اليه كنسبة المملوك الى مالكه فنسب معجز سليمان اليه بلام التمليك ولم ينسب معجز داود اليه بتلك اللام **قوله** تبعد بكرسيه الباء فيه للتعدية يعنى انها تعمل عمل الريح العاصفة مع كونها لينة فى نفسها فان منزله عليه الصلاة والسلام كان بالشام وكانت الريح تحمله من نواحى الارض اليها فى مدة يسيرة بعد ماسارت به منها بكرة وكانت تذهب به غدوة من الشام الى اىّ ناحية من نواحى الارض بينها وبين الشام مسيرة شهر الى وقت الزوال ثم ترجع منها بعد الزوال الى الشام عند الغروب كما قال تعالى غدوّها شهر ورواحها شهر والرواح نقيض الصباح وهو اسم للوقت من زوال الشمس الى الليل وقد يكون مصدر قولك راح يروح رواحا وهو نقيض قولك غدا يغدو غدوّا قال الحسن لما شغلت الخيل نبىّ الله سليمان حتى فاتته صلاة العصر غضب فعقر الخيل فطفق مسحا بالسوق والاعناق فأبدله الله مكانها خيرا منها واسرع وهو الريح تجرى بأمره حيث شاء وكان يغدو من ايليا فيقيل باصطخر ثم يروح منها فيبيت بارض الشام قال مقاتل نسجت الشياطين لسليمان بساطا فرسخا فى فرسخ من ذهب فى ابريسم وكان يوضع له منبر من ذهب فى وسط البساط فيقعد عليه وحوله ثلاثة آلاف كرسى من ذهب وفضة تقعد الانبياء على كراسى الذهب والعلماء على كراسى الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجنّ والشياطين وتظلله الطير باجنحتها حتى لاتقع عليه الشمس وترفع ريح الصبا البساط مسيرة شهر من الصباح الى الرواح ومن الرواح الى الغروب وكان عليه الصلاة والسلام امرأ قلما يقعد عن الغزو ولايسمع فى ناحية من الارض ملكا الا اتاه ودعاه الى الحق **قوله** ومن عطف يعنى ان من فى قوله من يغوصون سوآء كانت موصولة او نكرة موصوفة يجوز ان تكون فى محل النصب بالعطف على الريح اى وسخرناله من يغوصون ويدخلون تحت البحر وان تكون فى محل الرفع على الابتدآء والخبر الجار والمجرور قبله وجمع الضمير العائد اليه حملا على معناه وحسن ذلك تقدّم الجمع فى قوله الشياطين وقوله دون ذلك صفة لعملا والمراد بحفظ الشياطين حفظهم من ان يعصوا ويتمرّدوا عليه كما قال ومن يزغ منهم عن امرنا نذقه من عذاب السعير وقيل المراد حفظهم من ان يفسدوا ماعملوا روى ان سليمان كان اذا بعث شيطانا مع انسان ليعمل له عملا قال له اذا فرغ من عمله قبل الليل اجعله مشغولا بعمل آخر لئلا يفسد ماعمله وكان من عادة الشياطين انهم اذا فرغوا من العمل ولم يشتغلوا بعمل آخر خرّبوا ماعملوه وافسدوه * قال الامام الرازى فى تفسيره ان الجبائى سأل نفسه وقال كيف تتهيأ لهم هذه الاعمال واجسامهم رقيقة لطيفة لايقدرون على عمل الثقيل وانما يمكنهم الوسوسة واجاب عنه بانه سبحانه كثف اجسامهم وقوّاهم وزاد فى عظمهم ليكون ذلك معجزة لسليمان عليه الصلاة والسلام فلما مات سليمان ردّهم الله تعالى الى الخلقة الاولى لانتهاء الحكمة الداعية الى تغيير خلقتهم ثم قال الامام الرازى واعلم ان هذا الكلام ساقط من وجوه احدها لم قلتم ان الجنّ من الاجسام ولم لايجوز وجود محدث ليس بمتحيز ولاقائم بالمتحيز وتكون الجن منهم فان قلت لو كان الامر كذلك لكان مثلا للبارى تعالى ولوجب ان يتميز البارى عنهم بمايميزه عنهم فيلزم ترك الواجب قلت هذا ضعيف لان الاشتراك فى اللوازم الثبوتية لايدل على اشتراك الملزومات فكيف فى اللوازم السلبية سلمنا انه جسم لكن لم لايجوز حصول القوّة على هذه الاعمال الشاقة فى الجسم اللطيف وكلامه مبنى على ان البنية تشترط فيه وليس فى يده الا الاستقرآء الضعيف سلمنا انه لابدّ من تكثيف اجسامهم لكن لم قلت بانه لابدّ من ردّها الى الخلقة الاولى بعد موت سليمان فان زعمت ان ابقائهم على الخلقة الثانية يفضى الى التلبيس اى تلبيس النبى على الخلق بان يدّعى النبوّة ويجعل ذلك معجزة لنفسه قلت كيف يفضى الى التلبيس وللخلق ان يقولوا لم لايجوز ان يكونوا مخلوقين كذلك او تكون قوّة اجسامهم معجزة لنبىّ آخر ومع قيام هذا الاحتمال لايتمكن النبى من الاستدلال به على نبوّته **قوله** تعالى وايوب اذ نادى ربه كقوله ونوحا ومابعده فى الوجهين المذكورين اى وكذلك آتينا ايوب حكما وعلما او اذكر ايوب اى اذكر خبره اذ نادى وقد كان تعالى قد اصطفى ايوب

(واستنبأه)

ولعل اللام فيه دون الاوّل لان الخارق فيه عائد الى سليمان نافع له وفى الاوّل امر يظهر فى الجبال والطير مع داود بالاضافة اليه (عاصفة) شديدة الهبوب من حيث انها تبعد بكرسيه فى مدة يسيرة كما قال غدوّها شهر ورواحها شهر وكانت رخاء فى نفسها طيبة وقيل كانت رخاء تارة وعاصفة اخرى حسب ارادته (تجرى بامره) بمشيئته حال ثانية او بدل من الاولى او حال من ضميرها (الى الارض التى باركنا فيها) الى الشام رواحا بعد ما سارت به منه بكرة (وكنا بكل شئ عالمين) فنجريه على ماتقتضيه الحكمة (ومن الشياطين من يغوصون له) فى البحار ويخرجون نفائسها ومن عطف على الريح او مبتدأ خبره ماقبله وهى نكرة موصوفة (ويعملون عملا دون ذلك) ويتجاوزون ذلك الى اعمال اخر كبناء المدن والقصور واختراع الصنائع الغريبة كقوله تعالى يعملون له مايشاء من محاريب وتماثيل (وكنا لهم حافظين) ان يزيغوا عن امره او يفسدوا على ماهو مقتضى جبلتهم (وايوب اذ نادى ربه أنى مسنى الضرّ)

واستنبأه وبسط له اصناف المال كله من الابل والبقر والغنم والخيل والحمير والبساتين ولم يكن فى اهل عصره افضل منه فى كثرة الاموال والأهل والاولاد من الرجال والنساء وكان رحيما بالمساكين يكفل الايتام والارامل ويكرم الضيف ويبلغ ابن السبيل وكان معه ثلاثة نفر قدآمنوا به وعرفوا فضله وكان احدهم من اليمن اسمه اليفن ورجلان من اهل بلده يقال لاحدهما يلدد وللآخر صنافر وكانوا كهولا فابتلاه الله تعالى باهلاك ماله من الابل مع رعاتها بان اصابها من تحت الارض اعصار من نار لايدنو منه احد الااحترق فأحرق الابل ورعاتها حتى اتى على آخرها فجاء ابليس عليه اللعنة فى زى بعض الرعاة الى ايوب فوجده قائما يصلى فلما فرغ من الصلاة قال ياايوب هل تدرى ماصنع ربك الذى اخترته احرق ابلك ورعاتها فقال ايوب انها مال اعارنيه فهو اولى به اذا شاء نزعه قال ابليس صار الناس مبهوتين متعجبين منها فمنهم من يقول ماكان ايوب يعبد شيأ وماكان فى غرور ومنهم من يقول لوكان اله ايوب يقدر على شئ لمنع من وليه ومنهم من يقول هو الذى فعل مافعل ليشمت به عدوه ويفجع به صديقه فقال ايوب الحمدلله حين اعطانى وحين نزع منى عريانا خرجت من بطن امى وعريانا اكون فى التراب وعريانا احشر الى الله عزوجل ولو علم الله فيك ايها العبد خيرا لقبض روحك مع تلك الارواح وصرت شهيدا واجارنى منك ولكنه علم منك شرا فاخرك ثم ابتلاه الله تعالى باهلاك ماله من الغنم ورعاتها بان سلط عليها من صاح صيحة فماتت جميعا ومات رعاتها ثم جاء ابليس متمثلا بصورة قهرمان الرعاة الى ايوب فقال له مثل قوله الاول ورد عليه ايوب مثل الاول فرجع ابليس صاغرا ذليلا ثم ابتلاه الله تعالى باهلاك سائر امواله من الخيل والحمير والبقر والبساتين وحراسها ومن يقوم عليها حتى اهلك اهله واولاده جميعا قيل كان له سبعة بنين وثلاث بنات وقيل سبعة بنين وسبع بنات وكلما هلك صنف منها جاء ابليس الى ايوب عليه الصلاة والسلام واخبره بذلك واجتهد فى ترقيق قلبه وحمله على الجزع والشكوى وترك الصبر فصبر ولم يجزع واسترجع وفوض الامر الى مالك الملك وقيل لما سمع بهلاك اهله واولاده رق قلبه وبكى وقبض قبضة من التراب ووضعها على رأسه وقال ليت امى لم تلدنى فتدارك الامر من ساعته فندم على مافعل واستغفر وتاب ثم ابتلاه الله تعالى بالمرض فى بدنه حتى خرج من قرنه الى قدمه ثآليل مثل أليات الغنم ووقعت فيه حكة لايملكها فكان يحك باظفاره حتى سقطت اظفاره كلها ثم حكها بالمسوح الخشنة حتى اذا لم يجد منها شيأ حكها بالفخار والحجارة الخشنة ثم تقطع لحمه وتغير وأنتن فأخرجه اهل القرية منها وجعلوه على كناسة وجعلوا له عريشا هنالك ورفضه الناس كلهم خوفا من العدوى الا امرأته فهى التى كانت تصلح اموره وتختلف اليه بما يهمه ويحتاج اليه قيل ان ابليس لما رأى ان ايوب عليه الصلاة والسلام كلما اشتد عليه انواع المكاره والبلايا لم يزدد بذلك الاصبرا وحمدالله انطلق حتى اتى امرأته فتمثل لها فى صورة رجل فقال اين بعلك ياامة الله قالت هو ذاك المقروح الذى تتردد الديدان فى جسده فلما سمع منها هذه الكلمة طمع ان تكون كلمة جزع فوسوس اليها وذكرها ماكان لها من النعيم والمال وذكرها جمال زوجها ايوب وشبابه فصرخت فلما صرخت علم ان قدجزعت واتاها بسخلة فقال ليذبح هذه ايوب لى فيبرأ فجاءت الى ايوب تصرخ فقالت ياايوب الى متى يعذبك ربك ألا يرحمك اين المال اين الماشية اين الولد اين الصديق اين اللون الحسن اين جسمك الذى قدبلى وصار مثل الرماد وتردد فيه الديدان اذبح هذه السخلة لابليس واسترح قال ايوب عليه الصلاة والسلام اياك وعدوالله ونفخ فيه فاخنسه ترين ماابتلينا به من البلايا ولا تذكرين ماكنا فيه من الرخاء فكم متعنا الله تعالى بنعمائه قالت ثمانين سنة قال فكم مدة ابتلائنا بهذا البلاء قالت سبع سنين واشهرا قال ويلك ماانصفت ربك ألاصبرت فى البلايا ثمانين سنة كما كنا فى الرخاء ثمانين سنة والله لئن شفانى الله لأجلدنك مائة جلدة امرتنى ان اذبح لغيرالله وحرام على ان اذوق بعد هذا شيأ من طعامك وشرابك الذى تأتيننى به فطردها فذهبت فلما نظر ايوب فى شأنه وليس عنده طعام ولاشراب ولاصديق وقدذهبت امرأته خر ساجدا وقال رب انى مسنى الضر وانت ارحم الراحمين فقال الله عزوجل ياايوب نفذفيك علمى وسبقت رحمتى غضبى ارفع رأسك فقداستجبت لك ورددت لك مالك وولدك ومثلهم معهم لتكون لمن خلفك آية وتكون عبرة لاهل البلاء وقدوة للصابرين اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب فيه شفاء لك وقرب عن اصحابك قربانا واستغفرلهم فانهم قدعصونى فيك فركض برجله فنبعت عين ماء فاغتسل منها فلم يبق فى ظاهر بدنه دابة ولاجراحة الاسقطت منه وبرئ ثم ضرب برجله مرة اخرى فنبعت عين اخرى فشرب منها فلم يبق فى جوفه داء الاخرج وقام صحيحا وعاد اليه شبابه وجماله حتى صار

بأنى مسنى الضر وقرئ بالكسر على اضمار القول او تضمين النداء معناه والضر بالفتح شائع فى كل ضرر وبالضم خاص بما فى النفس كمرض وهزال (وانت ارحم الراحمين) وصف ربه بغاية الرحمة بعد ماذكر نفسه بما يوجبها واكتفى بذلك عن عرض المطلوب لطفا فى السؤال وكان روميا من ولد عيص بن اسحق استنبأه الله وكثر أهله وماله فابتلاه ربه بهلاك اولاده بهدم بيت عليهم وذهاب امواله والمرض فى بدنه ثمانى عشرة سنة او ثلاث عشرة او سبعا وسبعة اشهر وسبع ساعات روى ان امرأته ماخر بنت ميشا بن يوسف اورحمة بنت افرائيم بن يوسف قالت له يوما لو دعوت الله فقال كم كانت مدة الرخاء فقالت ثمانين سنة فقال أستحيي من الله ان ادعوه وما بلغت مدة بلائى مدة رخائى

احسن ما كان عليه ثم كسى حلة فلما قام جعل يلتفت فلا يرى شيأ مما كان له من الاهل و المال الا و قد ضعفه الله تعالى حتى ذكر ان الماء الذى اغتسل منه تطاير على صورة جراد من ذهب فجعل يضمه بيده الى نفسه فأوحى الله تعالى اليه يا ايوب الم اغنك عما تفعله قال بلى و لكنه لا يشبع من نعمك فخرج من ذلك الموضع حتى جلس على مكان مشرف ثم ان امرأته قالت هب انه قد طردنى أفأتركه حتى يموت جوعا و تأكله السباع لأرجعن اليه فلما رجعت ما رأت تلك الكناسة و لا تلك الحالة التى كانت و رأت الامور قد تغيرت فجعلت تطوف حيث كانت الكناسة و تبكى و كان ذلك بعين ايوب و هابت صاحب الحلة ان تأتيه فتسأل منه فأرسل اليها ايوب و دعاها فقال لها ما تريدين يا امة الله فبكت و قالت اريد ذلك المبتلى الذى كان ملقى على الكناسة قال لها ايوب ما كان منك ذلك المبتلى فبكت و قالت بعلى فقال أتعرفينه اذا رأيته قالت و هل يخفى على احد يعلمه الذى كان فى خدمته ثمانين سنة فتبسم ايوب و قال انا هو فعرفته بضحكه فاعتنقته ثم قال لها انك امرتنى ان اذبح سخلة لابليس و انى اطعت الله و عصيت الشيطان و دعوت الله فرد على ما ترين و فى هذه القصة روايات كثيرة و الله اعلم بما هو الاصح منها قالت العلماء قول ايوب انى مسنى الضر لم يكن جزعا من ايوب لانه تعالى وصفه بالصبر حيث قال انا وجدناه صابرا بل هو دعاء منه الا ترى الى قوله تعالى فاستجبنا له اى اجبناه واليه اشار المصنف بقوله و اكتفى بذلك عن عرض المطلوب لطفا فى السؤال قيل لبعض العلماء الراضى بالله هل يسأل ربه قال يعرض اى يسأل حاجته بالكناية قيل له مثل ايش قال مثل قول ايوب رب انى مسنى الضر و انت ارحم الراحمين على ان الجزع انما هو الشكوى الى الخلق و اما من شكا الى الله فليس بجازع الا ترى الى قول يعقوب عليه الصلاة و السلام انما اشكو بثى و حزنى الى الله قال ابن مسعود و قتادة و الحسن فى قوله تعالى و آتيناه اهله و مثلهم انه تعالى احيى اولاده الذين هلكوا فى بلائه و اوتى مثلهم فى الدنيا و عن ابن عباس قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى و آتيناه اهله و مثلهم معهم فقال يا ابن عباس رد الله امرأته و زاد فى شبابها حتى ولدت ستة و عشرين ذكرا و اهبط الله تعالى اليه ملكا فقال يا ايوب ان الله يقرئك السلام بصبرك على البلاء فاخرج الى اندرك فبعث الله سحابة حمراء فهبطت اليه بجراد الذهب و الملك قائم معه و كانت الجرادة تذهب من الاندر فيتبعها حتى يردها الى اندره فقال الملك يا ايوب اما تشبع من الداخل حتى تتبع الخارج فقال ان هذه بركة من بركات ربى و لست اشبع منها ﴿ **قوله** رحمة على ايوب و تذكرة لغيره ﴾ فلا يكون رحمة و ذكرى متنازعين فى العابدين بل يكون متعلق الرحمة محذوفا و هو ايوب للعلم به لان الكلام فيه و على الثانى يتوجه كل واحد منهما الى العابدين على سبيل التنازع و لا يخفى ان عدم تخصيص الرحمة بايوب و جعلها متوجهة الى عامة العابدين لدخول ايوب فيهم دخولا اوليا اوفق للواقع و أنسب للمقام من تخصيص الرحمة بايوب و الذكرى بغيره و الذكرى على الاول بمعنى التذكرة و على الثانى بمعنى الذكر و لعل الوجه فى اظهار اللام فى الوجه الثانى مع تحقق شرائط نصب المفعول له فى كل واحد من الوجهين الاشارة الى ترجيحه فان تصريح لام التخصيص مع صحة تعدية الفعل الى العلة بدونها يشعر بان تلك العلة لها مزيد اختصاص باستدعاء الفعل ﴿ **قوله** او تكفل منه ﴾ اى او لانه كان ذا كفالة متصلة به تعالى من حيث كون المكفول به مما يبتغى به وجه الله تعالى كما قيل انه رجل كفل مائة من الانبياء اى ضمهم الى نفسه حتى نجاهم من القتل و قيل انه رجل تكفل ان يصلى بالليل و لا يفتر و ان يصوم بالنهار و لا يفطر و يقضى بين الناس و لا يغضب و وفى به فشكر الله تعالى له و جعله نبيا و قيل انه زكريا سمى به لكفالته مريم و بالجملة ان كان الكفل بمعنى الكفالة فالمراد بذى الكفل رجل كان ذا تكفل منه تعالى و ان كان بمعنى النصيب او الضعف فالمراد به من كان ذا نصيب من فضل الله و ثوابه او من كان له ضعف عمل الانبياء فى زمانه و ضعف ثوابهم لما ذكر الله تعالى صبر ايوب و انقطاعه اليه اتبعه بذكر هؤلاء لانهم ايضا كانوا من الصابرين على طاعة الله و عن معاصيه فان اسمعيل صبر على الانقياد للذبح و صبر على المقام ببلد لا زرع فيه و لا ضرع و لا بناء و صبر فى بناء البيت على ما فيه من المشاق فلا جرم اكرمه الله تعالى و اخرج من صلبه خاتم النبيين صلى الله عليه و عليهم اجمعين و كذا الآخران ﴿ **قوله** و صاحب الحوت ﴾ يعنى ان ذا بمعنى صاحب و النون الحوت و المراد بذى النون يونس عليه الصلاة و السلام سمى بذلك لانه ابتلعه الحوت قيل خمسة من الانبياء عليهم الصلاة و السلام ذو و اسمين اسرائيل و يعقوب الياس و ذو الكفل عيسى و المسيح يونس و ذو النون محمد و احمد عليهم الصلاة و السلام ﴿ **قوله** لما برم ﴾ اى مل لطول دعوتهم على قول من يقول انه

(فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر) بالشفاء من مرضه (و آتيناه أهله و مثلهم معهم) بان ولد له ضعف ما كان او أحيى ولده و ولد له منهم نوافل (رحمة من عندنا و ذكرى للعابدين) رحمة على ايوب و تذكرة لغيره من العابدين ليصبروا كما صبر فيثابوا كما اثيب او لرحمتنا العابدين و انا نذكرهم بالاحسان و لا ننساهم (و اسماعيل و ادريس و ذا الكفل) يعنى الياس و قيل يوشع و قيل زكريا سمى به لانه كان ذا حظ من الله او تكفل منه او له ضعف عمل انبياء زمانه و ثوابهم و الكفل يجيء بمعنى النصيب و الكفالة و الضعف (كل) كل هؤلاء (من الصابرين) على مشاق التكاليف و شدائد النوائب (و ادخلناهم فى رحمتنا) يعنى النبوة او نعمة الآخرة (انهم من الصالحين) الكاملين فى الصلاح و هم الانبياء فان صلاحهم معصوم عن كدر الفساد (و ذا النون) و صاحب الحوت يونس بن متى (اذ ذهب مغاضبا) لقومه لما برم لطول دعوتهم و شدة شكيمتهم و تمادى اصرارهم مهاجرا عنهم قبل ان يؤمر

عليه الصلاة و السلام وقع فى بطن الحوت بعد اشتغاله باداء الرسالة وقيل انه وقع فى بطن الحوت قبل اشتغاله باداء الرسالة بناء على ماروى عن ابن عباس انه قال كان يونس وقومه يسكنون فلسطين فغزاهم ملك وسبى منهم تسعة اسباط و نصفا وبقى سبطان و نصف فاوحى الله تعالى الى شعيب النبى عليه الصلاة و السلام ان اذهب الى حزقيل الملك و قل له وجه نبيا قويا امينا حتى يلقى فى قلوب اولئك ان يرسلوا بنى اسرآئيل فقال له الملك فمن ترى وكان فى مملكته خمسة من الانبياء فقال يونس بن متى فانه قوى امين فدعاه الملك وامره ان يخرج فقال يونس هل امرك الله تعالى باخراجى قال لا قال فهل سمانى لك قال لا فقال يونس و ههنا انبياء غيرى فألحوا عليه فخرج مغاضبا للملك ولقومه فأتى بحر الروم فوجد قوما هيئوا سفينة فركب معهم فلما لجت السفينة تكفأت بهم فكادوا يغرقون فقال الملاحون هنا رجل عاص او عبد آبق لان السفينة لا تفعل هذا الا وفيها رجل عاص ومن رسمنا اذا ابتلينا بهذا البلاء ان نقترع فمن وقعت عليه القرعة القيناه فى البحر و لأن يغرق واحد خير من ان تغرق السفينة فاقترعوا ثلاث مرات فوقعت القرعة فيها كلها على يونس عليه الصلاة و السلام فقال انا الرجل العاصى و العبد الآبق فألقى نفسه فى البحر فجاء حوت وابتلعه فاوحى الله تعالى الى الحوت أن لا تؤذ منه شعرة فانى جعلت بطنك سجناله ولم اجعله طعاما ثم لما انجاه الله تعالى من بطن الحوت ونبذه بالعرآء كالفرخ المنتوف ليس به شعر ولا جلد انبت الله عليه شجرة من يقطين يستظل بها و يأكل من ثمرها حتى اشتد فيبست فحزن عليها يونس عليه الصلاة و السلام فقيل له اتحزن على شجرة ولم تحزن على مائة الف اويزيدون حيث لم تذهب اليهم ولم تطلب راحتهم ثم اوحى تعالى اليه وامره ان يذهب اليهم فتوجه اليهم حتى دخل ارضهم وهم منه غير بعيد فأتاهم يونس وقال لملكهم ان الله تعالى ارسلنى اليك فارسل معى بنى اسرآئيل قالوا مانعرف ماتقول ولو علمنا انك صادق لفعلنا وقد أتيناكم فى دياركم وسبيناكم فلو كان الامر كما تقول لمنعنا الله عنكم فطاف بهم ثلاثة ايام يدعوهم الى ذلك فأبوا عليه فاوحى الله تعالى اليه قل لهم ان لم يؤمنوا جاءهم العذاب فأبلغهم فأبوا فخرج من عندهم فلما فقدوه ندموا على فعلهم فانطلقوا يطلبونه فلم يقدروا عليه ثم ذكروا امرهم وامر يونس للعلماء الذين عندهم فقالوا انظروا واطلبوه فى المدينة فان كان فيها فليس مما ذكر من نزول العذاب شئ وان كان قد خرج فهو كما قال فطلبوه فقيل لهم انه خرج العشية فلما ايسوا اغلقوا باب مدينتهم فلم يدخلها دوابهم ولا غنمهم وعزلوا كل والدة عن ولدها وكذا الصبيان والامهات ثم قاموا ينتظرون الصبح فلما انشق الصبح رأوا العذاب نزل من السماء فشقوا جيوبهم ووضعت الحوامل مافى بطونها وصاح الصبيان ونعقت الاغنام والبقر فرفع الله العذاب عنهم فبعثوا الى يونس فآمنوا به وبعثوا معه بنى اسرآئيل فعلى هذه الرواية كانت رسالة يونس بعد نبذ الحوت ودليل هذا القول قوله تعالى فى سورة والصافات فنبذناه بالعرآء وهو سقيم وأنبتنا عليه شجرة من يقطين وارسلناه الى مائة الف او يزيدون واكثر العلماء على ان قصة الحوت وذهاب يونس مغاضبا انما وقعت بعد ان ارسله الله اليهم وبعد ان رفع العذاب عنهم بسبب توبتهم واخلاصهم فى الدعاء وذكر المصنف فى سبب خروجه وغضبه امرين الاول انه غضب عليهم لطول ماذكرهم واقاموا على كفرهم وظن ان ذلك يسوغ حيث لم يفعله الا غضبا لله وأنفة لدينه وبغضا للكفر واهله وكان عليه ان يصبر وينتظر الاذن من الله تعالى فى المهاجرة عنهم فابتلى ببطن الحوت والثانى انه لما اخبر قومه ان الله تعالى ينزل العذاب بهم لأجل معلوم وفارقهم ثم بلغه بعد مضى الاجل انه تعالى لم يعذبهم ولم يعلم لاى سبب لم يعذبهم فخشى ان ينسب الى الكذب ويعير به فقال لا ارجع الى قومى كذابا فذهب مغاضبا للرجوع اليهم كارها له والغضب والكراهة وان كان من قبله خاصة الا انه اخرج على بناء المفاعلة للدلالة على كمال غضبه والمبالغة فيه لان اكثر استعمال بناء المفاعلة فى المبالغة ولاشك ان ماصدر بطريق المبالغة يكون اتم ويحتمل ان يكون البناء على بابه من باب المشاركة من حيث انه اغضب قومه حين لم يؤمنوا بدعوته وأصروا على الكفر مدة وأغضبوا اياه حين خرج من بينهم لخوفهم لحوق العذاب بهم عند خروجه من بينهم **﴿ قوله لن نضيق عليه ﴾** فان قدر قد يكون بمعنى ضيق يقال قدر على عياله قدرا قال تعالى الله يبسط الرزق لمن يشاء و يقدر اى يضيق ومن قدر عليه رزقه اى ومن ضيق وقد يكون بمعنى قضى يقال قدر الله الشئ وقدره اى قضاه فالمعنى فظن ان لن نقدر عليه بشدة وعقوبة روى ان ابن عباس مر على معوية يوما فقال له معوية لقد ضربتنى امواج القرآن البارحة فغرقت فيها ولم اجد لنفسى خلاصا الابك فقال وماهى يامعوية فقرأ هذه الآية وقال او يظن نبى الله ان لا يقدر عليه

وقيل وعدهم بالعذاب فلم يأتهم لميعادهم بتوبتهم ولم يعرف الحال فظن انه كذبهم وغضب من ذلك وهو من بناء المغالبة للمبالغة اولانه أغضبهم بالمهاجرة لخوفهم لحوق العذاب عندها وقرئ مغضبا (فظن ان لن نقدر عليه) لن نضيق عليه اولن نقضى عليه بالعقوبة من القدر ويعضده انه قرئ مثقلا اولن نعمل فيه قدرتنا وقيل هو تمثيل لحاله بحال من ظن ان لن نقدر عليه فى مراغمته قومه من غير انتظار لامرنا اوخطرة شيطانية سبقت الى وهمه فسمى ظنا للمبالغة وقرئ بالياء وقرأ يعقوب على البناء للمفعول وقرئ به مثقلا (فنادى فى الظلمات) فى الظلمة الشديدة المتكاثفة اوظلمات بطن الحوت والبحر والليل (ان لا اله الا انت) بانه لا اله الا انت (سبحانك) من ان يعجزك شئ (انى كنت من الظالمين) لنفسى بالمبادرة الى المهاجرة وعن النبى صلى الله عليه وسلم مامن مكروب يدعو بهذا الدعاء الا استجيب له

تعالى فقال ابن عباس هذا من القدر لا من القدرة وقوله اولن نعمل فيه قدرتنا على ان يكون نقدر من القدرة التى هى مجاز عن اعمال القدرة ومباشرة الفعل بها على طريق اطلاق السبب وارادة المسبب فان بين القدرة والفعل علاقة السببية فلا يبعد جعل احدهما مجازا عن الآخر ويحتمل ان يكون قوله فظنّ ان لن نقدر استعارة تبعية واردة على طريق الاستعارة التمثيلة بان يشبه حاله فى خروجه عن قومه من غير انتظار لامر الله تعالى بحال من ظنّ انه تعالى لا يقدر عليه والمراغمة المغاضبة يقال راغم فلان قومه اذا نابذهم وخرج عنهم وأن فى قوله ان لن نقدر عليه مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشان المحذوف ولن نقدر هو الخبر والعامة على نقدر بنون العظمة مفتوحة وتخفيف الدال وقرئ نقدّر بضم النون وتشديد الدال يقال قدّر الشئ تقديرا وقدره يقدر قدرا بمعنى واحد وقرئ بفتح الياء التحتانية وكسر الدال الخفيفة وبضم الياء وفتح الدال الخفيفة على بناء المفعول واسمها ضمير شان محذوف والجملة المنفية بعدها خبرها ويجوز ان تكون مفسرة لورودها بعدما هو بمعنى القول نزه عليه الصلاة والسلام ربه عن كل النقائص التى من جملتها العجز مثل ان يفعل ما فعله ظلما او عن شهوة الانتقام وان يعجز عن تخليص المكروب او عن مؤاخذة الجانى ولعل قوله ان يعجزك شئ مبنى على انه اختار من محتملات معنى نقدر الاحتمال الاخير وهو ان يكون المراد بالظنّ الخطرة الوهمية وان يكون هذا التسبيح استغفارا منه عن توهم العجز به تعالى **﴿قوله﴾** تعالى وكذلك **﴿﴾** اى وكما انجينا يونس من كرب الحبس فى بطن الحوت اذ دعانا ننجى المؤمنين من كربهم اذا استغاثوا بنا فالكاف فيه صفة مصدر محذوف **﴿قوله﴾** وفى الامام نجى **﴿﴾** لا يدل الا على ان هذه الكلمة رسمت بنون واحدة ولا دلالة فيه على ان القرآءة بتشديد النون وجعله وجها لاخفاء جماعة القرآء النون الثانية من ننجى بضم النون الاولى وسكون الثانية من انجى واخفاء الحروف حالة بين اظهارها وادغامها وهو لا يكون الا بسكونها وقد يطلق الاخفاء على اختلاس حركة الحرف وهو عدم اتمام الحركة كما اخفى فى قوله تعالى ما لك لا تأمنا على يوسف حركة النون الاولى والمراد بالاخفاء ههنا تلفظ النون الثانية على حالة شبيهة بادغامها فى الجيم ثم ذكر ان ابن عامر وابابكر قرآ نجّى بنون واحدة وتشديد الجيم وسكون الياء وقال الزجاج هذه القرآءة لحن لا وجه لها وقال بعضهم راوى هذه الرواية غلط فى الرواية فانها ننجى بنونين كما هى قرآءة العامة لكن النون الثانية من ننجى تخفى مع الجيم ولا يجوز تبيينها فالتبس على السامع الاخفاء بالادغام فظنّ انه ادغام فذكر المصنف ان اصلها ننجى بضم النون الاولى وفتح الثانية وتشديد الجيم فاستثقل توالى المثلين فحذفت الثانية كما فى قوله تعالى ما تنزل الملائكة وكما حذفت فى قوله تذكرون وتظاهرون ونحوهما ولكن ابو البقاء استضعف هذا التوجيه بوجهين الاوّل ان النون الثانية اصل لانها فاء الكلمة فحذفها بعيد جدّا والثانى ان حركتها غير حركة النون الاولى فلا يستثقل الجمع بينهما بخلاف تظاهرون الا ترى انك لو قلت تتحامى المظالم لم يسغ حذف التاء الثانية والمصنف اجاب عن كل واحد مما ذكره فى وجه الاستضعاف وهو حذف احد المثلين عند اختلاف الحركة فى نحو تتحامى المظالم وتقرير الجواب ظاهر **﴿قوله﴾** وقيل **﴿﴾** اى وقيل فى توجيه قرآءة نجّى انه فعل ماض مبنى للمفعول وانما سكنت لامه تخفيفا كما سكنت فيما بقى من الربا فى القرآءة الشاذة واسند هذا الفعل الى ضمير المصدر مع وجود المفعول به الصريح كما فى قرآءة من قرأ ليجزى قوما بما كانوا يكسبون وقد ذهب الى جوازه الكوفيون والاخفش قال ابو البقاء وهو ضعيف من وجهين احدهما تسكين آخر الفعل الماضى والآخر اقامة المصدر مقام الفاعل مع وجود المفعول به الصريح فان الفعل المبنى للمفعول ينبغى ان يسند الى المفعول به كما يسند الفعل المبنى للفاعل الى الفاعل وانما يسند الى غيره اذا لم يذكر المفعول به **﴿قوله﴾** لا تذرنى **﴿﴾** وان كان على صورة النهى الا ان مثل هذه العبارة اذا كان من العبد للسيد يكون تضرّعا وتعوّذا ودعاء ولما بلغ عمر زكريا عليه الصلاة والسلام مائة سنة وبلغ عمر زوجته تسعا وتسعين ولم يرزق لهما ولد أحب ان يرزقه الله تعالى من يؤنسه ويقوّيه على امر دينه ودنياه ويكون قائما مقامه بعد موته فدعا ربه بان لا يتركه وحيدا بلا ولد وهو كقوله فهب لى من لدنك وليا يرثنى ثم ردّ الامر الى مولاه مستسلما منقادا لمشيئته فقال وانت خير الوارثين اى ان لم ترزقنى من يرثنى فلا ابالى به والمراد باصلاح زوجه اما جعلها صالحة للولادة بازالة عقرها قال الكلبى كانت عقيما فولدت وهى بنت تسع وتسعين سنة واما تحسين خلقها وكانت حردة اى غضبانة سيئة الخلق فمعنى قوله واصلحناله على الوجه الاوّل اصلحناها للولادة لاجل دعاء زكريا وعلى الثانى

(اصلحناها)

(فاستجبناله ونجيناه من الغم) بان قذفه الحوت الى الساحل بعد اربع ساعات كان فى بطنه وقيل ثلاثة ايام والغم غم الالتقام وقيل غم الخطيئة (وكذلك ننجى المؤمنين) من غموم دعوا الله فيها بالاخلاص وفى الامام نجى فلذلك اخفى الجماعة النون الثانية فانها تخفى مع حروف الفم وقرأ ابن عامر وابوبكر بتشديد الجيم على ان اصله ننجى فلذلك فحذفت النون الثانية كما حذفت التاء فى تظاهرون وهى وان كانت فاء فحذفها اوقع من حروف المضارعة التى لمعنى ولا يقدح فيه اختلاف حركتى النونين فان الداعى الى الحذف اجتماع المثلين مع تعذر الادغام وامتناع الحذف فى تتحامى لخوف اللبس وقيل هو ماض مجهول اسند الى ضمير المصدر وسكن آخره تخفيفا وردّ بانه لا يسند الى المصدر والمفعول مذكور والماضى لا يسكن آخره (وزكريا اذ نادى ربه رب لا تذرنى فردا) وحيدا بلا ولد يرثنى (وانت خير الوارثين) فان لم ترزقنى من يرثنى فلا أبالى (فاستجبناله ووهبناله يحيى واصلحناله زوجه) اى اصلحناها للولادة بعد عقرها او لزكريا بتحسين خلقها وكانت حردة (انهم) يعنى المتوالدين او المذكورين من الانبياء عليهم السلام (كانوا يسارعون فى الخيرات) يبادرون الى ابواب الخيرات

اصلحناها لصحبة زكريا وحسن المعاشرة ويجوز ان يراد باصلاحها جعلها ذات هيئة حسنة ومنظر بهى بحيث يرغب فيها زوجها لان النساء اذا بلغن سن زوجة زكريا يكن من القواعد اللاتى لا يرغب فيهن احد ﴿قوله يعنى المتوالدين﴾ بلفظ الجمع ليتناول زكريا وامرأته ويحيى عليه الصلاة والسلام علل استجابة دعاء زكريا واصلاح زوجته وما يترتب عليهما من هيئة المولود الصالح بقوله انهم كانوا يسارعون الآية وذكر فى التعليل ثلاثة شروط احدها المسارعة فى الخيرات لان الوسيلة متقدمة على المطلب وثانيها ان يكون الداعى بين الخوف والرجاء يخاف تقصيره ولا يعتمد على عمله لان العمل بالخواتم ويرجو مع ذلك رحمة الله الواسعة وثالثها ان يكون مخلصا لأمر آتيا كما قال ابراهيم النخعى الخشوع ان يرى الله تعالى من العبد الاخلاص اذا ارخى العبد ستره واغلق بابه فالخشوع انما يكون بالقلب لا بالجوارح بان يأكل العبد خشنا ويلبس خشنا ويطأطئ رأسه ولا يرائى ويتصنع وان كان المراد بقوله انهم المذكورين سابقا من الانبياء عليهم الصلاة والسلام يكون المقصود تعليل استجابة جميعهم مثل اتيان موسى وهرون الفرقان وتبريد النار واطفائها لابراهيم وانجائه وهجرة لوط من العراق الى الشام ثم انجائه مما نزل بقومه وانجاء نوح ومن كان معه فى السفينة من كرب الطوفان وغير ذلك مما تفضل به على الانبياء المذكورين والمراد بمسارعتهم فى الخيرات مبادرتهم الى طاعة الله مراعين لحدود الشرع وهى محمودة والعجلة المذمومة المباشرة من غير محافظة الحدود والآداب وقرأ العامة رغبا ورهبا بفتح الغين والهاء وهما اما مصدران على وزن طلب وقعا موقع الحال من فاعل يدعون بتقدير المضاف اى يدعون ذوى رغب ورهب واما جمعان لراغب وراهب مثل خادم وخدم اى راجين وخائفين ﴿قوله مخبتين﴾ اى متواضعين قال مجاهد الخشوع هو الخوف اللازم للقلب ﴿قوله تعالى والتى احصنت فرجها﴾ يجوز ان ينتصب بالعطف على ماقبله وان ينتصب باضمار اذكر وان يرتفع بالابتدآء والخبر محذوف اى وفيما يتلى عليكم التى احصنت فرجها احصانا كليا من الحلال والحرام كما قالت ولم يمسسنى بشر ولم اك بغيا ولما كان نفخ الروح فى الجسد عبارة عن احيائه كما فى قوله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحى اى احييته كان المفهوم من قوله تعالى فنفخنا فيها من روحنا فاحييناها وليس المراد احياء مريم فلذلك جعل تقدير الكلام فنفخنا الروح فى عيسى فيها والمعنى واحيينا عيسى فى جوفها فيكون قوله فيها حالا من المفعول المحذوف وهو عيسى فانه مفعول من جهة ان المعنى احيينا عيسى كائنا فى جوف مريم فالمراد بالروح روح الانسان الذى هو من امر الله وحده والمراد بنفخه فى عيسى ادخاله فى بدنه تشبيها لايراد الروح فى البدن بنفخ النافخ فى الشئ يكون نفخنا استعارة تبعية ﴿قوله وقيل﴾ اى ويجوز ان يراد فعلنا النفخ فى مريم من جهة روحنا الذى هو جبريل عليه الصلاة والسلام فلا يكون المراد بالنفخ ايراد الروح فى البدن بل يكون المراد به معناه الحقيقى وينزل نفخنا منزلة اللازم ويكون اسناد النفخ الى البارى تعالى من قبيل اسناد الفعل الى السبب الآمر فان جبريل هو الذى نفخ فى درع مريم بامر الله تعالى فوصل اثر النفخ الى جوف مريم فحملت بعيسى عليهما الصلاة والسلام ثم انه تعالى لما فرغ من قصص الانبياء تقوية لقلبه عليه الصلاة والسلام على تبليغ الرسالة وتسلية له بانه ليس اول من بعث لدعوة المعاندين خاطب الناس كافة فقال ان هذه امتكم امة واحدة والامة الملة واصلها القوم الذين يجتمعون على دين واحد ثم اتسع فيها فاطلقت على ما اجتمعوا عليه من الدين والملة واشتقاقها من أم بمعنى قصد فالقوم هم الجماعة القاصدة وما اجتمعوا عليه هو الملة المقصودة قال تعالى انا وجدنا آباءنا على امة اى على دين وملة قرأ الجمهور امتكم مرفوعا على انه خبر ان وامة واحدة منصوب على انه حال من الامة الاولى اى اشير اليها امة واحدة غير مختلف فيها والمعنى لا دين سوى دينى ولا رب غيرى فانا المستحق للعبادة فلا تعبدوا غيرى ﴿قوله صرفه الى الغيبة﴾ يعنى ان اصل الكلام وتقطعتم وتفرقتم الا انه صرف الكلام الى طريق الغيبة على الالتفات كأنه ينعى عليهم ما افسدوه الى آخرين ويقبح عندهم فعلهم ويقول لهم الا ترون الى عظيم ما ارتكب هؤلاء حيث جعلوا امر دينهم فيما بينهم قطعا فاصاب كل جماعة قطعة من الدين فصاروا بتقطع دينهم كأنهم قطع شتى تلعن بعضهم بعضا ويتبرأ بعضهم من بعض ثم انه تعالى توعد هؤلاء الفرق المختلفة بانهم اليه يرجعون فهو محاسبهم ومجازيهم روى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال تفرقت بنوا اسرآئيل على احدى وسبعين فرقة فهلك سبعون وخلصت فرقة وان امتى ستفرق على اثنين وسبعين فرقة تهلك احدى وسبعون فرقة وتخلص فرقة قالوا يارسول الله من تلك الفرقة

(ويدعوننا رغبا ورهبا) ذوى رغب اوراغبين فى الثواب راجين للاجابة اوفى الطاعة وخائفين من العقاب او المعصية (وكانوا لنا خاشعين) مخبتين او دائمى الوجل والمعنى انهم نالوا من الله مانالوا بهذه الخصال (والتى احصنت فرجها) من الحلال والحرام يعنى مريم (فنفخنا فيها) فى عيسى فيها اى احييناه فى جوفها وقيل فعلنا النفخ فيها (من روحنا) من الروح الذى هو بامرنا وحده او من جهة روحنا جبرآئيل (وجعلناها وابنها) اى قصتهما او حالهما ولذلك وحد قوله (آية للعالمين) فان من تأمل حالهما تحقق كمال قدرة الصانع تعالى (ان هذه امتكم) ان ملة التوحيد او الاسلام ملتكم التى يجب عليكم ان تكونوا عليها فكونوا عليها (امة واحدة) غير مختلفة فيما بين الانبياء ولا مشاركة لغيرها فى صحة الاتباع وقرئ امتكم بالنصب على البدل من هذه وامة بالرفع على الخبر وقرئتا بالرفع على انهما خبران (وانا ربكم) لا اله لكم غيرى (فاعبدون) لا غير (وتقطعوا امرهم بينهم) صرفه الى الغيبة التفاتا لنعى على الذين تفرقوا فى الدين وجعلوا امره قطعا موزعة بقبيح فعلهم الى غيرهم (كل) من الفرق المتحزبة (الينا راجعون) فنجازيهم

قال الجماعة اى الجماعة المعهودة المتمسكة بما بينه الله تعالى ورسوله من غير ان يشوبوا ذلك شيأ من الهوى وطعن بعضهم فى صحة هذا الخبر بان قال ان اراد بالثنتين والسبعين فرقة اصول الاديان فهى لم تبلغ هذا القدر قال الامام فى الجواب عنه المراد ستفترق امتى فى حال ما وليس فيه دلالة على ان افتراقها فى سائر الاحوال لايجوز ان يزيد وينقص ﴿قوله استعير لمنع الثواب﴾ يعنى ان الكفران مصدر بمعنى الكفر الذى هو الجحود والانكار كما ان الشكر عبارة عن تعظيم المنعم والاقرار بفضله وافضاله شبه قبول العمل واعطاء الثواب بمقابلته بشكر المنعم عليه للمنعم فاطلق عليه الشكر مجازا فقيل لله تعالى انه شكور بهذا المعنى قال تعالى ومن اراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا اى مقبولا مثابا عليه وكذا شبه ردّ العمل ومنع الثواب بالكفر والجحود فاطلق عليه الكفران كما فى قوله تعالى وماتفعلوا من خير فلن تكفروه اى لن تحرموا ثوابه ولن تمنعوه ﴿قوله ونفى نفى الجنس﴾ يعنى ان مجازاة المكلفين واثابتهم على اعمالهم وحرمانهم من الثواب لايتولى على شئ من ذلك سوى الله فانه مالك يوم الدين فكان الظاهر ان يقال فلا نكفر سعيه الا انه نفى جنس الكفر ان للمبالغة لان نفى الماهية يستلزم نفى جميع افرادها فالتعبير عن النفى المراد بنفى الجنس بمنزلة اثبات المطلوب بالبينة ﴿قوله وممتنع على اهلها﴾ جعل الحرام مستعارا لممتنع الوجود بجامع ان كل واحد منهما غير مرجوّ الحصول لتعذر حمله على معناه الحقيقى وهو فعل مقدور للمكلف منع الشارع تناوله بالنص القاطع ورجوع من قضى الله باهلاكه الى التوبة وكذا رجوع من جعله الله تعالى هالكا الى الحياة الدنيوية ليس حراما بهذا المعنى هذا على تقدير ان تكون كلمة لا فى قوله تعالى لايرجعون زائدة كما فى قوله تعالى مامنعك ان لاتسجد وكذا ان لم تكن صلة وكان المعنى حرام على الكفرة المهلكين عدم رجوعهم الى دار الجزاء فالمقصود ابطال قول من ينكر البعث فان عدم الرجوع اليها ليس حراما حقيقة وانما هو حرام بمعنى انه ممتنع الوجود ﴿قوله وقرئ حرم﴾ اى بكسر الحاء وسكون الراء وهما لغتان كالحل والحلال ﴿قوله وهو مبتدأ﴾ يعنى ان قوله انهم لايرجعون مبتدأ خبره حرام على معنى رجوعهم او عدم رجوعهم ممتنع الوجود ويجوز ان يكون حرام مبتدأ لاخبر له لفظا ولاتقديرا لكونه صفة مشبهة كجبان رافعة للظاهر بعدها على الفاعلية وذلك الظاهر قائم مقام خبره وهو قول المصنف او فاعل له سادّ مسدّ خبره وفيه بحث فان الصفة انما ترفع الظاهر الذى بعدها على الفاعلية بشرط اعتماد لابدونه الا على رأى الاخفش فانه لايشترط ذلك ﴿قوله او دليل عليه﴾ اى ويجوز ان يكون حرام مبتدأ ومابعده خبر له دليل على الفاعل كأنه قيل حرام عليهم ثوابهم او حياتهم على ان تكون لاصلة او عدم بعثهم على ان لاتكون صلة ﴿قوله او لانهم لايرجعون ولاينيبون﴾ عطف على قوله رجوعهم الى التوبة الخ ويجوز ان يكون قوله وحرام خبر مبتدأ محذوف اى ذلك الذى ذكر من العمل الصالح المقرون بالايمان حرام عليهم ومابعده علة له بحذف لام التعليل مع انهم ويؤيده قرآءة انهم بكسر الهمزة فان كسرها يقتضى ان يتم الكلام قبله ولابدّ لتمامه من تقدير المحذوف ﴿قوله وقيل حرام عزم﴾ اى معزوم يعنى قيل الحرام هنا بمعنى الموجب فانه قد يستعمل بمعنى الواجب كما فى قوله تعالى أتل ماحرّم ربكم عليكم ان تشركوا فان ترك الشرك واجب ويدل عليه ايضا قول الخنساء

* وانّ حراما لااری الدهر باكيا * على شجوه الابكيت على صخر *

اى وان واجبا وايضا كثيرا مايطلق احد الضدّين على الآخر مجازا ﴿قوله اى يستمر الامتناع الى قيام الساعة﴾ على ان تكون حتى غاية لقوله حرام والمعنى وممتنع على قوم قدّرنا اهلاكهم رجوعهم الى التوبة الى ان تقوم القيامة فحينئذ يرجعون ويقولون ياويلنا قدكنا فى غفلة من هذا الآية او ممتنع على الذين اهلكناهم حقيقة رجوعهم الى ان تقوم القيامة فحينئذ يبعثون ويحاسبون ﴿قوله او الهلاك﴾ على ان تكون حتى غاية لمحذوف كأنه قيل حرام على الهالكين رجوعهم الى الحياة بل يستمرّ بهم الهلاك الى قيام الساعة ﴿قوله او عدم الرجوع﴾ على ان تكون حتى غاية لقوله لايرجعون وذلك بان يكون حرام خبر مبتدأ محذوف ويكون المعنى وذلك المذكور من العمل الصالح ممتنع على من قدّرنا اهلاكهم لانهم لايرجعون عن الكفر الى قيام الساعة فكيف لايمتنع عليهم ذلك العمل والمراد بفتح يأجوج ومأجوج فتح سدّهما فحذف المضاف كما حذف المضاف الى القرية

(فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن) بالله ورسوله (فلا كفران لسعيه) فلا تضييع لسعيه استعير لمنع الثواب كما استعير الشكر لاعطائه ونُفِىَ نفى الجنس للمبالغة (وانا له) لسعيه (كاتبون) مثبتون فى صحيفة عمله لانضيع بوجه ما (وحرام على قرية) وممتنع على اهلها غير متصوّر منهم وقرئ حرم (اهلكناها) حكمنا باهلاكها او وجدناها هالكة (انهم لايرجعون) رجوعهم الى التوبة او الحياة ولا صلة او عدم رجوعهم للجزآء وهو مبتدأ خبره حرام او فاعل له سادّ مسدّ خبره او دليل عليه وتقديره توبتهم او حياتهم او عدم بعثهم او لانهم لايرجعون ولاينيبون وحرام خبر محذوف اى وحرام عليها ذاك وهو المذكور فى الآية ويؤيده القرآءة بالكسر وقيل حرام عزم وموجب عليهم انهم لايرجعون (حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج) متعلق بحرام او بمحذوف دل الكلام عليه او بلا يرجعون اى يستمرّ الامتناع او الهلاك او عدم الرجوع الى قيام الساعة وظهور اماراتها وهو فتح سدّ يأجوج ومأجوج

(فى قوله)

فى قوله وحرام على قرية اى على اهلها ﴿قوله وحتى هى التى﴾ مبتدأ وخبر قال اكثر المفسرين الضمير فى قوله
تعالى وهم من كل حدب ينسلون ليأجوج ومأموج فانه قد روى ان يأجوج ومأجوج لابدّ وان يسيروا
فى الارض ويغلبوا على الناس من كل موضع مرتفع والحدب النشز وهو المكان المرتفع ﴿قوله تسدّ مسدّ
الفاء الجزآئية﴾ فان الجملة الاسمية اذا وقعت جواب شرط يجب دخول الفاء عليها لتدل على انها جواب وجزاء
الا اذا صدّرت باذا المفاجاة فانها تسدّ مسدّ الفاء فاذا جاءت الفاء معها تعاونتا على وصل الجزاء بالشرط فيتأكد
ما بينهما من الاتصال ﴿قوله والضمير للقصة﴾ يعنى ان لفظ هى ضمير القصة وشاخصة خبر مقدم وابصار مبتدأ
مؤخر والجملة خبر ضمير القصة لانه لا يفسر الا بجملة يخبر بها ويحتمل ان يكون ضميرا مبهما يفسره الابصار كما فسر
ضمير أسرّوا بقوله الذين ظلموا فى قوله تعالى وأسرّوا النجوى الذين ظلموا اذ هو بدل من واو اسرّوا تفسيرا وعطف
اقتراب الوعد الحق على فتح سدّ يأجوج يدل على ان قيام الساعة لا يتأخر عن خروج يأجوج ومأجوج كما روى
عن حذيفة انه قال لو ان رجلا اقتنى فلوا بعد خروج يأجوج ومأجوج لم يركبه حتى تقوم الساعة والفلو المهر اى
ولد الفرس * فان قيل الشرط هو مجموع فتح سدّ يأجوج ومأجوج واقتراب الموعود الحق وهذا المجموع انما يحصل
فى آخر ايام الدنيا والجزاء وهو شخوص ابصار الذين كفروا وارتفاعها من شدّة الاهوال بحيث لا تكاد تطرف
انما يحصل يوم القيامة والشرط والجزاء لابدّ ان يكونا متقارنين * فالجواب ان التفاوت القليل يجرى مجرى العدم
﴿قوله يحتمل الاوثان﴾ اى يعمها ادعى انّ ما يعم العقلاء وغيرهم واستدل عليه بانه عليه الصلاة والسلام لم يردّ
على ابن الزبعرى فى تعميمه ماتعبدون للعقلاء بل سلم له ذلك واجابه بوجه آخر الا ان جوابه محل تأمل لانه لا ينفى كون
اليهود واخواتهم عبدوا هؤلاء المكرمين وانما يدل على انهم عبدوا الشياطين باطاعتهم الشيطان فيما امرهم به
من عبادة هؤلاء المكرمين فكيف صلح جوابا عن قول ابن الزبعرى ويمكن ان يقال من عبد من غير ان يستحق
العبادة لذاته ومن غير ان يأمرها ويحب ويرضى ان يعبد لا يكون معبودا فى الحقيقة وانما يكون معبودا صورة
ومجازا ويكون المعبود فى الحقيقة من امر بذلك لان العبادة عبارة عن الطاعة والانقياد وليس ذلك الا لمن امربها
فلذلك نفى عليه الصلاة والسلام دخول هؤلاء المكرمين تحت قوله وماتعبدون فقال بل هم عبدوا الشياطين
﴿قوله وعلى هذا﴾ اى على تقدير ان يحمل ماتعبدون من دون الله على ما يعم الاوثان وغيرها يكون الخطاب فى قوله
تعالى انكم وماتعبدون متناولا للمشركين وغيرهم كاليهود والنصارى وبنى مليح وهم بطن من خزاعة قالوا صاهر
الله تعالى سروات الجنّ فولدت له الملائكة بخلاف ما اذا حمل ماتعبدون على الاصنام خاصة فان الخطاب يخص
المشركين ﴿قوله أليس اليهود عبدوا عزيرا﴾ لا وجه لسؤال ابن الزبعرى لان كلمة ما لا تتناول من يعقل فقوله
تعالى وماتعبدون لا يتناول الملائكة فان الملائكة من العقلاء بل يقتصر على الاصنام لكنه عليه الصلاة والسلام
جاراه وألزمه بوجه آخر تنبيها على ان لدفع شبهته طرقا متعددة ﴿قوله بيان للتجوّز او التخصيص تأخر
عن الخطاب﴾ الاوّل على تقدير ان يكون المقصود من قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى بيان تناول الحكم
لغير اهل الحسنى من العقلاء والثانى على تقدير ان يكون المقصود تخصيص ماتعبدون بغير اهل الحسنى مع كونه
فى نفسه يعم اهل الحسنى وغيرهم وعلى التقديرين يكون قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى من قبيل
بيان التفسير ومثل هذا البيان لا يجوز تأخيره عن وقت الحاجة الى العمل بالاتفاق لانه تكليف ما لا يطاق واما
جواز تأخيره عن وقت الخطاب فهو مختلف فيه بين الحنفية والشافعية جوّزه الشافعية استدلالا بهذه الآية
ووجه الاستدلال ما اشار به المصنف من انه تعالى انزل قوله انكم وماتعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها
واردون اى تحصبون فيها وترمون وتأخر عنه نزول قوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى وهو بيان لما نزل قبله بيان
تجوّز او بيان تخصيص حتى جرى بين ابن الزبعرى وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جرى واجاب الحنفية
عن هذا الاستدلال بان قوله وماتعبدون لم يتناول عيسى عليه الصلاة والسلام وعزيرا والملائكة حقيقة لان
ما لغير العقلاء الا ترى ما روى عن رسول الله عليه الصلاة والسلام انه قال له ما اجهلك بلغة قومك يا غلام اما علمت
ان ما لما لا يعقل فيكون قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى على هذا بيان تقرير وبيان التقرير يصح
متراخيا وسؤال ابن الزبعرى وارد على طريق التعنت بناء على انه جعل ما مستعملة بمعنى من مجازا او حمله على
التغليب فسأل بناء على ظنه الفاسد ثم انه عليه الصلاة والسلام اجابه بقوله ما اجهلك فقد ردّ عليه بان ما لما

وحتى هى التى يحكى الكلام بعدها والمحكى
هى الجملة الشرطية وقرأ ابن عامر ويعقوب
فتحت بالتشديد (وهم) يعنى يأجوج
ومأجوج او الناس كلهم (من كل حدب)
نشز من الارض وقرئ جدث وهو القبر
(ينسلون) يسرعون من نسلان الذئب
وقرئ بضم السين (واقترب الوعد الحق)
وهو القيامة (فاذا هى شاخصة ابصار الذين
كفروا) جواب الشرط واذا للمفاجأة
تسدّ مسدّ الفاء الجزآئية كقوله اذا هم يقنطون
فاذا جاءت معها تظاهرتا على وصل الجزاء
بالشرط فيتأكد والضمير للقصة او مبهم
يفسره الابصار (ياويلنا) مقدّر بالقول
واقع موقع الحال من الموصول (قد كنا
فى غفلة من هذا) لم نعلم انه حق (بل كنا
ظالمين) لانفسنا بالاخلال بالنظر والاعتداد
بالنذر (انكم وماتعبدون من دون الله)
يحتمل الاوثان وابليس واعوانه لانهم
بطاعتهم لهم فى حكم عبدتهم لما روى انه
عليه الصلاة والسلام لما تلا الآية على
المشركين قال له ابن الزبعرى قد خصمتك
ورب الكعبة أليس اليهود عبدوا عزيرا
والنصارى عبدوا المسيح وبنوا مليح عبدوا
الملائكة فقال عليه الصلاة والسلام بل هم
عبدوا الشياطين التى امرتهم بذلك فانزل الله
ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية وعلى
هذا يعم الخطاب ويكون ما مأوّلا بمن او بما
يعمه ويدل عليه ما روى ان ابن الزبعرى
قال هذا شئ لآلهتنا خاصة او لكل من عبد
من دون الله فقال عليه الصلاة والسلام
بل لكل من عبد من دون الله ويكون قوله
ان الذين بيانا للتجوّز او التخصيص تأخر
عن الخطاب

(حصب جهنم) ما يرمى به اليها وتهيج به من حصبه يحصبه اذا رماه بالحصباء وقرئ بسكون الصاد وصفا بالمصدر (انتم لها واردون) استئناف او بدل من حصب جهنم واللام معوّضة عن على للاختصاص والدلالة على ان ورودهم لأجلها (لو كان هؤلاء آلهة ماوردوها) لان المؤاخذ المعذب لايكون الها (وكل فيها خالدون) لاخلاص لهم عنها (لهم فيها زفير) انين وتنفس شديد وهو من اضافة فعل البعض الى الكل للتغليب ان اريد بما تعبدون الاصنام (وهم فيها لايسمعون) من الهول وشدّة العذاب وقيل لايسمعون مايسرّهم (ان الذين سبقت لهم منا الحسنى) الخصلة الحسنى وهى السعادة او التوفيق للطاعة او البشرى بالجنة (اولئك عنها مبعدون) لانهم يرفعون الى اعلى عليين روى ان عليا كرم الله وجهه خطب وقرأ هذه الآية ثم قال انا منهم وابو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وابن الجرّاح ثم اقيمت الصلاة فقام يجرّ رداءه ويقول (لايسمعون حسيسها) وهو بدل من مبعدون او حال من ضميره سيق للمبالغة فى ابعادهم عنها والحسيس صوت يحس به (وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون) دآئمون فى غاية التنعم وتقديم الظرف للاختصاص والاهتمام به (لايحزنهم الفزع الاكبر) النفخة الاخيرة لقوله ويوم ينفخ فى الصور ففزع من فى السموات ومن فى الارض او الانصراف الى النار او حين يطبق على النار او يذبح الموت على صورة كبش املح (وتتلقاهم الملائكة) تستقبلهم مهنئين (هذا يومكم) يوم ثوابكم وهو مقدّر بالقول (الذى كنتم توعدون) فى الدنيا (يوم نطوى السماء) مقدّر باذكر او ظرف لايحزنهم او تتلقاهم او حال مقدّرة من العائد المحذوف من توعدون والمراد بالطىّ ضدّ النشر او المحو من قولك اطو عنى هذا الحديث وذلك لانها نشرت مظلة لبنى آدم فاذا انتقلوا قوّضت عنهم وقرئ بالياء وبالتاء والبناء للمفعول (كطىّ السجل للكتاب) طيا كطىّ الطومار لاجل الكتابة او لما يكتب او كتب فيه ويدل عليه قرآءة حمزة والكسائى وحفص على الجمع اى للمعانى الكثيرة المكتوبة فيه وقيل السجل ملك يطوى كتب الاعمال اذا رفعت اليه او كاتب كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ السجل كالدلو والسجل كالعتل وهما لغتان فيه (كما بدأنا اوّل خلق نعيده) اى نعيد ماخلقناه مبتدأ اعادة مثل بدئنا اياه فى كونهما ايجاد عن العدم او جمعا من الاجزآء المتبدّدة والمقصود بيان صحة الاعادة بالقياس على الابدآء لشمول الامكان الذاتى المصحح للمقدورية وتناول القدرة القديمة لهما على السواء

لايعقل فلا يرد ماأوردته على الآية من النقض بالملائكة ونحوهم وان صح انه عليه الصلاة والسلام اجاب بان قال انهم ماعبدوا ماذكرته من اهل الحسنى وانما عبدوا الشياطين التى امرتهم بذلك فهو جواب بطريق التسليم اى لو سلم ان قوله تعالى ماتعبدون يتناول العقلاء الفضلاء لكن لانسلم انهم عبدوا اولئك الكرمين فى الحقيقة بل عبدوا الشياطين الذين امروا بذلك والتعبير عنهم بلفظ ماليس مبنيا على حاله على المعنى المجازى بل مبنى على عدّهم اى على عدّ الشياطين فى عداد الاصنام الجامدة التى تبعد بمراحل عن العقل والتمييز وكذا قوله عليه الصلاة والسلام بل لكل من عبد من دون الله ان صح ذلك عنه مبنى على التسليم ايضا والحاصل ان المراد بقوله ماتعبدون الشياطين وعلى التقديرين لم يكن قوله وما تعبدون مستعملا فى العقلاء مجازا ولامتناولا لاهل الحسنى حتى يقال قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى بيان للتجوّز او التخصيص تأخر عن الخطاب كما قاله الشافعية بل ليس ذلك الا بيان تقرير يصح متراخيا عن الخطاب فليس فى الآية مايدل على جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب على جميع الروايات فليتأمل فان المقام محل الالتفات ﴿قوله ما يرمى به﴾ يعنى ان الحصب بفتح الحاء والصاد اسم لما يحصب اى يرمى فى النار ولا يقال له حصب الا وهو فى النار فاما قبل ذلك فيقال له حطب وشجر وخشب ونحو ذلك ﴿قوله او بدل من حصب جهنم﴾ ويجوز ابدال الجملة من المفرد اذا كانا بمعنى واحد والتقدير انكم انتم لها واردون والحصب بسكون الصاد مصدر بمعنى الرمى ﴿قوله لان المؤاخذ المعذب لايكون الها﴾ هذا الكلام بالشياطين أليق لان المؤاخذة لاتليق بالاصنام الا ان يقال عباد الاصنام فى الحقيقة عباد الشياطين الذين امروا بعبادتها فكأنهم اتخذوا الشياطين آلهة والضمير فى قوله تعالى وهم فيها لايسمعون قيل يرجع الى المعبودين اى لايسمعون صراخهم وشكواهم ومعناه انهم لايغيثونهم ولا ينفعونهم كما يقال سمع الله لمن حمده اى اجاب الله دعاءه وقيل يرجع الى الكفار والمعنى انهم لايسمعون شيأ اصلا من حيث انهم يحشرون صما عميا زيادة فى عذابهم او انهم لايسمعون ماينفعهم لانهم انما يسمعون اصوات المعذبين او كلام من يتولى تعذيبهم من الملائكة ثم انه تعالى لما شرح عقاب الكفار اردفه بشرح ثواب الابرار فقال ان الذين سبقت لهم منا الحسنى فهى عامة فى حق كل المؤمنين وشرح من احوال ثوابهم خمسة امور احدها قوله اولئك عنها مبعدون وثانيها قوله لايسمعون حسيسها والمراد به تأكيد بعدهم عنها لان من لم يدخلها وقرب منها قد يسمع حسيسها وثالثها قوله وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون ورابعها قوله لايحزنهم الفزع الاكبر وفسره المصنف باربعة اوجه الاوّل انها النفخة الاخيرة والثانى ان يؤمر بالعبد الى النار والثالث اطباق جهنم على اهلها اى وضع الطبق عليها بعد ما اخرج منها من اخرج فيفزع اهلها حينئذ فزعا شديدا لم يفزعوا فزعا اشدّ منه والرابع ذبح الموت بين الفريقين والندآء يا اهل الجنة خلود بلا موت ويا اهل النار خلود بلا موت وخامسها قوله وتتلقاهم الملائكة اى تستقبلهم ملائكة الرحمة عند خروجهم من القبور او عند باب الجنة ﴿قوله او تتلقاهم﴾ فان قيل تلقى الملائكة عند باب الجنة وطىّ السماء متقدّم عليه بزمان كثير فكيف يكونان فى يوم واحد * والجواب ان اسم يوم الطىّ يطلق على الزمان الممتدّ الذى مبدأه زمان الطىّ ومنتهاه زمان دخول اهل الجنة الجنة واهل النار النار ﴿قوله او حال مقدّرة من العائد المحذوف من توعدون﴾ اى توعدون ذلك اليوم مقدّرا كونه يوم نطوى السماء طيا مثل طىّ الرجل مافى يده من الطومار لاجل الكتابة لان الكتاب مصدر كالكتابة وما فيه من اللام للتعليل * فان قلت نشر الطومار شرط لاجل الكتابة فكيف يصح طيه علة لها * قلت انه يطوى اوّلا ويحفظ مطويا لاجل ان ينشر ويكتب فيه وقت الحاجة فالمراد من طيه هذا الطى السابق ﴿قوله او لما يكتب او كتب فيه﴾ على ان الكتاب بمعنى المكتوب ﴿قوله السجل ملك يطوى كتب الاعمال﴾ اى كتب بنى آدم اذا رفعت اليه قال السدى السجل ملك موكل بالصحف فاذا مات الانسان رفع اليه كتابه فيطويه فعلى هذا الكتاب والكتب على اختلاف القرآءتين هى الصحائف واللام فيه زآئدة كما فى قوله ردف لكم ﴿قوله او كاتب كان لرسول الله عليه الصلاة والسلام﴾ وهو بعيد لان كتاب رسول الله عليه الصلاة والسلام كانوا رجالا معروفين وليس فيهم من سمى بهذا الاسم ﴿قوله فى كونهما ايجادا من العدم او جمعا من الاجزاء﴾ ذكر الامام انهم اختلفوا فى كيفية الاعادة فمنهم من قال ان الله تعالى يفرّق اجزآء الاجسام ولا يعدمها ثم انه يعيد تركيبها فذلك هو الاعادة ومنهم من قال انه تعالى يعدمها بالكلية ثم انه يوجدها بعينها مرّة اخرى وهذه الآية تدل على هذا الوجه لانه تعالى شبه الاعادة بالابتدآء ولما كان الابتدآء ليس عبارة عن تركيب الاجزآء المتفرّقة بل عن الايجاد

بعدالعدم وجب ان تكون الاعادة كذلك واحتج القائلون بالمذهب الاوّل بقوله تعالى والسموات مطويات بيمينه فانه يدل على ان السموات حال كونها مطوية تكون موجودة وبقوله تعالى يوم تبدّل الارض غير الارض فهذا يدل على ان اجزآء الارض باقية لكنها جعلت غير هذه الارض ووجه ارتباط هذه الآية بما قبلها انه تعالى لما وصف يوم القيامة بانه يوم تطوى فيه السماء كطىّ السجل وصفه ايضا بانه يعاد فيه الاشياء الهالكة من السماء والارض واهلهما ﴿قوله وما كافة﴾ تكف الكاف عن العمل وتصحح دخولها على الفعل فانها على تقدير كونها زآئدة قدتكون كافة عن العمل نحو انما زيد منطلق وغير كافة كما فى قوله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم فان الباء فيه لوكانت مكفوفة لما كان لفظ الرحمة مجرورا بها فلما لم تكن الباء مكفوفة كان مجرورها مفعولا به والمفعول به لابدّ له من عامل فعلا كان اومعناه فلابدّ ان يكون للباء ماتتعلق هى به بخلاف الكاف المكفوفة هنا فانها لاتستدعى ماتتعلق هى به لان مجرورها لم يكن مفعولا به حتى تستدعى ماينصبه من فعل اوما فى معناه والفرق بين كون ما كافة وبين كونها مصدرية انها على تقدير كونها كافة يكون قوله اوّل خلق نعيده كلاما تاما ويكون قوله كما بدأنا جملة منقطعة عن ذلك على معنى تحقق الاعادة مثل تحقق البدء وليس المعنى على اعادة مثل البدء ومحل الكاف فى مثله الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف ﴿قوله واوّل مفعول لبدأنا﴾ ظاهر نظم التنزيل وان كان يساعد هذا الاحتمال الا انه محل تأمل لان الظاهر ان ليس المراد باوّل الخلق من سبق وجوده وجود الآخرين فى نشأة الدنيا لان الكلام ليس فى اعادتهم وابدآئهم خاصة بل الكلام فى ابدآء مجموع المكوّنات واعادتها فان هذا المجموع اذا هلك ثم تعلقت الاعادة به يوصف بالاوّلية بالنسبة الى ماتعلق به من الايجاد ثانيا فهذا المجموع الموصوف بالاوّلية كيف يكون مفعول بدأنا مع ان ايقاع البدء عليه متفرّع على اعادته لانه قبل تعلق الاعادة به لايوصف بالاوّلية اصلا فالظاهر ان يكون الكاف فى محل النصب على انه من قبيل ما اضمر عامله على شريطة التفسير والتقدير نعيد اوّل الخلق اى الخلائق الاوّلين نعيد ويتم الكلام هنا ان جعلت ما كافة وان جعلت مصدرية يكون التقدير نعيد اوّل الخلق اعادة مثل بدئنا اياه نعيده وكلمة ما ان كانت موصولة تكون الكاف متعلقة بمحذوف يفسره نعيده بخلاف ما اذا جعلت مصدرية فان مفعول نعيد حينئذ اوّل خلق لا الكاف ﴿قوله تأكيدا لنعيده﴾ يعنى انه مصدر وقع مؤكدا مضمون جملة لاتحتمل لها غير الوعد فهو من المصدر الذى يسمى تأكيدا لنفسه وناصبه مضمر اى وعدنا ذلك وعدا او هو منصوب بقوله نعيده لكونه فى معنى الوعد ﴿قوله وقيل المراد بالزبور جنس الكتب المنزلة﴾ فقوله ولقد كتبنا فى الزبور معناه ولقد بيّنا فى التوراة والانجيل وسائر كتب الانبياء عليهم الصلاة والسلام من بعد الذكر اى من بعدما كتبنا وبيّنا فى اللوح المحفوظ وهو ام الكتاب وكتب فيه كل ماسيكون ليعتبر الملائكة ويعلموا ان الله تعالى احاط بكل شئ علما واحصى كل شئ عددا ﴿قوله او الذين كانوا يستضعفون﴾ نشر مرتب على قوله او الارض المقدّسة واراد بمشارق الارض ومغاربها ارض الشام وجهاتها الشرقية والغربية * قال الامام المراد من الارض ارض الجنة وقيل هى الارض المقدّسة يرثها الصالحون ودليله قوله تعالى واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها التى باركنا فيها ثم بالآخرة يرثها امّة محمد عند نزول عيسى عليهما الصلاة والسلام ﴿قوله لان مابعثت به سبب لاسعادهم﴾ لو تدبروا فيه واتبعوا احكامه لفازوا بسعادة الدارين ومن اعرض عنه واستكبر فانما وقع فى المحنة من قبل نفسه وهو اشارة الى جواب مايقال كيف كان رحمة للعالمين وقد جاء بالسيف واستباحة الاموال ورد فى الخبر انه عليه الصلاة والسلام قال لجبريل عليه الصلاة والسلام * ان الله تعالى يقول وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فهل اصابك من هذه الرحمة شئ * قال نعم اصابنى من هذه الرحمة انى كنت اخشى عاقبة الامر فأمنت بك لما اثنى الله تعالى علىّ بقوله ذى قوّة عند ذى العرش مكين مطاع ثم امين ثم انه تعالى لما ذكر انه عليه الصلاة والسلام رحمة للعالمين بين معظم اسباب كونه رحمة لهم وهو كونه داعيا الى التوحيد والطاعة فانه بعث والناس فى جاهلية وضلال واهل الكتابين كانوا فى حيرة فى امر دينهم لطول مكثهم وانقطاع تواترهم ووقوع الاختلاف فى كتبهم بحيث لم يكن الطالب الحق سبيل البتة ﴿قوله فالاولى لقصر الحكم على الشئ﴾ يعنى ان كلمة انما سوآء كانت مفتوحة الهمزة او مكسورتها قدتكون لقصر الحكم على الشئ نحو انما يقوم زيد وقدتكون لقصر الشئ على الحكم نحو انما زيد قائم فقوله تعالى انما يوحى الىّ الآية من قبيل قصر الحكم على الشئ حيث يدل على ان حكم مايوحى اليه عليه الصلاة والسلام منحصر فى مضمون قوله تعالى

وما كافة او مصدرية واوّل مفعول لبدأ
او لفعل يفسره نعيده او موصولة والكاف
متعلقة بمحذوف يفسره نعيده اى نعيد مثل
الذى بدأناه واوّل خلق ظرف لبدأنا او حا
من ضمير الموصول المحذوف ﴿ وعدا
مقدّر بفعله تأكيدا لنعيده او منتصب
لانه عدة بالاعادة ﴿علينا﴾ اى علينا انجاز
﴿انا كنا فاعلين﴾ ذلك لامحالة ﴿ولقد كتب
فى الزبور﴾ كتاب داود ﴿من بعد الذكر
اى التوراة وقيل المراد بالزبور جنس
الكتب المنزلة وبالذكر اللوح المحفو
﴿ان الارض﴾ ارض الجنة او الارض
المقدّسة ﴿يرثها عبادى الصالحون﴾ يعن
عامة المؤمنين او الذين كانوا يستضعفو
مشارق الارض ومغاربها او امّة محمد صلى ا
عليه وسلم ﴿ان فى هذا﴾ فيما ذكرنا من الاخب
والمواعظ والمواعد ﴿لبلاغا﴾ لكفا
او لسبب بلوغ الى البغية ﴿لقوم عابدين
همهم العبادة دون العادة ﴿وما ارسلنا
الا رحمة للعالمين﴾ لان مابعثت به سب
لاسعادهم وموجب لصلاح معاشهم ومعاد
وقيل كونه رحمة للكفار امنهم به من الخسف
والمسخ وعذاب الاستئصال ﴿قل انما يو
الىّ انما الهكم اله واحد﴾ اى ما يوحى ال
الا انه لا اله لكم الا اله واحد وذلك لا
المقصود الاصلىّ من بعثته مقصور ع
التوحيد فالاولى لقصر الحكم على الش
والثانية على العكس

انما الهكم اله واحد فانه فى محل الرفع على انه قائم مقام فاعل الفعل السابق اذ التقدير انما يوحى الىّ وحدانية الله تعالى وان قوله انما يوحى الىّ مع فاعله بمنزلة انما يقوم زيد اى يقوم زيد لا غيره فكانه قيل لم يوح الىّ شئ الا التوحيد * ولما ورد ان يقال كيف يصح هذا الحصر مع انه قد اوحى اليه اشياء غير التوحيد * اشار المصنف الى دفعه بقوله وذلك لان المقصود الاصلى يعنى ان ما ذكر انما يرد على تقدير ان يكون الحكم المقصود ما اوحى اليه مطلقا وليس كذلك بل المراد ما اوحى اليه مقصودا بالقصد الاصلى الاولىّ وقوله تعالى انما الهكم اله واحد من قبيل قصر الشئ على الحكم بمنزلة انما زيد قائم اى لا يفعل زيد سوى القيام * فان قلت هذا الحصر يستلزم ان لا يكون الله تعالى موصوفا بغير الوحدانية مع ان له تعالى من صفات الجلال والجمال ما لا يحصى * فالجواب ان الحصر ليس حقيقيا اذ المقصود نفى ما يصفه المشركون ﴿قوله وقد عرفت ان التوحيد الخ﴾ اشارة الى ما ذكره فى تفسير قوله تعالى فى هذه السورة هذا ذكر من معى وذكر من قبلى اذ التوحيد لما لم يتوقف على صحته بعثة الرسل وانزال الكتب صح الاستدلال فيه بالنقل ووجه الفاء فى قوله تعالى فهل انتم مسلمون ان مثل هذا الكلام انما يذكر اذا تقدم ما يوجب المسارعة والاقدام على شئ من الامور فيؤتى به للتحريض عليه والتوبيخ على تركه وههنا لما بولغ فى امر التوحيد بما سبق من الحصرين عقبه به للمبالغة فى ايجاب المسارعة الى التوحيد فلذلك اخرج الامر على صورة الاستفهام وكون التوحيد مما يصح اثباته بالسمع وان اشتهر بين المتكلمين الا انه لا يخلو عن اشكال وهو ان حجية السمع موقوفة على ثبوت الرسالة وثبوت الرسالة موقوف على كون المرسل واجب الوجود وهو موقوف على ثبوت كونه واحدا اذ التعدد يستلزم الامكان كما بين فى موضعه فظهر ان حجية السمع موقوفة على الوحدانية ولو توقفت الوحدانية ايضا على السمع لزم الدور فالاحكام التى يستدل عليها بالنص هى التى لا يتوقف النص على ثبوتها فالتوحيد ليس من تلك الاحكام التى يستدل عليها بالنص فلا يستدل بالنص على ثبوته ﴿قوله مستوين فى الاعلام به﴾ على ان يكون قوله على سوآء فى محل النصب على انه حال من مفعول آذنتكم ﴿قوله او مستوين انا وانتم﴾ على انه حال من الفاعل والمفعول معا وعلى التقديرين يكون آذنتكم منقولا من اذن بمعنى علم وعلى قوله او حربى لكم وان كان منقولا منه ايضا وان المراد بالايذان ايذان الحق الا ان ايذان الحرب مستفاد من استعماله فى مقام الانذار والتهديد كانه قيل قد بذلت وسعى الى الآن فى اعلام الحق وارشادكم اليه فاذا لم تقبلوه ولم تلتفتوا اليه فتهيئوا لجزاء عنادكم ﴿قوله او ايذانا على سوآء﴾ على انه صفة مصدر محذوف ﴿قوله وقيل اعلمتكم اى على سوآء﴾ على انه خبر انّ المحذوف مع اسمها والجملة استئنافية ﴿قوله أقريب ام بعيد ما توعدون﴾ فى محل النصب بادرى لانه علق ادرى باداة الاستفهام واصل الكلام اقريب ما توعدون ام بعيد الا انه أخر المستفهم عنه لروىّ الآى وقوله ما توعدون يجوز ان يكون مبتدأ وما قبله مع ما عطف عليه خبره ويجوز ان يكون فاعل قريب لاعتماده على الف الاستفهام والمقصود من قوله تعالى انه يعلم الجهر من القول الآية تعليل الامر المدلول عليه بقوله فهل انتم مسلمون والنهى عن الطعن فى الاسلام جهرا وعن اضمار الاحن والاحقاد للمسلمين وبيان ان تأخير العذاب عنهم ليس لحق ما اسرّوا به وما اعلنوا بل لحكمة اقتضت ذلك ثم قال لعل وجه الحكمة فى التأخير الاستدراج وزيادة الاستحقاق للعقوبة والعذاب ولما كان الاستدراج سببا للفتنة والعذاب اطلق عليه لفظ الفتنة مجازا مرسلا وقوله او امتحان اي معاملة شبيهة بالامتحان على سبيل الاستعارة التمثيلية وقرأ العامة رب احكم بكسر الباء وحذف ياء الاضافة اكتفاء بالكسرة وقرئ بضم الباء على انه منادى مفرد معرفة امر الله تعالى رسوله عليه الصلاة والسلام بان يدعو باستعجال العذاب على قومه ويقول رب اقض بيننا وبين اهل مكة بالعدل فان العدل فى حقهم ان يعجل العذاب عليهم ولا يمهلهم فلا جرم حكم الله تعالى عليهم يوم بدر وقرئ ربى بسكون الياء وأحكم على بناء افعل التفضيل وهما مبتدأ وخبر وقرئ احكم بفتح الهمزة والميم على انه فعل ماض من الاحكام مرفوع المحل على انه خبر ربى ايضا تمت سورة الانبياء عليهم الصلاة والسلام وهذا اوان الشروع فيما يتعلق بسورة الحج مستعينا بالله تعالى

﴿سورة الحج سبعون واربع آيات مدنية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله تعالى يا ايها الناس اتقوا ربكم﴾ روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال المعنى يا أهل مكة احذروا

(فهل انتم مسلمون) مخلصون العبادة لله تعالى على مقتضى الوحى المصدّق بالحجة وقد عرفت ان التوحيد مما يصح اثباته بالسمع (فان تولوا) عن التوحيد (فقل آذنتكم) اعلمتكم ما امرت به او حربى لكم (على سوآء) مستوين فى الاعلام به او مستوين انا وانتم فى العلم بما اعلمتكم به او فى المعاداة او ايذانا على سوآء وقيل اعلمتكم انى على سوآء اى عدل واستقامة رأى بالبرهان النير (وان ادرى) وما ادرى (أقريب ام بعيد ما توعدون) من غلبة المسلمين او من الحشر لكنه كائن لا محالة (انه يعلم الجهر من القول) ما تجاهرون به من الطعن فى الاسلام (ويعلم ما تكتمون) من الاحن والاحقاد للمسلمين فيجازيكم عليه (وان ادرى لعله فتنة لكم) وما ادرى لعل تأخير عذابكم استدراج لكم وزيادة فى افتتانكم او امتحان لينظر كيف تعملون (ومتاع الى حين) وتمتيع الى اجل مقدر تقتضيه مشيئته (قل رب احكم بالحق) اقض بيننا وبين اهل مكة بالعدل المقتضى لاستعجال العذاب والتشديد عليهم وقرأ حفص قال على حكاية قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ رب بالضم وربى أحكم على بناء التفضيل وأحكم من الاحكام (وربنا الرحمن) كثير الرحمة على خلقه (المستعان) المطلوب منه المعونة (على ما تصفون) من الحال بان الشوكة تكون لهم وان راية الاسلام تخفق اياما ثم تسكن وان الموعد به لو كان حقا لنزل بهم فأجاب الله دعوة رسوله صلى الله عليه وسلم فخيب امانيهم ونصر رسوله صلى الله عليه وسلم عليهم وقرئ بالياء وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ اقترب حاسبه الله حسابا يسيرا وصافحه وسلم عليه كل نبىّ ذكر اسمه فى القرآن

﴿سورة الحج مكية الا ست آيات من﴾
﴿هذا خصمان الى صراط الحميد﴾
﴿وهى ثمان وسبعون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا أيها الناس اتقوا ربكم

عقاب ربكم بطاعته فان التقوى المأمور بها انما تتحقق بالاتقاء عن جميع المحرّمات وبالاتقاء عن ترك شيء من الواجبات وبالجملة المراد بالتقوى على هذا القول الاتقاء عن كل مايؤثم من فعل او ترك وهذا المعنى هو المراد باسم التقوى فى عرف الشرع الا ان الملائم لتخصيص الخطاب باهل مكة ان يراد بالتقوى المرتبة الاولى منه وهو التوقى عن العذاب المخلد بالتبرى من الشرك كما هو المراد بقوله تعالى فألزمهم كلمة التقوى فانه تعالى امر الناس بالتقوى ثم علل وجوبها عليهم بذكر الساعة ووصفها باهول صفة والمعنى ان بالتقوى يندفع هذا الضرر العظيم عن النفس ودفع الضرر عن النفس معلوم الوجوب فثبت به وجوب التقوى والزلزلة تضعيف الزلة يقال زلت قدمه اذا زالت عن مكانها بسرعة ويقال زللت يافلان تزل زللا اذا زل فى طين او منطق ويصير متعدّيا بالتضعيف يقال زلزل الله تعالى الارض زلزالا فتزلزلت هى وقد يستعمل لازما بمعنى تزلزل فقوله تعالى ان زلزلة الساعة معناه ان تزلزل الساعة ولهذا فسرها الكواشى رحمه الله تعالى بقوله اى حركتها الشديدة بانزعاج فيكون المصدر مضافا الى فاعله وفسرها المصنف رحمه الله تعالى بالتحريك وجعلها اوّلا من اضافة المصدر الى فاعله المجازى على طريق اسناد الفعل الى زمانه وثانيا من اضافة المصدر الى ظرفه بتقدير فى وثالثا من غير تقدير والفرق بين الوجهين الاخيرين ان المضاف اليه فى كل واحد من الاحتمالين وان كان ظرفا للمضاف حقيقة الا انه قد توسع فيه واجرى مجرى المفعول به واضيف المصدر اليه على طريق اضافته الى المفعول به من غير تقدير كلمة فى كما فى قوله تعالى بل مكر الليل والنهار وقول من قال ياسارق الليلة اهل الدار فى احد الاحتمالين بخلاف الاحتمال الآخر فان الظرف لم يتوسع فيه وكانت الاضافة اليه بتقدير فى كما فى ضرب اليوم واضافة المصدر معنوية سوآء اضيف الى ظرفه او الى فاعله لانه ليس بصفة والاضافة انما تكون لفظية بان يكون المضاف صفة مضافة الى معمولها اى الى مرفوعها او منصوبها ﴿ **قوله** وقيل هى زلزلة الخ ﴾ عطف من حيث المعنى فان ماذكر ثانيا يدل على ان الساعة اما فاعل مجازى لهذه الزلزلة او زمان لها وعلى التقديرين هذه الزلزلة يوم القيامة وهو ظاهر ﴿ **قوله** فيبقوا على انفسهم ﴾ اى يترحموا عليها يقال ابقيت على فلان اى ارعيت عليه ورحمته وفى الصحاح تقول ارعيت عليه اذا ابقيت عليه ورحمته ﴿ **قوله** اذا دهشت ﴾ اى اذا ادهشت الزلزلة التى ألقمت الرضيع ثديها حمل لفظ المرضعة على التى تلابس الارضاع بالفعل استدلالا بلحوق التاء اياه فان الاصل فى الصفات المختصة بالمؤنث ان لا تلحقها تاء التأنيث اذا قصد بها التى من شأنها ان تلابس الفعل فاما اذا قصد بها الدلالة على الملابسة بالفعل فحينئذ يجب ان تلحقها التاء فيقال حائضة وطالقة ومرضعة وطامثة فلما قيل فى الآية مرضعة بالتاء علم ان المراد بها التى باشرت الارضاع بالفعل وألقمت ثديها الصبى ﴿ **قوله** وما موصولة ﴾ فلا بد من تقدير العائد اى عن الذى ارضعته وهو الطفل وان كانت مصدرية فلا حاجة الى التقدير اى عن ارضاعها ﴿ **قوله** جنينها ﴾ مبنى على ان الحمل بالفتح ما كان فى البطن او على رأس الشجرة وبالكسر ما كان على الظهر واستدل به من قال ان هذه الزلزلة تكون فى الدنيا لانه لا مرضعة ولا حامل يوم القيامة ومن قال انها تكون يوم القيامة يقول هذا على جهة التمثيل اى لو كان مثلها فى الدنيا لذهلت المرضعة عما ارضعت وتضع الحامل حملها من غير تمام من شدة دهشها ﴿ **قوله** فارهقهم هوله ﴾ والمعنى ولكنّ مارهقهم من خوف عذاب الله تعالى هو الذى اذهب عقولهم يقال رهقه بكسر الهاء اى غشيه وارهقه طغيانا اى اغشاه اياه والهول مصدر هاله الشيء اى افزعه ولاشك انه تعالى اذا بسط بساطه اى بساط عزته وسلطان جبروته وسرادق كبريائه بحيث الجأ النبيين الى ان قالوا نفسى نفسى يجعل هوله وافزاعه بحيث يغشى اهل الموقف بأسرهم مما شاهدوه من امارات مايكون من ذلك الموقف قرأ العامة رحمة الله عليهم وترى الناس بفتح التاء من ترى ونصب الناس على صيغة خطاب الواحد بمعنى تعلم الناس اوّل مفعوليه وسكارى ثانيهما وقرئ بضم التاء وكسر الرآء على بناء الفاعل وهو ضمير الزلزلة او الساعة فلا بدّ حينئذ من تقدير المفعول الاوّل ليتم به المعنى اى وترى الزلزلة او الساعة اهل الموقف الناس سكارى فهو مفعول ثالث ويؤيد هذه القرآءة قرآءة من قرأ وترى الناس بضم التاء وفتح الرآء على مالم يسم فاعله ونصب الناس مضارع مبنى من المتعدّى الى ثلاثة مفاعيل الاوّل قائم مقام الفاعل وهو ضمير الخطاب والناس سكارى هما المفعولان الباقيان وهذا معنى قول المصنف رحمة الله عليه وقرئ ترى من اريتك قائما والاصل وترى الزلزلة او الساعة اياك الناس سكارى ويجوز ان يكون مضارع رأيت المتعدّى الى اثنين والمعنى

ان زلزلة الساعة) تحريكها للاشياء على
الاسناد المجازى او تحريك الاشياء فيه
فاضيفت اليها اضافة معنوية بتقدير ف
او اضافة المصدر الى الظرف على اجرآئ
مجرى المفعول به وقيل هى زلزلة تكون قبل
طلوع الشمس من مغربها واضافتها الى الساعة
لانها من اشراطها (شيء عظيم) هائل علل
أمرهم بالتقوى بفظاعة الساعة ليتصوّروه
بعقولهم ويعلموا انه لايؤمنهم منها سوى
التدرّع بلباس التقوى فيبقوا على انفسهم
ويقوها بملازمة التقوى (يوم ترونها تذهل
كل مرضعة عما ارضعت) تصوير لهوله
والضمير للزلزلة ويوم منتصب بتذهل
وقرئ تذهل وتذهل مجهولا ومعلوم
اى تذهلها الزلزلة والذهول الذهاب
من الامر بدهشة والمقصود الدلالة على ا
هولها بحيث اذا دهشت التى ألقمت الرضيع
ثديها نزعته من فيه وذهلت عنه وما موصولة
او مصدرية (وتضع كل ذات حمل حملها
جنينها (وترى الناس سكارى) كأنهم سكارى
(وماهم بسكارى) على الحقيقة (ولكن
عذاب الله شديد) فأرهقهم هوله بحيث طي
عقولهم واذهب تمييزهم

وترى أيها الرسول قوما سكارى فبنى للمفعول واسند الى مفعوله الاول وترك الثانى منصوبا على حاله وهو معنى قوله رحمه الله عليه اورأيتك قائما وقوله بنصب الناس ورفعه على ترتيب الف * ولما ورد ان يقال لما اسند الفعل الى الناس كان ينبغى ان يقال ويرى بالياء التحتانية * اجاب عنه بقوله وتأنيثه على تأويل الجماعة ﴿ **قوله** وافراده بعد جمعه ﴾ افراد الفعل وجمعه عبارة عن اسناده الى ضمير الواحد والجمع يعنى افراد فاعل الرؤية فى ترى الناس وجمعه فى يوم ترونها مبنى على ان المرئية فى يوم ترونها الزلزلة او الساعة وفى قوله وترى الناس جميع الناس رآئيا الزلزلة لكونها امرا مغايرا للناس بخلاف الحالة القائمة فان كل احد لا يرى الا ما قام بغيره ولا يرى الجميع ماقام بالجميع والالزم ان يرى كل احد ماقام بنفسه وفيه بحث ظاهر وهو ان اسناد الفعل الى الجميع انما يقتضى قيامه بالجميع ولا يقتضى وقوع ماقام به من الجميع وما ذكره مبنى على ان يكون الخطاب فى قوله تعالى وترى النـاس لكل من يصلح ان يكون مخاطبا على سبيل البدل ولو كان الخطاب لواحد بعينه وهو النبى صلى الله عليه وسلم لما قيل يراها الجميع اى يرى كل احد ماقام بغيره ﴿ **قوله** سكرى كعطشى ﴾ ووجه الشبه كون كل واحد منهما جمعا على فعلى مع كون واحده على وزن فعلان ولو قال كجرحى وقتلى ومرضى لصح التشبيه من حيث ان كل واحد منهما جمع على وزن فعلى الا ان المشابهة بين سكرى وعطشى أتم لما ذكرناه يقال رجل عطشان وقوم عطشى كما يقال جوعان وجوعى وكسلان وكسلى واللفظ انما يجمع على فعلى اذا كان مأخذه من قبل العلل والادوآء نقل عن الفرآء رحمه الله تعالى انه قال والعرب تجعل فعلى جمعا لكل ذى زمانة وضرر وهلاك ولا يبالون أكان واحده فاعلا او فعيلا او فعلان ﴿ **قوله** وهى تعمه واضرابه ﴾ حال من فاعل نزلت لما امر الله تعالى مشركى اهل مكة بالاتقاء عن عقابه بملازمة طاعته خص من بينهم من هو متوغل فى المخالفة والعصيان ووصفه بالمخاصمة فى دين الله تعالى وو حدانيته وفيما اخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الله تعالى بمجرد زعمه الفاسد وظنه الباطل من غير سند يسوقه اليه قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما المريد المتمرد على الله تعالى يقال مرد الشئ اذا جاوز حد مثله واصله العرى يقال غلام امرد وغصن امرد اذا عرى عن الشعر والورق ﴿ **قوله** كتب عليه على الشيطان ﴾ صفة للشيطان والمعنى والله تبارك وتعالى اعلم ويتبع كل شيطان مريد كتب عليه ان من يقبل منه فهو ضال والكتبة والكتاب الحكم والقدر ويكون بمعنى الرقم والاثبات فالمعنى قضى عليه او رقم فأثبت فى ام الكتاب وهو اللوح اى قد قضى الله تعالى على كل شيطان من الجن والانس انه من يتبعه ويتولاه فانه يضله عن الصراط المستقيم والدين القويم فاما الشيطان الجنى فبالوسواس والتسويلات والقاء الشبهات واما الشيطان الانسى فبايقاعه فى مذاهب اهل الهوى والبدع كالفلاسفة والزنادقة المنكرين للبعث والحساب ويقيمون عليهما البراهين المموهة المشوبة بشوآئب الوهم والخيال وظلمة الطبيعة فاتباعه تقبل منه تلك الشبهات الزآئغة والدلائل الباطلة فيعتقدون بعقائده ويصيرون من جملته ويدخلون فى زمرته كما قال تعالى ومن يتولهم منكم فانه منهم قال صاحب الكشاف والكتبة عليه مثل اى كانما كتب اضلال من تولاه عليه ورقم به لظهور ذلك فى حاله جعل الكتبة بمعنى الرقم والاملاء ولما تعذر حمله على الحقيقة حمله على التشبيه وجعل وجه الشبه ظهور ذلك الاضلال عليه ظهور المكتوب على ما كتب عليه واليه اشار المصنف بقوله والمعنى كتب عليه اى اثبت عليه ورقم فصار كان الاضلال شئ اثبت عليه ورقم ﴿ **قوله** على تقدير فشأنه انه يضله ﴾ يعنى فتح الهمزة فى قوله تعالى فانه يضله مبنى انه خبر مبتدأ محذوف اى فشأنه وحاله انه يضله قال صاحب الكشاف عفا الله تبارك وتعالى عنه وقرئ انه بفتح الهمزة وكسرها فمن فتح جعل الاولى نائب فاعل كتب والثانية عطفا عليها ولم يرض المصنف به حيث قال لا على العطف فانه يكون بعد تمام الكلام يعنى ان كلمة ان الاولى لو كانت مرفوعة المحل على انها قائمة مقام فاعل كتب وكانت الثانية ايضا فى محل الرفع على كونها معطوفة على الاولى مؤكدة لها للزم عطف جملة تامة على كلام غير تام لان قوله من تولاه مبتدأ لم يستوف خبره بعد لان كلمة من فيه ان قدرتها موصولة فلا خبر لها وان جعلتها شرطية فلا جواب لها ولا يجوز العطف قبل التمام فى عطف الجمل فاعراب الآية ان كتب مبنى للمفعول على قرآءة العامة وانه فى الموضعين مفتوح الهمزة اما الاولى فلكونها مع ما فى حيزها فى محل الرفع على انها خبر مبتدأ محذوف وكلمة من فى قوله تعالى من تولاه يجوز ان تكون شرطية والفاء فى جوابها وان تكون موصولة والفاء زائدة فى الخبر لتضمن المبتدأ معنى الشرط ﴿ **قوله** على حكاية المكتوب ﴾ فان كلمة ان الواقعة فى الكلام المحكى

وقرئ ترى من اريتك قائما او رأيتك قائما بنصب الناس ورفعه على انه نائب مناب الفاعل وتأنيثه على تأويل الجماعة وافراده بعد جمعه لان الزلزلة يراها الجميع واثر السكر انما يراه كل احد على غيره وقرأ حمزة والكسائى سكرى كعطشى اجرآء للسكر مجرى العلل (ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم) نزلت فى النضر بن الحارث وكان جدلا يقول الملائكة بنات الله والقرءآن اساطير الاولين ولا بعث بعد الموت وهى تعمه واضرابه (ويتبع) فى المجادلة او فى عامة احواله (كل شيطان مريد) متجرد للفساد واصله العرى (كتب عليه) على الشيطان (انه من تولاه) تبعه والضمير للشان (فانه يضله) خبر لمن او جواب له والمعنى كتب عليه اضلال من تولاه لانه جبل عليه وقرئ بالفتح على تقدير فشأنه انه يضله لا على العطف فانه يكون بعد تمام الكلام وقرئ بالكسر فى الموضعين على حكاية المكتوب

(مكسورة)

مكسورة لكونها واقعة فى ابتدآء الكلام ولابدّ فى الحكاية ان تحفظ صورة الكلام المحكى ولاتغير عماهى عليه من هيئتها ﴿قوله او اضمار القول﴾ فيكون عليه فى موضع الرفع على انه قائم مقام الفاعل لقيل المضمر ثم انه تعالى لما حكى عنهم انهم يجادلون فى الله بغير علم وكان من جملة ماجادلوا فيه نفى صحة حقية البعث والحشر اورد مايدل على صحته بقوله تعالى يأايها الناس ان كنتم فى ريب من البعث الآية قيل تحريك الوسط فى كل ما كان فيه العين من حروف الحلق قياس مطرد كالشعر والنهر وقيل ليس بقياس بل هما لغتان بمعنى كالجلب والجلب والطرد والطرد فيتوقف على السماع ثم انه تعالى ذكر فى مراتب النشأة الاولى ومباديها سبعة امور الاوّل التراب فانه مبدأ لجميع الافراد الانسانية امابواسطة كونه مبدأ لاصلهم آدم عليه الصلاة والسلام او بواسطة الغذآء وكونه مبدأ للمنى ودم الطمث فانه اماحيوانى او نباتى وغذآء الحيوانات ينتهى الى النبات قطعا للتسلسل والنبات انما يتولد من الارض والماء فصح قوله فانا خلقناكم من تراب على كل واحد من الاعتبارين فقوله فانظروا فى بدء خلقكم الخ اشارة الى ان قوله تعالى فانا خلقناكم ليس جزآء فى الحقيقة لكنه اقيم مقام الجزآء من حيث كون الاخبار به سببا مؤدّيا الى النظر فى مضمونه الذى هو مزيل لريبهم والمرتبة الثانية النطفة وهى ماء الفحل فان قلب التراب اليابس ماء رطبا لطيفا مبنى على قدرة باهرة لايبعد عنها اعادة الموتى والمرتبة الثالثة العلقة وهى قطعة الدم الجامدة ولاشك ان بين الماء وبين الدم الجامد مباينة شديدة والمرتبة الرابعة المضغة وهى اللحمة الصغيرة قدر مايمضغ والمرتبة الخامسة ماذكره بقوله ثم نخرجكم طفلا والسادسة ماذكره بقوله تعالى ثم لتبلغوا اشدكم والسابعة ماذكره بقوله ومنكم من يتوفى وقسم المضغة الى المخلقة وغير المخلقة اى الى المسوّاة الملساء المنزهة عن العيب يقال صخرة خلقاء اى ملساء لاعيب فيها وخلقت السواك اى سوّيته وملسته وقيل المخلقة هى التى تم وكمل خلقها بنفخ الروح فيها وهو الذى يولد لتمام مدة الحمل حيا وغير المخلقة ماتسقطه المرأة غير حى ولم يكمل خلقه بنفخ الروح فيه وقيل المخلقة ماقدبدا خلقته وصورته وغير المخلقة مالم يصوّر بل تسقطه المرأة نطفة بيضاء او علقة او مضغة لم تبن خلقته وقدم الوجه الاوّل لانه اوفق لبناء التفعيل الدال على تكثير الخلق فان الانسان ذو اعضاء متباينة وقوى متفاوتة فاذا كمل فيه جميع مايتم به خلقة النوع فقد كثر فيه الخلق واللام فى قوله تعالى لنبين متعلقة بمحذوف اى نقلناكم من حال ومن خلق الى خلق لنبين لكم بهذا التدريج من فعلنا وقدرتنا مالايسعه الذكر ولايحيط به الوصف واشير الى هذا التعميم بحذف المفعول وقوله تعالى ونقرّ فى الارحام مرفوع على الاستئناف وليس علة ماقبله حتى ينصب عطفا على العلة المتقدمة روى عن الزجاج رحمة الله تعالى عليه انه قال قوله تعالى ونقرّ فى الارحام لايجوز فيه الا الرفع ولايجوز ان يكون المعنى فعلنا ذلك لنقرّ فى الارحام لان الله تعالى لم يخلق الانام ليقرّوا فى الارحام وانما خلقهم ليدلهم على رشدهم وصلاحهم ونقل المصنف رحمة الله تعالى عليه قرآءة النصب فيه وفى قوله تعالى ثم نخرجكم طفلا واشار الى دفع ماذكره الزجاج رحمة الله تعالى عليه بقوله وتقريرهم فى الارحام حتى يولدوا وينشأوا ويبلغوا حدّ التكليف يعنى ليس الاقرار فى الارحام وحده علة الخلق المذكور حتى يرد ماذكر بل العلة هى مجموع الاقرار فى الرحم الى تمام مدة الولادة والتولد طفلا والانشاء والبلوغ الى حدّ التكليف والعلة فى الحقيقة هى الاخير يعنى بلوغ حدّ التكليف اى حتى يكلفوا بمعرفة الله تعالى وتوحيده وطاعته فينالوا سعادة الآخرة لكن لما كان الاقرار فى الرحم وماتلاه من مقدّمات البلوغ ادخل فى التعليل قدّر لام العلة ايذانا بذلك وخص قوله لتبلغوا باعادة اللام للتنبيه على ان المقصود اوّلا وبالذات هو الثانى لاالاوّل من بين اجزآء الغرض وهو الجزء الثانى الاخير الذى هو البلوغ المذكور لانه اوان التكليف فقوله تعالى ثم لتبلغوا على هذه القرآءة معطوف على قوله تعالى ثم نخرجكم وقد اشار اليه المصنف بقوله حتى يولدوا وينشأوا وعلى قرآءة الرفع معطوف على قوله تعالى لنبين لكم * فان قلت مامعنى ثم فى الموضعين * فالجواب انه يحتمل ان يكون التراخى فى الرتبة وهو الاظهر الانسب بالمقام ويحتمل ان يكون للتراخى فى الزمان فان بلوغ الاشدّ متراخ عن الاخراج طفلا وهو غير الاقرار فى الارحام ولو باعتبار ابتدآء الاقرار فى الارحام ﴿قوله وقرئا بالياء﴾ اى وقرئ قوله تعالى ليبين ويقرّ بالياء التحتانية فيهما باسناد كل واحد من الفعلين اليه تعالى كما فى قرآءة النون وقرئ ويقرّ بفتح الياء من تحت وكسر القاف ونصب الرآء اى ويقرّ الله تعالى وهو من قرّ الماء اذا صبه وقرأ يعقوب فى رواية ونقرّ بفتح النون وضم القاف ورفع الرآء من قر الماء يقرّه

(لكيلا يعلم من بعد علم شيأ) ليعود كهيئته الاولى فى اوان الطفولية من سخافة العقل و قلة الفهم فينسى ماعلمه و ينكر من عرفه و الآية استدلال ثان على امكان البعث بما يعترى الانسان فى اسنانه من الامور المختلفة و الاحوال المتضادة فان من قدر على ذلك قدر على نظائره (وترى الارض هامدة) ميتة يابسة من همدت النار اذا صارت رمادا (فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت) تحركت بالنبات (وربت) وانتفخت وقرئ ربأت اى ارتفعت (وانبتت من كل زوج) من كل صنف (بهيج) حسن رآئق وهذه دلالة ثالثة كررها الله تعالى فى كتابه لظهورها وكونها مشاهدة (ذلك) اشارة الى ماذكر من خلق الانسان فى اطوار مختلفة وتحويله على احوال متضادة واحياء الارض بعد موتها وهو مبتدأ خبره (بان الله هو الحق) اى بسبب انه الثابت فى نفسه الذى به يتحقق الاشياء (وانه يحيى الموتى) وانه يقدر على احيائها والالما احيى النطفة والارض الميتة (وانه على كل شئ قدير) لان قدرته لذاته الذى نسبته الى الكل على سوآء فلما دلت المشاهدة على قدرته على احياء بعض الاموات لزم اقتداره على احياء كلها (وان الساعة آتية لاريب فيها) فان التغير من مقدمات الانصرام وطلائعه (وان الله يبعث من فى القبور) بمقتضى وعده الذى لايقبل الخلف (ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم) تكرير للتأكيد ولما نيط به من الدلالة بقوله (ولاهدى ولا كتاب منير) على انه لاسند له من استدلال اووحى او الاول فى المقلدين وهذا فى المقلدين والمراد بالعلم العلم الفطرى ليصح عطف الهدى والكتاب عليه (ثانى عطفه) متكبرا وثنى العطف كناية عن التكبر كلى الجيد او معرضا عن الحق استخفافا به وقرئ بفتح العين اى مانع تعطفه (ليضل عن سبيل الله) علة للجدال وقرأ ابن كثير وابو عمرو ورويس بفتح الياء على ان اعراضه عن الهدى المتمكن منه بالاقبال على الجدال الباطل خروج من الهدى الى الضلال وانه من حيث هو مؤداه كالغرض له (له فى الدنيا خزى) وهو مااصابه يوم بدر (ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق) المحرق وهو النار (ذلك بما قدمت يداك) على الالتفات او ارادة القول اى يقال له يوم القيامة ذلك الخزى والتعذيب بسبب مااقترفته من الكفر والمعاصى (وان الله ليس بظلام للعبيد) وانما هو مجازيهم على اعمالهم والمبالغة لكثرة العبيد (ومن الناس من يعبد الله على حرف) على طرف من الدين لاثبات له فيه كالذى يكون على طرف الجيش فان أحس بظفر قر والافر (فان اصابه خير اطمأن به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه) روى انها نزلت فى اعاريب قدموا الى المدينة وكان احدهم اذا صح بدنه ونتجت فرسه مهرا سريا وولدت امرأته غلاما سويا وكثر ماله وماشيته قال مااصبت منذ دخلت فى دينى هذا الاخيرا فاطمأن وان كان الامر بخلافه قال مااصبت الاشرا وانقلب وعن ابى سعيد ان يهوديا اسلم فاصابته مصائب فتشاءم بالاسلام فأتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال أقلنى فقال ان الاسلام لايقال فنزلت (خسر الدنيا والآخرة) بذهاب عصمته وحبوط عمله بالارتداد وقرئ خاسر بالنصب على الحال والرفع على الفاعلية ووضع الظاهر موضع الضمير تنصيصا على ...

(من)

اذا صبه وقوله كالكم فى القوة والعقل يعنى ان الاشد كمال القوة فى الحواس والقوى والجوارح كلها وهو فيما بين الثلاثين والاربعين وقيل من ثمانى عشرة سنة الى ثلاثين سنة وقيل الى ست وثلاثين سنة ﴿قوله تعالى لكيلا يعلم﴾ متعلق بقوله يرد * فان قيل كيف قال لكيلا يعلم من بعد علم شيأ مع انه يعلم بعض الاشياء كالطفل * اجيب بان المراد انه يزول عقله فيصير كأنه لايعلم شيأ فان مثل ذلك قد يذكر فى مقام نفى العقل للمبالغة ﴿قوله تحركت بالنبات﴾ الاهتزاز الحركة الواقعة على البهجة والسرور فلا يقال اهتز فلان لكيت وكيت الا اذا كان ذلك الامر من المحاسن والمنافع قيل الاصل اهتز وربا نباتها فحذف المضاف واسند كل واحد من الفعلين الى نفس الارض فمن قرأ ربت فمعناه الزيادة من اى جهة كانت ومن قرأ بالهمزة فسره بقوله ارتفعت وزادت من جهة العلو وقوله تعالى وان الساعة يحتمل ان يكون معطوفا على المجرور بالباء وان يكون خبر مبتدأ محذوف حذف لدلالة المقام عليه والتقدير والامر أن الساعة آتية ولاريب فيها يحتمل ان يكون خبرا ثانيا وان يكون حالا ﴿قوله تكرير للتأكيد﴾ يعنى ان هذه الآية نزلت ايضا فى النضر بن الحارث وفائدة التكرير المبالغة فى الذم وليزيد عليه انه لاسند له فى مجادلته من دليل عقلى ولا وحى سماوى كما لاسند فى مجادلته من العلم الضرورى والنظرى كأنه قيل انه يجادل من غير مقدمة ضرورية ولا نظرية ولا سمعية وهو قوله تعالى ويعبدن من دون الله مالم ينزل به سلطانا وماليس لهم به علم وماللظالمين من نصير وقيل الآية الاولى واردة فى التابعين المقلدين وهذه الآية فى المتبوعين المقلدين فان كل واحد من الفريقين يصدق عليه انه يجادل من غير علم وان كان احدهما تبعا والآخر متبوعا ويؤيد هذا القول قوله تعالى ليضل عن سبيل الله بغير علم فان المضل هو المقلد المتبوع لا التابع * والثنى اللى والعطف بكسر العين الجانب الذى يعطفه الانسان ويلويه ويميله عند الاعراض عن الشئ وهو عبارة عن الكبر والخيلاء والعطف بفتح العين التعطف والبر ﴿قوله على ان اعراضه عن الهدى المتمكن منه﴾ متعلق بقرآءة من قرأ ليضل بفتح الياء فانه لما ورد على هذه القرآءة ان يقال المجادل ما كان مهتديا حتى يخرج بالجدال من الهدى الى الضلال اجاب عنه بانه لما كان متمكنا من الاهتدآء بان يتذكر فيما نصب من الدلائل والآيات فتركه واعرض عنه واقبل على الجدال بالباطل جعل كالخارج من الهدى الى الضلال وورد ايضا ان يقال ماكان غرضه من الجدال ان يضل عن الهدى او يضل غيره عنه فكيف قيل ليضل فاجاب عنه بان الضلال لما كان عاقبته مترتبة على جداله شبه بالغرض المطلوب منه فأدخل عليه لام العلة لذلك ﴿قوله وهو مااصابه يوم بدر﴾ روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال هذه الآية نزلت فى النضر بن الحارث فانه قتل يوم بدر ومن قال انها لم تنزل فى واحد بعينه حمل خزى الدنيا على ذم المؤمنين ولعنهم وقهرهم اياهم فان الخزى وهو الهوان والفضيحة لايلزم ان يكون بالقتل وقوله عذاب الحريق يجوز ان يكون من باب اضافة الموصوف الى الصفة والاصل العذاب الحريق اى المحرق كالسميع بمعنى المسمع وجعله المصنف رحمه الله تعالى عليه من اضافة المسبب الى سببه وجعل الحريق عبارة عن النار ﴿قوله والمبالغة لكثرة العبيد﴾ جواب عما يقال الظاهر ان يقال انه تعالى ليس بظالم للعبيد ليفيد نفى اصل الظلم ونفى كونه مبالغا مفرطا فى الظلم لايفيد نفى اصله * وتقرير الجواب ان المراد نفى اصل الظلم وذكر لفظ المبالغة مبنى على كثرة العبيد ثم انه تعالى ولما وصف حال المظهرين للشرك المجادلين فيه عقبه بذكر حال المتزلزلين المذبذبين فقال تعالى ومن الناس من يعبد الله على حرف فقوله على حرف حال من فاعل يعبد والحرف والناحية والوسط والطرف من صفات الاجسام وصف به الدين على سبيل الاستعارة التمثيلية حيث شبه حال من يعبد الله تعالى حال كونه على قلق فى دينه من غير ثبات وطمأنينة قلب بحال من يكون على طرف من العسكر ونحوه فان احس بظفر وغنيمة قر واطمأن والافر ﴿قوله تعالى وان اصابته فتنة انقلب على وجهه﴾ المراد بها ههنا مايستكرهه الطبع ويثقل على النفس كالجدب والمرض وسائر المحن والا لما صح ان يجعل مقابلا للخير لانه ايضا فتنة وامتحان قال تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة ولم يقل وان اصابه شر مع انه هو المقابل للخير لان ماينفر عنه الطبع ليس شرا فى نفسه بل هو سبب القربة ورفع الدرجة بشرط التسليم والرضى بالقضاء ﴿قوله مهرا سريا﴾ اى خطيرا كريما ﴿قوله ووضع الظاهر﴾ بالجر عطفا على قوله والفاعلية فان الظاهر ان يكون قوله انقلب مسندا الى ضمير مستتر راجع الى من فى قوله تعالى ومن الناس من مثل ضمير قوله تعالى اطمأن به فلما جعل خاسر الدنيا مرفوعا على انه فاعل انقلب فقد وضع الظاهر موضع الضمير المستتر فى انقلب تنصيصا على خسران المنقلب ﴿قوله مستعار من ضلال من ابعد فى التيه﴾ اى شبه ضلال

من عبد من دون الله تعالى مالايضرّه ان لم يعبده وما لا ينفعه ان عبده عن سوآء السبيل وهو التوحيد والطاعة وما هو الحق اعتقادا او عملا بضلال من ابعد فى التيه ضالا فوصف الضلال المشبه بما هو من خواص الضلال المشبه به وهو البعد فان القرب والبعد من عوارض المسافة الحسية فكان اثبات البعد له استعارة تخييلية قرينة للاستعارة بالكناية فالظاهر انه شبه العدول عن الحق المشبه بالمسافة الحسية والصراط المسلوك فيها حسا بالضلالة عن الصراط المستقيم وشبه التوغل فى ذلك العدول بالبعد عن المسلك الحسى فعبر عن التوغل فى العدول عن الحق باسم الضلال البعيد على سبيل الاستعارة التصريحية ثم لابدّ مع اعتبار هذه الاستعارة من تقدير مضاف فى البعيد اى البعيد مسافته واضافة المسافة الى الضلال لادنى الملابسة فان الضلال واقع فى تلك المسافة ﴿ **قوله** لمن ضرّه بكونه معبودا ﴾ اشارة الى دفع ما يقال كيف نفى النفع والضرّ عن الاصنام فى قوله تعالى يدعو من دون الله مالايضرّه ومالا ينفعه واثبتهما لها فى قوله تعالى لمن ضرّه اقرب من نفعه * وتقدير الدفع ان معنى الآية الاولى ان الكافر لنهاية جهله وخماقته يعبد جمادا لا يضرّ ولا ينفع بنفسه والضرر المثبت للاوثان فى الآية الثانية ليس ضررها بانفسها ليلزم التناقض بل المراد من ضررها كون عبادتها سببا للضرر وذلك يكفى فى اضافة الضرر اليها كقوله تعالى انهنّ اضللن كثيرا من الناس واضافة الاضلال اليهنّ من حيث كونهنّ اسبابا للضلال فكذا ههنا نفى الضرر عنهنّ اوّلا بمعنى كونهنّ فاعلة له واضاف الضرر اليهنّ فى هذه الآية بمعنى كون عبادتهنّ سببا للضرر وكذا النفع المضاف اليهنّ ليس نفعها فى نفسها بل هو النفع فى زعم العابدين وتوقعهم ﴿ **قوله** والزعم قول مع اعتقاد ﴾ جواب عما يقال كيف يكون يدعو معلقا بلام الابتدآء وليس هو من افعال القلوب وكذا الزعم والتعليق من خصائص افعال القلوب وفيه اشارة الى جواب آخر عن سؤال التناقض * تقريره ان نفى الضرّ والنفع عن الاصنام حكم من الله تعالى حكم به على الكافر المنقلب على وجهه انه يدعو ويعبد من دون الله تعالى مالايضرّه ولا ينفعه بنفسه ثم حكى عنه انه يزعم اى يقول ويعتقد يوم القيامة حين استضراره بسبب عبادة الاصنام لمن ضرّه اقرب من نفعه لبئس المولى وباختلاف الحاكم يندفع التناقض فجملة لمن ضرّه فى حيز مفعول يدعو الا انه علق الفعل بلام الابتدآء ﴿ **قوله** اجرآء له مجرى يقول ﴾ يعنى ان المقام مقام حكاية قول الكافر الا انه وضع يدعو موضع يقول ليدل على قول فيه صراخ ودعاء فلما كان يدعو الثانى بمعنى يقول مضمنا معنى الدعاء والصراخ كان النافى للضرر والنفع عن الاصنام هو الله تعالى والمثبت لهما هو الكافر فاندفع التناقض بهذا الوجه ايضا ﴿ **قوله** او مستأنفة ﴾ عطف على قوله واللام معلقة كانه قيل جملة قوله لمن ضرّه فى محل النصب على انها فى حيز مفعول يدعو مستأنفة لامحل لها من الاعراب فيكون يدعو الثانى تكريرا للاوّل وتأكيدا له فلا معمول له لفظا ولا تقديرا كانه قيل يدعو من دون الله الذى لايضرّه ولا ينفعه فعلى هذا يكون قوله ذلك هو الضلال البعيد جملة معترضة بين المؤكد والمؤكد لان فيها تشديدا وتأكيدا للكلام ويكون قوله تعالى لمن ضرّه كلاما مستأنفا واللام فيه للابتدآء ومن موصولة وضرّه مبتدأ واقرب خبره والجملة صلة من ولبئس جواب قسم مقدّر والقسم المقدّر مع جوابه خبر للمبتدأ الذى هو الموصول ثم انه تعالى لما ذكر المشركين المجادلين بالباطل الذين يعبدون الله على حرف وبين مآل امرهم ذكر المؤمنين المتمكنين على الايمان والاعمال الصالحة وبين ثوابهم فى الآخرة ثم قال ان الله يفعل مايريد باهل طاعته من اهل الكرامة واهل معصيته من اهل الهوان والفضيحة ﴿ **قوله** كلام فيه اختصار ﴾ فان قوله تعالى من كان يظنّ ان لن ينصره الله فى الدنيا باعلاء كلمته واظهار دينه وفى الآخرة باعلاء درجته والانتقام ممن كذبه يستدعى كلاما يذكر فيه ان الله ينصر رسوله فى الدنيا والآخرة ومنكرا ينكر ذلك حسدا وعداوة ويطمع انه تعالى لايفعل ذلك ويغيظه حتى يكون هذا الكلام ردّا له واقناطا وترهيبا وقهرا ﴿ **قوله** وقيل المراد بالنصر الرزق ﴾ على ان يكون ضمير ينصره راجعا الى من فى قوله تعالى من كان يظنّ بناء على ان من حق الضمير ان يرجع الى المذكور اذا امكن ذلك ومن ذهب الى انه يرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يجر ذكره فى هذه الآية قال قد ذكر فيها مايدل عليه عليه الصلاة والسلام وهو أن الايمان لايتم الا بالله ورسوله فعلى تقدير ان يكون النصر بمعنى الرزق يكون المعنى ان الارزاق بيد الله تعالى لاتنال الا بمشيئته ولابدّ للعبد من الرضى بقسمته فان من لم يرض برزق الله تعالى وليس به صبر واستسلام لما قسم الله تعالى له فليبلغ غاية الجزع وهو الاختناق فان ذلك لايغلب القسمة * والسبب الحبل والسماء قيل المراد بها سقف البيت بناء على ان كل ما علاك فهو سماء

(فلينظر) فليتصوّر في نفسه (هل يذهبنّ كيده) فعله ذلك وسماه على الاوّل كيدا لانه منتهى مايقدر عليه (مايغيظ) غيظه او الذي يغيظه من نصر الله وقيل نزلت في قوم من المسلمين استبطأ وا نصر الله لاستعجالهم وشدّة غيظهم على المشركين (وكذلك) ومثل ذلك الانزال (انزلناه) أنزلنا القرءآن كله (آيات بينات) واضحات (وان الله يهدى) ولأنّ الله يهدى به او يثبت على الهدى (من يريد) هدايته او ثباته انزله كذلك مبينا (انّ الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيامة) بالحكومة بينهم واظهار المحق منهم من المبطل او الجزآء فيجازى كلا مايليق به ويدخله المحل المعدّله وانما دخلت ان على كل واحد من طرفى الجملة لمزيد التأكيد (ان الله على كل شئ شهيد) عالم به مراقب لاحواله (ألم تر ان الله يسجد له من السموات ومن في الارض) يتسخر لقدرته ولايتأبى عن تدبيره اويدل بذله على عظمة مدبره ومن يجوز ان يعم اولى العقل وغيرهم على التغليب فيكون قوله (والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب) افرادا لها بالذكر لشهرتها واستبعاد ذلك منها وقرئ والدواب بالتخفيف كراهة التضعيف اوالجمع بين الساكنين (وكثير من الناس) عطف عليها ان جوّز اعمال اللفظ الواحد في كل واحد من مفهوميه واسناده باعتبار احدهما الى امر وباعتبار الآخر الى آخر فان تخصيص الكثير يدل على خصوص المعنى المسند اليهم اومبتدأ خبره محذوف دل عليه خبر قسيمه نحو حق له الثواب اوفاعل فعل مضمر اى ويسجد له كثير من الناس سجود طاعة (وكثير حق عليه العذاب) بكفره وابائه عن الطاعة ويجوز ان يجعل وكثير تكريرا للاوّل مبالغة في تكثير المحقوقين بالعذاب وان يعطف به على الساجدين بالمعنى العام موصوفا بما بعده وقرئ حق بالضم وحقا باضمار فعله (ومن يهن الله) بالشقاوة (فماله من مكرم) يكرمه بالسعادة وقرئ بالفتح بمعنى الاكرام (ان الله يفعل مايشاء) من الاكرام والاهانة

وقيل المراد بها سماء الدنيا والمعنى فليجدد الذى يغيظه نصر الله تعالى ورسوله او يجزعه قلة رزقه بحبل الى السماء المظلة ثم ليقطع بالمسافة الخ وعنان السماء جانبها الذى يعترض لك من اقطارها ومن في قوله تعالى من كان يظنّ يجوز ان تكون شرطية وهو الظاهر وان تكون موصولة وفليمدد اماجزآء الشرط او خبر للموصول والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط وهل يذهبنّ في محل النصب على اسقاط الخافض اى في انه هل يذهبنّ ۞ **قوله** فليتصوّر في نفسه ۞ لمادل ظاهر نظم الآية على ان الامر بالنظر بعد الاختناق لايصح ان يحمل على النظر والتأمل صرف الكلام عن ظاهره وجعل النظر المأمور به عبارة عن ان يتصوّر انه ان فعل ذلك هل يذهب الذى يغيظه من نصر الله تعالى وهو سابق على الاختناق كانه قيل فليتأمل انه ان فعل ذلك هل يذهب كيده ومايغيظه والفاء في فلينظر محمول على التراخى الرتبى ثم انه تعالى لماقال وان الله يهدى من يريد اتبعه بيان من يهديه ومن لايهديه فقال تعالى ان الذين آمنوا الآية وانّ الثانية مع اسمها وخبرها في محل الرفع على انه خبر انّ الاولى كما في قولك ان زيدا ان الخير عنده لكثير والصابئون من صبأ الرجل عن دينه اذا خرج منه الى دين آخر وهم قوم كانوا يعبدون النجوم ويعظمونها وقال قتادة هم قوم كانوا يعبدون الملائكة وقال مجاهد هم قبيلة بين اليهود والمجوس قيل كانوا يعبدون النار وقيل يعبدون الشمس والقمر وقيل اعتزلوا النصارى ولبسوا المسوح وقيل اخذوا من دين النصارى شيأ ومن دين اليهود شيأ وهم القائلون بان للعالم الهين نور وظلمة ۞ **قوله** بالحكومة بينهم او الجزآء ۞ يعنى ان المراد بالفصل اما الفصل بالحكم بان هذا محق وذلك مبطل او الفصل بالجزآء بان لايجمع الجميع في موطن واحد بل يجازى كل واحد بمايليق به ويدخله الدار المعدّة له ۞ **قوله** يتسخر لقدرته ولايتأبى عن تدبيره ۞ لما دخل كفرة الانس ومردة الجنّ والشياطين وسائر الحيوانات والجمادات في عمومه اى في عموم قوله من في السموات وليس فيهم من يسجد سجود طاعة وعبادة وهو وضع الجبهة على الارض خضوعا لله تعالى حمل السجود على معنى مجازى يتصوّر في كل موجود ممكن وهو كونه منقادا مسخرا لقدرته ومشيئته تعالى غير متأبى عن شئ مما يحدث فيه من افعاله وتدبيره تشبيها لهذا الانقياد والمطاوعة بالسجود الحقيقى الصادر عن المكلف واطلاقا لاسم السجود المشبه به على المشبه على طريق الاستعارة التصريحية الاصلية ثم اشتق من هذا السجود بهذا المعنى لفظ يسجد فسرت الاستعارة اليه تبعا والمعنى تنقاد له المكوّنات باسرها ۞ **قوله** اويدل بذله على عظمة مدبره ۞ عطف على قوله يتسخر يعنى ان السجود في الآية مجاز امامن المسخرية والانقياد او عن الدلالة على عظمة الملك المدبر فان السجود الحقيقى انما يكون على طريق الخضوع والتعظيم فيدل لامحالة على العظمة والكبرياء فكذا جميع هذه المذكورات تدل عليهما فاشبه دلالتها عليهما بالسجود الحقيقى فاطلق عليها اسم السجود ۞ **قوله** وقرئ والدواب بالتخفيف ۞ اى بتخفيف الباء بحذف الباء الاولى كراهية التضعيف او الجمع بين الساكنين ۞ **قوله** عطف عليها ان جوّز الخ ۞ جواب عما يقال السجود بمعنى المسخرية للقدرة والارادة او بمعنى الدلالة على عظمة المدبر عام في حق الناس جميعا فاسناده الى كثير منهم يكون تخصيصا من غير فائدة وتخصيص الكثير بالذكر يدل على ان المسند الى الكثير السجود الحقيقى وذلك يستلزم ان يكون لفظ يسجد مستعملا في المعنيين باطلاق واحد * وتقرير الجواب ان من جوّز اعمال اللفظ الواحد في كل واحد من مفهوميه واسناده باعتبار احد مفهوميه الى امر وباعتبار مفهومه الآخر الى امر آخر فلاشك ان المسند الى كثير من الناس هو السجود الحقيقى والى الآحاد الباقية وسائر المذكورات السجود بالمعنى المجازى والسجود بهذا المعنى وان صح اسناده الى كثير من الناس ايضا الا ان تخصيص الكثير بالذكر يدل على ان المسند اليهم سجود مخصوص مغاير للسجود المسند الى الافراد الباقية ومن لم يجوّز ذلك لايجعل قوله وكثير من الناس معطوفا على ماقبله بل يجعله مبتدأ محذوف الخبر او فاعل فعل مضمر وتقدير الآية ولله يسجد من في السموات ومن في الارض ويسجد له كثير من الناس فيكون السجود الاوّل بمعنى الانقياد والثانى بمعنى العبادة والطاعة ۞ **قوله** وان يعطف به ۞ اى ويجوز ان يكون قوله وكثير حق عليه العذاب موصوفا وصفة عطف به على ماقبله ويكون العامل في جميع المعطوفات السجود بالمعنى العام وماذكر من ان تخصيص الكثير بالذكر يكون لغوا حينئذ فالجواب عنه ان ذكر الكثير ليس لتخصيص الحكم بهم ونفيه عما عداهم حتى يكون لغوا باطلا بل المراد بذكره تفصيل الناس الى من هو ساجد بذاته وبظاهره والى من هو ساجد بذاته متمرّد بظاهره وبيان ان الكل ساجد له تعالى بالمعنى العام ۞ **قوله** وقرئ حق بالضم ۞ فان حق يستعمل لازما

(هذان خصمان) اى فوجان مختصمان ولذلك قال (اختصموا) حملا على المعنى ولو عكس جاز والمراد بهما المؤمنون والكافرون (فى ربهم) فى دينه او فى ذاته وصفاته وقيل تخاصمت اليهود والمؤمنون فقال اليهود نحن أحق بالله واقدم منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم وقال المؤمنون نحن احق بالله آمنا بمحمد ونبيكم وبما انزل الله من كتاب وانتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم كفرتم به حسدا فنزلت (فالذين كفروا) فصل لخصومتهم وهو المعنىّ بقوله تعالى ان الله يفصل بينهم يوم القيامة (قطعت لهم) قدّرت على مقادير جثثهم وقرئ بالتخفيف (ثياب من نار) نيران تحيط بهم احاطة الثياب (يصب من فوق رؤسهم الحميم) حال من الضمير فى لهم او خبر ثان والحميم الماء الحار (يصهر به ما فى بطونهم والجلود) اى يؤثر من فرط حرارته فى باطنهم تأثيره فى ظاهرهم فيذاب به احشاؤهم كما يذاب به جلودهم والجملة حال من الحميم او ضميرهم وقرئ بالتشديد للتكثير (ولهم مقامع من حديد) سياط منه يجلدون بها جمع مقمعة وحقيقتها ما يقمع به اى يكف بعنف (كلما ارادوا ان يخرجوا منها) من النار (من غم) من غمومها بدل من الهاء باعادة الجار (اعيدوا فيها) اى فخرجوا اعيدوا لان الاعادة لاتكون الا بعد الخروج وقيل يضربهم لهب النار فيرفعهم الى اعلاها فيضربون بالمقامع فيهوون فيها (وذوقوا) اى وقيل لهم ذوقوا (عذاب الحريق) النار البالغة فى الاحراق (ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار) غير الاسلوب فيه واسند الادخال الى الله تعالى واكده بانّ احمادا لحال المؤمنين وتعظيما لشأنهم (يحلون فيها) من حليت المرأة اذا البستها الحلىّ وقرئ بالتخفيف والمعنى واحد (من أساور) صفة مفعول محذوف واساور جمع اسورة وهى جمع سوار (من ذهب) بيان له (ولؤلؤ) عطف عليها لا على ذهب لانه لم يعهد السوار منه الا ان يراد المرصعة به ونصبه نافع وعاصم عطفا على محلها او اضمار الناصب مثل ويؤتون وروى حفص بهمزتين وترك ابوبكر والسوسى عن ابى عمرو الهمزة الاولى وقرئ لؤلو بقلب الثانية واوا ولوليا بقلبهما واوين ثم قلبت الثانية ياء ولليا بقلبهما ياءين واول كأدل (ولباسهم فيها حرير) غير اسلوب الكلام فيه للدلالة على ان الحرير ثيابهم المعتادة او للمحافظة على هيئة الفواصل (وهدوا الى الطيب من القول) وهو قولهم الحمد لله الذى صدقنا وعده او كلمة التوحيد (وهدوا الى صراط الحميد) المحمود نفسه او عاقبته وهو الجنة او الحق او المستحق لذاته الحمد وهو الله تعالى وصراطه الاسلام (ان الذين كفروا ويصدّون عن سبيل الله) لا يريد به حالا ولا استقبالا وانما يريد استمرار الصدّ منهم كقولهم فلان يعطى ويمنع لذلك حسن عطفه على الماضى

ومتعدّيا يقال حققت الشئ بمعنى اثبته وحق الشئ اى ثبت ثم انه تعالى بين ان الناس قسمان منهم من يسجد ومنهم من حق عليه العذاب ولاشك ان طريق الفريقين يستلزم بيان الاختصام بينهما فذكر الله تعالى كيفية اختصامهما فقال هذان خصمان قوله ولذلك اى ولكون الخصم صفة لموصوف مفرد اللفظ مجموع المعنى كالفوج والفريق وكان قوله خصمان فى معنى فوجان مختصمان وكان كل فوج جماعة متكثرة صح اسناد اختصموا الى ضمير الجمع كما فى قوله تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فثنى قوله هذان اعتبارا لمعناه ولو عكس جاز كما جاز اعتبار المعنى فقط بان قيل هؤلاء خصمان اختصموا واعتبار اللفظ بان قيل هذان خصمان اختصما قوله نيران تحيط بهم احاطة الثياب يعنى ان قوله تعالى ثياب مستعار للنيران التى يقطعها الله تعالى ويلبسها لهم على مقادير جثثهم تشبيها لها بالثياب الملبوسة فى احاطة البدن قوله تعالى يصهر به اى يذاب يقال صهرت الشئ فانصهر اى اذبته فذاب فهو صهير اذا ذاب روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال لو سقطت قطرة من الحميم الذى يصب على رؤس اهل النار على جبال الدنيا لأذابتها وعن الحسن رضى الله تعالى عنه قال ان النار تضربهم بلهبها فترفعهم حتى اذا كانوا فى اعلاها ضربوا بالمقامع فهووا فيها سبعين خريفا وفى الحديث الشريف * لو وضعت مقمعة منها فى الارض فاجتمع الثقلان ما اقلوها قوله النار البالغة فى الاحراق اشارة الى ان الحريق بمعنى المحرق كالسميع بمعنى المسمع والعدول الى صيغة الفعيل للدلالة على المبالغة قوله غير الاسلوب فانه من تمام فصل الخصومة مقابل لقوله تعالى فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار فالاسلوب المناسب له ان يقال والذين آمنوا وعملوا الصالحات اعدّت لهم جنات قوله صفة مفعول محذوف اى يحلون فيها حليا كائنا من اساور او ملبوسا كائنا من اساور وفيه بحث لان حليت وحليت مشدّدا ومخففا بمعنى واحد لا يتعدّى شئ منهما الا الى مفعول واحد يقال حليت المرأة احليها حليا وحليتها تحلية اذا جعلت لها حليا فكيف يقدر ليحلون مفعول منصوب الا ان يجعل يحلون بمعنى يلبسون والظاهر ان تجعل من ابتدائية متعلقة بيحلون قوله الا ان يراد المرصعة على ان يكون المعنى ان الاساور قد تكون متخذة من الذهب وحده ومن اللؤلؤ وحده الا ان اتخاذ السوار من اللؤلؤ وحده غير معهود وانما يجوز عطفه على ذهب على ان يكون المعنى من اساور منهما بان يرصع اللؤلؤ فى الذهب وظاهر ان السوار قد يتخذ من اللؤلؤ وحده وينضم بعضه الى بعض غاية ما فى الباب انه لا يكون ذلك معهودا فى زمان المفسرين وقرأ نافع وعاصم بنصب لؤلؤ والباقون بجره وقد ذكر المصنف رحمة الله عليه وجه كل واحد منهما واختلف فى رسم هذه اللفظة فى الامام فنقل الاصمعى رحمة الله تعالى عليه انها فى الامام لولو بغير الف بعد الواو ونقل انها ثابتة ايضا فى الامام بعد الواو وقرأ حفص عن عاصم لؤلؤ بهمزتين وروى ابوبكر عنه ايضا لؤلو بقلب الهمزة الثانية واوا وقرئ لوليا بالواو اوّلا وبالياء آخرا والاصل لؤلؤا بهمزتين ابدلت كل واحدة منهما واوا فصار آخر الاسم المتمكن واوا قبلها ضمة وهو غير معهود فى كلام العرب الا فى كلمة هو ففعل فيها ما فعل بادل جمع دلو بان قلبت الواو ياء والضمة كسرة وفعل هذا من قرأ ايضا ليليا بياءين ثم اتبع الواو الاولى للثانية فى القلب وقرئ ولول بالجرّ عطفا على المجرور قبله والاصل لؤلؤ ابدلت الهمزتان واوين ثم اعل اعلال ادل بان قلبت ضمة اللام كسرة والواو ياء ثم اعل اعلال قاض قوله غير اسلوب الكلام يعنى الظاهر ان يقال ولؤلؤا وحريرا بجرّ اللفظين او نصبهما على طريق عطف المفرد على المفرد الا انه عدل عنه الى الجملة الاسمية للدلالة على الدوام والثبات قوله او للمحافظة على هيئة الفواصل فانه لو قيل وحريرا بالنصب لم تكن هيئة الكلمة على هيئة الحديد والحريق والحميد حال الوقف بخلاف ما لو قيل وحرير بالجرّ فانه لا تفوت محافظة هيئة الفواصل حينئذ فهذا التعليل انما ينفع ان لو قرئ وحريرا بالنصب دون الجرّ قوله وهو الجنة اى المحمود نفسه الجنة والمحمود عاقبته الحق كانه قيل وهدوا الى صراط الجنة التى هى المحمودة نفسها او الى صراط الحق المحمود عاقبته او الى صراط الله تعالى المستحق لذات الحمد ثم انه تعالى لما فصل الخصومة بين المؤمنين والكفار ذكر عظم حرمة البيت وعظم كفر هؤلاء فقال تعالى ان الذين كفروا قيل نزلت فى ابى سفيان واصحابه حين صدّوه عليه الصلاة والسلام عام الحديبية عن البيت فكره صلى الله عليه وسلم قتالهم وهو محرم ثم صالحوه على ان يعود فى العام القابل قوله ولذلك اى ولكون قوله يصدّون لا يقصد به الدلالة على زمان معين من حال او استقبال وانما يراد به مجرّد الاستمرار فكانه قيل ان الذين كفروا من شأنهم الصدّ عن سبيل الله ومثله قوله تعالى الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله الا بذكر الله تطمئن القلوب

حسن عطفه على الماضي ﴿ قوله وقيل هو حال من فاعل كفروا ﴾ لم يرض به لان الجملة الحالية اذا كانت فعلية وكان الفعل مضارعا مثبتا امتنع دخول الواو عليه قال تعالى و لا تمنن تستكثر اى لا تعط حال كونك تعدّ ما تعطيه كثيرا وورد منه على قلة كقول بعض العرب قمت واصك وجهه * وقول من قال فلما نشبت اظافيرهم * اى اسلحتهم * نجوت وارهنهم مالكا * مؤوّل بحمل الكلام على حذف المبتدأ اى وانا اصك وانا ارهنهم فلا يحمل عليه القرآن العظيم وعلى القولين خبر انّ محذوف لدلالة آخر الآية عليه فظاهر كلام المصنف رحمة الله عليه يدل على ان موضع تقديره بعد قوله عن سبيل الله وتقدير الخبر قبل تمام الاسم بمتعلقاته لا يخلو عن بعد وقد قدّره صاحب الكشاف بعد قوله تعالى والمسجد الحرام وقيل انه يستلزم الفصل بين الصفة والموصوف باجنبيّ وهو خبر انّ لان قوله الذى جعلناه صفة للمسجد الحرام فيصير نظم التركيب هكذا ان الذين كفروا ويصدّون عن سبيل الله والمسجد الحرام نذيقهم من عذاب اليم الذى جعلناه للناس فالظاهر ان موضع التقدير بعد قوله تعالى والباد وللزمخشري عفا الله تبارك وتعالى عنه ان يجيب عما يتوجه اليه من الاعتراض بان يقول لا نسلم ان قوله الذى جعلناه صفة للمسجد حتى يلزم ما ذكر بل هو مقطوع عنه منصوب بتقدير اعنى او مرفوع بتقدير هو ﴿ قوله وأوّله الحنفية بمكة ﴾ وقالوا المراد من المسجد الحرام الحرم كله كما فى قوله تعالى سبحان الذى اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام وقد اسرى به من بيت امّ هانى واستدلوا على ان اراضى مكة لا تملك بهذه الآية وقالوا انها لو ملكت لما استوى العاكف فيها والبادى فلما استويا ثبت ان سبيلها سبيل المسجد واستدلوا عليه ايضا بقوله عليه الصلاة والسلام مكة مناخ لما سيق اليها وقال الامام الشافعى رحمة الله عليه يجوز بيع دور مكة واجارتها وقال قوله سوآء العاكف فيه والباد المراد به استوآؤهما فى تعظيم حرمته وقضاء النسك فيه واليه اشار المصنف بقوله وهو مع ضعفه ووجه الضعف انه لا يلزم ان يكون المراد بقوله سوآء المساواة فى الانتفاع بمنازل مكة ودورها لجواز ان يراد به الاستوآء فى تعظيمه والعبادة فيه بمعنى انه ليس للمقيم ان يمنع من العبادة فيه البادى وبالعكس ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام * يابنى عبد المطلب من ولى منكم من امور الناس شيأ فلا يمنعنّ احدا طاف بهذا البيت او صلى فيه ساعة من ليل او نهار * واحتج الامام الشافعى رحمة الله تعالى عليه على من لا يرخص فى كرآء دور مكة وبيعها بقوله تعالى الذين اخرجوا من ديارهم فقال اضاف الديار الى مالكها او الى غير مالكها وبقوله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة * من اغلق بابه فهو آمن * وقال اشترى عمر بن الخطاب دار السجن اترى انه اشتراها من مالكها او من غير مالكها قرأ الجمهور سوآء بالرفع وقرأ حفص عن عاصم بالنصب ووجه الرفع كونه خبرا مقدما والعاكف والبادى مبتدأ مؤخرا وانما وحد الخبر وان كان المبتدأ شيئين لان سوآء فى الاصل مصدر وصف به والجملة الاسمية فى محل النصب على انها مفعول ثان لجعلنا بمعنى صيرنا وقوله تعالى للناس متعلق بمحذوف على انه حال من مفعول جعلنا اى جعلناه حال كونه معبدا للناس سوآء العاكف فيه ﴿ قوله والا ﴾ اى وان يكن للناس حالا من العائد جعل مفعولا ثانيا لجعلناه ويكون جملة سوآء العاكف حالا منه اى من عائد الموصول والوجه فى انتصاب سوآء كونه مفعولا ثانيا او حالا من هاء جعلناه وللناس هو المفعول الثانى وعلى التقديرين فالعاكف مرفوع به على الفاعلية لانه مصدر وصف به وهو فى حكم اسم الفاعل المشتق تقديره جعلناه مستويا فيه العاكف ﴿ قوله ترك مفعوله ﴾ والتقدير ومن يرد فيه مرادا ما عادلا عن القصد ظالما نذقه من عذاب اليم وقوله وقرئ بالفتح اى بفتح الياء اى من اتى فيه بالحاد ظلما على ان الباء للتعدية ﴿ قوله واذكر اذ عيناه وجعلناه له مباءة ﴾ المباءة اسم مكان من باء بمعنى رجع واصل التبوّء جعل المكان مباءة ومقرّا ومعناه ههنا جعله لابراهيم عليه الصلاة والسلام مكان البيت مباءة اى مرجعا يرجع اليه للعبادة والعمارة وعن الزجاج رحمة الله عليه بوّأناه ههنا اى بيناله ههنا مكان البيت ليبنيه ويكون مباءة له ولعقبه يرجعون اليه ويحجونه لانه رفع زمان الطوفان فبينه الله تعالى بان ارسل ريحا جَوْجَاً فكشفت الاساس القديم الا انه لما كان المقصود من التبيين والتعيين ان يتخذه مقرّا ومباءة اتبعه المصنف رحمة الله تعالى عليه قوله وجعلناه له مباءة ولما كان منقولا من باء بمعنى رجع لقصد التعدية كان الظاهر ان يقال واذ بوّأنا ابرهيم بدون اللام واشار المصنف رحمة الله عليه بقوله وجعلناه له مباءة الى ان مكان البيت مفعول به لبوّأنا وان ايراد اللام مبنى على تضمين بوّأنا معنى جعلنا ولم يرض المصنف رحمة الله عليه بقول من قال اللام زآئدة فى المفعول به ومكان البيت ظرف لما تقرّر من ان اللام انما تزاد اذا تقدم

وقيل هو حال من فاعل كفروا وخبر انّ محذوف دل عليه آخر الآية اى معذبون (والمسجد الحرام) عطف على اسم الله واوّله الحنيفة بمكة واستشهدوا بقوله (الذى جعلناه للناس سوآء العاكف فيه والباد) اى المقيم والطارئ على عدم جواز بيع دورها واجارتها وهو مع ضعفه معارض بقوله تعالى الذين اخرجوا من ديارهم وشرآء عمر دار السجن فيهما من غير نكير وسوآء خبر مقدّم والجملة مفعول ثان لجعلناه ان جعل للناس حالا من الهاء والا فحال من المستكنّ فيه ونصبه حفص على انه المفعول او الحال والعاكف مرتفع به وقرئ العاكف بالجرّ على انه بدل من الناس (ومن يرد فيه) مما ترك مفعوله ليتناول كل متناول وقرئ بالفتح من الورود (بالحاد) عدول عن القصد (بظلم) بغير حق وهما حالان مترادفان او الثانى بدل من الاوّل باعادة الجار وصلة له اى ملحدا بسبب الظلم كالاشراك واقتراف الآثام (نذقه من عذاب اليم) جواب لمن (واذ بوّأنا لابراهيم مكان البيت) اى واذكر اذ عيناه وجعلناه له مباءة وقيل اللام زآئدة ومكان ظرف اى واذ انزلناه فيه قيل رفع البيت الى السماء او انطمس ايام الطوفان فأعلمه الله مكانه بريح ارسلها فكنست ما حوله فبناه على اسه القديم

المعمول وكان العامل فرعا وشيء منهما غير متحقق ههنا ولان مكان البيت ظرف فحقه ان يتعدى الفعل اليه بكلمة في * روى ان الكعبة الكريمة بنيت خمس مرات احداها بناء الملائكة اياها قبل آدم وكانت من ياقوتة حمراء ثم رفعت الى السماء ايام الطوفان والثانية بناء ابراهيم عليه الصلاة والسلام روى انه تعالى لما امر ابراهيم ببناء البيت لم يدر اين يبني فارسل الله تعالى اليه السكينة وهي ريح خجوج فتطوقت موضع البيت كالحجفة فكشفت البيت اى ماحول البيت واظهرت الاساس القديم فبناها عليه الصلاة والسلام على اسها القديم والمرة الثالثة بناء قريش في الجاهلية وقد حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا البناء وكان عليه الصلاة والسلام يومئذ رجلا شابا فلما ارادوا ان رفعوا الحجر الاسود اختصموا فيه فارادت كل قبيلة ان تتولى رفعه ثم توافقوا على ان يحكم بينهم اول رجل يخرج من هذه السكة فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اول من خرج فقضى بينهم ان يجعلوه في مرط ثم يرفعه جميع القبائل كلهم فرفعوه ثم ارتقى عليه الصلاة والسلام فرفعوه اليه فوضعه في مكانه وكانوا يدعونه الامين قيل بناء الكعبة قبل المبعث بخمس عشرة سنة والمرة الرابعة بناء عبدالله بن الزبير والخامسة بناء الحجاج وهو البناء الموجود اليوم ﴿قوله من حيث انه تضمن معنى تعبدنا﴾ جواب عما يقال كيف يكون النهي عن الشرك والامر بتطهير البيت تفسيرا لتبوئه وليس فيه معنى القول * وتقرير الجواب ان فيه معنى القول من حيث انه لايقصد الامن اجل العبادة فكأنه قيل تعبدنا ابراهيم قلنا له لاتشرك بي شيأ والتعبد فيه معنى القول لان تعبد الشخص عبارة عن تصييره كالعبد له في التكليف بالامر والنهي فكأنه قيل كلفنا ابراهيم ان لاتشرك بي شيأ الخ ﴿قوله او مصدرية﴾ ولايجوز ان تكون مخففة من الثقيلة لان صلة المخففة لاتكون امرا ولانهيا ولاغيرهما مما فيه معنى الطلب اجماعا وكذا صلة المصدرية على الاشهر واجاز سيبويه رحمة الله عليه ان يكون صلة المصدرية ذلك نحو امرته ان اقرأ وامرته ان قم اى بان قم على معنى بالقيام فالمصدرية التي تنصب المضارع توصل بالفعل الماضي والمضارع والامر والنهي عنده فكلمة ان في الآية الكريمة يجوز ان تكون مصدرية موصولة بالنهي مجرورة المحل بلام علة مقدرة متعلقة بمحذوف والمعنى فعلنا ذلك لئلا تشرك كما كان قولك امرته أن قم بمعنى امرته بان تقوم الا ان الظاهر على هذا الوجه ان يقال ان لايشرك بياء الغيبة وقد قرئ به ووجه قرآءة العامة بالتاء ان يكون الكلام من قبيل الالتفات من الغيبة الى الخطاب فظهر بما ذكرنا انه يجوز ان تكون كلمة ان في الآية مصدرية ناصبة مع كون لاتشرك مجزوما بلا الناهية وكان المعنى بوأنا له مكان البيت وفعلنا ذلك لئلا يجعل لي شريكا في العبادة ﴿قوله ولعله عبر عن الصلاة باركانها﴾ وهي القيام والقرآءة والركوع والسجود واختار ان القائمين هم المصلون لان المصلي لابد ان يكون في صلاته جامعا بين القيام والركوع والسجود وروى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه قال المراد بالقائمين المقيمون بالبيت فيكون المراد بالطائفين من يطوف به وهو آفاقي غير مقيم هنالك ﴿قوله وقرئ آذن﴾ اى بالمد وتخفيف الذال بمعنى اعلم ويبعده قوله في الناس اذ كان ينبغي حينئذ ان يقال آذن الناس بدون في لانه يتعدى بنفسه وذهب اكثر المفسرين الى ان المأمور بالندآء هو ابراهيم عليه الصلاة والسلام وقالوا انه عليه الصلاة والسلام لما فرغ من بناء البيت قال له الله تعالى اذن في الناس بالحج قال يارب ومايبلغ صوتي قال الله تعالى عليك الاذان وعلي البلاغ فصعد ابراهيم عليه الصلاة والسلام على الصفا وفي رواية على جبل ابي قبيس وفي اخرى على المقام فارتفع حتى صار كطول الجبال فادخل اصبعه في اذنيه واقبل بوجهه يمينا وشمالا وشرقا وغربا وقال يأيها الناس الا ان ربكم قد بنى لكم بيتا وكتب عليكم الحج اليه فأجيبوا ربكم وحجوا بيته الحرام ليثيبكم به الجنة ويجيركم من النار فسمعه اهل مابين السماء والارض فمابقي شيء سمع صوته الا اقبل يلبي ويقول لبيك اللهم لبيك فقيل اول من اجابه اهل اليمن فهم اكثر الناس حجا وقال مجاهد رضي الله تعالى عنه من اجاب مرة حج مرة ومن اجاب مرتين حج مرتين او اكثر على وفق ذلك المقدار ﴿قوله تعالى رجالا﴾ نصب على الحال وعلى كل ضامر عطف عليها كأنه قيل رجالا وركبانا والضمر الهزال يقال ضمر يضمر ضمورا وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول * ان للحاج الراكب بكل خطوة تخطوها راحلته سبعين حسنة وللحاج الماشي بكل خطوة يخطوها سبعمائة حسنة من حسنات الحرم * قيل وما حسنات الحرم قال صلى الله عليه وسلم الحسنة بمائة الف حسنة * قال مجاهد رضي الله عنه حج ابراهيم واسمعيل ماشيين وكانا اذا قربا من الحرم خلعا نعالهما

﴿أن لاتشرك بي شيأ وطهر بيتي للطائ
والقائمين والركع السجود﴾ ان مفسرة لبو
من حيث انه تضمن معنى تعبدنا لان التبو
من اجل العبادة او مصدرية موصولة بالنه
اى فعلنا ذلك لئلاتشرك بعبادتي وتطهير بي
من الاوثان والاقذار لمن يطوف به ويصلي ف
ولعله عبر عن الصلاة بأركانها للدلالة على
كل واحد منها مستقل باقتضاء ذلك كيف و
اجتمعت وقرئ يشرك بالياء ﴿وأذن في الناس
ناد فيهم وقرئ آذن ﴿بالحج﴾ بدعوة ا
والامر به روى انه عليه السلام صعد اباقبيس
فقال يأيها الناس حجوا بيت ربكم فأسمعه ا
من في اصلاب الرجال وارحام النساء فيما ب
المشرق والمغرب ممن سبق في علمه ان يحج وقي
الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ا
بذلك في حجة الوداع ﴿يأتوك رجالا﴾ مش
جمع راجل كقائم وقيام وقرئ بضم الر
مخفف الجيم ومثقله ورجالى كعجالى ﴿وع
كل ضامر﴾ اى وركبانا على كل بعير مهزو
اتعبه بعد السفر فهزله

والكاف في يأتوك ضمير ابراهيم عليه الصلاة والسلام فان من اتى الى الكعبة حاجا فانه قد اتى ابراهيم عليه الصلاة والسلام لانه يجيب ندآءه ونون يأتين ضمير كل ضامر لانه في معنى الجمع اذ المعنى على ضوامر من جماعة الابل ﴿قوله او استئناف﴾ عطف على قوله صفة لضامر لما قال اولا واذن في الناس بالحج يأتوك رجالا استانف فقال يأتين من كل فج عميق وقوله تعالى ليشهدوا يجوز ان يتعلق بقوله واذن وان يتعلق بقوله يأتوك رجالا واختلفوا في المنافع فحملها بعضهم على منافع الدنيا وهو ان يتجروا في ايام الحج وحملها بعضهم على منافع الآخرة وهو العفو والمغفرة وبعضهم حملها على الامرين جميعا وهو الاولى ﴿قوله وقيل كنى بالذكر عن النحر﴾ لكون الذكر من لوازم نحر المسلمين وهو معطوف على ماقبله من حيث المعنى فانه اختار ان قوله ويذكروا اسم الله لم يذكر لينتقل منه الى الملزوم وانما ذكر ليدل على ايجاب الذكر عند اعداد الهدايا والضحايا وحمل الذكر على التسمية على الذبائح مع ان غير ذي الحجة يكثر فيها ذكر الله تعالى بالتلبية والتكبير لانه ذكر بعده على مارزقهم من بهيمة الانعام والذكر على الانعام هو التسمية على نحرها قال الحسن رضي الله تعالى عنه وقتادة ومجاهد الايام المعلومات هي ايام العشر من ذي الحجة قيل لها معلومات للحض على علمها بحسابها لكون الحج في آخرها والايام المعدودات هي ايام التشريق وهو اختيار الامام الشافعي رضي الله عنه وابي حنيفة وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في رواية عنه ان الايام المعلومات هي ايام الحج وهي يوم عرفة ويوم النحر وايام التشريق وقيل هي ايام النحر وهو قول ابي يوسف ومحمد رضي الله عنهما تصريحا بما ذكر بعده وهو قوله تعالى على مارزقهم من بهيمة الانعام والذكر على الانعام يدل على التسمية على الذبائح والجواب عن هذا لمن قال بالاوّل ان اليوم العاشر منها من ايام النحر وهو افضلها وكلمة في لمطلق الظرفية فلا تقتضي الاستغراق والبهيمة اسم لكل ذات اربع في البرّ والبحر فبهيمة الانعام هي الابل والبقر والضأن والمعز لان الهدي والذبيحة لايكونان من غيرها ﴿قوله وازاحة لما عليه اهل الجاهلية﴾ فانهم ما كانوا يأكلون من ذبائحهم ترفعا على الفقرآء فأعلم الله تعالى ان ذلك جائز ان شاء اكل وان شاء لم يأكل وقيل امر ندب لما فيه من مخالفة الكفار ومواساة الفقرآء واستعمال التواضع والبائس هو الذي اصابه بؤس اي شدّة والفقير الذي اضعفه الاعسار وهو مأخوذ من فقار الظهر وقيل البائس الشديد الفقر والفقير المحتاج الذي ليس له غنى وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما البائس الذي ظهر بأسه في ثيابه وفي وجهه والفقير الذي لايكون كذلك بل تكون ثيابه نقية ووجهه وجه غني واتفق العلماء على ان الهدي ان كان تطوّعا كان للمهدي ان يأكل منه وكذلك اضحية التطوّع لما روي انه عليه الصلاة والسلام ساق في حجة الوداع مائة بدنة فنحر منها ثلاثا وستين بدنة بنفسه ونحر عليّ رضي الله عنه مابقي ثم امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يؤخذ بضعة من كل بدنة فتجعل في قدر ففعل ذلك وطبخت فأكل من لحمها وحسا مرقها وكان هدي تطوّع واختلفوا في الهدي الواجب مثل دم التمتع والقران والنذور والكفارات والدماء الواقعة جبرا للنقصان والذي وجب بافساد الحج وفواته وجزآء الصيد هل يجوز للمهدي ان يأكل شيأ منها فذهب قوم الى انه لايجوز للمهدي ان يأكل شيأ منها ومنهم الامام الشافعي رحمة الله عليه وذهب الائمة الحنفية الى ان يأكل من دم التمتع والقران لكونهما دم الشكر لادم الجناية ولايأكل من واجب سواهما ﴿قوله ثم ليزيلوا وسخهم﴾ يريد ان التفث هو الوسخ يقال للرجل ماتفثك وماادرنك اي ما اوسخك وان قضاءه ازالته واذهابه فان الحاج اشعث اغبر وكل مايستقذر من الشعث من طول الشعر والظفر ونحوهما تفث فيزيل جميع ذلك عند مبدأ الاحلال والخروج من الاحرام فيحلق رأسه ويقص شاربه ويقلم اظفاره وينتف ابطه ويحلق عانته ويدهن رأسه والمراد بنذورهم ماينذرونه من اعمال البرّ في الحج فانه اذا حجّ او اعتمر فقد اوجب على نفسه من الهدي وغيره مالولا ايجابه لم يكن الحج يقتضيه وقيل المراد بها ما اوجبه الدخول في الاحرام من انواع المناسك التي تجب بالدخول في الحج وسميت نذورا تشبيها للايجاب بطريق الفعل بالايجاب قولا وان كان على الرجل نذور مطلقة فالافضل ان يتصدّق بها على اهل مكة ﴿قوله طواف الركن﴾ اعلم ان طواف الحج ثلاثة الاوّل طواف القدوم وهو انّ من قدم مكة يطوف بالبيت سبعا يرمل ثلاثا من الحجر الاسود الى ان ينتهي اليه ويمشي اربعا وهذا الطواف سنة لاشئ على تاركه والثاني طواف الافاضة يوم النحر بعد الرمي والحلق ويسمى ايضا طواف الزيارة وهو ركن لايحصل التحلل من الاحرام مالم يأت به وعن عائشة رضي الله عنها

(يأتين) صفة لضامر محمولة على معناه او استئناف فيكون الضمير للناس وقرئ يأتون صفة للرجال والركبان (من كل فج) طريق (عميق) بعيد وقرئ معيق يقال بئر بعيد العمق والمعق بمعنى (ليشهدوا) ليحضروا (منافع لهم) دينية ودنيوية وتنكيرها لان المراد بها نوع من المنافع مخصوص بهذه العبادة (ويذكروا اسم الله) عند اعداد الهدايا والضحايا وذبحها وقيل كنى بالذكر عن النحر لان ذبح المسلمين لاينفك عنه تنبيها على انه المقصود مما يتقرب به الى الله (في ايام معلومات) هي عشر ذي الحجة وقيل ايام النحر (على مارزقهم من بهيمة الانعام) علق الفعل بالمرزوق وبينه بالبهيمة تحريضا على التقرّب وتنبيها على مقتضى الذكر (فكلوا منها) من لحومها امر بذلك اباحة وازاحة لما عليه اهل الجاهلية من التحرّج فيه او ندبا الى مواساة الفقرآء ومساواتهم وهذا في المتطوّع به دون الواجب (وأطعموا البائس) الذي اصابه بؤس اي شدّة (الفقير) المحتاج والامر فيه للوجوب وقد قيل به في الاوّل (ثم ليقضوا تفثهم) ثم ليزيلوا وسخهم بقص الشارب والاظفار ونتف الابط والاستحداد عند الاحلال (وليوفوا نذورهم) ماينذرون من البرّ في حجهم وقيل مواجب الحج وقرأ ابوبكر بفتح الواو وتشديد الفاء (وليطوّفوا) طواف الركن الذي به تمام التحلل فانه قرينة قضاء التفث وقيل طواف الوداع (بالبيت العتيق) القديم لانه اوّل بيت وضع للناس او المعتق من تسلط الجبابرة فكم من جبار سار اليه ليهدمه فمنعه الله واما الحجاج فانما قصد اخراج ابن الزبير منه دون التسلط عليه

(قالت)

قالت حاضت حفصة يوم النفر فقالت ماارانى الا حابستكم فاخبر صلى الله عليه وسلم بذلك فقال *أطافت يوم النحر *قيل نعم فقال *فانفروا *فثبت بهذا انها ان لم تطف يوم النحر طواف الافاضة فلا يجوز لها ان تنفر والطواف الثالث لارخصة لمن اراد مفارقة مكة الى مسافة القصر فى ان يفارقها حتى يطوف بالبيت سبعا فمن تركه فعليه دم الا المرأة الحائضة فانه يجوز لها ترك طواف الوداع ثم ان الرمل يختص بطواف القدوم ولا رمل فى طواف الافاضة والوداع **قوله اى الامر ذلك** اى الذى ذكر من قوله تعالى واذبوّأنا لابراهيم مكان البيت الى قوله تعالى وليطوّفوا بالبيت العتيق فان هذه الآيات مشتملة على الاحكام المأمور بها والمنهى عنها **قوله احكامه** اى احكام الله تعالى المتعلقة بافعال المكلفين بالايجاب والتحريم ونحوهما وسائر ما لايحل هتكه من نحو البيت الحرام والمسجد الحرام ونفس الحرم والاحرام والهتك خرق الستر عما وراءه والحرمة بهذا المعنى تم جميع مالايحل هتكه وقد تخص بالحرم وجميع التكاليف المتعلقة بالحج وقد تخص بالحرمات الخمس التى من جملتها الحرم حتى يحل والحرمة بهذا المعنى وان كانت اخص من الحرمة بالمعنى الاوّل الا انها اعم من الحرمة بالمعنى الثالث وهو ماليس من قبيل التكاليف المذكورة **قوله عند ربه** يدل على الثواب المؤخر لانه لايقال عند ربه فيما حصل من الخيرات **قوله الا المتلوّ عليكم تحريمه** اشارة الى ان ما موصولة وان ما يسند اليه يتلى محذوف وان الاستثناء متصل لكون المستثنى منه عبارة عما حرّم من الانعام ولا شك فى دخوله فى المستثنى منه قبل الاستثناء قال الله تعالى فى سورة المائدة حرّمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما اكل السبع الا ما ذكيتم وما ذبح على النصب وان تستقسموا بالازلام وقال تعالى فى اوّلها احلت لكم بهيمة الانعام الا ما يتلى عليكم غير محلى الصيد وانتم حرم ولما جاز ان يذهب الوهم الى ان الاحرام اذا حرّم الصيد المباح قتله فانه يحرّم الانعام ايضا بين الله تعالى ان الاحرام لايحرّم الانعام فهى محللة للمحرم كما تحل لغيره ثم استثنى منه ما حرم لعارض وفرّع الامر باجتناب الاوثان وقول الزور على قوله تعالى ومن يعظم حرمات الله مع كون الاجتناب عنهما داخلا فى تعظيم حرماته للتنبيه على ان التوحيد وصدق القول من اعظم الحرمات وجمع الشرك وقول الزور فى سلك واحد لان الشرك من باب الزور بل هو رأس الزور فان المشرك يزعم ان الوثن يحق له العبادة وكان اهل الجاهلية يقولون فى تلبيتهم لبيك لاشريك لك الا شريكا لك تملكه وما ملكه فكأنه قيل فاجتنبوا عبادة الاوثان التى هى رأس الزور واجتنبوا قول الزور كله ولا تقربوا شيأ منه فما ظنك بشئ من قبيل عبادة الاوثان واشار المصنف رحمه الله تعالى عليه الى وجه ارتباط قوله تعالى واحلت لكم الانعام وقوله فاجتنبوا الى قول الزور بقوله كأنه لما حث على تعظيم الحرمات اتبعه قوله واحلت لكم الانعام ردّا لما كانت الكفرة عليه من تحريم البحائر والسوائب واتبعه بقوله ايضا فاجتنبوا الرجس من الاوثان واتبعه بقوله تعالى واجتنبوا قول الزور ردّا لافترائهم على الله تعالى بانه حكم بذلك **قوله وقيل شهادة الزور** عطف على قوله تعميم بعد تخصيص فانه يدل على ان المراد بالقول الزور مايعم كل قول منحرف مصروف عن الواقع سواء كان من قبيل الشهادة اولا روى انه صلى الله عليه وسلم صلى الصبح فلما سلم قام قائما واستقبل بوجهه الكريم وقال الزور الاشراك بالله ثلاث مرات وتلا صلى الله عليه وسلم هذه الآية **قوله تطوّح به** اى جعله تائها يرمى به ههنا وههنا *الجوهرى طوّحه اى توهه وذهب به ههنا وههنا وتطوّح فى البلاد اى رمى بنفسه ههنا وههنا **قوله ويجوز ان يكون من التشبيهات** عطف على ماقبله من حيث المعنى فان معنى ماذكره اوّلا يدل على انه من قبيل التشبيه المفرق حيث اشار الى ان كل واحد من طرفى المشبه والمشبه به امور متعددة شبه كل واحد مما فى طرف المشبه بكل واحد مما فى طرف المشبه به فالذى فى طرف المشبه هو الايمان والشرك والاهواء والشيطان والذى فى طرف المشبه به السماء والساقط من السماء والطير المختطفة والريح شبه الايمان فى علوّه بالسماء وشبه المشرك المتمكن من الايمان والقادر عليه بفطرته الاصلية بالذى صعد الى السماء وسقط منها وشبه الاهواء التى فوق افكاره بالطير المختطفة وشبه الشيطان الذى توّهه فى اودية الضلالة بالريح التى تهوى بما عصفت به فى بعض المهاوى المتلفة ثم جوّز ان يكون من التشبيهات المركبة ومعنى كون التشبيه مركبا ان يقصد الى عدة اشياء مختلفة فينتزع منها هيئة منتزعة ويجعلها مشبها او مشبها به ولهذا صرّح صاحب المفتاح فى تشبيه المركب بالمركب بان كلا من المشبه والمشبه به هيئة منتزعة فما فى الآية

(ذلك) خبر محذوف اى الامر ذلك وه[...]
وامثاله يطلق للفصل بين كلامين (ومن
يعظم حرمات الله) احكامه وسائر ما لايحل
هتكه او الحرم وما يتعلق بالحج من التكاليف
وقيل الكعبة والمسجد الحرام والبلد الحرا[م]
والشهر الحرام والمحرم (فهو خير له)
فالتعظيم خير له (عند ربه) ثوابا (واحلت
لكم الانعام الا ما يتلى عليكم) الا المتلو
عليكم تحريمه وهو ما حرّم منها لعارض
كالميتة وما اهل به لغير الله فلا تحرّموا منه[ا]
غير ما حرّمه الله كالبحيرة والسائبة (فاجتنبو[ا]
الرجس من الاوثان) فاجتنبوا الرجس
الذى هو الاوثان كما تجتنب الانجاس
وهو غاية المبالغة فى النهى عن تعظيم[ها]
والتنفير عن عبادتها (واجتنبوا قول
الزور) تعميم بعد تخصيص فان عبادة الاوثان
رأس الزور كأنه لما حث على تعظيم الحرمات
أتبعه ذلك ردّا لما كانت الكفرة عليه من تحريم
البحائر والسوائب وتعظيم الاوثان والافتر[اء]
على الله بانه حكم بذلك وقيل شهادة الزور
لما روى انه عليه السلام قال عدلت شهادة
الزور الاشراك بالله ثلاثا وتلا هذه الآية
والزور من الزور وهو الانحراف كما ان الافك
من الافك وهو الصرف فان الكذب منحرف
مصروف عن الواقع (حنفاء لله) مخلصين له
(غير مشركين به) وهما حالان من الواو
(ومن يشرك بالله فكأنما خرّ من السماء)
لانه سقط من أوج الايمان الى حضيض الكفر
(فتخطفه الطير) فان الاهواء المردية
توزع افكاره وقرأ نافع بفتح الخاء وتشديد
الطاء (او تهوى به الريح فى مكان سحيق)
بعيد فان الشيطان قد طوّح به فى الضلال
وأو للتخيير كما فى قوله او كصيب او التنويع
فان من المشركين من لا خلاص له اصلا ومنهم
من يمكن خلاصه بالتوبة ولكن على بعد
ويجوز ان يكون من التشبيهات المركبة
فيكون المعنى ومن يشرك بالله فقد هلكت
نفسه هلاكا يشبه احد الهلاكين

ان كان من قبيل التشبيه المركب بان جعل المشبه المشرك بالله تعالى والمشبه به من خرّ من السماء فعند ذلك اختطفته الطير وعصفت به الريح فى مكان سحيق فكلا طرفى التشبيه مركب اما المشبه به فظاهر واما المشبه فلأن المشرك من ترك الايمان بالله تعالى واشرك به* فان قلت ينبغى ان تكون السماء والطير والريح استعارة للاكتفاء فيها بذكر المشبه به *قلت قد دخلت اداة التشبيه فى مجموع قوله خرّ من السماء والاستعارة انما تكون اذا كان الكلام خاليا عن اداة التشبيه ﴿قوله تعالى ذلك ومن يعظم شعائر الله﴾ اى الامر والشان ماذكر من ان تعظيم حرمات الله تعالى خير وان الاجتناب عماذكر من الاشراك وقول الزور امر حتم لامحيص عنه واعراب ذلك هنا كاعراب ذلك المتقدم والشعائر جمع شعيرة وهى العلامة من الاشعار وهو الاعلام والشعور العلم واختلف فى شعائر الله قال بعضهم يدخل فيه كل عبادة يتقرب بها الى الله تعالى كصيام ودعاء وذبيحة وطواف ورمى لان كل ذلك من اعلام دينه تعالى ويؤيد هذا القول قوله تعالى ان الصفا والمروة من شعائر الله بمن التبعيضية وقيل المراد به العبادة المتعلقة بالحج ومواضع نسكه فان كل ذلك اعلام الحج وقيل المراد به الهدى خاصة وتسمى البدن شعيرة من حيث انها تشعر بان تطعن فى سنامها من الجانب الايمن والا يسر حتى يسيل الدم فيعلم انها هدى فلا يتعرض لها احد فهى من جملة معالم الحج بل من اظهرها واشهرها علامة وهذا القول اوفق لظاهر قوله تعالى لكم فيها منافع الى اجل مسمى ثم محلها الى البيت العتيق فان ظاهره يدل على ان للمهدى ان ينتفع بهديه الى وقت النحر بان يركبها اذا احتاج اليها ويشرب لبنها ويأخذ وبرها وان امكن ان يكون المعنى لكم فيها منافع الى اجل ينقطع التكليف عنده والبرة الحلقة التى تكون فى انف البعير والنجيبة الناقة الكريمة *روى ان عمر رضى الله عنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبيع تلك النجيبة ويشترى بثمنها بدنة فنهاه عن ذلك فقال بل اهدها وكان ابن عمر يسوق البدنة مجللة بالقباطى اى بالثياب القبطية وهى ثياب بيض رقاق من كتان تجلب من مصر فيتصدق بجلالها والقبط اهل مصر ﴿قوله فحذفت هذه المضافات والعائد الى من﴾ هذه العبارة تقتضى ان يكون التقدير فان تعظيمها منه من افعال ذوى تقوى القلوب بزيادة كلمة منه ولم اجد تلك فيما عندى من النسخ ولعلها سقطت من الناسخين اذلابدّ منها بناء على ان الجملة الجزائية لابدّ من اشتمالها على مايربطها باسم الشرط وقيل عموم ذوى تقوى القلوب يغنى غناء الضمير فهو المراد بقوله والعائد الى من غاية مافى الباب انه تعرّض لحذفه بهذه العبارة مع دخوله فى جملة المضافات المحذوفة للتنبيه على انه احتاج الى تقديره لفائدتين احداهما فائدة الربط والاخرى فائدة تعيين اصحاب الافعال فان المقام يقتضى تقدير كل واحد من المضافات المقدرة مع قطع النظر عن فائدة الربط اما الحاجة الى تقدير التعظيم المضاف الى ضمير الشعائر فلأن المقصود من ايجاد الجملة الشرطية الحث على تعظيم الشعائر والتحريض عليه واما الحاجة الى تقدير المضافين الاخيرين فلأن المعنى ان تعظيمها بعض افعال ذوى التقوى فان التقوى فى عرف الشرع عبارة عن التوقى عن كل مايؤثم من ارتكاب المحرّمات وترك الواجبات ولم يتوق عن شئ منها لايكون متقيا عرفا ضرورة ان الكل ينتفى بانتفاء الجزء اى جزء كان وليس المعنى ان تعظيمها صادر وناشئ من تقوى القلوب حتى يرد مايقال وماذكر من تقدير المضافات انما يحتاج اليه على تقدير ان تحمل كلمة من على التبعيض فانها ان جعلت للابتداء لم يحتج الى تقدير الالفاظ المذكورة اذ المعنى فان تعظيمها ناشئ من تقوى القلوب اى من تقوى قلوبهم على ان اللام بدل من المضاف اليه على ماذهب اليه الكوفيون فلما كان الالف واللام بدلا من الضمير حصل الربط وتم المعنى ﴿قوله لكم فيها﴾ اى فى الشعائر التى هى الهدايا المشعرة لتعرف انها هدى منافع دنيوية الى ان تنحر عند الامام الشافعى رحمه الله تعالى عليه فانه جوّز للمهدى ان ينتفع بلبن الهدى وصوفه ووبره وركوب ظهره الى ان ينحره وذهب اكثر المفسرين الى ان المهدى انما يجوز له ذلك قبل ان يسميها هديا ويقلدها فاذا سماها هديا انقطعت المنافع بعد ذلك وهو قوله تعالى الى اجل مسمى فان المهدى لو ملك منافع الهدى لجوّز له ان يؤجرها للركوب وليس له ذلك اتفاقا وفيه ان مولى ام الولد يملك الانتفاع بها وليس له ان يبيعها فلم لايجوز ان يكون الهدى كذلك لايملك المهدى بيعه واجارته ويملك ان ينتفع به ﴿قوله ثم وقت نحرها منتهية الى البيت﴾ اشارة الى ان المحل اسم زمان بتقدير المضاف بمعنى وقت نحرها اى وقت حلول نحرها ووجوبه لان المحل مشتق من حل الدين اذا وجب ومحلها معطوف على قوله منافع والى ان قوله تعالى الى البيت حال من ضمير فيها والعامل فى الحال الاستقرار الذى تعلق به كلمة فى

(ذلك ومن يعظم شعائر الله) دين الله اوفرآئض الحج ومواضع نسكه اوالهدايا لانها من معالم الحج وهو اوفق لظاهر مابعده وتعظيمها ان يختار حسانا سمانا غالية الاثمان روى انه عليه الصلاة والسلام اهدى مائة بدنة فيها جمل لابى جهل فى انفه برة من ذهب وان عمر رضى الله عنه اهدى نجيبة طلبت منه بثلاثمائة دينا (فانها من تقوى القلوب) فان تعظيمها من افعال ذوى تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات والعائد الى من وذكر القلوب لانها منشأ التقوى والفجور والآمرة بهما (لكم فيها منافع الى اجل مسمى ثم محلها الى البيت العتيق) اى لكم فيها منافع درّها ونسلها وصوفها وظهرها الى ان تنحر ثم وقت نحرها منتهية الى البيت اى مايليه من الحرم

(اولمعنى)

وثم يحتمل التراخي في الوقت والتراخي في الرتبة اى لكم فيهامنافع دنيوية الى وقت النحر وبعده منافع دينية اعظم منها وهو على الاوّلين اما متصل بحديث الانعام والضمير فيه لها او المراد على الاوّل لكم فيها منافع دينية تنتفعون بها الى اجل مسمى هو الموت ثم محلها منتهية الى البيت العتيق الذى ترفع اليه الاعمال اويكون فيه ثوابها وهو البيت المعمور او الجنة وعلى الثانى لكم فيها منافع التجارات في الاسواق الى وقت المراجعة ثم وقت الخروج منها منتهية الى الكعبة بالاحلال بطواف الزيارة ﴿ ولكل امّة ﴾ ولكل اهل دين ﴿ جعلنا منسكا ﴾ متعبدا اوقربانا يتقرّبون به الى الله وقرأ حمزة والكسائى بالكسر اى موضع نسك ﴿ ليذكروا اسم الله ﴾ دون غيره ويجعلوا انسيكتهم لوجهه علل الجعل به تنبيها على ان المقصود من المناسك تذكر المعبود ﴿ على مارزقهم من بهيمة الانعام ﴾ عند ذبحها وفيه تنبيه على ان القربان يجب ان يكون نعما ﴿ فالٰهكم اله واحد فله اسلموا ﴾ اخلصوا التقرّب او الذكر ولا تشوبوه بالاشراك ﴿ وبشر المخبتين ﴾ المتواضعين او المخلصين فان الاخبات صفتهم ﴿ الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم ﴾ هيبة منه لاشراق اشعة جلاله عليها ﴿ والصابرين على ما اصابهم ﴾ من الكلف والمصائب ﴿ والمقيمى الصلاة ﴾ في اوقاتها وقرئ المقيمين الصلاة على الاصل ﴿ ومما رزقناهم ينفقون ﴾ في وجوه الخير ﴿ والبدن ﴾ جمع بدنة كخشب وخشبة واصله الضم وقد قرئ به وانما سميت بها الابل لعظم بدنها مأخوذة من بدن بدانة ولا يلزم من مشاركة البقرة لها في اجزآئها عن سبعة بقوله عليه الصلاة والسلام البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة تناول اسم البدنة لها شرعا بل الحديث يمنع ذلك وانتصابه بفعل يفسره ﴿ جعلناها لكم ﴾ ومن رفع جعله مبتدأ ﴿ من شعائر الله ﴾ من اعلام دينه التى شرعها الله ﴿ لكم فيها خير ﴾ منافع دينية ودنيوية ﴿ فاذكروا اسم الله عليها ﴾ بان تقولوا عند ذبحها الله اكبر لا اله الا الله والله اكبر اللهم منك واليك ﴿ صواف ﴾ قائمات قد صففن ايديهنّ وارجلهنّ وقرئ صوافن من صفن الفرس اذا قام على ثلاث وطرف سنبك الرابعة لان البدنة تعقل احدى يديها وتقوم على ثلاث وصوافيا بابدال التنوين من حرف الاطلاق عند الوقف وصوافى اى خوالص لوجه الله وصواف على لغة من يسكن الياء مطلقا كقولهم أعط القوس باريها ﴿ فاذا وجبت جنوبها ﴾ سقطت على الارض وهو كناية عن الموت

والمعنى ثم بعد تلك المنافع هذه المنفعة العظمى وهى وقت نحرها حال كونها منتهية الى البيت العتيق اى الى الحرم الذى في حكم البيت فان المراد به الحرم كله كما في قوله تعالى فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا اذ الحرم في حكم البيت كله فان البيت وما حوله من مكة تنزه عن اراقة دم الهدايا وجعل منى منحرا ولا شك ان الفائدة التى هى اعظم المنافع الدينية في الشعائر هى نحرها خالصا لله تعالى وجعل وقت وجوب نحرها فائدة عظيمة مبالغة في ذلك فان وقت الفعل اذا كان فائدته جليلة فما ظنك بنفس الفعل ﴿ **قوله** وهو على الاوّلين ﴾ اى قوله تعالى لكم فيها منافع الآية على ان يكون المراد بشعائر الله جميع مايتقرّب به الى الله تعالى من معالم الدين وعلى ان يراد به فرآئض الحج ومواضع النسك المعلمة بعلامات يستدل بها على الاعمال الواقعة فيها ﴿ **قوله** متعبدا اوقربانا ﴾ مصدر ان بمعنى التعبد والتقرّب اى جعلنا لكل امر امّة نوعا اى ضربا من التعبد والتقرّب والمراد به اراقة الدماء لوجه الله تعالى والمعنى شرعنا لكل امّة مؤمنة ان ينسكوا لله تعالى يقال نسك ينسك نسكا ونسوكا ومنسكة ومنسكا بفتح السين اذا ذبح القربان وقرئ بكسر السين وهما لغتان في المصدر والفتح اكثر فيه ويجوز ان يكون بالكسر موضع النسك اووقته ﴿ **قوله** وفيه تنبيه ﴾ اى وفى تبيين البهيمة باضافتها الى الانعام تنبيه على ان البهائم التى ليست من الانعام كالخيل والبغال والحمير لايجوز ذبحها في القرابين ﴿ **قوله** فان الاخبات صفتهم ﴾ علة لتفسير المخبتين باحد التفسيرين يعنى ان الخبت هو الموضع المطمئن من الارض وحقيقة المخبت من صار في خبت من الارض تقول اخبت الرجل اذا صار في الخبت ولما كان الاخبات من لوازم التواضع والاخلاص صح ان يجعل كناية عنهما ﴿ **قوله** وقرئ المقيمين الصلاة ﴾ باثبات النون ونصب الصلاة على الاصل فان الاصل في جمع اسماء الفاعلين ثبوت النون ونصب مفعولها وسقوط النون حال اضافتها الى مفعولها لايثار الخفة الا ان قرآءة العامّة اسقاط نون المقيمين باضافتها اليها وقرئ بحذف النون ونصب الصلاة بجعل النون مقدرة وكون حذفها لمجرد التخفيف ودفع الثقل الحاصل بسبب طول الصلة وجر لفظ الصلاة مع الموصول لا لموجب من اضافة ونحوها كما حذفها الشاعر في قوله

الحافظوا عذرة العشير فلا ❁ يأتيهم من ورآئهم نطف

اى تلطيخ عيب والعامّة على نصب البدن على الاشتغال ورجح النصب لتقدم جملة فعلية على جملة الاشتغال وتسكين الدال وقرئ بضمها ايضا واختار المصنف رحمه الله تعالى عليه ان الضم هو الاصل وان التسكين تخفيف من المضموم ويحتمل ان يكون السكون ايضا اصلا على ان يكون البدن جمع بادن كباذل والبدنة اسم يقع على الابل والبقر عند ابى حنيفة واصحابه رضى الله عنهم لاشتمالها على البدانة وقيل البدنة في اللغة اسم للابل خاصة وانما صارت في الشريعة متناولة للابل والبقر لانه عليه الصلاة والسلام ألحق البقر بالابل في الاجزآء عن سبعة فلما اخذت البقر حكم الابل اطلق اسم البدنة عليها في الشريعة لا لكون اللفظ حقيقة لغوية في كل واحد من الجنسين والمصنف رحمه الله تعالى جعل قوله عليه الصلاة والسلام البدنة عن سبعة دليلا على ان اسم البدنة مختص بالابل ويدل عليه الآية ايضا وقوله تعالى فاذا وجبت جنوبها فان هذا الوصف مختص بالابل لان البقر يضجع ويذبح كالغنم والتى تنحر قائمة هى الابل ﴿ **قوله** ومن رفع ﴾ اى وقرئ البدن مرفوعا على الابتدآء فتكون الجملة التى بعدها في محل الرفع على الخبرية وقوله تعالى من شعائر الله في محل النصب على انه مفعول ثان للجعل بمعنى التصيير واضيف الشعائر الى اسم الله تعالى تعظيما لها كبيت الله وقوله تعالى لكم فيها خير حال من مفعول جعلناها ﴿ **قوله** اللهم منك واليك ﴾ اى عطاء منك وتقرّب بها اليك وقوله تعالى فاذكروا اسم الله عليها قيل فيه حذف اى اذكروا اسم الله على نحرها وذبحها ﴿ **قوله** قائمات ﴾ يعنى ان قوله صواف كناية عن كونها قائمات لان قيام الابل يستلزم ان تصف ايديها وارجلها ﴿ **قوله** وقرئ صوافن ﴾ الصوافن انما يستعمل في الخيل لقوله تعالى الصافنات الجياد فيكون استعمالها في الابل استعارة ﴿ **قوله** وصوافيا ﴾ بالتنوين اصله صوافيا بالالف فلما وقفت عليه قلت صوافيا وقد تحذف تلك الالف ويعوّض عنها التنوين كما في قوله * اقلّى اللوم عاذل والعتابنْ * اصله والعتابا وهذا التنوين يسمى تنوين الترنم وصواف بالكسر والتنوين اصله صوافى فاسكنت الياء على لغة من يسكن الياء مطلقا ثم حذفت اكتفاء بالكسرة مع ثقل الجمع ثم عوّض التنوين عنها كما في جوار رفعا وجرّا ﴿ **قوله** سقطت على الارض ﴾ يقال وجب الحائط يجب وجبة اذا سقط والمعنى اذا ماتت حل لكم الاكل منها والاطعام وقدم

(فكلوا منها وأطعموا القانع) الراضي بما عنده وبما يعطى من غير مسألة ويؤيده انه قرئ القنع او السائل من قنعت اليه قنوعا اذا خضعت له في السؤال (والمعترّ) المعترض بالسؤال وقرئ والمعتري يقال عرّه وعراه واعترّه واعتراه (كذلك) مثل ما وصفنا

من نحرها قياما (سخرناها لكم) مع عظمها وقوّتها حتى تأخذونها منقادة فتعقلونها وتحبسونها صافة قوآئمها ثم تطعنون في لبّاتها (لعلكم تشكرون) انعامنا عليكم بالتقرّب والاخلاص (لن ينال الله) لن يصيب رضاه ولن يقع منه موقع القبول (لحومها) اي المتصدّق بها (ولا دماؤها) المهراقة بالنحر من حيث انها لحوم ودماء (ولكن يناله التقوى منكم) ولكن يصيبه ما يصحبه من تقوى قلوبكم التي تدعوكم الى تعظيم امر الله والتقرّب اليه والاخلاص له وقيل كان اهل الجاهلية اذا ذبحوا القرابين لطخوا الكعبة بدمائها قربة الى الله فهمّ به المسلمون فنزلت (كذلك سخرها لكم) كرّره تذكيرا للنعمة وتعليلا له بقوله (لتكبروا الله) اي لتعرفوا عظمته باقتداره على ما لا يقدر عليه غيره فتوحدوه بالكبرياء وقيل هو التكبير عند الاحلال او الذبح (على ما هداكم) ارشدكم الى طريق تسخيرها وكيفية التقرّب بها وما يحتمل المصدرية والخبرية وعلى متعلقة بتكبروا لتضمنه معنى الشكر (وبشر المحسنين) المخلصين فيما يأتونه ويذرونه (ان الله يدفع عن الذين آمنوا) غائلة المشركين وقرأ نافع وابن عامر والكوفيون يدافع اي يبالغ في الدفع مبالغة من يغالب فيه (ان الله لا يحب كل خوّان) في امانة الله (كفور) لنعمته كمن يتقرّب الى الاصنام بذبيحته فلا يرتضي فعلهم ولا ينصرهم (اذن) رخص وقرأ ابن كثير وابن عامر وحمزة والكسائي على البناء للفاعل وهو الله (للذين يقاتلون) المشركين والمأذون فيه وهو القتال محذوف لدلالته عليه وقرأ نافع وابن عامر وحفص بفتح التاء اي للذين يقاتلهم المشركون (بانهم ظلموا) بسبب انهم ظلموا وهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان المشركون يؤذونهم وكانوا يأتونه من بين مضروب ومشجوج يتظلمون اليه فيقول لهم اصبروا فاني لم اومر بالقتال حتى هاجر فانزلت وهي اوّل آية نزلت في القتال بعد ما نهي عنه في نيف وسبعين آية (وان الله على نصرهم لقدير) وعدلهم بالنصر كما وعد بدفع اذى الكفار عنهم (الذين اخرجوا من ديارهم) يعني مكة (بغير حق) بغير موجب استحقوا به (الا ان يقولوا ربنا الله) على طريقة قول النابغة

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب * وقيل منقطع

ان هذه التوسعة تختص بهدى التطوّع والشكر دون الجناية والكفارة والقانع الذي يقنع بما تيسر ويجلس في بيته ولا يسأل من القناعة والمعترّ الذي يعتريك ويسألك وقيل كلاهما الذي لا يسأل والقانع الذي يرضى بما عنده من الشيء اليسير ولا يسأل والمعترّ الذي يتعرّض لك او يأتيك بالسلام ويريك وجهه ولا يسألك ﴿قوله او السائل﴾ عطف على قوله الراضي بما عنده وروى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه قال القانع السائل الذي يسأل ومصدره قنوع من باب فتح قال الشاعر

العبد حرّ ان قنع * والحرّ عبد ان قنع
فاقنع ولا تقنع فما * شيء يشين سوى الطمع

﴿قوله قرئ القنع﴾ اي بغير الالف قال صاحب الكشاف عفا الله تعالى عنه القنع هو الراضي لا غير يعني ان القنع هو الراضي بما عنده من القناعة لا من القنوع بخلاف القانع فانه مشترك بين المعنيين والكاف في قوله تعالى كذلك صفة مصدر محذوف اي سخرناها لكم مع عظمها وقدرتها وقوّتها تسخيرا مثل ما وصفنا من حالها وقت النحر من كونها صواف او صوافنا بمعنى منّ الله تعالى على عباده بذلك التسخير وطلب الشكر منهم عليه حيث قال لعلكم تشكرون ثم لما بين الله تعالى ان البدن المشعرة والمقلدة من جملة شعائر الدين وامر بذكر اسم الله تعالى على نحرها صواف وبالاكل منها واطعامها بين ان المعتبر في نحرها ليس مجرّد اراقة دمائها واطعام لحومها بل المعتبر ما يصحب ذلك من التقوى التي تدعو الى تعظيم الله تعالى والتقرّب اليه والاخلاص له فقد قال تعالى لن ينال الله لحومها ولا دماؤها الآية وهذا وجه انتظام الآية بما قبلها وقيل في وجه انتظامها كان اهل الجاهلية الخ ﴿قوله وقيل هو التكبير الخ﴾ وقيل المراد بالتكبير ههنا الشكر على ما انعم الله تعالى عليهم من الهداية لدينه ومعالم حجه ونسكه والمعنى لتشكروا الله بان تكبروا وتهللوا عند الاحلال او الذبح فاختصر الكلام بان ضمن التكبير معنى الشكر وعدّى تعدّيه بعلى وختم الله تعالى افعال الحج بقوله وبشر المحسنين وهم الذين يعبدون الله تعالى كانهم يرونه ويبتغون بذلك فضله ورضوانه لا يحملهم على ما يأتونه ويذرونه الا هذا الابتغاء وامارة ذلك ان لا يستثقل ولا يتبرّم بشيء مما فعله او تركه والمقصود منه الحث والتحريض على استصحاب معنى الاحسان في جميع افعال الحج ونحوه ﴿قوله تعالى ان الله يدفع عن الذين آمنوا﴾ متصل بقوله ان الذين كفروا ويصدّون عن سبيل الله والمسجد الحرام لما اوعد الكفرة الذين يصدّون عن الجهاد والهجرة والمسجد الحرام وفرّع عليه بيان اعمال الحج ومناسكه وما فيه من منافع الدنيا والآخرة انتقل ايضا الى ذكر حال المؤمنين مع الكفرة الذين يصدّونهم عن طاعة الله تعالى فقال وبشر المؤمنين باعلائهم على الكفرة واخبرانه يدفع عنهم غائلة المشركين وعلل ذلك بان الكفار خوّانون في امانة الله تعالى حيث اهلكوا انفسهم بانهم كفروا بالله ورسوله فاي خيانة الله اعظم منه فان ذكر غير اسم الله تعالى والتقرّب الى الاصنام بذبيحة لا يكون الا كفرا للنعمة فكيف ينصرهم او يتركهم على ما كانوا عليه من اذى المؤمنين ومن قرأ ان الله يدافع ولولا دفاع الله الناس اختار صيغة المفاعلة للدلالة على المبالغة في الدفع كما يبالغ من يغالب فيه لان فعل المغالب يكون اقوى وابلغ وقوله تعالى اذن للذين اشارة الى ان قتال الكفار بغير اذن الله تعالى لا يجوز ولهذا لما وكز موسى عليه الصلاة والسلام القبطي الكافر وقتله قال هذا من عمل الشيطان لانه عليه الصلاة والسلام ما كان مأذونا من الله تعالى في ذلك والباء في قوله تعالى بانهم ظلموا متعلقة بقوله اذن لما بين انهم انما اذنوا في القتال لانهم ظلموا فسر ذلك الظلم بقوله تعالى الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق اي اخراجا بغير موجب استحقوا الخروج به فالحق مصدر قولك حق الشيء يحق بالكسر اي وجب واستحققته اي استوجبته وانتفاء الوجوب لما كان بانتفاء الموجب قال المصنف رحمة الله تعالى عليه بغير موجب ﴿قوله في نيف وسبعين﴾ النيف الزيادة يخفف ويشدّد يقال عشرة ونيف ومائة ونيف وكل ما زاد على العقد فهو نيف حتى يبلغ العقد الثاني قيل نسخت هذه الآية سبعين آية امر عليه الصلاة والسلام فيها بالصبر والصفح لانها اوّل آية نزلت في الاذن بالقتال وقوله تعالى الذين اخرجوا في موضع الجرّ على انه بدل او صفة لقوله تعالى الذين يقاتلون ويجوز ان يكون في موضع النصب على المدح وفي موضع الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف ﴿قوله وقيل منقطع﴾ والمعنى لكن قولهم ربنا الله وحده وهذا يوجب تعظيمهم وتقريرهم في ديارهم دون الاخراج والتنفير فان الاستثناء المنقطع يكون بمعنى لكن

﴿ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض ﴾ بتسليط المؤمنين منهم على الكافرين ﴿ لهدّمت ﴾ لخرّبت باستيلاء المشركين على اهل الملل و قرأ نافع دفاع ولهدمت بالتخفيف ﴿ صوامع ﴾ صوامع الرهبانية ﴿ وبيع ﴾ وبيع النصارى ﴿ وصلوات ﴾ وكنائس اليهود سميت بها لانها يصلى فيها وقيل اصلها صلوثا بالعبرانية فعرّبت ﴿ ومساجد ﴾ ومساجد المسلمين ﴿ يذكر فيها اسم الله كثيرا ﴾ صفة للاربع اوللمساجد خصت بها تفضيلا ﴿ ولينصرنّ الله من ينصره ﴾ من ينصر دينه وقدانجز وعده بان سلط المهاجرين والانصار على صناديد العرب واكاسرة العجم وقياصرتهم واورثهم ارضهم وديارهم ﴿ ان الله لقوىّ ﴾ على نصرهم ﴿ عزيز ﴾ لايمانعه شئ ﴿ الذين ان مكناهم فى الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ﴾ وصف للذين اخرجوا وهو ثناء قبل بلاء وفيه دليل على صحة امر الخلفاء الراشدين اذلم يستجمع ذلك غيرهم من المهاجرين وقيل بدل ممن ينصره ﴿ ولله عاقبة الامور ﴾ فان مرجعها الى حكمه وفيه تأكيد لما وعده ﴿ وان يكذبوك فقدكذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط واصحاب مدين ﴾ تسلية له عليه الصلاة والسلام بان قومه ان كذبوه فهو ليس بأوحدىّ فى التكذيب فان هؤلاء قدكذبوا رسلهم قبل قومه ﴿ وكذب موسى ﴾ غير فيه النظم وبنى الفعل للمفعول لان قومه بنوا اسرآئيل ولم يكذبوه وانما كذبه القبط ولان تكذيبه كان اشنع وآياته كانت اعظم واشيع ﴿ فأمليت للكافرين ﴾ فأمهلتهم حتى انصرمت آجالهم المقدرة ﴿ ثم اخذتهم فكيف كان نكير ﴾ اى انكارى عليهم بتغيير النعمة محنة والحياة هلاكا والعمارة خرابا ﴿ فكأين من قرية اهلكناها ﴾ باهلاك اهلها وقرأ البصريان اهلكتها بغير لفظ التعظيم ﴿ وهى ظالمة ﴾ اى اهلها ﴿ فهى خاوية على عروشها ﴾ ساقطة حيطانها على سقوفها بان تعطل بنيانها فخرّت سقوفها ثم تهدّمت حيطانها فسقطت فوق السقوف اوخالية مع بقاء عروشها وسلامتها فيكون الجار متعلقا بخاوية ويجوز ان يكون خبرا بعد خبر اى هى خالية وهى على عروشها اى مظلة عليها بان سقطت وبقيت الحيطان مائلة مشرفة عليها والجملة معطوفة على اهلكناها لاعلى وهى ظالمة فانها حال والاهلاك ليس حال خوآئها فلا محل لها ان نصبت كأين بمقدّر يفسره اهلكنا وان رفعته بالابتدآء فمحلها الرفع

ثم انه تعالى بعد مابين سبب الاذن بقوله بانهم ظلموا اشار الى علة اخرى للاذن فقال تعالى ولولا دفع الله الناس اى ولولا ان الله اذن للمجاهدين فى قتال اعدآء الدين لانقطعت العبادات وخربت المتعبدات فامتنّ سبحانه وتعالى على المؤمنين بدفع غائلة المشركين عنهم وبين ان عادته ان يحفظ دينه بان يأذن لاهل دينه فى مجاهدة الكفار وانه لولا ذلك لاستولى المشركون على اهل الملل المختلفه فى ازمنتهم وعلى متعبداتهم فهدموها ولم يتركوا النصارى بيعا ولا لرهبانهم صوامع ولا لليهود صلوات اى كنائس ولا للمسلمين مساجد ولغلب المشركون فى زمان امة محمد صلى الله عليه وسلم على المسلمين وعلى اهل الكتاب الذين فى زمنهم فهدموا متعبدات الفريقين والصوامع جمع صومعة وهى موضع يتعبد فيه الرهبان وينفردون فيه لاجل العبادة والبيع جمع بيعة وهى كنائس النصارى التى يبنونها فى البلدان ليجتمعوا فيها لاجل العبادة والصوامع لهم ايضا الا انهم يبنونها فى المواضع الخالية كالجبال والصحارى للتجرّد للعبادة والصلوات لليهود ولابدّ من تقدير مضاف ليصح تسلط الهدم عليها اى موضع صلوات اومن تضمين هدمت معنى عطلت وقيل هى كلمة معرّبة اصلها بالعبرانية صلوات بالثاء المثلثة وهى فى لغتهم بمعنى المصلى ولاحاجة الى تقدير المضاف وقدّم ماسوى المساجد عليها فى الذكر لكونه اقدم فى الوجود بالنسبة اليها

قوله وهو ثناء قبل بلاء اى قبل وقوع الصنيع الحسن الذى هو البلاء الحسن قال الجوهرى رحمة الله تعالى عليه البلاء الاختبار يكون فى الخير والشرّ يقال بلاه الله بلاء حسنا وابليته قال زهير

جزى الله بالاحسان مافعلا بكم ❁ وابلاهما خير البلاء الذى يبلو

اى خير الصنيع الذى يختبر به عباده **قوله وفيه دليل** اى وفى ثناء المهاجرين قبل ان يحدثوا من الخير مااحدثوا ووجه الاستدلال بهذه الآية على امامة الائمة الاربعة رضى الله تعالى عنهم انه تعالى وصف المهاجرين بانهم ان مكنهم فى الارض واعطاهم السلطنة ونفاذ القول على الخلق اتوا بالامور الاربعة وهى اقامة الصلاة وايتاء الزكاة والامر بكل معروف والنهى عن كل منكر وقد ثبت ان الله تعالى مكن الائمة الاربعة فى الارض واعطاهم السلطنة عليها فوجب كونهم آتين بهذه الاربعة والا لزم الخلف فى مقاله تبارك وتعالى واذا كانوا آتين بكل معروف وناهين عن كل منكر وجب ان يكونوا على الحق فمن هذا الوجه دلت هذه الآية على امامتهم **قوله تسلية له** فانه قدسبق مايدل على ايذآء المشركين اياه بان كذبوه وحملوه مع من آمن على ان يخرجوا من ديارهم بغير حق ثم بين انه اذن للمظلومين فى مقاتلتهم وضمن له عليه الصلاة والسلام النصرة عليهم واكد ذلك بقوله ولله عاقبة الامور فلذلك كان المقام مقام التسلية فسلاه بقوله تعالى فقدكذب قوم نوح نبيهم نوحا وعاد هودا وثمود صالحا وقوم ابراهيم وقوم لوط نبيهما ابراهيم ولوطا واصحاب مدين شعيبا عليهم الصلاة والسلام ثم قال فقد اعطيت هؤلاء الانبياء جميع ماوعدتهم من النصرة على اعدآئهم والتمكين لهم فى الارض فاخذت كل واحدة من المكذبين بعقوبة مختصة بهم فكيف كان نكير اى انكارى وهذا استفهام معناه التقرير يقول كيف نكرت عليهم بما فعلوا من التكذيب ثم انه تعالى اجمل بعد التفصيل فى الاخبار عن اهلاك كثير من الامم المكذبة فقال تعالى وكأين من قرية فقوله وكأين يجوز ان يكون فى محل النصب على الاشتغال بفعل مقدّر يفسره اهلكناها اى وكثيرا من اهل القرى الذين كذبوا انبياءهم سوى المكذبين المذكورين فى الآية المتقدمة اهلكنا اهلكناها وان يكون فى محل الرفع على الابتدآء والخبر اهلكناها اى وكثير اهلكناها **قوله وقرأ البصريان** يعنى بهما اباعمرو ويعقوب فانهما قرأا اهلكتها على وفق قوله فامليت للكافرين ثم اخذتهم وقرأ الباقون اهلكناها بالنون على وفق قوله ان مكناهم فى الارض **قوله ساقطة حيطانها على سقوفها** يعنى ان الخاوى الساقط من خوى النجم اذا سقط والعروش السقوف لان كل مرتفع اظلك من سقف بيت اوخيمة اوظلة اوكرم فهو عريش والمراد بضمير القرية حيطانها **قوله اوخالية** على ان يكون الخاوى بمعنى الخالى من خوى المنزل اذا خلا من اهله فحينئذ يكون على عروشها ظرفا مستقرا فى موضع النصب على انه حال من ضمير خاوية ومتعلقا بخاوية تعلق الحال بعامله لاتعلق الجار والمجرور بعامله فانه انما يكون ذلك اذا كان خاوية بمعنى ساقطة **قوله ويجوز ان يكون خبرا بعد خبر** عطف على قوله متعلق بخاوية فانه اذا كان خبرا بعد خبر لايكون له تعلق بخاوية بل يكون متعلقا بمظلة وهى بالظاء المهملة بمعنى مشرفة مائلة يقال اظل عليه اذا كان داخلا فى ظل ظلله اى شخصه **قوله فلا محل لها** اى على تقدير ان تكون جملة فهى خاوية معطوفة على اهلكناها لايكون لها محل من الاعراب ان جعل اهلكناها مفسراً لناصب كأين لان الفعل المفسر لامحل له من

بئر معطلة) عطف على قرية اى وكم بئر عامرة فى البوادى تركت لايستق منها لهلاك اهلها وقرئ بالتخفيف من اعطله بمعنى عطله (وقصر مشيد) مرفوع او مجصص اخليناه عن ساكنيه وذلك يقوّى ان معنى خاوية على عروشها خالية مع بقاء عروشها وقيل المراد ببئر بئر على سفح جبل بحضرموت وبقصر قصر مشرف على قلته كانا لقوم حنظلة بن صفوان من بقايا قوم صالح فلما قتلوه اهلكهم الله وعطلهما (أفلم يسيروا فى الارض) حثلهم على ان يسافروا ليروا مصارع المهلكين فيعتبروا وهم وان كانوا قد سافروا لم يسافروا لذلك (فتكون لهم قلوب يعقلون بها) مايجب ان يعقل من التوحيد بما حصل لهم من الاستبصار والاستدلال (او آذان يسمعون بها) مايجب ان يسمع من الوحى والتذكير بحال من يشاهد آثارهم (فانها) الضمير للقصة او مبهم يفسره الابصار وفى تعمى راجع اليها والظاهر اقيم مقامه (لاتعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور) عن الاعتبار اى ليس الخلل فى مشاعرهم وانما ايفت عقولهم باتباع الهوى والانهماك فى التقليد وذكر الصدور للتأكيد ونفى التجوّز وفضل التنبيه على ان العمى الحقيقى ليس المتعارف الذى يخص البصر قيل لما نزلت ومن كان فى هذه اعمى قال ابن ام مكتوم يارسول الله انا فى الدنيا اعمى أفأكون فى الآخرة اعمى فنزلت (ويستعجلونك بالعذاب) المتوعد به (ولن يخلف الله وعده) لامتناع الخلف فى خبره فيصيبهم ماأوعدهم به ولو بعد حين لكنه صبور لايعجل بالعقوبة (وانّ يوما عند ربك كألف سنة مما تعدّون) بيان لتناهى صبره وتأنيه حتى استقصر المدد الطوال او لتمادى عذابه وطول ايامه حقيقة او من حيث ان ايام الشدآئد مستطالة وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائى يعدون بالياء (وكأين من قرية) وكم من اهل قرية فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فى الاعراب ورجع الضمائر والاحكام مبالغة فى التعميم والتهويل وانما عطف الاولى بالفاء وهذه بالواو لان الاولى بدل من قوله فكيف كان نكير وهذه فى حكم ماتقدمها من الجملتين لبيان ان المتوعد به يحيق بهم لامحالة وان تأخره لعادته تعالى (أمليت لها) كما امهلتكم (وهى ظالمة) مثلكم (ثم اخذتها) بالعذاب (والىّ المصير) والى حكمى مرجع الجميع (قل يا ايها الناس انما انا لكم نذير مبين) اوضح لكم ما انذركم به والاقتصار على الانذار مع عموم الخطاب وذكر الفريقين لان صدر الكلام ومساقه للمشركين وانما ذكر المؤمنين وثوابهم زيادة فى غيظهم

الاعراب فكذا ماعطف عليه فان جعل اهلكناخبر كأين تكون جملة خاوية فى محل الرفع ايضا ﴿قوله اى وكم بئر عامرة﴾ يعنى ان معنى المعطلة انها عامرة فيها الماء ومعها آلات الاستقاء الا انها عطلت اى تركت لايستق منها لهلاك اهلها وفى المشيد قولان احدهما انه المجصص لان اهل المدينة يسمون الجص شيدا والثانى المرفوع المطوّل وتوصيف البئر بالمعطلة والقصر بالمشيد يؤيدان يكون على بمعنى مع فى قوله على عروشها فان كون كل واحد منهما موصوفا بالوصف المذكور ادخل فى الاعتبار روى ان هذه البئر نزل عليها صالح النبى عليه السلام مع اربعة آلاف ممن آمن به ونجاهم الله تعالى وهى بحضرموت وانما سميت به لان صالحا حين حضرها مات وثمة بلدة عند البئر اسمها حضرموت بناها قوم صالح وامروا عليهم جلس بن جلاس واقاموا بها زمانا ثم كفروا وعبدوا صنما فأرسل الله تعالى اليهم حنظلة بن صفوان نبيا فقتلوه فى السوق فاهلكهم الله تعالى وعطل بئرهم وخرّب قصورهم الاان قوله وخرّب قصورهم ينافى قول المصنف رحمة الله تعالى عليه اخليناه عن ساكنيه الا ان يراد بتخريبها اخلاؤها من ساكنيها ﴿قوله حثلهم على ان يسافروا ليروا﴾ يحتمل انهم ماسافروا فحثوا على السفر ليروا مصارع من اهلكهم الله تعالى بكفرهم ويشاهدوا آثارهم فيعتبروا ويحتمل ان يكونوا قد سافروا ورأوا ذلك ولكن لم يعتبروا فنزلوا منزلة من لم يسافر ولم يرخلوّ سفرهم الحاصل عن المقصود فلذلك قيل فى حقهم على سبيل الانكار افلم يسيروا فى الارض وقوله فتكون منصوب على جواب الاستفهام اى أفلم يسيروا فيعقلوا بقلوبهم حال الامم المكذبة مافعلوا ومافعل بهم او يسمعوا بآذانهم اخبارهم ﴿قوله او مبهم يفسره الابصار﴾ اى ويجوز ان يكون ضمير انها ضميرا مبهما يفسره الابصار لاعلى كون الابصار تميزا كما فى نحو ربه رجلا والالوجب ان يكون نكرة منصوبة كما هو الحق فى المميز بل المراد انه يعلم به المراد من الضمير بناء على ان الابصار ليس فاعل تعمى والالما كان مفسرا للمبهم بل هو خبر مبتدأ محذوف وفاعل تعمى ضمير مستتر فيه راجع الى مايرجع اليه ضمير انها فكأنه لما قيل فانها لاتعمى سئل ماهى فاجيب الابصار اى هى الابصار ثم انه تعالى لما ذكر من قبائح المشركين صدّهم عن سبيل الله تعالى والمسجد الحرام وعظيم ماهم عليه من التكذيب اتبعه بذكر قبيحة اخرى من قبائحهم وهى استعجالهم بالعذاب قيل نزلت فى النضر بن الحارث حيث قال ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء وهذا يدل على انه عليه الصلاة والسلام كان يخوّفهم بالعذاب ان استمرّوا على كفرهم ولهذا قال الله تعالى ولن يخلف الله وعده فأنجز ذلك يوم بدر وانكر الله تعالى عليهم ذلك الاستعجال وبين وجه الانكار بان الاستعجال انما يكون لخوف الفوت وما اوعده الله تعالى لايفوت بل يصيبهم لامحالة ولو بعد حين وقوله ولو بعد حين مستفاد من كلمة لن فى قوله تعالى لن يخلف الله وعده لانها لتأكيد نفى الاستفهام وهذا النفى لما تضمن كونه تعالى صبورا بين تناهى صبره بقوله تعالى وان يوما عند ربك واشار بتشبيه المدة القصيرة عنده بالمدّة الطويلة عند المخاطبين الى ان من لايجرى عليه الزمان بل هو المجرى للزمان يتساوى عنده الزمان ويكون وجود الايام والزمان وعدمهما وقلتهما وكثرتهما سوآء اذ ليس عنده صباح ولا مساء ولا يوم ولا ليلة فقوله تعالى وان يوما على هذا متعلق بقوله ولن يخلف الله متمم لما يقصد منه وعلى قوله او لتمادى عذابه الخ يكون متعلقا بقوله ويستعجلونك بالعذاب وبيانا مستقلا لوجه الانكار عليهم فى استعجال عذاب يكون يوم واحد من ايام عذابه كألف سنة عندهم كأنه قيل يستعجلون بعذاب يوم واحد من ايام عذابه فى طول الف سنة من سنيكم امامن حيث طول ايام عذابه حقيقة او من حيث ان ايام الشدآئد مستطالة ﴿قوله فى الاعراب ورجع الضمائر والاحكام﴾ يعنى ان مقتضى الظاهر ان يكون لفظ القرية مجرورا بالاضافة لابمن وان يرجع الضمائر الى الاهل لااليها وان يجعل متعلق الاملاء والظلم والاخذ بالاهل لابها الا ان القرية لما اقيمت مقام الاهل لفظا قامت مقامه فى جميع ماذكر من الامور ﴿قوله لان الاولى بدل من قوله فكيف كان نكير﴾ فان قوله تعالى فأمليت للكافرين لما كان مرتبا على جواب الشرط فى الوقوع كان حقه ان يعطف عليه بالفاء وكان قوله فكيف كان نكير استفهاما واردا للتعجيب والتهويل من اخذهم المتراخى عن وقت التكذيب فكان حقه ايضا ان يعطف عليه بالفاء لكنه قيل ثم اخذتهم فانكرت عليهم ابلغ انكار فان حق التعجيب من الشئ ان يذكر عقيب ذلك الشئ ولما كان قوله فكأين من قرية فى حكم قوله فكيف كان نكير فى كونه مرتبا على قوله فأمليت للكافرين ثم اخذتهم كان بدلا منه لكونه اوفى منه فى تأدية المراد لما فيه من التفصيل بالنسبة الى الاوّل فاعيد فيه الفاء العاطفة الدالة على التعقيب

(فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة)

لما ندر منهم (ورزق كريم) هي الجنة والكريم من كل نوع ما يجمع فضائله (والذين سعوا في آياتنا) بالرد والابطال (معاجزين) مسابقين مشاقين للساعين فيها بالقبول والتحقيق من عاجزه فاعجزه وعجزه اذا سابقه فسبقه لان كلا من المتسابقين يطلب اعجاز الآخر عن اللحاق به وقرأ ابن كثير وابو عمرو معجزين على انها حال مقدرة (اولئك اصحاب الجحيم) النار الموقدة وقيل اسم دركة (وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبيّ) الرسول من بعثه الله بشريعة مجددة يدعو الناس اليها والنبي يعمه ومن بعثه لتقرير شرع سابق كانبياء بني اسرآئيل الذين كانوا بين موسى وعيسى عليهم السلام ولذلك شبه النبي عليه السلام علماء امته بهم فان النبي اعم من الرسول ويدل عليه انه عليه الصلاة والسلام سئل عن الانبياء فقال مائة ألف واربعة وعشرون ألفا قيل فكم الرسول منهم قال ثلاثمائة وثلاثة عشر جما غفيرا وقيل الرسول من جمع الى المعجزة كتابا منزلا عليه والنبيّ غير الرسول وهو من لا كتاب له وقيل الرسول من يأتيه الملك بالوحي والنبيّ يقال له ولمن يوحى اليه في المنام (الا اذا تمنى) اذا زوّر في نفسه ما يهواه (ألقى الشيطان في امنيته) في تشهيه ما يوجب اشتغاله بالدنيا كما قال صلى الله عليه وسلم وانه ليغان على قلبي فأستغفر الله في اليوم سبعين مرة (فينسخ الله ما يلقي الشيطان) فيبطله ويذهب به بعصمته من الركون اليه والارشاد الى ما يزيحه (ثم يحكم الله آياته) ثم يثبت آياته الداعية الى الاستغراق في امر الآخرة (والله عليم) باحوال الناس (حكيم) فيما يفعله بهم قيل حدّث نفسه بزوال المسكنة فنزلت وقيل تمنى لحرصه على ايمان قومه ان ينزل عليه ما يقرّبهم اليه واستمرّ به ذلك حتى كان في ناديهم فنزلت عليه سورة والنجم فأخذ يقرأها فلما بلغ ومناة الثالثة الاخرى وسوس اليه الشيطان حتى سبق لسانه سهوا الى ان قال تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهنّ لترتجى ففرح به المشركون حتى شايعوه بالسجود لما سجد في آخرها بحيث لم يبق في المسجد مؤمن ولا مشرك الا سجد ثم نبهه جبرآئيل فاغتم به فعزاه الله بهذه الآية وهو مردود عند المحققين وان صح فابتلاء يتميز به الثابت على الايمان من المتزلزل فيه

كما يدل بامادة الجار تشيرا بخلاف قوله وكاين من قرية فانه في حكم الجملتين المتعاطفتين بالواو في كونه تعليلا لانكار الاستعجال فلذلك عطف عليهما بالواو الجامعة ﴿قوله بالرد والابطال﴾ السعي وان كان عبارة عن مطلق الجد والاهتمام سواء كان لتحقيق الاتمام او الرد والابطال الا ان الثاني متعين هنا بقرينة المقام لان من ذكر في مقابلة الذين آمنوا لا يكون سعيهم في شأن القرآن الا بالرد ﴿قوله على انها حال مقدرة﴾ لان الاعجاز والتعجيز ليسا مقارنين لسعيهم في ابطال الآيات بل متأخران عنه كما اشار اليه بقوله من عاجزه فأعجزه وعجزه بخلاف معاجزين فانه حال مقارنة لان المعاجزة تكون حال السعي ﴿قوله انه عليه الصلاة والسلام سئل عن الانبياء عليهم الصلاة والسلام﴾ قيل هذا الحديث رواه ابو ذرّ رضي الله عنه وهو من الآحاد والاولى ان لا يتعرّض لعدد الانبياء عليهم الصلاة والسلام لقوله تعالى منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك ولا يؤمن في ذكر العدد ان يخرج منهم من هو فيهم او يدخل فيهم من ليس منهم وقوله عليه الصلاة والسلام «جما غفيرا» ابتداء كلام اي كانوا جماعة كثيرة ﴿قوله وقيل الرسول من جمع الى المعجزة كتابا﴾ قاله صاحب الكشاف عفا الله عنه ولعل المصنف رحمه الله تعالى عليه لم يرض به بناء على ان عدد الرسل عليهم الصلاة والسلام اكثر من عدد الكتب لان عدد الكتب مائة واربعة ويلزم على هذا القول وعلى القول الذي اختاره المصنف رحمه الله تعالى عليه ان لا يكون اسحق ويعقوب وايوب ويونس وهرون وسليمان عليهم الصلاة والسلام رسلا لانهم ما جاؤا بشريعة مجددة وكتاب ناسخ ﴿قوله ليغان على قلبي﴾ اي ليغطى عليه يقال غان على ذلك اي غطى عليه ﴿قوله فيبطله﴾ اي يزيل تأثيره وهو اشارة الى ان المراد بالنسخ النسخ اللغوي لا النسخ الشرعي المستعمل في الكتاب ولما بين الله تعالى تطرّق الوسوسة الى الانبياء عليهم الصلاة والسلام بين كيفية ازالتها فقال فينسخ الله الى آخره ﴿قوله تلك الغرانيق﴾ جمع غرنوق او غرنيق بكسر الغين وفتح النون فيهما او غرنوق بالضم وهو الشاب الناعم ويجمع على غرانق بالفتح وغرانيق وغرانقة ويطلق الجميع على السادات ﴿قوله وهو مردود عند المحققين﴾ يعني ان جماعة من المفسرين وان قالوا ان هذه الآية نزلت تسلية له عليه الصلاة والسلام في اغتمامه بما سبق به لسانه سهوا من حديث الغرانيق الا ان رؤساء اهل السنة والجماعة ردوا هذا القول وقالوا هذه الرواية باطلة موضوعة واحتجوا عليه بالقرآن العظيم والسنة والمعقول اما القرآن فمنه قوله تعالى ولو تقوّل علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين ومنه ايضا قوله تعالى قل ما يكون لي ان ابدّله من تلقاء نفسي ان اتبع الا ما يوحى اليّ ومنه قوله تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى فلو انه عليه الصلاة والسلام قرأ عقيب هذه الآية قوله تلك الغرانيق العلى لكان قد ظهر كذب الله تعالى في جميع ذلك وذلك لا يقول به مسلم واما السنة فهو انه روى عن محمد بن خزيمة انه سئل عن هذه القصة فقال هذا من وضع الزنادقة وصنف فيه كتابا وقال الامام ابو بكر احمد بن الحسين البيهقي هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل وان رواة هذه القصة مطعونون وايضا فقد روى البخاري في صحيحه انه صلى الله عليه وسلم قرأ سورة النجم وسجد وسجد المسلمون والمشركون والانس والجنّ ولم يذكر حديث الغرانيق واما المعقول فما ذكره الامام النسفي في تيسيره بقوله والصحيح المعتمد عليه ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يتكلم بها فانا لو توهمنا انه صلى الله عليه وسلم تكلم بها فلا يخلو الامر من احد ثلاثة اوجه اما ان يجري ذلك على لسانه عمدا باختياره وهذا لا يجوز لانه كفر وهو صلى الله عليه وسلم جاء داعيا الى الايمان ناهيا عن الكفر طاعنا في الاصنام فكيف يمدحها ويعظمها باختياره واما ان يجري الشيطان ذلك على لسانه صلى الله عليه وسلم جبرا بحيث لم يقدر على الامتناع عنه وهذا ايضا لا يجوز لان الشيطان لا يقدر على ذلك في حق غيره صلى الله عليه وسلم لقوله تبارك وتعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وقوله تعالى حكاية عنه وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فكيف يقدر على ذلك في حقه صلى الله عليه وسلم واما ان يقع ذلك على لسانه صلى الله عليه وسلم سهوا وغفلة من غير قصد وهو ايضا مردود لانه صلى الله عليه وسلم كان اعقل الخلق واعلمهم فكيف تجوز عليه هذه الغفلة خصوصا في حالة تبليغ الوحي ولو جاز ذلك لبطل الاعتماد على قوله والثقة به لقيام احتمال الغلط والخطأ في كل واحد من الاحكام والشرآئع فلما بطلت هذه الوجوه كلها لم يبق الا احتمال واحد وهو انه عليه الصلاة والسلام وقف وسكت عند قوله ومناة الثالثة الاخرى والشيطان حاضر عنده فتكلم الشيطان بهذه الكلمات متصلة بقرآءته صلى الله عليه وسلم

وقيل تمنى بمعنى قرأ لقوله * تمنى كتاب الله اوّل ليله * تمنى داود الزبور على رسل * فامنيته قراءته والقاء الشيطان فيها ان تكلم بذلك رافعا صوته بحيث ظنّ السامعون انه من قرآءة النبيّ صلى الله عليه وسلم وقد ردّبانه ايضا يخل بالوثوق على القرآن ولايندفع بقوله فينسخ الله مايلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته لانه ايضا يحتمله والآية تدل على جواز السهو على الانبياء وتطرّق الوسوسة

اليهم (ليجعل ما يلقى الشيطان) علة لتمكين الشيطان منه وذلك يدل على ان الملقى امر ظاهر عرفه المحق والمبطل (فتنة للذين فى قلوبهم مرض) شك ونفاق (والقاسية قلوبهم) المشركين (وان الظالمين) يعنى الفريقين فوضع الظاهر موضع ضميرهم قضاء عليهم بالظلم (لفى شقاق بعيد) عن الحق او عن الرسول والمؤمنين (وليعلم الذين اوتوا العلم انه الحق من ربك) ان القرآن هو الحق النازل من عند الله او تمكين الشيطان من الالقاء هو الحق الصادر من الله لانه مما جرت به عادته فى جنس الانس من لدن آدم (فيؤمنوا به) بالقرآن او بالله (فتخبت له قلوبهم) بالانقياد والخشية (وان الله لهادى الذين آمنوا) فيما اشكل عليهم (الى صراط مستقيم) هو نظر صحيح يوصلهم الى ماهو الحق (ولايزال الذين كفروا فى مرية) فى شك (منه) من القرآن او الرسول او مما ألقى الشيطان فى امنيته يقولون ما باله ذكرها بخير ثم ارتدّ عنه (حتى تأتيهم الساعة) القيامة او الموت او اشراطها (بغتة) فجأة (او يأتيهم عذاب يوم عقيم) يوم حرب يقتلون فيه كيوم بدر سمى به لان اولاد النساء يقتلون فيه فيصرن كالعقم اولان المقاتلين ابناء الحرب فاذا قتلوا صارت عقيما فوصف اليوم بوصفها اتساعا اولانه لاخير لهم فيه ومنه الريح العقيم لما لم ينشئ مطرا ولم يلقح شجرا اولانه لامثل له لقتال الملائكة فيه او يوم القيامة على ان المراد بالساعة غيره او على وضعه موضع ضميرها للتهويل (الملك يومئذ لله) التنوين فيه ينوب عن الجملة التى دلت عليها الغاية اى يوم تزول مريتهم (يحكم بينهم) بالمجازاة والضمير يعم المؤمنين والكافرين لتفصيله بقوله (فالذين آمنوا وعملوا الصالحات فى جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين) وادخال الفاء فى خبر الثانى دون الاوّل تنبيه على ان اثابة المؤمنين بالجنات تفضل من الله تعالى وان عقاب الكفار مسبب عن اعمالهم ولذلك قال لهم عذاب ولم يقل هم فى عذاب (والذين هاجروا فى سبيل الله ثم قتلوا) فى الجهاد (او ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا) الجنة ونعيمها وانما سوّى بين من قتل فى الجهاد ومن مات حتف انفه فى الوعد لاستوآئهما فى القصد (الملك)
واصل العمل روى ان بعض الصحابة قالوا يانبيّ الله هؤلاء الذين قتلوا قد علمنا مااعطاهم الله من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فمالنا ان متنا فنزلت (وان الله لهو

فوقع عند بعضهم انه صلى الله عليه وسلم هو الذى تكلم بها لتكون القاء فى قرآءة النبى صلى الله عليه وسلم وكان الشيطان يتكلم فى زمن الوحى كما ذكر انه ظهر فى صورة شيخ نجدى على المشركين الذين اجتمعوا فى دار الندوة على قصد المكر بالنبى صلى الله عليه وسلم وتكلم فى شوراهم واستصوب رأى بعضهم وخطأ آخرين وذكر ايضا انه نادى يوم احد ألا ان محمدا قد قتل وقال يوم بدر لاغالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم وهذا الاحتمال غير مستحيل عقلا وشرعا فتنة من الله تعالى وابتلاء لعباده لكنه انما يجوز فى غير مقام تبليغ الوحى واداء الرسالة لانا لو جوّزنا ذلك لارتفع الاطمئنان الى شرعه ولجوّزنا انّ كل مابلغه الينا من الله تعالى ينضم اليه غيره بخلط الشيطان فظهر بما ذكرنا ان هذه القصة موضوعة غاية مافى الباب ان جمعا من المفسرين رحمة الله تعالى عليهم ذكروها لكنهم مابلغوا فى الكثرة حدّ التواتر وخبر الواحد لايعارض الدلائل العقلية والنقلية والمتواترة فلذلك قال المصنف فى تفسير الآية ألقى الشيطان فى تشهيه مايوجب اشتغاله بالدنيا ولم يقل مايوافق تشهيه من الكلام ثم قال وان صح فابتلاء والظاهر ان مبنى الصحة ان يتكلم به الشيطان عند سكوته عليه الصلاة والسلام بعد قوله ومناة الثالثة الاخرى فانه اقرب الاحتمالات المذكورة الى الصحة فيكون المعنى مامن رسول ولا نبيّ قبلك الا مكنا الشيطان ان يلقى فى قرآءتهم مثل ماالقى فى قرآءتك عند ماتمنيت فلاتهتم لذلك فانا نجعل ذلك لاضلال قوم وهداية آخرين لنميز بين الثابت على الايمان والمتزلزل فيه ﴿ **قوله** وقيل تمنى بمعنى قرأ ﴾ عطف على قوله تمنى زوّر فان التمنى جاء فى اللغة بمعنيين تمنى القلب والقرآءة قال الله تعالى ومنهم اميون لايعلمون الكتاب الا امانىّ اى الا قرآءة لانّ الامىّ لايعلم القرآن من المصحف وانما يعلمه قرآءة وقال رواة اللغة الامنية القرآءة واحتجوا عليه ببيت حسان رضى الله تعالى عنه وهو تمنى كتاب الله اوّل ليله وقيل الاولى فى تأويل الآية ان يقال التمنى بمعنى القرآءة فقوله تعالى ألقى الشيطان فى امنيته اى عند تلاوته القرآن ألقى فى قلوب الكفرة مايجادلون به الرسول ويحاجونه ويوقعون به شبهة فى قلوب اتباعه ليمنعوهم عن اتباعه كقولهم عند سماع قول الرسول حرّمت عليكم الميتة انه يحل ذبيحة نفسه ويحرّم ذبيحة الله تعالى فينسخ الله تعالى مايلقى الشيطان فى قلوب الكفرة بانزال قوله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق وكلوا مما ذكر اسم الله عليه فبين به انه انما حل هذا بذكر اسم الله عليه وحرّم الآخر بعدم ذكر اسم الله عليه وكقولهم عند سماع انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم ان عيسى عليه الصلاة والسلام عبد من دون الله تعالى والملائكة ايضا عبدوا من دون الله مع انه تعالى لايحزنهم يوم القيامة فنسخ قولهم هذا بقوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون فبين الله تعالى استثناء عيسى والملائكة من قوله ماتعبدون من دون الله بان المراد بما الاصنام فقط ﴿ **قوله** علة لتمكين الشيطان ﴾ اى المدلول عليه بقوله القى الشيطان فتكون لام كى فى قوله تعالى ليجعل متعلقة بألقى الشيطان باعتبار مادل عليه من التمكين والظاهر ان هذه اللام لام العاقبة وتسميتها لام العلة باعتبار انها فى الاصل للعلة والمعنى مكنه الله تعالى من الالقاء ليجعل مايلقيه الشيطان سببا لتغرير المنافقين والمشركين ولتثبيت المؤمنين على ماهم عليه من العلم بالتوحيد وبان القرآن هو الحق النازل من عند الله تعالى وقوله تعالى فيؤمنوا عطف على قوله ليعلم ولما كان الايمان بالقرآن متفرّعا على العلم بانه هو الحق النازل من عند الله تعالى عطفه عليه بالفاء وكذا الايمان بالله تعالى متفرّع على العلم بان التمكين حق صادر من الله تعالى ثم انه تعالى بين ان هذا الايمان والاخبات انما هو بلطف الله تعالى وهدايته اياهم فقال تعالى وان الله لهادى الذين آمنوا ﴿ **قوله** فيصرن كالعقم ﴾ اى كأنهنّ لم يلدنهم فالعقم صفة النساء الا انه اسند الى يوم القيامة اى الى اليوم الذى يعقمن فيه على طريق صام نهاره والعقم على الوجه الثانى صفة الحرب من حيث ان المقاتلين يقال لهم ابناء الحرب فاذا قتلوا بقى الحرب بلا ولد والظاهر ان يجعل الحرب مجازا لانه جعل عقيما تشبيها لقتل اولاده بعقمه ثم اسند العقم بهذا المعنى الى يوم الحرب مجازا ففى التركيب على هذا الوجه مجازان احدهما فى المسند والثانى فى الاسناد وحاصل الوجه الرابع ان كل يوم له مثل الا يوم بدر فانه عقيم لامثل له فلما لم يعقبه مثل جعل عقيما كما جعل يوم القيامة اذ لا يوم بعده ﴿ **قوله** او يوم القيامة ﴾ عطف على قوله يوم حرب * ولما ورد ان يقال كيف يصح ان يفسر اليوم العقيم بيوم القيامة وهو معطوف على الساعة * اجاب عنه بوجهين الاوّل ان المراد بالساعة اشراطها ومقدّماتها والثانى ان التقدير او يأتيهم عذابها الا انه وضع الظاهر موضع الضمير للتهويل ﴿ **قوله** تعالى والذين هاجروا ﴾ لما ذكر ان

الملك له يوم القيامة وانه يحكم بينهم ويدخل المؤمنين الجنات اتبعه بذكر الوعد الكريم للمهاجرين منهم واختلف في المهاجر فقيل المراد من هاجر الى المدينة طلبا لنصرة الرسول وتقربا الى الله تعالى وقال آخرون بل المراد من جاهد فخرج مع الرسول او سراياه لنصرة الدين ولذلك ذكر القتل بعده ومنهم من حمله على الامرين ثم انه تعالى وصف رزق المهاجرين ومسكنهم اما الرزق فبقوله ليرزقنهم الله رزقا حسنا واما المسكن فبقوله ليدخلنهم مدخلا يرضونه على ان يكون ليدخلنهم جملة مستأنفة ويجوز ان يكون بدلا من ليرزقنهم الله رزقا حسنا وتقرير المصنف رحمه الله تعالى عليه اوفق لهذا الاحتمال الذي ذكرناه وقد بين انجاز الوعد للمهاجرين الذين قتلوا وماتوا بعد مابين انه تعالى يحكم بين الذين آمنوا والذين كفروا وقوله تعالى ثم قتلوا او ماتوا يدل على ان حال المقتول في الجهاد والميت في فراشه سوآء اذا استويا في القصد والتقرب الى الله تعالى ونصرة رسوله وفي اصل العمل وهو الهجرة من حيث انه تعالى جمع بينهما في الوعد ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام المقتول في سبيل الله والمتوفى في سبيل الله بغير قتل هما في الاجر شريكان ولفظ الشركة يشعر بالتسوية والا فلا يبقى لتخصيصهما بالذكر فائدة **قوله الامر ذلك** يعني ان ذلك خبر مبتدأ محذوف ومابعده مستأنف ومن عاقب مبتدأ خبره لينصرنه الله والعقوبة اسم لما يعاقب به ويعقب الجرم من الجزآء وسمى المكروه الذي اوقع ابتدآء عقوبة حيث قيل بمثل ماعوقب به مع انه ليس جزآء لعقوبة الجريمة اما للمشاكلة واما على سبيل المجاز المرسل فان ماوقع ابتدآء سبب لما وقع جزآء وعقوبة فسمى السبب باسم المسبب قيل معنى الآية ان من قاتل من كان يقاتله ابتدآء ثم كان المقاتل مبغيا عليه بان اضطر الى الهجرة ومفارقة الوطن او ابتدئ بالقتال لينصرنه الله ووجه تعلق هذه الآية بما قبلها انه تعالى وصف رزق المهاجرين ومسكنهم اولا ثم قال في هذه الآية اني مع اكرامي لهم في الآخرة بهذا الوعد لا ادع نصرتهم في الدنيا على من بغى عليهم **قوله لعفو غفور للمنتصر حيث اتبع هواه** اشارة الى وجه تعليله تعالى نصرته للمعاقب بكونه عفوا غفورا مع ان العفو والغفران يقتضيان سابقة الجناية من المعفو عنه ولا جناية من المعاقب في الانتصار لانه استوفى به حقه ولم يظلم احدا وحاصله ان العفو وان اقتضى سابقة الجناية لكن الجناية لا يلزم ان تكون بارتكاب المحرم بل قد تكون لترك ماندب اليه وتسمى جناية على سبيل الزجر والتغليظ **قوله وفيه** اي وفي تعليل نصرته تعالى المعاقب بكونه عفوا تعريض بالحث على العفو وتنبيه على انه تعالى قادر على عقوبة البادي **قوله بسبب ان الله تعالى قادر** بيان لوجه كون ايلاج كل واحد من الملوين في الآخر سببا للنصر الموعود في حق المعاقب وحاصله ان السبب الحقيقي هو قدرته تعالى على جميع الممكنات الا انه تعالى وضع دليل القدرة مقام نفسها **قوله بان يزيد فيه** اي في الآخر متعلق بقوله ايلاج احد الملوين فانه لما ورد ان يقال كيف يعقل ايلاج الليل المظلم في النهار المضيء حقيقة وكذا عكسه مع ان ذلك يقتضي اجتماع الظلمة والنور في زمان واحد دفعه بان معنى الايلاج المذكور ليس ادخال الزمان المظلم في الزمان المضيء ليلزم ماذكر بل معناه ادخال مانقص من ساعات احد الزمانين في الزمان الآخر فاللازم تفاوت الزمانين بحسب الزيادة والنقصان لا اجتماع الضدين في زمان واحد وانما يلزم ذلك ان لو كانت الظلمة والضياء مما تقتضيهما ذوات تلك الساعات الزآئدة والناقصة وليس كذلك بل هما مستندان الى طلوع النير وغروبه ثم جوز ان يكون معنى ايلاج الليل والنهار تحصيل ظلمة الليل في مكان ضوء النهار الخ روى الامام رحمه الله تعالى عليه عن مقاتل رضى الله تعالى عنه انه قال نزل قوله تعالى ومن عاقب بمثل ماعوقب به الآية في قوم من المشركين لقوا قوما من المسلمين لليلتين بقيتا من المحرم فقالوا ان اصحاب محمد يكرهون القتال في الشهر المحرم فاحملوا عليهم فناشدهم المسلمون بان يكفوا عن قتالهم لحرمة الشهر فأبوا وقاتلوهم فذلك بغيهم عليهم وثبت المسلمون لهم فنصر وعليهم فوقع في نفس المسلمين من القتال في الشهر الحرام شئ فانزل الله تعالى هذه الآية وعفا عنهم وغفر لهم فعلى هذه الرواية يكون وجه تعليل قوله تعالى لينصرنه الله بقوله تعالى ان الله لعفو غفور ظاهرا لا يحتاج فيه الى ان يقال حيث اتبع هواه في الانتقام واعرض عما ندب الله تعالى اليه **قوله ولا شئ اعلى منه الخ** بيان لمعنى الحصر المستفاد من توسط ضمير الفصل بين اسم ان وخبرها المحلى بالالف واللام قال الامام الشافعي رحمه الله عليه من احرق احرقناه ومن اغرق اغرقناه اي يعاقب وفق الجناية وقال ابو حنيفة رحمه الله تعالى بل يقتل بالسيف واحتج الامام الشافعي رحمه الله تعالى على ماذهب اليه بهذه الآية فقال ان الله تعالى جوز للمظلوم ان يعاقب بمثل

(ذلك) الامر ذلك (ومن عاقب بمثل ماعوقب به) ولم يزد في الاقتصاص وانما سمى الابتدآء بالعقاب الذي هو الجزآء للازدواج اولانه سببه (ثم بغى عليه) بالمعاودة الى العقوبة (لينصرنه الله) لامحالة (ان الله لعفو غفور) للمنتصر حيث اتبع هواه في الانتقام واعرض عما ندب الله اليه بقوله ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور وفيه تعريض بالحث على العفو والمغفرة فانه تعالى مع كمال قدرته وتعالى شأنه لما كان يعفو ويغفر فغيره بذلك اولى وتنبيه على انه قادر على العقوبة اذ لا يوصف بالعفو الا القادر على ضده (ذلك) اي ذلك النصر (بان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل) بسبب ان الله قادر على تغليب بعض الامور على بعض جار عادته على المداولة بين الاشياء المتعاندة ومن ذلك ايلاج احد الملوين في الآخر بان يزيد فيه ماينقص منه او بتحصيل ظلمة الليل في مكان ضوء النهار بتغييب الشمس وعكس ذلك باطلاعها (وان الله سميع) يسمع قول المعاقب والمعاقب (بصير) يرى افعالهما فلا يهملهما (ذلك) الوصف بكمال القدرة والعلم (بان الله هو الحق) الثابت في نفسه الواجب لذاته وحده فان وجوب وجوده ووحدته يقتضيان ان يكون مبدأ لكل مايوجد سواه عالما بذاته وبما عداه او الثابت الالهية ولا يصلح لها الا من كان قادرا عالما (وان مايدعون من دونه) الها وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وابو بكر بالتاء على مخاطبة المشركين وقرئ بالبناء للمفعول فيكون الواو لما فانه في معنى الآلهة (هو الباطل) المعدوم في حد ذاته او باطل الالوهية (وان الله هو العلي) على الاشياء (الكبير) عن ان يكون له شريك ولا شئ اعلى منه شانا واكبر منه سلطانا

ماعوقب به ووعده النصرة عليه ثم انه تعالى لمادل على قدرته بماذكره من ولوج الليل فى النهار وبالعكس اتبعه بانواع اخر من دلائل قدرته تعالى وهى ستة اوّلها قوله تعالى الم تر اى الم تعلم فان الماء النازل وان كان مرئيا بالبصر الا ان كونه تعالى منزلاله من السماء غير مرئى به فوجب ان تحمل الرؤية على العلم الذى هو المقصود من الرؤية فان الرؤية اذالم يقترن العلم بها صارت كأنها لم تحصل ﴿ قوله ولذلك رفع فتصبح ﴾ يعنى ان قوله تعالى فتصبح وان وقع بعد لفظ الاستفهام فكان الظاهر ان ينصب على جواب الاستفهام الا ان الاستفهام هنا لما كان استفهام تقرير بمعنى الخبر اى بمعنى قد رأيت لم يكن له جواب فلذلك رفع المضارع بعده عطفا على انزل وقوله اذلو نصب جوابا علة لقوله استفهام تقرير ولذلك رفع المضارع بعده عطف على انزل اى اذلو كان الاستفهام بمعناه ونصب مابعده جوابا له لافاد الكلام عكس المقصود الذى هو اثبات الاخضرار اذلو نصب الفعل بعده لانقلب المعنى الى نفى الاخضرار كما اذا قلت الم تر انى انعمت عليك فتشكر ان رفعت فتشكر فقد اثبت شكر المخاطب وان نصبت فقد نفيت شكره وشكوت من تفريطه فيه فان اداة الاستفهام فى مثله تثبت ماتدخل عليه وان كان منفيا تنفى الجواب فيلزم من هذا اثبات الرؤية وانتفاء الاخضرار وهو خلاف المقصود وايضا جواب الاستفهام ينعقد منه مع معنى الاستفهام السابق شرط وجزآء كقوله * الم تسأل فتخبرك الرسوم * والمعنى ان تسأل تخبرك الرسوم لان مابعد الفاء انما ينتصب اذا كان المستفهم عنه سببا له وفيما نحن فيه لايصح ان يجعل تقدير الكلام ان تر انزال المطر تصبح الارض مخضرّة لان رؤية المخاطب ليست سببا لاخضرار الارض وان اخضرارها ليس مرتبا على رؤية المخاطب ذلك بل هو مرتب على نفس الانزال ولما كان انتصاب المضارع بعد الفاء فى جواب الاشياء الستة مبنيا على صحة تقدير ان فعلت فعلت ولما لم يصح هذا التقدير فى الآية لم يجز نصب قوله فتصبح الارض مخضرّة ﴿ قوله يصل علمه او لطفه ﴾ الاوّل مبنى على ماقيل اللطيف العالم ببواطن الاشياء والثانى على ماقيل انه الرفيق فى افعاله وقيل اللطيف من تدق حكمته فيما يفعل ويحكم والخبير العالم بمصالح الخلق ومنافعهم فيفعل على قدر ذلك من غير زيادة ولانقصان ﴿ قوله لهو الغنى فى ذاته عن كل شئ ﴾ والمعنى انه تعالى خلق ذلك منقادا له غير ممتنع من التصرّف فيه واختص جميع ذلك به خلقا وملكا لالاحتياجه الى شئ منه فانه كامل لذاته غنىّ عن كل ماعداه فى كل الامور لكنه لما خلق الناس ليعرفوه ويخصوه بالتعظيم والاجلال ويستعدّوا بذلك للسعادة الابديةو اقتضت الحكمة احتياجهم فى تعيشهم الى بركات السموات والارض خلق هذه الاشياء رحمة لهم وانعاما عليهم لالمنفعة تعود اليه فلاجرم كان حميدا مستحقا للحمد فظهر بذلك كمال قدرته وعلوّ شانه وكبريائه وعظم رحمته واحسانه تبارك الله رب العالمين ﴿ قوله حال منها ﴾ اى من الفلك على تقدير كونها عطفا على ما او قوله او خبر على تقدير كون الفلك عطفا على اسم ان او مرفوعا على الابتدآء وجريان الفلك وان كان مسندا الى كون الماء والريح على الحالة الملائمة لجريانها الا ان تلك الحالة لماثبتت لها بامره تعالى وتكوينه نسب جريها الى امره تعالى فان ذلك انسب لعظمته وكمال قدرته ﴿ قوله من ان تقع او كراهة ان تقع ﴾ فيكون ان تقع على الاوّل فى محل النصب بنزع الخافض او فى محل الجرّ على ارادته وعلى الثانى يكون فى محل النصب على انه المفعول من اجله فالبصريون يقدّرون كراهة ان تقع والكوفيون يقدّرون لئلا تقع وهذا الخلاف مبنى على مسألة كلامية وهى ان الارادات والكراهات هل تتعلق بالعدم اولا فمن منع ذلك ذهب الى ان التأويل الثانى هو الصحيح ومن جوّزه ذهب الى الاوّل والظاهر انّ قوله الا باذنه استثناء مفرّغ من اعم الاحوال وهو لايقع فى الكلام الموجب الا ان قوله ويمسك السماء ان تقع على الارض فى قوّة النفى فلذلك جاز فيه التفريغ اذ التقدير ولايتركها تقع فى حال من الاحوال الا فى حال كونها ملتبسة بامره ﴿ قوله متعبدا ﴾ اى مألفا يألفونه اما مكانا معينا او زمانا معينا لادآء الطاعات او شريعة او منهجا كلفوا بها روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان المنسك شريعة لهم او شريعة عاملون بها ويؤيده قوله تعالى ولكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وروى عنه ايضا انه قال عيدا يذبحون فيه وقيل قربانا يذبحونه وقيل موضع عبادة قيل القول بان المنسك هو الشريعة اولى لانه مأخوذ من النسك وهو العبادة واذا وقع الاسم على كل عبادة فلا وجه للتخصيص ببعضها ولا وجه لحمله على موضع العبادة ووقتها لان قوله ناسكوه أليق بالعبادة فيه بالوقت والمكان لان المنسك لو لم يكن مصدرا بل كان اسم مكان او زمان لقيل هم ناسكون فيه لان الفعل لا يتعدّى الى ضمير الظرف الا بكلمة فى غالبا الا ان يتسع فى الظرف

(الم تر ان الله انزل من السماء ماء) استفهام تقرير ولذلك رفع (فتصبح الارض مخضرّة) عطف على انزل اذلو نصب جوابا لدل على نفى الاخضرار كما فى قولك الم تر انى جئتك فتكرمنى والمقصود اثباته وانما عدل به عن صيغة الماضى للدلالة على بقاء أثر المطر زمانا بعد زمان (ان الله لطيف) يصل علمه او لطفه الى كل ماجل ودق (خبير) بالتدابير الظاهرة والباطنة (له مافى السموات ومافى الارض) خلقا وملكا (وان الله لهو الغنىّ) فى ذاته عن كل شئ (الحميد) المستوجب للحمد بصفاته وافعاله (الم تر ان الله سخر لكم مافى الارض) جعلها مذللة لكم معدّة لمنافعكم (والفلك) عطف على ما او على اسم ان وقرئ بالرفع على الابتدآء (تجرى فى البحر بامره) حال منها او خبر (ويمسك السماء ان تقع على الارض) من ان تقع او كراهة ان تقع بان خلقها على صورة متداعية الى الاستمساك (الا باذنه) الا بمشيئته وذلك يوم القيامة وفيه رد لاستمساكها بذاتها فانها مساوية لسائر الاجسام فى الجسمية فتكون قابلة للميل الهابط قبول غيرها (ان الله بالناس لرؤف رحيم) حيث هيأ لهم اسباب الاستدلال وفتح عليهم ابواب المنافع ودفع عنهم انواع المضارّ (وهو الذى احياكم) بعد ان كنتم جمادا عناصر ونطفا (ثم يميتكم) اذا جاء اجلكم (ثم يحييكم) فى الآخرة (ان الانسان لكفور) لجحود للنعم مع ظهورها (لكل امّة) اهل دين (جعلنا منسكا) متعبدا او شريعة تعبدوا بها وقيل عيدا (هم ناسكوه) ينسكونه

فيجرى مجرى المفعول به فيتعدّى الفعل الى ضميره بنفسه كقوله * ويوم شهدناه سليما وعامرا * اى شهدنا فيه وقوله ومشرب اشربه اى اشرب فيه * فان قيل لم جاء نظير هذه الآية معطوفا بالواو فيما تقدم وهذه بغير واو * وقلنا لان تلك وقعت بعدما يناسبها ويدانيها من الآى الواردة فى امر النسائك فعطفت على اخواتها واما هذه فواقعة مع الاباعد اى بعد الآى المتباعدة عن معناها فلم تجد ما تعطف هى عليه فانه تعالى ذكر ثواب المهاجرين فى الآخرة ثم بين انه مع ذلك ينصرهم فى الدنيا ايضا على من بغى عليهم ثم بين قدرته على ذلك بالدلائل المذكورة وختم بذلك ما يتعلق بقوله الملك يومئذ لله الذى يحكم بينهم ثم امر رسوله صلى الله عليه وسلم بالجدّ فى الدعاء الى الدين وعرّفه وجه المعاملة معهم والاحتجاج عليهم فقال تعالى لكل امة جعلنا منسكا هم ناسكوه اى شرعنا لكل امة خلت حزبا من العبادة هم عاملوه وناصبون عليه فلا ينازعنك اى فليس لاحد من بقايا تلك الامم منازعتك فى الامر اى فيما تأمر به امّتك من الشرآئع اذ كانت لهم شرآئع يخالف بعضها بعضا فكذا هذه الشريعة وان خالفت تلك الشرآئع فليس لهم منازعتك فيها ﴿**قوله** او النسائك﴾ هو جمع نسيكة وهى الذبيحة وهو مبنى على ان تكون الآية نازلة فى كفار خزاعة الذين نازعوه صلى الله عليه وسلم فى حرمة اكل الميتة التى قتلها الله تعالى ﴿**قوله** وقيل المراد نهى الرسول عليه الصلاة والسلام﴾ عطف على قوله فلا ينازعنك سائر ارباب الملل من حيث المعنى وقيل كناية عن نهيه عليه الصلاة والسلام عن الالتفات الى قولهم لانه يؤدّى الى منازعتهم ويستلزمها فيكون من قبيل ذكر اللازم وارادة الملزوم على اسلوب لا ارينك ههنا وقيل هو كناية عن نهيه عليه الصلاة والسلام عن المنازعة معهم لان المنازعة تكون بين اثنين فنهى احد الشريكين عنها يستلزم نهى الآخر فيصلح احد النهيين كناية عن الآخر ﴿**قوله** وهذا انما يجوز﴾ اى كون نهى احد الفاعلين كناية عن نهى الآخر انما يجوز فى افعال المغالبة لان التلازم انما يتحقق فيها ولا يجوز ان يكون قولك لا يضربنك زيد مثلا كناية عن قولك لا تضربن انت اياه لعدم التلازم بين النهيين وقوله انما يجوز بالحصر محل تأمل لان مثل قوله تعالى لا يغرّنكم بالله الغرور ويجوز ان يكون كناية عن لا تغترّوا مع ان الغرور ليس من افعال المغالبة وقد مرّ فى سورة طه ان قوله تعالى فلا يصدّنك عنها من لا يؤمن بها وان كان نهيا للكافر عن ان يصدّ موسى عنها فالمراد نهيه عليه الصلاة والسلام عن ان يصدّ عنها مع ان هذا الفعل ايضا ليس من افعال المغالبة ﴿**قوله** وقرئ فلا ينزعنك﴾ من النزع بمعنى الجذب يقال نزعت الشئ من مكانه واذا قلعته عنه اى اثبت فى دينك ثباتا لا يطمعون ان يجذبوك ليزيلوك عنه ولما ورد ان يقال كيف يكون نهى الكفار عن نزعه عليه الصلاة والسلام عن دينه كناية عن امره بالثبات على دينه مع ان النزع ليس من افعال المغالبة دفعه بانه ليس من النزع الصادر من الواحد بل من النزع المسند الى الغالب من المتنازعين يقال نازعته فنزعته انزعه اى غلبته فى النزع فمعنى الآية لا يغلبنك فى المنازعة الا ان كسر عين المضارعة فى باب المغالبة غريب لم يذهب اليه غير صاحب الكشاف عفا الله تعالى عنه فانه قال بضم عين المضارعة فى باب المغالبة مطلقا اذا لم يكن عينه او لامه حرف حلق واما اذا كان احدهما حرف حلق فان الفعل حينئذ يترك على قاعدة الاستعمال ﴿**قوله** تعالى وادع الى ربك﴾ لم يذكر مفعول ادع للتعميم والمعنى انك مبعوث الى الناس كافة وكلهم مأمورون باتباعك والتدين بشرعك ودينك فادعهم الى دين ربك ولا تخص امّة دون امّة بالدعوة اليه فكل الناس امّتك ثم انه تعالى لما امر الرسول صلى الله عليه بان يحذر المجادلين بعد لزوم الحجة ووضوحها من حكم يوم القيامة اتبعه بما يعلم انه تعالى عالم بما يستحقه كل واحد وانه يحكم بينهم بالعدل لا بالجور فقال لرسوله عليه الصلاة والسلام ألم تعلم ان الله يعلم ما فى السماء والارض وان ما يفعله الكفار المجادلون محفوظ عند الله تعالى لا يضل عنه ولا ينسى فان كل ما يحدثه الله تعالى فى السموات والارض فقد كتبه فى اللوح المحفوظ * فان قيل ان ذلك يوهم ان علمه تعالى مستفاد من الكتاب وايضا فما فائدة ذلك الكتاب * اجيب عن الاوّل بان كتبه تلك الاشياء فى ذلك الكتاب قبل حدوثها على الوجه المطابق للموجودات من ادل الدلائل على انه تعالى غنى فى علمه عن ذلك الكتاب وعن الثانى بان الملائكة ينظرون فيه ثم اذا اراد جعل الحوادث داخلة فى الوجود على وفقه صار ذلك دليلا لهم زآئدا على كونه تعالى عالما بكل المعلومات ثم انه تعالى بين ما عليه الكفرة من الشرك والعصيان مع ظهور دلائل وحدانيته وعلوّ شأنه وكبريائه وسبوغ آلائه ونعمائه فقال تعالى ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا اى لم ينزل لجواز عبادته حجة سماوية ولا علما حاصلا لهم بضرورة عقولهم او بالاستدلال فلا حجة لهم

(فلا ينازعنك) سائر ارباب الملل (فى الامر) فى امر الدين او النسائك لانهم بين جهال واهل عناد او لانّ امر دينك اظهر من ان يقبل النزاع وقيل المراد نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن الالتفات الى قولهم وتمكينهم من المناظرة المؤدّية الى نزاعهم فانها انما تنفع طالب الحق وهؤلاء اهل مرآء او عن منازعتهم كقولك لا يضاربنك زيد وهذا انما يجوز فى افعال المغالبة للتلازم وقيل نزلت فى كفار خزاعة قالوا للمسلمين مالكم تأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتله الله وقرئ فلا ينزعنك على تهييج الرسول والمبالغة فى تثبيته على دينه على انه من نازعته فنزعته اذا غلبته (وادع الى ربك) الى توحيده وعبادته (انك لعلى هدى مستقيم) طريق الى الحق سوىّ (وان جادلوك) وقد ظهر الحق وزمت الحجة (فقل الله اعلم بما تعملون) من المجادلة الباطلة وغيرها فيجازيكم عليها وهو وعيد فيه رفق (الله يحكم بينكم) يفصل بين المؤمنين منكم والكافرين بالثواب والعقاب (يوم القيامة) كما فصل فى الدنيا بالحجج والآيات (فيما كنتم فيه تختلفون) من امر الدين (الم تعلم ان الله يعلم ما فى السماء والارض) فلا يخفى عليه شئ (ان ذلك فى كتاب) هو اللوح المحفوظ كتبه فيه قبل حدوثه فلا يهمنك امرهم مع علمنا به وحفظنا له (ان ذلك) ان الاحاطة به واثباته فى اللوح المحفوظ او الحكم بينكم (على الله يسير) لان علمه مقتضى ذاته المتعلق بكل المعلومات على سوآء (ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا) حجة تدل على جواز عبادته (وما ليس لهم به علم) حصل لهم من ضرورة العقل او استدلاله (وما للظالمين) وما للذين ارتكبوا مثل هذا الظلم (من نصير) يقرّر مذهبهم او يدفع العذاب عنهم

(واذا تتلى عليهم آياتنا) من القرآن (بينات) واضحات الدلالة على العقائد الحقة والاحكام الالهية (تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر) الانكار لفرط نكيرهم للحق وغيظهم لأباطيل اخذوها تقليدا وهذا منتهى الجهالة وللاشعار بذلك وضع الذين كفروا موضع الضمير او مايقصدونه من الشر (يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا) يثبون ويبطشون بهم (قل أفأنبئكم بشر من ذلكم) من غيظكم على التالين وسطوتكم عليهم او مما اصابكم من الضجر بسبب ماتلوا عليكم (النار) اى هو النار كأنه جواب سائل قال ماهو ويجوز ان يكون مبتدأ خبره (وعدها الله الذين كفروا) وقرئ بالنصب على الاختصاص وبالجر بدلا من شر فتكون الجملة استئنافا كما اذا رفعت خبرا او حالا منها (وبئس المصير) النار (يايها الناس ضرب مثل) بين لكم حال مستغربة او قصة رائعة ولذلك سماها مثلا او جعل لله مثل اى مثل فى استحقاق العبادة (فاستمعوا له) للمثل او لبيانه استماع تدبر وتفكر (ان الذين تدعون من دون الله) يعنى الاصنام وقرأ يعقوب بالياء وقرئ به مبنيا للمفعول والراجع الى الموصول محذوف على الاولين (لن يخلقوا ذبابا) لايقدرون على خلقه مع صغره لان لن بما فيها من تأكيد النفى دالة على منافاة مابين المنفى والمنفى عنه والذباب من الذب لانه يذب وجمعه اذبة وذبان (ولو اجتمعوا له) بجوابه المقدر فى موضع حال جيئ به للمبالغة اى لايقدرون على خلقه مجتمعين له متعاونين عليه فكيف اذا كانوا منفردين (وان يسلبهم الذباب شيأ لايستنقذوه منه) جهلهم غاية التجهيل بان أشركوا آلها قدر على المقدورات كلها وتفرد بايجاد الموجودات بأسرها تماثيل هى اعجز الاشياء وبين ذلك بانها لاتقدر على خلق اقل الاحياء واذلها ولو اجتمعوا له بل لاتقوى على مقاومة هذا الاقل الاذل وتعجز عن ذبه عن نفسها واستنقاذ مايختطفه من عندها قيل كانوا يطلونها بالطيب والعسل ويغلقون عليها الابواب فيدخل الذباب من الكوى فيأكله (ضعف الطالب والمطلوب) عابد الصنم ومعبوده

اذا فى عبادتها اصلا وانما يعبدونها عن محض الجهل ثم وبخهم بانهم مع جهلهم المفرط اذا تليت عليهم الآيات البينات الدالة على المنهج القويم والصراط المستقيم تعرف فى وجوههم المنكر اى اثر الانكار لماتتلى عليهم او الامر المنكر اى مايدل عليه وهو قصد الشر بمن تلا عليهم تلك الآيات وقوله تعالى يكادون يسطون حال امامن المضاف اليه وهو الموصول وجاز انتصاب الحال منه لكون المضاف جزأه واما من المضاف وهو الوجوه بناء على ان المراد اصحابها كما فى قوله تعالى انما نطعمكم لوجه الله وضمن يسطون معنى يبطشون فعدى تعديته والا فهو متعد بعلى يقال سطا عليه واشار الى هذا بقوله ويبطشون بهم واما قوله يثبون فهو تفسير لاصل معناه فان السطو معناه الوثوب والحمل والمعنى واذا تتلى عليهم آياتنا تعرف فى وجوههم ذلك فى حال كونهم يقربون من ان يثبوا ويبطشوا بالذين تلوا عليهم القرآن وهم محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه رضى الله عنهم من شدة الغيظ على التالين الذى يلحقهم بسبب سماعه فأمر الله تعالى رسوله عليه الصلاة والسلام بان يقابلهم بالوعيد فقال قل لهم أفأنبئكم الآية **﴿قوله ويجوز ان يكون مبتدأ خبره وعدها الله﴾** فهذه الجملة الاسمية لامحل لها لكونها مفسرة للجملة المتقدمة كانه قيل مابشر من ذلكم فقيل النار وعدها الله وان قرئ النار مرفوعا على انه خبر مبتدأ محذوف او منصوبا بتقدير اعنى او مجرورا على انه بدل من بشر تكون جملة وعدها الله مستأنفة لامحل لها ويجوز ان تكون حالا من النار على تقدير كونه منصوبا او مجرورا لا على تقدير كونه مرفوعا على انه خبر مبتدأ محذوف لانه ليس فى جملة هو النار مايصح ان يعمل فى الحال بخلاف ما اذا كان منصوبا او مجرورا قال ابو البقاء قوله تعالى النار يقرأ بالرفع وفيه وجهان احدهما انه مبتدأ ووعدها الخبر والثانى انه خبر مبتدأ محذوف اى هو النار ووعدها على هذا مستأنف اذ ليس فى الجملة مايصح ان يعمل فى الحال واشار المصنف رحمه الله تعالى عليه الى هذا بقوله او حالا منها فانه معطوف على قوله استئنافا وقد فرع احتمال كونها مستأنفة على قرآءة النصب والجر فيكون احتمال الحالية ايضا متفرعا عليهما **﴿قوله تعالى يايها الناس ضرب مثل﴾** متصل بقوله تعالى ويعبدون من دون الله مالم ينزل به سلطانا بين اولا انهم يعبدون من دون الله مالم يتمسكوا فى صحة عبادته ببرهان سماوى من جهة الوحى ولا ألجأهم اليه علم ضرورى ولا حملهم عليه دليل عقلى ثم ذكر بهذه الآية مايدل على بطلان حالهم وفساد عقلهم وفعلهم وقولهم وعبر عن دعواهم بان الله تعالى شريكا بالمثل تشبيها لها بالمثل السائر فى الغرابة فان لفظ المثل حقيقة عرفية فى القول السائر واستعارة فى الحال المستغربة والقصة العجيبة نادى الله المشركين ليلقى اليهم حالة غريبة او قصة رائعة متلقاة بالاستحسان والقبول وهى انهم اتخذوا اعجز خلق الله تعالى واذلهم شريكا له فى الالوهية واستحقاق العبادة جل عن ذلك وتعالى وعبر عن هذه الحالة الغريبة بلفظ الماضى وهو ضرب المستدعى لتحقق الضرب والبيان فيما مضى مع انه تعالى هو المتكلم بهذا الكلام ابتداء بناء على ان مايورد من تلك الحالة الغريبة لغاية وضوحها بمنزلة امر تقدم بيانه ثم انه تعالى بين ما اجمله وابهمه بقوله ضرب مثل بان قال تعالى ان الذين تدعون من دون الله الآية ولاشك ان اتخاذ من لايقدر على خلق احقر خلق الله قدرا وجثة الها معبودا حالة غريبة شبيهة بالمثل السائر واغرب منها انه لايقوى على مقاومة هذا المخلوق الاحقر الادنى ويعجز عن ذبه عن نفسه **﴿قوله او جعل لله مثل﴾** روى ان الاخفش قال ان قيل فأين المثل الذى ذكره الله تعالى فى قوله ضرب مثل قيل ليس ههنا مثل يضرب من الامثال وانما معناه شبه بى الاوثان وجعلت لى امثالا وشركاء ولايخفى ان القول بان ضرب بمعنى جعل لايخلو عن بعد **﴿قوله لايقدرون على خلقه﴾** تصوير لمعنى تأكيد النفى المستفاد من كلمة لن لان نفى القدرة على الفعل آكد من نفى نفس الفعل لكون نفيها نفيا للفعل بدليل بخلاف نفى اصل الفعل فانه نفى مجرد **﴿قوله لان لن بما فيها من تأكيد النفى﴾** علة لتصوير معنى تأكيد النفى لنفى القدرة على الخلق فان تحقق المنافاة بين المنفى والمنفى عنه انما يكون بعدم القدرة على الفعل المنفى **﴿قوله وجمعه اذبة وذبان﴾** يعنى ان الذباب اسم جنس وجمعه القليل اذبة ويجمع فى الكثرة على ذبان بكسر الذال وضمها والمذبة مايطرد بها الذباب **﴿قوله بجوابه المقدر فى موضع حال﴾** قد تقرر ان الواو فى مثل هذا التركيب عاطفة لهذه الجملة الحالية على حال محذوفة اى انتفى خلقهم الذباب على كل حال ولو كانت فيهم هذه الحالة المقتضية لخلقه لخلقوه وكانه تعالى قال ان هذه الاصنام ان اجتمعت لاتقدر على خلق ذبابة على حقارتها فكيف يليق بالعاقل جعلها معبودا وشريكا لخالق السموات والارض **﴿قوله عابد الصنم ومعبوده﴾** فان عابده يطلب منه

او الذباب يطلب مايسلب من الصنم من الطيب والصنم يطلب منه الذباب السلب او الصنم والذباب كانه يطلبه ليستنقذ منه ماسلبه ولو حققت وجدت الصنم اضعف بدرجات (ماقدروا الله حق قدره) ماعرفوه حق معرفته حيث اشركوا به وسموا باسمه ماهو ابعد الاشياء عنه مناسبة (ان الله لقوى) على خلق الممكنات بأسرها (عزيز) لايغلبه شئ

وآلهتهم التى يدعونها عجزة عن اقلها مقهورة من اذلها (الله يصطفى من الملائكة رسلا) يتوسطون بينه وبين الانبياء بالوحى (ومن الناس) يدعون سائرهم الى الحق ويبلغون اليهم ما نزل عليهم كأنه لما قرر وحدانيته فى الالوهية ونفى ان يشاركه غيره فى صفاتها بين ان له عبادا مصطفين للرسالة يتوسل باجابتهم والاقتدآء بهم الى عبادة الله سبحانه وتعالى وهو اعلى المراتب ومنتهى الدرجات لمن عداه من الموجودات تقريرا للنبوة وتزييفا لقولهم مانعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى والملائكة بنات الله ونحو ذلك (ان الله سميع بصير) مدرك للاشياء كلها (يعلم مابين ايديهم وماخلفهم) عالم بواقعها ومتوقعها (والى الله ترجع الامور) واليه مرجع الامور كلها لانه مالكها بالذات لايسأل عما يفعل من الاصطفاء وغيره وهم يسألون (يا ايها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا) فى صلاتكم امرهم بهما لانهم ما كانوا يفعلونهما اول الاسلام او صلوا وعبر عن الصلاة بهما لانهما اعظم اركانها او اخضعوا لله وخروا له سجدا (واعبدوا ربكم) بسائر ماتعبدكم به (وافعلوا الخير) وتحروا ماهو خير واصلح فيما تأتون وتذرون كنوافل الطاعات وصلة الارحام ومكارم الاخلاق (لعلكم تفلحون) اى افعلوا هذه كلها وانتم راجون الفلاح غير متيقنين له واثقين على اعمالكم والآية آية سجدة عندنا لظاهر مافيها من الامر بالسجود ولقوله عليه الصلاة والسلام فضلت سورة الحج بسجدتين من لم يسجدهما فلا يقرأهما (وجاهدوا فى الله) اى لله ومن اجله اعدآء دينه الظاهرة كأهل الزيغ والباطنة كالهوى والنفس وعنه عليه الصلاة والسلام انه رجع من غزوة تبوك فقال رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر (حق جهاده) اى جهادا فيه حقا خالصا لوجهه فعكس واضيف الحق الى الجهاد مبالغة كقولك هو حق عالم واضيف الجهاد الى الضمير اتساعا اولانه مختص بالله من حيث انه مفعول لوجه الله ومن اجله (هو اجتباكم) اختاركم لدينه ولنصرته وفيه تنبيه على المقتضى للجهاد والداعى اليه وفى قوله (وماجعل عليكم فى الدين من حرج) اى ضيق بتكليف مايشتد القيام به عليكم اشارة الى انه لامانع لهم عنه ولاعذر لهم فى تركه او الى الرخصة فى اغفال بعض ماامرهم به حيث شق عليهم لقوله عليه الصلاة والسلام اذا امرتكم بشئ فأتوا منه مااستطعتم وقيل ذلك بان جعل لهم من كل ذنب مخرجا بان رخص لهم فى المضايق وفتح عليهم باب التوبة وشرع لهم الكفارات فى حقوقه والاروش والديات فى حقوق العباد

بعبادته اياه ان ينفعه ويشفع له فالطالب هو العابد والمطلوب هو الثواب والنفع والمطلوب منه هو الصنم الا انه اطلق المطلوب على الصنم على طريق الحذف والايصال ﴿قوله او الذباب يطلب مايسلب من الصنم من الطيب﴾ فعلى هذا الطالب هو الذباب والمطلوب هو الطيب المسلوب والمطلوب منه هو الصنم واطلق عليه المطلوب على طريق الحذف والايصال ايضا ﴿قوله او الصنم والذباب﴾ فعلى هذا الطالب هو الصنم والمطلوب هو الاستنقاذ والمطلوب منه هو الذباب الا انه يسمى مطلوبا على طريق الحذف ايضا والايصال ﴿قوله تقريرا للنبوة وتزييفا لقولهم﴾ هو علة لقوله بين ان له عبادا مصطفين مختارين قرر النبوة باصطفائه بعض الناس للرسالة وزيف طريق من عبد غير الله تعالى من الملائكة بقوله تعالى الله يصطفى من الملائكة رسلا بعد ماابطل قول من عبد الاوثان فى الآية المتقدمة فالمقصود من هذه الآية ابطال قول عبدة الملائكة وبيان ان علو درجتهم ليس من حيث كونهم آلهة يستحقون العبادة بل من حيث انهم عباد مكرمون اصطفى منهم رسلا يتوسطون بينه وبين الانبياء عليهم السلام قيل ويحتمل ان يكون المراد باصطفاء الملائكة انه تعالى يختار من الملائكة رسلا الى الملائكة فى بعض ماكلفهم به من انواع العبادات والطاعات فيبعث منهم اليهم رسلا بتبليغ ذلك كما اختار من الانس رسلا اليهم يبعثهم فيما كلفهم به وفى الآية الشريفة دلالة على انه تعالى انما اصطفاهم للرسالة لالشئ يستوجبون به ذلك ولكن كان ذلك افضالا منه وانعاما لهم حيث قال تعالى يصطفى لا كما قالت المعتزلة من انه تعالى لايختار للرسالة الا من كان فيه مايستحق به ذلك وقوله تعالى يعلم مابين ايديهم اى من امر الدنيا وماخلفهم اى من امر الآخرة اشارة الى العلم التام وقوله تعالى والى الله ترجع الامور اشارة الى القدرة التامة والتفرد بالالهية والحكم ومجموعهما يتضمن نهاية الزجر عن الاقدام على المعصية ثم انه تعالى لما قدم ذكر مايتعلق بالالهيات ثم ذكر مايتعلق بالثواب اتبعه بذكر مايتعلق بالشرآئع والاحكام وكلفهم اولا بما هو اجل العبادات وهو الصلاة او الجمع بين الركوع والسجود فيها كما روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه قال ان الناس كانوا فى اول الاسلام يركعون ولايسجدون حتى نزلت هذه الآية فقال تعالى يا ايها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا ثم كلفهم بما يتناول الصلاة وغيرها من انواع العبادات التى يقصد بها التعظيم لامر الله فقال تعالى واعبدوا ربكم ثم كلفهم بما يتناول خدمة المعبود وتعظيم امره ويتناول الاحسان الى خلقه الذى هو عبارة عن الشفقة على خلق الله تعالى من افعال الخير كصلة الرحم ومكارم الاخلاق فكأنه تعالى قال كلفتكم بالصلاة ثم كلفتكم بما هو اعم منها وهو العبادة ثم كلفتكم بما هو اعم منها وهو الخيرات والفلاح الظفر بنعيم الآخرة وذكره الله تعالى بكلمة الترجى لان الانسان قلما يخلو فى ادآء ماكلف به من التقصير فليس هو على تيقن فى خروجه من عهدة ماكلف به حتى يتيقن بترتيب الثواب الموعود لمن اتى به ثم كلفهم رابعا بان يجاهدوا فى الله حق الجهاد اى جهادا فيه ولاجله وانتصابه على المصدر فحذفت كلمة فى واضيفت كلمة الجهاد الى الضمير على طريق الاتساع كما فى قوله * ويوم شهدناه سليما * من حيث ان الاضافة يكفى فيها ادنى ملابسة واختصاص وقد تحقق كونه حقا باستغراق الطاقة فيه * واصل المعنى جاهدوا فى الله تعالى من اجله جهادا حقا وتوصيف الجهاد بالحق يفيد ان هناك جهادا واجبا والمطلوب منهم الاتيان بذلك فاذا عكس واضيف الصفة الى الموصوف بعد اضافته الى الله تعالى افاد اثبات جهاد مختص بالله تعالى وان المطلوب القيام بواجبه وشرآئطه على وجه التمام والكمال بعد الوسع والطاقة وهو معنى قوله واضيف الحق الى الجهاد مبالغة فانه تضاف الصفة الى الموصوف لتدل على ان المراد به ماهو الكامل فى شأنه ﴿قوله وفيه تنبيه﴾ يعنى ان قوله تعالى هو اجتباكم استئناف لبيان علة الامر بالجهاد فان نصرة الدين انما تكون بجهاد اعدآئه ﴿قوله فى اغفال بعض ماامرهم به﴾ اى فى تركه مع ذكره كما يترك المسافر الصوم فى السفر ويترك اتمام الاربع بالقصر ويترك المتوضئ غسل رجليه ويمسح على الخفين ومن لم يستطع ان يصلى قائما يترك القيام فيها ويصلى قاعدا ومن لم يستطع ذلك يصلى مومئا وعن عمر رضى الله عنه انه قال من جاءته رخصة فرغب عنها كلفه الله يوم القيامة ان يحمل مثل ثبير حتى يقضى بين الناس وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال * اذا اجتمع امران فاحبهما الى الله تعالى ايسرهما * وقيل معنى قوله تعالى ماكان عليكم فى الدين من حرج ماجعل الله عليكم من حرج اذ المؤمن لايبتلى من الذنوب بشئ الا جعل الله تعالى له مخرجا بعضها بالتوبة وبعضها برد المظالم وبالقصاص وارش الجناية والديات وبعضها بالكفارات وليس فى دين الاسلام ذنب الا ويجد العبد فيه سبيلا الى الخلاص من العذاب به

(ملة ابيكم ابراهيم) منتصبة على المصدر بفعل دل عليه مضمون ماقبلها بحذف المضاف اى وسع دينكم توسعة ملة ابيكم او على الاغرآء او على الاختصاص وانما جعله اباهم لانه ابو رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو كالاب لامته من حيث انه سبب لحياتهم الابدية ووجودهم على الوجه المعتد به فى الآخرة اولان اكثر العرب كانوا من ذريته فغلبوا على غيرهم (هو سماكم المسلمين من قبل) من قبل القرآن فى الكتب المقدمة (وفى هذا) وفى القرآن والضمير لله ويدل عليه انه قرئ الله سماكم اولابراهيم وتسميتهم مسلمين فى القرآن وان لم يكن منه كان بسبب تسميته من قبل فى قوله ومن ذريتنا امة مسلمة لك وقيل وفى هذا تقديره وفى هذا بيان تسميته اياكم مسلمين (ليكون الرسول) يوم القيامة متعلق بسماكم (شهيدا عليكم) بانه بلغكم فيدل على قبول شهادته لنفسه اعتمادا على عصمته اوبطاعة من اطاع وعصيان من عصى (وتكونوا شهدآء على الناس) بتبليغ الرسل اليهم (فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) فتقربوا الى الله بانواع الطاعات لماخصكم بانواع الفضل والشرف (واعتصموا بالله) وثقوا به فى مجامع اموركم ولاتطلبوا الاعانة والنصرة الامنه (هو مولاكم) ناصركم ومتولى اموركم (فنعم المولى ونعم النصير) هواذ لا مثل له سبحانه فى الولاية والنصرة بل لامولى ولا ناصر سواه فى الحقيقة * عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الحج اعطى من الاجر كحجة حجها وعمرة اعتمرها بعدد من حج واعتمر فيما مضى وفيما بقى

سورة المؤمنين مكية وهى مائة وتسع عشرة آية عند البصريين وثمانى عشرة عند الكوفيين

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قد أفلح المؤمنون) قد فازوا بأمانيهم وقد تثبت المتوقع كما ان لما تنفيه وتدل على ثباته اذا دخلت الماضى ولذلك تقربه من الحال ولما كان المؤمنون متوقعين ذلك من فضل الله صدرت بها بشارتهم وقرأ ورش عن نافع قدافلح بالقاء حركة الهمزة على الدال وحذفها وقرئ أفلحوا على لغة اكلونى البراغيث اوعلى الابهام والتفسير وأفلح اجتزآء بالضمة عن الواو وافلح على البناء للمفعول (الذين هم فى صلاتهم خاشعون) خائفون من الله متذللون له ملزمون ابصارهم مساجدهم

قوله بفعل دل عليه مضمون ماقبلها فان نفى الحرج وهو حال الضيق يدل على التوسعة فهو مصدر فعل دل عليه مضمون قوله وماجعل عليكم فى الدين من حرج لكن لابد من تقدير المضاف ويجوز ان يكون منصوبا على الاغرآء اى الزموا ملة ابيكم واتبعوها **قوله** كان بسبب تسميته من قبل اى لما كان تسمية الله تعالى هذه الامة مسلمين بسبب انه تعالى استجاب دعوة ابراهيم عليه الصلاة والسلام بقوله ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك وجعلها هذه الامة صار ابراهيم عليه الصلاة والسلام لكونه سببا لتسميتهم بذلك فى القرآن كانه سماهم مسلمين فى القرآن **قوله** شهيدا عليكم بانه بلغكم الظاهر انه ليس المراد بشهادته انه عليه الصلاة والسلام يشهد على المكذبين من امته بانه بلغهم لان الكلام مع المؤمنين لقوله تعالى ياايها الذين آمنوا اركعوا ولقوله تعالى سماكم المسلمين بل المراد بكونه شهيدا عليكم انه بلغكم تبليغا يترتب عليه تصديقكم اياه وقبولكم ماجاء به ليظهر به اسلامكم وعدالتكم بحيث يقبل الله شهادتكم على منكرى تبليغ المرسلين رسالتهم الا ان هذه الشهادة فى الحقيقة تعديل منه وتزكية لهم وليست شهادة لنفسه حتى يرد ان يقال شهادته عليه الصلام والسلام على امته بانه بلغهم شهادة لنفسه فكيف تقبل فاجاب بانها تقبل لكونه معصوما ويمكن ان يقال تعديله عليه الصلام والسلام لامته لما توقف على تبليغه اياهم ولم يثبت ذلك الا بشهادته كان ذلك التعديل فى الحقيقة شهادة لنفسه ومع ذلك قبلت لعصمته ولما كانت شهادته عليه الصلاة والسلام فى حق امته المؤمنين بمعنى التعديل كان الظاهر ان يقال شهيدا لكم بدل عليكم الا انه لما كان الرسول عليه الصلاة والسلام كالرقيب المهيمن على امته عديت بكلمة على فانها قد تستعمل بمعنى اللام كما فى قوله تعالى وماذبح على النصب وقال المصنف رحمه الله تعالى عليه فى سورة البقرة روى ان الامم يوم القيامة يجحدون تبليغ الانبياء فيطالبهم الله تعالى ببينة التبليغ وهو اعلم بهم وانما هو اقامة حجة على المنكرين فيؤتى بامة محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون فيقولون الامم من اين عرفتم فيقولون علمنا ذلك باخبار الله تعالى فى كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى بمحمد صلى الله عليه وسلم فيسأل عن حال امته فيشهد بعد التهم **قوله** لما خصكم اى الله بهذا الفضل والشرف اشارة الى ان تفريع قوله تعالى فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة بالفاء على قوله تعالى هو اجتباكم وقوله تعالى هو سماكم المسلمين يشعر بعلية ماذكر سابقا لوجوب التقرب اليه تعالى عليهم بانواع الطاعات وان تخصيص الصلاة والزكاة بالذكر لكون الاولى اشرف الاعمال البدنية والثانية اشرف الاعمال المالية * تم ما يتعلق بسورة الحج والحمد لله رب العالمين وحسبنا الله ونعم الوكيل وهذا اوان الشروع فيما يتعلق بسورة المؤمنين وهى مكية

سورة المؤمنين مائة وثمانى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله وقد تثبت المتوقع كلمة قد سوآء دخلت على الماضى او المضارع تفيد التحقيق وينضاف اليه كونه متوقعا لمن يخاطبه واذا دخلت على الماضى ينضاف الى هذين المعنيين التقريب من الحال نحو قد ركب الامير لمن يتوقع ركوبه اى حقا قد حصل عن قريب ما كنت تتوقعه من ركوب الامير واذا دخلت على المضارع ينضاف اليهما فى الاغلب معنى التقليل نحو ان الكذوب قد يصدق اى حقا قد يقع منه الصدق وان كان قليلا وقال البغوى رحمه الله تعالى عليه قد حرف تأكيد وقال المحققون قد تقرب الماضى من الحال فتدل على ان الفلاح قد حصل لهم وانهم عليه فى الحال وهو معنى قول المصنف رحمه الله تعالى عليه وتدل على اثباته اى على تقرره وعدم انتفائه بعد الثبوت وهو الدليل على انها لتقريب الماضى من الحال **قوله** على لغة اكلونى البراغيث اى على ان يكون الواو حرفا دالا على ان الفاعل جمع كما ان تاء فعلت دالة على انه مؤنث وليست ضمير الفاعل او على ان يكون ضميرا مبهما يفسره المؤمنون **قوله** وافلح اى بفتح الهمزة واللام وضم الحاء بغير واو اكتفاء بالضمة عن الواو **قوله** وافلح على البناء للمفعول يعنى بمعنى ادخلوا فى الفلاح فيكون من افلح متعديا يقال افلحه اى اصاره الى الفلاح فيستعمل افلح لازما ومتعديا * واعلم انه تعالى اشار الى ان الفلاح الحقيقى لا يحصل بمطلق الايمان بل انما يحصل بالايمان الحقيقى المقيد بجميع الشرآئط التى هى مذكورة فى هذه الآية منها كون العبد مؤديا للصلاة حال كونه ملابسا للخشوع والخضوع واختلف فى الخشوع فمنهم من جعله من افعال القلوب كالخوف والرهبة ومنهم من

جعله من افعال الجوارح كالسكون وترك الالتفات ومنهم من جمع بين الامرين وهو الاولى والخاشع فى صلاته لابدّ ان يحصل له مما يتعلق بالقلب والقالب وجميع مايدل على ظاهره وباطنه نهاية الخضوع والتذلل للمعبود اما خشوع الظاهر والقالب فما يكون بالرأس تنكيسه ومايكون بالعين تعاميه عن الالتفات ومايكون بالاذن تذلله للاستماع ومايكون باللسان القرآءة بالحضور ومايكون باليدين وضع اليمين على الشمال بالتعظيم كالعبيد ومايكون بالظهر انحناؤه فى الركوع مستويا ومايكون بالفرج لايظهر فيه اثر من آثار الخواطر الشهوانية ومايكون بالقدمين ثباتهما على الموضع وسكونهما عن الحركة التى لاتكون من افعال الصلاة واما خشوع الباطن فخشوع النفس بسكونها عن الخواطر والهواجس وخشوع القلب بملازمة الذكر ودوام الخضوع وخشوع السرّ بمراقبة المذكور وترك الخطاب الى المكوّنات وخشوع الروح باستغراقه فى بحر المحبة وفنائه عند تجلى الجمال والجلال قال الامام رحمه الله تعالى عليه فان قيل هل ذلك واجب فى الصلاة قلنا انه واجب عندنا ويدل عليه امور احدها قوله تعالى افلا يتدبرون القرءآن ام على قلوب اقفالها والتدبر لايتصوّر بدون الوقوف على المعنى وقوله تعالى ورتل القرءآن ترتيلا معناه والله تبارك وتعالى اعلم انكم قفوا على عجائبه ومعانيه وثانيها قوله واقم الصلاة لذكرى فظاهر الامر للوجوب والغفلة تضادّ الذكر فمن غفل فى جميع صلاته كيف يكون مقيما الصلاة بذكره تعالى وثالثها قوله تعالى ولاتكن من الغافلين فظاهره التحريم وقوله تعالى حتى تعلموا ماتقولون تعليل لنهى السكران عن قربان الصلاة وهو مطرد فى الغافل المستغرق المهتم بالدنيا ورابعها قوله صلى الله عليه وسلم * انما الصلاة تمسكن وتواضع * فكلمة انما للحصر وقوله صلى الله عليه وسلم * من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم تزده من الله تعالى الا بعدا * فصلاة الغافل لاتمنع عن الفحشاء وقال صلى الله عليه وسلم * كم من قائم حظه من قيامه التعب والنصَب وما اراد به الا الغافل * وقيل اجمعت العلماء رضى الله تعالى عنهم على انه ليس للعبد من صلاته الا ماعقل منها روى انه صلى عليه وسلم قال * ان العبد ليصلى الصلاة لايكتب منها له سدسها ولاعشرها وانما يكتب للعبد من صلاته ماعقل منها * يعنى لايقبل من صلاته الا ماعقل منها والصلاة وان لم تقبل التجزى جوازا وفسادا الا انها تقبل التجزى قبولا وبين الامرين فرق وعن بشر الحافى انه قال من لم يخشع فسدت صلاته وعن الحسن رضى الله عنه كل صلاة لايحضر فيها القلب فهى الى العقوبة اسرع وعن معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه من عرف من على يمينه وشماله متعمدا وهو فى الصلاة فلا صلاة له قال الغزالى المصلى يناجى ربه كما ورد به الخبر والكلام مع الغفلة ليس بمناجاة له لانها لاتتحقق الا اذا كان اللسان معبرا عما فى القلب من التضرّعات ولاشك ان المقصود من القرءآن والاذكار والحمد والثناء والتضرّع والدعاء خطاب والمخاطب هو الله تعالى فاذا كان القلب محجوبا بحجاب الغفلة وكان غافلا عن جلال الله تعالى وكبريائه ثم ان لسانه يتحرّك بحكم العادة فانه بعيد عن القبول وكذا المقصود من الركوع والسجود ليس الا تعظيمه تعالى والامتثال لامره تعالى وايقاع هذه الافعال لقصد التعظيم والامتثال لايمكن مع غفلة القلب عن المعبود والمقصود تعظيمه ولو جاز ان تكون هذه الافعال تعظيما لله تعالى مع ان القلب غافل عنه لجاز ان تكون تعظيما لصنم بجنبه وهو غافل عنه ومما يدل على ان الصلاة لابدّ فيها من الخشوع والحضور ان الفقهاء اختلفوا فيما ينوى به المصلى بالسلام عند الجماعة والانفراد هل ينوى الحضور او الغيب والحضور معا فاذا احتيج الى التدبر فى معنى السلام الذى هو آخر الصلاة احتيج الى التدبر فى معنى التكبير والتسبيح والقرآءة الواقعة فى اثنا الصلاة ثم قال الحضور عندنا ليس شرط الاجزآء بل هو شرط القبول والمراد من الاجزاء ان لايجب القضاء والمراد من القبول حكم الثواب والفقهاء انما يبحثون عن حكم الاجزآء لاعن حكم الثواب وغرضنا فى هذا المقام هذا ثم قال هب ان الفقهاء حكموا باسرهم بجوازه أليس الاصوليون واهل الورع ضيقوا فيه الامر فهلا اخذت بالاحتياط فان بعض العلماء اختار الامامة فقيل له فى ذلك فقال اخاف ان تركت الفاتحة ان يعاتبنى الشافعى رحمه الله تعالى عليه وان قرأتها مع الامام يعاتبنى ابو حنيفة رضى الله عنه فاخترت الامامة طالبا للخلاص من هذا الاختلاف ﴿ **قوله** والزكاة تقع على المعنى والعين ﴾ اى تقع على معنى التزكية والعين اى القدر الذى يخرجه صاحب النصاب منه ويدفعه الى الفقير فان اريد بها العين فى الآية الشريفة فلابدّ من تقدير المضاف اى والذين هم لادآء الزكاة فاعلون واللام فى قوله للزكاة مزيدة فى المفعول لتقدمه على عامله ولكون العامل فرعا ﴿ **قوله** لايبذلونها ﴾ يعنى ان قوله حافظون

روى انه عليه السلام كان يصلى رافعا بصره الى السماء فلما نزلت رمى ببصره نحو مسجده وانه رأى رجلا يعبث بلحيته فقال لوخشع قلب هذا لخشعت جوارحه (والذين هم عن اللغو) عما لايعنيهم من قول وفعل (معرضون) لما بهم من الجدّ مايشغلهم عنه وهو ابلغ من الذين لايلهون من وجوه جعل الجملة اسمية وبناء الحكم على الضمير والتعبير عنه بالاسم وتقديم الصلة عليه واقامة الاعراض مقام الترك ليدل على بعدهم عنه رأسا مباشرة وتسببا وميلا وحضورا فان اصله ان يكون فى عرض غير عرضه وكذلك قوله (والذين هم للزكاة فاعلون) وصفهم بذلك بعد وصفهم بالخشوع فى الصلاة ليدل على انهم بلغوا الغاية فى القيام على الطاعات البدنية والمالية والتجنب عن المحرّمات وسائر ماتوجب المروءة اجتنابه والزكاة تقع على المعنى والعين والمراد الاوّل لان الفاعل فاعل الحدث لان المحل الذى هو موقعه او الثانى على تقدير مضاف (والذين هم لفروجهم حافظون) لايبذلونها

﴿ الاعلى ازواجهم اوماملكت ايمانهم ﴾ زوجاتهم اوسرّياتهم وعلى صلة لحافظين من قولك احفظ علىّ عنان فرسى اوحال اى حفظوها فى كافة الاحوال الافى حال التزوّج اوالتسرّى اولفعل دل عليه غير ملومين وانماقال ماأجراء للماليك مجرى غيرالعقلاء اذالملك اصل شائع فيه وافراد ذلك بعدتعميم قوله والذين هم عن اللغو معرضون لان المباشرة اشهى الملاهى الى النفس واعظمها خطرا ﴿ فانهم غيرملومين ﴾ الضمير لحافظون اولمن دل عليه الاستثناء اى فان بذلوها لأزواجهم اوامائهم فانهم غيرملومين على ذلك ﴿ فمن ابتغى وراء ذلك ﴾ المستثنى ﴿ فأولئك هم العادون ﴾ الكاملون فى العدوان ﴿ والذين هم لاماناتهم وعهدهم ﴾ لمايؤتمنون عليه ويعاهدون من جهة الحق اوالخلق ﴿ راعون ﴾ قائمون بحفظها واصلاحها وقرأ ابن كثير هنا وفى المعارج لامانتهم على الافراد لأمن الالباس اولانها فى الاصل مصدر ﴿ والذين هم على صلواتهم يحافظون ﴾ يواظبون عليها ويؤدّونها فى اوقاتها ولفظ الفعل فيه لما فى الصلاة من التجدّد والتكرّر ولذلك جمعه غيرحمزة والكسائى وليس ذلك تكريرا لما وصفهم به اوّلا فان الخشوع فى الصلاة غير المحافظة عليها وفى تصدير الاوصاف وختمها بأمر الصلاة تعظيم لشأنها ﴿ اولئك ﴾ الجامعون لهذه الصفات ﴿ هم الوارثون ﴾ الاحقاء بان يسموا ورّاثا دون غيرهم ﴿ الذين يرثون الفردوس ﴾ بيان لمايرثونه وتقييد للوارثة بعداطلاقها تفخيما لها وتأكيدا وهى مستعارة لاستحقاقهم الفردوس من اعمالهم وان كان بمقتضى وعده مبالغة فيه وقيل انهم يرثون من الكفار منازلهم فيها حيث فوّتوها على انفسهم لانه تعالى خلق لكل انسان منزلا فى الجنة ومنزلا فى النار ﴿ هم فيها خالدون ﴾ انث الضمير لانه اسم للجنة اولطبقتها العليا ﴿ ولقد خلقنا الانسان من سلالة ﴾ من خلاصة سلت من بين الكدر ﴿ من طين ﴾ متعلق بمحذوف لانه صفة لسلالة اومن بيانية اوبمعنى سلالة لانها فى معنى مسلولة فتكون من ابتدائية كالاولى والانسان آدم خلق من صفوة سلت من الطين

وان كان اثباتا صورة الا انه فى معنى النفى لان الحفظ عبارة عن الصون وترك الابتذال يقال فلان يحفظ نفسه ولسانه اى لايبذلهما فيما لايعنيه والمعنى والذين هم لفروجهم لايبذلون الا على ازواجهم وانمااحتيج الى اعتبار تضمين معنى النفى على تقدير ان تكون على صلة لحافظين لان قوله تعالى الاعلى ازواجهم استثناء مفرّغ وذا لايكون الابعد النفى اومافى معناه وفعل الحفظ يتعدّى بعلى باعتبار تضمينه معنى الامساك والقصر فان كلا منهما يتعدّى بعلى قال الله تعالى أمسك عليك زوجك ويقال احفظ علىّ عنان فرسى بتضمينه معنى أمسك ولولا اعتبار التضمين لماعدّى بعلى فكون كلمة على صلة حافظون يتوقف على اعتبار التضمين وجواز الاستثناء المفرّغ فى الاثبات يتوقف على كونه فى معنى النفى ﴿ قوله اوسرّياتهم ﴾ جمع سرّية بضم السين وتشديد الرآء والياء جميعا فعلية من السرّ وهو الجماع وهى جارية يطأها المولى للتناسل والتسرّى وطئ الجارية سرّا اى وطئا سرّا والاصل التسرّر قلبت الرآء الاخيرة ياء كما فى تقضى البازى ﴿ قوله وانماقال ما ﴾ اى ولم يقل اومن ملكت مع ان الاماء عواقل اجراء لهنّ مجرى غيرالعقلاء لنقصان عقلهنّ وعلمهنّ وامتهانهنّ فى الاعمال الخسيسة كسائر الحيوانات والبهائم فمن ابتغى اى طلب سوى الزوجات والسرارى فأولئك هم الكاملون فى العدوان حيث لم ينتفعوا بما وسع الله تعالى عليهم من تزويج الاربع من الحرآئر والتسرّى بماشاء من الجوارى والعدوان الظلم اومجاوزة ماحدّه الله تعالى وفيه دليل على ان الاستمناء باليد حرام وهو قول العلماء رضى الله تعالى عنهم قال عطاء سمعت ان قوما يحشرون وايديهم حبالى فأظنّ انهم هؤلاء وروى انه تعالى عذب امّة كانوا يعبثون بمذاكيرهم ﴿ قوله لمايؤتمنون عليه ﴾ فان الامانة والعهد مصدران فى الاصل ثم سمى الشئ المؤتمن عليه والمعاهد عليه امانة وعهدا تسمية بالمصدر قال تعالى ان الله يأمركم انّ تؤدّوا الامانات الى اهلها وقال وتخونوا اماناتكم وانما تؤدّى الاعيان لاالمعانى والمؤتمن عليه لاالامانة نفسها ﴿ قوله جمعه غيرحمزة والكسائى ﴾ فانهما قرأ على صلاتهم بالتوحيد والباقون صلواتهم بالجمع قالوا وحدت اوّلا ليفاد الخشوع فى جنس الصلاة اىّ صلاة كانت وجمعت آخرا ليفاد المحافظة على اعدادها وهى الصلوات الخمس والوتر والسنن المرتبة والنوافل المروية ﴿ قوله الجامعون لهذه الصفات ﴾ اشارة الى ان قوله تعالى والذين هم عن اللغو معرضون ومابعده من المعطوفات من قبيل عطف الصفة على الصفة مع وحدة الذات ومعنى الجمع مستفاد من توسط الواو العاطفة بينها والحصر المستفاد من قوله تعالى فأولئك هم الوارثون من قبيل حصر الكمال واشار اليه بقوله الاحقاء بان يسموا ورّاثا والوارث هو الباقى بعدفناء المورّث والقائم مقامه فى الاستعداد بما يستحقه مورّثه فالجامعون لهذه العبارات والاوصاف المذكورة من حيث بقاؤهم بعد فناء اعمالهم التى هى من قبيل الاعراض بمنزلة الورّاث الباقين بعدفناء مورّثهم من حيث ان تلك الاعمال اورثتهم ماوعدهم الله تعالى بازآئها من الثواب الجزيل ﴿ قوله وقيل انهم يرثون من الكفار ﴾ روى عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم * مامنكم من احد الاله منزلان منزل فى الجنة ومنزل فى النار فان مات ودخل النار ورث اهل الجنة منزله * وذلك قوله تعالى اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون وروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال * خلق الله تعالى ثلاثة اشياء خلق آدم بيده وكتب التوراة بيده وغرس الفردوس بيده ثم قال وعزتى وجلالى لايدخلها مدمن خمر ولا ديوث * قالوا يارسول الله قدعرفنا مدمن الخمر فالديوث قال صلى الله عليه وسلم * هو الذى يقرّ السوء لاهله ﴿ قوله من خلاصة ﴾ يعنى ان السلالة ماسل من الشئ اى نزع واستخرج على وجه التصفية والتخليص من كدره قال صاحب الديوان فعالة اسم لمابقى بعدالمصدر فالسلالة مابقى بعد السل كالنخالة والبراية لمابقيا بعد النخل والبرى وفيها دلالة على القلة فاذا قبضت على الطين بكفك فخرج من بين اصابعك صرفه وخالصه فهى سلالة وقال ابوعبيدة السلالة الخالص من كل شئ وقيل سمى التراب الذى خلق منه آدم سلالة لانه سل من كل تربة وسمى الولد سلالة لان اصله وهو الماء سل من تحت كل شعرة فقول صاحب الديوان رضى الله تعالى عنه مخالف لقول غيره واختار المصنف قول غيره رحمة الله تعالى عليهم ومن الاولى ابتدآئية متعلقة بخلقنا والثانية تبعيضية متعلقة بمحذوف وهو صفة لسلالة اى خلقناه من سلالة كائنة من طين ويجوز ان تكون الثانية لبيان الجنس كما فى قوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان على تقدير ان تكون السلالة هو الطين ﴿ قوله اوبمعنى سلالة ﴾ عطف على قوله بمحذوف اى اومن الثانية متعلقة بمعنى السلالة اى من صفوة مسلولة من طين فتكون ابتدآئية كالاولى واختلف اهل التفسير فى الانسان فقال ابن عباس وعكرمة

(وقتادة)

وقتادة رضى الله تعالى عنهم المراد آدم عليه الصلاة والسلام فانه خلق من طين انسل من كل تربة وخلقت ذرّيته من ماء مهين فقوله تعالى ثم جعلناه مبنى على حذف المضاف اى ثم جعلنا نسله ويحتمل ان يكون ضمير جعلناه للانسان الذى هو آدم على طريق الاستخدام فان لفظ الانسان اسم شامل لآدم عليه الصلاة والسلام واولاده فيراد بالانسان نفس آدم وبضميره ولد آدم ومثله يسمى استخداما فى عرف اهل البديع ﴿قوله او الجنس فانهم خلقوا من سلالات﴾ اى من صفوات مسلولة من الماء والطين وهى الاغذية النباتية التى سل منها الفم والاسنان ثم المعدة ثم الكبد ثم الدماغ وهو اشارة الى ماذكره الامام بقوله الانسان انما يتولد من النطفة وهى انما تتولد من فضل الهضم الرابع وذلك انما يتولد من الاغذية وهى اما حيوانية اونباتية والحيوانية تنتهى الى النباتية والنباتية انما تتولد من صفوة الارض والماء فان الانسان بالحقيقة يكون متولدا من سلالة من طين ثم ان تلك السلالة بعد ان تواردت عليها اطوار الخلقة وادوار الفطرة صارت منيا قال وهذا التأويل مطابق للفظ ولا يحتاج فيه الى التكليفات ووجه ارتباط هذه الآية بما قبلها انه تعالى امر بالعبادات فى الآية المتقدمة ومن المعلوم ان الاشتغال بعبادة الله تعالى لايصح الا بعد معرفته تعالى فلذلك عقبه بذكر مايدل على وجوده واتصافه بصفات الجلال والوحدانية وذكر من الدلائل انواعا النوع الاوّل تقلب الانسان فى اطوار الخلقة وهى تسعة اطوار اوّلها كونه سلالة من طين وآخرها ماذكره الله تعالى بقوله ثم انكم يوم القيامة تبعثون وهذه الجملة اعنى قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان جواب قسم محذوف اى والله لقد خلقنا الانسان ﴿قوله بان خلقناه منها﴾ لما كان جعل الانسان نطفة غير معقول اذ المعقول ان تجعل النطفة انسانا لم يحمل قوله تعالى جعلناه على معنى صيرناه بل حمله على معنى خلقناه وجعل انتصاب نطفة بنزع الخافض ﴿قوله او ثم جعلنا السلالة نطفة﴾ اى ثم صيرنا الاغذية المسلولة من الطين نطفة وقوله تعالى فى قرار متعلق بمحذوف على انه صفة لنطفة ويجوز ان يتعلق بجعلنا على ان يكون المراد بالقرار صلب الرجل ويكون ضمير جعلناه للسلالة ويكون الجعل بمعنى التصيير فان جنس الانسان يخلق من المسلول من طين وذلك المسلول لايصير نطفة فى الصلب الا بعد زمان والمراد بالقرار موضع القرار وهو المستقرّ الذى اريد به الرحم سمى بالمصدر ثم وصف الرحم بالمكانة التى هى صفة للمستقرّ فيه لأحد معنيين اما على المجاز كطريق سائر وانما السائر من فيه واما المكانتها فى نفسها لانها تمكنت فى نفسها وجعلت مكينة حصينة محكمة محفوظة وضمن خلق فى قوله تعالى ثم خلقنا النطفة علقة ومابعده معنى جعل بمعنى التصيير فعدّى الى اثنين كما ضمن جعل معنى خلق فعدّى الى واحد نحو قوله تعالى جعل الظلمات والنور ﴿قوله لتفاوت الاستحالات﴾ فان خلق نسل آدم من النطفة متراخ رتبة وزمانا عن خلق نفسه من سلالة من طين وكذا تصيير السلالة متراخ رتبة عن خلق الانسان من تلك السلالة وكذا الحال فى تحويل النطفة علقة بالنسبة الى خلق نسل آدم من النطفة بخلاف التحويلات الباقية فانها امور متعاقبة ﴿قوله والجمع﴾ اى وجمع العظام فى الموضعين وهو قرآءة العامّة مع ان لفظ العظم لكونه اسم جنس مغن عن الجمع للدلالة على مابين افرادها من الاختلاف فى الهيئة والصلابة ﴿قوله تعالى احسن الخالقين﴾ نعت الجلالة ويجوز ان يكون بدلا من لفظ الجلالة والاوّل اولى لان البدل بالمشتق قليل ويجوز ان يكون خبر مبتدأ محذوف اى هو أحسن والاصل عدم الحذف ومنع ابو البقاء كونه صفة قال لانه نكرة ان اضيف الى المعرفة لان المضاف اليه عوض عن كلمة من وهكذا جميع باب افعل من وهذا المنع مبنى على احد القولين فى افعل التفضيل اذا اضيف هل اضافته محضة اولا والصحيح الاوّل قالت المعتزلة لولا ان يكون غير الله تعالى قد يكون خالقا لما جاز القول بانه احسن الخالقين كما انه لو لم يكن فى عباده من يحكم ويرحم لم يجز ان يقال فى حقه انه احكم الحاكمين وارحم الراحمين والمصنف رحمة الله تعالى عليه اشار الى جوابهم بتفسير الخالقين بالمقدّرين فان الخلق هو التقدير قال زهير

❁ ولأنت تفرى ماخلقت وبعض القوم يخلق ثم لايفرى ❁

اى ولأنت تقدّر امرا فتمضيه وبعض القوم يقدّر ولايمضى والآية انما تكون حجة للمعتزلة اذا كان التقدير مستلزما للايجاد وليس كذلك والمعنى احسنهم خلقا وتقديرا فحذف المميز لدلالة الخالقين عليه كما حذف المأذون فيه فى قوله تعالى اذن للذين يقاتلون وهو القتال لدلالة يقاتلون عليه ﴿قوله ولذلك﴾ اى ولكون المصير الى الموت امرا ثابتا لامحالة ذكر النعت الذى هو الثبوت وهو الصفة المشبهة ولم يذكر ماهو للحدوث وهو اسم الفاعل وهذه الاطوار التى يتقلب الانسان فيها لايقدر عليها غيره تعالى فهى دليل على وجوده وكمال قدرته

او الجنس فانهم خلقوا من سلالات جعلت نطفا بعد أدوار وقيل المراد بالطين آدم لانه خلق منه والسلالة نطفته (ثم جعلناه) ثم جعلنا نسله فحذف المضاف (نطفة) بان خلقناه منها او ثم جعلنا السلالة نطفة وتذكير الضمير على تأويل الجوهر او المسلول او الماء (فى قرار مكين) مستقرّ حصين يعنى الرحم وهو فى الاصل صفة للمستقرّ وصف به المحل مبالغة كما عبر عنه بالقرار (ثم خلقنا النطفة علقة) بان أحلنا النطفة البيضاء علقة حمراء (فخلقنا العلقة مضغة) فصيرناها قطعة لحم (فخلقنا المضغة عظاما) بان صلبناها (فكسونا العظام لحما) مما بقى من المضغة او مما أنبتنا عليها مما يصل اليها واختلاف العواطف لتفاوت الاستحالات والجمع لاختلافها فى الهيئة والصلابة وقرأ ابن عامر وابو بكر على التوحيد فيهما اكتفاء باسم الجنس عن الجمع وقرئ بافراد احدهما وجمع الآخر (ثم انشأناه خلقا آخر) هو صورة البدن او الروح او القوى بنفخه فيه او المجموع وثم لما بين الخلقين من التفاوت واحتج به ابو حنيفة على ان من غصب بيضة فأفرخت عنده لزمه ضمان البيضة لا الفرخ لانه خلق آخر (فتبارك الله) فتعالى شأنه فى قدرته وحكمته (احسن الخالقين) المقدّرين تقديرا فحذف المميز لدلالة الخالقين عليه (ثم إنكم بعد ذلك لميتون) لصائرون الى الموت لامحالة ولذلك ذكر النعت الذى للثبوت دون اسم الفاعل وقد قرئ به (ثم انكم يوم القيامة تبعثون) للمحاسبة والمجازاة (ولقد خلقنا فوقكم سبع طرآئق) سبع سموات لانها طورق بعضها فوق بعض مطارقة النعل وكل ما فوقه مثله فهو طريقة او لانها طرق الملائكة او الكواكب فيها مسيرها (وما كنا عن الخلق) عن ذلك المخلوق الذى هو السموات او عن جميع المخلوقات (غافلين)

مهملين امرها بل نحفظها من الزوال والاختلال وندبر أمرها حتى تبلغ منتهى ماقدرلها من الكمال حسبما اقتضته الحكمة وتعلقت به المشيئة (وانزلنا من السماء ماء بقدر) بتقدير يكثر نفعه ويقل ضرره او بمقدار ما علمنا من صلاحهم (فأسكناه) فجعلناه ثابتا مستقرا (فى الارض وانا على ذهاب به) على ازالته بالافساد او التصعيد او التعميق بحيث يتعذر استنباطه (لقادرون) كما كنا قادرين على انزاله وفى تنكير ذهاب ايماء الى كثرة طرقه ومبالغة فى الايعاد به ولذلك جعل ابلغ من قوله قل ارأيتم ان أصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين (فأنشأنا لكم به) بالماء (جنات من نخيل واعناب لكم فيها) فى الجنات (فواكه كثيرة) تتفكهون بها (ومنها) ومن الجنات ثمارها وزروعها (تأكلون) تغذيا او ترزقون وتحصلون معايشكم من قولهم فلان يأكل من حرفته ويجوز ان يكون الضميران للنخيل والاعناب اى لكم فى ثمرتهما انواع من الفواكه الرطب والعنب والتمر والزبيب والعصير والدبس وغير ذلك وطعام تأكلونه (وشجرة) عطف على جنات وقرئت بالرفع على الابتداء اى ومما انشئ لكم به شجرة (تخرج من طور سيناء) جبل موسى بين مصر وأيلة وقيل بفلسطين وقد يقال له طور سينين ولا يخلو من ان يكون الطور للجبل وسيناء اسم بقعة اضيف اليها او المركب منهما علم له كامرئ القيس ومنع صرفه للتعريف والعجمة او التأنيث على تأويل البقعة لا للالف لانه فيعال كديماس من السناء بالمد وهو الرفعة او بالقصر وهو النور او ملحق بفعلال كعلباء من السين اذ لا فعلاء بألف التأنيث بخلاف سيناء على قرآءة الكوفيين والشامى ويعقوب فانه فيعال ككيسان او فعلاء كصحراء لا فعلال اذ ليس فى كلامهم وقرئ بالكسر والقصر (تنبت بالدهن) اى تنبت ملتبسة بالدهن ومستصحبة له ويجوز ان يكون الباء صلة معدية لتنبت كما فى قولك ذهبت بزيد وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب فى رواية تنبت وهى اما من انبت بمعنى نبت كقول زهير

رأيت ذوى الحاجات عند بيوتهم *
قطينا لهم حتى اذا انبت البقل *

او على تقدير تنبت زيتونها ملتبسا بالدهن وقرئ على البناء للمفعول وهو كالاول وتثمر بالدهن وتخرج بالدهن وتخرج الدهن وتنبت بالدهان (وصبغ للآكلين) معطوف على الدهن جار على اعرابه عطف احد وصفى الشئ على الآخر اى تنبت بالشئ الجامع بين كونه دهنا يدهن به ويسرج منه وكونه اداما يصبغ فيه الخبز اى يغمس فيه للائتدام وقرئ وصباغ كدباغ فى دبغ

وعلمه وحكمته ثم انه تعالى استدل على ذلك بخلقه السموات بقوله تعالى ولقد خلقنا فوقكم سبع طرآئق اى سبع طبقات متطارق بعضها فوق بعض ﴿قوله مهملين امرها﴾ اشارة الى ان المراد بالخلق السموات السبع واللام فيه للعهد وانه بمعنى المخلوق بين الله تعالى بذلك كمال علمه وحكمته بعد ما بين قدرته بخلق نفسها كأنه قيل خلقناها فوقكم وما كنا عما تحدث وما تجرى فيها او عن حفظها وامساكها ان تقع عليكم غافلين ويحتمل ان يكون المراد بالخلق الناس وسائر الحيوانات والمقصود بيان الحكمة فى خلقها كأنه قيل انما خلقناها فوقهم لنفتح لهم ابواب الرزق والبركات عليهم منها وينتفعوا بمنافعها فنحن لسنا غافلين عنهم وعما يصلحهم ثم انه تعالى استدل على ذلك بنزول المطر وكيفية تأثيراته فى النبات فقال تعالى وانزلنا من السماء ماء بقدر اى انزالا ملتبسا بتقدير يكثر نفع ذلك التقدير ويقل ضرره فقوله بقدر صفة مصدر محذوف واما ان كان القدر بمعنى المقدار فحينئذ يكون صفة لقوله ماء والتقدير لا يقتضى مقيسا عليه بخلاف المقدار فلذلك اضاف المقدار الى المقيس عليه ولم يضف التقدير اليه واختلف المفسرون رحمة الله تعالى عليهم فى ان المراد بالسماء ماهو فذهب اكثر المفسرين الى ان المراد بها المظلة الخضرآء وان مياه الارض كلها نازلة منها وجعل الله تعالى منافع الارض متصلة بمنافع السماء مع بعد ما بينهما وبين ذلك بان منشئهما ومدبرهما واحد عالم بذاته وذهب الآخرون الى ان المراد بها السحاب وسماه سماء لسموه وارتفاعه والمعنى انه تعالى اصعد الاجزآء المائية من البحار الى السماء حتى صارت عذبة صافية ثم انزل تلك المياه لتفرقتها فى قعر الارض والله تبارك وتعالى اعلم بحقيقة الحال ثم انه تعالى امتن علينا بابقاء الماء الذى هو قوام مصالح الدنيا والدين قال تعالى وانا على ذهاب به اى بالماء لقادرون وروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى انزل من الجنة خمسة أنهار سيحون وهو نهر الهند وجيحون وهو نهر بلخ ودجلة والفرات وهما نهرا العراق والنيل وهو نهر مصر انزلها الله تعالى من عين واحدة من عيون الجنة من اسفل درجة من درجاتها على جناحى جبريل عليه السلام واستودعها الجبال فأجراها فى الارض وجعل فيها منافع للناس فى اصناف معاشهم وذلك قوله تعالى وانزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه فى الارض فاذا كان عند خروج يأجوج ومأجوج ارسل الله تعالى جبريل عليه الصلاة والسلام ورفع من الارض القرآن والعلم كله والحجر الاسود من ركن البيت ومقام ابراهيم وتابوت موسى بما فيه وهذه الانهار الخمسة فيرفع كل ذلك الى السماء فذلك قوله تعالى وانا على ذهاب به لقادرون فاذا رفعت هذه الاشياء من الارض فقد فقد اهلها خيرى الدنيا والدين * واعلم ان الماء نعمة فى نفسه وهو مع ذلك سبب لحصول نعم اخرى فلا جرم امتن الله تعالى اولا بانزاله وابقائه ثم ذكر ما يحصل به من النعم فقال تعالى فأنشأنا لكم به جنات الآية ﴿قوله او ترزقون﴾ تفسير ثان لقوله تعالى تأكلون فان الاكل حقيقة فى ابتلاع المطعوم والتغذى به ويطلق ايضا على تحصيل ما ينتفع به الانسان فى تعيشه من المأكل والملبس ونحوهما مجازا مرسلا بطريق التعبير عن الشئ باسم معظم ما يقصد منه ﴿قوله ومنع صرفه﴾ اى منع صرف سيناء بكسر السين والمد وهى قرآءة نافع وابن كثير وابى عمرو بخلاف عاصم وحمزة والكسائى وابن عامر ويعقوب فانهم قرأوا سيناء بفتح السين والمد والاعمش بالكسر والقصر وليس فى كلامهم فعلاء بكسر الاول وهمزته للتأنيث بل هى للالحاق بشمراخ وقرطاس كما فى علباء فتكون الهمزة فيها منقلبة عن ياء او واو لان الالحاق لا يكون الا بهما فلما وقع حرف العلة متطرفا بعد الف زآئدة قلب همزة كما فى ردآء وكساء ﴿قوله اى تنبت ملتبسة بالدهن﴾ اى وفيها الدهن على ان يكون بالدهن حالا من فاعل تنبت وجوز كونه مفعولا به غير صريح لتنبت ومن قرأ تنبت بضم التاء وكسر الباء جعل انبت بمعنى نبت كما فى بيت زهير

رأيت ذوى الحاجات عند بيوتهم * قطينا لهم حتى اذا انبت البقل *

قوله رأيت على لفظ الخطاب والقطين الخدم والاتباع جمع قاطن اى رأيت الفقرآء والمساكين مقيمين حول بيوتهم لقضاء حوآئجهم حتى اذا نبت البقل وظهر الخصب فحينئذ ينتجعون وينقطعون من حولها ويجوز ان يكون انبت متعديا حذف مفعوله اى تنبت زيتونها وفيه الزيت فقوله تعالى بالدهن على الوجهين فى موضع الحال وفيه وجه ثالث لم يتعرض له المصنف رحمة الله تعالى عليه وهو ان تكون الباء فيه زآئدة فى المفعول كما فى قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة وقرئ تنبت بالدهن بضم التاء وفتح الباء على بناء المفعول من انبتها الله تعالى وبالدهن حال من المفعول القائم مقام الفاعل اى ملتبسة بالدهن وفى حرف تثمر بالدهن وقرئ تخرج بالدهن مضارع

(وان لكم فى الانعام لعبرة) تعتبرون بحالها وتستدلون بها (نسقيكم مما فى بطونها) من الالبان اومن العلف فان اللبن يتكوّن منه فمن للتبعيض اوللابتدآء (ولكم فيهامنافع كثيرة) فى ظهورها واصوافها وشعورها (ومنها تأكلون) فتنتفعون بأعيانها (وعليها) وعلى الانعام فان منها مايحمل عليه كالابل والبقر وقيل المراد الابل لانها هى المحمول عليها عندهم والمناسب للفلك فانهاسفائن البرّقال ذوالرمّة * سفينة برّ تحت خدى زمامها * فيكون الضميرفيها كالضمير فى وبعولتهنّ احق بردّهنّ (وعلى الفلك تحملون) فى البرّ والبحر (ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال ياقوم اعبدوا الله) الى آخر القصص مسوق لبيان كفران الناس ماعدّد عليهم من النعم المتلاحقة وماحاقهم من زوالها (مالكم من اله غيره) استئناف لتعليل الامر بالعبادة وقرأ الكسائى غيره بالجرّ على اللفظ (أفلا تتقون) أفلا تخافون ان يزيل عنكم نعمه فيهلككم ويعذبكم برفضكم عبادته الى عبادة غيره وكفرانكم نعمه التى لاتحصونها (فقال الملأ) الاشراف (الذين كفروا من قومه) لعوامهم (ماهذا الا بشر مثلكم يريد ان يتفضل عليكم) اى يطلب الفضل عليكم ويسودكم (ولوشاء الله) ان يرسل رسولا (لأنزل ملائكة) رسلا (ماسمعنا بهذا فى آبائنا الاوّلين) يعنون نوحا اى ماسمعنا به انه نبي أو ماكلمهم به من الحث على عبادة الله ونفى اله غيره او من دعوى النبوّة وذلك اما من فرط عنادهم اولانهم كانوا فى فترة متطاولة (ان هو الارجل به جنة) اى جنون ولاجله يقول ذلك (فتربصوا به) فاحتملوه وانتظروا (حتى حين) لعله يفيق من جنونه (قال) بعدما آيس من ايمانهم (رب انصرنى) باهلاكهم او بانجاز ماوعدتهم من العذاب (بما كذبون) بدل تكذيبهم اياى او بسببه (فاوحينا اليه ان اصنع الفلك باعيننا) بحفظنا نحفظه ان تخطئ فيه او يفسده عليك مفسد (ووحينا) وامرنا وتعليمنا كيف تصنع (فاذا جاء امرنا) بالركوب او نزول العذاب (وفار التنور) روى انه قيل لنوح اذا فار الماء من التنور اركب انت ومن معك فلما نبع الماء منه اخبرته امرأته فركب ومحله فى مسجد الكوفة عن يمين الداخل مما يلى باب كندة وقيل عين وردة بالشام وفيه وجوه اخر ذكرتها فى هود (فاسلك فيها) فادخل فيها يقال سلك فيه وسلك غيره قال تعالى ماسلككم فى سقر (من كل زوجين اثنين) من كل امتى الذكر والانثى واحدين مزدوجين وقرأ حفص من كل بالتنوين اى من كل نوع زوجين واثنين تأكيد

خرج وتخرج الدهن مضارع اخرج وتنبت بالدهان وهو جمع دهن كرمح ورماح والصبغ والصباغ مايصبغ به اى يؤتدم سمى الادام صبغا لان الخبز يلوّن به ان غمس فيه ونحوهما الدبغ والدباغ لما يدبغ به ثم انه تعالى لما استدل على وجوده وكمال علمه وقدرته وحكمته بانزال الماء واخراج انواع النبات به استدل عليه بأنواع الحيوانات ايضا فقال تعالى وان لكم فى الانعام لعبرة ثم فصل مافيها من وجوه الاعتبار وذكر منها اربعة اوجه الاوّل قوله نسقيكم مما فى بطونها والمراد جميع وجوه الانتفاع بألبانها ووجه الاعتبار فيها أنها تجمع فى الضروع وتخلص من بين الفرث والدم باذن الله تعالى فتستحيل الى طهارة والى لون وطعم موافق للشهوة وتصير غذآء فمن استدل بذلك على قدرته تعالى وحكمته تكون هذه النعمة فى حقه من النعم الدينية ومن انتفع به فى امر معاشه تكون فى حقه من النعم الدنيوية والثانى قوله تعالى ولكم فيهامنافع كثيرة والثالث قوله تعالى تأكلون افرد منفعة الاكل بالذكر لكونها انتفاعا مغايرا لما سبق من حيث كونها انتفاعا بأعيانها بعد ذبحها بخلاف المنافع السابقة فانها انتفاع بمنافعها الخارجة عن ذواتها وهى حية باقية باعيانها ورابعها قوله تعالى وعليها وعلى الفلك تحملون **قوله فيكون الضمير فيها كالضمير الخ** اى على تقدير ان يراد بالضمير الابل خاصة يكون الضمير فيها كالضمير فى قوله تعالى وبعولتهنّ بعد قوله والمطلقات يتربّصن بانفسهنّ ثلاثة قروء فى كونه راجعا الى بعض مدلول المذكور فان ضمير بعولتهنّ يرجع الى بعض المطلقات وهو المطلقات طلاقا رجعيا فكذا ضمير عليها ان اريد به الابل خاصة ثم انه تعالى لما بين دلائل التوحيد اردفها بالقصص كما هو العادة فى سائر السور الكريمة وابتدأ بقصة نوح عليه الصلاة والسلام قيل الحكمة فى تكرير القصص ان فى كل قصة كرّرها ألفاظا وفوآئد ونكتا ماليس فى الاخرى وفى تكريرها تأكيد الحجة وتجديد العظة ارسله الله تعالى ليدعو الناس الى عبادة الله تعالى وحده فلما دعاهم الى ذلك ولم ينفع فيهم الدعاء واستمرّوا على عبادة غير الله حذرهم بقوله افلا تتقون لينصرفوا عماهم عليه ثم انه تعالى حكى عنهم خمس شبه الشبهة الاولى قوله تعالى حكاية عنهم ماهذا الا بشر مثلكم يشاركم فيما بكم من الاوصاف ولوكان رسولا من الله تعالى لكان معظما عنده ومتميزا عن سائر الخلق بمزيد الدرجة والعزة فلما لم يكن كذلك علمنا انه ليس برسول الا انه ادّعى الرسالة ليتفضل عليكم اى يطلب الفضل عليكم بدعوى الرسالة وليس كذلك وبناء التفعل لتكلف ماليس فى الانسان من الصفة وهو يريد ان يتصف به كالتفقه والتكرّم وبناء التفاعل لتكلف ماليس فى الانسان من الصفة التى لايريد كونها فيه كالتعامى والتعارج والتجاهل والشبهة الثانية قوله تعالى حكاية عنهم ايضا ولوشاء الله لأنزل ملائكة لان انزالهم اشدّ افضاء الى المقصود بالنسبة الى ارسال البشر لان الملائكة لعلوّ شأنهم وشدّة سطوتهم وكثرة علومهم ينقاد الخلق اليهم ولايشكون فى رسالتهم فلما لم يفعل ذلك علمنا انه تعالى لم يرسل رسولا بشرا والشبهة الثالثة قوله تعالى حكاية عنهم ماسمعنا بهذا اى بنوح وبما تكلم به من الحث على عبادة الله تعالى او من دعوى الرسالة وهو بشر فى آبائنا الاوّلين فانهم كانوا لايعوّلون فى شئ من مذاهبهم الا على التقليد والرجوع الى الآباء فلذلك لم يسلكوا الطريقة بالنظر ولم يبنوا الا على التقليد والشبهة الرابعة قوله تعالى حكاية عنهم ايضا قولهم للعوام ان هو الارجل به جنة فانه عليه الصلاة والسلام كان يفعل افعالا على خلاف عاداتهم فكان الرؤساء يقولون للعوام انه مجنون فكيف يجوز ان يكون رسولا والشبهة الخامسة قوله تعالى حكاية عنهم ايضا فتربصوا به حتى حين لعله يفيق فيرجع عن قوله او يموت على جنونه فنستريح منهم **قوله بحفظنا** يعنى ان لفظ الاعين استعير للحفظ تشبيها لحفظ الله تعالى اياه بجماعة الحفاظ يكلأونه بعيونهم ويسمون اعينا لكون العين اعظم مايتوسلون به الى الحفظ فصاروا بذلك كأنهم عيون بانفسهم وكذا الجاسوس يسمى عينا لذلك **قوله وقيل عين وردة** اى قيل ان محل التنور الذى ينبع منه الماء موضع بالشام يقال له عين وردة قال المصنف رحمة الله عليه فى سورة هود وردة من ارض الجزيرة وقيل التنور وجه الارض واشرف موضع فيها انتهى كلامه والمشهور ان ارض الجزيرة فى ناحية ديار بكر والله تبارك وتعالى اعلم **قوله يقال سلك فيه** اى دخله بنفسه وسلكه غيره ومنه الآية ويفرق بينهما بالمصدر يقال سلكه فيه سلكا وسلك فيه سلوكا قرأ العامة من كل زوجين اثنين بالاضافة وقرأ عاصم فى رواية حفص رحمهما الله تعالى بالتنوين فان قرئ بالاضافة يكون قوله اثنين مفعول اسلك اى اسلك فيها اثنين واسلك فيها ايضا اهلك فوجب ان يقدّر مضاف آخر بين المضاف والمضاف اليه ويكون التقدير من كل امتى زوجين اذلو لم يقدّر هذا المضاف لم يستقم المعنى لانه لوحمل الكلام على ظاهره لزم ان يحمل ازوجان جميعا لان الكلام حينئذ بمنزلة

ان يقال احمل من كل زوجين زوجين واحمل من كل اثنين اثنين والاثنان المحمولان لايكونان من اثنين بل هما كل نفس الاثنين فلا يستقيم المعنى الا بتقدير المضاف اذ يكون المعنى حينئذ احمل من كل صنفى الذكر والانثى فردين من زوجين لئلا ينقطع نسل ذلك الصنف من الحيوان روى انه عليه الصلاة والسلام لم يحمل فى السفينة الا مايلد ويبيض واما نحو البق والذباب والدود فلم يحمل منها الانها انما تخرج من الطين ولا ينقطع نسلها بان لا تحمل ﴿ قوله تعالى واهلك ﴾ عطف على قوله اثنين على قرآءة الاضافة وعلى قوله زوجين اثنين على قرآءة التنوين والمراد باهله اهل بيته وهو امرأته وبنوه ونساؤهم واستثنى منه ابنه كنعان وامه واهله فانهم كانوا كافرين فقال الامن سبق عليه القول منهم قال تعالى فى سورة هود قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين واهلك الامن سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه الاقليل ولم يذكر فى هذه الآية من آمن اكتفاء بدلالة الاستثناء لمن سبق عليه القول من اهل بيته فانه يدل على انه تعالى امر بادخال جميع من آمن به وان لم يكن من اهل بيته وجوّز المصنف رحمة الله تعالى عليه ان يكون المراد بقوله واهلك جميع من آمن به سوآء اتصل به نسبا اولم يتصل فيكون قوله الامن سبق عليه القول استثناء منقطعا ولايخلو عن بعد وقوله تعالى انهم مغرقون استئناف لبيان علة نهيه عليه الصلاة والسلام عن الدعاء للذين ظلموا بالانجاء فانه تعالى لما حكم عليهم بالاغراق واخبر بذلك وجب ان ينهاه عنه اى عن دعاء الانجاء فى حق بعضهم لانه تعالى ان اجابه اليه فقد صير خبره الصدق كذبا وان لم يجبه اليه كان ذلك تحقيرا لشأنه عليه الصلاة والسلام ﴿ قوله تعالى فاذا استويت انت ومن معك على الفلك ﴾ اى اذا تمكنت فيها معتدلا متمكنا تمكن المستوى على الشئ فاحمد الله تعالى على نعمة الانجاء عرّفه الله تعالى بانّ استوآءهم على السفينة سبب لنجاتهم من الغرق ولهلاك الظالمين الذين حرموا من الدخول فيها فامره بان يحمده على هذه النعمة ثم انه تعالى بعد ان امره بالحمد على النعمة المذكورة امره بان يدعو لنفسه بان يقول عند النزول فى السفينة او من السفينة الى الارض رب انزلنى منزلا مباركا والاحتمال الاوّل اظهر لانه امر بهذا الدعاء حال استقراره فى السفينة فتكون هى المنزل دون غيرها ﴿ قوله وقرئ منزلا ﴾ اى بضم الميم وفتح الزاى وهى قرآءة من عدا ابابكر واما هو فقد قرأ بفتح الميم وكسر الزاى وهو يحتمل ان يكون اسما لمكان النزول وان يكون مصدرا ميميا بمعنى النزول على اقامة مصدر الثلاثى مقام مصدر الرباعى كما فى قوله تعالى أنبتكم من الارض نباتا والمنزل بضم الميم ايضا يحتمل ان يكون اسم مكان الانزال وقوله تعالى وانت خير المنزلين ثناء على الله تعالى بعد دعائه وامره الله تعالى بان يشفع الدعاء المذكور به مبالغة فيه لان ثناء المحتاج على الغنىّ الكريم يغنى غناء السؤال ويقوم مقامه واذا شفع السؤال به يؤكده ويقوّيه ﴿ قوله وانما افرده بالامر ﴾ اى حيث قال تعالى فقل الحمد لله ولم يقل فقولوا مع انه المناسب لقوله تعالى فاذا استويت انت ومن معك على الفلك لان معناه فاذا استويتم ﴿ قوله اظهارا لفضله ﴾ لان الامر خطاب من الآمر مع المأمور ولاشك ان كون العبد مخاطبا لله تعالى خطاب الارشاد والتعليم غاية الشرف والفضل له ولايليق به الاملك مقرّب او نبى مكرّم فلذلك افرد نوح عليه الصلاة والسلام بالامر اظهاراً لفضله وايضا لما كان نبيالهم واماما وكانوا اتباعا له داخلين فى حكمه كان قوله فى حكم قولهم ودعاؤه فى حكم دعائهم فكان افراده بالامر اشعارا بذلك من حيث كونه متولى امورهم وان ولايته محيطة بهم ﴿ قوله وان هى المخففة ﴾ اى من الثقيلة والمعنى وان الشان والقصة كنا مبتلين اى مصيبين قوم نوح ببلاء عظيم او مختبرين ممتحنين عبادنا بهذه الآيات ليظهر من يعتبر ويذكر ونظيره قوله تعالى ولقد تركناها آية فهل من مدكر ﴿ قوله هم عاد ﴾ اى قوم هود ويشهد لهم مجئ قصة هود على اثر قصة نوح فى سورة الاعراف وهود والشعرآء وما اخبر الله تعالى به من قوله لقومه واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وقيل هم قوم صالح استدلالا بما يعقبه من ذكر الصيحة التى ذكرت فى قصة ثمود فان قوم هود اهلكوا بالريح العقيم لقوله تعالى واما عاد فاهلكوا بريح صرصر عاتية ﴿ قوله وانما جعل القرن موضع الارسال ﴾ اشارة الى ان كلمة فى فى قوله تعالى فارسلنا فيهم رسولا ليست صلة للارسال لانه يتعدى بالى بل هى للظرفية وبيان ان القرن فى موضع الارسال قطع ارسلنا عن صلته وجعله مطلقا عن التعلق بالمرسل اليه على طريق تعلق الفعل بالمفعول به ثم عدى الفعل اليه بفى مبالغة وجعل ظرفا للفعل كقوله تعالى واصلح لى فى ذريتى فان قوله ذريتى انقطع عن كونه مفعولا به وذهب به الى كونه ظرفا للاصلاح اى اجعل ذريتى موضعا للصلاح وكذا قوله يجرح فى عراقيبها نصلى ﴿ قوله لعله ذكر بالواو ﴾ اى ذكر قول الملأ فى جواب هذا الرسول بالواو وذكر فى جواب نوح عليه الصلاة والسلام بالفاء لعل الوجه فيه

(واهلك) واهل بيتك او ومن آمن معك (الا من سبق عليه القول منهم) اى القول من الله بهلاكه لكفره وانما جئ بعلى لان السابق ضار كما جئ باللام حيث كان نافعا فى قوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى (ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا) بالدعاء لهم بالانجاء (انهم مغرقون) لامحالة لظلمهم بالاشراك والمعاصى ومن هذا شأنه لا يشفع له ولا يشفع فيه كيف وقد امره بالحمد على النجاة منهم بهلاكهم بقوله (فاذا استويت انت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذى نجانا من القوم الظالمين) كقوله فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين (وقل رب انزلنى) فى السفينة او فى الارض (منزلا مباركا) يتسبب لمزيد الخير فى الدارين وقرئ منزلا بمعنى انزالا او موضع انزال (وانت خير المنزلين) ثناء مطابق لدعائه امره بان يشفعه به مبالغة فيه وتوسلا به الى الاجابة وانما افرده بالامر والمعلق به ان يستوى هو ومن معه اظهاراً لفضله واشعارا بان فى دعائه مندوحة عن دعائهم فانه محيط بهم (ان فى ذلك) فيما فعل بنوح وقومه (لآيات) يستدل بها ويعتبر اولوا الاستبصار والاعتبار (وان كنا لمبتلين) لمصيبين قوم نوح ببلاء عظيم او ممتحنين عبادنا بهذه الآيات وان هى المخففة واللام هى الفارقة (ثم انشأنا من بعدهم قرنا آخرين) هم عاد او ثمود (فارسلنا فيهم رسولا منهم) هو هود او صالح وانما جعل القرن موضع الارسال ليدل على انه لم يأتهم من مكان غير مكانهم وانما اوحى اليه وهو بين اظهرهم (ان اعبدوا الله مالكم من اله غيره) تفسير لارسلنا اى قلنا لهم على لسان الرسول اعبدوا الله (أفلا تتقون) عذاب الله (وقال الملأ من قومه الذين كفروا) لعله ذكر بالواو لان كلامهم لم يتصل بكلام الرسول بخلاف قول قوم نوح

وحيث استؤنف به فعلى تقدير سؤال (وكذبوا بلقاء الآخرة) بلقاء مافيها من الثواب و العقاب او بمعادهم الى الحياة الثانية بالبعث (واترفناهم) ونعمناهم (فى الحياة الدنيا) بكثرة الاموال والاولاد (ماهذا الا بشر مثلكم) فى الصفة والحال (يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون) تقرير للمماثلة وماخبرية والعائد الى الثانى منصوب محذوف اومجرور حذف مع الجار لدلالة ماقبله عليه (ولئن أطعتم بشرا مثلكم) فيما يأمركم (انكم اذا لخاسرون) حيث اذللتم انفسكم واذا جزآء للشرط وجواب للذين قاولوهم من قومه (أيعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما) مجرّدة عن اللحوم والاعصاب (انكم مخرجون) من الاجداث او من العدم تارة اخرى الى الوجود وانكم تكرير للاوّل أكد به لماطال الفصل بينه وبين خبره اوانكم مخرجون مبتدأ خبره الظرف المقدّم اوفاعل للفعل المقدّر جوابا للشرط والجملة خبر الاوّل اى انكم اخراجكم اذا متم اوانكم اذامتم وقع اخراجكم ويجوز ان يكون خبر الاوّل محذوفا لدلالة خبر الثانى عليه لاان يكون الظرف لان اسمه جثة (هيهات هيهات) بعد التصديق اوالصحة (لماتوعدون) اوبعد ماتوعدون واللام للبيان كما فى هيت لك كأنهم لماصوّتوا بكلمة الاستبعاد قيل فاله هذا الاستبعاد قالوا لما توعدون وقيل هيهات بمعنى البعد وهو مبتدأ خبره لما توعدون وقرئ بالفتح منوّنا للتنكير وبالضم منوّنا على انه جمع هيهة وغير منوّن تشبيها بقبل وبالكسر على الوجهين وبالسكون على لفظ الوقف وبابدال التاء هاء (ان هى الا حياتنا الدنيا) اصله ان الحياة الاحياتنا الدنيا فاقيم الضمير مقام الاولى لدلالة الثانية عليها حذرا من التكرير واشعارا بان تعيينها مغن عن التصريح بها كقوله

هى النفس ماحملتها تتحمل *

ومعناه لاحياة الاهذه الحياة الدنيا لان ان نافية دخلت على هى التى فى معنى الحياة الدالة على الجنس فكانت مثل لاالتى تنفى مابعدها نفى الجنس (نموت ونحيى) يموت بعضنا ويولد بعض (ومانحن بمبعوثين) بعد الموت (ان هو) ماهو (الارجل افترى على الله كذبا) فيما يدّعيه من ارساله له اوفيمايعدنا من البعث (ومانحن له بمؤمنين) بمصدّقين (قال رب انصرنى) عليهم وانتقم لى منهم (بما كذبون) بسبب تكذيبهم اياى (قال عما قليل) عن زمان قليل وماصلة لتأكيد معنى القلة او نكرة موصوفة (ليصبحنّ نادمين) على التكذيب اذا عاينوا العذاب

ان كلام الملأ الثانى لم يتصل بكلام الرسول اى لم يقع عقيب كلامه حتى يعطف عليه بفاء التعقيب بل اجتمع فى الحصول قولهم الباطل وكلامه الحق فعطف عليه بالواو للدلالة على اجتماعهما فى الوجود ﴿ قوله وحيث استؤنف به ﴾ جواب عما يقال ذكر الله تعالى جواب قوم هود له فى سورة الاعراف وفى سورة هود بغير واو وهو قوله قال الملأ الذين كفروا من قومه انا لنراك فى سفاهة وقوله قالوا مانراك الابشرا مثلنا وذكره ههنا بالواو فأى فرق بينهما وتقرير الجواب ظاهر ﴿ قوله وماخبرية ﴾ اى موصولة والعائد فى قوله ماتشربون امامنصوب والتقدير تشربونه اومجرور اى تشربون منه ﴿ قوله اوانكم مخرجون مبتدأ ﴾ مؤوّل بمصدر مرفوع على الابتداء والظرف المقدّم خبره والجملة خبر انكم الاولى والتقدير أيعدكم انكم اخراجكم كائن اومستقر وقت موتكم ﴿ قوله اوفاعل ﴾ عطف على قوله مبتدأ اى ويحتمل ان يكون قوله تعالى انكم مخرجون مؤوّلا بمصدر مرفوع على انه فاعل فعل مقدّر وذلك الفعل المقدّر جواب اذا الشرطية واذا الشرطية وجوابها المقدّر خبر لانكم الاولى والتقدير أيعدكم انكم اذا متم وقع اخراجكم فكلمة اذا على الوجهين الاوّلين ظرفية وعلى هذا الوجه شرطية ﴿ قوله ويجوز ان يكون خبر الاوّل محذوفا ﴾ والتقدير أيعدكم انكم اذا متم مخرجون وهذا المقدّر هو العامل فى الظرف وان الثانية وما فى حيزها بدل من الاولى ﴿ قوله لاان يكون الظرف ﴾ اى لايجوز ان يكون خبر الاولى الظرف لان اسم الاولى جثة والظرف لايكون خبرا من الجثة وانما يكون خبرا عن الحدث والاظهر هو الوجه الاوّل وهو ان يكون خبر ان الاولى هو مخرجون وهو العامل فى اذا وكرّرت الثانية تأكيدا لماطال الفصل * فان قيل ما فى حيز ان لايعمل فيما قبلها فكيف تقول ان عامل الظرف فى الوجه الاوّل هو مخرجون * قلنا مخرجون ليس فى حيز ان الثانية بل فى حيز الاوّل والثانية انماجيئ بها لمحض التأكيد ولايجوز ان يكون العامل فى اذامتم لانه مضاف اليه فلا يعمل فى المضاف ﴿ قوله بعد التصديق ﴾ يعنى ان هيهات اسم لفعل لازم وهو بعد فلابدّ له من فاعل مرفوع واشار المصنف رحمه الله عليه الى ان فاعله مضمر يتعلق به قوله لماتوعدون اى هيهات الصحة والتصديق لماتوعدون وكرّر هيهات للتأكيد ﴿ قوله او بعد ماتوعدون واللام ﴾ اى بيان المستبعد وهو بيان لحاصل المعنى لان ماتوعدون المذكور لايكون فاعل هيهات على تقدير كون اللام للبيان بل يكون فاعله ضميرا مبهما مفسرا بقوله ماتوعدون كما فى ربه رجلا ﴿ قوله وقيل هيهات بمعنى البعد ﴾ فان قيل اذا لم يكن هيهات اسم فعل واقعا موقع بعد كيف يكون مبنيا على الفتح * قلنا انه فى الاصل اسم فعل وان استعمل ههنا بمعنى المصدر وهذا القدر كاف فى بنائه وقيل الذى اوجب بناءه شبهه بالاصوات ﴿ قوله وقرئ بالفتح منوّنا للتنكير ﴾ والفرق بين المنوّن وغير المنوّن على تقدير كونه اسم فعل كالفرق بين قولك صه وصه ومه ومه فى ان تقديرهما فى الاوّل افعل السكوت والكف وفى الثانى افعل سكوتا وكفا روى عن الزجاج رضى الله تعالى عنه انه قال فى تفسير هيهات البعد لماتوعدون فمن لم ينوّن وبعد لماتوعدون فمن ينوّن فنزّل منزلة المصدر معرّفا ومنكرا قيل هيهات بالفتح لفظ مفرد وتاؤها للتأنيث مثلها فى ظلمة وعرفة ولذلك يقلبها الواقف هاء فيقول هيهاه والفها مقلوبة عن ياء لان اصلها هيهية كزلزلة واما المكسورة فجمع المفتوحة واصلها هيهيات فحذفت اللام التى هى الياء الثانية والوقف عليها بالتاء كمسلمات وقيل من نوّن اعتقد تنكيرها وتصوّر معنى المصدر النكرة كأنه قيل بعدا بعدا ومن لم ينوّن اعتقد تعريفها وتصوّر معنى المصدر المعرفة كأنه قيل البعد البعد فجعل التنوين دليل التنكير وعدمه دليل التعريف ولا يوجد تنوين التنكير الافى نوعين اسماء الافعال واسماء الاصوات وليس بقياسى يعنى انه ليس لك ان تنوّن منها ماشئت بل ماسمع تنوينه اعتقد تنكيره وقيل من فتح فى القرآءة المتقدّمة فللخفة ومن كسر فعلى اصل التقاء الساكنين ومن ضم فشبه بقبل وبعد ومن سكن فلان اصل البناء السكون ومن وقف بالهاء فاتباعا للرسم ومن وقف بالتاء فعلى الاصل سوآء كسرت التاء او فتحت لان الظاهر انهما سوآء وانما ذلك من تغير اللغات ﴿ قوله يموت بعضنا ويولد بعض ﴾ اى ليس المراد موت شخص واحد وحياته لانه يستلزم القول بالاعادة والبعث وهم بصدد انكاره ثم انهم لما فرغوا من الطعن فى صحة الحشر بنوا عليه الطعن فى نبوّته عليه الصلاة والسلام فجعلوه مفتريا على الله تعالى فيما يدّعيه من الرسالة وفيما يعدهم من الحشر والحساب فقالوا ان هو الارجل افترى على الله كذبا ثم انه عليه الصلاة والسلام لما ايس من ايمانهم دعا الله تعالى فقال رب انصرنى الآية ﴿ قوله وماصلة ﴾ ذكر فى كلمة ما وجهين احدهما انها مزيدة بين الجار والمجرور كما زيدت بعد الباء فى قوله فبما رحمة من الله لنت لهم وبعد من فى قوله

(فاخذتهم الصيحة) صيحة جبريل صاح عليهم صيحة هائلة تصدعت منها قلوبهم فماتوا واستدل به على ان القرن قوم صالح (بالحق) بالوجه الثابت الذى لادافع له او بالعدل من الله كقولك فلان يقضى بالحق او بالوعد الصدق (فجعلناهم غثاء) شبههم فى دمارهم بغثاء السيل وهو حميله كقول العرب سال به الوادى لمن هلك (فبعدا للقوم الظالمين) يحتمل الاخبار والدعاء وبعدا مصدر بعد اذا هلك وهو من المصادر التى تنصب بافعال لايستعمل اظهارها واللام لبيان من دعى عليه بالبعد ووضع الظاهر موضع ضميرهم للتعليل (ثم انشأنا من بعدهم قرونا آخرين) يعنى قوم صالح ولوط وشعيب وغيرهم (ماتسبق من امة اجلها) الوقت الذى حد لهلاكها ومن مزيدة للاستغراق (ومايستأخرون) الأجل (ثم ارسلنا رسلنا تترى) متواترين واحدا بعد واحد من الوتر وهو الفرد والتاء بدل من الواو كتولج وتيقور والالف للتأنيث لان الرسل جماعة وقرأ ابن كثير وابو عمرو بالتنوين على انه مصدر بمعنى المتواترة وقع حالا (كلما جاء امة رسولها كذبوه) اضاف الرسول مع الارسال الى المرسل ومع المجيء الى المرسل اليهم لان الارسال الذى هو مبدأ الامر منه والمجيء الذى هو منتهاه اليهم (فأتبعنا بعضهم بعضا) فى الاهلاك (وجعلناهم أحاديث) لم يبق منهم الاحكايات يسمر بها وهو اسم جمع للحديث او جمع احدوثة وهى مايتحدث به تلهيا (فبعدا لقوم لايؤمنون ثم ارسلنا موسى واخاه هرون بآياتنا) بالآيات التسع (وسلطان مبين) وحجة واضحة ملزمة للخصم ويجوز ان يراد به العصا وافرادها لانها اول المعجزات وامها تعلقت بها معجزات شتى كانقلابها حية وتلقفها ماافكته السحرة وانفلاق البحر وانفجار العيون من الحجر بضربها بها وحراستها ومصيرها شمعة وشجرة خضراء مثمرة ورشاء ودلوا وان يراد به المعجزات وبالآيات الحجج وان يراد بهما المعجزات فانها آيات للنبوة وحجة بينة على ماتدعيه النبى (الى فرعون وملئه فاستكبروا) عن الايمان والمتابعة (وكانوا قوما عالين) متكبرين (فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا) ثنى البشر لانه يطلق للواحد كقوله بشرا سويا كما يطلق للجمع كقوله فاما ترين من البشر احدا ولم يثن المثل لانه فى حكم المصدر وهذه القصص كما ترى تشهد بان قصارى شبه المنكرين للنبوة قياس حال الانبياء على احوالهم لما بينهم من المماثلة فى الحقيقة وفساده يظهر للمستبصر بأدنى تأمل فان النفوس البشرية وان تشاركت فى اصل القوى والادراك لكنها متباينة الاقدام فيهما وكما ترى فى جانب النقصان اغبياء لايعود عليهم الفكر برادة يمكن ان يكون فى طرف الزيادة اغبياء عن التعلم والتفكر فى اكثر الاشياء واغلب الاحوال فيدركون مالايدرك غيرهم ويعلمون مالاينتهى اليه علمهم واليه اشار بقوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم اله واحد (وقومهما) يعنى بنى اسرآئيل (لنا عابدون) خادمون منقادون كالعباد (فكذبوهما فكانوا من المهلكين) بالغرق فى بحر قلزم (ولقد آتينا موسى الكتاب) التوراة (لعلهم) لعل بنى اسرآئيل ولايجوز عود الضمير الى فرعون وقومه لان التوراة نزلت بعد اغراقهم (يهتدون) الى المعارف والاحكام (وجعلنا ابن مريم وامه آية) بولادتها اياه من غير مسيس فالآية امر واحد مضاف اليهما او جعلنا ابن مريم آية بان تكلم فى المهد وظهر منه معجزات اخر وامه آية بان ولدت من غير مسيس فحذفت الاولى لدلالة الثانية عليها (وآويناهما الى ربوة) ارض بيت

تعالى مما خطاياهم وأن قليل صفة لمحذوف اى زمان قليل وثانيهما انها غير زآئدة بل هى نكرة بمعنى شيء او زمان وقليل صفتها والجار متعلق بقوله ليصبحن اى ليصبحن عن زمان قليل نادمين على قول من يجوز تقديم معمول مابعد لام القسم عليها ومن لم يجوز ذلك يقول انه متعلق بمحذوف تقديره ننصرك عما قليل حذف لدلالة ماقبله عليه وهو قوله رب انصرنى فالفرآء يجوز تقديم معمول مابعد لام القسم عليها مطلقا وجمهور البصريين يمنع ذلك مطلقا وذهب بعض النحاة الى التفصيل بين الظرف وعديله وبين غيرهما فجوزه فيهما للاتساع ومنع فى غيرهما فلايجوز فى والله لأضربن زيدا ان يقال زيدا لأضربن لانه غير الظرف وعديله **﴿قوله﴾** واستدل به على ان القرن قوم صالح **﴾** فان المشهور فى قصتهم ان جبريل عليه الصلاة والسلام صاح بهم صيحة عظيمة فماتوا جميعا واما عاد قوم هود فقد قال الله تعالى فى حقهم فاهلكوا بريح صرصر عاتية وان كان المراد بالقرن قوم هود كما قيل فقد روى فى قصة عاد انهم لما خرجوا مع شداد عازمين على دخول ارم ذات العماد التى بناها وبلغوا منها مسيرة يوم وليلة بعث الله تعالى عليه وعلى من كان معه من قومه صيحة من السماء فأهلكتهم اجمعين رواه سفين عن منصور عن ابى وآئل عن كعب رضى الله تعالى عنهم وقيل المراد بالصيحة العذاب المستأصل وهو الريح العقيم ههنا قال الشاعر

صاح الزمان فنال قومك صيحة ❁ خروا لشدتها على الاذقان ❁

﴿قوله﴾ شبههم فى دمارهم بغثاء السيل **﴾** فان اخص اوصاف الغثاء أن يذهب به السيل فلايظفروا به ابدا فشبهوا به تشبيها بليغا فى ذلك والجعل ههنا بمعنى التصيير وغثاء مفعوله الثانى **﴿قوله﴾** متواترين **﴾** اشارة الى ان تترى منصوب على انه حال من ارسلنا اى واحدا بعد واحد او متتابعين على حسب الاختلاف فى معناه فعن الاصمعى ان معناه واحدا بعد واحد بينهما مهلة وقال غيره هى من المواترة وهى التتابع من غير مهلة وقال الراغب التواتر تتابع الشيء وترا فرادى وقيل انه مصدر واقع موقع الحال وألفه للتأنيث كألف دعوى لان الرسل جماعة **﴿قوله﴾** كتولج وتيقور **﴾** اصلهما وولج ووبقور على فيعول التولج كناس الوحش الذى يلج فيه والتاء مبدلة من الواو وهو فوعل لانك لاتجد فى الكلام تفعل اسما وفوعل كثير والتيقور بمعنى الوقار والتاء مبدلة من الواو **﴿قوله﴾** لان الارسال منه والمجيء اليهم **﴾** يعنى ان الاضافة وان كانت للملابسة وان الرسول يلابس المرسل والمرسل اليه جميعا الا انه روعيت ملابسة المرسل مع فعل الارسال وملابسة المرسل اليه مع فعل المجيء لكون الارسال منه والمجيء اليهم **﴿قوله﴾** تعالى وجعلناهم احاديث **﴾** اى اخبارا يسمر بها ويتعجب منها اى بلغ اهلاكهم مبلغا صاروا معه اخبارا ولم ير منهم عين ولا اثر ولم يبق منهم الا الحديث الذى يذكر ويعتبر به **﴿قوله﴾** لانه فى حكم المصدر **﴾** حيث يوصف به الواحد والجمع والاثنان والمذكر والمؤنث كغير قال تعالى انكم اذا مثلهم وقال من الارض مثلهن فأتوا بسورة من مثله **﴿قوله﴾** لايعود عليهم الفكر برادة **﴾** اى بفائدة وعائدة يقال هذا الامر لارادة له اى لاعائدة له ولا فائدة وفى بعض النسخ بزيادة وهو قريب من الاول **﴿قوله﴾** بولادتها اياه من غير مسيس **﴾** يعنى انه تعالى جعل عيسى عليه الصلاة والسلام آية بان خلقه من غير ذكر وانطقه فى المهد فى الصغر واجرى على يده ابرآء الاكمه والابرص واحياء الموتى وجعل مريم ايضا آية بان حملته من غير ذكر وقال الحسن رضى الله تعالى عنه تكلمت مريم فى صغرها حيث قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب ولم تلتقم ثديا قط وذلك اما معجزة لزكريا عليه الصلاة والسلام او كرامة لمريم او ارهاص لعيسى عليه الصلاة والسلام الا انه تعالى افرد آية ولم يقل آيتين لانه لم يرد ان كل واحد منهما آية على حدة بل المراد بيان انهما آية واحدة من جهة الولادة لانه عليه الصلاة والسلام ولد من غير ذكر وولدته امه من غير ان يمسها ذكر فاشتركا جميعا فى هذا الامر العجيب الناقض للعادة فهو امر واحد مضاف اليهما فلذلك افرد آية **﴿قوله﴾** تعالى وآويناهما **﴾** اى جعلناهما يأويان الى ربوة ويتخذ انها مأوى لهما والربوة المكان المرتفع بالحركات الثلاث فى الرآء ومثلها الرباوة بالكسر والضم قيل هى ارض بيت المقدس وهى اقرب الارض الى السماء بثمانية عشر ميلا **﴿قوله﴾** مستقر من ارض منبسطة **﴾** فسر القرار بالمستقر وهو موضع الاستقرار ثم بين المستقر بقوله من ارض منبسطة اى مستوية تصلح لاستقرار المستقرين فيها ثم قيل ان المراد بكون الربوة ذات قرار انها ذات ثمار وماء فعلى هذا تكون كناية لان كون الموضع ذا ثمار وماء يستلزم كونه مستقرا للمستقرين فاطلق اللازم وهو كونها ذات قرار اى ذات مستقر واريد الملزوم وهو كونها ذات ثمار وماء فعلى هذين الوجهين القرار بمعنى المستقر ولكن

(ومعين) وماء معين ظاهر جار فعيل من معن الماء اذا جرى واصله الابعاد فى المشى اومن الماعون وهو المنفعة لانه نفاع اومفعول من عانه اذا ادركه بعينه لانه لظهوره مدرك بالعيون وصف ماؤها بذلك لانه الجامع لاسباب التنزه وطيب المكان (يا ايها الرسل كلوا من الطيبات) نداء وخطاب لجميع الانبياء لا على انهم خوطبوا بذلك دفعه لانهم ارسلوا فى ازمنة مختلفة بل على معنى ان كلا منهم خوطب به فى زمانه فيدخل تحته عيسى دخولا اوليا فيكون ابتداء كلام ذكر تنبيها على ان تهيئة اسباب التنعم لم تكن له خاصة وان اباحة الطيبات للانبياء شرع قديم واحتجاجا على الرهبانية فى رفض الطيبات او حكاية لما ذكر لعيسى وامه عند ايوائهما الى الربوة ليقتديا بالرسل فى تناول مارزقا وقيل النداء له ولفظ الجمع للتعظيم والطيبات مايستلذ من المباحات وقيل الحلال الصافى القوام فالحلال مالا يعصى الله فيه والصافى مالاينسى الله فيه والقوام مايمسك النفس ويحفظ العقل (واعملوا صالحا) فانه المقصود منكم والنافع عند ربكم (انى بما تعملون عليم) فاجازيكم عليه (وان هذه) اى ولان هذه والمعلل به فاتقون او اعلموا ان هذه وقيل انه معطوف على ماتعملون وقرأ ابن عامر بالتخفيف والكوفيون بالكسر على الاستئناف (امتكم امة واحدة) ملتكم ملة واحدة اى متحدة فى العقائد واصول الشرآئع او جماعتكم جماعة واحدة متفقة على الايمان والتوحيد فى العبادة ونصب امة على الحال (وانا ربكم فاتقون) فى شق العصا ومخالفة الكلمة (فتقطعوا امرهم بينهم) فتقطعوا امر دينهم وجعلوه أديانا مختلفة او فتفرقوا وتحزبوا وامرهم منصوب بنزع الخافض او التمييز والضمير لما دل عليه الامة من اربابها اولها (زبرا) قطعا جمع زبور الذى بمعنى الفرقة ويؤيده القرآءة بفتح الباء فانه جمع زبرة وهو حال من امرهم او من الواو اومفعول ثان لتقطعوا فانه متضمن معنى جعل وقيل كتبا من زبرت الكتاب فيكون مفعولا ثانيا او حال من امرهم على تقدير مثل كتب وقرئ بتخفيف الباء كرسل فى رسل (كل حزب) من المتحزبين (بما لديهم) من الدين (فرحون) معجبون معتقدون انهم على الحق (فذرهم فى غمرتهم) فى جهالتهم شبهها بالماء الذى يغمر القامة لانهم مغمورون فيها اولاعبون بها وقرئ فى غمراتهم (حتى حين) الى ان يقتلوا او يموتوا

الوجه الثانى بطريق الكناية والوجه الاول بطريق التصريح اى من غير كناية ﴿قوله فعيل من معن الماء اومفعول من عانه﴾ يعنى اختلف فى ان ميم معين هل هى زآئدة واصله معيون اى مبصر بالعين فاعل اعلال مبيع يقال عانه اذا ادركه بعينه كما يقال رأسه اذا اصاب رأسه وكبده اذا ضرب كبده ومعين فى الآية الكريمة صفة موصوف محذوف اى وماء معين مدح الربوة بان ماءها جار ظاهر على وجه الارض بحيث يدرك بالعيون وقيل ميمه اصلية ووزنه فعيل مشتق من المعن وهو الجرى مع الاسراع والابعاد يقال معن الفرس اذا تباعد فى عدوه وامعن بحق فلان اذا ذهب به ورجل معين فى حاجته اى مسرع فى طلبها فكله راجع الى معنى الجرى والسرعة وقيل انه مشتق من الماعون الذى يتعاونه الناس فى العادة كالفأس والقدر * الجوهرى الماعون اسم جامع لمنافع البيت كالقدر والفأس ونحوهما ويسمى الماء ماعونا قال الشاعر * يمج صبيره الماعون صبا * اى الماء والصبير السحابة البيضاء والماعون فى الجاهلية كل منفعة وعطية وفى الاسلام الطاعة والزكاة والمنفعة موضع النفع وهو ماينتفع به كالمأسدة والمسبعة فانهما اسمان لموضع الاسد والسبع وقيل المعن السهل الذى ينقاد ولايتعاصى والماعون ماسهل على معطيه قيل سبب ايوائهما الى ربوة انها فرت بابنها عيسى عليه الصلاة والسلام الى الربوة وبقيت بها اثنتى عشرة سنة وانما ذهب بها ابن عمها يوسف ثم رجعت الى اهلها بعد مامات ملكهم وههنا آخر القصص ولما ختمها ببيان ان الله تعالى هيأ لعيسى عليه السلام اسباب النعم بين لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان اباحة الطيبات لم تكن فى حقه عليه الصلاة والسلام خاصة بل هى شرع قديم نودى وخوطب بها كل نبى فى زمانه ليعلم السامع ان امرا نودى له جميع الرسل ووصوا به حقيق ان يؤخذ به ويعمل عليه وليس يا ايها الرسل خطابا مع كل الرسل دفعة لان ذلك غير ممكن بناء على انهم ارسلوا فى ازمنة مختلفة فلايمكن توجيه الخطاب اليهم جميعا دفعة ﴿قوله او حكاية لما ذكر لعيسى عليه الصلاة والسلام وامه﴾ عطف على قوله بل على معنى ان كلا منهم خوطب به فى زمانه من حيث المعنى فان المراد منه ان هذا الكلام ألقى على رسول الله صلى الله عليه وسلم لا على وجه الحكاية وانما ألقى عليه ابتداء تنبيها له عليه الصلاة والسلام على ان تهيئة اسباب النعم لم تكن له خاصة ثم جوز ان يكون ذلك على وجه الحكاية كانه قيل وآويناهما الى ربوة واعلمناهما انا نادينا كل رسول فى زمانه وخاطبناه ﴿قوله اى ولأن هذه﴾ قرأ ابن عامر وحده وان هذه بفتح الهمزة وتخفيف النون والكوفيون بكسرها وتثقيلها والباقون بفتحها والتثقيل وذكر المصنف رحمه الله تعالى فى توجيه قرآءة الباقين ثلاثة اوجه الاول انها مبنية على حذف لام التعليل اى ولان هذه والثانى ان فى الكلام حذفا تقديره واعلموا ان هذه امتكم والثالث انها معطوفة على قوله ماتعملون اى انى عليم بما تعملون وبأن هذه امتكم وعلى قرآءة ابن عامر ان هى المخففة من الثقيلة ولابد من التوجيه باحد الوجوه الثلاثة المذكورة فى توجيه ان المثقلة ﴿قوله اى متحدة فى العقائد واصول الشرآئع﴾ جواب عما يقال اذا كانت شرآئعهم مختلفة فكيف تكون ملتهم واحدة ﴿قوله فى شق العصا﴾ اى مفارقة الجماعة يقال شق فلان العصا اى فارق الجماعة ﴿قوله وجعلوه أديانا﴾ كاليهودية والنصرانية ونحوهما وبناء تفعل قد يكون متعديا نحو تقدمه ومنه تقطع ولذلك فسره الجوهرى رحمه الله تعالى عليه بقوله اى اقتسموه ثم جوز ان يكون لازما بمعنى تفرقوا وتحزبوا فيكون امرهم منصوبا بنزع الخافض او التمييز وضمير تقطعوا لارباب الامر والزبر بضم الباء جمع زبور بمعنى الفرقة والطائفة وقيل بمعنى المكتوب من زبره بمعنى كتبه والمعنى جعلوا دينهم الحق الذى هو دين واحد وهو الاسلام أديانا دان كل فريق بكتاب غير الكتاب الذى دان به الآخر واراد بالكتب ماكتبوه بايديهم لا ماهو المنزل من السماء لانه غير مجعول بجعلهم والزبر بفتح الباء جمع زبرة وهى القطعة من الشئ المتخذ من المعدنيات المتجسدة كالفضة والحديد قال تعالى آتونى زبر الحديد استعيرت لامر الدين تشبيها له بها فى التعدد والاختلاف ثم ان المفرقين دينهم لما كانوا فى نعم عظيمة فى الدنيا جاز ان يظنوا ان تلك النعم كالثواب المعجل لهم على اديانهم فبين الله تعالى ان الامر على خلاف ذلك فقال تعالى أيحسبون انما نمدهم به من مال وبنين الى آخره وحق ماهذه ان تكتب مفصولة من أن لانها اسمية الا انها كتبت موصولة بها متابعة لمصحف الامام لان المتابعة له سنة فى باب الكتابة فان ما موصولة بمعنى الذى وهى اسم ان ونمدهم به صلتها وعائدها ومن مال حال من الموصول او بيان له فيتعلق بمحذوف ونسارع خبر ان والعائد من هذه الجملة الى الاسم محذوف تقديره ونسارع لهم به اوفيه ولايجوز ان يكون الخبر من مال لان ما اعطاهم الله تعالى

(أيحسبون انما نمدّهم به) ان مانعطيهم ونجعله مددا لهم (من مال وبنين) بيان لما وليس خبرا له فانه غير معاب عليه وانما المعاب عليه اعتقادهم ان ذلك خيرلهم فخبره (نسارع لهم فى الخيرات) والراجع ضمير محذوف والمعنى أيحسبون ان الذى نمدّهم به نسارع به لهم فيما فيه خيرهم واكرامهم (بل لايشعرون) بل هم كالبهائم لافطنة بهم ولا شعور ليتأملوا فيعلوا ان ذلك الامداد استدراج لامسارعة فى الخير وقرئ يمدّهم على الغيبة وكذلك يسارع ويسرع ويحتمل ان يكون فيهما ضمير الممدّ به ويسارع مبنيا للفعول (ان الذين هم من خشية ربهم) من خوف عذابه (مشفقون) حذرون (والذين هم بآيات ربهم) المنصوبة والمنزلة (يؤمنون) بتصديق مدلولها (والذين هم بربهم لايشركون) شركا جليا ولاخفيا (والذين يؤتون ماآتوا) يعطون ما اعطوه من الصدقات وقرئ يأتون ماأتوا اى يفعلون مافعلوه من الطاعات (وقلوبهم وجلة) اى خائفة ان لايقبل منهم وان لايقع على الوجه اللائق فيؤاخذوا به (انهم الى ربهم راجعون) لان مرجعهم اليه او من ان مرجعهم اليه وهو يعلم مايخفى عليهم (اولئك يسارعون فى الخيرات) يرغبون فى الطاعات اشدّ الرغبة فيبادرونها او يسارعون فى نيل الخيرات الدنيوية الموعودة على صالح الاعمال بالمبادرة اليها كقوله فآتاهم الله ثواب الدنيا فيكون اثباتا لهم مانفى عن اضدادهم (وهم لهاسابقون) لاجلها فاعلون السبق اوسابقون الناس الى الطاعة او الثواب او الجنة اوسابقونها اى ينالونها قبل الآخرة حيث عجلت لهم فى الدنيا كقوله هم لهاعاملون (ولانكلف نفسا الاوسعها) قدر طاقتها يريد به التحريض على ماوصف به الصالحين وتسهيله على النفوس (ولدينا كتاب) يعنى اللوح او صحيفة الاعمال (ينطق بالحق) بالصدق لايوجد فيه مايخالف الواقع (وهم لايظلمون) بزيادة عقاب او نقصان ثواب (بل قلوبهم) قلوب الكفرة (فى غمرة) فى غفلة غامرة لها (من هذا) من الذى وصف به هؤلاء او من كتاب الحفظة (ولهم اعمال) خبيثة (من دون ذلك) متجاوزة لما وصفوا به او متخطة عماهم عليه من الشرك (هم لهاعاملون) معتادون فعلها

وجعله مددا لهم كان من مال فلا يعاب عليهم حسبان ذلك وقوله تعالى بل لايشعرون اضراب عن الحسبان المستفهم عنه استفهام تقريع وهو اضراب انتقال والمعنى ماذكر المصنف رحمة الله تعالى عليه من انهم أشباه البهائم لاشعور لهم حتى يتكفروا فى ذلك الامداد أهو استدراج ام مسارعة فى الخير روى عن يزيد بن ميسرة رضى الله تعالى عنهما قال اوحى الله تعالى الى نبى من الانبياء أيفرح عبدى ان ابسط له الدنيا وهو ابعد له منى ويجزع ان اقبض عنه الدنيا وهو اقرب له منى ثم تلا قوله تعالى أيحسبون انما نمدّهم به من مال وبنين نسارع لهم فى الخيرات ﴿قوله وقرئ يمدّهم على الغيبة﴾ وباسناد الفعل الى ضمير البارى تعالى وقياسه ان يقرأ يسارع بياء الغيبة ايضا ومن قرأ نمدّهم بالنون ويسارع بالياء احتمل ان يجعله مسندا الى ضمير البارى تعالى والى ضمير ماالموصولة وقرئ نسرع بالنون من اسرع وبالياء ايضا ثم انه تعالى بين صفات من يسارع فى الخيرات وذكر لهم اربع صفات فقال ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون اى من خوف عذابه حذرون والخوف اسم جنس والخشية اخص منه وهى الخوف لعظمة المخوف منه ولهذا كان استعمال الخشية من الله تعالى اكثر كما ان استعمال الخوف فى حق العباد اكثر واغلب والشفقة ايضا اخص من الخوف فانها عبارة عن الخوف مع الرقة والرحمة فى حق المخوف عليه كشفقة الامّ على ولدها فانه قلما يقال خافت الامّ او خشيت على ولدها بل يقال اشفقت وينبئ عن هذه التفاسير قول من قال

اخشى من الفقر يوما ان يلم بها ❊ فيكشف الستر عن لحم على وضم

تهوى حياتى واهوى موتها شفقا ❊ والموت اكرم نزال على الحرم

والمصنف رحمه الله تعالى فسر هذا التركيب فى سورة الانبياء اى قوله تعالى وهم من خشيته مشفقون بقوله وهم من عظمته ومهابته مرتعدون ثم قال واصل الخشية خوف مع تعظيم ولذلك خص بها العلماء والاشفاق خوف مع اعتناء فاذا عدّى بمن تحقق معنى الخوف فيه وظهر وان عدّى بعلى فبالعكس وحمل الخشية ثمة على مجرّد عظمة المخوف منه وحمل الاشفاق منه على كمال الخشية المستلزم لارتعاد الفرائص وماذكره فى هذه الآية اوفق للمعنى الاصلى حيث اشار الى عظمة المخوف منه باضافته الى الله تعالى والى الرحمة والاعتناء بشأن المخوف بقوله حذرون فان من كان خائفا من عذاب الله تعالى العظيم وعقابه الاليم كان ملازما لطاعته مجدّا فى طلب رضاه والاحتراز من معصيته المؤدية الى سخطه وعقابه رحمة على نفسه واعتناء بشأنها ﴿قوله بتصديق مدلولها﴾ لان التصديق بوجود الآيات المنصوبة وهى الموجودات الدالة على وجود الصانع لايوجب ان يمدح صاحبه وكذا التصديق بوجود الآيات المنزلة باعتبار التصديق بمدلولها ﴿قوله وجلة اى خائفة﴾ الوجل ايضا اخص من الخوف لانه خوف يمازجه طمع اى والحال ان قلوبهم بين خوف الرّد ورجاء القبول ثم انه تعالى بين علة ذلك الوجل بقوله انهم الى ربهم راجعون وقوله اولئك يسارعون فى الخيرات اى خيرات الذى هم من خشيته والمراد بالخيرات اما طاعتهم واعمالهم الصالحة واما المثوبات الموعودة باداتها والمعنى على الاوّل انهم يبادرون الى الطاعات لشدّة رغبتهم فيها وعلى الثانى انهم يسارعون فى نيل ماوعدلهم من المثوبات بمقابلة اعمالهم الصالحة وانما جعلوا مسارعين اليها لانهم اذا سورع بما لهم فقد سارعوا فى نيلها واشار بقوله فيكون اثباتا لهم مانفى عن اضدادهم الى ان الوجه الثانى اوفق لما سبق من قوله تعالى أيحسبون انما نمدّهم به من مال وبنين فانه تعالى نفى فى تلك الآية ان يسارع الكفار الى ان يجعل لهم من ثواب اعمالهم ماهو خيرلهم واثبت ذلك لاضدادهم وهم المؤمنون الذين ذكرت صفاتهم ﴿قوله لاجلها فاعلون السبق﴾ على ان يكون ضمير لها للخيرات واللام للتعليل وان لايقدّر للسبق مفعول وانما الغرض الاعلام بوقوع السبق منهم مع قطع النظر الى من سبقوه بخلاف الوجه الثانى فانه يقدّر للسبق مفعول فى ذلك الوجه واللام ايضا للتعليل اى وهم سابقون الناس لاجلها ﴿قوله او سابقونها﴾ على ان لها مفعول سابقون واللام زائدة فى المفعول لتقوية العمل وحسن زيادتها شيأن لو انفرد كل واحد منهما لاقتضى الجواز كون العامل فرعا وتقدّم معموله عليه كما فى قوله هم لهاعاملون اى عاملون اياها وكقولك هو لزيد ضارب اى ضارب زيدا ثم اشار الى ان جميع ماوصف به السابقون من الخصال الاربع داخل فى وسع الانسان وطوقه غير خارج عنه وكذا كل ماكلف به عباده وان اعمال العباد كلها مثبتة فى الكتاب فلايضيع لعامل جزاء عمله ثم انه تعالى عاد الى ذكر الكفار بقوله قلوبهم فى غمرة من هذا الذى وصف به المؤمنون السابقون الى الخيرات ولهم اعمال من دون

(حتى اذا اخذنا مترفيهم) متنعميهم (بالعذاب) يعنى القتل يوم بدر أو الجوع حين دعا عليهم الرسول صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف

فقحطوا حتى اكلوا الكلاب والجيف والعظام المحترقة (اذاهم يجأرون) فاجأوا الصراخ بالاستغاثة وهو جواب الشرط والجملة مبتدأة بعد حتى ويجوز ان يكون الجواب (لاتجأروا اليوم) فانه مقدر بالقول اى قيل لهم لاتجأروا (انكم منا لاتنصرون) تعليل للنهى اى لاتجأروا فانه لاينفعكم اذلا تمنعون منا اولا يلحقكم نصر ومعونة من جهتنا (قد كانت آياتى تتلى عليكم) يعنى القرآن (فكنتم على اعقابكم تنكصون) تعرضون مدبرين عن سماعها وتصديقها والعمل بها والنكوص الرجوع قهقرى (مستكبرين به) الضمير للتكذيب اوالبيت وشهرة استكبارهم وافتخارهم بانهم قوامه اغنى عن سبق ذكره اولآياتى فانها بمعنى كتابى والباء متعلقة بمستكبرين لانه بمعنى مكذبين اولان استكبارهم على المسلمين حدث بسبب استماعه اوبقوله (سامرا) اى تسمرون بذكر القرآن والطعن فيه وهو فى الاصل مصدر جاء على لفظ الفاعل كالعافية وقرئ سمرا جمع سامر وسمار (تهجرون) من الهجر بالفتح اما بمعنى القطيعة او الهذيان اى تعرضون عن القرآن اوتهذون فى شأنه والهجر بالضم الفحش ويؤيد الثانى قرآءة نافع تهجرون من اهجر وقرئ تهجرون على المبالغة (أفلم يدبروا القول) اى القرآن ليعلموا انه الحق من ربهم باعجاز لفظه ووضوح مدلوله (ام جاءهم مالم يأت آباءهم الاولين) من الرسول والكتاب اومن الامن من عذاب الله فلم يخافوا كما خاف آباؤهم الاقدمون كاسمعيل واعقابه فآمنوا به وكتبه ورسله واطاعوه (ام لم يعرفوا رسولهم) بالامانة والصدق وحسن الخلق وكمال العلم مع عدم التعلم الى غير ذلك مما هو صفة الانبياء (فهم له منكرون) دعواه لأحد هذه الوجوه اذ لاوجه له غيرها فان انكار الشئ قطعا او ظنا انما يتجه اذا ظهر امتناعه بحسب النوع او الشخص او بحث عما يدل عليه أقصى ما يمكن فلم يوجد (ام يقولون به جنة) فلا يبالون بقوله وكانوا يعلمون انه ارجحهم عقلا واتقنهم نظرا (بل جاءهم بالحق واكثرهم للحق كارهون) لانه يخالف شهواتهم واهوآءهم فلذلك انكروه وانما قيد الحكم بالاكثر لانه كان منهم من ترك الايمان استنكافا من توبيخ قومه ولقلة فطنته وعدم فكرته لالكراهته للحق (ولو اتبع الحق اهوآءهم) بان كان فى الواقع آلهة شتى

ذلك الذى ذكر من اعمال المؤمنين وقيل غفلتهم وجهلهم وقيل المراد اعمالهم التى هم عليها فى الحال وقيل بل هو اخبار من الله تعالى عما سيعملونه من اعمالهم الخبيثة التى كتب عليهم لابد ان يعملوها وحتى فى قوله تعالى حتى اذا اخذنا مترفيهم غاية عمرتهم واعمالهم التى يعملونها وبعدها جملة شرطية جزاؤها اذاهم يجأرون واذا الثانية تنوب عن الفاء اى فهم يجأرون والمعنى الاخبار بانهم لايتناهون عن حالهم المذكورة الى ان يأخذ الله متنعميهم ورؤساءهم بالعذاب والجؤار رفع الصوت بالاستغاثة والصراخ لشدة ما نالهم والسنين جمع السنة وهى الجدب **قوله** اذلا تمنعون منا اى لايمنعكم الجؤار والاستغاثة ولايخلصكم منا اى من عذابنا على ان تكون كلمة من صلة النصر المتضمن معنى المنع والحفظ وعلى الثانى تكون ابتدآئية ثم انه تعالى بين السبب فى ان لاينفعهم ذلك بقوله تعالى قد كانت آياتى تتلى عليكم **قوله** فانها بمعنى كتابى ومعنى استكبارهم بالقرآن تكذيبهم به استكبارا فضمن الاستكبار معنى التكذيب فعدى تعديته وهو معنى قوله والباء متعلقة بمستكبرين الخ ثم جوز ان لاتكون الباء للتعدية بل تكون للسببية ويكون المعنى مستكبرين على المسلمين بسبب القرآن واستماعه واصل السمر ظل القمر لسمرته لانهم يجلسون فيه بالليل فيتحدثون ويجوز ان تكون الباء فى به متعلقة بقوله سامرا اى يسمرون بذكر القرآن وبالطعن فيه وكان سمرهم بالليل عند البيت ذكر القرآن وتسميته سحرا وشعرا ونحو ذلك وسب النبى صلى الله عليه وسلم **قوله** وهو فى الاصل مصدر كانه بيان لوجه افراده سامرا مع انه حال من ضمير مستكبرين قال صاحب الكشاف عفا الله تعالى عنه السامر نحو الحاضر فى الاطلاق على الجمع وقال الزجاج السامر الجماعة الذين يتحدثون ليلا على تقدير ان يتعلق به بقوله سامرا قدم عليه لانه لما كانت عامة سمرهم بذكره صاروا كانهم لايسمرون الا به * وقرأ العامة تهجرون بفتح التاء وضم الجيم من الهجر بفتح الهاء وقد يكون بمعنى الهجران والترك والقطع اى تهجرون آيات الله ورسوله وتزهدون فيهما ولاتصلونهما وقد يكون بمعنى الهذيان يقال هجر المريض هجرا اذا هذى والهجر بضم الهاء اسم بمعنى القول القبيح يقال هجر يهجر هجرا بالفتح وهجر واهجر فى منطقه اذا قال قولا قبيحا والاسم منه الهجر بالضم وقرئ بهن جميعا اى قرئ تهجرون وتهجرون ثم انه تعالى لما وصف حال الكفرة الذين فرقوا دينهم رد عليهم بان بين ان اقدامهم على هذه الجهالة والضلالة لابد ان يكون لاحد امور اربعة احدها ان لايتأملوا فى دليل نبوته وهو القرآن المعجز الذى يستلزم التدبر فيه معرفة الصانع ووحدانيته وجميع ما يجب على المكلف فى باب الاعتقاد والعمل فلم لايتدبرون فيه ليتركوا الباطل ويرجعوا الى الحق وثانيها ان يعتقدوا ان بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم امر غريب لم يسمع ولم يرو عن الامم السالفة وليس كذلك لانهم قد عرفوا بالتواتر ان الرسل كانت ترسل الى الامم على سبيل التتابع ويثبت كل واحد منهم ما ادعاه من الرسالة باظهار المعجزات وكانت الامم بين مصدق ناج ومكذب هالك بعذاب الاستئصال وانما دعاهم الى ذلك عدم تصديق الرسل عليهم الصلاة والسلام وثالثها ان لايكونوا عالمين بامانة مدعى الرسالة وصدقه قبل ادعائه للنبوة وليس كذلك فانهم عرفوا منه عليه الصلاة والسلام قبل ادعائه الرسالة كونه فى نهاية الامانة والصدق والتنزه عن الكذب والاخلاق الذميمة فكيف كذبوه بعد ان اتفقت كلمتهم على تسميته بالامين الصادق ورابعها ان يعتقدوا فيه الجنون فيقولون انه حمله على ادعائه الرسالة جنونه وهذا ايضا ظاهر الفساد لانهم كانوا يعلمون بالضرورة انه اعقل الناس والمجنون كيف يمكنه ان يأتى بمثل ما اتى به من الدلائل القاطعة والشرآئع الكاملة ثم انه تعالى لما ذكر مبنى ضلالتهم وبين فساده قال بل جاءهم الحق اى ليست ضلالتهم مبنية على شئ من هذه الامور بل انه عليه الصلاة والسلام جاء بالحق وهو القرآن فلم يوافق اهوآءهم وما نشأوا عليه من التقليد واتباع الشهوات فلذلك كرهوه ولم يقبلوه وقول المصنف رحمة الله تعالى عليه اذا ظهر امتناعه بحسب النوع ناظر الى قوله تعالى ام جاءهم مالم يأت آباءهم الاولين وقوله او الشخص ناظر الى قوله تعالى ام لم يعرفوا رسولهم وقوله او بحث عما يدل عليه ناظر الى قوله تعالى افلم يدبروا القول اى افلم يدبروا ماجاءهم من القول وهو القرآن العظيم **قوله** لانه كان منهم من ترك الايمان استنكافا عن توبيخ قومه ان يقولوا ترك دين آبائه لا كراهة للحق كما حكى عن ابى طالب فانه لم يقبل الحق ولم يتدين به مع انه يعرف بقلبه حقيته ويقر بلسانه لكنه لم يقبل ذلك للمانع على زعمه ويدل عليه قوله حين اجتمعوا اليه وارادوا برسول الله صلى الله عليه وسلم سوأ

* والله لن يصلوا اليك بجمعهم * حتى اوسد فى التراب دفينا *

(لفسدت السموات والارض ومن فيهن) كما سبق تقريره فى قوله لوكان فيهما آلهة الاالله لفسدتا وقيل لواتبع الحق اهوآءهم وانقلب باطلا لذهب ماقام به العالم فلا يبقى اولواتبع الحق الذى جاءبه محمد صلى الله عليه وسلم اهوآءهم وانقلب الحق شركا لجاءالله بالقيامة واهلاك العالم من فرط غضبه اولو اتبع الله اهوآءهم بان ازل مايشتهونه من الشرك والمعاصى لخرج عن الالوهية ولم يقدر أن يمسك السموات والارض وهو على اصل المعتزلة (بل اتيناهم بذكرهم) بالكتاب الذى هو ذكرهم اى وعظهم اوصيتهم او الذكر الذى تمنوه بقولهم لوان عندنا ذكرا من الاولين وقرئ بذكراهم (فهم عن ذكرهم معرضون) لايلتفتون اليه (ام تسألهم) قيل انه قسيم قوله ام به جنة (خرجا) اجرا على اداء الرسالة (فخراج ربك) رزقه فى الدنيا اوثوابه فى العقبى (خير) لسعته ودوامه ففيه مندوحة لك عن عطائهم والخرج بازاء الدخل يقال لكل ماتخرجه الى غيرك والخراج غالب فى الضريبة على الارض ففيه اشعار بالكثرة واللزوم فيكون ابلغ ولذلك عبر به عن عطاءالله اياه وقرأ ابن عامر خرجا فخرج وحمزة والكسائى خراجا فخراج للمزاوجة (وهو خير الرازقين) تقرير لخيرية خراجه (وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم) تشهد العقول السليمة على استقامته لاعوج فيه يوجب اتهامهم له واعلم انه سبحانه ألزمهم الحجة وأزاح العلة فى هذه الآيات بان حصر اقسام مايؤدى الى الانكار والاتهام وبين انتفاءها ماعدا كراهة الحق وقلة الفطنة (وان الذين لايؤمنون بالآخرة عن الصراط) عن الصراط السوى (لناكبون) لعادلون عنه فان خوف الآخرة اقوى البواعث على طلب الحق وسلوك طريقه (ولو رحمناهم وكشفنا مابهم من ضر) يعنى القحط (للجوا) لثبتوا واللجاج التمادى فى الشئ (فى طغيانهم) افراطهم فى الكفر والاستكبار عن الحق وعداوة الرسول والمؤمنين (يعمهون) عن الهدى روى انهم قحطوا حتى اكلوا العلهز فجاء ابوسفيان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انشدك الله والرحم ألست تزعم انك بعثت رحمة للعالمين قتلت الآباء بالسيف والابناء بالجوع فنزلت (ولقد أخذناهم بالعذاب) يعنى القتل يوم بدر (فما استكانوا لربهم وما يتضرعون) بل اقاموا على عتوهم واستكبارهم واستكان استفعل من الكون لان المفتقر انتقل من كون الى كون اوافتعل من السكون اشبعت فتحته وليس من عادتهم التضرع وهو استشهاد على ماقبله (حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد) يعنى الجوع فانه اشد من الاسر والقتل (اذاهم فيه مبلسون) متحيرون (ساعة) ايسون من كل خير حتى جاءك اعتاهم يستعطفك

فاصدع بأمرك ماعليك غضاضة ❁ وابشر بذاك وقر منه عيونا
ودعوتنى وزعمت انك ناصحى ❁ ولقد صدقت وكنت ثم امينا
وعرضت دينا لامحالة انه ❁ من خير اديان البرية دينا
لولا الملامة اوحذار مسبة ❁ لوجدتنى سمحا بذاك يقينا

وقد اقر ابوطالب بانه عليه الصلاة والسلام خير فتيان قريش فى الفضائل الانسانية فى الخطبة التى خطبها فى تزويج خديجة رضى الله تعالى عنها وقد حضر معه بنوا هاشم ورؤساء مضر وهى قوله الحمدلله الذى جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسماعيل واصطفانا من عنصر مضر وجعلنا حضنة بيته وسواس حرمه وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما آمنا وجعلنا الحكام على الناس ثم ان ابن اخى هذا محمد بن عبدالله لايوزن به فتى من قريش الارجح عليه فان كان فى المال قل فالمال ظل زائل ولهو حائل ومحمد من عرفتم له قرابته وقد خطب خديجة بنت خويلد وذكر لها من الصداق ماعاجله وآجله من مالى وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل كذا ذكره صاحب الكشاف فى اواخر سورة آل عمران **﴿قوله كما سبق تقريره﴾** وهو قوله انها لواتفقت فى المراد لتواردت علل مستقلة على معلول واحد وان تخالفت فيه لتفاوتت منه **﴿قوله وهو على اصل المعتزلة﴾** اى القول بانه تعالى لواتبع اهواءهم لخرج عن الالوهية مبنى على اصل من يقول الحاكم بحسن الاشياء وقبحها هو العقل وان مايستحسنه العقل يجب عليه تعالى فعله وان مايستقبحه يجب عليه تركه والمتابعة لمايشتهيه الكفرة تنافى الالوهية على زعمهم **﴿قوله تعالى بل اتيناهم بذكرهم﴾** متصل بقوله واكثرهم للحق كارهون اذليس فيما جاءهم به مايكرهونه بل هو ذكرهم اى وعظهم اوصيتهم اى شرفهم وفخرهم كما قال تعالى وانه لذكر لك ولقومك اى شرف لك ولقومك لكونه بلسانكم ولغتكم ثم انه تعالى وبخ الكفرة بوجه آخر على عدم اجابتهم الى دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم وانكر عليهم اولا بقوله تعالى افلم يدبروا القول وهو استفهام بطريق الانكار اى لم لم يتذكروا ليعلموا انه حق فيؤمنوا به فتحصل لهم سعادة الدارين ثم اضرب عن هذا الاستفهام الانكارى الى استفهام انكارى آخر فقال تعالى ام جاءهم مالم يأت آباءهم الاولين اى بل أتركوا الايمان به لماجاءهم مالم يسمعوا شيأ من نوعه فأنكروا ذلك واستبعدوه ثم اضرب عن ذلك الى ان قال بل أتركوا الايمان به لانهم لم يعرفوه بالامانة والصدق قبل دعوى الرسالة ثم اضرب عن ذلك الى ان قال بل أتركوا ذلك لزعمهم فى حقه كونه مجنونا ثم اضرب عن ذلك الى ان قال بل أتركوا ذلك لكونه يسألهم على تبليغ الوحى جعلا يعطونه اياه فيثقل عليهم قبوله وليس الامر كذلك لان مايعطيك الله تعالى من الاجر والمثوبة فى الدنيا والآخرة خير من اجرهم وفيه مندوحة لك عن عطائهم فلاعذر لهم فى الاباء عن قبول قولك البتة **﴿قوله فى الضريبة على الارض﴾** وهى مايضربه الامام على الارض ويضعه بمنزلة الاجرة المضروبة عليها والوجه فى كون الخراج مشعرا بالكثرة كثرة الضرب بكثرة الاراضى واماوجه كونه مشعرا باللزوم فايجاب الشارع اياه على اصحاب الاراضى الخراجية ثم انه تعالى لما زيف طريقة القوم اتبعه صحة مادعاهم اليه الرسول واشار الى علة نكوب من عدل عنه فقال تعالى وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم ونكره للتعظيم ثم عرفه تعريف العهد فى قوله تعالى عن الصراط لناكبون اى لفاعلون النكوب عنه لعدم ايمانهم بالآخرة والنكوب من باب دخل **﴿قوله انشدك الله تعالى والرحم﴾** اى اسألك بالله تعالى وبالرحم وهو قسم استعطاف واسترحام والعلهز طعام كانوا يتخذونه من الدم ووبر البعير فى سنى المجاعة وقيل هو القراد مع الصوف كانوا يدقونهما ممتزجين **﴿قوله قتلت الآباء بالسيف﴾** المراد به ماجرى عليهم يوم بدر من قتل صناديدهم واسرهم حيث قتل منهم سبعون واسر من صناديدهم سبعون وهو جمع صنديد وهو السيد الشجاع وهذه الرواية تدل على ان هذه الآيات مدنية وان مااصاب قريشا من القحط سبع سنين من دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم كان بعد الهجرة وقد ذهب المفسرون الى ان هذه السورة مكية الاان يقال هذه الآيات مدنية وجعلت السورة مكية اعتبارا للاغلب والمعنى لوكشف الله تعالى عنهم هذا الضر برحمته عليهم ووجدوا الخصب لارتدوا الى ماكانوا عليه من الاستكبار وعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ولذهب عنهم هذا الانكسار والتملق بين يديه يسترحمونه واستشهد على مفهوم هذه الشرطية بانا اخذناهم بعذاب يوم بدر فما وجدت منهم بعد ذلك استكانة ولاتضرع حتى فتحنا عليهم باب الجوع الذى هو اشد من الاسر والقتل فانكسوا

ساعة ولاخضعت رقابهم فارسلوا اليك اشدّهم شكيمة فى العناد يستعطفك واستكان استفعل من الكون ومعناه تحوّل من كون الى كون كاستحال بمعنى تحوّل من حال الى حال اى ماتحوّلوا عن الحال السيئة التى هم عليها الى الحال الحسنة فان باب الاستفعال قد يكون للتحوّل نحو استحال الحجر ويجوز ان يكون افتعل من السكون اصله استكنوا فأشبعت الكاف فتولدت منها الالف اى ماسكنوا وما ذلوا وماخضعوا لربهم وماتضرّعوا بل مضوا على تمرّدهم وحتى غاية لنفى الاستكانة والتضرّع ثم انه تعالى ذكرهم نعمه التى انعم بها عليهم ليؤدّوا بذلك الشكر له عليها لكنه ذكر امهات النعم التى هى السمع والبصر والفؤاد التى بها يتوصل الى معرفة كل نافع وضارّ وكل طيب وخبيث فاخبرالله تعالى انه اعطاهم مايعرفون به النافع من الضار والطيب من الخبيث مشاهدة وسماعا ومابه يميزون بعض الاشياء ويختارون ماهوالمختار عندهم ليتأدّى بذلك شكره وشكر كل نعمة استعمالها فى طاعة المنعم وعبوديته كاستعمال الحواس فى استعمال مانصب من الآيات واشتغال القلب فى تفكر تلك الآيات والاستدلال بها على مايجب عليهم من الاستكمال والتحلى بالكمالات العلمية والعملية وادرج فيه توبيخ العباد بان الشكر منهم قليل كما قال تعالى وقليل من عبادى الشكور فقال تعالى وهو الذى انشألكم السمع والابصار والافئدة قليلا ماتشكرون وقليلا منصوب على انه صفة مصدر محذوف ومامزيدة للتأكيد اى حقا انكم تشكرون شكرا قليلا وقيل ليس المراد ان لهم شكرا قليلا بل هو من قبيل قولك للكفور الجاحد للنعمة ما اقل شكر فلان للنعمة ثم بين كمال قدرته وقوىّ سلطنته بقوله تعالى وهوالذى ذرأكم فى الارض وعطف عليه انه لم يخلقهم عبثا وانما خلقهم للبعث بعد الموت والحشر اليه فانّ خلق الخلائق وتكليفهم بالاوامر والنواهى لمجرّد ان ينتهى حالهم الى الموت والفناء من غيران يميز بين المطيع والعاصى عبث ولعب تبارك الله وتعالى شأنه عن امثاله علوّا كبيرا ثم فصل دلائل قدرته على البعث بقوله تعالى وهو الذى يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار فان من ملك وقدر على احياء الموتى واماتة الاحياء لقادر على البعث والاعادة فان من قدر على انشاء الليل بعدما ذهب اثر النهار وانشاء النهار بعدما ذهب اثر الليل لقادر على البعث والاحياء بعدالموت ثم قال أفلا تعقلون أنّ من قدر على ذلك لقادر على البعث والجزآء بعدما صرتم ترابا وعظاما فكيف تشركون غيره فى عبادتكم اياه وتصرفون الشكر الى غيره فيما انعم عليكم ثم قال تعالى بل قالوا مثل ماقال الاوّلون اى لم يعقلوا ذلك ولم يتدبروا فيه ليعلموا ان من قدر على هذه الاشياء قدر على بعث الموتى فلا يستبعد ذلك بل قالوا مثل ماقال اسلافهم أئذا متنا وصرنا ترابا وعظاما أنبعث وهذا محال ﴿ **قوله** لانه يستعمل فيما يتلهى به ﴾ علة لكونه جمع اسطورة بالضم ووجه الاستدلال ان بناء افعولة يجيئ لمافيه التلهى والسخرية نحو اضحوكة واعجوبة واحدوثة والكفاركانوا يقولون ذلك بطريق التلهى والطعن فى القرآن فيكون الانسب لهذا المقام جعله جمع اسطورة ثم امرالله تعالى رسوله ان يسألهم مايلزمهم الاقرار والاعتراف بما كانوا ينكرون فقال تعالى قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون فأجيبونى عما اقول لكم ثم اخبرعن جوابهم بقوله تعالى سيقولون لله قل أفلا تذكرون اى أفلا تتعظون بعد هذا الاعتراف فتعلمون ان من فطر الارض ومن فيها اختراعا كان قادرا على اعادة الخلق حقيقا بان لايشرك به بعض خلقه فى الربوبية واستحقاق العبادة لان المستحق لهما هوالرب الخالق دون الرب المربوب المخلوق الذى لايضرّ ولاينفع فقوله تعالى أفلا تذكرون معناه الترغيب فى التدبر ليعلموا بطلان ماهم عليه قال تعالى اوّلا أفلا تذكرون ثم قال تعالى بعده أفلا تتقون لانهم بتذكرهم يصلون الى المعرفة وبعد ان يعرفوه يعلمون انه يجب عليهم اتقاء مخالفته ووجوب طاعته وفى قوله تعالى سيقولون لله اشارة الى انهم لايجدون بدّا من ان يقولوا لله ويعترفوا به لانهم لوانكروا ذلك جهلهم النبيّ صلى الله عليه وسلم فيظهر جهلهم عند كل الخلائق فلما اضطرّوا الى الاعتراف بذلك توجه عليهم الالزام بان يقال لهم فاذا عرفتم بان ذلك كله لله تعالى وهو خالقكم فكيف تركتم طاعته وخالفتم امره وانا لا ادعوكم الا الى ان توحدوه وتخلصوا العبادة له تعالى وعلى هذا الاسلوب قوله تعالى قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله اى لابدّ لهم من ان يقرّوا بذلك فقل لهم اذا عرفتم ذلك واقررتم به افلا تتقون مخالفته وامر نقمته وكذلك قوله تعالى قل من بيده ملكوت كل شيء الآية ذكر اوّلا الارض ومن فيها ثم ترقى الى ذكر ماهو اعظم من ذلك وهو السموات السبع والعرش العظيم ثم ذكر مايعم الموجودات بأسرها واختصاصه بملكوته والملكوت الملك

﴿ وهو الذى انشألكم السمع والابصار ﴾
لتحسوا بهامانصب من الآيات ﴿ والافئدة ﴾
لتتفكروا فيها وتستدلوا بهاالى غيرذلك من
المنافع الدينية والدنيوية ﴿ قليلا ماتشكرون ﴾
تشكرونها شكرا قليلا لان العمدة فى شكرها
استعمالها فيماخلقت لاجله والاذعان لمانحها
من غير اشراك ومامصلة للتأكيد ﴿ وهوالذى
ذرأكم فى الارض ﴾ خلقكم وبثكم فيها بالتناسل
﴿ واليه تحشرون ﴾ تجمعون يوم القيامة بعد
تفرّقكم ﴿ وهو الذى يحيي ويميت وله اختلاف
الليل والنهار ﴾ ويختص به تعاقبهما لايقدرعلي
غيره فيكون ردّا لنسبته الى الشمس حقيقة
اومجازا اولامره وقضائه تعاقبهما اوانتقاص
احدهما وازدياد الآخر ﴿ أفلا تعقلون ﴾
بالنظر والتأمل ان الكل منا وان قدرتنا ت
الممكنات كلها وان البعث من جملتها وقرى
بالياء على ان الخطاب السابق لتغليب
المؤمنين ﴿ بل قالوا ﴾ اى كفار مكة
﴿ مثل ماقال الاوّلون ﴾ آباؤهم ومن دان
بدينهم ﴿ قالوا أئذامتنا وكناترابا وعظاما
أانا لمبعوثون ﴾ استبعادا ولم يتأملوا
انهم كانوا قبل ذلك ايضا ترابا فخلقوا
﴿ لقد وعدنا نحن وآباؤناهذامن قبل ان هذا
الااساطيرالاوّلين ﴾ الااكاذيبهم التى كتبوها
جمع اسطورة لانه يستعمل فيما يتلهى به
كالاعاجيب والاضاحيك وقيل جمع
اسطار جمع سطر ﴿ قل لمن الارض
ومن فيها ان كنتم تعلمون ﴾ ان كنتم من اهل
العلم اومن العالمين بذلك فيكون استهانة لهم
وتقريرا لفرط جهالتهم حتى جهلوا مثل
هذا الجلىّ الواضح والزاما بما لايمكن لمن
له مسكة من العلم انكاره ولذلك اخبر عن
جوابهم قبل ان يجيبوا فقال ﴿ سيقولون لله ﴾
لان العقل الصريح قداضطرّهم بادنى نظرالى
الاقرار بانه خالقها ﴿ قل ﴾ اى بعدماقالوه ﴿ أفلا
تذكرون ﴾ فتعلموا ان من فطر الارض ومن فيها
ابتدآء قدر على ايجادها ثانيا فان بدأ الخلق ليس
اهون من اعادته وقرئ تذكرون على الاصل
﴿ قل من رب السموات السبع ورب العرش
العظيم ﴾ فانها اعظم من ذلك

(سيقولون لله) وقرأ أبو عمرو ويعقوب بغير لام فيه وفيما بعده على ما يقتضيه لفظ السؤال (قل أفلا تتقون) عقابه فلا تشركوا به بعض مخلوقاته ولا تنكروا قدرته على بعض مقدوراته (قل من بيده ملكوت كل شيء) ملكه غاية ما يمكن وقيل خزائنه (وهو يجير) يغيث من يشاء ويحرسه (ولا يجار عليه) ولا يغاث احد ولا يمنع منه وتعديته بعلى لتضمين معنى النصرة (ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل فأنى تسحرون) فمن اين تخدعون فتصرفون عن الرشد مع ظهور الامر وتظاهر الادلة (بل أتيناهم بالحق) من التوحيد والوعد بالنشور (وانهم لكاذبون) حيث انكروا ذلك (ما اتخذ الله من ولد) لتقدسه عن مماثلة احد (وما كان معه من اله) يساهمه في الالوهية (اذن لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض) جواب محاجتهم وجزاء شرط حذف لدلالة ما قبله عليه اي لو كان معه آلهة كما يقولون لذهب كل واحد منهم بما خلقه واستبد به وامتاز ملكه عن ملك الآخرين ووقع بينهم التحارب وظهر التغالب كما هو حال ملوك الدنيا فلم يكن بيده وحده ملكوت كل شيء واللازم باطل بالاجماع والاستقراء وقيام البرهان على استناد جميع الممكنات الى واجب واحد (سبحان الله عما يصفون) من الولد والشريك لما سبق من الدليل على فساده (عالم الغيب والشهادة) خبر مبتدأ محذوف وقد جره ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو ويعقوب وحفص على الصفة وهو دليل آخر على نفي الشريك بناء على توافقهم في انه المتفرد بذلك ولهذا رتب عليه (فتعالى عما يشركون) بالفاء (قل رب اما تريني) ان كان لابد من ان تريني لان ما والنون للتأكيد (ما يوعدون) من العذاب في الدنيا والآخرة (رب فلا تجعلني في القوم الظالمين) قرينا لهم في العذاب وهو اما لهضم النفس اولان شؤم الظلمة قد يحيق بما وراءهم كقوله واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة عن الحسن انه تعالى اخبر نبيه ان له في امته نقمة ولم يطلعه على وقتها فأمره بهذا الدعاء وتكرير النداء وتصدير كل واحد من الشرط والجزاء به فضل تضرع وجؤار (وانا على ان نريك ما نعدهم لقادرون) لكنا نؤخره علما بان بعضهم او بعض اعقابهم يؤمنون اولانا لا نعذبهم وانت فيهم ولعله رد لانكارهم الموعود واستعجالهم له استهزاء به وقيل قد اراه وهو قتل بدر او فتح مكة (ادفع بالتي هي احسن السيئة) وهو الصفح عنها والاحسان في مقابلتها لكن بحيث لم يؤد الى وهن في الدين وقيل هي كلمة التوحيد والسيئة الشرك وقيل هو الامر بالمعروف والسيئة المنكر وهو ابلغ من ادفع بالحسنة السيئة لما فيه من التنصيص على التفضيل (نحن اعلم بما يصفون) اي بما يصفونك به او بوصفهم اياك بخلاف حالك واقدر على جزائهم فكل الينا امرهم (وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين) وساوسهم واصل الهمز النخس ومنه مهماز الرائض شبه حثهم الناس على المعاصي بهمز الراضة الدواب على المشي والجمع للمرات او لتنوع الوساوس او لتعدد المضاف اليه (واعوذ بك رب ان يحضرون) يحوموا حولي في شيء من الاحوال وتخصيص حال الصلاة وقراءة القرآن وحلول الاجل لانها احرى الاحوال بان يخاف عليه (حتى اذا جاء احدهم الموت) متعلق بيصفون وما بينهما اعتراض لتأكيد الاغضاء بالاستعاذة بالله من الشيطان ان يزله عن الحلم ويغريه على الانتقام او بقوله انهم لكاذبون (قال) تحسرا على ما فرط منه من الايمان والطاعة لما اطلع على الامر (رب ارجعون) ردوني الى الدنيا والواو لتعظيم المخاطب وقيل لتكرير قوله

زيدت التاء فيه للمبالغة فيتناول الملك والملك وقيل المعنى خزائن كل شيء وقيل ملكوت كل شيء روحه الذي هو من عالم الملكوت وذلك الشيء قائم به يسبح الله تعالى كما قال تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم وروح ذلك الشيء بيد الله تعالى ﴿قوله تعالى سيقولون لله﴾ ذكر في هذا الموضع ثلاث مرات اما الاولى فباللام باتفاق القراء جميعهم واما الثانية والثالثة فقد قرئتا بوجهين سيقولون لله والله فمن قرأ الله فعلى لفظ السؤال لانك لو قلت من رب الدار يقال جوابه زيد ومن قرأ لله فقد حمل الجواب على معنى السؤال لان قولك من رب الدار معناه لمن الدار قال الشاعر

اذا قيل من رب السنان بموقف ۞ ورب الجياد الجرد قيل لخالد

وفيما نكواشي الثاني والثالث في جميع المصاحف بغير الف كالاول الا في مصحف البصريين فانهما وجدا بالالف فيه ﴿قوله تعالى وهو يجير﴾ اي يؤمن من يشاء من الخائفين ويمنعه من السوء ولا يجار عليه اي لا يؤمن من اخاف الله تعالى ولا يمنع منه من اراده بسوء وقوله تعالى سيقولون لله لا يناقض قوله اولا ان كنتم تعلمون لانه تعالى انما قال ذلك اولا استهانة لهم ويجوز في حقهم ان يجهلوا مثل هذا الظاهر لفرط جهالتهم بالديانات وذلك يستلزم انتفاء علمهم بذلك ﴿قوله فمن اين تخدعون﴾ يعني ان قوله فأنى بمعنى فمن اين وقوله تعالى تسحرون استعارة تبعية بمعنى تخدعون شبه الانخداع بالمسحورية في الدلالة على اختلال العقل فاستعير له اسم المسحورية والخادع هو الشيطان والهوى ثم قال تعالى بل أتيناهم بالحق اي ليس انخداعهم لقصور البيان من قبلنا بل أتيناهم بالحق وما تبين به الرشد من الغي وانهم لكاذبون فيما يدعونه من الشرك والولد وانكار البعث ونحو ذلك مما يخالف ما أتيناهم به من الحق ثم صرح في جملة ما كذبوا باعادة قول بعض الكفار الملائكة بنات الله تعالى وزعم آخرين ان الاصنام آلهة وكذبهم فيهما بقوله ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله ولما ورد ان يقال كلمة اذن لا تدخل الا على كلام هو خبر او جواب فكيف دخلت على قوله لذهب كل اله بما خلق ولم يتقدمها شرط ولا سؤال سائل حتى تقع جزاء الشرط او جوابا للسؤال اشار الى دفعه بقوله جواب محاجتهم وجزاء شرط حذف وقيام البرهان على استناد جميع الممكنات الى واجب واحد وان كان دليلا على بطلان الملزوم الذي هو ان يكون معه آلهة الا ان المصنف رحمه الله تعالى جعله دليلا على بطلان اللازم وهو ان يستبد كل اله بما خلق وان يقع بينهم التحارب والتغالب بناء على ان ما يدل على بطلان الملزوم يدل على بطلان اللازم وذكر الله تعالى امرين احدهما قوله تعالى ما اتخذ الله من ولد وثانيهما وما كان معه من اله واستدل عليهما بدليل واحد لان انتفاء تعدد الالهة يستلزم انتفاء الولد لانه تعالى لو اتخذ ولدا لكان ذلك الولد الها اذ الولد من جنس الوالد ومن جوهره واذا كان الها لذهب اذا كل اله بما خلق اي لانفرد واستبد بخلقه وبطلان اللازم يستلزم بطلان الملزوم ﴿قوله واصل الهمز النخس﴾ اي الطعن يقال نخسه بعود اي طعنه اذ النخس هو الطعن والهمز والمهماز حديدة تكون في مؤخر خف الرائض ورائض الفرس الصعب من ألانها وازال صعوبتها ﴿قوله والجمع للمرات﴾ يعني ان الهمزات جمع همزة لا جمع همز حتى يقال انه مصدر فكيف يجمع ويجوز ان يكون الجمع لقصد الانواع من الوساوس او لتعدد المضاف اليه فان الهمز الواقع من جماعة الشياطين يمتنع ان يكون همزا واحدا ﴿قوله متعلق بيصفون﴾ يعني ان حتى غاية لقوله بما يصفون او لقوله وانهم لكاذبون اي لا يزالون على سوء الذكر والكذب الى هذا الوقت وهو وقت حضور الموت للكافر ولم يقل او بكاذبون لانه لا يصح ان يكون متعلقا لحتى لعدم دلالته على الاستمرار بخلاف الجملة الاسمية فانها تدل عليه كما يدل عليه يكذبون ويصفون ﴿قوله والواو﴾ اي في قوله ارجعون مع ان الخطاب للواحد وهو الرب تعالى لتعظيم المخاطب كما في قوله

۞ فان شئت حرمت النساء سواكم ۞ وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا ۞

وقال المازني في قوله ألقيا في جهنم كل كفار عنيد معناه ألق ألق ثنى الضمير للدلالة على تكثير الفعل اي تكريره مرتين فيكون جمعه ههنا للدلالة على تكريره ثلاث مرات فاخبر الله تعالى ان هؤلاء الكفار الذين ينكرون البعث يسألون الرجعة الى الدنيا عند معاينة الموت فقال تعالى حتى اذا جاء احدهم الموت قال رب ارجعون لعلي اعمل صالحا الآية ﴿قوله وقيل في المال او في الدنيا﴾ فالمعنى على الاول لعلي اعمل صالحا فيما تركت

(فأدى)

(انها كلمة) يعنى قوله رب ارجعون الى آخره [illegible] (ومن ورائهم) امامهم والضمير للجماعة (برزخ) حائل بينهم وبين الرجعة (الى يوم يبعثون) يوم القيامة وهو اقناط كلى عن الرجوع الى الدنيا لما علم انه لا رجعة يوم البعث الى الدنيا وانما الرجوع فيه الى حياة تكون فى الآخرة (فاذا نفخ فى الصور) لقيام الساعة والقرآءة بفتح الواو وبه وبكسر الصاد تؤيد أن الصور ايضا جمع الصورة (فلا أنساب بينهم) تنفعهم لزوال التعاطف والتراحم من فرط الحيرة واستيلاء الدهشة بحيث يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه او يفتخرون بها (يومئذ) كما يفعلون اليوم (ولا يتساءلون) ولا يسأل بعضهم بعضا لاشتغاله بنفسه وهو لا يناقض قوله وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون لانه عند النفخة وذلك بعد المحاسبة ودخول اهل الجنة الجنة واهل النار النار (فمن ثقلت موازينه) موزونات عقائده واعماله اى ومن كانت له عقائد واعمال صالحة يكون لها وزن عند الله وقدر (فأولئك هم المفلحون) الفائزون بالنجاة والدرجات (ومن خفت موازينه) اى ومن لم يكن له ما يكون له وزن وهم الكفار لقوله فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا (فأولئك الذين خسروا انفسهم) غبنوها حيث ضيعوا زمان استكمالها وابطلوا استعدادها لنيل كمالها (فى جهنم خالدون) بدل من الصلة او خبر ثان لأولئك (تلفح وجوههم النار) تحرقها واللفح كالنفح الا انه اشد تأثيرا (وهم فيها كالحون) من شدة الاحتراق والكلوح تقلص الشفتين عن الاسنان وقرئ كلحون (ألم تكن آياتى تتلى عليكم) على اضمار القول اى يقال لهم ألم تكن (فكنتم بها تكذبون) تأنيب وتذكير لهم بما استحقوا هذا العذاب لاجله (قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا) ملكتنا بحيث صارت احوالنا مؤدية الى سوء العاقبة وقرأ حمزة والكسائى شقاوتنا بالفتح كالسعادة وقرئ بالكسر كالكتابة (وكنا قوما ضالين) عن الحق (ربنا أخرجنا منها) من النار (فان عدنا) الى التكذيب (فانا ظالمون) لانفسنا (قال اخسأوا فيها) اسكتوا سكوت هوان فانها ليست مقام سؤال من خسأت الكلب اذا زجرته فخسأ (ولا تكلمون) فى رفع العذاب او لا تكلمون رأسا قيل ان اهل النار يقولون ألف سنة ربنا ابصرنا وسمعنا فيجابون حق القول منى فيقولون ألفا ربنا أمتنا اثنتين فيجابون ذلكم بانه اذا دعى الله وحده فيقولون ألفا يا مالك ليقض علينا ربك فيجابون انكم ماكثون فيقولون ألفا ربنا أخرنا الى اجل قريب فيجابون اولم تكونوا اقسمتم فيقولون ألفا اخرجنا نعمل صالحا فيجابون اولم نعمركم فيقولون ألفا رب ارجعون فيجابون اخسأوا فيها ثم لا يكون لهم فيها الا زفير وشهيق وعوآء (انه) ان الشان وقرئ بالفتح اى لانه (كان فريق من عبادى) يعنى المؤمنين وقيل الصحابة وقيل اهل الصفة (يقولون ربنا آمنا فاغفرلنا وارحمنا وانت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا) هزؤا وقرأ نافع وحمزة والكسائى هنا وفى ص بالضم وهما مصدرا سخر زيدت فيهما ياء النسبة للمبالغة وعند الكوفيين المكسور بمعنى الهزؤ والمضموم من السخرة بمعنى الانقياد والعبودية (حتى انسوكم ذكرى) من فرط تشاغلكم بالاستهزآء بهم فلم تخافونى فى اوليائى (وكنتم منهم تضحكون) استهزآء بهم (انى جزيتهم اليوم بما صبروا) على اذاكم (انهم هم الفائزون) فوزهم بمجامع مراداتهم مخصوصين به وهو ثانى مفعولى جزيتهم وقرأ حمزة والكسائى بالكسر استئنافا (قال) اى الله او الملك المأمور بسؤالهم وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائى على الامر للملك او لبعض رؤساء اهل النار (كم لبثتم فى الارض) احياء او امواتا فى القبور (عدد سنين) تمييز لكم (قالوا لبثنا يوما او بعض يوم) استقصارا لمدة لبثهم فيها بالنسبة الى خلودهم فى النار او لانها كانت ايام سرورهم وايام السرور قصار او لانها منقضية او المنقضى فى حكم المعدوم (فاسأل العادين) الذين يتمكنون من عد ايامها ان اردت تحقيقها فانا لما نحن فيه من العذاب مشغولون عن تذكرها واحصائها او الملائكة الذين يعدون اعمار الناس

فأدى حقوق الله تعالى فيه واتقرب به الى الله كما قال لولا اخرتنى الى اجل قريب فأصدق وعلى الثانى فى الموضع الذى تركته وهو الدنيا يقول انى تركت فيها التوحيد والطاعة فردونى اليها اعمل الطاعة والتوحيد فيها ﴿قوله واما الكافر فيقول رب ارجعون﴾ يدل على ان خطاب ارجعون للملائكة لوقوعه فى جواب قولهم أنرجعك الى الدنيا فيكون ذكر الرب للقسم فكأنهم قالوا عند معاينة الموت بحق الرب ارجعون وقال الامام النسفى رحمة الله عليه يستغيث اولا بالله تعالى فيقول رب ثم يقول للملائكة الذين حضروه ليقبضوا الروح ارجعون اى ردونى الى الدنيا ﴿قوله والكلمة الطائفة من الكلام المنتظم﴾ كقوله صلى الله عليه وسلم اصدق كلمة قالها لبيد

* الا كل شئ ما خلا الله باطل * وكل نعيم لا محالة زآئل *

وقوله تعالى هو قائلها صفة لكلمة اى انها كلمة لا يسكت هو عنها البتة لاستيلاء الحسرة والندم عليه وهو قائلها بلسانه لا تنفعه ولا يجاب اليها وذلك لان التركيب من باب انا عارف فان اعتبر أن هو مبتدأ وقائلها هو الخبر فهو من باب تقوى الحكم فيكون المعنى هو قائلها وحده لا يجاب اليها ولا تسمع منه ﴿قوله أمامهم﴾ يعنى ان لفظ ورآء مشتق من تواريت عنك اذا استترت واختفيت عنه فكل ما توارى عنك سوآء كان امامك او خلفك فهو ورآءك والبرزخ فى الاصل الحاجز بين الشيئين ومنه قوله تعالى وجعل بينهما برزخا والمراد به ما يحول بينهم وبين الرجعة والقبر فانه مانع من الرجوع الى الدنيا ﴿قوله والضمير للجماعة﴾ يعنى جمع الضمير فى ورآئهم بعد التوحيد لشيوع هذا النهى فى جنس الكفار وجماعتهم ﴿قوله وهو اقناط كلى﴾ دفع لما يتوهم من ان ظاهر قوله تعالى الى يوم يبعثون يدل على انهم يرجعون الى الدنيا بعد يوم البعث بناء على ان حكم ما بعد كلمة الغاية مغاير لحكم ما قبلها فلما قيل امامهم برزخ يصدهم عن الرجوع الى يوم يبعثون وفهم منه انهم يرجعون الى الدنيا بعده دفعه بان الكلام يدل على انهم لا يرجعون الى الدنيا اما قبل يوم البعث فلصريح النص واما بعده فلما علم انه لا رجوع بعد يوم البعث الا الى احد المنزلين الجنة او النار ثم انه تعالى لما قال ومن ورآئهم برزخ الى يوم يبعثون ذكر احوال ذلك اليوم فقال فاذا نفخ فى الصور والمعنى فاذا بعث الناس قيل الصور آلة اذا نفخ فيها يظهر صوت عظيم جعله الله تعالى علامة لخراب الدنيا ولاعادة الاموات وقد روى عنه عليه الصلاة والسلام انه قرن ينفخ فيه وقيل الصور جمع صورة والمعنى فاذا نفخ فى الصور كلها ارواحها وهو قول الحسن رضى الله تعالى عنه وكان يقرأ بفتح الواو وضم الصاد وكسرها وقوله بينهم ليس منصوبا بقوله فلا أنساب لان اسم لا اذا بنى لا يعمل بل منصوب بعامل محذوف وذلك المحذوف هو العامل ايضا فى يومئذ وقوله تنفعهم او يفتخرون بها اشارة الى ان نسب الانسان لا ينقطع يومئذ انما المنقطع فيه الانتفاع به والتفاخر ﴿قوله لانه عند النفخة﴾ يعنى ان عدم التساؤل عند النفخة فان اهل البعث فى يوم القيامة مشغولون بانفسهم عن التساؤل وقيل يوم القيامة مقداره خمسون ألف سنة ففيه ازمنة واحوال مختلفة فيتعارفون ويتساءلون فى بعضها ويتحيرون فى بعضها لشدة الفزع وقيل التناكر يكون عند النفخة الاولى فاذا كانت الثانية قاموا وتعارفوا وتساءلوا وقالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن ﴿قوله واللفح كالنفح﴾ اى فى الدلالة على معنى الهبوب والضرب يقال نفحت الريح اى هبت قال الاصمعى رحمة الله تعالى عليه ورضى عنه ما كان من الرياح نفحا فهو برد وما كان لفحا فهو حر ﴿قوله والكلوح تقلص الشفتين﴾ قيل تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخى شفته السفلى حتى تبلغ صدره ﴿قوله وهما مصدرا سخر﴾ تقول سخرت منه وبه اسخر من باب علم سخرا وسخريا وسخريا اذا هزئت به والذى يدل على ان المراد منه الهزؤ قوله تعالى وكنتم منهم تضحكون والضحك انما يلائم السخرية والهزؤ فظهر انهما لغتان بمعنى واحد ﴿قوله تعالى حتى أنسوكم ذكرى وكنتم منهم تضحكون﴾ اى نسيتموه باشتغالكم بالاستهزآء بهم نسب الانساء الى عباده المؤمنين وان لم يفعلوا ذلك لكونهم سببا فى ذلك كقوله تعالى رب انهن اضللن كثيرا من الناس لكون الاصنام سببا للاضلال ﴿قوله على الامر﴾ يعنى انهم قرأوا قل كم لبثتم على معنى انه امر للملك او لبعض رؤساء اهل النار ان يسأل اهل النار ويقول كم لبثتم فى الارض احياء وامواتا فى القبور الى ان بعثتم وكم فى موضع النصب على ظرف الزمان اى كم لهم سنة وعدد بدل من كم قاله ابو البقاء والصحيح ان عدد سنين هو التمييز والمقصود من هذا السؤال هو التبكيت والالزام لانهم كانوا ينكرون اللبث فى الآخرة رأسا ويقولون لا لبث الا فى دار الدنيا ويظنون ان بعد الموت

(ان لبثتم الا قليلا لو انكم كنتم تعلمون) تصديق لهم فى تقالهم (أفحسبتم انما خلقناكم عبثا) توبيخ على تغافلهم و عبثا حال بمعنى عابثين او مفعول له اى انالم نخلقكم تلهيا بكم و انما خلقناكم لنعيدكم و نجازيكم على اعمالكم و هو كالدليل على البعث (و انكم الينا لا ترجعون) معطوف على انما خلقناكم او عبثا و قرأ حمزة و الكسائى و يعقوب بفتح التاء و كسر الجيم (فتعالى الله الملك الحق) الذى يحق له الملك مطلقا فان من عداه مملوك بالذات مالك بالعرض من وجه دون وجه و فى حال دون حال (لا اله الا هو) فان ماعداه عبيد (رب العرش الكريم) الذى يحيط بالاجرام و تنزل منه محكمات الاقضية و الاحكام و لذلك وصفه بالكرم او لنسبته الى اكرم الاكرمين و قرئ بالرفع على انه صفة الرب (و من يدع مع الله الها آخر) يعبده افرادا او اشراكا (لا برهان له به) صفة اخرى لا له لازمة له فان الباطل لا برهان به جيء بها للتأكيد و بناء الحكم عليه تنبيها على ان التدين بما لا دليل عليه ممنوع فضلا عما دل الدليل على خلافه او اعتراض بين الشرط و الجزاء لذلك (فانما حسابه عند ربه) فهو مجاز له مقدار ما يستحقه (انه لا يفلح الكافرون) ان الشان و قرئ بالفتح على التعليل او الخبر اى حسابه عدم الفلاح بدأ السورة بتقرير فلاح المؤمنين و ختمها بنفى الفلاح عن الكافرين ثم امر رسوله بان يستغفره و يسترحمه فقال (و قل رب اغفر و ارحم و انت خير الراحمين) * عن النبى صلى الله عليه و سلم من قرأ سورة المؤمنين بشرته الملائكة بالروح و الريحان و ما تقربه عينه عند نزول ملك الموت و عنه انه قال لقد انزلت على عشر آيات من أقامهن دخل الجنة ثم قرأ قد افلح المؤمنون حتى ختم العشر و روى ان اولها و آخرها من كنوز الجنة و من عمل بثلاث آيات من اولها و اتعظ بأربع من آخرها فقد نجا و افلح و الله اعلم

﴿ سورة النور مدنية و هى ثنتان او اربع و ستون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(سورة) اى هذه سورة او فيما اوحينا اليك سورة (انزلناها) صفتها و من نصبها جعله مفسرا لناصبها فلا يكون له محل الا اذا قدر اتل او دونك او نحوه (و فرضناها) و فرضنا ما فيها من الاحكام و شدده ابن كثير و ابو عمرو لكثرة فرائضها او المفروض عليهم او للمبالغة فى ايجابها (و انزلنا فيها آيات بينات) و اضحات الدلالة (لعلكم تذكرون) فتتقون المحارم و قرئ بتخفيف الذال (الزانية و الزانى) اى فيما فرضنا او انزلنا حكمهما و هو الجلد و يجوز ان يرفعا بالابتداء و الخبر (فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة) و الفاء لتضمنها معنى الشرط اذ اللام بمعنى الذى و قرئ بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر و هو احسن من نصب سورة لاجل الامر و الزان بلا ياء

يدوم الفناء و لا بعث بعده و لما حصلوا فى النار و ايقنوا دوامها و خلودهم فيها سئلوا كم لبثتم فى الارض تذكيرا لهم ان ما ظنوه دائما طويلا فهو قليل يسير بالاضافة الى ما انكروه فحينئذ يحصل لهم الحسرة على ما كانوا يعتقدونه فى الدنيا و يتيقنون خلافه فان قيل كيف يصح ان يقولوا فى الجواب لبثنا يوما او بعض يوم و لا يقع الكذب فى الآخرة فالمصنف رحمه الله تعالى عليه اشار الى جوابه بقوله استقصارا لمدة لبثهم فيها الى آخره و قيل انهم نسوا قدر لبثهم فى الارض لكثرة ما هم فيه من الاهوال و عظم ما هم بصدده من العذاب و يدل عليه قولهم فاسأل العادين او لان المنقضى ليس له قدر فى مقابلة الباقى فهو اقل من كل قليل و لهذا صدقهم الله تعالى فى استقلالهم تلك المدة حيث قال ان لبثتم الا قليلا اى زمانا قليلا او لبثا قليلا و جواب لو مقدر اى لو انكم كنتم تعلمون مقدار لبثكم من الطول لما اجبتم بهذه المدة كذا قاله ابو البقاء رحمة الله تعالى عليه يعنى انه تعالى صدقهم فى اصل الاستقلال و جهلهم فى تعيين المدة ثم انه تعالى لما بكتهم فى انكارهم البعث و لبث الآخرة و بخهم على تماديهم فى الغفلة و تركهم النظر الصحيح فيما يدل على حقية البعث و القيامة فانه لولا القيامة لما تميز المطيع من العاصى و الصديق من الزنديق فيكون خلق العالم عبثا فقال تعالى افحسبتم انما خلقناكم عبثا ثم نزه نفسه عن العبث بقوله فتعالى الله الملك الحق و المراد من الرجوع الى الله تعالى الرجوع الى حيث لا مالك و لا حاكم فيه سواه لا الرجوع من مكان الى مكان فيه الله تعالى و ذلك ظاهر و الله تعالى اعلم و صلى الله على سيدنا محمد و على آله و صحبه و سلم

﴿ سورة النور مدنية و هى ستون و آيتان او اربع آيات ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

روى الامام الواحدى عن هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة رضى الله تعالى عنهم قالت قال رسول الله صلى الله عليه و سلم * لا تنزلوهن الغرف و لا تعلموهن الكتابة و علموهن الغزل و سورة النور * يعنى النساء ﴿ قوله اى هذه سورة ﴾ على ان سورة خبر مبتدأ محذوف و على الثانى هى مبتدأ و الخبر محذوف و انزلناها على التقديرين صفة سورة للمدح و التأكيد بناء على ان الانزال يفهم منها اى السورة لانها اسم لطائفة من القرآن المنزل علم ابتداؤها و انقطاعها بالتوقيف * فان قلت ما فائدة هذا الحمل مع ان كل واحدة من فائدتى الخبر و لازمها منتف فيها * فالجواب ان احدى الفائدتين انما تطلب من الكلام الذى يقصد به افادة المخاطب و يكون المتكلم فى صدد الاخبار و الاعلام و اما الكلام الذى يقصد به الامتنان و المدح و الترغيب فلا يجب فيه شيء منهما ﴿ قوله و فرضنا ما فيها ﴾ على طريق ذكر المحل و ارادة الحال و قال ابو على اى فرضنا فريضتها المذكورة فيها فحذف المضاف ﴿ قوله فتتقون المحارم ﴾ اشارة الى ان قوله تعالى تذكرون من تذكر ما علم قبل لا من التذكر بمعنى الاتعاظ كأنه قيل انزلنا فيها آيات بينات لتعلموها و تذكروها وقت الحاجة اليها * قال الامام رحمة الله تعالى عليه فى اول هذه السورة انواع من الاحكام و الحدود و فى آخرها دلائل التوحيد فقوله تعالى و فرضناها اشارة الى الاحكام التى بينها اولا ثم قال تعالى و انزلنا فيها آيات بينات اشارة الى ما بين فيها من دلائل التوحيد و الذى يؤكد هذا التأويل قوله تعالى لعلكم تذكرون فان الاحكام و الشرائع ما كانت معلومة لهم ليؤمروا بتذكرها انتهى كلامه و جعل دلائل التوحيد فى قوة المعلوم لمسارعة العقول السليمة الى قبولها و ابتنائها على مقدمات مسلمة مركوزة فى القلوب ﴿ قوله اى فيما فرضنا ﴾ على ان قوله الزانية و الزانى مبتدأ حذف خبره ثم بين حكمهما بقوله فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة الآية و الفاء فيه لعطف تفصيل المجمل على المجمل كما فى قوله تعالى و نادى نوح ربه فقال رب ان ابنى من اهلى فان الفاء العاطفة للمجمل قد تفيد كون المذكور بعدها كلاما مرتبا على ما قبلها فى الذكر لان مضمون ما بعدها واقع عقيب مضمون ما قبلها فى الزمان ﴿ قوله و قرئ بالنصب ﴾ اى على الاضمار على شريطة التفسير و التقدير اجلدوا الزانية و الزانى فاجلدوا كل واحد منهما و دخلت الفاء فى اول الفعل المفسر ايذانا بانه واقع فى موقع جزاء لشرط محذوف و الاصل ان اردتم معرفة حكم الزانية و الزانى فاجلدوهما اجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة فحذف الشرط اعتمادا على دلالة سياق الكلام عليه و حذف الفعل الاول ثم فسر لكون التفسير بعد الابهام اوقع فى النفس فصار فالزانية و الزانى اجلدوا كل واحد منهما ثم قدم المفعول على الفاء ليصير عوضا عن الشرط المحذوف كما ترى ﴿ قوله لاجل الامر ﴾ فان الفعل الواقع بعد ما اضمر عامله على شريطة التفسير اذا كان امرا او نهيا يختار نصبه حتى تكون الجملة الطلبية فعلية و هى اولى ان امكن اختصاص الطلب بالفعل الا يرى

الى اختصاص حروف الطلب بالفعل كحرف الاستفهام و العرض و التحضيض فلو رفع الزانية على الابتدآء لكان فعل الامر خبرا و الامر لايقع خبرا الابتأويل و قوله و الزان بلاياء اى و قرئ و الزان بلاياء اكتفاء بالكسرة عنها كما فى قوله يوم يدع الداع ﴿قوله و الجلد ضرب الجلد﴾ كما يقال رأسه و بطنه اذا ضرب رأسه و بطنه فكذا يقال جلده اذا ضرب جلده و الزنى عبارة عن ايلاج فرج فى فرج مشتهى طبعا محرّم قطعا ﴿قوله و هو حكم يخص من ليس بمحصن﴾ يعنى ان الآية تتناول جميع الزناة و الزوانى من المحصن و غيره الا ان ما نقل الينا بطريق التواتر من انه صلى الله عليه وسلم رجم من زنى محصنا خص الآية بغير المحصن فان تخصيص القرآن بالخبر المتواتر يجوز اتفاقا قال الامام رحمة الله تعالى عليه و احتج الجمهور من المجتهدين على وجوب رجم المحصن بما ثبت بالتواتر من انه صلى الله عليه وسلم فعل ذلك و قال عمر رضى الله عنه اذا طال الزمان على الناس ربما يقول قائل لانجد الرجم فى كتاب الله تعالى فيضل بترك فريضة انزلها الله تعالى و قد قرأنا الشيخ و الشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة و رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم و رجمنا بعده فأخبران الذى فرضه الله تعالى هو الرجم ﴿قوله و زاد الامام الشافعى عليه الخ﴾ و قال ابو حنيفة رحمة الله تعالى عليه يجلد اما التغريب فمفوّض الى رأى القاضى و هو الامام و احتج ابو حنيفة على نفى وجوب التغريب بوجوه منها ان ايجاب التغريب يقتضى نسخ الآية و نسخ القرآن بخبر الواحد لايجوز و قرّر النسخ من ثلاثة اوجه الاوّل انه سبحانه و تعالى رتب الجلد على فعل الزنى بالفاء و حرف الفاء للجزآء و قد صرّح ائمة اللغة رحمة الله تعالى عليهم بذكر الشرط و الجزآء و فسروا الشرط بالذى دخلت عليه كلمة ان و الجزآء بالذى دخل عليه حرف الفاء و الثانى ان الجزآء اسم لما تقع به الكفاية مأخوذ من قولهم جزاه اى كفاه و قال صلى الله عليه وسلم يجزيك و لايجزى بعدك احدا * اى يكفيك و منه قول القائل اجزيت الابل بالعشب عن الماء و انما تقع الكفاية بالجلد اذا لم يجب معه شئ يقتضى نسخ كونه كافيا و الثالث ان المذكور فى الآية لما كان هو الجلد كان ذلك هو كمال الحدّ فلو جعلنا التغريب معتبرا مع الجلد كان الجلد بعض الحدّ لا كل الحدّ فيفضى الى نسخ كونه كل الحدّ و اجاب عنه المصنف رحمة الله تعالى عليه بانه ليس فى الآية مايفيد دفع وجوب التغريب اذ ليس فيها الا ادخال حرف الفاء على الامر بالجلد و اما كون مدخولها جزآء كافيا فى العقوبة فليس من كلام الله تعالى و لا من كلام رسوله عليه الصلاة و السلام بل هو قول بعض الادباء فلايكون حجة و ليس فى الآية الشريفة الا وجوب الجلد و ليس فيها مايدفع شيأ آخر بوجوبه و النسخ المقبول نسخ الكتاب بالسنة المتواترة و المردود منه نسخه بالآحاد فانه مردود عند الحنفية رضى الله تعالى عنهم ﴿قوله و له فى العبد ثلاثة اقوال﴾ احدها تغريب سنة كما فى الحرّ لان التغريب الايحاش و ذلك معنى يرجع الى الطبع فيستوى فيه الحرّ و العبد كمدّة الايلاء و العنة و ثانيها تغريب نصف سنة لقوله تعالى فعليهنّ نصف ما على المحصنات من العذاب و التغريب يقبل التنصيف فينصف كما ينصف الجلد فانه يجلد نصف جلد الاحرار و ثالثها انه لايغرّب كما قال ابو حنيفة رضى الله عنه لقوله صلى الله عليه وسلم * اذا زنت امة احدكم فليحدّها الحدّ كما وجب عليها * و لم يؤمر بالتغريب لان منافعه للسيد ففى تغريبه اضرار بالسيد * و اعلم ان كون الزنى موجبا للرجم تارة و الجلد اخرى مشروط بالعقل و البلوغ بل هما معتبران فى العقوبات كلها اما كونه موجبا للرجم فلابدّ فيه مع العقل و البلوغ من شروط اخر الشرط الاوّل الحرّية و اجمعوا على ان الرقيق لايجب عليه الرجم البتة كما اجمعوا على ان الامة تجلد خمسين جلدة و كذا العبد عند الجمهور و قال اهل الظاهر يجلد العبد مائة جلدة كالحرّ عملا بعموم قوله تعالى الزانية و الزانى فاجلدوا كل واحد منهما الآية الشرط الثانى التزوّج بنكاح صحيح فلايحصل الاحصان بالاصابة بملك اليمين و بوطئ الشبهة و بالنكاح الفاسد الشرط الثالث الدخول و لابدّ منه لقوله صلى الله عليه وسلم * الثيب بالثيب * و انما تصير ثيبا بالوطئ و شرط ابو حنيفة رحمة الله تعالى عليه ان تكون الاصابة بالنكاح الصحيح بعد البلوغ و الحرّية و العقل لانه شرط اكمل الاصابات و هو ان تكون بنكاح صحيح و شرط ان تكون الاصابة فى حال الكمال و الاسلام ليس شرطا فى كون الزنى موجبا للرجم عند الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه و ابى يوسف ايضا و قال ابو حنيفة رضى الله تعالى عنه هو شرط ايضا و احتج بان الذمى الذى يزنى بعد الاحصان لايجب عليه القتل فبيان الاوّل قوله صلى الله عليه وسلم * من اشرك بالله فليس بمحصن * و بيان الثانى ان المسلم الذى لايكون محصنا لايجب عليه القتل لقوله عليه الصلاة و السلام لايحل دم امرئ مسلم الا لاحد معان ثلاث كفر بعد ايمان و زنى بعد احصان و قتل النفس بغير حق * و لما لم يكن الذمى

و انما قدّم الزانية لان الزنى فى الاغلب
يكون بتعرضها للرجل و عرض نفسها
عليه و لان مفسدته تتحقق بالاضافة اليها
و الجلد ضرب الجلد و هو حكم يخص
بمن ليس بمحصن لما دل على ان حدّ المحصن
هو الرجم و زاد الشافعى عليه تغريب
الحرّ سنة لقوله عليه السلام البكر بالبكر
جلد مائة و تغريب عام و ليس فى الآية
مايدفعه لينسخ احدهما بالآخر نسخا
مقبولا او مردودا و له فى العبد ثلاثة
اقوال و الاحصان بالحرّية و البلوغ و العقل
و الاصابة فى نكاح صحيح و اعتبرت الحنفية
الاسلام ايضا و هو مردود برجمه عليه
السلام يهوديين و لا يعارضه من اشرك
بالله فليس بمحصن اذ المراد المحصن الذى
يقتص له من المسلم

(ولاتأخذكم بهمارأفة) رحمة (فى دين الله) فى طاعته واقامة حدّه فتعطلوه او تسامحوا فيه فلذلك قال عليه السلام لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها وقرأ ابن كثير بفتح الهمزة وقرئت بالمدّ على فعالة (ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) فان الايمان يقتضى الجدّ فى طاعة الله والاجتهاد فى اقامة احكامه وحدوده وهو من باب التهييج (وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنون) زيادة فى التنكيل فان التفضيح قدينكل اكثر ماينكل التعذيب والطائفة فرقة يمكن ان تكون حافة حول شئ من الطوف واقلها ثلاثة وقيل واحد اواثنان والمراد جمع يحصل به التشهير (الزانى لاينكح الازانية اومشركة والزانية لاينكحها الازان اومشرك) اذ الغالب ان المائل الى الزنى لايرغب فى نكاح الصوالح والمسافحة لايرغب فيها الصلحاء فان المشاكلة علة الالفة والتضامّ والمخالفة سبب النفرة والافتراق فكان حق المقابلة ان يقال والزانية لاتنكح الامن زان اومشرك لكن المراد بيان احوال الرجال فى الرغبة فيهنّ لان الآية نزلت فى ضعفة المهاجرين لما هموا ان يتزوّجوا بغايا يكرين انفسهنّ لينفقن عليهم من اكسابهنّ على عادة الجاهلية ولذلك قدّم الزانى (وحرّم ذلك على المؤمنين) لانه تشبه بالفساق وتعرّض للتهمة وتسبب لسوء المقالة والطعن فى النسب وغير ذلك من المفاسد ولذلك عبرعن التنزيه بالتحريم مبالغة وقيل النفى بمعنى النهى وقد قرئ به والحرمة على ظاهرها والحكم مخصوص بالسبب الذى ورد فيه اومنسوخ بقوله وأنكحوا الايامى منكم فانه يتناول المسافحات ويؤيده انه عليه السلام سئل عن ذلك فقال اوّله سفاح وآخره نكاح والحرام لايحرّم الحلال وقيل المراد بالنكاح الوطئ فيؤول الى نهى الزانى عن الزنى الابزانية اوالزانية ان يزنى بها الازان وهو فاسد

محصنا لم يجب قتله باقدامه على الزنى واجاب المصنف رحمة الله تعالى عليه عن هذا الاحتجاج بان معنى الحديث الشريف ان من اشرك بالله تعالى فليس بمحصن اى بمحصن الدم فلايقتل قاتله المسلم قصاصا فان القصاص انما يجب بقتل من احصن دمه ابدا والمشرك ليس ممن احصن دمه ابدا فلايقتص من المسلم لاجله واليه ذهب الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه واحتج عليه بقوله صلى الله عليه وسلم * لايقتل مسلم بكافر * ويقتل المسلم بالذمى عندنا لما روى انه صلى الله عليه وسلم فعل ذلك ويجب القصاص فى الاطراف بين المسلم والكافر اجماعا * واعلم ان عقوبة الزانى كانت فى اوّل الاسلام ان يحبس الى ان يموت فى حق الثيب وان يؤذى بالكلام فى حق البكر قال الله تعالى واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهنّ اربعة منكم فان شهدوا فأمسكوهنّ فى البيوت حتى يتوفاهنّ الموت او يجعل الله لهنّ سبيلا واللذان يأتيانها منكم فآذوهما فان تابا واصلحا فأعرضوا عنهما ان الله كان توّابا رحيما ثم نسخ ذلك فجعل حدّ الثيب على الزنى الرجم وحدّ البكر الجلد والتغريب روى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال حدّث عنى انه قد جعل الله لهنّ سبيلا البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام والثيب بالثيب جلد مائة ورجم بالحجارة واحتج الامام الشافعى رحمة الله تعالى عليه بهذا الحديث على ماذهب اليه من الجمع بين الجلد والتغريب فى البكر وبين الجلد والرجم فى حق الثيب ﴿قوله تعالى لاتأخذكم بهما رأفة فى دين الله﴾ اى لاتدركم الرأفة والشفقة عليهما بحيث تؤدّى الى تعطيل حدّ الله تعالى وترك الاقامة او المسامحة فيه فان الايمان يوجب الاتيان بامر الله تعالى والتشديد فيه دون اللين والمسامحة وفى الحديث يؤتى بوال نقص من الحدّ سوطا فيقال لم نقصته فيقول رحمة بعبادك فيقال له انت ارحم واعلم به منى فيؤمر به الى النار ويجوز ان يكون هذا الحديث تفسيرا لقوله صلى الله عليه وسلم * القضاة ثلاثة قاض فى الجنة وقاضيان فى النار * وعن ابى هريرة رضى الله عنه اقامة حدّ بارض خير لاهلها من مطر اربعين ليلة ﴿قوله وقيل واحد﴾ احتجاجا بقوله تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا وقوله او اثنان احتجاجا بقوله تعالى فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة وكل ثلاثة فرقة والخارج من الثلاثة واحد واثنان والاحتياط بوجوب الاخذ بالاكثر ثم انه تعالى لما بين عقوبة الزنى وحكمه وعقوبة من ارتكبه بين حكما ثانيا فقال تعالى الزانى لاينكح الازانية اومشركة الآية ولما كان ظاهر النظم اخبارا بان الزانى لاينكح المؤمنة العفيفة وان الزانية لاينكحها المؤمن التقى وكان هذا الحصر عرفا غير ظاهر الصحة فى حكم هذه الشريعة لان الزانى قدينكح المؤمنة العفيفة والزانية قدينكحها المؤمن العفيف وكذا قوله تعالى وحرّم ذلك على المؤمنين فانه ايضا غير ظاهر الصحة فان المؤمن يحل له ان يتزوّج بالمرأة الزانية اشار المصنف رحمه الله تعالى الى جوابه بان حمل الاخبار المذكور على الاعم الاغلب على طريق قولك لايفعل الخير الارجل تقى مع ان بعض من لايكون تقيا قديفعل خيرا فمراد القائل بيان ان ماوقع من الخير انما يقع غالبا من التقى وهو لاينافى وقوعه من غير التقى على قلة فكذا ههنا اومن حمل التحريم على التنزيه قال الامام النسفى واصح الاقاويل فى هذه الآية الشريفة انها تزهيد فى حق نكاح البغايا وتأويل ذلك ان اهل الاسلام والايمان سبيلهم ان لايرغبوا الافى المسلمات العفيفات واما الزانى فهو انما يميل الى من كان على مذهبه فى الزنى اوالى من لايعتقد الايمان فضلا عن ان يتفكر فى التعفف والزانية ايضا انما تميل الى احد الرجلين اما الى زانى مثلها او الى مشرك شرّ منها ﴿قوله فكان حق المقابلة﴾ اى قوله تعالى الزانى لاينكح اى لايتزوّج انما يقابله قولنا الزانية لاتنكح ولاتتزوّج الامن هو زان الا انه لما كان المقصود بيان احوال الرجال وان طائفة تميل الى العفائف وطائفة تميل الى الفواجر لم يراع حق المقابلة ﴿قوله والحكم مخصوص بالسبب الذى ورد فيه﴾ فالمعنى وحرّم نكاح البغايا قصدا للتوسع بما يأخذن فى الزنى كما خطر ببال فقراء المهاجرين حين قدموا المدينة وفيها نساء بغايا يكرين انفسهنّ وهنّ يومئذ اخصب اهل المدينة ان يتزوّجوا بهنّ الى ان يغنيهم الله تعالى عنهنّ فاللام والالف فى قوله تعالى الزانى وفى قوله تعالى على المؤمنين وان كان للعموم ظاهرا لكن المراد به الاقوام الذين نزلت الآية الشريفة فيهم وبسببهم فتقدير الآية والله تبارك وتعالى اعلم اولئك الزناة لاينكحون الا الزانيات وتلك الزانيات لاينكحهنّ الا اولئك الزناة وحرّم نكاحهنّ باعيانهنّ على المؤمنين * والايامى جمع ايم وهو من لازوج له رجلا كان او امرأة وسئل عليه الصلاة والسلام ان من زنى بامرأة هل له ان يتزوّجها فاجاب بقوله صلى الله عليه وسلم * اوّله سفاح وآخره نكاح والحرام لايحرّم الحلال * وشبهه ابن عباس بمن سرق ثمر شجرة ثم اشتراه وعن عائشة رضى الله عنها ان الرجل اذا زنى بامرأة ليس له ان يتزوّجها لهذه الآية الشريفة واذا باشرها كان زانيا ﴿قوله وهو فاسد﴾

لان الاشكال باق لانا نرى ان الزانية قد ينكحها الرجل العفيف والزانى قد ينكح العفيفة ويتزوّجها ولو قلنا بان المراد ان الزانى لايطأ بطريق الزنى الا الزانية فهذا كلام لافائدة فيه ﴿ قوله لو صف المقذوفات بالاحصان ﴾ بيان للقرينة المعينة لكون المراد بالشئ المقذوف به الزنى فان ظاهر الآية الشريفة لايدل الا على الشئ الذى رمى به المحصنات وذكر الرمى لايدل على الزنى لان المحصنات قد يرمين بالسرقة والكذب ونحوهما فلابدّ من قرينة تدل على تعيين المراد واتفق العلماء رضى الله تعالى عنهم على ان المراد بالرمى الزنى بقرينة تقدّم ذكر الزنى لانه تعالى وصف المقذوفات بالاحصان وهو العفة عن الزنى فدل ذلك على ان المراد وصفهنّ بعدم العفاف لقوله تعالى ثم لم يأتوا باربعة شهدآء اى على صدقهم فيما رموهنّ به وكون الشهود اربعة انما يشترط فى المقذوف بالزنى فان القذف بغير الزنى يكفى فيه شاهدان وان الواجب فيه التعزير دون الحدّ ثم ان اقرّ المقذوف على نفسه بالزنى او اقام القاذف اربعة من الشهود على زناه سقط الحدّ عن القاذف لان الحدّ وجب لافترآئه على البرئ وقد ثبت صدقه ﴿ قوله ولافرق فيه ﴾ يعنى لافرق بين المحصنين والمحصنات فى ان قذفهم بالزنى يوجب جلد القاذف ثمانين جلدة الا ان النص ورد فى قذف المحصنات لما ذكره ﴿ قوله لخصوص الواقعة ﴾ على ماقيل من ان هذه الآية نزلت فى حسان بن ثابت رضى الله تعالى عنه حين تاب مما قال فى حق عائشة رضى الله عنها ﴿ قوله ولايشترط اجتماع الشهود عند الادآء ﴾ لان الاتيان باربعة شهدآء يصدق على الاتيان بهم مجتمعين ومتفرّقين قياسا على سائر الاحكام فانها تثبت بشهادة الشهود بها سوآء شهدوا بها مجتمعين او متفرّقين فكذا حكم الزنى وقال ابو حنيفة رضى الله عنه اذا شهدوا متفرّقين لايثبت الزنى وعليهم حدّ القذف لان الشاهد الواحد لما شهد فقد قذف المشهود عليه ولم يأت باربعة شهدآء فيجب عليه الحدّ وتعبير القذف بلفظ الشهادة لايخرجه عن كونه قاذفا ولو أتى القاذف باربعة شهدآء فساق فشهدوا على المقذوف بالزنى قال ابو حنيفة رضى الله تعالى عنه يسقط الحدّ عن القاذف ولايجب الحدّ على الشهود وقال الامام الشافعى رحمه الله تعالى عليه فى احد قوليه يحدّون واحتج ابو حنيفة بانه أتى باربعة شهدآء فلايلزمه الحدّ والفاسق من اهل الشهادة فقد وجدت شرآئط الشهادة الا انه لم تقبل شهادتهم للتهمة ﴿ قوله لضعف سببه ﴾ اى بالنسبة الى سبب ضرب الزنى فان سبب ضرب القذف هو القذف وهو قول يحتمل الصدق والكذب وسبب ضرب الزنى فعل يثبت بالشهود العدول ولاشك انه اقوى فى كونه فحشا بالنسبة الى القول فخفف عقوبة القول الضعيف واحتمال صدق مقال القاذف يقتضى سقوط الحدّ رأسا الا انه عوقب صيانة للعرض وردعا عن هتكه ﴿ قوله خلافا لابى حنيفة رضى الله تعالى عنه ﴾ فان عدم قبول شهادته متوقف على اقامة الحدّ عليه عنده حتى اذا تاب قبل اقامة الحدّ عليه او قبل تمام حدّه تقبل شهادته عنده فمعنى الآية والله تبارك وتعالى اعلم عنده ولاتقبلوا لهم شهادة ابدا بعد اقامة الحدّ عليهم فلاتقبل شهادة المحدود فى قذف وان تاب وصار من الاتقياء وقال الامام الشافعى رحمه الله تعالى عليه تقبل شهادته اذا تاب لقوله صلى الله عليه وسلم *التائب من الذنب كمن لاذنب له * ومن لاذنب له تقبل شهادته فيجب ان تقبل شهادة من تاب عن القذف وهذه المسئلة مبنية على ان قوله الا الذين تابوا هل يرجع الى جميع الاحكام المذكورة او يختص بالجملة الاخيرة فعند ابى حنيفة رحمه الله تعالى عليه الاستثناء المذكور عقب الجمل الكثيرة مختص بالجملة الاخيرة وعند الامام الشافعى رحمه الله تعالى عليه يرجع الى الكل لان الواو للجمع المطلق فقوله تعالى فاجلدوهم ثمانين جلدة ولاتقبلوا لهم شهادة ابدا واولئك هم الفاسقون جمل متعاطفة بالواو فصار الجميع كأنه ذكر معا لاتقدّم للبعض على البعض فلما دخل عليه الاستثناء لم يكن رجوع الاستثناء الى بعضها اولى من رجوعه الى الباقى اذ لم يكن لبعضها تقدّم على البعض فى المعنى البتة فوجب رجوعه الى الكل ويؤيده انا اجمعنا على انه لو قال عبده حرّ وامرأته طالق ان شاء الله تعالى فانه يرجع الاستثناء الى الجميع فكذا فيما نحن فيه واحتج اصحاب ابى حنيفة رحمة الله عليهم على ان الاستثناء يختص بالجملة الاخيرة بانه لو رجع الى جميع الجمل المتقدّمة لوجب ان لايجلد القاذف اذا تاب وهو باطل بالاجماع فوجب ان يختص بالجملة الاخيرة فقال المصنف رحمه الله تعالى عليه بناء على مذهبه ان الاستثناء راجع الى اصل الحكم وهو كون قذف المحصنات مقتضيا للجلد وردّ الشهادة ابدا والتفسيق والمعنى من قذف محصنة فاجمعوا له الجلد والردّ والتفسيق الا الذين تابوا من القذف واصلحوا فان الله تعالى يغفر لهم جناية قذفهم فلايعاقبهم عليها * ولما ورد ان يقال فعلى هذا يلزم ان القاذف اذا تاب عن القذف قبل ان يجلد يسقط عنه الحدّ وهو لايسقط بالاجماع *اشار الى جوابه بقوله ولايلزمه

(والذين يرمون المحصنات) يقذفونهنّ بالزنى لوصف المقذوفات بالاحصان وذكرهنّ عقيب الزوانى واعتبار اربعة شهدآء بقوله (ثم لم يأتوا بأربعة شهدآء فاجلدوهم ثمانين جلدة) والقذف بغيره مثل يافاسق ويا شارب الخمر يوجب التعزير كقذف غير المحصن والاحصان ههنا بالحرّية والبلوغ والعقل والاسلام والعفة عن الزنى ولافرق فيه بين الذكر والانثى وتخصيص المحصنات لخصوص الواقعة اولأن قذف النساء اغلب واشنع ولايشترط اجتماع الشهود عند الادآء ولايعتبر شهادة زوج المقذوفة خلافا لابى حنيفة وليكن ضربه اخف من ضربات الزانى لضعف سببه واحتماله ولذلك نقص عدده (ولاتقبلوا لهم شهادة) اى شهادة كانت لانه مفتر وقيل شهادتهم فى القذف ولايتوقف ذلك على استيفاء الجلد خلافا لابى حنيفة فان الامر بالجلد والنهى عن القبول سيان فى وقوعهما جوابا للشرط لاترتيب بينهما فيترتبان عليه دفعة كيف وحاله قبل الحدّ اسوأ مما بعده (ابدا) مالم يتب وعند ابى حنيفة الى آخر عمره (واولئك هم الفاسقون) المحكوم بفسقهم (الا الذين تابوا من بعد ذلك) عن القذف (واصلحوا) انما لهم بالتدارك ومنه الاستسلام للحدّ او الاستحلال من المقذوف

والاستثناء راجع الى اصل الحكم وهو اقتضاء الشرط لهذه الامور ولايلزمه سقوط الحدّ به كما قيل لان من تمام التوبة الاستسلام له او الاستحلال ومحل المستثنى النصب على الاستثناء وقيل الى النهي ومحله الجرّ على البدل من هم في لهم وقيل الى الاخيرة ومحله النصب لانه من موجب وقيل منقطع متصل بما بعده (فان الله غفور رحيم) علة للاستثناء (والذين يرمون ازواجهم ولم يكن لهم شهدآء الا انفسهم) نزلت في هلال بن امية رأى رجلا على فراشه وانفسهم بدل من شهدآء او صفة لهم على ان الا بمعنى غير (فشهادة احدهم اربع شهادات) فالواجب شهادة احدهم او فعليهم شهادة احدهم واربع نصب على المصدر وقد رفعه حمزة والكسائي وحفص على انه خبر شهادة (بالله) متعلق بشهادات لانها اقرب وقيل بشهادة لتقدمها (انه لمن الصادقين) اي فيما رماها به من الزنى واصله على انه فحذف الجار وكسرت ان وعلق العامل عنه باللام تأكيدا (والخامسة) والشهادة الخامسة (ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين) في الرمي وقرأ نافع ويعقوب بالتخفيف في الموضعين ورفع لعنة هذا لعان الرجل وحكمه سقوط حدّ القذف عنه وحصول الفرقة بينهما بنفسه فرقة فسخ عندنا لقوله عليه السلام المتلاعنان لايجتمعان ابدا وبتفريق الحاكم فرقة طلاق عند ابي حنيفة ونفي الولد ان تعرض له فيه وثبوت حدّ الزنى على المرأة لقوله (ويدرأ عنها العذاب) اي الحدّ (ان تشهد اربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين) فيما رماني به (والخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين) في ذلك ورفع الخامسة بالابتدآء وما بعدها الخبر او بالعطف على ان تشهد ونصبها حفص عطفا على اربع وقرأ نافع ان غضب الله بكسر الضاد وفتح الباء ورفع الله (ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله تواب حكيم) متروك الجواب للتعظيم اي لفضحكم وعاجلكم بالعقوبة

سقوط الحدّ به كما قيل لان من تمام توبته الاستسلام للحدّ او الاستحلال من المقذوف فان للمقذوف ان يعفو عن موجب القذف قبل ان تشهد الشهود ويثبت القذف واما بعد ان يرفع للقاضي ويثبت القذف باقامة الشهود عليه فليس له ان يعفو بعده لان المقذوف وان استحق على القاذف ان يستوفي منه الحدّ الا انه لما اجتمع فيه حقان وحق الشرع فيه غالب فليس للمقذوف ان يعفو عن موجب القذف بعد ثبوته ﴿قوله ومحل المستثنى النصب﴾ لما تقرر في النحو من انه يجوز النصب ويختار البدل فيما بعد الا في كلام غير موجب والمستثنى منه مذكور كقولك ما مررت باحد الا زيد بالجرّ على البدل من احد والا زيدا بالنصب على الاستثناء ويجب نصبه في كلام موجب وما في الآية لما كان راجعا الى اصل الحكم وكان المعنى ومن قذف المحصنات فاجمعوا لهم هذه الامور كان الاستثناء في كلام موجب فيجب النصب ﴿قوله وقيل الى النهي﴾ اي وقيل الاستثناء الواقع في هذه الآية يرجع الى قوله تعالى ولاتقبلوا لهم شهادة ابدا وهو كلام غير موجب وحق المستثنى ان يكون مجرورا بدلا من هم في لهم قال صاحب الكشاف والامام الشافعي جعل جزآء الشرط جملتي فاجلدوا ولاتقبلوا وجعل الاستثناء متعلقا بالجملة الثانية منهما لا بمجموع جملتي الامر والنهي لان التوبة لاتسقط حق العبد ولم يرض المصنف رحمه الله تعالى عليه بهذا النقل لكونه مخالفا لما اشتهر عن الامام الشافعي رحمه الله تعالى عليه من كون الاستثناء المذكور عقيب الجمل يرجع الى الكل ﴿قوله وقيل منقطع﴾ اي عما قبله والمعنى لكن الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا فان الله غفور رحيم فقوله الا الذين مبتدأ خبره قوله فان الله غفور رحيم اي غفور لهم فحذف الجار والمجرور للعلم به روى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه قال لما نزل قوله والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهدآء قال عاصم بن عدي الانصاري رضي الله تعالى عنه ان دخل رجل منا بيته فرأى رجلا على بطن امرأته فان جاء باربعة رجال يشهدون بذلك فقد قضى الرجل حاجته وخرج وان قتله قتل به وان قال وجدت فلانا مع تلك المرأة ضرب وان سكت سكت على غيظ اللهم افتح وكان لعاصم هذا ابن عم يقال له عويمر وكان له امرأة يقال لها خولة بنت كبش فاتى عويمر عاصما فقال له لقد رأيت شريك بن سمحان على بطن امرأتي خولة فاسترجع عاصم واتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له يارسول الله ما اسرع ما ابتليت بهذا في اهل بيتي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماذاك فقال اخبرني عويمر ابن عمي انه رأى شريك بن سمحان على بطن امرأته خولة فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم اياهم جميعا فقال لعويمر اتق الله في زوجتك وابنة عمك ولاتقذفها فقال يارسول الله لقد رأيت شريكا على بطنها واني ما قربتها منذ اربعة اشهر وانها حبلى من غيري فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقي الله تعالى ولاتخبري الا بما صنعت فقالت يارسول الله ان عويمرا رجل غيور وانه رأى شريكا يطيل النظر ويتحدث معي فحملته الغيرة على ما قال فأنزل الله تعالى ان الذين يرمون المحصنات الغافلات ونزل ايضا قوله تعالى والذين يرمون ازواجهم الآيات وبين به ان حكم قذف الزوجة اللعان بعد ما بين حكم قذف الاجنبيات فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يؤذن الصلاة جامعة وصلى العصر ثم قال لعويمر قم وقل اشهد بالله ان خولة لزانية واني لمن الصادقين ثم قال في الثانية اشهد اني رأيت شريكا على بطنها واني لمن الصادقين ثم قال في الثالثة اشهد بالله انها لحبلى من غيري واني لمن الصادقين ثم قال في الرابعة اشهد بالله انها زانية واني ما قربتها منذ اربعة اشهر واني لمن الصادقين ثم قال في الخامسة لعنة الله على عويمر يعني نفسه ان كان من الكاذبين ثم قال اقعد وقال لخولة قومي فقامت وقالت اشهد بالله ما انا بزانية وان زوجي لمن الكاذبين وقالت في الثانية اشهد بالله ما رأى شريكا على بطني وانه لمن الكاذبين وقالت في الثالثة اشهد بالله ما انا حبلى الا منه وانه لمن الكاذبين وقالت في الرابعة اشهد بالله ما رأى عليّ فاحشة وانه لمن الكاذبين وقالت في الخامسة غضب الله على خولة بنت كبش ان كان عويمر من الصادقين في قوله ففرّق النبي صلى الله عليه وسلم بينهما وقضى ان الولد لها ولايدعى لاب ثم قال عليه الصلاة والسلام ان جاءت بولدها مشابها له فلك وان جاءت به مشابها لمن قيل فيه فهو له ثم جاءت به غلاما يشبه من نسب اليه فقال لولا الايمان لكان لي وفي هذه الواقعة آيات اخر منها ما اشار اليه المصنف رحمه الله تعالى عليه بقوله نزلت في هلال بن امية وهو احد الثلاثة الذين تاب الله تعالى عليهم ﴿قوله واربع نصب على المصدر﴾ لانه في حكم المصدر باضافته اليه وناصب هذا المصدر مصدر مثله كما في قوله تعالى فان جهنم جزآؤكم جزآء موفورا ﴿قوله وثبوت حدّ الزنى على المرأة﴾ عطف على قوله سقوط حدّ القذف عنه * واعلم انه اذا قذف الرجل امرأته بالزنى يجب عليه الحدّ ان كانت محصنة والتعزير ان لم تكن محصنة كما في قذف

الاجنبي اذلا يختلف موجبهما غير انهما يختلفان فى المخلص فبى قذف الاجنبي لايسقط الحدّ عن القاذف الا باقرار المقذوف او ببينة تقوم على انها زنت و فى قذف الزوجة يسقط الحدّ عن القاذف باحد هذين الامرين و باللعان ايضا وهو قول المصنف رحمة الله تعالى عليه و حكمه سقوط حدّ القذف عنه ولعان الزوج لما كان بمنزلة الشهادات التى يثبت بها الزنى اوجب عليها حدّ الزنى نقل الامام عن الشافعي رحمة الله تعالى عليهما وكلها تثبت بمجرّد لعانه و لايفتقر فيها الى لعانها و لا الى حكم الحاكم فان حكم الحاكم به كان تنفيذا منه لا ايقاعا للفرقة و استدل المصنف رحمة الله تعالى عليه على ثبوت حدّ الزنى على المرأة بقوله و يدرأ عنها العذاب بناء على انه حمل العذاب على الحدّ كما فى قوله وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين وحمله الحنفيون رحمة الله تعالى عليهم على الجبر والحبس على اللعان والمعنى ويدفع عن المرأة ان تجبر وتحبس على ان تلاعن او تصدّق زوجها فيما رماها به فانها اذا امتنعت عن اللعان حبست واجبرت عليه حقا للزوج ﴿**قوله** انه عليه افضل الصلاة و السلام استصحبها﴾ وكان صلى الله عليه وسلم اذا اراد ان يسافر اقرع بين نسائه فأيهنّ خرج اسمها خرج بها معه فاقرع بين نسوانه فى غزوة غزاها قيل غزوة بنى المصطلق فخرج فيها اسم عائشة رضى الله تعالى عنها فخرجت معه عليه الصلاة والسلام والجزع الخرز وظفار على وزن قطام مدينة باليمن فقوله من جزع ظفار اى من خرز منسوب اليها والمنشد من عرّف الضالة والناشد من يطلبها فالانسب ان يقال كى يرجع اليها ناشد والتعريس نزول القوم فى السفر آخر الليل والمراد هنا مطلق النزول ويقال أدلج القوم اذا ساروا من اوّل الليل والاسم الدلج ويقال ادّلج من الافتعال اذا سار من آخر الليل قالت عائشة رضى الله عنها لما اصبح صفوان عند منزلى رأى سواد انسان نائم فعرفنى حين رآنى وقد رآنى قبل ان يضرب علىّ الحجاب فاستيقظت باسترجاعه حين عرفنى فخمرت وجهى بجلبابى فوالله ما كلمنى بكلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه حين اناخ راحلته وقت على يدها اى يد راحلته فركبتها فانطلق يقودنى حتى اتينا الجيش فى نحو الظهيرة فهلك فىّ من هلك وكان الذى تولى كبره منهم عبد الله بن ابىّ بن سلول وخاضوا فى حديثى وافشوه فى العسكر وخاض اهل المسكر فيه فجعل يرويه بعضهم عن بعض ويحدّث به بعضهم بعضا قالت وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فاشتكيت حين قدمتها شهرا والناس يفيضون فى قول اهل الافك ولا اشعر بشئ من ذلك غير انه يريبنى فى مرضى انى لا اعرف من رسول الله صلى الله عليه وسلم اللطف الذى كنت ارى منه حين اشتكى وانما يدخل علىّ فيقول كيف تيكم فيريبنى ذلك ولا اشعر بالسرّ فلما رأيت ذلك قلت يارسول الله لو اذنت لى فأنقلب الى ابوىّ يمرّضانى «فقال لا بأس «فانقلبت الى بيت ابوىّ وكنت فيه الى ان برئت من مرضى بعد بضع وعشرين ليلة فخرجت فى بعض الليالى ومعى ام مسطح قبل المناصع وهو متبرّزنا ولا نخرج الا ليلا وكان عادة اهل المدينة حينئذ انهم لا يتخذون الكنف فى بيوتهم انما كانوا يذهبون فى فسيح المدينة على عادة العرب الاوّل فى التبرّز تأذيا من اتخاذ الكنف فى بيوتهم فانطلقت انا وام مسطح وهى بنت ابى رُهم وامها بنت صخر ابن عامر خالة ابى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه فلما فرغنا من شأننا واقبلنا الى جانب البيت عثرت ام مسطح فى مرطها فقالت تعس مسطح فقلت لها بئس ماقلت أتسبين رجلا قد شهد بدرا فقالت اولم تسمعى ماقال قلت وماقال فاخبرتنى بقول اهل الافك فازددت مرضا الى مرضى فلما رجعت الى بيتى قلت يا امّه مايتحدث الناس قالت اى بنية هوّنى عليك فوالله لقلما كانت امرأة وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر الا كثّرن عليها قالت قلت سبحان الله تعالى أوقد تحدّث الناس بهذا قالت فبكيت تلك الليلة حتى اصبحت لا يرقأ لى دمع ولا اكتحل بنوم ثم اصبحت ابكى ودعا النبى صلى الله عليه وسلم اسامة بن زيد وعلىّ بن ابى طالب حين استلبث الوحى يستشيرهما فى فراق اهله فأمّا علىّ بن ابى طالب فانه قال لم يضيق الله تعالى عليك فى النساء والنساء سواها كثير فاستبدل واما اسامة بن زيد فأشار اليه بالذى يعلم من برآءة اهله وبالذى يعلم فى نفس النبى صلى الله عليه وسلم من الودّ فقال يارسول الله ماعلمت منها الا خيرا فلا تعجل وانظر واسأل اهلك قالت فسأل حفصة فقالت حفصة بنت عمر رضى الله تعالى عنهما يارسول الله ما رأيت عليها سوأ قط وسأل زينب بنت جحش فقالت مثل ذلك وسأل بريرة فقال اى بريرة هل رأيت شيأ يريبك من عائشة قالت والذى بعثك بالحق نبيا ما رأيت عليها امرا قط اغمصه عليك غير انها او اكثر من انها جارية حديثة السن تنام عن عجين اهلها فتأتى الداجن فتأكله قالت فقام النبى صلى الله عليه وسلم فأقبل حتى دخل علىّ وعندى ابواى ثم جلس قالت ولم يجلس عندى منذ قيل فى حق ماقيل وقد لبث شهرا لا يوحى

(انالذين جاؤا بالافك) بابلغ مايكون
من الكذب من الافك وهو الصرف لانه
قول مأفوك عن وجهه والمراد ماافك به
على عائشة رضى الله عنها وذلك انه عليه
الصلاة والسلام استصحبها فى بعض
الغزوات فأذن ليلة فى القفول بالرحيل
فمشت لقضاء حاجة ثم عادت الى الرحل
فلمست صدرها فاذا عقدها من جزع
ظفار قدانقطع فرجعت لتلتمسه فظن الذى
كان يرحلها انها دخلت الهودج فرحله
على مطيها وسار فلما عادت الى منزلها
لم تجد ثمة احدا فجلست كى يرجع اليها
منشد وكان صفوان بن المعطل السلمى
قدعرّس وراء الجيش فادلج فأصبح عند
منزلها فعرفها فأناخ راحلته فركبتها
فقادها حتى أتيا الجيش فاتهمت به (عصبة
منكم) جماعة منكم وهى من العشرة الى
الاربعين وكذلك العصابة يريد عبد الله
بن ابىّ وزيد ابن رفاعة وحسان بن ثابت
ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش ومن
ساعدهم وهى خبران وقوله (لاتحسبوه
شرّا لكم) مستأنف والخطاب لرسول
صلى الله عليه وسلم وابى بكر وعائشة
وصفوان والهاء للافك (بل هو خير لكم)
لاكتسابكم به الثواب العظيم وظهور كرامتكم
على الله بانزال ثمانى عشرة آية فى برآءتكم
وتعظيم شأنكم وتهويل الوعيد لمن تكلم
فيكم والثناء على من ظن بكم خيرا

(لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم) لكل جزاء ما اكتسب بقدر ماخاض فيه مختصا به (والذى تولى كبره) معظمه وقرأ يعقوب بالضم وهو لغة فيه (منهم) من الخائضين وهو ابن ابىّ فانه بدأ به وأذاعه عداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم اوهو وحسان ومسطح فانهما شايعاه بالتصريح به والذى بمعنى الذين (له عذاب عظيم) فى الآخرة اوفى الدنيا بان جلدوا وصار ابن ابىّ مطرودا مشهورا بالنفاق وحسان اعمى واشل اليدين ومسطح مكفوف البصر (لولا) هلا (اذ سمعتموه ظنّ المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيرا) بالذين منهم من المؤمنين والمؤمنات كقوله ولاتلمزوا انفسكم وانما عدل فيه من الخطاب الى الغيبة مبالغة فى التوبيخ واشعارا بان الايمان يقتضى ظنّ الخير بالمؤمنين والكف عن الطعن فيهم وذب الطاعنين عنهم كما يذبونهم عن انفسهم وانما جاز الفصل بين لولا وفعله بالظرف لانه منزّل منزلته من حيث انه لاينفك عنه ولذلك يتسع فيه مالايتسع فى غيره وذلك لان ذكر الظرف اهم فان التحضيض على ان لايخلوا باوّله (وقالوا هذا افك مبين) كما يقول المستيقن المطلع على الحال (لولا جاؤا عليه باربعة شهدآء فاذلم يأتوا بالشهدآء فاولئك عند الله هم الكاذبون) من جملة المقول تقريرا لكونه كذبا فان مالاحجة عليه مكذب عندالله اى فى حكمه ولذلك رتب الحدّ عليه (ولولا فضل الله عليكم ورحمته فى الدنيا والآخرة) لولا هذه لامتناع الشئ لوجود غيره والمعنى لولا فضل الله عليكم فى الدنيا بأنواع النعم التى من جملتها الامهال للتوبة ورحمته فى الآخرة بالعفو والمغفرة المقدّر ان لكم (لمسكم) عاجلا (فيما افضتم فيه) خضتم فيه (عذاب عظيم) يستحقر دونه اللوم والجلد

اليه فى شأنى بشئ قالت فتشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جلس ثم قال اما بعد ياعائشة قد بلغنى عنك كذا وكذا ان كنت بريئة فسيبرئك الله عزوجل وان كنت اسأت بذنب فاستغفرى الله تعالى وتوبى اليه فان العبد اذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه قالت فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم كلامه خلص دمعى حتى مااحتبس منه قطرة فقلت لابى اجب عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال قال والله ماادرى مااقول فقلت وانا جارية حديثة السنّ لااقرأ كثيرا من القرآن والله لقدعرفت انكم قد سمعتم هذا حتى استقرّ فى انفسكم وصدّقتم به ولئن قلت لكم انى بريئة لاتصدّقونى ولئن اعترفت لكم بامر والله تعالى يعلم انى بريئة منه لتصدّقنى به والله ما اجدلى ولكم مثلا الاماقال ابويوسف فصبر جميل والله المستعان على ماتصفون قالت ثم تحوّلت فاضطجعت على فراشى وانا والله حينئذ اعلم انى بريئة وان الله تعالى يعلم برآءتى وانى والله ما كنت اظن ان ينزل فى شأنى وحى يتلى ولشأنى كان احقر فى نفسى من ان يتكلم الله تعالى فىّ بأمر يتلى ولكننى كنت ارجو ان يرى النبى صلى الله عليه وسلم رؤيا يبرّئنى الله تعالى بها قالت فوالله ماقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من مجلسه ولاخرج من اهل البيت احد حتى انزل الله تعالى جبريل على نبيه واخذه ما كان يأخذه من البرحاء عند الوحى حتى انه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق فى اليوم الشاتى من ثقل القول الذى انزل عليه فلما سرّى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سرّى عنه وهو يضحك فكان اوّل كلمة تكلم بها ان قال أبشرى ياعائشة اما والله لقد برّأك الله تعالى فقلت بحمد الله تعالى ولابحمدك ولابحمد اصحابك فقالت لى امى قومى اليه فقلت والله لااقوم اليه ولااحمد الاالله عزوجل قالت فانزل الله تعالى ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم لاتحسبوه الى آخر الآيات العشر فى برآءتى ولما انزل الله تعالى هذه الآيات قال ابو بكر الصدّيق وكان ينفق لمسطح او على مسطح لقرابته وفقره والله لاانفق شيأ ابدا بعد الذى قال لعائشة ماقال فانزل الله تعالى ولايأتل اولوا الفضل منكم الى قوله ألاتحبون ان يغفر الله لكم قال ابو بكر بلى أحب ان يغفر الله لى فرجع الى مسطح النفقة التى كان ينفقها عليه وقال لاانزعها منه ابدا * وعصبة خبر انّ ومنكم صفته والمعنى والله تبارك وتعالى اعلم ان الذين اتوا بالكذب فى امر عائشة جماعة كائنة منكم فى كونهم موصوفين بالايمان وعبدالله ايضا كان من جملة من حكم له بالايمان ظاهرا ﴿قوله فانه بدأ به واذاعه﴾ قالت عائشة رضى الله عنها ركبت الراحلة وأخذ صفوان بالزمام يقودها فررنا بملأ من المنافقين فيهم عبدالله بن ابىّ فقال من هذه قالوا عائشة قال والله مانجت منه ولانجا منها وقال لعن الله امرأة نبيكم باتت مع رجل حتى اصبحت ثم جاء يقودها قالت وهو الذى تولى كبره منهم فانه لما كان مبتدئا لذلك القول فلاجرم حصل له من العقاب مثل ماحصل لكل من قال ذلك قال صلى الله عليه وسلم من سنّ سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة * وروى انه لما نزلت آية برآءة عائشة رضى الله عنها قام رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فذكر ذلك وتلا القرآن فلما نزل ضرب عبدالله بن ابىّ ومسطحا وحسانا وحدّهم حدّ القذف ﴿قوله لولا هلا﴾ يعنى ان لولا هذه تحضيضية بمعنى هلا فان لولا اذا وليت الفعل تكون للتحضيض كقوله تعالى لولا اخرتنى وحرف التحضيض يلزم الفعل لفظا او تقديرا ومعناها اذا دخلت على الماضى التوبيخ واللوم على ترك الفعل واذا دخلت على المضارع فمعناها الحض على الفعل والطلب له فهى فى المضارع بمعنى الامر ولايكون التحضيض فى الماضى لان الطلب لايتصوّر فيه فمعنى الآية ياايها الذين سمعوا قول قاذف عائشة بصفوان هلا ظننتم بالذين منكم من المؤمنين والمؤمنات خيرا اذ سمعتم ماقيل فى حقهم وجعل المؤمنين كنفس واحدة كما فى قوله تعالى ولاتلمزوا انفسكم وحق الكلام ان يقال ظننتم وقلتم وعدل عنه الى الغيبة مع التصريح بصفة الايمان تنبيها على ان اللائق بالمؤمن ان لايظن بمؤمن مثله الا الخير وان يبرّئه من السوء ومبالغة فى التوبيخ فان اصل التوبيخ وان حصل بان قيل لولا ظننتم بانفسكم خيرا لكنه يزداد بالالتفات الى الغيبة اذفيه اشارة الى ان شأن الايمان يقتضى ان يظنّ المؤمن بأخيه خيرا ويذب عنه الطاعنين فيه بقوله هذا افك مبين فمن ترك هذا الظنّ والذب فقد ترك العمل بمقتضى الايمان وهذه المبالغة لاتحصل الا بالاسلوب الاوّل ﴿قوله وانما جاز الفصل بين لولا وفعله بالظرف﴾ يتضمن السؤال عن شيئين الاوّل ان حرف التحضيض يجب ان يدخل على الفعل فكيف جاز دخوله على الظرف والثانى ان الظرف ههنا معمول لقوله ظنّ المؤمنون وقالوا فلم قدّم على عامله * اجاب عن الاوّل بانّ للظروف شأنا ليس لغيرها وهو تنزيلها من الاشيا منزلة نفسها لوقوعها فيها من غير انفصال عنها * وعن الثانى بان الفائدة فى تقديم الظرف بيان انه كان الواجب عليهم ان يحترزوا عن

من لقيه اذا لقفه وتلقونه بكسر حرف المضارعة وتلقونه من القائه بعضهم على بعض وتلقونه وتألقونه من الولق والألق وهو الكذب وتثقفونه من ثقفته اذا طلبته فوجدته وتقفونه اى تتبعونه (وتقولون بافواهكم) اى وتقولون كلاما مختصا بالافواه بلا مساعدة من القلوب (ما ليس لكم به علم) لانه ليس تعبيرا عن علم به في قلوبكم كقوله يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم (وتحسبونه هينا) سهلا لا تبعة فيه (وهو عند الله عظيم) في الوزر

واستجرار العذاب فهذه ثلاثة آثام مترتبة علق بها مس العذاب العظيم تلقي الافك بالسنتهم والتحدث به من غير تحقق واستصغارهم لذلك وهو عند الله عظيم (ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا) ما ينبغي لنا وما يصح (ان نتكلم بهذا) يجوز ان تكون الاشارة الى القول المخصوص وان تكون الى نوعه فان قذف آحاد الناس محرم شرعا فضلا عن تعرض الصديقة ابنة الصديق حرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم (سبحانك) تعجب ممن يقول ذلك واصله ان يذكر عند كل متعجب تنزيها لله تعالى من ان يصعب عليه مثله ثم كثر فاستعمل لكل متعجب او تنزيه لله تعالى من ان تكون حرمة نبيه فاجرة فان فجورها ينفر عنه ويخل بمقصود الزواج بخلاف كفرها فيكون تقريرا لما قبله وتمهيدا لقوله (هذا بهتان عظيم) لعظمة المبهوت عليه فان حقارة الذنوب وعظمها باعتبار متعلقاتها (يعظكم الله ان تعودوا لمثله) كراهة ان تعودوا لمثله او في ان تعودوا (ابدا) مادمتم احياء مكلفين (ان كنتم مؤمنين) فان الايمان يمنع عنه وفيه تهييج وتقريع (ويبين الله لكم الآيات) الدالة على الشرائع ومحاسن الآداب كي تتعظوا وتتأدبوا (والله عليم) بالاحوال كلها (حكيم) في تدابيره ولا يجوز الكشخنة على نبيه ولا يقرره عليها (ان الذين يحبون) يريدون (ان تشيع) ان تنتشر (الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب اليم في الدنيا والآخرة) بالحد والسعير الى غير ذلك (والله يعلم) ما في الضمائر (وانتم لا تعلمون) فعاقبوا في الدنيا على ما دل عليه الظاهر والله سبحانه يعاقب على ما في القلوب من حب الاشاعة (ولولا فضل الله عليكم ورحمته) تكرير للمنة بترك المعاجلة بالعقاب للدلالة على عظم الجريمة ولذا عطف قوله (وان الله رؤف رحيم) على حصول فضله ورحمته عليهم وحذف الجواب وهو مستغنى عنه بذكره مرة (يا ايها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان) باشاعة الفاحشة وقرئ بفتح الطاء وقرأ نافع والبزي وابو عمرو وابو بكر وحمزة بسكونها (ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يأمر بالفحشاء والمنكر) بيان لعلة النهي عن اتباعه والفحشاء ما افرط قبحه والمنكر ما انكره الشرع (ولولا فضل الله عليكم ورحمته) بتوفيق التوبة الماحية للذنوب وشرع الحدود المكفرة لها (ما زكا) ما طهر من دنسها (منكم من احد ابدا) آخر الدهر (ولكن الله يزكي من يشاء) بحمله على التوبة وقبولها (والله سميع) لمقالتهم (عليم) بنياتهم (ولا يأتل) ولا يحلف افتعال من الألية او ولا يقصر من الألو ويؤيد الاول انه قرئ ولا يتأل وانه نزل في ابي بكر وقد حلف ان لا ينفق على مسطح بعد وكان ابن خالته وكان من فقراء المهاجرين (اولوا الفضل منكم) في الدين

الاثم والخزي اول ما سمعوا بالافك بان يظنوا بالمؤمنين خيرا ويقولوا هذا افك مبين ولا يتكلموا به ولا يذيعوه فلما كان ذكر الوقت اهم وجب تقديمه ﴿قوله يأخذه بعضكم من بعض﴾ يعني ان تلقي القول اخذه من الغير ومنه قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات وفسر التلقي باخذ بعضهم من بعض لان كل واحد من المتلقي والمتلقى منه داخل في هذا الخطاب وصفهم الله تعالى بارتكاب ثلاثة آثام وعلق مس العذاب العظيم بها احدها تلقي الافك بألسنتهم وذلك ان الرجل كان يلقى الرجل بقوله ما وراءك فيحدثه بحديث الافك حتى شاع واشتهر ولم يبق بيت ولا نادٍ الا ذكر فيه فكأنهم سعوا في اشاعة الفاحشة وذلك من العظائم وثانيها انهم كانوا يتكلمون بما لا علم لهم به والاخبار بالشيء يجب ان يكون مستقرا بان تستقر صورته في القلب اولا ثم يترجم عنه اللسان وهذا الافك ليس الا قولا يجري على ألسنتهم ويدور في افواههم من غير ان يستقر العلم به في قلوبهم وهو حرام لقوله تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم وثالثها انهم كانوا يستصغرون ذلك وهو جريمة عظيمة عند الله تعالى اى في حكمه ﴿قوله ما ينبغي لنا وما يصح﴾ اشارة الى فائدة زائدة مع ان الكلام سديد بدونه بان يقال ما لنا ان نتكلم بهذا ونظيره قوله تعالى ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق فانه بمعنى ما ينبغي وما يصح ﴿قوله تعجب ممن يقول ذلك﴾ اى الافك وعظمه او ممن يقول ذلك حيث عصى الله تعالى في حق هؤلاء الكرام ثم بين وجه استعارة معنى التعجب من كلمة التسبيح فقال واصله اى والاصل في ذكر هذه الكلمة ان يسبح الله تعالى عند رؤية العجيب من صنائعه تنزيها له من ان يخرج مثله عن قدرته ثم كثر حتى استعمل في كل متعجب منه ﴿قوله او تنزيه﴾ عطف على قوله تعجب وقوله ينفر عنه اى عن النبي فيفوت ما هو المقصود من ارساله فان الانبياء انما بعثوا الى الكفار ليدعوهم الى الدين والى قبول ما قالوه عن الله تعالى من الاحكام والثواب والعقاب وهذا المقصود لا يحصل اذا كان في الانبياء ما ينفر الكفرة عنهم لجاز ان تكون امرأة النبي صلى الله عليه وسلم كافرة لان الكفر ليس مما ينفر عندهم ولا يجوز ان تكون فاجرة لان الكشخنة من اعظم المنفرات والكشخان الذي امرأته فاجرة تدعو الرجال الى نفسها وهو يعرف حالها اى زوج الفاجرة والبهتان مصدر بهته اى قال عليه ما لم يفعله سمي به المبهوت به ان كانت الاشارة بقوله هذا الى الافك بمعنى القول الكاذب وان كانت الاشارة الى الافك بمعنى الكذب والافتراء يكون البهتان ايضا مصدرا فقوله تعالى هذا بهتان عظيم معناه هذا الافك افتراء عظيم يتحير من عظمه روي ان ام ايوب قالت لابي ايوب الانصاري اما بلغك ما يقول الناس في عائشة فقال ابو ايوب سبحانك هذا بهتان عظيم فنزلت الآية على وفق قوله ثم انه تعالى قال يعظكم الله بهذه المواعظ التي بها تعرفون عظم هذا الذنب فان فيه الحد والنكال في الدنيا والعذاب في الآخرة كراهة ان تعودوا او يعظكم في ان تعودوا حتى لا تعودوا الى مثله ابدا ﴿قوله بالحد والسعير الى غير ذلك﴾ فيه اشارة الى ان قوله تعالى ان الذين جاؤا بالافك وان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة ليس معناه مجرد وصفهم بانهم يحبون شيوعها في حق الذين آمنوا من غير قصد ان يشيعوها ويظهروها فان ذلك القدر لا يوجب الحد في الدنيا بل المعنى ان الذين يشيعون الفاحشة والزنى في الذين آمنوا كصفوان وعائشة رضي الله تعالى عنهما عن قصد ومحبة لاشاعتها والخطوات جمع خطوة بضم الخاء وهي ما بين القدمين وبالفتح مصدر خطوت خطوة للمرة والمراد بها ههنا سيرة الشيطان وطريقته والمعنى لا تسلكوا مسالكه ولا تتبعوا آثاره ووسواسه باشاعة الفاحشة والاصغاء الى الافك والقول به ﴿قوله ويؤيد الاول﴾ وهو كون يأتل يفتعل من الألية لا من الألو انه قرئ ولا يتأل فانه من الالية يقال آلى يؤلي ايلاء والية وائتلى يأتلي ائتلاء وتألى يتألى تأليا كلها بمعنى حلف ﴿قوله وفيه دليل على فضل ابي بكر﴾ وذلك لان الفضل المذكور في الآية اما في الدنيا واما في الدين والاول باطل لانه تعالى ذكره في معرض المدح والمدح بكثرة الدنيا غير جائز من الله تعالى ولانه لو جاز ذلك لكان قوله والسعة تكريرا لا تأسيسا فتعين ان يكون المراد منه الفضل في الدين والمنزلة من الله تعالى فلو كان غيره مساويا له في الدرجة في الدين لم يكن هو صاحب الفضل لان المساوي لا يكون فاضلا فلما اثبت الله تعالى له الفضل غير مقيد بكونه بالنسبة الى شخص دون شخص ثبت كونه افضل الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اتفق المفسرون على ان المراد بقوله اولوا الفضل هو ابو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ﴿قوله على ان لا يؤتوا﴾ باسقاط الخافض وهو كثير شائع وكذا حذف كلمة لا في اليمين كثير ايضا قال تعالى ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم ان تبروا يعني مخافة ان لا تبروا وقال امرؤ القيس

(اولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله) صفات لموصوف واحد اى ناسا جامعين لها لان الكلام فيمن كان كذلك او لموصوفات اقيمت مقامها فيكون ابلغ فى تعليل المقصود (وليعفوا) لما فرط منهم (وليصفحوا) بالاغماض عنه (ألا تحبون ان يغفر الله لكم) على عفوكم وصفحكم واحسانكم الى من اساء اليكم (والله غفور رحيم) مع كمال قدرته فتخلقوا بأخلاقه روى انه عليه الصلاة والسلام قرأها على ابى بكر فقال بلى احب ورجع الى مسطح نفقته (ان الذين يرمون المحصنات) العفائف (الغافلات) عما قذفن به (المؤمنات) بالله وبرسوله استباحة لعرضهنّ وطعنا فى الرسول عليه الصلاة والسلام والمؤمنين كابن ابىّ (لعنوا فى الدنيا والآخرة) كما طعنوا فيهنّ (ولهم عذاب عظيم) لعظم ذنوبهم وقيل هو حكم كل قاذف مالم يتب وقيل مخصوص بمن قذف ازواج النبى صلى الله عليه وسلم ولذلك قال ابن عباس رضى الله عنهما لاتوبة له ولو فتشت وعيدات القرآن لم تجد اغلظ مما نزل فى افك عائشة (يوم تشهد عليهم) ظرف لما فى لهم من معنى الاستقرار لا للعذاب لانه موصوف وقرأ حمزة والكسائى بالياء للتقدم والفصل (ألسنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون) يعترفون بها بانطاق الله اياها بغير اختيارهم او بظهور آثاره عليها وفى ذلك مزيد تهويل للعذاب (يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق) جزاءهم المستحق (ويعلمون) لمعاينتهم الامر (ان الله هو الحق المبين) الثابت بذاته الظاهر ألوهيته لايشاركه فى ذلك غيره ولا يقدر على الثواب والعقاب سواه او ذو الحق البين اى العادل الظاهر عدله ومن كان هذا شأنه ينتقم من الظالم للمظلوم لامحالة (الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات) اى الخبائث يتزوّجن الخباث وبالعكس وكذلك اهل الطيب فيكون كالدليل على قوله (اولئك) يعنى اهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم او الرسول وعائشة وصفوان (مبرّأون مما يقولون) اذ لو صدق لم تكن زوجته ولم يقرّر عليها وقيل الخبيثات والطيبات من الاقوال والاشارة الى الطيبين والضمير فى يقولون للآفكين اى مبرّأون مما يقولون فيهم او للخبيثين والخبيثات اى مبرّأون من ان يقولوا مثل قولهم (لهم مغفرة ورزق كريم) يعنى الجنة ولقد برّأ الله اربعة باربعة برّأ يوسف عليه السلام بشاهد من اهلها وموسى عليه السلام من قول اليهود فيه بالحجر الذى ذهب بثوبه ومريم بانطاق ولدها وعائشة رضى الله عنها بهذه الآيات مع هذه المبالغات وماذلك الا لاظهار منصب الرسول صلى الله عليه وسلم واعلاء منزلته

فقلت يمين الله ابرح قاعدا * اى لا ابرح وهذا التأويل على تقدير ان يكون قوله ولا يأتل اولوا الفضل افتعالا من الالية واما على تقدير كونه افتعالا من الا لو فالتأويل ما اشار اليه بقوله او فى ان يؤتوا اى لايقصر اولوا الفضل فى ان يحسنوا ﴿قوله فيكون ابلغ فى تعليل المقصود﴾ بناء على مااشتهر من ان تعليق الحكم بالمشتق يفيد علية المأخذ وان جعل من قبيل عطف الذوات يكون الكلام ابلغ فى تعليل المقصود وهو نهى الصدّيق عن حفظ يمينه على ان لا ينفق على مسطح فان جعل الكلام من قبيل عطف الصفات فقد افاد الكلام تعليل المقصود لانّ كل واحد من الصفات المذكورة اذا كان منهيا عن محافظة اليمين فيكون الشخص الموصوف بتلك الصفات منهيا عنها بطريق الاولى ﴿قوله تعالى وليعفوا﴾ اى عن ذنبهم وليصفحوا اى وليعرضوا عن لومهم فان العفو ان يتجاوز عن الجانى والصفح ان يتناسى جرمه وقيل العفو بالفعل والصفح بالقلب ﴿قوله استباحة لعرضهنّ﴾ منصوب على انه مفعول له لقوله تعالى يرمون المحصنات واشار به الى جواب مايقال هذه الآية تدل على ان قاذف المحصنات كافر لاتقبل توبته اما انه كافر فلقوله يوم تشهد عليهم ألسنتهم وايديهم وارجلهم وذلك صفة الكفار والمنافقين لقوله ويوم يحشر اعداء الله الى آخر الآيات الثلاث ولقوله ولهم عذاب عظيم هو عذاب الكفر واما انه لاتقبل توبته فلقوله لعنوا فى الدنيا والآخرة ولم يذكر استثناء بان قال الا الذين تابوا فهذا يدل على ان قاذف المحصنات الغافلات ملعون فى الدارين تاب اولم يتب وقد قال فى اوّل السورة ان الذين يرمون المحصنات ثم قال الا الذين تابوا فجعل لهم توبة فالمصنف رحمه الله تعالى عليه حمل هذه الآية على القذف على وجه يستلزم الكفر والظاهر ان يدفع هذا بان يجعل الوعيد المذكور فيها مشروطا بعدم التوبة لان الذنب سواء كان كفرا او فسقا وحصلت عنه التوبة صار مغفورا بمقتضى الوعد الالهى ﴿قوله وقيل هو حكم كل قاذف﴾ عطف على ماقبله من حيث المعنى كانه قيل هو حكم القاذف استباحة وطعنا وقيل حكم كل قاذف مالم يتب ولم يرض المصنف رحمه الله تعالى عليه به لان الوعيد المذكور انما يليق بالكفرة ومجرّد قذف المحصنة المؤمنة لايوجب الكفر وقيل لابن جبير من قذف مؤمنة يلعنه الله تعالى فى الدنيا والآخرة قال ذلك لمن قذف عائشة رضى الله تعالى عنها خاصة وجمع المحصنات الغافلات وان اريدت عائشة وحدها لان من قذف واحدة من نساء النبى صلى الله عليه وسلم فقد قذفهنّ جميع فكانه قذف النبى صلى الله عليه وسلم وقذفه كفر بالاتفاق وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه قال هذا العن فيمن قذف زوجات النبى صلى الله عليه وسلم اذ ليس له توبة ومن قذف مؤمنة جعل الله له توبة ﴿قوله لانه موصوف﴾ والمصدر الموصوف لايعمل لان اعماله يستلزم الفصل بين المصدر ومعموله باجنبى فاذا لايجوز وصف المصدر باجنبى عنه بمعنى انه ليس معمولا له والوجه فيه ان المصدر عند العمل مؤوّل بان مع الفعل وان موصول حرفى ومعمول المصدر فى الحقيقة معمول الفعل الذى هو صلة ان ولايجوز الفصل بين بعض الصلة وبعضها باجنبى ﴿قوله بانطاق الله تعالى﴾ فان البنية ليست مشروطة بالحياة فيجوز ان يخلق الله تعالى فى الجوهر الفرد علما وقدرة وكلاما ففى الجسم المركب منه اولى ويحتمل ان لاتكون شهادة الجوارح عليهم بانطاق الله تعالى اياها بل تكون بظهور آثار ما كانوا يعملون عليها كما تشهد فى الدنيا على المحبة آثارها من صفرة الوجه وتغير اللون ونحافة الجسم وجريان الدمع ﴿قوله جزاءهم المستحق﴾ فان الدين يستعمل فى الجزاء كقولهم كما تدين تدان اى كما تفعل تجازى به وانتصاب الحق على انه صفة للدين فان القدر المستحق فى الجزاء موصوف بانه الحق ﴿قوله الخبائث﴾ اى الزوانى يتزوّجن الخباث اى الزناة وكذا الخبيثون من الرجال يتزوّجون الخبائث كما قال تعالى الزانى لاينكح الا زانية او مشركة والزانية لاينكحها الا زان او مشرك فان قيل فعلى هذا الوجه يلزم ان لايتزوّج الرجل العفيف بزانية والجواب ماتقدّم فى قوله الزانى لاينكح الا زانية الخ ولما كان عقد التزوّج واقعا بين الاكفاء خباثة وطيبا ثبت براءة الرسول صلى الله عليه وسلم وعائشة عما قيل فى حقهما وبراءتهما تستلزم براءة صفوان فيكون اوّل الآية كالدليل على براءة الجميع اذ لو صدق ماقيل فى حقها لكانت خبيثة غير صالحة لكونها زوجة لاطيب الطيبين ويحتمل ان لايكون الخبائث والطيبات بمعنى الزوانى من النساء والعفايف منهنّ بل يكون بمعنى الاقوال الخبيثة والطيبة فيكون المعنى الخبيثات من الكلمات تقال او تعدّ للخبيثين من الرجال وتليق بهم والخبيثون من الرجال للخبيثات من الكلمات وعلى عكسه الطيبات من الكلمات للطيبين من الرجال والطيبون من الرجال للطيبات من الكلمات والمعنى كل كلام انما يحسن فى حق اهله فيضاف شئ

(القول)

(يأيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوتا غير بيوتكم) التى تسكنونها فان الآجر والمعير ايضا لايدخلان الاباذن (حتى تستأنسوا) تستأذنوا من الاستئناس بمعنى الاستعلام من آنس الشيء اذا ابصره فان المستأذن مستعلم الحال مستكشف انه هل يراد دخوله او يؤذن لكم من الاستئناس الذى هو خلاف الاستيحاش فان المستأذن مستوحش خائف ان لايؤذن له فاذا اذن استأنس او تعرّفوا هل ثمة انسان من الانس (وتسلموا على اهلها) بان تقولوا له السلام عليكم ءادخل وعنه صلى الله عليه وسلم التسليم ان يقول السلام عليكم ءادخل ثلاث مرّات فان اذن له دخل والارجع (ذلكم خير لكم) اى الاستئذان والتسليم خير لكم من ان تدخلوا بغتة اومن تحية الجاهلية كان الرجل منهم اذا دخل بيتا غير بيته قال حييتم صباحا وحييتم مساء ودخل فربما اصاب الرجل مع امرأته فى لحاف وروى ان رجلا قال للنبى عليه السلام ءأستأذن على امى قال نعم قال لاخادم لها غيرى ءأستأذن عليها كلما دخلت قال أتحب ان تراها عريانة قال لا قال فاستأذن (لعلكم تذكرون) متعلق بمحذوف اى انزل عليكم اوقيل لكم هذا ارادة ان تذكروا وتعملوا بما هو اصلح لكم (فان لم تجدوا فيها احدا) يأذن لكم (فلاتدخلوها حتى يؤذن لكم) حتى يأتى من يأذن لكم فان المانع من الدخول ليس الاطلاع على العورات فقط بل وعلى ماتخفيه الناس عادة مع ان التصرّف فى ملك الغير بغير اذنه محظور واستثنى ما اذا عرض فيه حرق اوغرق اوكان فيه منكر ونحوها (وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا) ولاتلحوا (هو ازكى لكم) الرجوع اطهر لكم مما لايخلو الالحاح والوقوف على الباب عنه من الكراهة وترك المروءة أو أنفع لدينكم ودنياكم (والله بما تعملون عليم) فيعلم ماتأتون وماتذرون مما خوطبتم به فيجازيكم عليه (ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة) كالربط والخانات والحوانيت (فيها متاع) استمتاع (لكم) كالاستكنان من الحرّ والبرد وايواء الامتعة والجلوس للمعاملة وذلك استثناء من الحكم السابق لشموله البيوت المسكونة وغيرها (والله يعلم ماتبدون وماتكتمون) وعيد لمن دخل مدخلا لفساد او تطلع على عورات (قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم) اى مايكون نحو محرّم

القول الى من يليق به وكذلك الطيب من القول وعائشة رضى لاتليق بها الخبائث من الاقوال فلايصدق فيها لانها طيبة فيضاف اليها الثناء الحسن ومايليق بها وقال الزجاج رحمة الله تعالى عليه معناه ولايتكلم بالخبائث من القول الا الخبيث من الرجال والنساء ولايتكلم بالطيبات منه الا الطيب من الرجال والمقصود ذم من قذف عائشة رضى الله تعالى عنها ووقع فى حقها بالخبيث ومدح من وصفها بالطهارة ﴿ **قوله** من آنس الشيء ﴾ يعنى انه استفعال من آنس الشيء اذا ابصره مكشوفا وعلم به قال تعالى فان آنستم منهم رشدا اى اذا علمتم لان الرشد لايبصر ولهذا قيل فى معنى الآية الشريفة حتى تستعلموا وتعرّفوا أيؤذن لكم ام لا وطلب العلم بانه يؤذن لكم ام لامعناه الاستئذان فلذلك فسر الآية بالاستئناس الذى هو ضدّ الاستيحاش فان من يأتى باب غيره لايدرى أيؤذن له ام لا فهو كالمستوحش من خفاء الحال عليه فاذا أذن له استأنس ولهذا يقال فى جواب القادم المستأذن مرحبا واهلا وسهلا اى وجدت مكانا واسعا واتيت اهلا لا اجانب واصبت مكانا سهلا لاخشنا ليزول به استيحاشه وتطيب نفسه فيؤول المعنى الى ان يؤذن لكم وهو من باب الكناية والارداف لان هذا النوع من الاستئناس يردف الاذن ويتبعه فوضع موضع الاذن حيث ذكر الاستئناس اللازم واريد الاذن الذى هو الملزوم ﴿ **قوله** او تعرّفوا هل ثمة انسان ﴾ عطف على قوله تستأذنوا كقوله او يؤذن لكم اى ويجوز ان يكون الاستئناس من الانس وهو ان يتعرّف هل ثمة انسان وماقيل من انه لايلائم المقام اذ يصير المعنى حينئذ لاتدخلوا مالم تعرفوا ان هناك انسانا فاذا تعرّفتم ان هناك انسانا فادخلوها سوآء اذن لكم ام لا وليس المقصود من الآية هذا فليس بشيء لانه انما يكون المعنى ماذكره ان لو اقتصر فى غاية النهى على قوله حتى تستأنسوا وليس كذلك بل عطف عليه قوله تعالى وتسلموا على اهلها ولما جعل غاية النهى مجموع الاستئناس والتسليم بان يقال السلام عليكم ءادخل كيف يكون المعنى ماذكره وهل يقول به عاقل بل يكون المعنى لاتدخلوا حتى تعرّفوا انه هل ثمة انسان ثم تسلموا عليه ثم تستأذنوه فى الدخول وهو كما قيل السلام قبل الكلام ثم انه اذا اذن له فدخل فعند ذلك يسلم على اهله ثانيا لقوله تعالى فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم فانا امرنا بالسلام بعد الدخول عن ابى موسى الاشعرى رضى الله تعالى عنه انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الاستئذان ثلاث كما رواه المصنف رحمة الله تعالى عليه بالمرّة الاولى يستصوبون وبالثانية يستصلحون وبالثالثة يأذنون او يردون فكان الرجل من اهل الجاهلية اذا دخل بيتا غير بيته صباحا قال حييتم صباحا واذا دخل مساء قال حييتم مساء قال الجوهرى رحمة الله تعالى عليه الحياة ضدّ الموت والحى ضدّ الميت وحياه الله تعالى فحيى وحىّ ايضا والادغام اكثر الى ان قال التحية الملك قال زهير * ولكل مانال الفتى * قد نلته الا التحية

ويقال حياك الله اى ملكك والتحيات لله قال يعقوب اى الملك لله ﴿ **قوله** فان المانع من الدخول ﴾ وهو الدخول بغير اذن * اعلم ان السلام من سنة المسلمين وهو تحية اهل الجنة ومجلبة للمودّة ونافٍ للحقد والضغينة روى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال * لما خلق الله تعالى آدم ونفخ فيه الروح عطس فقال الحمد لله فقال الله يرحمك ربك يا آدم اذهب الى هؤلاء الملائكة وهم جلوس فقل السلام عليكم فلما فعل ذلك ورجع الى ربه قال هذه تحيتك وتحية ذرّيتك * وروى عنه صلى الله عليه وسلم قال * حق المسلم على المسلم ست يسلم عليه اذا لقيه ويجيبه اذا دعاه وينصح له بالغيب ويشمته اذا عطس ويعوده اذا مرض ويشهد جنازته اذا مات * ثم انه اذا عرض له امر فى داره من حريق او هجوم سارق او ظهور منكر فحينئذ لايجب الاستئذان والتسليم فان كل ذلك مستثنى بالدليل وهو ماقاله الفقهاء رحمة الله تعالى عليهم من ان مواضع الضرورات مستثنيات من قواعد الشرع لان الضرورات تبيح المحظورات * قال صاحب الكشاف رضى الله تعالى عنه وكم باب من ابواب الدين هو عند الناس كالشريعة المنسوخة قد تركوا العمل به وباب الاستئذان من ذلك ثم انه تعالى لما ذكر حكم الدور المسكونة ذكر بعده حكم الدور التى هى غير مسكونة فقال تعالى ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة اى بغير استئذان قال المفسرون لما نزلت آية الاستئذان قالوا يارسول الله كيف بالبيوت التى بين مكة والمدينة والشام على ظهر الطريق ليس فيها ساكن من اربابها فنزلت الآية الشريفة ﴿ **قوله** تعالى فيها متاع لكم ﴾ اى منفعة من اتقاء الحرّ والبرد وحفظ السلع ونحو ذلك من منافع المسافر ﴿ **قوله** اى مايكون نحو محرّم ﴾ يعنى ان كلمة من للتبعيض والمراد غض البصر وحفظه عن النظر الى مالايحل لهم النظر اليه وان لاينظر الا الى مايحل النظر اليه والغض اطباق

(ويحفظوا فروجهم) الا على ازواجهم او ماملكت ايمانهم ولما كان المستثنى منه كالشاذ النادر بخلاف الغض اطلقه وقيد الغض بحرف التبعيض وقيل حفظ الفروج ههنا خاصة سترها (ذلك ازكى لهم) انفع لهم واطهر لمافيه من البعد عن الريبة (ان الله خبير بما يصنعون) لايخفى عليه اجالة ابصارهم واستعمال سائر حواسهم وتحريك جوارحهم ومايقصدون بها فليكونوا على حذر منه فى كل حركة وسكون (وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهنّ) فلاينظرن الى مالايحل لهنّ النظر اليه من الرجال (ويحفظن فروجهنّ) بالتستر او التحفظ عن الزنى وتقديم الغض لان النظر بريد الزنى (ولايبدين زينتهنّ) كالحلىّ والثياب والاصباغ فضلا عن مواضعها لمن لايحل ان تبدى له (الاماظهر منها) عند مزاولة الاشياء كالثياب والخاتم فان فى سترها حرجا وقيل المراد بالزينة مواقعها على حذف المضاف اومايعم المحاسن الخلقية والتزيينية والمستثنى هو الوجه والكفان لانهاليست بعورة والاظهران هذا فى الصلاة لافى النظر فان كل بدن الحرّة عورة لايحل لغير الزوج والمحرم النظر الى شئ منها الالضرورة كالمعالجة وتحمل الشهادة (وليضربن بخمرهنّ على جيوبهنّ) سترا لاعناقهنّ وقرأ ابن كثير وابن ذكوان وحمزة والكسائى بكسر الجيم (ولايبدين زينتهنّ) كرّره لبيان من يحل له الابدآء ومن لايحل له (الالبعولتهنّ) فانهم المقصودون بالزينة ولهم ان ينظروا الى جميع بدنهنّ حتى الفرج بكره (اوآبائهنّ اوآباء بعولتهنّ اوابنائهنّ او ابناء بعولتهنّ او اخوانهنّ او بنى اخوانهنّ او بنى اخواتهنّ) لكثرة مداخلتهم عليهنّ واحتياجهنّ الى مداخلتهم وقلة توقع الفتنة من قبلهم لما فى الطباع من النفرة عن مماسة القرآئب ولهم ان ينظروا منهنّ مايبدو عند المهنة والخدمة وانما لم يذكر الاعمام والاخوال لانهم فى معنى الاخوان اولان الاحوط ان يتسترن عنهم حذرا ان يصفوهنّ لابنائهم (اونسائهنّ) يعنى المؤمنات فان الكافرات لايتحرّجن عن وصفهنّ للرجال اوالنساء كلهنّ وللعلماء فى ذلك خلاف

الجفن بحيث يمنع الرؤية ولما كان ماحرّم النظر اليه من جملة المبصرات تبعض البصر باعتبار تبعض متعلقه فجعل ماتعلق بالمحرّم بعضا من البصر وامر بغضه قال الاخفش رحمة الله تعالى عليه كلمة من زآئدة ههنا فانه يجوّز زيادتها فى الاثبات خلافا لسيبويه فانه لايجوّزها ﴿ قوله ولما كان المستثنى منه ﴾ اى من الفرج وهو جواب عمايقال لم دخلت كلمة من على الابصار دون الفرج مع ان المأمور به حفظ كل واحد منهما من بعض ماتعلقا به فاجاب عنه بان المستثنى من البصر كثير فان الرجل يحل له النظر الى جميع اعضاء ازواجه وجميع اعضاء ماملكت يمينه وكذا لابأس عليه فى النظر الى شعور محارمه وصدورهنّ وثديهنّ واعضادهنّ وسوقهنّ وارجلهنّ وكذا من امة الغير حال عرضها للبيع ومن الحرّة الاجنبية الى وجهها وكفيها وفى رواية والقدم عند ارادة العقد بخلاف المستثنى من الفرج فانه شئ قليل نادر وهو فرج زوجته وامته فلذلك اطلق حفظ الفرج ولم يعتدّ بما استثنى منه لقلته وقيد غض البصر بحرف التبعيض وقيل كل مافى القرآن من حفظ الفرج فالمراد به حفظه من الزنى الافى هاتين الآيتين فان المراد فيهما الستر فلذلك اطلق حفظه ولم يقيد بحرف التبعيض لانه وان جاز للرجل ان ينظر الى جميع بدن زوجته وبدن امته التى يحل له الاستمتاع بها حتى الى فرجها الاانه يكره له النظر الى الفرج بالاتفاق حتى الى فرج نفسه لانه روى انه يورث الطمس وقيل لايجوز النظر الى فرجها ﴿ قوله تعالى ذلك ﴾ اوغض البصر وحفظ الفرج انفع لهم على ان الزكاء بمعنى النماء والنفع ﴿ قوله بريد الزنى ﴾ اى يحمل الناظر على الزنى ويؤدّى اليه والبريد البغلة التى تحفظ فى الرباط وتهيأ للرسول ليركب عليها وهو تعريب بريده دم ثم سمى به الرسول المحمول عليها ثم سميت به المسافة وزاد الله تعالى فى نهى المؤمنات ورآء غض الابصار وحفظ الفروج حكما آخر حيث قال تعالى ولايبدين زينتهنّ الالبعولتهنّ والزينة ماتزينت به المرأة من حلى اوكحل اوصبغ فما كان ظاهرا منها كالخاتم والفتخة وهى مالافص فيه من الخاتم والكحل والصبغ فلابأس فيه بابدائه للاجانب بشرط الامن من الشهوة وما خفى منها كالسوار والدملج وهى حلقة تحملها المرأة على عضدها والوشاح والقرط فلا يحل لها ابدآؤها الالهؤلاء المذكورات فيما بعد بقوله تعالى ولايبدين زينتهنّ الالبعولتهنّ الى آخر الآية ولاشك ان اظهار عين الزينة منفصلة عن بدن المرأة ليس منهيا عنه والمنهى عنه اظهارها وهى فى مواضعها لان مواضع الزينة الخفية كالذراع والساق والعضد والعنق والرأس والاذن والصدر فلا يحل للاجانب النظر اليها مجرّدة من هذه رأسا فمنعها اولى وانما سوغ لها فى ابدآء الزينة الظاهرة للاجانب حالة الامن من الاشتهاء لمافى التصوّن عن ابدآء مواضعها فى الاخذ والاعطاء والمشى حالة الخروج وحمل الشهادة عليها من الحرج الذى لايخفى خصوصا فى حق الفقيرات منهنّ وعلى تقدير ان يراد بالزينة مواضعها اومايعم المحاسن الخلقية التى خلق الانسان عليها يكون المراد بقوله تعالى الاماظهر منها الوجه والكفين لانهاليست بعورة ثم قال المصنف رحمة الله تعالى عليه والاظهر الخ اى انها عورة فى حق النظر اليها وان لم تكن عورة فى الصلاة ﴿ قوله كرّره ﴾ فالاوّل لتقسيم الزينة الى الظاهرة والخفية ولبيان ان الظاهرة يجوز ابدآؤها مطلقا والثانى لبيان من يحل له ابدآء الزينة الخفية ومن لايحل له ذلك ﴿ قوله تعالى بخمرهنّ ﴾ الخمر جمع خمار وهو ماتغطى به المرأة رأسها وتستره ومالبس بهذه الصفة فليس بخمار والجيب ماجيب من القميص اى قطع لادخال الرأس ويضربن ضمن معنى يلقين فعدّى بعلى والمعنى وليلقين مقانعهنّ على جيوبهنّ ليسترن بذلك شعورهنّ وقرطهنّ واعناقهنّ عن الاجانب قيل ان نساء الجاهلية كنّ يسبلن خمرهنّ من خلفهنّ وان جيوبهنّ كانت من قدّام وكانت تنكشف نحورهنّ وقلائدهنّ فأمرن ان يضربن مقانعهنّ على الجيوب ليغطى بذلك ماكان ينكشف باسبال خمرهنّ من خلفهنّ ﴿ قوله لانهم فى معنى الاخوان ﴾ من حيث كون الجد سوآء كان اب الاب اواب الام فى معنى الاب فيكون ابنهما فى معنى الاخ وايضا كل من له قرابة المحرمية كالاخ فانه محرم فكذا ابنه الاالعم والخال فانهما محرمان لاابناؤهما فالاولى للمرأة ان تستتر من اعمامها واخوالها حذرا من ان يصفوها لابنائهم لان تصوّر الابناء لها بالوصف بمنزلة نظرهم اليها ﴿ قوله لاتتحرّجن ﴾ اى تتأثمن من الحرج بمعنى الاثم فلما لم يكن وصف مواقع زينة المؤمنات للرجال الاجانب معدودا من جملة الآثام عند الكافرات احتمل ان يصفنها للاجانب فيكون تصوّر الاجانب اياها بمنزلة نظرهم اليها بخلاف المؤمنات فانهنّ يحترزن عن وصف مواقع زينة المؤمنات للرجال فجاز لهنّ ان يبدين زينتهنّ للمؤمنات دون الكافرات هذا قول اكثر السلف رحمة الله تعالى عليهم قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما

(اوماملكت ايمانهنّ) يعم الاماء والعبيد لما روى انه عليه السلام اتى فاطمة بعبد وهبه لها وعليها ثوب اذا قنعت به رأسها لم يبلغ رجليها واذا غطت رجليها لم يبلغ رأسها
فقال عليه السلام انه ليس عليك بأس انما هو ابوك وغلامك وقيل المراد بها الاماء وعبد المرأة كالاجنبيّ منها (او التابعين غير اولى الاربة

من الرجال) اى اولى الحاجة الى النساء وهم الشيوخ الأهمام والممسوخون وفى المجبوب والخصيّ خلاف وقيل البله الذين يتبعون الناس لفضل طعامهم ولا يعرفون شيأ من امور النساء وقرأ ابن عامر وابوبكر غير بالنصب على الحال (او الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء) لعدم تمييزهم من الظهور بمعنى الاطلاع او لعدم بلوغهم حدّ الشهوة من الظهور بمعنى الغلبة والطفل جنس وضع موضع الجمع اكتفاء بدلالة الوصف (ولا يضربن بارجلهنّ ليعلم مايخفين من زينتهنّ) ليتقعقع خلخالها فيعلم انها ذات خلخال فان ذلك يورث ميلا فى الرجال وهو ابلغ من النهى عن اظهار الزينة وادل على المنع من رفع الصوت (وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون) اذ لا يكاد يخلو احدمنكم من تفريط سيما فى الكف عن الشهوات وقيل توبوا مما كنتم تفعلونه فى الجاهلية فانه وان جب بالاسلام لكنه يجب الندم عليه والعزم على الكف عنه كلما تذكر (لعلكم تفلحون) بسعادة الدارين (وأنكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم) لما نهى عما عسى ان يفضى الى السفاح المخل بالنسب المقتضى للالفة وحسن التربية ومزيد الشفقة المؤدّية الى بقاء النوع بعد الزجر عنه مبالغة فيه عقبه بالامر بالنكاح الحافظ له والخطاب للاولياء والسادة وفيه دليل على وجوب تزويج المولية والمملوك وذلك عند طلبها واشعار بان المرأة والعبد لا يستبدّ ان به اذ لو استبدّا لما وجب على الولى والمولى وايامى مقلوب ايائم كيتامى جمع ايم وهو العزب ذكرا كان او انثى بكرا كان او ثيبا قال

فان تنكحى انكح وان تتأيمى * وان كنت افتى منكمو اتأيم

وتخصيص الصالحين لان احصان دينهم والاهتمام بشأنهم اهمّ وقيل المراد الصالحون للنكاح والقيام بحقوقه (ان يكونوا فقرآء يغنهم الله من فضله) ردّ لما عسى ان يمنع من النكاح والمعنى لا يمنعنّ فقر الخاطب او المخطوبة من المناكحة فان فى فضل الله غنية عن المال فانه غادو رآئح او وعد من الله بالاغناء لقوله عليه السلام اطلبوا الغنى فى هذه الآية لكن مشروطة بالمشيئة لقوله تعالى وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء (والله واسع) ذو سعة لا تنفد نعمته اذ لا تنتهى قدرته (عليم) يبسط الرزق ويقدر على ما تقتضيه حكمته (وليستعفف) وليجتهد فى العفة وقمع الشهوة (الذين لا يجدون نكاحا) اسبابه ويجوز ان يراد بالنكاح ماينكح به وبالوجدان التمكن منه (حتى يغنيهم الله من فضله) فيجدوا مايتزوّجون به

ليس للمسلمة ان تتجرّد بين نساء اهل ذمة ولا تبدى للكافرة الا ماتبدى للاجانب الا ان تكون امة لها لقوله او ماملكت ايمانهنّ وكتب عمر الى ابى عبيدة رضى الله تعالى عنه ان يمنع نساء اهل الكتاب من دخول الحمام مع المؤمنات * قال الامام رحمة الله تعالى عليه قول السلف محمول على الاستحباب والمذهب ان المراد بقوله تعالى او نسائهنّ جميع النساء ﴿قوله وقيل المراد بها الاماء وعبد المرأة كالاجنبيّ منها﴾ خصيا كان او فحلا وهو قول ابى حنيفة وعليه عامّة العلماء واحتجوا عليه بقوله عليه الصلاة والسلام * لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر ان تسافر سفرا فوق ثلاثة ايام الا مع ذى محرم * والعبد ليس بذى محرم فلا يجوز له ان يسافر بها واذا لم يجز ان يسافر بها لم يجز له النظر الى مواقع زينتها الخفية وعن سمرة بن جندب رضى الله تعالى عنه انه قال لا يغرّنكم هذه الآيات فانها نزلت فى الاماء وكذا روى هذا القول عن سعيد بن المسيب رضى الله تعالى عنهما * فان قيل ما الفائدة فى تخصيص الاماء بالذكر بعد قوله تعالى او نسائهنّ * فالجواب والله تبارك وتعالى اعلم انه لما قال او نسائهنّ دل ذلك على ان المرأة لا يحل لها ان تبدى زينتها للكافرات سوآء كنّ حرآئر او اماء لغيرها او لنفسها فلما قال او ماملكت ايمانهنّ مطلقا اى مؤمنات او مشركات علم انه يحل للامة ان تنظر الى زينة سيدتها مسلمة كانت او كافرة لما فى كشف مواضع الزينة الباطنة لأمتها الكافرة فى احوال استخدامها من الضرورة التى لا تخفى ففارقت الحرّة الكافرة بذلك ﴿قوله تعالى او التابعين غير اولى الاربة من الرجال﴾ اى او للرجال الذين هم اتباع اهل البيت ولا حاجة لهم فى النساء والاربة والارب الحاجة وكذلك المأربة وقرئ غير بالخفض نعتا للتابعين وبالنصب على الاستثناء من التابعين او الحال منهم والمعنى يبدين زينتهنّ للتابعين الا ذوى الاربة منهم او حال كونهم غير ذوى اربة بخلاف مالو كانوا ذوى اربة فانهنّ لا يبدين زينتهنّ لهم والشيخ الهم بكسر الهاء الشيخ الفانى والممسوخ بالخاء المعجمة هو الذى حوّلت قواه واعضاؤه عن سلامتها الاصلية الى الحالة المنافية لها المانعة من ان يكون له حاجة والمجبوب من قطع ذكره وخصيتاه معا من الجب وهو القطع والخصيّ من قطع خصيتاه والمختار ان الخصيّ والمجبوب والعنين ليسوا من التابعين وانهم فى حرمة النظر كغيرهم من الفحولة لانهم يشهون ويشتهون وقوله وقيل البله عطف على الشيوخ والظهور على الشئ قد يكون بمعنى الاطلاع عليه كما فى قوله تعالى ان يظهروا عليكم اى ان يشعروا بكم وقد يكون بمعنى الغلبة والقدرة عليه كما فى قوله تعالى فاصبحوا ظاهرين قال قتادة كانت المرأة فى الجاهلية تضرب رجلها لتسمع قعقعة الخلخال فنهيت عن ذلك وقيل كانت احداهنّ تضرب باحدى رجليها على الاخرى ليعلم ان لها خلخالين ﴿قوله وهو ابلغ الخ﴾ وذلك انه لما نهى عن اسماع الصوت الدال على الزينة فلأن ينهى عن اظهار نفس الزينة اولى وفى الآية الكريمة فائدة اخرى وهو انه اذا كان اسماع صوت خلخالها للاجانب حراما فكان رفع صوتها بحيث يسمع الاجانب كلامها حراما بطريق الاولى لان صوت نفسها اقرب الى الفتنة من صوت خلخالها ولذلك كرهوا اذان النساء لانه يحتاج فيه الى رفع الصوت وقد وصى الله تعالى جميع المؤمنين بالتوبة والاستغفار اما لان العبد الضعيف لا ينفك عن تقصير يقع منه وان اجتهد فى رعاية تكليف الله تعالى قال النبيّ صلى الله عليه وسلم فيما رواه ابن عمر رضى الله تعالى عنه يا أيها الناس توبوا الى ربكم فانى اتوب الى الله تعالى فى كل يوم مائة مرّة واما لان المراد توبوا مما كنتم تفعلونه فى الجاهلية * فان قيل قد صحت التوبة بالاسلام والاسلام يجب ماقبله فما معنى هذه الآية * اجيب عنه بما قال بعض العلماء ان من اذنب ذنبا ثم تاب عنه لزمه كلما ذكر ذلك الذنب ان يجدّد التوبة عنه لانه يلزمه ان يستمرّ على ندمه الى ان يلقى ربه ﴿قوله لما نهى﴾ اى نهى مبالغة فى الزجر عن السفاح بعد الزجر عنه نهى عما عسى ان يفضى الى السفاح المخل بالنسب والنسب لا بدّ من اعتباره فى بقاء النوع وصلاح العالم لكونه مقتضيا للالفة الخ ﴿قوله تزويج المولية﴾ وهى التى ينفذ فيها تصرّف الولى فكل من ولى امر واحد فهو وليه وذلك الواحد مولى او مولية ﴿قوله كيتامى﴾ جمع يتيم يقال يتم الصبيّ يتما من باب علم والايامى جمع ايم يقال آم الرجل وآمت المرأة يئم ايمة وايما وايوما واصل ايامى ايائم كما ان اصل يتامى يتائم فقلبا قلب مكان فصار ايامى ويتامى ﴿قوله وان كنت افتى﴾ هو افعل من الفتى اى وان كنت احدث منكم سنا اى فانا مثلكم فى حالتى التزوّج والتأيم وهذه الشرطية معترضة بين الشرط وجزآئه ﴿قوله اسبابه﴾ لما كان الظاهر ان يكون النكاح بمعنى العقد والتزوّج وكان حمله عليه مقتضيا لتقدير المضاف بناء على انه لا معنى لوجدان نفس العقد وعدم وجدانه حمله على معنى العقد اولا وقدّر المضاف ثم قال ويجوز ان يراد بالنكاح ماينكح به على طريق اطلاق اسم

المسبب على السبب كالقوام لما يقام به و اللجام لما يلجم به و الحزام لما يحزم به فلا حاجة الى تقدير المضاف وقوله و بالوجدان التمكن منه فانه يقال لمن لم يتمكن من استعمال الماء هو غير واجد للماء وان كان موجودا معاينا فيكون النكاح بمعنى العقد من غير حاجة الى تقدير المضاف لان الربط المعنوى وان لم يصح ان يوصف بالوجدان الا انه يصح ان يوصف بالتمكن منه فيكون المعنى الذين لايتمكنون من النكاح ﴿قوله المكاتبة﴾ يعنى ان الكتاب مصدر كالمكاتبة و المعنى والذين يطلبون المكاتبة يقال كاتب فلان عبده كتابا ومكاتبة اذا عاقده على مال منجم يؤديه على نجوم معلومة فيعتق اذا ادى الجميع ومعنى صيغة المفاعلة فى هذا العقد ان المولى يكتب على نفسه ان يعتق المكاتب اذا ادى البدل ويكتب العبد على نفسه ان يؤدى البدل من غير اخلال او ان المولى يكتب على عبده اداء المال و العبد يكتب على مولاه العتق عند الاداء فلهذا سمى هذا العقد كتابة اخذا من الكتاب فان كل واحد من العاقدين يكتب ويفرض على نفسه امرا وايضا بدل هذا العقد مؤجل منجم على المكاتب و المال المؤجل يكتب فيه كتاب على من عليه المال غالبا او من الكتب بمعنى الضم و الجمع ومنه الكتيبة للعسكر وسمى العقد بذلك لانه يضم النجوم بعضها الى بعض ويضم مال المكاتب الى نفسه فان عقد الكتابة لايجوز على اقل من نجمين عند الامام الشافعى رحمة الله تعالى عليه وقال ابو حنيفة رحمة الله تعالى عليه تجوز الكتابة على واحد لان ظاهر قوله تعالى فكاتبوهم ليس فيه تقييد ﴿قوله والامر فيه للندب﴾ يعنى ان قوله تعالى فكاتبوهم امر استحباب عند الفقهاء رحمهم الله تعالى واليه ذهب الامام مالك و ابو حنيفة و الامام الشافعى رحمة الله تعالى عليهم و احتجوا عليه بقوله صلى الله عليه وسلم * لايحل مال امرئ مسلم الا بطيب من نفسه * و روى * الا عن طيب نفس منه * وقال بعضهم امر ايجاب فيجب على الرجل ان يكاتب مملوكه اذا سأله ذلك بقيمته او اكثر اذا علم فيه خيرا وان سأله بدون قيمته لم يجب عليه ذلك واحتجوا عليه بظاهر الآية وسبب نزولها فانها نزلت فى كلام عبد سأل مولاه ان يكاتبه فأبى عليه فنزلت الآية فكاتبه على مائة دينار ووهب له منها عشرين دينارا ﴿قوله واحتجاج الحنفية رحمة الله تعالى عليهم﴾ اى لاتجوز الكتابة الحالة عند الامام الشافعى رحمة الله تعالى عليه وتجوز عند ابى حنيفة رحمة الله تعالى عليه ووجه قول الامام الشافعى رحمة الله تعالى عليه ان العبد ليس له ملك يؤديه فى الحال واذا عقدت حالة توجهت المطالبة عليه فى الحال فان عجز عن الاداء رد الى الرق فلا يحصل مقصود العقد كما لو اسلم فى شئ لايوجد فى المحل لايصح بخلاف مالو اسلم الى معسر فانه يجوز له ان يتصور ان يكون له ملك فى الباطن فلا يتحقق العجز عن الاداء ووجه قول ابى حنيفة رحمة الله تعالى عليه ان قوله تعالى فكاتبوهم مطلق يتناول الكتابة الحالة و المؤجلة وايضا فانهم أجمعوا على جواز العتق معلقا على مال حال فالكتابة مثله لانه بدل عن العتق فى الحالين الا ان فى احدهما العتق معلق على شرط الاداء وفى الآخر معجل فوجب ان لايختلف حكمهما ﴿قوله امانة وقدرة على اداء المال﴾ قال الامام الشافعى رحمة الله عليه اراد بالخير الامانة و القوة على الكسب لان المقصود من الكتابة فما يحصل الا بهما فانه ينبغى ان يكون المكاتب كسوبا يحصل المال و يكون امينا يصرفه فى نجومه ولايضيعه فاذا فقد الشرطان او احدهما لايستحب ان يكاتبه روى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال * ان علمتم لهم حرفة والا فلاتدعوهم كلا على الناس * وحمل الخير على المال ضعيف اما من جهة اللفظ فانه لو اريد ذلك لقيل ان علمتم لهم خيرا لانه انما يقال لفلان مال ولايقال فيه مال واما من جهة المعنى فلان العبد لامال له فان كل ما فى يده حين يكاتب فهو لسيده اكتسبه العبد فى حال ما كانت يد السيد غير مقبوضة عن كسبه فلا يجوز للسيد ان يعوض بعض ماله ببعض واما ما اكتسب العبد بعد عقد الكتابة فانه مال مختص به بدأ ﴿قوله وهو شرط الامر﴾ اى علم الموالى فيهم خيرا شرط لاستحباب العقد المستفاد من قوله تعالى فكاتبوهم فاللازم من انتفائه انتفاء الاستحباب لا انتفاء الجواز ﴿قوله وفى معناه حط شئ من مال الكتابة﴾ يعنى انه تعالى امر الموالى ان يبذلوا لمماليك شيأ من اموالهم المملوكة لهم الا ان الامام الشافعى رحمة الله تعالى عليه ذهب الى ان معنى الآية حطوا شيأ عنهم من بدل الكتابة مااحببتم ربعا فما دونه جعل حط ذلك فما دونه فى معنى بذل شئ من ماله ولايخلو عن بعد لان الايتاء هو الاعطاء والتمليك المطلق فلا يقع على الحط لان بدل الكتابة ليس فى حكم المال المطلق الذى آتاه الله تعالى الموالى وبدل الكتابة ليس بدين صحيح لانه دين له على عبده والمولى لايثبت له دين صحيح على عبده حتى يكون حطه عنه اعطاء وتمليكا له فالظاهر ان يقال انه امر للموالى بان

(والذين يبتغون الكتاب) المكاتبة وهو ان يقول الرجل لمملوكه كاتبتك على كذا من الكتاب لان السيد كتب على نفسه عتقه اذا ادى المال او لانه مما يكتب لتأجيله او من الكتب بمعنى الجمع لان العوض فيه يكون منجما بنجوم يضم بعضها الى بعض (مما ملكت ايمانكم) عبدا كان او امة والموصول بصلته مبتدأ خبره (فكاتبوهم) او مفعول لمضمر هذا تفسيره و الفاء لتضمن معنى الشرط والامر فيه للندب عند اكثر العلماء لان الكتابة معاوضة تتضمن الارفاق فلاتجب كغيرها و احتجاج الحنفية باطلاقه على جواز الكتابة الحالة ضعيف لان المطلق لايعم مع ان العجز عن الاداء فى الحال يمنع صحتها كما فى السلم فيما لايوجد عند المحل (ان علمتم فيهم خيرا) امانة وقدرة على اداء المال بالاحتراف وقد روى مثله مرفوعا وقيل صلاحا فى الدين وقيل مالا وضعفه ظاهر لفظا ومعنى وهو شرط الامر فلا يلزم من عدمه عدم الجواز (وآتوهم من مال الله الذى آتاكم) امر للموالى كما قبله بان يبذلوا لهم شيأ من اموالهم وفى معناه حط شئ من مال الكتابة وهو للوجوب عند الاكثر ويكفى اقل ما يتمول وعن على رضى الله عنه يحط الربع وعن ابن عباس رضى الله عنهما الثلث وقيل ندب لهم الى الانفاق عليهم بعد ان يؤدوا و يعتقوا وقيل امر لعامة المسلمين باعانة المكاتبين واعطائهم سهمهم من الزكاة ويحل للمولى وان كان غنيا لانه لايأخذه صدقة كالدائن و المشترى ويدل عليه قوله عليه السلام فى حديث بريرة هو لها صدقة ولنا هدية

يدفعوا اليهم شيأ مما اخذوه منهم او هو امر لعامة المسلين بان يعطوهم سهمهم الذى جعله الله تعالى لهم من الصدقات فى قوله تعالى و فى الرقاب نقل الامام عن الامام الشافعى رحمهما الله تعالى انه قال يجب على المولى ايتاء المكاتب وهو ان يحط عنه جزأ من مال الكتابة او يدفع اليه جزأ مما اخذ منه وقال الامام مالك و ابو حنيفة و اصحابه رحمهم الله تعالى انه مندوب اليه و ليس بواجب ﴿قوله شرط للاكراه﴾ يعنى ان ارادة التحصن شرط للاكراه لان الاكراه لا يتصوّر الا عند ارادة التحصن فانهنّ لو لم يردن التحصن لكان زناهنّ بالطبع لا بالاكراه وان جعلت الارادة المذكورة شرط النهى يتوهم انه اذا انتفت الارادة ارتفع النهى و ارتفاعه يستلزم جواز الاكراه وليس كذلك لان ارتفاع النهى انما يستلزم جواز الاكراه ان لو كان الاكراه متصوّرا حال انتفاء الارادة و لاشك انه لا يتصوّر اكراه الطائعة على الزنى فثبت ان عدم الارادة لا يستلزم جواز الاكراه و الحاصل ان اكراههنّ على الزنى حرام حال ارادتهنّ التحصن و ممتنع حال ارادتهنّ الفجور و قوله تعالى ان اردن تحصنا ليس المقصود منه تقييد النهى بل المقصود منه تعيير المخاطبين و توبيخهم بان الاماء اذا رغبن فى التحصن فانتم احق بذلك مع ما فيه من الاشارة الى تقبيح حالهنّ ايضا بكونهنّ راغبات فى الزنى مائلات الى البغاء حيث اتى بكلمة ان دون اذا ﴿قوله ولذلك حرم على المكره القتل﴾ و فى الهداية و ان اكره بقتل على قتل غيره لم يسعه ان يقدم عليه و يصبر حتى يقتل فان قتله كان آثما لان قتل المسلم لا يستباح لضرورة ما فكذا لهذه الضرورة و القصاص على المكره عند ابى حنيفة و محمد وقال الامام الشافعى رحمه الله تعالى يجب عليهما اى المكره و المكره وقال زفر يجب على المكره ثم ان الاكراه انما يحصل متى حصل التخويف بما يقتضى تلف النفس فاما باليسير من التخويف فلا تصير به مكرهة ﴿قوله و اوضحت فيها الاحكام﴾ لما كان المبين حكايات هذه السورة و وصفت نفس آياتها بكونها مبينات اشار الى ان اصل الاحكام مبين فيها فاتسع فى الظرف بان حذف حرف الجرّ و اجرى المجرور مجرى المفعول به و قوله تعالى و مثلا عطف على آيات اى و انزلنا مثلا من امثال الذين مضوا من قبلكم اى قصة عجيبة من جنس قصصهم فان قصة عائشة رضى الله تعالى عنها كقصة يوسف و مريم عليهما السلام فى الغرابة فان قصتهما ذكر فيها تهمة من برئ مما اتهم به فيوسف عليه الصلاة و السلام اتهمته زليخا و مريم اتهمها اليهود مع برآءتهما و قيل المراد بالآيات القرآن * قال الامام رحمة الله تعالى عليه انه تعالى لما ذكر فى هذه السورة هذه الاحكام و ختم الكلام فى الاحكام بهذه الآية وصف القرآن بصفات ثلاث احداها قوله تعالى و لقد انزلنا اليكم آيات مبينات اى مفصلات و ثانيتها قوله تعالى و مثلا من الذين خلوا من قبلكم و روى عن الضحاك انه قال يريد بالمثل ما ذكر فى التوراة و الانجيل من اقامة الحدود فانزل فى القرآن مثله وروى عن مقاتل رضى الله تعالى عنه انه قال قوله تعالى و مثلا اى شبها من حالهم بحالكم فى تكذيب الرسل عليهم الصلاة و السلام يعنى بينا لكم ما احللنا بهم من العقاب لتمرّدهم على الله تعالى فجعلنا ذلك مثلا لكم لتعلموا انكم اذا شاركتموهم فى المعصية كنتم مثلهم فى استحقاق العقاب و ثالثتها قوله تعالى و موعظة للمتقين و المراد به الوعيد و التحذير من فعل المعاصى ثم انه تعالى لما وصف نفسه بانه انزل آيات مبينات و اقام دلائل و اوضحات و قصة عجيبة من جنس قصص من قبلنا متضمنة لموعظة ينتفع بها المتقون عقبه بقوله تعالى الله نور السموات و الارض مثل نوره كمشكاة اى مظهرهما من العدم الى الوجود فان معنى النور فى اللغة هو الذى يبين الاشياء ويظهرها للابصار * واعلم ان النور على اربعة اوجه اوّلها نور يظهر الاشياء للابصار وهو لا يراها كنور الشمس و امثالها فانه يظهر الاشياء الخفية و لا يراها و ثانيها نور البصر وهو لا يظهر الاشياء للابصار ولكنه يراها و هذا النور اشرف من الاوّل و ثالثها نور العقل و هو يظهر الاشياء المعقولة الخفية فى ظلمة الجهل للبصائر و هو يدركها و يراها و رابعها نور الحق تعالى و هو يظهر الاشياء المعدومة الخفية فى العدم للابصار من الملك و الملكوت و هو يراها فى الوجود كما كان يراها فى العدم بانها موجودة فى علم الله تعالى و ان كانت معدومة فى ذواتها فما تغير علم الله تعالى و رؤيته باظهارها فى الوجود بل كان التغيير راجعا الى ذوات الاشياء و صفاتها عند الايجاد و التكوين فقوله تعالى الله نور السموات و الارض معناه و الله تبارك و تعالى اعلم انه مظهرهما و موجدهما من العدم بكمال القدرة الازلية كما حققه المصنف رحمة الله تعالى عليه بقوله فان النور ظاهر بذاته مظهر لغيره الخ و ذكر وجوها اخر فى تأويل الآية الشريفة و على كل تأويل تكون هذه الآية الشريفة كالتعليل لما قبلها ﴿قوله وهو بهذا المعنى لا يصح اطلاقه على الله تعالى﴾ ضرورة ان حدوث الاجسام باسرها يستلزم حدوث الكيفيات

(و لا تكرهوا فتياتكم) اماءكم (على البغاء) على الزنى كانت لعبد الله بن ابىّ ست جوار يكرههنّ على الزنى وضرب عليهنّ الضرآئب فشكا بعضهنّ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت (ان اردن تحصنا) تعففا شرط للاكراه فانه لا يوجد دونه وان جعل شرطا للنهى لم يلزم من عدمه جواز الاكراه لجواز ان يكون ارتفاع النهى بامتناع المنهى عنه و ايثار ان على اذا لان ارادة التحصن من الاماء كالشاذ النادر (لتبتغوا عرض الحياة الدنيا و من يكرههنّ فان الله من بعد اكراههنّ غفور رحيم) اى لهنّ او له ان تاب و الاوّل اوفق للظاهر ولما فى مصحف ابن مسعود بعد اكراههنّ لهنّ غفور رحيم و لا يرد عليه ان المكرهة غير آثمة فلا حاجة الى المغفرة لان الاكراه لا ينافى المؤاخذة بالذات و لذلك حرم على المكره القتل و اوجب عليه القصاص (و لقد انزلنا اليكم آيات مبينات) يعنى الآيات التى بينت فى هذه السورة و اوضحت فيها الاحكام و الحدود و قرأ ابن عامر و حمزة و الكسائى و حفص فى هذا و فى الطلاق بالكسر لانها واضحات يصدقها الكتب المتقدمة و العقول المستقيمة من بين بمعنى تبين او لانها بينت الاحكام و الحدود (و مثلا من الذين خلوا من قبلكم) اى و مثلا من امثال من قبلكم اى و قصة عجيبة مثل قصصهم و هى قصة عائشة فانها كقصة يوسف و مريم (و موعظة للمتقين) يعنى ما وعظ به فى تلك الآيات و تخصيص المتقين لانهم المنتفعون بها و قيل المراد بالآيات القرآن و بالصفات المذكورة صفاته (الله نور السموات و الارض) النور فى الاصل كيفية تدركها الباصرة اوّلا و بواسطتها سائر المبصرات كالكيفية الفائضة من النيرين على الاجرام الكثيفة المحاذية لهما و هو بهذا المعنى لا يصح اطلاقه على الله تعالى الا بتقدير مضاف كقولك زيد كرم بمعنى ذو كرم او على تجوّز اما بمعنى منوّر السموات و الارض

والاعراض القائمة بها فكيف يصح اطلاق الكيفية عليه تعالى والقول بكونه تعالى حالا فى الاجسام مما يحكم بداهة العقل باستحالته فان القائم بالغير محتاج اليه والمحتاج الى الغير كيف يكون الها ولما ثبت فى الشرع اطلاق اسم النور عليه تعالى وانه من جملة اسمائه الشريفة الحسنى خاض النحارير من فضلاء العلماء فى توجيه اطلاقه عليه تعالى وجاء كل واحد منهم بما فى وسعه وطاقته واشار المصنف رحمة الله عليه الى ماذكروه من الوجوه فمحصول الجميع انه تعالى ليس فى ذاته نورا بل انما يطلق عليه اسم النور اما بتقدير المضاف كقولك زيد كرم بمعنى ذو كرم او على تجوز وذكر فيه وجوه اخر فاندفع به مايقال من ان قوله تعالى الله نور السموات والارض يقتضى ظاهرا انه تعالى فى ذاته نور وقوله مثل نوره يقتضى ان لايكون هو فى ذاته نورا بل يكون هو امرا مغايرا له مضافا اليه وبينهما تناقض فقوله تعالى الله نور السموات والارض بمعنى صاحب النور او من قبيل التوصيف بالمصدر للمبالغة على معنى انه منور لكل مستنير بحيث كأنه عين نوره ومعنى تنويره انه تعالى نور العالم بالانوار الفائضة من الكواكب او انه تعالى نور العالم العلوى بالملائكة والعالم السفلى بالانبياء عليهم الصلاة والسلام بناء على تشبيه الملائكة والانبياء عليهم الصلاة والسلام بالنور بمعنى الكيفية المدركة اولا فى كونهما بسبب الادراك فان الكيفية المذكورة انما اختصت بالفضيلة والشرف بسبب كون المرئيات ظاهرة منجلية بسببها ويشاركها فى هذه الفضيلة اشياء اخر منها البصر وهو العين الظاهرة المدركة للاضواء والالوان ومنها البصيرة وهى القوة العاقلة التى تدرك نفسها وغيرها من الكليات والجزئيات ولما كان كل واحدة من القوة الحساسة والعاقلة مشابهة للكيفية المذكورة فى كونها سبب الادراك صح اطلاق اسم النور عليه مجازا ومنها القرآن العظيم والملائكة والانبياء عليهم الصلاة والسلام فان القوة العاقلة قد يعتريها الزيغ والخلل فى العلوم النظرية فلا بد لها من هاد ومرشد ولا مرشد فوق كلام الله تعالى وفوق ارشاد الانبياء فالآيات القرآنية بالنسبة الى عين القلب بمنزلة نور الشمس الى الباصرة فلذلك سمى القرآن نورا فى قوله تعالى فآمنوا بالله ورسوله والنور الذى انزلنا وقوله تعالى وانزلنا اليكم نورا مبينا ونفوس الانبياء عليهم الصلاة والسلام ايضا بمنزلة نور الشمس فكما ان الشمس فى عالم الاجسام تفيد النور لغيرها ولا تستفيد من غيرها فكذا نفس النبى يفيد الانوار العقلية لسائر النفوس البشرية ولا يستفيد النور العقلى من كل شئ من الانفس البشرية فلذلك وصف الله تعالى نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم بانه سراج منير وقد ثبت ان الانوار الحاصلة فى ارواح الانبياء عليهم الصلاة والسلام مقتبسة من الانوار الحاصلة فى ارواح الملائكة عليهم الصلاة والسلام قال الله تعالى ينزل الملائكة بالروح من امره على من يشاء من عباده وقال تعالى نزل به الروح الامين على قلبك وقال تعالى ان هو الا وحى يوحى وهو لايكون الا بواسطة الملائكة فلما كان ارواح الملائكة كالمعادن لانوار عقول الانبياء كانت ارواحهم بمنزلة الانوار ايضا واقوى من عقول الانبياء عليهم الصلاة والسلام فهذا هو وجه قول المصنف رحمة الله تعالى عليه انه تعالى منور السموات والارض بالملائكة والانبياء عليهم الصلاة والسلام ﴿ **قوله** او مدبرهما ﴾ بان شبه التدبير الحسن بالنور فى كون كل واحد منهما سبب الاهتداء الى المصالح فاطلق اسم النور على التدبير الحسن على سبيل الاستعارة التصريحية واطلق النور بهذا المعنى عليه تعالى على طريق التوصيف بالمصدر للمبالغة ﴿ **قوله** او موجدهما ﴾ على ان يكون قوله الله نورهما من باب التشبيه البليغ اى كالنور بالنسبة اليهما من حيث كونه مظهرا لهما اى موجدا فان اصل التنوير هو الظهور من ظلمة العدم وانما يظهر بتأثير قدرته تعالى ﴿ **قوله** او الذى به تدرك ﴾ على ان يكون المراد منه انه تعالى نور بالنسبة الى نفس السموات والارض وقوله او يدرك اهلها على ان يكون تقدير الكلام الله نور اهل السموات واهل الارض وعلى التقديرين يكون الكلام من باب التشبيه البليغ ايضا حيث شبه تعالى بالنور بمعنى الكيفية من حيث انه تعالى سبب لادراك السموات والارض بالباصرة ولادراك مافيها من وجود الدلالات على وجود الصانع ذى الجلال والاكرام بالبصيرة وذلك لان هذه الادراكات ليست مقتضى ذات البصيرة والا لما فارقتها بل هى مسندة الى سبب خارج عن ذاتها يفيض تلك الادراكات عليها وهو الله سبحانه وتعالى فهو الذى به تدرك او به يدرك اهلها فشابه النور بمعنى الكيفية فلذلك قيل على سبيل التشبيه البليغ الله نور ﴿ **قوله** من حيث انه يطلق على الباصرة الخ ﴾ استشهاد على اطلاق النور على مايكون سبب الادراك كالبصيرة والباصرة وان جاز ان يكون اطلاق النور على الباصرة لكونها متعلقة بالنور ومدركة اولا وبالذات ثم انه لما

(بين)

وقد قرئ به فانه تعالى نورهما بالكواكب ومايفيض عنها من الانوار او بالملائكة والانبياء او مدبرهما من قولهم للرئيس الفائق فى التدبير نور القوم لانهم يهتدون به فى الامور او موجدهما فان النور ظاهر بذاته مظهر لغيره واصل الظهور هو الوجود كما ان اصل الخفاء هو العدم والله سبحانه وتعالى موجود بذاته موجد لما عداه او الذى به تدرك او يدرك اهلها من حيث انه يطلق على الباصرة لتعلقها به او لمشاركتها له فى توقف الادراك عليه ثم على البصيرة لانها اقوى ادراكا فانها تدرك نفسها وغيرها من الكليات والجزئيات الموجودات والمعدومات وتغوص فى بواطنها وتتصرف فيها بالتركيب والتحليل ثم ان هذه الادراكات ليست لذاتها والا لما فارقتها فهى اذا من سبب يفيضها عليها وهو الله سبحانه وتعالى ابتداء او بتوسط من الملائكة والانبياء ولذلك سموا انوارا

بين ان الباصرة تشارك النور فى توقف الادراك على كل واحد منهما بين ان ادراك المرتب على البصيرة اقوى الادراك المرتب على الباصرة فلما كان وجه الشبه بينهما وبين النور اقوى كان اطلاق لفظ النور عليهما اقرب واولى فان القوّة الباصرة لاتدرك نفسها ولاتدرك ادراكها ولاتدرك آلتها ايضا امانها لاتدرك نفسها ولاادراكها فلانهما ليسا من الامور المبصرة بالعين واما انها لاتدرك آلتها التى هى العين فظاهر والبصيرة تدرك نفسها وتدرك ادراكها وتدرك آلتها وهى القلب والدماغ وايضا القوّة العاقلة تدرك الكليات والجزئيات الموجودة والمعدومة والقوّة الباصرة لاتدرك الاالجزئيات الموجودة وايضا القوّة العاقلة تدرك ظواهر الاشياء وبواطنها بخلاف القوّة الحسية فانها لاتدرك من الانسان مثلا الاالسطح الظاهر من جسمه والالوان القائمة بذلك السطح بالاتفاق وليس الانسان عبارة عن مجرّد السطح واللون فالقوّة الباصرة وان كانت بالنسبة الى الظاهر نورا الا انها بالنسبة الى البواطن ظلمة فكانت القوّة العاقلة اشرف من الباصرة من هذا الوجه وايضا القوّة العاقلة تتصرّف فى بواطن مدركاتها بالتركيب والتحليل فانها تضم الجنس الى الفصل فتستحدث منهما طبيعة نوعية مركبة منهما وتحلل تلك الطبيعة الواحدة المقوّمة الى مقوّماتها والى عوارضها اللازمة والمفارقة ثم تحلل مقوّماتها الى الجنس وجنس الجنس والفصل وفصل الفصل وجنس الفصل وفصل الجنس الى غيرذلك والقوّة الباصرة عاجزة عن النفوذ فى بواطن الماهية واعماقها **قوله ويقرب منه** اى من قوله الله نور السموات والارض قول ابن عباس معناه الخ فانه الذى به تدرك السموات لانه لما كان معنى قوله تعالى الله نور السموات والارض انه تعالى به تدرك او يدرك اهلها على معنى انه تعالى يجعل للمكلفين من المعارف والعلوم مايهتدون به ويتخلصون به من ظلمات الكفر والضلالات وورطات الزيغ والجهالات بوحى ينزله ونبىّ يبلغه وهو قريب من قول حبرالامة رضى الله تعالى عنه معنى كونه تعالى نور السموات والارض انه هادى من فيهما فهم بنوره مهتدون قال المصنف ويقرب منه الخ فعلى هذا شبهت الهداية بالنور فى كونها سببا للوصول الى المطلوب فاطلق اسم النور عليها على سبيل الاستعارة ثم اطلق النور بمعنى الهداية عليه تعالى على طريق رجل عدل **قوله واضافته اليهما** مع ان كونه تعالى نورا باىّ معنى كان ليس بالاضافة اليهما فقط فانه تعالى صاحب لنور جميع المستنيرات ومنوّرها ومدبر أمرها وموجدها **قوله لم يكن على ظاهره** وهو انه تعالى فى ذاته نور بل هو مؤوّل باحد التأويلات المذكورة **قوله كصفة مشكاة** اشارة الى ان ثمة مضافا محذوفا اى كمثل مشكاة وهو خبر لقوله مثل نوره وهذه الجملة تفسير لماقبلها فلا محل لها وقوله فيها مصباح صفة لمشكاة **قوله درّى** قرأ ابو عمرو والكسائى درّيء بكسر الدال وياء بعدها همزة وقرأ حمزة وابو بكر عن عاصم رحمهما الله تعالى بضم الدال وياء بعدها همزة والباقون بضم الدال وتشديد الياء من غير همزة والمعنى انه يشبه الدرّ لصفائه ولمعانه ويحتمل ان لايكون منسوبا بل تكون الياء الاخيرة مقلوبة من الهمزة الاصلية ويكون اصله درّيء على وزن فعيل كزرّيق وهو حب العصفر وهو القرطم **قوله وقد قرئ به مقلوبا** اى وقد قرئ بكسر الدال وقلب الهمزة ياء **قوله تعالى توقد** على وزن تفعل فعلا ماضيا مسندا الى ضمير عائد على المصباح ولايعود على الكوكب لفساد المعنى وهى قرآءة ابن كثير وابى عمرو والثقوب التوقد والاشتعال ومن فى قوله من شجرة لابتدآء الغاية وثمة مضاف محذوف اى من زيت شجرة والذبالة بضم الذال الفتيلة وقوله زيتونة بدل من شجرة **قوله وقرأ نافع وابن عامر وحفص بالياء** اى يوقد بضم الياء من تحت وفتح القاف على بناء المفعول من اوقد والضمير المستتر فيه يعود على المصباح وقرأ باقى السبعة كذلك الا انه بالتاء من فوق والضمير المستتر فيه القائم مقام الفاعل يعود على الزجاجة بحذف المضاف اى يوقد مصباح الزجاجة وقرئ توقد بفتح التاء من فوق وضم الدال مضارع توقد اصله تتوقد بتاءين فحذفت احداهما والضمير ايضا للزجاجة **قوله وقرئ يوقد** اى بالياء من تحت وضم الدال مضارع توقد اصله يتوقد بياء من تحت وتاء من فوق فحذفت التاء من فوق وهذا الحذف شاذ غريب اذلم يتوال مثلان ولم يبق فى اللفظ مايدل على المحذوف بخلاف نحو تنزّل وتلظى فان فيه تاءين والباقى منهما يدل على ماحذف **قوله تعالى لاشرقية** صفة لشجرة دخلت عليها لا لتفيد النفى وقرئ لاشرقية بالرفع على اضمار مبتدأ اى لاشرقية هى والجملة ايضا فى محل الجرّ على انها صفة لشجرة وكذا قوله يكاد زيتها يضيء وجواب قوله ولولم تمسسه نار محذوف اى لأضاء حذف لدلالة ماقبله عليه والجملة حالية جيء بها لاستقصاء الاحوال حتى فى هذه الحالة **قوله فى مقنأة** المقنأة والمقنؤة المكان الذى لاتطلع

ويقرب منه قول ابن عباس معناه هادى من فيهما فهم بنوره يهتدون واضافته اليهما للدلالة على سعة اشراقه او لاشتمالهما على الانوار الحسية والعقلية وقصور الادراكات البشرية عليهما وعلى المتعلق بهما والمدلول لهما (مثل نوره) صفة نوره العجيبة الشأن واضافته الى ضميره سبحانه وتعالى دليل على ان اطلاقه عليه لم يكن على ظاهره (كمشكاة) كصفة مشكاة وهى الكوّة غير النافذة (فيها مصباح) سراج ضخم ثاقب وقيل المشكاة الانبوبة فى وسط القنديل والمصباح الفتيلة المشتعلة (المصباح فى زجاجة) فى قنديل من الزجاج (الزجاجة كأنها كوكب درّى) مضيء متلألئ كالزهرة فى صفائه وزهرته منسوب الى الدرّ او فعيل كزرّيق من الدرء فانه يدفع الظلام بضوئه او بعض ضوئه بعضا من لمعانه الا انه قلبت همزته ياء ويدل عليه قرآءة حمزة وابى بكر على الاصل وقرآءة ابى عمرو والكسائى درّيء كشرّيب وقد قرئ به مقلوبا (توقد من شجرة مباركة زيتونة) اى ابتدآء ثقوب المصباح من شجرة الزيتون المتكاثر نفعه بأن رويت ذبالته بزيتها وفى ابهام الشجرة ووصفها بالبركة ثم ابدال الزيتونة منها تفخيم لشأنها وقرأ نافع وابن عامر وحفص بالياء والبناء للمفعول من اوقد وحمزة والكسائى وابو بكر بالتاء كذلك على اسناده الى الزجاجة بحذف المضاف وقرأ ابن كثير وابو عمرو توقد بمعنى تتوقد وقرئ يوقد بحذف التاء لاجتماع زيادتين وهو غريب (لاشرقية ولاغربية) تقع الشمس عليها حينادون حين بل بحيث تقع عليها طول النهار كالتى تكون على قلة او صحرآء واسعة فان ثمرتها تكون انضج وزيتها اصفى اولانابتة فى شرق المعمورة وغربها بل فى وسطها وهو الشام فان زيتونه اجود الزيتون اولا فى مضحى تشرق الشمس عليها دآئما فتحرقها اوفى مقنأة تغيب عنها دآئما فتتركها نيئا وفى الحديث لاخير فى شجرة ولا فى نبات فى مقنأة ولا خير فيهما فى مضحى

الشمس عليه هذا قول ابي عمرو و قال غيره مفياة و مفيوة بغير همزة نقيض المضحاة يقال ضحيت للشمس بكسر الحاء ضحاء بالمد اذا برزت لها و ضحيت بالفتح و المستقبل اضحى في اللغتين جميعا قال تعالى انك لا تظمأ فيها و لا تضحى ﴿قوله نور على نور﴾ اى فكان زيتها نورا على نور بمعنى نور المصباح على نور الزجاجة او نور النار و نور المصباح او نور الزجاجة وقوله نور على نور خبر مبتدأ محذوف اى النور الذى شبه به نور الله تعالى هو نور على نور و اعلم ان الامور التي اعتبرها الله تعالى في هذه الامثال مما يوجب كمال الضوء فاولها ان المصباح اذا لم يكن في المشكاة تفرقت اشعته و اذا وضع في المشكاة اجتمعت اشعته فكان اشد انارة و الذى يحقق ذلك ان المصباح اذا كان في المشكاة او كان في بيت صغير فانه يظهر من ضوئه اكثر مما اذا كان في البيت الكبير و ثانيها ان المصباح اذا كان في زجاجة صافية و الاشعة المنفصلة عن المصباح تنعكس من بعض جوانب الزجاجة الى بعض كان اكمل في الضوء و النور من غيره لما في الزجاجة من الصفاء و الشفافة و الذى يحقق ذلك ان شعاع الشمس اذا وقع على الزجاجة الصافية قوى حتى انه يظهر فيما يقابله مثل ذلك الضوء فاذا انعكست تلك الاشعة من كل واحد من جوانب الزجاجة الى الجانب الآخر كثرت الانوار و الاضواء و بلغت النهاية الممكنة و ثالثها ان ضوء المصباح يختلف بحسب اختلاف ما يتقد به فاذا كان ذلك الدهن صافيا خالصا كان حاله بخلاف حاله اذا كان كدرا و رابعها ان هذا الزيت يختلف بحسب اختلاف شجرته فاذا كانت لا شرقية و لا غربية بمعنى انها بارزة للشمس في كل حالة كان ثمرها اشد نضجا فيكون زيته اكثر صفاء فاذا اجتمعت هذه الاربعة و تعاونت صار ذلك الضوء خالصا كاملا فيصلح ان يجعل مثلا لنور الله تعالى ﴿قوله الاول انه تمثيل للهدى﴾ اعلم انه لا بد في التشبيه من امرين المشبه و المشبه به و اختلف اهل التفسير في ان المشبه ههنا اى شئ هو و ذكروا وجوها احدها و هو قول جمهور المتكلمين ان المراد به الهدى الذى هو الآيات المبينات و المعنى ان هداية الله تعالى قد بلغت في الظهور و الجلاء الى اقصى الغايات و صارت بذلك بمنزلة مشكاة يكون فيها زجاجة صافية و في الزجاجة مصباح يوقد بزيت بلغ النهاية في الصفاء او ان هداية الله تعالى من حيث انها في غاية الظهور و الجلاء و انها محفوفة بظلمات اوهام الناس بمنزلة المصباح الموصوف بانه مع كونه في غاية الجلاء محفوف بظلمة المشكاة * فان قيل لم شبه بذلك وقد قالوا ان ضوء الشمس ابلغ من ذلك بكثير * اجيب بانه سبحانه و تعالى اراد ان يصف الضوء الكامل الذى يلوح وسط الظلمة لان الغالب على اوهام الخلق و خيالاتهم انما هو الشبهات التي هى كالظلمات و هداية الله تعالى فيما بينها كالضوء الكامل الذى يظهر فيما بين الظلمات و هذا المقصود لا يحصل من تشبيهه بضوء الشمس لان ضوءها اذا ظهر امتلأ العالم من النور الخالص و اذا غاب امتلأ العالم من الظلمة الخالصة فلا جرم كان ذلك المثل ههنا أليق و اوفق ﴿قوله و انما ولى الكاف المشكاة﴾ بمنزلة دخولها على المصباح و لهذا قال بعض المفسرين ان هذه الآية من المقلوب و التقدير مثل نوره كمصباح في مشكاة لان المشبه به نوره تعالى هو الذى يكون معدنا للنور و منبعا له و ذلك هو المصباح لا المشكاة ﴿قوله او تمثيل لما نور الله تعالى به قلب المؤمن﴾ و هو نور الايمان و العلوم المتعلقة بمعاني آيات كتاب الله تعالى و معرفة المبدأ و المعاد و الشرائع و هذا النور و ان كان محله قلب المؤمن الا انه نور الله تعالى من حيث انه تعالى هو الذى نور قلبه و المقصود من التمثيل بيان ان ايمان المؤمن و ما في قلبه من العلوم و المعارف قد بلغ في الصفاء عن الشبهات و الامتياز عن ظلمات الضلالات مبلغ نور المشكاة المنعوتة ﴿قوله او تمثيل لما منح الله تعالى به عباده من القوى الدراكة الخمس المرتبة﴾ ذكر الامام الغزالي نفعنا الله به آمين ان القوى الدراكة انوار من حيث انه يظهر بها اصناف الموجودات و ان مراتب القوى المدركة الانسانية خمس احداها القوة الحساسة و هى التي تتلقى ما تدركه الحواس الخمس و تسمى الحس المشترك و ثانيتها القوة الخيالية التي تحفظ صور تلك المحسوسات لتعرضها على القوة العقلية التي هى فوقها عند الحاجة اليه و ثالثتها القوة العقلية المدركة للحقائق الكلية و رابعتها القوة المفكرة و هى التي تأخذ المعارف فتؤلفها تأليفا فتستنتج من تأليفها اياها علما بالمجهول و خامستها القوة القدسية التي يختص بها الانبياء و بعض الاولياء و يتجلى فيها لوائح الغيب و اسرار الملك و الملكوت و اليه الاشارة بقوله تعالى و كذلك اوحينا اليك روحا من امرنا ما كنت تدرى ما الكتاب و لا الايمان و لكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا و هذه المراتب الخمس يمكن تشبيهها بالامور التي ذكرها الله تعالى و هى المشكاة و الزجاجة و المصباح و الشجرة و الزيت فشبه الله تعالى القوة الحساسة بالمشكاة من حيث ان محلها اى مأخذ ما ارتسم فيها كالكوى فان الحس

(يكاد زيتها يضيئ و لو لم تمسسه نار) اى يكاد يضيئ بنفسه من غير نار لتلألؤه و فرط وبيصه (نور على نور) نور متضاعف فان نور المصباح زاد في انارته صفاء الزيت و زهرة القنديل و ضبط المشكاة لأشعته و قد ذكر في معنى التمثيل وجوه الاول انه تمثيل للهدى الذى دل عليه الآيات المبينات في جلاء مدلولها و ظهور ما تضمنته من الهدى بالمشكاة المنعوتة او تشبيه للهدى من حيث انه محفوف بظلمات اوهام الناس و خيالاتهم بالمصباح و انما ولى الكاف المشكاة لاشتمالها عليه و تشبيهه به اوفق من تشبيهه بالشمس او تمثيل لما نور الله به قلب المؤمن من المعارف و العلوم بنور المشكاة المنبث فيها من مصباحها و يؤيده قراءة ابي مثل نور المؤمن او تمثيل لما منح الله به عباده من القوى الدراكة الخمس المرتبة التي نوط بها المعاش و المعاد و هى الحساسة التي تدرك المحسوسات بالحواس الخمس و الخيالية التي تحفظ صور تلك المحسوسات لتعرضها على القوة العقلية متى شاءت و العاقلة التي تدرك الحقائق الكلية و المفكرة و هى التي تؤلف المعقولات لتستنتج منها علم ما لم يعلم

والقوة القدسية التي يتجلى فيها لوائح الغيب واسرار الملكوت المختصة بالانبياء والاولياء المعنية بقوله تعالى ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا بالاشياء الخمسة المذكورة فى الآية وهى المشكاة والزجاجة والمصباح والشجرة والزيت فان الحساسة كالمشكاة لان محلها كالكوى ووجهها الى الظاهر لاتدرك ماوراءها واضاءتها بالمعقولات لابالذات والخيالية كالزجاجة فى قبول صور المدركات من الجوانب وضبطها للانوار العقلية وانارتها بما تشتمل عليه من المعقولات والعاقلة كالمصباح لاضاءتها بالادراكات الكلية والمعارف الآلهية والمفكرة كالشجرة المباركة لتأديتها الى ثمرات لانهاية لها والزيتونة المثمرة للزيت الذى هومادة المصابيح التى لا تكون شرقية ولاغربية لتجردها عن اللواحق الجسمية اولوقوعها بين الصور والمعانى متصرفة فى القبيلين منتفعة من الجانبين والقوة القدسية كالزيت فانها لصفائها وشدة ذكائها تكاد تضيء بالمعارف من غير تفكر ولا تعليم اوتمثيل للقوة العقلية فى مراتبها بذلك فانها فى بدء امرها خالية عن العلوم مستعدة لقبولها كالمشكاة ثم تنتقش بالعلوم الضرورية بتوسط احساس الجزئيات بحيث تتمكن من تحصيل النظريات فتصير كالزجاجة متلألئة فى نفسها قابلة للانوار وذلك التمكن ان كان بفكر واجتهاد فكالشجرة الزيتونة وان كان بالحدس فكالزيت وان كان بقوة قدسية فكالتى يكاد زيتها يضيء لانها تكاد تعلم ولولم تتصل بملك الوحى والالهام الذى مثله النار من حيث ان العقول تشتعل عنها ثم اذا حصلت لها العلوم بحيث تتمكن من استحضارها متى شاءت كان كالمصباح فاذا استحضرها كان نورا على نور (يهدى الله لنوره) لهذا النور الثاقب (من يشاء) فان الاسباب دون مشيئته لاغية اذ بها تمامها (ويضرب الله الامثال للناس) ادناء للمعقول من المحسوس توضيحا وبيانا (والله بكل شيء عليم) معقولا كان اومحسوسا ظاهرا كان اوخفيا وفيه وعد ووعيد لمن تدبرها ولمن لم يكترث بها

المشترك انما يأخذ مدركاته من عدة ثقب كالعينين والاذنين والمنخرين والفم وكل واحدة من تلك الثقب تشبه كوة غيرنافذة وهى المشكاة ﴿قوله ووجهها الى الظاهر﴾ اى القوة الحساسة وجهها الى الظاهر لاتدرك ماوراء نفسها وانما تدرك ماقدامها كالكوة لاتنظر الى ماوراءها لكونها غيرنافذة وايضا اضاءتها ليست بنفس ذاتها بل بما ارتسم فيها من الصور المدركة كالمشكاة التى لاتضيء بالذات بل بواسطة ماوضع فيها من المصباح وشبه القوة الخيالية بالزجاجة من حيث انها تقبل صور المدركات من جوانب البدن كما تقبل الزجاجة الانوار الحسية من الجوانب ومن حيث انها تضبط الانوار العقلية وتحفظها كما تحفظ الزجاجة الانوار الحسية عن الانمحاء والزوال ومن حيث انها تستنير بما تشتمل عليه من المعقولات كما تستنير الزجاجة بما فيها من المصباح وشبه القوة العقلية بالمصباح لاضاءتها بالادراك والمعارف كما يضيء المصباح بالانوار الحسية وشبه القوة الفكرية بالشجرة المباركة من حيث انها تؤدى الى نتائج كثيرة وهى بمنزلة الثمرة فان المفكرة تفتح نتائج هى ثمراتها ثم تعود فتجعل تلك الثمرات مدونة ثم تعود لامثالها حتى تؤدى الى ثمرات لانهاية لها فبالحرى ان يكون مثلها فى هذا العالم هى الشجرة المباركة الكثيرة النفع والزيتونة المثمرة عطف على قوله كالشجرة المباركة الاول توضيح لكون المفكرة كالشجرة المباركة والثانى توضيح لكونها كزيتونة فان شجرة الزيتون لها فضيلة على سائر الاشجار من حيث ان لب ثمرتها هو الزيت الذى له منافع كثيرة ومن جملتها انه مادة المصابيح والانوار الحسية وله من بين سائر الادهان زيادة الاشراق مع قلة الدخان فلذلك افاد ابدال قوله زيتونة من قوله شجرة مباركة تفخيم شأن الشجرة ﴿قوله التى لاتكون شرقية ولاغربية﴾ صفة لقوله والمفكرة ولما اعتبر فى جانب المشبه بها كونها لاشرقية ولاغربية تعرض لكونها معتبرة فى جانب المشبه ايضا لكون المشابهة من هذا الوجه فان القوة المفكرة لما كانت مجردة عن اللواحق الجسمية لم تكن شرقية ولاغربية فلذلك شبهت بشجرة لاشرقية ولاغربية ﴿قوله اولوقوعها بين الصور والمعانى﴾ علة لكون المفكرة لاشرقية ولاغربية ولما لم يكن انتفاعها مختصا بجانب الصور ولابجانب المعانى شبهت بشجرة لاشرقية ولاغربية فالموجودات الخارجية لما كانت محققة بالاصالة وكانت المعانى بحسب الاغلب منتزعة منها بافاضة الفاعل المختار اياها على النفس الناطقة على حسب مناسبات مختلفة واستعدادات شتى كان جانب الصور اشبه بكونه شرقيا وجانب المعنى بكونه غربيا وشبهت القوة القدسية بالزيت الذى يكاد يضيء من غير أن تمسسه نار فان القوة القدسية لكمال صفائها وشدة استعدادها لاتحتاج الى تعليم وتنبيه فى الاستنارة بالعلوم والمعارف ولما كانت هذه القوى مترتبة حيث كان الحس كالمقدمة للخيال والخيال كالمقدمة للعقل ناسب ان تجعل المشكاة كالظرف للزجاجة التى هى كالظرف للمصباح ﴿قوله اوتمثيل للقوة العقلية فى مراتبها﴾ كما ذهب اليه ابوعلى ابن سينا فان النفس الناطقة بحسب استكمالها بالمطالب النظرية لها مراتب مختلفة الاولى مرتبة الاستعداد بحصول الكمال والثانية مرتبة حصول نفس الكمال ثم ان الاستعداد على ثلاث مراتب اضعفها الاستعداد المحض والنفس فى هذه المرتبة تسمى عقلا هيولانيا والاستعداد المتوسط يحصل عند حصول المعقولات الاولى وتمكن النفس من ترتيبها والانتقال منها الى المطالب النظرية والنفس فى هذه المرتبة تسمى عقلا بالملكة والاستعداد القوى هو استعداد استحضار المطالب بعد حصولها والذهول عنها من غير تجشم كسب جديد وتسمى النفس فى هذه المرتبة بالعقل بالفعل وتسمى فى مرتبة الكمال وهى مرتبة حصول المطالب ومشاهدتها بالعقل المستفاد وقد تطلق هذه الاسامى على انفس هذه المراتب ايضا ثم حصول المطالب من المبادى الاول ان كان ترتيبها والانتقال من بعضها الى بعض بطريق الحركة فى الكيف يسمى تحصيلها بهذه الطريق فكرا وان لم يكن بطريق الترتب والانتقال من بعضها الى بعض يسمى حدسا وهذه المراتب يصح اطلاق اسم النور عليها لكونها وسائل الى ظهور المدركات والقوة العقلية فى مرتبة العقل الهيولانى تشبه بالمشكاة الخالية فى بدء الامر عن الانوار الحسية المستعدة للاستنارة بها وفى مرتبة العقل بالملكة تشبه بالزجاجة المتلألئة فى نفسها الشبيهة بالكوكب الدرى القابلة للانوار الفائضة عليها من النير الخارجى وقد مر ان القوة العقلية فى مرتبة تمكنها من تحصيل النظريات قد يكون تمكنها منه بطريق الحركة الفكرية وقد يكون بطريق الحدس وشبه تمكنها من تحصيل النظر منه بالطريق الاولى بتمكن الزجاجة من التوقد من شجرة الزيتونة فان توقد الزجاجة من تلك الشجرة يحتاج الى تكلف واعمال مثل ان يعصر زيتونها ويستخرج زيتها وتروى

الفتيلة بزيتها فكذلك الاستحصال من المطالب بطريق الفكر فان النفس تحتاج فيه الى مزاولة الفكر والاعمال فكان قوله تعالى توقد من شجرة مباركة زيتونة اشارة الى تشبيه مرتبة التمكن من الاستحصال بطريق الفكر بتوقد الزجاجة من شجرة الزيتونة وقوله تعالى يكاد زيتها اشارة الى تشبيه تمكنها بطريق الحدس بتوقد الزجاجة من الزيت ثم ان القوة النفسانية المتمكنة من الاستحصال اذا بلغت وقويت فى صفائها عن الكدورات الطبيعية الى غاية اللطافة يكون استفاضتها من عالم الغيب فى غاية الكمال والقوة حتى تكاد تعلم وان لم تتصل بملك الوحى والالهام فكان قوله تعالى يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار اشارة الى تشبيه تمكنها من تحصيل النظريات بقوة قدسية بالزجاجة التى لا تحتاج فى توقدها الى ان تمس النار زيتها بل تشتعل بمجرد صفاء الزيت الحاصل فيها فظهر بما قررناه ان للقوة العقلية فى مرتبة تمكنها من تحصيل النظريات ثلاثة اعتبارات تمكنها منه بطريق الفكر وبطريق الحدس وبالقوة القدسية وشبهت بالاعتبار الاول بالزجاجة المتوقدة من الشجر وبالاعتبار الثانى بالزجاجة المتوقدة بالزيت الذى مسته النار وبالاعتبار الثالث بالزجاجة التى لا تحتاج فى توقدها الى ان تتصل زيتها بالنار ثم انها شبهت فى مرتبة العقل بالفعل بالمصباح الذى اشتعلت فتيلته المشبعة بالزيت بمماسة النار اياها فان المدركات النظرية فى هذه المرتبة وان لم تكن بحيث تشاهدها النفس بالفعل الا انها حاصلة عندها مخزونة فيها بحيث لا تحتاج فى استحضارها الى تجشم كسب جديد فصح تشبيهها فى هذه المرتبة بالمصباح المذكور وشبهت فى مرتبة العقل المستفاد بالنور المتضاعف فان العاقلة اذا استحضرت العلوم الضرورية والنظرية بالفعل وصارت مشاهدة اياهما حصل لها نور على نور اعنى نور مشاهدة النظريات على نور مشاهدة الضروريات ونور ملكة الانتقال عنها الى النظريات ونور حصولها بالفعل وحاصل الكلام انه تعالى مثل نوره الذى اعطاه الانسان المكرم اعنى النور المعنوى الذى هو مراتب النفس الانسانية من بداية الاستكمال الى نهايته وقواها الفائضة عليه وهى القوة الفكرية والحدسية والقدسية بما ذكره من المشكاة والزجاجة والشجرة والزيتونة والزيت الذى مسته النار والزيت الذى يكاد يضيء من غير ان تمسه النار والمصباح ونور على نور فظهر بما ذكرنا وجه الترتيب المذكور فى الآية ﴿قوله متعلق بما قبله﴾ اى صفة لمشكاة او متعلق بمحذوف او متعلق بقوله توقد ولما ورد ان يقال ان المقصود من التمثيل تفخيم شأنه اى شأن نور الله تعالى من حيث الوضوح والجلاء وتشبيهه بما هو فى غاية الانارة والجلاء فلا بد ان يكون لكل واحد من القيود المعتبرة فى المشبه به مدخل فى ذلك ولا مدخل لكون المشكاة المنعوتة فى المساجد ولا لكون المصباح الكائن فيها يوقد فى المساجد فى زيادة المصباح المذكور انارة واضاءة فأى فائدة فى اعتباره فى جانب المشبه به * اشار الى دفعه بقوله فيكون تقييدا للممثل به بما يكون تحبيرا ومبالغة فيه فان اصل التحبير قد حصل بباقى القيود المذكورة وباعتبار كونها فى المساجد تحصيل المبالغة فى التحبير وفى الصحاح تحبير الخط والشعر وغيرهما تحسينه وقوله او تمثيلا عطف على قوله تحبيرا وهو مبنى على ان يكون المشبه نور المؤمن فانه لما اعتبر فى جانب المشبه به كون المشكاة التى فيها المصباح واقعة فى المساجد لزم ان يعتبر فى جانب المشبه ايضا كون القلب المنور واقعا فيما يشبه المساجد وهو اما صلاته او بدنه فان كل واحد من الصلاة والبدن لما كان محلا لانواع العبادات شابه المسجد كأنه قيل مثل ما نور الله تعالى به قلب المؤمن وهو فى الصلاة او قلبه الموضوع فى بدنه كمثل المشكاة المنعوتة فيكون التشبيه مفردا شبه قلبه بالمشكاة وما فيه من النور بنور المصباح الموصوف وصلاته وبدنه بالمسجد ﴿قوله ولا ينافى جمع البيوت وحدة المشكاة﴾ جواب عما يقال كيف يجوز ان يكون قوله فى بيوت صفة مشكاة وهى واحدة والمشكاة الواحدة لا تكون فى بيوت * وحاصل الجواب ان التنكير فى قوله تعالى كمشكاة وفى قوله تعالى فيها مصباح وفى قوله تعالى فى زجاجة وفى قوله تعالى كأنها كوكب درى للنوعية لا للفردية ﴿قوله وفيها تكرير﴾ جواب عما يقال لا وجه لكون قوله تعالى فى بيوت متعلقا بالفعل المذكور بعده وهو يسبح لانه يصير المعنى حينئذ فى بيوت اذن الله تعالى يسبح له فيها فيكون قوله فيها تكريرا بلا فائدة * فأجاب عنه بان التكرير لاجل التأكيد كثير ﴿قوله او بمحذوف مثل سبحوا فى بيوت﴾ وهذه الجملة مرتبة على قوله تعالى الله نور السموات والارض اى الله نور السموات فسبحوه فى بيوت الا انه ترك الفاء للعلم به كما يقال قم يدعوك والمراد قم فانه يدعوك ﴿قوله والمراد بها المساجد﴾ اى لا مطلق البيوت لان المراد بالاذن الامر وفى البيوت ما لم يأمر الله تعالى بان يرفع سواء كان الرفع بمعنى البناء كما فى قوله تعالى واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت او بمعنى التعظيم

(ورفع)

(فى بيوت) متعلق بما قبله اى كمشكاة فى بعض بيوت او توقد فى بعض بيوت فيكون تقييدا للممثل به بما يكون تحبيرا ومبالغة فيه فان قناديل المساجد تكون اعظم او تمثيلا لصلاة المؤمنين او لابدانهم بالمساجد ولا ينافى جمع البيوت وحدة المشكاة اذ المراد بها ماله هذا الوصف بلا اعتبار وحدة ولا كثرة او بما بعده وهو يسبح وفيها تكرير مؤكد لا لذكر لانه من صلة ان فلا يعمل فيما قبله او بمحذوف مثل سبحوا فى بيوت والمراد بها المساجد لان الصفة تلائمها وقيل المساجد الثلاثة والتنكير للتعظيم (اذن الله ان ترفع) بالبناء او التعظيم (ويذكر فيها اسمه) عام فيما يتضمن ذكره حتى المذاكرة فى افعاله والمباحثة فى احكامه (يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال) ينزهونه اى يصلون له فيها بالغدوات والعشايا والغدو مصدر اطلق للوقت ولذلك حسن اقترانه بالآصال وهو جمع اصيل وقرئ والايصال وهو الدخول فى الاصيل

وقرأ ابن عامر وعاصم يسبح بالفتح على اسناده الى احد الظروف الثلاثة ورفع رجال بما دل عليه وقرئ بالتاء مكسورة تسبح وتسبح على
الى اوقات الغدوّ (لاتلهيهم تجارة) لاتشغلهم معاملة رابحة (ولابيع عن ذكر الله) مبالغة بالتعميم بعد التخصيص ان اريد به مطلق المعاوضة او بافراد ما هو
الاهم من قسمى التجارة فان الربح يتحقق بالبيع ويتوقع بالشرى وقيل المراد بالتجارة الشرى فانه اصلها ومبدأها وقيل الجلب لانه الغالب فيها ومنه يقال تجر
فى كذا اذا جلبه وفيه ايماء بانهم تجار (واقام الصلاة) عوّض فيه الاضافة عن التاء المعوّضة عن العين الساقطة بالاعلال كقوله
* واخلفوك عد الامر الذى وعدوا *
(وايتاء الزكاة) ما يجب اخراجه من المال للمستحقين (يخافون يوما) مع ما هم عليه من الذكر والطاعة (تتقلب فيه القلوب والابصار) تضطرب وتتغير من الهول او تتقلب احوالها فتفقه القلوب ما لم تكن تفقه وتبصر الابصار ما لم تكن تبصر او تتقلب القلوب من توقع النجاة وخوف الهلاك والابصار من اى ناحية يؤخذ بهم ويؤتى كتابهم (ليجزيهم الله) متعلق بيسبح او لاتلهيهم او يخافون (احسن ما عملوا) احسن جزاء ما عملوا الموعود لهم من الجنة (ويزيدهم من فضله) اشياء لم يعدهم على اعمالهم ولم يخطر ببالهم (والله يرزق من يشاء بغير حساب) تقرير للزيادة وتنبيه على كمال القدرة ونفاذ المشيئة وسعة الاحسان (والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة) والذين كفروا حالهم على ضد ذلك فان اعمالهم التى يحسبونها صالحة نافعة عند الله يجدونها لاغية مخيبة فى العاقبة كالسراب وهو ما يرى فى الفلاة من لمعان الشمس عليها وقت الظهيرة فيظن انه ماء يسرب اى يجرى والقيعة بمعنى القاع وهو الارض المستوية وقيل جمعه كجار وجيرة وقرئ بقيعات كديمات فى ديمة (يحسبه الظمآن ماء) اى العطشان وتخصيصه لتشبيه الكافر به فى شدة الخيبة عند مسيس الحاجة (حتى اذا جاءه) جاء ما توهمه ماء او موضعه (لم يجده شيأ) مما ظنه (ووجد الله عنده) عقابه او زبانيته او وجده محاسبا اياه (فوفاه حسابه) استعراضا او مجازاة (والله سريع الحساب) لايشغله حساب عن حساب روى انها نزلت فى عتبة بن ربيعة بن امية تعبد فى الجاهلية والتمس الدين فلما جاء الاسلام كفر (او كظلمات) عطف على كسراب واو للتخيير فان اعمالهم لكونها لاغية لامنفعة لها كالسراب ولكونها خالية عن نور الحق كالظلمات المتراكمة من لج البحر والامواج والسحاب او للتنويع فان اعمالهم ان كانت حسنة فكالسراب وان كانت
قبيحة فكالظلمات او للتقسيم باعتبار وقتين فانها كالظلمات فى الدنيا والسراب فى الآخرة (فى بحر لجى) ذى لج اى عميق منسوب الى اللج وهو معظم الماء
(يغشاه) يغشى البحر (موج من فوقه موج) اى امواج مترادفة متراكمة (من فوقه) من فوق الموج الثانى (سحاب) غطى النجوم وحجب انوارها والجملة
صفة اخرى للبحر (ظلمات) اى هذه ظلمات (بعضها فوق بعض) وقرأ ابن كثير ظلمات بالجر على ابدالها من الاولى وباضافة السحاب اليها فى رواية البزى
(اذا اخرج يده) وهى اقرب ما يرى اليه (لم يكد يراها) لم يقرب ان يراها فضلا ان يراها كقوله * اذا غير النأى المحبين لم يكد * رسيس الهوى من حب مية يبرح *

ورفع القدر وايضا فيها ما لم يأمر الله تعالى بان يذكر فيه اسمه فهذه الاوصاف انما تليق بالمساجد اى مسجد كان وتخصيصها بالمساجد الثلاثة المسجد الحرام الذى بناه ابراهيم واسمعيل عليهما الصلاة والسلام ومسجد بيت المقدس الذى بناه داود وسليمان عليهما الصلاة والسلام ومسجد المدينة الذى بناه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتناول المسجد الذى فيه الروضة المنورة ومسجد قبا الذى اسس على التقوى تخصيص بلا دليل والغدوّ مصدر يقال غدا يغدو غدوّا اذا دخل فى وقت الغدوّ وهو ما بين صلاة الغداة وطلوع الشمس والمصدر لايقع فيه الفعل فلابد من تقدير الزمان معه ليقع الفعل فيه فقوله تعالى يسبح له فيها بالغدوّ من قبيل آتيك طلوع الشمس اى وقت طلوعها من حيث انه عبر عن الوقت بالمصدر واما الآصال فانه اسم للوقت لانه جمع اصيل وهو الوقت بعد العصر الى المغرب كشريف واشراف ويجمع الاصيل ايضا على اصل واصائل ﴿ قوله وقرأ ابن عامر وعاصم ﴾ اى برواية ابى بكر فانه يقرأ على رواية حفص عنه يسبح بفتح الباء كباقى السبعة فيكون الفعل مسندا الى احد الظروف الثلاثة اعنى له فيها بالغدوّ ويكون رجال مرفوعا بفعل مضمر يدل عليه يسبح الظاهر لانه لما قيل يسبح له فيها فكأنه قيل من يسبحه فقيل رجال اى يسبحه رجال كما فى قوله * ليبك يزيد ضارع لخصومة * كأنه قيل من يبكيه فقيل يبكيه ضارع وقرئ تسبح بالتاء وكسر الباء لان رجال يعامل معاملة المؤنث فى بعض الاحكام وهذا منها وقرئ بالتاء وفتح الباء على اسناد الفعل الى الاوقات المذكورة بعده وكون الباء زائدة والاصل تسبح الغدوّ والآصال بمعنى تسبح الاوقات التى يعبر عنها بالغدوّ والآصال جعل الاوقات مسبحة على طريق صام نهاره والمراد يسبح رب هذه الاوقات فيها ﴿ قوله وفيه ايماء بانهم تجار ﴾ الا انهم مع ذلك لايشغلهم عن ذكر الله تعالى شئ من ضروب المعاملات وقيل ان الآية نزلت فى الذين لايشتغلون بالتجارة والبيع بل كانوا فرّغوا انفسهم لذكر الله تعالى وطاعته كاصحاب الصفة واشار المصنف رحمه الله تعالى عليه الى ضعف هذا القول بقوله وفيه ايماء اذ ما ذكره هذا القائل لايتبادر اليه الاذهان قال الحسن رضى الله تعالى عنه اما والله انهم كانوا ليتجرون ولكن اذا جاءت فرائض الله لم يلههم عنها شئ فقاموا بالصلاة والزكاة ﴿ قوله واقام الصلاة ﴾ اى باتمامها برعاية جميع ما اعتبره الشرع فيها من الاركان والشرائط والسنن والآداب فمن تساهل فى شئ منها لايكون مقيما لها واصله اقوام قلبت الواو ألفا فاجتمع ألفان فحذفت احداهما لالتقاء الساكنين فبقى اقام ثم ادخلت الهاء عوضا عن الالف المحذوفة فقيل اقامة ثم حذفت تلك الهاء حال الاضافة وجعلت الاضافة قائمة مقام الهاء المحذوفة فى كونها عوضا قيل المراد بذكر الله تعالى الثناء على الله تعالى والدعوات والظاهر ان المراد به جميع ما يتضمن ذكره تعالى وتخصيص اقامة الصلاة وايتاء الزكاة بالذكر بعد التعميم تعظيم لشأنهما لكونهما أهم اقسام ذكره تعالى وقوله تعالى يخافون يوما يجوز ان يكون نعتا ثانيا لرجال وان يكون حالا من مفعول لاتلهيهم ويوما مفعول به لاظرف على الاظهر وتتقلب صفة ليوما ﴿ قوله وتخصيصه ﴾ يعنى تخصيص الظمآن بالذكر مع ان جميع من ينظر اليه سواء كان ظمآن ام لا يظنه ماء جاريا لان من ليس بظمآن اذا جاءه ولم يجده ماء لم يحصل له خيبة عما احتاج اليه بخلاف العطشان فانه يصير خائبا عما اشتد احتياجه اليه فكذلك الكافر فانه ان كان ما اتى به من اعمال البر فى الدنيا كصلة الرحم واقراء الضيف واعتاق الرقاب واراقة الدماء ونحو ذلك مما يعتقدان له ثوابا عليه فهو لايستحق عليه ثوابا وان كان من افعال الاثم فهو يستحق عليه عقابا مع انه يعتقد انه يستحق عليه ثوابا فحيثما كان تعتقدان له ثوابا عند الله تعالى فاذا اتى عرصة القيامة ولم يجد الثواب الذى يحتاج اليه بل وجد العقاب العظيم عظمت حسرته وتناهى غمه فتشبه حاله حال الظمآن الذى تشتد حاجته الى الماء فاذا شاهد السراب من بعيد يتعلق قلبه به ويرجو النجاة مما هو فيه ويقوى طمعه فاذا جاءه ولم يجد شيأ مما حسبه وهو الماء فحينئذ يعظم عليه ذلك فيزداد خيبة وحسرة وهذا المثال فى غاية الحسن ﴿ قوله لم يجده شيأ مما ظنه ﴾ اشارة الى جواب ما يقال من ان قوله حتى اذا جاءه يدل على كونه شيأ وقوله لم يجده شيأ ينفى ما اثبته وهو تناقض ﴿ قوله استعراضا ﴾ اى يوفيه الله تعالى حسابه بان يقول له اعرض علىّ ما عملته وما ادخرته ليومك هذا من قولهم استعرضت فلانا اذا قلت له اعرض علىّ ما عندك وقوله او مجازاة على عمله بان يوفيه الله تعالى جزاءه المستحق بعمله فاحسبه خيرا يعود عليه شرا وما طمع فيه ثوابا اعقبه الله عقابا لانه تعالى ابطله بكفره ﴿ قوله رسيس الهوى ﴾ فعيل بمعنى فاعل من رس الحب فى الفؤاد اذا ثبت فالرسيس الشئ الثابت

والضمائر للواقع فى البحر وان لم يجر ذكره لدلالة المعنى عليه (ومن لم يجعل الله له نورا) ومن لم يقدر له الهداية ولم يوفقه لاسبابها

(فماله من نور) بخلاف الموفق الذى له نور على نور (ألم تر) ألم تعلم علما يشبه المشاهدة فى اليقين والوثاقة بالوحى او الاستدلال (أن الله يسبح له من فى السموات والارض) ينزه ذاته عن كل نقص وآفة اهل السموات والارض ومن للتغليب العقلاء او الملائكة والثقلان بما يدل عليه من مقال او دلالة حال (والطير) على الاول تخصيص لما فيها من الصنع الظاهر والدليل الباهر ولذلك قيدها بقوله (صافات) فان اعطاء الاجرام الثقيلة ما به تقوى على الوقوف فى الجو صافة باسطة اجنحتها بما فيها من القبض والبسط حجة قاطعة على كمال قدرة الصانع ولطف تدبيره (كل) كل واحد مما ذكر اومن الطير (قد علم صلاته وتسبيحه) اى قد علم الله دعاءه وتنزيهه اختيارا اوطبعا لقوله تعالى (والله عليم بما يفعلون) اوعلم كل على تشبيه حاله فى الدلالة على الحق والميل الى النفع على وجه يخصه بحال من علم ذلك مع انه لايبعد ان يلهم الله الطير دعاء وتسبيحا كما ألهمها علوما دقيقة فى اسباب تعيشها لايكاد يهتدى اليها العقلاء (ولله ملك السموات والارض) فانه الخالق لهما ولما فيهما من الذوات والصفات والافعال من حيث انها ممكنة واجبة الانتهاء الى الواجب (والى الله المصير) واليه مرجع الجميع (ألم تر ان الله يزجى سحابا) يسوق ومنه البضاعة المزجاة فانها يزجيها كل احد (ثم يؤلف بينه) بان يكون قزعا فيضم بعضه الى بعض وبهذا الاعتبار صح بينه اذ المعنى بين اجزآئه وقرأ نافع برواية ورش يولف غير مهموز (ثم يجعله ركاما) متراكما بعضه فوق بعض (فترى الودق) المطر (يخرج من خلاله) من فتوقه جمع خلل كجبال فى جبل وقرئ من خلله (وينزل من السماء) من الغمام وكل ماعلاك فهو سماء (من جبال فيها) من قطع عظام تشبه الجبال فى عظمها اوجمودها (من برد) بيان للجبال والمفعول محذوف اى ينزل مبتدئا من السماء من جبال فيها من برد بردا ويجوز ان تكون من الثانية او الثالثة للتبعيض واقعة موقع المفعول (بدل)

الذى لاينفك عما لقيه وبالجملة مايصدر من الكافر من العقائد والاقوال والاعمال لكونها خالية عن نور هداية الله تعالى وتوفيقه وعن نور دلائل الحق وبراهينه العقلية والنقلية وعن تقليد اهل الحق كانت تلك العقائد والاعمال والاقوال كلها كالظلمات المتراكمة فان الكافر لايهتدى بقلبه ولا بسمعه ولا ببصره الى ماهو الحق المقبول عند الله تعالى فلايدرى الحق ولايدرى انه لايدرى ويعتقد انه يدرى فيشتد اصراره على ماهو عليه من الكفر وانواع الضلالات والجهالات فيكون كالواقع فى قعر البحر ذى اللجة اى التى هى معظم الماء الغمر البعيد القعر الذى يغشاه اى يعلو ذلك البحر اللجى موج من فوق ذلك الموج موج آخر من فوق الموج الاعلى سحاب فمن كان فى هذه الظلمات يكون حاله خلاف من احاط به نور توفيق الله تعالى وهدايته ونور الدلائل العقلية والنقلية من الكتاب والسنة والاتباع لسيرة العلماء والصالحين فكانوا فى نور على نور ﴿قوله الم تعلم﴾ يعنى ان المراد بالرؤية رؤية القلب لان تسبيح المسبحين لايتعلق به رؤية البصر والكلام وان كان على صورة الاستفهام الا ان المراد التقرير اى قد علمت وتيقنت بالوحى والاستدلال وعبر عن الرؤية بالعلم للدلالة على ان المقصود تقرير العلم النازل منزلة المشاهدة والعيان فى الوثاقة والايقان وحمل من فى السموات والارض على اهلهما مطلقا من العقلاء وغيرهم باعتبار التغليب ومن المعلوم ان اهلهما مطلقا لاينطقون بالتسبيح ولايتكلمون به بل المراد بتسبيحهم الدلالة على كونه تعالى منزها عن النقائص بلسان المقال او الحال وقوله او الملائكة عطف على اهل السموات وقوله بمايدل متعلق بينزه ذاته وتخصيص الطير بالذكر على ان تكون كلمة من تعم العقلاء وغيرهم لكونه اظهر دلالة على تنزيه الصانع وعلى كمال قدرته ﴿قوله اى قد علم الله﴾ على ان يكون علم مسندا الى ضمير اسم الله تعالى ويكون ضميرا صلاته وتسبيحه راجعين الى كل ويكون المعنى كل جنس من المذكورين قد علم الله صلاته اى دعاءه وتسبيحه له فيما يحتاج اليه اى يعلم صلاته كيف يصلى وتسبيحه كيف يسبح ويؤيد هذا المعنى اسناد العلم اليه تعالى فى قوله والله عليم بما يفعلون اى بما يفعل الحيوان اختيارا والجماد طبعا من الصلاة والتسبيح وغيرهما ﴿قوله او علم كل﴾ على ان يكون الضمائر كلها راجعة الى كل والمعنى كل قد علم صلاة نفسه وتسبيحها على معنى انهم يعلمون مايجب عليهم من الصلاة والتسبيح على ان يكون قوله علم استعارة تبعية بان شبه دلالة كل واحد من المذكورين على الحق بلسان الحال او المقال وميل كل واحد منهم الى النفع اختيارا اوطبعا بحال من يعلم التسبيح والصلاة فيطلق على كل واحد من تلك الدلالة والميل اسم العلم على سبيل الاستعارة واشتق منه لفظ علم وههنا احتمال ثالث لم يذكره المصنف رحمة الله تعالى عليه وهو عكس الاحتمال الاول بان يكون ضمير علم راجعا الى كل وضمير صلاته وتسبيحه راجعين اليه تعالى والمعنى كل من هذه الاجناس قد علم صلاة الله وتسبيحه روى عن ابى ثابت رضى الله تعالى عنه انه قال كنت جالسا عند ابى جعفر الباقر فقال رضى الله عنه أتدرى ماذا تقول هذه العصافير عند طلوع الشمس وبعد طلوعها قلت لاقال فانهن يقدسن ربهن ويسألنه قوت يومهن واستبعد المتكلمون ذلك فقالوا الطير لوكانت عارفة بالله لكانت كالعقلاء الذين يفقهون ويعلمون ويفهمون وشاركتنا لكنها ليست كذلك فانا نعلم بالضرورة انها اشد نقصانا من الصبى الذى لايعرف هذه الامور فبأن يمتنع ذلك منها اولى واذا ثبت انها لاتعرف الله تعالى استحال كونها مسبحة له بالنطق فثبت انها لاتسبح الله تعالى الا بلسان الحال وقال بعض اهل العلم رحمة الله تعالى عليهم انا نشاهد ان الله سبحانه وتعالى ألهم الطيور وسائر الحشرات اعمالا لطيفة يعجز عنها اكثر العقلاء واذا كان الامر كذلك فلم لايجوز ان يلهمها معرفته ودعاءه وتسبيحه وان كانت غير عارفة لسائر الامور التى يعرفها الناس فالمصنف رحمة الله تعالى عليه اختار ماذهب اليه المتكلمون ثم اشار الى قول هذا البعض بقوله مع انه لايبعد ان يلهم الله تعالى الطير الخ ﴿قوله فانه الخالق لهما الخ مع قوله واليه مرجع الجميع﴾ اشارة الى ان هذه الآية الكريمة مع وجازة نظمها تدل على انه تعالى مبدئ جميع الكائنات ومعيدها وكفى بهذه معرفة وموعظة ﴿قوله بان يكون قزعا﴾ وهو بفتحتين جمع قزعة وهى قطعة من السحاب رقيقة والمقصود الاشارة الى دفع مايقال من ان لفظ بين لايقع الا مضافا الى متعدد وههنا قد اضيف الى ضمير سحاب وهو شئ واحد * وحاصل الجواب ان لفظ السحاب اسم جنس يصح اطلاقه على سحابة واحدة وعلى مافوقها والمراد هنا قطع السحاب بقرينة اضافة بين الى ضميره والركم جمعك شيأ فوق شئ حتى تجعله مركوما مجتمعا ﴿قوله اى ينزل مبتدئا من السماء من جبال فيها من برد﴾ على ان تكون من الاولى لابتدآء الغاية وهى كذلك بالاتفاق وكذلك الثانية بناء على انها مع مجرورها بدل من الاولى

بدل اشتمال باعادة العامل ولاتستقيم البدلية الا بتوافقهما فى المعنى فلو قلت خرجت من مصر من محلة كذا لاتكون الاولى والثانية الالابتدآء الغاية وبين الجبال بقوله من برد اى ينزل جبال فى السماء هى برد وقدرت ينزل لان البدل فى حكم تكرار العامل فعلى هذا الوجه وجب ان يكون مفعول ينزل محذوفا وهو برد لان المنزل من الجبال وهى البرد برد وان جعلت الثانية للتبعيض والثالثة للبيان يكون من جبال مفعول ينزل والمعنى وينزل من السماء بعض الجبال التى هى البرد فالمنزل برد لان بعض البرد برد وان جعلت الاوليان للابتدآء والثالثة للتبعيض يكون المفعول من برد والتقدير وينزل بعض برد من السماء من جبال فيها اى قطع عظام كائنة فى السحاب تشبه الجبال فى عظمها وفى جمودها وصلابتها فان الجسم الشديد المتحجر يقال له جبل لتحجره وجموده ﴿قوله وقد يبرد الهوآء﴾ يعنى ان ماذكر من السحاب والمطر والثلج والبرد يتكون فى الاغلب من تكاثف البخار وقد يتكون من تكاثف الهوآء اما الاول فان البخار الصاعد ان كان قليلا وكان فى الهوآء من الحرارة مايحلل ذلك البخار فحينئذ يتحلل وينقلب هوآء وان كان البخار كثيرا ولم يكن فى الهوآء من الحرارة مايحلله فتلك الابخرة المتصاعدة اما ان تبلغ فى صعودها الى الطبقة الباردة من الهوآء او لاتبلغ فان بلغت فاما ان يكون البرد قويا اولا فان لم يكن البرد هناك قويا تكاثف ذلك البخار بذلك القدر من البرد واجتمع فالبخار المجتمع هو السحاب والمتقاطر هو المطر واما ان كان البرد هناك شديدا فلا يخلو اما ان يصل البرد الى الاجزآء البخارية قبل اجتماعها وانعقادها سحابا او بعد صيرورتها كذلك فان كان على الوجه الاول نزل ثلجا وان كان على الوجه الثانى نزل بردا وقد ينعقد السحاب بانقباض الهوآء وذلك عند مايبرد الهوآء بردا مفرطا ﴿قوله والضمير﴾ اى ضمير به للبرد اى يصيب الله بذلك البرد من يشاء من الناس فيضره فى زرعه وثمرته وماشيته ويصرفه عمن يشاء من الناس فلا يضره فى شئ منها ﴿قوله ضوء برقه﴾ يعنى ان السنا مقصورا بمعنى الضوء يقال سنا يسنو سنا اى اضاء يضيئ والمعنى يكاد ضوء برق السحاب يذهب بالابصار من شدة ضوئه والبرق الذى يكون صفته ذلك لابد ان يكون نارا عظيمة خالصة والنار ضد الهوآء والبرد فظهوره فى خلال السحاب يقتضى ظهور الضد من الضد وذلك لايمكن الابقدرة قادر حكيم ﴿قوله فيما تقدم ذكره﴾ اى من عجائب صنعه من قوله يزجى سحابا الى قوله تعالى يقلب الله الليل والنهار واعلم انه تعالى استدل على وحدانيته اولا بقوله تعالى ألم تر ان الله يسبح له من وثانيا بقوله الم تر ان الله يزجى سحابا فالاول استدلال باحوال اهل السماء والارض والثانى استدلال بالآثار العلوية ثم استدل ثالثا باحوال الحيوانات فقال والله خلق كل دابة من ماء واختار المصنف ان تكون كلمة من متعلقة بخلق وانها لابتدآء الغاية والمعنى خلق من ماء كل دابة فورد عليه ان كثيرا من الحيوانات لم يخلق من الماء سوآء فسر الماء بالجنس الذى هو احد العناصر الاربعة او بماء الذكر والانثى وهو النطفة كالملائكة فانهم خلقوا من نور والجن فانهم خلقوا من نار وكآدم فانه خلق من تراب وكعيسى فانه خلق من روح قال تعالى خلقته من تراب وقال فنفخنا فيها من روحنا واشار المصنف بقوله حيوان يدب على الارض الى ان الدابة ليست عبارة عن مطلق مايمشى ويتحرك بل هى اسم للحيوان الذى يدب على الارض ومسكنه هنالك فيخرج منها الملائكة والجن واشار الى دفع الانتقاض بآدم وعيسى بان المراد بالماء ماهو احد العناصر وبكونه مبدأ الخلقة كونه جزأ من مادة كل دابة فان اعضاء الحيوان لاتخلو عن رطوبة ما فالظاهر على هذا ان تنوين دابة للافراد وان يكون كل بمعنى الجميع وان يكون تنوين ماء للوحدة الجنسية او النوعية والمعنى خلق جميع افراد الدابة مع اختلاف اشكالها وطبائعها من شئ واحد وهو عنصر الماء او النطفة فلابد ان يكون اختصاص كل واحد منها بما يخصها مستندا الى صانع قادر على كل شئ ثم اشار بقوله وقيل من ماء متعلق بدابة اى متعلق بمحذوف على انه صفة لدابة الى جواب آخر لانه اذا كان المعنى ان كل دابة كائنة من ماء مخلوقة لله تعالى لايرد النقض بشئ مما ذكر ﴿قوله وانما سمى الزحف مشيا﴾ يعنى ان المشى هو قطع المسافة والمرور عليها مع قيد كون ذلك المرور على الارجل واطلق فى الآية على المرور مطلقا على سبيل الاستعارة حيث كان الاطلاق المذكور مبنيا على التشبيه ومثل هذا المجاز وهو ان تكون الكلمة موضوعة للحقيقة مع قيد فتستعمل تلك الحقيقة من غير اعتبار ذلك القيد يسميه صاحب المفتاح مجازا مرسلا ويشترط فى الاستعارة ان تكون مفيدة متضمنة للمبالغة فى التشبيه بان ينسى التشبيه ويدعى ان المشبه من عداد المشبه به كاستعمال لفظ الاسد فى الرجل الشجاع مثلا ولافائدة فى مثل هذا المجاز لكون كل واحد من اللفظين بمنزلة المرادف للآخر عند المصير

وقيل المراد بالسماء المظلة وفيها جبال من برد كما فى الارض جبال من حجر وليس فى العقل قاطع يمنعه والمشهور ان الابخرة اذا تصاعدت ولم تحللها حرارة فبلغت الطبقة الباردة من الهوآء وقوى البرد هناك اجتمع وصار سحابا فان لم يشتد البرد تقاطر مطرا وان اشتد فان وصل الى الاجزآء البخارية قبل اجتماعها نزل ثلجا والا نزل بردا وقد يبرد الهوآء بردا مفرطا فينقبض وينعقد سحابا وينزل منه المطر او الثلج وكل ذلك لابد وان يستند الى ارادة الواجب الحكيم لقيام الدليل على انها الموجبة لاختصاص الحوادث بمحالها واوقاتها واليه اشار بقوله (فيصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء) والضمير للبرد (يكاد سنا برقه) ضوء برقه وقرئ بالمد بمعنى العلو وبادغام الدال فى السين وبرقه بفتح الرآء وهو جمع برقة وهى المقدار من البرق كالغرفة وبضمها للاتباع (يذهب بالابصار) بأبصار الناظرين اليه من فرط الاضاءة وذلك اقوى دليل على كمال القدرة من حيث انه توليد الضد من الضد وقرئ يذهب على زيادة الباء (يقلب الله الليل والنهار) بالمعاقبة بينهما او بنقص احدهما وزيادة الآخر او بتغيير احوالهما بالحر والبرد والظلمة والنور او بما يعم ذلك (ان فى ذلك) فيما تقدم ذكره (لعبرة لاولى الابصار) لدلالة على وجود الصانع القديم وكمال قدرته واحاطة علمه ونفاذ مشيئته وتنزهه عن الحاجة وما يفضى اليها لمن يرجع الى بصيرة (والله خلق كل دابة) حيوان يدب على الارض وقرأ حمزة والكسائى خالق كل دابة بالاضافة (من ماء) هو جزء مادته او ماء مخصوص هو النطفة فيكون تنزيلا للغالب منزلة الكل اذ من الحيوانات مايتولد لا عن النطفة وقيل من ماء متعلق بدابة وليس صلة لخلق (فمنهم من يمشى على بطنه) كالحية وانما سمى الزحف مشيا

على الاستعارة او المشاكلة (ومنهم من يمشي على رجلين) كالانس والطير (ومنهم من يمشي على اربع) كالنعم والوحش

ويندرج فيه ماله اكثر من اربع كالعناكب فان اعتمادها اذا مشت على اربع وتذكير الضمير لتغليب العقلاء والتعبير بمن عن الاصناف ليوافق التفصيل الجملة والترتيب لتقديم ماهو اعرف في القدرة (يخلق الله مايشاء) مما ذكر ومما لم يذكر بسيطا ومركبا على اختلاف الصور في الاعضاء والهيئات والحركات والطبائع والقوى والافعال مع اتحاد العنصر بمقتضى مشيئته (ان الله على كل شئ قدير) فيفعل مايشاء (لقد انزلنا آيات مبينات) للحقائق بانواع الدلائل (والله يهدي من يشاء) بالتوفيق للنظر فيها والتدبر لمعانيها (الى صراط مستقيم) هو دين الاسلام الموصل الى درك الحق والفوز بالجنة (ويقولون آمنا بالله وبالرسول) نزلت في بشر المنافق خاصم يهوديا فدعاه الى كعب بن الاشرف وهو يدعوه الى النبي عليه الصلاة والسلام وقيل في مغيرة بن وآئل خاصم عليا رضي الله عنه في ارض فابى ان يحاكمه الى الرسول صلى الله عليه وسلم (واطعنا) اى واطعنا لهما (ثم يتولى) بالامتناع عن قبول حكمه (فريق منهم من بعد ذلك) بعد قولهم هذا (وما اولئك بالمؤمنين) اشارة الى القائلين بأسرهم فيكون اعلاما من الله بان جميعهم وان آمنوا بلسانهم لم تؤمن قلوبهم او الى الفريق المتولى منهم وسلب الايمان عنهم لتوليهم والتعريف فيه للدلالة على انهم ليسوا بالمؤمنين الذين عرفتهم وهم المخلصون في الايمان او الثابتون عليه (واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم) اى ليحكم النبي صلى الله عليه وسلم فانه الحاكم ظاهرا او المدعو اليه وذكر الله لتعظيمه والدلالة على ان حكمه في الحقيقة حكم الله (اذا فريق منهم معرضون) فاجأ فريق منهم الاعراض اذا كان الحق عليهم لعلمهم بانك لا تحكم لهم وهو شرح للتولى ومبالغة فيه (وان يكن لهم الحق) اى الحكم لا عليهم (يأتوا اليه مذعنين) منقادين لعلمهم بانه يحكم لهم والى صلة ليأتوا او لمذعنين وتقدم للاختصاص (أفي قلوبهم مرض) كفر او ميل الى الظلم (ام ارتابوا) بان رأوا منك تهمة فزالت ثقتهم ويقينهم بك (ام يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله) في الحكومة

الى المراد من اللفظ فان المشي والزحف على البطن كالمترادفين وكذا نحو المرسن والانف فان المرسن موضوع لمعنى الانف مع قيد ان يكون عليه الرسن الا ان المصنف وصاحب الكشاف جعلاه من قبيل الاستعارة لابتنائه على التشبيه ﴿قوله الاستعارة او المشاكلة﴾ والنسخة المشهورة على الاستعارة للمشاكلة يجعل قصد المشاكلة علة لايثار قصد طريق الاستعارة وجعلها علة مستقلة لها صحيح ايضا كما وقع في الكشاف ﴿قوله وتذكير الضمير﴾ مع ان ظاهر النظم يقتضي تأنيثه لكونه راجعا الى قوله دابة من حيث ان اسم الدابة يقع على العقلاء وغيرهم فغلب العقلاء على غيرهم ولما عبر من جملة الدواب بلفظ العقلاء وهو ضمير منهم ناسب ان يعبر عن الاصناف المندرجة تحتها ايضا بذلك ليوافق التفصيل الجملة فلذلك عبر عن تلك الاصناف بكلمة من التي حقها ان تطلق على العقلاء ﴿قوله والترتيب﴾ اى حيث قدم الزاحف على الماشي على رجلين وهو على الماشي على اربع والاستدلال بها وباختلاف صورها وطبائعها وقواها على وجود الصانع وصفات كماله من حيث ان الآية الكريمة مسوقة لبيان قدرة الله تعالى ومشي من يمشي بغير آلة المشي اثبت لها ثم مشي من يمشي على رجلين اثبت لها بالنسبة الى مشي من يمشي على اربع اذا اختصاص كل واحد من هذه الحيوانات بأشكالها واعضائها وطبائعها ومقادير ابدانها واعمارها لابد وان يكون بتدبير مدبر قاهر قادر على كل مايشاء ﴿قوله نزلت في بشر المنافق﴾ عن ابن عباس ان منافقا خاصم يهوديا فدعاه اليهودي الى النبي صلى الله عليه وسلم ودعاه المنافق الى كعب بن الاشرف وهو منافق يقول ان محمدا يحيف علينا ثم انهما احتكما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحكم لليهودي ولم يرض المنافق وقال نتحاكم الى عمر فقال اليهودي لعمر قضى لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرض بقضائه وخاصمني اليك فقال للمنافق أكذلك فقال نعم فقال عمر مكانكما حتى اخرج اليكما فدخل واخذ سيفه فضرب به عنق المنافق حتى برد وقال هكذا اقضي لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله فنزلت وقال جبريل عليه الصلاة والسلام ان عمر فرق بين الحق والباطل فسمي الفاروق وقد مضت قصتهما في سورة النساء وقال الضحاك نزلت في المغيرة بن وآئل كان بينه وبين علي بن ابي طالب ارض فتقاسماها فوقع الى علي مالا يصيبه الماء الا بمشقة فقال المغيرة بعني ارضك فباعها فتقابضا فقيل للمغيرة اخذت ارضا لا ينالها الماء فقال لعلي اقبض ارضك فانما اشتريتها ان رضيتها فلا ينالها الماء فقال علي بل اشتريتها ورضيتها وقبضتها وقد عرفت حالها لا اقبلها منك ودعاه الى ان يخاصمه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال المغيرة اما محمد فلست آتيه ولا احاكم اليه فانه يبغضني وانا اخاف ان يحيف علي فنزلت والحيف الجور والظلم ووجه ارتباط الآية بما قبلها انه تعالى ذكر دلائل الوحدانية والالوهية اولا وجعل ذكرها توطئة لذم قوم اعترفوا بالدين بألسنتهم ولكنهم لم يقبلوه بقلوبهم كما روي عن الحسن البصري انه قال نزلت في المنافقين الذين كانوا يظهرون الايمان ويسرون الكفر ﴿قوله ثم يتولى بالامتناع عن قبول حكمه﴾ اى يتولى بذلك عن قوله واطعنا ﴿قوله وسلب الايمان عنهم لتوليهم﴾ الذي هو من امارات التكذيب فعلى هذا يكون المراد بالقائلين جميع من ادعى الايمان مخلصا كان او منافقا والايمان انما سلب عمن تولى منهم ﴿قوله او الثابتون عليه﴾ مبني على ان تكون الاشارة الى الفريق المتولى منهم على طريق اللف والنشر المرتب والحاصل ان الضمير في قوله تعالى ويقولون يجوز ان يكون لقوم منافقين ويكون المراد بالتولى التولى عن الطاعة بعد التزامها بقولهم واطعنا وكلمة ثم يجوز ان تكون للتراخي الزماني وان تكون استبعادا للتولى عن قولهم آمنا واطعنا فعلى هذا يكون قوله وما اولئك بالمؤمنين اشارة الى القائلين جميعا ويجوز ان يكون الضمير المذكور لقوم مؤمنين ومعنى يتولى ان بعضهم لا يثبتون على الايمان وبعضهم يثبتون عليه فتكون الاشارة الى الفريق المتولى ﴿قوله اى ليحكم النبي عليه الصلاة والسلام فانه الحاكم ظاهرا﴾ جواب عما يقال كيف افرد ضمير ليحكم بعد قوله تعالى واذا دعوا الى الله ورسوله اى الى كتاب الله تعالى وحكم رسوله لانه من المعلوم البين انهم لا يدعون الى نفس ذاته تعالى وكان الظاهر ان يقال ليحكما بينهم * وتقرير الجواب ان الداعي يعلم ان الحاكم حقيقة هو الله تعالى وكتابه لكن ذلك الحكم انما يظهر ويتبين بحكم الرسول صلى الله عليه وسلم فكان الحاكم المدعو اليه بحسب الظاهر هو الرسول وكان ذكر الله لتعظيمه عليه الصلاة والسلام بالاشعار بمكانته عند الله فان حكمه في الحقيقة حكم الله تعالى ﴿قوله تعالى أفي قلوبهم مرض﴾ استفهام تقرير للذم والتوبيخ كما في قوله

ألست من القوم الذين تعاهدوا ❁ على اللؤم والفحشاء في سالف الدهر

ويقع فى مقام المدح والثناء ايضا كما فى قوله

❁ ألستم خير من ركب المطايا ❁ وأندى العالمين بطون راح ❁

وكلمة ام فى قوله تعالى ام ارتابوا ام يخافون منقطعة مقدرة ببل والهمزة اى بل ارتابوا بل يخافون بين الله تعالى سبب اعراضهم وامتناعهم عن المحاكمة الى الرسول على سبيل الاستفهام التقريرى فقال ان ذلك لكفرهم اولميلهم الى ظلم من له الحق عليهم ثم اضرب عن ذلك قائلا ان السبب فيه أهو اطلاعهم على ماريبهم فى عدله وامانته ثم اضرب عنه الى انه هل هو مجرد خوفهم من ظلمه عليهم من غير ان يطلعوا على ماريبهم ثم اضرب عن الاحتمالين الاخيرين بابطالهما ليتعين الاحتمال الاول للسببية ويحتمل ان تكون كلمة ام متصلة مؤدية لمساواة الاحتمالات المذكورة فى كونها سببا للاعراض عن المحاكمة اليه عليه الصلاة والسلام ويكون الاضراب الاخير ابطالا للاحتمالين الاخيرين ﴿قوله وظلمهم بخلل عقيدتهم﴾ لقوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم والمشرك ظالم لنفسه مبين ثم انه تعالى لما بين احوال المنافقين وعدم موافقة افعالهم لاقوالهم بين ان الواجب على الذين يقولون آمنا بالله وبالرسول واطعنا حين دعوا الى كتاب الله تعالى وحكم رسوله ان يقولوا سمعنا واطعنا اى سمعنا الدعاء واطعنا بالاجابة والقبول والجمهور على نصب قول المؤمنين على انه خبر كان والاسم ان المصدرية مع مافى حيزها وقرئ قول بالرفع على انه اسم كان وخبره ان يقولوا والنصب اقوى لانه متى اجتمع معرفتان فالاولى ان يجعل الاعرف منهما الاسم والآخر خبره وقوله ان يقولوا سمعنا اعرف من قول المؤمنين وذلك لان الفعل المصدر بأن المصدرية فى تأويل المصدر المضاف الى الفاعل فاذا كان فاعله معرفة كما فى هذا المقام كان فى معنى المصدر المضاف الى المعرفة فيكون معرفة ولا يمكن تنكيره لان عزل الفعل عن فاعله غير متصور بخلاف قول المؤمنين لانه اذا لم يضف وقيل قول للمؤمنين عاد نكرة ولان ان بصلتها تشبه المضمر من حيث انه لا يجوز وصفها كما لا يجوز وصف المضمر والمضمر من قول المؤمنين الا ان سيبويه لم يفرق هذه التفرقة بل جوز ان يكون كل واحد من المعرفتين اسما والاخر خبرا وان كان الثانى اوغل فى التعريف من الاول ﴿قوله واسناده الى ضمير مصدره﴾ اى ليحكم الحكم بينهم لان ليحكم دال على مصدره فيكون مذكورا معنى فيصح عود الضمير اليه ومثله لقد تقطع بينكم فيمن قرأ بينكم منصوبا اى لقد وقع التقطع بينكم ﴿قوله وقالون عن نافع بلا ياء﴾ يعنى انه قرئ يتقه بكسر القاف والهاء من غير ياء الوصل بعد الهاء وقرأ العامة بياء ملفوظة بعد الهاء وهو الاصل فيما اذا تحرك الحرف قبل الهاء وماروى عن نافع مبنى على ان الياء المحذوفة قبل الهاء مقدرة منوية فلم تعتبر الحركة التى قبل الهاء فحركت الهاء من غير صلة قال مكى يجب على من اسكن القاف ان يضم الهاء لان هاء الكناية اذا سكن ماقبلها ولم يكن الساكن ياء تضم نحو منه وعنه ولكن لما كان سكون القاف عارضا لم يعتد به وأبقى الهاء على كسرتها التى كانت عليها قبل سكون القاف ﴿قوله وابو عمرو وابو بكر بسكون الهاء﴾ اى مع كسر القاف وقرأ حفص يتقه ساكنة القاف فان العين تسكن اذا كانت من كلمة واحدة نحو كبد وكتف فى كبد وكتف ثم اجرى ماشبه ذلك من المنفصل مجرى المتصل بناء على ان تقه من قولنا يتقه بمنزلة كبد وكتف فسكن وسطه كما سكن وسطهما ومنه قوله * قالت سليمى اشترلنا سويقا * بسكون الراء ﴿قوله واقسموا بالله جهد ايمانهم انكار للامتناع عن حكمه﴾ عن مقاتل وغيره قالوا لما بين الله اعراض المنافقين وامتناعهم عن قبول حكمه عليه الصلاة والسلام اتوه فقالوا والله لو امرتنا ان نخرج من ديارنا واموالنا ونسائنا لخرجنا وان امرتنا بالجهاد لجاهدنا فأنزل الله تعالى قوله واقسموا بالله جهد ايمانهم فجهد ايمانهم منصوب على انه مصدر فعله المحذوف والاصل واقسموا بالله يجهدون ايمانهم جهدا اى يبالغون فى اليمين ويبلغون غاية شدتها ووكادتها من قولهم جهد فلان نفسه اذا بلغ اقصى وسعها وطاقتها وفى المغرب جهده اى حمله فوق طاقته من باب منع ولما لم يكن لليمين وسع وطاقة حتى يبلغ المنافقون اقصى وسع اليمين ويبلغون غاية شدتها ووكادتها وطاقتها كان قوله يجهدون اليمين استعارة شبه مبالغتهم فى اليمين بجهد النفس وتكليفها المشقة وذكر جهد اليمين واريد المبالغة فيها ثم قيل يجهدون ايمانهم جهدا ثم حذف الفعل وقدم المصدر على المفعول واضيف اليه فوضع المصدر المضاف موضع فعله فصار جهد ايمانهم ولما كان الفعل المحذوف مع مافى حيزه فى موضع النصب على انه حال من فاعل اقسموا كان المصدر الواقع موقعه فى حكم الحال كانه قيل واقسموا بالله مبالغين فى تأكيد حلفهم جاهدين ايمانهم ﴿قوله جواب لأقسموا

(بل اولئك هم الظالمون) اضراب عن القسمين الاخيرين لتحقيق القسم الاول ووجه التقسيم ان امتناعهم اما لخلل فيهم اوفى الحاكم والثانى اما ان يكون محققا عندهم اومتوقعا وكلاهما باطل لان منصب نبوته وفرط امانته يمنعه فتعين الاول وظلمهم يعم خلل عقيدتهم وميل نفوسهم الى الحيف والفصل لنفى ذلك عن غيرهم سيما المدعو الى حكمه (انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا واطعنا واولئك هم المفلحون) على عادته تعالى فى اتباع ذكر المحق المبطل والتنبيه على ماينبغى بعد انكاره لما لا ينبغى وقرئ قول بالرفع وليحكم على البناء للمفعول واسناده الى ضمير مصدره على معنى ليفعل الحكم (ومن يطع الله ورسوله) فيما يأمرانه اوفى الفرآئض والسنن (ويخش الله) على ماصدر عنه من الذنوب (ويتقه) فيما بقى من عمره وقرأ يعقوب وقالون عن نافع بلا ياء وابو عمرو وابو بكر بسكون الهاء وحفص بسكون القاف فشبه تقه بكتف وخفف الهاء فى الوقف ساكنة بالاتفاق (فاولئك هم الفائزون) بالنعيم المقيم (واقسموا بالله جهد أيمانهم) انكار للامتناع عن حكمه (لئن امرتهم) بالخروج عن ديارهم واموالهم (ليخرجن) جواب لأقسموا على الحكاية (قل لا تقسموا) على الكذب (طاعة معروفة) اى المطلوب منكم طاعة معروفة لا اليمين والطاعة النفاقية المنكرة اوطاعة معروفة أمثل منها اوليكن طاعة وقرئت بالنصب على اطيعوا طاعة (ان الله خبير بما تعملون) فلا يخفى عليه سرائركم

(قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) امر بتبليغ ماخاطبهم الله به على الحكاية مبالغة فى تبكيتهم (فان تولوا فانما عليه) اى على محمد صلى الله عليه وسلم (ماحمل) من التبليغ (وعليكم ماحملتم) من الامتثال (وان تطيعوه) فى حكمه (تهتدوا) الى الحق (وما على الرسول الا البلاغ المبين) التبليغ الموضح لما كلفتم به وقد ادّى وانما بقى ماحملتم فان اديتم فلكم وان توليتم فعليكم (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات) خطاب للرسول والامة اوله ولمن معه ومن للبيان (ليستخلفنهم فى الارض) ليجعلنهم خلفا متصرّفين فى الارض تصرّف الملوك فى ممالكهم وهو جواب قسم مضمر تقديره وعدهم الله واقسم ليستخلفنهم او الوعد فى تحققه منزّل منزلة القسم (كما استخلف الذين من قبلهم) يعنى بنى اسرآئيل استخلفهم فى مصر والشام بعد الجبابرة وقرأ ابو بكر بضم التاء وكسر اللام واذا ابتدأ ضم الالف والباقون بفتحهما واذا ابتدأوا كسروا الالف (وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم) وهو الاسلام بالتقوية والتثبيت (وليبدلنهم من بعد خوفهم) من الاعدآء وقرأ ابن كثير وابو بكر بالتخفيف (أمنا) منهم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه مكثوا بمكة عشر سنين خائفين ثم هاجروا الى المدينة وكانوا يصبحون فى السلاح ويمسون فيه حتى أنجز الله وعده فأظهرهم على العرب كلهم وفتح لهم بلاد الشرق والغرب وفيه دليل على صحة النبوّة بالاخبار عن الغيب على ماهو به وخلافة الخلفاء الراشدين اذ لم يجتمع الموعود والموعود عليه لغيرهم بالاجماع وقيل الخوف من العذاب والامن منه فى الآخرة (يعبدوننى) حال من الذين لتقييد الوعد بالثبات على التوحيد او استئناف ببيان المقتضى للاستخلاف والامن (لا يشركون بى شيأ) حال من الواو اى يعبدوننى غير مشركين (ومن كفر) ومن ارتدّ اوكفر هذه النعمة (بعد ذلك) بعد الوعد او حصول الخلافة (فاولئك هم الفاسقون) الكاملون فى فسقهم حيث ارتدّوا بعد وضوح مثل هذه الآيات اوكفروا تلك النعمة العظيمة (واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واطيعوا الرسول) فى سائر ماامركم به ولا يبعد عطف ذلك على اطيعوا الله فان الفاصل وعد على المأمور به

لان الموطئة فى قولهم لئن امرتهم جعلت مايأتى بعد الشرط المذكور جوابا للقسم لا جزآء للشرط وكان جزآء الشرط مضمرا مدلولا عليه بجواب القسم فان جواب القسم وجواب الشرط لما كانا متماثلين اقتصر على جواب القسم واضمر جواب الشرط الا انه جواب على حكاية قول المنافقين حين اقسموا للرسول فانه تعالى لما حكى عنهم قسمهم بقوله واقسموا ذكر المقسم عليه ايضا على سبيل الحكاية فقال ليخرجنّ بطريق الغيبة فان نفس كلامهم معه عليه الصلاة والسلام هكذا والله انا لنقبل جميع احكامك ونطيعك فى جميع ماتأمرنا لئن امرتنا بالخروج لنخرجنّ معك فغير الكلام الى الغيبة عند الحكاية ﴿قوله امر بتبليغ ماخاطبهم الله به على الحكاية﴾ عنه تعالى لانه لو كان قوله اطيعوا الله الى آخر الآية من كلام الرسول خاطب به قومه لكان الظاهر ان يقول واطيعوا الله واطيعونى فان توليتم فانما علىّ ماحملت من تبليغ الرسالة وان تطيعونى تهتدوا وما علىّ الا البلاغ المبين فلما ذكر النبى عليه الصلاة والسلام فى جميع ذلك بلفظ الغيبة ظهر انه كلام الله تعالى وحكاية رسوله اياه وانه تعالى امر رسوله بان يبلغ هذا الخطاب اليهم غاية مافى الباب انه تعالى لم يقل اطيعونى بل عبر عن ذاته المقدّسة بلفظ الغيبة ايماء الى علة وجوب طاعته عليهم ﴿قوله مبالغة فى تبكيتهم﴾ علة لقوله خاطبهم الله به ووجه المبالغة فى التبكيت على تقدير ان يكون الله تعالى هو الذى خاطبهم بذلك ان توجه خطاب الله اليهم وورود عليهم ألزم للحكم وافحم للخصم بالنسبة الى ان يخاطبهم الرسول بذلك ويوجب عليهم طاعة الله تعالى وطاعة نفسه فان فى مخاطبته تعالى اياهم من دهشة المخاطب وعجزه عن التزام الجواب ماليس فى خطابه عليه السلام بذلك ﴿قوله خطاب للرسول والامّة﴾ سوآء كانت الامّة امّة دعوة او اجابة فتكون كلمة من فى قوله منكم للتبعيض فان الذين تحقق منهم الايمان وقت نزول الآية بعض من الامّة مطلقا واما اذا كان خطاب منكم له عليه الصلاة والسلام ولمن معه من المؤمنين فحينئذ يكون من للبيان لا للتبعيض لان الموعود لهم هم المخاطبون لا بعض منهم ﴿قوله بالتقوية والتثبيت﴾ متعلق بقوله وليمكنن يعنى ان المراد بتمكين الدين تقويته واظهاره على الاديان كلها لانه تعالى اذا أعز الاسلام ونصر المسلمين على اعدآء الدين واورثهم ارض الكفرة وديارهم وجعلهم خلفاء اهلها بالتسلط والاستيلاء لاجرم تصير المسلمون متمكنين فى الارض مستولين عليها فيعلو الاسلام على سائر الاديان ويتقوى وقرأ العامة كما استخلف على بناء الفاعل وقرأ ابو بكر وليبدّلنهم بفتح الباء وتشديد الدال وقرأ ابن كثير وابو بكر بسكون الباء وتخفيف الدال من ابدله صلاحا بعد غى بمعنى رزقه صلاحا بدل الغى ويقال ابدله الله من الخوف امنا قال ابو العالية فى هذه الآية مكث النبى صلى الله عليه وسلم بعد الوحى بمكة عشر سنين مع اصحابه وامروا بالصبر على اذى الكفار فكانوا يصبحون ويمسون خائفين ثم امروا بالهجرة الى المدينة وامروا بالقتال وهم على خوفهم لا يفارق احدمنهم سلاحه فقال رجل منهم امايأتى علينا يوم نأمن فيه ونضع السلاح فانزل الله تعالى هذه الآية ﴿قوله بالاخبار عن الغيب على ماهو به﴾ فان الاستخلاف الموعود لا شك انه غيب وقد وجد هذا الموعود على الوجه الموافق للخبر مثل هذا الخبر معجز والمعجز دليل صدق مدّعى النبوّة ثم انه تعالى وعد الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الحاضرين وقت نزول الآية بدليل صيغة الماضى فى قوله آمنوا وعملوا وخطاب المشافهة فى قوله منكم ان يستخلفهم استخلافا كاستخلاف بنى اسرآئيل فى مصر والشام بعد الجبابرة وهذا الموعود والموعود عليه الذى هو الايمان والعمل الصالح لم يجتمع لغير الخلفاء الراشدين بالاجماع فهم المستخلفون فى الارض باستخلاف الله اياهم واختيارهم على غيرهم * فان قلت كيف صح ان يقال المستخلفون هم الخلفاء فقط وسائر المؤمنين كانوا شركاءهم فى ذلك * قلت كانوا هم الاصول والملوك وكان سائر الناس اتباعا لهم فى ذلك فكانوا هم المستخلفين لا غير وقد حصل فى ايامهم الفتوحات العظيمة وحصل التمكين وظهر الدين والامن فدلت هذه الآية على صحة خلافتهم قال عليه السلام * الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم تكون ملكا * اذ كانت خلافة ابى بكر سنتين وخلافة عمر عشرا وخلافة عثمان اثنتى عشرة وخلافة على ست سنين ﴿قوله وقيل الخوف من العذاب﴾ عطف على قوله من بعد خوفهم من الاعدآء أمنا منهم ﴿قوله اوكفر هذه النعمة﴾ قال المفسرون اوّل من كفر بهذه النعمة وجحد حقها الذين قتلوا عثمان فلما قتلوه غير الله تعالى مابهم من الامن وأدخل عليهم الخوف الذى رفعه عنهم حتى صاروا يقتتلون بعد ان كانوا اخوانا متحابين ﴿قوله ولا يبعد عطف ذلك﴾ يعنى ان بعد مابين المتعاطفين بتخلل الفاصل المستطيل بينهما لا يمنع العطف لانه يبنى على تحقيق المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه والفاصل يؤكد المغايرة لان

(المجاورة)

المجاورة مظنة الاتصال والاتحاد بخلاف المضاف والمضاف اليه فان شدة اتصالهما مانعة من توسط الفاصل بينهما مع ان الفصل ههنا فائدة جليلة وهى الاشعار بان الجملة المتخللة وهى قوله تعالى وعدالله الذين آمنوا منكم الآية بما هو مهم بشأنه وانها متصلة بما يتعلق بالمعطوف عليه وهو قوله تعالى فان تولوا كأنه قيل فان توليتم من الطاعة فاضررتموهم وانما ضررتم انفسكم لانه عليه الصلاة والسلام قد خرج من عهدة ما كلف به واما انتم فعليكم ما كلفتم به من الطاعة والانقياد على تقدير توليكم فيؤاخذكم الله تعالى بذلك فى الدنيا والآخرة اما فى الدنيا فبأن يستخلف اهل الايمان والطاعة ويسلطهم على اهل الكفر والعصيان ويعذبهم بايدى المؤمنين بل يستأصلهم بالمرة فكان الفاصل من تتمة المعطوف عليه وقوله ولا يبعد يشعر بانه يجوز ان لا يكون معطوفا على قوله اطيعوا الله ولعل وجهه ان قوله واقيموا الصلاة من باب الالتفات من الغيبة الى الخطاب كأنه قيل يعبدوننى ولا يشركون بى شيأ ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الرسول والذى يحسن هذا الالتفات الخطاب الذى فى قوله قبل ذلك منكم وعطف اقام الصلاة وايتاء الزكاة على قوله يعبدوننى ايذانا بشرفهما ومزيد قدرهما عندالله تعالى لانه من باب عطف جبرائيل على الملائكة ﴿قوله وتعليق الرحمة بها﴾ على تقدير ان يكون المعنى اطيعوا الله واطيعوا الرسول على رجاء الرحمة ﴿قوله او بالمندرجة هى فيه﴾ لتعليق الرحمة بمجموع الامور التى اندرجت فيها طاعة الرسول على ان يكون المعنى افعلوا هذه الامور على رجاء الرحمة كما علق الهدى بالطاعة فى قوله وان تطيعوه تهتدوا ﴿قوله لاتحسبن يا محمد﴾ قرأ العامة تحسبن بتاء الخطاب ومثل هذا الحسبان وان كان لا يتصور منه عليه الصلاة والسلام الا انه نهى عنه مبالغة فى تسليته ولان خطابه فى حكم خطاب امته لكونه رئيسهم وامامهم ومفعولا فعل الحسبان هما الاسم الموصول مع قوله معجزين وفاعله ضمير النبى عليه الصلاة والسلام ويحتمل ان يكون لاتحسبن خطابا عاما لكل من يصح ان يكون مخاطبا وهذه الآية نزلت تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم عن تكذيب قومه وايذائهم والمعنى لاتحسبنهم يسبقوننا اى يفوتون عذابنا فانه لاحق بهم لامحالة اما عاجلا واما آجلا وذكر على القرآءة بياء الغيبة ثلاثة اوجه الاول ان يكون فاعل الحسبان ضمير النبى صلى الله عليه وسلم والذين كفروا معجزين مفعوليه والمعنى لايحسبنهم النبى معجزين والثانى ان يكون الفاعل الذين كفروا وفى المفعول حينئذ احتمالان الاول ان يكون معجزين فى الارض مفعوليه والمعنى لايحسبن الذين كفروا احدا يعجز الله ثابتا فى الارض حتى يطمعوا بذلك فى ان يعجزوا الله ويفوتوا عذابه وحسابه على ان معجزين اول المفعولين وفى الارض ثانيهما وحق المفعول الاول فى باب حسبت ان يكون معرفة وجاز ههنا وقوعه نكرة لكون معجزين صفة موصوف اى احدا يعجز الله ولما كان احدا واقعا فى سياق النفى افاد العموم فجاز وصفه بالجمع بذلك الاعتبار والاحتمال الثانى على تقدير ان يكون الذين كفروا هو الفاعل وان يكون معجزين مفعولا ثانيا ويكون مفعوله الاول محذوفا والاصل لايحسبن الذين كفروا معجزين اى لايحسبن الكفرة انفسهم معجزين والاقتصار على احد مفعولى باب حسبت وان كان ضعيفا عند البصريين الا انه سوغه فى الآية كون الفاعل والمفعولين عبارة عن شئ واحد فاكتفى بذكر اثنين منها عن ذكر الثالث ﴿قوله عطف عليه﴾ اى على قوله لايحسبن الذين كفروا وهى جملة انشائية فعلية وهذه الجملة خبرية اسمية فلا وجه لعطف احداهما على الاخرى الا ان الجملة الفعلية الانشائية لما كانت فى حكم الاسمية الخبرية جاز ان تعطف عليها الاسمية وذلك لان دخول فعل الحسبان وعدم دخوله على الجملة الاسمية لايغير المعنى الاصلى فكان قوله لايحسبن الذين كفروا معجزين فى قوة ان يقال الذين كفروا ليسوا معجزين لان المقصود من النهى عن الحسبان تحقيق نفى الاعجاز ﴿قوله والمراد به﴾ اى بقوله يا ايها الذين آمنوا خطاب الرجال المؤمنين والنساء المؤمنات جميعا وان كان الظاهر كونه خطابا للرجال فقط ووجه الاستدلال بما روى على دخول الفريقين فى الخطاب بطريق التغليب ان الآية لما نزلت بسبب كراهة الانثى دخول الغلام عليها بغير استئذان دل ذلك على عموم الخطاب للفريقين جميعا واعلم ان ظاهر الآية امر المماليك والاطفال بالاستئذان والمقصود امر المؤمنين بان يمنعوا هؤلاء من الدخول عليهم فى هذه الاوقات اذ لو كان المقصود المماليك والاطفال بالذات لما كان لتخصيص النداء والخطاب بالمؤمنين وجه واما الوجه فى عدم نداء المماليك والاحرار الصغار وخطابهم بالامر بان يستأذنوا من الموالى والاولياء الاشارة الى انهم لقلة معرفتهم وغلبة الجهل عليهم نازلون عن حيز صلاحية الخطاب وان

فيكون تكريرا للامر بطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم للتأكيد وتعليق الرحمة بها او بالمندرجة هى فيه بقوله (لعلكم ترحمون) كما علق به الهدى (لاتحسبن الذين كفروا معجزين فى الارض) لاتحسبن يا محمد الكفار معجزين الله عن ادراكهم واهلاكهم وفى الارض صلة معجزين او لاتحسبن الكفار فى الارض احدا يعجز الله فيكون معجزين فى الارض مفعوليه او لايحسبوهم معجزين فحذف المفعول الاول لان الفاعل والمفعولين لشئ واحد فاكتفى بذكر اثنين عن الثالث وقرأ ابن عامر وحمزة بالياء وهو كالاول فى الاحتمالات (ومأواهم النار) عطف عليه من حيث المعنى كأنه قيل الذين كفروا ليسوا معجزين ومأواهم النار لان المقصود من النهى عن الحسبان تحقيق نفى الاعجاز (ولبئس المصير) المأوى الذى يصيرون اليه (يا ايها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت ايمانكم) رجوع الى تتمة الاحكام السالفة بعد الفراغ من الالهيات الدالة على وجوب الطاعة فيما سلف من الاحكام وغيرها والوعد عليها والوعيد على الاعراض عنها والمراد به خطاب الرجال والنساء غلب فيه الرجال

السادات والاولياء هم المخاطبون بتعليم من هو في عيالهم وتحت ايديهم والقيام بما يحتاجون اليه في امر دينهم ودنياهم والتأديب على ذلك ان نبت نفوسهم عن الامتثال ﴿قوله بنت ابي مرثد﴾ روي بالشين المعجمة في نسخ وروي بالثاء المثلثة قيل هذه الآية احدى الآيات المنزلة بسبب عمر رضي الله عنه اذ روي عنه انه قال وافقني ربي في ثلاث في الاستئذان وفي الحجاب حيث قال الله تعالى فاسألوهن من وراء حجاب وفي الاتخاذ من مقام ابراهيم مصلى وهذه الآية دلت على ان من لم يبلغ الحلم يؤمر بفعل الشرائع وينهى عن ارتكاب القبائح فانه تعالى امرهم بالاستئذان في هذه الاوقات وقال عليه الصلاة والسلام* مروهم بالصلاة وهم ابناء سبع واضربوهم على تركها وهم ابناء عشر* وقال ابن مسعود اذا بلغ الصبي عشر سنين كتبت له حسناته ولا تكتب عليه سيئاته حتى يحتلم* واعلم انه انما يؤمر بذلك تمرينا له ليعتاد ويسهل عليه بعد البلوغ ﴿قوله تعالى ثلاث مرات﴾ على انه ظرف زمان اي ليستأذنكم ثلاثة اوقات ثم فسر تلك الاوقات بقوله من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء وقيل انه منصوب على المصدرية اي ثلاث استئذانات لانك اذا قلت ضربت ثلاث مرات لا يفهم منه الا ثلاث ضربات ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام* الاستئذان ثلاث* وهذا وجه ظاهر لولا القرينة الصارفة عن هذا المعنى وهي التفسير بالاوقات الثلاثة المذكورة والقيلولة النوم في الظهيرة والالتحاف التغطي يقال التحفت بالثوب اي تغطيت به ﴿قوله اي هي ثلاثة اوقات يختل فيها تستركم﴾ يعني ان ثلاث عورات مرفوع على انه خبر مبتدأ محذوف قال اولا ليستأذنكم المماليك والاطفال ثلاث مرات ثم فصل الثلاث بقوله من قبل صلاة الفجر الآية ثم اجمل بعد التفصيل فقال هذه ثلاث عورات لكم تنبيها على علة وجوب الاستئذان عليهم في هذه الاوقات والعورة الخلل الذي يرى فيه ما يراد ستره وسميت الاوقات المذكورة عورات مع انها ليست نفس العورات بل هي اوقات العورات على طريق تسمية الشيء باسم ما يقع فيه مبالغة في كونه محلا لها والمصنف اشار الى هذا المعنى بقوله هي ثلاثة اوقات يختل فيها تستركم حيث لم يجعل الاوقات المذكورة نفس الاختلال بل اوقاتا له ﴿قوله وليس فيه ما ينافي آية الاستئذان﴾ يعني انه قد قيل ان قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على اهلها يدل على ان الاستئذان واجب في كل حال فصار ذلك منسوخا بهذه الآية في غير هذه الاحوال الثلاث فقال المصنف لا منافاة بين ان يستأذن الاحرار البالغون في جميع الاحوال وبين ان لا يستأذن الاطفال ومماليك المدخول عليهم الا في هذه الاحوال الثلاث حتى يصار الى النسخ ﴿قوله وفيه دليل﴾ اي في قوله طوافون عليكم وكذا في الفرق بين هذه الاوقات الثلاثة وبين ما عداها بانها اوقات عورات دون ما عداها دليل على ان الواجب اعتبار العلل في الاحكام الشرعية اذا امكن وان كل حكم شرعي له علة تلك العلة هي الحكمة في مشروعية ذلك الحكم وارتفاع بعضكم اما على الابتداء او على انه فاعل فعل محذوف لدلالة طوافون عليه اي المماليك والاطفال يطوفون عليكم للخدمة وانتم تطوفون عليهم للاستخدام فلو كلفتم الاستئذان في كل طوفة اي في هذه الاوقات الثلاثة وغيرها لضاق الامر عليكم فلذلك رخص لكم في ترك الاستئذان فيما وراء هذه الاوقات الثلاثة ﴿قوله تعالى واذا بلغ الاطفال منكم﴾ اي من الاحرار فليستأذنوا في الدخول استئذانا مثل استئذان الذين بلغوا من قبلهم يعني ان من يتجدد فيه البلوغ يجب ان يستأذن للدخول في كل الاوقات كما يستأذن الكبار الذين تقدم بلوغهم كذلك ووجه الاستدلال بهذه الآية على استئذان العبد على سيدته ان لفظ الاطفال يتناول المماليك والاحرار من الصبيان فيجب الاستئذان على كل واحد من الفريقين اذا بلغ الحلم بحكم هذه الآية كما ذهب اليه الحنفية قال الامام النسفي في تفسير قوله تعالى ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن او آبائهن الى قوله او نسائهن ان المراد بنسائهن الحرائر المسلمات وبما ملكت ايمانهن اماؤهن فلا يتناول الغلام والجارية جميعا قلنا قال سمرة بن جندب لا تغرنكم هذه الآية فانها نزلت في الاماء انتهى وقال المصنف في تفسير او ما ملكت ايمانهن يعم الاماء والعبيد واستدل عليه بالحديث ثم قال وقيل المراد بها الاماء وعبد المرأة كالاجنبي واجاب ههنا عن الاستدلال المذكور بان تعريف الاطفال للعهد والمعهود الاطفال الذين جعلوا قسيما للمماليك فلا يندرج المماليك فيهم ﴿قوله تعالى والقواعد﴾ جمع قاعد وهي المرأة التي قعدت عن الحيض والولد لكبر سنها ولم تدخلها تاء التأنيث لاختصاصها بالمرأة قيل واذا اردت القعود بمعنى الجلوس قلت قاعدة* قال الامام الاولى ان لا يعتبر قعودهن

لما روي ان غلام اسماء بنت ابي مرثد دخل عليها في وقت كرهته فنزلت وقيل ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم مدلج بن عمرو الانصاري وكان غلاما وقت الظهيرة ليدعو عمر فدخل وهو نائم وقد انكشف عنه ثوبه فقال عمر لوددت ان الله عز وجل نهى آباءنا وابناءنا وخدمنا ان يدخلوا هذه الساعات علينا الا باذن ثم انطلق معه الى النبي صلى الله عليه وسلم فوجده وقد انزلت عليه هذه الآية (والذين لم يبلغوا الحلم منكم) والصبيان الذين لم يبلغوا من الاحرار فعبر عن البلوغ بالاحتلام لانه اقوى دلائله (ثلاث مرات) في اليوم والليلة مرة (من قبل صلاة الفجر) لانه وقت القيام من المضاجع وطرح ثياب النوم ولبس ثياب اليقظة ومحله النصب بدلا من ثلاث مرات او الرفع خبر المحذوف اي هي من قبل صلاة الفجر (وحين تضعون ثيابكم) اي ثيابكم اليقظة للقيلولة (من الظهيرة) بيان للحين (ومن بعد صلاة العشاء) لانه وقت التجرد عن اللباس والالتحاف باللحاف (ثلاث عورات لكم) اي هي ثلاثة اوقات يختل فيها تستركم ويجوز ان يكون مبتدأ وما بعده خبره واصل العورة الخلل ومنها اعور المكان ورجل اعور وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر بالنصب بدلا من ثلاث مرات (ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن) بعد هذه الاوقات في ترك الاستئذان وليس فيه ما ينافي آية الاستئذان فينسخها لانه في الصبيان ومماليك المدخول عليه وتلك في الاحرار البالغين (طوافون عليكم) اي هم طوافون استئناف ببيان العذر المرخص في ترك الاستئذان وهو المخالطة وكثرة المداخلة وفيه دليل على تعليل الاحكام وكذا في الفرق بين الاوقات الثلاثة وغيرها بانها عورات (بعضكم على بعض) بعضكم طائف على بعض او يطوف بعضكم على بعض (كذلك) مثل ذلك التبيين (يبين الله لكم الآيات) اي الاحكام (والله عليم) باحوالكم (حكيم) فيما شرع لكم (واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم) الذين بلغوا من قبلهم في الاوقات كلها واستدل به من اوجب استئذان العبد البالغ على سيدته وجوابه ان المراد بهم المعهودون الذين جعلوا قسيما للمماليك فلا يندرجون فيهم (كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم) كرره تأكيدا ومبالغة في الامر بالاستئذان (والقواعد من النساء) العجائز التي قعدن عن الحيض والحمل (اللاتي لا يرجون نكاحا) لا يطمعن فيه لكبرهن

عن الحيض لان ذلك ينقطع فيهن بآفة دون بلوغهن الى سن لا يرغب فيهن الرجال فالمراد قعودهن عن حال التزوج وذلك لايكون الا اذا بلغن فى السن بحيث لا يرغب فيهن الرجال والقواعد مبتدأ ومن النساء حال من المستكن فى القواعد واللاتى صفة القواعد لا النساء وجملة فليس عليهن جناح خبر المبتدأ والفاء لتضمنه معنى الشرط لان الف واللام فيه بمعنى اللاتى او لان المبتدأ موصوف بالاسم الموصول ولو كان الموصول مبتدأ لجاز دخول الفاء فى خبره لجاز ذلك ايضا اذا كان صفة للمبتدأ وغير متبرجات حال من عليهن ﴿قوله اى الثياب الظاهرة﴾ خص الثياب بالظاهرة لانه لاشك فى انه تعالى لم يأذن لهن فى ان يضعن جميع ثيابهن لما فيه من كشف العورة كلها ﴿قوله من استقذارهم﴾ اى من استكراه الاصحاء المؤاكلة معهم لان الاعمى ربما سبقت يده الى ماسبقت عين اكيله اليه وهو لايشعر والاعرج يتفسح فى مجلسه فيضيق على جليسه والمريض لايخلو من رائحة كريهة او انف يذن او جرح يد يبض اذا اخذ بها يسيل ونحو ذلك ﴿قوله او اكلهم﴾ عطف على مؤاكلة الاصحاء وقوله مخافة علة لقوله يتحرجون فى اكلهم من بيت من يدفع اليهم المفتاح قال سعيد بن المسيب كان المسلمون اذا غزوا خلفوا زمناهم وكانوا يدفعون اليهم مفاتيح بيوتهم وخزائنهم ويقولون قد احللنا لكم ان تأكلوا مما فى بيوتنا فكانوا يتحرجون من بيوتهم ويقولون لاندخلها وهم غيب فنزلت رخصة لهم ﴿قوله او من اجابة﴾ عطف ايضا على مؤاكلة الاصحاء يعنى ان ضعفاء المؤمنين كانوا يدخلون على بعض اصدقائهم لطلب الطعام فاذا لم يكن عندهم طعام يطعمونه يدعونهم ويذهبون بهم الى بيوت آبائهم او اولادهم او اقاربهم فيطعمونهم منها فلما نزل قوله تعالى ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة عن تراض منكم اى بيعا فعند ذلك امتنع الناس ان يأكل بعضهم من طعام بعض فنزلت هذه الآية وعلل المصنف تحرجهم بقوله كراهة ان يكونوا كلا عليهم والكل بفتح الكاف وتشديد اللام الملال والتعب والثقل والجمع الكلول ولم يجمع ههنا لكونه مصدرا فى الاصل ﴿قوله وهذا﴾ اى انتفاء الحرج فى اجابة من يدعوهم الى البيوت المذكورة ويأخذ الاكل منها يتوقف على رضى صاحب البيت باذنه صريحا او بما هو قرين الاذن وهو دلالة الحال كالقرابة والصداقة ونحو ذلك وقيل جواز الاكل من هذه البيوت بغير اذن مالكيها كان فى صدر الاسلام ثم نسخ ذلك بقوله عليه الصلاة والسلام * لايحل مال امرئ مسلم الا عن طيب نفس * ومما يدل على هذا النسخ قوله تعالى لاتدخلوا بيوت النبى الا ان يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه وكان فى ازواج النبى صلى الله عليه وسلم من لهن الآباء والاخوال وقد عم النهى عن دخول بيوتهم الا بعد الاذن فى الدخول وفى الاكل ﴿قوله وقيل نفى للحرج عنهم فى القعود عن الجهاد﴾ اى لا فيما يتعلق بالاكل والمعنى ليس على هؤلاء حرج فى القعود عن الغزو ولا عليكم فى ان تأكلوا من البيوت المذكورة وهذا كلام صحيح فى تحرجه لاستواء الطائفتين فى نفى الحرج عنهم وهذا مثل ان يستفتيك مسافر عن الافطار فى رمضان وحاج مفرد عن تقديم الحلق على النحر فقلت ليس على المسافر حرج ولا عليك يا حاج فى ان تقدم الحلق على النحر ولم يرض المصنف بهذا التأويل حيث قال وهذا لايلائم ماقبله ولا ما بعده فانه قيل اولا فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن وقيل آخرا ولا على انفسكم ان تأكلوا فبين فيهما مانفى كونه جناحا ولم يبين ذلك فى قوله ليس على الاعمى حرج فينبغى ان يبين بما يلائم ماقبله ومابعده والقعود عن الغزو لايلائم شيأ منهما ﴿قوله من البيوت التى فيها ازواجكم وعيالكم﴾ اى ليس المعنى ان تأكلوا من البيوت التى تسكنون فيها بانفسكم وفيها طعامكم وسائر اموالكم لان الناس لايتحرجون من اكل طعامهم فى بيوت انفسهم فينبغى ان يكون المعنى من بيوت الذين كانوا فى حكم انفسكم لشدة الاتصال بينهم وبينكم كالازواج والاولاد ونحوهما فان بيت المرأة كبيت الزوج وكذا بيت الاولاد فلذلك يضيف الزوج بيت زوجته الى نفسه وكذا الاب يضيف بيت ولده الى نفسه ﴿قوله وقيل بيوت المماليك﴾ لم يرض بان يفسر ماملكتم مفاتحه ببيوت المماليك لان بيوتهم داخلة فى عموم قوله تعالى ان تأكلوا من بيوتكم فلا وجه لافراده بالذكر وملك المفاتح كناية عن كون المال فى يد الرجل وحفظه فالمعنى ليس عليكم جناح ان تأكلوا من اموال لكم يد عليها لكن لا من اعيانها بل من اتباعها وغلاتها كثمرة البستان ولبن الماشية ﴿قوله والمفاتح جمع مفتح﴾ والمفاتيح جمع مفتاح وكلاهما آلة الفتح وقيل المفاتح الخزائن كقوله وعنده مفاتح الغيب اى خزائنه واريد بالخزائن مايخزن فيه الطعام المأكول ونحوه من بين البيوت قيل اذا دل ظاهر الحال على رضى المالك قام ذلك مقام الاذن الصريح وربما سمج

(فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن) اى
الثياب الظاهرة كالجلباب والفاء فيه لان
اللام فى القواعد بمعنى اللاتى او لوصفها
(غير متبرجات بزينة) غير مظهرات زينة
امرن باخفائه فى قوله ولا يبدين زينتهن
واصل التبرج التكلف فى اظهار مايخفى
قولهم سفينة بارجة لاغطاء عليها والبرج
سعة العين بحيث يرى بياضها محيطا بسوادها
كله لايغيب منه شئ الا انه خص بكشف المرأة
زينتها ومحاسنها للرجال (وان يستعففن خير
لهن) من الوضع لانه ابعد من التهمة (والله
سميع) لمقالهن للرجال (عليم) بمقصودهن
(ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج
حرج ولا على المريض حرج) نفى لما كانوا
يتحرجون من مؤاكلة الاصحاء حذرا من
استقذارهم او اكلهم من بيت من يدفع اليهم
المفتاح ويبيح لهم التبسط فيه اذا خرج الى
الغزو وخلفهم على المنازل مخافة ان لايكون
ذلك عن طيب قلب او من اجابة من يدعوهم
الى بيوت آبائهم واولادهم واقاربهم فيطعمونهم
كراهة ان يكونوا كلا عليهم وهذا انما يكون
اذا علم رضى صاحب البيت باذن او قرينة
او كان فى اول الاسلام ثم نسخ بنحو قوله
لاتدخلوا بيوت النبى الا ان يؤذن لكم الى
طعام وقيل نفى للحرج عنهم فى القعود عن
الجهاد وهو لايلائم ماقبله ومابعده (ولا على
انفسكم ان تأكلوا من بيوتكم) من البيوت
التى فيها ازواجكم وعيالكم فيدخل فيها بيوت
الاولاد لان بيت الولد كبيته لقوله عليه
السلام انت ومالك لابيك وقوله ان اطيب
مايأكل المرء من كسبه وان ولده من كسبه
(او بيوت آبائكم او بيوت امهاتكم او بيوت
اخوانكم او بيوت اخواتكم او بيوت اعمامكم
او بيوت عماتكم او بيوت اخوالكم او بيوت
خالاتكم او ماملكتم مفاتحه) وهو مايكون
تحت ايديكم وتصرفكم من ضيعة او ماشية
وكالة او حفظا وقيل بيوت المماليك والمفاتح
جمع مفتح وهو مايفتح به وقرئ مفتاحه

(ارصديقكم) او بيوت صديقكم فانهم ارضى بالتبسط فى اموالهم وأسرّ به وهو يقع على الواحد والجمع كالخليط هذا كله انما يكون اذا علم رضى صاحب البيت باذن اوقرينة ولذلك خصص هؤلاء فانه يعتاد التبسط بينهم او كان فى اوّل الاسلام فنسخ فلا احتجاج للحنفية به على ان لاقطع بسرقة مال المحرم (ليس عليكم جناح ان تأكلوا جميعا او اشتاتا) مجتمعين او متفرّقين نزلت فى بنى ليث بن عمرو من كنانة كانوا يتحرّجون ان يأكل الرجل وحده او فى قوم من الانصار اذا نزل بهم ضيف لايأكلون الامعه او فى قوم تحرّجوا عن الاجتماع على الطعام لاختلاف الطباع فى القزازة والنهمة (فاذا دخلتم بيوتا) من هذه البيوت (فسلموا على انفسكم) على اهلها الذين هم منكم دينا وقرابة (تحية من عند الله) ثابتة بامره مشروعة من لدنه ويجوز ان تكون من صلة التحية فانه طلب الحياة وهى من عنده وانتصابها على المصدر لانها بمعنى التسليم (مباركة) لانها ترجى بها زيادة الخير والثواب (طيبة) يطيب بها نفس المستمع وعن انس انه عليه السلام قال متى لقيت احدا من امّتى فسلم عليه يطل عمرك واذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك وصل صلاة الضحى فانها صلاة الابرار الاوّابين (كذلك يبين الله لكم الآيات) كرّره ثالثا لمزيد التأكيد وتفخيم الاحكام المختتمة به وفصل الاوّلين بما هو المقتضى لذلك وهذا بما هو المقصود منه فقال (لعلكم تعقلون) اى الحق والخير فى الامور (انما المؤمنون) اى الكاملون فى الايمان (الذين آمنوا بالله ورسوله) من صميم قلوبهم (واذا كانوا معه على امر جامع) كالجمعة والاعياد والحروب والمشاورة فى الامور ووصف الامر بالجمع للمبالغة وقرئ امر جميع (لم يذهبوا حتى يستأذنوه) يستأذنوا رسول الله فيأذن لهم واعتباره فى كمال الايمان لانه كالمصداق لصحته والمميز للمخلص فيه من المنافق فان ديدنه التسلل والفرار ولتعظيم الجرم فى الذهاب عن مجلس الرسول عليه السلام بغير اذنه ولذلك اعاده مؤكدا على اسلوب ابلغ فقال (ان الذين يستأذنونك اولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله) فانه يفيد ان المستأذن مؤمن لامحالة وان الذاهب بغير اذن ليس كذلك (فاذا استأذنوك لبعض شأنهم) مايعرض لهم من المهامّ وفيه ايضا مبالغة وتضييق للامر

الاستئذان وثقل كمن قدّم اليه الطعام فاستأذن صاحبه فى الاكل منه قيل انطلق رجل يدعى بالحارث بن عمرو مغازيا واستخلف مالك بن زيد فى اهله وخزانته فلم يأكل من ماله شيأ حتى صار مجهودا اى ضعيفا فانزل الله تعالى او صديقكم **قوله فلا احتجاج للحنفية** اذ لا احتجاج بالمنسوخ احتج ابو حنيفة بهذه الآية على ان من سرق من ذى رحم محرم انه لايقطع لان الله تعالى اباح لهم الاكل من بيوتهم بغير اذنهم فلايكون محرزا ولايلزم منه ان لايقطع اذا سرق من صديقه لان من اراد سرقة ماله لايكون صديقاله **قوله لاختلاف الطباع** اى طباع الطاعمين وفى بعض النسخ لاختلاف الناس والنهم بفتحتين افراط الشهوة فى الطعام والقزازة ضدّه وحاصل المعنى لاختلاف الطباع فى قلة الاكل وكثرته يعنى انهم لما تحرّجوا فى الاجتماع على الطعام لاختلاف احوال الأكلة فى الاستقلال والاستكثار من الطعام انزل الله هذه الآية وبين انه لاحرج عليهم فى ان يأكلوا مجتمعين او متفرّقين او اشتاتا جمع شت والشت مصدر معناه التفرّق فوصف به وشتى جمع شتيت كرضى ومريض قال الامام النسفى دل قوله تعالى ان تأكلوا جميعا على جواز التناهد فى الاسفار والتناهد اخراج كل واحد من الرفقة نفقة على قدر نفقة صاحبه **قوله فاذا دخلتم بيوتا من هذه البيوت** خص بيوتا المنكر بالبيوت المذكورة سابقا بقرينة المقام وقال قوم هذا فى دخول الرجل بيت نفسه والتسليم على اهله ومن فى بيته وروى مرفوعا اذا دخلت بيتك فسلم على اهل بيتك يكثر خير بيتك وقيل المراد بها كل بيت وقيل هى المساجد جعل الله تعالى اهل البيت من المسلمين انفس الداخلين ايذانا بان المسلمين كالنفس الواحدة كما فى قوله تعالى ولاتقتلوا انفسكم فان لم يكن فى البيت احد ولا فى المسجد فليسلم على نفسه بان يقول السلام علينا من قبل ربنا او بان يقول السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فقد روى ان الملائكة تردّ عليه وقيل ان كان فى البيت اهل الذمّة فليقل السلام على من اتبع الهدى ثم قيل يصل بهذا التسليم قوله تحية من عند الله مباركة طيبة حتى روى عنه عليه الصلاة والسلام انه يصلى صلاة الضحى وهى ان يصلى ركعتين عند الاشراق وذلك اذا انبسطت الشمس وارتفعت قدر رمح ثم يصلى اربعا او ستا او ثمانى وهو الذى اراده الله تعالى بقوله يسبحن بالعشى والاشراق وهو ظهور تام نوره بارتفاعها عن موارة البخارات والغبارات ووقت الركعات الاربع هو الضحى الاعلى الذى اقسم الله به فقال والضحى والليل اذا سجى وخرج عليه الصلاة والسلام على اصحابه وهم يصلون عند الاشراق فقال الا ان صلاة الاوّابين اذا رمضت الفصال روى عن بعض السلف انه قال اذا دخل المسجد ولاانسان فيه يقول السلام علينا من ربنا تحية من عند الله مباركة طيبة وقيل لايصل به هذا القول لانه صفة السلام وتحية منصوب على انه مفعول مطلق لمعنى فسلموا على طريق قولك قعدت جلوسا كأنه قيل فحيوا تحية وقوله من عند الله يجوز ان يتعلق بمحذوف صفة تحية اى تحية ثابتة بامره مشروعة من لدنه وان يتعلق بنفس تحية لان التحية والتسليم طلب الحياة والسلامة من الله للمسلم عليه ووصفها بالبركة والطيب لانها دعوة مؤمن لمؤمن ترجى بها من الله تعالى الاجابة بزيادة الخير وطلب الكمال والجمال **قوله وفصل الاوّلين بما هو المقتضى لذلك** اى التبيين وهو قوله والله عليم حكيم وفصل هذا بما هو المقصود من التبيين وهو التعقل والدراية لاحكام الله من الاوامر والنواهى **قوله ووصف الامر بالجمع للمبالغة** فى كونه سببا لاجتماع القوم فان الامر لكونه مهما عظيم الشان صار كأنه قد جمع الناس فهو من قبيل اسناد الفعل الى السبب وقرئ امر جميع بمعنى جامع او مجموع له قيل نزلت الآية فى حفر الخندق وكان ذلك من اهم الامور حتى تولى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه وشغل عن اربع صلوات ثمة فيه حتى دخلت فى حدّ القضاء وكان قوم يتسللون من بينهم بغير اذن قال المفسرون كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صعد المنبر يوم الجمعة واراد الرجل ان يخرج لحاجته لم يخرج حتى يقوم بحيال النبى عليه الصلاة والسلام حتى يراه فيعرف به استئذانه فيأذن لمن شاء منهم قال مجاهد اذن الامام يوم الجمعة ان يشير به **قوله ولذلك** اى ولكون عدم الاستئذان نقصا فى كمال الايمان حيث جعل بين الايمانين شرطا ثالثا له اعاده مؤكدا على اسلوب ابلغ فان جعل المستأذنين هم المؤمنين عكس الاسلوب الاوّل وفيه تأكيد للاوّل بالله ورسوله فيكون مصداقا ودليلا على صحة الايمان وصدقهما قيل المراد بقوله ان الذين يستأذنونك انه استئذان عمر بن الخطاب فى غزوة تبوك فى الرجوع الى اهله فاذن له وقال انطلق فوالله ماانت بمنافق يريد ان يسمع المنافقين ذلك الكلام **قوله وفيه** اى فى قوله لبعض شأنهم مبالغة فى الاهتمام بشأن الاستئذان كعادته على الاسلوب الابلغ حيث لم يطلق الاذن فى شأنهم بل قيد بالبعض تغليظا

(عليهم)

(فأذن لمن شئت منهم) تفويض للامر الى رأى الرسول عليه الصلاة والسلام واستدل به على ان بعض الاحكام مفوّضة الى رأيه عليه الصلاة والسلا
ومن منع ذلك قيد المشيئة بان تكون تابعة لعلمه بصدقه وكان المعنى فأذن لمن علمت ان له عذرا (واستغفرلهم الله) بعد الاذن فان

الاستئذان ولو لعذر قصور لانه تقديم لامر الدنيا على امر الدين (ان الله غفور) لفرطات العباد (رحيم) بالتيسير عليهم (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) لاتقيسوا دعاءه اياكم على دعاء بعضكم بعضا فى جواز الاعراض والمساهلة فى الاجابة والرجوع بغير اذن فان المبادرة الى اجابته واجبة والمراجعة بغير اذنه محرّمة وقيل لاتجعلوا نداءه وتسميته كنداء بعضكم بعضا باسمه ورفع الصوت به والنداء وراء الحجرة ولكن بلقبه المعظم مثل يانبيّ الله ويارسول الله مع التوقير والتواضع وخفض الصوت اولا تجعلوا دعاءه عليكم كدعاء بعضكم على بعض فلا تبالوا بسخطه فان دعاءه موجب اولا تجعلوا دعاءه ربه كدعاء صغيركم كبيركم يجيبه مرّة ويردّه اخرى فان دعاءه مستجاب (قد يعلم الله الذين يتسللون منكم) ينسلون قليلا قليلا من الجماعة ونظير تسلل تدرّج وتدخل (لواذا) ملاوذة بان يستتر بعضكم ببعض حتى يخرج اويلوذ بمن يؤذن فينطلق معه كأنه تابعه وانتصابه على الحال وقرئ بالفتح (فليحذر الذين يخالفون عن امره) يخالفون امره بترك مقتضاه ويذهبون سمتا خلاف سمته ومن لتضمنه معنى الاعراض اويصدّون عن امره دون المؤمنين من خالفه عن الامر اذا صدّ عنه دونه وحذف المفعول لان المقصود بيان المخالف والمخالف عنه والضمير لله فان الامر له فى الحقيقة اوللرسول فانه المقصود بالذكر (أن تصيبهم فتنة) محنة فى الدنيا (اويصيبهم عذاب اليم) فى الآخرة واستدل به على ان الامر للوجوب فانه يدل على ان ترك مقتضى الامر مقتض لأحد العذابين فان الامر بالحذر عنه يدل على حسنه المشروط بقيام المقتضى له وذلك يستلزم الوجوب (ألا ان لله مافى السموات والارض قديعلم ماانتم عليه) ايها المكلفون من المخالفة والموافقة والنفاق والاخلاص وانما اكد علمه بقد لتأكيد الوعيد (ويوم يرجعون اليه) يوم يرجع المنافقون اليه للجزاء ويجوز ان يكون الخطاب ايضا مخصوصا بهم على طريق الالتفات (فينبئهم بما عملوا) من سوء الاعمال بالتوبيخ والمجازاة عليه (والله بكل شئ
عليم) لايخفى عليه خافية * عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النور اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد كل مؤمن ومؤمنة فيما مضى وفيما بقى

عليهم امر الذهاب عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مع القدر المبسوط وماس الحاجة اليه وتعليق الاذن بالمشى مع ذلك العذر ومرّ ان ذكر الاستغفار للمستأذنين بالاذن دليل على ان الاحسن والافضل ان لايحدّثوا انفسهم بالذهاب ولايستأذنوا فيه حيث احتاجوا فى خروجهم عن الجماعة الى ان يستغفرلهم الرسول وان كان ذلك الخروج بمشيئته ﴿ قوله ومن منع ذلك ﴾ اى منع تفويض بعض الاحكام الى رأيه واجتهاده وقال انه عليه افضل الصلاة والسلام يتبع الوحى فى جميع احكامه قيد المشيئة بان تكون تابعة لعلمه بصدق المستأذن فى انّ له عذرا شرعيا مرخصا للذين استأذنوا فيه فحينئذ تكون المشيئة مستندة الى الشرع الثابت بالوحى فلا تكون مشيته واذنه فى ذلك بمجرّد رأيه قال المصنف فى اصوله يجوزله عليه الصلاة والسلام ان يجتهد لعموم فاعتبروا وجوب العمل بالارجح ولانه اسبق وادل على الفطانة فلا يتركه ومنعه ابو على وابنه لقوله تعالى وماينطق عن الهوى قلنا هو مأموربه فليس بهوى ﴿ قوله ولاتقيسوا دعاءه اياكم ﴾ الى شئ من الامور فيكون المصدر فيه مضافا الى فاعله كما فى الوجه الثالث والرابع فان الداعى فى الجميع هو الرسول بخلاف الوجه الثانى فان المصدر فيه مضاف الى المفعول والمعنى لاتقولوا عند دعائكم اياه يامحمد ويا ابن عبد الله كما يدعو بعضكم بعضا بل عظموه وشرّفوه فى ندآئه والمعنى على الوجه الاوّل لاتجعلوا امره اياكم ودعاءه لكم الى شئ كما يكون من بعضكم الى بعض فان امره كان فرضا لازما ومثله قوله تعالى استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم ﴿ قوله ينسلون ﴾ اى يخرجون مستخفين يقال انسل الرجل اى انصرف من الناس وفارقهم بحيث لايعلمون واللواذ والملاوذة ان يلوذ هذا بذاك وذاك بهذا ويستتر بعضهم بعضا وهو حال من ضمير يتسللون ويقال تدرّج اذا استعلى درجة درجة وتدخل اذا دخل قليلا قليلا فان تفعل قديكون للعمل المتكرر فى مهلة ﴿ قوله وقرئ بالفتح ﴾ اى بفتح اللام على انه مصدر لاذ الثلاثى مثل طاف طوافا ويحتمل ان يكون مصدر لاوذ الا انه يجب فتح الفاء اتباعا لفتحة العين قيل كان المنافقون يثقل عليهم يوم الجمعة قول النبي عليه الصلاة والسلام وخطبته فيلوذون ببعض اصحابه عليه الصلاة والسلام حتى يخرجوا من المسجد مستخفين مستترين بغيرهم من غير استئذان وقيل كانوا ينسلون من صف القتال وقيل كان هذا فى حفر الخندق ﴿ قوله يخالفون امره ﴾ لايريد ان كلمة عن صلة والا لكان هذا وجها مستقلا من غير ان ينضم اليه قوله وعن لتضمنه معنى الاعراض بل المقصود منه مجرّد بيان أنّ يخالفون يتعدّى بنفسه حيث يقال يخالفون امره وانما جيئ بكلمة عن لتضمنه معنى الصدود والاعراض وقيل عن ههنا بمعنى بعد كما فى قولك اطعمتهم عن جوع اى بعد جوع ﴿ قوله وحذف المفعول ﴾ والاصل يخالفون المؤمنين عن امر الله وعن امر رسوله على معنى يخالفونهم صادّين عن امره فيكون عن امره حالا من فاعل يخالفون كما ان حقيقة قولك خالفه عن الامر خالفه صادّا اى معرضا عن الامر فيكون عن الامر حالا من فاعل خالف ومحصول كونه مخالفاله صادّ عن الامر دونه وكذا اذا قلت خالفه الى الامر اذا ذهب اليه دونه فيكون حقيقة الكلام خالفه اى ذاهبا الى الامر فيكون الى الامر حالا من فاعل خالف ايضا ومنه قوله تعالى وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه اى ذاهبا الى ما انهاكم عنه ﴿ قوله فانه يدل على ان ترك مقتضى الامر ﴾ يعنى ان مخالفة الامر عبارة عن ترك مقتضاه والاخلال به كما ان موافقة الامر عبارة عن الاتيان بمقتضاه ورعايته ولما امر الله تعالى من خالف الامر وترك مقتضاه بالحذر عن عذابه دل ذلك على حسن الحذر عنه ولايحسن الحذر عن العذاب الابعد قيام مايقتضى نزوله فثبت ان ترك مقتضى الامر يقتضى نزول العذاب فلولا ان المأموربه واجب لما كان تاركه مستحقا للعذاب ثم انه تعالى لما هدّد من خالف امره بأحد العذابين اورد عقيبه ماهو كالدليل على قدرته تعالى عليهما فقال الا ان لله مافى السموات والارض وجعله ذريعة الى تحقيق علمه باحوال عباده من المخالفة والموافقة والنفاق والاخلاص وأكد علمه بما هم عليه بان ادخل كلمة قد على يعلم وذلك ان قد فى المضارع تفيد التقليل كربما اذا دخلت عليه فكما ان ربما تستعار للتكثير كما فى قول الشاعر

* ان تمس مهجور الفناء فربما * يأتيك من بعد الوفود وفود *

كذلك كلمة قد تستعارله ايضا فتفيد التحقيق والتأكيد وحملت كلمة قد فى الآية على هذا المعنى لاقتضاء الوعيد اياه وفى البيت لاقتضاء مقام المدح اياه ﴿ قوله تعالى ويوم يرجعون اليه ﴾ منصوب على انه مفعول به لا ظرف لعطفه

على قوله ماانتم عليه اى ويعلم الذى انتم عليه ويعلم يوم يرجعون اليه كقوله تعالى ان الله عنده علم الساعة قرأ العامة يرجعون مبنيا للمفعول وابو عمرو مبنيا للفاعل وعلى كلا القراءتين يجوز وجهان احدهما ان يكون فى الكلام التفات من الخطاب فى قوله ماانتم عليه الى الغيبة فى قوله يرجعون والثانى ان يكون قوله ماانتم عليه خطابا عاما لكل احد ويكون الضمير فى يرجعون للمنافقين خاصة فلا التفات حينئذ والمصنف اشار الى هذا الوجه بقوله ما انتم عليه ايها المكلفون وقوله ويوم يرجع المنافقون اليه والى الاوّل بقوله ويجوز والله سبحانه وتعالى الموفق الهادى الى الصواب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

سورة الفرقان مكية غير آية نزلت بالطائف وهى قوله تعالى الم تر الى ربك كيف مدّ الظل ولو شاء لجعله ساكنا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تكاثر خيره **قال الله تعالى وان تعدّوا نعمة الله لاتحصوها اى لاتحصوا اى اجناسها فضلا عن افرادها فعلى هذا المعنى لابدّ من تقدير المضاف اى تبارك خير الذى ولا حاجة اليه على المعنى الثانى **قوله** او تزايد على كل شئ وتعالى عنه فى صفاته وافعاله** قال الله تعالى ليس كمثله شئ فالعبد وان كان له حظ فى صفاته وافعاله الا ان ماله من الصفات والافعال لايماثل شيأ مماله تعالى وذلك معلوم ببداهة العقل **قوله** وترتيبه على انزال الفرقان اى تعليقه به فان تعليق التبارك بوصف الانزال يشعر بعلية ذلك الوصف له وكونه مرتبا عليه وقوله لما فيه من كثرة الخير مبنى على تفسير تبارك بقوله تكاثر خيره وقوله اولدلالته على تعاليه مبنى على تفسيره بقوله او تزايد على كل شئ **قوله** وقيل دام عطف على قوله تكاثر يعنى قيل الكلمة مأخوذة من بروك البعير وبروك الطير على الماء فتدل على البقاء والدوام والمعنى انه تعالى باق فى ذاته ازلا وابدا ممتنع التغير وباق فى صفاته ممتنع التبدّل ولم يرض به لان ترتيبه على انزال الفرقان لايلائم هذا المعنى * فان قيل الموصولات موضوعة لان يطلقها المتكلم على مايعتقد ان المخاطب يعرفه بكونه محكوما عليه بحكم حاصل له فلذلك كانت معارف والقوم ماكانوا يعرفون انه تعالى هو الذى نزل الفرقان فكيف حسن ههنا لفظ الذى * اجيب بانه لما ثبت كونه من عند الله بكونه معجزا بالغا الى اقصى درجات البلاغة والفصاحة نزله الله تعالى منزلة المعلوم للقوم بناء على قوّة دليله وظهوره وهذا توضيح قوله وهذه الجملة وان لم تكن معلومة الخ **قوله** للجنّ والانس اى لجميع افراد كل واحد من الجنسين اشار به الى فائدة جمع العالمين مع تعريفه فان العالم اسم للقدر المشترك بين اجناس مايعلم به الخالق مما سوى الله تعالى فيطلق على كل واحد منها وعلى مجموعها فجمع للدلالة على تعدّد الاجناس واستغراق كل واحد منها اذلو افرد منكرا لفهم واحد من تلك الاجناس ولو افرد معرّفا لتوهم ان القصد الى استغراق جنس واحد او الى الحقيقة التى هى القدر المشترك بين تلك الاجناس ولو جمع منكرا لم يكن نصا فى الاستغراق للاختلاف فى استغراق الجمع المنكر وجمع بالياء والنون لان المقصود استغراق افراد العقلاء من جنسى الجن والانس فان جنس الملائكة وان كانوا من اجناس العالم الا ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن رسولا الى الملائكة فلم يبق من العالمين المكلفين الا الجنّ والانس فهو عليه الصلاة والسلام رسول لهما جميعا فالآية حجة لابى حنيفة فى قوله ليس للجنّ ثواب اذا اطاعوه سوى النجاة من العقاب اذا عصوا حيث اكتفى بقوله ليكون للعالمين نذيرا ولم يذكر البشارة ودليله قوله تعالى ياقومنا اجيبوا داعى الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب اليم جعل ثوابهم نجاتهم من العذاب الاليم على تقدير المضاف ولم يذكر لهم ثوابا غيره وذكر لهم عقاب العصيان **قوله** منذرا او انذارا الاوّل على تقدير ان يكون ضمير قوله ليكون للعبد والثانى على ان الضمير للفرقان اى لتنزيله المدلول عليه بقوله نزل فكأنه قيل ليكون تنزيله انذارا للعالمين لان الفرقان نفسه لايكون انذارا **قوله** بدل من الاوّل فان قيل كيف جاز الفصل بين البدل والمبدل منه بقوله ليكون للعالمين نذيرا فالجواب انه ما فصل بينهما بشئ اجنبى عن الكلام لان المبدل منه صلة نزل وقوله ليكون تعليل له فكان المبدل منه لايتم الا به **قوله** احدثه احداثا مراعى فيه التقدير يعنى ان الخلق هو الاحداث المتفرّع على التقدير والتسوية فى علم الصانع فان الصانع اذا لم يقدّر مصنوعه فى علمه قبل الايجاد يقع فيه بعد الايجاد تفاوت بالزيادة على مابه كماله او بالنقصان عن حدّ مافيه تمامه * ولما كانت الآية مظنة ان يقال قوله فقدّره تكرارا بناء على ان الخلق

سورة الفرقان مكية وآيها سبع وسبعون آية

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(تبارك الذى نزل الفرقان على عبده) تكاثر خيره من البركة وهى كثرة الخير او تزايد على كل شئ وتعالى عنه فى صفاته وافعاله فان البركة تتضمن معنى الزيادة وترتيبه على انزال الفرقان لما فيه من كثرة الخير او لدلالته على تعاليه وقيل دام من بروك الطير على الماء ومنه البركة لدوام الماء فيها وهو لاتصرّف فيه ولايستعمل الا لله تعالى والفرقان مصدر فرق بين الشيئين اذا فصل بينهما سمى به القرءآن لفصله بين الحق والباطل بتقريره او بين المحق والمبطل باعجازه او لكونه مفصولا بعضه عن بعض فى الانزال وقرئ على عباده وهم رسول الله وامّته كقوله لقد انزلنا اليكم او الانبياء على ان الفرقان اسم جنس للكتب السماوية (ليكون) العبد او الفرقان (للعالمين) للجنّ والانس (نذيرا) منذرا او انذارا كالنكير بمعنى الانكار وهذه الجملة وان لم تكن معلومة لكنها لقوّة دليلها اجريت مجرى المعلوم وجعلت صلة (الذى له ملك السموات والارض) بدل من الاوّل او مدح مرفوع او منصوب (ولم يتخذ ولدا) كزعم النصارى (ولم يكن له شريك فى الملك) كقول الثنوية اثبت له الملك مطلقا ونفى مايقوم مقامه ومايقاومه فيه ثم نبه على مايدل عليه فقال (وخلق كل شئ) احدثه احداثا مراعى فيه التقدير حسب ارادته كخلقه الانسان من مواد مخصوصة وصور واشكال معينة (فقدّره تقديرا) فقدّره وهيأه لما اراد منه من الخصائص والافعال كتهيئة الانسان للادراك والفهم والنظر والتدبير واستنباط الصنائع المتنوّعة ومزاولة الاعمال المختلفة الى غير ذلك او فقدّره للبقاء الى اجل مسمى وقد يطلق الخلق لمجرّد الايجاد من غير نظر الى وجه الاشتقاق فيكون المعنى واوجد كل شئ فقدّره فى ايجاده حتى لايكون متفاوتا

فيه بمعنى التقدير فكأنه قيل وقدّر كل شئ فقدّره * اشار الى دفعه اوّلا بقوله فقدّره وهيأه لما اراد منه ومحصوله ان التقدير المدلول عليه بقوله خلق غير التقدير المتفرّع عليه بالفاء فان الاوّل عبارة عن تسوية المحدث فى علمه الازلى كما اوجبته الحكمة بتعيين مادّته وصورته ومايتعلق به من العوارض المكتنفة به حال وجوده كما يسوّى الصانع صورة المصنوع قبل ان يباشر صنعه والتقدير المتفرّع على الخلق عبارة عن تهيئته لما يصلح له من المصالح المرتبة على وجوده فلا تكرار فكأنه قيل اوجد كل شئ على تقدير اوجبته الحكمة وقدّر له مايصلحه ويقيمه ومايراد منه من الخصائص والافعال وثانيا بقوله فقدّره للبقاء الى اجل مسمى والتقدير بهذا المعنى ايضا متفرّع على الخلق بمعنى الاحداث المراعى فيه التقدير والتسوية لما تقتضيه الحكمة لان ابقاء الشئ يكون بعد احداثه كأنه قيل احدثه فجعل لوجوده غاية محدودة وثالثا بقوله وقد يطلق الخلق لمجرّد الايجاد فلايكون قوله فقدّره تكرارا وتكون الفاء فيه للترتيب فى الاخبار فكأنه قيل اوجد كل شئ فقدّره فى ايجاده ولم يوجده بحيث يحصل التفاوت والتباعد بينه وبين المثال الذى اقتضته الحكمة ﴿قوله لان عبدتهم ينحتونهم﴾ اشارة الى ان فاعل اتخذوا هم عبدة الاصنام ولايدخل فيه النصارى لانهم لم يتخذوا من دون الله آلهة كثيرة ولانّ السورة مكية نزلت ردّا على المشركين فيما ذهبوا اليه ويجوز ان يدخل فيه النصارى وعبدة الملائكة والاصنام جميعا بناء على ان قوله واتخذوا صيغة جمع وقوله آلهة جمع ايضا واذا قوبل الجمع بالجمع يقابل الفرد بالفرد فلم يكن كون معبود النصارى واحدا مانعا من دخولهم فى فاعل اتخذوا ثم انه تعالى لما ردّ على المخالفين فى التوحيد شرع فى الردّ على المخالفين فى النبوّة بقوله وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه اى ماهذا القرءآن الا كذب افتراه محمد واختلقه من عند نفسه واعانه عليه اى على افترآئه قوم آخرون اى اليهود وقيل جبر مولى عامر ويسار غلام ابن حضرمى وعداس وقيل عائش مولى حويطب بن عبد العزى وهؤلاء الثلاثة عبيد كانوا بمكة من اهل الكتاب وكانوا يقرأون التوراة ويحدّثون منها احاديث فلما اسلموا وكان النبى عليه افضل الصلاة والسلام يتعهدهم قال النضر بن الحارث هذا القول فنزلت الآية واجاب عن شبهتهم بقوله فقد جاؤا اى فقد اتوا ظلما وفعلوه حيث وضعوا صفة الافك فى غير موضعها ولو أمكن ذلك لعارضوه واتوا بمثله حين اتاهم به لانهم مثله عليه الصلاة والسلام فى معرفة اللغة وفى التمكن من الاستعانة ووصف كلامهم هذا بانه زور ايضا لانهم كذبوا فيه بنسبة ماهو برئ منه اليه وقالوا فى حق القرءآن ايضا اساطير الاوّلين كاحاديث رستم واسفنديار واساطير جمع اسطار جمع سطر او جمع اسطورة كاحدوثة واساطير خبر مبتدأ محذوف اى هذا اساطير وقوله اكتتبها خبر ثان لهذا او حال من اساطير والعامل فيها معنى التنبيه والاشارة كقوله وهذا بعلى شيخا ﴿قوله كتبها لنفسه﴾ اى باعتبار كونه سببا آمرا بكتابتها فان بناء افتعل قد يكون لاتخاذ الفاعل الفعل لنفسه ﴿قوله او استكتبها﴾ على ان يكون اكتتب بمعنى أمر ان يكتب له كما يقال احتجم وافتصد اذا امر بذلك وقوله فهى تملى عليه متفرّع على قوله اكتتبها على كل واحد من التفسيرين فان الاملاء عبارة عن القاء الكلام على الغير ليكتبه فان فسر الاكتتاب بالاستكتاب فالامر ظاهر لان املاءها اى القاءها على الكاتب متفرّع على طلب ان يكتب له الكاتب الا ان املاءها على من يكتبها له عليه الصلاة والسلام بمنزلة كتابته عليه الصلاة والسلام بنفسه فلذلك جعل الاملاء على الكاتب بمنزلة الاملاء على نفسه وهذا على تقدير ان يحمل الاملاء على حقيقته ويجوز ان يكون قوله تملى استعارة تبعية بان يشبه القاء الكلام على الامى ليحفظه بالقائه الى الكاتب ليكتبه لكون صورة الالقاء على الحافظ كصورة الالقاء على الكاتب فاطلق الاملاء على الالقاء على الحافظ واشتق منه تملى وكذا ان فسر اكتتبها بكتبها لنفسه واخذها من غيره على الاسناد المجازى وروى الامام عن الحسن البصرى انه قال قوله وهى تملى عليه كلام الله تعالى ذكره جوابا عن قولهم فكأنه تعالى قال ان هذه الآيات تملى عليه بالوحى حالا بعد حال فكيف يقال فى حقها انها اساطير الاوّلين ثم قال واما جمهور المفسرين فقد اتفقوا على ان ذلك من كلام القوم وارادوا به ان اهل الكتاب املوا عليه فى هذه الاوقات هذه الاشياء ثم قال ولاشك ان هذا القول اقرب لانه تعالى اجاب بعد ذلك عن كلامهم بقوله قل انزله الذى يعلم السرّ ووجه كونه جوابا ان القرءآن لكونه معجزا من حيث كونه فى اقصى مراتب الفصاحة والبلاغة ومن حيث اشتماله على الاخبار عن مغيبات مستقبلة واشياء مكنونة لايعلمها الا علام الغيوب يستحيل ان يلقيه محمد صلى الله عليه وسلم من تلقاء نفسه ولو اخذه

(واتخذوا من دونه آلهة) لما تضمن
الكلام اثبات التوحيد والنبوّة اخذ فى
الردّ على المخالفين فيهما (لايخلقون شي
وهم يخلقون) لان عبدتهم ينحتونهم
ويصوّرونهم (ولايملكون) ولايستطيعون
(لانفسهم ضرّا) دفع ضرّ (ولانفعا)
ولاجلب نفع (ولا يملكون موتا ول
حياة ولانشورا) ولايملكون اماتة احد
ولا احياءه اوّلا وبعثه ثانيا ومن كان
كذلك فبمعزل عن الالوهية لعرآئه عن
لوازمها واتصافه بما ينافيها وفيه تنبيه
على ان الاله يجب ان يكون قادرا على
البعث والجزآء (وقال الذين كفروا ان
هذا الاافك) كذب مصروف عن وجهه
(افتراه) اختلقه (واعانه عليه قوم
آخرون) اى اليهود فانهم يلقون اليه
اخبار الامم وهو يعبر عنه بعبارته وقيل
جبر ويسار وعداس وقد سبق فى قوله
انما يعلمه بشر (فقد جاؤا ظلما) بجعل
الكلام المعجز افكا مختلقا متلقفا من اليهود
(وزورا) بنسبة ماهو برئ منه اليه
واتى وجاء يطلقان بمعنى فعل ويعدّيان
تعديته (وقالوا اساطير الاوّلين) ماسطره
المتقدمون (اكتتبها) كتبها لنفسه
او استكتبها وقرئ على البناء للفعول لانه
امّى واصله اكتتبها كاتب له فحذف اللام
وافضى الفعل الى الضمير فصار اكتتبها
اياه كاتب ثم حذف الفاعل وبنى الفعل
للضمير فاستتر فيه (فهى تملى عليه بكرة
واصيلا) ليحفظها فانه امّى لايقدر
ان يكرّر من الكتاب اوليكتب (قل انزله
الذى يعلم السرّ فى السموات والارض)
لانه اعجزكم عن آخركم بفصاحته وتضمنه
اخبار عن مغيبات مستقبلة واشياء مكنونة
لايعلمها الا عالم الاسرار فكيف تجعلونه
اساطير الاوّلين (انه كان غفورا رحيما)
فلذلك لايعجل فى عقوبتكم على ماتقولون
مع كمال قدرته عليها واستحقاقكم ان
يصب عليكم العذاب صبا

(وقالوا مالهذا الرسول) مالهذا الذى يزعم الرسالة وفيه استهانة وتهكم (يأكل الطعام) كما نأكل (ويمشى فى الاسواق) لطلب المعاش كما نمشى فالمعنى ان صح دعواه فمابالهُ لم يخالف حاله حالنا وذلك لعمههم وقصور نظرهم على المحسوسات فان تميز الرسل عمن عداهم ليس بامور جسمانية وانما هو باحوال نفسانية كما اشار اليه بقوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى الىّ انما الهكم اله واحد (لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا) لنعلم صدقه بتصديق الملك (او يلقى اليه كنز) فيستظهر به ويستغنى عن تحصيل المعاش (او تكون له جنة يأكل منها) هذا على سبيل التنزل اى ان لم يلق اليه كنز فلا اقل من ان يكون له بستان كما للدهاقين والمياسير فيتعيش بريعه وقرأ حمزة والكسائى بالنون (وقال الظالمون) وضع الظالمين موضع ضميرهم تسجيلا عليهم بالظلم فيما قالوه (ان تتبعون) ما تتبعون (الا رجلا مسحورا) سحر فغلب على عقله وقيل ذا سحر وهو الرئة اى بشرا لا ملكا (انظر كيف ضربوا لك الامثال) اى قالوا فيك الاقوال الشاذة واخترعوا لك الاحوال النادرة (فضلوا) عن الطريق الموصل الى معرفة خواص النبى والمميز بينه وبين المتنبى فخبطوا خبط عشواء (فلا يستطيعون سبيلا) الى القدح فى نبوّتك او الى الرشد والهدى (تبارك الذى ان شاء جعل لك) فى الدنيا (خيرا من ذلك) مما قالوه ولكن اخره الى الآخرة لانه خير وابقى (جنات تجرى من تحتها الانهار) بدل من خيرا (ويجعل لك قصورا) عطف على محل الجزاء وقرأ ابن كثير وابن عامر وابو بكر بالرفع لان الشرط اذا كان ماضيا جاز فى جزائه الجزم والرفع كقوله * وان اتاه خليل يوم مسألة * يقول لا غائب مالى ولا حرم * ويجوز ان يكون استئنافا بوعد ما يكون له فى الآخرة وقرئ بالنصب على انه جواب بالواو (بل كذبوا بالساعة) فقصرت انظارهم على الحطام الدنيوية وظنوا ان الكرامة انما هى بالمال فطعنوا فيك بفقرك او فلذلك كذبوك لا لما تمحلوا من المطاعن الفاسدة او فكيف يلتفتون الى هذا الجواب ويصدقونك بما وعد الله لك فى الآخرة

من اساطير الاوّلين لما زاد على ما فى كتبهم فظهر انه من عند من يعلم الغيوب وهو الله تعالى وانه بمعزل عن كونه من اساطير الاوّلين ثم انه تعالى ذكر شبهة اخرى للمشركين فقال وقالوا مالهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق **﴿ قوله وفيه ﴾** اى وفى التعبير عنه عليه الصلاة والسلام بلفظ هذا استهانة وتحقير له عليه الصلاة والسلام وفى تسميتهم اياه رسولا مع انهم بصدد انكار رسالته تهكم به عليه الصلاة والسلام ذكروا له عليه الصلاة والسلام خمس صفات وزعموا انها تخل بالرسالة زعما منهم ان فضيلة الرسول على غيره تكون بامور جسمانية وهى غاية الجهالة ونهاية السفاهة فاجاب الله عن هذه الشبهة بوجوه الوجه الاوّل قوله انظر كيف ضربوا لك الامثال اى اثبتوا لك الاشباه حين زعموا انك مسحور محتاج متروك ناقص عاجز عن القيام بالامور ويقولون مرّة انه ساحر ومرّة شاعر ومرّة مجنون ومرّة مسحور ونحو ذلك من الاقوال الشاذة والاحوال النادرة فضلوا عن الطريق الموصل الى معرفة خواص النبى صلى الله عليه وسلم وهى الاختصاص بالكمالات النفسانية والفضائل الروحانية والى المميز بينه وبين المتنبى فان المميز بينهما يكون باظهار المعجزة وما ذكروه من الشبهة لا يقدح بشئ فى اظهارها فلا يكون شئ منها قادحا فى النبوّة كأنه تعالى قال انظر كيف اشتغل القوم بضرب هذه الامثال التى لا فائدة فيها لما هم بصدده من القدح فى نبوّتك واثبات كونك متنبئا والوجه الثانى من وجوه الجواب عن شبهة المنكرين ما ذكره بقوله تبارك الذى ان شاء جعل لك خيرا من ذلك اى من الذى ذكروه من نعم الدنيا كالكنز والجنة وفسر ذلك الخير بقوله جنات الخ ونبه بذلك على انه تعالى قادر على ان يعطيه عليه الصلاة والسلام ذلك الذى عيروه بفقده وما هو خير من ذلك بكثير ولكنه تعالى يعطى عباده على حسب المصالح وعلى وفق المشيئة ولا اعتراض لاحد عليه فى شئ من افعاله فيفتح على واحد ابواب المعارف والعلوم ويسدّ عليه ابواب الدنيا وفى حق الآخرة بالعكس من ذلك عن الضحاك قال لما عير المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفاقة حزن عليه الصلاة والسلام لذلك فنزلت جبريل معزيا له وقال ان الله تعالى يقرئك السلام ويقول وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الاسواق فبينما جبريل والنبى صلى الله عليه وسلم يتحدّثان اذ فتح باب من السماء لم يكن فتح قبل ذلك فقال جبريل أبشر يا محمد هذا رضوان خازن الجنة قد أتاك بالرضى من ربك فسلم عليه وقال ربك يخيرك بين ان تكون نبيا ملكا وبين ان تكون نبيا عبدا ومعه سفط من نور يتلألأ ثم قال هذه مفاتيح خزائن الدنيا فاقبضها من غير ان ينقصك الله مما ادخر لك فى الآخرة جناح بعوضة فنظر النبى عليه الصلاة والسلام الى جبريل كالمستشير فاومأ بيده ان تواضع فقال رسول الله بل نبيا عبدا قال فكان عليه الصلاة والسلام لا يأكل بعد ذلك متكئا حتى فارق الدنيا وكان يقول آكل كما يأكل العبد واجلس كما يجلس العبد **﴿ قوله وقرئ بالنصب ﴾** اى بنصب يجعل باضمار ان على انه جواب بالواو فانه معطوف على جعل وهو جواب ان شاء قال ابن جنى هو كقولك ان تأتنى آتك واحسن اليك وهو غريب لان نصب المضارع المعطوف على جواب الشرط بالواو غير مذكور فى كتب النحو انما المذكور فيها نصبه بعد الواو اذا كان قبلها احد الاشياء الستة الامر والنهى وغيرهما وقرأ باقى القرآء بجزم يجعل وادغام لامه فى لام لك عطفا على محل جعل لانه جواب الشرط والقصور جمع قصر والقصر هو المسكن الرفيع والوجه الثالث من وجوه الجواب قوله تعالى بل كذبوا بالساعة والمعنى انهم كذبوك وعيروك بالفقر لانهم كذبوا بالساعة وظنوا ان الكرامة انما هى بالمال فتكون كلمة بل لترك الاوّل والاخذ فيما هو أهم وكونه اهم بالنسبة الى الجوابين الاوّلين لانهما يفيدان ما ذكروه فى القدح لنبوّته وهو لا يصلح قادحا لها وهذا الجواب يبين العلة الداعية لهم الى انكار النبوّة فان من كذب بالساعة لا يرجو ثوابا ولا يخاف عقابا فلا يتحمل كلفة النظر والفكر فى الدلائل الدالة على ما هو الحق فى باب الاعتقاد والعمل فلذلك لا ينتفعون بما يورد عليهم من الدلائل فقوله بل كذبوا بالساعة معطوف على قوله تبارك الذى والمصنف اشار الى هذا الوجه بقوله فقصرت انظارهم على الحطام الدنيوية والحطام والهشيم هو الشئ اليابس المتكسر استعير لاسباب الدنيا لسرعة زوالها وقلة مكثها **﴿ قوله او فلذلك كذبوك لا لما تمحلوا من المطاعن ﴾** فيكون معطوفا على قوله وقالوا مالهذا الرسول **﴿ قوله او فكيف يلتفتون الى هذا الجواب ﴾** وهو قوله تعالى تبارك الذى ان شاء جعل لك خيرا الى قوله ويجعل لك قصورا برفع يجعل على الاستئناف بوعد ما يكون له فى الآخرة فيكون معطوفا عليه والفرق بين هذا وبين الاحتمال

الاوّل انه على الاوّل اضراب عنه الى جواب آخر أهمّ من الاوّل على هذا الاحتمال يكون المقصود بيان انهم لايلتفتون الى هذا الجواب لعدم تصديقهم بالآخرة ﴿قوله اولا فلا تعجب الخ﴾ فيكون معطوفا على جملة ماحكى عنهم ممايدل على تكذيبه والقدح فى نبوّته فان المقصود من حكاية ذلك عنهم التعجب من جهلهم وسفاهتهم وانما كان تكذيبهم الساعة اعجب من تكذيبهم اياه عليه الصلاة والسلام من حيث ان تكذيبهم الساعة تكذيب لله تعالى وهو اعجب واغرب من تكذيبهم اياه عليه الصلاة والسلام ﴿قوله فيكون صرفه باعتبار المكان﴾ يعنى اذا كان اسما لجهنم لوجب منع صرفه للعلمية والتأنيث الا انه صرف تأويلا لجهنم بالمكان ﴿قوله اذارأتهم﴾ جملة شرطية فى موضع النصب على انها صفة لقوله سعيرا وكذا قوله واذا ألقوا منها مكانا ضيقا الخ ﴿قوله اذا كانت بمرأى منهم﴾ يعنى ان السعير سوآء كانت بمعنى النار الملتهبة او جهنم ليست لها عين ولا رؤية ومع ذلك اسندت الرؤية اليها باعتبار كونها مجازا عن المقابلة وكونها بمرأى الناظر فان كون الشئ بمقابلة الناظر ومرءاه لازم للرؤية اذلاتمكن الرؤية بدون ذلك فاطلق الملزوم وهو الرؤية واريد اللازم وهو كون الشئ بحيث يرى والانتقال من الملزوم الى اللازم يكون مجازا لا كناية قال عليه الصلاة والسلام «المؤمن والكافر لاتتراأى ناراهما» اى لاتتقاربا ولاتكون احداهما بمرأى من الاخرى والمقصود النهى عن تقاربهما ويقال دور فلان متناظرة اى متقابلة وهذا التوجيه غير لازم على مذهب اصحابنا لان البنية ليست شرطا فى الحياة عندهم فالنار على ماهى يجوز ان يخلق الله فيها الحياة والعقل والرؤية والنطق ويؤيده ماروى انه عليه الصلاة والسلام قال «من كذب علىّ متعمدا فليتبوّأ بين عينى جهنم مقعده «قالوا هل لها عينان قال «نعم الاتسمعون قول الله تعالى اذا رأتهم من مكان بعيد» قيل من مسيرة مائة سنة بخلاف المعتزلة فانهم شرطوا البنية فى الحياة فلايجوز كون السعير ذات عينين عندهم فقوله تعالى فى صفة السعير اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا لايمكن اجراؤه على الظاهر عندهم بل يمكن ذلك عندنا اذلا امتناع من ان تكون النار حية مغتاظة على الكفار واما المعتزلة فانهم لما شرطوا البنية فى الحياة فلايجوز كون السعير ذات حياة عندهم احتاجوا الى التأويل قال الجبائى ان الله تبارك وتعالى ذكر النار واراد الخزنة الموكلة بتعذيب اهل النار لان الرؤية تصح منهم ولاتصح من النار فهو كقوله تعالى واسأل القرية اى اهلها ﴿قوله صوت تغيظ﴾ لما كان التغيظ عبارة عن شدّة الغضب وذلك لايكون مسموعا ذكر فى توجيه الكلام ان نفس التغيظ وان لم يسمع الا انه يسمع مايدل عليه من الصوت كما يقال اما رأيت غضب الملك على فلان اذا رأى مايدل عليه فكذا ههنا والمعنى سمعوا لها صوتا يشبه صوت التغيظ ﴿قوله فى مكان﴾ يعنى ان مكانا منصوب على الظرفية ومنها فى محل النصب على الحال من مكانا لانه فى الاصل صفة ومقرّنين حال من مفعول ألقوا وثبورا مفعول به لقوله دعوا روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه قال ان جهنم لتضيق على الكافر كما يضيق الزج على الرمح والزج الحديدة التى فى رأس الرمح وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال «والذى نفسى بيده انهم يكرهون فى النار كما يكره الوتد فى الحائط ولقد جمع الله على اهل النار انواع البلاء حتى ضم الى العذاب الشديد الضيق الشديد ليكون ذلك لهم عذابا فوق عذابهم ﴿قوله والاستفهام الخ﴾ جواب عما يقال كيف يتصوّر الشك فى ايهما خير حتى يحسن الاستفهام والترديد وهل يجوز لقائل ان يقول الشكر خير ام الصبر «واجاب بان ذلك يحسن فى معرض التقريع والتهكم فانه تعالى لما ذكر حال العقاب المعدّ لمن كذب بالساعة اتبعه بما يؤكد حسرته وندامته تقريعا له وتهكما وجنة الخلد هى الدار التى لاينقطع نعيمها ولاينتقل اهلها منها ولما ورد ان الجنة اسم للدار المخلدة فاى فائدة فى اضافتها الى الخلد «اشار الى جوابه بقوله واضافتها للمدح كما ان الصفة للمدح فكذا الاضافة اولان اسم الجنة لايدل الا على البستان الجامع لوجوه البهجة ولايدخل الخلود فى مفهومه فاضيف اليها للدلالة على خلودها ﴿قوله بالوعد﴾ اى بالاستحقاق كما ذهب اليه المعتزلة فان الثواب لايجب على الله عندنا خلافا لهم ويدل عليه قوله تعالى وعد المتقون فان الموعود لايكون واجبا على من وعد به قبل الوعد وانما يجب عليه انجازه بمقتضى الكرم والمعتزلة احتجوا على انها كانت لهم جزآء بالاستحقاق بوجهين الاوّل ان اسم الجزآء لايتناول الا المستحق واما الموعود بمحض التفضل فانه لايسمى جزآء والثانى انه لوكان المراد من الجزآء الامر الذى يصيرون اليه بمجرّد الوعد لمابقى فرق بين قوله جزآء وبين قوله مصيرا فيصير ذلك تكرارا من غير فائدة وقال اصحابنا لانزاع فى كونه جزآء انما النزاع فى كونه جزآء ثبت بالوعد او بالاستحقاق وليس فى الآية مايدل على التعيين وانما قلنا انه ثبت بالوعد للادلة المنفصلة وقوله

او فلا تعجب من تكذيبهم اياك فانه اعجب منه (واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا) نارا شديدة الاستعار وقيل هو اسم لجهنم فيكون صرفه باعتبار المكان (اذا رأتهم) اذا كانت بمرأى منهم كقوله عليه الصلاة والسلام لاتتراأى ناراهما اى لاتتقاربا بحيث تكون احدهما بمرأى من الاخرى على المجاز والتأنيث لانه بمعنى النار او جهنم (من مكان بعيد) وهو اقصى مايمكن ان يرى منه (سمعوا لها تغيظا وزفيرا) صوت تغيظ شبه صوت غليانها بصوت المغتاظ وزفيره وهو صوت يسمع من جوفه هذا وان الحياة لما لم تكن مشروطة عندنا بالبنية امكن ان يخلق الله فيها حياة فترى وتتغيظ وتزفر وقيل ان ذلك لزبانيتها فنسب اليها على حذف المضاف (واذا ألقوا منها مكانا) اى فى مكان ومنها بيان تقدم فصار حالا (ضيقا) لزيادة العذاب فان الكرب مع الضيق والروح مع السعة ولذلك وصف الله الجنة بان عرضها السموات والارض وقرأ ابن كثير بسكون الياء (مقرّنين) قرنت ايديهم الى اعناقهم بالسلاسل (دعوا هنالك) فى ذلك المكان (ثبورا) هلاكا اى يتمنون الهلاك وينادونه فيقولون ياثبوراه تعال فهذا حينك (لاتدعوا اليوم ثبورا واحدا) اى يقال لهم ذلك (وادعوا ثبورا كثيرا) لان عذابكم انواع كثيرة كل نوع منها ثبور لشدّته اولانه يتجدد كقوله تعالى كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب اولانه لاينقطع فهو فى كل وقت ثبور (قل أذلك خير ام جنة الخلد التى وعد المتقون) الاشارة الى العذاب والاستفهام والتفضيل والترديد للتقريع مع التهكم اوالى الكنز والجنة والراجع الى الموصول محذوف واضافة الجنة الى الخلد للمدح او الدلالة على خلودها او التمييز عن جنات الدنيا (كانت لهم) فى علم الله او اللوح اولان ماوعده الله فى تحققه كالواقع (جزآء) على اعمالهم بالوعد

كانت بلفظ الماضي مع ان الجنة ستصير لهم جزآء ومصيرا في المستقبل مبني على انه تعالى كتب في اللوح المحفوظ قبل ان يخلقهم ان الجنة جزاؤهم ومصيرهم وكان ذلك في علمه الازلي ﴿قوله ولا يمنع كونه جزآء لهم ان يتفضل بها على غيرهم برضاهم﴾ جواب عن استدلال المعتزلة على انه تعالى لا يعفو عن اصحاب الكبائر ولا يدخلهم الجنة بهذه الآية بان قالوا الجنة حق المتقين جزآء على اعمالهم لقوله تعالى كانت لهم جزآء واهل الكبائر وان كانوا مؤمنين لكنهم ليسوا بمتقين فلو عفا الله عنهم وادخلهم الجنة التي اختصت بالمتقين وكانت حقا لهم لزم ان يعطيهم حق المتقين مع انهم ليسوا بمتقين واعطاء حق الانسان لغيره لا يجوز وتوجيه الجواب بين ظاهر ﴿قوله ولعله يقصر هم كل طائفة﴾ جواب عما يقال ان اهل الدرجات النازلة اذا شاهدوا الدرجات العالية لابد ان يريدوها ويسألوها فان اعطاهم الله تعالى اياها لم يبق بين الناقص والكامل تفاوت في الدرجة وان لم يعطها لهم قدح ذلك في قوله لهم فيها مايشاؤون وفي قوله ماتشتهي الانفس وايضا فالاب اذا كان ولده في دركات النار واشد العذاب اشتهى ان يخلصه الله من ذلك فان فعل الله ذلك قدح في ان عذاب الكافر مخلد وان لم يفعل قدح ذلك في قوله لهم فيها مايشاؤون وفيها ماتشتهيه الانفس * وتقرير الجواب ان المراد لهم فيها مايشاؤون مما يليق برتبتهم وانه تعالى لا يلقي في خواطرهم ان ينالوا رتبة من هو اشرف منهم رتبة بل يشتغل كل واحد بالالتذاذ بما يليق برتبته ولا يلتفت الى حال غيره ﴿قوله حال من احد ضمائرهم﴾ والمعنى الذي يشاؤونه حال كونهم خالدين حاصل لهم اوالذي يشاؤونه حاصل لهم حال كونهم خالدين ﴿قوله ومافي على من معنى الوجوب لامتناع الخلف في وعده﴾ والمعنى كان الذي يشاؤونه موعودا واجبا على ربك انجازه لكونه وعد الكريم الذي يمتنع الخلف في وعده وليس المعنى كما ذكره صاحب الكشاف ان ذلك كان موعودا واجبا على ربك انجازه حقيقا ان يسأل ويطلب لكونه جزآء واجرا مستحقا عليه لان العبد لا يستوجب عليه تعالى شيأ بل كل مايصل اليه من الخير فهو تفضل محض * ولما ورد ان يقال لما وجب عليه انجاز الموعود وان كان ذلك بناء على كرمه وامتناع الخلف في وعده لزم منه انه تعالى ملجأ الى الانجاز وغير قادر على تركه ومن كان ملجأ الى الفعل وغير قادر على تركه لا يكون مستحقا للمدح والثناء بذلك فالله ذو الفضل العظيم يختص برحمته من يشاء * اجاب عنه بقوله ولا يلزم منه الالجاء الى الانجاز لان وجوب الانجاز انما لزم من الوعد الذي هو الاخبار بالفعل المتوقف على العلم بالفعل وكل واحد من الاخبار بالفعل والعلم به يوجب الفعل فوجب الفعل لانه لولم يفعله لانقلب خبره الصادق كذبا وعلمه جهلا والوجوب اللازم من الاخبار والعلم لا يستلزم كونه تعالى ملجأ الى الفعل غير قادر على الترك لان تعلق الارادة الازلية بالفعل متقدم على الاخبار به والعلم بوقوعه والفعل الواقع بالارادة لا يكون صادرا على سبيل الالجاء ويكون تركه مقدورا ويستحق فاعله المدح والثناء ﴿قوله تعالى ويوم نحشرهم﴾ اي واذكر يوم نحشر الذين اتخذوا من دون الله آلهة قرأ ابن عامر نحشرهم فنقول بالنون فيهما وابن كثير وحفص بالياء من تحت فيهما والباقون بالنون في الاول وبالياء في الثاني واختار المصنف هذه القرآءة ﴿قوله وهو على تلوين الخطاب﴾ اي على الالتفات من التكلم الى الغيبة ﴿قوله يعم كل معبود سواه﴾ اي من الملائكة والمسيح وعزير والاوثان بشهادة قوله تعالى من دون الله الا ان جواب المعبودين بقولهم سبحانك ماكان ينبغي لنا ان نتخذ من دونك من اولياء يأبى دخول الاصنام فيهم لان هذا الجواب انما يلائم الانبياء والملائكة المعصومين * ولما ورد ان يقال كيف يعم كل معبود ولفظ ما لا يستعمل في العقلاء * دفعه بما محصوله انا لا نسلم ان كلمة ما لا تستعمل الا فيما لا يعقل فانها كما تستعمل فيما علم انه غير عاقل تستعمل ايضا فيما يتناوله وغيره كما اذا استعملت في الذوات التي يدخل فيها الفريقان مع قطع النظر عن كونها عقلاء اوغير عقلاء كما في مانحن فيه نعم انها لا تستعمل فيما علم كونه عاقلا وانما تستعمل فيه كلمة من بدليل قولك اذا رأيت شبحا من بعيد ماهو فاذا قيل لك انه انسان قلت حينئذ من هو ودفعه ثانيا بانه اريد به الوصف فانه قد يطلق على صفات من يعقل ومنه قوله تعالى والسماء ومابناها اي وبانيها وقوله تعالى ولا انتم عابدون ما اعبد اي معبودي وقول فرعون ومارب العالمين اي مربيهم وقولك اذا اردت السؤال عن صفة زيد مثلا مازيد تريد طويلا ام قصيرا فقيها ام طبيبا وثالثا بانه عبر عن مطلق المعبود بكلمة ما تغليبا للاصنام على العقلاء المعبودين تحقيرا لشأنهم لغاية قصورهم عن معنى الربوبية والالوهية وقوله او اعتبارا لغلبة عبادها عطف على تحقيرا ﴿قوله او يخص الملائكة وعزيرا والمسيح﴾ عطف على قوله يعم كل معبود وقوله او الاصنام عطف على الملائكة * ولما ورد ان يقال الصنم جماد فكيف يخاطبه

(ومصيرا) ينقلبون اليه ولا يمنع كونها جزآء لهم ان يتفضل بها على غيرهم برضاهم مع جواز ان يراد بالمتقين من يتقي الكفر والتكذيب لانهم في مقابلتهم (لهم فيها مايشاؤون) مايشاؤونه من النعيم ولعله يقصر هم كل طائفة على مايليق برتبته اذ الظاهر ان الناقص لا يدرك شيأ والكامل بالتشهي وفيه تنبيه على ان كل المرادات لا تحصل الا في الجنة (خالدين) حال من احد ضمائرهم (كان على ربك وعدا مسئولا) الضمير في كان لما يشاؤون والوعد الموعود اي كان ذلك موعودا حقيقا بان يسأل ويطلب اومسئولا سأله الناس في دعائهم ربنا وآتنا ماوعدتنا على رسلك اوالملائكة بقولهم ربنا وأدخلهم جنات عدن ومافي على من معنى الوجوب لامتناع الخلف في وعده ولا يلزم منه الالجاء الى الانجاز فان تعلق الارادة بالموعود مقدم على الوعد الموجب للانجاز (ويوم نحشرهم) للجزآء وقرئ بكسر الشين وقرأ ابن كثير ويعقوب وحفص بالياء (ومايعبدون من دون الله) يعم كل معبود سواه واستعمال ما اما لان وضعه اعم ولذلك يطلق لكل شبح يرى ولا يعرف اولانه اريد به الوصف كانه قيل ومعبودهم او لتغليب الاصنام تحقيرا اواعتبارا لغلبة عبادها او يخص الملائكة وعزيرا او المسيح لقرينة السؤال والجواب او الاصنام ينطقها الله او تتكلم بلسان الحال كما قيل في كلام الايدي والارجل (فيقول) اي للمعبودين وهو على تلوين الخطاب وقرأ ابن عامر بالنون

(أأنتم اضللتم عبادى هؤلاء ام هم ضلوا السبيل) لاخلالهم بالنظر الصحيح واعراضهم عن المرشد النصيح وهو استفهام تقريع وتبكيت للعبدة واصله أأضللتم ام ضلوا فغير النظم ليلى حرف الاستفهام المقصود بالسؤال وهو المتولى للفعل دونه لانه لاشبهة فيه والا لما توجه العتاب وحذف صلة ضل للمبالغة (قالوا سبحانك) تعجبا مما قيل لهم لانهم اما ملائكة او انبياء معصومون او جمادات لاتقدر على شئ او اشعارا بانهم الموسومون بتسبيحه وتوحيده فكيف يليق بهم اضلال عبيده او تنزيها لله عن الانداد (ما كان ينبغى لنا) يصح لنا (ان نتخذ من دونك من اولياء) للعصمة او لعدم القدرة فكيف يصح لنا ان ندعو غيرنا ان يتولى احدا دونك وقرئ ان نتخذ على البناء للمفعول من اتخذ الذى له مفعولان كقوله تعالى واتخذ الله ابراهيم خليلا ومفعوله الثانى من اولياء ومن للتبعيض وعلى الاول مزيدة لتأكيد النفى (ولكن متعتهم وآباءهم) بانواع النعم فاستغرقوا فى الشهوات (حتى نسوا الذكر) حتى غفلوا عن ذكرك او التذكر لآلائك والتدبر فى آياتك وهو نسبة للضلال اليهم من حيث انه بكسبهم واسناد له الى ما فعل الله بهم فحملهم عليه وهو عين ما ذهبنا اليه فلا ينتهض حجة علينا للمعتزلة (وكانوا) فى قضائك (قوما بورا) هالكين مصدر وصف به ولذلك يستوى فيه الواحد والجمع او جمع بائر كعائذ وعوذ (فقد كذبوكم) التفات الى العبدة بالاحتجاج والالزام على حذف القول والمعنى فقد كذبكم المعبودون (بما تقولون) فى قولكم انهم آلهة او هؤلاء اضلونا والباء بمعنى فى او مع المجرور بدل من الضمير وعن ابن كثير بالياء اى كذبوكم بقولهم سبحانك ما كان ينبغى لنا (فما يستطيعون) اى المعبودون وقرأ حفص بالتاء على خطاب العابدين (صرفا) دفعا للعذاب عنكم وقيل حيلة من قولهم انه ليصرف اى يحتال (ولا نصرا) يعينكم عليه (ومن يظلم منكم) ايها المكلفون (نذقه عذابا كبيرا) هى النار والشرط وان عم كل من كفر او فسق لكنه فى اقتضاء الجزاء مقيد بعدم المزاحم وفاقا وهو التوبة والاحباط بالطاعة اجماعا وبالعفو عندنا

الله * اجاب عنه اولا بانه تعالى يخلق فيه الحياة ويجعله صالحا لان يسأل ويجيب وثانيا بان ذلك الكلام ليس بلسان المقال بل هو بلسان الحال كما قيل فى تسبيح الدواب وكلام الايدى والارجل **﴿قوله وهو استفهام تقريع﴾** جواب عما يقال انه تعالى كان عالما فى الازل بحال المسئول عنه فما فائدة هذا السؤال * وتقرير الجواب ان فائدته تقريع العبدة والزامهم كما قيل لعيسى أأنت قلت للناس اتخذونى وامى الهين من دون الله لانهم اذا سئلوا بذلك واجابوا بما هو الحق الواقع تزداد حسرة العبدة وحيرتهم ويبكتون بتكذيب المعبودين اياهم وتبرئهم من امرهم بالشرك وعبادة غير الله فلذلك سألهم بذلك والا فهو اعلم بجميع المعلومات ومستغن عن السؤال **﴿قوله واصله أأضللتم ام ضلوا﴾** لان المعنى ان ضلالهم عن الصراط السوى معلوم الا ان ذلك الضلال هل هو حاصل من قبل انفسهم او باضلالكم اياهم وهذا المعنى يحصل بان يقال أأضللتم عبادى ام ضلوا بانفسهم من غير ان يزاد انتم وهم الا انه غير النظم بزيادة انتم بين فعل الاضلال والهمزة وبزيادتهم بين فعل الضلال وام ليلى حرف الاستفهام المقصود بالسؤال وهو تعين من تولى الفعل وباشره لا اصل الضلال اذ لاشبهة فى تحققه حتى يسأل عنه فان اصل الضلال لو لم يكن مقطوع التحقق لما توجه العتاب وهو اظهار الغضب وقد توجه ذلك لان هذا الاستفهام للتوبيخ والعتاب كانه قيل هؤلاء الضالون لابد لهم من مضل وان ذلك المضل هل هو انتم او هم ضلوا بانفسهم فان الضال من غير ان ينقاد لمضل خارجى هو الذى يضل نفسه لا محالة فزيد لفظ انتم وهم ليلى حرف الاستفهام المقصود بالسؤال ثم انه ذكر فى قوله سبحانك ثلاثة معان الاول انه تعجب مما قيل لهم واسند اليهم من الاضلال مع كونهم معصومين او عاجزين عن الفعل مطلقا فانه كثيرا ما يستعمل فى التعجب والثانى ان قولهم سبحانك كناية عن كونهم مسبحين موسومين بذلك فكيف يليق بهم ان يضلوا عباده والثالث انه يستعمل فى التنزيه كما هو اصله والمراد تنزيهه تعالى عن الانداد **﴿قوله فكيف يصح لنا ان ندعو غيرنا ان يتولى احدا دونك﴾** جعل قولهم ما كان ينبغى لنا كناية عن استبعاد ان يدعوا احدا الى اتخاذ ولى دونه تعالى لان نفس قولهم بصريحه لا يفيد المقصود وهو نفى ما نسب اليهم من اضلال العباد وحملهم على اتخاذ الاولياء من دون الله **﴿قوله من اتخذ الذى له مفعولان﴾** اولهما ضمير المتكلمين وثانيهما قوله من اولياء ومن للتبعيض اى ما كان ينبغى لنا ان نتخذ بعض اولياء وقرأ العامة نتخذ مبنيا للفاعل ومن اولياء مفعوله وزيدت من فيه لتأكيد النفى **﴿قوله فلا ينتهض حجة علينا للمعتزلة﴾** فانهم قالوا فى هذه الآية دليل بين لقول من يقول ان الله تعالى يضل عباده فى الحقيقة لانه لو كان الامر كذلك لكان الجواب الصحيح ان يقولوا ههنا قسم ثالث غيرهما وهو الحق وهو انك اضللتم فلما لم يقولوا ذلك بل نسبوا اضلالهم الى انفسهم علمنا ان الله لا يضل احدا من عباده * فان قيل لا نسلم ان المعبودين ما تعرضوا لهذا القسم بل ذكروه وقالوا ولكن متعتهم وآباءهم بنعم الدنيا * قلنا لو كان الامر كذلك لكان يلزم ان يكون الله محجوجا فى يد اولئك المعبودين ومعلوم ان ليس الغرض ذلك بل الغرض ان يصير الكافر محجوجا مفحما ملوما هذا تمام تقرير كلام المعتزلة فى الآية وتقرير المصنف ظاهر فى عدم انتهاض الآية حجة للمعتزلة علينا فانه لما تضمن كلام المعبودين انا لم نضلهم ولم نحملهم على الضلال حسن الاستدراك بقولهم ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر فهو نسبة الضلال اليهم من حيث انه بكسبهم واستغراقهم فى الشهوات واسناد له الى ما فعل الله بهم فكأنه قيل لكن اضللتم بان فعلت بهم ما يؤثرون به الضلال فخلقت فيهم ذلك اذ لو لم يكن المعنى ذلك لما انطبق الجواب لان السؤال انما هو عمن اضلهم **﴿قوله التفات الى العبدة﴾** يعنى انه كلام الله تعالى خاطب به المشركين بعد ما عبر عنهم بلفظ الغيبة فى قوله ويوم نحشرهم واصل الآية فقلنا قد كذبكم المعبودون ايها المشركون فى قولكم انهم آلهة او فى قولكم هؤلاء اضلونا على ان الباء بمعنى فى ويحتمل ان تكون الباء مع المجرور بدلا من ضمير المفعول فى كذبوكم كأنه قيل فقد كذبوا بما تقولون والباء صلة كذبوا كما فى قولك كذب بالحق فان كذب انما يتعدى الى واحد تارة بنفسه وتارة بالباء وقد عدى ههنا الى كم بنفسه فلا جرم ان تكون بدلا منه وان قرئ بما يقولون بياء الغيبة تكون الباء للآلة كما فى قولك كتبت بالقلم اى كذبوكم بقولهم سبحانك ما كان ينبغى لنا **﴿قوله والشرط وان عم﴾** جواب عن استدلال المعتزلة بهذه الآية على القطع بوعيد العصاة واهل الكبائر بان قالوا قوله تعالى ومن يظلم يعم الكافر والفاسق لان كل واحد منهما ظالم لقوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم ولقوله ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون فثبت بهذه الآية ان الفاسق لا يعفى عنه بل يعذب * وتقرير الجواب ظاهر والمراد بالاحباط بالطاعة

(وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الاسواق) اى الارسلا انهم فحذف الموصوف لدلالة المرسلين عليه واقيمت الصفة مقامه كقوله ومامنا الاله مقام معلوم ويجوز ان يكون حالا اكتفى فيها بالضمير وهو جواب لقولهم مالهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق وقرئ يمشون اى يمشيهم حوائجهم او الناس (وجعلنا بعضكم) ايها الناس (لبعض فتنة) ابتلاء ومن ذلك ابتلاء الفقرآء بالاغنياء والمرسلين بالمرسل اليهم ومناصبتهم لهم العداوة وايذآئهم لهم وهو تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم على ماقالوه بعد نقضه وفيه دليل على القضاء والقدر (أتصبرون) علة للجعل والمعنى وجعلنا بعضكم لبعض فتنة لنعلم ايكم يصبر ونظيره قوله ليبلوكم ايكم احسن عملا او حث على الصبر على ماافتتنوا به (وكان ربك بصيرا) بمن يصبر او بالصواب فيما يبتلى به وغيره (وقال الذين لا يرجون) لا يأملون (لقاءنا) بالخير لكفرهم بالبعث او لا يخافون لقاءنا بالشر على لغة تهامة واصل اللقاء الوصول الى الشئ ومنه الرؤية فانه وصول الى المرئى والمراد به الوصول الى جزآئه ويمكن ان يراد به الرؤية على الاول (لولا) هلا (انزل علينا الملائكة) فيخبرونا بصدق محمد وقيل فيكونون رسلا الينا (او نرى ربنا) فيأمرنا بتصديقه واتباعه (لقد استكبروا فى انفسهم) اى فى شأنها حتى ارادوا لها مايتفق للافراد من الانبياء الذين هم اكمل خلق الله فى اكمل اوقاتها وما هو اعظم من ذلك (وعتوا) وتجاوزوا الحد فى الظلم (عتوا كبيرا) بالغا اقصى مراتبه حيث عاينوا المعجزات القاهرة فأعرضوا عنها واقترحوا لانفسهم الخبيثة ماسدت دونه مطامح النفوس القدسية واللام جواب قسم محذوف وفى الاستئناف بالجملة حسن واشعار بالتعجب من استكبارهم وعتوهم كقوله * وجارة جساس ابأنا بنابها * كليبا غلت ناب كليب بواؤها *

ان يزيل ذلك الظلم بطاعة هى اعظم من ذلك الظلم فلما كان اقتضاء هذا الشرط للجزآء المذكور مقيدا بان لا يوجد مايزيل ذلك الظلم فلم تقولوا انه لم يوجد مايزيله حتى قطعتم بتعذيبه ﴿قوله الا رسلا انهم﴾ يعنى كسرت همزة انهم لوقوعها فى صدر جملة وقعت صفة لموصوف محذوف * واعلم ان فى الآية حذفين والتقدير وما ارسلنا قبلك احدا من المرسلين الا رسلا انهم يأكلون الطعام فحذف احدا واقيمت صفته وهى من المرسلين مقامه وكذا حذف رسلا واقيمت الجملة التى بعده مقامه وجاز استثناء رسلا من احد لانه فى معنى الجمع كما فى قوله تعالى فما منكم من أحد عنه حاجزين ويجوز ان تكون الجملة التى بعد الا حالا من اعم الاحوال والتقدير وما ارسلنا قبلك احدا من المرسلين فى حال من الاحوال الا وهم يأكلون الا انه اكتفى فيها بالضمير عن الواو ﴿قوله وهو جواب لقولهم﴾ يعنى انه احتجاج عليهم فى قولهم مالهذا الرسول يأكل الطعام ونقض له بحال الرسل جميعا كانه قيل لو كان موافقة الرسل المرسل اليهم فى الاحوال منافيا لوجب ان لا يكون احد من المرسلين قبلك رسولا يأكل وهو باطل فاذا لم يكن ذلك منافيا لرسالتهم لم يكن منافيا لرسالتك ايضا فانك لا تكون بدعا منهم وقرئ يمشون بضم الياء وفتح الشين المشددة ولو قرئ يمشون بضم الشين على بناء الفاعل لتكثر المشى لكان له وجه لولا ان الرواية بالفتح يقال نصبت لفلان نصبا اذا عاديته وناصبته الحرب مناصبة اى شاركته فى المحاربة والمعاداة قيل قوله تعالى وجعلنا بعضكم لبعض فتنة تسلية له عليه السلام على ماقالوا مالهذا الرسول يأكل الطعام مع احتجاجه عليهم بسائر الرسل كانه قيل لا تتأذ بقولهم فانا جعلنا بعض الناس بلاء لبعض كما ابتلى اشراف الناس بأسافلهم وذووا انسابهم بمواليهم وسلاطينهم برعاياهم وبالعكس ورؤساء المشركين بفقرآء الصحابة فانه اذا اراد الشريف ان يسلم ورأى الوضيع قد اسلم قبله انف ان يسلم وقال لا اسلم بعده فيكون له على السابقة والفضل فيقيم على كفره وهو افتتان بعضهم ببعض ودليله قوله لو كان خيرا ماسبقونا اليه فلا عجب من ان يبتلى المرسلون بالمرسل اليهم بأنواع اذاهم وان يبتلى المرسل اليهم بالمرسلين حسدا لهم ويأسا من كونهم مكلفين بالخدمة وبذل النفس والمال بعد ان كانوا رؤساء مخدومين ﴿قوله وفيه دليل على القضاء﴾ اى فى قوله تعالى وجعلنا دليل على ان الكائنات كلها واقعة بقضاء الله وقدره فانه لا شك ان المراد منه وحكمنا فى الازل ان يكون بعضكم فتنة لبعض فالذى حكم الله تعالى عليه بذلك وعلم ذلك منه واثبته فى اللوح المحفوظ واطلع عليه الملائكة يجب ان يقع فى اوقات حدوثه على وفق ماتعلق به العلم الازلى والا لصار العلم جهلا ولصارت الكتابة المثبتة فى اللوح المحفوظ باطلة ولصار اعتقاد الملائكة جهلا وكل ذلك محال ومايستلزم المحال محال فثبت مسألة القضاء والقدر والقضاء هو الارادة الازلية والعناية الالهية المقتضية لنظام الموجودات على ترتيب خاص والقدر تعلق تلك الارادة بالاشياء فى اوقاتها ﴿قوله علة للجعل﴾ يعنى ان الفتنة بمعنى الابتلاء والامتحان والاختبار لجعل البعض فتنة للبعض معناه جعله سببا لامتحان البعض بالبعض الآخر فكان تعلق اتصبرون بقوله فتنة بمنزلة تعلق قوله ايكم احسن عملا فكما ان المعنى ثمة ابتليناكم بالتكليف لنعلم ايكم احسن عملا فكذا المعنى ههنا جعلنا بعضكم فتنة لبعض لنعلم ايكم احسن صبرا فكان خلاصة المعنى فاصبروا ايها المكلفون على ايذآء بعضكم بعضا فصبروا فانزل الله تعالى فيهم انى جزيتهم اليوم بما صبروا ﴿قوله تعالى وكان ربك بصيرا﴾ اى عالما بمن يصبر وبمن يجزع فهو تبشير وانذار للفريقين وقيل عالما بالصواب فيما يبتلى به الخلق وغيره فلا يضيقن صدرك يا محمد ﴿قوله ومنه الرؤية﴾ اى ومن وجوه الوصول الى الشئ وطرقه رؤيته فان مسمى اللقاء جنس تحته انواع احدا انواعه الرؤية ونوعه الآخر الاتصال والمماسة واللقاء بهذا المعنى يمتنع ان يتعلق بذاته تعالى فتعين ان يكون المراد الوصول الى جزآئه ورؤية ذاته على تقدير ان يفسر قوله لا يرجون لقاءنا لا يأملون لقاءنا بالخير وهذه الآية اشارة الى شبهة رابعة لمنكرى نبوته وهى قولهم لو كان نبيا لانزل الله ملائكة يشهدون انه صادق فى دعوى النبوة او نرى ربنا حتى يخبرنا بانه ارسله الينا لان هذا الطريق احسن واقوى فى الافضاء الى الايمان وتصديقه ولما لم يفعل ذلك علمنا انه تعالى ما اراد تصديقه ﴿قوله ابأنا بنابها كليبا﴾ اى قتلنا بمقابلة نابها كليبا وهو رئيس تغلب بن وآئل يقال ابأت فلانا بفلان اذا قتلته به وجعلته كفؤا له والناب المسنة من النوق وجساس رئيس بكر بن وآئل وجارته امرأة اسمها بسوس يقال انها خالة جساس رأى كليب بن وآئل يوما ناقة تلك المرأة فى حماه وقد كسرت بيض طير كان قد اجاره فرمى ضرعها بسهم فقتلها فشكت بسوس الى جساس فقال جساس لجارته لنقتلن غدا فحلا هو اعظم من ناقتك فبلغ ذلك كليبا فظن انه فحله الذى يسمى عليان فقال كليب دون عليان

خرط القتاد وكان جساس اراد بالفحل نفس كليب فقتل جساس كليبا بدل تلك الناقة فهاجت بذلك حرب بكر وتغلب بن وآئل اربعين سنة حتى ضرب بها المثل فى الشؤم * وقيل اشأم من بسوس * وسميت تلك الحرب حرب البسوس وضرب المثل فى عزة الشئ وقيل * اعز من حمى كليب * والبوآء الكفؤ واستأنف بقوله غلت ناب كليب بواؤها لقصد التعجب والمعنى ما اغلى نابا بواؤها كليب وكذا معنى الآية ما اشدّ استكبارهم وما اكثر عتوّهم ثم انه تعالى اجاب عن قولهم لولا انزل علينا الملائكة بقوله يوم يرون الملائكة فبين ان الذى طلبوه سيوجد ولكنهم يلقون منه مايكرهون ﴿**قوله** ويوم نصب باذكر﴾ فيكون لابشرى استئنافا او معمولا لقول مضمر اى اذكر يوم يرون الملائكة يقولون لابشرى وجملة القول حال من الملائكة ﴿**قوله** او بما دل عليه لابشرى﴾ ولايجوز ان يعمل فيه نفس البشرى لوجهين احدهما انه مصدر والمصدر لايعمل فيما قبله والثانى انها منفية بلا وما بعد لا لايعمل فيما قبلها ويومئذ تكرير ليوم يرون اما على انه تأكيد لفظى له واما على انه بدل منه ويحتمل ان يكون يومئذ خبر لابشرى والعامل فيه محذوف ويكون للمجرمين بيانا لقوله لابشرى لما فيه من الابهام او خبرا ثانيا له ﴿**قوله** او ظرف﴾ عطف على قوله تكرير اى ويحتمل ان يكون يومئذ ظرفا لما تعلق به اللام او لبشرى اذا جعلتها غير مبنية فان المبنية لاتعمل ﴿**قوله** وللمجرمين اما عام يتناول حكمه حكمهم﴾ اى حكم الذين لايرجون لقاءنا من طريق البرهان بان يقال ان الذين لايرجون لقاءنا مجرمون والمجرمون لابشرى لهم فالذين لايرجون لقاءنا لابشرى لهم ﴿**قوله** ولايلزم من نفى البشرى لعامة المجرمين حينئذ﴾ اى حين يرون الملائكة عند الموت او يوم القيامة نفى البشرى بالعفو والشفاعة جواب عن استدلال المعتزلة بهذه الآية على القطع بوعيد الفساق وعدم العفو والشفاعة وذلك ان قوله لابشرى يومئذ للمجرمين نكرة فى سياق النفى فتعم جميع انواع البشرى فى جميع الاوقات وشفاعة الرسول لهم من اعظم البشرى فوجب ان لايثبت ذلك لأحد من المجرمين ﴿**قوله** عطف على المدلول﴾ اى على الفعل الذى يدل عليه لابشرى وهو يمنعون البشرى بالجنة او يعدمونها وقولهم حجرا محجورا كلمة تقال عند لقاء عدو أو هجوم مكروه ونحو ذلك يضعونها موضع الاستعاذة وحجرا من المصادر التى التزم اضمار ناصبها ولايتصرّف فيه نحو معاذ الله وقعدك الله وعمرك اى اعوذ بالله معاذا يقال عذت بفلان واستعذت به اى لجأت اليه وهو عياذى اى ملجئ وقعدك الله وعمرك الله اى عمرك الله تعميرا وقعدك الله تقعيدا حذف زوآئد المصدر واقيم مقام الفعل مضافا الى المفعول وحجرا مصدر حجره اذا منعه لان المستعيذ طالب من الله ان يمنع المكروه ولايلحقه به والمعنى نسأل الله ان يمنعه منعا ويحجره حجرا والعامّة على كسر الحاء وقرئ بضمها وهى لغة فيه وحكى ابو البقاء فيه لغة ثالثة وهى فتح الحاء وقد قرئ به ﴿**قوله** واصله الفتح غير انه لما اختص بموضع مخصوص﴾ وهو موضع الانتصاب على المصدرية لفعل مضمر أمن فيه من الالتباس وقوله غير جواب لما اختص ومحجورا صفة مؤكدة للمعنى كقولهم ليل لائل وموت مائت ﴿**قوله** وعمدنا الى ماعملوا﴾ لما لم يجز اسناد حقيقة القدوم اليه تعالى لكون القدوم عبارة عن مجئ المسافر بعد مدّة وذلك يكون بالحركة التى هى من خواص الاجسام ومقتضية لحدوث الموصوف بها ولذلك استدل الخليل بافول الكواكب على حدوثها وقد ثبت انه تعالى منزه عن الجسمية والحدوث ولذلك اوّل قوله تعالى وقدمنا بقوله وعمدنا فان القصد هو المؤثر فى القدوم فاطلق اسم المسبب على السبب فيكون المجاز فى المفرد وليت شعرى كيف احتيج الى اعتباره مع جعله من تشبيه الهيئة بالهيئة كما صرّح به حيث قال وهو تشبيه حالهم بحال قوم وفى مثله تكون المفردات مستعملة فى معانيها الاصلية وانما التصرّف فى المعنى التركيبى والظاهر انه ليس مراد المصنف بقوله اى وعمدنا جعل القدوم مجازا عن العمد بل يريد به ان يعبر عن الهيئة المشبهة التى جعل نظم الآية مجازا عنها ﴿**قوله** او مفعول ثالث﴾ عطف على قوله صفته واراد أن منثورا لما كان بمنزلة خبر ثان كان الخبر مع المفعول الاوّل الذى هو فى الاصل مبتدأ بمنزلة ثلاثة مفاعيل والا فجعل سوآء كان بمعنى خلق او صير لايتعدّى الى ثلاثة مفاعيل ثم انه تعالى لما بين حال الكفار فى الخسار الكلى والخيبة التامّة شرح وصف اهل الجنة تنبيها على ان الحظ كل الحظ فى طاعة الله فقال مستقرّ اهل الجنة خير من مستقرّ اهل النار وكذا مقيلهم خير من مقيلهم * فان قيل كيف يكون مستقرّ اهل الجنة خيرا من مستقرّ اهل النار مع انه لاخير فى النار اذ لايقال العسل احلى من الخل * فالجواب انه من قبيل التقريع والتهكم كما فى قوله أذلك خير ام جنة الخلد ولما دلت الآية على ان مستقرّ اهل الجنة غير مقيلهم فسر المستقرّ بالمكان الذى يستقرّ فيه فى اكثر الاوقات

(يوم يرون الملائكة) ملائكة الموت او العذاب ويوم نصب باذكر او بما دل عليه (لابشرى يومئذ للمجرمين) فانه بمعنى يمنعون البشرى او يعدمونها ويومئذ تكرير او خبر وللمجرمين تبيين او خبر ثان او ظرف لما تعلق به اللام او لبشرى ان قدرت منوّنة غير مبنية مع لا فانها لاتعمل وللمجرمين اما عام يتناول حكمه حكمهم من طريق البرهان ولايلزم من نفى البشرى لعامّة المجرمين حينئذ نفى البشرى بالعفو والشفاعة فى وقت آخر واما خاص وضع موضع ضميرهم تسجيلا على جرمهم واشعارا بما هو المانع للبشرى والموجب لما يقابلها (ويقولون حجرا محجورا) عطف على المدلول اى ويقول الكفرة حينئذ هذه الكلمة استعاذة وطلبا من الله ان يمنع لقاءهم وهى مما كانوا يقولون عند لقاء عدوّ او هجوم مكروه او يقولها الملائكة بمعنى حراما محرّما عليكم الجنة او البشرى وقرئ حجرا بالضم واصله الفتح غير انه لما اختص بموضع مخصوص غير كقعدك وعمرك ولذلك لايتصرّف فيه ولا يظهر ناصبه ووصفه بمحجورا للتأكيد كقولهم موت مائت (وقدمنا الى ماعملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا) اى وعمدنا الى ماعملوا فى كفرهم من المكارم كقرى الضيف وصلة الرحم واغاثة الملهوف فأحبطناه لفقد ماهو شرط اعتباره وهو تشبيه حالهم واعمالهم بحال قوم استعصوا سلطانهم فقدم الى اسبابهم فمزقها وابطلها ولم يبق لها اثر والهباء غبار يرى فى شعاع الشمس يطلع من الكوّة من الهبوة وهى الغبار ومنثورا صفته شبه به عملهم المحبط فى حقارته وعدم نفعه ثم بالمنثور منه فى انتشاره بحيث لايمكن نظمه او تفرّقه نحو اغراضهم التى كانوا يتوجهون به نحوها او مفعول ثالث من حيث انه كالخبر بعد الخبر كقوله كونوا قردة خاسئين (اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرّا) مكانا يستقرّ فيه فى اكثر الاوقات للتجالس والتحادث (واحسن مقيلا) مكانا يؤوى اليه للاسترواح بالازواج والتمتع بهنّ تجوّزا له من مكان القيلولة على التشبيه

والقبل بالمكان الذى يؤوى اليه للتمتع بالازواج ﴿قوله اذلانوم فى الجنة﴾ لان اهلها ابدا فى نعيم يعرفونه كما ان اهل النار ابدا فى عذاب يعرفونه فلا نوم لواحد منهما ﴿قوله وفى احسن رمز الى مايتزين به مقيلهم من حسن الصور﴾ اى حسن صور ازواجهم من الحور العين والتحاسين جمع تحسين مصدر حسن سمى به مايحسن به الشئ من الزخارف كالتصانيف والتضاعيف سمى به تصاريف الزمان واثناء الشئ ﴿قوله تعالى ويوم تشقق﴾ العامل فى يوم اماذكر او الفعل المقدر المدلول عليه بقوله تعالى الملك يومئذ الحق للرحمن تقديره تفرد الله بالملك يوم تشقق قرأ الكوفيون وابو عمرو تشقق بتخفيف الشين والباقون بتشديدها واصل القرآءتين تتشقق حذف الاولون احدى التاءين للتخفيف والباقون ادغموا تاء التفعل فى الشين لمابينهما من المقاربة وهذه الآية مرتبطة ايضا بمااقترحوه من انزال الملائكة فبين الله تعالى ان ذلك يحصل فى يوم له صفات منها ان السماء تتشقق فى ذلك اليوم ومنها ماذكره بقوله تعالى ويوم يعض الظالم على يديه ﴿قوله بسبب طلوع الغمام منها﴾ يعنى ان الباء فى قوله بالغمام سببية فان طلوع الغمام منها سبب لانشقاقها كما تقول تشققت الارض بالنبات لكون طلوع النبات منها سببا لتشققها وليس طلوع الغمام والنبات آلة للانشقاق لان آلة الفعل تتقدم وجودها على وجود الفعل وليس الطلوع متقدما على الانشقاق فى الوجود حتى يكون آلة له الا انه شبه بالآلة فى كونه سببا للفعل والمعنى ان السماء تفتح بغمام يخرج منها وفى الغمام الملائكة عليهم الصلاة والسلام ينزلون وفى ايديهم صحائف اعمال العباد وقيل الباء فيه للحال اى ملتبسة بالغمام او عليها غمام كما يقال ركب الامير بسلاحه وخرج بثيابه اى وعليه سلاحه وثيابه وقيل الباء هنا بمعنى عن اى عن الغمام ومعنى انشقت الارض عن النبات ان التربة ارتفعت عنه عند طلوعه وكذا فى قوله تعالى يوم تشقق الارض عنهم سراعا فتشقق السماء عن الغمام بان تزول السماء فيبقى الغمام فوق رؤس الخلائق يظلهم قال الامام النسفى الغمام فوق السموات السبع وهو سحاب ابيض غلظه كغلظ السموات السبع ويمسكه الله تعالى اليوم بقدرته وهو اثقل من السموات فاذا اراد الله ان يشق السموات ألقى ثقله عليها فانشقت فذلك قوله تعالى تشقق السماء بالغمام اى بثقل الغمام فيظهر الى هنا كلامه فعلى هذا يحتمل ان يكون قوله تعالى هل ينظرون الا ان يأتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة معناه ان يأتيهم بظلل من الغمام فان الباء وفى يتعاقبان كثيرا وروى فى الخبر انه تشقق سماء الدنيا فتنزل ملائكة سماء الدنيا بمثلى من فى الارض من الجن والانس فيقولون لهم الخلق أفيكم ربنا يعنون هل جاء امر ربنا بالحساب فيقولون لاوسوف يأتى ثم ملائكة السماء الثانية بمثلى من فى الارض من الملائكة والانس والجن ثم تنزل ملائكة كل سماء على هذا التضعيف حتى تنزل ملائكة سبع سموات ثم ينزل الامر بالحساب فذلك قوله تعالى يوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا الا انه قدثبت ان الارض بالقياس الى سماء الدنيا كحلقة فى فلاة فكيف بالقياس الى الكرسى والعرش وكيف تسع الارض كل هؤلاء الملائكة والعلم عند الله تعالى ﴿قوله وقرأ ابن كثير وننزل الملائكة﴾ اى بنونين ثانيتهما ساكنة مضارع انزل من الانزال ونصب الملائكة على انه مفعول به فكان من حق المصدر فى هذه القرآءة ان يجيئ على الانزال الا انه لما كان انزل ونزل بمعنى واحد اقيم مصدر احدهما مقام مصدر الآخر مثل قوله تعالى وتبتل اليه تبتيلا وقرأ الباقون من السبعة ونزل بضم النون وكسر الزاى المشددة وفتح اللام ماضيا مبنيا للمفعول ورفع الملائكة لقيامه مقام الفاعل وقرئ ونزلت بالتشديد مبنيا للمفعول وقرئ وانزل ونزل كل واحد منهما على الفاعل وهو الله تعالى فعدى الفعل تارة بالهمزة وتارة بالتضعيف وقرئ انزل على بناء المفعول ايضا وقرئ ونزل بالفتحات الثلاث مخففا مبنيا للفاعل وهو الملائكة وقرئ ونزل الملائكة بضم النون وتشديد الزاى ونصب الملائكة والاصل بنونين حذفت احداهما ﴿قوله فهو الخبر﴾ يعنى ان الملك مبتدأ ويومئذ ظرف معمول له والحق خبره وللرحمن متعلق بالحق والمعنى الملك يوم تشقق السماء هو الملك الثابت للرحمن اومتعلق بمحذوف على التبيين فيتم الكلام عند قوله الحق ﴿قوله او صفة﴾ عطف على الخبر فى قوله فهو الخبر ويحتمل ان يكون الحق صفة للمبتدأ وللرحمن خبره ويومئذ من صلة المبتدأ اومن صلة الخبر ولا يجوز ان يكون من صلة الحق لان ماكان فى حيز المصدر لا يتقدم عليه ويحتمل ان يكون الخبر يومئذ والحق نعت للملك وللرحمن متعلق بالحق او بمحذوف على التبيين كما مر وعض اليد كناية عن الغيظ وقيل المراد به حقيقة العض والاكل فعنى قوله يعض الظالم انه يأكل يديه الى المرفقين ثم تنبتان فلا يزال هكذا كلما نبتت يداه اكلهما ندامة على

اولانه لايخلو من ذلك غالبا اذلانوم فى الجنة وفى احسن رمز الى مايتزين به مقيلهم من حسن الصور وغيره من التحاسين ويحتمل ان يراد باحدهما المصدر او الزمان اشارة الى ان مكانهم وزمانهم اطيب مايتخيل من الامكنة والازمان والتفضيل اما لارادة الزيادة مطلقا اوبالاضافة الى ماللمترفين فى الدنيا روى انه يفرغ من الحساب فى نصف ذلك اليوم فيقيل اهل الجنة فى الجنة واهل النار فى النار (ويوم تشقق السماء) اصله تتشقق فحذف التاء وادغمها ابن كثير ونافع وابن عامر ويعقوب (بالغمام) بسبب طلوع الغمام منها وهو الغمام المذكور فى قوله هل ينظرون الا ان يأتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة (ونزل الملائكة تنزيلا) فى ذلك الغمام بصحائف اعمال العباد وقرأ ابن كثير وننزل الملائكة وقرئ ونزلت وانزل ونزل وننزل ونزل الملائكة بحذف نون الكلمة (الملك يومئذ الحق للرحمن) الثابت له لان كل ملك يبطل يومئذ ولايبقى الاملكه فهو الخبر وللرحمن صلته اوتبيين ويومئذ معمول الملك لا الحق لانه متأخر او صفة والخبر يومئذ اوللرحمن (وكان يوما على الكافرين عسيرا) شديدا (ويوم يعض الظالم على يديه) من فرط الحسرة وعض اليدين واكل البنان وحرق الاسنان ونحوها كنايات عن الغيظ والحسرة لانهامن روادفهما والمراد بالظالم الجنس وقيل عقبة بن ابى معيط كان يكثر مجالسة النبى عليه الصلاة والسلام فدعاه الى ضيافته فابى ان يأكل طعامه حتى ينطلق بالشهادتين ففعل وكان ابى بن خلف صديقه فعاتبه وقال صبأت فقال لا ولكن ابى ان يأكل من طعامى وهو فى بيتى فاستحييت منه فشهدت له فقال لاارضى منك الاان تأتيه فتطأقفاه وتبزق فى وجهه فوجده ساجدا فى دار الندوة ففعل ذلك فقال صلى الله عليه وسلم لاألقاك خارجا من مكة الاعلوت رأسك بالسيف فاسر يوم بدر فأمر عليا فقتله وطعن ابيا بأحد فى المبارزة فرجع الى مكة ومات

(يقول ياليتني اتخذت مع الرسول سبيلا) طريقا الى النجاة او طريقا واحدا وهو طريق الحق ولم يتشعب بي طرق الضلالة (ياويلتا) وقرئ بالياء على الاصل (ليتني لم اتخذ فلانا خليلا) يعني من اضله وفلان كناية عن الاعلام كما ان هنا كناية عن الاجناس (لقد اضلني عن الذكر) عن ذكر الله او كتابه او موعظة الرسول او كلمة الشهادة (بعد اذجاءني) وتمكنت منه (وكان الشيطان) يعني الخليل المضل او ابليس لانه حمله على مخالته ومخالفة الرسول او كل من تشيطن من جن او انس (للانسان خذولا) يواليه حتى يؤديه الى الهلاك ثم يتركه ولا ينفعه فعولا من الخذلان (وقال الرسول) محمد يومئذ او في الدنيا بثا الى الله (يارب ان قومي) قريشا (اتخذوا هذا القرءآن مهجورا) بان تركوه وصدوا عنه وعنه صلى الله عليه وسلم من تعلم القرءآن وعلق مصحفه لم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيامة متعلقا به ويقول يارب عبدك هذا اتخذني مهجورا اقض بيني وبينه او هجروا فيه ولغوا فيه اذا سمعوه او زعموا انه هجر واساطير الاولين فيكون اصله مهجورا فيه فحذف الجار ويجوز ان يكون بمعنى الهجر كالمجلود والمعقول وفيه تخويف لقومه لان الانبياء اذا شكوا الى الله قومهم عجل لهم العذاب (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين) كما جعلناه لك فاصبر كما صبروا وفيه دليل على انه خالق الشر والعدو يحتمل الواحد والجمع (وكفى بربك هاديا) الى طريق قهرهم (ونصيرا) لك عليهم (وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرءآن) اي انزل عليه كخبر بمعنى اخبر لئلا يناقض قوله (جملة واحدة) دفعة واحدة كالكتب الثلاثة وهو اعتراض لا طائل تحته لان الاعجاز لا يختلف بنزوله جملة او متفرقا مع ان التفريق فوائد منها ما اشار اليه بقوله (كذلك لنثبت به فؤادك) اي كذلك انزلناه مفرقا لنقوي بتفريقه فؤادك على حفظه وفهمه لان حاله يخلاف حال موسى وداود وعيسى عليهم السلام حيث كان اميا وكانوا يكتبون فلو ألقي اليه جملة تعنى بحفظه ولعله لم يستتب له فان التلقف لا يتأتى الا شيأ فشيأ ولان نزوله بحسب الوقائع يوجب مزيد بصيرة وغوص في المعنى ولانه اذا انزل منجما وهو يتحدى بكل نجم فيعجزون عن معارضته زاد ذلك قوة قلبه ولانه اذا نزل به جبرائيل حالا بعد حال يثبت به فؤاده ومنها معرفة الناسخ والمنسوخ ومنها انضمام القرآن الحالية الى الدلالات اللفظية فانه يعين على البلاغة

ما فعل وقوله تعالى ويوم يعض الظالم على يديه منصوب به ثم ان كان تعريف الظالم للعهد وكان المعهود عقبة بن ابي معيط يكون قوله فلانا كناية عن شخص معين وهو ابي بن خلف وكان يتمنى عقبة يوم القيامة ان لا يتخذ ابيا خليلا في الدنيا وان كان التعريف فيه للجنس او الاستغراق يكون كناية عن كل من اطاع في معصية الله تعالى روى الضحاك انه قال لما بزق عقبة في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم عاد بزاقه في وجهه فاحترق خده فكان اثره فيه حتى الموت ﴿قوله يقول ياليتني﴾ هذه الجملة حال من فاعل يعض ﴿قوله طريقا الى النجاة او طريقا واحدا﴾ يعني ان التنكير في قوله سبيلا اما للنوعية او للافراد وهو سبيل الحق ﴿قوله ولم يتشعب بي﴾ اي لم يفرقني يقال شعبت الشيء اذا فرقته ويقال التأم شعب بني فلان اذا اجتمعوا بعد التفرق والباء في قوله بي للتعدية ومعنى تفريق طرق الضلال اياه انه لما كان تارة في هذا الطريق من طرق الضلالة وتارة في تلك كان طرق الضلال كانها فرقته ﴿قوله وقرئ بالياء على الاصل﴾ فان اصل هذه اللفظة كسر التاء التي بعدها ياء صريحة فابدلت الكسرة فتحة والياء ألفا فرارا من اجتماع الكسرة مع الياء ﴿قوله كما ان هنا كناية عن الاجناس﴾ يعني ان كل واحد من لفظي فلان وهن اسم وضع لان يعبر به عن شيء الا ان لفظ فلان يكنى به عن اسم علم شخص من العقلاء ولفظ هن يكنى به من المسمى الذي يستهجن ذكره بالاسم الموضوع له لقبحه يقال كانت بينهم هنات ومن المعلوم انه ليس المراد بالهنات الالفاظ وانما يكنى بها عن اشياء قبيحة ولذلك يكنى به عن نفس الفرج لا عن لفظ الفرج ﴿قوله يعني الخليل المضل﴾ يعني ان خليله يسمى شيطانا لان فعله فعل الشيطان وهو الاضلال وكلام الظالم تم عند قوله بعد اذجاءني ثم قال الله وكان الشيطان للانسان خذولا حيث تبرأ في الآخرة من نصرة من اضله في الدنيا ويجوز ان يكون هذا الكلام من قول الظالم كالكلام الذي قبله يقوله حين يخذله الشيطان او خليله ولم ينفعه في الآخرة ثم اخبر الله عن شكوى رسوله قومه اليه بقوله وقال الرسول يارب وهذه الشكوى وقعت منه عليه الصلاة والسلام في الدنيا حين اكثروا من الاعتراضات الفاسدة ووجوه التعنت وقيل انه عليه الصلاة والسلام يقوله في الآخرة شهادة على من كذبه وعصاه وليس المقصود من حكاية هذا القول للمخاطب وهو الرسول الاخبار والاعلام لان كل واحد من فائدة الخبر ولازمها معلوم له عليه الصلاة والسلام بل المقصود منها تعظيم لشكايته وتخويف لقومه لان الانبياء اذا التجأوا الى الله تعالى وشكوا قومهم حل بهم العذاب ولم يمهلوا ﴿قوله او هجروا فيه﴾ اي ويحتمل ان لا يكون قوله مهجورا من الهجر الذي هو ضد الوصل بل يكون من الهجر بالضم بمعنى الهذيان فانه كما يقال هجره هجرا وهجرانا اذا تركه وصد عنه يقال ايضا هجر المريض هجرا اذا هذى في منطقه ثم انه على تقدير كونه من الهجر بهذا المعنى يحتمل معنيين الاول انهم هجروا ولغوا فيه اذا سمعوه بان يخلطوا هجرهم به ليبقى غير مفهوم على السامعين والثاني انهم زعموا انه هذيان وهجر واساطير الاولين وهذا كما لو نقل اليك كلام فقلت هجر فيه اي هذى قائله في هذه المقالة وعلى كل واحد من المعنيين يكون اصله مهجورا فيه لان هجر بمعنى هذى لازم لا يجيء منه اسم المفعول ما لم يعد بحرف الجر لان الهجر بمعنى الاهجار هو التكلم بالهجر وهو كلام فاسد لا طائل فيه ولا معنى له فظاهر انه لا يستدعي المفعول ويجوز ان لا يكون المهجور اسم مفعول بل يكون مصدرا بمعنى الهجر اطلق على القرءآن على طريق التسمية بالمصدر كالمجلود والمعقول والمردود بمعنى الجلد والعقل والرد والمعنى على هذا جعلوا قراءة القرءآن والتكلم به هجرا ثم انه عليه الصلاة والسلام لما شكا اليه تعالى قومه قال الله تعالى تسلية له وكذلك جعلنا اي وكما جعلنا قومك يعادونك ويكذبونك جعلنا لكل نبي عدوا وهذا صريح في ان تلك العداوة كانت بجعل الله وتلك العداوة كفر فثبت به انه تعالى خالق الخير والشر جميعا وليس للعبد حصة من الخلق اصلا ثم انه تعالى حكى عن منكري النبوة شبهة اخرى وهو قول اهل مكة تزعم انك رسول من عند الله هلا تأتينا بالقرءآن جملة واحدة كما اتى كل واحد من موسى وعيسى وداود عليهم الصلاة والسلام وقوله جملة حال من القرءآن اذ هي في معنى مجتمعا ﴿قوله اي كذلك انزلناه مفرقا﴾ يريد ان الكاف منصوبة المحل على الحال من مفعول فعل مقدر او على الوصفية لمصدر فعل محذوف ويحتمل ان تكون مرفوعة المحل على الابتداء اي الامر كذلك ويكون قوله لنثبت علة لمحذوف اي لنثبت فعلنا ذلك وهو جواب عن شبهتهم ﴿قوله ومنها معرفة الناسخ والمنسوخ﴾ فانه لو نزل جملة واحدة ولم يتقدم بعض الآي على بعض في النزول لم يعلم ايها ناسخة وايها منسوخة واما اذا نزلت منجمة فحينئذ يعلم ان ما تأخر نزوله ناسخ للمتقدم ولانه اذا نزل مفرقا بحسب اسئلتهم والوقائع

الواقعة بهم حصل فائدة جليلة لاتحصل على تقدير نزوله دفعة واحدة فانه لو نزل دفعة واحدة لما حصل الا الدلالات اللفظية وفصاحة الالفاظ الدالة على المدلولات بخلاف مااذا نزل نجوما فانه ينضم اليها حينئذ القرآئن الحالية ورعاية مقتضى كل واقعة وحال ولاشك ان انضمامها اليها يعين على البلاغة وبالجملة انزال القرآن مفرّقا منجما فضيلة خص بها نبينا من بين سائر النبيين فان المقصود من انزاله ان يتخلق قلبه المنير بخلق القرآن ويتقوّى بنوره ويتحلى بحقائقه وعلومه وهذه الفوآئد انما تكمل بانزاله منجما حالا بعد اخرى الاترى ان الماء لو نزل من السماء جملة واحدة لما كانت تربية الزروع به مثلها اذا نزل مفرّقا الى ان يستوى الزرع ﴿ قوله ويحتمل ان يكون من تمام كلام الكفرة ﴾ كأنهم قالوا لولا انزل عليه القرآن جملة واحدة كنزول الكتب الثلاثة فيكون قوله لنثبت متعلقا بمحذوف تقديره انزلناه مفرّقا لنثبت كما يتعلق به على تقدير ان يكون من كلام الله تعالى وقوله ورتلناه ترتيلا معطوف على ذلك المحذوف الذى تعلقت اللام به والترتيل التفريق ومجيئ الكلمة بعد الاخرى بسكوت يسير دون قطع النفس قال ابن عباس ورتلناه ترتيلا اى بيناه بيانا وقال السدّى فصلناه تفصيلا وقال ابن الاعرابى ماأعلم الترتيل الا التحقيق والتبيين وقيل امرناه بالترتيل فى قرآءته وذلك قوله تعالى ورتل القرآن ترتيلا اى اقرأه بترتيل وتثبت قيل معنى الترتيل حفظ الوقوف وأدآء الحروف ومنه حديث عائشة فى صفة قرآءة النبى صلى الله عليه وسلم لو اراد السامع ان يعدّ حروفه لعدّها ومحصول ماذكره المصنف انزلنا بعضه بعد بعض وعلى اثر بعض بزمان يسير بينهما ولم ننزله مرّة واحدة وهو معنى قوله ونزلناه تنزيلا ثم انه تعالى لما قرّر هذه السورة الكريمة بما يتضمن اثبات التوحيد والنبوّة ثم اورد اباطيل المخالفين فيهما وردّهم فى كل واحدة من تلك الشبهات الباطلة والسؤالات الفاسدة ختم الكلام بقوله ولايأتونك بمثل اى لايأتونك بشبهة وسؤال من جنس الشبهات المذكورة الواضحة البطلان كأنها مثل بمثل بها الاجئناك بالحق الذى يدمغ ماجاؤا به من المثل ويبطله كقوله تعالى بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق سمى مايوردونه من الشبه مثلا ومايدفع به الشبهة حقا وقوله الاجئناك بالحق استثناء مفرّغ والجملة فى محل النصب على الحال اى لايأتونك بمثل فى حال من الاحوال الا فى حال اتياننا اليك بالحق وبما هو احسن بيانا لما هو الحق والصواب ومقتضى الحكمة ﴿ قوله اومعنى ﴾ على ان يكون التفسير وهو اظهار المعنى وبيانه مجازا مرسلا عن نفس المعنى المبين اطلق اسم التفسير والبيان على المعنى لما بينهما من العلاقة فان كل واحدة من الشبهات التى اوردوها قدحا فى نبوّته لامعنى لها ولانفع فيها لهم بصدده وما جاء الله به فى دفعه وجوابه احسن بيانا لما هو الحق والصواب ومقتضى الحكمة اى احسن معنى واصلح جوابا وردّا من سؤالهم الذى لانفع لهم فيه وحاصل الجواب على هذا الوجه انهم كلما سألوا سؤالا عجيبا اجبنا عنه بجواب هو احسن من سؤالهم مثلا انهم سألوا عن انزاله جملة واحدة لم لم يكن فاجبنا بانا انزلناه مفرّقا لنثبت به فؤادك وهو احسن معنى ومؤدّى لما فيه من بيان الحكمة ولانفع لهم من سؤالهم اصلا والمعنى على الوجه الثانى كلما يأتونك بصفة عجيبة قائلين لم لم تكن على هذه الصفة مع انها هى المناسبة للنبوّة واظهر فى الدلالة على انك نبى جعلناك على صفة هى اشدّ مناسبة للنبوّة ودلالة على انك نبى حق * فان قيل قد ذكر اوّلا ان السؤال مثل فى البطلان فكيف يصح مع هذا ان يقال الجواب احسن منه فان الحسن ليس مشتركا بينهما فالجواب من وجهين الاوّل لما كان السؤال حسنا بزعمهم قيل الجواب احسن من السؤال والثانى ان مثل قولهم الصيف احرّ من الشتاء يريدون به ان حرّ الصيف اشدّ من برد الشتاء فعلى هذا معنى الآية ان الجواب فى باب الحق والحسن اقوى وادخل من سؤالهم فى باب القبح والبطلان ﴿ قوله اى مقلوبين او مسحوبين اليها ﴾ الفرق بين الوجهين ان معنى الآية على الاوّل ان الذين يمشون الى جهنم حال كونهم مقلوبين وجوههم الى القفا وارجلهم الى فوق وقد روى ذلك عنه عليه افضل الصلاة والسلام فانه قد ورد فى الاخبار ان رجلا قال يانبى الله كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة قال ان الذى امشاه على رجليه قادر ان يمشيه على وجهه وعلى الثانى ان الذين يحشرون اليها حال كونهم مسحوبين اى مجرورين على وجوههم وماذكر من الحديث يؤيد هذا الوجه وذكر فى اعراب الذين ثلاثة اوجه على ان يكون منصوبا على الذم بتقدير اعنى ومرفوعا على الذم اى على انه خبر مبتدأ محذوف اى هم الذين وان يكون مبتدأ وخبره اولئك شرّ مكانا اى منزلا ومصيرا وأضل سبيلا اى اخطأ دينا وطريقا ﴿ قوله والمفضل عليه هو الرسول ﴾ اشارة الى ان الآية متصلة بقوله ولا يأتونك بمثل فان مقصودهم

وكذلك صفة مصدر محذوف والاشارة الى انزاله مفرّقا فانه مدلول عليه بقوله لولا نزل عليه القرآن جملة ويحتمل ان يكون من تمام كلام الكفرة ولذلك وقف عليه فيكون حالا والاشارة الى الكتب السابقة واللام على الوجهين متعلق بمحذوف (ورتلناه ترتيلا) وقرأناه عليك شيأ بعد شيئ على تؤدة وتمهل فى عشرين سنة او ثلاث وعشرين سنة واصله الترتيل فى الاسنان وهو تفليجها (ولا يأتونك بمثل) سؤال عجيب كأنه مثل فى البطلان يريدون به القدح فى نبوّتك (الاجئناك بالحق) الدامغ له فى جوابه (واحسن تفسيرا) وبما هو احسن بيانا او معنى من سؤالهم او ولايأتونك بحال عجيبة يقولون هلا كانت هذه حاله الا اعطيناك من الاحوال مايحق لك فى حكمتنا وما هو احسن كشفا لما بعثت له (الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم) اى مقلوبين او مسحوبين اليها او متعلقة قلوبهم بالسفليات متوجهة وجوههم اليها وعنه عليه السلام يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة اصناف صنف على الدواب وصنف على الاقدام وصنف على الوجوه وهو ذم منصوب او مرفوع او مبتدأ خبره (اولئك شرّ مكانا واضل سبيلا) والمفضل عليه هو الرسول عليه السلام على طريقة قوله قل هل أنبئكم بشرّ من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه كأنه قيل ان حاملهم على هذه الاسئلة تحقير مكانه وتضليل سبيله ولايعلمون حالهم ليعلموا انهم شرّ مكانا واضل سبيلا

وقيل انه متصل بقوله اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا و وصف السبيل بالضلال من الاسناد المجازي للمبالغة (ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه اخاه هرون وزيرا) يوازره في الدعوة و اعلاء الكلمة ولاينافي ذلك مشاركته في النبوة لان المتشاركين في الامر متوازران عليه (فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا) يعني فرعون وقومه (بآياتنا فدمرناهم تدميرا) اى فذهبا اليهم فكذبوهما فدمرناهم فاقتصر على حاشيتي القصة اكتفاء بما هو المقصود منها وهو الزام الحجة ببعثة الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم والتعقيب باعتبار الحكم لا الوقوع وقرئ ودمرتهم فدمراهم فدمرانهم على التأكيد بالنون الثقيلة (وقوم نوح لما كذبوا الرسل) كذبوا نوحا ومن قبله اونوحا وحده ولكن تكذيب واحد من الرسل كتكذيب الكل اوبعثة الرسل مطلقا كالبراهمة (اغرقناهم) بالطوفان (وجعلناهم) وجعلنا اغراقهم او قصتهم (للناس آية) عبرة (وأعتدنا للظالمين عذابا اليما) يحتمل التعميم والتخصيص فيكون وضعا للظاهر موضع المضمر تظليما لهم (وعادا وثمودا) عطف على هم في جعلناهم او على الظالمين لان المعنى ووعدنا الظالمين وقرئ وثمود على تأويل القبيلة (واصحاب الرس) قوم كانوا يعبدون الاصنام فبعث الله اليهم شعيبا فكذبوه فبيناهم حول الرس وهى البئر الغير المطوية فانهارت فخسفت بهم وبديارهم وقيل الرس قرية عظيمة بفلج اليمامة كان فيها بقايا ثمود فبعث اليهم نبي فقتلوه فهلكوا وقيل الاخدود وقيل بئر بانطاكية قتلوا فيها حبيبا النجار وقيل هم اصحاب حنظلة ابن صفوان النبي ابتلاهم الله بطير عظيم كان فيها من كل لون وسموها عنقاء لطول عنقها وكانت تسكن جبلهم الذى يقال له فتخ او دمخ وتنقض على صبيانهم فتخطفهم اذا اعوزها الصيد ولذلك سميت مغربا فدعا عليها حنظلة فأصابتها الصاعقة ثم انهم قتلوه فاهلكوا وقيل قوم كذبوا نبيهم ورسوه اى دسوه في بئر (وقرونا) واهل اعصار قيل القرن اربعون سنة وقيل سبعون وقيل مائة وعشرون (بين ذلك) اشارة الى ما ذكر (كثيرا) لايعلمها الا الله (وكلا ضربنا له الامثال) بينا له القصص العجيبة من قصص الاولين انذارا واعذارا فلما اصروا اهلكوا كما قال (وكلا تبرنا تتبيرا) فتتناه تفتيتا ومنه التبر لفتات الذهب والفضة وكلا الاول منصوب بما دل عليه ضربنا كانذرنا والثاني بتبرنا لانه فارغ عن الضمير (ولقد أتوا) يعني قريشا مروا مرارا في متاجرهم الى الشام (على القرية التي امطرت مطر السوء) يعني سدوم عظمى قرى قوم لوط امطرت عليها الحجارة

من اتيان ماهو كالمثل في البطلان تحقير منزلته ومكانه وقوله تعالى من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت اولئك شر مكانا واضل عن سواء السبيل فاسلوب الآيتين واحد **﴿قوله﴾** وقيل انه متصل بقوله اصحاب الجنة يومئذ خير **﴾** من حيث ان ذلك في بيان اهل الجنة وحسن حالهم وهذا في صفة اهل النار وسوء مصيرهم ولم يرض به لان قسيم اهل الجنة قد ذكر قبل ذلك ثم انه لما ذكر قوله تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين اتبعه بذكر جماعة من الانبياء وعرفه مانزل بمن كذبهم من اممهم تسلية له عليه الصلاة والسلام وايعادا لقومه كأنه قيل لست اول نبي كذب بل كذب قبلك انبياء مؤيدين بالآيات ثم دمرنا مكذبيهم فقال ولقد آتينا موسى الكتاب قال الزجاج الوزير في اللغة هو الذي يرجع اليه ويعمل برأيه ويتحصن به والوزر ما يعتصم به ومنه كلا لاوزر اى لامنجى ولاملجأ قيل ولذلك لايوصف تعالى بان له وزيرا او لابأنه وزير لان الالتجاء اليه في المشاورة والرأى على هذا الحد لايتصور * ولما ورد ان يقال كون هرون وزيرا كالمنافي لكونه شريكا له في النبوة لانه اذا صار شريكا له خرج عن كونه وزيرا * اجاب عنه بقوله ولاينافي ذلك مشاركته **﴿قوله﴾** والتعقيب **﴾** جواب عما يقال الفاء في قوله تعالى فدمرناهم للتعقيب والاهلاك لم يحصل عقيب ذهاب موسى وهرون بل بعد مدة مديدة * والجواب ان فاء التعقيب محمولة ههنا على الحكم بالاهلاك على الوقوع **﴿قوله﴾** وقرئ ودمرتهم **﴾** يعني ان العامة قرأوا فدمرناهم فعلا ماضيا على بناء المتكلم المعظم نفسه معطوفا على محذوف اى فذهبا فكذبوهما فدمرناهم تدميرا اى اهلكناهم اهلاكا وقرئ فدمراهم امرا لموسى وهرون وقرئ ايضا فدمرانهم كذلك ولكنه مؤكد بالنون الثقيلة وقرئ ايضا فدمرا بهم بزيادة الباء الجارة بعد فعل الامر وهى تشبه القرآءة التي قبلها في الخط **﴿قوله﴾** تعالى وقوم نوح **﴾** يجوز ان يكون منصوبا عطفا على مفعول دمرناهم وان يكون منصوبا بفعل مضمر يفسره قوله تعالى اغرقناهم ويترجح هذا بتقدم جملة فعلية قبله ويجوز ان يكون منصوبا بفعل مقدر لا على سبيل الاشتغال اى اذكر قوم نوح **﴿قوله﴾** ولكن تكذيب واحد من الرسل كتكذيب الكل **﴾** لان تكذيب الواحد منهم لايمكن الا بالقدح في المعجز وذلك يقتضي تكذيب الكل ولانهم متفقون في اصول الدين فمن كذب واحدا منهم في شئ من ذلك فقد كذب الكل فيه **﴿قوله﴾** كالبراهمة **﴾** فانهم قوم من الهند منسوبون الى واحد منهم اسمه برهام منكرون لكل الرسل وبعثتهم **﴿قوله﴾** عطف على هم **﴾** لم يتعرض لكونه معطوفا على قوم نوح لظهوره ومن صرف ثمودا أوله بالحي دون القبيلة ومن جعله غير منصرف اوله بالقبيلة **﴿قوله﴾** مروا مرارا **﴾** تكرار المرور لايفهم من هذه الآية ولعله اخذ من قوله تعالى في سورة الصافات وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل أفلا تعقلون وفسر الاتيان بالمرور للاشارة الى وجه تعدية اتوا بكلمة على فانه يتعدى بنفسه وبكلمة الى الا انه عدى بعلى لتضمنه معنى مروا وقوله مطر السوء يحتمل ان يكون مصدرا على حذف الزوائد اى امطار السوء وان يكون نعت مصدر محذوف اى امطارا مثل مطر السوء واضيف المطر الى صفته لتدل على اختصاصه بها وان ليس له صفته غيرها **﴿قوله﴾** يعني سدوم **﴾** عن الليث انه بالدال المهملة وقيل انه بالذال المعجمة قيل اراد بها عين القرية وكانت قرى قوم لوط خمسا اهلك الله منها اربعا بأهلها وبقيت واحدة اهلك الله اهلها وهى سدوم قال الله تعالى في حقها التي امطرت مطر السوء قيل كان كل حجر منها قدر انسان وقيل ذلك كان في ريح حاصب وهذا العذاب انما نزل بهم عقوبة على عصيان نبيهم لوط وتكذيبهم اياه فكان ينبغي لكفار قريش ان يتعظوا لما رأوا بما حل بهؤلاء فيمتنعوا عن مخالفة رسول الله ويلتزموا طاعته فلذلك وبخ الله تعالى عليهم بقوله افلم يكونوا يرونها ثم انتقل منه الى التوبيخ بوجه آخر وهو انهم كفرة لايرجون البعث بعد الموت وهو عاقبة الموت ولما كان حقيقة الرجاء انتظار الخير وظن حصول مافيه مسرة وليس النشور خيرا مؤديا الى المسرة في حق الكافر فلا يتصور نسبة رجاء النشور الى الكافر حتى يصح ايقاعها او انتزاعها احتيج الى توجيه قوله لايرجون نشورا فذكر فيه ثلاثة اوجه الاول ان الرجاء مجاز عن التوقع والتوقع يستعمل في الخير والشر جميعا فامكن ان تتصور النسبة بين الكافر وتوقع النشور فيحكم بوقوعها فوضع الرجاء موضع التوقع ونفى عن الكافر لانه انما يتوقع الحياة بعد الموت من يؤمن بالله ورسوله فكأنه قيل بل كانوا لايتوقعون نشورا فلذلك لم يتعظوا بمن نزل بهم ومروا بقريتهم كامرت ركابهم وجمالهم والثاني ان يكون الرجاء على حقيقته بان يكون المراد بالنشور نشورا فيه خير وسرور كنشور المسلمين فانه يتصور النسبة بين الكافر وبين مثل هذا النشور فيتصور نفيها فنفيت بان قيل انهم لايأملون نشورا كما يأمله المسلمون طمعا في الثواب

(أفلم يكونوا يرونها) في مرار مرورهم فيتعظون بما يرون فيها من آثار عذاب الله (بل كانوا لا يرجون نشورا) بل كانوا كفرة لا يتوقعون نشورا ولا عاقبة فلذلك لم ينظروا ولم يتعظوا فمرّوا بها كما مرّت ركابهم او لا يأملون نشورا كما يأمله المؤمنون طمعا في الثواب اولا يخافونه على اللغة التهامية (واذا رأوك ان يتخذونك الا هزؤا) ما يتخذونك الا موضع هزؤا ومهزوأ به (أهذا الذي بعث الله رسولا) محكي بعد قول مضمر والاشارة للاستحقار واخراج بعث الله رسولا في معرض التسليم بجعله صلة وهم على غاية الانكار تهكم واستهزآء ولولاه لقالوا أهذا الذي زعم انه بعثه الله رسولا (ان كاد) انه كاد (ليضلنا عن آلهتنا) ليصرفنا عن عبادتها بفرط اجتهاده في الدعاء الى التوحيد وكثرة ما يورد مما يسبق الى الذهن انها حجج ومعجزات (لولا ان صبرنا عليها) ثبتنا عليها واستمسكنا بعبادتها ولولا في مثله تقيد الحكم المطلق من حيث المعنى دون اللفظ (وسوف يعلمون حين يرون العذاب من اضل سبيلا) كالجواب لقولهم ان كاد ليضلنا فانه يفيد نفي ما يلزمه ويكون الموجب له وفيه وعيد ودلالة على انه لا يهملهم وان امهلهم (أرأيت من اتخذ الهه هواه) بان طاعه وبنى عليه دينه لا يسمع حجة ولا يبصر دليلا وانما قدّم المفعول الثاني للعناية به (أفأنت تكون عليه وكيلا) حفيظا تمنعه عن الشرك والمعاصي وحاله هذا فالاستفهام الاوّل للتقرير والتعجيب والثاني للانكار (ام تحسب) بل أتحسب (ان اكثرهم يسمعون او يعقلون) فيجدي لهم الآيات او الحجج فتهتم بشأنهم وتطمع في ايمانهم وهو اشد مذمة مما قبله حتى حق بالاضراب عنه اليه وتخصيص الاكثر لانه كان منهم من آمن ومنهم من عقل الحق وكابر استكبارا او خوفا على الرياسة (ان هم الا كالانعام) في عدم انتفاعهم بقرع الآيات اذانهم وعدم تدبرهم فيما شاهدوا من الدلائل والمعجزات (بل هم اضل سبيلا) من الانعام لانها تنقاد لمن يتعهدها وتميز من يحسن اليها ممن يسيء اليها وتطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها وهؤلاء لا ينقادون لربهم ولا يعرفون احسانه من اساءة الشيطان ولا يطلبون الثواب الذي هو اعظم المنافع ولا يتقون العقاب الذي هو أشدّ المضارّ ولانها ان لم تعتقد حقا ولم تكتسب خيرا لم تعتقد باطلا ولم تكتسب شرا بخلاف هؤلاء ولان جهالتها لا تضرّ بأحد وجهالة هؤلاء تؤدي الى هيج الفتن وصدّ الناس عن الحق ولانها غير متمكنة من طلب الكمال فلا تقصير منها ولا ذم وهؤلاء مقصرون مستحقون اعظم العقاب على تقصيرهم

فان من لم يؤمن ولم يعمل عمل المؤمنين كيف يأمل مثل املهم والثالث ان الرجاء بمعنى الخوف على لغة تهامة ويتصوّر نسبته الى الكافر ونفيها ﴿قوله الا موضع هزؤ﴾ على ان يكون هزؤا مصدرا على تقدير المضاف وان كان فعلا بمعنى مفعول فالتقدير مهزوأ به وكلمة ان في قوله ان يتخذونك نافية وفي قوله ان كاد ليضلنا مخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينهما وهزؤا مفعول ثان والجملة المنفية جواب اذا الشرطية وقوله هذا الذي في محل النصب بالقول المضمر وذلك القول المضمر في محل النصب على انه حال من فاعل ان يتخذونك اى ما يتخذونك الا هزؤا قائلين ذلك والمعنى لم يقتصروا على ترك الايمان وايراد الشبهات الباطلة بل زادوا عليها الاستهزآء والاستحقار اذا رأوك فان اشارتهم اليه عليه الصلاة والسلام بلفظ هذا استحقار تنزيلا لدنوّ مكانته عليه الصلاة والسلام بزعمهم منزلة دنوّ مكانه بمقتضى جهالتهم وضلالتهم * ولما ورد ان يقال مضمون الصلة يجب ان يكون معلوم الانتساب الى ذات الموصول عند المتكلم فكيف جعلوا قولهم بعث الله رسولا صلة مع انهم منكرون بعثته عليه الصلاة والسلام * اجاب عنه بانه مبني على التهكم والاستهزآء ﴿قوله ولولا في مثله﴾ اى فيما لم يذكر جواب لولا اكتفاء بما تقدّم عليها مما يدل على جوابها تقيد الحكم المطلق من حيث المعنى دون اللفظ فان لولا مع ما دخلت هي عليه قيد لجوابها لفظا ان ذكر جوابها لفظا وان لم يذكر لا تكون قيدا له من حيث اللفظ الا انه لما تقدّم حكم يدل على جوابها المطلق وهو قوله ان كاد ليضلنا كانت لولا قيدا له من حيث المعنى لكونه في معنى الجزآء وحكمه ﴿قوله فانه يفيد نفي ما يلزمه ويكون الموجب له﴾ بيان لكونه كالجواب لقولهم فان قولهم يستلزم ويقتضي كونه عليه الصلاة والسلام ضالا من حيث ان احدا لا يضل غيره الا اذا كان ضالا في نفسه والمعنى سيظهر لهم من الضال غاية الضلال فيفيد نفي ما هو لازم قولهم ونفي اللازم نفي للملزوم فيكون كالجواب لقولهم وقوله من اضل سبيلا جملة استفهامية متعلقة بيعلمون فهي سادّة مسدّ مفعوليه ان كان على بابه وان كان بمعنى يعرفون تكون سادّة مسدّ مفعول واحد وفيه وعيد من حيث انه يدل على انه لا محيص لهم عن العذاب وان تأخر وقوله ودلالة الخ عطف تفسير وكلمة ارأيت تستعمل تارة للاعلام وتارة للسؤال وههنا استعملت للتعجب من جهل من هذا وصفه ونعته ﴿قوله الهه هواه﴾ مفعولا الاتخاذ من غير تقديم ولا تأخير لاستوآئهما في التعريف فان مفعولي اتخذ قبل دخوله عليهما مبتدأ وخبر المبتدأ الهه والخبر هواه لان كل واحد منهما معرفة والمعرفتان اذا وقعتا مبتدأ وخبرا فالمقدّم هو المبتدأ والمؤخر هو خبره فيكون الهه مفعولا اوّلا وهواه ثانيا من غير تقديم ولا تأخير الا ان المصنف جعل تقدير الكلام ارأيت من اتخذ هواه الهه وقال انما قدّم المفعول الثاني للعناية كما تقول علمت منطلقا زيدا لفضل عنايتك بالمنطلق نظرا الى اصل المعنى فانه لا ينكر ان المعرفتين ايهما قدّم فهو المبتدأ الا ان النظر الى جانب المعنى وملاحظة اصل المقصود يقتضي ان يكون الهه خبرا في الاصل ويكون المقصود من الكلام التعجب من اتخاذ الهوى الها على التشبيه البليغ كأنه قيل لا تعجب ممن جعل هواه بمنزلة الاله في التزام طاعته وعدم مخالفته اياه ولا معنى لتشبيه الاله بالهوى ولما كان المشبه به ههنا هو الاله والمشبه هو الهوى ومن المعلوم ان حق المشبه به ان يكون متأخرا عن المشبه كان مرتبة قوله الهه التأخر عن الهوى كما في قولك زيد الاسد فلما قدّم عليه صار مزالا عن موضعه الاصلي غير قارّ فيه فلهذا جعل من باب تقدّم المفعول الثاني على الاوّل ﴿قوله والثاني للانكار﴾ اى لست موكلا على حفظه تحفظه من اتباع هواه وعبادة من يهواه من دون الله تعالى ولا تقدر عليه ولا تحسب ايضا ان اكثرهم يسمعون ما تقوله سماع تدبر ويعقلون ما توردهمن الحجج والدلائل الدالة على الوحدانية ثم انه تعالى لما عجب من جهل من اطاع هواه وجعله بمنزلة الاله ذكر انواعا من الدلائل الدالة على وجود الصانع الحكيم المنفرد بالالوهية فأوّلها الاستدلال بحال الظل في زيادته ونقصانه وتغير احواله وهو قوله تعالى ألم تر الى ربك كيف مدّ الظل كلمة الى مبنية على تضمين الرؤية معنى النظر وكيف منصوبة بمدّ وهي معلقة لقوله ألم تر وهو ان كان من رؤية العين يجب ان يكون المنظور فيه مما يصح ان يتعلق به رؤية العين فكان اصل الكلام ألم تر الى صنع ربك او الى الظل كيف مدّه ربك وبسطه على وجه الارض حين احدثها الا انه غير النظم الى ما عليه التنزيل للاشعار بان مدلول هذا الكلام وهو كونه تعالى مادّا للظل كالمشاهد المرئي لوضوح برهانه الذي هو دلالة حدوث الظل وتصرّفه على الوجه النافع الدال على كونه فعل الصانع الحكيم المنفرد بالالوهية ثم اشار الى احتمال ان يكون قوله ألم تر من رؤية القلب بمعنى ألم تعلم الا انه عدّي بالى لتضمنه معنى الانتهاء فقال او ألم ينته علمك

فيكون الكلام على ظاهره لان الظل وان كان من المبصرات الا ان تأثير قدرة الله تعالى فى تمديده ليس من المبصرات بالاتفاق لكنه معلوم بما ذكره من البرهان الواضح والظل هو الامر المتوسط بين الضوء الخالص والظلمة الخالصة وهو يحدث منبسطا على وجه الارض فيمابين ظهور الفجر الى طلوع الشمس ثم ان الشمس تنسخه وتزيله شيأ فشيأ الى الزوال ثم هو ينسخ ضوء الشمس ويزيله من وقت الزوال الى الغروب ويسمى الظل الآخذ فى التزايد الناسخ لضوء الشمس فيئا ووجه الاستدلال به على وجود الصانع ماشار اليه من ان حدوثه بعد العدم وعدمه بعد الوجود وتغير احواله بالزيادة والنقصان والانبساط والتقلص على الوجه النافع لابدّ له من صانع قادر مدبر حكيم يقدر على تحريك الاجرام العلوية وتدبير الاجسام الفلكية وترتيبها على الوصف الاحسن والترتيب الاكمل وماهو الا الله عزوجل ﴿قوله ثابتا من السكنى﴾ وهو الاستقرار والثبات فى مكان يقال سكن الدار سكنى اذا استقرّ فيها فالمعنى ولوشاء لجعله ثابتا مستقرّا لايذهب عن وجه الارض بان لاتطلع الشمس ابدا والمعنى على تقدير كونه من السكون الذى هو عدم الحركة ولوشاء لجعله ساكنا لايتحرك حركة انقباض ولاانبساط بان تجعل الشمس مقيمة على وضع واحد ودليل واحد ودليل الشئ مايكون ظهوره للعقل سببا لظهور الشئ فيه فشبهت الشمس بالنسبة الى الظل بالدليل بالنسبة الى المدلول عليه من حيث كون طلوعها سببا لظهور الظل للحس او من حيث كون حركتها سببا لحدوثه وتغير احواله وانما قلنا ان طلوع الشمس سبب لظهور الظل لان الناظر الى الجسم الملوّن حال قيام الظل عليه لايظهر له شئ سوى الجسم ولونه اذ الظل ليس امرا ثابتا للحس ولايعرف به ثم اذا طلعت الشمس ووقع ضوؤها على الجسم ظهر ذلك الظل للحس فلولا الشمس ووقع ضوئها على الاجرام لماعرف الظل كما انه لولا الظلمة لماعرف النور فكانه تعالى لما اطلع الشمس ووقع ضوؤها على الارض وزال الظل به فحينئذ ظهر للعقول ان الظل كيفية زائدة على الجسم واللون فلهذا قال الله تعالى ثم جعلنا الشمس عليه دليلا اى خلقنا الظل اوّلا بمافيه من المنافع واللذات ثم اهدينا العقول الى معرفة وجوده بان اطلعنا الشمس فكانت دليلا على وجوده والقبض جمع المنبسط من الشئ والمراد به ههنا الازالة فقوله تعالى ثم قبضناه الينا معناه ان الظل يعم جميع الارض قبل طلوع الشمس فاذا طلعت الشمس ازال الله تعالى ذلك الظل لادفعة بل جزأ فجزأ يسيرا يسيرا فكلما زاد ارتفاع الشمس ازداد نقصان الظل فى جانب المغرب فلو قبضه الله تعالى دفعة واحدة لتعطلت منافع الظل والشمس فقبضه يسيرا يسيرا لتبقى منافعهما والمصالح المتعلقة بهما ﴿قوله وثم فى الموضعين لتفاضل الامور﴾ لاللتراخى الزمانى اذلايصح جعلها له فى هذا المقام اذ ليس المعنى انه تعالى بعد ذلك المدّ بزمان متراخ جعل الشمس عليه دليلا فوجب حمله على المجاز بان تجعل كلمة ثم استعارة تبعية بان شبه تفاضل الامور وتباعد مراتبها بالبعد الزمانى فاستعير لجانب المشبه لفظ ثم الموضوعة للتراخى الزمانى ووجه كون الامور متباعدة فى الرتبة والفضل ان حدوث الظل ممدودا مبسوطا على وجه الارض وان كان فى نفسه دالا على وجود الصانع الحكيم الا ان جعل الشمس دليلا عليه لدلالته على امر زآئد مرتب على ذلك افضل منه رتبة وقبض الظل قبضا يسيرا اعظم من الثانى لان الازالة مع التدرّج والمهلة بانبساط ضوء الشمس على الاجرام تحصل بها المنافع المرتبة على الشمس مع عدم ارتفاع منافع الظل بالكلية وهى منفعة زآئدة على قبض انبساط الظل وقيام دليل وجوده مع معرفة الساعات والاوقات التى يناط بها اكثر احكام الشرع ولان فى التدرّج حكما ومصالح اخرى ﴿قوله وقيل مدّ الظل﴾ عطف على قوله لتفاضل الامور اى وقال بعضهم ثم فى احد الموضعين مستعملة فى اصل معناها وهو التراخى الزمانى فان خلق الشمس مسلطة على الظل متراخ زمانا عن انبساط ظل السماء على الارض فثم فى قوله ثم جعلنا الشمس عليه للتراخى بخلافها فى قوله ثم قبضناه ﴿قوله ولوشاء لجعله ثابتا على تلك الحالة﴾ اى لواراد بقاء الظل على تلك الحالة ممدودا على وجه الارض لماخلق الشمس ليكون باقيا على امتداده لكن اراد تغييره فخلق الشمس وسلطها على الظل فان الظل تابع للشمس كما يتبع المدلول الدليل والمراد بكون الظل تابعا للشمس ان زيادة الظل ونقصانه تابعة لحركة الشمس فعلى هذا الوجه يكون قوله تعالى عليه مفعولا ثانيا لجعلنا وقوله دليلا حالا من الشمس وتكريرا للمفعول الثانى كما مرّ فى قوله تعالى فجعلناه هباء منثورا وكون الشمس دليلا على الظل عبارة عن كونها مستتبعة اياه استتباع دليل العلم لمدلوله واستتباع دليل الطريق لمن يهديه فان الشمس باختلاف احوالها فى مسيرها تستلزم اختلاف احوال الظل من كونه ثابتا فى مكانه وزآئلا عنه ومنبسطا

(ألم ترالى ربك) ألم تنظر الى صنعه (كيف مد الظل) كيف بسطه أو ألم تنظر الى الظل كيف مدّه ربك فغير النظم اشعارا بان المعقول من هذا الكلام لوضوح برهانه وهو دلالة حدوثه وتصرّفه على الوجه النافع باسباب ممكنة على ان ذلك فعل الصانع الحكيم كالمشاهد المرئى فكيف بالمحسوس منه او ألم ينته علمك الى ان ربك كيف مدّ الظل وهو فيما بين طلوع الفجر والشمس وهو اطيب الاحوال فان الظلمة الخالصة تنفر الطبع وتسدّ النظر وشعاع الشمس يسخن الجو ويبهر البصر ولذلك وصف به الجنة فقال وظل ممدود (ولوشاء لجعله ساكنا) ثابتا من السكنى او غير متقلص من السكون بان يجعل الشمس مقيمة على وضع واحد (ثم جعلنا الشمس عليه دليلا) فانه لايظهر للحس حتى تطلع فيقع ضوءها على بعض الاجرام اولايوجد ولا يتفاوت الا بسبب حركتها (ثم قبضناه الينا) اى ازلناه بايقاع الشعاع موقعه لما عبر عن احداثه بالمدّ بمعنى البسط عبر عن ازالته بالقبض الى نفسه الذى هو فى معنى الكف (قبضا يسيرا) قليلا قليلا حسبما ترتفع الشمس لينتظم بذلك مصالح الكون ويتحصل به مالايحصى من منافع الخلق وثم فى الموضعين لتفاضل الامور أو لتفاضل مبادى اوقات ظهورها وقيل مدّ الظل لما بنى السماء بلانير ودحا الارض تحتها فألقت عليها ظلها ولوشاء لجعله ثابتا على تلك الحال

ثم خلق الشمس عليه دليلا اى مسلطا عليه مستتبعا اياه كما يستتبع الدليل المدلول او دليل الطريق من يهديه بتفاوت بحركتها وبتحوّل بتحوّلها ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا شيأ فشيأ الى ان تنتهى غاية نقصانه او قبضا سهلا عند قيام الساعة بقبض اسبابه من الاجرام المظلة والمظل عليها (وهو الذى جعل لكم الليل لباسا) شبه ظلامه باللباس فى ستره (والنوم سباتا) راحة للابدان بقطع المشاغل واصل السبت القطع اوموتا كقوله وهو الذى يتوفاكم بالليل لانه قطع الحياة ومنه المسبوت للميت (وجعل النهار نشورا) ذا نشور اى انتشار ينتشر فيه الناس للمعاش اوبعثا من النوم بعث الاموات ويكون اشارة الى ان النوم واليقظة انموذج للموت والنشور وعن لقمان يابنى كما تنام فتوقظ كذلك تموت فتنشر (وهو الذى ارسل الرياح) وقرأ ابن كثير على التوحيد ارادة للجنس (نشرا) ناشرات للسحاب جمع نشور وقرأ ابن عامر بالسكون على التخفيف وحمزة والكسائى به وبفتح النون على انه مصدر وصف به وعاصم بشرا تخفيف بشر جمع بشير بمعنى مبشر (بين يدى رحمته) يعنى قدّام المطر (وانزلنا من السماء ماء طهورا) مطهرا لقوله ليطهركم به وهو اسم لما يتطهر به كالوضوء والوقود لما يتوضأ به ويوقد به قال عليه الصلاة والسلام التراب طهور المؤمن طهور اناء احدكم اذا ولغ الكلب فيه ان يغسل سبعا احداهن بالتراب وقيل بليغا فى الطهارة وفعول وان غلب فى المعنيين لكنه قد جاء للمفعول كالضبوث بمعنى المضبوث وللمصدر كالقبول وللاسم كالذنوب وتوصيف الماء به اشعار بالنعمة فيه وتتميم للمنة فيما بعده فان الماء الطهور اهنأ وانفع مما خالطه مايزيل طهوريته وتنبيه على ان ظواهرهم لما كانت مما ينبغى ان يطهروها فبواطنهم بذلك اولى (لنحيى به بلدة ميتا) بالنبات وتذكير ميتا لان البلدة فى معنى البلد ولانه غير جار على الفعل كسائر ابنية المبالغة فاجرى مجرى الجامد (ونسقيه مما خلقنا انعاما واناسىّ كثيرا) يعنى اهل البوادى الذين يعيشون بالحيا ولذلك نكر الانعام والاناسىّ وتخصيصهم لان اهل المدن والقرى يقيمون بقرب الانهار والمنابع فبهم وبما حولهم من الانعام غنية عن سقيا السماء وسائر الحيوانات تبعد فى طلب الماء فلا يعوزها الشرب غالبا مع ان مساق هذه الآيات كما هو للدلالة على عظم القدرة فهو لتعداد انواع النعمة

ومنقبضا ونحو ذلك فيصح ان يستدل بكل حال من احوالها على كل حال من احوال الظل ﴿قوله او دليل الطريق﴾ عطف على فاعل يستتبع وقوله من يهديه عطف على مفعوله اى اوكما يستتبع دليل الطريق من يهديه فالشمس على الاوّل بمنزلة دليل العلم بالنسبة الى مدلوله وعلى الثانى بمنزلة دليل الطريق بالنسبة الى من يهديه ﴿قوله بتفاوت بحركتها وبتحوّل بتحوّلها﴾ استئناف لبيان كون الشمس مسلطة عليه مستتبعة اياه والنوع الثانى من دلائل الوحدانية ماذكره بقوله وهو الذى جعل لكم الليل لباسا والنشور يحتمل ان يكون بمعنى الانتشار والتفرّق فى وجوه المصالح ويحتمل ان يكون بمعنى الحياة لانه لما كان فى النوم معنى الوفاة لانقطاع الانسان به عن التصرّف والعمل كان فى اليقظة معنى الحياة * فى بعض الكتب * ابن آدم كما تنام تموت وكما تستيقظ تبعث والنوع الثالث منها ماذكره بقوله وهو الذى ارسل الرياح قرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو نشرا بضم النون والشين وهو جمع نشور كرسل ورسول والمعنى ارسلها ناشرات للسحاب فى الجوّ كما ينشر الشئ المطوىّ المضبوط وقرأ ابن عامر وابو عمرو فى رواية بضم النون وسكون الشين والمعنى كالاوّل وقرأ حمزة والكسائى بفتح النون وسكون الشين وقرأ عاصم بالباء المضمومة وسكون الشين من البشارة واختار كون طهورا فى الآية اسما لما يتطهر به كالسحور والوقود استدلالا بقوله تعالى وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به وضعف كونه مبالغة الطاهر لخلوّه عن بيان منفعته وهى كونه مطهرا للانسان من الحدث والنجاسة ﴿قوله وللاسم كالذنوب﴾ وهو اسم بمعنى الصب ويقال ايضا للدلو الملأى ذنوب ولا يقال لها وهى فارغة ذنوب * فان قيل الطهور مشتق من طهر يطهر طهارة وهو لازم فكيف يجوز تعديته بتطهيره غيره * قلنا انه حينئذ لا يكون من الصفات المشتقة كالغفور والشكور بل يكون من قبيل الاسماء الجامدة * فان قيل كيف يكون لفظ طهور اسما لما يتطهر به وقد قال الله تعالى فى صفة اهل الجنة وسقاهم ربهم شرابا طهورا وقال الشاعر * عذاب الثنايا ريقهنّ طهور * قلنا كونه اسما له لا ينافيه استعماله فى مبالغة طاهر ﴿قوله وتوصيف الماء به اشعار بالنعمة﴾ جواب عما يقال ما الفائدة فى توصيف الماء المنزل لاحياء الارض وسقى الحيوان بقوله طهورا مع ان الوصف فى مثله يؤذن بكون الوصف شرطا لترتب الحكم على الفعل المعلل كما اذا قلت اعطانى اللباس الفاخر لأتزين به ووصفه بالطهارة لا دخل له فى ترتيب الاحياء والسقى على انزال الماء * وتقرير الجواب ان الاحياء والاسقاء المذكورين وان امكنا بدون وصف الطهارة الا انه وصف الماء بها اشعارا بالنعمة فيها فان وصف الطهارة نعمة زائدة على انزال ذات الماء وتتميما للمنة الزائدة المستفادة من قوله لنحيى به ونسقيه فان هذين الاحياءين انما يتمان بذلك لماذكره من ان الماء الطهور اهنأ وانفع وتنبيها على ان بواطنهم اولى بالتطهير ووجه التنبيه انه تعالى لما امتنّ علينا بان انزل ماء يطهر ابداننا من الحدث والنجاسات تبين بذلك ان ظواهرنا مما ينبغى ان تطهر ومن المعلوم ان باطن الشئ اولى بالحفظ من التلوّث من ظاهره فكان الامتنان بانزال مايطهر الظاهر تنبيها على ان الباطن اولى به ﴿قوله ولانه غير جار على الفعل﴾ اى لم يقل بلدة ميتة لان الميت ليس على وزن الفعل نحو فعول ومفعال ومفعيل وفعيل بمعنى مفعول وفى مثله يجوز التذكير وان جرى على المؤنث لانه لما لم يكن على وزن الفعل لم يكن مشابها له فجاز ان لا يطابق موصوفه فى التأنيث فان الفعل يطابق فاعله فى التذكير والتأنيث فكذا مايشابهه بخلاف مالم يوازن الفعل من المشتقات فانه اجرى مجرى الجوامد قرأ الجمهور ونسقيه بضم النون وقرأ ابو عمرو وعاصم فى رواية عنهما بفتح النون وسقى واسقى لغتان بمعنى يقال سقاه الله الغيث واسقاه والاسم السقيا بالضم ويقال سقيته اسقيه واسقيت ماشيته وارضه والاسم السقى بالكسر وقوله تعالى مما خلقنا يجوز ان يتعلق بقوله نسقيه اى نسقى ذلك الماء بعض خلقنا من الانعام والاناسىّ وانتصابهما على البدل من محل الجار والمجرور فى قوله مما خلقنا ويجوز ان يتعلق بمحذوف على انه حال من انعاما ولعل قوله يعنى اهل البوادى مبنى على الاوّل وقوله وتخصيصهم جواب عما يقال كيف خص اهل البوادى بالاسقاء مع ان اهل المدن والقرى يحتاجون الى الشرب ﴿قوله وسائر الحيوانات﴾ اى ماعدا الانعام من الوحوش والطيور وان كانت تعيش بالماء لكنه تعالى خص الانعام بالذكر لان سائرها لا يعوزه الشرب ولا يكون عاجزا عن نيله غالبا يقال اعوزه الشئ اذا احتاج اليه فلم يقدر عليه ﴿قوله مع ان مساق هذه الآيات﴾ وجه ثان لتخصيص الانعام بالذكر مع استوائها بسائر الحيوانات فى الاحتياج الى الشرب وحاصله ان ليس المقصود مجرد بيان الحكمة فى انزال الماء بل المقصود تعداد مايكون نعمة فى حق نوع الانسان فلذلك خصت الانعام

(بالذكر)

والانعام قنية الانسان وعامة منافعهم وعلية معايشهم منوطة بها ولذلك قدم سقيها على سقيهم كما قدم عليها احياء الارض فانه سبب لحياتها وتعيشها وقرئ نسقيه بالفتح وسق واسق لغتان وقيل اسقاه جعل له سقيا واناسى بحذف ياء وهو جمع انسى او انسان كظرابى فى ظربان على ان اصله اناسين فقلبت النون ياء (ولقد صرفناه بينهم) صرفنا هذا القول بين الناس فى القرآن وسائر الكتب او المطر بينهم فى البلدان المختلفة والاوقات المتغايرة والصفات المتفاوتة من وابل وطل وغيرهما وعن ابن عباس رضى الله عنهما ماعام امطر من عام ولكن الله قسم ذلك بين عباده على ماشاء وتلا هذه الآية او فى الانهار والمنابع (ليذكروا) ليتفكروا ويعرفوا كمال القدرة وحق النعمة فى ذلك ويقوموا بشكره او ليعتبروا بالصرف عنهم واليهم (فأبى اكثر الناس الا كفورا) الا كفران النعمة وقلة الاكتراث لها او جحودها بان يقولوا مطرنا بنوء كذا ومن لا يرى الامطار الا من الانواء كان كافرا بخلاف من يرى انها من خلق الله والانواء وسائط او امارات بجعله تعالى (ولو شئنا لبعثنا فى كل قرية نذيرا) نبيا ينذر اهلها فتخف عليك اعباء النبوة لكن قصرنا الامر عليك اجلالا لك وتعظيما لشأنك وتفضيلا لك على سائر الرسل فقابل ذلك بالثبات والاجتهاد فى الدعوة واظهار الحق (فلا تطع الكافرين) فيما يريدونك عليه وهو تهييج له وللمؤمنين (وجاهدهم به) بالقرآن او بترك طاعتهم الذى يدل عليه فلا تطع والمعنى انهم يجتهدون فى ابطال حقك فقابلهم بالاجتهاد فى مخالفتهم وازاحة باطلهم (جهادا كبيرا) لان مجاهدة السفهاء بالحجج اكبر من مجاهدة الاعداء بالسيف او لان مخالفتهم ومعاداتهم فيما بين اظهرهم مع عتوهم وظهورهم او لانه جهاد مع كل الكفرة لانه مبعوث الى كافة القرى (وهو الذى مرج البحرين) خلاهما متجاورين متلاصقين بحيث لا يتمازجان من مرج دابته اذا خلاها (هذا عذب فرات) قامع للعطش من فرط عذوبته (وهذا ملح اجاج) بليغ الملوحة وقرئ ملح على فعل ولعل اصله مالح فخفف كبرد فى بارد

بالذكر لانها قنية الانسان اى يقتنيها ويتخذها لنفسه لا للتجارة * الجوهرى قنوت الغنم وغيرها قنوة وقنوة وقنيت ايضا قنية وقنية اذا اقتنيتها لنفسك لا للتجارة وعلية جمع على بمعنى شريف ورفيع مثل صبية جمع صبى ﴿قوله ولذلك﴾ اى ولكون علية ما يتعيشون به هى الانعام قدم سقيها على سقيهم كما قدم على الانعام احياء الارض فان الارض وحياتها سبب لحياة الانعام وتعيشها فانظر الى انه تعالى كيف رتب ذكر ما هو رزق الانسان ورزق رزقه ورزق رزق رزقه فان الانعام رزق الانسان والنبات رزق الانعام والمطر رزق النبات فقد ذكر المطر ورتب عليه ذكر حياة الارض بالنبات ورتب عليه ذكر الانعام ﴿قوله واناسى﴾ عطف على قوله نسقيه اى كما قرئ نسقيه بفتح النون كذلك قرئ اناسى بحذف ياء افاعيل وذهب سيبويه الى ان اناسى جمع انسان اصله اناسين كسرحان وسراحين فأبدلت النون ياء وادغم فيها الياء التى قبلها كما قيل فى جمع ظربان ظرابى اصله ظرابين والظربان على وزن قطران دويبة كالهرة منتنة الريح تزعم الاعراب انها تفسو فى ثوب احدهم اذا صادفها فلا تذهب رائحته حتى يبلى الثوب وفى المثل فسا بينهم الظربان وذلك اذا تقاطع القوم وقال الفراء والمبرد والزجاج انه جمع انسى وفيه نظر لان فعاليل انما يكون جمعا لما فيه ياء مشددة لا تدل على نسب نحو كراسى فى جمع كرسى فلو اريد بياء كرسى النسب لم يجئ جمعه على كراسى ﴿قوله صرفنا هذا القول﴾ يعنى ضمير صرفناه اما ان يرجع الى ماذكره بقوله وهو الذى ارسل الرياح نشرا بين يدى رحمته وانزلنا من السماء ماء طهورا كأنه قيل ولقد صرفنا ذكر انشاء السحاب وانزال المطر بين الناس فى القرآن وفى سائر الكتب ليتفكروا ويعتبروا او يرجع الى نفس الماء الطهور الذى هو المطر ومعنى تصريفه بين الناس ان لا ينزله على نسق واحد بل ينزله فى مكان دون مكان وفى وقت دون وقت وعلى صفة دون اخرى فيقسمه بين العباد على هذه الوجوه وروى عن ابن عباس انه قال ماعام باكثر مطرا من عام ولكن الله يفرقه فى الارض ثم قرأ هذه الآية وروى عن ابن مسعود عن النبى عليه الصلاة والسلام انه قال مامن عام بأمطر من عام ولكن اذا عمل قوم بالمعاصى حول الله ذلك الى غيرهم فاذا عصوا جميعا صرف الله ذلك الى الفيافى والمراد باختلاف صفة المطر كونه تارة وابلا واخرى طلا ومرة ديمة مثلا والوابل المطر الشديد والطل اضعف المطر والديمة المطر الذى يدوم اياما ﴿قوله او فى الانهار والمنابع﴾ عطف على قوله فى البلدان المختلفة اى ويجوز ان يكون المراد بتصريف المطر بين الناس اجراءه فى الانهار والمنابع لينتفعوا به بوجوه الانتفاع من الشرب وسقى الزرع ونحوهما ﴿قوله بخلاف من يرى انها﴾ اى من يرى ان الله هو الذى خلق الامطار وجعل الانواء دلائل وامارات عليها لا يكفر والحاصل ان المراد بالكفور اما كفران النعمة وقلة المبالاة بشأنها فان حقها ان يتفكر فيها ويستدل بها على وجود الصانع وقدرته واحسانه ويشتغل بشكر احسانه ومن اشتغل بها وقصر فى شكر منعمها فقد كفر بحق النعمة واما الكفر بالله بان يقول مطرنا بنوء كذا ويسند مثل هذه النعمة الى الافلاك والكواكب ويجحد كونها صادرة من الله فانه لاشك انه كافر بالله تعالى والانواء النجوم التى يسقط واحد منها فى جانب المغرب وقت طلوع الفجر ويطلع رقيبه فى جانب المشرق من ساعته والعرب كانت تضيف الامطار والرياح والحر والبرد الى الساقط منها وقيل الى الطالع منها ثم انه تعالى لما بين دلائل وحدانيته وكمال قدرته شرع فى تعظيم رسوله فقال ولو شئنا لبعثنا فى كل قرية نذيرا كأنه قيل ولو شئنا لخففنا عنك اعباء الرسالة الى كل العالمين بان بعثنا فى كل قرية نذيرا ولكن قصرنا الامر عليك اجلالا لك ﴿قوله لان مجاهدة السفهاء بالحجج﴾ لم يحمل المجاهدة المأمور بها على المجاهدة بالسيف لان السورة مكية والامر بالقتال انما ورد بعد الهجرة بزمان ﴿قوله فيما بين اظهرهم﴾ خبر قوله اولان مخالفتهم ولاشك ان مخالفة العتاة الغالبين فيما بينهم اكبر المجاهدة ﴿قوله اولانه جهاد مع كل الكفرة﴾ فيكون ضمير به فى قوله وجاهدهم به راجعا الى مادل عليه قوله ولو شئنا لبعثنا فى كل قرية نذيرا وهو كونه نذيرا لكافة القرى فانه لو بعث فى كل قرية نذيرا لوجب على كل نذير مجاهدة قريته بأقصى الوسع فاجتمعت على رسول الله تلك المجاهدات كلها ليكبر جهاده من اجل ذلك فلذلك قال له جاهد بسبب كونك نذير كافة القرى جهادا كبيرا جامعا للمجاهدات ثم انه تعالى انتقل الى النوع الآخر من دلائل التوحيد فقال وهو الذى مرج البحرين كأنه تعالى يقوى به قلبه عليه الصلاة والسلام على امتثال ما امر به من المجاهدة الكبيرة واصل المرج الارسال والتخلية يقال مرجت الدابة اذا ارسلتها ترعى وقوله تعالى هذا عذب فرات وهذا ملح اجاج مقول قول مضمر تقديره مرج البحرين مقولا فيهما هذا عذب

(وجعل بينهما برزخا) حاجزا من قدرته (وحجرا محجورا) وتنافرا بليغا كأنّ كلا منهما يقول للآخر مايقوله المتعوّذ منه وقيل حدا محدودا وذلك كدجلة تدخل البحر فتشقه فتجرى فى خلاله فراسخ لايتغير طعمها وقيل المراد بالبحر العذب النهر العظيم مثل النيل وبالبحر الملح البحر الكبير وبالبرزخ مايحول بينهما من الارض فتكون القدرة فى الفصل واختلاف الصفة مع ان مقتضى طبيعة اجزآء كل عنصر ان تضامّت وتلاصقت وتشابهت فى الكيفية (وهو الذى خلق من الماء بشرا) يعنى الذى خمّر به طينة آدم اوجعله جزأ من مادة البشر لتجتمع وتسلس وتقبل الاشكال والهيئات بسهولة او النطفة (فجعله نسبا وصهرا) اى قسمه قسمين ذوى نسب اى ذكورا ينسب اليهم وذوات صهر اى اناثا يصاهر بهن كقوله فجعل منه الزوجين الذكر والانثى (وكان ربك قديرا) حيث خلق من مادة واحدة بشرا ذا أعضاء مختلفة وطباع متباعدة وجعله قسمين متقابلين وربما يخلق من نطفة واحدة توأمين ذكرا وانثى (ويعبدون من دون الله مالاينفعهم ولايضرّهم) يعنى الاصنام اوكل ماعبد من دون الله اذ مامن مخلوق يستقل بالنفع والضرّ (وكان الكافر على ربه ظهيرا) يظاهر الشيطان بالعداوة والشرك والمراد بالكافر الجنس او ابوجهل وقيل هينا مهينا لاوقع له عنده من قولهم ظهرت به اذا نبذته خلف ظهرك فيكون كقوله ولايكلمهم الله ولاينظر اليهم (وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا) للمؤمنين والكافرين (قل ماأسألكم عليه) على تبليغ الرسالة الذى يدل عليه الا مبشرا ونذيرا (من اجر الا من شاء) الافعل من شاء (ان يتخذ الى ربه سبيلا) ان يتقرّب اليه ويطلب الزلفى عنده بالايمان والطاعة فصوّر ذلك بصورة الاجر من حيث انه مقصود فعله واستثناه منه قلعا لشبهة الطمع واظهارا لغاية الشفقة حيث اعتدّ بانفاعك نفسك بالتعرّض للثواب والتخلص من العقاب اجرا وافيا مرضيابه مقصورا عليه واشعارا بان طاعاتهم تعود عليه بالثواب من حيث انها بدلالته وقيل الاستثناء منقطع معناه لكن من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا فليفعل

فرات وهذا ملح اجاج كما يقال وجدت الناس اخبر تقله اى مقولا فيهم ذلك ويحتمل ان يكون جملة مستأنفة لامحل لها كأنه قال كيف مرجهما فقيل هذا عذب فرات والفرات فعال من فرت الماء يفرت فروتة فهو فرات اذا كان فى غاية العذوبة ويقال ملح الماء يملح ملوحة فهو ملح وملح على وزن فعل وفعل وقرئ بهما وقلما يقال مالح والاجاج الشديد الملوحة الذى يحرق الباطن من ملوحته من اجت النار اجيجا اذا اشتدّ حرّها ﴿قوله وتنافرا بليغا﴾ لما كان عطف قوله وحجرا محجورا على قوله برزخا دالا على انه تعالى جعل كل واحد من البحرين بحيث يتعوّذ من الآخر ويقول له حجرا محجورا اى حراما محرّما عليك ان تغلب علىّ وتزيل صفتى وكيفيتى ومن المعلوم ان البحر ليس من شأنه ان يتعوّذ ويقول قولا جعل الكلام من قبيل الاستعارة التمثيلية بان شبه تلاصق كل واحد منهما بالآخر مع كمال التنافر بينهما بعدوّين يتقرّبان فى المعركة يريد كل واحد منهما ان يتقى صاحبه ويتعوّذ منه فعبر عن المشبه بلفظ المشبه به فقيل جعل بينهما هذا الكلام بمعنى جعلهما قائلين هذا الكلام ﴿قوله وقيل حدا محدودا﴾ اى وجعل بينهما حدّا لايتجاوز كل واحد منهما ذلك الحدّ وفى الصحاح الحجر ايضا حجر الكعبة وهو ماحواه الحطيم المدار بالبيت جانب الشمال وكل ماحجرت من حائط فهو حجر ﴿قوله وذلك كدجلة﴾ يعنى ان المراد بالبحر الماء الكثير الواسع سوآء كان عذبا كدجلة والنيل او ملحا فلا يرد ان يقال لاوجود للبحر العذب فكيف ذكره الله ههنا ثم بين انه تعالى كيف حجز بين بحرين متنافرين غاية التنافر حال كونهما متجاورين بحيث لايمتزجان حتى يجعل موضع التعجب فقال كدجلة تدخل البحر ومن قال المراد بالبحر العذب النهر العظيم وبالملح الاجاج البحر الكبير وبالبرزخ مايحول بينهما من الارض بين وجه الاستدلال على قدرة الصانع بان العذوبة والملوحة ان كانت بسبب طبيعة الارض والماء فلابدّ من الاستوآء وان لم تكن كذلك فلابدّ من قادر حكيم يخص كل واحد من الاجسام بصفة معينة ويفصل بين اجزآء الطبيعة الواحدة بالبرزخ الحائل بينها على حسب مشيئته وارادته مع ان مقتضى طبيعة اجزآء كل عنصر ان تضامّت وتلاصقت ﴿قوله وتسلس﴾ اى تلين وتنقاد ذكر فى الماء الذى خلق منه البشر ثلاثة احتمالات الاوّل انه الماء الذى خمّر به طينة آدم عليه الصلاة والسلام والثانى انه الماء الذى جعل جزأ من مادة كل بشر بل مادة كل حيوان كما قال تعالى والله خلق كل دابة من ماء والثالث انه النطفة لقوله تعالى خلق من ماء دافق من ماء مهين ﴿قوله اى قسمه قسمين﴾ اى ليس المراد انه تعالى جعل البشر الواحد ذا نسب تنسب اليه الفروع وذات صهر يصاهر بها فانه محال فان الصهر ابو زوج البنت فما كان من قبل زوج البنت فهم اصهار يتوصل اليهم بسبب البنات فذوات الصهر اى اللاتى يصاهر بهن ليست الا البنات بخلاف ذوى النسب اى الذين ينسب اليهم الاولاد فانهم ذكور لان النسب الى الآباء كما قال الشاعر

لاتزرينّ امرأ من ان يكون له ❁ ام من الروم او سودآء عجفاء
فانما امهات الناس اوعية ❁ مستودعات وللآباء ابناء

بين الله قدرته اوّلا ببيان انه خلق من الماء بشرا واظهر فضله وامتنانه بجعله نسبا وصهرا اما النسب فبه يتعارفون ويتواصلون فيقال فلان ابن فلان وفلانة بنت فلان ولولا النسب لما تعارفوا ولا تواصلوا واما الصهر فلانه من اسباب التواصل والتوالد والتوادّ ثم انه تعالى لما شرح دلائل التوحيد عاد الى تهجين سيرة المشركين فى عبادة الاوثان فقال ويعبدون من دون الله الى قوله ظهيرا وهو خبر كان وعلى ربه متعلق به اى وكان الكافر بشركه وعداوته الحق عونا للشياطين على عصيان ربه يستحثه على الاصرار عليه ﴿قوله والمراد بالكافر الجنس﴾ فحينئذ يحتمل ان تكون المظاهرة مظاهرة بعض الكفار لبعض لامظاهرة الكافر للشيطان ثم انه تعالى لما بين انه ارسل رسوله الى كافة القرى وقصر الامر عليه اجلالا له بين انه على اىّ حال ارسله فقال وما ارسلناك الا مبشرا ﴿قوله الافعل من شاء﴾ يعنى ان الاستثناء متصل على حذف المضاف واتخاذ السبيل اليه تعالى عبارة عن التقرّب اليه بالايمان والطاعة صوّر فعل من شاء ان يتقرّب اليه بذلك بصورة الاجر وسماه باسمه تشبيها له بالاجر من حيث كونه المقصود من التبليغ واستثناه من الاجر لفوآئد احداها ان يقلع شبهة طمعه فى الاجر من اصله كأنه قيل ان اعطيتم اياى اجرا فأعطونى ذلك الفعل فانى لااسأل غيره وثانيتها اظهار الشفقة البالغة عليهم بانه عد سعيهم لانفسهم ونفعهم لها بالاشتغال بطاعة ربهم والاجتناب من مخالفته وعصيانه اجرا وافرا مرضيا به

(وثالثها)

(وتوكل على الحىّ الذى لايموت) فى استكفاء شرورهم والاغناء عن اجورهم فانه الحقيق بان يتوكل عليه دون الاحياء الذين يموتون فانهم اذا ماتوا ضاع من توكل عليهم (وسبح بحمده) ونزهه من صفات النقصان مثنيا عليه باوصاف الكمال طالبا لمزيد الانعام بالشكر على سوابقه (وكفى به بذنوب عباده) ماظهر منها ومابطن (خبيرا) مطلعا فلا عليك ان آمنوا او كفروا (الذى خلق السموات والارض ومابينهما فى ستة ايام ثم استوى على العرش) قد سبق الكلام فيه ولعل ذكره زيادة تقرير لكونه حقيقا بان يتوكل عليه من حيث انه الخالق للكل والمتصرّف فيه وتحريض على الثبات والتأنى فى الامر فانه تعالى مع كمال قدرته وسرعة نفاذ امره فى كل مراد خلق الاشياء على تؤدة وتدرّج (الرحمن) خبر للذى ان جعلته مبتدأ اولمحذوف ان جعلته صفة للحىّ او بدل من المستكن فى استوى وقرئ بالجرّ صفة للحىّ (فاسأل به خبيرا) فاسأل عما ذكر من الخلق والاستوآء عالما يخبرك بحقيقته وهو الله تعالى اوجبرائيل اومن وجده فى الكتب المتقدّمة ليصدقوك فيه وقيل الضمير للرحمن والمعنى ان انكروا اطلاقه على الله تعالى فاسأل عنه من يخبرك من اهل الكتاب ليعرفوا مجيئ مايرادفه فى كتبهم وعلى هذا يجوز ان يكون الرحمن مبتدأ والخبر مابعده والسؤال كما يعدّى بعن لتضمنه معنى التفتيش يعدّى بالباء لتضمنه معنى الاعتناء وقيل انه صلة خبيرا (واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا ومالرحمن) لانهم ما كانوا يطلقونه على الله اولانهم ظنوا انه اراد به غيره ولذلك قالوا (أنسجد لماتأمرنا) اى للذى تأمرناه بمعنى تأمرنا بسجوده اولأمرك لنا من غير عرفان وقيل لانه كان معرّبا لم يسمعوه وقرأ حمزة والكسائى يأمرنا بالياء على انه قول بعضهم لبعض (وزادهم) اى الامر بالسجود للرحمن (نفورا) عن الايمان (تبارك الذى جعل فى السماء بروجا) يعنى البروج الاثنى عشر سميت به وهى القصور العالية لانها للكواكب السيارة كالمنازل لسكانها واشتقاقه من التبرّج لظهوره (وجعل فيها سراجا) يعنى الشمس لقوله وجعل الشمس سراجا وقرأ حمزة والكسائى سرجا وهى الشمس والكواكب الكبار (وقمرا منيرا) مضيئا بالليل وقرئ وقمرا اى ذاقمر وهو جمع قمرآء ويحتمل ان يكون بمعنى القمر كالرشد والرشد والعرب والعرب

وثالثها الاشعار بانهم كما يثابون على ذلك الفعل بمباشرتهم له يثاب هو ايضا عليه بسبب دلالته اياهم بحكم ان الدال على الخير كفاعله وعلى تقدير كون الاستثناء منقطعا يكون المعنى لااطلب من اموالكم جعلا لنفسى لكن من شاء انفاقها لوجه الله تعالى فليفعل فانى لا امنعه عنه ﴿قوله فى استكفاء شرورهم والاغناء عن اجورهم﴾ يعنى ان الآية متصلة بقوله وكان الكافر على ربه ظهيرا وقوله قل مااسألكم عليه من اجرفانه تعالى لما بين ان الكفار متظاهرون على ايذآئه وامره بان لايطلب منهم اجرا البتة امره بان يتوكل عليه فى دفع جميع المضارّ وفى جلب جميع المنافع ﴿قوله تعالى وكفى بربك﴾ اى حسبك الحىّ الذى لايموت خبيرا بذنوب عباده ولايحتاج معه الى الغير لانه خبير باحوالهم قادر على مكافأتهم وذلك وعيد شديد ﴿قوله فاسأل عما ذكر من الخلق والاستوآء﴾ اشارة الى ان الباء بمعنى عن كما فى قوله تعالى سأل سائل بعذاب واقع وفى قول علقمة

❁ فان تسألونى بالنساء فاننى ❁ خبير بادوآء النساء طبيب ❁

وان ضمير به يرجع الى ماذكر من خلق السماء والارض والاستوآء على العرش ﴿قوله لانهم ما كانوا يطلقونه على الله تعالى﴾ على ان يكون قولهم وما الرحمن سؤالا عن المسمى بهذا الاسم ويكون قول المصنف هذا علة لسؤالهم عنه فانهم لما لم يعرفوا كونه سبحانه مسمى بهذا الاسم اتجه لهم ان يسألوا عن مسماه او كانوا يعرفون كونه تعالى مسمى به الا انهم كانوا يزعمون انه قد يراد به غيره تعالى وهو مسيلمة الكذاب باليمامة فانه يقال له رحمن اليمامة وكان المشركون يكذبونه ايضا ولذلك قالوا أنسجد لما تأمرنا اى الذى تأمرناه بتقدير تأمرنا بسجوده فحذف ماحذف منه على التدريج حذف الجار واوصل الفعل كما فى أمرتك الخير فقيل تأمرنا سجوده ثم حذف المفعول الذى هو المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فصار تأمرناه ثم حذف الضمير ايضا فصار لما تأمرنا على ان ماموصولة بمعنى الذى اومصدرية اى لأمرك على معنى لاجل امرك لنا من غير عرفان ﴿قوله وقيل لانه كان معرّبا لم يسمعوه﴾ عطف على قوله لانهم ما كانوا يطلقونه على الله اى وقيل قولهم وما الرحمن ليس سؤالا عن المسمى بل هو سؤال عن معنى هذا الاسم وشرح مفهومه لانه لم يكن مستعملا فى كلامهم كما استعمل الرحيم والرحوم والراحم ثم انه تعالى لما حكى عن الكفار انّ امرهم بالسجود للرحمن زادهم نفورا عن الايمان ذكر من عظم شأنه وباهر سلطانه مالو تفكروا فيه لاضطرّوا الى الايمان به وطاعته فقال تبارك وتعالى تبارك الذى جعل فى السماء بروجا وهى الاثنا عشر كل برج منزلان وثلث منزل للقمر وهى منازل الكواكب السبعة السيارة وهى ثمانية وعشرون منزلا واسماء البروج الحمل والثور والجوزآء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدى والدلو والحوت فالحمل والعقرب بيتان للمريخ والثور والميزان للزهرة والجوزآء والسنبلة لعطارد والسرطان بيت القمر والاسد بيت الشمس والقوس والحوت بيتا المشترى والدلو والجدى بيتا زحل وهذه البروج مقسومة الى الطبائع الاربع فيكون لكل واحدة منها ثلاثة بروج الحمل والاسد والقوس نارية والثور والسنبلة والجدى ارضية والجوزآء والميزان والدلو هوآئية والسرطان والعقرب والحوت مائية وقوله تعالى وجعل فيها اى فى البروج لافى السماء لان البروج اقرب فعود الضمير اليها اولى وان جاز عوده الى السماء ايضا شبهت الشمس والكواكب الكبار بالسرج والمصابيح كما فى قوله تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح فى الانارة والاشراق ﴿قوله ذا قمر﴾ جواب عما يقال القمر مؤنث فينبغى ان يؤنث صفته بان يقال منيرة وانما قلنا القمر مؤنث لانه عبارة عن جماعة الليالى ذوات القمر لانه جمع ليلة قمرآء اى ذوات القمر * وتقرير الجواب ان اصل الكلام وذوات قمر منير على ان يكون ذا قمر عبارة عن نفس القمر عبر عن القمر بانه ذوقمر اى ذوليال قمر لان الليلة انما تكون قمرآء بالقمر فصار القمر كأنه صاحب تلك الليلة فقيل له انه ذوقمر بمعنى صاحب تلك الليالى القمر ثم حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وهو مؤنث لكونه عبارة عن جماعة الليالى الا انه لما قام مقام المضاف وهو مذكر بقى حكم المضاف فيه فقيل فى صفته منيرا لامنيرة كما بقى فى قول حسان

❁ يسقون من ورد البريص عليهمو ❁ بردى يصفق بالرحيق السلسل ❁

يريد ماء بردى وهو نهر بدمشق فحذف المضاف واقيم بردى مقامه وبقى حكم المضاف فيه وهو مؤنث حيث ذكر ضمير يصفق والتصفيق الخلط والمزج ويحتمل ان يكون القمر بمعنى القمر ويؤيده توحيد الصفة بلا تكلف

الحذف ﴿قوله اى ذوى خلفة يخلف كل منهما الآخر﴾ يعنى ان الخلفة مصدر للنوع فلا يصلح ان يكون مفعولا ثانيا لجعل الليل او حالا من مفعوله فان خلفة لايخلو من ان يكون مفعولا ثانيا او حالا الاوّل على ان يكون جعل بمعنى صير والثانى على ان يكون بمعنى خلق فلا بدّ من تقدير المضاف على التقديرين اى ذوى خلفة ثم ان خلفة يستعمل بمعنيين بمعنى كان خليفته او بمعنى جاء بعده يقال خلفه فى قومه خلافة و منه قوله تعالى وقال موسى لاخيه هرون اخلفنى فى قومى و يقال ايضا خلفته اذاجئت بعده و الخلفة فى الآية يحتمل ان تكون من خلفه بكل واحد من المعنيين و هو قول المصنف يخلف كل منهما الآخر بأن يقوم مقامه او بان يعتقبا و يؤيد الاوّل قول ابن عباس انه جعل كل و احد منهما يخلف صاحبه فيما يحتاج ان يعمل فيه فن فرّط فى عمل احدهما بأن فات عليه العمل الذى اتخذه وردا قضاه فى الآخر و ماروى عن انس بن مالك انه قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم لعمر بن الخطاب وقد فاتته قرآءة القرءآن بالليل *ياابن الخطاب لقد انزل الله فيك آية وهو الذى جعل الليل و النهار خلفة لمن اراد ان يذكر اى مافاتك من النوافل بالليل فاقضه فى نهارك و مافاتك فى النهار فاقضه فى ليلك* و ان كان المعنى جعلهما ذوى اعتقاب يكون المقصود بيان انه تعالى جعلهما مختلفين يجئ هذا و يذهب ذاك ويجئ ذاك ويذهب هذا ولم يجعل واحدا منهما سرمدا نهارا لاليل له و لاليلا لانهار له ليعلم الناس عدد السنين والحساب وليكون للانتشار فى المعاش وقت معلوم وللاستقرار و الاستراحة وقت معلوم فيكون فى الآية تذكير لنعمته و تنبيه على كمال حكمته وقدرته ﴿قوله ان يشكر الله تعالى﴾ يعنى ان الشكور بضم الشين مصدر بمعنى الشكر وبالفتح مبالغة الشاكر فقولك شكر شكورا بمعنى شكر شكرا اى جعلناهما خلفة ليتفكر المتفكرون فى اختلافهما ويشكروا نعمة الله فى ذلك وقوله اوليكونا وقتين عطف على هذا المعنى اى جعلناهما خلفة ليكونا وقتى تدارك للتذكرين و الشاكرين قرأ العامّة ان يذكر بالتشديد اصله ان يتذكر فادغمت التاء فى الذال و قرأ حمزة بالتخفيف قال الفرآء فى وجهه ان يذكر و يتذكر يأتيان بمعنى واحد قال الله تعالى و اذكروا ما فيه ويجوز ان يكون المعنى ليذكر الله فيهما من اراد ان يذكره ويطيعه بالتسبيح و الطاعة ولعل وجه عطف قوله او اراد شكورا بكلمة او دون الواو للتنبيه على استقلال كل و احد منهما بكونه مطلوبا من الجعل المذكور ولو عطف بالواو لتوهم ان المطلوب مجموع الامرين و يحتمل ان يكون المراد بالمعطوف عليه الكافر الذى يريد ان يتفكر فى اختلافهما ويجعلهما موضع الاعتبار على وحدانيته وقدرته فيستدل به على التوحيد و اخلاص العبادة و بالمعطوف المؤمن الذى يريد ان يتعظ ويشكر نعم الله فكأنه قيل جعلناهما خلفة ليتفكر الكافر فى اختلافهما ويجعله معتبرا على قدرته و توحيده او يتعظ المؤمن به و يجعله متسعا لذكره وطاعته ﴿قوله وكذلك ليذكروا﴾ فى قوله تعالى ولقد صرّفناه بينهم ليذكروا فان العامّة قرأت بالتشديد و حمزة بالتخفيف و الكسائى ايضا ﴿قوله واضافتهم الى الرحمن للتخصيص﴾ اى لان تفيدلهم خصوصية وشرفا وتفضلهم على العباد الذين لم يتصفوا بتلك الصفات والا فالخلق كلهم عباد الله ﴿قوله هينين او مشياهينا﴾ الاوّل على ان يكون انتصاب هونا على الحالية من فاعل يمشون والثانى على ان يكون صفة مصدر محذوف ﴿قوله تسلما منكم﴾ يعنى ان سلاما منصوب على انه مصدر فعل محذوف والاصل نتسلم منكم تسلما فاقيم السلام مقام التسليم فالمعنى اذا خاطبهم السفهاء الخفاف العقول بأذى وكلام قبيح قالوا نتسلم منكم تسلما اى لانجاهلكم ولاتتلبس بشئ من اموركم وهو الجهل ومايبتنى على خفة العقل والمتاركة المواعدة ﴿قوله او سدادا﴾ اى صوابا من القول فعلى هذا الوجه يكون سلاما اشارة الى ماقالوه من حيث المعنى ولايكون سلاما عين عبارتهم ﴿قوله لأن المراد هو الاغضاء عن السفهاء﴾ وهو امر مستحسن فى الادب والمروءة والشريعة واسلم للعرض و اوفق للورع فليس بمنسوخ ابدا قال عليه السلام اذاجمع الخلائق يوم القيامة نادى مناد اين اهل الفضل فيقوم ناس وهم يسير فينطلقون سراعا الى الجنة فتتلقاهم الملائكة فيقولون انا نراكم سراعا الى الجنة فيقولون نحن اهل الفضل فيقولون ما كان من فضلكم فيقولون كنا اذا ظلمنا صبرنا واذا اسيئ الينا غفرنا واذا جهل علينا حلمنا فيقال لهم ادخلوا الجنة نعم اجر العاملين ﴿قوله فى الصلاة﴾ فان كل من ادركه الليل فقد بات نام اولم ينم يقال بات فلان قلقا عن ابن عباس قال من صلى ركعتين او اكثر بعد العشاء فقد بات لله ساجدا وقائما و الظاهر انه وصف لهم باحياء الليل او اكثره كما قال الله تعالى فى حق المتقين كانوا قليلا من الليل مايهجعون وروى عثمان بن عفان رضى الله عنه عن النبى عليه الصلاة و السلام انه قال

(وهو الذى جعل الليل و النهار خلفة) اى ذوى خلفة يخلف كل منهما الآخر بان يقوم مقامه فيما ينبغى ان يعمل فيه او بان يعتقبا كقوله واختلاف الليل والنهار وهى للحالة من خلف كالركبة والجلسة (لمن اراد ان يذكر) ان يتذكر آلاء الله يتفكر فى صنعه فيعلم انه لابدّ له من صانع حكيم واجب الذات رحيم على العباد (او اراد شكورا) ان يشكر الله على مافيه من النعم اوليكونا وقتين للمتذكرين والشاكرين من فاته ورده فى احدهما تداركه فى الآخر وقرأ حمزة ان يذكر من ذكر بمعنى تذكر وكذلك ليذكروا ووافقه الكسائى فيه (وعباد الرحمن) مبتدأ خبره اولئك يجزون الغرفة او (الذين يمشون على الارض) واضافتهم الى الرحمن للتخصيص والتفضيل اولانهم الراسخون فى عبادته على ان عباد جمع عابد كتاجر وتجار (هونا) هينين اومشياهينا مصدر وصف به والمعنى انهم يمشون بسكينة وتواضع (واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما) تسلما منكم ومتاركة لكم لاخير بيننا ولا شرّا وسدادا من القول يسلمون فيه من الايذآء والاثم ولاينافيه آية القتال لنسخه لان المراد هو الاغضاء عن السفهاء وترك مقابلتهم فى الكلام (والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما) فى الصلاة وتخصيص البيتوتة لان العبادة بالليل احمز وأبعد من الرياء وتأخير القيام للروى وهو جمع قائم او مصدر أجرى مجراه (والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما) لازما ومنه الغريم لملازمته وهو ايذان بانهم مع حسن مخالقتهم مع الخلق واجتهادهم فى عبادة الحق وجلون من العذاب مبتهلون الى الله فى صرفه عنهم لعدم اعتدادهم باعمالهم وعدم وثوقهم على استمرار احوالهم

(انها ساءت مستقرًا ومقاما) اى بئست مستقرًا وفيها ضمير مبهم يفسره المميز والمخصوص بالذم ضمير محذوف به ترتبط الجملة باسم ان اوأحزنت وفيها ضمير اسم ان ومستقرًا حال او تمييز والجملة تعليل للعلة الاولى او تعليل ثان وكلاهما يحتملان الحكاية والابتدآء من الله (والذين اذا انفقوا لم يسرفوا) لم يجاوزوا حدّ الكرم (ولم يقتروا) ولم يضيقوا تضيق الشحيح وقيل الاسراف هو الانفاق فى المحارم والتقتير منع الواجب قرأ الكوفيون بفتح الياء وضم التاء وقرأ ابن كثير وابو عمرو ولم يقتروا بفتح الياء وكسر التاء وقرأ نافع وابن عامر ولم يقتروا بضم الياء وكسر التاء من اقتر وقرئ بالتشديد والكل واحد (وكان بين ذلك قواما) وسطا وعدلا سمى به لاستقامة الطرفين كما سمى سوآء لاستوآئهما وقرئ بالكسر وهو ما يقام به الحاجة لا يفضل عنها ولا ينقص وهو خبر ثان لكان او حال مؤكدة ويجوز ان يكون الخبر وبين ذلك لغوا وقيل انه اسم كان لكنه مبنىّ لاضافته الى غير متمكن وهو ضعيف لانه بمعنى القوام فيكون كالاخبار بالشئ عن نفسه (والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التى حرّم الله) اى حرّمها بمعنى حرّم قتلها (الا بالحق) متعلق بالقتل المحذوف او بلا يقتلون (ولا يزنون) نفى عنهم امّهات المعاصى بعدما اثبت لهم اصول الطاعات اظهارا لكمال ايمانهم واشعارا بان الاجر المذكور موعود للجامع بين ذلك وتعريضا للكفرة باضداده ولذلك عقبه بالوعيد تهديدا لهم فقال (ومن يفعل ذلك يلق اثاما) جزآء اثم او اثما باضمار الجزآء وقرئ اياما اى شدآئد يقال يوم ذو ايام اى صعب (يضاعف له العذاب يوم القيامة) بدل من يلق لانه فى معناه كقوله

متى تأتنا تلمم بنا فى ديارنا * تجد حطبا جزلا ونارا تأججا

وقرأ ابو بكر بالرفع على الاستئناف او الحال وكذلك (ويخلد فيه مهانا) وابن كثير ويعقوب يضعف بالجزم وابن عامر بالرفع وابو عمرو ويخلد على البناء للمفعول مخففا وقرئ مثقلا ويضعف له العذاب

من صلى العشاء فى جماعة كان كقيام نصف ليلة ومن صلى الفجر فى جماعة كان كقيام ليلة ﴿قوله اى بئست مستقرًا اوأحزنت﴾ يعنى ان ساءت يجوز ان تكون من افعال الذم بمعنى بئست وقد تقرّر ان فاعلها يجب ان يكون معرّفا باللام او مضافا الى المعرّف بها او مضمرا مميزا بنكرة منصوبة وهى فى الآية مستقرًا ومقاما اى موضع قرار واقامة فالضمير الذى فى بئست لا يعود الى اسم ان ولا الى شئ آخر بعينه بل ضمير مبهم يفسره الظاهر وهو مستقرًا ومقاما والمخصوص محذوف والتقدير ساءت مستقرًا ومقاما هى وان كان ساءت بمعنى أحزنت تكون من الافعال المتصرّفة الناصبة للمفعول وهو ههنا محذوف والتقدير انها يعنى جهنم أحزنتم اصحابها ومستقرًا يجوز ان يكون تمييزا وان يكون حالا ﴿قوله وقرأ ابن كثير وابو عمرو ولم يقتروا بفتح الياء وكسر التاء﴾ وقرأ نافع وابن عامر بضم الياء وكسر التاء من اقتر وقرأ باقى السبعة وهم الكوفيون بفتح الياء وضم التاء وقرئ بالتشديد والكل واحد يعنى ان القتر والاقتار والتقتير لغات بمعنى واحد وهو التضيق الذى هو ضدّ الاسراف والاسراف هو مجاوزة الحدّ فى النفقة فليعتمد على هذا التصحيح فان النسخ مختلفة فى هذا المقام ﴿قوله وسطا وعدلا﴾ يعنى ان القوام عبارة عما هو الوسط والعدل بين الشيئين سمى بذلك لاستقامة الطرفين واعتدالهما بحيث لا يترجح احدهما على الآخر بالنسبة اليه لكونه وسطا بينهما كمركز الدآئرة فانه يكون نسبة جميع اجزآء الدآئرة اليه على السوآء ونظير كون القوام من الاستقامة السوآء من الاستوآء ﴿قوله وهو خبر ثان لكان﴾ واسمه الضمير المستتر فيه العائد الى الانفاق المدلول عليه بقوله انفقوا او بين ذلك خبره وقواما خبر بعد خبر او بين ذلك خبره وقواما حال مؤكدة او قواما هو الخبر وبين ذلك ظرف لغو لكان على رأى من يرى اعمالها فى الظرف قال الفرآء وان شئت جعلت بين ذلك اسم كان كما تقول كان دون هذا كافيا بمعنى كان اقل من هذا كافيا فيكون معنى الآية وكان الوسط من طرفى الاسراف والتقتير قواما عدلا وضعف هذا التأويل ظاهر لانه فى قوة ان يقال وكان الوسط وسطا لان القوام هو الوسط ثم انه تعالى ذكر من جملة صفات عباد الرحمن الاحتراز عن الشرك والقتل بغير حق والزنى ثم بين ان من ارتكب هذه الاشياء يلحقه جزآء اثمه ويعاقب عليه ثم استثنى منه التائب ﴿قوله بمعنى حرّم قتلها﴾ لان الحرمة والحل من صفات الافعال ولا يوصف بهما الاعيان ﴿قوله متعلق بالقتل المحذوف﴾ اى حرّم الله قتلها بجميع الاسباب الا بسبب الحق او بلا يقتلون اى لا يقتلون بسبب من الاسباب الا بالحق اى بالسبب الذى يحل به قتل الامرئ المسلم وهو الردّة بعد الايمان او الزنى بعد الاحصان وقتل النفس المعصومة من غير ان يطرأ عليها ما يوجب قتلها فان الاصل فى النفوس البشرية العصمة وحرمة القتل وحقن الدماء وجواز القتل انما يثبت بعارض فمن يحل قتله بسبب العارض يدخل فى النفس التى حرّم الله قتلها نظرا الى حدّ نفسها ﴿قوله نفى عنهم امهات المعاصى بعدما اثبت لهم اصول الطاعات الخ﴾ كأنه جواب عما يقال ما الفائدة فى نفى هذه القبائح فان الموصوف بالخصال المرضية السابقة يبعد منهم ارتكاب هذه القبائح فلا وجه لنفيها عنهم لانه انما يحسن نفى صفة عن احد اذا كانت الصفة المنفية مما يتوهم ثبوتها له * وتقرير الجواب ان الاتصاف بالخصال السابقة لا يستلزم الاجتناب عن هذه القبائح فان الموصوف بتلك الصفات قد يتدين بالشرك ويقتل النفس بغير حق ويتلبس بالزنى فبين الله تعالى ان المرء لا يصير بتلك الخصال وحدها من عباد الرحمن حتى يجتنب الكبائر ايضا الا انه خص من الكبائر امهاتها واشعر بذلك ان الاجر المذكور بقوله اولئك يجزون الغرفة بما صبروا الآية موعود للجامعين بين التحلى بالفضائل والتخلى عن الرذآئل وفى هذا النفى ايضا تعريض بما كان عليه الكفار كأنه قيل وعباد الرحمن هم الذين لا يدعون مع الله الها آخر وانتم تدعون ولا يقتلون نفسا بغير حق وانتم تقتلون ولا يزنون وانتم تزنون ويحسن النفى تعريضا وان لم يكن المنفى عنه مظنة لثبوت المنفى له روى عن ابن عباس انه قال ان ناسا من اهل الشرك قتلوا وزنوا فاكثروا ثم اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ان الذى تدعونا اليه لحسن لو تخبرنا بان لما عملنا كفارة فنزلت ﴿قوله جزآء اثم او اثما﴾ يعنى ان الاثام عبارة عن عقوبة الاثم وجزآئه وقد يطلق على نفس الاثم فان كان المراد به فى الآية نفس الاثم فلابدّ من تقدير المضاف لان الآثم لا يلقى نفس اثمه بل يلقى جزآءه قال ابن مسلم الأثام والاثم واحد والمراد ههنا جزآء الاثم فاطلق اسم الشئ على جزآئه وقيل الأثام اسم من اسماء جهنم وقيل اسم واد فى جهنم وقيل بئر فيها ﴿قوله تعالى يضاعف﴾ مجزوم فى قرآءة العامة على انه بدل من الجزآء كما ان قوله تلمم بنا بدل من الشرط فى البيت ابدل تلمم من قوله تأتنا لان الالمام وان كان بمعنى النزول الا انه فى معنى الاتيان

والجزل ماعظم من الحطب اليابس والأجيج تلهب النار يقـال اجت النار تؤج اجيجا اذا تلهبت قبل الالف في قوله تأججا بدل من نون التأكيد الخفيفة اصله تأججن ودخلت نون التأكيد في تأججن مع خلوه عن معنى الطلب للضرورة قال سيبويه يجوز في الضرورة انت تفعلن وقيل تأججا فعل ماض والالف فيه للاشباع وذكر ضمير النار فيه لتأولها بالشهاب وقيل هو ماض والالف فيه للتثنية وذكر الفعل لتغليب الحطب على النار ﴿قوله ويدل عليه﴾ اي على انضمامها الى الكفر وجه الدلالة ان استثناء التائب من الكفر والمعصية جميعا يدل على اجتماعهما في المستثنى منه فان الكافر مخاطب بالفروع على معنى انه اذا ارتكب المعاصي مع الشرك عذب على الشرك وعلى المعاصي جميعا فتضاعف عقوبته لمضاعفة المعاقب عليه وهو الكبائر مع الشرك ﴿قوله الامن تاب﴾ المشهور بين المفسرين انه استثناء متصل لانه من الجنس وقيل لا يظهر مع الاتصـال لان المستثنى منه محكوم عليه بانه يضاعف له العذاب ولا يلزم من انتفاء التضعيف انتفاء العذاب غير المضعف فيصير التقدير الامن تاب وآمن وعمل عملا صالحا فانه لا يضاعف له العذاب فالاولى ان يكون استثناء منقطعا والمعنى لكن من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدّل الله سيئاتهم حسـنات واذا كان كذلك فلا يلق عذابا البتة انتهى ماقيل واجيب عنه بان الظاهر ماقاله جمهور المفسرين وماقاله القائل المذكور غير لازم اذ المقصود الاخبار بان من فعل كذا فانه يحل به ماذكر الا ان يتوب واما اصابة اصل العذاب وعدمها فلا تعرض له في الآية وقوله فاولئك يبدّل الله سيئاتهم حسـنات يحتمل وجهين احدهما انه تعالى يبدّل سيئاتهم حسنات في الآخرة لما كان منهم من الحسرة والندامة على كل سيئة كانت منهم في الدنيا كما روى عن ابي هريرة انه قال ليأتين اقوام يوم القيامة ودّوا لو انهم استكثروا من السيئات فقيل له يا اباهريرة من هم قال هم الذين يبدّل الله سيئاتهم حسـنات واليه اشار المصنف بقوله بان يمحو سـوابق معاصيهم بالتوبة ويثبت مكانها لواحق طاعاتهم كأنهم لم يعملوا في الدنيا سوى الطاعة والوجه الثاني ان يكون التبديل في الدنيا بان يبدل الله قبائح اعمالهم الواقعة في الشرك بمحاسن الاعمال في الاسـلام فيبدّل الله لهم بالشرك ايمانا وبقتل المسلمين قتل المشركين وبالزنى عفة واحصانا فكانه تعالى يبشرهم بان يوفقهم لهذه الاعمال الصالحة فيستوجبون بها الثواب عن ابن عباس رضي الله عنهـما قال كان مشركوا مكة قالوا قبل نزول قوله الامن تاب وآمن وعمل عملا صالحا ومايغني عنا الاسلام وقد عدلنا بالله وقتلنا النفس التي حرّم الله وأتينا الفواحش فنزلت هذه الآية بمكة وعنه قال قرأنا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم آيتين والذين لا يدعون مع الله الها آخر الى قوله ويخلد فيه مهانا ثم نزلت الآية الامن تاب فما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فرح بشيء فرحه بها وبانا فتحنا لك فتحا مبينا ولما توهم اتحاد الشرط والجزآء في قوله ومن تاب وعمل صالحـا فانه يتوب الى الله متابا لانه في قوة ان يقال من تاب وصلى فانه يصلي صلاة وليس في مثله فائدة ظاهرة اشار المصنف الى توجيه الكلام بوجوه حاصلها ان الجزآء فيه معنى زآئد على ما في الشرط وذلك المعنى مسـتفاد اما من قوله متابا وتنكيره بعد تقييد ناصبه بكونه رجوعا الى الله عزوجل فان الشرط هو التوبة بمعنى الرجوع عن المعـاصي بتركهـا والندم عليها الى الطـاعة بان يتدارك بها مافرط او بمعنى مجرّد ترك المعاصي والدخول في الطاعة والجزآء هو الرجوع الى الله تقدس وتعالى علوّا كبيرا رجوعا مرضيـا عند الله مترتبا عليه محو الخطيئات وعقوباتها ورفع الدرجات وانواع الكرامات او مستفاد من لفظ الجلالة في قوله فانه يتوب الى الله متابا فالله تعالى لمـا كان موصوفا ومعروفا بانه يعرف التائبين ويحبهم ويفعل بهم مايستوجبون كان قوله تعالى يتوب الى الله في قوة ان يقال يتوب الى من يعرف حق التائبين ويحسن اليهم ويتفضل عليهم فكأنه قيل من تاب من المعـاصي وعاد الى الطاعة في الدنيـا فان تلك التوبة منه في الحقيقة توبة الى الله تعالى او مستفاد من لفظ المضارع بان يراد بقوله يتوب الرجوع الى ثوابه في الآخرة بخلاف الوجهين الاوّلين اذ ليس المراد به فيهما الرجوع في الآخرة بل المعنى فيهمـا ان ما اتى به من التوبة في الدنيا فهو التوبة الى الله تعالى ﴿قوله وهذا تعميم بعد تخصيص﴾ يعني ان متعلق التوبة في قوله الامن تاب هو امهات المعاصي وههنا مطلق المعاصي ﴿قوله لا يقيمون الشهادة الباطلة﴾ على أن يشهدون من الشهادة وان انتصاب الزور على المصدر والاصل لا يشهدون شهادة الزور باضافة العام الى الخاص فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ﴿قوله او لا يحضرون﴾ على ان يكون يشهدون من الشهود وهو الحضور ويكون انتصاب الزور على انه مفعول به والاصل لا يشهدون مجالس الزور فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه والشهادة الاخبار بصحة الشيء عن

ومضاعفة العذاب لانضمام المعصية الى الكفر ويدل عليه قوله (الامن تاب وآمن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدّل الله سيئاتهم حسنات) بان يمحو سـوابق معاصيهم بالتوبة ويثبت مكانها لواحق طاعاتهم اويبدّل ملكة المعصية في النفس بملكة الطاعة وقيل بأن يوفقه لاضداد ماسلف منه اوبأن يثبت له بدل كل عقاب ثوابا (وكان الله غفورا رحيما) فلذلك يعفو عن السيئات ويثيب على الحسنات (ومن تاب) عن المعاصي بتركها والندم عليها (وعمل صالحا) يتلافى به مافرط اوخرج عن المعاصي ودخل في الطاعة (فانه يتوب الى الله) يرجع الى الله بذلك (متابا) مرضيا عند الله ماحيا للعقاب محصلا للثواب اويتوب متابا الى الله الذي يحب التائبين ويصطنع بهم اوفانه يرجع الى الله والى ثوابه مرجعا حسنا وهذا تعميم بعد تخصيص (والذين لايشـهدون الزور) لايقيمون الشـهادة البـاطلة اولايحضرون محاضر الكذب

فان مشاهدة الباطل شركة فيه (واذا مرّوا باللغو) مايجب ان يلغى ويطرح (مرّوا كراما) معرضين عنه مكرمين انفسهم عن الوقوف عليه والخوض فيه ومن ذلك الاغضاء عن الفواحش والصفح عن الذنوب والكناية عما يستهجن التصريح به (والذين اذا ذكروا بآيات ربهم) بالوعظ والقرآءة (لم يخرّوا عليها صما وعميانا) لم يقيموا عليها غير واعين لها ولا متبصرين بما فيها كمن لايسمع ولا يبصر بل اكبوا عليها سامعين بآذان واعية مبصرين بعيون راعية فالمراد من النفي نفي الحال دون الفعل كقولك لايلقاني زيد مسلما وقيل الهاء للمعاصي المدلول عليها باللغو (والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرّياتنا قرّة اعين) بتوفيقهم للطاعة وحيازة الفضائل فان المؤمن اذا شاركه اهله في طاعة الله سرّبهم قلبه وقرّبهم عينه لما رأى من مساعدتهم له في الدين وتوقع لحوقهم به في الجنة ومن ابتدآئية او بيانية كقوله رأيت منك اسدا وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائي وابو بكر وذرّيتنا وتنكير الاعين لارادة تنكير القرّة تعظيما وتقليلها لان المراد اعين المتقين وهي قليلة بالاضافة الى عيون غيرهم (واجعلنا للمتقين اماما) يقتدون بنا في امر الدين بافاضة العلم والتوفيق للعمل وتوحيده لدلالته على الجنس وعدم اللبس كقوله ثم نخرجكم طفلا او لانه مصدر في اصله او لان المراد واجعل كل واحد منا او لانهم كنفس واحدة لاتحاد طريقتهم واتفاق كلمتهم وقيل جمع آمّ كصائم وصيام ومعناه قاصدين لهم مقتدين بهم (اولئك يجزون الغرفة) اعلى مواضع الجنة وهي اسم جنس اريد به الجمع لقوله وهم في الغرفات آمنون والقرآءة بها وقيل هي من اسماء الجنة (بما صبروا) بصبرهم على المشاق من مضض الطاعات ورفض الشهوات وتحمل المجاهدات (ويلقون فيها تحية وسلاما) دعاء بالتعمير والسلامة اي يحييهم الملائكة ويسلمون عليهم او يحيي بعضهم بعضا ويسلم عليه او تبقية دآئمة وسلامة من كل آفة وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر يلقون من لقي (خالدين فيها) لايموتون ولا يخرجون (حسنت مستقرّا ومقاما) مقابل ساءت مستقرّ معنى ومثله اعرابا

﴿قوله فان مشاهدة الباطل شركة فيه﴾ مشاهدة عيان والزور الكذب واصله تمويه الباطل بما يوهم انه حق اي من حيث ان الحضور والنظر دليل الرضى به بل هو سبب لوجوده والزيادة فيه لان الذي حمل اهله عليه استحسان النظارة ورغبتهم في النظر اليه ﴿قوله معرضين﴾ يعني ان كراما جمع كريم منصوب على الحالية والمعنى مرّوا مرّ الكرماء الذين لا يرضون باللغو ويتنزهون عن الدخول فيه والاختلاط باهله يقال تكرّم فلان عما يشينه اذا تنزه واكرم نفسه عنه قال تعالى في حقهم واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه ومن وجوه الاعراض عنه ان يذكر مايستهجن التصريح به بما يكنى به عنه ﴿قوله بالوعظ والقرآءة﴾ متعلق بقوله تعالى ذكروا اي اذا وعظوا بالقرءآن او اذا تلي عليهم القرءآن لم يقيموا عليها صما لم يسمعوها وعميا لم يبصروها ولكنهم سمعوا وابصروا وانتفعوا واداة النفي وان دخلت على فعل الخرور الا ان المقصود ليس نفي الخرور بل اثبات الخرور ونفي ماجعل قيداله وهو الصمم والعمى على ماتقرّر من ان نفي المقيد يرجع الى نفي قيده والمعنى انهم اذا ذكروا بها أكبوا عليها واقبلوا على المذكر بها حرصا على استماعها وسمعوها بآذان واعية وابصروها بعيون راعية ﴿قوله بتوفيقهم للطاعة﴾ يعني ان المراد بالقرّة المسئولة بها تفضيلهم بالفضائل الدينية لا بالمال والجمال ونحوهما فان المتقين هم الذين تقرّ أعينهم بصلاح ازواجهم واولادهم كما قيل ليس شيء اقرّ لعين المؤمن من ان يرى زوجته واولاده مطيعين لله واما غير المتقين فانهم يحبون الدنيا وزينتها ولا تقرّ أعينهم الا بما يحبونه وقرّة اعين منصوب على انه مفعول هب وهو مصدر قولك قرّت عينه قرّا وقرورا وصف بها الاعيان الموهوبة على ان تكون كلمة من في قوله من ازواجنا وذرّياتنا تجريدية والمعنى اجعلهم لنا قرّة عين وهو من قبيل رأيت منك اسدا اي انت اسد ويجوز ان تكون ابتدآئية على معنى هب لنا من جهتهم ماتقرّ به عيوننا من طاعة وصلاح يقال قرّت به عيني وقررت به عينا اقرّ قرّا وقرورا فهما اما من القرور اي رضيت به حتى تقرّ عيني فلم تطمح الى مافوقه او من قولهم قرّ يومنا من القرّ بالضم وهو البرد وقرور العين على هذا يكون كناية عن الفرح والسرور فان السرور دمعة باردة وللحزن دمعة حارة بين الله اوّلا معاملتهم مع الخلق بانهم يمشون على الارض هونا ولا يؤذون احدا واذا آذاهم اهل الجهل والسفه لايعارضونهم بالاذى ولكن يتحملون ذلك ويتجاوزون عنه ويقولون قولا سدادا ثم بين معاملاتهم مع الحق ودعاءهم بالليل بقوله والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما ثم اخبر عن صنعهم في اموالهم بانهم ينفقون قواما ثم بين انه مع تحليهم بهذه الفضائل التي هي اصول الطاعات يجتنبون عن امهات المعاصي ثم بين معاملتهم مع اهليهم ودعاءهم في حقهم وفي حق انفسهم فان قولهم واجعلنا يعنون به انفسهم وذرّياتهم ومن قرأ ذرّيتنا على التوحيد نظر الى ان اسم الذرية يطلق على الواحد والجمع ومن قرأه على لفظ الجمع قصد زيادة الكثرة كما يجمع لفظ القوم والرهط لذلك فيقال اقوام وارهاط ﴿قوله وتنكير الاعين﴾ اي مع ان المراد بها اعين القائلين وهي معينة فلأيّ شيء نكرت * والجواب عنه انه لما قصد تنكير القرّة للتعظيم نكر المضاف اليه فانه لاسبيل لك الى تنكير المضاف الا بتنكير المضاف اليه فنكر المضاف لذلك فكأنه قيل هب لنا سرورا لايكتنه كنهه ﴿قوله وتقليلها﴾ يعني ان القائلين جم غفير فلم قالوا اعينهم حيث عبروا عن عيونهم بجمع القلة * اجاب عنه بان عيون المتقين قليلة بالاضافة الى الغير وفيه ان التعبير بجمع القلة لايكفي فيه بان يكون المعبر عنه قليلا بالاضافة الى الغير بل يجب ان يكون عشرة فادونها والقلة الاضافية لاتستلزم ذلك ﴿قوله وتوحيده﴾ اي مع انه مفعول ثان لقوله واجعلنا فينبغي ان يطابق المفعول الاوّل في الافراد والجمع بان يقال واجعلنا ائمة ﴿قوله بصبرهم﴾ على ان ما مصدرية ولم يقيد الصبر بالمتعلق بل اطلق ليتسع في كل مصبور عليه والمضض وجع المصيبة ﴿قوله دعاء بالتعمير والسلامة﴾ يعني ان التحية هي الدعاء بالتعمير والسلام هو الدعاء بالسلامة ولم يذكر الملقي اياهما وهم في الغرفات ويمكن ان ذلك هو الله لقوله سلام قولا من رب رحيم وان يكون الملائكة لقوله والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم وان يكون بعضهم يحيي بعضا ويسلم عليه ﴿قوله او تبقية دآئمة﴾ عطف على قوله دعاء بالتعمير اي ويجوز ان يكون المعنى ويلقون في تلك الغرفة نفس التبقية الدآئمة ونفس السلامة من كل آفة اي يعطيهم الله تعالى البقاء والخلود بأن يبقيهم في الجنة خالدين سالمين وعلى هذا المعنى يكون التركيب مستعملا في اصل معناه لان معنى التحية الاحياء والتبقية يقال حياه تحية اي احياه احياء كما يقال بقاه تبقية بمعنى ابقاه ابقاء وعلى المعنى الاوّل يكون مجازا لانه ينزل الدعاء

بالتحية منزلة التحية فان من دعا بان يبقيه ويخلده كان كمن ابقاه وخلده بناء على ان تعالى وعد باجابة الدعاء حيث قال ادعونى استجب لكم وقوله تعالى خالدين حال من يجزون او يلقون اى مقيمين فيها من غير موت ولا انتقال ثم انه تعالى لما وصف عباده العابدين وعدد خصالهم الحميدة وشرح ثوابهم ووعدهم ماوعدهم لاجل عبادتهم امر رسوله بان يقول للناس صريحا ان مبالاة الله واعتناءه بشأنكم حيث خلق السموات والارض ومابينهما ارادة لانتظام احوالكم وقضاء لحوائجكم ومهماتكم انما هو لتعرفوا حق المنعم وتطيعوه فيما كلفكم به من التكليفات وتظفروا بالسعادة الابدية والا فهو تعالى غنىّ عنكم وباىّ وجه يحتاج اليكم وهو غنىّ عن العالمين يقال عبأ المتاع يعبأ عبأ فهو عابئ اذا احتاج اليه فهيأه لذلك ﴿قوله لولا دعاؤكم﴾ ذكر فيه وجهين احدهما لولا دعاؤه اياكم الى الدين والطاعة فالمصدر على هذا مضاف الى المفعول وثانيهما كون المصدر مضافا الى فاعله وكونه بمعنى العبادة والتذلل بالوجوه المبينة فى الشرع واختار المصنف ان يكون الخطاب فى قوله تعالى قل مايعبأ بكم وفى قوله لولا دعاؤكم فقد كذبتم متوجها الى جنس الناس من غير تقييد بنوع من انواع هذا الجنس ثم وجه صحة اسناد العبادة والتكذيب الى الجنس المذكور بانه لما وجد فى صنف من اصناف العبادة وفى صنف آخر من اصناف التكذيب صح اسنادهما اليه وكان تقدير قرآءة فقد كذب الكافرون اى منكم الا انّ دخول الصالحين الابرار فى خطاب فقد كذبتم فسوف يكون لزاما بناء على ان يقال فى تأويله فقد كذب صنف منكم لايخلو عن بعد والظاهر ان يكون الخطاب متوجها الى كفار قريش لان هذه السورة الكريمة نازلة لتقريع كفار قريش على عنادهم وتكذيبهم آيات الله تعالى وتسميتهم القرءآن باساطير الاوّلين وطعنهم فى رسول الله بقولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام واما ذكر المؤمنين فتعريض بهم وجواب قوله تعالى لو دعاؤكم محذوف لدلالة المقام عليه اى لولا دعاؤكم لما خلقكم ولما اعتنى بشأنكم وقوله تعالى فقد كذبتم موضوع موضع ان يقال فقد تركتم عبادتى وخالفتم حكمى على طريق التعبير بالملزوم عن اللازم لان التكذيب مستلزم لترك العبادة والظاهر من تقرير صاحب الكشاف انه جعل قوله فقد كذبتم معطوفا على شرط محذوف ﴿قوله فسوف﴾ جزآء لذلك الشرط المحذوف كأنه قيل اذا اعلمتكم انى لا اعبأ بعبادى الا لعبادتهم فقد خالفتم بتكذيبكم حكمى فسوف يلزمكم اثم تكذيبكم حتى يكبكم فى النار فانى لا اعتدّ بمن لا يشتغل بالعبادة وبعد هذا الاعلام تركتم العبادة فسوف يلحقكم العذاب ﴿قوله تعالى لزاما﴾ خبر يكون واسمه مضمر والمعنى يكون جزاء التكذيب لازما على ان يكون اللزام مصدرا كالقيام اقيم مقام الفاعل كما يقوم العدل مقام العادل ويحتمل ان يكون الاسم المضمر اثر التكذيب ﴿قوله حتى يكبكم﴾ بفتح الياء من كبه لا بضمها من اكب لانه لازم يقال كبه لوجهه اى صرعه فأكب على وجهه وهو من النوادر وقرئ لزاما بفتح اللام بمعنى اللزوم كالثبات بمعنى الثبوت والاوّل بمعنى الملازمة وكلاهما من قبيل الوصف بالمصدر بمعنى ملازما او لازما * تمت سورة الفرقان والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿سورة الشعرآء مائتان وست اوسبع وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين﴾

﴿قوله بالامالة﴾ اى بامالة فتحة طا والفها لان فواتح السور ليست بحروف بل هى اسماء لما يتهجى به فجازت الامالة فيها وقرأ الباقون بتفخيم ألفها على الاصل واظهر حمزة نون سين اى لم يدغمها فى الميم لان حروف الهجاء فى تقدير الانفصال والانقطاع عما بعدها فوجب اظهارها الا انها انما تخفى متصلة بحرف من حروف الفم واذا لم تتصل بها لم يوجد شئ يوجب اخفاءها ظاهرا والباقون يدغمون النون فى الميم نظرا الى اتصالها بحرف الشفة ﴿قوله والاشارة الى السورة او القرءآن﴾ يعنى ان طسم اسم لهذه السورة او القرءآن وتلك اشارة الى المسمى بهذا الاسم واختص فى الاشارة لفظ البعيد مع انه لم يتخلل شئ بين اسم الاشارة والمشار اليه وهو طسم لبعد المشار اليه باعتبار ان الاسم الدال عليه قد تكلم به وانقضى او باعتبار انه قد وصل من المرسل الى المرسل اليه فقوله طسم مبتدأ وتلك مبتدأ ثان وآيات الكتاب المبين خبر المبتدأ الثانى وهذه الجملة خبر المبتدأ الاوّل وهو طسم بتقدير المضاف ليصح الاخبار عنه بان تلك آيات الكتاب المبين والتقدير آيات طسم بمعنى آيات هذه السورة او آيات جملة القرءآن العظيم تلك آيات الكتاب المبين وهو من ابان بمعنى بان وظهر ولهذا فسره بقوله الظاهر اعجازه ومحصول قوله آيات

(قل مايعبأ بكم ربى) مايصنع بكم من عبأت الجيش اذا هيأته اولا يعتدّ بكم (لولا دعاؤكم) لولا عبادتكم فان شرف الانسان وكرامته بالمعرفة والطاعة والا فهو وسائر الحيوانات سوآء وقيل معناه مايصنع بعذابكم لولا دعاؤكم معه آلهة وما ان جعلت استفهامية فمحلها النصب على المصدرية كأنه قيل اى عبئ يعبأ بكم (فقد كذبتم) بما اخبرتكم به حيث خالفتموه وقيل فقد قصرتم فى العبادة من قولهم كذب القتال اذا لم يبالغ فيه وقرئ فقد كذب الكافرون اى الكافرون منكم لان توجه الخطاب الى الناس عامة بما وجد فى جنسهم من العبادة والتكذيب (فسوف يكون لزاما) يكون جزآء التكذيب لازما يحيق بكم لا محالة او اثره لازما بكم حتى يكبكم فى النار وانما اضمر من غير ذكر للتهويل والتنبيه على انه مما لا يكتنهه الوصف وقيل المراد قتل يوم بدر وانه لوزم بين القتلى لزاما وقرئ لزاما بمعنى اللزوم كالثبات والثبوت * عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الفرقان لقى الله وهو مؤمن بان الساعة آتية لاريب فيها وادخل الجنة بغير نصب

﴿سورة الشعرآء مكية الا قوله والشعرآء يتبعهم الغاوون الى آخرها وآيها مائتان وست اوسبع وعشرون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(طسم) قرأ حمزة والكسائى وابو بكر بالامالة ونافع بين بين كراهة العود الى الياء المهروب منها واظهر نونه حمزة لانه فى الاصل منفصل عما بعده (تلك آيات الكتاب المبين) الظاهر اعجازه وصحته والاشارة الى السورة او القرءآن على مامرّ فى اوّل البقرة

(لعلك باخع نفسك) قاتل نفسك واصل البخع ان يبلغ بالذبح البخاع وهو عرق مستبطن الفقار وذلك اقصى حد الذبح وقرئ باخع نفسك بالاضافة ولعل للاشفاق اى أشفق على نفسك ان تقتلها (أن لايكونوا مؤمنين) لئلا يؤمنوا او خيفة ان لايؤمنوا (ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية) دلالة ملجئة الى الايمان او بلية قاسرة عليه (فظلت اعناقهم لها خاضعين) منقادين واصله فظلوا لها خاضعين فأقحمت الاعناق لبيان موضع الخضوع وترك الخبر على اصله وقيل لما وصفت الاعناق بصفات العقلاء اجريت مجراهم وقيل المراد بها الرؤساء او الجماعات من قولهم جاءنا عنق من الناس لفوج منهم وقرئ خاضعة وظلت عطف على ننزل عطف وأكن على فأصدق لانه لو قيل انزلنا بدله لصح (وما يأتيهم من ذكر) موعظة او طائفة من القرآن (من الرحمن) بوحيه الى نبيه (محدث) مجدد انزاله بتكرير التذكير وتنويع التقرير (الا كانوا عنه معرضين) الا جددوا اعراضا عنه واصرارا على ما كانوا عليه (فقد كذبوا) اى بالذكر بعد اعراضهم وأمعنوا في تكذيبه بحيث ادى بهم الى الاستهزاء به المخبر به عنهم ضمنا في قوله (فسيأتيهم) اى اذا مسهم عذاب الله يوم بدر او يوم القيامة (انباء ما كانوا به يستهزؤون) من انه كان حقا أم باطلا وكان حقيقا بان يصدق ويعظم قدره او يكذب فيستخف امره (أولم يروا الى الارض) أولم ينظروا الى عجائبها (كم أنبتنا فيها من كل زوج) صنف (كريم) محمود كثير المنفعة وهو صفة لكل ما يحمد ويرضى وههنا يحتمل ان تكون مقيدة لما يتضمن الدلالة على القدرة وان تكون مبينة منبهة على انه ما من نبت الا وله فائدة اما وحده او مع غيره وكل لاحاطة الازواج وكم لكثرتها (ان في ذلك) ان في انبات تلك الاصناف او في كل واحد (لآية) على ان منبتها تام القدرة والحكمة سابغ النعمة والرحمة (وما كان اكثرهم مؤمنين) في علم الله وقضائه فلذلك لاينفعهم امثال هذه الآيات العظام (وان ربك لهو العزيز) الغالب القادر على الانتقام من الكفرة (الرحيم) حيث أمهلهم او العزيز في انتقامه ممن كفر الرحيم لمن تاب وآمن (واذ نادى ربك موسى) مقدر باذكر او ظرف لما بعده (ان ائت) اى ائت او بأن ائت (القوم الظالمين) بالكفر واستعباد بني اسرائيل وذبح اولادهم

طسم تلك آيات الكتاب المبين ان هذه السورة الكريمة او القرآن العظيم كتاب مبين اى ظاهر اعجازه وصحيح انه كلام الله تعالى اذ لو لم يكن كذلك لقدروا على الاتيان بمثله ولما عجزوا عن معارضته ﴿قوله ولعل للاشفاق﴾ اى الخوف وهو تعالى منزه عن الخوف والمعنى انه تعالى يأمره ان يخاف على نفسه فلا يتحسر لئلا تؤديه الحسرة الى الهلاك وهو قول المصنف اى أشفق على نفسك ﴿قوله لئلا يؤمنوا﴾ يعني أن قوله ان لايؤمنوا في موضع النصب على انه مفعول بحذف لام التعليل من ان كما هو المشهور او بحذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه والتقدير خيفة ان لايؤمنوا ولما كانت الخيفة فعلا لفاعل الفعل المعلل وهو البخع من حيث ان كل واحد منهما فعل النبي لم يحتج الى اللام في تعلق العامل به او انه حذف اللام لما ثبت من ان حذف اللام من ان وان قياس مستمر لا لكونه مفعولا له ﴿قوله تعالى فظلت﴾ معطوف على ننزل وانما جيء به ماضيا لتحقق كون اعناقهم خاضعين حينئذ ﴿قوله واصله فظلوا لها خاضعين﴾ جواب عما يقال قوله خاضعين مسند الى ضمير الاعناق وهي ليست من قبيل العقلاء فلا يجوز ان يخبر عنها بلفظ الجمع السالم لانه مختص بالعقلاء * وتقرير الجواب ان الخضوع صفة اصحاب الاعناق واخبر عن الاعناق بقوله خاضعين بناء على اصل الكلام ولما اقحمت الاعناق لبيان محل الخضوع كان ينبغي ان يغير الكلام الى خاضعة او خاضعات الا انه ترك الخبر على اصله للدلالة عليه ﴿قوله وظلت عطف على ننزل﴾ جواب عما يقال كيف عطف الماضي على المستقبل بحرف التعقيب او بالفاء السببية والماضي يمتنع ان يكون عقيب المستقبل وان يكون مسببا عنه * وتقرير الجواب ان ننزل وان كان مستقبلا لفظا الا انه في قوة الماضي لانه لو اورد بدله لفظ الماضي لكان صحيحا كما عطف اكن المجزوم على أصدق المنصوب لكونه في موضع الجزاء من حيث ان المعنى ان اخرتني اتصدق واكن بين الله ان آيات هذه السورة الكريمة من حيث كونها آيات الكتاب الظاهر اعجازه كافية في الدلالة على وجوده وانه قادر على ما يشاء وعلى صدق مدعي الرسالة في دعواه فهي كافية في دخولهم في الايمان وفي قبولهم جميع ما فيهما من الاصول الاعتقادية والفروع العملية فان لم يؤمنوا بسببها فلا تبالغ في الحزن والاسف على بقائهم على الكفر والضلال وأشفق على نفسك ان تقتلها بلا فائدة فصبره الله تعالى وعزاه وصرف عنه غمه وحزنه لاينفع في ايمان من سبق حكم الله بعدم ايمانه كما ان الكتاب المبين الاعجاز لم ينفع في ايمانه ثم بين ان الله تعالى قادر على ان ينزل آية ملجئة الى الايمان او بلية قاسرة عليه الا انه لم يفعل ذلك بناء على انه لا عبرة بالايمان المبني على القسر والالجاء ثم بين أنه من جهة وفور رحمته وفضله واحسانه جدد لهم الانذار والتذكير وقتا بعد وقت وكلما نزل عليهم شيأ من الموعظة والتذكير وطائفة من القرآن الذي أصروا على ما كانوا عليه من الاعراض والتكذيب والاستهزاء المدلول عليه بقوله فسيأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزؤون والفاء في قوله فقد كذبوا للتعقيب كما اشار اليه بقوله اى فقد كذبوا بالذكر بعد اعراضهم المؤدي الى التكذيب المؤدي الى الاستهزاء بناء على ان ما كذبوه واستهزأوا به هل هو حقيق بالتصديق والتعظيم او بالتكذيب والاستهزاء ثم انه تعالى بعد ما بين انه كلما انزل عليهم ذكرا جديدا وقتا بعد وقت فلم يزدهم ذلك سوى النفور والاعراض بين ايضا انه اظهر لهم ادلة تحدث في الارض وقتا بعد وقت تدل على وحدانيته وكمال قدرته ومع ذلك استمر اكثرهم على ما هم عليه من الكفر والعصيان فقال اولم يروا الى الارض وبخهم على تركهم نظر الاعتبار ليستدلوا بما في الارض من العجائب اوروا الا انهم لم يؤمنوا بسببها وكم في قوله تعالى كم انبتنا خبرية للتكثير ومنصوبة المحل بالفعل الذي بعدها على المفعولية اى كثيرا من الازواج انبتنا وكل زوج تمييز جيء به للدلالة على ان الكثير الذي انبته الله تعالى ليس من بعض اصناف النبات بل من جميع اصنافه على التفصيل ﴿قوله وهو صفة﴾ يعني ان الكريم اسم يوصف به كل ما يحمد ويرضى في بابه وما له من المنافع والكمالات التي لا يقدر على اتيانها الا رب العالمين ومنه وجه كريم اى محمود مرضي في حسنه وجماله وكتاب كريم اى مرضي في لفظه ومعانيه وفوائده وفارس كريم اى مرضي في شجاعته وبأسه ووصف الزوج بالكريم يحتمل معنيين الاول انه صفة مقيدة له مخصصة بما هو النافع من نوعي النبات فانه على نوعين نافع وضار فبين الله كثرة ما انبت في الارض من جميع اصناف النباتات النافع وترك ذكر الضار والثاني ان يكون صفة مادحة لا مخصصة فيعم جميع اصناف النبات نافعه وضاره وفي وصف جميعها بالكرم تنبيه على انه تعالى ما انبت شيأ الا وفيه فائدة ومنفعة جليلة لان الحكيم لا يفعل فعلا الا لمعنى صحيح وحكمة بالغة وان غفل عنها الغافلون ولم يتوصل الى معرفتها العاقلون ﴿قوله او ظرف لما بعده﴾ اى قال رب اني اخاف

ان يكذبون اذنادى ربك وقيل انه لمقدر قبله اى واتل على قومك اذنادى الله موسى فيما تتلو ويدل عليه قوله تعالى فيما بعد واتل عليهم نبأ ابراهيم وذلك حين رأى موسى الشجرة والنار ﴿قوله ولعل الاقتصار على القوم﴾ يعنى انه لاشك ان موسى كان مبعوثا الى فرعون وقومه من الرؤساء والاتباع الا انه لم يذكر فى بعض الآيات قومه حيث قال اذهبا الى فرعون انه طغى ولم يذكر فى بعضها الاتباع حيث قال الى فرعون وملئه والملأ هم الرؤساء دون الاتباع لان المتبوع ورؤساء القوم لما كانوا اصلا اتبعهم الاتباع فى الايمان كان ذكرهم يغنى عن ذكر الاتباع فلذلك اقتصر تارة على ذكر فرعون وتارة على ذكره وذكر رؤساء قومه واقتصر فى هذه الآية على ذكر قومه من الرؤساء والاتباع للعلم بان نفس فرعون كان اولى بذلك ﴿قوله ألا يتقون استئناف﴾ لامحل له من الاعراب وهو متعين على قرآءة يتقون بياء الغيبة واما على القرآءة بتاء الخطاب فانه يحتمل ان يكون التقدير ائت القوم الظالمين وقل لهم ألاتتقون باضمار القول فلا التفات حينئذ وانما يكون التفاتا على تقدير كونه استئنافا وطريق الالتفات انه تعالى بصدد الشكاية من قوم فرعون وظلمهم لنبيه موسى فلما اشتدّ غضبه عليهم قطع بث الشكوى الى موسى واقبل عليهم يوبخهم بالعنف والغلظة وقال لهم ألاتتقون * ولما ورد كيف يصح الالتفات اليهم وهم غيب والالتفات الى الجانى انما يصح اذا كان الجانى حاضرا فى مجلس الشكاية وهم ليسوا حاضرين فى مجلس خطابه تعالى مع موسى فى وقت المناجاة * اجاب عنه بقوله وهم وان كانوا غيبا حينئذ اى حين مخاطبة الله موسى عليه الصلاة والسلام * وتقرير الجواب انهم وان كانوا غيبا الا انهم حينئذ اجروا مجرى الحاضر وكلام الشخص الذى ارسل اليهم من حيث ان ذلك الشخص لما كان مبلغ ذلك الكلام اليهم وكان استماعه مبدأ استماعهم كان حضور ذلك الشخص مع المتكلم بمنزلة حضورهم معه ولذلك صح الالتفات اليهم فى كلام ذلك الشخص وان كانوا غيبا فى نفس الامر وقت المكالمة معه مع ان فى الالتفات اليهم بهذا الطريق مزيد الحث على التقوى لمن تدبره وتأمل مورده لانه لما وبخ الغائب على ترك التقوى وحث عليه مع عدم استماعه كلام الموبخ بالذات فالحاضر المتدبر يكون له اوفر حظ من الحث عليه ﴿قوله اكتفاء بها عن ياء الاضافة﴾ فان اصله على قرآءة الكسر ألايتقوننى فحذفت احدى النونين تخفيفا واكتفى بكسر النون عن ياء المتكلم فصار ألايتقون ويحتمل ان تكون قرآءة الكسر مبنية على ان يكون اصل الكلام الايا ناس اتقونى بأن تكون الياء فى يتقون حرف النداء وان يكون المنادى محذوفا كما فى قوله الايا اسجدوا فان اصله الايا هؤلاء اسجدوا ويكون اتقون امرا حاضرا حذف منه ياء المتكلم اكتفاء بالكسر وتكون النون فيه نون الوقاية ويكون ارتباط الكلام بما قبله على هذا الوجه بتقدير القول اى ان رأيت القوم الظالمين قل لهم الايا ناس اتقون * فان قلت هذا التوجيه لايساعده خط المصحف * فالجواب ان خط المصحف سنة متبعة غير منوطة بالقياس ﴿قوله رتب استدعاء ضم اخيه اليه واشراكه له فى الامر على الامور الثلاثة﴾ مبنى على ان يكون قوله يضيق ولا ينطلق مرفوعين بعطفهما على خبر انّ وهو اخاف لانهما اذا كانا منصوبين عطفا عن يكذبون يكون استدعاء الضم مرتبا على علة واحدة وهى الخوف من الامور الثلاثة فان المعنى حينئذ اخاف ان يكذبون واخاف ان يضيق صدرى واخاف ان لا ينطلق لسانى وعلى قرآءة الرفع يكون كل واحد من الامور الثلاثة علة مستقلة لاستدعاء الضم غاية مافى الباب ان يكون بعضها مرتبا على البعض فى الوجود لأنّ حاصل الكلام حينئذ انه لولم يشركه هرون فى الامر لاختلفت المصلحة المطلوبة من بعثة موسى عليه الصلاة والسلام وذلك من وجهين الاوّل ان فرعون ربما كذبه والتكذيب سبب لضيق القلب لتعسر الكلام على من يكون فى لسانه حبسة لانه عند ضيق القلب تنقبض الروح والحرارة الغريزية الى باطن القلب واذا انقبضا الى الداخل وخلا منهما الخارج ازدادت الحبسة فى اللسان فالتأذى من التكذيب سبب لضيق القلب وضيق القلب سبب للحبسة فلهذا بدأ عليه الصلاة والسلام بخوف التكذيب ثم ثنى بضيق الصدر ثم ثلث بعدم انطلاق اللسان ثم قال وهرون افصح لسانا منى وليس فى حقه هذا المعنى فكان ضمه الىّ وارساله معى لائقا والثانى ان لى عندهم ذنبا فأخاف ان يبادروا الى قتلى وحينئذ لايحصل المقصود من البعثة واما هرون فليس كذلك فيحصل المقصود من البعثة بضمه الىّ ﴿قوله وليس ذلك تعللا منه﴾ جواب عما يقال كيف ساغ لموسى عليه الصلاة والسلام ان يأمره الله بامره فلا يقبله بسمع وطاعة ومن حقه ان يسارع فى امتثال المأمور به بلاتوقف * وتقرير الجواب انه عليه الصلاة والسلام لم يرد بذكر الامور الثلاثة الاستعفاء من تكليف الرسالة والتعلل

(قوم فرعون) بدل من الاوّل او عطف بيان له ولعل الاقتصار على القوم للعلم بان فرعون كان اولى بذلك (ألا يتقون) استئناف اتبعه ارساله اليهم للانذار تعجيبا له من افراطهم فى الظلم واجترآئهم عليه وقرئ بالتاء على الالتفات اليهم زجرا لهم وغضبا عليهم وهم وان كانوا غيبا حينئذ اجروا مجرى الحاضرين فى كلام المرسل اليهم من حيث انه مبلغه اليهم واستماعه مبدأ استماعهم مع مافيه من مزيد الحث على التقوى لمن تدبره وتأمل مورده وقرئ بكسر النون اكتفاء بها عن ياء الاضافة ويحتمل ان يكون بمعنى ألا يا ناس اتقون كقوله الايا اسجدوا (قال رب انى اخاف ان يكذبون ويضيق صدرى ولا ينطلق لسانى فارسل الى هرون) رتب استدعاء ضم اخيه اليه واشراكه له فى الامر على الامور الثلاثة خوف التكذيب وضيق القلب انفعالا عنه وازدياد الحبسة فى اللسان بانقباض الروح الى باطن القلب عند ضيقه بحيث لا ينطلق لانها اذا اجتمعت مست الحاجة الى معين يقوّى قلبه وينوب منابه متى يعتريه حبسته حتى لاتختل دعوته ولا تنبتر حجته وليس ذلك تعللا منه وتوقفا فى تلقى الامر بل طلبا لما يكون معونة على امتثاله وتمهيد عذر فيه وقرأ يعقوب ويضيق ولا ينطلق بالنصب عطفا على يكذبوا فيكونان من جملة ماخاف منه (ولهم علىّ ذنب) اى تبعة ذنب فحذف المضاف او سمى باسمه والمراد قتل القبطىّ وانما سماه ذنبا على زعمهم وهذا اختصار قصته المبسوطة فى مواضع (فأخاف ان يقتلون) به قبل اداء الرسالة وهو ايضا ليس تعللا وانما هو استدفاع للبلية المتوقعة كما ان ذلك استمداد واستظهار فى امر الدعوة

وقوله (قال كلا فاذهبا بآياتنا) اجابة له الى الطلبتين بوعده لدفع بلائهم اللازم بردعه عن الخوف وضم اخيه اليه فى الارسال والخطاب فى فاذهبا على تغليب الحاضر لانه معطوف على الفعل الذى يدل عليه كلا كأنه قيل ارتدع ياموسى عما تظن فاذهب انت والذى طلبته (انامعكم) يعنى موسى وهرون وفرعون (مستمعون) سامعون لما يجرى بينكما وبينه فاظهر كما عليه مثل نفسه بمن حضر مجادلة قوم استماعاله لما يجرى بينهم وترقبا لامداد اوليائه منهم مبالغة فى الوعد بالاعانة ولذلك تجوّز بالاستماع الذى هو بمعنى الاصغاء للسمع الذى هو مطلق ادراك الحروف والاصوات وهو خبر ثان او الخبر وحده ومعكم لغو (فأتيا فرعون فقولا انارسول رب العالمين) افرد الرسول لانه مصدر وصف به فانه مشترك بين المرسل والرسالة قال لقد كذب الواشون مافهت عندهم

* بسرّ ولاارسلتهم برسول

ولذلك ثنى تارة وافرد اخرى اولاتحادهما للاخوّة اولوحدة المرسل والمرسل به او لانه ارادان كل واحد منا (انأرسل معنا بنى اسرآئيل) اى فولا ارسل لتضمن الرسول معنى الارسال المتضمن معنى القول والمراد خلهم يذهبوا معنا الى الشام (قال) اى فرعون لموسى بعدما أتياه فقالا له ذلك (ألم نربك فينا) فى منزلنا (وليدا) طفلا سمى به لقربه من الولادة (ولبثت فينا من عمرك سنين) قيل لبث فيهم ثلاثين سنة ثم خرج الى مدين عشر سنين ثم عاد اليهم يدعوهم الى الله ثلاثين ثم بقى بعد الغرق خمسين (وفعلت فعلتك التى فعلت) يعنى قتل القبطىّ وبخه به معظما اياه بعد ماعدّد عليه نعمته وقرئ فعلتك بالكسر لانها كانت قتلة بالوكز (وانت من الكافرين) بنعمتى حتى عمدت الى قتل خواصى اوممن تكفرهم الآن فانه عليه السلام كان يعايشهم بالتقية فهو حال من احدى التاءين ويجوز ان يكون حكما مبتدأ عليه بانه من الكافرين بالاهيته اوبنعمته لماعاد عليه بالمخالفة اومن الذين كانوا يكفرون فى دينهم (قال فعلتها اذاوانامن الضالين) من الجاهلين وقدقرئ به والمعنى من الفاعلين فعل اولى الجهل والسفه اومن المخطئين لانه لم يتعمد قتله او الذاهلين عما يؤول اليه الوكز لانه اراد به التأديب اوالناسين من قوله ان تضل احدهما (ففررت منكم لما خفتكم فوهب لى ربى حكما) حكمة (وجعلنى من المرسلين) ردّ اولا بذلك ماوبخه به قدحا فى نبوّته ثم كرّ على ماعدّ عليه من النعمة ولم يصرّح بردّه لانه كان صدقاغير قادح فى دعواه بل نبه على انه كان فى الحقيقة نقمة لكونه مسببا عنها فقال (وتلك نعمة تمنها علىّ ان عبدت بنى اسرآئيل) اى وتلك التربية نعمة تمنّ علىّ بها ظاهرا وهى فى الحقيقة تعبيدك بنى اسرآئيل وقصدهم بذبح ابنائهم فانهم السبب فى وقوعى اليك وحصولى فى تربيتك وقيل انه مقدّر بهمزة الانكار اى أوتلك نعمة تمنها علىّ وهى ان عبدت ومحل ان عبدت الرفع على انه خبر محذوف اوبدل نعمة

بها بل اراد به تمهيدا لعذر فى التماسه المعين فهو قد امتثل وقبل ولكنه التمس من ربه ان يعضده بأخيه حتى يتعاونا على تنفيذ امره وتبليغ رسالته وتمهيد العذر فى التماس المعين على تنفيذ الامر ليس بتوقف فى امتثال الامر ولا بتعلل فيه واراد بالذنب قتله القبطىّ بالوكزة دفعا عن القبطىّ الآخر واراد بكون ذلك القتل عليه أن تبعة ذلك القتل اى موجبه وجزاءه بذمته على زعمهم والتبعة كل حق يجب للمظلوم على الظالم بمقابلة ظلمه عليه ﴿قوله اجابة له الى الطلبتين﴾ تثنية طلبة بكسر اللام وهى ماطلبته من شئ طلب موسى امرين الاوّل ان يدفع عنه شرّهم والثانى ان يرسل معه هرون فاجابه الله الى الاوّل بقوله كلا ومعناه ارتدع ياموسى عما تظنه فانهم لن يقتلوك به فانى لااسلطهم عليك بل اسلطك عليهم واجابه الى الثانى بقوله فاذهبا اى اذهب انت والذى طلبته وهو هرون ﴿قوله يعنى موسى وهرون وفرعون﴾ فهو تعالى معهما بالعون والنصر ومع فرعون بالكسر والقهر ﴿قوله سامعون﴾ حقيقة الاستماع طلب السمع بالاصغاء والله تعالى سامع غنى عن الاستماع والاصغاء فلذلك جعل المعنى نسمع ماتقولانه ومايجيبو نكمابه وفى الكلام استعارة تمثيلية لكون وجه الشبه هيئة منتزعة من عدة امور ﴿قوله لانه مصدر وصف به﴾ مبالغة او بتقدير ذوا رسالة رب العالمين ﴿قوله بعدما اتياه فقالاله ذلك﴾ اشارة الى ان فى الكلام حذفا اى فذهبا اليه فدخلا عليه وقالاله ماامرهما الله تعالى به فعند ذلك قال فرعون ماقال روى انهما انطلقا الى باب فرعون فلم يؤذن لهما سنة حتى قال البواب ان ههنا انسانا يزعم انه رسول رب العالمين فقال ائذن له لعلنا نضحك منه فأذن لهما فدخلا عليه وأديا الرسالة فعرف موسى عليه الصلاة والسلام فعدّد نعمه عليه اوّلا ثم اساءة موسى عليه الصلاة والسلام اليه * والوليد الصبى الصغير وكان عليه الصلاة والسلام ولد فيهم ثم كان فيما بينهم حتى صار رجلا والفعلة بالفتح بناء المرة وكانت وكزة واحدة وبالكسر بناء النوع وتعظيم تلك الفعلة يستفاد من عدم التصريح باسمها الخاص فان تنكير الشئ وابهامه قد يقصد به التعظيم ﴿قوله اوممن تكفرهم الآن﴾ اى فعلتها والحال انك فى ذلك الوقت من القوم الذين تزعم الآن انهم كافرون اى كنت قبل الآن منا وعلى ديننا والآن جئت تكفرنا وهذا من غاية جهل اللعين لان الانبياء لم يزالوا على التوحيد والبرآءة من الشرك والله تعالى عاصم من يستنبئه من كل كبيرة فاظنك بالكفر واذا فى قوله فعلتها اذا حرف جواب فقط لان ملاحظة المجازاة ههنا بعيدة فان سيبويه وان نص على انها للجزآء لكن شرّاح كتابه قدذهبوا الى انها قدتتمحض للجواب ويتخلف عنها الدلالة على المجازاة ﴿قوله من الجاهلين﴾ والحاصل انه عليه الصلاة والسلام لم يرد بالضلال الكفران لانه اراد به ردّ قوله وانت من الكافرين بل اراد به اما الجهل والسفه والمعنى وانا من الفاعلين فعل اولى الجهل والسفه من غير اتباع الوحى والدليل واما الخطأ فى الفعل حيث قصد المنع والتأديب فضل ووقع منه القتل واما الذهول عما يؤول اليه الوكز من القتل واما النسيان كما فى قوله ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى فان الضلال فيه بمعنى النسيان لان التذكر انما يكون بعد النسيان وخلاصة جوابه عليه الصلاة والسلام على جميع التقادير ان ماتوبخنى به وتعدّه علىّ ذنبا انما فعلته على وجه لايعاتب من فعله على ذلك الوجه فضلا عن ان يعدّ كافرا حقيقة او كافرا للنعمة فانه كيف يعاتب من فعل فعلا برأيه على قصد الاصلاح والتأديب بل يستحق لان يثنى عليه ويستحسن فعله وان ادّى الى القتل والاهلاك وقوله لانه كان صدقا لان تربيته له امر ظاهر معلوم لايصح ردّه وانكاره فكان غير قادح فى دعواه لما تقرّر فى العقول ان الرسول الى الغير اذا كان معه معجزة وحجة لم يتغير حاله بان يكون المرسل اليه انعم عليه اولم ينعم فلذلك لم يكن قول فرعون ألم نربك فينا وليدا نافعاله ولاضارّا لموسى فلذلك لم يصرّح بردّه ﴿قوله وتلك التربية نعمة﴾ اشارة الى ان تلك مبتدأ اشير به الى التربية المدلول عليها بقوله الم نربك ونعمة خبره وتمنها علىّ صفة نعمة وأن عبدت خبر مبتدأ محذوف اى وهى فى الحقيقة تعبيدك قومى اقرّ عليه الصلاة والسلام بكون تلك التربية فى صورة النعمة والاحسان ثم ابطل كونها نعمة بكونها مسببة عن النقمة التى هى قهره بنى اسرآئيل بذبح ابنائهم فانه لو لم يفعل ذلك لتكلفت امه بتربيته ولما قذفته فى اليم حتى يصل الى فرعون ويربى بتربيته فكيف يمنّ عليه بما كان بلاؤه سيباله يقال عبدت فلانا واعبدته واستعبدته وتعبدته اذا اتخذته عبدا وقهرته وذللته ﴿قوله او بدل نعمة﴾ كأنه قيل وتلك نعمة تعبيدك بنى اسرآئيل فيؤول المعنى الى ان تلك التربية تعبيدك بنى اسرآئيل ولاشك فى ان التربية ليست نفس التعبيد الا انها لما وقعت بسبب التعبيد

ونتيجة له جعلت نفس التعبيد مبالغة في السببية والاستلزام ﴿قوله او الجرّ باضمار الباء اوالنصب بحذفها﴾ كان محل الضمير البارز في تمنها كذلك فان تمنّ يتعدّى بالباء فهي مضمرة والتقدير تمنّ بها او محذوفة كما في قوله تعالى واختار موسى قومه وعلى التقديرين يكون أن عبدت بدلا من هاء تمنها ﴿قوله الى خصلة شنعاء مبهمة﴾ وصف الخصلة بالشنعاء دلالة على ان القصد بلفظ تلك الدال على بعد المشار اليه تحقيره او تنزيل بعده عن ساحة الحضور والخطاب وانحطاط درجته منزلة بعد المسافة وجعل المشار اليه مبهما لعدم كونه من الامور الخارجية المتقدّم ذكرها بل هو امر ذهني تصوّره عليه الصلاة والسلام واشار اليه بقوله تلك ثم فسره بما اخبر عنه فانه عليه الصلاة والسلام تصوّر قوله نعمة تمنها عليّ ان عبدت بني اسرآئيل بانها من حيث انها نعمة تمنها عليّ تكون خصلة شنعاء فاشار اليها بتلك وجعلها مبهمة ثم بينها بقوله أن عبدت كما تقول هذا اخوك فلا يكون هذا اشارة الى غير الاخ فكان المعنى هي تعبيدك بني اسرآئيل فكأنّ اللعين وان امتنّ بتربيته اياه الا ان تلك التربية لما كانت مسببة عن تعبيده بني اسرآئيل كان الامتنان بالتربية امتنانا بتعبيدهم ﴿قوله لم يرعو﴾ اى لم يكف ولم يمتنع وهو من رعا يرعو اى كف عن الامر يقال ارعوى عن القبيح وتقديره ارعوو ووزنه افعلل ولم يدغم لسكون الياء المبدلة من الواو ولوقوعها رابعة في الطرف ﴿قوله شرع في الاعتراض على دعواه﴾ لم يذكروا في نظم هذه الآية أن موسى عليه الصلاة والسلام دخل على فرعون وادّى الرسالة وقال له انا رسول رب العالمين الا ان المصنف اشار اليه بقوله قال فرعون لموسى بعد ما اتياه فقالا له ذلك كما ذكرناه هنالك وانه تعالى لما قال لهما فأتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين استلزم ذلك أنهما اتياه وقالا له ذلك حين دخلا عليه فعند ذلك قال فرعون ومارب العالمين يسأل به عن حقيقته الخاصة ويقول أيّ شيء هو مما يطلق عليه اسم الشيء كأنه يريد به التعريض بانكار الاله ويدل عليه قوله تعالى بعد هذا حكاية عنه لئن اتخذت الها غيري لاجعلنك من المسجونين فأجابه عليه الصلاة والسلام بما فيه انكار الهيته وان يكون ربا للعالمين تعريضا حيث قال رب السموات والارض ومابينهما كأنه قال انت احقر من ذلك واذل فان رب العالمين رب السموات والارض ومدبر امرهما وامر اهلهما على التفصيل ثم قال ان كنت انت وهؤلاء البهائم الذين اتخذوك الها وسموك رب العالمين من الذين يحققون الاشياء بالنظر الصحيح الذي يؤدّيهم الى الايقان علمتم ان العالم عبارة عن كل مايعلم به الخالق من السموات والارض ومابينهما وان ربها هو الذي خلقها ورزق من فيها ودبر امورها فيجب ان يكون واجبا لذاته مبدأ لجميع الممكنات وعلمتم ايضا ان ذلك الواجب لايمكن تعريفه الا بلوازمه الخارجية فتعجب اللعين من جوابه فقال لمن حوله الا تستمعون اطلب منه الماهية وهو يجيبني بالفاعلية ويزعم ان السموات ممكنة مربوبة وهي واجبة متحركة لذاتها فثنى عليه الصلاة والسلام بقوله ربكم ورب آبائكم الاوّلين استدل اوّلا بامكان الاجرام العلوية والسفلية واحتياجها الى مؤثر واجب لذاته على وجود رب يسند اليه جميع الموجودات ثم خص من جملة الموجودات بأسرها ماهو اقرب بالنسبة الى المستدل وهو نفسه ومن ولده هو منه فان دليل الانفس اقرب من دليل الآفاق واظهر دلالة على المؤثر القادر الحكيم فعدل اليه اشعارا بغباوتهم وايضا يمكن ان يتوهم كون السموات والارضين واجبة لذاتها غنية عن الخالق ولا يتوهم ذلك في انفسهم وآبائهم واجدادهم لان المشاهدة دلت على انهم وجدوا بعد العدم وعدموا بعد الوجود وما كان كذلك استحال ان يكون واجبا لذاته ووجب ان يكون وجوده مستندا الى مؤثر واجب لذاته فكان التعريف بهذا الاثر اظهر فلهذا عدل موسى عليه الصلاة والسلام اليه وقوله ويشك منصوب معطوف على ان يتوهم وقوله ويكون مرفوع معطوف على قوله لايمكن فعند ذلك احتدّ اللعين وغضب ونسبه الى الجنون استكبارا وعنادا قائلا المقصود من سؤالنا طلب الماهية والحقيقة والتعريف بهذه الآثار الخارجية لايفيد تلك الخصوصية فهذا الذي يدّعي الرسالة مجنون لايفهم المقصود من السؤال فضلا عن ان يجيب عنه فعاد نبي الله الى تعريف ثالث اوضح من الثاني فقال رب المشرق والمغرب ومابينهما ان كنتم تعقلون وذلك لانه اراد بالمشرق طلوع الشمس وظهور النهار واراد بالمغرب غروب الشمس وزوال النهار فظاهر ان التقدير على هذا الوجه العجيب لايتم الا بتدبير مدبر حكيم وهذا بعينه طريقة ابراهيم مع نمرود فانه عليه الصلاة والسلام استدل بالاحياء والاماتة حيث قال ربي الذي يحيي ويميت فلما عارضه نمرود اللعين بقوله انا احيي واميت قال ابراهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب

او الجرّ باضمار الباء او النصب بحذفها وقيل تلك اشارة الى خصلة شنعاء مبهمة وان عبدت عطف بيانها والمعنى تعبيدك بني اسرآئيل نعمة تمنها عليّ وانما وحد الخطاب في تمنها وجمع فيما قبله لان المنة كانت منه وحده والخوف والفرار منه ومن ملئه (قال فرعون ومارب العالمين) لما سمع جواب ماطعن به فيه ورأى انه لم يرعو بذلك شرع في الاعتراض على دعواه فبدأ بالاستفسار عن حقيقة المرسل (قال رب السموات والارض ومابينهما) عرّفه باظهر خواصه وآثاره لما امتنع تعريف الافراد الا بذكر الخواص والافعال واليه اشار بقوله (ان كنتم موقنين) اى ان كنتم موقنين الاشياء محققين لها علمتم ان هذه الاجرام المحسوسة ممكنة لتركبها وتعدّدها وتغير احوالها فلها مبدأ واجب لذاته وذلك المبدأ لابدّ وان يكون مبدأ لسائر الممكنات مايمكن ان يحس بها ومالا يمكن والا لزم تعدّد الواجب او استغناء بعض الممكنات عنه وكلاهما محال ثم ذلك الواجب لايمكن تعريفه الا بلوازمه الخارجية لامتناع التعريف بنفسه وبما هو داخل فيه لاستحالة التركيب في ذاته (قال لمن حوله ألا تستمعون) جوابه سألته عن حقيقته وهو يذكر افعاله او يزعم انه رب السموات وهي واجبة متحركة لذواتها كما هو مذهب الدهرية او غير معلوم افتقارها الى مؤثر (قال ربكم ورب آبائكم الاوّلين) عدولا الى مالا يمكن ان يتوهم فيه مثله ويشك في افتقاره الى مصوّر حكيم ويكون اقرب الى الناظر واوضح عند التأمل (قال ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون) اسأله عن شيء ويجيبني عن آخر وسماه رسولا على السخرية

به امور الكائنات (ان كنتم تعقلون) ان كان لكم عقل علمتم ان لاجواب لكم فوق ذلك لاينهم اولاً لما رأى شدة شكيمتهم وخشاتهم عارضهم بمثل مقاتلهم (قال لئن اتخذت الهاغيرى لأجعلنك من المسجونين) عدولا الى التهديد عن المحاجة بعد الانقطاع وهكذا ديدن المعاند المحجوج واستدل به على ادعائه للالوهية وانكاره للصانع وتعجبه بقوله ألا تستمعون من نسبة الربوبية الى غيره ولعله كان دهريا او اعتقدان من ملك قطرا وتولى امره بقوة طالعه استحق العبادة من اهله

واللام فى المسجونين للعهد اى ممن عرفت حالهم فى سجونى فانه كان يطرحهم فى هوة عميقة حتى يموتوا ولذلك جعل ابلغ من لأسجننك (قال أولو جئتك بشئ مبين) اى أتفعل ذلك ولو جئتك بشئ يبين صدق دعواى يعنى المعجزة فانها الجامعة بين الدلالة على وجود الصانع وحكمته والدلالة على صدق مدعى نبوته فالواو للحال وليها الهمزة بعد حذف الفعل (قال فأت به ان كنت من الصادقين) فى ان لك بينة او فى دعواك فان مدعى النبوة لابد له من حجة (فألقى عصاه فاذاهى ثعبان مبين) ظاهر ثعبانيته واشتقاق الثعبان من ثعبت الماء فانثعب اذا فجرته فانفجر (ونزع يده فاذاهى بيضاء للناظرين) روى ان فرعون لما رأى الآية الاولى قال فهل غيرها فأخرج يده قال فما فيها فادخلها فى ابطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يعشى الابصار ويسد الافق (قال للملأ حوله) مستقرين حوله فهو ظرف وقع موقع الحال (ان هذا لساحر عليم) فائق فى علم السحر (يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون) بهره سلطان المعجزة حتى حطه عن دعوى الربوبية الى مؤامرة القوم ائتمارهم وتنفيرهم عن موسى واظهار الاستشعار عن ظهوره واستيلائه على ملكه (قالوا ارجه واخاه) أخر امرهما وقيل احبسهما (وابعث فى المدائن حاشرين) شرطا يحشرون السحرة (يأتوك بكل سحار عليم) يفضلون عليه فى هذا الفن وقرئ بكل ساحر (فجمع السحرة لميقات يوم معلوم) لما وقت به من ساعات يوم معين وهو وقت الضحى من يوم الزينة (وقيل للناس هل انتم مجتمعون) فيه استبطاء لهم فى الاجتماع حثا على مبادرتهم اليه كقول تأبط شرا

هل انت باعث دينار لحاجتنا * او عبد رب اخا عون بن مخراق * اى ابعث احدهما الينا سريعا (لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين) لعلنا نتبعهم فى دينهم ان غلبوا والترجى باعتبار الغلبة المقتضية للاتباع ومقصودهم الاصلى ان لايتبعوا موسى لا ان يتبعوا السحرة فساقوا الكلام مساق الكناية لانهم اذا اتبعوهم لم يتبعوا موسى

(فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أئن لنا لأجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم اذا لمن المقربين) التزم لهم الاجر والقربة عنده زيادة عليه ان غلبوا فاذا على ما يقتضيه من الجواب والجزاء وقرئ نعم بالكسر وهما لغتان (قال لهم موسى ألقوا ما انتم ملقون) اى بعدما قالوا له اما ان تلقى واما ان تكون نحن الملقين ولم يرد به امرهم بالسحر والتمويه بل الاذن فى تقديم ما هم فاعلوه لامحالة توسلا به الى اظهار الحق (فألقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون) اقسموا بعزته على ان الغلبة لهم لفرط اعتقادهم فى انفسهم او اتيانهم بأقصى ما يمكن ان يؤتى به من السحر (فألقى موسى عصاه فاذا هى تلقف) تبتلع وقرأ حفص تلقف بالتخفيف (ما يأفكون) ما يقلبونه عن

فبهت الذى كفر فكذا موسى عليه الصلاة والسلام عرف رب العالمين بقوله ربكم ورب آبائكم الاولين فانه بمنزلة الاستدلال بالاحياء والاماتة ثم عرفه بقوله رب المشرق والمغرب فانه بمنزلة قول الخليل فأت بها من المغرب واما قوله ان كنتم تعقلون فكأنه عليه الصلاة والسلام قال ان كنت من العقلاء عرفت انه لاجواب عن سؤالك الا ماذكرت لانك طلبت منى تعريف حقيقته وقد ثبت انه لايمكن تعريف حقيقته بنفس حقيقته ولا باجزاء حقيقته فلم يبق الا ان اعرفه بالآثار الخارجية والافعال المختصة به وانى عرفت حقيقته بتلك الآثار فثبت ان كل عاقل يقطع بانه لاجواب عن هذا السؤال الا ماذكرته ﴿ قوله لاينهم اولا ﴾ جواب عما يقال كيف قال اولا ان كنتم موقنين وآخرا ان كنتم تعقلون فانه معارض لقول فرعون ان رسولكم الذى ارسل اليكم لمجنون ﴿ قوله ارجه ﴾ قرآءة ابن كثير وهشام هنا وفى سورة الاعراف ارجئه بالهمزة وضم الهاء يصلها بواو وابو عمرو بالهمزة وضم الهاء من غير صلة وابن ذكوان بالهمزة وكسر الهاء ولايصلها بياء وقالون بغير همزة ويختلس الكسرة وورش بغير همزة ويصل الهاء بياء وعاصم وحمزة بغير همز ويسكنان الهاء والهاء فى الوقف ساكنة بلا خلاف الا فى مذهب من ضمها سوآء وصلها اولم يصلها فان الروم والاشمام جائزان فيها كذا فى تفسير القرآءة يقال ارجأت الامر بالهمزة وارجيته بالياء كلاهما بمعنى اخرته وقرئ وآخرون مرجون لامر الله ومرجون الامر الله اى مؤخرون حتى ينزل فيهم مايريد ﴿ قوله شرطا يحشرون ﴾ اشارة الى ان قوله حاشرين صفة موصوف وهو مفعول ابعث والشرط جمع شرطة بسكون الراء وفتحها وهى اسم لخيار الجند وهم اول كتيبة يحضرون الحرب * الجوهرى الشرط بالتحريك العلامة وأشرط فلان نفسه لامر كذا اى اعلمها واعدها قال الاصمعى ومنه سمى الشرط لانهم جعلوا لانفسهم علامة يعرفون بها الواحد شرطة وشرطة وقال ابو عبيدة سموا شرطا لانهم اعدوا ﴿ قوله لما وقت من ساعات يوم معين ﴾ يعنى ان الميقات ههنا الوقت المضروب للفعل ويطلق ايضا على المكان المعين له ومنه ميقات الاحرام يقال هذا ميقات اهل الشام للموضع الذى يحرمون منه واضيف الميقات الى اليوم على طريقة اضافة الشئ الى زمانه لكون الميقات جزأ من ذلك اليوم وساعة من ساعاته فبين بالاضافة اليه كأنه قيل الميقات الذى هو فى ذلك اليوم وجزؤ منه واليوم المعلوم هو يوم الزينة وهو يوم عيد كان لهم فى كل عام وروى عن ابن عباس انه قال وافق يوم السبت فى اول يوم من السنة وهو يوم النيروز وقيل كان ذلك يوم عاشورآء وميقاته وقت الضحى لانه الوقت الذى وقته لهم موسى عليه الصلاة والسلام من يوم الزينة وان يحشر الناس ضحى وانما عينه ليظهر الحق ويزهق الباطل على رؤس الاشهاد ويشيع ذلك فى الاقطار واختاره قوم فرعون ايضا ليظهر فساد قول موسى عليه الصلاة والسلام بمحضر الجمع العظيم ورضى فرعون بما قالوه وعمى عما شاهدوه لان حب الشئ يعمى ويصم وكان هذا ايضا من لطف الله تعالى فى ظهور امر موسى ﴿ قوله او عبد رب ﴾ منصوب بالعطف على محل دينار فانه وان كان مجرورا لفظا بالاضافة الا انه فى محل النصب على انه مفعول باعث ودينار اسم رجل وكذا عبد رب واخا عون منادى مضاف اى يا اخا عون ولو اريد بقوله هل انتم مجتمعون حقيقة الاستفهام لجئ بجواب الناس فعلم منه انه استبطاء اريد به الحث على مبادرتهم الى الاجتماع وكذا فى البيت * قال الامام روى ان العصا لما انقلب حية ارتفعت فى السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة الى فرعون وجعلت تقول ياموسى مرنى بما شئت ويقول فرعون اسألك بالذى ارسلك الا اخذتها فأخذها فصارت عصا ثم قال فان قيل كيف قال ههنا ثعبان مبين وفى آية اخرى فاذاهى حية تسعى وفى آية ثالثة كأنها جان والجان مايميل الى الصغر والثعبان الى الكبر فأجاب عنه بقوله اما الحية فهى اسم جنس ثم اذا كبرت صارت ثعبانا وشبهها بالجان لخفتها وسرعة حركتها فصح الكلام اذا ويحتمل انه شبهها بالشيطان لقوله والجان خلقناه من قبل من نار السموم ويحتمل انها كانت صغيرة كالجان ثم عظمت فصارت ثعبانا والمراد بقوله ثعبان انه بين للناظرين انه ثعبان حقيقة بحركاته وبسائر ما فيه من العلامات وليس يشبه الثعبان فى مروره فقط كما اظهره السحرة ﴿ قوله والترجى باعتبار الغلبة ﴾ اى وترجى الاتباع باعتبار ترجى الغلبة فالمراد انا نرجو ان تكون الغلبة لهم فنتبعهم الا انهم علقوا الترجى باعتبار غلبة السحرة عدولا الى طريق الكناية التى هى ابلغ ﴿ قوله ولم يرد به امرهم بالسحر ﴾ جواب عما يقال كيف جاز لموسى ان يأمر السحرة بالقاء الحبال والعصى وذلك سحر وتلبيس وكفر والامر بمثله لايجوز ﴿ قوله وقرأ حفص تلقف بالتخفيف ﴾ اى باسكان اللام مخففا والباقون بفتح اللام مشددا والتلقف تناول الشئ بسرعة واصله تتلقف بتاءين حذفت احداهما

والافك بالكسر الكذب وبالفتح مصدر قولك افكه يأفكه افكا اى قلبه وصرفه عن الشئ ومنه قوله قالوا أجئتنا لتأفكنا وجدنا عليه آباءنا جعل المصنف كلمة ما موصوله بحذف العائد ثم جوّز كونها مصدرية والافك بالمعنى المصدرى لايصح ان يتعلق به التلقف سوآء جعل بمعنى الاخذ او بمعنى الابتلاع وجعل الافك بمعنى المأفوك وسمى الحبال بالافك مبالغة كانها عين الافك كما فى قولهم هذا ضرب الامير اى مضروبه ﴿ قوله وتزويق ﴾ اى تحسين يقال زوّقت الكلام والكتاب اذا حسنته ووجه الدلالة على ان منتهى السحر تمويه وتزويق ان حقيقة الشئ لو انقلبت الى حقيقة شئ آخر بالسحر لما عدّوا انقلاب العصا حية من قبيل المعجزة الخارجة عن حدّ السحر ولما خرّوا ساجدين عند مشاهدتهم سحره ووجه دلالته ان التبحر فى كل فنّ نافع اذ السحرة لو لم يكونوا فى الطبقة العالية من علم السحر ولم يكونوا عالمين ان منتهى السحر انما هو التمويه والتزويق لما تيقنوا ان ماجاء به موسى ليس بسحر وما كان ذلك التيقن الا ببركة تبحرهم فى علم السحر ﴿ قوله وانما بدّل الخرور بالالقاء ﴾ يعنى ان المعنى خرّوا وسقطوا ساجدين لكن عدل الى هذا القول للمشاكلة لقوله ألقوا ما انتم ملقون فألقوا حبالهم فألق موسى عصاه وليدل على انهم لم يتمالكوا انفسهم حين ماشاهدوا امرا خارجا عن السحر فخرّوا بدون الاختيار كأنّ ملقيا اخذهم وألقاهم على وجوههم فقوله فألقى السحرة استعارة تبعية ﴿ قوله بدل من ألقى ﴾ فلذلك لم يتخلل بينهما عاطف ﴿ قوله ابدال للتوضيح ودفع التوهم ﴾ فان من قال لئن اتخذت الها غيرى وتعجب من نسبة الربوبية الى غيره فقال الا تستمعون لايبعد ان يتوهم ان السحرة ارادوا بقولهم آمنا برب العالمين الايمان بربوبية اللعين فأبدلوا منه رب موسى وهرون ليندفع ذلك الوهم وتشعر اضافته اليهما ان الموجب لايمانهم به ماشاهدوا من اثر قدرته الباهرة وهو ما اجراه على ايديهما فلما سمع اللعين انهم باجمعهم آمنوا بالله تعالى وصرفوا وجوههم عنه خاف ان يقول قومه ان هؤلاء السحرة على كثرتهم وبصيرتهم لم يؤمنوا الا عن معرفة بصحة امر موسى فيؤمنوا به كالسحرة فبادر الى ان يلبس على قومه وينفرهم عن موسى واتباعه فقال اوّلا للسحرة آمنتم له قبل ان آذن لكم اراد به وصفهم بسرعة الاغترار وسوء التدبير والسفاهة ثم قال انه لكبيركم الذى علمكم السحر تصريحا بما ذكره اوّلا بطريق الرمز كأنه قال ان استاذكم هذا لم يعلمكم بعض اسرار صنعته ليغلب به عليكم وقت الحاجة فاغتررتم وظننتم انه غلب عليكم بالمعجز الالهى وليس كذلك فانه انما غلب عليكم بقوة علم السحر لكونكم لم تحيطوا بما احاط به علما ويحتمل ان يكون مراده وصفهم بالخيانة على سلطانهم بعصيانه وتغير رعيته عنه كأنه قال لم تهتموا فى اظهار صنعتكم والغلبة على خصمكم لمواطأة بينكم وبينه ليظهر امره ويتم مقصوده والا فكيف عجزتم عن ان تفعلوا مثل مافعله ساحر مثلكم ثم اوعدهم على الاجمال والابهام فقال فلسوف تعلمون ثم فصل ذلك المجمل وبين ذلك المبهم فقال لأقطعنّ ايديكم وارجلكم من خلاف اى من اجل خلاف ظهر منكم على ان كلمة من للتعليل كما فى قوله تعالى مما خطاياهم اغرقوا وتفسير قطع اليد والرجل من خلاف بقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى كما فى الحدود لايناسب لحال فرعون ولما هو بصدده لانه تخفيف للعقوبة واعراض عن تفويت منفعة البطش والمشى على الجانى ومن لم يخطر بباله هذا التأويل قال قوله هذا دليل على حمقه حيث اوعدهم فى موضع التغليظ بما وضع للتخفيف وليس فى الآية مايدل على انه فعل بهم ذلك او لم يفعل والله اعلم بذلك ﴿ قوله لاضرر علينا فى ذلك ﴾ تقدير للخبر المحذوف وليس مرادهم ان ما اوعدهم به ان وقع لايضرّهم اصلا بل المراد ان ذلك ليس ضررا بل نفعا عظيما لنا من حيث كون الصبر عليه مؤدّيا الى تكفير الخطيئات ورفع الدرجات او من حيث انه من جملة اسباب الانقلاب الى ربنا وانه انفعها وارجاها فمعنى الاستئناف على هذا ان عدم وقوع ماتوعدنا به لاينجينا من الموت حتى يكون وقوعه ضررا مؤدّيا اليه فان الانقلاب الى الموت الذى لاحاكم على الانسان بعده سوى الله امر كائن لامحالة باىّ سبب كان فلا وجه للاحتراز عن خصوص شئ من اسبابه لكونه اضرّ من غيره كأنه قيل لاضرر علينا فى ذلك بالنسبة الى سائر اسباب الموت لانا مائتون لامحالة باىّ سبب كان فليمت بهذا السبب والمعنى الاوّل لاضرر علينا بل فيه نفع عظيم لنا من حيث كون الصبر عليه مؤدّيا الى الكرامة عند الله تعالى ﴿ قوله تعليل ثان لنفى الضير ﴾ هذا ظاهر على تقدير ان يكون خلاصة تعليل الاوّل انا منقلبون الى الموت بسبب من الاسباب فلا ضير فى بعضه بالنسبة الى الباقى واما على تقدير كون خلاصته انا الى كرامة ربنا منقلبون بذلك فالظاهر كونه تعليلا للعلة المتقدمة ﴿ قوله او على طريقة قول المدل بأمره ﴾ اى الواثق به يقال ادل بالامر اذا وثق به واعتمد عليه ﴿ قوله

(فألقى السحرة ساجدين) لعلمهم بان مثله لايتأتى بالسحر وفيه دليل على ان منتهى السحر تمويه وتزويق يخيل شيأ لاحقيقة له وان التبحر فى كل فنّ نافع وانما بدّل الخرور بالالقاء ليشاكل ماقبله ويدل على انهم لما رأوا مارأوا لم يتمالكوا انفسهم فكأنهم اخذوا وطرحوا على وجوههم وانه تعالى ألقاهم بما خوّلهم من التوفيق (قالوا آمنا برب العالمين) بدل من ألقى بدل الاشتمال او حال باضمار قد (رب موسى وهرون) ابدال للتوضيح ودفع التوهم والاشعار على ان الموجب لايمانهم ما اجراه على ايديهما (قال آمنتم له قبل ان آذن لكم انه لكبيركم الذى علمكم السحر) فعلمكم شيأ دون شئ ولذلك غلبكم او فواعدكم ذلك وتواطأتم عليه اراد به التلبيس على قومه لئلا يعتقدوا انهم آمنوا عن بصيرة وظهور حق وقرأ حمزة والكسائى وابو بكر وروح ءآمنتم بهمزتين (فلسوف تعلمون) وبال مافعلتم وقوله (لأقطعنّ ايديكم وارجلكم من خلاف ولأصلبنكم اجمعين) بيان له (قالوا لاضير) لاضرر علينا فى ذلك (انا الى ربنا منقلبون) بما توعدنا به فان الصبر عليه محاء للذنوب موجب للثواب والقرب من الله تعالى او بسبب من اسباب الموت والقتل انفعها وارجاها (انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا ان كنا) لأن كنا (اوّل المؤمنين) من اتباع فرعون او من اهل المشهد والجملة فى المعنى تعليل ثان لنفى الضير او تعليل للعلة المتقدمة وقرئ ان كنا على الشرط لهضم النفس وعدم الثقة بالخاتمة او على طريقة قول المدل بامره ان احسنت اليك فلا تنس حقى

ان اسر بكسر النون ووصل الالف من سرى وقرئ ان سر من السير (انكم متبعون) يتبعكم فرعون وجنوده وهو علة الامر بالاسراء اى أسر بهم حتى اذا اتبعوكم مصبحين كان لكم تقدم عليهم بحيث لايدركونكم قبل وصولكم الى البحر بل يكونون على اثركم حين تلجون البحر فيدخلون مدخلكم فأطبقه عليهم فأغرقهم (فأرسل فرعون) حين اخبر بسراهم (فى المدآئن حاشرين) العساكر ليتبعوهم (ان هؤلاء لشرذمة قليلون) على ارادة القول وانما استقلهم وكانوا ستمائة وسبعين ألفا بالاضافة الى جنوده اذروى انه خرج وكانت مقدمته سبعمائة ألف والشرذمة الطائفة القليلة ومنها ثوب شراذم لما بلى وتقطع وقليلون باعتبار انهم اسباط كل سبط منهم قليل (وانهم لنا لغائظون) لفاعلون مايغيظنا (وانا لجميع حذرون) وانا لجميع من عادتنا الحذر واستعمال الحزم فى الامور اشار اوّلا الى عدم مايمنع اتباعهم من شوكتهم ثم الى تحقق مايدعو اليه من فرط عداوتهم ووجوب التيقظ فى شأنهم حثا عليه واعتذر بذلك الى اهل المدآئن كيلا يظن به مايكسر سلطانه وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان والكوفيون حاذرون والاوّل للثبات والثانى للتجدد وقيل الحاذر المؤدى فى السلاح وهو ايضا من الحذر لان ذلك انما يفعل حذرا وقرئ حادرون بالدال اى اقوياء قال

احب الصبى السوء من اجل امه *

وابغضه من بغضها وهو حادر *

او تاموا السلاح فان ذلك يوجب حدارة فى اجسامهم (فأخرجناهم) بأن خلقنا داعية الخروج بهذا السبب فحملتهم عليه (من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم) يعنى المنازل الحسنة والمجالس البهية (كذلك) مثل ذلك الاخراج اخرجناهم فهو مصدر أو مثل ذلك المقام الذى كان لهم على انه صفة مقام او الامر كذلك فيكون خبرا لمحذوف (واورثناها بنى اسرآئيل فأتبعوهم) وقرئ فاتبعوهم (مشرقين) داخلين فى وقت شروق الشمس (فلما تراءى الجمعان) تقاربا بحيث رأى كل منهما الآخر وقرئ ترآءت الفئتان (قال اصحاب موسى انا لمدركون) لملحقون وقرئ لمدّركون من ادّرك الشئ اذا تتابع ففنى اى لمتتابعون فى الهلاك على ايديهم (قال كلا) لن يدركوكم فان الله وعدكم الخلاص منهم (ان معى ربى) بالحفظ والنصرة (سيهدين) طريق النجاة منهم روى ان مؤمن آل فرعون كان بين يدى موسى فقال اين أمرت فهذا البحر امامك وقد غشيك آل فرعون قال امرت بالبحر ولعلى اومر بما اصنع (فأوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر) القلزم او النيل (فانفلق) اى فضرب فانفلق وصار اثنى عشر فرقا بينها مسالك (فكان كل فرق كالطود العظيم) كالجبل المنيف الثابت فى مقره فدخلوا فى شعابها كل سبط فى شعب (وأزلفنا) وقربنا (ثم الآخرين) فرعون وقومه حتى دخلوا على اثرهم مداخلهم (وانجينا موسى ومن معه اجمعين) بحفظ البحر على تلك الهيئة الى ان عبروا (ثم اغرقنا الآخرين) باطباقه عليهم (ان فى ذلك لآية) وأية آية (وماكان اكثرهم مؤمنين) وماتنبه عليها اكثرهم اذلم يؤمن بها احد ممن بقى فى مصر من القبط وبنو

من سرى ﴾ يعنى ان سرى واسرى لغتان بمعنى يقال سرى يسرى بالكسر سرى بالضم وسرى بالفتح واسرى ايضا اى سار ليلا روى انه مات فى تلك الليلة فى كل بيت من بيوت القبط ولد فاشتغلوا بموتاهم حتى خرج موسى بقومه وروى ان الله تعالى اوحى الى موسى ان اجمع بنى اسرآئيل كل اربعة ابيات فى بيت ثم اذبحوا الجدأ واضربوا بدمائها على ابوابكم فانى آمر الملائكة ان لايدخلوا بيتا على بابه دم وسآمرهم بقتل اولاد القبط واخبزوا خبزا فطيرا فانه اسرع لكم والفطير خلاف العجين اى الذى لايختمر وكل شئ اعجلته عن ادراكه فهو فطير ثم اسر بعبادى حتى تنتهى الى البحر فيأتيك أمرى وموسى لايشعر به ﴿ قوله لفاعلون مايغيظنا ﴾ اى مايغضبنا يقال غاظه واغاظه وغيظه اذا اغضبه والاوّل اشهر واكثر واختلف فى الفعل الذى غاظهم وضاقت به صدورهم فقيل ان قوم موسى قالوا لقوم فرعون ان لنا فى هذه الليلة عيدا فاستعاروا حليهم وحللهم بهذا السبب ثم خرجوا بتلك الاموال فى الليل الى جانب البحر فرادهم بالفعل الذى غاظهم ما اخذوه من العوارى وقيل المراد به خروجهم من عبودية فرعون واستقلالهم بانفسهم وقيل المراد به مخالفتهم فى الدين وخروجهم عنه ﴿ قوله المؤدى فى السلاح ﴾ بالهمزة اسم فاعل من آدى الرجل اى قوى من جهة الاداة والسلاح ﴿ قوله بان خلقنا داعية الخروج ﴾ يعنى انهم وان خرجوا باختيارهم الا انه اسند الاخراج اليه تعالى اسنادا مجازيا من حيث انه تعالى خلق فى قلوبهم داعية الخروج فاستلزمت الداعية الفعل وهو الخروج من جنات اى بساتين كانت لهم وعيون اى انهار جارية وكنوز اى الاموال الظاهرة من الذهب والفضة ونحوهما سماها كنوزا لان مالم يؤدّ منه حق الله تعالى كنز وان كان ظاهرا على وجه الارض وما يؤدّى منه حق الله تعالى ليس بكنز وان كان تحت سبع ارضين ويعنى بالمقام الكريم المنازل الحسنة من منازل الامرآء والرؤساء التى تحدق بها الاتباع ﴿ قوله مثل ذلك الاخراج ﴾ يعنى ان محل الكاف اما النصب على انه صفة مصدر محذوف واما الجرّ على انه صفة مقام واما الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف وقرأ العامة فأتبعوهم بقطع الهمزة من اتبعه بمعنى لحقه فالمعنى لحق فرعون وقومه قوم موسى داخلين فى وقت شروق الشمس اى طلوعها على ان مشرقين حال اما من الفاعل او من المفعول او منهما جميعا لان الدخول فى وقت شروق الشمس قائم بهم جميعا يقال تبعه اذا قفا أثره وأتبعه اذا لحقه ﴿ قوله وقرئ لمدّركون ﴾ اى بتشديد الدال وكسر الرآء من الادّراك وهو التتابع فى الهلاك يقال ادّرك الشئ اذا تتابع بعضه بعضا ففنى ومنه قوله تعالى بل ادّارك علمهم فى الآخرة اى جهلوا علم الآخرة قيل الادّراك والتتابع من الاسماء الغالبة فى الهلاك كالداهية والبين والسنة والنكبة والقحط وقوله فانفلق عطف على محذوف والانفلاق والانشقاق اى فانشق البحر وتفرّق اثنى عشر فرقا اى طريقا لكل سبط منهم طريق وقام الماء عن يمين الطريق وعن يساره كالجبل العظيم كما قال تعالى كل فرق كالطود العظيم والطود الجبل وعظمه لارتفاعه طولا نحو السماء ﴿ قوله وقربنا ﴾ وقيل جمعنا ومنه ليلة المزدلفة اى ليلة الجمع وثم وثمة ظرف مكان بعيد والمراد بذلك المكان حيث انفلق البحر والآخرين مفعول ازلفنا والمعنى قربناهم من بنى اسرآئيل او قربنا بعضهم من بعض وجمعناهم حتى لاينجو منهم احد أو قدمناهم البحر روى ان جبريل كان بين بنى اسرآئيل وبين آل فرعون فكان يقول لبنى اسرآئيل ليلحق آخركم باوّلكم ويستقبل القبط ويقول رويدكم ليلحق آخركم اوّلكم وروى ان موسى قال عند ذلك يامن كان قبل كل شئ والمكوّن لكل شئ والكائن بعد كل شئ اجعل لنا مخرجا وهذا معجز عظيم من وجوه احدها انفراق ذلك الماء وثانيها اجتماع ذلك الماء فرقا كل فرق كالجبل العظيم وثالثها انه ثبت فى الخبر انه تعالى أرسل على فرعون وقومه من الرياح والظلمة ماحيرهم فاحتبسوا القدر الذى تكامل فيه عبور بنى اسرآئيل ورابعها ان الله تعالى جعل فى تلك الجدران المائية كوى ينظر منها بعضهم الى بعض وخامسها ان ابقى الله تلك المسالك حتى قرب آل فرعون ان يتخلصوا من البحر كما تخلص موسى عليه الصلاة والسلام فجعل الله ذلك البحر طريقا يبسا لبنى اسرآئيل حتى خرجوا منه سالمين واغرق فرعون ومن معه فانه لما تكامل دخولهم فى البحر انطبق الماء عليهم فغرقوا اجمعين ﴿ قوله وأية آية ﴾ يعنى ان التنكير فى قوله لآية للتعظيم والتفخيم وفيه تسلية النبى عليه الصلاة والسلام لانه قد يغتم قلبه المنير بتكذيب قومه مع ظهور المعجزات على يديه فذكر له امثال هذه القصص ليقتدى بمن قبله من الانبياء فى الصبر على عناد قومه والانتظار لمجئ الفرج ﴿ قوله وبنو اسرآئيل بعدما نجوا ﴾ مبتدأ وسألوا بقرة خبره يعنى بعدما نجوا من الغرق ارتد اكثرهم وماداموا على الايمان يريدان ضمير

(واتل عليهم) على مشركى العرب
(نبأ ابراهيم اذ قال لأبيه وقومه ماتعبدون)
سألهم ليريهم انّ ما يعبدونه لايستحق
العبادة (قالوا نعبد اصناما فنظل لها عاكفين)
فاطالوا جوابهم بشرح حالهم معه تبجحا به
وافتخارا ونظل ههنا بمعنى ندوم وقيل
كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل (قال
هل يسمعونكم) يسمعون دعاءكم او يسمعونكم
تدعون فحذف ذلك لدلالة (اذ تدعون)
عليه وقرئ يسمعونكم اى يسمعونكم
الجواب عن دعائكم ومجيئه مضارعا مع
اذ على حكاية الحال الماضية استحضارا لها
(او ينفعونكم) على عبادتكم لها
(او يضرّون) من اعرض عنها (قالوا بل
وجدنا آباءنا كذلك يفعلون) اضربوا عن
ان يكون لهم سمع او يتوقع منهم ضرّ او نفع
والتجأوا الى التقليد (قال أفرأيتم ماكنتم
تعبدون انتم وآباؤكم الاقدمون) فان
التقدّم لايدل على الصحة ولا ينقلب به
الباطل حقا (فانهم عدوّلى) يريد انهم
اعدآء لعابديهم من حيث انهم يتضرّرون
من جهتهم فوق مايتضرّر الرجل من جهة
عدوّه او ان المغرى بعبادتهم اعدى
اعدآئهم وهو الشيطان لكنه صوّر الامر
فى نفسه تعريضا لهم فانه انفع فى النصح
من التصريح واشعارا بانها نصيحة بدأبها
نفسه ليكون ادعى الى القبول وافراد
العدوّ لانه فى الاصل مصدر او بمعنى النسب
(الارب العالمين) استثناء منقطع او متصل
على ان الضمير لكل معبود عبدوه وكان
من آبائهم من عبد الله (الذى خلقنى
فهو يهدين) لانه يهدى كل مخلوق لما خلق
له من امور المعاش والمعاد كما قال والذى
قدّر فهدى هداية مدرّجة من مبدأ ايجاده
الى منتهى اجله يتمكن بها من جلب المنافع
ودفع المضارّ مبدأها بالنسبة الى الانسان
هداية الجنين الى امتصاص دم الطمث من
الرحم ومنتهاها الهداية الى طريق الجنة
والتنعم بلذآئذها والفاء للسببية ان جعل
الموصل مبتدأ وللعطف ان جعل صفة
رب العالمين

اكثرهم يعود الى من عاين هذه الآية العظيمة وأشاع امرها فيما بينهم سوآء كان من القبط او من بنى اسرآئيل ويجوز ان يكون الضمير فيه راجعا الى القبط خاصة فانه روى انه لم يؤمن من اهل مصر غير امرأة فرعون وحزقيل من آل فرعون ابن عمه ومريم بنت ناموسا التى دلت على عظام يوسف فان موسى عليه الصلاة والسلام لما اسرى بنى اسرآئيل من مصر اراد ان يأخذ معه جسد يوسف فلم يجد من يعرف قبره سوى تلك المرأة ﴿ **قوله** سألهم ﴾ مع انه عليه الصلاة والسلام يعلم انهم عبدة الاصنام فقال اىّ شئ تعبدون لينبههم على ضلالهم وكان يكفيهم فى الجواب ان يقولوا اصناما كقوله ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو اى ينفقون العفو الا انهم اطالوا جوابهم بان زادوا قولهم نعبد ولم يقتصروا على زيادته بل زادوا ايضا قولهم فنظل لها عاكفين فانه كان يكفيهم فى الجواب ان يقولوا نعبد اصناما فلم يقتصروا عليه بل عطفوا عليه فنظل لها عاكفين اظهارا لما فى نفوسهم من الابتهاج والافتخار بعبادة الاصنام والتبجح بتقديم الجيم على الحاء الفرح يقال بجحته انا تبجيحا فبجح اى فرّحته ففرح ويقال ظللت اعمل كذا بالكسر ظلولا اذا عملت بالنهار دون الليل والظاهر ان عبادتهم الاصنام لاتختص بالنهار فلذلك قالوا فنظل ههنا بمعنى ندوم ﴿ **قوله** يسمعون دعاءكم او يسمعونكم تدعون ﴾ يعنى ان حق يسمعون ان يتعدّى الى مفعول واحد من قبيل الاصوات المسموعة نحو سمعت كلامك وسمعت حديث زيد او يتعدّى الى مفعولين اوّلهما من قبيل الجواهر العينية وثانيهما من قبيل الاصوات المسموعة نحو سمعت زيدا يقرأ ولايجوز سمعت زيدا ولا سمعت زيدا يقوم لان القيام ليس مما يسمع وقوله يسمعونكم من قبيل سمعت زيدا فلابدّ ان يحمل على تقدير المضاف او على تقدير المفعول الثانى الذى يكون من قبيل المسموعات ﴿ **قوله** ومجيئه مضارعا ﴾ جواب عما يقال ان كلمة اذ ظرف لما مضى والزمان الماضى لايكون ظرفا لما سيكون فالظاهر ان يقال هل سمعوا دعاءكم وأسمعوكم الجواب اذ دعوتموهم * وتقرير الجواب ان اصل الكلام ماقلتم الا انه عدل الى لفظ المضارع على حكاية الحال الماضية ومعناها استحضروا الاحوال الماضية التى كنتم تدعونها فيها وقولوا هل سمعوا واسمعوا اذ دعوتموهم وتقرير الحجة التى ذكرها ابراهيم لابيه وقومه ان من عبد غيره لابدّ ان يلتجئ اليه فى قضاء حاجته وان المعبود لابدّ ان يكون عارفا مراده ويسمع دعاءه ثم يستجيب له فى جلب منفعة او دفع مضرّة فقال عليه الصلاة والسلام لهم اذا كان الذى تعبدونه ساقطا عن هذه المنزلة بالكلية كيف تعبدونه فعند قيام هذه الحجة الباهرة لم يجد قومه مايدفعون به حجته فتمسكوا بالتقليد فقالوا وجدنا آباءنا كذلك يفعلون اى وجدناهم يفعلون مثل فعلنا على انّ كذلك منصوب بيفعلون ويفعلون مفعول ثان لوجدنا ولما كان خلاصة جوابهم أنا وافقنا آباءنا فيما ثبت بطلانه بما اقمته من الحجة قال لهم ابراهيم افرأيتم ماكنتم تعبدون انتم وآباؤكم الاقدمون فان الباطل لاينقلب حقا بكثرة فاعليه وكونه دأبا قديما ثم انه عليه الصلاة والسلام ترقى فى تخطئتهم فقال انّ ما كنتم تعبدون اعدآء لعابديهم فضلا عن ان ينفعوهم او يضرّوهم فانهم يتبرّأون من عبدتهم ويضادّونهم كما قال تعالى واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدّا ﴿ **قوله** من حيث انهم يتضرّرون من جهتهم ﴾ جواب عما يقال كيف وصف الاصنام بالعداوة وهنّ جمادات لاتتصوّر العداوة منهنّ يعنى انها شبهت بالعدوّ من حيث كونها سببا للحوق المضرّة بهم فسميت عدوّا على سبيل الاستعارة * وتقرير الجواب الثانى انها وصفت بالعداوة لكون السبب الحامل على عداوتها اعدى عدوّ الانسان وهو الشيطان فهو من قبيل الاسناد المجازى حيث اسند وصف السبب الحامل الى مسببه ﴿ **قوله** استثناء منقطع ﴾ لكونه تعالى غير داخل فيما يرجع اليه ضمير انهم وهو ماكان قومه يعبدون والمعنى لكن رب العالمين الذى شأنه كذا وكذا هو المستحق للعبادة ولم يذكر المفعول به الغير الصريح لقوله يهدين ليعم كل ماهداه الله تعالى اليه من امور المعاش والمعاد كما اشار اليه بقوله لانه يهدى كل مخلوق لما خلق له من امور المعاش والمعاد وقوله الذى خلقنى يحتمل ان يكون فى محل الرفع على الابتدآء فحينئذ يكون مبتدأ ثانيا ويهدين خبره والجملة خبر الاوّل دخلت الفاء فى خبره لتضمن المبتدأ معنى الشرط وقوله والفاء للسببية ان جعل الموصول مبتدأ لايخلو عن بعد لان المقصود ههنا معين ليس بعام كما فى قولك الذى يأتينى فله درهم لان الصلة ليست مما يحتمل صدوره من المتعدد فلاتشبه الشرط فالظاهر ان يقال ان جعل الموصول مبتدأ تكون زيادة الفاء فى خبره مبنية على ماذهب اليه الاخفش من جواز زيادة الفاء فى الخبر مطلقا نحو زيد فاضربه ويحتمل ان يكون فى محل النصب على انه صفة

رب العالمين فتكون الفاء لعطف الجملة الاسمية على خلقني لتدل على ان هداية الله الى كل مايحتاج اليه فى امر معاشه ومعاده متعلقة به على سبيل التجدّد والاستمرار من حين ان خلقه الله فنفخ فيه الروح الى ابد الآباد والافن هداه الى ان تغذى بالدم فى بطن امّه امتصاصا ومن هداه الى خروجه منها منكسا رأسه والى معرفة الثدى عند الارتضاع والى معرفة البكاء عند الحاجة الى الغذآء اوعند حدوث الالام والادوآء الى غير ذلك من هدايات المعاش والمعاد ﴿قوله فيكون اختلاف النظم﴾ يعنى قال خلقني بلفظ الماضى لان خلقه قد وقع على وجه لايتجدد فى الدنيا بل لماوقع بقى الى الامد المعلوم وقال فهو يهدين بلفظ المستقبل لان الهداية مما يتجدّد كل حين ﴿قوله تعالى والذى هو يطعمنى ويسقين﴾ اضاف الاطعام الى ولىّ الانعام لان الركون الى الاسباب عادة الانعام وليس الاطعام والسقى عبارتين عن مجرّد خلق الطعام والشراب له وتمليكهما اياه بل يدخل فيهما اعطاء جميع مايتوقف الانتفاع بالطعام والشراب عليه كالشهوة وقوّة المضغ والابتلاع والهضم والدفع ونحو ذلك واقتصر على ذكر الطعام والشراب من جملة مايتوقف عليه انتظام حاله فى الدنيا ونبه بذكرهما على ماعداهما قيل تقديم كلمة هو فى هذه الصلات دليل على انه لايهدى ولايطعم ولايسقى ولايمرض ولايشفى الاالله وحده وذلك انهم كانوا يقولون المرض من الزمان والاغذية والشفاء من الاطباء والادوية فأعلم ابراهيم ان المؤثر فى جميع ذلك ليس الارب العالمين ﴿قوله ان الصحة والمرض فى الاغلب يتبعان المأكول والمشروب﴾ فان البطنة تورث الاسقام والاوجاع والحمية اصل الراحة والسلامة وعليه بنى الشاعر قوله

* عدوّك من صديقك مستفاد * فلا تستكثرنّ من الصحاب *
* فان الدآء اكثر ماتراه * يكون من الطعام او الشراب *

وقالت الحكماء لو قيل لاكثر الموتى ماسبب انقطاع آجالكم لقالوا التخم وفى الحكمة ليس للبطنة خير من خمصة تتبعها ﴿قوله وانما لم ينسب المرض اليه﴾ ولم يقل واذا امرضنى مع ان المرض والشفاء كلاهما من الله تعالى لان مقصود ابراهيم تعديد النعم ولما لم يكن المرض من النعم لاجرم لم يضفه اليه تعالى * ولما ورد على هذا الجواب ان يقال الاماتة اشدّ من المرض وقد اسندها عليه الصلاة والسلام اليه تعالى حيث قال والذى يميتنى ثم يحيين * اجاب عنه بأنا لانسلم انها اشدّ من المرض بل ليس فيها ضرر اصلا لان الضرر ما يتأذى الانسان باحساسه وحال حصول الموت لايقع الاحساس به وانما الضرر فى مقدّماته وهى عين المرض ثم ترقى فى الجواب وقال بقاء النفوس الزكية والارواح الطاهرة الكاملة فى العلوم والاخلاق المرضية فى هذه الاجساد عين الضرر فى حقهم فخلاصهم منها عين السعادة لهم بخلاف المرض فكان نعمة عظيمة فى حقهم فلذلك اضافه اليه تعالى ﴿قوله ولان المرض﴾ عطف على قوله لان مقصوده تعديد النعم اى لم ينسب المرض اليه تعالى لكونه فى غالب الامر يحدث بتقصير الانسان ولما كان للانسان سببية ظاهرة فى حدوث المرض نسب اليه وان كان الكل من عندالله وايضا لما كان حدوث المرض باستيلاء بعض الاخلاط على بعض من حيث انها كانت مكيفة بكيفيات متضادّة كان بينها تنافر طبعا وذلك التنافر يستدعى استيلاء بعضها على بعض المستلزم لبطلان الاعتدال النوعى وسوء المزاج هو المرض فكان حدوث المرض مستندا الى الانسان وتنافر أخلاطه فلذلك اسند اليه بخلاف الصحة فانها انما تحصل عند بقاء الاخلاط على الاجتماع على الوجه الخاص المسمى بالاعتدال النوعى وذلك الاجتماع والاعتدال وكذا عود الاخلاط اليهما بعد طريان سوء المزاج انما يكون بسبب قاهر يقهرها عليهما من حيث انها بطباعها مائلة الى التفرق واستيلاء بعضها على بعض والسبب القاهر هو الله فلذلك اسندت الصحة والشفاء اليه واسند المرض الى العبد ﴿قوله قهرا﴾ منصوب على المصدرية لقوله باستحفاظ لانه نوع من الحفظ والاستحفاظ ابلغ من الحفظ فان استفعل قد يكون بمعنى فعل نحو طاف واستطاف ﴿قوله كمالا فى العلم والعمل﴾ اى زيادة على مااعطيتنى من الحكمة وهى العلم الذى يفضى الى العمل بمقتضاه فان من يعلم شيأ ولايأتى بما يناسب علمه لايقال له حكيم ﴿قوله وحسن صيت﴾ الصيت الذكر الجميل الذى ينشر فى الناس دون القبيح عبر عن الثناء الحسن والقبول العام فى الامم التى تجيئ بعده الى يوم القيامة باللسان لكون اللسان سببا فى ظهوره وانتشاره وبقاء الذكر الجميل على ألسنة العباد الى آخر الدهر دولة عظيمة من حيث كونه دليلا على رضى الله ومحبته للعبد فانه تعالى اذا احب عبدا يلقى محبته الى اهل السموات والارض فتحبه الخلائق كافة حتى الحيتان فى البحر

فيكون اختلاف النظم لتقدّم الخلق واستمرا
الهداية وقوله (والذى هو يطعمنى ويسقين
على الاوّل مبتدأ محذوف الخبر لدلا
ماقبله عليه وكذا اللذان بعده وتكرير
الموصول على الوجهين للدلالة على ان كل
واحدة من الصلات مستقلة باقتضاء الحك
(واذا مرضت فهو يشفين) عطفه على
يطعمنى ويسقين لانه من روادفهما من حيث
ان الصحة والمرض فى الاغلب يتبعان
المأكول والمشروب وانما لم ينسب المرض
اليه لان مقصوده تعديد النعم ولا ينتقض
باسناد الاماتة اليه فان الموت من حيث ا
لايحس به لاضرر فيه انما الضرر فى مقدّمات
وهى المرض ثم انه لاهل الكمال وصل
الى نيل المحابّ التى يستحقر دونها الحيا
الدنيوية وخلاص من انواع المحن والبلي
ولان المرض فى غالب الامر انما يحدث
بتفريط من الانسان فى مطاعمه ومشار
وبما بين الاخلاط والاركان من التنا
والتنافر والصحة انما تحصل باستحفا
اجتماعها والاعتدال المخصوص عليه
قهرا وذلك بقدرة العزيز الحكيم (والذى
يميتنى ثم يحيين) فى الآخرة (والذى اطم
ان يغفرلى خطيئتى يوم الدين) ذكر ذلك
هضما لنفسه وتعليما للامة ان يجتنبوا المعاصى
ويكونوا على حذر وطلب لان يغفرله
مايفرط منهم واستغفارا لما عسى يندر منه
من الصغائر وحمل الخطيئة على كلماته الثلاث
انى سقيم بل فعله كبيرهم وقوله هى اختى
ضعيف لانها معاريض وليست خطا
(رب هب لى حكما) كمالا فى العلم والعمل
استعدّ به خلافة الحق ورياسة الخلق
(وألحقنى بالصالحين) ووفقنى لكمال
فى العمل لانتظم به فى عداد الكاملين
فى الصلاح الذين لايشوب صلاحهم كبير
ذنب ولا صغيره (واجعل لى لسان صدق
فى الآخرين) جاها وحسن صيت فى الدنيا
يبقى اثره الى يوم الدين ولذلك مامن امّة
الا وهم محبون له مثنون عليه

او صادقا من ذريتي يجدد اصل ديني و يدعو
الناس الى ما كنت ادعوهم اليه وهو محمد
صلوات الله وسلامه عليه (واجعلني
من ورثة جنة النعيم) في الآخرة وقد مرّ
معنى الوراثة فيها (واغفر لابي) بالهداية
والتوفيق للايمان (انه كان من الضالين)
طريق الحق وان كان هذا الدعاء بعد موته
فلعله كان لظنه انه كان يخفي الايمان تقية من
نمرود ولذلك وعده به اولانه لم يمنع بعد
من الاستغفار للكفار (ولا تخزني) بمعاتبتي
على ما فرّطت اوبنقص رتبتي عن رتبة
بعض الورّاث او بتعذيبي لخفاء العاقبة
وجواز التعذيب عقلا او بتعذيب والدي
او ببعثه في عداد الضالين وهو من الخزي
بمعنى الهوان او من الخزاية بمعنى الحياء
(يوم يبعثون) الضمير للعباد لانهم معلومون
او للضالين (يوم لا ينفع مال ولا بنون الا
من اتى الله بقلب سليم) اي لا ينفعان احدا
الا مخلصا سليم القلب من الكفر وميل
المعاصي وسائر آفاته او لا ينفعان الا مال
من هذا شأنه وبنوه حيث انفق ماله في سبيل
البرّ وأرشد بنيه الى الحق وحثهم على الخير
وقصد بهم ان يكونوا عباد الله مطيعين
شفعاء له يوم القيامة وقيل الاستثناء مما دل عليه
المال والبنون اي لا ينفع غنى الا غناه وقيل
منقطع والمعنى ولكن سلامة من اتى الله
بقلب سليم تنفعه (وازلفت الجنة للمتقين)
بحيث يرونها من الموقف فيتبجحون بانهم
المحشورون اليها (وبرّزت الجحيم للغاوين)
فيرونها مكشوفة ويتحسرون على انهم
المسوقون اليها وفي اختلاف الفعلين ترجيح
لجانب الوعد (وقيل لهم اين ما كنتم تعبدون
من دون الله) اين آلهتكم الذين تزعمون
انهم شفعاؤكم (هل ينصرونكم) بدفع
العذاب عنكم (او ينتصرون) بدفعه عن
انفسهم لانهم وآلهتهم يدخلون النار كما قال
(فكبكبوا فيها هم والغاوون) اي الالهة
وعبدتهم والكبكبة تكرير الكبّ لتكرير
معناه كأن من ألقي في النار ينكب مرة بعد
اخرى حتى يستقر في قعرها

والطيور في الهواء ﴿قوله او صادقا من ذريتي﴾ فيكون ذكر اللسان من قبيل تسمية الكل باسم جزئه فيكون
الآية نظير قوله تعالى حكاية عنه عليه الصلاة والسلام ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب
والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال سأخبركم باوّل امري
انا دعوة ابراهيم وبشارة عيسى ورؤيا امي التي رأت حين وضعتني وقد خرج لها نور اضاءت لها منه قصور الشام
﴿قوله وقد مرّ معنى الوراثة فيها﴾ وهو ان تشبه الجنة التي استحقها العامل بعد فناء عمله بالميراث الذي استحقه
الوارث بعد فناء مورثه فيطلق عليها اسم الميراث وعلى استحقاقها اسم الوراثة وعلى العامل اسم الوارث ﴿قوله
واغفر لابي بالهداية والتوفيق للايمان﴾ فانه يجوز الاستغفار للاحياء من المشركين لان المغفرة مشروطة
بالايمان وطلب المشروط يتضمن طلب شرطه فيكون الاستغفار لاحيائهم كناية عن طلب توفيقهم للايمان والذين
لا يجوز هذا الاستغفار لهم هم من تبين انهم اصحاب الجحيم بان ماتوا على الكفر وان كان هذا الاستغفار منه
بعد موت ابيه كان لظنه انه قد آمن باطنا وان كان على دين نمرود ظاهرا خوفا منه ولظنه هذا قد وعد اباه ان
يستغفر له فلعله حيث قال لأستغفرنّ لك وان جاز ان يكون معناه لأطلبنّ مغفرتك بالتوفيق للايمان فانه يجب
ما قبله ولا وجه لان يقال قوله ولذلك وعده به معناه ان اباه وعد ابراهيم بالايمان لانه روي ان اباه وعده به يوم فارقه
الا انه لا يناسب هذا المقام * قال الامام ان اباه قال له انه كان على دينه باطنا وعلى دين نمرود ظاهرا تقية وخوفا
فدعا له بالمغفرة لاعتقاده ان الامر كذلك فلما تبين له خلاف ذلك تبرأ منه ولذلك قال في دعائه انه كان من
الضالين فلولا اعتقاده فيه انه في الحال ليس بضال لما قال ذلك انتهى وحاصله انه دعا لابيه حال حياته بالمغفرة
على اعتقاد انه مؤمن باطنا وان قوله انه كان من الضالين معناه انه كان فيما مضى من المشركين وعلى تقدير كون
معنى الاستغفار لابيه طلب توفيقه للايمان يكون معنى قوله انه كان من الضالين انه من المشركين في
الحال كما في قوله كيف نكلم من كان في المهد صبيا فان كان فيه زائدة للتأكيد والمعنى من هو صبيّ في الحال
﴿قوله ولا تخزني بمعاتبتي على ما فرّطت﴾ حمل دعاءه عليه الصلاة والسلام بترك الاخزاء على الدعاء بترك
المعاتبة على ما وقع منه مما هو من قبيل ترك الاولى كما هو المراد من الخطيئة في قوله أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين بخلاف
ما لو حمل على ترك المعاتبة فان مغفرة الخطيئة لا تستلزم ترك المعاتبة فلذلك افرد الدعاء بتركها بعد ذكر مغفرة
الخطيئة ثم جوّز ان يكون المراد منه الدعاء بترك تعذيبه بناء على ان قوله اطمع ان يغفر لي مبني على الدلائل الدالة
على كون الانبياء معصومين مأمونين من سوء العاقبة وان دعاءه بترك تعذيبه يوم البعث مبني على انه لا يجب
على الله تعالى لأحد شيء وانه يحسن منه كل شيء ولا اعتراض لأحد عليه في شيء من افعاله فتكون العاقبة خفية
من هذا الوجه مع جواز التعذيب لان حسنات الابرار سيئات المقربين فكذا درجات الابرار دركات المقربين
وتخزي كل واحد بما يليق به * الجوهري خزي بالكسر يخزى خزيا اي ذل وهان وخزي ايضا يخزى خزاية اي
استحيى وتخجل فهو خزيان وهي خزيا وهم خزايا ﴿قوله اي لا ينفعان احدا الا مخلصا﴾ على ان يكون مفعول
لا ينفع محذوفا وهو قوله احدا وتكون من نكرة موصوفة في محل النصب على انها بدل من المفعول المحذوف
او على الاستثناء المتصل منه ﴿قوله او لا ينفعان الا مال من هذا شأنه﴾ على ان يكون الا من اتى الله بدلا من
فاعل ينفع بتقدير مضاف قبل من اتى ﴿قوله اي لا ينفع غنى الا غناه﴾ فان المال والبنين لكونهما من اسباب
الغنى يمكن ان يراد بهما معنى الغنى مجازا مرسلا ثم يستثنى من جنس الغنى غنى من اتى الله بقلب سليم بناء
على ادخال سلامة القلب في جنس الغنى لاشتراكهما في التأدية الى سعة الحال وقطع الاحتياج لانه من سلم
قلبه من الشرك والمعاصي والاخلاق الذميمة يكون قلبه منورا بنور اليقين والتوكل والاعتماد على ضمان الله
وكفالته فلا يحتاج الى احد سواه ويؤيده ما روي انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو علمنا اي المال خيرا
لاتخذناه فقال عليه الصلاة والسلام * افضله لسان ذاكر وقلب شاكر وزوجة صالحة تعين المؤمن على ايمانه *
وقوله يوم لا ينفع بدل من يوم يبعثون وقوله وازلفت الجنة عطف على قوله يبعثون كأنه قيل ويوم ازلفت وقوله
وقيل لهم اي وقيل للغاوين على جهة التقريع والتوبيخ اين آلهتكم التي كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم
بدفع العذاب عنكم او ينتصرون ويمتنعون عنه بانفسهم وباب افتعل هنا مطاوع فعل ثم رميهم فيلقون في النار
فذلك قوله تعالى فكبكبوا فيها هم اي الالهة والغاوون ﴿قوله تكرير الكب﴾ اي تكرير عينه بنقله الى باب

(قالوا وهم فيها يختصمون تالله ان كنا لفي ضلال مبين) على ان الله ينطق الاصنام فتخاصم العبدة ويؤيده الخطاب في قوله (اذ نسويكم برب العالمين) اي في استحقاق العبادة ويجوز ان تكون الضمائر للعبدة كما في قالوا والخطاب للمبالغة في التحسر والندامة والمعنى انهم مع تخاصمهم في مبدأ ضلالهم معترفون بانهم كانوا في الضلالة متحسرون عليها (وما اضلنا الا المجرمون فما لنا من شافعين) كما للمؤمنين من الملائكة والانبياء (ولا صديق حميم) اذ الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين او فما لنا من شافعين ولا صديق حميم من نعدهم شفعاء واصدقاء او وقعنا في مهلكة لا يخلصنا منها شافع ولا صديق وجمع الشافع ووحدة الصديق لكثرة الشفعاء في العادة وقلة الصديق ولان الصديق الواحد يسعى اكثر مما يسعى الشفعاء او لاطلاق الصديق على الجمع كالعدو لانه في الاصل مصدر كالحنين والصهيل (فلو ان لنا كرة) تمنى لرجعة واقيم فيه لو مقام ليت لتلاقيهما في معنى التقدير او شرط حذف جوابه (فنكون من المؤمنين) جواب التمنى او عطف على كرة اي لو أنّ لنا ان نكرّ فنكون (ان في ذلك) اي فيما ذكر من قصة ابرهيم (لآية) لحجة وعظة لمن اراد ان يستبصر بها ويعتبر فانها جاءت على أنظم ترتيب واحسن تقرير يتفطن المتأمل فيها لغزارة علمه لما فيها من الاشارة الى اصول العلوم الدينية والتنبيه على دلائلها وحسن دعوته للقوم وحسن مخالقته معهم وكمال اشفاقه عليهم وتصوّر الامر في نفسه واطلاق الوعد والوعيد على سبيل الحكاية تعريضا وايقاظا لهم ليكون أدعى لهم الى الاستماع والقبول (وما كان اكثرهم) اكثر قومه (مؤمنين) به (وان ربك لهو العزيز) القادر على تعجيل الانتقام (الرحيم) بالامهال لكي يؤمنوا هم او احد من ذرّيتهم (كذبت قوم نوح المرسلين) القوم مؤنثة ولذلك تصغر على قويمة وقدمرّ الكلام في تكذيبهم المرسلين (اذ قال لهم اخوهم نوح) لانه كان منهم (ألا تتقون) الله فتتركوا عبادة غيره (اني لكم رسول امين) مشهور بالامانة فيكم (فاتقوا الله واطيعون) فيما آمركم به من التوحيد والطاعة لله (وما أسألكم عليه) على ما انا عليه من الدعاء والنصح (من اجر ان اجري الا على رب العالمين فاتقوا الله واطيعون) كرره للتأكيد والتنبيه على دلالة كل واحد من امانته وحسم طمعه على وجوب طاعته فيما يدعوهم اليه فكيف اذا اجتمعا (قالوا أنؤمن لك واتبعك الارذلون) الاقلون جاها ومالا جمع الارذل على الصحة وقرأ يعقوب وأتباعك وهو جمع تابع كشاهد وأشهاد أو تبع كبطل وابطال وهذا من سخافة عقلهم وقصور رأيهم على الحطام الدنيوية حتى جعلوا اتباع المقلين فيما انعاعن اتباعهم وايمانهم بما يدعوهم اليه دليلا على بطلانه واشاروا بذلك الى ان اتباعهم ليس عن نظر وبصيرة وانما هو لتوقع مال ورفعة فلذلك (قال وما علمي بما كانوا يعملون) انهم عملوه اخلاصا او طمعا في طعمة وما على الا اعتبار الظاهر (ان حسابهم الا على ربي) ما حسابهم على بواطنهم الا على الله فانه المطلع عليها (لو تشعرون) لعلمتم ذلك ولكنكم تجهلون فتقولون ما لا تعلمون (وما انا بطارد المؤمنين) جواب لما اوهم قولهم من استدعاء طردهم وتوقيف ايمانهم عليه حيث جعلوا اتباعهم المانع عنه وقوله (ان انا الا نذير مبين) كالعلة له اي ما انا الا رجل مبعوث لانذار المكلفين عن الكفر والمعاصي سواء كانوا اعزاء او اذلاء فكيف يليق بي طرد الفقراء لاستتباع الاغنياء او ما عليّ الا انذاركم انذارا بينا بالبرهان الواضح ولا عليّ ان اطردهم لاسترضائكم (قالوا لئن لم تنته يانوح) عما تقول (لتكوننّ من المرجومين) من المشتومين او المضروبين بالحجارة (قال رب ان قومي كذبون) اظهارا لما يدعو عليهم لاجله وهو تكذيب الحق لا تخويفهم له واستخفافهم عليه (فافتح بيني وبينهم فتحا) فاحكم بيني وبينهم من الفتاحة (ونجني ومن معي من المؤمنين) من قصدهم او شؤم عملهم (فأنجيناه ومن معه في الفلك المشحون) المملوء (ثم أغرقنا بعد) بعد انجائه (الباقين) من قومه (ان في ذلك لآية) شاعت وتواترت (وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت عاد المرسلين) انثه باعتبار القبيلة وهو في الاصل اسم ابيهم

التفعيل لتكثير الفعل والكب الطرح والالقاء منكوسا يقال كببت الاناء اكبه كبا اذا قلبته فاصل كبكبوا كببوا فاستثقل اجتماع الباآت فابدلت الثانية كافا كما في زحزح من زحه يزحه اي نحاه عن موضعه ثم نقل الى باب التفعيل لتكثير الفعل فقيل زححه فابدلت الحاء الثانية زايا فقيل زحزحه اي باعده بجعل التكرير في لفظ كبكب دليلا على التكرير في معناه كأنه اذا ألقي في جهنم ينكب مرة بعد اخرى حتى يبلغ قعرها ﴿قوله اجمعون تأكيد للجنود ان جعل مبتدأ خبره ما بعده﴾ فتكون الضمائر التي في قوله قالوا وهم فيها يختصمون للجنود ايضا اي يختصم الرؤساء منهم والاتباع ويجادل بعضهم بعضا بنحو ماذكر في قوله تعالى فيقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا انتم لكنا مؤمنين الى آخر الآية ﴿قوله او لضمير﴾ اي وان لم يجعل قوله وجنود ابليس مبتدأ يكون اجمعون تأكيدا لضمير كبكبوا وما عطف عليه من الغاوين والجنود ﴿قوله وكذا الضمير المنفصل﴾ اي وكذا يكون الضمير المنفصل في قوله قالوا وهم فيها وما يعود اليه في قوله يختصمون راجعا الى ضمير كبكبوا وما عطف عليه حينئذ اي على تقدير ان لا يكون الجنود مبتدأ لان الاختصام يكون بين هؤلاء المذكورين من الاصنام والعبدة والجنود اي شياطين ابليس وهم ذرّيته الذين اضلوا بني آدم يجادل بعضهم بعضا بان ينطق الله الاصنام فتخاصم العبدة ﴿قوله ويؤيده﴾ اي ويؤيد كون التخاصم بين العبدة والمعبودين بان يرجع الضمير وما يعود اليه الى ضمير كبكبوا وما عطف عليه خطاب المعبودين في قوله نسوّيكم وضمير قالوا للعبدة ﴿قوله ويجوز ان تكون الضمائر﴾ اي الضمير المنفصل وما يعود اليه للعبدة كضمير قالوا ويكون التخاصم لبعض العبدة مع بعض ويكون خطاب الجمادات في قوله اذ نسويكم على وجه الندامة والتحسر من غير ان يحييها الله وينطقها لا على سبيل المخاطبة حقيقة وبعد الاعتراف بالانهماك في الضلال عن الهدى يقولون وما اضلنا الا المجرمون اي الشياطين وقيل اي الاولون الذين اقتدينا بهم وقيل كل من دعانا الى عبادة الاصنام من الجنّ والانس قال تعالى حكاية عنهم ربنا انا اطعنا سادتنا وكبرآءنا فأضلونا السبيلا ﴿قوله تعالى اذ نسوّيكم برب العالمين﴾ ظرف للاستقرار الذي تعلق به كلمة في في قوله لفي ضلال وقوله او فما لنا من شافعين ولا صديق حميم ممن نعدّهم الفرق بين الاوجه الثلاثة ان المنفي في الوجه الاوّل مطلق الشفيع والصديق وفي الثاني شفاعة اشخاص معدودين مخصوصين وصداقتهم ممن عدّوهم شفعاء واصدقاء وفي الثالث ما نفوا نفس الاصدقاء والشفعاء ولا شفاعتهم وصداقتهم وانما نفوا نفعهما على سبيل الكناية من حيث ان ما لا نفع له في حكم المعدوم ﴿قوله كالحنين﴾ مصدر حنّ اليه يحن حنينا اي اشتاق اليه فالحنين هو الشوق وتوقان النفس والصهيل صوت الفرس يقال صهل الفرس يصهل بالكسر صهيلا ﴿قوله لتلاقيهما في معنى التقدير﴾ اي تقدير المعدوم وفرضه فان معنى ليت لي مالا تقدير المعدوم كما ان المعنى في قولك لو كان كذا لكان كذا تقدير المعدوم الا انه في التمني مقرون بالطلب وفي لو ليس كذلك ويدل على ان كلمة لو هنا للتمني انه نصب جوابه مع الفاء ويجوز ان تكون على اصلها ويحذف الجواب وهو لفعلنا كيت وكيت ولو وجدنا شفعاء واصدقاء وعلى هذا يكون نصب قوله فنكون بان مضمرة عطفا على كرة كقوله للبس عباءة وتقرّ عيني ﴿قوله تعالى واتبعك الارذلون﴾ جملة حالية من كاف لك باضمار قد والرذالة الخساسة والذلة وانما استرذلوهم لقلة جاههم ومالهم ﴿قوله وايمانهم﴾ معطوف على اتباع المقلين ودليلا معطوف على مانعا اي وجعلوا ايمان المقلين دليلا على بطلان ما يدعوهم نوح اليه ﴿قوله وما علمي﴾ الظاهر ان ما فيه استفهامية في محل الرفع على الابتداء وعلمي خبره ويجوز ان تكون نافية والباء متعلقة بعلمي على التقديرين وعلى الثاني لا بدّ من اضمار الخبر ليتم الكلام ﴿قوله اظهارا لما يدعو عليهم لاجله﴾ يعني ان قوله رب ان قومي كذبون لم يقله نوح افادة له تعالى بمضمون هذا الخبر ولا اعلاما بكونه عالما بمضمونه لعلمه انه تعالى عالم الغيب والشهادة ولكن اراد به اني لا ادعو عليهم لاجل تخويفهم اياي بالرجم واستخفافهم اياي بقولهم واتبعك الارذلون وانما ادعو عليهم لاجلك ولاجل دينك ولانهم كذبوني في وحيك ورسالتك فافتح بيني وبينهم فتحا اي فاقض واحكم بيني وبينهم قضاء حكما من الفتاحة وهي الحكومة والفتاح الحاكم سمي به لفتحه المنغلق من الامر كما سمي فيصلا لفصله بين الخصومات واراد به الحكم بانزال العقوبة لقوله عقيبه ونجني ولولا ان المراد انزال العقوبة لما كان لذكر النجاة بعده معنى وقوله تعبثون جملة حالية من فاعل تبنون والريع بكسر الرآء وفتحها جمع ريعة وهي في اللغة المكان المرتفع وكانوا يبنون في المواضع المرتفعة من الطريق اعلاما

تصدير القصص بها دلالة على ان البعثة مقصورة على الدعاء الى معرفة الحق والطاعة فيمايقرّب المدعوّ الى ثوابه ويبعده عن عقابه وكان الانبياء متفقين على ذلك وان اختلفوا في بعض التفاريع مبرّئين من المطامع الدنية والاغراض الدنيوية (أتبنون بكل ريع) بكل مكان مرتفع ومنه ريع الارض لارتفاعها (آية) علما للمارّة (تعبثون) ببنائها اذ كانوا يهتدون بالنجوم في اسفارهم فلا يحتاجون اليها اوبروج الحمام اوبنيانا يجتمعون اليه للعبث بمن يمرّ عليهم اوقصورا يفتخرون بها (وتتخذون مصانع) مآخذ الماء وقيل قصورا مشيدة وحصونا (لعلكم تخلدون) فتحكمون بنيانها (واذا بطشتم) بسوط اوسيف (بطشتم جبارين) متسلطين غاشمين بلا رأفة ولا قصد تأديب ونظر في العاقبة (فاتقوا الله) بترك هذه الاشياء (واطيعون) فيما ادعوكم اليه فانه انفع لكم (واتقوا الذي امدّكم بما تعلمون) كرّره مرتّبا على امداد الله اياهم بما يعرفونه من انواع النعم تعليلا وتنبيها على الوعد عليه بدوام الامداد والوعيد على تركه بالانقطاع ثم فصل بعض تلك النعم كما فصل بعض مساويهم المدلول عليها اجمالا بالانكار في ألا تتقون مبالغة في الايقاظ والحث على التقوى فقال (امدّكم بانعام وبنين وجنات وعيون) ثم اوعدهم فقال (انى اخاف عليكم عذاب يوم عظيم) في الدنيا والآخرة فانه كما قدر على الانعام قدر على الانتقام (قالوا سوآء علينا أوعظت أم لم تكن من الوعظين) فانا لا نرعوى عما نحن عليه وتغيير شق النفى عما يقتضيه المقابلة للمبالغة في قلة اعدادهم بوعظه (ان هذا الا خلق الاوّلين) ماهذا الذي جئتنا به الا كذب الاوّلين او ما خلقنا هذا الا خلقهم نحيي ونموت مثلهم ولا بعث ولا حساب وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة خلق بضمتين اى ماهذا الذي جئت به الا عادة الاوّلين كانوا يلفقون مثله اوماهذا الذي نحن عليه من الدين الا خلق الاوّلين وعادتهم ونحن بهم مقتدون او ما هذا الذي نحن عليه من الحياة والموت الا عادة قديمة لم يزل الناس عليها (ومانحن بمعذبين) على مانحن عليه (فكذبوه فأهلكناهم) بسبب التكذيب بريح صرصر (ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت ثمود المرسلين اذ قال لهم اخوهم صالح ألا تتقون انى لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم عليه من اجر ان اجرى الا على رب العالمين أتتركون فيما ههنا آمنين) انكار لان يتركوا كذلك او تذكير بالنعمة في تخلية الله اياهم واسباب تنعمهم آمنين ثم فسره بقوله (في جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم) لطيف لين للطف الثمر أو لان النخل انثى طلع اناث النخل ألطف وهو ما يطلع منها كنصل السيف في جوفه شماريخ القنو اومتدل منكسر من كثرة الحمل وافراد النخل لفضله على سائر اشجار الجنات اولان المراد بها غيرها من الاشجار (وتنحتون

طوا الا ليهتدي المارّة بها في أسفارهم فعدّه هود عبثا لاستغنائهم عنها بالنجوم ﴿قوله مآخذ الماء﴾ يعني الحياض واحدها مصنعة ولعل هنا على بابها والمعنى وتتخذونها راجون الخلود وقيل معناها التشبيه اى كأنكم تخلدون اى تبقون فيها خالدين ويؤيده ما في مصحف ابيّ كأنكم تخلدون بضم التاء مخففة ومشدّدة وبخهم اوّلا باضاعتهم المال عبثا بلا فائدة وثانيا باحكامهم البناء على وجه يدل على طول الامل والغفلة اى تتخذونها اتخاذ من يؤمل الخلود فيها ﴿قوله غاشمين﴾ اى ظالمين من الغشم وهو الظلم والبطش السطوة والاخذ بعنف قال ابن عباس اذا ضربتم بالسياط وقتلتم بالسيف وفعلتم فعل الجبارين كان ذلك ظلما وعلوّا بلا رأفة ولا داعية حكمة والجبار الذي يضرب ويقتل على الغضب ﴿قوله وتغيير شق النفى﴾ يعني أنّ المقابلة تقتضي ان يقال ام لم تعظ وهو اخصر من ان يقال ام لم تكن من الواعظين الا انه ترك مقتضى المقابلة وعدل الى الاطول للمبالغة المذكورة فان التسوية بين وعظه اياهم وعدم كونه من اهل الوعظ والنهي ومباشرته اصلا بمنزلة ان يقال سوآء علينا اوعظت ام كنت حجرا صلدا ولاشك انه ابلغ في قلة اعتدادهم بوعظه من ان يقال او عظت ام لم تعظ ولقائل ان يقول انما يكون هذا ابلغ ان لو لم يكن قولنا هو من الواعظين ابلغ من قولنا هو واعظ لكنه ابلغ منه ولهذا قالوا ان قول الزمخشري في خطبة المفصل احمد الله على ان جعلني من علماء العربية ابلغ من ان يقال جعلني عالما بالعربية ويمكن ان يجاب عنه بان المقابلة بين قوله وعظت وقوله ام لم تكن من الواعظين تأبى الحمل على الكمال وتوجب ان يكون المعنى ام لم تكن من الواعظين اى من اهله ومباشريه اصلا ﴿قوله وقرأ نافع﴾ اى وقرأ الباقون وهم ابن كثير وابو عمرو والكسائي خلق الاوّلين بفتح الخاء وسكون اللام وهو اما بمعنى الاختلاق والكذب كما يقال خلق الافك واختلقه اى افتراه ومنه قوله تعالى وتخلقون افكا او بمعنى الخلقة والتكوّن فعلى الاوّل يكون هذا اشارة الى ماجاء به هود عليه الصلاة والسلام وعلى الثاني يكون اشارة الى خلقة القائلين والخلق بضمتين وبواحدة العادة فعلى هذه القرآءة يجوز ان يكون هذا اشارة الى ماجاء به هود وان يكون اشارة الى ماهم عليه من الدين او من الحياة والموت ﴿قوله انكار لان يتركوا كذلك﴾ والمعنى أتظنون انكم تتركون في الذي استقرّ في هذا المكان من النعيم وان لا دار للمجازاة والهمزة للانكار والتوبيخ وعلى الثاني تكون الهمزة لتقرير تخلية الله تعالى اياهم في اسباب تنعمهم آمنين بطريق الامتنان عليهم وعدّ النعمة ﴿قوله ثم فسره﴾ يعني ان قوله فيما ههنا مجمل فصله بقوله في جنات وعيون وزروع كما ان قوله امدّكم بما تعلمون مجمل فصله بقوله امدّكم بانعام وبنين وجنات الخ ﴿قوله لطيف لين﴾ فيكون من الهضم بفتحتين وهو الرقة والهزال * الجوهري الهضم بالتحريك انضمام الجنبين وهو في الفرس عيب يقال لا يسبق اهضم من غاية بعيدة ابدا وكون طلع النخل هضيما قد يكون للطف الثمرة وقد يكون النخل انثى فان طلع البرني ألطف من طلع اللون والبرني اجود التمر واللون الدقل وهو ارادأ التمر واهل المدينة يسمون ماعدا البرني والعجوة الوانا وكذا طلع ذكور النخل لا يكون هضيما بل يكون غليظا صلبا ثم فسر الطلع بقوله وهو مايطلع منها كنصل السيف في جوفه شماريخ القنو والشماريخ جمع شمراخ ويقال له شمروخ ايضا كالعثكال والعثكول النهاية العثكال العذق فكل غصن من اغصانه شمراخ وهو الذي عليه البسر والقنو والعذق والكباسة من التمر بمنزلة العنقود والعرجون اصل العذق وهو العود الاصفر الذي فيه شماريخ وهو فعلون من الانعراج وهو الانعطاف والواو والنون فيه زآئدتان فان قطع منه الشماريخ يعوج ويبقى على النخل يابسا شبهه الله تعالى به القمر في ليلة ثمان وعشرين حيث قال حتى عاد كالعرجون القديم من حيث ان كل واحد منهما متقوّس ﴿قوله او متدل منكسر﴾ عطف على قوله لطيف لين فيكون هضيم من الهضم بمعنى الكسر يقال هضم حقه اذا ظلمه وكسر عليه حقه والمتدلي المتسفل والمتنزل عن موضعه اى متدل من الشجرة ﴿قوله وافراد النخل﴾ اى بالذكر مع ان اسم الجنة يتناول النخل وغيره مما يقصد اثباته في البساتين للتنبيه على فضل النخل على سائر النبات حتى كأنه ليس من جنس مايدل عليه اسم الجنة تنزيلا للتغاير في الوصف منزلة التغاير في الذات او لان المراد بالجنات ماعدا النخل لان اسم الجنة يصح ان يطلق على مايشتمل على جميع اشجار البساتين وعلى مايشتمل على بعضها فيجوز ان يراد به ههنا مايشتمل على بعضها ويكون عطف النخل عليه دليلا على ارادة البعض ﴿قوله بطرين او حاذقين﴾ قال ابو عبيدة فرهين وفارهين يقال هما بمعنى فرحين بطرين اشرين وفرّق الجوهري بينهما وقال الفاره الحاذق بالشئ من فره بالضم فروهة وفراهة فهو فاره وفره بالكسر بمعنى اشر وبطر فمن قرأ بيوتا فرهين جعله من هذا ومن قرأ فارهين جعله من فره بالضم * قال الامام واعلم ان ظاهر هذه الآيات

(يدل)

(فاتقوا الله واطيعون ولاتطيعوا امر المسرفين) استعير الطاعة التى هى انقياد الآمر لامتثال الامر او نسب حكم الآمر الى امره مجازا (الذين يفسدون فى الارض) وصف موضح لاسرافهم ولذلك عطف (ولا يصلحون) على يفسدون دلالة على خلوص فسادهم (قالوا انما انت من المسحرين) الذين سحروا كثيرا حتى غلب على عقلهم اومن ذوى السحر وهى الرئة اى من الاناسى فيكون (ماانت الا بشر مثلنا) تأكيدا له (فائت بآية ان كنت من الصادقين) فى دعواك (قال هذه ناقة) اى بعد مااخرجها الله من الصخرة بدعائه كما اقترحوها (لها شرب) نصيب من الماء كالسقى والقيت للحظ من السقى والقوت وقرئ بالضم (ولكم شرب يوم معلوم) فاقتصروا على شربكم ولاتزاحموها فى شربها (ولاتمسوها بسوء) كضرب وعقر (فيأخذكم عذاب يوم عظيم) عظم اليوم لعظم مايحل فيه وهو ابلغ من تعظيم العذاب (فعقروها) اسند العقر الى كلهم لان عاقرها انما عقر برضاهم ولذلك اخذوا جميعا (فأصبحوا نادمين) على عقرها خوفا من حلول العذاب لاتوبة او عند معاينة العذاب ولذلك لم ينفعهم (فأخذهم العذاب) اى العذاب الموعود (ان فى ذلك لآية وماكان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم) فى نفى الايمان عن اكثرهم فى هذا المعرض ايماء بانه لوآمن اكثرهم او شطرهم لما اخذوا بالعذاب وان قريشا انما عصموا من مثله ببركة من آمن منهم (كذبت قوم لوط المرسلين اذقال لهم اخوهم لوط ألاتتقون انى لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وماأسألكم عليه من اجر ان اجرى الا على رب العالمين أتأتون الذكران من العالمين) اى أتأتون من بين من عداكم من العالمين الذكران لايشارككم فيه غيركم او أتأتون الذكران من اولاد آدم مع كثرتهم وغلبة الاناث فيهم كأنهن قد اعوزنكم فالمراد بالعالمين على الاول كل من ينكح وعلى الثانى الناس (وتذرون ماخلق لكم ربكم) لاجل استمتاعكم (من ازواجكم) لبيان ماخلق ان اريد به جنس الاناث او للتبعيض ان اريد به العضو المباح منهن فيكون تعريضا بانهم كانوا يفعلون مثل ذلك بنسائهم ايضا (بل انتم قوم عادون) متجاوزون عن حد الشهوة حيث زادوا على سائر الناس بل الحيوانات او مفرطون فى المعاصى وهذا من جملة ذلك او احقاء بان توصفوا بالعدوان لارتكابكم هذه الجريمة (قالوا لئن لم تنته يالوط) عما تدعيه او عن نهينا او تقبيح امرنا (لتكونن من المخرجين) من المنفيين من بين اظهرنا ولعلهم كانوا يخرجون من اخرجوه على عنف وسوء حال (قال انى لعملكم من القالين) من المبغضين غاية البغض

يدل على ان الغالب على قوم هود هو اللذات الخيالية وهو طلب الاستعلاء والبقاء والتفرد والتجبر والغالب على قوم صالح هو اللذات الحسية وهو طلب المأكول والمشروب والمساكن الطيبة انتهى كلامه فقال صالح عليه الصلاة والسلام لقومه على سبيل الانكار والتوبيخ وتنحتون ثم قال فاتقوا الله بترك هذه الاشياء واطيعون ويحتمل ان يقوله على سبيل تذكير النعمة واستدعاء شكرها ﴿قوله استعير الطاعة﴾ ارتكب المجاز لتعذر ارادة الحقيقة لان الطاعة انما تكون للآمر كما ان الامتثال يكون للامر يقال اطيعوا الله وامتثلوا أمره فلما قيل فى هذه الآية ولاتطيعوا امر المسرفين تعين المصير الى المجاز وذلك اما بان يشبه الامتثال بالطاعة من حيث ان كل واحد منهما يفضى الى وجود المأمور به فاطلق اسم المشبه به وهو الطاعة واريد الامتثال ثم اشتق منه قوله ولاتطيعوا على طريق الاستعارة التصريحية التبعية فالمعنى ولاتمتثلوا امرهم واما بان يحمل الكلام على الاسناد المجازى فان حق الطاعة ان تنسب وتعلق بالآمر فنسبت الى امره وجعل الامر مطاعا والمراد الآمر للملابسة بينهما ﴿قوله وصف موضح لاسرافهم﴾ حيث يتعين به ان المراد بالاسراف اسرافهم على انفسهم بالتمرد على الله تعالى فيدخل فى المسرفين كل من افسد فى الارض بالكفر والظلم ولايصلح بالايمان والعدل من التسعة رهط الذين عقروا الناقة وغيرهم ﴿قوله الذين سحروا كثيرا﴾ على ان يكون بناء التفعيل لتكثير الفعل والمعنى من المسحورين مرة بعد اخرى وعلى الثانى يكون بناء التفعيل للنسبة الى السحر بفتح السين ﴿قوله كما اقترحوها﴾ متعلق بقوله اخرجها الله فانهم اقترحوا عليه بان قالوا نريد ناقة عشراء تخرج من هذه الصخرة فتلد سقبا مثلها فقعد صالح يتفكر فقال له جبريل صل ركعتين وسل ربك الناقة ففعل فخرجت الناقة وبركت بين ايديهم وحصل لها سقب مثلها فى العظم * عن ابى موسى الاشعرى قال رأيت مبركها فاذا هو ستون ذراعا فى ستين ذراعا ثم وصاهم صالح بأمرين الاول قوله لها شرب ولكم شرب يوم معلوم قال قتادة اذا كان يوم شربها شربت ماءهم كله وشربهم فى اليوم الثانى لاتشرب هى فيه والثانى قوله ولاتمسوها بسوء ثم ان مصلعا ألجأها الى مضيق فى شعب فرماها بسهم فسقطت ثم ضربها قدار فى عرقوبها ﴿قوله لان عاقرها انما عقرها برضاهم﴾ روى ان عاقرها قال لااعقرها حتى ترضوا اجمعين وكانوا يدخلون على المرأة فى خدرها فيقولون أترضين فتقول نعم وكذلك صبيانهم ﴿قوله اتأتون من بين من عداكم﴾ فعلى هذا الوجه يكون من العالمين حالا من فاعل اتأتون انكر عليهم تفردهم واختصاصهم بهذا الفعل الشنيع من جملة العالمين اى الناكحين وعلى الثانى يكون حالا من الذكران انكر عليهم اختيارهم الذكران من جملة العالمين مع كثرة الاناث فيهم ﴿قوله فيكون تعريضا بانهم كانوا يفعلون مثل ذلك بنسائهم﴾ فتكون الآية دليلا على حرمة أدبار الزوجات والمملوكات ﴿قوله او أحقاء بان توصفوا بالعدوان﴾ اى الظلم يقال عدا عليه وتعدى عليه واعتدى عليه كله بمعنى وعلى هذا الوجه لاينظر الى متعلق العدوان اصلا فوجه الاضراب على هذا انه جعل اتيانهم الذكور جريمة ومعصية ووبخهم عليه بقوله ترتكبون هذه الجريمة ثم اضرب عنه الى ماهو ابلغ فى التوبيخ فقال بل انتم بارتكابها قوم عادون اى احقاء بان توصفوا بالعدوان بارتكابها كأنه قيل بل هى معظم الجرائم والمعاصى ولايستحق المرء لان يوصف بالعدوان الا بارتكابها وعلى الوجهين الاولين يكون تعلق عادون بالمفعول مرادا ثم قال لهم بعد توبيخهم بارتكاب المعصية المذكورة بل انتم قوم متجاوزون عن حد شهوة الناس بل الحيوانات او متجاوزون الحد فى ارتكاب جميع المعاصى وهذا الاتيان من جملة تعديكم وافراطكم وهو كالايضاح لماقبله ﴿قوله ولعلهم كانوا يخرجون من اخرجوه على عنف﴾ يعنى انهم لم يقولوا لنخرجنك بل قالوا لتكونن من المخرجين بلام العهد للمبالغة فى الوعيد والاشارة الى انهم يفعلون به من الاخراج على الحالة السيئة مافعلوا بغيره وللمجاز مع هذا الاحتمال ان تكون اللام لجنس المخرجين فتكون اشارة الى انهم اخرجوا كثيرا من الناس وهم قادرون على اخراجه ايضا قال المصنف ولعلهم بطريق الاحتمال لغيره وهو مثل ماحكى الله تعالى عن فرعون قوله لأجعلنك من المسجونين ﴿قوله من المبغضين﴾ يعنى ان قالين اسم فاعل من القلى وهو البغض الشديد وقوله من القالين متعلق بمحذوف اى لقال من القالين ومبغض من المبغضين وذلك المحذوف وهو قال خبر قوله وانى ومن القالين صفته وقوله لعملكم متعلق بالخبر المحذوف ولوجعل قوله من القالين خبرا لعمل القالين فى عملكم فيفضى الى تقديم الصلة على الموصول قال ابو البقاء اى لقال من القالين فمن صفة الخبر متعلقة بمحذوف واللام متعلقة بالخبر المحذوف وبهذا يتخلص من تقديم الصلة اذلوجعلت من القالين الخبر لأعملته فى لعملكم ﴿قوله

لاقف عن الانكار عليه بالايعاد وهو ابلغ من ان يقول انى لعملكم قال لدلالته على انه معدود فى زمرتهم مشهور بانه من جلتهم (رب نجنى واهلى مما يعملون) اى من شؤمه وعذابه (فنجيناه واهله اجمعين) اهل بيته والمتبعين له على دينه باخراجهم من بينهم وقت حلول العذاب بهم (الا عجوزا) هى امرأة لوط (فى الغابرين) مقدرة فى الباقين فى العذاب اصابها حجر فى الطريق فاهلكها لانها كانت مائلة الى القوم راضية بفعلهم وقيل كانت فيمن بقى فى القرية فانها لم تخرج مع لوط (ثم دمرنا الآخرين) اهلكناهم (وأمطرنا عليهم مطرا) قيل امطر الله على شذاذ القوم حجارة فأهلكهم (فساء مطر المنذرين)

اللام فيه للجنس حتى يصح وقوع المضاف اليه فاعل ساء والمخصوص بالذم محذوف وهو مطرهم (ان فى ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذب اصحاب الايكة المرسلين) الايكة غيضة تنبت ناعم الشجر يريد غيضة بقرب مدين تسكنها طائفة فبعث الله اليهم شعيبا كما بعث الى مدين وكان اجنبيا منهم فلذلك قال (اذ قال لهم شعيب ألا تتقون) ولم يقل اخوهم شعيب وقيل الايكة شجر ملتف وكان شجرهم الدوم وهو المقل وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر ليكة بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وقرئت كذلك مفتوحة على انها ليكة وهى اسم مسكنهم وانما كتبت ههنا وفى ص بغير الف اتباعا للفظ (انى لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم عليه من اجر ان اجرى الا على رب العالمين اوفوا الكيل) أتموه (ولا تكونوا من المخسرين) حقوق الناس بالتطفيف (وزنوا بالقسطاس المستقيم) بالميزان السوىّ وهو ان كان عربيا فان كان من القسط ففعلاس بتكرير العين والا ففعلال وقرأ حمزة والكسائى وحفص بكسر القاف (ولا تبخسوا الناس اشياءهم) ولا تنقصوا شيأ من حقوقهم (ولا تعثوا فى الارض مفسدين) بالقتل والغارة وقطع الطريق (واتقوا الذى خلقكم والجبلة الاوّلين) وذوى الجبلة الاوّلين يعنى من تقدمهم من الخلائق (قالوا انما انت من المسحرين وما انت الا بشر مثلنا) اتوا بالواو للدلالة على انه جامع بين وصفين منافيين للرسالة مبالغة فى تكذيبه (وان نظنك لمن الكاذبين) فى دعواك (فأسقط علينا كسفا من السماء) قطعة منها ولعله جواب لما اشعر به الامر بالتقوى من التهديد وقرأ حفص بفتح السين (ان كنت من الصادقين) فى دعواك (قال ربى اعلم بما تعملون) وبعذابه المنزل عليكم ما اوجبه لكم عليه فى وقته المقدر له محالة (فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة) على نحو ما اقترحوا بان سلط الله عليهم الحر سبعة ايام حتى غلت انهارهم وأظلتهم سحابة فاجتمعوا تحتها فأمطرت عليهم نارا فاحترقوا (انه كان عذاب يوم عظيم ان فى ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم) هذا آخر القصص السبع المذكورة على الاختصار تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديدا للمكذبين واطراد نزول العذاب على تكذيب الامم بعد انذار الرسل به واقتراحهم له استهزاء وعدم مبالاة به يدفع ان يقال انه كان بسبب اتصالات فلكية او كان ابتلاء لهم لا مؤاخذة على تكذيبهم (وغيرهم)

لاقف عن الانكار عليه بالايعاد ﴿ كأنه قيل كيف انتهى عن نهيكم وتقبيح امركم وانى لعملكم من القالين وقيل فى وجه كونه جوابا عن ايعادهم اياه بالاخراج ان معناه كيف توعدوننى بالاخراج من بينكم وانى لعملكم الذى تعملونه من المبغضين اكره المقام فيكم وابغض رؤية عملكم الذى تعملونه فيكون فى اخراجى ايصال الراحة الىّ ولولا امر الله تعالى اياى بالمقام فيكم لأدعوكم الى الحق لما كنت اقيم بينكم لشدة بغضى عملكم ﴿ **قوله** مقدرة فى الباقين فى العذاب ﴾ يعنى ان فى الغابرين صفة لقوله عجوزا وان المراد بالغابرين الباقين فى العذاب ولما كان ظاهر النظم دالا على ان العجوز موصوفة بكونها باقية فى العذاب وقت تنجية لوط واهله وليس كذلك لكونها من الآخرين الذين دمرهم الله بعد تنجية الناجين بحكم كلمة ثم قوله تعالى ثم دمرنا الآخرين ذكر ان ليس معنى الكلام الا عجوزا غابرة اى باقية فى العذاب بل المعنى الا عجوزا مقدرا غبورها فى العذاب الشديد اذ كانت مع الخارجين من القرية المؤتفكة بالامطار عليهم فانها خرجت من بين القوم مع لوط كسائر اهله فصارت من شذاذ القوم فاهلكت بما اهلك الله به الشذاذ وهو صفة لها بعد وقت التنجية ثم نقل توجيها آخر وهو ان يكون المعنى الا عجوزا غابرة فى القرية مع المهلكين غير خارجة مع الناجين وهو صفة لها وقت التنجية ﴿ **قوله** على شذاذ القوم ﴾ اى على من كانوا خارجين من بلادهم حين دمرهم الله تعالى بائتفاك بلدتهم عليهم والخسف بهم فيكون المعنى ان الله دمر قوم لوط بعذابين الائتفاك والامطار دمر من كان فى بلدهم بالائتفاك ومن كان خارجا عنها بالامطار قال الله تعالى فلما جاء امرنا جعلنا عاليها سافلها وامطرنا عليها حجارة من سجيل يقال ائتفكت البلاد باهلها اذا انقلبت ملتبسة بهم والمؤتفكات البلاد التى قلبها الله على قوم لوط سميت مؤتفكات لكونها منقلبات ملتبسة باهلها وقيل لم يرض الله بالائتفاك حتى اتبعه مطرا من حجارة ﴿ **قوله** الايكة غيضة ﴾ اى موضع يغيض فيه الماء ولا يسيل منه الى المواضع الغائرة فينبت فيه الشجر ﴿ **قوله** وقرئت كذلك مفتوحة ﴾ اى قرئ اصحاب ليكة بفتح التاء على ان ليكة غير منصرف للعلمية والتأنيث فلذلك فتحت فى موضع الجرّ ومن قرأ اصحاب ليكة بالجرّ قال اصله اصحاب الايكة على ان ايكة اسم جنس عرّف بلام التعريف ثم خففت الهمزة بان القيت حركتها على اللام ثم حذفت للساكنين واستغنى عن الف الوصل لان اللام قد تحرّكت فلا يجوز على هذا الا الجرّ كما تقول مررت بالاحمر على تحقيق الهمزة ثم تخففها فتقول بلحمر فان شئت كتبته فى الخط على ما كتبته اوّلا وان شئت كتبته بالحذف على حكم لفظ اللافظ فلا يجوز حينئذ الا الجرّ بالاضافة كما لا يجوز فى الايكة الا الجرّ ﴿ **قوله** وكان اجنبيا منهم ﴾ اى وكان اخا مدين فى النسب فلذلك قال الله تعالى فى آية اخرى والى مدين اخاهم شعيبا ثم انه عليه الصلاة والسلام كلفهم بامور امرهم اوّلا بايفاء الكيل ونهاهم عن التطفيف فى الكيل والوزن حيث قال اوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين اى من الناقصين له يقال خسرت الشئ بالفتح واخسرته اى نقصته ثم نهى عن نقص حق المستحقين باىّ طريق كان كنقص العدد والوزن ودفع الزيف مكان الجيد والغصب والسرقة والتصرّف بغير اذن صاحبه ونحو ذلك حيث قال ولا تبخسوا الناس اشياءهم يقال بخسته حقه اذا انقصته اياه ﴿ **قوله** ففعلاس بتكرير العين ﴾ الظاهر ان يقال فعلاع لان التكرير يقتضى ان يوزن المكرّر بلفظ ما قابله ثم نهاهم عن افساد شئ مما خلقه الله تعالى وصوّره بقوله ولا تعثوا فى الارض مفسدين يقال عثا فى الارض يعثو اى افسد وكذلك عثى بالكسر يعثى وانما قيده بقوله مفسدين لان افساد الصورة او الخلقة وان غلب فى الفساد الا انه قد يكون منه ما ليس بفساد كمقابلة الظالم المتعدى بفعله ومنه ما تضمن صلاحا راجحا كقتل الخضر الغلام وخرقه السفينة ﴿ **قوله** وذوى الجبلة ﴾ على ان الجبلة بمعنى الخلقة ولا يتعلق بها الخلق فلا بدّ من تقدير المضاف والكسف بفتح السين وسكونها جمع كسفة وهى القطعة كسدر وسدر فى جمع سدرة فقال عليه الصلاة والسلام فى جوابهم ربى اعلم بما تعملون يريد انه اعلم باعمالكم وبما تستوجبون عليها من العذاب المنزل عليكم فى وقته المقدر لكم ﴿ **قوله** على نحو ما اقترحوا ﴾ بقولهم فأسقط علينا كسفا من السماء هذا على تقدير ان يكون مرادهم بالسماء السحاب لان المراد بالظلة سحابة اظلتهم بعدما حبس عنهم الريح واستولى عليهم الحرّ الشديد سبعة ايام فأخذ بانفاسهم بحيث لا ينفعهم ظل ولا ماء فلما اظلتهم السحابة وجدوا لها بردا ونسيما فاجتمعوا تحتها فأمطرت عليهم نارا فأحرقتهم واما على تقدير ان يكون مرادهم بالسماء المظلة فحينئذ يكون العذاب النازل بهم على خلاف ما اقترحوه ﴿ **قوله** واطراد نزول العذاب على تكذيب الامم الخ ﴾ جواب عما يقال لم لا يجوز ان يقال ان العذاب النازل بعاد وثمود وقوم لوط

وغيرهم لم يكن لكفرهم وعنادهم بل كان بسبب قرانات الكواكب واتصالاتها على ما اتفق عليه اهل النجوم ومع قيام هذا الاحتمال لم يحصل الاعتبار بهذه القصص لان الاعتبار انما يحصل ان لو علمنا ان نزول هذا العذاب كان بسبب كفرهم وعنادهم وعما يقال ان الله تعالى قد ينزل العذاب محنة للمكلفين وابتلاء لهم على ما قال ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين وقد ابتلى المؤمنون بانواع البليات فلا يكون نزول العذاب على هؤلاء القوم دليلا على كونهم مبطلين مؤاخذين بذلك ثم انه تعالى لما ذكر قصص الانبياء لرسوله صلى الله عليه وسلم اتبعه بذكر مايدل على نبوته فقال وانه اى وان القرءآن وما نزل من هذه القصص والآيات لتنزيل رب العالمين اى المنزل على ان التنزيل بمعنى المنزل او لذو تنزيل على حذف المضاف وجاز عود ضميرانه الى القرءآن وان لم يجر له ذكر للعلم به والقرءآن المنزل لما كان مشتملا على القصص المذكورة والآيات الدالة عليها كانت هذه الآية تقريرا لحقية تلك القصص والباء فى به على القرآءتين للتعدية اوللملابسة فعلى الاول تتعلق بنزل وعلى الثانى تتعلق بمحذوف على انه حال وقوله على قلبك ولتكون متعلقان بنزل ويجوز ان تتعلقا بتنزيل والمعنى وانه لتنزيل رب العالمين على قلبك لتكون لكن فيه ضعف من حيث الفصل بين المصدر ومعموله بجملة نزل به الروح الامين الا ان هذه الجملة اعتراضية جيئ بها للتأكيد فلم تكن اجنبية وان مثل هذا مغتفر فيما اذا كان المعمول ظرفا او عديله وسمى جبريل روحا لكونه سببا لحياة قلوب المكلفين بنور المعرفة والطاعة من حيث ان الوحى الذى فيه الحياة من موت الجهالة يجرى على يده وقيل سمى روحا لانه روح وليس بجسم فيه روح وسمى امينا لانه مؤتمن على مايؤديه الى الانبياء ﴿قوله والقلب ان اراد به الروح فذاك﴾ اذ القرءآن الملتبس بكسوة الحروف والالفاظ انما نزل على روح رسول الله لا على مجرد الجسد اذ ليس للجسد حظ من ادراك المعانى الروحانية والقلب وسائر الاعضاء والحواس آلات الادراك والمكلف والمخاطب والمدرك انما هو الروح لا الاعضاء والآلات الا انه يجوز ان يراد بالقلب العضو المخصوص كما هو المتبادر عند اطلاقه فحينئذ يكون جعل القرءآن نازلا على قلبه مع انه نازل عليه لا على عضوه مبنيا على كون القلب موضعا لقوة العقل والفهم فان الروح انما تدرك بتلك القوة المودعة فى القلب فلا جرم تنتقل المعانى الروحانية النازلة على الروح الى القلب لما بينهما من التعلق على الوجه المذكور وذهب طائفة من القدماء الى ان موضع قوة العقل والفهم هو الدماغ لا القلب استدلالا بان طريان الآفة على الدماغ يوجب اختلال العقل وبان الحواس التى هى آلات الادراك نافذة الى الدماغ دون القلب فاشار المصنف الى ان الدماغ محل القوى الباطنة التى يستعين بها الروح فى ادراك المعانى فلذلك كان سلامة الدماغ شرطا لسلامة القلب وظهور آثاره فالقرءآن كلام الله تعالى وصفته القائمة به كساه كسوة الالفاظ المركبة من الحروف العربية ونزله الى جبريل وجعله امينا عليه لئلا يتصرف فى حقائقه ثم نزل به كما هو على قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم ليتعرفه ويتخلق بخلقه ويتنور بانواره ويتحلى بحقائقه ففهمه وتمكن من تفهيمه لغيره فهو عليه افضل الصلاة والسلام مختص بهذه الرتبة العلية والكرامة السنية من سائر الانبياء فان كتبهم انزلت عليهم بالالواح والصحائف جملة واحدة فهى منزلة على صورهم وظاهرهم لا على قلوبهم ﴿قوله فهو متعلق بنزل﴾ فيكون صريحا فى ان القرءآن انما انزل عليه عربيا كما فى آية اخرى انا انزلناه قرءآنا عربيا لا كما زعمت الباطنية من انه تعالى انزله على قلبه عليه افضل الصلاة والسلام غير موصوف بلغة ولسان ثم انه عليه افضل الصلاة والسلام اداه بلسان العرب المبين من غير ان انزل كذلك ﴿قوله وان ذكره﴾ لما كان ظاهر النظم يدل على ان عين القرءآن العربى المبين مثبت فى سائر الكتب السماوية وظاهر انه ليس كذلك لان هذا فاسد مخالف للنص والاجماع احتيج الى تقدير المضاف اى ان ذكر القرءآن وانزاله على النبى عليه افضل الصلاة والسلام المبعوث فى آخر الزمان او ان اصل معانيه مثبت فى كتبهم على معنى انه تعالى اخبر فى كتبهم عن القرءآن وانزاله فى آخر الزمان او انه تعالى بين اصول معانيه فى كتبهم لان جميع مافيه من الاحكام والامثال مثبت فيها وبه احتج ابو حنيفة فى جواز القرءآن بالفارسية فى الصلاة وهذا كقوله ان هذا لفى الصحف الاولى وقال مقاتل تقدير الآية وان محمدا عليه افضل الصلاة والسلام ونعته وذكره لفى كتب الاولين وهو كقوله يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل ﴿قوله وهو تقرير لكونه دليلا﴾ يعنى ان الاستفهام فى أولم يكن استفهام تقرير بمعنى قد كان علم علماء بنى اسرآئيل به آية اى علامة دالة على صحة نبوته لهؤلاء المنكرين نبوته فانه قد روى

وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الرو
الامين على قلبك تقرير لحقية تلك القصص
وتنبيه على اعجاز القرءآن ونبوة محمد صلى
الله عليه سلم فان الاخبار عنها ممن لم يتعلم
لا يكون الا وحيا من الله عز وجل والقلب
ان اراد به الروح فذاك وان اراد به العضو
فتخصيصه لان المعانى الروحانية انما تنز
اولا على الروح ثم تنتقل منه الى القلب
لما بينهما من التعلق ثم تتصعد منه الى الدما
فينتقش بها لوح المتخيلة والروح الامين
جبرآئيل فانه امين الله على وحيه وقر
ابن عامر وابو بكر وحمزة والكسائى بتشد
الزاى ونصب الروح والامين (لتكو
من المنذرين) عما يؤدى الى عذاب من فع
او ترك (بلسان عربى مبين) واضح المعنى
لئلا يقولوا مانصنع بما لا نفهمه فهو متعلق
بنزل ويجوز ان يتعلق بالمنذرين اى لتكو
ممن انذروا بلغة العرب وهم هود وصا
واسماعيل وشعيب ومحمد عليه الصلا
والسلام (وانه لفى زبر الاولين) وان ذكر
او معناه لفى الكتب المتقدمة (أولم يكن
لهم آية) على صحة القرءآن او نبوة محم
صلى الله عليه وسلم (ان يعلمه علماء بنى
اسرآئيل) ان يعرفوه بنعته المذكو
فى كتبهم وهو تقرير لكونه دليلا

وقرأ ابن عامر تكن بالتاء وآية بالرفع على انها الاسم والخبر لهم وان يعلمه بدل او الفاعل وان يعلمه بدل ولهم حال او ان الاسم ضمير القصة وآية خبر ان يعلمه والجملة خبر تكن (ولو نزلناه على بعض الاعجمين) كما هو زيادة فى اعجازه اوبلغة العجم (فقرأه عليهم ماكانوا به مؤمنين) لفرط عنادهم واستكبارهم اولعدم فهمهم واستنكافهم من اتباع العجم والأعجمين جمع اعجمى على التخفيف ولذلك جمع جمع السلامة (كذلك سلكناه) ادخلناه (فى قلوب المجرمين) والضمير للكفر المدلول عليه بقوله ما كانوا به مؤمنين فتدل الآية على انه بخلق الله وقيل للقرآن اى ادخلناه فيها فعرفوا معانيه واعجازه ثم لم يؤمنوا به عنادا (لايؤمنون به حتى يروا العذاب الاليم) الملجئ الى الايمان (فيأتيهم بغتة) فى الدنيا والآخرة (وهم لايشعرون) باتيانه فيقولوا (هل نحن منظرون) تحسرا وتأسفا (أفبعذابنا يستعجلون) فيقولون امطر علينا حجارة من السماء فائتنا بما تعدنا وحالهم عند نزول العذاب طلب النظرة (أفرأيت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون) لم يغن عنهم تمتعهم المتطاول فى دفع العذاب وتخفيفه (وما اهلكنا من قرية الالها منذرون) انذروا اهلها الزاما للحجة (ذكرى) تذكرة ومحلها النصب على العلة او المصدر لانها فى معنى الانذار اوالرفع على انها صفة منذرون باضمار ذووا اوبجعلهم ذكرى لامعانهم فى التذكرة اوخبر محذوف والجملة اعتراضية (وما كنا ظالمين) فنهلك غير الظالمين وقبل الانذار (وما تنزلت به الشياطين) كما زعم المشركون انه من قبيل ماتلقى الشياطين على الكهنة (وماينبغى لهم) ومايصح لهم ان يتنزلوا به (ومايستطيعون) ومايقدرون (انهم عن السمع) لكلام الملائكة (لمعزولون) لانه مشروط بمشاركة فى صفات الذات وقبول فيضان الحق والانتقاش بالصور الملكوتية ونفوسهم خبيثة ظلمانية شريرة بالذات لاتقبل ذلك والقرآن مشتمل على حقائق ومغيبات لايمكن تلقيها الامن الملائكة (فلاتدع مع الله الها آخر فتكون من المعذبين) تهييج لازدياد الاخلاص ولطف لسائر المكلفين (وأنذر عشيرتك الاقربين) الاقرب منهم فالاقرب فان الاهتمام بشأنهم اهم روى انه لما نزلت صعد الصفا وناداهم فخذا فخذا حتى اجتمعوا اليه فقال لواخبرتكم ان بسفح هذا الجبل خيلا أكنتم مصدقىّ قالوا نعم قال فانى نذير لكم بين يدى عذاب شديد (واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين) لين جانبك لهم مستعار من خفض الطائر جناحه اذا اراد ان ينحط

ان اهل مكة بعثوا رسولا الى اليهود الذين كانوا فى المدينة يسألهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انا نجد ذكره ونعته فى التوراة فهذا اوان خروجه فكان ذلك آية على صدقه وحقية امره **قوله وقرأ ابن عامر تكن** اى بالتاء من فوق ورفع آية والباقون يكن بالياء من تحت ونصب آية فيحتمل ان تكون كان فيها تامة وان تكون ناقصة فان كانت تامة تكون آية فاعلا لها وان يعلمه بدلا منها ولهم حالا منها او متعلقا بكان اى اولم يحصل آية كائنة لهم وهى علم علماء بنى اسرآئيل اولم يحدث لهم علامة علم علماء بنى اسرآئيل وان كانت ناقصة جاز ان يكون لهم خبر تكن مقدما على اسمها ويكون آية اسمها وان يعلمه بدلا اوخبر محذوف وجاز ان يكون اسمها ضمير القصة المستتر فيها وقوله آية ان يعلمه جملة اسمية قدم فيها الخبر على المبتدأ منصوبة المحل على انها خبر كان كما تقول كان زيد منطلق على معنى كان الامر هذا ولايجوز ان يكون آية اسم كان وان يعلمه خبرها اذ تعين ان يجعل اسم كان هو المعرفة منهما وقد يجيئ عكس هذا فى الشعر **قوله تعالى فيأتيهم** معطوف على قوله يروا وقوله فيقولوا عطف على يأتيهم وظاهر النظم يدل على ان تكون مفاجأة العذاب واقعة عقيب رؤيته ويكون سؤال النظرة واقعا عقيب مفاجأته وليس كذلك بل الذى يقع اوّلا هو المفاجأة ثم الرؤية ثم سؤال النظرة فوجب ان لاتكون كلمة الفاء فيها للتراخى الزمانى بل تكون للتراخى الرتبى بان يكون المعنى لايؤمنون بالقرآن حتى يروا العذاب الملجئ الى الايمان فاهو اشدّ من رؤيته وهو لحوقه بهم مفاجاة فاهو اشدّ منه وهو سؤالهم النظرة مع القطع بامتناعها فانهم يرون العذاب عند معاينة ملائكة الممات اوفى الآخرة وهم يعلمون فى ذلك الوقت ان لاخلاص لهم ولاامهال وانما يسألونه تعللا واسترواحا ثم انه تعالى لما وصف عذاب المجرمين بان رؤيته تلجئهم الى الايمان وانه يأتيهم بغتة فيضطرون الى سؤال النظرة والامهال طرفة عين فلا يجابون اليها قال على سبيل التبكيت والتوبيخ للذين كانوا يستعجلون العذاب فى الدنيا بمثل قولهم امطر علينا حجارة من السماء وقولهم لن نؤمن لك حتى تسقط علينا كسفا من السماء ونحو ذلك أفبعذابنا يستعجلون اى فكيف يستعجلون مايأتيهم بغتة ويسألون عند رؤيته الامهال فلا يمهلون لحظة والعاقل لايستعجل مافيه هلاكه ثم قال تعالى افرأيت اى افعلمت يامحمد ومعناه اعلم **قوله تعالى مااغنى** كلمة مافيه يجوز ان تكون استفهامية فى محل النصب مفعولا مقدما لاغنى وماكانوا هو الفاعل وكلمة مافيه مصدرية والمعنى اى شئ اغنى عنهم كونهم ممتعين وان تكون نافية فيكون مفعول اغنى محذوفا اى لم يغن عنهم تمتعهم شيأ وقرئ يمتعون باسكان الميم وتخفيف التاء من قولك امتع الله زيدا بكذا **قوله ومحلها النصب على العلة** اى لقوله منذرون والمعنى الالها منذرون لاجل الموعظة والتذكرة ويحتمل ان يكون معمولا لاهلكنا فان النفى فيه لما انتقض بالا وكان المراد بالقرية القرية الظالمة آل المعنى الى قولك اهلكنا القرية الظالمة بعد الزام الحجة بارسال المنذرين اليها اهلاكها تذكرة لغيرها ويحتمل ان يكون ذكرى فى محل النصب على انه مفعول مطلق لقوله منذرون من قبيل قعدت جلوسا لان أنذر وذكر متقاربان كأنه قيل يذكرون تذكرة ويجوز ان يكون مفعول فعل محذوف من لفظه اى يذكرون ذكرى وذلك المحذوف صفة لمنذرون ثم انه تعالى بعدما وصف القرآن بانه تنزيل رب العالمين ونبه به على اعجازه وعلى نبوة نبيه ردّ قول من زعم من الكفار انه من القاء الجنّ والشياطين كسائر ماينزل على الكهنة فقال وماتنزلت به الشياطين **قوله فى صفات الذات** اى فى الصفات اللازمة لذوات الملائكة مثل كونهم اجساما نورانية خيرة طائعة لله تعالى طاهرة عن دنس الذنوب والمعاصى مسبحين الليل والنهار لايفترون* واعلم ان اهل السنة والجماعة قالوا صفات الله كلها صفات بالذات على معنى انها قديمة قائمة بذات الله لكن المعتزلة قسموا صفات الله الى صفات الذات وصفات الافعال وقالوا كل مايصح ان يثبت وينفى فهو من صفات الفعل كالخلق والترزيق والاماتة والاحياء ومالبس كذلك كان من صفات الذات كالعلم والقدرة والحياة وقالوا صفات الافعال حادثة غير قائمة بذات الله تعالى بخلاف صفات الذات **قوله ولطف لسائر المكلفين** فان اكرم خلق الله تعالى عليه الصلاة والسلام لما خوطب بانك لو اتخذت من دونى الها لعذبتك مع انك اكرم الخلائق عندى كان زجرا بليغا عن الشرك لكل من سمعه من المكلفين بعد تهييج عزيمته على ازدياد الاخلاص **قوله مستعار من خفض الطائر جناحه** شبه التواضع ولين الاطراف والجوانب عند مصاحبة الاقارب والاجانب بخفض الطائر جناحه عند ارادة الانحطاط فاطلق على المشبه اسم الخفض على سبيل الاستعارة

(التصريحية)

التصريحية ثم اشتق منه قوله واخفض جناحك **قوله** ومن للتبيين لان من اتبع اعم ممن اتبع لدين او غيره
فان قيل من التبيينية يجب ان يكون ماقبلها اعم من مدخولها حتى يتحقق فيه الابهام والاحتياج الى البيان
ولم يظهر كون من اتبعك اعم من المؤمنين من حيث انه لايحتمل غير المؤمنين بل هما متحدان فى الوجود ومتلازمان
فى المفهوم فلاوجه للبيان ظاهرا الاان المتبعين اعم فى نفس الامر من المؤمنين لانه يتناول من اتبعه عليه
الصلاة والسلام فى امر الدين وغيره بخلاف المؤمنين فانه لايتناول الامن اتبعه فى امر الدين وبهذا الاعتبار صح
ان تكون كلمة من للتبيين لاللتبعيض لان مدخول من التبعيضية اعم مماقبلها على عكس من البيانية ولما جعل
من اتبعك اعم من المؤمنين امتنع ان تكون من تبعيضية وانما تكون كذلك ان لواريد بمن اتبعك المتبعون
فى امر الدين ظاهرا وباطنا وبالمؤمنين ماهو اعم من ذلك بان يرادبهم الذين شارفوا الايمان وكانوا بصدده
وسماهم الله مؤمنين باعتبار مايؤول اليه امرهم والمتبعون حقيقة بعض منهم فيصح ان تكون من للتبعيض بهذا
الاعتبار كأنه قيل واخفض جناحك لبعض المؤمنين وهم الذين اتبعوك حقيقة اويراد بهم الذين صدقوا باللسان
فانه ايضا اعم من الذين اتبعوا حقيقة **قوله** وقرأنافع وابن عامر فتوكل اى بالفاء بان جعلا مابعد الفاء
كالجزآء لقوله فان عصوك مرتبا عليه وجعلاه بدلا من الجزآء المتقدم وقرأ الباقون بالواو وجعلوه لمجرد عطف
الجملة على جملة اخرى من غير ملاحظة السببية والترتيب ووصف الله تعالى نفسه بالعزيز ليدل على انه يقدر
على قهر اعدآء رسوله بعزته وبالرحيم ليدل على انه يقدر على نصره عليهم واعلاء كلمته برحمته وقوله الذى يراك
يجوز ان يكون مرفوع المحل على انه خبر مبتدأ محذوف وان يكون منصوب المحل على المدح ومجرور المحل
على انه صفة اوبدل اوبيان **قوله** وتقلبك عطف على مفعول يراك اى ويرى تقلبك لما وصف الله
تعالى نفسه بالرحمة ليؤذن رسوله عليه الصلاة والسلام بانه بار رحيم عليه اتبعه ماهو كالسبب لتلك الرحمة وهو
قيامه الى التهجد فى جوف الليل وتقلبه فى تصفح احوال اهل التهجد ليطلع على اسرار امرهم ويحتمل ان يكون
المعنى يراك حين تقوم فى الصلاة ويرى تصرفك فيما بينهم بالقيام والركوع والسجود والقعود فقوله فى
الساجدين معناه مع المصلين فى الجماعة فكان حاصل المعنى يراك حين تقوم وحدك للصلاة ويراك اذا صليت مع
المصلين * والدندنة الصوت الخفى يقال دندن اذا خفى كلامه وفى الصحاح الدندنة ان تسمع من الرجل نغمة
ولاتفهم مايقول وقيل الدندنة الصوت والترنم * ثم قال الامام واعلم ان الرافضة ذهبوا الى ان آباء النبى عليه
الصلاة والسلام كانوا مؤمنين وتمسكوا فى ذلك بهذه الآية وبالخبر اماهذه الآية فقالوا قوله تعالى وتقلبك
فى الساجدين يحتمل الوجوه التى ذكرتم ويحتمل ان يكون المراد ان الله تعالى نقل روحه من ساجد الى ساجد
كما نقول نحن واذا احتمل هذه الوجوه وجب حمل الآية على الكل ضرورة انه لامنافاة ولا رجحان واما الخبر
فقوله عليه افضل الصلاة والسلام لم ازل انقل من اصلاب الطاهرين الى ارحام الطاهرات وكل من كان كافرا
فهو نجس لقوله تعالى انما المشركون نجس قالوا فان تمسكتم على فساد هذا المذهب بقوله تعالى واذ قال ابراهيم
لابيه آزر قلنا الجواب عنه ان لفظ الاب قد يطلق على العم كما قال ابناء يعقوب نعبد الهك واله آبائك ابراهيم
واسماعيل واسحق فسموا اسماعيل اباله مع انه كان عماله وقال عليه الصلاة والسلام ردوا على ابى يعنى العباس
ويحتمل ان يكون متخذ الاصنام ابا لامه فان هذا قد يقال له الاب قال تعالى ومن ذريته داود وسليمان الى قوله
وعيسى فجعل عيسى من ذرية ابراهيم مع ان ابراهيم كان جده من قبل الام * ثم قال الامام واعلم انا نتمسك بقوله
تعالى لابيه آزر وماذكروه صرف اللفظ عن ظاهره واما حمل قوله تعالى وتقلبك فى الساجدين على جميع الوجوه
فغير جائز لمابيناه من ان حمل المشترك على جميع معانيه غير جائز واما الحديث فهو خبر واحد فلايعارض القرءآن
قوله يلقون السمع فى محل الجر على انه صفة كل افاك لكونه فى معنى الجمع وتكون الضمائر كلها
للافاكين **قوله** فيقرها بضم القاف اى يصبها يقال قررت على رأسه الماء اذا صببته عليه وقر الحديث
فى اذنه يقره كأنه صبه فيها والذى قاله عليه الصلاة والسلام كان قبل ان اوحى اليه وبعد ذلك فمن يستمع
الآن يجد له شهابا رصدا قال مقاتل ان الله تعالى اذا اراد امرا فى الارض اعلم به اهل السموات من الملائكة
فتكلموا به فيما بينهم فتسمع الشياطين فترميهم الملائكة بالشهب فيختطفون الخطفة فذلك قوله تعالى يلقون
السمع الخ فعلى هذا يكون ضمير يلقون راجعا الى الشياطين وتكون جملة يلقون السمع حالا من الضمير فى تنزل

ومن للتبيين لان من اتبع اعم ممن اتبع لدين
اوغيره اوللتبعيض على ان المراد من المؤمنين
المشارفون للايمان او المصدقون باللسان
(فان عصوك) ولم يتبعوك (فقل انى برئ
مما تعملون) مما تعملونه اومن اعمالكم (وتوكل
على العزيز الرحيم) الذى يقدر على قهر
اعدآئه ونصر اوليائه يكفك شر من يعصيك
منهم ومن غيرهم وقرأ نافع وابن عامر
فتوكل على الابدال من جواب الشرط
(الذى يراك حين تقوم) الى التهجد
(وتقلبك فى الساجدين) وترددك فى تصفح
احوال المتهجدين كما روى انه لما نسخ فرض
قيام الليل طاف تلك الليلة ببيوت اصحابه
لينظر مايصنعون حرصا على كثرة طاعاتهم
فوجدها كبيوت الزنابير لما سمع بها من دندنتهم
بذكر الله وتلاوة القرءآن او تصرفك
فيما بين المصلين بالقيام والركوع والسجود
والقعود اذا اممتهم وانما وصفه الله تعالى
بعلمه بحاله التى بها يستأهل ولايته بعد ان
وصفه بان من شأنه قهر اعدآئه ونصر
اوليائه تحقيقا للتوكل وتطمينا لقلبه عليه
(انه هو السميع) لماتقوله (العليم) بما تنويه
(هل انبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على
كل افاك أثيم) لما بين ان القرءآن لايصح
ان يكون مما تنزلت به الشياطين اكد ذلك
بأن بين ان محمدا صلى الله عليه وسلم لايصلح
لان يتنزلوا عليه من وجهين احدهما انه
انما يكون على شرير كذاب كثير الاثم فان
اتصال الانسان بالغائبات لما بينهم
من التناسب والتواد وحال محمد صلوات
الله عليه وسلامه على خلاف ذلك وثانيهما
قوله (يلقون السمع واكثرهم كاذبون)
اى الافاكون يلقون السمع الى الشياطين
فيتلقون منهم ظنونا وامارات لنقصان
علمهم فيضمون اليها على حسب تخيلاتهم
اشياء لايطابق اكثرها كما جاء فى الحديث
الكلمة يخطفها الجنى فيقرها فى اذن وليه
فيزيد فيها اكثر من مائة كذبة

ولا كذلك محمد عليه الصلاة والسلام فانه اخبر عن مغيبات كثيرة لاتحصى وقد طابق كلها وقد فسر الاكثر بالكل لقوله كل افاك اثيم والاظهر ان الاكثرية باعتبار اقوالهم على معنى ان هؤلاء قل من يصدق منهم فيما يحكى عن الجنى وقيل الضمائر للشياطين اى يلقون السمع الى الملأ الاعلى قبل ان رجموا فيختطفون منهم بعض المغيبات ويوحون به الى اوليائهم او يلقون مسموعهم منهم الى اوليائهم واكثرهم كاذبون فيما يوحون

به اليهم اذ يسمعونهم لاعلى نحو ماتكلمت به الملائكة لشرارتهم او لقصور فهمهم او ضبطهم او افهامهم (والشعرآء يتبعهم الغاوون) وأتباع محمد صلى الله عليه وسلم ليسوا كذلك وهو استئناف ابطل كونه شاعرا وقرره بقوله (ألم تر انهم فى كل واد يهيمون) لان اكثر مقدماتهم خيالات لاحقيقة لها واغلب كلماتهم فى النسيب بالحرم والغزل والابتهار وتمزيق الاعراض والقدح فى الانساب والوعد الكاذب والافتخار الباطل ومدح من لايستحقه والاطرآء فيه واليه اشار بقوله (وانهم يقولون مالايفعلون) فكأنه لما كان اعجاز القرآن من جهة المعنى واللفظ وقد قدحوا فى المعنى بانه مماتنزلت به الشياطين وفى اللفظ بانه من جنس كلام الشعرآء تكلم فى القسمين وبين منافاة القرآن لهما ومضادة حال الرسول عليه السلام لحال اربابهما وقرأ نافع يتبعهم على التخفيف وقرئ بالتشديد وتسكين العين تشبيها لبعه بعضد (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ماظلموا) استثناء للشعرآء المؤمنين الصالحين الذين يكثرون ذكر الله ويكون اكثر اشعارهم فى التوحيد والثناء على الله والحث على طاعته ولو قالوا هجوا ارادوا به الانتصار ممن هجاهم ومكافحة هجاة المسلمين كعبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت والكعبين وكان عليه السلام يقول لحسان قل وروح القدس معك وعن كعب بن مالك انه عليه السلام قال له اهجهم فوالذى نفسى بيده لهو اشد عليهم من النبل (وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون) تهديد شديد لمافى سيعلم من الوعيد البليغ وفى الذين ظلموا من الاطلاق والتعميم وفى أى منقلب ينقلبون اى بعد الموت من الابهام والتهويل وقد تلاها ابو بكر لعمر رضى الله عنهما حين عهد اليه وقرئ باى منفلت ينفلتون من الانفلات وهو النجاة والمعنى ان الظالمين يطمعون ان ينفلتوا من عذاب الله وسيعلمون ان ليس لهم وجه من وجوه الانفلات * عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الشعرآء كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب به وهود وصالح وشعيب وابراهيم وبعدد من كذب بعيسى وصدق بمحمد صلوات الله عليهم اجمعين

﴿ سورة النمل مكية وهى ثلاث او اربع وتسعون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿قوله وقد فسر الاكثر بالكل﴾ جواب عما يقال كيف قيل واكثرهم كاذبون بعدما حكم عليهم بان كل واحد منهم افاك وحاصله ان كونهم كاذبين مفترين فى الخبر فى اكثر مايحكيه عنهم لاينافى كونهم افاكين كثيرى الكذب وقوله ولا كذلك محمد فانه لايتلق ما اخبر به من الشياطين فيزيد فيه كذبات كما يفعله الكهنة كيف ولم يظهر فى اخباره عليه الصلاة والسلام خلاف ما اخبر به ولما بين حال الكهنة بانهم كذابون كثيرو الاثم بخلافه عليه الصلاة والسلام فان حاله الدعوة الى الله تعالى وطاعته والترغيب فى الآخرة والتنفير عن الدنيا بين مايتميز به عن الشعراء فقال والشعرآء يتبعهم الغاوون اى الضالون ثم بين غوايتهم بأمرين الاول انهم يهيمون ويذهبون فى كل واد والثانى انهم يقولون مالايفعلون فانهم يرغبون فى الجود وينفرون عن البخل ويقدحون فى الناس بأدنى شئ صدر عنهم ثم انهم لايرتكبون الا الفواحش وذلك تمام الغواية بخلافه عليه الصلاة والسلام فانه قد كان زكى نفسه الكريمة اولا ثم لم يدع احدا من الناس الا الى ماهو راسخ او حدى فيه فكيف تشبه حاله حال الشعرآء والنسيب مصدر قولك نسب الشاعر بالمرأة ينسب بالكسر اذا ذكر صفات حسنها وذكر حاله معها فى الشعر والغزل اسم لمحادثة النساء ومراودتهن وعرض الاشتياق اليهن والابتهار الاشتهار بحب واحدة من النساء يقال ابتهر فلان بفلانة اى اشتهر بها ويقال ايضا على ادعاء الشئ كذبا وحرم الرجل اهله وسكان حرمه من نحو زوجته وامه وبنته ثم انه تعالى لما وصف الشعرآء بهذه الاوصاف الذميمة بيانا لما بينه عليه الصلاة والسلام وبينهم من البون البعيد استثنى منهم شعرآء المسلمين فقال الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا اى لم يشغلهم الشعر عن ذكر الله تعالى ولم يجعلوا الشعر همتهم ومتجرهم وقيل المراد باكثار ذكر الله تعالى ان يكون شعرهم فى التوحيد والثناء على الله تعالى وفى النبوة ودعو الخلق الى الحق ثم قال وانتصروا من بعد ماظلموا اى لايذكرون هجوا الا على سبيل الانتصار ممن يهجوهم ثم الشرط فيه ترك الاعتدآء فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل مااعتدى عليكم عن ابى رواحة رضى الله عنه انه قال لما نزل قوله تعالى والشعرآء يتبعهم الغاوون الى آخر الآية خشيت ان اموت على هذا فنزل قوله الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فاستثنى شعرآء المسلمين وقال كعب بن مالك يارسول الله ماذا تقول فى الشعرآء فقال ان المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه والذى نفسى بيده لكأنكم تنضحونهم بالنبل او ترمونهم بالسيف عن عروة عن عائشة انها كانت تقول الشعر كلام فمنه حسن ومنه قبيح فخذ الحسن ودع القبيح واعلم ان الشعرآء طبقات الجاهليون كامرئ القيس وزهير والمخضرمون وهم الشعرآء الذين ادركوا الجاهلية والاسلام كحسان ولبيد والمتقدمون من اهل الاسلام كالفرزدق وجرير ويستشهد باشعارهم ثم المحدثون كابى تمام والبحترى ولايستشهد بشعرهم ﴿قوله لمافى سيعلم من الوعيد البليغ﴾ لان السين تدل على ان ذلك كائن لامحالة ﴿قوله حين عهد اليه﴾ اى حين اوصاه من العهد وهو الوصية قال الله ألم اعهد اليكم يابنى آدم ان لاتعبدوا الشيطان اى ألم اوص اليكم روى انه لما أيس ابو بكر من حياته استكتب عثمان كتاب العهد وهو هذا ماعهد ابن ابى قحافة الى المؤمنين فى الحال التى يؤمن فيها الكافر قال بعدما غشى عليه وأفاق انى استخلفت عليكم عمر بن الخطاب فان عدل فذاك ظنى فيه وان لم يعدل فسيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون قال الزجاج اى منقلب منصوب بينقلبون على المصدر لابقوله سيعلم لان أيا وسائر الاسماء الاستفهامية لايعمل فيها ماقبلها وقدم على عامله لتضمنه معنى الاستفهام وهو معلق سيعلم سادّ مسد مفعوليه وقال ابو البقاء اى منقلب صفة مصدر محذوف اى ينقلبون انقلابا ورد بان اى الواقعة صفة لاتكون استفهامية وكذلك الاستفهامية لاتكون صفة بل كل واحدة منهما قسم برأسه فان أيا ينقسم الى اقسام كثيرة وهى الشرطية والاستفهامية والموصولة ومانكون صفة وغير ذلك *تمت سورة الشعرآء بعون الملك الوهاب وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ سورة النمل تسعون وخمس آيات مكية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿قوله الاشارة الى آى السورة﴾ بناء على ان طس اسم لهذه السورة الكريمة وهو مبتدأ وتلك مبتدأ ثان وآيات القرآن خبر الثانى والجملة خبر الاول والاشارة قائمة مقام العائد ولابد فى المبتدأ الاول من تقدير المضاف اى آيات طس لتصح الاشارة اليه بتلك ويخبر عنه بانها آيات القرآن وقرئ مرفوعا بالعطف على آيات وهذه القرآءة لما

استلزمت ان يشار الى شيئين احدهما مذكر والآخر مؤنث باسم اشارة المؤنث ولا وجه له لانه لايقال تلك هند وزيد احتيج فى توجيه هذه القرآءة الى تقدير المضاف اى تلك آيات القرءآن وآيات كتاب مبين ﴿قوله وتأخيره﴾ يعنى أخر الكتاب الذى اريد به اللوح عن القرءآن فى هذه السورة وقدم عليه فى قوله تعالى فى سورة الحجر الر تلك آيات الكتاب وقرءآن مبين نظرا الى الاعتبارين ﴿قوله او القرءآن﴾ عطف على قوله اما اللوح فيكون عطف الكتاب على القرءآن من قبيل العطف فى قوله

الى الملك القرم وابن الهمام ❁ وليث الكتيبة فى المزدحم ❁

﴿قوله وتنكيره للتعظيم﴾ والمقصود من تعظيم الكتاب تعظيم الآيات المضافة اليه لان المضاف الى العظيم عظيم بل المقصود تعظيم السورة التى هى عبارة عن مجموع مافيهما من الآيات ﴿قوله الذين يعملون الصالحات من الصلاة والزكاة﴾ اى من هذين الجنسين فى كونها عبادة بدنية او مالية اشارة الى ان تخصيص الصلاة والزكاة بالذكر لكونهما معظم انواع الطاعات والاعمال الصالحات وان الصلاة معظم الاعمال البدنية والزكاة معظم العبادات المالية وصف آيات السورة بكونها هادية ومبشرة للجامعين بين معرفة المبدأ والايمان به ومعرفة المعاد والايقان بما يتعلق به والاشتغال بطاعة المولى بنفسه وماله ﴿قوله وتغيير النظم﴾ يعنى ان الظاهر على تقدير كونه من تمة الصلة ان يقال الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويوقنون بالآخرة على العطف أو وهم يوقنون بالآخرة على الحالية الا انه قدم قوله بالآخرة على متعلقه وهو يوقنون للعناية والاهتمام به واخراج الكلام على صورة ما عرفت حيث قدم ضميرهم على يوقنون وجعله مبتدأ وكرر ذلك المبتدأ على سبيل التأكيد اللفظى ليفيد الاختصاص والتأكيد لما تقرر من أن اعتبار تقديم الفاعل المعنوى على عامله يفيد الاختصاص فيكون المعنى انهم اوحديون فى الايقان بالآخرة لا يوقن بالآخرة حق الايقان الا هؤلاء الجامعون للصفات المذكورة وجعل الجملة اسمية مكررا فيها المبتدأ للدلالة على قوة يقينهم وثباته ولما كان اقام الصلاة وايتاء الزكاة مما يتكرر ويتجدد فى اوقاتهما جعل الصلتين المتقدمين جملة فعلية فقال يقيمون ويؤتون ولما كان الايقان بالآخرة امرا ثابتا مطلوبا دوامه اتى بالصلة الدالة عليه جملة اسمية وجعل خبر المبتدأ فى هذه الجملة فعلا مضارعا للدلالة على ان ايقانهم مستمر على سبيل التجدد غير منقطع ﴿قوله او جملة اعتراضية﴾ عطف على قوله من تمة الصلة اى ويحتمل ان يكون قوله وبالآخرة هم يوقنون جملة مستأنفة غير داخلة فى حيز الموصول وتم الصلة عند قوله ويؤتون الزكاة وجعلها معترضة نظرا الى اتصال ما بعدها بما قبلها من حيث ان ما قبلها لبيان ما للمؤمنين من البشرى بحسن العاقبة وما بعدها لبيان ما للكفار من سوء العذاب يوم القيامة ويحتمل ان يكون جعلها معترضة بناء على مذهب من يجوز وقوع الاعتراض فى آخر الكلام بان لا يلى الجملة المعترضة جملة اصلا او يليها جملة غير متصلة بها معنى ووجه اتصال هذه الجملة بما قبلها انها تؤكد مضمون قوله للمؤمنين الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة من حيث ان الايقان بالآخرة حق الايقان المستلزم الخوف يستلزم تحمل المشاق والمتاعب حذرا من نيل ما يخاف منه فمضمون قوله وهم بالآخرة هم يوقنون يؤكد مضمون ما قبله من حيث كون مضمونه مستلزما لمضمون ما قبله فصح كونه اعتراضا وقوله كأنه قيل وهؤلاء الذين يؤمنون اشارة الى ان الضمير الاول وضع موضع اسم الاشارة من حيث ان اسم الاشارة يدل على ان المذكورين قبله أحقاء لما يرد بعده من اجل الخصائل التى عددت لهم كما فى قوله تعالى الذين يؤمنون بالغيب الى قوله اولئك على هدى من ربهم فكذا ههنا فان المعنى احقاء بان يوقنوا بالآخرة من اجل كونهم جامعين لمشاق التكليف من الايمان والاعمال الصالحة ﴿قوله زين لهم اعمالهم القبيحة بان جعلها مشتهاة للطبع﴾ واسناد تزيينها اليه تعالى بهذا الوجه لا ينافى اسناده الى الشيطان فى قوله تعالى فزين لهم الشيطان اعمالهم فانه زينها لهم بان دعاهم الى ما تشتهيه طباعهم وتميل اليه نفوسهم ﴿قوله ما يتبعها من ضر﴾ على تقدير ان يكون المزين اعمالهم القبيحة وقوله او نفع على تقدير ان يكون المزين اعمالهم الحسنة فهو من قبيل اللف والنشر المرتب والعمه التحير والتردد كما يكون حال الضلال عن الطريق وعن بعض الاعراب انه دخل السوق وما ابصرها قط فقال رأيت الناس عمهين اراد انهم مترددون فى اعمالهم واشغالهم ﴿قوله كالقتل والاسر يوم بدر﴾ حمل سوء العذاب على عذاب الدنيا لعطف قوله وهم فى الآخرة هم الاخسرون على قوله اولئك الذين لهم سوء العذاب ﴿قوله لتؤتاه﴾ قال تعالى وما يلقاها الا الذين صبروا اى وما يؤتاها وقيل لتلقى كذا اى لتأخذه من قولهم تلقيته ولقيته

وتأخيره باعتبار تعلق علمنا به وتقديمه فى الحجر باعتبار الوجود او القرءآن وابانته لما اودع فيه من الحكم والاحكام او لصحته باعجازه وعطفه على القرءآن كعطف احدى الصفتين على الاخرى وتنكيره للتعظيم وقرئ وكتاب بالرفع على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه (هدى وبشرى للمؤمنين) حالان من الآيات والعامل فيهما معنى الاشارة او بدلان منها او خبران آخران او خبران لمحذوف (الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة) الذين يعملون الصالحات من الصلاة والزكاة (وهم بالآخرة هم يوقنون) من تمة الصلة والواو للحال او للعطف وتغيير النظم للدلالة على قوة يقينهم وثباته وانهم الاوحدون فيه او جملة اعتراضية كأنه قيل وهؤلاء الذين يؤمنون ويعملون الصالحات هم الموقنون بالآخرة فان تحمل المشاق انما يكون لخوف العاقبة والوثوق على المحاسبة وتكرير الضمير للاختصاص (ان الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم اعمالهم) زين لهم اعمالهم القبيحة بان جعلها مشتهاة للطبع محبوبة للنفس او الاعمال الحسنة التى وجب عليهم ان يعملوها بترتيب المثوبات عليها (فهم يعمهون) عنها لا يدركون ما يتبعها من ضر او نفع (اولئك الذين لهم سوء العذاب) كالقتل والاسر يوم بدر (وهم فى الآخرة هم الاخسرون) اشد الناس خسرانا لفوت المثوبة واستحقاق العقوبة (وانك لتلقى القرءآن) لتؤتاه (من لدن حكيم عليم)

اى حكيم واى عليم والجمع بينهما مع ان العلم داخل فى الحكمة لعموم العلم ودلالة الحكمة على اتقان الفعل والاشعار بان علوم القرآن منها ماهى حكمة كالعقائد والشرآئع ومنها ماليس كذلك كالقصص والاخبار عن المغيبات ثم شرع فى بيان بعض تلك العلوم بقوله (اذ قال موسى لاهله انى آنست نارا) اى اذكر قصته اذ قال ويجوز ان يتعلق بعليم (سآتيكم منها بخبر) اى عن حال الطريق لانه قد ضله وجمع الضمير ان صح انه لم يكن معه غير امرأته لما كنى عنها بالاهل والسين للدلالة على بعد المسافة او الوعد بالاتيان وان ابطأ (او آتيكم بشهاب قبس) شعلة نار مقبوسة واضافة الشهاب اليه لانه يكون قبسا وغير قبس ونوّنه الكوفيون ويعقوب على ان القبس بدل منه او وصف له لانه بمعنى المقبوس والعدتان على سبيل الظنّ ولذلك عبر عنهما بصيغة الترجى فى طه والترديد للدلالة على انه ان لم يظفر بهما لم يعدم احدهما بناء على ظاهر الامر وثقة بعادة الله تعالى انه لا يكاد يجمع حرمانين على عبده (لعلكم تصطلون) رجاء ان تستدفئوا بها والصلاء النار العظيمة (فلما جاءها نودى ان بورك) اى بورك فانّ النداء فيه معنى القول او بان بورك على انها مصدرية او مخففة من الثقيلة والتخفيف وان اقتضى التعويض بلا او قد او السين او سوف لكنه دعاء وهو يخالف غيره فى احكام كثيرة (من فى النار ومن حولها) من فى مكان النار وهو البقعة المباركة المذكورة فى قوله تعالى نودى من شاطئ الوادى الايمن فى البقعة المباركة ومن حول مكانها

اى اخذته ﴿قوله اى حكيم واىّ عليم﴾ اشارة الى ان التنكير فيهما للتعظيم ﴿قوله مع ان العلم داخل فى الحكمة﴾ فان الحكمة اتقان الفعل بان يفعله على وفق العلم فان من يعلم امرا ولا يأتى بما يناسب علمه لا يقال له حكيم فلما وصف الله تعالى نفسه بانه حكيم علم منه كونه عليما فما وجه الجمع بينهما * وتقرير الجواب ان العلم الذى يدخل فى الحكمة هو العلم العملى وهو الذى يتعلق بكيفية العمل والعلم اعم منه لانه يتناول العلم النظرى ايضا وهو الذى يقصد لذاته لا للعمل به فذكر الحكيم لا يغنى عن ذكر العليم فلذلك وصف نفسه بالحكمة المشتملة على العلوم العملية ثم اتبعه بقوله عليم اى بالغ فى كمال العلم كأنه قيل مصيب فى افعاله لا يفعل شيأ منها الا على وفق علمه عليم بكل شئ واحواله سوآء كان ذلك العلم مؤديا الى العمل ام لا ثم اشار الى جواب آخر مبنى على ان تكون الحكمة نفس العلم بالمعنى الاعم المتناول للعلوم النظرية والعملية فيكون تقرير السؤال حينئذ ان الحكمة نفس العلم فلم ذكر العلم بعد ذكر الحكمة ويكون تقرير الجواب حينئذ ان الحكمة التى هى نفس العلم هى الحكمة المنقسمة الى العملية والنظرية كالعلم المتعلق بالشرآئع والاحكام والعلم المتعلق بالاعتقادات والعلم اعم من الحكمة بهذا المعنى بحيث يطلق على ما لا يسمى حكمة كالعلم بالقصص والعلم بالمغيبات فان شيأ منهما غير مندرج تحت الحكمة بالمعنى المذكور فلو اقتصر على قوله حكيم لما فهم الا كونه تعالى عالما بما يتعلق بافعال المكلفين وعقائدهم وان علوم القرآن ليست الا ماهى حكمة فلما اتبع ذلك قوله عليم فهم منه ان علوم القرآن منها ماهى حكمة ومنها ماليس كذلك ﴿قوله ثم شرع فى بيان بعض تلك العلوم﴾ يعنى ان قوله تعالى وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم بعد قوله تلك آيات القرآن وكتاب مبين ذكر تمهيدا لما ذكر بعده من العلوم التى ليست من قبيل الحكمة والا فمعلوم انه عليه الصلاة والسلام تلقى القرآن من قبله تعالى ﴿قوله والسين للدلالة على بعد المسافة﴾ جواب عما يقال التسويف لا يناسب المقام لان المفارقة عن الاهل فى الليلة الشاتية مع انفرادها لا تقبل التسويف فى الاتيان اليها اجاب عنه اوّلا بانه انما سوّف الاتيان للتنبيه على بعد المسافة فلو لم ينبه على بعدها لربما خالجتها عند تأخر اتيانه شبهة وثانيا بان السين فيه ليست للتسويف بل للتأكيد والوعد بالاتيان مع قطع النظر عن التسويف والفور ﴿قوله شعلة نار مقبوسة﴾ اشارة الى انه اختار قرآءة من قرأ باضافة شهاب الى قبس اضافة بيانية وان الشهاب الشعلة وان القبس النار المقبوسة اى المأخوذة من قولك اقتبست منه نارا او علما اى استفدته منه فعل بمعنى مفعول كقبض ونقض كأنه قيل بشعلة نار مقبوسة ﴿قوله والعدتان على سبيل الظنّ﴾ اشارة الى جواب ما يقال انه تعالى قال ههنا سآتيكم منها بخبر وفى سورة طه لعلى آتيكم منها بقبس وهما كالمتدافعين لان احدهما ترج والآخر تيقن ومحصول الجواب انه لا تدافع بينهما لان الراجى اذا قوى رجاؤه يقول سأفعل كذا وسيكون كذا مع تجويزه خلاف ذلك ﴿قوله والترديد﴾ يعنى ان كل واحد من الامرين مطلوب فالظاهر ان يقال سآتيكم منها بخبر وشهاب قبس بالواو الجامعة والجواب انهما وان كانا مطلوبين الا ان المظنون حصول احدهما بناء على الظاهر او على سنة الله ان لا يجمع حرمانين على عبد ﴿قوله اى بورك﴾ يعنى انّ فى كلمة ان ثلاثة اوجه احدها انها المفسرة لتقدم ما هو بمعنى القول والثانى انها الناصبة للمضارع باسقاط الخافض اى نودى موسى بأن بورك والثالث انها المخففة واسمها ضمير الشان وبورك خبرها ولما ورد ان يقال كيف جاز ان تكون مخففة وهى اذا دخلت على الفعل وكان ذلك الفعل من الافعال المتصرّفة وجب ان تفصل المخففة من الفعل بحرف من حروف التعويض وهى السين نحو علم ان سيقوم وسوف نحو ان سوف يقوم وقد نحو ليعلم ان قد ابلغوا او من حروف النفى نحو علمت ان لم يقم وان لن يقوم وان لا يقوم وما قام وما يقوم فرقا بينها وبين ان المصدرية فان ان المصدرية لا يفصل بينها وبين الفعل بشئ من الحروف المذكورة لكونها مع الفعل بتأويل المصدر معنى فلا يفصل بينها وبين ما يؤثر فيها لضعفها وتسمى النحاة هذه الحروف التى بعد ان المخففة بحروف التعويض لكونها كالعوض من احدى نونى ان ولما وردت هذه الشبهة اجاب عنها بقوله والتخفيف وان اقتضى التعويض ومنع صاحب الكشاف كونها مخففة بناء على انتفاء حرف التعويض وهذا منه مبنى على انّ بورك خبر لا دعاء فانه اذا قلنا انه دعاء لم يحتج الى الفاصل ومن فى النار قائم مقام الفاعل لبورك فان بارك يتعدى بنفسه ولذلك بنى للمفعول يقال باركك الله ويقال ايضا بارك الله عليك وبارك فيك وبارك لك فقولنا بورك من فى النار وعلى من فى النار وفيمن فى النار سوآء قال الشاعر

※ فبوركت مولودا وبوركت ناشئا ※ وبوركت عند الشيب اذ انت اشيب ※

ومعنى بورك من فى النار ومن حولها بورك من فى مكان النار ومن حول مكانها والذى بوركت به البقعة وبورك من فيها وحواليها حدوث امر دينى فيها وهو تكليم الله تعالى موسى عليه الصلاة والسلام وتخصيصه بالرسالة والاكرام واظهار المعجزات العظام له فيها ورب خير يحدث فى تلك البقاع فينشر الله تعالى بركته فى اقاصيها فكيف بمثل ذلك الامر الذى جرى فى تلك البقعة ﴿قوله الموسومة بالبركات﴾ فى قوله تعالى ونجيناه ولوطا الى الارض التى باركنا فيها للعالمين فان قوله للعالمين دليل ظاهر على ان الذى بورك فيه عام والكفات مايكفت فيه الشئ اى يضم ويجمع وفى الحديث «اكفتوا صبيانكم بالليل فان للشيطان خطفة» ومنه قوله تعالى الم نجعل الارض كفاتا احياء وامواتا ﴿قوله من تمام مانودى به﴾ يعنى انه عليه الصلاة والسلام نودى بمجموع الامرين ناداه وخاطبه اولا بقوله بورك من فى النار بشارة له بانه قد قضى له امر عظيم ثم ناداه بتنزيه رب العزة عما يليق به فى ذاته وحكمته لئلا يتوهم من سماع كلامه ان كلامه مركب من الحروف والاصوات وانه محل الحوادث كسائر المتكلمين وانه يحيط به الزمان والمكان ونحو ذلك مما لايليق بذاته تعالى قال اهل السنة انه عليه الصلاة والسلام سمع الكلام المنزه عن مشابهة كلام المخلوقين فعلم بالضرورة انه كلام الله تعالى وصفته القائمة به فكما جاز ان ترى ذاته بلا كم وكيف فكذا جاز ان يسمع كلامه بلا حرف وصوت ﴿قوله والتعجيب﴾ عطف على قوله لئلا يتوهم يعنى انه تعجيب لموسى عليه الصلاة والسلام مما شاهده فى تلك البقعة المباركة وايذان له بأن ذلك الامر مريده ومكونه رب العالمين كأنه قيل فما اعظم امرا مريده من هو رب العالمين فيكون قوله وسبحان الله رب العالمين كالتذييل والتأكيد لمايتضمنه قوله بورك الخ اوهو تعجب من موسى بتقدير القول وهو معطوف على قوله من تمام مانودى به ﴿قوله او للتكلم﴾ عطف على قوله للشأن اى ويحتمل ان يكون ضمير انه راجعا الى مادل عليه ماقبله والمعنى ان من يكلمك انا ولفظ الجلالة بيان لانا ﴿قوله تعالى تهتز﴾ جملة حالية من مفعول رآها وقوله كأنها جان يجوز ان تكون حالا ثانية وان تكون حالا من فاعل تهتز فتكون حالا متداخلة وقوله ولم يعقب عطف على ولى والمعنى ولم يرجع على عقبه وكل راجع معقب قال

※ فما عقبوا اذ قيل هل من معقب ※ ولانزلوا يوم الكريهة منزلا ※

قيل ان العصا انقلبت حية عظيمة لكنها فى سرعة حركتها والتوائها كأنها جان وهى الحية الصغيرة فان الحية العظيمة لاتقدر عليها فلذلك خاف موسى عليه الصلاة والسلام فظن ان فى انقلاب العصا حية امرا اريد به هلاك نفسه ويدل على ان خوفه كان لذلك قوله تعالى ياموسى اى قلنا له ياموسى لاتخف من غيرى لانه عليه الصلاة والسلام نهى عن الخوف مطلقا فان الخوف اللازم للايمان والمعرفة لايفارق المرسلين ولاينهون عنه قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء فمن كانت معرفته اكمل كان خوفه وخشيته اتم واوفر فلذلك قال عليه الصلاة والسلام «انا اخشاكم لله» وانما ينهون عن الخوف من غير الله تعالى وهم فى كنف عصمته آمنون فلذلك قيل له لاتخف بأس الحية ويحتمل ان يكون المعنى لاتخف مطلقا فان حال خطاب الله تعالى اياهم ووصيته اليهم ينفى عنهم الخوف مطلقا لفرط الاستغراق لا الخوف من غيره تعالى فقط ﴿قوله او لايكون لهم عندى﴾ اى فى حكمى وقضائى وقوله او مطلقا كل واحد منهما معطوف على قوله اى من غيرى فالمعنى على الثالث لاتخف من سوء العاقبة اذ ليس لاحد من المرسلين سوء عاقبة فى حكمى فيخافون منه ﴿قوله استثناء منقطع﴾ وانما جعله كذلك لان المستثنى وهو من ظلم اى من زل من المرسلين غير مخرج من الحكم المذكور وهو عدم الخوف لانه كما لايخاف الرسل المعصومون من الزلات لايخاف ايضا من فرط منه ماغفر له ثم ترحم عليه لان المغفور له والمرحوم عليه كيف يخاف من الذنب الذى غفر له فاذا تعين انه لايخاف احد من المرسلين من سوء العاقبة البتة فلما لم يكن المستثنى مخرجا من الحكم المذكور لم يكن الاستثناء متصلا وكانت كلمة الا بمعنى لكن التى للاستدراك لانه لما نفى الخوف عن المرسلين كلهم اختلج فى الصدور وهم وهو ان يقال كيف يصح نفى الخوف عمن ظلم اى زل من المرسلين فدفعه بان قال الامن ظلم اى زل ثم بدل حسنا اى توبة وندما بعد سوء بعد زلة كائنة ماكانت وهو فائدة التنكير فانى غفور رحيم وقيل انه متصل والمعنى لايخاف لدى المرسلون الامن ظلم فانه يخاف فيتم الكلام عند قوله الامن ظلم فيكون قوله ثم بدل حسنا مستأنفا معطوفا على محذوف * واعلم ان الناس اختلفوا فى جواز الذنب على الانبياء

والظاهر انه عام فى كل من فى تلك البقعة وحواليها من ارض الشأم الموسومة بالبركات لكونها مبعث الانبياء وكفاتهم احياء وامواتا وخصوصا تلك البقعة التى كلم الله فيها موسى وقيل المراد موسى والملائكة الحاضرون وتصدير الخطاب بذلك بشارة بانه قد قضى له امر عظيم تنتشر بركته فى اقطار الشأم (وسبحان الله رب العالمين) من تمام مانودى به لئلا يتوهم من سماع كلامه تشبيها وللتعجيب من عظمة ذلك الامر او تعجب من موسى لما دهاه من عظمته (ياموسى انه انا الله) الهاء للشأن وانا الله جملة مفسرة له او للمتكلم وانا خبره والله بيان له (العزيز الحكيم) صفتان لله ممهدتان لما اراد ان يظهره يريد انا القوى القادر على مايبعد عن الاوهام كقلب العصا حية الفاعل كل ما افعله بحكمة وتدبير (وألق عصاك) عطف على بورك اى نودى ان بورك من فى النار وان ألق ويدل عليه قوله وان ألق عصاك بعد قوله أن ياموسى انى انا الله بتكرير أن (فلما رآها تهتز) تتحرك باضطراب (كأنها جان) حية خفيفة سريعة وقرئ جأن على لغة من جد فى الهرب من التقاء الساكنين (ولى مدبرا ولم يعقب) ولم يرجع من عقب المقاتل اذا كر بعد الفرار وانما رعب لظنه ان ذلك لأمر اريد به ويدل عليه قوله (ياموسى لاتخف) اى من غيرى ثقة بى اومطلقا لقوله (انى لايخاف لدى المرسلون) حين يوحى اليهم من فرط الاستغراق فانهم أخوف الناس من الله اولا يكون لهم عندى سوء عاقبة فيخافون منه (الامن ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فانى غفور رحيم) استثناء منقطع استدرك به مايختلج فى الصدر من نفى الخوف عن كلهم وفيهم من فرطت منه صغيرة فانهم وان فعلوها أتبعوا فعلها مايبطلها ويستحقون به من الله مغفرة ورحمة فانه لايخاف ايضا وقصد تعريض موسى بوكزه القبطى وقيل متصل وثم بدل مستأنف معطوف على محذوف اى من ظلم ثم بدل ذنبه بالتوبة

وعدمه قالت الحشوية يجوز صدور الكبائر عنهم عمدا وقالت المعتزلة لايجوز صدور الكبائر عنهم ويجوز صدور الصغائر الامايتفر كالكذب وسرقة لقمة وتطفيف حبة وقال الجبائى لايجوز عليهم الصغيرة ولا الكبيرة على جهة العمد بل على التأويل وقالت الرافضة لايقع منهم ذنب قط لاقبل البعثة ولابعدها بل هم معصومون من ابتدآء ولادتهم * قال الامام والمختار عندنا انهم لم يصدر عنهم ذنب حال النبوّة لاالصغيرة ولاالكبيرة وفى كلامه اشعار بان ترك الاولى منهم كالصغيرة منا لان حسنات الابرار سيئات المقربين فتأويل الآية على رأينا الا من ظلم قبل النبوّة ثم بدّل بعدها حسنا ويؤيده لفظة ثم فانها للتراخى قال الحسن كان موسى والله اعلم ممن ظلم بقتل القبطى ثم بدّل حسنا فانه عليه الصلاة والسلام قال رب انى ظلمت نفسى فاغفرلى فلذلك قال المصنف وقصد تعريض موسى بوكزه القبطىّ ﴿قوله لانه كان مدرعة صوف لاكم لها﴾ علة لامره عليه الصلاة والسلام بادخال يده فى جيبه وسترها به يعنى انه تعالى لما اراد ان يجعل يده بيضاء برّاقة كشعاع الشمس وان لايجعلها كذلك الا وهى مستورة محتجبة بشئ وكانت يده الكريمة مكشوفة من حيث ان مدرعته لاكم لها امره بادخال يده فى جيبه اى فى مدرعته اوقيصه والمدرعة جبة صغيرة يتدرّع بها اى تلبس بدل الدرع وهو القميص والجيب كما يطلق على ماجيب من القميص اى قطع لخروج الرأس منه يطلق ايضا على نفس القميص وفى الصحاح الجيب القميص تقول جبت القميص اجيبه اذا قددت جيبه واختار المصنف ان يكون المراد بالجيب المدرعة لاالقميص لما روى عن ابن عباس انه قال وكانت زرنبانقة من صوف والزرنبانقة جبة قصيرة كماها الى مرفقيه ولم تكن لها ازرار فأدخل يده فى جيبها فأخرجها فاذا هى تبرق مثل البرق وقال المفسرون كانت عليه مدرعة من صوف لاكم لها ولا ازرار فادخل يده فى جيبها واخرجها فاذا هى تبرق مثل البرق وكان تعالى قادرا على ان يجعل يده بيضاء من غير ادخاله اياها فى جيبه وايضا كان قادرا على ان يصير عصاه ثعبانا وهى فى يده لكنه تعالى امتحنه بالامر بادخال يده فى جيبه وبالقاء عصاه ولله تعالى ان يمتحن عباده بمايشاء من انواع المحن وقوله تخرج مجزوم على انه جواب لقوله ادخل اى ان ادخلتها تخرج على هذه الصفة وقوله بيضاء حال من فاعل تخرج ومن غيرسوء يجوز ان تكون حالا ثانية منه اومن الضمير فى بيضاء وان تكون صفة لبيضاء ﴿قوله فى جلتها اومعها﴾ على الاوّل تكون الآيات تسعا وتكون هاتان الاثنتان داخلتين فى جلتهنّ وعدادهنّ ويكون قوله فى تسع آيات خبرمبتدأ محذوف اى هما داخلتان فى جلة تسع آيات وعلى الثانى تكون لفظة فى بمعنى مع ويكون فى تسع آيات حالا من الضمير فى بيضاء وتكون الآيات احدى عشرة وهما اثنتان والباقية تسع فكانه تعالى لما اراه هاتين الآيتين اشار الى ان هنا تسع معجزات أخرهنّ مثلهما فى الاعجاز وكلمة فى قد تكون بمعنى مع ولذلك قالت الائمة اذا قال لزيد علىّ عشرة فى تسعة واراد المعية يلزمه تسعة عشر ومن جلة الآيات ان موسى عليه الصلاة والسلام دعا ربّه بقوله ربنا اطمس على اموالهم فجعل الله تعالى اموالهم حجارة والطموس الدروس والانمحاء ﴿قوله ان يعدّ الاخيرين واحدا﴾ لان الجدب والنقصان كالشئ الواحد غاية مافى الباب ان الجدب كان بالنسبة الى اهل البوادى ونقصان الزرع بالنسبة الى مزارعهم فسقط بهذا الاعتبار واحد وسقط الآخر باعتبار ان المراد بالآيات التسع هذه الآيات التى بعث موسى بها الى فرعون وهى تسع لاغير وفلق البحر ليس من الآيات التى كانت لدعوة فرعون الى الايمان بل انما كان لاهلاكهم بشؤم اصرارهم وعنادهم ﴿قوله اواذهب فى تسع آيات﴾ عطف على قوله فى جلتها اى ويجوز ان يكون فى تسع آيات متعلقا باذهب المقدّر وجعل ذهابه فيها عبارة عن كونه محفوظا متحصنا من بأس الاعدآء بسببها كما يتحصن من هو داخل الحصن المحيط به من شرّ من يعاديه ﴿قوله اوذات بصر﴾ على ان يكون صيغة اسم الفاعل للنسب كتامر ولابن فيكون اثبات البصر لها تخييلا للاستعارة المكنية بان شبه الآيات بالشخص الهادى واثبت لها الابصار على وجه التخييل قرينة لها لان الاعمى لايقدر على الاهتدآء فضلا عن ان يهدى غيره ﴿قوله اومبصرة كل من نظر اليها﴾ يعنى ان الابصار فى الحقيقة صفة من نظر وتأمّل فى الآيات وجعل انفس الآيات مبصرة على الاسناد المجازى للملابسة بينها وبين المتأملين فيها المتأملون انما يبصرون بسبب تأمّلهم فيها فلما كانت سببا لابصارهم نسب الابصار اليها اسنادا مجازيا جعل صيغة اسم الفاعل اوّلا بمعنى المفعول نحو ماء دافق اى مدفوق ثم جعلها للنسب ثم جعل مافيها من الاسناد من قبيل الاسناد المجازى ﴿قوله وقرئ مبصرة﴾ بفتح الميم والصاد على وزن مسبعة ومأسدة اذا كثر فيها السبع والاسد وانتصابها على القرآءتين على انها حال من آياتنا ﴿قوله

﴿وادخل يدك فى جيبك﴾ لانه كان مدرعة صوف لاكم لها وقيل الجيب القميص لانه يجاب اى يقطع ﴿تخرج بيضاء من غير سوء﴾ آفة كبرص ﴿فى تسع آيات﴾ فى جلتها اومعها على ان التسع هى الفلق والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمسة والجدب فى بواديهم والنقصان فى مزارعهم ولمن عدّ العصا واليد من التسع ان يعدّ الاخيرين واحدا ولا يعدّ الفلق لانه لم يبعث به الى فرعون اواذهب فى تسع آيات على انه استئناف بالارسال فيتعلق به ﴿الى فرعون وقومه﴾ وعلى الاوّلين يتعلق بنحو مبعوثا ومرسلا ﴿انهم كانوا قوما فاسقين﴾ تعليل للارسال ﴿فلما جاءتهم آياتنا﴾ بان جاءهم موسى بها ﴿مبصرة﴾ بينة اسم فاعل اطلق للمفعول اشعارا بانها لفرط اجتلائها للابصار بحيث تكاد تبصر نفسها لوكانت مما يبصر اوذات بصر من حيث انها تهدى والعمى لاتهتدى فضلا عن ان تهدى اومبصرة كل من نظر اليها وتأمل فيها وقرئ مبصرة اى مكانا يكثر فيه التبصر ﴿قالوا هذا سحر مبين﴾ واضح سحريته

(وجحدوا بها) وكذبوا بها (واستيقنتها انفسهم) وقد استيقنتها لان الواو للحال (ظلما) لانفسهم (وعلوا) ترفعا عن الايمان
وانتصابهما على العلة من جحدوا (فانظر كيف
كان عاقبة المفسدين) وهو الاغراق فى الدنيا
والاحراق فى الآخرة (ولقد آتينا داود
وسليمان علما) طائفة من العلم وهو علم الحكم
والشرائع او علما اى علم (وقالا الحمد لله)
عطفه بالواو اشعارا بان ماقالاه بعض ماأتيا به
فى مقابلة هذه النعمة كأنه قال ففعلا شكرا له
مافعلا وقالا الحمد لله (الذى فضلنا على كثير
من عباده المؤمنين) يعنى من لم يؤت علما او مثل
علمهما وفيه دليل على فضل العلم وشرف اهله
حيث شكرا على العلم وجعلاه اساس الفضل
ولم يعتبرا دونه مااوتيا من الملك الذى لم يؤت
غيرهما وتحريض للعالم على ان يحمد الله تعالى
على ماآتاه من فضله وان يتواضع ويعتقد انه
وان فضل على كثير فقد فضل عليه كثير
(وورث سليمان داود) النبوة او العلم او الملك
بان قام مقامه فى ذلك دون سائر بنيه وكانوا
تسعة عشر (وقال ياأيها الناس علمنا منطق
الطير واوتينا من كل شئ) تشهيرا لنعمة الله
وتنويها بها ودعاء للناس الى التصديق بذكر
المعجزة التى هى علم منطق الطير وغير ذلك
من عظائم ما اوتيه والنطق والمنطق فى
التعارف كل لفظ يعبر به عما فى الضمير مفردا كان
او مركبا وقد يطلق لكل مايصوت به على
التشبيه او التبع كقولهم نطقت الحمامة ومنه
الناطق والصامت للحيوان والجماد فان
الاصوات الحيوانية من حيث انها تابعة
للتخيلات منزلة منزلة العبارات سيما وفيها
مايتفاوت باختلاف الاغراض بحيث يفهمها
ماهو من جنسه ولعل سليمان عليه الصلاة
والسلام مهما سمع صوت حيوان علم بقوته
الحدسية التخيل الذى صوته والغرض الذى
توخاه به ومن ذلك ماحكى انه مر ببلبل يصوت
ويترقص فقال يقول اذا اكلت نصف تمرة فعلى
الدنيا العفاء وصاحت فاختة فقال انها تقول
ليت الخلق لم يخلقوا فلعله كان صوت البلبل
عن شبع وفراغ بال وصياح الفاختة عن
مقاساة شدة وتألم قلب والضمير فى علمنا
واوتينا له ولابيه اوله وحده على عادة الملوك
لمراعاة قواعد السياسة والمراد من كل شئ
كثرة مااوتى كقولك فلان يقصده كل احد ويعلم كل شئ (ان هذا لهو الفضل المبين) الذى لايخفى على احد (وحشر) وجمع (لسليمان جنوده من الجن والانس
والطير فهم يوزعون) يحبسون يحبس اولهم على آخرهم ليتلاحقوا

﴿قوله وكذبوا بها﴾ لما كان المشهور ان الجحود انكار الشئ بعد المعرفة والايقان به تعنتا وكان حمله على هذا المعنى يستلزم كون قوله واستيقنتها انفسهم مستدركا فسره بالتكذيب بها والمعنى كذبوا بألسنتهم كونها آيات الهية وقد استيقنت قلوبهم وضمائرهم بذلك وقوله ظلما وعلوا يجوز ان يكون فى موضع الحال اى ظالمين وعالين وان يكون مفعولا له اى الحامل لهم على ذلك الجحود الظلم والعلو ﴿قوله تعالى كيف﴾ خبر كان قدم عليها وعاقبة اسمها ﴿قوله طائفة من العلم﴾ على ان يكون التنكير للنوعية كما فى قوله وعلى ابصارهم غشاوة وقوله او علما اى علم على ان يكون التنوين للتعظيم ﴿قوله عطفه بالواو﴾ مع ان ظاهر الحال يقتضى عطفه بالفاء السببية لتؤذن بانهما انما حمدا الله تعالى شكرا على نعمة ايتاء العلم الذى هو من جلائل النعم لكن عطفه بالواو التى تستدعى معطوفا عليه مسببا عن تلك النعمة يشعر بان ماقالاه بعض ما اتيا به فى مقابلة هذه النعمة كأنه قيل ففعلا شكرا له مافعلا من الشكر بالجوارح والجنان وقالا بلسانهما الحمد لله فلو عطف بالفاء لاقتصر على الشكر اللسانى وفات الاشعار المذكور ﴿قوله وكانوا تسعة عشر﴾ اى كان لداود تسعة عشر ابنا واعطى من بينهم سليمان مااعطى داود من الملك وزيد له تسخير الريح وتسخير الشياطين قال مقاتل كان سليمان اعظم ملكا من داود وكان داود اشد تعبدا من سليمان ﴿قوله تشهيرا لنعمة الله تعالى وتنويها بها﴾ يعنى انه عليه الصلاة والسلام لم يقل ذلك على سبيل الافتخار بل على سبيل الاعتراف بفضل الله تعالى واحسانه اليه وعلى طريق رفع ذلك الفضل واعلاء ذكره يقال نوهت باسمه اذا رفعت ذكره واعليت شأنه ﴿قوله بذكر المعجزة﴾ متعلق بالدعاء لا بالتصديق والا لقيل بالمعجزة ﴿قوله والنطق والمنطق فى التعارف﴾ النطق فى الاصل مصدر نطق الرجل ينطق اى تكلم فاشار المصنف الى انه يستعمل فى عرف الناس بمعنى الكلام المنطوق الدال على مافى الضمير ثم قال وقد يستعمل بمعنى الصوت مطلقا سواء صدر عمن له فؤاد وكلام نفسى ام لا اما على تشبيه صوت من لافؤاد له بصوت العقلاء فى كونه صوتا تابعا للتخيل او لمجرد التبعية والاطراد بمعنى ان اسم النطق والمنطق لما اطلق على بعض الاصوات اطلق على البواقى ايضا على سبيل الاطراد ثم اشار الى وجه الشبه بقوله فان الاصوات الحيوانية الخ ثم انه لما بين وجه اطلاق المنطق على صوت الطير قال ولعل المراد بتعليم سليمان منطق الطير وصوته علمه بالتخيل الذى حمل الطير على ذلك الصوت وبالغرض الذى توخاه بصوته لانه يعلم انه يصوت بذلك الصوت من غير ان يفهم التخيل الذى نشأ منه ذلك الصوت والعفاء بالمد وفتح العين الدروس وذهاب الاثر وقيل العفاء التراب قال تعالى فى صفة الهدهد فمكث غير بعيد فقال احطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين واعجب منه انه عليه الصلاة والسلام علم كلام من لاصوت له كالنمل قال تعالى قالت نملة ياايها النمل ادخلوا مساكنكم الى قوله فتبسم ضاحكا من قولها * وروى انه صاح ورشان فقال عليه الصلاة والسلام انه يقول لدوا للموت وابنوا للخراب والطاووس يقول كما تدين تدان اى كما تفعل تجازى والهدهد يقول كل حى ميت وكل جديد بال والخطاف يقول قدموا خيرا تجدوه والحمامة تقول سبحان ربى الاعلى ملء سمواته وارضه والقطا يقول من سكت سلم والببغاء تقول ويل لمن الدنيا همه والدراج يقول الرحمن على العرش استوى والقنبر يقول اللهم العن مبغض محمد وآل محمد والنسر يقول ابن آدم عش ماشئت آخره الموت والعقاب يقول فى البعد عن الناس انس والضفدع يقول سبحان ربى القدوس والديك يقول اذكروا الله ياغافلون والحمار يقول اللهم العن العشار والفرس يقول اذا التقى الصفان سبوح قدوس رب الملائكة والروح والزرزور يقول اللهم انى اسألك قوت يوم بيوم يارزاق فكل صنف من الطيور يفهم الغرض الذى يتوخاه الآخر والذى علمه سليمان من منطق الطير هو مايفهم بعضها من بعض من مقاصده واغراضه ولذلك قال ياايها الناس تفضل الله على بزيادة ماورثته من ابى من النبوة والملك والعلم بان علمنى منطق الطير اى فهمنى مايقوله الطير ﴿قوله والضمير فى علمنا﴾ يعنى ان علمنا واوتينا من كلام المتكبرين فكيف يليق بسليمان ذلك * اجاب عنه اولا بانه ليس ضمير المعظم نفسه وثانيا بانه ضمير المعظم نفسه الا انه لم يقله تكبرا بل قاله على عادة الملوك فانهم يتكلمون بمثل ذلك رعاية لقاعدة السياسة ومقتضى الملك صيانة لرفعتهم وقدرهم فى قلوب الرعايا وقوله واوتينا من كل شئ اراد به كثرة ما اوتى كما يقال فلان يقصده كل احد ويراد كثرة قاصديه اقامة للتكثير مقام الكل ونحوه قوله تعالى واوتيت من كل شئ وقوله ان هذا اى الذى اوتينا لهو الفضل المبين وارد على سبيل الشكر لا الافتخار كما قال عليه الصلاة والسلام * انا سيد ولد آدم ولا فخر * اى اقوله شكرا لا افتخارا ﴿قوله من الجن وما بعده﴾

بيان لجنوده فيتعلق بمحذوف ويجوز ان يكون هذا الجار حالا فيتعلق بمحذوف ايضا وكون طوآئف الجن والانس والطير جنود السليمان يقتضى ان يكون كل واحد من هذه الاصناف متصرفا على مراده ممتثلا لامره ولا يكون كذلك الا مع العقل الذى يصح معه التكليف بان لا يكون كل واحد من تلك الاصناف اقل عقلا من المراهق الذى قد قارب حدّ التكليف فيلزم منه انه تعالى جعل الطير فى ايامه من ذوات العقل والفهم وان لم تكن كذلك فى ايامنا وكذا قوله تعالى قالت نملة يدل على انها تكلمت بذلك وليس بمستبعد لان الله تعالى قادر على ان يخلق فيها العقل والنطق قال المفسرون كان سليمان اذا اراد سفرا امر فجمع له طوآئف من هؤلاء الجنود على بساط واحد نسجه الجن له من ذهب وابريسم فرسخا فى فرسخ ثم يأمر الريح فتحملهم بين السماء والارض والمعنى وجمع له جنوده فى مسيره من الاماكن المختلفة ومعنى الوزع فى اللغة هو الكف يقال وزعه يزعه اذا كفه ومنه قوله مايزع القرءآن اكثر مما يزع السلطان وقال عثمان رضى الله عنه مايزع السلطان اكثر مما يزعه القرءآن وقالوا لابد للناس من وزعة اى من حكام يكفونهم عن الشرّ والعبث والفساد قال الشاعر

* ولم يزعه لبه وحياؤه * فليس له من شيب فوديه وازع *

﴿**قوله** تعالى حتى اذا اتوا﴾ متعلق بقوله يوزعون لانه يتضمن معنى فهم يسيرون ممنوعا بعضهم عن مفارقة بعضهم فى مسيرهم ليجتمعوا احسن اجتماع فى الهيئة والهيبة فى الرؤية حتى اذا اتوا ويجوز ان يتعلق بمحذوف اى فساروا حتى ﴿**قوله** وتعدية الفعل اليه بعلى﴾ مع انه قد يتعدّى بنفسه وبكلمة الى يقال اتيته واتيت اليه امالانهم اتوا اليه مستعلين فوقه لانهم كانوا محمولين على الريح وقيل هو من قولهم اتيت عليه اذا قطعته وبلغت آخره والمعنى حتى اذا قطعوا الوادى كله وبلغوا آخره ﴿**قوله** كانهم ارادوا ان ينزلوا اخريات الوادى﴾ اى عند منقطعه لانهم مادامت الريح تحملهم فى الهوآء لاتخاف النملة حطمهم ﴿**قوله** كانها لما رأتهم متوجهين الى الوادى﴾ لما لم تكن النملة من العقلاء الناصحين الذين يعبرون عما فى ضمائرهم بتراكيب ملفوظة تدل عليه دلالة وضعية لم يكن حمل الآية على الحقيقة ظاهرا فلذلك حمله المصنف على الاستعارة التمثيلية بان شبهت الحالة الواقعة بينها وبين قومها بما يقع بين العقلاء الناصحين فعبر عن الحالة المشبهة بما يعبر به عن الحالة المشبه بها فقيل قالت نملة الى آخر الآية والظاهر ان الكلام محمول على حقيقته بناء على انه لا يمتنع ان يخلق الله تعالى فيها العقل والنطق الا ترى انه تعالى سخر الريح والشياطين والطير لسليمان عليه الصلاة والسلام وجعل جميع ذلك جنودا واعوانا منقادين له لا يخالفونه فى شئ مما امرهم به وذلك لا يكون الا بجعلهم عقلاء مميزين ومع ذلك كيف يبعد ان يخلق الله تعالى العقل والنطق فى النملة وقد روى ان سليمان لما سمع قول النملة قال ائتونى بها فأتوه بها فقال لها لم حذرت النمل من ظلمى اما علمت انى نبىّ عدل فلم قلت لا يحطمنكم سليمان وجنوده فقالت النملة اما سمعت قولى وهم لا يشعرون ومع ذلك انى لم ارد حطم النفوس وانما اردت حطم القلوب خشيت ان يروا ماانعم الله به عليك من الجاه والملك العظيم فيقعوا فى كفران النعم فلا اقل من ان يشتغلوا بالنظر اليك عن التسبيح فقال لها سليمان عظينى فقالت النملة أعلمت لم سمى ابوك داود قال لا قالت لانه داوى جراحة قلبه وهل تدرى لم سميت سليمان قال لا قالت لانك سليم القلب والصدر ثم قالت اتدرى لم سخر الله لك الريح قال لا قالت اخبرك الله تعالى بذلك ان الدنيا كلها ريح فمن اعتمد عليها فكأنما اعتمد على الريح وقول النملة وهم لا يشعرون يدل على انها عرفت ان النبى عليه الصلاة والسلام معصوم فلا يقع منه قتل وايذآء بغير ذنب الا على سبيل السهو وهذا تنبيه عظيم على وجوب الجزم بعصمة الانبياء ولفظة نملة فى قوله تعالى قالت نملة مؤنث حقيقى بدليل لحوق علامة التأنيث فعلها لان نملة تطلق على الذكر والانثى فاذا اريد تمييز ذلك احتيج الى مميز خارجى نحو نملة ذكر ونملة انثى وكذا لفظ حمامة وعمامة من المؤنثات اللفظية * ذكر الامام ان قتادة دخل الكوفة فالتف عليه الناس فقال سلوا عما شئتم وكان ابو حنيفة رحمه الله حاضرا وهو غلام حديث السن فقال سلوه عن نملة سليمان اكانت ذكرا ام انثى فسألوه فافحم فقال ابو حنيفة رضى الله عنه كانت انثى فقيل له من اين عرفت فقال من كتاب الله تعالى وهو قوله قالت نملة ولو كان ذكرا لقيل قال نملة وذلك ان النملة مثل الحمامة والشاة فى وقوعهما على الذكر والانثى فيميز بينهما بعلامة نحو قولهم حمامة ذكر وحمامة انثى انتهى يعنى ان التأنيث لفظى ومعنوى واللفظى لا يعتبر فى لحوق علامة التأنيث بالفعل البتة بدليل انه لا يجوز قامت طلحة ولا حمزة على مذكرفتعين ان يكون اللحوق انما هو للتأنيث المعنوى ﴿**قوله** نهى لهم

(حتى اذا أتوا على وادى النمل) واد بالشأم كثير النمل وتعدية الفعل اليه بعلى اما لان اتيانهم كان من عال او لان المراد قطعه من قولهم اتى على الشئ اذا انفده وبلغ آخره كانهم ارادوا ان ينزلوا اخريات الوادى (قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم) كأنها لما رأتهم متوجهين الى الوادى فرّت منهم مخافة حطمهم فتبعها غيرها فصاحت صيحة فتنبهت بها ما بحضرتها من النمال فتبعتها فشبه ذلك بمخاطبة العقلاء ومناصحتهم ولذلك اجروا مجراهم مع انه لا يمتنع ان خلق الله فيها العقل والنطق (لا يحطمنكم سليمان وجنوده) نهى لهم عن الحطم والمراد نهيها عن التوقف بحيث يحطمونها كقولهم لا ارينك ههنا فهو استئناف او بدل من الامر لا جواب له فان النون لا يدخله فى السعة (وهم لا يشعرون) انهم يحطمونكم اذ لو شعروا لم يفعلوا كأنها شعرت عصمة الانبياء من الظلم والايذآء

عن الحطم ﴾ يعني ان النهي في لايحطمنكم متوجه الى سليمان وجنوده ظاهرا لكنه كناية في المعنى عن نهي النمل عن الوقوف في مكانهم فيحطمهم سليمان وجنوده كما ان النهي في لاارينك ههنا متوجه بحسب الظاهر الى المتكلم لكنه كناية عن نهي المخاطب عن الوقوف في مكانه فيراه فان وقوف المخاطب فيه ملزوم لرؤية المتكلم اياه فجعل النهي عن اللازم كناية عن النهي عن الملزوم والفاء في قوله فهو استئناف او بدل من الامر لتفريع جواز كل واحد من الامرين على كون النهي المذكور كناية عن نهي النمل عن الوقوف لانه لو كان النهي على ظاهره لما جاز كون لايحطمنكم بدلا من قوله ادخلوا لان نهي الجماعة لايصلح ان يكون بدلا من الامر لجماعة اخرى بخلاف مالو جعل كناية فان المأمور والمنهي حينئذ يكون جماعة النمل فتصح البدلية ومعنى كلامه انه لما كان نهي الجنود عن الحطم كناية عن نهي النمل عن الوقوف جاز ان يكون لايحطمنكم نهيا مستأنفا لاتعلق له بماقبله من حيث الاعراب وان يكون بدلا من جملة الامر قبله وهي ادخلوا ولا مدخل لكون النهي كناية في جواز كونه نهيا مستأنفا وانما المتفرع عليه جواز كل واحد من الامرين ﴿ قوله وقيل استئناف ﴾ عطف على مافهم من تقرير كلامه من ان قوله وهم لايشعرون حال من فاعل لايحطمنكم ﴿ قوله تعالى فتبسم ضاحكا ﴾ ليس معناه انه عليه الصلاة والسلام ضحك متبسما لان التبسم والضحك لايجتمعان بل اراد انه بالغ في تبسمه حتى بلغ نهايته التي هي اول مراتب الضحك وكأنه قيل فتبسم شارعا في الضحك وآخذا فيه ﴿ قوله ولذلك ﴾ اي ولاختصاصه بهذه النعمة الجليلة التي هي سماعه ماهمس به بعض النمل الذي هو مثل في الصغر واحاطته بمعناه فان احدا من الناس لم يسمع صوت النملة فضلا عن ان يفهم غرضها منه ﴿ قوله اجعلني ازع شكر نعمتك ﴾ اشارة الى ان همزة اوزع للتعدية وانه من الوزع بمعنى الكف والمنع عن التفرق والانتشار والوازع من يكف الرعية عن التظالم والفساد وقد مر آنفا أن قوله تعالى فهم يوزعون بمعنى يحبسون ويمنعون عن الانتشار حتى يجتمعوا في مسيرهم فانه احسن في الهيئة وأهيب في الرؤية سأل عليه الصلاة والسلام ان يجعله الله تعالى وازعا لجيش شكره فيكون قوله اوزعني ان اشكر استعارة مكنية حيث شبه الشكر بالجماعة النافرة وجعل تعليق الوزع والربط به تخييلا وقرينة للتشبيه المضمر في النفس ورد في الحديث «النعمة وحشية قيدوها بالشكر فانها اذا شكرت قرت واذا كفرت فرت» ﴿ قوله أدرج فيه ذكر والديه ﴾ اي ادرج ذكر النعمة الواصلة اليهما في ذكر النعمة المستدعية لشكر نفسه ﴿ قوله فان النعمة عليهما نعمة عليه ﴾ ضرورة فان انتساب الابن الى اب شريف نعمة من الله تعالى على الابن فيشكر تلك النعمة الواصلة منه تعالى الى الابن ﴿ قوله والنعمة عليه يرجع نفعها اليهما سيما الدينية ﴾ فان الابن اذا كان تقيا نفعهما بدعائه وشفاعته وبدعاء المؤمنين لهما كلما دعوا له وقالوا رضي الله عنك وعن والديك فاشتغل بشكر نعم الله تعالى على والديه ايضا اشعارا بان نعمتهما من آثار ما انعم به عليه ﴿ قوله في عدادهم الجنة ﴾ لفظ الجنة بدل من العداد المقدر يعني ان المراد من ادخاله في العباد ادخاله في عدادهم والمقصود منه ادخاله فيما هي لهم وهو الجنة لانه قد سأل ان يوفقه الله تعالى للاعمال الصالحة ودخوله في زمرة الصالحين بقوله وأن أعمل صالحا ترضاه فلو حمل قوله وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين على طلب التوفيق للاعمال الصالحة لكان تكرارا فالآية دليل على ان دخول الجنة انما يكون برحمة الله وفضله لا باستحقاق العبد وصلاحه والصالح الكامل هو من لايعصي الله ولايلم بمعصية وهو درجة عالية يطلبها كل نبي وولي ﴿ قوله وتعرف الطير ﴾ اي طلبه وبحث عنه والتفقد طلب مافقد وغاب عنك ﴿ قوله ام منقطعة ﴾ لان قوله مالي لااري الهدهد تعجب من عدم رؤية الهدهد وهو يستدعي كون حضور الهدهد مجزوما به عنده فلا وجه لكون الاستفهام لطلب التعيين بل يجب ان يكون للاضراب عن ظن كونه حاضرا عنده ﴿ قوله او جعله مع ضده في قفص ﴾ عد ذلك من العذاب الشديد لما قيل أضيق السجون معاشرة الاضداد قرأ ابن كثير ليأتينني بنونين اولاهما نون التأكيد المشددة المفتوحة وثانيتهما نون الوقاية المكسورة والباقون بنون واحدة مشددة مكسورة والاصل قراءة ابن كثير لكن حذفت النون التي قبل ياء المتكلم كراهة لاجتماع النونات ﴿ قوله والحلف في الحقيقة على احد الاولين ﴾ جواب عما يقال انه عليه الصلاة والسلام حلف على ثلاثة اشياء اثنان منها فعله فيصح الحلف عليهما بأن يقول والله لأعذبنه اولأذبحنه والثالث فعل الهدهد وهو اتيانه بحجة بين عذره في غيبته فكيف يصح حلفه على ماهو فعل غيره ومن أين درى انه يأتي بسلطان بين حتى يقول اوليأتيني بسلطان * وتقرير الجواب

وقيل استئناف اى فهم سليمان والقوم لايشعرون ﴿ فتبسم ضاحكا من قولها ﴾ تعجبا من حذرها وتحذيرها واهتدائها الى مصالحها اوسرورا بما خصه الله به من ادراك همسها وفهم غرضها ولذلك سأل توفيق شكره ﴿ وقال رب اوزعني ان اشكر نعمتك ﴾ اجعلني ازع شكر نعمتك عندي اى اكفه وارتبطه لاينفلت عني بحيث لاانفك عنه وقرأ البزي وورش بفتح ياء اوزعني ﴿ التي انعمت علي وعلى والدي ﴾ أدرج فيه ذكر والديه تكثيرا للنعمة اوتعميما لها فان النعمة عليهما نعمة عليه والنعمة عليه يرجع نفعها اليهما سيما الدينية ﴿ وأن أعمل صالحا ترضاه ﴾ تماما للشكر واستدامة للنعمة ﴿ وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين ﴾ في عدادهم الجنة ﴿ وتفقد الطير ﴾ وتعرف الطير فلم يجد فيها الهدهد ﴿ فقال مالي لا ارى الهدهد ام كان من الغائبين ﴾ ام منقطعة كأنه لما لم يره ظن انه حاضر ولايراه لساتر اوغيره فقال مالي لااراه ثم احتاط فلاح له انه غائب فأضرب عن ذلك واخذ يقول بل اهو غائب كأنه يسأل عن صحة مالاح له ﴿ لأعذبنه عذابا شديدا ﴾ كنتف ريشه والقائه في الشمس اوحيث النمل تأكله اوجعله مع ضده في قفص ﴿ اولأذبحنه ﴾ ليعتبر به ابناء جنسه ﴿ اوليأتيني بسلطان مبين ﴾ بحجة تبين عذره والحلف في الحقيقة على احد الاولين بتقدير عدم الثالث لكن لما اقتضى ذلك وقوع احد الامور الثلاثة ثلث المحلوف عليه بعطفه عليهما

(فمكث غير بعيد) زمانا غير مديد يريد به الدلالة على سرعة رجوعه خوفا منه وقرأ عاصم بفتح الكاف (فقال احطت بما لم تحط به) يعنى حال سبأ وفى مخاطبته اياه بذلك تنبيه له على انّ فى أدنى خلق الله تعالى من احاط علما بما لم يحط به ليتصاغر اليه نفسه ويتصاغر لديه علمه وقرئ بادغام الطاء فى التاء باطباق وبغير اطباق (وجئتك من سبأ) وقرأ ابن كثير وابو عمرو غير مصروف على تأويل القبيلة او البلدة (بنبأ يقين) بخبر محقق روى انه عليه السلام لما اتم بناء بيت المقدس تجهز للحج فوافى الحرم واقام به ماشاء ثم توجه الى اليمن فخرج من مكة صباحا فوافى صنعاء ظهيرة فأعجبته نزاهة ارضها فنزل بها ثم لم يجد الماء وكان الهدهد رائده لانه يحسن طلب الماء فتفقده لذلك فلم يجده اذ حلق حين نزل سليمان فرأى هدهدا واقفا فانحط اليه فتواصفا فطار معه لينظر ما وصف له ثم رجع بعد العصر وحكى ما حكى ولعل فى عجائب قدرة الله وما خص به خاصة عباده اشياء اعظم من ذلك يستكبرها من يعرفها ويستنكرها من ينكرها (انى وجدت امرأة تملكهم) يعنى بلقيس بنت شراحيل بن مالك بن الريان والضمير فى تملكهم لسبأ او لاهلها (واوتيت من كل شئ) يحتاج اليه الملوك (ولها عرش عظيم) عظمه بالنسبة اليها او الى عروش امثالها وقيل كان ثلاثين ذراعا فى ثلاثين عرضا وسمكا او ثمانين فى ثمانين من ذهب وفضة مكللا بالجواهر (وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله) كأنهم كانوا يعبدونها (وزين لهم الشيطان اعمالهم) عبادة الشمس وغيرها من مقابح افعالهم (فصدهم عن السبيل) سبيل الحق والصواب (فهم لا يهتدون) اليه (الّا يسجدوا لله) فصدهم لأن لا يسجدوا اوزين لهم ان لا يسجدوا على انه بدل من اعمالهم أو لا يهتدون الى ان يسجدوا بزيادة لا وقرأ الكسائى ويعقوب ألا بالتخفيف على انها للتنبيه ويا للنداء ومناداه محذوف اى الا يا قوم اسجدوا كقوله

ان الاشكال انما يرد ان لو حلف على وقوع الثالث بخصوص وليس كذلك بل حلف ليكوننّ احد الامور الثلاثة ومحصوله انه ان وقع الثالث لا يكون ذبح ولا تعذيب وان لم يقع يكون احد الامرين لا محالة ولا محذور فى الحلف على هذا الوجه ﴿ قوله زمانا غير مديد ﴾ يعنى ان قوله عليه الصلاة والسلام غير بعيد صفة زمان ويجوز ان يكون صفة مصدر محذوف اى مكثا غير مديد فأتاه الهدهد بحجة تبين عذره فى غيبته فقال احطت بما لم تحط به اى اطلعت على ما لم تطلع عليه وعلمته من جميع جهاته بحيث لا يخفى علىّ منه شئ فان الاحاطة بالشئ علما أن يعلمه من جميع جهاته بحيث لا يخفى منه معلوم اصلا ﴿ قوله باطباق وبغير اطباق ﴾ الاطباق ان تدفع ظهر لسانك الى ما يحاذيه من الحنك الاعلى عند تلفظ حرف من الحروف المطبقة واختلفوا فى ان الحروف المطبقة اذا ادغمت فى غير المطبقة هل يبقى ما فيها من الاطباق اولا والظاهر ان الاطباق يقتضى بقاء المطبقة بحالها وعند ادغامها فى غير المطبقة يجب ابدالها الى المدغم فيه فلا يبقى الاطباق مع ابدالها ﴿ قوله غير مصروف ﴾ اى قرأ من سبأ بفتح الهمزة للعلمية والتأنيث وقرأه الباقون بالجرّ والتنوين وجعلوه اسما للحىّ او المكان وسبأ فى الاصل اسم رجل من قحطان واسمه عبد شمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان وسبأ لقب له لانه اوّل من سبأ ثم اطلق على القبيلة وعلى البلد ايضا والنبأ الخبر الذى له شأن ﴿ قوله وكان الهدهد رائده ﴾ اى طالبا يطلب له الماء يقال راد الكلأ يروده رودا وريادة اى طلبه فهو رائد وكان الهدهد قناقن سليمان وهو الدليل الهادى البصير بالماء تحت الارض وكيفية حفر القنى وكذلك القناقن بالضم والجمع القناقن بالفتح وكان الهدهد يرى الماء تحت الارض كما يرى الماء فى الزجاجة ويعرف الفصل بين قريبه وبعيده فيدلهم على موضع الماء بان ينقره بمنقاره ثم الشياطين يسلخون عنه الارض كما يسلخ الاهاب عن المذبوح ذكر ان ابن عباس رضى الله عنه لما قال ان سليمان طلبه لانه كان يعلم مسقاة الماء ويبصره تحت الارض قيل له ان الصبى يضع له الفخ فيغطيه بالتراب فكيف لا يعرفه حتى يقع فيه فقال ويحك اما علمت ان القدر يحول دون البصر وانه اذا جاء القضاء عمى البصر ﴿ قوله فوافى الحرامى ﴾ اى اتاه ﴿ قوله اذ حلق ﴾ علة لقوله لم يجده وتحليق الطائر ارتفاعه فى طيرانه ﴿ قوله فتواصفا ﴾ اى وصف كل واحد من الهدهدين ملك صاحبه ووصف هدهد سليمان للآخر ملك سليمان وما يخوّله من كل شئ ووصف هدهد بلقيس ملك بلقيس وان تحت يدها اثنى عشر الف قائد تحت يد كل قائد مائة ﴿ قوله والضمير فى تملكهم لسبأ ﴾ يعنى ضمير تملكهم لسبأ ان اريد به القبيلة او لاهلها ان اريد بها البلدة باضمار اهلها او بطريق الاستخدام حيث اريد بالاسم الظاهر احد معنييه وبضميره معناه الآخر ﴿ قوله واوتيت من كل شئ يحتاج اليه الملوك ﴾ حمل كل شئ فى حق بلقيس على اسباب الدنيا ولوازم الملوك لئلا يلزم التسوية بينها وبين سليمان عليه الصلاة والسلام فان المراد بقوله عليه الصلاة والسلام واوتينا من كل شئ ما اوتى من النبوّة والعلم والحكمة والملك واسباب الدنيا ﴿ قوله عظمه بالنسبة اليها او الى عروش امثالها ﴾ جواب عما يقال كيف استعظم الهدهد عرشها مع ما كان يرى من ملك سليمان وايضا كيف سوّى بين عرش بلقيس وعرش الرحمن فى الوصف بالعظم والسمك البعد الآخذ من السفل الى العلو وعكسه العمق وكان ابو بلقيس ملكا عظيم الشأن وكان يقول لملوك الاطراف ليس احد منكم كفؤا لى وأبى ان يتزوّج منهم فزوّجوه امرأة من الجنّ يقال لها ريحانة بنت السكن فولدت له بلقيس ولم يكن له ولد غيرها فلما مات ابوها طمعت فى الملك فطلبت من قومها ان يبايعوها فأطاعوها وملكوها وفى الحديث ان احد ابوى بلقيس كان جنيا وكانت هى وقومها مجوسا يعبدون الشمس ﴿ قوله فصدهم لان لا يسجدوا ﴾ وقرأ الجمهور ألا بالتشديد على ان اصلها ان لا فأن ناصبة للفعل بعدها ولذلك سقطت نون الرفع من الفعل ولا بعدها حرف نفى وان مع ما بعدها فى موضع المفعول له لقوله فصدهم اى فصدهم عن سبيل الحق لاجل ان لا يسجدوا فحذفت لام الاجل وادغمت النون فى اللام فصار الا يسجدوا والوجه الثانى ان تكون ان مع ما بعدها بدلا من اعمالهم وما بينهما اعتراضا تقديره وزين لهم الشيطان عدم السجود لله عز وجل والوجه الثالث ان تكون ان وما بعدها فى موضع مفعول يهتدون على اسقاط الخافض اى الى ان لا يسجدوا وتكون لا مزيدة كزيادتها فى قوله لئلا يعلم اهل الكتاب والمعنى فهم لا يهتدون الى ان يسجدوا لله وان قرئ الا مخففا يكون ألا حرف تنبيه يستفتح بها الكلام وما بعدها حرف نداء واسجدوا فعل امر فحق الخط على هذه القرآءة ان يكون على صورة يا اسجدوا الا ان الصحابة اسقطوا ألف يا وهمزة الوصل من اسجدوا خطا لما سقطا لفظا ووصلوا الياء بسين اسجدوا فصارت على صورة

(يسجدوا)

يسجدوا كما قرئ فاتحدت القرآءتان لفظا وخطا واختلفتا تقديرا ومثل لحذف المنادى مع بقاء حرف النداء بقوله

* فقالت الا يااسمع اعظك بخطة * فقلت سميعا فانطق وأصيبي *

اى الا ياصاحبي اسمع والخطة الخصلة المهمة وقوله فقلت سميعا اى ناديت سميعا ﴿قوله وعلى هذا﴾ اى على قرآءة التخفيف كما يجوز ان ينتهى كلام الهدهد عند قوله رب العرش العظيم يجوز ان ينتهى عند قوله لايهتدون ويوقف عليه ويكون قوله الا يسجدوا استئناف خطاب من الله تعالى للمشركين او من قبل سليمان عليه الصلاة والسلام لقومه بعد تمام كلام الهدهد وعلى قرآءة التشديد لا يوقف الا على العرش العظيم ﴿قوله وعلى الوجهين يقتضى وجوب السجود فى الجملة﴾ بمعنى انها لاتجب على الفور بل وقتها موسع ففى اى وقت اديت تكون اداء لاقضاء وهو رد على من فرق بين القرآءتين فأوجبها على قرآءة التخفيف نظرا الى وجود لفظ الامر فيها ولم يوجبها على قرآءة التشديد لعدم وجود لفظ الامر فيها ولم يرض المصنف بهذا الفرق لان السجدة كما تجب بالامر بها تجب ايضا بذم من تركها وبمدح من اتى بها ففى قرآءة التشديد وان لم يصرح بالامر بها الا انها تدل على ذم من تركها فتدل على الوجوب ايضا وفى كلام الفارق بينهما بحث آخر وهو ان الامر المتحقق فى قرآءة التخفيف اما ان يكون من كلام الله تعالى او من كلام الهدهد محكيا عنه فان كان من كلام الله تعالى فدلالته على الوجوب ظاهرة وان كان من كلام الهدهد وهو الظاهر ففى دلالته على الوجوب نظر الا ان يقال انه تعالى لما حكى كلامه على طريق الارتضاء والقبول كان كأنه قرر مضمونه واوجبها ابتدآء من قبل نفسه فكانت قرآءة التخفيف دليلا على الوجوب سوآء كان مافيها من لفظ الامر من كلام الله تعالى او من كلام الهدهد ﴿قوله وقرئ هلا وهلا بقلب الهمزة هاء﴾ مع تشديدها وتخفيفها وقرئ الاتسجدون وهلا تسجدون بالتخفيف فيهما وتاء الخطاب واثبات نون الرفع فمن اثبت نون الرفع جعل الاحرف تحضيض او للعرض كما فى ألا تنزل عندنا ﴿قوله والخبأ ماخفى فى غيره﴾ الخبأ فى الاصل مصدر خبأت الشئ اخبأه خبأ اى سترته واخفيته ثم اطلق على الشئ المخبوء ونحوه هذا خلق الله اى مخلوقه والمخبوء فى السموات كالكواكب والامطار اخرجها الله تعالى باشراق الكواكب وانزال الامطار والمخبوء فى الارض كالنبات اخرجه الله تعالى بانباته والانشاء ايجاد الشئ المسبوق بالمادة والابداع ايجاد ماليس بمسبوق بها والمقصود من وصفه تعالى بالتفرد بكمال القدرة حيث قيل يخرج الخبأ وبالتفرد بكمال العلم حيث قيل ويعلم ماتخفون وماتعلنون الحث على السجود له تعالى والرد على من يسجد لغيره كالشمس وتقرير كونه ردا عليه ان الاله يجب ان يكون قادرا على اخراج الخبأ وعالما بالخفيات والشمس مثلا ليست كذلك فهى لاتكون الها واذا لم تكن الها لم يجز السجود لها اما ان الاله يجب ان يكون قادرا وعالما على الوجه المذكور فلانه يجب ان يكون واجبا لذاته فلا تختص قادريته وعالميته ببعض المقدورات والمعلومات دون البعض واما ان الشمس ليست كذلك فلأنها جسم متناه وكل ماكان متناهيا فى الذات كان متناهيا فى الصفات ﴿قوله فبين العظيمين﴾ احدهما عرش بلقيس والآخر عرش الله العظيم يعنى ان قوله تعالى لااله الا هو رب العرش العظيم سوآء كان من كلام الله تعالى او من كلام الهدهد يكون المقصود منه الاشارة الى البون البعيد بين العظيمين فان كان من كلام الهدهد يكون المقصود استدراكا منه لما وصف عرش بلقيس بالعظم وان كان من كلام الله يكون المقصود الرد عليه فى وصفه عرشها بالعظم ﴿قوله والتغيير للمبالغة﴾ فان ام كنت من الكاذبين ابلغ من ام كذبت لان معناه من الذين اشتهروا بالكذب وانخرطوا فى سلك الكاذبين ﴿قوله ماذا يرجع بعضهم﴾ اى ماذا يرد من الجواب من الرجع وهو الرد ان جعلنا النظر بمعنى التأمل والتفكر كانت ما فى قوله ماذا يرجعون استفهامية وفيها حينئذ وجهان احدهما ان تجعل مع ذا بمنزلة اسم واحد منصوب بيرجعون على انه مفعوله تقديره اى شئ يرجعون وثانيهما ان تجعل ما مبتدأ وذا بمعنى الذى ويرجعون صلتها وعائدها محذوف وتقديره اى شئ الذى يرجعونه وهذا الموصول هو خبر ما الاستفهامية وعلى التقديرين فالجملة الاستفهامية معلقة لانظر فمحلها النصب على اسقاط الخافض اى انظر فى كذا وفكر فيه وان جعلتها بمعنى انتظر كما فى قوله انظرونا نقتبس من نوركم كانت ماذا بمعنى الذى ويرجعون صلتها وعائدها محذوف وهذا الموصول مع مافى حيزه مفعول به لانظر اى انتظر الذى يرجعونه ﴿قوله لكرم مضمونه﴾ اى مافى مضمونه من اللفظ والمعنى ﴿قوله او مرسله﴾ وعرفت كرم مرسله بناء على انها لما رأت الخاتم ارتعدت فرائصها وخضعت لان ملك سليمان كان فى خاتمه

ألا يااسمع أعظك بخطة * فقلت سميعا فانطق واصيبي * وعلى هذا اصح ان يكون استئنافا من الله او من سليمان والوقف على لايهتدون وكان امرا بالسجود وعلى الاول ذما على تركه وعلى الوجهين يقتضى وجوب السجود فى الجملة لا عند قرآءتها وقرئ هلا وهلا بقلب الهمزة هاء والاتسجدون وهلا تسجدون على الخطاب (الذى يخرج الخبأ فى السموات والارض ويعلم ماتخفون وماتعلنون) وصف له بما يوجب اختصاصه باستحقاق السجود من التفرد بكمال القدرة والعلم حثا على سجوده وردا على من يسجد لغيره والخبأ ماخفى فى غيره واخراجه اظهاره وهو يعم اشراق الكواكب وانزال الامطار وانبات النبات بل الانشاء فانه اخراج ما فى الشئ بالقوة الى الفعل والابداع فانه اخراج مافى الامكان والعدم الى الوجوب والوجود ومعلوم انه يختص بالواجب لذاته وقرأ حفص والكسائى ماتخفون وماتعلنون بالتاء (الله لااله الا هو رب العرش العظيم) الذى هو اول الاجرام واعظمها والمحيط بجملتها فبين العظيمين بون عظيم (قال سننظر) سنتعرف من النظر بمعنى التأمل (أصدقت ام كنت من الكاذبين) اى ام كذبت والتغيير للمبالغة ومحافظة الفواصل (اذهب بكتابى هذا فألقه اليهم ثم تول عنهم) ثم تنح عنهم الى مكان قريب تتوارى فيه (فانظر ماذا يرجعون) ماذا يرجع بعضهم الى بعض من القول (قالت) اى بعد ما ألقى اليها (ياأيها الملأ انى ألقى الى كتاب كريم) لكرم مضمونه او مرسله

او لانه كان مختوما او لغرابة شأنه اذ كانت مستلقية فى بيت مغلقة الابواب فدخل الهدهد من كوّة و ألقاه على نحرها بحيث لم تشعر به (انه من سليمان) استئناف كأنه قيل لها ممن هو و ما هو فقالت انه اى الكتاب او العنوان من سليمان (وانه) اى و ان المكتوب او المضمون و قرئا بالفتح على الابدال من كتاب او التعليل لكرمه (بسم الله الرحمن الرحيم ان لاتعلوا علىّ) ان مفسرة او مصدرية فيكون بصلته خبر محذوف اى هو او المقصود ان لاتعلوا او بدل من كتاب (واتونى مسلمين) مؤمنين او منقادين و هذا الكلام فى غاية الوجازة مع كمال الدلالة على المقصود لاشتماله على البسملة الدالة على ذات الصانع وصفاته صريحا والتزاما والنهى عن الترفع الذى هو أمّ الرذائل والامر بالاسلام الجامع لامّهات الفضائل وليس الامر فيه بالانقياد قبل اقامة الحجة على رسالته حتى يكون استدعاء للتقليد فان القاء الكتاب اليها على تلك الحالة من اعظم الادلة (قالت يا أيها الملأ أفتونى فى امرى) أجيبونى فى امرى الفتىّ واذكروا ما تستصوبون فيه (ما كنت قاطعة امرا) ما ابت امرا (حتى تشهدون) الا بمحضركم استعطفتهم بذلك ليمالئوها على الاجابة (قالوا نحن اولوا قوة) بالاجساد و العدد (و اولوا بأس شديد) نجدة و شجاعة (و الامر اليك) موكول (فانظرى ماذا تأمرين) من المقاتلة و الصلح نطعك و نتبع رأيك (قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها) تزييف لما احست منهم من الميل الى المقاتلة بادّعائهم القوى الذاتية و العرضية و اشعار بأنها ترى الصلح مخافة ان يتخطى سليمان خططهم فيسرع الى افساد ما يصادفه من اموالهم و عماراتهم ثم ان الحرب سجال لا يدرى عاقبتها (و جعلوا اعزة اهلها اذلة) بنهب اموالهم و تخريب ديارهم الى غير ذلك من الاهانة و الاسر (و كذلك يفعلون) تأكيد لما وصفت من حالهم و تقرير بأن ذلك من عاداتهم الثابتة المستمرّة او تصديق لها من الله عز و جل (و انى مرسلة اليهم بهدية) بيان لما ترى تقديمه للمصالحة و المعنى انى مرسلة رسلا بهدية ادفعه بها عن ملكى (فناظرة بم يرجع المرسلون) من حاله حتى اعمل بحسب ذلك روى انها بعثت منذر بن عمرو فى وفد و ارسلت معهم غلمانا على زىّ الجوارى و جوارى على زى الغلمان و حقافيه درّة عذراء و جزعة معوجة الثقب و قالت ان كان نبيا ميّز بين الغلمان و الجوارى و ثقب الدرّة ثقبا مستويا و سلك فى الخرزة خيطا فلما وصلوا الى معسكره و رأوا اعظم شأنه تقاصرت اليهم نفوسهم فلما وقفوا بين يديه و قد سبقهم جبريل بالحال طلب الحق و اخبر بما فيه فأمر الأرضة فأخذت شعرة و نفذت فى الدرّة و امر دودة بيضاء فأخذت الخيط و نفذت فى الجزعة و دعا بالماء فكانت الجارية تأخذ الماء بيدها فتجعله فى الاخرى ثم تضرب به وجهها و الغلام كما يأخذه يضرب به وجهه ثم ردّ الهدية (فلما جاء سليمان) اى الرسول او ما اهدت اليه و قرئ فلما جاؤا (قال أتمدّوننى بمال) خطاب للرسول و من معه او للرسول و المرسل على تغليب المخاطب و قرأ حمزة و يعقوب بالادغام و قرئ بنون واحدة و بنونين و حذف الياء (فما آتانى الله) من النبوّة و الملك الذى لا مزيد عليه و قرأ نافع و ابو عمرو و حفص باسكان الياء و باسقاطها الباقون و باماتتها الكسائى وحده (خير مما آتاكم) فلا حاجة الى هديتكم و لا وقع لها عندى

(و الباقون)

﴿قوله او لانه كان مختوما﴾ و عرفت الذى ارسل الكتاب اعظم ملكا منها لطاعة الطير اياه و هيبة الخاتم فان مجرّد ختم الكتاب يكفى لصحة توصيفه بالكرم لما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم * كرم الكتاب ختمه * و كان عليه الصلاة و السلام يكتب الى العجم فقيل له انهم لا يقبلون الا كتابا عليه خاتم فاتخذ لنفسه خاتما نقشه اى الخاتم محمد رسول الله و قال مقاتل أتاها الهدهد و هى جالسة فى قصرها فرفرف على رأسها ساعة و الناس ينظرون فرفعت رأسها ناظرة اليه فألقاه فى حجرها فقرأته و كانت عربية من قوم تبع ﴿قوله استئناف﴾ يعنى انه من كلام بلقيس اجابت به لمن قال ممن هو او ما هو اى ما صفته و ليس مما كتبه سليمان فى كتابه حتى يقال كيف قدم سليمان اسمه على قوله بسم الله الرحمن الرحيم فان بلقيس اذا ذكرت ان هذا الكتاب من سليمان ثم حكت ما فى الكتاب بانه كيت و كيت لم يرد ذلك ثم ان العامة قرأوا انه و انه بكسر الهمزة فيهما على الاستئناف جوابا لسؤال قومها كأنهم قالوا ممن الكتاب و ما فيه فأجابتهم بالجوابين و قرئ بفتح الهمزة فيهما اما على انه بدل من كتاب بدل اشتمال او بدل الكل من كتاب كأنه قيل ألقى الىّ أنه من سليمان و أنه كذا و كذا و اما على اسقاط لام العلة و التقدير لانه من سليمان و لانه كذا و كذا كأنها عللت كرمه بكونه من سليمان و بكونه مصدّرا ببسم الله الرحمن الرحيم ﴿قوله أن مفسرة﴾ بناء على ان بسم الله متعلقة بالقول كأنه قيل اقول بسم الله الرحمن الرحيم ثم فسر المقول بقوله ان لاتعلوا علىّ و لا تتكبروا و ان كانت مصدرية تكون مع صلتها فى محل الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف او على انه بدل من كتاب كأنه قيل ألقى الىّ أن لاتعلوا ﴿قوله مع كمال الدلالة على المقصود﴾ و هو الدعوة الى الاستكمال بالقوّة النظرية و العملية و التحلى بالفضائل العلمية و العملية و العلم مقدم على العمل فابتدأ بقوله بسم الله الرحمن الرحيم لاشتماله على اثبات الصانع تعالى و صفاته صريحا و التزاما اما صريحا فظاهر و اما التزاما فلان ما ذكر صريحا يستلزم كونه تعالى حيا مريدا عالما قادرا * و لما ورد ان يقال النهى عن الاستعلاء و الامر بالانقياد قبل اقامة ما يدل على رسالته حقا يدل على الاكتفاء بالقدر و الدعوة اليه * اجاب عنه بان لا تقليد و الحال ان رسول سليمان الى بلقيس كان الهدهد و رسالة الهدهد معجزة و المعجزة تدل على وجود الصانع و على صفاته و تدل على صدق مدّعى الرسالة فلما كانت رسالة الهدهد دليلا تاما على التوحيد و النبوّة لم يحتج الى ذكر دليل آخر روى ان نسخة الكتاب كانت هكذا بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله سليمان بن داود الى بلقيس ملكة سبأ السلام على من اتبع الهدى اما بعد فلا تعلوا علىّ و ائتونى مسلمين و كانت كتب الانبياء جملا لا يطيلون و لا يكثرون و يجوز ان يكون الكتاب اطول من هذا القدر لكن الله تعالى ذكر ما هو المقصود منه و هو دعاؤها الى التوحيد ﴿قوله فى امرى الفتىّ﴾ اى الحادث عن قريب و الفتى الشاب و الفتاة الشابة و الفتوى هى الجواب فى الحادثة و المعنى اشيروا علىّ بما عندكم من الرأى و التدبير فيما حدث من الامر بلفظ مشتق من الفتاء فى السنّ و هو لفظ الفتوى لجامع الحداثة ﴿قوله ليمالئوها﴾ اى ليعاونوها يقال مالأته على الامر ممالأة اى ساعدته عليه مساعدة و تمالأوا على الامر اى اجتمعوا عليه و تعاونوا فأجابها قومها بان ذكروا لها قوّتهم و شجاعتهم تعريضا منهم بالقتال ان امرتهم بذلك ثم قالوا و الامر اليك اى فى القتال و تركه و لما أحست منهم الميل الى المحاربة رأت ان من الرأى الميل الى الصلح و الابتداء بما هو احسن فزيفت اوّلا ما ذكروه و أرتهم الخطأ فيه و قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية عنوة و قهرا اخربوها و قوله تعالى و كذلك يفعلون من تمام قولها ارادت و هذه عادتهم المستمرّة التى لا تتغير لانها كانت ربيت فى بيت الملك القديم فسمعت نحو ذلك و رأت و يجوز ان ينتهى كلامها عند قولها اذلة ثم صدّقها الله تعالى فيما قالت فقال و كذلك يفعلون اى و كما قالت هى تفعل الملوك ثم قالت الرأى المستقيم ان نبتدئ بارسال رسل ملتبسين بهدية فننظر بم يرجع المرسلون و قوله بم متعلق بيرجع لا بقوله ناظرة لان اسم الاستفهام له صدر الكلام * و اعلم ان بلقيس كانت امرأة لبيبة حيث اختارت ان ترسل اليهم اى الى سليمان و قومه هدية و ان تختبر بها أملك هو أم نبىّ و قالت ان يكن ملكا قبل الهدية و رضى بها و ان يكن نبيا لم يقبل الهدية و لم يرض منا الا بان نتبعه على دينه فذلك قولها فناظرة بم يرجع المرسلون فان هذا الكلام يدل على انها لم تثق بالقبول و جوّزت الردّ و ارادت ان تنكشف غرض سليمان ﴿قوله و قرأ حمزة و يعقوب بالادغام﴾ اى بادغام نون الرفع فى نون الوقاية و اما الياء فان حمزة يحذفها وقفا و يثبتها وصلا على قاعدته و الباقون بنونين على الاصل جمعوا بين المثلين و لم يدغموا لان الثانية ليست بلازمة فانها تزاد مع ضمير المتكلم و اما الياء فان نافعا و ابا عمرو كحمزة يثبتانها وصلا و يحذفانها وقفا و ابن كثير يثبتها فى الحالتين

(بل انتم بهديتكم تفرحون) لانكم لاتعلمون الاظاهرا من الحياة الدنيا فتفرحون بمايهدى اليكم حبا لزيادة اموالكم اوبما تهدونه افتخارا على امثالكم والاضراب عن انكار الامداد بالمال عليهم وتعليله الى بيان السبب الذى حملهم عليه وهو قياس حاله على حالهم فى قصور الهمة بالدنيا و الزيادة فيها (ارجع) ايها الرسول (اليهم) الى بلقيس وقومها (فلنأتينهم بجنود لاقبل لهم بها) لا طاقة لهم بمقاومتها ولاقدرة على مقاتلتها وقرئ بهم (ولنخرجنهم منها) من سبأ (اذلة) بذهاب ماكانوا فيه من العزّ (وهم صاغرون) اسرآء مهانون (قال ياايها الملأ ايكم يأتينى بعرشها) اراد بذلك ان يريها بعض ماخصه الله به من العجائب الدالة على عظيم القدرة وصدقه فى دعوى النبوّة ويختبر عقلها بان ينكر عرشها فينظر أتعرفه ام تنكره (قبل ان يأتونى مسلمين) فانها اذا اتت مسلمة لم يحل اخذه الا برضاها (قال عفريت) خبيث مارد (من الجنّ) بيان له لانه يقال للرجل الخبيث المنكر المعفر اقرانه وكان اسمه ذكوان اوصخرا (انا آتيك به قبل ان تقوم من مقامك) مجلسك للحكومة وكان يجلس الى نصف النهار (وانى عليه) على حمله (لقوىّ امين) لااختزل منه شيأ ولاابدله (قال الذى عنده علم من الكتاب) آصف بن برخيا وزيره او الخضر او جبريل او ملك ايده الله به اوسليمان نفسه فيكون التعبير عنه بذلك للدلالة على شرف العلم وان هذه الكرامة كانت بسببه والخطاب فى (انا آتيك به قبل ان يرتدّ اليك طرفك) للعفريت كانه استبطأه فقال له ذلك اواراد اظهار معجزة فى نقله فتحداهم اوّلا ثم اراهم انه يتأتى له مالايتهيأ لعفاريت الجنّ فضلا عن غيرهم والمراد بالكتاب جنس الكتب المنزلة اواللوح وآتيك فى الموضعين صالح للفعلية والاسمية والطرف تحريك الاجفان للنظر فوضع موضعه ولما كان الناظر يوصف بارسال الطرف كما فى قوله

وكنت اذا ارسلت طرفك رائدا * لقلبك يوما اتعبتك المناظر * وصف ردّ الطرف والطرف بالارتداد والمعنى انك ترسل طرفك نحو شئ فقبل ان تردّه احضر عرشها بين يديك وهذا غاية فى الاسراع ومثل فيه (فلمارآه) رأى العرش (مستقرّا عنده) حاصلا بين يديه (قال) تلقيا النعمة بالشكر على شاكلة المخلصين من عباد الله تعالى (هذا من فضل ربى) تفضل به علىّ من غير استحقاق والاشارة الى التمكن من احضار العرش فى مدة ارتداد الطرف من مسيرة شهرين بنفسه اوغيره والكلام فى امكان مثله قدمرّ فى آية الاسرآء

والباقون يحذفونها فى الحالتين وروى عن نافع انه يقرأ بنون واحدة خفيفة وياء على حذف النون الثانية التى تصحب ضمير المتكلم وحذف الاولى لحن لانها علامة ومعنى قوله أتمدّوننى بمال أتزيدوننى مالابهديتكم وهذا استفهام انكار اى لااطلب زيادة فى المال فكأنه قيل لا اقبل هديتكم بل اردّها عليكم ثم علل هذا الانكار بقوله فما آتانى الله خير مما آتاكم ثم اضرب عن انكار الاهدآء وتعليله الى ذمهم بالاغترار بالامور العاجلة وغفلتهم عن الفضائل الروحانية والامور الاخروية فقال بل انتم بهديتكم تفرحون كانه قال انا لاارضى بالهدية والمصانعة بل انتم تفرحون بذلك لان نظركم مقصور على الزخارف الدنيوية وفرحى بالنبوّة والعلم والامور الاخروية قال تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هوخير مما يجمعون هذا على ان تكون الهدية فى قوله بهديتكم مضافا الى المهدى اليه فان الهدية اسم لما يهدى اى يبعث الى شخص تكرّما كما ان العطية اسم لما يعطى فتضاف تارة الى المهدى وتارة الى المهدى اليه يقال هدية فلان فيراد اهداها فلان اواهديت اليه والمراد هنا الاضافة الى المهدى اليه والمعنى بل انتم بالاهدآء اليكم تفرحون ويجوز ان تجعل الهدية مضافة الى المهدى ويكون المعنى بل انتم بهذه التى اهديتموها تفرحون فرح افتخار على الملوك بانكم قدرتم على اهدآء مثلها فيكون وجه الاضراب حينئذ انه لما قال أتمدّوننى بمال وكان ذلك متضمنا معنى أتظنوننى افرح بهديتكم والمعنى انى لاافرح بهديتكم اضرب عنه بقوله بل انتم بهديتكم تفرحون

قوله تعالى فلنأتينهم جواب قسم محذوف وكذلك ولنخرجنهم اى فوالله لنأتينهم * فان قيل كيف حلف سليمان على ذلك ولم يحفظ يمينه * فالجواب انه معلق على شرط حذف لدلالة المقام عليه اى ان لم يأتوا مسلمين وحقيقة قوله لاقبل لهم لامقابلة ولاطاقة عليها قال ابن عباس رضى الله عنهما لما رجعت رسل بلقيس اليها من عند سليمان واخبروها الخبر قالت قدعرفت والله ماهذا بملك ولالنا به من طاقة وبعثت الى سليمان انى قادمة اليك بملوك قومى حتى انظر ما امرك وماتدعو اليه من دينك ثم ارتحلت الى سليمان فى اثنى عشر الف قائد تحت كل قائد مائة قائد تحت كل قائد الوف فلما قربت منه على مقدار فرسخ بينها وبين سليمان رأى سليمان وهجا قريبا اى توقد نار فقال ماهذا قالوا بلقيس قد نزلت بهذا المكان فاقبل سليمان على جنوده حينئذ فقال ياايها الملأ ايكم يأتينى بعرشها قبل ان يأتونى مسلمين طائعين وقد روى انها لما خرجت الى طاعة سليمان امرت ان يجعل عرشها فى آخر سبعة ابيات بعضها فى بعض فى آخر قصر من قصور سبعة وغلقت الابواب ووكلت به حرسا يحفظونه

قوله لانه يقال للرجل الخبيث تعليل لكون من للتبيين فان ماقبلها يجب ان يكون اعم من مدخولها وههنا كذلك فان العفر والعفرية والعفريت والعفرنية والعفارية من الرجال الخبيث المنكر الذى يعفر اقرانه اى يلقيهم فى التراب ومن الشياطين الخبيث المارد واشتقاقه من العفر وهو التراب

قوله انا آتيك يجوز ان يكون فعلا مضارعا على وزن افعل نحو اضرب واصله أأتيك بهمزتين فأبدلت الثانية الفا وان يكون اسم فاعل فالالف زائدة والهمزة اصلية على عكس الاوّل

قوله والطرف تحريك الاجفان للنظر فالطرف بالنسبة الى النظر كالنظر بالنسبة الى الرؤية فان الناظر اذا اراد النظر الى شئ حرّك اجفانه نحو ذلك الشئ فهو ارسال الطرف واذا اراد الامساك عنه ردّ الاجفان الى مكانها الاوّل فلما كان وضع الطرف موضع النظر عبارة عن امتداد النور من العين الى المرئىّ كان اغماض الجفن يوهم ان ذلك النور ارتدّ الى العين ورائدا فى البيت نصب على الحال من طرفك وجواب اذا اتعبتك والرآئد الذى يتقدّم القوم لطلب الكلأ لهم اى اذا جعلت عينك رآئدا لقلبك لطلب هواها تعبك مناظرها وتوقعك فى اشق المكاره ثم ان الشاعر فصل مااجمله فى قوله اتعبتك المناظر بقوله فى البيت الثانى

* رأيت الذى لاكله انت قادر * عليه ولاعن بعضه انت صابر *

واختلف المفسرون فى قوله قبل ان يرتدّ اليك طرفك على وجهين الاوّل انه اراد المبالغة فى السرعة كما تقول لصاحبك افعل ذلك فى لحظة وهذا قول مجاهد والثانى ان يكون الكلام على ظاهره * فان قيل كيف يجوز ان ينقل العرش من ناحية اليمن الى ارض الشام فى هذا القدر من الزمان وهو يقتضى اما القول بالحركة او حصول الجسم الواحد دفعة واحدة فى مكانين * اجيب عنه بان المهندسين قالوا كرة الشمس مثل كرة الارض مائة واربعا وستين مرّة ثم ان زمان طلوعها زمان قصير فاذا قسمنا زمان طلوع تمام القرص على زمان المقدار الذى بين الشام واليمن كانت تلك اللمحة كثيرا فلما ثبت عقلا امكان وجود هذه الحركة السريعة وثبت انه تعالى قادر على كل

(ليبلونى ءأشكر) بان اراه فضلا من الله بلاحول منى ولاقوة واقوم بحقه (ام اكفر) بان اجد نفسى فى البين او اقصر فى اداء مواجبه ومحلهما النصب على البدل من الياء (ومن شكر فانما يشكر لنفسه) لانه به يستجلب لها دوام النعمة ومزيدها

ويحط عنها عبء الواجب ويحفظها من وصمة الكفران (ومن كفر فان ربى غنى) عن شكره (كريم) بالانعام عليه ثانيا (قال نكروا لها عرشها) بتغيير هيئته وشكله (ننظر) جواب الامر وقرئ بالرفع على الاستئناف (أتهتدى ام تكون من الذين لايهتدون) الى معرفته او الجواب الصواب وقيل الى الايمان بالله ورسوله اذا رأت تقدم عرشها وقد خلفته مغلقة عليه الابواب موكلة عليه الحراس (فلما جاءت قيل أهكذا عرشك) تشبيها عليها زيادة فى امتحان عقلها اذ ذكرت عنده بسخافة العقل (قالت كأنه هو) ولم تقل هو لاحتمال ان يكون مثله وذلك من كمال عقلها (واوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين) من تتمة كلامها كأنها ظنت انه اراد بذلك اختبار عقلها واظهار معجزة لها فقالت اوتينا العلم بكمال قدرة الله وصحة نبوتك قبل هذه الحالة او المعجزة بما تقدم من الآيات وقيل انه كلام سليمان وقومه عطفوه على جوابها لما فيه من الدلالة على ايمانها بالله ورسوله حيث جوزت ان يكون ذلك عرشها تجويزا غالبا واحضاره ثمة من المعجزات التى لايقدر عليها غير الله ولاتظهر الا على يد الانبياء عليهم الصلاة والسلام اى واوتينا العلم بالله وقدرته وصحة ماجاء من عنده قبلها وكنا منقادين لحكمه لم نزل على دينه ويكون غرضهم فيه التحدث بما انعم الله عليهم من التقدم فى ذلك شكرا له (وصدها ما كانت تعبد من دون الله) اى وصدها عبادتها الشمس عن التقدم الى الاسلام او وصدها الله عن عبادتها بالتوفيق للايمان (انها كانت من قوم كافرين) وقرئ بالفتح على الابدال من فاعل صد على الاول اى صدها نشؤها بين اظهر الكفار او التعليل له (قيل لها ادخلى الصرح) القصر وقيل عرصة الدار (فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها) روى انه امر قبل قدومها فبنى قصر صحنه من زجاج ابيض واجرى من تحته الماء والقى فيه حيوانات البحر ووضع سريره فى صدره فجلس عليه فلما ابصرته ظنته ماء راكدا فكشفت عن ساقيها وعن ابن كثير برواية قنبل سأقيها بالهمز حملا على جمعه سؤوق واسؤق (قال انه) ان ماظننته ماء (صرح ممرد) مملس (من قوارير) من الزجاج

الممكنات زال السؤال قال المصنف فى سورة الاسراء والاستحالة مدفوعة بما ثبت فى الهندسة ان مابين طرفى قرص الشمس ضعف مابين طرفى كرة الارض مائة ونيفا وستين مرة ثم ان طرفها الاسفل يصل موضع طرفها الاعلى فى اقل من ثانية وقد برهن فى الكلام ان الاجسام متساوية فى قبول الاعراض وان الله قادر على الممكنات فيقدر ان يخلق مثل هذه الحركة السريعة فى بدن النبى عليه السلام او فيما يحمله والتعجب من لوازم المعجزات روى ان آصف بن برخيا قال لسليمان ارسل طرفك فنظر نحو اليمن فدعا آصف فغار الكرسى تحت الارض ونبع لدى كرسى سليمان قبل ان يرجع اليه طرفه ﴿ قوله نكروا لها عرشها ﴾ اى اجعلوه متنكرا متغيرا عن شكله كما يتنكر الرجل للناس لئلا يعرفوه فالتنكير التغيير والتنكر التغير فلما امر سليمان عليه الصلاة والسلام الشياطين بذلك نكسوه اى جعلوا اسفله اعلاه وبنوا فوقه قبابا اخرى هى اعجب من تلك القباب وجعلوا موضع الجوهر الاحمر اخضر وبالعكس قيل لما جاءت بلقيس خاف الجن ان تفشى امرهم الى سليمان لانها كانت جنية وان يتزوجها سليمان فتلد له ولدا فلا ينفكون من التسخير فاحتالوا لتنفيره عنها فقالوا ان فى عقلها شيأ من الخفة وانها شعراء الساقين وان رجلها كحافر حمار فلما سمع سليمان ذلك امرهم بتنكير عرشها ليختبر بذلك عقلها وامر الشياطين بان يبنوا له صرحا ممردا اى قصرا مملسا من قارورة بيضاء تضطرب كأنها الماء لغاية صفائها ويجعلوا فيها تماثيل حيوانات الماء تسبح فيها ليقول لها عند مجيئها اليه ادخلى الصرح لتكشف عن ساقيها حيث ما اراد دخولها بناء على ظن انه ماء عظيم ليختبر بذلك حال ساقيها ورجليها وقيل امر سليمان بتنكير العرش واتخاذ الصرح ليعارضها بمثل مافعلت هى به فى امر الوصفاء والوصائف وتنكيرها اياهم وامر الدرة العذراء والجزعة المعوجة الثقب فاهتدى هو عليه الصلاة والسلام لنبوته ولم تهتد هى اليه فاستبان لها حاله بذلك فاطاعته واسلمت ﴿ قوله تشبيها عليها ﴾ اى تلبيسا من الشبهة بمعنى الالتباس وقالت فى الجواب كأنه هو ولم تقل هو هو ولا ليس هو قال مقاتل عرفته ولكن شبهت عليهم كما شبهوا عليها ووقفت فى محل التوقف لئلا تكذب وذلك من كمال عقلها فقيل لها انه عرشك فما اغنى عنك اغلاق الابواب وتسليط الحراس عليه ﴿ قوله تعالى واوتينا العلم من قبلها ﴾ ان كان من كلام بلقيس يكون ضمير قبلها راجعا الى الحالة او المعجزة الدال عليها السياق كأنها قالت واوتينا العلم بكمال قدرة الله وصحة نبوتك قبل هذه الحالة بما شاهدناه من رسالة الهدهد ورد الهدية وسائر ماعلمناه من قبل الرسل وان كان من كلام سليمان واتباعه يكون ضمير قبلها راجعا الى بلقيس فكأن سليمان وقومه قالوا انها قد اصابت فى جوابها وهى عاقلة وقد رزقت الاسلام ثم عطفوا على ذلك قولهم واوتينا نحن العلم بالله وبقدرته على مايشاء من قبل هذه المرأة مثل علمها وغرضهم من ذلك شكر الله تعالى على ان خصهم بمزية التقدم فى الاسلام ﴿ قوله وصدها عبادتها الشمس ﴾ على ان يكون فاعل صد قوله ما كانت تعبد بمعنى عبادتها والظاهر ان هذه الجملة حينئذ تكون معطوفة على جملة واوتينا العلم على ان تكون من كلام سليمان واتباعه وان كانت من كلام بلقيس تكون هذه الجملة استئناف اخبار من الله بذلك ﴿ قوله او وصدها الله ﴾ على ان يكون فاعل صد ضمير البارى وعلى هذا يكون قوله ما كانت تعبد فى محل النصب على اسقاط الخافض اى ومنعها الله عما كانت تعبد من دون الله وهو الشمس اى منعها عن عبادة الشمس ﴿ قوله انها كانت ﴾ الجمهور على كسر همزة انها استئنافا وتعليلا وقرئ بالفتح على انها بدل مما كانت تعبد على تقدير كونها فاعل صد اى وصدها انها كانت او على اسقاط لام العلة اى لانها فهى قريبة من قراءة الجمهور ﴿ قوله وقيل عرصة الدار ﴾ اى قيل الصرح الصحن المنكشف من غير سقف وهو سواء كان بمعنى القصر او العرصة مأخوذ من التصريح بالشئ وهو كشفه واظهاره ﴿ قوله حملا على جمعه ﴾ يعنى انه سمع من العرب فى جمع ساق سؤوق واسؤق بالهمزة فاجرى عليه الواحد قال ابن عباس لما كشفت عن ساقيها ظهر قدم لطيف وساق حسن مدمج اى ممتلئ لكنه اشعر قيل انه عليه الصلاة والسلام تزوجها وكره مارأى من كثرة شعر ساقيها فسأل الانس عما يذهب ذلك فقالوا الموسى فقالت بلقيس انى لم يمسنى حديدة قط فكره سليمان الموسى وقال انها تقطع ساقها فسأل الشياطين فقالوا نحتال لك حتى يكون ساقها كالفضة الملساء فاتخذوا النورة والحمام من يومئذ فلما ابصر سليمان ساقها وقدمها وعرف جمالها صرف بصره وقال انه صرح ممرد من قوارير وذلك لانه لم يجز له النظر الى ساقها بعد ماتبين حال ساقها وانما جاز قبل ان يتبين حاله ولذلك افادها بذلك حتى تستر ساقها وتمريد البناء جعله مملسا يقال شجر امرد وغلام امرد اى لا ورق له ولا شعر فلما قيل انه ليس بماء بل صرح ممرد من

قوارير ارسلت ذيلها وسترت ساقها وتعجبت من ذلك واستحكم ماشاهدته من دلائل الوحدانية والنبوّة فقالت نادمة على ثباتها على الكفر فيما تقدم من عمرها ومنشئة لعقد الاسلام بكمال الرغبة والايقان رب انى ظلمت نفسى فيماسبق من عمرى واسلمت مع سليمان لله رب العالمين وقيل ارادت بظلمها نفسها سوء ظنها بسليمان حيث حسبت ان سليمان اراد ان يقتلها بان يغرقها فى اللجة قال محمد بن كعب القرظى لما ابصرت بلقيس الصرح قالت ما وجد ابن داود عذابا يقتلنى به الا الغرق فلما وقفت على حقيقة الحال قالت ظلمت نفسى حيث اساءت به الظنّ ﴿قوله وقد اختلف فى انه تزوّجها﴾ والمشهور انه تزوّجها واحبها حبا شديدا واقرّها على ملكها فكان يزورها كل شهر مرّة يقيم عندها ثلاثة ايام وولدت له داود بن سليمان وامر الجنّ فبنوا لها مدينة بسيلحين وقصر غمدان بصنعاء وقيل زوجها ذا تبع ملك همدان فانه قد روى ان بلقيس لما اسلمت قال لها سليمان اختارى رجلا من قومك حتى ازوّجك اياه فقالت اومثلى يانبى الله ينكح الرجال وقد كان لى فى قومى الملك والسلطان قال نعم انه لايكون فى الاسلام الاذلك ولاينبغى لك ان تحرّمى ما احل الله لك قالت فان كان ولابدّ فزوّجنى ذا تبع ملك همدان فزوّجها اياه وردّها الى اليمن ودعا زوبعة ملك جن اليمن وقال له اعمل لذى تبع مااستعملك فيه فلم يزل يعمل له ما اراد الى ان مات سليمان فلما مات سليمان وعلمت الجنّ موته نادى زوبعة يامعشر الجنّ قد مات سليمان فارفعوا رؤسكم فرفعوها وتفرّقوا وانقضى ملك ذى تبع وملك بلقيس مع انقضاء ملك سليمان فسبحان من لاانقضاء لدوام لاهوتيته وملكه * روى ان سليمان عليه السلام ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة ومات وهو ابن ثلاث وخمسين سنة * وقد تمت هنا قصة داود وسليمان عليهما الصلاة والسلام وقد ذكر قبل قصتهما قصة موسى عليه الصلاة والسلام فالآن ذكر الله تعالى قصة ثالثة وهى قصة صالح عليه الصلاة والسلام فقال ولقد ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا ﴿قوله اطيرنا﴾ اصله تطيرنا وقرئ به فادغمت التاء فى الطاء وزيدت همزة الوصل ليتأتى الابتداء والتطير التشؤم ببروج الطير وهو ان يقابلك مياسرة بان يمر من ميامنك الى مياسرك والعرب تتطير بالبارح لانه لايمكنك ان ترميه حتى تنحرف وتتيمن بالسانح وهو الذى يقابلك ميامنة بان يمرّ من مياسرك الى ميامنك والمراد بالتطير فى الآية مطلق التشؤم فانه قد يستعمل فى التشؤم بكل مايتشاءم به وان كان فى الاصل عبارة عن التشاءم بالطير روى انهم قحطوا بعد مبعث صالح عليه السلام لتكذيبهم اياه فنسبوه الى مجيئه وتشاءموا به كما يتشاءمون بالطائر فقال عليه الصلاة والسلام طائركم عند الله اى السبب الذى يجيئ منه خيركم وشركم عند الله وهو قضاؤه وقدر وكل مايصيب العبد من الخير والشرّ انما يصيبه بقضاء الله وقدره ومشيئته وارادته لارادّ لقضائه ولامعقب لحكمه لامانع لما اعطاه ولامعطى لما منعه اطلق الطائر على ماهو سبب حقيق للخير والشرّ وهو قضاء الله وقدره تشبيها له بالطائر الذى هو سبب لهما فى زعمهم ويحتمل ان يكون الطائر مستعارا لاعمالهم التى كانت سببا لما اصابهم من الشدآئد فانها مكتوبة عند الله تعالى كما ان القضاء والقدر صفتان قائمتان به تعالى ﴿قوله الى ذكر ماهو الداعى اليه﴾ وهو اختبار انهم هل يتنبهون الى ان ما اصابهم من حسنة فبفضل الله ورحمته وان ما اصابهم من سيئة فبشؤم كسبهم قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما بل انتم قوم تفتنون اى تختبرون بالخير والشرّ كقوله ونبلوكم بالشرّ والخير فتنة ﴿قوله وانما وقع تمييزا للتسعة باعتبار المعنى﴾ يعنى ان مميز مافوق الثلاثة الى العشرة يجب ان يكون مجموعا والرهط مفرد اللفظ ومع ذلك وقع تمييزا للتسعة لكونه فى معنى الجماعة كأنه قيل تسعة انفس ﴿قوله اى شأنهم الافساد الخالص﴾ اشارة الى فائدة قوله ولايصلحون بعد قوله يفسدون فى الارض وهى ان المفسدين قد يجيئ منهم الاصلاح فى بعض الاوقات وهؤلاء التسعة كان حالهم بخلاف ذلك اذلم يكن منهم الاصلاح اصلا وكانوا عتاة قوم صالح وكانوا من ابناء اشرافهم وهم الذين اتفقوا على عقر الناقة ورأسهم قدار بن سالف وهو عاقر الناقة وقوله يفسدون صفة تسعة او رهط فيكون فى موضع الرفع او الجرّ ﴿قوله امر﴾ اى يجوز فى تقاسموا ان يكون امرا اى قال بعضهم لبعض احلفوا على كذا ويجوز ان يكون فعلا ماضيا وحينئذ يجوز ان يكون بدلا من قالوا مفسرا له كأنه قيل ماقالوا فقيل تقاسموا ويجوز ان يكون حالا من فاعل قالوا على اضمار قد اى قالوا ذلك متقاسمين ﴿قوله وقرأ حمزة والكسائى﴾ لتبيتنه بتاء الخطاب المضمومة وضم التاء الثانية والباقون بنون المتكلم وفتح التاء ﴿قوله ثم لتقولنّ﴾ قرأ حمزة والكسائى بتاء الخطاب المفتوحة وضم اللام والباقون بنون المتكلم وفتح اللام وقرئ بياء الغيبة فى الفعلين فاما قرآءة الاخرين فان جعلنا تقاسموا فعل امر فالخطاب واضح رجوعا بآخر الكلام الى اوّله وان جعلناه

(قالت رب انى ظلمت نفسى) بعبادتى الشمس [cut off]
وقيل بظنى بسليمان فانها حسبت انه يغرّقها فى [cut off]
اللجة (واسلمت مع سليمان لله رب العالمين) فيما [cut off]
امر به عباده وقد اختلف فى انه تزوّجها [cut off]
او زوّجها من ذى تبع ملك همدان (ولقد [cut off]
ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا ان اعبدوا الله) [cut off]
بان اعبدوه وقرئ بضم النون على اتباعها [cut off]
الباء (فاذاهم فريقان يختصمون) ففاجأو [cut off]
التفرّق والاختصام فآمن فريق وكفر [cut off]
فريق والواو لمجموع الفريقين (قال ياقوم [cut off]
لم تستعجلون بالسيئة) بالعقوبة فتقولون [cut off]
ائتنا بما تعدنا (قبل الحسنة) قبل التوبة [cut off]
فتؤخرونها الى نزول العقاب فانهم كانوا [cut off]
يقولون ان صدق ايعاده تبنا حينئذ [cut off]
(لولا تستغفرون الله) قبل نزوله (لعلكم [cut off]
ترحمون) بقبولها فانها لاتقبل حينئذ [cut off]
(قالوا اطيرنا) تشاءمنا (بك وبمن معك) [cut off]
اذ تتابعت علينا الشدآئد ووقع بيننا الافتراق [cut off]
منذ اخترعتم دينكم (قال طائركم) سببكم [cut off]
الذى جاء منه شرّكم (عند الله) وهو قدره [cut off]
او عملكم المكتوب عنده (بل انتم قوم [cut off]
تفتنون) تختبرون بتعاقب السرّآء والضرّ [cut off]
والاضراب عن بيان طائرهم الذى هو مبدأ [cut off]
ماحيق بهم الى ذكر ماهو الداعى اليه [cut off]
(وكان فى المدينة تسعة رهط) تسعة انفس [cut off]
وانما وقع تمييزا للتسعة باعتبار المعنى والفرق [cut off]
بينه وبين النفر انه من الثلاثة او السبعة [cut off]
الى العشرة والنفر من الثلاثة الى التسعة [cut off]
(يفسدون فى الارض ولايصلحون) اى [cut off]
شأنهم الافساد الخالص عن شوآئب [cut off]
الصلاح (قالوا) اى قال بعضهم لبعض [cut off]
(تقاسموا بالله) امر مقول او خبر و[cut off]
بدلا او حالا باضمار قد (لنبيتنه واهله) [cut off]
لنباغتنّ صالحا واهله ليلا وقرأ حمزة [cut off]
والكسائى بالتاء على خطاب بعضهم [cut off]
لبعض وقرئ بالياء على ان تقاسموا [cut off]
(ثم لنقولنّ) فيه القرآآت الثلاث (لوليه) [cut off]
لولى دمه (ماشهدنا مهلك اهله) فضلا [cut off]
ان تولينا اهلاكهم وهو يحتمل المصدر [cut off]
والزمان والمكان وكذا مهلك فى قرآءة [cut off]
حفص فان مفعلا قد جاء مصدرا كمرجع [cut off]
وقرأ ابو بكر بالفتح فيكون مصدرا

ماضيا اوامرا فالامر فيها واضح وهو حكاية اخبارهم عن انفسهم واما قرآءة الغيبة فيهما فظاهرة على ان يكون تقاسموا ماضيا رجوعا بآخر الكلام الى اوله فى الغيبة وان جعلناه امرا كان لبيتنه جوابا لسؤال مقدر كأنه قيل كيف تقاسموا فقيل لبيتنه والبيات مباغتة العدو ومفاجأته بالقتل ليلا والمعنى لنقتلنه بياتا اى ليلا واهله اى قومه الذين اسلموا معه ثم لنقولن لوليه اى لولى دمه ماشهدنا مهلك اهله اى ماحضرنا هلاكهم اوموضع هلاكهم اوزمانه اواهلاكهم اوموضع اهلاكهم اوزمانه ولاندرى من قتلهم قرأ العامة مهلك بضم الميم وفتح اللام من الاهلاك وحفص بفتح الميم وكسر اللام وابوبكر بفتح الميم واللام وكلاهما من الهلاك الا انه على قرآءة ابى بكر لايكون الامصدرا لان هلك من باب ضرب واسم الزمان والمكان من يهلك بكسر اللام لايكون الامكسور اللام واما مهلك بكسر اللام فانه يحتمل الثلاثة وكذا مهلك بضم الميم وفتح اللام *تحالف القوم على ان يبيتوا صالحا واهله ثم ينكروا عند اوليائه انهم فعلوا ذلك اورأوه وكان هذا مكرا عزموا عليه هذا على تقدير ان يكون تقاسموا فعلا ماضيا مفسر النفس قالوا ولايكون مقول القول ﴿قوله ونحلف انا الصادقون﴾ يعنى ان جملة انا الصادقون فى محل النصب بنزع الخافض المتعلق بفعل محذوف معطوف على قوله لنقولن اى ثم لنقولن اى كذا ونحلف انا الصادقون فيما قلنا او على انه حال من فاعل لنقولن * ولما ورد ان يقال كيف يكونون صادقين فيما قالوا وهو خبر غير مطابق للواقع وجحود لما فعلوه عمدا *اجاب عنه بوجهين الاول ان الكذب انما يلزمهم ان لو انكروا المباشرة ولم ينكروها بل انكروا الشهود وانكاره لايستلزم انكار المباشرة ليلزم الكذب والثانى انهم انما انكروا شهود مهلك اهله وحده وهم صادقون فيه سمى الله مواضعتهم على قتل صالح واهله خفية مكرا لكونها مكرا فى الحقيقة لان المكر قصد الاضرار على طريق الغدر والحيلة وسمى تدميره واهلاكه اياهم وهم لايشعرون على سبيل المجازاة على مكرهم مكرا ايضا تشبيها له بالمكر من حيث كونه اضرارا فى خفية لقوله وهم لايشعرون او للمشاكلة ﴿قوله فى الحجر﴾ وهو اسم مدينة ثمود قال تعالى ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين *الراغب الحجر ماسوّر بالحجارة وبه سمى حجر الكعبة وديار ثمود والشعب بالكسر ما انفرج بين الجبلين وقيل الطريق فى الجبل ﴿قوله زعم ان يفرغ منا الى ثلاث﴾ وذلك انهم لما عقروا الناقة اخبرهم صالح بنزول العذاب المستأصل عليهم عند انتهاء ثلاثة ايام فقالوا ذلك قال ابن عباس ارسل الله الملائكة تلك الليلة الى دار صالح عليه السلام يحرسونه فاتى التسعة دار صالح شاهرين سيوفهم فرمتهم الملائكة بالحجارة من حيث يرون الحجارة ولايرون الملائكة فقتلوهم وهو قول الكلبى وقال قتادة والسدى دخلوا ليلا فى خرق جبل يفترصون فارسل الله تعالى عليهم صخرة فسدت عليهم فم الخرق فهلكوا فيه واهلك الله تعالى سائرهم بصيحة جبريل وقرأ الكوفيون انادمرناهم بفتح الهمزة والباقون بكسرها على الاستئناف واختار المصنف قرآءة انا بكسر الهمزة وجوز حينئذ ان تكون كان تامة وناقصة وجوز على تقدير كونها ناقصة ان تكون ان المكسورة مع ما فى حيزها استئنافا وان تكون خبر مبتدأ محذوف ولاينافيه اقتضاؤها الصدارة لانها انما تقتضى ان تكون فى صدر الجملة التى دخلت هى عليها وهذه الصدارة حاصلة سوآء جعلت خبر ان او خبر كان الا انه لم يجوز كونها خبر كان لان المكسورة مع ما فى حيزها جملة والجملة لاتكون خبرا بدون العائد بخلاف المفتوحة فانها مع ما فى حيزها فى تأويل المفرد فيصح كونها خبرا بدون العائد وعلى تقدير كونها مستأنفة بحيث يتم الكلام قبلها وذلك بان تكون كان تامة وعاقبة فاعلها وكيف حالا منها اى فانظر يامحمد على اى حال عاقبة امرهم اوبان تكون ناقصة وعاقبة اسمها وكيف خبرها ويجوز على تقدير ان تكون ناقصة ويتم الكلام قبل ان المسكورة ان يكون قوله انا دمرناهم بكسر الهمزة خبر مبتدأ محذوف اى وهى انا دمرناهم على معنى وتلك العاقبة انا دمرناهم وعلى قرآءة الكوفيين يجوز ان يكون انا دمرناهم خبر مبتدأ محذوف سوآء جعل كان تامة او ناقصة فانه ان جعل كان تامة وعاقبة فاعلها وكيف حالا منها جاز ان يكون انا دمرناهم خبر مبتدأ محذوف كما اذا كانت ناقصة وجاز ايضا ان تكون بدلا من عاقبة والمعنى كيف كان تدميرنا اياهم بمعنى كيف حدث ووقع ويجوز هذا الوجه على تقدير ان يكون كان ناقصة ايضا كما اشار اليه بقوله اوبدل من اسم كان ولم يقل من فاعل كان ويجوز على تقدير كونها ناقصة ان يجعل عاقبة اسمها وانا دمرناهم خبرها وكيف حالا اى فانظر اى حال كان عاقبة مكرهم تدميرنا اياهم اجمعين ولايجوز على تقدير كون كان ناقصة وعاقبة اسمها وكيف خبرها ايضا ان يكون انادمرناهم بدلا من كيف لان قوله انادمرنا ليس معه حرف الاستفهام والبدل من الاستفهام يلزم فيه اعادة حرف الاستفهام نحو كم مالك أعشرون ام ثلاثون وكيف فلان أصحيح ام سقيم ولو قلت

(وانا لصادقون) ونحلف انا لصادقون اوو الحال انا الصادقون فيما ذكرنا اذ الشاهد للشئ غير المباشر له عرفا اولانا ماشهدنا مهلكهم وحده بل مهلكه ومهلكهم كقولك مارأيت ثمة رجلا بل رجلين (ومكروا مكرا) بهذه المواضعة (ومكرنا مكرا) بان جعلناها سببا لاهلاكهم (وهم لايشعرون) بذلك روى انه كان لصالح فى الحجر مسجد فى شعب يصلى فيه فقالوا زعم انه يفرغ منا الى ثلاث فنفرغ منه ومن اهله قبل الثلاث ذهبوا الى الشعب ليقتلوه فوقع عليهم صخرة حيالهم فطبقت عليهم فم الشعب فهلكوا ثمة وهلك الباقون فى اماكنهم بالصيحة كما اشار اليه قوله (فانظر كيف كان عاقبة مكرهم انا دمرناهم وقومهم اجمعين) وكان ان جعلت ناقصة فخبرها كيف وانا دمرناهم استئناف اوخبر محذوف لاخبر كان لعدم العائد وان جعلتها تامة فكيف حال وقرأ الكوفيون ويعقوب انا دمرناهم بالفتح على انه خبر محذوف اوبدل من اسم كان اوخبر له وكيف حال (فتلك بيوتهم خاوية) خالية من خوى البطن اذا خلا اوساقطة منهدمة من خوى النجم اذا سقط وهى حال عمل فيها معنى الاشارة وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف (بماظلموا) بسبب ظلمهم (ان فى ذلك لآية لقوم يعلمون) فيتعظون (وانجينا الذين آمنوا) صالحا ومن معه (وكانوا يتقون) الكفر والمعاصى فلذلك خصوا بالنجاة

عشرون او صحيح بغير اعادة حرف الاستفهام لم يجز ﴿قوله واذكر لوطا او وارسلنا لوطا﴾ يعني ان لوطا منصوب اما باذكر مضمرة او بارسلنا المدلول عليه بما ذكر في القصة السابقة لان قصة لوط معطوفة على قصة ثمود وقد ذكر في فاتحتها ولقد ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا فيقدر لها مثله واذ بدل اشتمال من لوطا على تقدير ان يكون لوطا منصوبا باذكر ولا يجوز ان يكون ظرفا لاذكر لان ذكر الرسول عليه الصلاة والسلام اياه ليس في زمان قوله لقومه اتأتون الفاحشة او ظرف لارسلنا على تقدير ان يكون لوطا منصوبا به ولا يجوز ان يكون بدلا من لوطا حينئذ اذ لا يستقيم ان يقال وارسلنا وقت قوله والفاحشة الفعلة القبيحة وأراد بها اللواطة باتفاق المفسرين ﴿قوله او يبصرها بعضكم من بعض﴾ يعني ويجوز ان يكون تبصرون من بصر العين لا على ان المعنى وانتم تبصرون ما تأتونه بل على انه يبصر بعضكم فعل بعض واعلان المعصية معصية زائدة على اتيانها ﴿قوله بيان﴾ يعني ان قوله ائنكم لتأتون الرجال عطف بيان لقوله أتأتون الفاحشة لكونه اوضح في الدلالة على فعلتهم القبيحة وقوله شهوة مفعول له اي اتأتون الرجال لقضاء الشهوة متجاوزين النساء مع انه تعالى انما خلق الانثى للذكر ولم يخلق الذكر للذكر ولا الانثى للانثى فاتيانكم الرجال للشهوة مضادة لحكم الله تعالى وحكمته ﴿قوله تفعلون فعل من يجهل قبحها الخ﴾ جواب عما يقال كيف وصفهم بالعلم اولا حيث قال وانتم تبصرون اي تعلمون فحشها ثم وصفهم بعده بالجهل حيث قال بل انتم قوم تجهلون فكيف يكون علما وجهلا معا * اجاب بثلاثة اجوبة الاول انه ليس المعنى انتم تجهلون فحشها ليلزم التناقض بل المعنى تفعلون فعل من جهل فحشها مع علمكم بذلك والثاني ان المراد بالجهل السفاهة والحماقة التي كانوا عليها والثالث ان المراد تجهلون القيامة وعاقبة العصيان ﴿قوله والتاء فيه﴾ جواب عما يقال تجهلون صفة لقوم وهو اسم ظاهر منزل منزلة الغائب فينبغي ان تكون صفته بياء الغيبة لتطابق الصفة الموصوف * ومحصول الجواب ان القوم وان كان غائبا باعتبار لفظه فهو مخاطب باعتبار معناه لكونه جاريا على انتم خبرا عنه فلما اجتمع فيه جهتا الغيبة والخطاب اعتبر جانب الخطاب لان الاصل في الكلام انما هو المتكلم والمخاطب والغائب متوسط بينهما ﴿قوله يتنزهون عن افعالنا﴾ اي لا يوافقوننا فيها بل ينهون عنها ونحن لا نرضى بتركها فليس لنا حظوة الا باخراجهم من بيننا قرأ الجمهور فما كان جواب قومه بنصب جواب على انه خبر مقدم وقرئ بالرفع والنصب احسن لان أن قالوا في تأويل قولهم فهو اعرف من جواب قومه لان المضاف الى المضمر أعرف من المضاف الى المضاف الى المضمر ولان أن قالوا لا يقبل التنكير بخلاف جواب قومه فانه يقبله بان يقال جواب لقومه ﴿قوله قدرنا كونها من الباقين﴾ يريد ان المضاف مقدر في قوله قدرناها لان التقدير متعلق بغبورها وكونها من زمرة الباقين في العذاب لا بذاتها فانها ان بقيت مع جملة من بقي في القرية اهلكها الله بعذاب الائتفاك وان خرجت منها مع لوط عليه الصلاة والسلام هلكت بان اصابها حجر في الطريق والمتبادر من هذه الآية ان امطار الحجارة غير مختص بشذاذ القوم بل هو امر شامل لجميعهم وان الباقين في القرى المؤتفكات اهلكوا بنوع آخر من العذاب ايضا ﴿قوله الزام لهم﴾ يعني ان الآية بظاهرها وان دلت على ان المقصود الموازنة بينه تعالى وبين الاصنام واستعلام انه تعالى خير لمن عبده ام الاصنام لعابديها ولا وجه له ضرورة ان احدا من العقلاء لا يزن المخلوق العاجز بالخالق القادر على كل شئ في معنى الخيرية بل المقصود الزام المشركين والتهكم بهم وتسفيه رأيهم بين الله تعالى اولا اهلاك كفار الامم السالفة ونجاة الموحدين المؤمنين ثم خاطب رسوله صلى الله عليه وسلم وامره ان يحمد الله تعالى على هلاك المشركين السالفين ويسلم على المصطفى للتوحيد والايمان من عبيده او خاطب لوطا عليه الصلاة والسلام وامره بذلك ثم التفت الى المشركين وخاطبهم على سبيل التبكيت والالزام بقوله آلله خير أم ماتشركون ومن قرأ يشركون بياء الغيبة جعله على ماقبله من قوله وامطرنا عليهم وما بعده من قوله بل اكثرهم وام في قوله ام مايشركون متصلة عاطفة بمعنى ايهما خير وما بمعنى الذي وقيل مصدرية على حذف المضاف من الاول اي أتوحيد الله خير ام شرككم وام في قوله امن منقطعة بمعنى بل والهمزة اشار اليه المصنف بقوله بل ام من لعدم تقدم همزة الاستفهام وقصد التسوية ومن موصولة مرفوعة المحل على الابتداء وخبرها محذوف والتقدير بل ام من خلق السموات والارض خير اضرب عن السؤال بايهما خير الى تقريرهم اي حملهم على الاقرار بان من قدر على خلق العالم فهو خير من جماد لا يقدر على شئ كأنه قيل دعوا هذا السؤال الستم تقرون بانه تعالى خالق العالم فهو خير من جماد لا يقدر فهو

(ولوطا) واذكر لوطا او وارسلنا لوطا لدلالة ولقد ارسلنا عليه (اذ قال لقومه) بدل على الاول ظرف على الثاني (أتأتون الفاحشة وانتم تبصرون) تعلمون فحشها من بصر القلب واقتراف القبائح من العالم بقبحها اقبح او يبصرها بعضكم من بعض لانهم كانوا يعلنون بها فتكون أفحش (ائنكم لتأتون الرجال شهوة) بيان لاتيانهم الفاحشة وتعليله بالشهوة للدلالة على قبحه والتنبيه على ان الحكمة في المواقعة طلب النسل لا قضاء الوطر (من دون النساء) اللاتي خلقن لذلك (بل انتم قوم تجهلون) تفعلون فعل من يجهل قبحها او يكون سفيها لا يميز بين الحسن والقبيح او تجهلون العاقبة والتاء فيه لكون الموصوف به في معنى المخاطب (فما كان جواب قومه الا ان قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم انهم اناس يتطهرون) يتنزهون عن افعالنا او عن الاقذار ويعدون فعلنا قذرا (فأنجيناه واهله الا امرأته قدرناها من الغابرين) قدرنا كونها من الباقين في العذاب (وامطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين) مر مثله (قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى) امر رسوله بعد ماقص عليه القصص الدالة على كمال قدرته وعظم شأنه وما خص به رسله من الآيات الكبرى والانتصار من العدى بتحميده والسلام على المصطفين من عبيده شكرا على ما انعم عليه وعلمه ما جهل من احوالهم وعرفانا لفضلهم وحق تقدمهم واجتهادهم في الدين او لوطا بأن يحمده على هلاك كفرة قومه ويسلم على من اصطفاه بالعصمة من الفواحش والنجاة من الهلاك (آلله خير ام مايشركون) الزام لهم وتهكم بهم وتسفيه لرأيهم اذ من المعلوم ان لا خير فيما اشركوه رأسا حتى يوازن بينه وبين من هو مبدأ كل خير وقرأ ابو عمرو وعاصم ويعقوب بالتاء (امن) بل ام من (خلق السموات والارض) التي هي اصول الكائنات ومبادي المنافع وقرئ أمن بالتخفيف على انه بدل من الله

(وانزل لكم) لأجلكم (من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة) عدل به من الغيبة الى التكلم لتأكيد اختصاص الفعل بذاته والتنبيه على ان انبات الحدآئق البهية المختلفة الانواع المتباعدة الطباع من المواد المتشابهة لايقدر عليه غيره كما اشار اليه بقوله (ما كان لكم ان تنبتوا شجرها) شجر الحدآئق وهي البساتين من الاحداق وهو الاحاطة (ءاله مع الله) أغيره يقرن به ويجعل له شريكا وهو المتفرد بالخلق والتكوين وقرئ أآلها باضمار فعل مثل أتدعون اوأتشركون وبتوسيط مدّة بين الهمزتين واخراج الثانية بين بين (بل هم قوم يعدلون) عن الحق الذي هو التوحيد (أمّن جعل الارض قرارا) بدل من ام من خلق السموات وجعلها قرارا بابدآء بعضها من الماء وتسويتها بحيث يتأتى استقرار الانسان والدواب عليها (وجعل خلالها) وسطها (انهارا) جارية (وجعل لها رواسي) جبالا تكوّن فيها المعادون وينبع من حضيضها المنابع (وجعل بين البحرين) العذب والمالح او خليجي فارس والروم (حاجزا) برزخا وقد مرّ بيانه في الفرقان (ءاله مع الله بل اكثرهم لايعلمون) الحق فيشركون به (أمّن يجيب المضطرّ اذا دعاه) المضطرّ الذي احوجه شدّة ما به الى اللجأ الى الله من الاضطرار وهو افتعال من الضرورة واللام فيه للجنس لا للاستغراق فلا يلزم منه اجابة كل مضطرّ (ويكشف السوء) ويدفع عن الانسان ما يسوءه (ويجعلكم خلفاء الارض) خلفاء فيها بان ورّثكم سكناها والتصرّف فيها ممن قبلكم (ءاله مع الله) الذي خصكم بهذه النعم العامّة والخاصة (قليلا ما تذكرون) اى تذكرون آلاءه تذكرا قليلا وما مزيدة والمراد بالقلة العدم اوالحقارة المزيحة للفائدة وقرأ ابوعمرو وروح بالياء وحمزة والكسائي وحفص بالتاء وتخفيف الذال (أمّن يهديكم في ظلمات البرّ والبحر) بالنجوم وعلامات الارض والظلمات ظلمات الليالي اضافها الى البرّ والبحر للملابسة اومشتبهات الطرق يقال طريقة ظلماء وعمياء التي لامنار بها (ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته) يعني المطر ولو صح ان السبب الاكثري في تكوّن الرياح معاودة الادخنة الصاعدة من الطبقة الباردة لانكسار حرّها وتموجها الهوآء فلاشك ان الاسباب الفاعلية والقابلية لذلك من خلق الله تعالى والفاعل للسبب فاعل للسبب (ءاله مع الله) يقدر على شئ من ذلك (تعالى الله عما يشركون) تعالى القادر الخالق عن مشاركة العاجز المخلوق (أمّن يبدأ الخلق ثم يعيده) والكفرة وان انكروا الاعادة فهم محجوجون بالحجج الدالة عليها (ومن يرزقكم من السماء والارض) اى باسباب سماوية وارضية (ءاله مع الله) يفعل ذلك (قل هاتوا برهانكم) على ان غيره يقدر على شئ من ذلك (ان كنتم صادقين) في اشراككم فان كمال القدرة من لوازم الالوهية (قل لايعلم من في السموات والارض الغيب الا الله) لما بين اختصاصه بالقدرة التامة الفائقة العامة اتبعه ما هو كاللازم له وهو التفرد بعلم الغيب والاستثناء منقطع

استفهام تقرير ﴿قوله لتأكيد اختصاص الفعل بذاته تعالى﴾ فانه لو اخرج الكلام على مقتضى الظاهر وقيل فأنبت به حدآئق لأفاد الكلام اختصاص الانبات به تعالى بحكم المقابلة بين الشركاء وخالق العالم فلما التفت ونسب الفعل الى ذاته تأكد ذلك الاختصاص حيث دل عليه بأمرين ﴿قوله من الاحداق وهو الاحاطة﴾ فان الحديقة كل روضة وبستان عليه حوآئط وانشاز محدقة اى محيطة به والنشز المكان المرتفع ﴿قوله أغيره يقرن به﴾ يعني انه استفهام انكار بمعنى هل معه معبود سواه اعانه على خلق اصول الكائنات وانزال ما ينبت به ارزاق المخلوقات وليس له شريك في ذلك وانما جاز الابتدآء بالنكرة وهو اله لتخصيصه بالعموم المستفاد من همزة الانكار الداخلة على النكرة ﴿قوله يعدلون عن الحق﴾ على انه من العدول وقيل هو من العدل بمعنى التسوية والمعنى بل هم يعني كفار مكة قوم يعدلون بالله غيره وهو الاصنام ﴿قوله بدل من ام من خلق﴾ فتكون ام فيه منقطعة ويكون معنى الهمزة التقرير كما في المبدل منه ﴿قوله خلالها﴾ يجوز ان يكون ظرفا لجعل بمعنى خلق المتعدية الى مفعول واحد وان يكون في محل المفعول الثاني لجعل على ان يكون بمعنى صير ﴿قوله جبالا تتكوّن فيها المعادن﴾ بيان لوجه كون خلق الجبال في الارض من جملة وجوه الانعام وذلك لان اكثر العيون والاشجار والمعدنيات انما تتكوّن في الجبال وفيما يقرب منها والرواسي من الجبال الثوابت الرواسخ من رسا الشئ يرسو اى ثبت ولم يذكر من منافع الجبال كونها حافظة للارض عن الميلان كما قال الله تعالى وجعلنا في الارض رواسي ان تميد بهم لان تلك المنفعة فهمت من قوله تعالى جعل الارض قرارا فانها لاتكون مستقرّا للخلائق الا بكونها ساكنة سالمة من الاضطراب ﴿قوله او خليجي فارس والروم﴾ الخليج من البحر ما تشعب منه قال بعضهم المراد بالبحرين بحر فارس وبحر الروم جعل الله تعالى بينهما جزيرة العرب حاجزا وسميت جزيرة لما جزر عنها الماء اى ذهب وقال بعضهم المراد بهما بحر الشام وبحر العراق ﴿قوله واللام فيه للجنس﴾ جواب عما يقال انه تعالى ذكر في جملة ما تفضل به على عباده انه يجيب المضطرّ اذا دعاه والمضطرّ اسم جنس محلى بلام الاستغراق فيفهم منه انه يجيب كل مضطرّ دعاه وكم من مضطرّ يدعو فلا يجاب وقرئ يذكرون بالياء مع الادغام وبالتاء مع الادغام وبدونه والحذف وقرئ تتذكرون بتاءين وقليلا صفة مصدر محذوف كما ذكر ﴿قوله ولو صح ان السبب الاكثري الخ﴾ جواب عما يقال لانسلم انه تعالى هو الذي يحرّك الرياح ويرسلها فان الفلاسفة قالت الرياح انما تتولد من الادخنة المتصاعدة بتصعيد الحرارة اياها سوآء كانت الحرارة حرارة الشمس اوحرارة النار فانها اذا صعدت ادخنة كثيرة الى فوق فاذا وصلت الى الطبقة الباردة وانكسرت ببرد ذلك الهوآء لامحالة تثقل وتنزل فيحصل من نزولها تموّج الهوآء فيحدث الريح وقوله ولو صح اشارة الى منع ما ذكروه وذلك ان الريح عند حركتها يمنة ويسرة ربما تقوى على قلع الاشجار وهدم الجدر فلو كانت الريح عبارة عن الهوآء المتموّج بسبب حركة تلك الاجزآء الدخانية الى اسفل حركة طبيعية وجب ان تهدم سقوف البيوت عند وقوع تلك الاجزآء عليها لان الحركة الهابطة طبيعية فتكون اقوى من الحركة العرضية التي هي الحركة يمنة ويسرة ولاشك ان شيأ من السقوف لايسقط بسقوط الاجزآء الدخانية عليه فظهر به فساد ما ذكروه ثم انه تعالى لما عدّد نعم الدنيا اتبع ذلك ذكر نعم الآخرة فقال ام من يبدأ الخلق ثم يعيده فان نعم الآخرة لاتتم الا بالاعادة بعد الابدآء والابلاغ الى حدّ التكليف وذلك لايتم الا بالارزاق فلذلك قال بعده ومن يرزقكم من السماء والارض * ولما ورد ان يقال كيف يمكن الزام الكفرة بذكر نعمة الاعادة وما يترتب عليها وهم منكرون للاعادة * اجاب عنه بانهم وان انكروا الا انهم لما لم يكن لهم عذر في انكارها من حيث قيام الادلة القاطعة الدالة على امكانها وكونها مقدرة لله تعالى واقتضت الحكمة وقوعها نزلوا منزلة من اقرّ بها فتوجه اليهم الالزام والتجهيل بذلك ثم بين ان امر الدين لايبنى الا على الحجة والبرهان ولايصح بمجرد التقليد فقال قل هاتوا برهانكم وقرّرهنا ذكر الدلائل الدالة على كمال قدرة الله تعالى وفضله وبين بعده انه المختص بعلم الغيب ليثبت بمجموع الامرين تفرّده تعالى بالالوهية واستحقاق العبادة فان الاله الحق هو الذي يحيط علمه بأعمال المكلفين من الطاعة والمعصية ويقدر على مجازاة كل احد جزآء وفاقا بحيث لايزيد عقاب العاصي على قدر معصيته ولايضيع شيأ من طاعة المطيع ﴿قوله والاستثناء منقطع﴾ لعدم دخوله تعالى في قوله من في السموات والارض والمستثنى المنقطع منصوب ابدا عند الحجازيين فانهم يقولون ما جاءني احد الا حمارا ورفع المستثنى المنقطع في الآية مبني على لغة

بنى تميم فانهم يقولون مافى الدار احد الاحمار ويجعلون المستثنى المنقطع فى حكم المفرّغ ويقولون قولك مافى الدار احد الاحمار اصله مافيها الاحمار على ان يكون المستثنى منه المقدّر اعم العام بمعنى مافى الدار شئ الاحمار الاان المتكلم لما ظنّ ان المخاطب يستبعد خلوّ الدار من الآدمى ذكر الاحد من جملة افراد المستثنى منه المقدّر تأكيدا لنفى كون الآدمى فيها وابقى اعراب المستثنى مرفوعا على ماكان عليه فى الاصل تنبيها على الاصل وقد كان المستثنى فى الاصل مرفوعا على الفاعلية فلما ذكر الاحد كان بدلا منه فعلى هذا الوجه لايكون المستثنى المنقطع من قبيل المتصل حيث لم يعتبر دخول المستثنى فى المستثنى منه الذى جعل بدلا وهو الذى يفهم من قول صاحب الكشاف يقولون مافى الدار احد الاحمار كأنّ احدا لم يذكر الاان قوله بعد ذلك اخرج المستثنى مخرج قوله الااليعافير بعد قوله ليس بها انيس ليؤول المعنى الى قولك ان كان الله ممن فى السموات والارض ففيهما من يعلم الغيب يدل على انه جعل المنقطع كالمتصل وقدّر دخوله فى المستثنى منه ليشتمل الكلام على التعليق بالمحال ليفيد الكلام المبالغة فى نفى علم الغيب عن اهل السموات والارض وهذه المبالغة لاتحصل على تقدير النصب لانه حينئذ يكون المعنى لايعلم من فى السموات والارض الغيب لكنّ الله يعلمه فيكون نصبه على انه اسم لكنّ وتفوت هذه المبالغة المبنية على تعليق علمهم الغيب بالمحال ﴿قوله او متصل﴾ فلا يحتاج فى رفع المستثنى الى العدول عن مذهب الحجازيين الى مذهب بنى تميم لان المستثنى المتصل يجوز فيه النصب ويختار البدل فى كلام غير موجب اذا كان المستثنى منه مذكورا باتفاق الجمهور والآية الكريمة من هذا القبيل ووجه اندراجه تعالى فى من فى السموات والارض قوله تعالى وهو معكم اينما كنتم وقول المتكلمين الله فى كل مكان على معنى أن علمه فى الاماكن كلها فكأنّ ذاته فيها وردّ صاحب الكشاف هذا الوجه بانه يستلزم الجمع بين الحقيقة والمجاز فى كلمة واحدة وبيانه ان الظرفية المستفادة من قوله من فى السموات حقيقة بالنسبة الى غير الله تعالى ومجاز بالنسبة اليه تعالى ولايجوز الجمع بينهما فى كلمة واحدة عند اكثر العلماء وان قال به الامام الشافعى رحمه الله كما فى قولهم القلم احد اللسانين والخال احد الابوين ومنه قوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبىّ وجوّزه المصنف اما بناء على مذهبه واما بناء على ماذكره الامام وهو قوله لايقال كونه تعالى فى السموات والارض مجاز وكونهم فيهنّ حقيقة وارادة المتكلم بعبارة واحدة الحقيقة والمجاز غير جائز لانانقول كونهم فى السموات والارض كما انه حاصل حقيقة وهو حصول ذواتهم فى تلك الامكنة كذلك حاصل مجاز ايضا وهو كونهم عالمين بتلك الامكنة فاذا حملنا هذه الكونية على المعنى المجازى وهو الكون فيها بمعنى العلم دخل الرب سبحانه وتعالى فيه فصح الاستثناء ﴿قوله والضمير لمن﴾ يعنى ان قوله ومايشعرون وصف لاهل السماء والارض نفى اوّلا ان يكون لهم علم بالغيب ثم نفى عنهم الشعور بوقت البعث من بين جملة الغيب للدلالة على تفرّده بعلمه وقيل ضمير يشعرون للكفرة الذين يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم بقولهم ايان مرساها انكارا لاصل البعث فوبخهم الله تعالى بقوله وما يشعرون ايان يبعثون مع استوآء الخلائق بأجمعهم فى الجهل بوقت البعث والمقصود توبيخهم على انكار اصل البعث وقد اشار اليه المصنف بقوله وأكد ذلك بنفى شعورهم بما هو مآلهم لامحالة وهو اصل البعث الا انهم لما انكروه بقولهم اىّ وقت وقت ارسائها واقامتها وبخهم على انكار وقت البعث بذلك اشعارا بطريق انكارهم له واشارة الى ان الجهل بقرب وقته مما لاينبغى فضلا عن الجهل باصله ﴿قوله لما نفى عنهم﴾ اى عن اهل السماء والارض وقوله بل أدرك قرآءة ابى بكر ادّرك بتشديد الدال واصله افتعل قلبت التاء دالا وادغمت وفى التيسير قرآءة ابن كثير وابى عمرو بل أدرك بقطع الالف واسكان الدال من غير ألف بعدها والباقون بوصل الالف وتشديد الدال بعدها الف وهذا صريح فى انّ عاصما يوافق من قرأ ادّارك من غير خلاف عنه فيكون من قرأ به خمسة نفر والله اعلم والمصنف اختار قرآءة ابن كثير وابى عمرو فانهما قرأ ابل أدرك بهمزة القطع كأكرم وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائى وعاصم ادّارك بهمزة الوصل وتشديد الدال المفتوحة بعدها الف اصله تدارك ابدلت التاء دالا وادغمت الدال فى الدال واجتلبت همزة الوصل للابتدآء فصار ادّارك كاثاقل وجعل ادرك بمعنى بلغ وانتهى من قولهم ادركت الفاكهة اذا بلغت وتكاملت نضجا وقدّر مضافا بعد قوله أدرك حيث قال وبين ان ماانتهى وتكامل فيه اسباب علمهم من الحجج وبين وجه الاضراب فى قوله بل أدرك علمهم مع كون ارتباطه بما قبله خفيا من حيث ان مدلول الآية المتقدمة انه تعالى وحده هو الذى يعلم الغيب ويعلم متى الساعة ولاتظهر المناسبة بينه وبين الآية الدالة على ان اسباب علمهم بان الآخرة والقيامة كائنة قد تكاملت واستحكمت

ورفع المستثنى على اللغة التميمية للدلالة على
انه تعالى ان كان ممن فى السموات والارض
ففيهما من يعلم الغيب مبالغة فى نفيه عنهم
اومتصل على ان المراد ممن فى السموات
والارض من تعلق علمه بها واطلع عليهم
اطلاع الحاضر فيها فانه يعم الله تعالى واولى
العلم من خلقه وهو موصول اوموصوف
(ومايشعرون ايان يبعثون) متى ينشرون
مركبة من اىّ وآن وقرئت بكسر الهمزة
والضمير لمن وقيل للكفرة (بل أدرك علمهم
فى الآخرة) لما نفى عنهم علم الغيب واكد
ذلك بنفى شعورهم بما هو مآلهم لامحالة
بالغ فيه بأن اضرب عنه وبين ان ماانتهى
وتكامل فيه اسباب علمهم من الحجج والآيات
وهو أن القيامة كائنة لامحالة لايعلمونه كما
ينبغى (بل هم فى شك منها) كمن تحير فى امر
لايجد عليه دليلا (بل هم منها عمون)
لايدركون دلائلها لاختلال بصيرتهم
وهذا وان اختص بالمشركين ممن فى السموات
والارض نسب الى جميعهم كما يسند فعل
البعض الى الكل

والاضرابات الثلاث تنزيل لاحوالهم وقيل الاوّل اضراب عن نفى الشعور بوقت القيامة عنهم ووصفهم باستحكام علمهم فى امر الآخرة تهكما بهم وقيل ادرك بمعنى انتهى واضمحل من قولهم ادركت الثمرة لانها تلك غايتها التى عندها تعدم وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائى وعاصم بل اداركَ بمعنى تتابع حتى استحكم او تتابع حتى انقطع من تدارك بنوا فلان اذا تتابعوا فى الهلاك وابوبكر ادّرك واصلهما تفاعل وافتعل وقرئ ءأدرك بهمزتين وآأدرك بالف بينهما وبل ادّرك وبل اتدارك وبلى ادرك وبلى أأدرك وام ادرك وام تدارك ومافيه استفهام صريح اومضمن من ذلك فانكار ومافيه بلى فاثبات لشعورهم وتفسيرله بالادراك على التهكم ومابعده اضراب عن التفسير مبالغة فى نفيه ودلالة على ان شعورهم بها انهم شاكون فيها بل انهم منها عمون اورد وانكار لشعورهم (وقال الذين كفروا ائذا كنا ترابا وآباؤنا ائنا لمخرجون) كالبيان لعمههم والعامل فى اذا مادل عليه ائنا لمخرجون وهو نخرج لا مخرجون لان كلامن الهمزة وانّ واللام مانعة من عمله فيما قبلها وتكرير الهمزة للمبالغة فى الانكار والمراد بالاخراج الاخراج من الاجداث او من حال الفناء الى الحياة (لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل) من قبل وعد محمد عليه السلام وتقديم هذا على نحن لان المقصود بالذكر هو البعث وحيث اخر فالمقصود به المبعوث نظرا الى الاهتمام (ان هذا الا اساطير الاوّلين) التى هى كالاسمار (قل سيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين) تهديد لهم على التكذيب وتخويف بان ينزل بهم مثل ما نزل بالمكذبين قبلهم والتعبير عنهم بالمجرمين ليكون لطفا للمؤمنين فى ترك الجرائم (ولاتحزن عليهم) على تكذيبهم واعراضهم (ولاتكن فى ضيق) فى حرج صدر وقرأ ابن كثير بكسر الضاد وهما لغتان وقرئ ضيّق اى امر ضيق (مما يمكرون) من مكرهم فان الله يعصمك من الناس (ويقولون متى هذا الوعد) العذاب الموعود (ان كنتم صادقين قل عسى ان يكون ردف لكم) تبعكم ولحقكم واللام مزيدة للتأكيد او الفعل مضمن معنى فعل يعدّى باللام مثل دنا وقرئ بالفتح وهو لغة فيه (بعض الذى تستعجلون) حلوله وهو عذاب يوم بدر وعسى ولعل وسوف فى مواعيد الملوك كالجزم بها وانما يطلقونه اظهارا لوقارهم واشعارا بأنّ الرمزة منهم كالتصريح من غيرهم وعليه جرى وعد الله تعالى ووعيده (وان ربك لذو فضل على الناس) بتأخير عقوبتهم على المعاصى والفضل والفاضلة الافضال وجمعهما فضول وفواضل (ولكنّ اكثرهم لايشكرون) لايعرفون حق النعمة فيه فلا يشكرونه بل يستعجلون لجهلهم وقوعه (وان ربك ليعلم ماتكن صدورهم) ماتخفيه وقرئ بفتح التاء من كننت اى سترت (ومايعلنون)

(قوله) حتى توسط بينهما كلمة الاضراب ومحصول ماذكره من المناسبة ان خلاصة ماسبق بيان عجزهم عن علم مالادليل عليه اصلا وهو مطلق الغيب وخصوص وقت قيام الساعة وخلاصة قوله بل أدرك علمهم فى الآخرة بيان عجزهم عن علم ماتعاضدت الادلة على وقوعه لامحالة حيث لايعلمونه كما ينبغى فظهر وجه المناسبة بينهما وصحة الاضراب الثانى عن الاوّل ثم قال والاضرابات الثلاث تنزيل لاحوالهم اى من حالة سيئة دنيئة الى ماهو اسوأ وادنى منها فانه تعالى وصفهم اوّلا بانهم لايشعرون وقت البعث اى لايعلمون متى يوم القيامة ثم بين ان حالهم ادون واسوأ من هذا بان قال بل ادرك علمهم فى الآخرة اى تكاملت اسباب علمهم بانّ القيامة ستقوم وستقع وهم مع ذلك لايعلمونه كما ينبغى وهذه المرتبة اسوأ وانزل من الحالة الاولى لان اصل البعث ليس بغيب من حيث انه تعاضدت الادلة على حقية وقوعه فكأنه قيل لايعلمون الغيب بل ولا ماليس بغيب ولاشك ان الجهل بمثله اسوأ حالا من الجهل بما هو غيب ثم بين ان حالهم اسوأ حالا من هذه المرتبة اى من الجهل بان القيامة ستكون بقوله بل هم فى شك منها اى هم مستقرّون فى جهلهم لايطلبون التفصى منه بالتفكر فى الدلائل المنجية من ظلمات الشكوك والاوهام فحالهم اسوأ حالا من حال الجاهل المتردد الذى يطلب الحق والتوصل الى الصواب ثم بين انهم اسوأ من هذا ايضا بقوله بل هم منها عمون بمعنى انه ليس لهم بصيرة يدركون بها دلائل وقوعها من حيث ان اشتغالهم باللذات النفسانية من همّ البطن والفرج صيرهم كالبهائم والانعام وابطل استعدادهم للنظر والتفكر وهذه الحالة اسوأ من الحالة الاولى * ولما ورد ان يقال مضمون الاضرابات الثلاث على ماذكرتم مختص بالمشركين المنكرين للبعث فكيف ترجع الضمائر المذكورة فى قوله علمهم وبل هم منها فى شك وبل هم منها عمون الى قوله من فى السموات والارض * اجاب عنه بقوله وهذا وان اختص بالمشركين بمن فى السموات والارض الخ ﴿ قوله وقيل الاوّل اضراب عن نفى الشعور بوقت القيامة ﴾ عطف على قوله بان اضرب عنه اى عن نفى علم الغيب عنهم اى وقيل فى بيان المناسبة بين الآيتين ووجه الاضراب الاوّل ان المراد على هذا الوجه التهكم وقوله بل ادارك علمهم هو علمهم بانهم ايان يبعثون وان القيامة شئ يقع واما على الوجه الاوّل ففى الآية نفى انهم لايعلمون ان البعث كائن مع كثرة الدلائل عليه ﴿ قوله وقيل ادرك بمعنى انتهى واضمحل ﴾ عطف من حيث المعنى على قوله بين ان ما انتهى وتكامل الخ فانه يتضمن تفسير الادراك بالتكامل والاستحكام وعلى هذا التفسير لاحاجة الى تقدير المضاف ثم فسر قرآءة اداركَ بوجهين ايضا احدهما تدارك وتتابع حتى استحكم وثانيهما تتابع فى الهلاك حتى انقطع ﴿ قوله وابوبكر ادّرك ﴾ عطف على قوله نافع فهذه القرآءة ايضا من السبعة على رواية ابى بكر عن عاصم ثم ذكر ثمانى قرآت من الشواذ ثنتان بأم وثنتان اخريان ببلى والباقية ببل وصحح الزمخشرى قرآءة بل ادرك بقوله بالتخفيف والنقل اى بتخفيف الهمزة ونقل حركتها الى اللام واصله ماقرأ به ابن كثير وابوعمرو ثم ذكر قرآءة اخرى بقوله بل ادّرك بفتح اللام وتشديد الدال واصله بل أأدرك على سبيل الاستفهام انتهى كلامه فيكون اصله ادّرك على وزن افتعل دخل عليه همزة الاستفهام فسقطت همزة الوصل فصار أدّرك بهمزة مفتوحة بعدها دال مشددة ثم نقلت حركة الهمزة الى اللام فصار بل ادّرك ولم يذكر المصنف هذه القرآءة بل ذكر احدى عشرة قرآءة ثم شرع فى بيان معانيها فقال ومافيه استفهام صريح اومضمن كما فى قرآءة ام ادرك وام تدارك فان ام فيهما بمعنى بل والهمزة فانكار لادراك علمهم اى لانتهائه وتكامله ﴿ قوله ومافيه بلى فاثبات لشعورهم ﴾ فانه لما قيل بلى أدرك بعد قوله ومايشعرون كان معناه بلى يشعرون ثم فسر الشعور بادراك علمهم فى الآخرة على سبيل التهكم الذى معناه المبالغة فى نفى العلم فكأنه قال شعورهم بوقت الآخرة انهم لايعلمون كونها فيرجع الى نفى الشعور على ابلغ مايكون فقوله وتفسيرله انما هو على قرآءة بلى أدرك بغير همزة الاستفهام واما على قرآءة بلى آأدرك على الاستفهام فالمعنى حينئذ بلى يشعرون متى يبعثون بناء على ان بلى لاثبات شعورهم ويكون الاستفهام الذى بعدها لانكار علمهم بوجود الآخرة وثبوتها والمعنى ماادرك علمهم بنفس وقوع الآخرة فضلا عن علمهم بوقت وقوعها على ان يكون المقصود من انكار علمهم بنفس وقوع الآخرة نفى علمهم بوقت وقوعها بالطريق البرهانى ﴿ قوله اوردّ وانكار لشعورهم ﴾ عطف على اضراب عن التفسير يعنى ان قوله تعالى بل هم فى شك منها متعلق بالتفسير او بالمفسر المستفاد من بلى وقوله عمون جمع عم وهو اعمى القلب يقال عمى عليه الامر اذا التبس ورجل عمى القلب اى جاهل

(وما من غائبة فى السماء والارض) خافية فيهما وهما من الصفات الغالبة والتاء فيهما للمبالغة كما فى الراوية او اسمان لما يغيب ويخفى كالتاء فى عافية وعاقبة (الا فى كتاب مبين) بين او مبين مافيه لمن يطالعه والمراد اللوح او القضاء على الاستعارة (انّ هذا القرآن يقص على بنى اسرآئيل اكثر الذى هم فيه يختلفون) كالتشبيه والتنزيه واحوال الجنة والنار وعزير والمسيح (وانه لهدى ورحمة للؤمنين) فانهم المنتفعون به (ان ربك يقضى بينهم) بين بنى اسرآئيل (بحكمه) بما يحكم به وهو الحق او بحكمته ويدل عليه انه قرئ بحكمه (وهو العزيز) فلا يردّ قضاؤه (العليم) بحقيقة مايقضيه فيه وحكمته (فتوكل على الله) ولا تبال بمعاداتهم (انك على الحق المبين) وصاحب الحق حقيق بالوثوق بحفظ الله ونصره (انك لا تسمع الموتى) تعليل آخر للامر بالتوكل من حيث انه يقطع طمعه عن متابعتهم ومعاضدتهم رأساوانما شبهوا بالموتى لعدم انتفاعهم باستماع مايتلى عليهم كما شبهوا بالصم فى قوله (ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين) فان اسماعهم فى هذه الحال ابعد وقرأ ابن كثير ولا يسمع الصم (وما انت بهادى العمى عن ضلالتهم) حيث الهداية لا تحصل الا بالبصر وقرأ حمزة تهدى العمى (ان تسمع) اى مايجدى اسماعك (الا من يؤمن بآياتنا) من هو فى علم الله كذلك (فهم مسلمون) مخلصون من اسلم وجهه لله (واذا وقع القول عليهم) اذا دنا وقوع معناه وهو ماوعدوا به من البعث والعذاب (اخرجنا لهم دابة من الارض) وهى الجساسة روى ان طولها ستون ذراعا ولها اربع قوائم وزغب وريش وجناحان لا يفوتها هارب ولا يدركها طالب وروى انه عليه الصلاة والسلام سئل من اين مخرجها فقال من اعظم المساجد حرمة على الله يعنى المسجد الحرام (تكلمهم) من الكلام وقيل من الكلم اذ قرئ تكلمهم وروى انها تخرج ومعها عصا موسى وخاتم سليمان عليهما الصلاة والسلام فتنكت بالعصا فى مسجد المؤمن نكتة بيضاء فيبيض وجهه وبالخاتم فى انف الكافر نكتة سوداء فيسودّ وجهه (ان الناس كانوا بآياتنا) خروجها وسائر احوالها فانها من آيات الله تعالى وقيل القرآن (لا يوقنون) لا يتيقنون وهو حكاية معنى قولها او حكايتها لقول الله

﴿قوله وهما من الصفات الغالبة﴾ جعلهما من قبيل الراوية دليل على ان ليس مراده من الصفات الغالبة الصفات التى غلبت عليها الاسمية لان الراوية ليست من تلك المقولة لكونها من ألفاظ المبالغة بمعنى كثير الرواية فينبغى ان يكون مراده الصفات الغالبة على آحاد جنسها من حيث القوّة والكمال فتكون الغائبة والخافية بمعنى شديد الغيبوبة والخفية وتكون التاء فيهما للدلالة على هذا المعنى كما فى الراوية ويحتمل ان لا يكونا صفتين بل يكونا اسمين لما يغيب ويخفى فتكون التاء فيهما كالتى فى العافية والعاقبة من حيث كونهما اسمين بنيا على التاء مثلهما ثم انه تعالى لما قص احوال الانبياء مع اممهم وانه دمر من خالفهم وعصاهم وانجى من آمن بهم واطاعهم وقال لكفار مكة على سبيل الالزام والتبكيت آلله خير اما تشركون وبين انه خير بتفصيل مايدل على قدرته الكاملة وآلائه المتكاثرة فى تفرّده بعلم الغيب والشهادة وهدّد منكرى البعث بحملهم على النظر فى احوال المكذبين وما نزل بهم بشؤم تكذيبهم قال بعده ان هذا القرآن يقص على بنى اسرآئيل اكثر الذى هم فيه يختلفون تحريكا للمشركين على اتباع القرآن فانه لما اشتمل على بيان الحكم والحق فى اكثر مااختلف فيه اهل الكتاب الذين هم فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يجدوا مطعنا فى شئ مما قصه وبينه وكان المشركون يرجعون اليهم فى كثير من امورهم وعلموا عجزهم عن الطعن فيه ظهر لهم ان مافيه من الشرآئع واصول القواعد الدينية كالتوحيد والحشر والنبوّة وشرح صفات الله تعالى وبيان نعوت جلاله مطابق لما تقتضيه العقول السليمة وموافق لما فى الكتب المتقدمة وذلك يحرّك لهم داعية القبول والاتباع * فان قيل ان بنى اسرآئيل يعلمون بأنفسهم مااختلفوا فيه ولا يحتاجون فى بيانه الى القرآن * فالجواب والله اعلم ان المعنى ان هذا القرآن يبين لهم الحكم او يبين لهم الحق فى اكثر ماكانوا يختلفون فيه * وقيل ذكر فى مواضع من القرآن ان فيه بيان كل حكم حيث قال ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين وقال ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ وهدى فما وجه قوله يبين لهم الحكم فى اكثر ماكانوا يختلفون فيه واجيب بان المراد انه يبين لهم اكثر مااختلفوا فيه على طريق التنصيص والتصريح ويبين الباقى بطريق الدلالة والاشارة فان البيان ضربان صريح ودلالة ﴿قوله بما يحكم به وهو الحق﴾ جواب عما يقال القضاء والحكم شئ واحد فقوله يقضى بحكمه بمنزلة ان يقال يقضى بقضائه او يحكم بحكمه فامعناه وفائدته * وتقرير الجواب ان الحكم بمعنى الحق المحكوم به او بمعنى الحكمة ويدل عليه قرآءة من قرأ بحكمه جمع حكمة ﴿قوله فان اسماعهم فى هذه الحال ابعد﴾ بيان لفائدة التقييد بقوله اذا ولوا مدبرين فان الاصم اذا تولى مدبرا ثم ناديته كان ابعد من الاسماع حيث انضم الى صممه بعد المسافة ﴿قوله وقرأ ابن كثير ولا يسمع﴾ اى بفتح الياء التحتية ورفع الصم على الفاعلية والباقون بالتاء المضمومة وكسر الميم والفاعل الضمير المستكنّ وفيه نصب الصم والدعاء على انهما مفعولاه ﴿قوله تعالى بهادى العمى عن ضلالتهم﴾ اى يبعدهم عنها بالهدى كما يقال سقاه عن العيمة اى ابعده عنها بالسقى والعيمة شهوة اللبن ثم انه تعالى تكلم فيما يتعلق بقيام الساعة فذكر اوّلا من العلامات الواقعة عند قيامها دابة الارض فقال واذا وقع القول عليهم واراد بالقول متعلقه ومدلوله وبوقوعه قربه من الوقوع بحيث يكون فى حكم الواقع والجساسة بالجيم المعجمة من يتجسس الحال ويتخبر خبرها ويتفحص عنها قيل سميت الدابة جساسة لانها تجس الكافر اى تطلبه والزغب الشعرات الصفر على ريش الفرخ قيل فى وصفها ان لها رأس ثور وعين خنزير واذن فيل وقرن ايل وهو التيس الجبلى وعنق نعامة وصدر أسد ولون نمر وخاصرة هرّة وذنب كبش وخف بعير وروى ان رأسها يبلغ السحاب ومابين قرنيها فرسخ للراكب وروى انها تخرج ثلاثة ايام والناس ينظرون فلا يخرج الا ثلثها وقيل لا يتم خروجها الا بعد ثلاثة ايام وروى ان لها ثلاث خرجات تخرج بأقصى اليمن ثم تكمن زمانا ثم تخرج قريبا من مكة ثم تكمن دهرا طويلا فبينا الناس فى اعظم المساجد على الله حرمة يعنى مكة لم يرعهم الا وهى فى ناحية المسجد مابين ركن الحجر الاسود وباب بنى مخزوم عن يمين الخارج فى وسط ذلك وقيل تخرج من الصفا ولا يخرج الا رأسها وعنقها فيبلغ رأسها السحاب فيراه اهل المشرق والمغرب ثم تعود الى مكانها ثم تزلزل الارض فى ذلك اليوم ست ساعات فيبيتون خائفين واذا اصبحوا جاءهم الصريخ بان الدجال قد خرج ﴿قوله اذ قرئ تكلمهم﴾ بفتح التاء وسكون الكاف وضم اللام من الكلم وهو الجرح والمراد به الوسم بالعصا والخاتم والجمهور على التشديد وهو من الكلام ويجوز ان يكون من الكلم ايضا ويكون بناء التفعيل لكثرة المحل كما فى غلقت الابواب ﴿قوله وهو حكاية معنى قولها﴾ واعلم انه قرأ الكوفيون أن الناس بفتح الهمزة والباقون بكسرها ووجه القرآءة بالكسر كون الكلام حكاية لقول الدابة

اوعلة خروجها او تكلمها على حذف الجار قرأ الكوفيون أن الناس بالفتح وغير الكوفيين ان الناس بالكسر (ويوم نحشر من كل امة فوجا) يعنى يوم القيامة (ممن يكذب بآياتنا) بيان للفوج اى فوجا مكذبين ومن الاولى للتبعيض لان امة كل نبى واهل كل قرن شامل للمصدقين والمكذبين (فهم يوزعون) يحبس اوّلهم على آخرهم ليتلاحقوا وهو عبارة عن كثرة عددهم وتباعد اطرافهم (حتى اذا جاؤا) الى المحشر (قال أكذبتم بآياتى ولم تحيطوا بها علما) الواو للحال اى أكذبتم بها بادى الراى غير ناظرين فيها نظرا يحيط علمكم بكنهها وانها حقيقة بالتصديق او التكذيب او للعطف اى أجمعتم بين التكذيب بها وعدم القاء الاذهان لتحققها (ام ماذا كنتم تعملون) ام اىّ شىء كنتم تعملونه بعد ذلك وهو للتبكيت اذ لم يفعلوا غير التكذيب من الجهل فلا يقدرون ان يقولوا فعلنا غير ذلك (ووقع القول عليهم) حل بهم العذاب الموعود وهو كبهم فى النار بعد ذلك (بما ظلموا) بسبب ظلمهم وهو التكذيب بآيات الله (فهم لا ينطقون) باعتذار لشغلهم بالعذاب (ألم يروا) ليتحقق لهم التوحيد ويرشد الى تجويز الحشر وبعثة الرسل لان تعاقب النور والظلمة على وجه مخصوص غير متعين بذاته لا يكون الا بقدرة قاهر وان من قدر على ابدال الظلمة بالنور فى مادة واحدة قدر على ابدال الموت بالحياة فى موادّ الابدان وأنّ من جعل النهار ليبصروا فيه سببا من اسباب معاشهم لعله لا يخل بما هو مناط بجميع مصالحهم فى معاشهم ومعادهم (انا جعلنا الليل ليسكنوا فيه) بالنوم والقرار (والنهار مبصرا) فان اصله ليبصروا فيه فبولغ فيه بجعل الابصار حالا من احواله المجعول عليها بحيث لا ينفك عنها (ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون) لدلالتها على الامور الثلاثة (ويوم ينفخ فى الصور) فى الصور او القرن وقيل انه تمثيل لانبعاث الموتى بانبعاث الجيش اذا نفخ فى البوق (ففزع من فى السموات ومن فى الارض) من الهول وعبر عنه بالماضى لتحقق وقوعه (الا من شاء الله) ان لا يفزع بان ثبت قلبه قيل هم جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل وقيل الحور والخزنة وحملة العرش وقيل الشهداء وقيل موسى لانه صعق مرّة ولعل المراد ما يعم ذلك

اما لان الكلام بمعنى القول كأنه قيل تقول لهم انّ الناس او باضمار القول اى تكلمهم وتقول لهم ان الناس او حكاية على تقدير ان يكون تكلمهم من الكلم بمعنى الجرح اى يقع عند ذلك حكاية منها لقول الله تعالى عند خروجها من الارض كأنه قيل وتحدثهم قول الله تعالى ان الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون * ولما ورد ان يقال لو كان الكلام حكاية من الله تعالى لقول الدابة لقيل ان الناس بخروجى وسائر احوالى لا يوقنون * دفعه بقوله وهو حكاية معنى قولها لان قوله بآياتنا يمنع كونه نفس قولها فينبغى ان يكون قولها هكذا ان الناس كانوا لا يوقنون بخروجى وسائر احوالى لان تلك الاحوال لما كانت من آيات الله تعالى كان كلامها بمعناه ﴿**قوله** اوعلة خروجها او تكلمها على حذف الجار﴾ اى لان الناس وهو توجيه لقرآءة الكوفيين بفتح الهمزة ﴿**قوله** ويوم نحشر﴾ منصوب باذكر مقدرا اى واذكر يوم نجمع من كل امة من امم الانبياء زمرة المكذبين بآياتنا المنزلة على انبيائنا وبالآيات الدالة على وحدانيتنا فى الانفس والآفاق فيحبس اوّلهم على آخرهم ليجتمعوا ثم يساقون الى موضع الحساب حتى اذا جاؤا الى ذلك الموضع قال الله تعالى موبخا لهم ومنكرا عليهم اكذبتم بآياتى وهو استفهام توبيخ وانكار ﴿**قوله** ام اى شىء كنتم تعملون﴾ يريد ان ماذا بمنزلة اسم واحد وهو اىّ شىء منصوب المحل بتعملون الواقع خبرا عن كنتم ويحتمل ان تكون ما استفهامية مرفوعة المحل على الابتداء وذا بمعنى الذى وكنتم تعملون صلة والموصول مع صلته خبر المبتدأ والعائد محذوف والتقدير اىّ شىء الذى كنتم تعملونه وام منقطعة والاستفهام الذى فى ضمنه للتبكيت والزام الخصم بحمله على ان يقرّ بالذى سئل عنه اوّلا على طريق التوبيخ والانكار وبخهم اوّلا بقوله أكذبتم بآياتى بادى الرأى ثم اضرب عنه الى استفهام تقرير وتبكيت كأنه قيل دعوا ما نسبته اليكم من التكذيب وقولوا الىّ اىّ شىء كنتم تعملونه غير التكذيب ﴿**قوله** ووقع القول﴾ عطف على قوله قال أكذبتم بآياتى والقول بمعنى العذاب المقول الموعود للمكذبين وقوله بعد ذلك ظرف لقوله حل اى حل بهم العذاب الموعود بعد ان خوطبوا خطاب التوبيخ والتبكيت وكبوا على وجوههم فى النار ثم قال فهم لا ينطقون كما قال فى آية اخرى هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون فكيف يقدر على النطق والاعتذار من استغرق فى مقاساة عذاب الجحيم وقال قتادة كيف ينطقون ولا حجة لهم وقيل لا ينطقون لان افواههم مختومة وقيل لا ينطقون بما يكون لهم حجة او عذرا فى الشرك والتكذيب ولا حجة لهم ولا عذر ثم انه تعالى لما خوّفهم باهوال القيامة ذكر كلاما يصلح ان يكون دليلا على التوحيد وعلى الحشر وعلى النبوّة مبالغة فى الارشاد الى الايمان والمنع عن الكفر فقال الم يروا انا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا مضيئا يبصر فيه اما وجه دلالته على التوحيد فما ذكره بقوله لان تعاقب النور والظلمة على وجه مخصوص الخ واما وجه دلالته على الحشر فما ذكره بقوله وان من قدر على ابدال الظلمة بالنور الخ واما وجه دلالته على بعثة الرسل فما ذكره بقوله وان من جعل النهار ليبصروا فيه سببا من اسباب معاشهم لعله لا يخل بما هو مناط جميع مصالحهم وهو بعثة الرسل ﴿**قوله** فان اصله ليبصروا فيه﴾ تعليل لكون التقابل مراعى من حيث المعنى فى قوله ليسكنوا ومبصرا وان كان الاوّل علة لجعل الليل اى خلقه والثانى حالا من النهار من حيث الاعراب ووجه التعليل ان المعنى خلقنا الليل ليكون زمانا لسكون اهله وخلقنا النهار ليكون زمانا لابصارهم الا انه اسند الابصار الى النهار وجعل حالا من احواله اللازمة للمبالغة مثل صائم نهاره ضرورة ان الابصار لا يقوم بنفس النهار وانما يقوم باهله فلما قيل والنهار مبصرا تعين ان المراد ابصار اهله فيه وانما اسند الى نفس النهار للمبالغة فى كونه ظرفا لابصار اهله ويوم ينفخ منصوب باذكر مقدرا وقيل ناصبه متأخر عنه وهو قوله من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم فى النار ﴿**قوله** فى الصور او القرن﴾ يعنى يحتمل ان يكون الصور جمع صورة كالصور يقال صورة وصور وصور كما يقال سورة وسور وسور فحينئذ يكون النفخ فى الصور عبارة عن نفخ الارواح فى صور الخلائق واجسادهم ويحتمل ان يكون الصور عبارة عن شىء يشبه القرن وان اسرافيل ينفخ فيه باذن الله فاذا سمع الناس ذلك الصوت وهو فى الشدة بحيث لا تحتمله طبائعهم يفزعون عنده ويصعقون ويموتون والى هذا القول ذهب اكثر المفسرين ويدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام * كيف وصاحب الصور قد التقم القرن وحنا جبهته ينتظر متى يؤمر فينفخ * روى عنه عليه الصلاة والسلام انه سئل عن الصور فقال * هو القرن وأنّ عظم دائرته * اى فمه * مثل ما بين السماء والارض فينفخ فيه نفخة فيفزع الخلق فينفخ نفخة اخرى فيموت اهل السموات والارض فاذا كان وقت النفخة الثانية جمعت الارواح

كلها في الصور ثم ينفخ الاخرى فتخرج الارواح منه كالنحل والزنابير ويأتى كل روح الى جسده * وتمسك به من قال النفخ ثلاث احداها للفزع وهو قوله ففزع من فى السموات ومن فى الارض ونفخة اخرى للموت وهو قوله فصعق من فى السموات ومن فى الارض ونفخة ثالثة للبعث وهو قوله ثم نفخ فيه اخرى فاذاهم قيام ينظرون وقال بعضهم انما هى نفختان فالفزع والصعق كنايتان عن الهلاك والنفخة الثانية للبعث قال ابن عباس ومقاتل فى قوله تعالى ففزع من فى السموات ومن فى الارض اى ماتوا بشدة الخوف وفى قوله فصعق من فى السموات الآية اى يبلغ منهم الفزع الى ان يموتوا ويحتمل ان لايكون هناك قرن فضلا عن ان ينفخ فيه حقيقة ويكون ذكر النفخ فيه مستعارا لمسارعة الموتى الى الانبعاث من قبورهم عند سماع صوت الداعى تشبيها لانبعاثهم بمجرد سماع صوت الداعى بانبعاث الجيش عند سماع الآلة من غير توقف ولاتخلف احد منهم ﴿قوله حاضرون الموقف﴾ اختار قرآءة آتوه على لفظ اسم الفاعل المضاف الى مفعوله فان حمزة وحفصا قرأ اتوه فعلا ماضيا والهاء فى محل النصب على المفعولية والباقون آتوه باسم فاعل مضاف الى الهاء ﴿قوله ثابتة فى مكانها﴾ يقال جمد فى مكانه اذا لم يبرح وقوله تحسبها جامدة جملة حالية من فاعل ترى او مفعوله لان الرؤية بصرية وقوله وهى تمر جملة حالية من مفعول تحسبها جامدة والمعنى انك اذا رأيت الجبال وقت النفخة الاولى ظننتها ثابتة فى مكانها جدا لعظمتها لان النظر لايحيط بها وهى فى الحقيقة تسير سيرا سريعا كالسحاب اذا ضربتها الريح فان الاجسام الكبار اذا تحركت حركة سريعة على نهج واحد فى السمت والكيفية يظن من نظر اليها انها واقفة الاترى السماء لاتحس حركتها قال تعالى ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفا اى يقلعها عن اماكنها ويسيرها كما يسير السحاب بالريح حتى تقع على الارض فتستوى بها ﴿قوله مصدر مؤكد لنفسه﴾ يعنى ان قوله صنع الله مفعول مطلق وجب حذف عامله لكونه تأكيدا لمضمون الجملة المتقدمة التى لايحتمل لها غيره فان قوله وهى تمر مر السحاب بل جميع ماتقدم من نفخ الصور المؤدى الى الفزع العام وحضور الكل الموقف ومافعل بالجبال انماهو من صنع الله تعالى لايحتمل له غيره فلما كان هذا المصدر تأكيدا لمضمون تلك الجملة ولم يكن لها محتمل غيره صار كأنه مؤكد لنفسه ووجب حذف ناصبه لكون الجملة المتقدمة كالنائب عنه والاصل صنع ذلك صنعا فلما حذف العامل اضيف المصدر الى فاعله لانه لم يذكر فى الجملة المتقدمة وهذا التقدير يقتضى ان يقال وهو مضمون الجملة المتقدمة بدون اللام الجارة والمعنى وذلك المؤكد بهذا المصدر هو مضمون الجملة كما وجد فى بعض النسخ الان الموجود فى اكثر النسخ وهو لمضمون الجملة باللام فالمعنى على هذا انه مصدر مؤكد لنفسه الذى هو الحدث المدلول عليه بلفظ عامله المحذوف وهذا المؤكد مع مؤكده المحذوف مؤكد لمضمون الجملة المتقدمة ﴿قوله وقيل خير منها اى خير حاصل من جهتها﴾ فيكون خير صفة بمعنى شئ فاضل مرغوب فيه وتكون من متعلقة بمقدر وهى مع متعلقها المقدر فى محل الرفع صفة لخير وعلى الاول يكون خير اسم تفضيل بمعنى الافضل ومن متعلقة به ولم يرض المصنف بهذا التوجيه لان المتبادر من لفظ الخير كونه للتفضيل وكون كلمة من الواقعة بعده صلة له لا لمقدر ومن ذهب الى هذا التوجيه انما ذهب اليه دفعا لما يقال من ان الحسنة التى جاء بها العبد تتناول معرفة الله تعالى والاخلاص فى الطاعات والثواب الذى هو الجنة انماهو الاكل والشرب فكيف يجوز ان يقال الاكل والشرب خير من معرفة الله تعالى ولما جعل معنى الآية من جاء بالحسنات فى الدنيا فله فى الآخرة ثواب وخير يناله من اجل ماجاء به من تلك الحسنات لم يرد ذلك والمصنف اختار ان تحمل الآية على ماهو المتبادر منها وجعل ثواب الآخرة خيرا من الحسنات التى جاء بها العبد فى الدنيا لان اجل حسناته هى معرفة الله تعالى واخلاص العمل له لان المعرفة الضرورية الحاصلة فى الآخرة ولذة النظر الى وجهه الكريم اجل واشرف من المعرفة النظرية الحاصلة فى الدنيا وان ماجاء به من الاعمال الخالصة فانية مشوبة بأنواع التقصير واقعة بانواع المشقة ومخالفة الهوى وافعال اهل الجنة سالمة من اللغو والتأثيم صافية عن كدر المشقة والتكليف وشأنهم حال استغراقهم فيما يشتهون من الالتذاذ مشاهدة جمال من انعم بها وتمجيد عظيم شأنه وعلو كبريائه والانس بتقديسه وتمجيده طبعا والتذاذا لا افرضا وتكليفا وليس حالهم كحال المتنعمين فى الدنيا من الاشتغال بالنعمة عن المنعم فاى مناسبة بين احوالهم فى الجنة واحوالهم فى الدنيا ﴿قوله يعنى به خوف عذاب يوم القيامة﴾ اشارة الى دفع التدافع بين قوله ففزع من فى السموات ومن فى الارض وبين قوله وهم من فزع يومئذ آمنون فان من قرأ من فزع يومئذ بالاضافة يحمل

(وكل آتوه) حاضرون الموقف بعد النفخـ
الثانية اوراجعون الى امره وقرأ حمـ
وحفص اتوه على الفعل وقرئ آتاه عـ
توحيد لفظ الكل (داخرين) صاغريـ
وقرئ دخرين (وترى الجبال تحسبـ
جامدة) ثابتة فى مكانها (وهى تمر مـ
السحاب) فى السرعة وذلك لان الاجر
الكبار اذا تحركت فى سمت واحد فـ
تكاد تتبين حركتها (صنع الله) مصد
مؤكد لنفسه وهو مضمون الجملة المتقد
كقوله وعدالله (الذى أتقن كل شى
احكم خلقه وسواه على ماينبغى (
خبير بما يفعلون) عالم بظواهر الافعا
وبواطنها فيجازيهم عليها كما قال (من جـ
بالحسنة فله خير منها) اذ ثبت له الشريفـ
بالخسيس والباقى بالفانى وسبعمائة بواحـ
وقيل خير منها اى خير حاصل من جهتـ
وهوالجنة قرأ ابن كثير وابوعمرو وهشـ
خبير بما يفعلون بالياء والباقون بالتـ
(وهم من فزع يومئذ آمنون) يعنى
خوف عذاب يوم القيامة وبالاول مايلحـ
الانسان من التهيب لما يرى من الاهوا
والعظائم ولذلك يعم الكافر والمؤمن

وقرأ الكوفيون بالتنوين لان المراد فزع واحد من افزاع ذلك اليوم وأمن يعدّى بالجار وبنفسه كقوله أفأمنوا مكرالله وقرأ الكوفيون ونافع يومئذ بفتح الميم والباقون بكسرها (ومن جاء بالسيئة) قيل بالشرك (فكبت وجوههم فى النار) فكبوا فيها على وجوههم ويجوز ان يراد بالوجوه انفسهم كما اريدت بالايدى فى قوله ولاتلقوا بأيديكم (هل تجزون الا ماكنتم تعملون) على الالتفات او باضمار القول اى قيل لهم ذلك (انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة الذى حرّمها) امر الرسول بان يقول لهم ذلك بعد مابين المبدأ والمعاد وشرح احوال القيامة اشعارا بانه قدانم الدعوة وقد كملت وماعليه بعد الا الاشتغال بشأنه والاستغراق فى عبادة ربه وتخصيص مكة بهذه الاضافةتشريف لها وتعظيم لشأنها وقرئ التى حرّمها (وله كل شئ) خلقا وملكا (وامرت ان اكون من المسلين) المنقادين اوالثابتين على ملة الاسلام (وان اتلوالقرآن) وان اواظب على تلاوته لينكشف لى حقائقه فى تلاوته شيأ فشيأ اواتباعه وقرئ واتل عليهم وان اتل (فمن اهتدى) باتباعه اياى فى ذلك (فانما يهتدى لنفسه) فان منافعه عائدة اليه (ومن ضل) بمخالفتى (فقل انما انا من المنذرين) فلا علىّ من وبال ضلاله شئ اذما على الرسول الا البلاغ وقد بلغت (وقل الحمد لله) على نعمة النبوّة او على ماعلنى ووفقنى للعمل به (سيريكم آياته) القاهرة فى الدنيا كوقعة بدر وخروج دابة الارض او فى الآخرة (فتعرفونها) فتعرفون انها آيات الله ولكن حين لاتنفعكم المعرفة (وماربك بغافل عما تعملون) فلا تحسبوا ان تأخير عذابكم لغفلته عن اعمالكم وقرأ ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائى بالياء * عن النبي عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة طس كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدّق بسليمان وكذب به وهود وصالح وابراهيم وشعيب ويخرج من قبره وهو ينادى لااله الاالله

سورة القصص مكية وقيل الا قوله الذين آتيناهم الكتاب الى قوله الجاهلين وهى ثمان وثمانون آية

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلوعليك) نقرأه بقرآءة جبرائيل ويجوز ان يكون بمعنى ننزّله مجازا (من نبأموسى وفرعون) بعض نبئهما مفعول نتلو (بالحق) محقين (لقوم يؤمنون) لانهم المنتفعون به (ان فرعون علا فى الارض) استئناف مبين لذلك البعض والارض ارض مصر (وجعل اهلها شيعا) فرقا يشيعونه فيما يريد اويشيع بعضهم بعضا فى طاعته اواصنافا فى استخدامه استعمل كل صنف فى عمل اواحزابا بان اغرى بينهم العداوة كيلا يتفقوا عليه (يستضعف طائفة منهم) وهم بنواسرآئيل والجملة حال من فاعل جعل اوصفة شيعا اواستئناف وقوله (يذبح ابناءهم ويستحيى نساءهم) بدل منها وكان ذلك لان كاهنا قال له يولدمولود فى بنى اسرآئيل يذهب ملكك على يده وذلك كان من غاية حمقه فانه لوصدّق لم يندفع بالقتل وان كذب فما وجهه (انه كان من المفسدين) فلذلك اجترأ على قتل خلق كثير من اولاد الانبياء لتخيل فاسد (ونريد ان نمن على الذين استضعفوا فى الارض) ان نتفضل عليهم بانقاذهم من بأسه ونريد حكاية حال ماضية معطوفة على ان فرعون علا من حيث انهما واقعان تفسيرا للنبأ اوحال من يستضعف ولا يلزم من مقارنة الارادة (لابذاته)

الفزع على الفزع المختص بذلك اليوم وهو فزع العذاب الاليم والعقاب الدائم واهل الجنة آمنون منه واما مايلحق الانسان من التهيب والرعب لمايرى من الاهوال والعظائم على ماعليه الجبلة البشرية فانه يعم الكافر والمؤمن وتنوين يومئذ عوض عن المضاف اليه فان اذ تضاف الى الجملة وقد حذفت ههنا وعوّض عنها التنوين واشار المصنف بقوله يعنى به خوف عذاب يوم القيامة الى انه اختار قرآءة من قرأ باضافة فزع الى يوم وان الجملة التى اضيف اليها اذ فى الاصل هى قامت القيامة والاصل يوم اذ قامت القيامة وهو احسن من ان يجعل التقدير يوم اذجاء بالحسنة اويوم اذ ترى الجبال اويوم اذ ينفخ فى الصور **قوله وقرأ الكوفيون بالتنوين** للافراد والتعظيم وقرأ الآخرون بالاضافة وعلى قرآءة التنوين يكون يومئذ منصوبا بالمصدر لكونه مؤوّلا بان مع الفعل تقديره وهم من ان يفزعوا يومئذ اوبآمنون اى آمنون يومئذ وعلى الاضافة يكون يومئذ مبنيا على الفتح لكونه مضافا الى اذوهوغير متمكن **قوله وأمن يعدّى بالجار** كما فى هذه الآية فان من فيها صلة آمنون **قوله فكبوا فيها** لان مايكب ويلق فى النار ليس وجوههم وحدها الا انه اسند الكب اليها ايذانا بانهم يكبون على وجوههم فيها منكوسين ووجه الايذان انه لما اكتفى بذكر الوجوه ومن المعلوم انه لايمكن القاء الوجوه فى النار مع كون ماوراءها خارجا عنها علم ان الوجوه اصل فى ذلك وانها اوّل مايلابس النار وان ماوراءها تابع لها **قوله وقرئ التى حرّمها** صفة للبلدة وقرأ الجمهور الذى صفة للرب عزوجل والكلام مسوق لتعظيم الرب تعالى لالتوصيف البلدة فلذلك كانت قرآءة العامة واضحة والمعنى جعلها الله تعالى مأمنا لايسفك فيها دم ولايظلم فيها احد ولايختلى خلاها ولاينفر صيدها ولايعضد اشجارها واللاجئ اليها آمن والخلا بالقصر النبات مادام رطبا فاذا يبس فهو حشيش ومعنى لايعضد لايقطع **قوله وان اواظب على تلاوة** على ان يكون اتلو من التلاوة وهى القرآءة ثم جوّز كونه من التلوّ وهو الاتباع لاوامره ونواهيه كما قال واتبع مايوحى اليك **قوله وقرئ واتل عليهم** اى هذا القرآن امر له عليه الصلاة والسلام بتلاوته على اهل مكة وهو معطوف على الامر مقدّر قبل قوله انما امرت فان تقديره قل للمشركين امرت ان اخص الله تعالى وحده بالعبادة وقد اشار اليه المصنف بقوله امر الرسول عليه الصلاة والسلام بان يقول لهم ذلك وان قرئ وان اتل يكون على حكاية لفظ الامر وان يجوز ان تكون مصدرية موصولة بالامر وان تكون مفسرة كما يقال امرته ان قم والحمدلله * تمت وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا دائما الى يوم الدين

سورة القصص مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله نقرأه بقرآءة جبريل عليه الصلاة والسلام فيكون اسناد التلاوة من قبيل اسناد الفعل الى السبب الآمر اسنادا مجازيا وعلى الثانى يكون المجاز فى المفرد ويكون نتلو استعارة تبعية حيث شبه التنزيل بالتلاوة من حيث ان كل واحد منهما من قبيل التبليغ فاستعير اسم التلاوة للتنزيل استعارة اصلية ثم اشتق منه نتلو **قوله محقين** اشارة الى ان قوله بالحق فى موضع الحال من فاعل نتلو كقوله تعالى تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وقوله لقوم متعلق بقوله نتلو اى نتلوه لاجلهم **قوله استئناف مبين لذلك البعض** اى الذى اجمل من قوله من نبأ موسى وفرعون كان قائلا قال وكيف نبأهما فقيل ان فرعون علا فى الارض **قوله وذلك كان من غاية حمقه** قال الزجاج والعجب من حمق فرعون ان هذا الكاهن ان كان عنده صادقا فما ينفع القتل وان كان كاذبا فما معنى القتل **قوله اوحال من يستضعف** اى يستضعفهم فرعون ونحن نريد ان نمنّ عليهم اى ننم عليهم بخلاصهم منه وقدّر نحن لتكون جملة اسمية يعنى ليصح دخول الواو فان المضارع المثبت اذا وقع حالا لايدخله الواو ولماجوّز كونه حالا ورد ان يقال جعله حالا يستلزم اجتماع المتنافيين وهما استضعاف فرعون اياهم وارادة الله المنة عليهم لان الله تعالى اذا اراد شيأ كان ولم يتوقف الى وقت آخر فيلزم من مقارنة الارادة للاستضعاف مقارنة المراد له وهما اجتماع المتنافيين لان ارادته تعالى ازلية مستمرّة فتكون مقارنة لاستضعافه اياهم ويكون المراد حادثا عند تعلق الارادة به ولا استحالة فى أن يريد الله تعالى حال استضعافه اياهم ان يمنّ عليهم بالخلاص فى وقت قدّره وقضاه وانما الاستحالة فى ان تتعلق ارادته بخلاصهم حال الاستضعاف وذلك غيرلازم من جعله حالا وهذا الجواب لايتأتى على مذهب المعتزلة فانهم قالوا ارادة الله تعالى حادثة لافى محل قائمة بذاتها

لابذاته تعالى فيلزم من كون قوله ونريد ان نمن حالا من فاعل يستضعف ان تقارن الارادة الاستضعاف ومقارنتها له تستلزم مقارنة المراد له على مذهب المعتزلة وهى اجتماع المتنافيين والجواب عن مذهبهم ماشار اليه بقوله مع ان منة الله بخلاصهم الخ وخلاصته ان الله تعالى لما اراد ان يمن على بنى اسرائيل بعد هلاك فرعون ونجاتهم منه وكانت تلك المنة قريبة الوقوع جعلت كأنها واقعة مقارنة لاستضعافهم ﴿قوله وقرئ ويرى بالياء﴾ اى قرأ حمزة والكسائى ويرى بفتح الياء والرآء مضارع رأى مسندا الى فرعون وماعطف عليه فلذلك قرأ الاسماء الثلاثة بالرفع وقرأ الباقون بضم النون وكسر الرآء وفتح الياء بعدها مضارع أرى فلذلك نصب فرعون وماعطف عليه مفعولا اوّلا وماكانوا هو ثانى المفعولين ومنهم متعلق بفعل الرؤية او الاراءة لا بيحذرون لان مابعد الموصول لايعمل فيما قبله ﴿قوله واوحينا الى ام موسى بالهام اورؤيا﴾ ذهب عامة المفسرين الى ان الوحى ههنا لم يكن بارسال رسول اليها من الملائكة واخبارلها بواسطتهم لانه لوكان وحى ارسال لكانت رسولا وذلك لايجوز كما قيل

وماكانت رسولا قط انثى ❁ ولا عبد وشخص ذو افتعال ❁

اى ولا رجل ذو كذب لانه يجب تصديق النبى عليه الصلاة والسلام والكاذب لايجب تصديقه وكذا لايجوز ان يكون العبد نبيا لان الرقبة اثر من الكفر والكفر لايجوز على الانبياء وكذا لايجوز ان تكون المرأة نبيا فان اهل السنة والجماعة اتفقوا على ان الذكورة شرط الرسالة لقوله تعالى وما ارسلنا قبلك الا رجالا يوحى اليهم وفيه بحث لانه وان جاز ان تلهم هى ارضاعه والقاءه فى اليم كيف يجوز ان تلهم انا رادّوه اليك وجاعلوه من المرسلين فانه لاسبيل الى معرفة ذلك وعلمه الا بطريق المشافهة والقول الصريح من احد ويجوز ان يوحى اليها بارسال رسول يخبرها بذلك مشافهة ولايستلزم ذلك كونها رسولا كما فى قصة مريم من ان جبريل عليه الصلاة والسلام ارسل اليها وقال لها انما انا رسول ربك ليهب لك غلاما زكيا فقد اوحى اليها بارسال الملك اليها ولم تصر بذلك رسولا فلم لايجوز ان يكون الوحى الى ام موسى كذلك وكانت ام موسى بنت لاوى بن يعقوب عليهما الصلاة والسلام ﴿قوله ولاتخافى عليه ضيعة ولاشدّة﴾ اشارة الى الفرق بين الخوف والحزن اذ الخوف غم يلحق الانسان لمتوقع لم يقع بعد وهو بصدده والحزن كالحزن لغتان بمعنى كالعدم والعدم غم يلحقه لواقع وهو فراقه والاخطار به فنهيت عنهما جميعا واومنت بالوحى اليها ووعدت مايسليها ويسكن قلبها وهو قوله تعالى انا رادّوه اليك لتكونى انت المرضعة وجاعلوه من المرسلين الى اهل مصر والشام ﴿قوله فليس يدع منهم ان قتلوا الوفا﴾ روى انه ذبح فى طلب موسى تسعون الف وليد وسعوا فى دفع قضاء الله تعالى بما لاطائل تحته ثم اخطأوا فى التقاط سبب هلاكهم وربوه بأيديهم وتبنوه وليس ذلك الا لان قدر الله تعالى كائن لامحالة وان الحذر لايغنى من القدر ﴿قوله فالجملة اعتراض﴾ يعنى ان قوله تعالى ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين جملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه وان قوله وقالت امرأة فرعون معطوف على قوله فالتقطه آل فرعون فقوله خاطئين ان كان مأخوذا من الخطأ ضدّ الصواب يكون الاعتراض لتأكيد خطاهم فى الالتقاط فان معنى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوّا فأخطأوا والتقطوا عدوّهم فأكد هذا المعنى بالمعترضة وان كان مأخوذا من الخطء بمعنى الذنب يكون الاعتراض لبيان الموجب لما ابتلوا به كأنه قيل انهم خاطئين آثمين بالكفر والمعاصى فعوقبوا على ذلك بما جرى عليهم بسببه ﴿قوله هو قرّة عين لنا﴾ يريد ان قرّة عين خبر مبتدأ محذوف وقوله لى ولك صفتان لقرّة روى انه لما رآه اعوان قوم فرعون قالوا هذا هو الذى تحذر منه فأذن لنا فى قتله فهمّ فرعون بذلك فقالت آسية قرّة عين لى ولك لاتقتلوه فان الله تعالى أتانا به من ارض اخرى وليس من بنى اسرآئيل وقالت عسى ان ينفعنا فلما قالت ذلك قال فرعون عسى ان ينفعك اما انا فلا اريد نفعه قال وهب عن ابن عباس رضى الله عنهما لو ان عدوّ الله قال فى موسى كما قالت امرأته آسية عسى ان ينفعنا لنفعه الله تعالى به ولكنه ابى للشقاء الذى كتبه الله عليه ومعناه انه لو لم يكن مطبوعا على قلبه لقال مثل قولها ولأسلم كما اسلمت قال المفسرون كانت آسية لاتلد فاستوهبت موسى من فرعون فوهبه لها وقال لآسية سميه قالت سميته موشى لانا وجدناه فى الماء والشجر فمو هو الماء وشى هو الشجر * قال الامام كان لفرعون بنت ولم يكن له ولد غيرها وكان لها كل يوم ثلاث حاجات ترفعها اليه وكان بها برص شديد وكان فرعون قد شاور الاطباء والسحرة فى امرها فقالوا ايها الملك لاتبرأ هذه الا من البحر يؤخذ منه شبه الانس فتأخذ من ريقه فتلطخ به برصها فتبرأ

(ونمكن لهم فى الارض) ارض مصر والشام واصل التمكين ان تجعل للشيء مكانا يتمكن فيه ثم استعير للتسليط واطلاق الامر (ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم) من بنى اسرآئيل (ما كانوا يحذرون) من ذهاب ملكهم وهلاكهم على يد مولود منهم وقرئ ويرى بالياء وفرعون وهامان وجنودهما بالرفع (واوحينا الى ام موسى) بالهام اورؤيا (ان ارضعيه) ماامكنك اخفاؤه (فاذا خفت عليه) بأن يحس به (فألقيه فى اليم) فى البحر يريد النيل (ولاتخافى) عليه ضيعة ولاشدّة (ولاتحزنى) لفراقه (انا رادّوه اليك) عن قريب بحيث تأمنين عليه (وجاعلوه من المرسلين) روى انها لما ضربها الطلق دعت قابلة من الموكلات بحبالى بنى اسرآئيل فعالجتها فلما وقع موسى على الارض هالها نور بين عينيه وارتعشت مفاصلها ودخل حبه قلبها بحيث منعها عن السعاية فأرضعته ثلاثة اشهر ثم ألح فرعون فى طلب المواليد واجتهد العيون فى تفحصها فأخذت له تابوتا فقذفته فى النيل (فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوّ وحزنا) تعليل لالتقاطهم اياه بما هو عاقبته ومؤدّاه تشبيها له بالغرض الحامل عليه وقرأ حمزة والكسائى حزنا (ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين) فى كل شيء فليس يدع منهم ان قتلوا الوفا لاجله ثم اخذوه يربونه ليكبر ويفعل بهم ما كانوا يحذرون اومذنبين فعاقبهم الله تعالى بأن ربى عدوّهم على ايديهم فالجملة اعتراض لتأكيد خطئهم اولبيان الموجب لما ابتلوا به وقرئ خاطين تخفيف خاطئين اوخاطين الصواب الى الخطأ (وقالت امرأة فرعون) اى لفرعون حين اخرجته من التابوت (قرّة عين لى ولك) هو قرّة عين لنا لانهما لما رأياه اخرج من التابوت أحباه اولانه كانت له ابنة برصاء وعالجها الاطباء بريق حيوان بحرى يشبه الانسان فلطخت برصها بريقه فبرئت وفى الحديث انه قال لك لالى ولو قال لى كما هولك لهداه الله كما هداها (لاتقتلوه) خطاب بلفظ الجمع للتعظيم (عسى ان ينفعنا) فان فيه مخايل اليمن ودلائل النفع وذلك لما رأت من نور بين عينيه وارتضاعه ابهامه لبنا وبرء البرصاء بريقه (او نتخذه ولدا) او نتبناه فانه اهل له

(وهم لايشعرون) حال من الملتقطين اومن القائلة والمقول له اى وهم لايشعرون انهم على الخطأ فى التقاطه اوفى طمع النفع منه والتبنى له اومن احد ضميرى تتخذه على أن الضمير للناس اى وهم لايشعرون انه لغيرنا وقد تبنيناه (واصبح فؤاد ام موسى فارغا) صفرا من العقل لما دهمها من الخوف والحيرة حين سمعت بوقوعه فى يد فرعون كقوله وافئدتهم هوآء اى خلاء لاعقول فيها ويؤيده انه قرئ فرغا من قولهم دماؤهم بينهم فرغ اى هدرا ومن الهم لفرط وثوقها بوعد الله تعالى اولسماعها ان فرعون عطف عليه وتبناه (ان كادت لتبدى به) انها كادت لتظهر بموسى اى بأمره وقصته من فرط الضجرة اوالفرح بتبنيه (لولا ان ربطنا على قلبها) بالصبر والثبات (لتكون من المؤمنين) من المصدقين بوعد الله اومن الواثقين بحفظه لابتبنى فرعون وعطفه وقرئ مؤسى اجرآء للضمة فى جار الواو مجرى ضمتها فى استدعاء همزها همز واو وجوه وهو علة الربط وجواب لولا محذوف دل عليه ماقبله (وقالت لاخته) مريم (قصيه) اتبعى أثره وتتبعى خبره (فبصرت به عن جنب) عن بعد وقرئ عن جانب وعن جنب وهو بمعناه (وهم لايشعرون) انها تقص اوانها اخته (وحرمنا عليه المراضع) ومنعناه ان يرتضع من المرضعات جمع مرضع اومرضع وهو الرضاع اوموضعه يعنى الثدى (من قبل) من قبل قصها اثره (فقالت هل أدلكم على اهل بيت يكفلونه لكم) لاجلكم (وهم له ناصحون) لايقصرون فى ارضاعه وتربيته روى ان هامان لما سمعها قال انها لتعرفه واهله فخذوها حتى تخبر بحاله فقالت انما اردت وهم للملك ناصحون فأمرها فرعون بان تأتى بمن يكفله فأتت بأمها وموسى على يد فرعون يبكى وهو يعلله فلما وجد ريحها استأنس والتقم ثديها فقال من انت منه فقد أبى كل ثدى الاثديك فقالت انى امرأة طيبة الريح طيبة اللبن لااوتى بصبى الاقبلنى فدفعه اليها واجرى عليها فرجعت به الى بيتها من يومها وهو قوله (فرددناه الى أمه كى تقر عينها) بولدها (ولاتحزن) بفراقه (ولتعلم ان وعد الله حق) علم مشاهدة (ولكن اكثرهم لايعلمون) ان موعده حق فيرتابون فيه

من ذلك وذلك فى يوم كذا من شهر كذا حين تشرق الشمس فلما كان ذلك اليوم غدا فرعون فى مجلس كان له على شفير النيل ومعه آسية بنت مزاحم واقبلت بنت فرعون فى جواريها حتى جلست على الشاطئ اذأقبل النيل بتابوت تضرب به الامواج وتعلق بشجرة فقال فرعون ائتونى به فابتدروه بالسفن من كل جانب حتى وضعوه بين يديه فعالجوا فتح الباب فلم يقدروا عليه وعالجوا كسره فلم يقدروا عليه فنظرت آسية فرات نورا فى جوف التابوت لم يره غيرها فعالجته وفتحته فاذا هى بصبى صغير فى مهده واذا نور فى عينيه فألقى الله محبته فى قلوب القوم وعمدت ابنة فرعون الى ريقه فلطخت به برصها فبرئت وضمته الى صدرها فقالت الغواة من قوم فرعون انا نظن ان هذا الذى نحذر منه رمى فى البحر خوفا من ذبحه فهم فرعون ان يقتله فاستوهبته امرأة فرعون وتبنته فترك قتله ﴿قوله اومن احد ضميرى تتخذه﴾ فتكون الجملة من كلام امرأة فرعون وعلى تقدير كونه حالا من آل فرعون اومن القائلة والمقول له يكون من كلام البارى ﴿قوله صفرا من العقل﴾ اى حتى ذهلت عن الوحى الذى اوحى اليها ان ألقيه فى اليم ولاتخافى ولاتحزنى انا رادوه اليك وروى انه جاءها الشيطان وقال لها كرهت ان يقتل فرعون ولدك فيكون لك اجر فتوليت انت اهلاكه فألقيته فى البحر فأوقعه البحر فى يد عدوه ﴿قوله اومن الهم﴾ عطف على قوله من العقل والفرغ بكسر الفاء وسكون الرآء والغين المعجمة الهدر ﴿قوله انها كادت لتظهر﴾ يريد أن ان مخففة واللام فارقة فالباء فى به مزيدة فى المفعول اى لتظهره وتقول انه ابنها اوتقول وا ابناه وقوله لولا ان ربطنا جوابه محذوف اى لأبدت كقوله وهم بها لولا ان رأى برهان ربه ﴿قوله من فرط الضجرة﴾ مبنى على كون قوله فارغا بمعنى صفرا من العقل وقوله او الفرح مبنى على كونه بمعنى صفرا من الهم فكما ان فرط الضجرة يصح كونه مؤديا اياها الى اظهار امر موسى فكذا الفرح بما سمعته من ان فرعون احبه واكرمه وتبناه يصح كونه مؤديا اليه ايضا لاسيما وقد انضم اليه الاعتماد على تكفل الله تعالى بمصلحته * فان قيل كيف يكون فؤادها فارغا من الهم والحزن والله تعالى يقول لولا ان ربطنا على قلبها وهل يربط الا على قلب الجازع المحزون * قلنا الحصر ممنوع فانه تعالى كما يربط على قلب الجازع الحزين يربط على قلب الواثق بوعد الله تعالى وضمانه ومعنى الربط على القلب الهامه الصبر وتقويته كما يربط على الشئ المتقلب ليقر ويطمئن وقوله لتكون من المؤمنين متعلق بربطنا اى ربطنا على قلبها لتكون من المصدقين بوعد الله تعالى وهو قوله انا رادوه اليك وقوله اومن الواثقين بحفظه لابتبنى فرعون مرتبط بقوله او الفرح بتبنيه ﴿قوله تعالى فبصرت به﴾ اى ابصرته فان بصر به وابصره بمعنى واحد ﴿قوله ومنعناه ان يرتضع﴾ لما كان التحريم الحقيقى لكونه عبارة عن النهى واقتضاء ترك الفعل غير متصور ههنا لكونه فرع التكليف جعل التحريم مستعارا للمنع من الارتضاع بان شبه المنع بالتحريم للمناسبة بينهما فى التأدية الى الامتناع فأطلق عليه اسم التحريم واشتق منه حرمنا فانه تعالى منعه أن يرتضع ثدى كل مرضع اما بان احدث فى طبعه عليه الصلاة والسلام النفرة عن لبن سائر النساء فلذلك لم يرضع اواحدث فى لبنهن من الطعم ماينفر منه طبعه اووضع فى لبن أمه لذة فلما تعودها اى تعود موسى عليه الصلاة والسلام لبن امه لاجرم كان يكره لبن غيرها فانه روى ان امه قد ارضعته ثلاثة اشهر حتى عرف ريحها فلايبعد ان لايقبل لبن غيرها لذلك والمراضع جمع مرضع وهى المرأة التى ترضع اومرضع وهو موضع الرضاع يعنى الثدى اومصدر بمعنى الرضاع ﴿قوله يكفلونه لكم﴾ اى يضمنون رضاعه والقيام بمصالحه لاجلكم والنصح اخلاص العمل عن شائبة الفساد ﴿قوله فقالت انما اردت وهم للملك ناصحون﴾ اى قالت لااعرف الغلام وانما قلت ذلك ليزول اضطراب الملك ويسكن قلبه فخلصت نفسها بهذه الكلمة من التهمة واحسنت وليس ببدع لانها من بيت النبوة واخت نبى لابيه وامه فحق لها امثال ذلك روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه قال لما قالت اخته هل ادلكم على اهل بيت قالوا لها من هى قالت امى قالوا ولامك لبن قالت نعم لبن هرون اخى وكان هرون ولد فى سنة لم تقتل فيها الولدان فقالوا صدقت ﴿قوله واجرى عليها﴾ وفى الكواشى فدفعه اليها واجرى اجرتها عليها واخذتها لانها مال حربى لا انها اجرة حقيقة على ارضاعها ولدها فذهبت به الى بيتها وقيل لما دفعه اليها لم يبق من آل فرعون احد الا اهدى اليها وأتحفها بالذهب والجواهر ﴿قوله علم مشاهدة﴾ اى علما بمشاهدة الموعود فانها كانت عالمة قبل ذلك بطريق الوحى ان ماوعده الله تعالى اياها من انه يرده اليها حق لكن ليس الخبر كالمعاينة وصاحب الكشاف حمل الوعد على الوعد بجعله من المرسلين حيث قال انجز الله وعده فى الرد فعندها ثبت واستقر فى علمها انه سيكون

(نبيا)

نبيا فان الله تعالى وعدم موسى امرين ردّ موسى اليها وجعله من المرسلين فحين حقق الامر الاوّل استقرّ فى علمها انه تعالى يحقق الثانى ايضا ﴿ قوله اوان الغرض الاصلى ﴾ عطف على قوله علم مشاهدة يعنى ان المراد من العلم اما العلم الحاصل بالمشاهدة او اصل العلم ﴿ قوله لايزيد عليه نشوه ﴾ اى شبابه و الناشئ الحدث الذى جاوز حدّ الصغر يقال نشأت فى بنى فلان نشأ اذا شبيت فيهم ﴿ قوله او علم الحكماء ﴾ عطف على قوله نبوّة يعنى ان قوله حكما وعلما يحتمل ان يراد به النبوّة و مايعرف بها من العلوم والاخلاق و يحتمل ان يراد به علم الحكماء واخلاقهم فعلم موسى عليه الصلاة و السلام قبل ان يبعث نبيا علمهم و يدل عليه قوله وكذلك نجزى المحسنين لانه تعالى جعل ايتاء الحكم والعلم مجازاة على احسانه و النبوّة لاتكون جزآء على العمل و على تقدير ان يراد به النبوّة ليس فى الآية دليل على أن هذه النبوّة كانت قبل قتل القبطىّ او بعده لان الواو فى قوله و دخل المدينة لاتفيد الترتيب وقدمرّ انه لبث فيهم ثلاثين سنة ثم خرج الى مدين عشر سنين ثم عاد اليهم يدعوهم الى الله ثلاثين سنة ثم بقى بعد الغرق خمسين ﴿ قوله وقيل من منف ﴾ اسم مدينة من ارض مصر ومنف كناه وجور فى وجوب منع صرفه لاجتماع التأنيث و العلمية و العجمة يعنى انه اختلف فى المدينة فقيل هى مصر وقيل هى منف وقيل قرية تدعى خابين على رأس فرسخين من مصر وقيل عين شمس وقوله على حين غفلة فى موضع الحال من فاعل دخل اى دخل كائنا على حين غفلة اى مستخفيا متجسسا للخبر او من المدينة اى دخلها حال غرّة اهلها و اشتغالهم بعيدلهم وقيل بين المغرب و العشاء وقيل وقت الظهيرة عند المقيل وليس فى طرقها احد لاشتغال اهلها بالقيلولة و من اهلها صفة لغفلة اى غفلة صادرة من اهلها و اختلف فى السبب الذى لاجله دخل موسى على حين غفلة من اهلها فقيل انه كان يسمى ابن فرعون وكان يركب و ينزل معه فركب فرعون يوما وليس عنده موسى فلما جاء موسى قيل له ان فرعون قد ركب فركب فى اثره فادركه المقيل بارض منف فدخلها نصف النهار و ليس فى طرقها احد فذلك على حين غفلة من اهلها وقيل ان موسى عليه الصلاة و السلام لما بلغ اشده وآتاه الله الحكم والعلم وعلم فرعون وقومه على الباطل خالفهم فى دينهم وفارقهم و لحق بشيعة له من بنى اسرآئيل يسمعون منه ويقتدون به فلما عرف ذلك منه اخافوه و اخافهم فكان لايدخل قرية فرعون الاخائفا فدخلها يوما على حين غفلة من اهلها وقيل ليس المراد من قوله على حين غفلة من اهلها حصول الغفلة فى تلك الساعة بل المراد الغفلة عن ذكر موسى عليه الصلاة و السلام و امره وذلك لان موسى حين كان صغيرا ضرب رأس فرعون بالعصا ونتف لحيته فأراد فرعون قتله فقالت امرأته هو صغير لايعرف التمر من الجمر فجيء بجمرة فأخذها و طرحها فى فيه فحصلت عقدة فى لسانه فقال لااقتله و لكن اخرجوه عن الدار و البلد فأخرج ولم يدخل عليهم حتى كبر و القوم نسوا ذكره فدخل يوما على حين غفلة من اهلها ولا يمكننا ترجيح بعض الروايات على بعض اذ ليس فى القرآن مايدل على شئ منها ﴿ قوله و الاشارة على الحكاية ﴾ اى رجلين مقولا فيهما هذا من شيعته و هذا من عدوّه كقوله جاؤا بمذق هل رأيت الذئب قط اى بمذق مقول فيه هذا القول ﴿ قوله ولذلك ﴾ اى ولكونه متضمنا معنى الاعانة و النصرة عدّى بعلى ﴿ قوله وقرئ فلكزه ﴾ الوكز و اللكز كلاهما بمعنى واحد وهو الضرب بجمع الكف على الصدر وقيل الوكز فى الصدر واللكز فى الظهر وجمع الكف بالضم الكف المقبوضة الاصابع وكان عليه الصلاة و السلام شديد البطش فلذلك لم يتحمل القبطى وكزه ومات قيل الاسرآئيلى الذى اعانه موسى عليه الصلاة والسلام هو السامرىّ والقبطى طباخ فرعون وكان يسخر الاسرآئيلى لحمل الحطب الى مطبخ فرعون ﴿ قوله فقتله ﴾ بيان لحاصل المعنى فان قضاء الشئ اتمامه و الفراغ منه وكل شئ اتممته و فرغت منه فقد قضيته و قضيت عليه فندم موسى عليه الصلاة و السلام على القتل الصادر منه وان لم يكن قصده لقتله فدفنه فى الرمل وقال مشيرا اليه هذا من عمل الشيطان من حيث انه هيج غضبي وحملني على الوكز نسب و القتل الى الشيطان من حيث كونه سببا له ﴿ قوله وسماه ظلما ﴾ جواب عما يقال قوله تعالى و هذا من عدوّه يدل على ان القبطى كان كافرا حربيا وكان دمه مباحا فلم جعل قتله من عمل الشيطان وظلم به نفسه و استغفر منه * ومحصول الجواب انى قتل قبل ان يؤذن له فى قتل الكافر فكان زلة يستغفر منها المتقون على عادتهم وان كانت محقرة صدرت خطأ ﴿ قوله اى اقسم بانعامك علىّ بالمغفرة ﴾ قدّر متعلق الباء وجعل مامصدرية وجعل انعامه تعالى عليه بالمغفرة مقسما به ولا ادرى كيف علم ان الله تعالى غفرله وقد كان هذا قبل ان اوحى الله اليه وعين ان الجواب المقدّر هو قوله لاتوبنّ

اوأنّ الغرض الاصلىّ من الردّ علمها بذلك وماسواه تبع وفيه تعريض بمافرط منها حين سمعت بوقوعه فى يد فرعون (ولمابلغ اشدّه) مبلغه الذى لايزيد عليه نشوه وذلك من ثلاثين الى اربعين سنة فان العقل يكمل حينئذ وروى انه لم يبعث نبىّ الاعلى رأس الاربعين (واستوى) قدّه او عقله (آتيناه حكما) اى نبوّة (وعلما) بالدين او علم الحكماء والعلماء وسمتهم قبل استنبائه فلايقول ولايفعل مايستجهل فيه وهو أوفق لنظم القصة لان الاستنباء بعد الهجرة فى المراجعة (وكذلك) ومثل ذلك الذى فعلنا بموسى وامّه (نجزى المحسنين) على احسانهم (ودخل المدينة) ودخل مصر آتيا من قصر فرعون وقيل من منف او خابين او عين شمس من نواحيها (على حين غفلة من اهلها) فى وقت لايعتاد دخولها ولايتوقعونه فيه قيل كان وقت القيلولة وقيل بين العشاءين (فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوّه) احدهما ممن شايعه على دينه وهم بنوا اسرآئيل والآخر من مخالفيه وهم القبط والاشارة على الحكاية (فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوّه) فسأله ان يغيثه بالاعانة ولذلك عدّى بعلى وقرئ استعانه (فوكزه موسى) فضرب القبطى بجمع كفه وقرئ فلكزه اى فضرب به صدره (فقضى عليه) فقتله واصله فانهى حياته من قوله وقضينا اليه ذلك الامر (قال هذا من عمل الشيطان) لانه لم يؤمر بقتل الكفار اولانه كان مأمونا فيهم فلم يكن له اغتيالهم ولايقدح ذلك فى عصمته لكونه خطأ وانما عده من عمل الشيطان وسماه ظلما واستغفر منه على عادتهم فى استعظام محقرات فرطت منهم (انه عدوّ مضل مبين) ظاهر العداوة (قال رب انى ظلمت نفسى) بقتله (فاغفرلى) ذنبى (فغفرله) باستغفاره (انه هو الغفور) لذنوب عباده (الرحيم) بهم (قال رب بما انعمت علىّ) قسم محذوف الجواب اى اقسم بانعامك علىّ بالمغفرة وغيرها لاتوبنّ

(فلن اكون ظهيرا للمجرمين) او استعطاف اى بحق انعامك علىّ اعصمنى فلن اكون معينا لمن أدّت معاونته الى جرم وعن ابن عباس انه لم يستثن فابتلى به مرّة اخرى وقيل معناه بما انعمت علىّ من القوّة اعين اولياءك فلن استعملها فى مظاهرة اعدآئك

(فأصبح فى المدينة خائفا يترقب) يترصد الاستقادة (فاذا الذى استنصرة بالامس يستصرخه) يستغيثه مشتق من الصراخ (قال له موسى انك لغوىّ مبين) مبين الغواية لانك تسببت لقتل رجل وتقاتل آخر (فلما ان اراد ان يبطش بالذى هو عدوّ لهما) لموسى والاسرآئيلى لانه لم يكن على دينهما ولان القبط كانوا اعدآء بنى اسرآئيل (قال ياموسى اتريد ان تقتلنى كما قتلت نفسا بالامس) قاله الاسرآئيلى لانه لما سماه غويا ظنّ انه يبطش به او القبطى وكأنه توهم من قوله انه الذى قتل القبطىّ بالامس لهذا الاسرآئيلى (ان تريد) ما تريد (الا ان تكون جبارا فى الارض) تتطاول على الناس ولا تنظر العواقب (وما تريد ان تكون من المصلحين) بين الناس فتدفع التخاصم بالتى هى احسن ولما قال هذا انتشر الحديث وارتقى الى فرعون وملئه فهموا بقتله فخرج مؤمن من آل فرعون وهو ابن عمه ليخبره كما قال (وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى) يسرع صفة رجل او حال منه اذا جعل من اقصى المدينة صفة له لا صلة لجاء لان تخصيصه بها يلحقه بالمعارف (قال ياموسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك) يتشاورون بسببك وانما سمى التشاور ائتمارا لان كلا من المتشاورين يأمر الآخر ويأتمر (فاخرج انى لك من الناصحين) اللام للبيان وليس صلة للناصحين لان معمول الصلة لا يتقدم الموصول (فخرج منها) من المدينة (خائفا يترقب) لحوق طالب (قال رب نجنى من القوم الظالمين) خلصنى منهم واحفظنى من لحوقهم (ولما توجه تلقاء مدين) قبالة مدين قرية شعيب سميت باسم مدين بن ابراهيم ولم يكن فى سلطان فرعون وكان بينها وبين مصر مسيرة ثمان (قال عسى ربى ان يهدينى سوآء السبيل) توكلا على الله وحسن ظنّ به وكان لا يعرف الطرق فعنّ له ثلاث طرق فأخذ فى اوسطها وجاء الطلاب عقيبه فأخذوا فى الآخرين (ولما ورد ماء مدين) وصل اليه وهو بئر كانوا يسقون منها (وجد عليه) وجد فوق شفيرها (أمة من الناس) جماعة كثيرة مختلفين (يسقون) مواشيهم (ووجد من دونهم) فى مكان اسفل من مكانهم (امرأتين تذودان) تمنعان اغنامهما من الماء لئلا تختلط باغنامهم (ولا)

اى لأرجعنّ عما فرط منى من الزلة وجعل قوله فلن اكون معطوفا على الجواب المقدّر فتكون الجملة الخبرية التى اكدت بالجملة القسمية هى المجموع من المعطوف عليه المقدّر وما عطف عليه ﴿ قوله او استعطاف ﴾ عطف على قوله قسم جعل الاستعطاف قسيما للقسم مع أن النحاة صرّحوا بان القسم على قسمين قسم للاستعطاف وقسم لغير الاستعطاف وقالوا القسم جملة انشائية يؤكد بها جملة اخرى فان كانت الاخرى خبرية فالقسم لغير الاستعطاف وان كانت طلبية فهو للاستعطاف ولم يجعله المصنف والزمخشرى قسما لان القائل اذا قال بالله لأفعلنّ كذا انعقدت اليمين على القائل واما لو قال بالله افعل كذا لا ينعقد اليمين لا على المتكلم ولا على المخاطب فلذلك لم يجعلاه من القسم ومن جعله قسما من القسم اعتبر الظاهر لان صورته صورة القسم من حيث انه يؤكد الطلب على المستعطف وليس بقسم على الحقيقة لان شرطه ان يؤكد به جملة خبرية موجبة او منفية ومن امثلة قسم الاستعطاف قول ابراهيم بن هرمة

❁ بالله ربك ان دخلت فقل له ❁ هذا ابوه هرمة بالباب ❁

وعلى تقدير كون قوله بما انعمت علىّ استعطافا مؤكدا لجملة طلبية مقدّرة وهى اعصمنى يكون قوله فلن اكون جوابا للامر المقدّر سببا عنه ﴿ قوله وعن ابن عباس رضى الله عنه انه لم يستثن ﴾ تأييد لكون قوله بما انعمت قسما لا استعطافا لان الابتلاء انما يكون بازلة لا بعدم كونه مجاب الدعوة وقوله فابتلى به مرّة اخرى فى اليوم الثانى قال الامام هذا ضعيف لانه فى اليوم الثانى لم يبتل باعانة المجرم بل ترك الاعانة وانما خاف منه ذلك العدوّ فقال ان تريد الا ان تكون جبارا لانه وقع منه ذلك ﴿ قوله وقيل معناه بما أنعمت علىّ من القوّة الخ ﴾ فعلى هذا القول لا تكون الباء للقسم ولا للاستعطاف بل تكون للسببية اى بسبب ما انعمت علىّ من القوّة اشكرك فلن استعملها الا فى مظاهرة اوليائك لا ادع احدا من اعدآئك يغلب احدا من اوليائك ثم ان موسى عليه الصلاة والسلام لما قتل ذلك القبطى بالوكز اصبح اى صار خائفا على نفسه من ان يظهر انه هو القاتل ويستقاد اى يطلب ان يقتل قودا وتعريف المدينة للعهد والمعهود المدينة التى قتل فيها القبطى وخائفا خبر أصبح وفى المدينة متعلق به ويترقب بدل من خائفا او خبر ثان ومفعول يترقب محذوف أى يترقب وينتظر المكروه روى ان ولى الدم جاء فرعون وقال له قد قتل بنو اسرآئيل مناقيلا فخذ حقنا منهم فقال له اما علمت ان لا تقضى الا بالبينة فبيناهم يطوفون فى طلب البينة اذا مرّ موسى من الغد فرأى ذلك الاسرائيلىّ يقاتل فرعونيا آخر فاستغاثه على الفرعونى فغضب عليه موسى فقال انك لغوىّ مبين اى بين الغواية والضلال على ان الغوىّ فعيل بمعنى الغاوى وقيل انه بمعنى المغوى والمعنى انى وقعت بالامس فيما وقعت فيه بسببك فالآن تريد أن توقعنى فى ورطة اخرى فلما اراد موسى ان يبطش بالقبطى الذى هو عدوّ لموسى عليه الصلاة والسلام وللاسرآئيلى فوثب عليه ليمنعه من اخذ الاسرآئيلى وتسخيره ظنّ الاسرآئيلى انه عليه السلام اراد ان يبطش به بناء على انه عليه الصلاة والسلام خاطبه بقوله انك لغوىّ مبين ورأى الغضب عليه فقال له ياموسى اتريد ان تقتلنى كما قتلت نفسا بالامس فصار هذا القول منه سببا لظهور ان القتل الواقع امس صدر من موسى عليه الصلاة والسلام حيث لم يطلع على ذلك الا الاسرائيلى فلما سمع القبطى قول الاسرآئيلى علم ان موسى هو الذى قتل ذلك الفرعونى امس فانطلق الى فرعون واخبره بذلك فأمر فرعون بقتل موسى ﴿ قوله او القبطى ﴾ عطف على الاسرآئيلى اى توهم من قول موسى عليه الصلاة والسلام له انك لغوىّ مبين انه الذى قتل القبطى بالامس لاجله * قال الامام هذا هو الظاهر لقوله فلما ان اراد ان يبطش بالذى هو عدوّ لهما قال ياموسى فان الظاهر ان ضمير قال هو عدوّ لهما وايضا فقوله ان تريد الا ان تكون جبارا فى الارض لا يليق الا بالقبطى الجافى والجبار هو الذى يفعل ما يريد من الضرب والقتل ظلما لا ينظر فى العاقبة وقيل هو المتعظم الذى لا يتواضع لاحد ﴿ قوله اذا جعل من اقصى المدينة صفة له ﴾ يعنى ان يسعى مع كونه مؤخرا عن النكرة انما يكون حالا منها اذا تخصصت بالصفة فان ذا الحال اذا كان نكرة وجب تقدّم الحال عليه كما فى قوله * لعزة موحشا طلل قديم * ﴿ قوله قرية شعيب ﴾ هو شعيب بن نويب بن مدين بن ابراهيم عليه الصلاة والسلام وكان لابراهيم اربعة بنين اسمعيل واسحق ومدين ومداين واليهما نسبت البلدتان مدين ومداين ﴿ قوله جماعة كثيرة مختلفين ﴾ الامّة جماعة يجمعهم امر ما اما دين واحد او زمان او مكان واحد سوآء كان الامر الجامع حاصلا لهم اختيارا او تسخيرا وأخذ اختلاف الناس من لام التعريف لانه ليس للاستغراق وهو ظاهر

ولا للجنس لان قوله يسقون يغني عن بيان أنّ المراد بالامّة جنس الناس فثبت انه للعهد و المعهود عرفا ان تكون الجماعة المجتمعة للاستقاء اناسا مختلفين و فسر من دونهم بقوله فى مكان ادون من مكانهم و يجوز أن يفسر بسوى تلك الامّة و المراد بالامرأتين ابنتا شعيب عليه الصلاة و السلام قيل كبيرتهما اسمها صفرآء والاخرى صفيرآء والرعاء جمع راعى كقيام جمع قائم قيل الرعاء هم الذين يرعون المواشى و الرعاة هم الذين يرعون الناس وهم الولاة ﴿قوله دونه﴾ اى دون المفعول و بيانه ﴿قوله وقرأ ابو عمرو وابن عامر يصدر﴾ اى بفتح الياء وضم الدال اى يرجع يقال صدر يصدر اذا رجع من الماء وهو لازم والمعنى حتى ينصرف الرعاة وقرأ الباقون بضم اليا وكسر الدال من الاصدار وهو متعدّ والمعنى حتى يردّوا ويصرفوا مواشيهم و الرخال بكسر الرآء جمع رخل بكسر الخاء وهو الانثى من ولد الضأن و الرخال بضم الرآء اسم جمع ﴿قوله مع ما كان به من الوصب﴾ وكيف لا وقد خرج عليه الصلاة و السلام من غير زاد ولا حذآء ولا ظهر ولم يطعم فى الطريق الا ورق الشجر وسقط جلد قدميه فى الطريق وكانت خضرة البقل تترآءى فى بطنه من الهزال ورقة البدن و جلده قيل لما سقت الرعاء مواشيهم ووضعوا صخرة على البئر كما هو عادتهم فى كل سقية وكانت عادة ابنتى شعيب ان تسقيا من فضل مواشيهم انتهى موسى عليه الصلاة و السلام الى البئر وقد اطبقت عليها الصخرة الموصوفة فاقتلعها بنفسه ثم سقى لهما غنمهما وفى رواية الكلبى انه كان للبئر دلو يجتمع اربعون رجلا حتى يخرجوها من البئر فأتى موسى الماء فسألهم ان يهبوه دلوا من الماء فقالوا ان شئت اعطيناك الدلو على ان تستقى انت فقال نعم فاخذ موسى الدلو فاستقى بها وحده فصب فى الحوض ودعا فيه بالبركة فقربتا غنمهما فروى منه جميع الغنم وقيل انه عليه الصلاة والسلام لما سمع قولهما رحمهما فاقتلع صخرة من رأس بئر اخرى كانت بقربهما لا يطيق رفعها الا جماعة من الناس وقيل فى وجه الجمع بين قوله وجد عليه امّة من الناس يسقون و بين كون موسى هو الذى رفع الحجر وحده عن رأس البئر أن معنى قوله يسقون يريدون ان يسقوا الا انهم منتظرون لحضور الرعاة جميعا ليتعاونوا على رفع الحجر فرفعه موسى عليه الصلاة و السلام وسقى لهما قبل اجتماع الرعاة وسقيهم وهو الاظهر ﴿قوله لاىّ شئ انزلت الىّ من خير﴾ جعل ما موصوفة بقوله انزلت الىّ من خير ولما كان الوصف بالعام يفيد عموم الموصوف قال لاىّ شئ انزلت الخ والا فالظاهر ان يقال لشئ انزلته الىّ وفى الوجه الثانى جعل ما موصولة لان ما انزلت فى الوجه الاوّل عبارة عن شئ غير معلوم لان مطلوبه شئ من جنس الخير اىّ شئ كان بخلاف الثانى لان ما انزلت فى ذلك الوجه عبارة عن خير الدين وتنكير خير فى الوجه الاوّل للتعميم وفى الوجه الثانى للتعظيم ﴿قوله ولذلك﴾ اى ولاجل ان قوله فقير ضمن معنى سائل وطالب عدّى باللام فان قوله لما انزلت متعلق بفقير وكان الاصل فيه ان يعدّى بالى وقيل ليست اللام متعلقة بفقير حتى يحتاج الى اعتبار التضمين لان المعنى انى وان صرت فقيرا فى الدنيا الان ذلك الفقر انما اصابنى لما انزلت الىّ من الخير العظيم المتعلق بالدين وهو الخلاص من صحبة الظالمين وقوله لانه كان فى سعة عند فرعون بيان لكون خروجه من عنده سببا لفقره من جهة الدنيا وقال ذلك رضى بالبدل وفرحا به وشكرا ﴿قوله متخفرة﴾ على لفظ اسم الفاعل من الخفر بالتحريك و هو شدّة الحياء تقول منه رجل خفر بكسر الفاء وجارية خفرة متخفرة اى مستحيية اشدّ الحياء ﴿قوله ولعل موسى عليه الصلاة والسلام الخ﴾ جواب عما يقال انه سقى اغنامهما تقرّبا الى الله تعالى خالصا لوجهه فكيف يليق اخذ الاجرة عليه فان ذلك غير جائز فى الشريعة روى انهما لما رجعتا الى ابيهما قبل الناس قال ما اعجلكما قالتا وجدنا رجلا رحمنا فسقى لنا فقال لاحداهما اذهبى فاستدعيه لى فلما أتته و بلغت اليه رسالة ابيها تبعها موسى فألصقت الريح ثوبها بجسدها فوصفت جسدها لموسى لان الريح كانت تجئ من خلفها فجعل موسى يعرض عنها مرّة ويغض بصره اخرى فناداها يا امة الله كونى خلفى وارينى الطريق بقولك وفى رواية بحجر ترمين به الى قدّامى ان اخطأت الطريق فلما دخل على شعيب وكان العشاء يهيأ قال له شعيب اجلس يا شاب فتعش فقال له موسى اعوذ بالله فقال له شعيب ولم ذلك ألست بجائع قال بلى ولكنى اخاف ان يكون عوضا لما سقيت لهما وانا من اهل بيت لا نبيع شيأ من عمل الآخرة بملئ الارض ذهبا فقال له شعيب لا والله يا شاب ولكنها عادتى وعادة آبائى نقرى الضيف ونطعم الطعام فجلس موسى يأكل قال الضحاك لما دخل عليه قال له من انت يا عبدالله قال انا موسى بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب وذكر له جميع امره من لدن ولادته وامر القوابل والمراضع والقذف فى اليم وقتل القبطى وانهم يطلبونه ليقتلوه فقال له

(قال ماخطبكما) ماشأنكما تذودان (قال
لانسقى حتى يصدر الرعاء) يصرف الر
مواشيهم عن الماء حذرا من مزاحمة الرجا
وحذف المفعول لان الغرض هو بيان مايد
على عفتهما ويدعوه الى السقى لهما ثمة دو
وقرأ ابو عمرو وابن عامر يصدر اى ينصرف
وقرئ الرعاء بالضم وهو اسم جمع كالرخا
(وابونا شيخ كبير) كبير السنّ لا يستطيع ان
يخرج للسقى فيرسلنا اضطرارا (فسقى لهما
مواشيهما رحمة عليهما قيل كانت الرعاة يضعو
على رأس البئر حجرا لا يقله الا سبعة رجا
او اكثر فأقله وحده مع ما كان به من الوصب
والجوع وجراحة القدم وقيل كانت بئر اخرى
عليها صخرة فرفعها واستقى منها (ثم تولى ال
الظل فقال رب انى لما انزلت) لاىّ شئ انزلت
(الىّ من خير) قليل او كثير وحمله الاكثرو
على الطعام (فقير) محتاج سائل ولذلك عدّى
باللام وقيل معناه انى لما انزلت الىّ من خير
الدين صرت فقيرا فى الدنيا لانه كان فى سع
عند فرعون والغرض منه اظهار التبجح والشك
على ذلك (فجاءته احداهما تمشى على استحياء
اى مستحيية متخفرة قيل كانت الصغرى منه
وقيل الكبرى واسمها صفوراء او صفراء وهي
التى تزوّجها موسى (قالت ان ابى يدعوك
ليجزيك) ليكافئك (اجر ما سقيت لنا) جز
سقيك لنا ولعل موسى انما اجابها ليتبرّك برؤي
الشيخ ويستظهر بمعرفته لا طمعا فى الاجر بل
روى انه لما جاءه قدّم اليه طعاما فامتنع عنه وقا
انا اهل بيت لا نبيع ديننا بالدنيا حتى قال شعيب
هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا هذا وان من فعل
معروفا فاهدى بشئ لم يحرم اخذه (فلما جاءه
وقصّ عليه القصص قال لا تخف نجوت من
القوم الظالمين) يريد فرعون وقومه

شعيب عليه الصلاة و السلام لاتخف نجوت من القوم الظالمين اى لاسلطان له بارضنا ولسنا فى مملكته * فان قيل ان المفسرين قالوا ان فرعون يوم خرج على اثر موسى ركب فى ألف ألف و ستمائة ألف و الملك الذى هذا شأنه كيف يعقل ان لايكون فى ملكه قرية على بعد ثمانية ايام من دار ملكه * والجواب ان هذا وان كان نادرا لكنه ليس بمحال والقصص مصدر قص قصا وقصصا سمى به المقصوص ﴿قوله استأجره﴾ اى اتخذه اجيرا ليرعى اغنامنا ثم قالت ان خير من استأجرت القوىّ الامين من قوى على العمل و ادى الامانة ﴿قوله و للمبالغة فيه الخ﴾ بيان لوجه العدول عن مقتضى الظاهر فان الظاهر ان يجعل القوىّ الامين اسم ان و خير من استأجرت خبرها و أن يؤتى بلفظ المضارع بدل استأجرت فعكس جميع ذلك و جعل خير من استأجرت اسما و هو نكرة و القوىّ الامين خبرا و هو معرفة و عبر عن الآتى بلفظ الماضى للمبالغة فى الدلالة على انه حقيق بالاستئجار و ذلك لان ماهو اعنى فهو بالتقديم اولى فان شدة العناية و الاهتمام لما كانت متعلقة بالخيرية قدمت و جعلت اسم ان و نظيره قول الشاعر

* الا ان خير الناس حيا و هالكا * اسير ثقيف عندهم فى السلاسل *

يعنى ان المناسب للمقام بيان ان موسى عليه الصلاة و السلام بخصوصه حقيق بالاستئجار لقوته و امانته لكونها فى صدد تعليل طلبها لاستئجار موسى بخصوصه و ذكرت فى تعليله مايدل على ان مطلق من وجد فيه القوة والامانة حقيق بالاستئجار لتستدل بهذه المقدمة الكلية المسلمة على مدعاها و هو استحقاق موسى للاستئجار ﴿قوله على ان تأجر نفسك منى﴾ على ان يكون المفعول الثانى محذوفا اى تأجر منى نفسك من قولهم أجرت دارى و مملوكى غير ممدود و آجرت ممدودا كلاهما بمعنى اكريتهما و الاول اكثر ﴿قوله او تكون لى اجيرا﴾ من قولهم أجرته اذا كنت له اجيرا او هو من يأجرنى اى يصير اجيرى كما يقال ابوته اذا كنت له ابا و على التقديرين يكون ثمانى حجج منصوبا على الظرفية و على ان تأجرنى فى محل النصب على الحال من كاف انكحك ﴿قوله او تثيبنى الخ﴾ على ان يكون تأجرنى من أجرك بمعنى اثابك فان اصل الاجر الثواب و العوض و كان عليه الصلاة و السلام يعزى بأن يقول أجركم الله الجنة و المفعول الثانى فيه محذوف اى تأجرنى العوض الجميل فيكون ثمانى حجج حالا و يجوز ان يكون مفعولا به بتقدير رعية ثمانى حجج لان العمل هو الذى يقع به الاثابة لانفس الزمان ﴿قوله فاتمامه من عندك﴾ اشارة الى ان قوله فمن عندك خبر مبتدأ محذوف و الجملة جواب الشرط و التزوج على رعى الغنم جائز بالاجماع لانه من باب القيام بامور الزوجة فلا مناقضة بخلاف التزوج على الخدمة فانه لايجوز عندنا لما فيه من الهوان و الذل و الزوج قوام عليها بالنص و المراد بالقوامية المالكية و كونه مستخدما لها فلو جاز امهار الخدمة لصارت مالكة مستخدمة و لصار هو مملوكا خادما فعاد على موضوعه بالنقض ﴿قوله و هذا استدعاء العقد لانفسه﴾ جواب عما يقال كيف صح ان ينكحه احدى ابنتيه من غير تمييز و نكاح المبهم لايصح لانه عقد موضوع لحل الاستمتاع و هو انما يرد على المعينة دون المبهمة و على تقدير تسليم ان المنكوحة معينة فالمهر غير معين لكونه رعية احدى المدتين و هو غير معلومة و ايضا كيف تجوز الاجارة على رعية احدى الاجلين من غير تعيين مدة العمل و ايضا كيف صح ان يمهرها اجارة نفسه فى رعية غنم ابيها مع ان الصداق يجب ان يحصل للمنكوحة لا لابيها باتفاق العلماء و ذلك لانه بدل بضع المرأة فيجب ان تكون منفعة الرعى حاصلة لها لا لابيها * و اجاب عن الاول بان قول شعيب ليس انشاء لعقد النكاح حتى يجب تعيين النكاح بل هو مواعدة مع موسى عليه الصلاة و السلام ذكر له انه يريد شيئين احدهما انكاح احدى ابنتيه اياه و ثانيهما ان يكون موسى اجيرا لرعى الغنم و لامحذور فى الابهام عند المواعدة و الظاهر ان العقد جرى على المعينة و عن الثانى بان قوله على ان تأجرنى ثمانى حجج ليس المقصود منه جعل عمله مهرا لها بل المقصود ان يزوجها اياه بمهر آخر فكان هناك عقدان مختلفان عقد الاجارة بالاجرة المعلومة و عقد النكاح بالمهر المعين و على تقدير ان يكون العمل مهرا لها فلا نسلم ان مدة العمل غير معلومة بل هى متعينة و هى الاجل الاول غاية مافى الباب ان موسى وعد له ان يوفى الاجل الاخير ان تيسر له قبل العقد و عن الثالث ان الاغنام للمنكوحة لا لابيها ثم قال و يجوز ان يكون النكاح جائزا فى تلك الشريعة بشرط ان تكون منفعة العمل فى المدة المعلومة لولى المرأة كما يجوز فى شريعتنا بشرط رعى غنمها فى مدة معلومة ﴿قوله ذلك الذى عاهدتنى فيه قائم بيننا﴾ اشارة الى ان ذلك مبتدأ و الاشارة به الى ماتعاهدا عليه و الظرف الذى بعده خبره و اىّ فى ايما الاجلين منصوب بقضيت و ما زائدة مؤكدة لابهام اىّ و هى شرطية و جوابها فلاعدوان علىّ اى

(قالت احداهما) يعنى التى استدعته (ياابت استأجره) لرعى الغنم (ان خير من استأجرت القوىّ الامين) تعليل جامع يجرى مجرى الدليل على انه حقيق بالاستئجار و للمبالغة فيه جعل خير اسما و ذكر الفعل بلفظ الماضى للدلالة على انه امين مجرب معروف و روى ان شعيبا قال لها و ما اعلمك بقوته و امانته فذكرت اقلال الحجر و انه صوب رأسه حين بلغته رسالته و امرها بالمشى خلفه (قال انى اريد ان انكحك احدى ابنتىّ هاتين على ان تأجرنى) على ان تأجر نفسك منى او تكون لى أجيرا او تثيبنى من أجرك الله (ثمانى حجج) ظرف على الاولين و مفعول به على الثالث باضمار مضاف اى رعية ثمانى حجج (فان اتممت عشرا) عملت عشر حجج (فمن عندك) فاتمامه من عندك تفضلا لا من عندى الزاما عليك و هذا استدعاء العقد لانفسه فلعله جرى على اجرة معينة و بمهر آخر او برعية الاجل الاول و وعده ان يوفى الاخر ان تيسر له قبل العقد و كانت الاغنام للزوجة مع انه يمكن اختلاف الشرائع فى ذلك (و ما اريد ان اشق عليك) بالزام اتمام العشر او المناقشة فى مراعاة الاوقات و استيفاء الاعمال و اشتقاق المشقة من الشق فان مايصعب عليك يشق عليك اعتقادك فى اطاقته و رأيك فى مزاولته (ستجدنى ان شاء الله من الصالحين) فى حسن المعاملة و لين الجانب و الوفاء بالمعاهدة (قال ذلك بينى و بينك) اى ذلك الذى عاهدتنى فيه قائم بيننا لانخرج عنه (ايما الاجلين) اطولهما او اقصرهما (قضيت) وفيتك اياه

لايعتدى علىّ في طلب الزيادة على ما اتممت ووفيت ومن المعلوم انه لايتعدّى عليه بطلب الزيادة على اطول الاجلين لكن جمع بين اطول الاجلين واقصرهما ليعلم ان الوفاء بالاقصر كالوفاء بالاطول فى ان طلب الزيادة عليه ظلم وعدوان كما ان طلب الزيادة على الاطول كذلك ﴿قوله او فلا اكون معتديا﴾ فعلى هذا يكون علىّ متعلقا بمحذوف واقع فى محل خبر لا اى ثابت علىّ اوواقع علىّ وكذا على الوجه الاوّل هو متعلق بمحذوف واقع فى محل خبر لا لكن المعنيان مختلفان من حيث ان المراد بالعدوان على الاوّل اعتداء الغير عليه بطلب الزيادة وعلى الثانى اعتداؤه وظلمه على نفسه بارتكابه الاثم وهو ترك الزيادة عليه فهو على الثانى بمعنى لااثم علىّ ولايجوز ان يكون علىّ متعلقا بعدوان والالكان عدوان مشابها للمضاف من حيث ان كل واحد منهما عامل فيما بعده ومابعدهما متمم ومخصص لهما فكان يجب نصبه لما تقرّر فى النحو من ان اسم لا التى لنفى الجنس اذا كان مضافا اومشابها له يجب نصبه ﴿قوله وهو ابلغ﴾ اى النظم الواقع فى التنزيل ابلغ فى تقرير كونه مخيرا بين الاجلين من ان يقال ان قضيت الاقصى فلا عدوان علىّ وان كان مقتضى الظاهر ان يقال هكذا اذ لايتصوّر عدوان غيره عليه ولاعدوانه على نفسه على تقدير ان يقضى اطول الاجلين حتى يجمع بينهما ويقال ايما الاجلين قضيت فلاعدوان علىّ ﴿قوله تنظرت نصرا والسماكين﴾ اى انتظرت رجلا مسمى بنصر والسماكين طلبا لمعروفهما ولم افرق بين نصر والسماكين فى الجود ولم اعلم ايهما استهلت مواطره علىّ من الغيث والسماكان نجمان السماك الاعزل وهو الذى لاشئ بين يديه والسماك الرامح وهو الذى بين يديه الكواكب وهل السحاب واستهل اذا انصب شديدا ونصر اسم الممدوح بالجود وايهما بسكون الياء اصله ايهما فسكن الياء للضرورة ومن فى قوله من الغيث للبيان والمواطر جمع ماطرة اى سحابة ماطرة وقوله ايهما الخ فيه حذف تقديره لااعلم ايهما انصب علىّ ولما رضى موسى بان يرعى غنم شعيب هذه المدّة باجرة معلومة وعلق شعيب انكاح احدى ابنتيه اياه بالرعى المذكور بان يرعى على ان ينكح هو ابنته اياه وتم العقد الذى جرى بينهما امر شعيب ابنته ان تعطى موسى عصا يدفع بها السباع من غنمه وكانت عصىّ الانبياء عنده فدخلت فاخذت عصا فأتته بها فلما رآها شعيب قال لها ردّى هذه العصا وائتيه بغيرها فدخلت وألقتها وارادت ان تأخذ غيرها فلم يقع فى يدها الاهى حتى فعلت ذلك سبع مرّات فعلم شعيب ان لموسى شأنا واختلفوا فى تلك العصا فقيل كانت من آس الجنة هبط بها آدم من الجنة فتوارثها الانبياء حتى وصلت الى شعيب وقيل كانت تلك العصا استودعها اياه ملك فى صورة رجل ولذلك لم يرض ان يعطيها لموسى وامر ابنته ان تردّها الى موضعها وتأتى بغيرها وقيل ما كانت الاعصا اخذها موسى عليه الصلاة والسلام من عرض واحد من جنس الشجر اى من جانب الشجر وعلى القولين الاوّلين لما اخذها موسى من شعيب واصبح قال له شعيب سق هذه الاغنام الى مفرق الطريق ثم خذ جانب يمينك وليس فيه عشب كثير ولاتأخذ جانب يسارك وفيه عشب كثير لكن فيه تنين اخاف منه عليك وعلى مامعك من المواشى فساق موسى المواشى الى مفرق الطريق فاخذت نحو اليسار ولم يقدر موسى على ضبطها وسرّحها فى الكلأ ونام موسى فخرج التنين فقامت العصا فصار لها شعبتان من حديد وحاربت التنين حتى قتلته وعادت الى موسى فلما انتبه موسى رأى العصا مخضوبة بالدم والتنين مقتولا فارتاح لذلك وعاد الى شعيب فمس الاغنام فاذا هى امثل حالا فسأله عن القصة فاخبره بها ففرح بذلك شعيب واراد ان يجزى موسى عليها فقال كل ماولدت الاغنام فى هذه السنة من اولاد سود فهو لك فكانت الاولاد فى تلك السنة كلها سودا فحازها كلها وفى السنة الثانية شرط ذلك فى البيض فولدت كلها بيضا فحازها جميعا وفى السنة الثالثة قال كل ماولد له لونان سواد وبياض فهو لك فكان الكل كذلك فحازها كلها وعلم شعيب بذلك ان له عند الله منزلة ولما قضى موسى الاجل استأذن شعيبا فى ان يخرج الى مصر مع اهله ليصل اخاه واخته وقرابته التى فيها فاذن له فسار باهله اليها فأظلمت عليه ليلة من الليالى فى الصحراء وهبت ريح شديدة فرّقت ماشيته وضل الطريق واصابهم مطر وبرد شديد واخذ امرأته الطلق فعند ذلك ابصر من جانب الطور نارا فسار اليها ليطلب فيها من يدله على الطريق وهو قوله لعلى آتيكم منها بخبر فانه يدل على انه ضل الطريق وقوله او آتيكم منها بجذوة من النار لعلكم تصطلون يدل على انه اصابهم برد شديد وفى الجذوة ثلاث لغات فتح الجيم وضمها وكسرها مع سكون الذال وقرئ بهنّ جميعا وهى العود الغليظ سواء كان فى رأسه نار اولم يكن واورد بيتين استشهد بأوّلهما على ان الجذوة تطلق على العود الذى لم يكن فى رأسه نار وبالبيت الثانى على انها تطلق على مافى رأسه نار فالبيت الاوّل قوله

❁ باتت حواطب ليلى يلتمسن لهـا ❁ جزل الجذى غير خوّار ولادعر ❁

والمراد بحواطب ليلى جواريها التى يطلبن لها الحطب والجزل الحطب اليابس وماعظم منه ايضا والجذى جمع جذوة وفى الجمع ايضا ثلاث لغات كما فى مفرده والخوّار الضعيف من الخور وهو الضعف والدعر الردئ من قولك دعر العود بالكسر يدعر دعرا فهو عود دعر اى ردئ كثير الدخان ومنه اخذت الدعارة وهى الفسق والخبث والبيت الثانى قوله

❁ والق على قيس من النار جذوة ❁ شديدا عليهـا حرّها والتهابها ❁

اى اهلك قبيلة قيس بأن ألق عليها نار الفتنة والعداوة والجذوة فى الآية هى التى فى رأسها نار بقرينة قوله لعلكم تصطلون ﴿قوله ولذلك﴾ اى ولصحة اطلاق الجذوة على العود الذى فى رأسه نار بينها بقوله من النار جعلها لشدّة تشبث النار بها كأنها نار كلها ﴿قوله اتاه النداء من الشاطئ الايمن لموسى﴾ اشارة الى ان كلمة من فى قوله من شاطئ لابتداء الغاية وان الايمن من اليمين المقابل لليسار لامن اليمن وهو البركة وانه صفة للشاطئ لا للوادى وان كون الشاطئ ايمن انما هو بالنسبة الى موسى وشاطئ الوادى حافته وطرفه ﴿قوله متصل بالشاطئ﴾ من حيث انه متعلق بمحذوف على انه حال من الشاطئ والبقعة قطعة من الارض لاشجر فيها وصفت بكونها مباركة لانه حصل فيها ابتداء الرسالة وتكليم الله تعالى اياه ﴿قوله هذا وان خالف مافى طه والنمل﴾ قال تعالى فى سورة طه نودى ياموسى انى انا ربك وقال فى سورة النمل نودى ان بورك من فى النار ومن حولها وهما مخالفان لما فى هذه السورة من حيث اللفظ الا ان الجميع متوافقة فى المقصود وهو فتح باب الاستنباء وسوق الكلام على وجه يؤدّى اليه ٭ قال الامام لامنافاة بين هذه الاشياء فهو تعالى ذكر الكل الا انه حكى فى كل سورة بعض مااشتمل عليه ذلك النداء ﴿قوله تعالى وأن ألق﴾ اى ونودى ان ألق ﴿قوله اى فألقاها فصارت ثعبانا واهتزت﴾ اى تحركت يريد ان هذه الجمل الثلاث مضمرة فى الآية وصيرورتها ثعبانا قدنص عليها فى سورة الشعراء بقوله تعالى فألقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين ولما كان الثعبان اسما لما يكون عظيم الجثة من الحيات والجانّ اسم للحية الصغيرة الدقيقة الملساء توهم ان يكون قوله كأنها جانّ مناقضا لقوله فاذا هى ثعبان مبين فاشار الى دفعه بقوله كانها جانّ فى الهيئة والجثة اوفى السرعة يعنى ان التناقض انما يكون ان لو قيل انها فى نفسها جانّ ولم يقل هكذا بل الله تعالى شبهها بالجانّ فلا يكون هذا مناقضا لانقلابها ثعبانا عظيم الهيئة والجثة الا ان تشبيهها بالجانّ فى الهيئة والجثة يقوّى جانب المناقضة ظاهرا فوجب ان يكون مراده انها تشبه الجانّ فى الهيئة وقت انقلابها حية ولاينافيه تورّمها وتزايد جرمها بعد ذلك الى ان تبلغ غاية عظم الثعبان لان مشابهتها بالجانّ فى اوّل حالها وبالثعبان فى مآلها ومنتهاها واما قوله اوفى السرعة فواضح اذ لا منافاة بين كونها فى عظم الثعبان وجثته وبين كونها فى سرعة الجانّ وخفته ﴿قوله أدخلها﴾ عبر عن هذا المعنى بثلاث عبارات احداها فى هذه السورة وهو قوله تعالى اسلك يدك فى جيبك وثانيتها قوله فى سورة طه واضمم يدك الى جناحك تخرج بيضاء وثالثتها قوله تعالى فى سورة النمل وأدخل يدك فى جيبك اى فى مدرعتك والمدرعة ثوب من صوف يلبس بدل القميص ولايكون له كم بل ينتهى كمه عند المرفقين ويقال لها زرنباقة وقيل الجيب القميص ﴿قوله بادخال اليمنى تحت عضد اليسرى﴾ فيكون ضم يديه الى نفسه وادخالهما فى الجيب متغايرين من حيث العبارة والمعنى اما اذا فسر ضم اليدين بادخالهما فى الجيب فلايكون التغاير الا فى العبارة لافى المعنى وجاز تكرير الفعل بالمعنى الواحد عند اختلاف الغرض فانه اذا كرر الفعل الواحد ليتعلق بكل غرض آخر صار كأنّ هناك فعلين باعتبار الغرضين كما فى هذه الآية فان الغرض فى قوله تعالى اسلك يدك فى جيبك خروج اليد بيضاء وظهور معجزة اخرى وفى قوله واضمم اليك جناحك اخفاء الرهبة والتجنب عن الغضاضة وهى الذلة والنقصان لدى العدوّ فانه تعالى لما قلب العصا حية فزع موسى عليه الصلاة والسلام واتقاها بيده اى جعل يده حاجزة بينه وبين المخوف فقال تعالى بعد ان امره بادخال يده فى جيبه واضمم اليك جناحك فكأنه قال اذا ألقيتها عند العدوّ اظهاراً للمعجزة فانقلبت حية هائلة مخوفة لاتتق بيديك فان ذلك غضاضة ونقصان عند العدوّ بل اذا ألقيتها فانقلبت حية ادخل يدك فى جيبك ليحصل الامران احدهما اظهار الجرأة والتجنب عما هو غضاضة عليك والثانى اظهار معجزة اخرى ﴿قوله ويجوز ان يراد بالضم التجلد والثبات﴾ استعارة من حال الطائر حين

ولذلك بينه بقوله (من النار) وقرأ عاصم بالفتح وحمزة بالضم وكلها لغات (لعلكم تصطلون) تستدفئون بها (فلما أتاها نودى من شاطئ الوادى الايمن) اتاه النداء من الشاطئ الايمن لموسى (فى البقعة المباركة) متصل بالشاطئ اوصلة لنودى (من الشجرة) بدل من شاطئ بدل الاشتمال لانها كانت نابتة على الشاطئ (ان ياموسى) اى ياموسى (انى انا الله رب العالمين) هذا وان خالف ما فى طه والنمل لفظا فهو طبقه فى المقصود (وأن ألق عصاك فلما رآها تهتز) اى فالقاها فصارت ثعبانا واهتزت فلما رآها تهتز (كأنها جانّ) فى الهيئة والجثة اوفى السرعة (ولّى مدبرا) منهزما من الخوف (ولم يعقب) ولم يرجع (ياموسى) نودى ياموسى (أقبل ولاتخف انك من الآمنين) من المخاوف فانه لايخاف لدىّ المرسلون (اسلك يدك فى جيبك) أدخلها (تخرج بيضاء من غير سوء) عيب (واضمم اليك جناحك) يديك المبسوطتين تتق بهما الحية كالخائف الفزع بادخال اليمنى تحت عضد اليسرى وبالعكس او بادخالهما فى الجيب فيكون تكريرا لغرض آخر وهو ان يكون ذلك فى وجه العدوّ اظهار جرأة ومبدأ لظهور معجزة ويجوز ان يراد بالضم التجلد والثبات عند انقلاب العصا حية استعارة من حال الطائر فانه اذا خاف نشر جناحيه واذا أمن واطمأنّ ضمهما اليه

(من الرهب) من اجل الرهب اى اذا عراك الخوف فافعل ذلك تجلدا وضبطا لنفسك وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى وابو بكر
بضم الرآء وسكون الهاء وقرئ بضمهما
وقرأ حفص بالفتح والسكون والكل لغات
(فذانك) اشارة الى العصا واليد وشدده
ابن كثير وابو عمرو ورويس (برهانان)
حجتان وبرهان فعلان لقولهم ابره الرجل
اذا جاء بالبرهان من قولهم بره الرجل اذا
ابيض ويقال برهاء وبرهرهة للمرأة البيضاء
وقيل فعلال لقولهم برهن (من ربك)
مرسلا بهما (الى فرعون وملئه انهم كانوا
قوما فاسقين) فكانوا أحقاء بان يرسل اليهم
(قال رب انى قتلت منهم نفسا فأخاف
ان يقتلون) بها (واخى هرون هو افصح
منى لسانا فأرسله معى ردءا) معينا وهو
فى الاصل اسم ما يعان به كالدفء وقرأ نافع
ردا بالتخفيف (يصدقنى) بتلخيص الحق
وتقرير الحجة وتزييف الشبهة (انى اخاف
ان يكذبون) ولسانى لا يطاوعنى عند
المحاجة وقيل المراد تصديق القوم لتقرير
وتوضيحه لكنه اسند اليه اسناد الفعل
الى السبب وقرأ عاصم وحمزة يصدقنى
بالرفع على انه صفة والجواب محذوف
(قال سنشد عضدك بأخيك) سنقويك به
فان قوة الشخص بشدة اليد على مزاولة
الامور ولذلك يعبر عنه باليد وشدتها بشدة
العضد (ونجعل لكما سلطانا) غلبة او حجة
(فلا يصلون اليكما) باستيلاء او حجاج
(بآياتنا) متعلق بمحذوف اى اذهبا بآياتنا
او بنجعل اى نسلطكما بها او بمعنى لا يصلون
اى تمتنعون منهم او قسم جوابه لا يصلون
او بيان للغالبون فى قوله (أنتما ومن اتبعكما
الغالبون) بمعنى انه صلة لما بينه او صلة له
على ان اللام فيه للتعريف لا بمعنى الذى
(فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات قالوا ما هذا
الا سحر مفترى) سحر تختلقه لم يفعل قبله
مثله او سحر تعلمه ثم تفتريه على الله او سحر
موصوف بالافترآء كسائر انواع السحر
(وما سمعنا بهذا) يعنون السحر او ادعاء
النبوة (فى آبائنا الاولين) كائنا فى ايامهم
(وقال موسى ربى اعلم بمن جاء بالهدى
من عنده) فيعلم انى محق وانتم مبطلون وقرأ
ابن كثير قال بغير واو لانه قال ما قاله جوابا
لمقالهم ووجه العطف ان المراد حكاية القولين ليوازن الناظر بينهما فيميز صحيحهما من الفاسد

صار ذلك اللفظ مثلا فى امنه شبه الانسان فى حال ثباته وضبطه نفسه بالطير الآمن ثم اثبت له ما هو من لوازم المشبه به وهو ضم الجناح ليكون تخييلا للاستعارة المكنية **﴿قوله اى اذا عراك الخوف﴾** اى اصابك عند رؤية الحية فاضمم اليك جناحك من اجل اصابة ذلك جعل الرهب الذى كان يصيبه عند رؤية الحية سببا وعلة فيما امر به من ضم جناحه اليه عن مجاهد انه قال كل من فزع فضم جناحه اليه ذهب عنه الفزع وقرأ الآية **﴿قوله وقرئ بضمهما﴾** اى فى الشواذ وقرأ حفص بفتح الرآء وسكون الهاء وباقى السبعة بفتحتين **﴿قوله مرسلا﴾** تقدير لمتعلق قوله من ربك الى فرعون وانتصابه على انه حال من كاف الخطاب فى فذانك والعامل فيها معنى الاشارة اى اخاطبك بالاشارة اليهما مرسلا من ربك الى فرعون ويحتمل ان يكون من ربك متعلقا بمحذوف هو صفة برهانان والى فرعون متعلقا بمرسلا المقدر المنصوب على الحالية من كاف ربك والعامل فيها ما فى الاضافة من معنى الفعل وردءا حال من مفعول ارسله اى اجعله رسولا معى الى فرعون وقومه حال كونه معينا يقال ردأته على عدوه اذا اعنته عليه ردأ بالفتح والردء بالكسر اسم لما يعان به فعل بمعنى مفعول كالدفء والصبغ والشبع لما يدفأ به ويصبغ ويشبع فاطلق على المعين الذى يتبع غيره معينا له تسمية للفاعل باسم ما يفعل به وقرئ يصدقنى بالرفع على الوصفية اى ردءا مصدقا وبالجزم جوابا لأرسله وليس طريق تصديقه اياه ان يقول له صدقت او يقول للناس صدق اخى موسى لانه لا يحتاج فيه الى اختصاصه بزيادة الفصاحة لان سحبان وباقلا فيه سوآء وانما طريق تصديقه ان يلخص الحق بلسانه ويجادل الكفار ببيانه وذلك يجرى مجرى التصديق كما يصدق القول بالبرهان **﴿قوله فان قوة الشخص بشدة اليد﴾** يعنى ان سنشد عضدك عبارة عن قوله سنقويك فهو مجاز مرسل على طريق اطلاق السبب وارادة المسبب بمرتبتين فان شدة العضد سبب مستلزم لشدة اليد وشدة اليد مستلزمة لقوة الشخص فشدة العضد سبب لقوة الشخص فى المرتبة الثانية فصح ان تطلق شدة العضد ويراد بها قوة الشخص على طريق المجاز المرسل **﴿قوله غلبة او حجة﴾** يعنى ان السلطان اما بمعنى التسلط والاستيلاء او بمعنى الحجة والبرهان سميت الحجة سلطانا لكونها سببا للتسلط والغلبة **﴿قوله او قسم جوابه لا يصلون﴾** فيه تساهل لان جواب القسم لا يتقدم عليه وايضا لا تدخل الفاء فى جواب القسم عند الجمهور ولعل مراده انه قسم حذف جوابه اعتمادا على دلالة ما قبله عليه **﴿قوله بمعنى انه صلة لما بينه﴾** كأنه قيل بماذا نغلب فأجيب بآياتنا فالباء متعلقة بمحذوف قدر بيانا للغالبون ولا يتعلق بنفس الغالبون لان اللام فيه موصولة بمعنى الذى ولا يتقدم ما فى حيز الصلة عليها الا ان يكون اللام فيه للتعريف لا بمعنى الذى فحينئذ يجوز ان تتعلق الباء به **﴿قوله سحر تختلقه﴾** يريد ان يبين فائدة توصيف السحر بقوله مفترى مع انه قد علم كونه مفترى من تسمية المعجزة سحرا لان من اظهر المعجزة يدعى انها امر خارق للعادة خلقه الله تعالى على يده تصديقا له فى دعواه الرسالة فمن سماها سحرا لزمه ان يجعلها مفترى على الله فلا يظهر لتوصيف السحر به فائدة فالمصنف فسر قوله مفترى بثلاثة اوجه على الاولين يكون صفة مخصصة لقوله سحر لان كل سحر لا يكون كذلك وعلى الثالث يكون صفة مؤكدة مثل نفخة واحدة الوجه الاول ان يكون مختلقا مصنوعا من قبله لم يسبقه احد فيه من قولهم فريت المزادة اى خلقتها وصنعتها وظاهر ان كل سحر لا يكون كذلك لانه كم من سحر يصنعه اكثر السحرة بل جميعهم والثانى ان يكون مسندا الى الله تعالى كذبا ولا يكون كل سحر مفترى على الله تعالى ويكون لفظ هذا اشارة الى خصوص ما اظهره موسى عليه الصلاة والسلام مع قطع النظر عن انه عليه الصلاة والسلام اظهره ليكون معجزة والثالث ان يكون بمعنى مكذوب فيه اى فى ادعاء ان حقيقة العصا قد انقلبت ثعبانا مبينا بل هو من قبيل التمويه والتلبيس كما هو شأن كل سحر **﴿قوله كائنا فى ايامهم﴾** اشارة الى ان فى آبائنا فى محل النصب على انه حال من هذا فاجمل موسى عليه الصلاة والسلام فى جوابهم تلطفا فى الخطاب واثارا لأحسن الوجوه فى المجادلة معهم فقال ربى اعلم بمن جاء بالهدى من عنده والمعنى ما جئتكم به حق وهدى وليس بسحر وربى عالم بذلك وانتم مبطلون **﴿قوله لانه قال ما قاله جوابا لمقالهم﴾** فان الجملة الثانية اذا كانت كالمتصلة بالاولى لكونها جوابا لسؤال اقتضته الاولى تنزل الاولى منزلة السؤال فتنفصل الثانية عنها كما ينفصل الجواب عن السؤال لما بينهما من الاتصال ويسمى الفصل لكون الثانية جوابا لسؤال اقتضته الاولى استئنافا كما تسمى نفس الجملة الثانية بذلك ووجه القرآءة المشهورة ان المراد حكاية قولهم ذلك وقول موسى هذا بعطف احدهما على الاخرى ليوازن الناظر بين القول والقول ويعرف فساد احدهما

(ومن تكون له عاقبة الدار) العاقبة المحمودة فان المراد بالدار الدنيا وعاقبتها الاصلية هى الجنة لانها خلقت مجازا الى الآخرة والمقصود منها بالذات هو الثواب والعقاب انما قصد بالعرض وقرأ حمزة والكسائى يكون بالياء (انه لايفلح الظالمون) لايفوزون بالهدى فى الدنيا وحسن العاقبة فى العقبى (وقال فرعون ياأيها الملأ ماعلمت لكم من اله غيرى) نفى علمه باله غيره دون وجوده اذ لم يكن عنده مايقتضى الجزم بعدمه ولذلك امر ببناء الصرح ليصعد عليه ويطلع على الحال بقوله (فأوقدلى ياهامان على الطين فاجعل لى صرحا لعلى اطلع الى اله موسى) كأنه توهم انه لو كان لكان جسما فى السماء يمكن الترقى اليه ثم قال (وانى لأظنه من الكاذبين) او اراد ان يبنى له رصدا يترصد منه اوضاع الكواكب فيرى هل فيها مايدل على بعثة رسول وتبدل دولة وقيل المراد بنفى العلم نفى المعلوم كقوله اتنبئون الله بما لايعلم فى السموات ولا فى الارض فان معناه بما ليس فيهن وهذا من خواص العلوم الفعلية فانها لازمة لتحقق معلوماتها فيلزم من انتفائها انتفاؤها ولا كذلك العلوم الانفعالية قيل اول من اتخذ الآجر فرعون ولذلك امر باتخاذه على وجه يتضمن تعليم الصنعة مع ما فيه من تعظيم ولذلك نادى هامان باسمه بيا فى وسط الكلام (واستكبر هو وجنوده فى الارض بغير الحق) بغير استحقاق (وظنوا انهم الينا لايرجعون) بالنشور وقرأ نافع وحمزة والكسائى بفتح الياء وكسر الجيم (فأخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم) كما مر بيانه وفيه فخامة وتعظيم لشأن الآخذ واستحقار للمأخوذين كأنه اخذهم مع كثرتهم فى كف وطرحهم فى اليم ونظيره وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه (فانظر) يامحمد (كيف كان عاقبة الظالمين) وحذر قومك عن مثلها (وجعلناهم ائمة) قدوة للضلال بالحمل على الاضلال

وصحة الآخر فان الواو تفيد جمع القولين فى ذهن السامع فيميز بين الصحيح والسقيم لان كل شئ يميز بضده **﴿قوله لانها خلقت مجازا الى الآخرة﴾** يعنى ان الدنيا خلقت موضع الجواز والمرور الى الآخرة والمقصود بالذات من الآخرة انما هو الثواب والجنة والعقاب انما حصل من سوء اختيار العصاة فالعاقبة الاصلية للدنيا هى الجنة لان العاقبة السوءى لااعتداد بها لانها من نتائج ايثار اللذات العاجلة على الحظوظ الباقية ومما يدل على ان المراد بالعاقبة العاقبة المحمودة قوله تعالى اولئك لهم عقبى الدار جنات عدن فان المراد من الدار الدنيا وقد صرح بان عقباها الجنة **﴿قوله وقرأ حمزة والكسائى يكون بالياء﴾** اى من تحت للفصل بينه وبين اسمه ولكون تأنيث العاقبة غير حقيقى وقرأ العامة تكون بالتاء الفوقية لتأنيث العاقبة فانه اسم كان وله خبرها **﴿قوله نفى علمه باله غيره دون وجوده﴾** اى لم ينف وجود اله غيره بان يقول ليس لكم اله غيرى بناء على انه لم يكن عنده مايقتضى الجزم بانتفائه واثبت الهية نفسه حيث قال من اله غيرى فكان عنده مايقتضى الجزم بالهيته والظاهر انه لايريد بالهية نفسه كونه خالقا للسموات والارض وما فيهما من الذوات والصفات فان العلم بامتناع ذلك مما لايخفى على احد فالشك فى ذلك يقتضى زوال العقل بالكلية فالمخذول كان يظن ان هذه الكواكب والافلاك كافية فى خلق احوال هذا العالم السفلى فلاحاجة الى اثبات صانع فلهذا قال ماعلمت لكم من اله غيرى وكان يقول لايجب على الناس الا ان يطيعوا ملكهم وينقادوا لامره كما قيل

لايصلح الناس فوضى لاسراة لهم ❁ ولاسراة اذا جهالهم سادوا

وهذا هو المراد من ادعائه الالهية لاكما يظن من انه يدعى كونه خالقا للسموات والارض الا ان قوله هذا فيه نوع مناقضة لقول اصحابه فى حق موسى ويذرك وآلهتك فان من يزعم تفرده بالالوهية كيف يكون له آلهة فكأنه قال هذا الكلام للملأ واشراف قومه بخصوصهم فانه كان اتخذ للاتباع والسفلة اصناما يعبدونها وجعل للملأ عبادة نفسه فانه لما لم ير الاتباع اهلا لعبادة نفسه جعل لهم عبادة الاصنام من حيث انه لم يرهم اهلا لعبادته **﴿قوله ولذلك امر ببناء الصرح﴾** اى امر باتخاذه على وجه يتضمن تعليم الصنعة حيث قال اوقدلى على الطين ولم يقل اطبخ لى الآجر واتخذه والوجه فى كون التعريض بتعليم الصنعة مبنيا على التعظيم ان ايقاد النار على الشئ المسمى بالطين امر هين حقير يقدر عليه العجائز والصبيان فيكون التعبير عن الامر بطبخ الآجر الذى يكفى لبناء الصرح المذكور بقوله اوقدلى على الطين مبنيا على الاهانة بطبخه وعدم الاعتداد به ولان طبخ الآجر صنعة خسيسة لايليق بالملوك وعظماء الناس ان يأمروا بها ويذكروا اسمها على ملأ الناس فهذا معنى قوله مع مافيه من تعظيم وكذلك كل واحد من نداء وزيره باسم العلم من غير تكنية وتلقيب ونداءه بحرف يا الموضوع لنداء البعيد مع كون المنادى قريبا ونداءه فى وسط الكلام مع ان العادة تقديم النداء على المنادى له مبنى على التعظيم والتجبر ودليل عليه اما كون الاولين مبنيين على التعظم فظاهر واما كون الثالث مبنيا عليه فلأنه لو قدم النداء وقيل يا هامان اوقدلى لزم ان يقدم ذكر هامان على ذكر نفسه ولم يرض به تعظما وتجبرا **﴿قوله كأنه اخذهم مع كثرتهم﴾** روى ان جنوده يوم خرج خلف موسى كانوا الف الف وستمائة الف فان افعال العباد واقعة باسباب ومرجحات تفيض عليهم من عنده تعالى وذلك ان كان نحو طاعة يسمى توفيقا ولطفا وان كان نحو معصية يسمى خذلانا وطبعا كذا ذكره فى شرح المصابيح **﴿قوله بالحمل على الاضلال﴾** متعلق بقوله وجعلناهم ائمة اى صيرناهم قدوة لاهل الضلال بان حملناهم على اضلال اولئك فالآية من جملة ماتمسك به اصحابنا فى انه تعالى خالق للخير والشر حيث ذكر فيها انه تعالى جعلهم قادة ورؤساء يدعون اتباعهم الى عمل يوجب النار من الكفر وانواع المعاصى كما ذكر فى حق الرسل واهل الخير انه تعالى جعلهم ائمة يدعون الى الحق والهدى حيث قال وجعلناهم ائمة يهدون بأمرنا فدل ذلك على انه كان من الله تعالى فى حق اهل الخير صنع حتى صاروا بذلك ائمة الخير ولم يكن ذلك منه فى حق اهل الشر والضلال ولو كان الامر كما زعمت المعتزلة من ان رعاية الاصلح واجبة عليه تعالى وهو منحة الالطاف لامنعها ولم يكن من الله تعالى عناية خاصة بالرسل وقادة الخير بل كان ذلك منه لكل كافر وفاسق لما كان لقوله فى حق احد الفريقين جعلناهم ائمة يدعون الى النار وفى حق الآخر جعلناهم ائمة يدعون الى الهدى والصراط المستقيم وجه فدل ذلك على انه كان منه فى احد الفريقين ماصاروا به ائمة الخير وفى حق الآخر ماصاروا به ائمة الشر غاية مافى الباب انه جعل كل فريق اماما يقتدى به فيما هو عليه من الطاعة

(والعصيان)

والعصيان فكانوا ائمة بحسب اعمالهم فظن بذلك ان ما كان من الله تعالى اليهم فهو على السوآء فيما بينهم وما كان بينهم من التفاضل ليس الا بحسب تفاوت اعمالهم لا بان الله تعالى جعل بعضهم ائمة الخير وبعضهم ائمة الشر وليس كذلك لان ما صدر عنهم من الخير والشر وان كان سببا لجعلهم ائمة فيما هم عليه من الخير والشر الا انه تعالى له صنع فى ذلك السبب فان فعلهم لا يتحقق بلا اقدار الله تعالى اياهم عليه باعطاء الآلة والقدر والاختيار ونحو ذلك فتى اضيف الجعل اليه تعالى نظر الى كونه تعالى موجدا لحقيقة الفعل والاسباب جميعا ولو اضيف الى فعل العباد نظر الى مجرد قيام الفعل بهم وكسبهم اياه من غير ان يكون لهم مدخل فى اسباب وجوده فكان اضافته اليه تعالى وقد وجد منه حقيقة الفعل والاسباب اولى من اضافته اليهم ولم يوجد منهم الا الفعل دون الاسباب والله اعلم

قوله وقيل بالتسمية اى قالت المعتزلة الجعل محمول على التسمية كما فى قوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا وكما فى قولهم جعله بخيلا وفاسقا بمعنى سماه بخيلا فمعنى الآية وسميناهم ائمة دعاة الى النار وقلنا انهم كذلك وهو معطوف على قوله بالخذل وكذا او بمنع الالطاف وهى الامور المقربة الى الله تعالى يعنى الاتيان بالطاعة والاجتناب عن المعاصى فانه تعالى يمنعها عمن علم انها لا تنفع فيه وهو المصمم على الكفر الذى لا تغنى عنه الآيات والنذر والقول بانه تعالى خذلهم ومنع عنهم الالطاف لا ينافى مذهبهم من ان رعاية الاصلح واجبة عليه تعالى لانهم يقولون انما خذلوا ومنع عنهم الالطاف من جهة انفسهم وهو تصميمهم على الكفر **قوله من المطرودين** على انه من القبح بمعنى الابعاد والطرد يقال قبحه الله تعالى اى نحاه عن الخير **قوله انوارا لقلوبهم** يعنى ان بصائر جمع بصيرة وهى نور القلب الذى يبصر به الرشد والسعادة كما ان البصر نور العين الذى تبصر به المحسوسات وبصائر حال من الكتاب اى آتيناه الكتاب انوارا للقلوب اى مشبها بانوار القلوب من حيث ان القلوب لو كانت خالية عن انوار التوراة وعلومها لكانت عمياء لا تستبصر ولا تعرف حقا من باطل فأوقع بصائر حالا من الكتاب ليؤذن بشدة احتياج القوم الى ما تنفتح به قلوبهم العمياء **قوله ليكونوا على حال يرجى منهم التذكر** يعنى ان لعل للترجى الا انه لما كان مستحيلا منه تعالى صرف الى من يعرف حال الكتاب ويتمكن بسببه من ادراك الحق وقبوله ومنهم من شبه الارادة بالترجى من حيث ان كل واحد منهما متعلق بامر كائن فاستعار الترجى للارادة اصالة ثم لعل تبعا ففسر قوله تعالى لعلهم يتذكرون بقوله ارادة ان يتذكروا قال القاضى عبد الجبار وذلك يدل على ارادة التذكر من كل مكلف سوآء اختار ذلك ام لم يختره ففيه ابطال مذهب الجبرية الذين يقولون ما اراد التذكر الا ممن يتذكر فاما من لا يتذكر فقد كره ذلك منه ونص القرآن دافع لهذا القول وهذه الدلالة مبنية على كون الترجى مستعارا للارادة وهو غير مسلم واشار المصنف بقوله وفيه ما عرفت الى انه تعالى لو اراد من كل مكلف ان يتذكر بما فيه من المواعظ والبصائر لوجب ان لا يموت احد على الكفر والضلال لئلا يلزم تخلف المراد عن ارادة الله تعالى **قوله يريد الوادى** يعنى ان الغربى صفة موصوف محذوف وهو الوادى او الطور والتقدير وما كنت بجانب الوادى الغربى من مقام موسى او بجانب الطور الغربى منه والوجه فى ارتكاب الحذف ان الغربى لو جعل صفة للجانب وكان اصل الكلام وما كنت بالجانب الغربى لزم ان يكون اضافة الجانب الى الغربى من اضافة الموصوف الى صفته وهى ليست بجائزة عند البصريين لكونها فى قوة اضافة الشئ الى نفسه فان الصفة هى الموصوف فى المعنى فانك اذا قلت جاءنى زيد الظريف فلفظ الظريف يدل على شئ متعين فى نفسه حصلت له الظرافة الا انه مجهول من حيث كونه مدلول هذا اللفظ فاذا اضفت زيدا الى الظريف لزم اضافة زيد الى زيد فلذلك ذهب البصريون الى امتناع اضافة الموصوف الى صفته والتجأوا فى قوله تعالى بجانب الغربى وقوله وذلك دين القيمة وقوله لحق اليقين وقوله ولدار الآخرة الى تقدير موصوف وقالوا تقديرها جانب المكان الغربى ودين الملة القيمة وحق الشئ اليقين ودار الساعة الآخرة ثم حذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه والكوفيون جوزوا اضافة الموصوف الى صفته مطلقا والمصنف بنى قوله او الجانب الغربى منه على مذهبهم حيث جعل الغربى صفة للجانب ولم يقدر موصوفا آخر **قوله للوحى اليه او على الموحى اليه** الاول على ان يكون الشاهد من الشهود بمعنى الحضور والثانى على ان يكون من الشهادة والمعنى ما كنت حاضرا فى المكان الذى اوحينا فيه الى موسى عليه الصلاة والسلام ولا كنت من جملة الشاهدين للوحى اليه او على الموحى اليه حتى يكون وقوفك على ما جرى من امر موسى عليه الصلاة والسلام فى ميقاته واخبارك به من جهة المشاهدة * فان قيل لما قال وما كنت بجانب الغربى ثبت انه

وقيل بالتسمية كقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا او بمنع الالطاف الصارفة عنه (يدعون الى النار) الى موجباتها من الكفر والمعاصى (ويوم القيامة لا ينصرون) بدفع العذاب عنهم (وأتبعناهم فى هذه الدنيا لعنة) طردا عن الرحمة او لعن اللاعنين يلعنهم الملائكة والمؤمنون (ويوم القيامة هم من المقبوحين) من المطرودين او ممن قبح وجوههم (ولقد آتينا موسى الكتاب) التوراة (من بعد ما اهلكنا القرون الاولى) اقوام نوح وهود وصالح ولوط (بصائر للناس) انوارا لقلوبهم تبصر بها الحقائق وتميز بين الحق والباطل (وهدى) الى الشرآئع التى هى سبل الله تعالى (ورحمة) لانهم لو عملوا بها نالوا رحمة الله (لعلهم يتذكرون) ليكونوا على حال يرجى منهم التذكر وقد فسر بالارادة وفيه ما عرفت (وما كنت بجانب الغربى) يريد الوادى او الطور فانه كان فى شق الغرب من مقام موسى او الجانب الغربى منه والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم اى ما كنت حاضرا (اذ قضينا الى موسى الامر) اذ اوحينا اليه الامر الذى اردنا تعريفه (وما كنت من الشاهدين) للوحى اليه او على الموحى اليه

وهم السبعون المختارون لميقات والمراد الدلالة على أنّ اخباره عن ذلك من قبيل الاخبار عن المغيبات التي لاتعرف الا بالوحي ولذلك استدرك عنه بقوله (ولكنا أنشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر) اى ولكنا اوحيناه اليك لانا انشأنا قرونا مختلفة بعد موسى فتطاولت عليهم المدد فحرّفت الاخبار وتغيرت الشرآئع واندرست العلوم فحذف المستدرك واقام سببه مقامه (وماكنت ثاويا) مقيما (فى اهل مدين) شعيب والمؤمنين به (تتلو عليهم) تقرأ عليهم تعلما منهم (آياتنا) التي فيها قصتهم (ولكنا كنا مرسلين) اياك ومخبرين لك بها (وماكنت بجانب الطور اذ نادينا) لعل المراد به وقت اعطائه التوراة وبالاوّل حينما استنبأه لانهما المذكوران فى القصة (ولكن رحمة من ربك) ولكن علمناك رحمة وقرئت بالرفع على هذه رحمة (لتنذر قوما) متعلق بالفعل المحذوف (ماأتاهم من نذير من قبلك) لوقوعهم فى فترة بينك وبين عيسى وهى خمسمائة وخمسون سنة او بينك وبين اسمعيل على ان دعوة موسى وعيسى كانت مختصة ببنى اسرآئيل وماحواليهم (لعلهم يتذكرون) يتعظون (ولولا ان تصيبهم مصيبة بماقدّمت ايديهم فيقولوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا) لولا الاولى امتناعية والثانية تحضيضية واقعة فى سياقها لانها مما اجيبت بالفاء تشبيها لها بالامر مفعول يقولوا المعطوف على تصيبهم بالفاء المعطية معنى السببية المنبهة على ان القول هو المقصود بان يكون سببا لانتفاء مايجاب به وانه لايصدر عنهم حتى تلجئهم العقوبة والجواب محذوف والمعنى لولا قولهم اذا اصابتهم عقوبة بسبب كفرهم ومعاصيهم ربنا هلا ارسلت الينا رسولا يبلغنا آياتك فنتبعها ونكون من المصدّقين ماارسلناك اى انما ارسلناك قطعا لعذرهم والزاما للحجة عليهم (فنتبع آياتك) يعنى الرسول المصدّق بنوع من المعجزات

لم يكن شاهدا لان الشاهد لابدّ وان يكون حاضرا فما الفائدة فى اعادة قوله وما كنت من الشاهدين * فالجواب يظهر مما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال التقدير لم تحضر ذلك الموضع ولو حضرت ماشهدت ماوقع فيه مماجرى على موسى فانه يجوز ان يكون هناك ولايشهد ولايرى ماكان فيه ﴿ قوله المختارون لميقات ﴾ الميقات هو الوقت المحدود المضروب للفعل ثم استعير منه للمكان كما فى قولهم مواقيت الحج وكما فى هذا الموضع لان المراد المكان الذى عينه الله تعالى لمناجاة موسى عليه الصلاة والسلام ربه وتكليمه فيه وقوله تعالى تتلو عليهم يجوز ان يكون حالا من الضمير فى ثاويا وان يكون خبرا ثانيا اى لم تشاهد ماتقدمك من الاحوال فتخبر بها اهل مكة عن مشاهدة ولكنا ارسلناك اليهم رسولا تحيي آثارهم وتظهر سنتهم واعلامهم وانزلنا عليك هذه الاخبار ولولا ذلك لماعلمتها ولما اخبرت بها والمقصود اثبات نبوّته صلى الله عليه وسلم بالمعجزة الدالة على صدقه فى دعوى النبوّة فكأنه قال ان فى اخبارك من هذه الاشياء من غير حضور ولامشاهدة ولاتعلم من اهله دلالة ظاهرة على نبوّتك لانه تعالى لايطلع على غيبه احدا الامن ارتضى من رسول ﴿ قوله لعل المراد به ﴾ يعنى انه تعالى لمابين قصة موسى عليه الصلاة والسلام قال لرسوله صلى الله عليه وسلم وماكنت بجانب الغربىّ ثم قال وماكنت ثاويا فى اهل مدين ثم قال وماكنت بجانب الطور للدلالة على انه عليه الصلاة والسلام لمالم يكن حاضرا فى هذه المواضع التى جرى فيها على موسى ماجرى من الاحوال العظيمة ثم اخبر بتلك الاحوال على ماجرت ووقعت من غير ان يشاهدها ويتعلمها من احدثبت به انه رسول بعثه الله تعالى وعرّفه هذه الاحوال رحمة من ربه وتفضلا منه عليه فوجب ان تكون المواضع المذكورة وماجرى فيها من الاحوال امورا متغايرة اختار المصنف فى وجه مغايرتها ان يكون المراد بالاوّل حيث استنبأه فى اثناء رجوعه من مدين الى مصر وبالثانى ماتقدم عليه من اقامته فى مدين مع شعيب وبالثالث وقت اعطائه التوراة بناحية الطور اذ جاء لميقات ربه مع السبعين فكلمه ربه واعطاه الالواح وناداه ربه بقوله ياموسى خذ الكتاب بقوّة واشار اوّلا بقوله او على الموحى اليه الى جواز ان يكون المراد بالاوّل حيث انزل عليه التوراة فيكون المراد بالثالث حيث استنبأه فى ليلة المناجاة والله اعلم ﴿ قوله متعلق بالفعل المحذوف ﴾ اى ولكن علمناك او ارسلناك لتنذر قوما ماأتاهم من نذير من قبلك وهم العرب على رجاء تذكرهم واتعاظهم فان دعوة عيسى عليه الصلاة والسلام ان كانت مختصة ببنى اسرآئيل تكون العرب واقعة فى فترة بين رسول الله عليه الصلاة والسلام وبين اسمعيل عليه الصلاة والسلام وان تناولتهم ايضا يكونون فى فترة بينه وبين عيسى عليه الصلاة والسلام فقوله ماأتاهم من نذير فى موضع نصب على انه صفة لقوما وما فيه نافية ﴿ قوله لولا الاولى امتناعية ﴾ لولا الامتناعية هى التى تدل على امتناع القضية الثانية لوجود القضية الاولى والقضية الثانية هى جوابها وهو محذوف ههنا وهو ماارسلناك اليهم وهى ههنا دلت على امتناع عدم الارسال لوجود قولهم اذا اصابتهم عقوبة بسبب كفرهم ومعاصيهم على تقدير عدم الارسال ربنا هلا ارسلت الينا رسولا الخ وقوله ان تصيبهم فى موضع رفع بالابتدآء وقوله فيقولوا عطف على مافى حيزان اى لولا اصابتهم مصيبة بسبب ماقدمته ايديهم من الشرك والمعاصى فقولهم ربنا لولا ارسلت الخ ماارسلناك يعنى ان الحامل على ارسال الرسل ازاحة عللهم بهذا القول ولما كان اكثر الاعمال مزاولا بالايدى جعل كل عمل معبرا عنه بانه كسب اليد وان كان من اعمال القلوب وهذا من الاتساع فى الكلام وجعل الاقل تابعا للاكثر وعطف المعاصى على الكفر فى قوله بسبب كفرهم ومعاصيهم اشارة الى ان الكفار كما يعذبون بترك الايمان يعذبون بارتكاب مايعلم حرمته بالدلائل العقلية من الكبائر والصغائر والفاء فى قوله فيقولوا عاطفة وفى قوله فنتبع فاء جواب لولا التحضيضية فانها مما اجيب بالفاء لكونها فى حكم الامر من حيث ان الامر باعث على الفعل والباعث والمحضض من واد واحد والفاء تدخل فى جواب الامر فكذا فى جواب ماهو فى حكمه ﴿ قوله مفعول يقولوا ﴾ خبر بعد خبر لقوله والثانية ﴿ قوله وانه لايصدر عنهم الخ ﴾ اى المنبهة على ان ذلك القول لايصدر عنهم حتى تلجئهم العقوبة اليه والمقصود الجواب عما يقال ماالفائدة فى هذا التطويل امايكفى ان يقال لولا ان يقولوا هذا العذر لما ارسلناك * وتقرير الجواب انه ارتكب هذا التطويل للدلالة على انهم لولم يعاقبوا وقد عرفوا بطلان دينهم لماقالوا ذلك القول بل انما يقولونه اذا لامسهم العقاب فيدل ذلك على انهم لم يذكروا هذا العذر تأسفا على كفرهم بل لانهم ما اطاقوا العذاب وفيه تنبيه على استحكام كفرهم ورسوخه فيهم

(ونكون من المؤمنين فلما جاءهم الحق) يعنى الرسول المصدّق بنوع من المعجزات (من عندنا قالوا لولا اوتى مثل مااوتى موسى) من الكتاب جملة و اليد و العصا و غيرها اقتراحا وتعنتا (أولم يكفروا بما اوتى موسى من قبل) يعنى ابناء جنسهم فى الرأى و المذهب وهم كفرة زمان موسى وكان فرعون عربيا من اولاد عاد (قالوا ساحران) يعنون موسى وهرون او موسى ومحمدا (تظاهرا) تعاونا باظهار تلك الخوارق اوبتوافق الكتابين وقرأ الكوفيون سحران بتقدير مضاف اوجعلهما سحرين مبالغة او اسناد تظاهرهما الى فعلهما دلالة على سبب الاعجاز وقرئ اظاهرا على الادغام (وقالوا انا بكل كافرون) اى بكل منهما او بكل الانبياء (قل فأتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما) مما نزل على موسى و علىّ و اضمارهما لدلالة المعنى وهو يؤيد ان المراد بالساحرين موسى و محمد عليهما الصلاة و السلام (أتبعه ان كنتم صادقين) انا ساحران مختلقان و هذا من الشروط التى يراد بها الالزام و التبكيت و لعل مجيئ حرف الشك للتهكم بهم (فان لم يستجيبوا لك) دعاءك الى الاتيان بالكتاب الاهدى فحذف المفعول له للعلم به و لان فعل الاستجابة يعدّى بنفسه الى الدعاء و باللام الى الداعى فاذا عدّى اليه حذف الدعاء غالبا كقوله

وداع دعايا من يجيب الى الندى * فلم يستجبه عند ذاك مجيب *

(فاعلم انما يتبعون اهوآءهم) اذلو اتبعوا حجة لأتوا بها (ومن أضل ممن اتبع هواه) استفهام بمعنى النفى (بغير هدى من الله) فى موضع الحال للتأكيد او التقييد فان هوى النفس قد يوافق الحق (ان الله لا يهدى القوم الظالمين) الذى ظلموا انفسهم بالانهماك فى اتباع الهوى (ولقد وصلنا لهم القول) اتبعنا بعضه بعضا فى الانزال ليتصل التذكير او فى النظم لتتقرّر الدعوة بالحجة و المواعظ بالمواعيد و النصائح بالعبر (لعلهم يتذكرون) فيؤمنون و يطيعون (الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون) نزلت فى مؤمنى اهل الكتاب وقيل فى اربعين من اهل الانجيل اثنان وثلاثون جاؤا مع جعفر من الحبشة و ثمانية من الشام و الضمير فى من قبله للقرآن كالمستكنّ فى (و اذا يتلى عليهم قالوا آمنا به) اى بانه كلام الله تعالى (انه الحق من ربنا) استئناف لبيان مااوجب ايمانهم به (انا كنا من قبله مسلمين) استئناف آخر للدلالة على ان ايمانهم به ليس مما احدثوه حينئذ وانما هو امر تقادم عهده لما رأوا ذكره فى الكتب المتقدمة وكونهم على دين الاسلام قبل نزول القرآن او تلاوته عليهم باعتقادهم صحته فى الجملة (اولئك يؤتون اجرهم مرّتين) مرّة على ايمانهم بكتابهم ومرّة على ايمانهم بالقرآن (بما صبروا) بصبرهم و ثباتهم على الايمانين او على الايمان بالقرآن قبل النزول و بعده او على اذى من هاجرهم من اهل دينهم (ويدرأون بالحسنة السيئة) ويدفعون بالطاعة المعصية لقوله عليه الصلاة و السلام أتبع الحسنة السيئة تمحها (ومما رزقناهم ينفقون) فى سبيل الخير (واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه) تكرّما (وقالوا) للاغين (لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم) متاركة لهم و توديعا او دعاء لهم بالسلامة عما هم فيه (لا نبتغى الجاهلين) لا نطلب صحبتهم ولا نريدها

﴿قوله يعنى ابناء جنسهم﴾ يعنى ان الكلام مسوق لتوبيخ اهل مكة بانهم اقترحوا من الآيات ماظهر به عنادهم فقالوا لولا اوتى مثل مااوتى موسى فكأنه تعالى قال لو عذبناهم قبل الارسال لقالوا هلا ارسلت الينا رسولا وقد ارسلنا الى اهل مكة فقالوا لولا اوتى مثل الخ فقبل البعثة تعللوا بشبهة و بعد البعثة باخرى فليس شأنهم الا الدفع و العناد ثم قيل فى حقهم لبيان ان اقتراحهم هذا ليس لطلب اليقين بل لمجرّد التعنت و العناد اذلو كان لطلب اليقين لما كفروا بما اوتى موسى عليه الصلاة و السلام وقوله اولم يكفروا بما اوتى موسى قيل الظاهر ان يكون ضمير يكفروا راجعا الى كفار مكة الا انهم لما لم يكفروا بما اوتى موسى حيث لم يكونوا موجودين فى عصره بل الذين كفروا هم الذين كانوا فى زمانه جعل ضمير لم يكفروا راجعا الى ابناء جنسهم وجعلهم مع كفار مكة بمنزلة جماعة واحدة من حيث اشتراكهم فى التعنت و اللجاج فلما كفر هؤلاء بما شاهدوه من آيات موسى عليه الصلاة و السلام فكفار مكة اولى بالكفر به لانهم مثل اولئك فى العناد بل هم اعتى و اطغى او هو توبيخ للعرب بالذات بناء على ماروى عن الحسن انه قال قد كان للعرب اصل فى ايام موسى فمعناه على هذا اولم يكفر آباؤهم وقالوا فى موسى وهرون ساحران تظاهرا ﴿قوله بتقدير مضاف﴾ اى هما ذوا سحرين و على هذا كان ينبغى ان يفرد سحر لكنه ثنى تنبيها على التنويع ﴿قوله او اسناد تظاهرهما الى فعلهما﴾ اى الى مافعلوه واظهروه من الكتابين و على الاوّلين يكون التظاهر مسندا الى نفس النبيين لان الضمير فى قولهم هما ساحران راجع اليهما و على هذا يكون الضمير راجعا الى كتابيهما فيكون التظاهر مسندا الى الكتابين دلالة على سبب اعجاز القرآن ﴿قوله تعالى وقالوا انا بكل كافرون﴾ معطوف على قوله قالوا ساحران و لما اقترح المشركون تعنتا وعنادا بقولهم لولا اوتى مثل مااوتى موسى و اجاب الله تعالى عن اقتراحهم بقوله اولم يكفروا بما اوتى موسى من قبل اى من قبل محمد عليه الصلاة و السلام او من قبل هذا القول بين كيفية كفرهم بما اوتى موسى من وجهين الاوّل قولهم ساحران تظاهرا و الثانى قولهم انا بكل كافرون ثم انه تعالى لما اجاب عن اقتراحهم ببيان انهم متعنتون فيه امر رسوله عليه الصلاة و السلام بان يتحداهم بما يحقق عجزهم عنه ليكون ذلك حجة على صدقه فى دعوى الرسالة فقال قل فأتوا بكتاب من عند الله الآية وقوله أتبعه مجزوم على انه جواب الامر وهو فأتوا وقرئ أتبعه بالرفع استئنافا اى فأنا اتبعه ﴿قوله وهذا من الشروط التى يراد بها الالزام و التبكيت﴾ لان مثل هذا الشرط انما يذكر ممن يثق بأمره ويعتمد على صحته كقول العامل لمن اخر جعله ان لم اعمل لك فلا تعطنى العمل ﴿قوله فحذف المفعول﴾ فان استجاب بمعنى اجاب وهو يقتضى الدعاء البتة و يتعدى اليه * فان قيل فاين الدعاء من قبله عليه الصلاة و السلام * قلنا هو امره اياهم بقوله فأتوا بكتاب من عند الله فان الامر بعث على الفعل ودعاء اليه ﴿قوله ولان فعل الاستجابة يعدّى بنفسه الى الدعاء﴾ فيقال استجاب دعاءه و باللام الى الداعى فيقال استجاب له فاذا عدّى الى الداعى كما فى الآية حذف الدعاء غالبا فلا يقال استجاب له دعاءه الا نادرا فحذف الدعاء فى الآية ايضا اتباعا للعرف الغالب و الاوّل كما فى البيت

وداع دعايا من يجيب الى الندى * فلم يستجبه عند ذاك مجيب *
فقلت ادع اخرى وارفع الصوت جهرة * لعل ابى المغوار منك قريب *

اى رب داع دعا هل من مجيب الى الندى اى هل احد يمنح المستمنحين فلم يجبه احد واورد البيت استشهادا على تعديته الى الدعاء بنفسه بناء على ان تقديره فلم يستجب دعاءه على حذف المضاف فمعنى الآية فان لم يستجيبوا لك فيما تدعوهم اليه ولم يأتوا بمثل التوراة و الانجيل و القرآن فاعلم انما يتبعون اهوآءهم وان ما ارتكبوه من الكفر لاحجة لهم فيه ثم ذمهم على ايثارهم الهوى على الهدى بقوله ومن اضل الآية وهذا من اعظم الدلائل على فساد التقليد وانه لابدّ من الحجة و الاستدلال ﴿قوله اتبعنا بعضه بعضا﴾ يعنى ان التوصيل بمعنى الوصل ضدّ القطع و اصله من وصل الحبل و المراد بهذا التوصيل اما التعاقب فى النزول و اما التناوب و التعاضد و لعل بناء التفعيل للدلالة على كثرة الوصل و تكرّره باىّ معنى كان ولا وجه لكونه للتعدية لان الوصل ايضا متعدّ ﴿قوله تعالى الذين آتيناهم﴾ مبتدأ وهم مبتدأ ثان و يؤمنون خبره و الجملة خبر الاوّل و به متعلق بيؤمنون قدم على عامله لكونه عناية متعلقة ببيان ايمانهم به ولا يمكن جعله للاختصاص لانهم لو خصوا ايمانهم بهذا الكتاب فقط لزم كفرهم بما عداه وهو عكس المراد ﴿قوله باعتقادهم صحته فى الجملة﴾ اى ولكونهم على دين الاسلام باعتقادهم

(انك لاتهدى من احببت) لاتقدر ان تدخله فى الاسلام (ولكنّ الله يهدى من يشاء) فيدخله فى الاسلام (وهو اعلم بالمهتدين) بالمستعدين لذلك والجمهور على انها نزلت فى ابى طالب فانه لما احتضر جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ياعم قل لا اله الا الله كلمة احاج لك بها عند الله قال يا ابن اخى قد علمت انك لصادق ولكنى اكره ان يقال جزع عند الموت (وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا) نخرج منها نزلت فى الحارث بن عثمان بن نوفل بن عبدمناف اتى النبى عليه الصلاة والسلام فقال نحن نعلم انك على الحق ولكنا نخاف ان اتبعناك وخالفنا العرب وانما نحن اكلة رأس ان يتخطفونا من ارضنا فردّ الله عليهم بقوله (اولم نمكن لهم حرما آمنا) اولم نجعل مكانهم حرماذا أمن بحرمة البيت الذى فيه يتناحر العرب حوله وهم آمنون فيه (يجبى اليه) يحمل اليه ويجمع فيه وقرأ نافع ويعقوب فى رواية بالتاء (ثمرات كل شئ) من كل اوب (رزقا من لدنا) فاذا كان هذا حالهم وهم عبدة الاصنام فكيف تعرّضهم للخوف والتخطف اذا ضموا الى حرمة البيت حرمة التوحيد (ولكنّ اكثرهم لايعلمون) جهلة لايتفطنون له ولايتفكرون ليعلموا وقيل انه متعلق بقوله من لدنا اى قليل منهم يتدبرون فيعلمون ان ذلك رزق من عند الله اذ لو علموا لماخافوا غيره وانتصاب رزقا على المصدر من معنى يجبى او الحال من الثمرات لتخصصها بالاضافة ثم بين ان الامر بالعكس فانهم احقاء بان يخافوا من بأس الله على ماهم عليه بقوله (وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها) اى وكم من اهل قرية كانت حالهم كحالكم فى الامن وخفض العيش حتى أشروا فدمر الله عليهم وخرّب ديارهم (فتلك مساكنهم) خاوية (لم تسكن من بعدهم) من السكنى اذ لايسكنها الا المارة يوما او بعض يوم او لا يبقى من يسكنها (الاقليلا) من شؤم معاصيهم (وكنا نحن الوارثين) منهم اذ لم يخلفهم احد يتصرّف تصرّفهم فى ديارهم وسائر متصرّفاتهم وانتصاب معيشتها بنزع الخافض او بجعلها ظرفا بنفسها كقولك زيد ظنى مقيم او باضمار زمان مضاف اليه او مفعولا على تضمين بطرت معنى كفرت (وماكان ربك) وماكانت عادته (مهلك القرى حتى يبعث فى امها) فى اصلها التى هى اعمالها لان اهلها يكونون أفطن وأنبل (رسولا يتلو عليهم آياتنا) لالزام الحجة وقطع المعذرة (وماكنا مهلكى القرى الا واهلها ظالمون) بتكذيب الرسل والعتوّ فى الكفر

صحته وان لم يتدينوا به قبل ذلك ﴿قوله نزلت فى ابى طالب﴾ روى انه قال عند موته يامعشر بنى عبدمناف اطيعوا محمدا وصدّقوه تفلحوا وترشدوا فقال صلى الله عليه وسلم ياعمّ تأمرهم بالنصيحة لانفسهم وتدعها لنفسك قال فما تريد يا ابن اخى قال اريد منك كلمة واحدة لانك فى آخر يوم من ايام الدنيا ان تقول لا اله الا الله اشهد لك بها عند الله قال يا ابن اخى قد علمت انك صادق ولكنى اكره ان يقال جزع عند الموت ولولا ذلك لأقررت عينك بها ولكنى على ملة اشياخى عبدالمطلب وهاشم وعبدمناف وقصىّ فقام عليه الصلاة والسلام من عنده باكيا لما كان حريصا على اسلامه لتكفله اياه فى صباه وذبه عنه فى كبره حتى قال ابوطالب لقريش حين هموا بقتله

كذبتم وبيت الله لاتقتلونه ۞ ولما نطاعن حوله ونقاتل
ونسلمه حتى نصرّع حوله ۞ ونذهل عن ابنائنا والحلائل

وهذه الآية حجة لنا على المعتزلة فى قولهم ان الهدى هو البيان وقد هدى الناس جميعا ولكن لم يهتد البعض منهم بسوء اختيارهم فهذه الآية دلت على ان وراء البيان ماسمى هداية وهو خلق الاهتداء واعطاء التوفيق والقدرة التى هى داعية اكتساب الخير والاجتناب عن الشر اذ يفعل مايشاء بحكمته لايسأل عما يفعل ﴿قوله اولم نجعل مكانهم حرماذا أمن﴾ اشارة الى مامرّ من أن اصل التمكين ان يجعل للشئ مكان يتمكن فيه ولما تضمن معنى الجعل عدّى بنفسه الى قوله حرما وان قوله آمنا فاعل بمعنى النسب اى ذا أمن يكون كل من دخله آمنا ومن قرأ تجبى بتاء التأنيث اعتبر لفظ ثمرات ومن قرأ بالياء نزل الفاصل منزلة التاء واعتبر كون التأنيث غير حقيقى والجملة صفة ثانية لحرما والظاهر ان الرزق اسم بمعنى المرزوق فيكون فى موضع الحال من ثمرات لتخصصها بالاضافة كنصبك الحال من النكرة المخصصة بالصفة ويجوز أن يكون مفعولا له بمعنى سوقها اليه رزقا وان يكون مصدرا من غير لفظ الفعل لان يجبى اليه بمعنى يرزق * فان قلت فحينئذ يكون التقدير يرزق الحرم ولامعنى له * قلنا يجوز ان يسند الرزق الى الحرم مجازا والاصل يرزق اهله ﴿قوله جهلة لايتفطنون له﴾ اى لقدر ربوبية الله تعالى وعظمته حيث آمنهم ورزقهم بحرمة الحرم حال شركهم فكيف لايعصمهم من الخوف والقحط اذا ضموا الى حرمة الحرم التوحيد فيكون الاستدراك متعلقا بمضمون قوله اولم نمكن لهم حرما آمنا لابقوله من لدنا كما ذهب اليه صاحب الكشاف ﴿قوله ثم بين ان الامر بالعكس﴾ اى بعدما ردّ الله تعالى عليهم بقوله اولم نمكن لهم حرما آمنا بين لهم ان الامر بالعكس اى بعكس مايظنون من ان الايمان يستلزم الخوف من زوال نعمة الدنيا فان الاصرار على عدم قبول الايمان هو الذى يزيل هذه النعمة لاالاقدام على الايمان ﴿قوله وخفض العيش﴾ الخفض الدعة والرفاهية وكم فى محل النصب بقوله اهلكنا ومعيشتها منصوب بنزع الخافض اى فى معيشتها والبطر الطغيان فى النعمة وان لايحفظ حق الله تعالى فيها بصرفها فيما امر به ﴿قوله تعالى فتلك﴾ مبتدأ ومساكنهم خبره ولم تسكن جملة حالية والعامل فيها معنى تلك ويجوز ان تكون خبرا ثانيا والاقليلا اى الاسكنى قليلا والازمانا قليلا ﴿قوله وانتصاب معيشتها بنزع الخافض﴾ كقوله زيد ظنى مقيم اى فى ظنى جعل كل واحد من المعيشة والظن ظرفا مبنى على الاتساع وليسا بظرفين حقيقة لانهما مصدران والمصدر لايكون ظرفا للحدث الا انه جعلت المعيشة كأنها زمان البطر والظنّ زمان الاقامة اوزمان الاخبار عن اقامة زيد اوزمان الحكم به عليه اوزمان اسناد القيام الى زيد وهذا معنى قول شرف الدين الطيبى والعامل فى ظنى الامر المنتزع من معنى الجملة كالاخبار والاسناد والحكم وقد تقرّر ان ظروف الزمان كلها تقبل النصب بتقدير فى على اعتبار نزع الخافض بخلاف ظرف المكان فانه لايقبله الا اذا كان مبهما او محمولا على المبهم فان اتسع بجعل المعيشة مكان البطر احتيج الى اعتبار نزع الخافض وان جعلت زمان البطر تكون ظرفا بنفسها او باضمار زمان مضاف اليها كقولك آتيك خفوق النجم ومقدم الحاج اى بطرت ايام معيشتها ثم حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه واعرب باعرابه ﴿قوله او مفعولا﴾ اى او بجعلها مفعولا لبطرت على تضمينه معنى كفرت اوجهلت اى كفرت نعمتها او جهلت شكر معيشتها ثم حذف المضاف ﴿قوله التى هى اعمالها﴾ اى توابعها وسوادها وضمير هى يرجع الى القرى ﴿قوله لان اهلها﴾ اى اهل ام القرى يكون افطن وانبل اى اكثر فطنة ونبالة وهى الفضل والشرف يقال نبل فلان فهو نبيل اى شرف فهو شريف فان الرسل انما تبعث غالبا الى الاشراف وهم غالبا يسكنون المدن والمواضع التى هى ام ماحولها فلذلك خصت ام القرى

(وما اوتيتم من شئ) من اسباب الدنيا (فمتاع الحياة الدنيا وزينتها) تمتعون وتتزينون به مدة حياتكم المنقضية (وما عند الله) وهو ثوابه (خير) فى نفسه من ذلك لانه لذة خالصة وبهجة كاملة (وابقى) لانه ابدى (أفلا تعقلون) فتستبدلون الذى هو ادنى بالذى هو خير وقرأ ابو عمرو بالياء وهو ابلغ فى الموعظة (أفمن وعدناه وعدا حسنا) وعدا بالجنة فان حسن الوعد بحسن الموعود (فهو لاقيه) مدركه لامحالة لامتناع الخلف فى وعده ولذلك عطفه بالفاء المعطية معنى السببية (كمن متعناه متاع الحياة الدنيا) الذى هو مشوب بالآلام مكدر بالمتاعب مستعقب للتحسر على الانقطاع (ثم هو يوم القيامة من المحضرين) للحساب او العذاب وثم للتراخى فى الزمان او الرتبة وقرأ نافع وقالون فى رواية والكسائى ثم هو بسكون الواو تشبيها المنفصل بالمتصل وهذه الآية كالنتيجة للتى قبلها ولذلك رتب عليها بالفاء (ويوم يناديهم) عطف على يوم القيامة او منصوب باذكر (فيقول اين شركائى الذين كنتم تزعمون) اى الذين كنتم تزعمونهم شركائى فحذف المفعولان لدلالة الكلام عليهما (قال الذين حق عليهم القول) بثبوت مقتضاه وحصول مؤداه وهو قوله لأملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين وغيره من آيات الوعيد (ربنا هؤلاء الذين اغوينا) اى هؤلاء هم الذين اغويناهم فحذف الراجع الى الموصول (أغويناهم كما غوينا) اى اغويناهم فغووا غيا مثل ما غوينا وهو استئناف للدلالة على انهم غووا باختيارهم وانهم لم يفعلوا بهم الا وسوسة وتسويلا ويجوز ان يكون الذين صفة واغويناهم الخبر لاجل ما اتصل به فأفاده زيادة على الصفة وهو وان كان فضلة لكنه صار من اللوازم (تبرأنا اليك) منهم ومما اختاروه من الكفر هوى منهم وهو تقرير للجملة المتقدمة ولذلك خلت عن العاطف وكذا (ما كانوا ايانا يعبدون) اى ما كانوا يعبدوننا وانما كانوا يعبدون اهواءهم وقيل ما مصدرية متصلة بتبرأنا اى تبرأنا من عبادتهم ايانا (وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم) من افرط الحيرة (فلم يستجيبوا لهم) لعجزهم عن الاجابة والنصرة (ورأوا العذاب) لازبا بهم (لو انهم كانوا يهتدون) لوجه من الحيل

بعثة الرسل فيها ووجه اتصال قوله تعالى وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث فى امها رسولا عاقبله أنه تعالى لما قال وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها توجه ان يقال لم لم يهلك الله تعالى الكفار قبل بعثة الرسل عليهم السلام مع انهم كانوا مستغرقين فى الكفر والبطر وان يقال ولم لم يهلكهم بعد بعثته عليه الصلاة والسلام مع استغراقهم فى الكفر بالله تعالى وتكذيب رسوله صلى الله عليه وسلم ومعاداته فاجاب الله تعالى من الاول بقوله وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث فى امها رسولا الزاما للحجة وقطعا للمعذرة وعن الثانى بقوله وما كنا مهلكى القرى الا واهلها ظالمون اى انفسهم بالشرك واهل مكة ليسوا كذلك فان بعضهم قد آمن وبعضهم علم الله تعالى منهم انهم سيؤمنون وآخرون علم الله تعالى انهم وان لم يؤمنوا لكن يخرج من نسلهم من يكون مؤمنا * اعلم ان الله تعالى رد اولا على الذين قالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا بقوله اولم نمكن لهم حرما آمنا ثم بين ان الامر بالعكس ثم شرع فى ازاحة شبهتهم بوجه آخر فقال وما اوتيتم من شئ فمتاع الحياة الدنيا لان حاصل شبهتهم ان قالوا تركنا الدين لئلا تفوت منا الدنيا فبين الله تعالى ان ذلك خطأ عظيم لان ما عند الله خير وابقى **قوله وهو ابلغ فى الموعظة** لان الالتفات من الخطاب الى الغيبة يدل على ان حقهم ان يولى عنهم وان لا يتوجه اليهم بالخطاب كانهم منسلكون فى سلك المجانين خارجون عن حد العقل بالكلية فيكون ابلغ فى الزجر والموعظة ثم انه تعالى لما رجح ثواب الآخرة على منافع الدنيا اكد هذا الترجيح بقوله أفمن وعدناه على ايمانه وعدا حسنا هو الجنة وثوابها فهو لاقيه اى مصيبه ومدركه كمن متعناه متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين والفاء فى قوله أفمن وعدناه للتعقيب والتقدير بعد هذا التفاوت العظيم بين منافع الدنيا والآخرة والمقصود انهم لما قالوا تركنا الدين للدنيا قال الله تعالى لهم لو لم تحصل عقيب دنياكم مضرة العقاب لكان العقل يقتضى ترجيح منافع الدنيا على منافع الآخرة كيف وهذه الدنيا يحصل بعدها العقاب الدائم ثم انه تعالى بين انه يسأل الكفار يوم القيامة عن ثلاثة اشياء اولها قوله ويوم يناديهم فيقول اين شركائى وثانيها قوله تعالى وقيل ادعوا شركاءكم وثالثها قوله تعالى ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين فان الكفار يعرفون يوم القيامة بطلان ما كانوا عليه وصحة التوحيد والنبوة بالضرورة فيقال لهم على وجه التقريع والتوبيخ اين شركائى فظاهر انهم يعتذرون حينئذ بان الشياطين او الرؤساء دعونا الى عبادتها وحملونا على الغواية فحكى الله تعالى ما يقوله الشياطين او الرؤساء فى جوابهم فقال قال الذين حق عليهم القول الآية فانهم اختلفوا فى أن الذين حق عليهم القول من هم فقال بعضهم هم الرؤساء الدعاة الى الضلالة وقال آخرون هم الشياطين **قوله اى هؤلاء هم الذين أغويناهم** يريد ان هؤلاء مبتدأ وقوله الذين اغوينا صفة للخبر المحذوف واغويناهم مستأنف واغوينا صلة الذى حذف فيها العائد الى الموصول واعربه صاحب الكشاف بان جعل هؤلاء مبتدأ والذين اغوينا صفته بحذف العائد وجعل اغويناهم خبرا وجعل كما غوينا نعتا لمصدر محذوف عامل ذلك المصدر مطاوع لذلك الفعل اى فغووا غيا كما غوينا ولم يرض به المصنف لانه ليس فى الخبر زيادة فائدة على ما فى صفته * فان قلت قد وصف الخبر بقوله كما غوينا وفيه زيادة ليست فى الصفة والموصوف * اجيب بان الزيادة فى الظرف لا تصيره اصلا فى الجملة لان الظروف فضلات قال ابو البقاء ولا يمتنع ان يكون هؤلاء مبتدأ والذين صفته واغويناهم الخبر لانه يفيد فائدة زائدة على ما يستفاد من الصفة من اجل ما اتصل به وان كان ظرفا لان الفضلات فى بعض المواضع تلزم كقولك زيد عمرو فى داره فان فى داره وان كان ظرفا لكنه لا بد منه ليعود من الجملة ضمير الى المبتدأ فصار بذلك كأحد شطرى الجملة **قوله اى اغويناهم فغووا غيا مثل ما غوينا** حاصله انه لا فرق بين غينا وغيهم فى ان كل واحد منهما بالاختيار اما غينا فلانه ما كان لنا قاسر على ذلك ولا داع اليه بل هو وسوسة لنا واما غيهم فلانه ما كان لهم قاسر ألجأهم عليه بل غووا باختيارهم لان اغواءنا لهم لم يكن الا وسوسة وتسويلا لا قسرا والجاء فلا فرق بين غينا وغيهم فى ان كل واحد منهما وقع بالاختيار **قوله اى ما كانوا يعبدوننا** اشارة الى ان ايانا مفعول يعبدون قدم لاجل الفاصلة وعلى تقدير ان تكون ما مصدرية لا بد من تقدير حرف من اى تبرأنا مما كانوا اى من عبادتهم ايانا كما اشار اليه المصنف **قوله فدعوهم من فرط الحيرة** اى لا بناء على اعتقادهم ان الاصنام يشفعون لعابديهم ويخلصونهم مما اصابهم من العذاب لان المشركين يعرفون بالضرورة يوم القيامة ان الحكم لله الواحد القهار وانه لا يشفع احد الا باذنه * قال الامام فالاقرب ان هذا على سبيل التقدير والفرض لانهم يعلمون انه لا فائدة فى دعائهم لهم فالمراد انهم لو دعوهم لم يوجد منهم اجابة فى النصرة وان

يدفعون به العذاب او الى الحق لما رأوا العذاب وقيل لو للتمني اى تمنوا انهم كانوا مهتدين (ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين) عطف على الاول فانه تعالى يسأل اوّلا عن اشراكهم به ثم عن تكذيبهم الانبياء (فعميت عليهم الانباء يومئذ) فصارت الانباء كالعمى عليهم لاتهتدى اليهم واصله فعموا عن الانباء لكنه عكس مبالغة ودلالة على ان مايحضر الذهن انما يفيض ويرد عليه من خارج فاذا اخطأه لم يكن له حيلة الى استحضاره والمراد بالانباء ماأجابوا به الرسل او ما يعمها واذا كانت الرسل يتعتعون فى الجواب عن مثل ذلك من الهول ويفوّضون الى علم الله تعالى فما ظنكم بالضلال من اممهم وتعدية الفعل بعلى لتضمنه معنى الخفاء (فهم لايتساءلون) لايسأل بعضهم بعضا عن الجواب لفرط الدهشة او العلم بانه مثله (فأما من تاب) من الشرك (وآمن وعمل صالحا) وجمع بين الايمان والعمل الصالح (فعسى ان يكون من المفلحين) عند الله وعسى تحقيق على عادة الكرام او ترج من التائب بمعنى فليتوقع ان يفلح (وربك يخلق مايشاء ويختار) لاموجب عليه ولامانع له (ماكان لهم الخيرة) اى التخير كالطيرة بمعنى التطير وظاهره نفى الاختيار عنهم رأسا والامر كذلك عند التحقيق فان اختيار العباد مخلوق باختيار الله منوط بدواع لا اختيار لهم فيها وقيل المراد انه ليس لاحد من خلقه ان يختار عليه ولذلك خلا عن العاطف ويؤيده ماروى انه نزل فى قولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وقيل ماموصولة مفعول ليختار والراجع اليه محذوف والمعنى ويختار الذى كان لهم فيه الخيرة اى الخير والصلاح (سبحان الله) تنزيها لله ان ينازعه احد او يزاحم اختياره اختيار (وتعالى عما يشركون) عن اشراكهم او مشاركة مايشركونه به (وربك يعلم ماتكن صدورهم) كعداوة رسول الله وحقده (وما يعلنون) كالطعن فيه (وهو الله) المستحق للعبادة (لا اله الا هو) لا احد يستحقها الا هو (له الحمد فى الاولى والآخرة) لانه المولى للنعم كلها عاجلها وآجلها يحمده المؤمنون فى الآخرة كما حمدوه فى الدنيا بقولهم الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن الحمد لله الذى صدقنا وعده ابتهاجا بفضله والتذاذا بحمده (وله الحكم) القضاء النافذ فى كل شئ (واليه ترجعون) بالنشور (قل أرأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا) دائما من السرد وهو المتابعة والميم مزيدة كميم دلامص (الى يوم القيامة) باسكان الشمس تحت الارض او تحريكها حول الافق الغائر (من اله غير الله يأتيكم بضياء) كان حقه هل اله فذكر بمن على زعمهم ان غيره آلهة وعن ابن كثير بضئاء بهمزتين (أفلا تسمعون) سماع تدبر واستبصار

﴿قوله يدفعون به العذاب﴾ صفة لقوله لوجه من الحيل ولو كان جواب لو لقيل لدفعوا به العذاب بلفظ الماضى كما قال لما رأوا العذاب والمقصود ان جواب لو محذوف وهو قوله لما رأوا العذاب وتقدير الكلام لو كانوا يهتدون الى الحق فى الدنيا لما رأوا العذاب فى الآخرة اولو كانوا يهتدون لوجه من وجوه الحيل يدفعون به العذاب لدفعوه به لما رأوه وعلى تقدير ان تكون لو للتمنى يكون المعنى ورأوا العذاب متمنين الاهتداء فى الدنيا ﴿قوله فانه تعالى يسأل اوّلا عن اشراكهم به﴾ توبيخا لهم على عبادة غير الله تعالى بناء على توقع الاجابة والنصرة منهم ثم على تكذيبهم الانبياء تبكيتا لهم بالاحتجاج عليهم بارسال الرسل وازاحة العلل وذكر بينهما مايقوله الشياطين اوالرؤساء بناء على انهم اذا وبخوا بعبادة الآلهة كانوا يعتذرون بانهم استغوونا وصدونا عن الهدى وزينوا لنا عبادتها فحكى الله تعالى جواب الشياطين اوالرؤساء لهم بقولهم أنحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم بل انتم غويتم باختياركم ثم عقبه بذكر مايشبه الشماتة بهم من استغاثتهم بالهتهم وخذلانهم لهم وعجزهم عن نصرتهم فهذا وجه ارتباط الكلام من قوله تعالى ويوم يناديهم اين شركائى الى قوله ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين ﴿قوله فصارت الانباء كالعمى عليهم﴾ اشارة الى ان الانباء استعارة بالكناية بان شبهت فى النفس بذوى الارادة المتوجهين الى شئ وجعل اثبات العمى لها دليلا عليه والعمى عمى العين يقال عمى يعمى عمى اذا اختل عينه وقولهم عمى عليه الخبر اى خفى مجاز من عمى البصر فالاصل ان يسند العمى عن الانباء الى الكفار لكنه عكس مبالغة فان الاصل يوهم ان يتحقق الجواب فى نفسه وانهم لم يطلعوا عليه لخلل من قبلهم بخلاف العكس ﴿قوله يتعتعون فى الجواب عن مثل ذلك﴾ اى السؤال وذلك قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم قالوا لاعلم لنا انك انت علام الغيوب والتعتعة فى الكلام التردد فيه من حصر او عى ﴿قوله فان اختيار العباد مخلوق باختيار الله تعالى﴾ لدخول اختيارهم فى عموم قوله تعالى يخلق مايشاء فان قوله مايشاء يتناول الاعيان والاعراض وقد اتفق المسلمون على انه تعالى شاء جميع مايفعله العباد من جميع الخيرات والطاعات التى من جملتها اختيار الطاعة فلما كان جميع ذلك مما شاءه الله تعالى لزم ان يوجد بخلق الله تعالى اذ اخبر انه يخلق مايشاء فالآية حجة لنا على المعتزلة فى مسائل خلق افعال العباد لانه اذا كانت الخيرة بمشيئة الله تعالى وجب كونها من مخلوقات الله تعالى بحكم هذه الآية ﴿قوله وقيل المراد﴾ اى قيل ليس المراد نفى الاختيار عنهم رأسا بل المراد انه ليس لاحد من خلقه ان يختار عليه شيأ من الامور بل الخيرة لله تعالى فى جميع افعاله وهو اعلم بوجوه الحكمة فى جميع مافعله فيكون قوله ماكان لهم الخيرة بيانا لقوله ويختار فلذلك لم يعطف عليه ولما قال المشركون لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم واختاروا للرسالة الوليد بن المغيرة من مكة وعروة بن مسعود الثقفى من الطائف ردّ الله تعالى عليهم انه يختار من يشاء لنبوته ورسالته اى فكما ان الخلق له فالاختيار للنبوّة اليه فليس لهم ان يختاروا على الله تعالى شيأ من افعاله ﴿قوله وقيل ماموصولة﴾ فعلى هذا يوقف على قوله وربك يخلق مايشاء ويبتدأ بقوله ويختار ماكان لهم الخيرة بخلاف ما اذا كانت كلمة ما حرف نفى فانه حينئذ يوقف على قوله وربك يخلق مايشاء ويختار ويبتدأ من قوله ماكان لهم الخيرة ﴿قوله عن اشراكهم او مشاركة مايشركونه به﴾ على الاول ما مصدرية وعلى الثانى موصولة بتقدير المضاف ﴿قوله ابتهاجا بفضله والتذاذا بحمده﴾ لابناء على الامر بالتكليف ومما يدل على ان الحمد فى الآخرة على وجه اللذة لا على وجه الكلفة ماروى عن جابر رضى الله عنه انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «ان اهل الجنة يأكلون ويشربون ولايتفلون ولايبولون ولايتغوّطون ولايتمخطون» قالوا فما بال الطعام قال جشاء ورشح كرشح المسك يلهمون التسبيح والتقديس كما يلهمون النفس والالهام ان يلقى الله تعالى فى النفس امرا يبعثه على الفعل او الترك وهو نوع من الوحى فان قوله عليه الصلاة والسلام يلهمون يدل على انهم لايكلفون بهما ثم انه تعالى لما بين انه المحمود فى الاولى والآخرة لكونه المولى للنعم كلها عاجلها وآجلها فصل عقيب ذلك بعض مايجب ان يحمد عليه مما لايقدر عليه سواه فقال قل ارأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الآية ونبه به ايضا على هدم قاعدة الشرك ببيان انتفاء لازم الالوهية عما سواه وهو القدرة على كل شئ فيكون تقريرا لقوله لا اله الا هو ﴿قوله كميم دلامص﴾ وهو البرّاق يقال دلصت الدرع تدلص من باب نصر اى صارت لينة برّاقة ويقال درع دلاص وادرع دلاص فالواحد والجمع على لفظ واحد والميم زائدة فى دلامص وكذا فى

سرمدا فوزنه فعلا نبه الله تعالى بهذه الآية على ان الليل و النهار نعمتان متعاقبتان على الزمان ووجه ذلك ان المرأ في الدنيا مضطرّ الى ان يتعب لتحصيل ما يحتاج اليه ولا يتم ذلك الا براحة وسكون بالليل ولا بدّ منهما في الدنيا واما في الجنة فلا نصب فيها ولا تعب فلا حاجة لاهلها الى الليل ولذلك يدوم لهم الضياء واللذات فبين بذلك ان القادر على ذلك ليس الا الله تعالى فقوله تعالى قل أرأيتم اى اخبروني يا اهل مكة وسرمدا مفعول ثان لجعل ان كان بمعنى صير وحال ان كان بمعنى خلق وانشأ والظاهر ان يقال هل اله لان المقام مقام انكار اله يقدر على ذلك غير الله تعالى لا مقام تعيين اله يقدر عليه غيره الا انه ذكر من بناء على زعمهم تعدّد الاله فقيل في الردّ عليهم ان الالوهية تقتضي القدرة على كل شئ فاى شئ مما تزعمون انه اله من دون الله يقدر على ماذكرنا ﴿قوله ولعله لم يصف الضياء﴾ يعني انه تعالى وصف الليل بقوله تسكنون فكان المناسب ان يصف الضياء بما يقابل ما وصف به الليل و يقول من يأتي بضياء تتصرّفون فيه ان جعل الله الليل سرمدا الا انه عدل عنه ولم يصف الضياء اصلا للايذان بان الضوء نعمة في ذاته مقصود بنفسه ولو قيل بضياء تتصرّفون فيه لفهم انه انما يقصد لما يتوصل اليه ولا يقصد لنفسه لانه لو وصف الضياء بما يقابل ما وصف به الليل لفهم أنّ منفعته منحصرة فيما وصف به وليست بمنحصرة فيه بل له منافع كثيرة فاطلق الايذان بذلك والاحتراز عن توهم الانحصار ﴿قوله ولذلك﴾ اى ولاجل كون منافع الضوء اكثر من منافع ما يقابله قرن بالضياء ما يكون منفعته اكثر من منفعته ما يقارنُ الليل وهو البصر وانما قلنا ان منافع السمع اكثر من منافع البصر لان العقل لا يستفيد من البصر الا صور المبصرات بخلاف السمع فان العقل يدرك بواسطة السمع جميع انواع المحسوسات بل المعقولات الصرفة اذا عبر عنها بالعبارة الدالة عليها ﴿قوله ولكي تعرفوا نعمة الله في ذلك﴾ اى في خلق الليل والنهار بحيث يتعاقبان على وجه معين بين الله تعالى بهذه الآية ان الحكمة في خلقهما هكذا ثلاثة اشياء اثنان منها يترتبان على خلقهما بطريق اللف والنشر والثالث يترتب على خلقهما جميعا فليس فيه اعتبار اللف ﴿قوله والثاني لبيان انه﴾ اى القول بالشركاء لم يكن عن سند بقرينة ما بعده فان قوله ونزعنا فقلنا معطوفان على قوله يناديهم فيقول اوثر فيهما لفظ الماضي لكونهما في حكم الواقع لتحقق وقوعهما وجعل المقام مقام ذكر الغيبة وجعل ضل مستعارا بمعنى غاب بتشبيه ما غاب بالشئ الضائع الهالك من حيث تحقق اليأس من حضوره والانتفاع به واطلاق اسم الضال عليه على طريق اطلاق اسم الاسد على الشجاع ﴿قوله شهيدا وهو نبيهم﴾ سمي النبي شهيدا لانه شهد ما عملوا وحضر ما كان منهم من التصديق والتكذيب والردّ والقبول ﴿قوله يصهر بن قاهث﴾ عطف بيان لعمه فان يصهر ابا قارون وعمران ابا موسى كانا اخوين ابني قاهث وكان كل واحد من موسى وقارون ابنا لعم الآخر لان قارون كان ابن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم الصلاة والسلام وموسى عليه الصلاة والسلام كان ابن عمران بن قاهث بن لاوى وقيل معنى كونه من قوم موسى عليه الصلاة والسلام انه كان مؤمنا وكان اقرأ بني اسرآئيل للتوراة فنافق كما نافق السامري وروى أن قارون كان من السبعين المختارين الذين سمعوا كلام الله عزوجل * والبغي تجاوز الحد في الظلم وذكر المصنف في طريق بغيه اربعة اوجه الاول انه طلب الفضل عليهم وان يكونوا تحت يده ولا بعد فان كثرة المال سبب للبغي والتكبر والثاني انه تكبر وتجبر وسخط عليهم والثالث ان فرعون ملكه على بني اسرآئيل فظلمهم والرابع انه حسدهم لما روى ان موسى عليه الصلاة والسلام لما قطع البحر واغرق الله فرعون وجعل الحبورة لهرون فحصلت له النبوّة والحبورة فكان له القربان والمذبح وكان لموسى الرسالة غضب قارون من ذلك في نفسه فقال ياموسى لك الرسالة ولهرون الحبورة وانا في غير شئ لا اصبر انا على هذا فقال موسى والله ما صنعت ذلك لهرون بل جعل الله له ذلك فقال لا اصدقك ابدا حتى تأتيني بآية اخرى اعرف بها ان الله تعالى جعل ذلك لهرون فأمر موسى عليه الصلاة والسلام رؤساء بني اسرآئيل ان يجيئ كل واحد منهم بعصا فجاؤا بها فألقاها موسى في القبة التي كان الوحي ينزل عليه فيها وكان يعبد الله فيها وكان ذلك بامر الله تعالى ودعا موسى ربه ان يريهم بيان ذلك فباتوا يحرسون عصيهم فأصبحوا واذا بعصا هرون تهتزّ ولها ورق اخضر وكانت من شجرة اللوز فقال موسى ياقارون اماترى ما صنع الله تعالى لهرون فقال والله ما هذا بأعجب مما تصنع من السحر فاعتزل قارون بأتباعه وكان كثير المال والتبع من بني اسرآئيل فما كان يأتي موسى ولا يجالسه ﴿قوله من الاموال المدّخرة﴾ الكنوز في الاصل عبارة عن الاموال المدفونة تحت الارض فشبهت الاموال المدّخرة بها فأطلق عليها اسم الكنوز

﴿قل أرأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيامة﴾ باسكانها في وسط السماء او تحريكها على مدار فوق الافق ﴿من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه﴾ استراحة من متاعب الاشغال ولعله لم يصف الضياء بما يقابله لان الضوء نعمة في ذاته مقصود بنفسه ولا كذلك الليل حيث قال تسكنون فيه ولان منافع الضوء اكثر مما يقابله ولذلك قرن به أفلا تسمعون وبالليل ﴿أفلا تبصرون﴾ لان استفادة العقل من السمع اكثر من استفادته من البصر ﴿ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه﴾ في الليل ﴿ولتبتغوا من فضله﴾ في النهار بانواع المكاسب ﴿ولعلكم تشكرون﴾ ولكي تعرفوا نعمة الله في ذلك فتشكروه عليها ﴿ويوم يناديهم فيقول اين شركائي الذين كنتم تزعمون﴾ تقريع بعد تقريع للاشعار بانه لا شئ اجلب لغضب الله من الاشراك به او الاوّل لتقرير فساد آرآئهم والثاني لبيان انه لم يكن عن سند وانما كان محض تشهي وهوى ﴿ونزعنا﴾ وأخرجنا ﴿من كل امة شهيدا﴾ وهو نبيهم يشهد عليهم بما كانوا عليه ﴿فقلنا﴾ للامم ﴿هاتوا برهانكم﴾ على صحة ما كنتم تدينون به ﴿فعلموا﴾ حينئذ ﴿ان الحق لله﴾ في الالهية لا يشاركه فيها احد ﴿وضل عنهم﴾ وغاب عنهم غيبة الضائع ﴿ما كانوا يفترون﴾ من الباطل ﴿ان قارون كان من قوم موسى﴾ كان ابن عمه يصهر بن قاهث بن لاوى وكان ممن آمن به ﴿فبغى عليهم﴾ فطلب الفضل عليهم وان يكونوا تحت امره او تكبر عليهم او ظلمهم قبل وذلك حين ملكه فرعون على بني اسرآئيل او حسدهم لما روى انه قال لموسى لك الرسالة ولهرون الحبورة وانا في غير شئ الى متى اصبر ﴿وآتيناه من الكنوز﴾ من الاموال المدّخرة ﴿ما ان مفاتحه﴾ مفاتح صناديقه جمع مفتح بالكسر وهو ما يفتح به

وقيل خزائنه وقياس واحدها الفتح (لتنوء بالعصبة اولى القوة) خبران والجملة صلة ماوهو ثانى مفعولى اتى وناء به الحمل اذا اثقله حتى اماله والعصبة والعصابة الجماعة الكثيرة واعصوصبوا اجتمعوا وقرئ لينوء بالياء على اعطاء المضاف حكم المضاف اليه (اذ قال له قومه) منصوب بتنوء (لا تفرح) لا تبطر والفرح بالدنيا مذموم مطلقا لانه نتيجة حبها والرضى بها والذهول عن ذهابها فان العلم بان مافيها من اللذة مفارقة لا محالة يوجب الترح كما قال * اشد الغم عندى فى سرور * تيقن عنه صاحبه انتقالا * ولذلك قال تعالى ولا تفرحوا بما آتاكم وعلل النهى ههنا بكونه مانعا من محبة الله تعالى فقال (ان الله لا يحب الفرحين) اى بزخارف الدنيا (وابتغ فيما آتاك الله) من الغنى (الدار الآخرة) بصرفه فيما يوجبها لك فان المقصود منه ان يكون وصلة اليها (ولا تنس) ولا تترك ترك المنسى (نصيبك من الدنيا) وهو ان تحصل بها آخرتك او تأخذ منها مايكفيك (وأحسن) الى عباد الله (كما احسن الله اليك) فيما انعم عليك وقيل أحسن بالشكر والطاعة كما احسن اليك بالانعام (ولا تبغ الفساد فى الارض) بامر يكون علة للظلم والبغى (ان الله لا يحب المفسدين) لسوء افعالهم (قال انما اوتيته على علم عندى) فضلت به على الناس واستوجبت به التفوق عليهم بالجاه والمال على علم فى موضع الحال وهو علم التوراة وكان اعلمهم بها وقيل علم الكيمياء وقيل علم التجارة والدهقنة وسائر المكاسب وقيل علم بكنوز يوسف وعندى صفة له او متعلق بأوتيته كقولك جاز هذا عندى اى فى ظنى واعتقادى (أولم يعلم ان الله قد اهلك من قبله من القرون من هو اشد منه قوة واكثر جمعا) تعجب وتوبيخ على اغتراره بقوته وكثرة ماله مع علمه بذلك لانه قرأه فى التوراة وسمعه من حفاظ التواريخ اورد لادعائه العلم وتعظمه به بنفى هذا العلم عنه اى أعنده مثل ذلك العلم الذى ادعى ولم يعلم هذا حتى يقى به نفسه مصارع الهالكين (ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون) سؤال استعلام فانه تعالى مطلع عليها او معاتبة فانهم يعذبون بها بغتة كأنه لما هدد قارون بذكر اهلاك من قبله ممن كانوا اقوى منه واغنى اكد ذلك بان بين انه لم يكن مما يخصهم بل الله مطلع على ذنوب المجرمين كلهم معاقبهم عليها لا محالة (فخرج على قومه فى زينته) كما قيل انه خرج على بغلة شهباء عليه الارجوان وعليها سرج من ذهب ومعه اربعة آلاف على زيه (قال الذين يريدون الحياة الدنيا) على ماهو عادة الناس من الرغبة (وقيل)

﴿قوله وقيل خزائنه﴾ عطف على قوله مفاتح صناديقه اى وقيل مفاتحه خزائنه كما فى قوله تعالى وعنده مفاتح الغيب اى خزائنه وقياس واحده مفتح بفتح الميم لانه ليس اسم آلة بل هو اسم لمكان الفتح وكلمة ما فى قوله ما ان مفاتحه موصولة بمعنى الذى وان مع اسمها وخبرها وما يتعلق به صلة الذى ولهذا كسرت ان والموصول مع صلته فى محل النصب على انه مفعول ثان لآتيناه والباء فى قوله لتنوء بالعصبة للتعدية كالهمزة فى قولك أناءه الحمل اى اثقله والمعنى ان المفاتح لتثقل العصبة الاقوياء فكما يعدى ذهب تارة بالباء والاخرى بالهمزة فكذا ناء بمعنى ثقل يتعدى بالهمزة فيقال اناءه الحمل ويعدى ايضا بالباء فيقال ناء به اى اثقله ﴿قوله وقرئ لينوء بالياء﴾ اى من تحت بناء على ان يكون الضمير فى مفاتحه لقارون وان يكون المفاتح بمعنى الخزائن فاكتسب المضاف من المضاف اليه التذكير كما يكتسب منه التأنيث فى قولهم ذهبت اهل اليمامة ﴿قوله وهو ان تحصل بها آخرتك﴾ فان نصيب المرء من الدنيا ان يتوسل بها الى سعادة الآخرة بان يطلب الاجر بها ويقدمها لذلك واما ما خلفه فهو نصيب غيره وجوز ان يكون المراد بنصيبه من الدنيا ان يتمتع بها فى الوجوه المباحة ﴿قوله بامر يكون علة الظلم والبغى﴾ يعنى ان المراد بالفساد فى الارض الظلم والبغى ويكون ابتغاؤه بمباشرة ما يؤدى اليه كحب المال والجاه والركون الى الدنيا وايثار الحظوظ الفانية على اللذات الباقية فان من ابتلى بمثل هذه الرذائل لا يتحاشى عن الظلم والبغى كما قيل حب الدنيا رأس كل خطيئة وكل من عصى الله تعالى فقد طلب الفساد فى الارض من حيث ان شؤم المعصية ينقص بركة الارض وقيل فى تفسير قوله تعالى ولا تبغ الفساد فى الارض اى لا تجعل نعمة الله تعالى عليك ذريعة الى عصيانه وعونا على مخالفة امره ونهيه وقيل الفساد فى الارض ما كان عليه من الظلم والبغى وهو معنى ما وجد فى بعض النسخ نهى له عما كان عليه من الظلم والبغى وقيل هذا الواعظ هو موسى عليه الصلاة والسلام وقيل هو مؤمن قومه كائنا من كان فقد جمع فى وعظه ما لو قيل لم يكن عليه مزيد لكان حقا لكنه ابى ان يقبل بل زاد عليه كفر النعمة فقال انما اوتيته على علم اى انما اعطيت هذا المال كائنا على علم وفضل علمه الله تعالى عندى فرآنى اهلا لذلك ففضلنى بهذا المال عليكم كما فضلنى بسائر الفضائل نظر الى نفسه ورأى ان ما حصل له من هذه السعة انما حصل له لفضله واستحقاقه ولم ينظر الى منة الله تعالى عليه فى ذلك فافتخر بها وادعاها لنفسه فهلك وكذا كل من زين فى عينه افعاله واقواله واحواله وابتهج بها ولم يعرف حق من انعم بها فانه يهلك بشؤم صنعه كما خسف بقارون لما ادعى لنفسه فضلا فقوله على علم حال من مرفوع اوتيته قيد به العامل للاشارة الى علة الاتيان وبيان وجه استحقاقه له وقال سعيد بن المسيب والضحاك كان موسى عليه الصلاة والسلام يعلم الكيمياء انزل الله تعالى علمها عليه من السماء فعلم يوشع بن نون ثلث ذلك العلم وعلم كالب بن يوفنا ثلثه وعلم قارون ثلثه فخدعهما قارون حتى اضاف علمهما الى علمه وكان ذلك سبب كثرة امواله لانه كان يأخذ الرصاص فيجعله فضة والنحاس فيجعله ذهبا وقال عطاء انه اصاب كنزا من كنوز يوسف عليه الصلاة والسلام قيل كلمة ما فى قوله انما اوتيته ليست بكافة بل هى بمعنى الذى اى ان الذى اوتيته على علم وعندى صفة لعلم ﴿قوله تعالى واكثر جمعا﴾ معناه اكثر جمعا للمال او اكثر جماعة وعددا وحاصل الجواب ان اغتراره بماله وقوته وجموعه من الخطأ العظيم فانه تعالى اذا اراد اهلاكهم لم ينفعه ذلك ولا ما يزيد عليه اضعافا كثيرة ﴿قوله اورد لادعائه العلم﴾ عطف على قوله تعجب وتوبيخ الاول على ان يكون قوله اولم يعلم اثباتا من الله تعالى بعلمه بان الله قد اهلك من القرون قبله من هو أقوى منه واغنى على ان يكون الاستفهام فى أولم يعلم للانكار لان انكار النفى نفى النفى ونفى النفى اثبات والثانى على ان يكون نفيا لعلمه بذلك بناء على ان يكون الاستفهام للتقريع ﴿قوله سؤال استعلام﴾ اى لا يسألون ليعلم ذلك من قبلهم لانه تعالى عالم بكل المعلومات فلا حاجة به الى ان يسأل عن كيفية ذنوبهم وكميتها ولا ينافيه ان يسألوا سؤال توبيخ وتقريع كما دل عليه قوله تعالى فوربك لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون ويحتمل ان يكون المراد بالسؤال المنفى سؤال المعاتبة ويكون المعنى انهم يدخلون النار بغير حساب ويعذبون فيها بذنوبهم بدون ان يناقشوا ويعاتبوا عليها وقوله تعالى فوربك لنسألنهم اجمعين ينبغى ان يحمل على وقت آخر حينئذ ﴿قوله كأنه لما هدد قارون الخ﴾ اشارة الى وجه اتصال قوله ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون بما قبله ﴿قوله على بغلة شهباء﴾ وهى التى يغلب ما فيها من البياض على سوادها والارجوان قطيفة حمراء وقيل كل ما يكون لونه احمر بناء على ان الارجوان معرب ارغوان وهو شجر له نور أحمر وكل ما يشبهه فهو ارجوان ﴿قوله على زيه﴾ وقيل عليهم وعلى خيولهم الديباج الاحمر وفى المغرب الديباج الثوب الذى سداه ولحمته ابريسم

(ياليت لنا مثل مااوتي قارون) تمنوا مثله لا عينه حذرا من الحسد (انه لذو حظ عظيم) من الدنيا (وقال الذين اوتوا العلم) باحوال الآخرة للمتمنين (ويلكم) دعاء بالهلاك استعمل للزجر عما لا يرتضى (ثواب الله) في الآخرة (خير لمن آمن وعمل صالحا) مما اوتي قارون بل من الدنيا ومافيها (ولا يلقاها) الضمير فيه للكلمة التي تكلم بها العلماء او للثواب فانه بمعنى المثوبة او الجنة او للايمان والعمل الصالح فانهما في معنى السيرة والطريقة (الا الصابرون) على الطاعات وعن المعاصي (فخسفنا به وبداره الارض) روى انه كان يؤذي موسى عليه السلام كل وقت وهو يداريه لقرابته حتى نزلت الزكاة فصالحه عن كل ألف على واحد فحسبه فاستكثره فعمد الى ان يفضح موسى بين بني اسرآئيل ليرفضوه فبرطل بغية لترميه بنفسها فلما كان يوم العيد قام موسى خطيبا فقال من سرق قطعناه ومن زنى غير محصن جلدناه ومن زنى محصنا رجمناه فقال قارون ولو كنت قال ولو كنت قال ان بني اسرآئيل يزعمون انك فجرت بفلانة فاحضرت فناشدها موسى بالله ان تصدق فقالت جعل لي قارون جعلا على ان ارميك بنفسي فخرّ موسى شاكيا منه الى ربه فأوحى اليه ان مر الارض بماشئت فقال يا ارض خذيه فأخذته الى ركبته ثم قال خذيه فأخذته الى وسطه ثم قال خذيه فأخذته الى عنقه ثم قال خذيه فخسفت به وكان قارون يتضرّع اليه في هذه الاحوال فلم يرحمه فأوحى الله اليه ماأفظك استرحمك مرارا فلم ترحمه وعزتي وجلالي لو دعاني مرة لأجبته ثم قال بنوا اسرآئيل انما فعله ليرثه فدعا الله حتى خسف بداره وامواله (فما كان له من فئة) اعوان مشتقة من فأوت رأسه اذا ميلته (ينصرونه من دون الله) فيدفعون عنه عذابه (وما كان من المنتصرين) الممتنعين منه من قولهم نصره من عدوّه فانتصر اذا منعه منه فامتنع (واصبح الذين تمنوا مكانه) منزلته (بالامس) منذ زمان قريب (يقولون ويكأنّ الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر) يبسط ويقدر بمقتضى مشيئته لا لكرامة تقتضي البسط ولا لهوان يوجب القبض وويكأن عند البصريين مركب من وي للتعجب وكأنّ للتشبيه والمعنى ما اشبه الامر ان الله يبسط وقيل من ويك بمعنى ويلك وان تقديره ويك اعلم ان الله (لولا ان منّ الله علينا) فلم يعطنا ماتمنينا (لخسف بنا) لتوليده فينا ماولده فيه فخسف بنا لاجله (ويكأنه لايفلح الكافرون) لنعمة الله او المكذبون برسله وبما وعدوا لهم من ثواب الآخرة (تلك الدار الآخرة) اشارة تعظيم كأنه قال تلك التي سمعت خبرها وبلغك وصفها والدار صفة والخبر (نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض) غلبة وقهرا (ولا فسادا) ظلما على الناس كما اراد فرعون وقارون

وقيل اسم للنقش ﴿ قوله حذرا من الحسد ﴾ وهو ان يتمنى ان تكون نعمة صاحبه له دونه وهذا التمني مذموم بخلاف الغبطة وهي ان يتمنى مثل نعمة صاحبه من غير ان تزول عنه ومافي الآية من هذا القبيل ﴿ قوله تعالى فخسفنا به ﴾ اي غيبناه في الارض يقال خسف المكان يخسف خسوفا ذهب في الارض وخسف الله به الارض اي غيبه فيها ﴿ قوله فبرطل بغية ﴾ اي اعطاها الرشوة ومنه المثل * البراطيل تنصر الاباطيل * وهو جمع برطيل وهو في الاصل الحجر الطويل واريد به ههنا الرشوة كما يقال ألقمه الحجر اذا اسكته بالحجة ﴿ قوله مشتقة من فأوت رأسه ﴾ فوزنها فعة والهاء عوض عن اللام الساقطة بالاعلال سميت الاعوان فئة لميلهم الى صاحبهم بالمعاونة والنصرة ﴿ قوله منذ زمان قريب ﴾ اي اوّل زمان قريب والامس في الاصل اسم اليوم الذي قبل يومك واستعير ههنا للزمان القريب والمعنى وصار القوم الذين تمنوا منزلته ومارزق من المال والزينة بالوقت القريب الى زمان خسفه مما مضى يقولون الخ فانه يعبر عن الصيرورة بأصبح وامسى واضحى ﴿ قوله مركب من وي للتعجب ﴾ فان القوم الذين شاهدوا قارون في زينته لما شاهدوا مانزل به من الخسف تنبهوا لخطاهم في تمنيهم مثل مااوتي قارون حيث علموا ان بسط الرزق لا يكون لكرامة الرجل على الله تعالى ولا ضيقه لهوانه فتعجبوا من انفسهم كيف وقعوا في مثل هذا الخطأ ثم ابتدأوا يقولون كأنّ الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر اي لمن يشاء من عباده بحسب مشيئته وحكمته اي يضيق على من يشاء بحكمته وقضائه ابتلاء وفتنة والمعنى ليس الامر كما زعمنا من ان البسط يبتنى على الكرامة والقبض على الهوان بل الاشبه ان كل واحد من القبض والبسط مقتضى المشيئة الالهية المستندة الى الحكمة وكذا الكلام في قولهم ويكأنه لايفلح الكافرون تعجبوا من تمنيهم مثل حال قارون ثم قالوا ما اشبه الحال بان الكافرين لا ينالون الفلاح والهاء في كأنه ضمير الشان ﴿ قوله وقيل من ويك ﴾ اي قال الكوفيون ويكأنّ مركب من ويك وأنّ واصل ويك ويلك الذي اصله الدعاء بالهلاك ثم استعمل في الزجر والردع والبعث على ترك مالا يرضى وفتح ان لكونها مع مافي حيزها في موضع النصب بفعل محذوف وهو اعلم فعلى هذا يكون معنى الآية الزجر والردع عن الجهل بأن كل واحد من القبض والبسط ليس الا بمشيئة الله تعالى وحكمته والبعث على العلم بهذه القضية وهي ان الله تعالى يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وهكذا الكلام في قوله ويكأنه لايفلح الكافرون فان المقصود فيه ايضا الزجر عن الجهل والبعث على العلم بان الكافرين لايفلحون ﴿ قوله لخسف بنا ﴾ قرأ حفص لخسف بفتح الخاء والسين اي لخسف الله تعالى بنا وأدخلنا في الارض والباقون بضم الخاء وكسر السين على بناء المفعول فقوله بنا هو القائم مقام الفاعل ﴿ قوله اشارة تعظيم الخ ﴾ معنى التعظيم مستفاد من الاشارة بلفظ البعيد تنزيلا لبعد درجة المشار اليه ورفعة محله منزلة بعد المسافة كما في قوله تعالى الم ذلك الكتاب فان الاصل في اسماء الاشارة ان يشار بها الى مشاهد محسوس قريب او بعيد الا انه قد يشار بها الى محسوس غير مشاهد والى مايستحيل احساسه ومشاهدته بناء على تصييره كالمشاهد المحسوس وتنزيل الاشارة العقلية منزلة الحسية ومانحن فيه من هذا القبيل ﴿ قوله كما اراد فرعون وقارون ﴾ يعني ان المراد من عدم ارادة العلوّ عدم ارادته كارادة فرعون حيث استكبر عن الايمان واستعلى على مافي الارض من خلق الله تعالى ولاسيما على نبيه المؤيد بالمعجزات القاهرة ومن عدم ارادة الفساد ان لايريده كارادة قارون لقوله تعالى ان فرعون علا في الارض ولقول ناصح قارون ولا تبغ الفساد في الارض وليس كل من يصدق عليه انه اراد علوّا وفسادا في الجملة محروما من سعادة دار الآخرة للنصوص الدالة على ان كل مؤمن من اهل الجنة ومن جملتها قوله عليه الصلاة والسلام * من قال لا اله الا الله دخل الجنة وان زنى وان سرق * ثلاثا وقال في الثالثة على رغم انف ابي ذرّ الا ان الآية فيها زجر بليغ عن الخصلتين حيث لم يعلق الوعد بترك العلوّ والفساد ولكن بترك ارادتهما وميل القلب اليهما كما علق الوعيد بالركون الى الظلمة دون نفس الظلم في قوله تعالى ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار وايضا فيها دلالة على ان ارادة ماليس له من العلوّ والرفعة مما ينقص حظ المرء من سعادة الآخرة لما روى عن عليّ رضي الله عنه انه قال ان الرجل ليعجبه ان يكون شراك نعله اجود من شراك نعل صاحبه فيدخل تحت الآية وعن الفضيل بن عياض انه قرأها ثم قال ذهبت الامانيّ ههنا يعني ان الآية تدل على وجوب ترك التمني وارادة ماليس له من العلوّ والرفعة كما تدل على وجوب ترك ارادة الفساد وكرّر كلمة لا في قوله ولا فسادا ليفيد ان كل واحدة من الخصلتين على حدتها تمنع سعادة الآخرة وان لم تجامع الاخرى ثم انه تعالى لما بين ان الدار الآخرة ليست الا لمن اتقى عذاب الله بأدآء فرائضه واجتناب

(والعاقبة) المحمودة (للمتقين) مالا يرضاه الله (من جاء بالحسنة فله خير منها) ذاتا وقدرا ووصفا (ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات) وضع
فيه الظاهر موضع الضمير تهجينا لحالهم بتكرير اسناد السيئة اليهم

(الا ما كانوا يعملون) اى الا مثل
ماكانوا يعملون فحذف المثل واقام مقامه
ماكانوا يعملون مبالغة فى المماثلة (ان الذى
فرض عليك القرآن) اوجب عليك تلاوته
وتبليغه والعمل بما فيه (لرادك الى معاد) اى
معاد هو المقام المحمود الذى وعدك ان يبعثك
فيه اومكة التى اعتدت بها على انه من العادة
ورده اليها يوم الفتح كأنه لما حكم بان العاقبة
للمتقين واكد ذلك بوعد المحسنين ووعيد
المسيئين وعده بالعاقبة الحسنى فى الدارين
روى انه لما بلغ جحفة فى مهاجره اشتاق الى
مولده ومولد آبائه فنزلت (قل ربى اعلم
من جاء بالهدى) وما يستحقه من الثواب
والنصر ومن منتصب بفعل يفسره اعلم
(ومن هو فى ضلال مبين) وما استحقه
من العذاب والاذلال يعنى به نفسه والمشركين
وهو تقرير للوعد السابق وكذا قوله
(وما كنت ترجوا ان يلقى اليك الكتاب)
اى سيردك الى معادك كما ألقى اليك الكتاب
وماكنت ترجوه (الا رحمة من ربك)
ولكن ألقاه رحمة منه ويجوز ان يكون استثناء
محمولا على المعنى كأنه قال وما ألقى اليك
الكتاب الا رحمة اى لاجل الترحم
(فلا تكونن ظهيرا للكافرين) بمداراتهم
والتحمل منهم والاجابة الى طلبتهم
(ولا يصدنك عن آيات الله) عن قراءتها
والعمل بها (بعد اذ انزلت اليك) وقرئ
يصدنك من أصد (وادع الى ربك) الى عبادته
وتوحيده (ولا تكونن من المشركين)
بمساعدتهم (ولا تدع مع الله الها آخر) هذا
وما قبله للتهييج وقطع اطماع المشركين
عن مساعدته لهم (لا اله الا هو كل شئ هالك
الا وجهه) الا ذاته فان ماعداه ممكن هالك
فى حد ذاته معدوم (له الحكم) القضاء النافذ
فى الخلق (واليه ترجعون) للجزاء بالحق *
عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة
طسم القصص كان له من الاجر بعدد من
صدق موسى وكذب ولم يبق ملك فى السموات
والارض الا شهد له يوم القيامة انه كان صادقا

معاصيه بين بعد ذلك مايحصل لهم فقال من جاء بالحسنة فله خير منها اى ذاتا وقدرا ووصفا فان ثواب المعرفة النظرية الحاصلة فى الدنيا هى المعرفة الضرورية الحاصلة فى الآخرة ولذة النظر الى وجهه الكريم جل جلاله ولاشك ان هذه خير من الاولى ذاتا وكذا خير منها قدرا لان الثواب دائم والعمل منقض وكذا وصفا لان العمل فعل العبد والثواب فعل الله تعالى وقيل فله خير حاصل من جهة ماجاء به من الحسنة لئلا يرد مايقال الحسنة التى جاء العبد بها يدخل فيها معرفة الله تعالى والاخلاص فى العمل والثواب انما هو الاكل والشرب فكيف يجوز ان يقال الاكل والشرب خير من معرفة الله تعالى وقد مر هذا البحث فى آخر سورة النمل ﴿ قوله اى معاد ﴾ اشارة الى ان تنوين معاد للتعظيم والمعنى ان الذى حملك على صعوبة هذا التكليف ليثيبك عليه ثوابا لايحيط به الوصف بان يردك الى معاد يخصك ولا يليق بغيرك من البشر وهو المقام المحمود الذى وعده الله تعالى ان يبعثه فيه بقوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا والظاهر ان المعاد ههنا بمعنى المصير والمنقلب لابمعنى المتبادر منه وهو المكان الذى يكون المرء مدة فيه ثم يرجع اليه بعد ان فارق عنه لانه عليه الصلاة والسلام لم يكن فى ذلك المقام مدة حتى يعود اليه ﴿ قوله اومكة التى اعتدت بها ﴾ اى صرت معتادا بها وكانت موضع اعتيادك على ان يكون المعاد اسم مكان من عاده بمعنى اعتاده وتعوده اى صار عادة له يقال عود كلبه الصيد فتعوده واعتاده * قال الامام الاقرب ان يراد بالمعاد مكة لان ظاهر المعاد انه كان فيه وفارقه وحصل العود اليه وذلك لايليق الا بمكة والمصنف جوز ان يكون المراد بالمعاد مكة الا انه جعل المعاد حينئذ من العود بمعنى الاعتياد لان مكة لم تكن مرجعا له حينئذ الا باعتبار مايؤول اليه وكانت موضع اعتياده حقيقة ولا يصار الى المجاز الا اذا تعذرت الحقيقة ووجه تنكيره حينئذ ان مكة فى ذلك اليوم كانت معادا له شأن ومرجعا له اعتدادا لغلبة رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها وقهره لاهلها ولظهور عز الاسلام واهله وذل الشرك وحزبه ﴿ قوله لما بلغ جحفة ﴾ وهو موضع بين مكة والمدينة وهو ميقات اهل الشام فلما نزلت الآية هناك لم تكن مكية ولا مدنية وكانت من جملة مايدل على نبوته صلى الله عليه وسلم لانه اخبر عن الغيب ووقع كما اخبر فتكون من جملة معجزاته ﴿ قوله ومن منتصب بفعل يفسره اعلم ﴾ لا بنفس أعلم لان اسم التفضيل لايعمل فى مظهر لعدم كونه بمعنى الفعل لانه يدل على التفضيل والفعل لايدل عليه فاوقع فى حيز معموله فانه معمول لمضمر يدل عليه اسم التفضيل لما وعد الله رسوله عليه الصلاة والسلام ان يرده الى المعاد قال له قل للمشركين ربى أعلم من جاء بالهدى الآية تقريرا للوعد السابق ﴿ قوله محمولا على المعنى ﴾ فان قوله ما كنت ترجوا ان يلقى اليك الكتاب فى معنى مايلقى اليك عبر عنه بقوله ما كنت ترجو للمبالغة فان نفى رجاء الالقاء ابلغ من نفى الالقاء فكأنه قيل وما القى اليك الكتاب الا رحمة اى فى حال كونه رحمة او الا لاجل رحمة فيكون الاستثناء متصلا مفرغا ويكون المستثنى منه اعم الاحوال او اعم العلل ولا يجوز ان يكون الاستثناء باعتبار اللفظ لانه اذا قيل ما كنت ترجوه الا رحمة لزم ان يكون عليه الصلاة والسلام راجيا ان يلقى اليه الكتاب لاجل الرحمة وظاهر انه عليه الصلاة والسلام لم يكن راجيا له اصلا ثم انه تعالى لما اظهر المنة عليه بانزال القرآن عليه مع عدم رجائه اياه نهاه عن مظاهرة الكافرين وان يلتفت اليهم ويسمع اقوالهم فيصدوه عن اتباع آيات الله يعنى القرآن قال الضحاك ذلك حين دعوه الى دين آبائه ليزوجوه ويقاسموه شطرا من أموالهم اى لاتلتفت الى هؤلاء ولا تركن الى قولهم فيصدوك الخ قرأ العامة يصدنك بفتح الياء وضم الصاد من صده يصده وقرئ بضم الياء وكسر الصاد من أصده بمعنى صده وهى لغة كليب قال شاعرهم * اناس أصدوا الناس بالسيف عنهم * صدود السواقى عن انوف الحوائم * والحوائم العطاش من حام اذا عطش ﴿ قوله بمساعدتهم ﴾ فان من ساعدهم بان رضى بطريقتهم او مال اليهم كان منهم ﴿ قوله فان ماعداه ممكن هالك فى حد ذاته معدوم ﴾ فان الممكن لما استفاد الوجود من الخارج كان الوجود له كالثوب المستعار بالنسبة الى الفقير فكما لايخرج الفقير باستعارة ذلك الثوب من الغنى عن كونه فقيرا فى حد ذاته فكذا الممكنات لاتخرجن عن كونها هالكة عارية عن الوجود فى حد انفسها فظهر بهذا ان كل ماسواه من الممكنات هالك فى الحال فجاز ان تكون الجنة والنار مخلوقتين الآن كما يدل عليه قوله تعالى فى صفة الجنة اعدت للمتقين وفى صفة النار اعدت للكافرين كما قال الله تعالى أكلها دائم وظلها مع كونهما هالكتين بهذا المعنى * تم بعون الله مايتعلق بسورة القصص

﴿ سورة العنكبوت مكية وهى ﴾
﴿ تسع وستون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الم) سبق القول فيه ووقوع الاستفهام بعده دليل على استقلاله بنفسه

﴿ قوله دليل على استقلاله بنفسه ﴾ بان يكون حروفا مسرودة على وجه التعداد لامحل لها من الاعراب لكونها جارية مجرى الاصوات المنبهة فان الحكيم اذا خاطب من هو فى محل الغفلة او من هو مشغول البال بمهم من المهمات فانه يقدم على الكلام المقصود شيأ غيره ليلتفت اليه المخاطب بسببه ويقبل بقلبه عليه وذلك الشئ المقدم على المقصود قد يكون كلاما له معنى مفهوم كقول القائل اسمع منى واجعل بالك الى وانظرلى وقد يكون شيأ هو فى معنى الكلام المفهوم كقولك ازيد ويا زيد والا يا زيد وقد يكون ذلك المقدم على المقصود صوتا غير

مفهوم كمن يصفر خلف انسان ليلتفت اليه و قد يكون ذلك الصوت بغير الفم كما يصفق الانسان بيديه ليقبل السامع عليه ثم ان توقع الغفلة كلما كان اتم والكلام المقصود كان اهم كان المقدّم على المقصود اكثر ولهذا ينادى القريب بالهمزة فيقال ازيد و البعيد بيا فيقال يا زيد و الغافل بألا فيقال الا يازيد ثم ان النبي عليه الصلاة و السلام و ان كان يقظان الجنان لكنه انسان يشغله شان عن شان فكان يحسن من الحكيم تلك الحروف اذا لم يكن بحيث يفهم معناها فانها حينئذ تكون اتم فى افادة المقصود الذى هو التنبيه من تقديم الحروف التى لها معنى لان تقديم الحروف اذا كان لاقبال السامع نحو المتكلم لسماع مابعد ذلك فاذا كان ذلك المقدّم كلاما مفهوم المعنى فربما يظن السامع ان مدلوله هو كل المقصود ولا كلام له بعد ذلك فيقطع الالتفات عنه واما اذا سمع منه صوتا بلا معنى فانه حينئذ يقبل عليه ولم يقطع نظره عنه مالم يسمع غيره لجزمه بان ماسمعه ليس هو المقصود فتقرّر ان تقديم الحروف التى لامعنى لها فى الموضع الذى ذكرت على الكلام المقصود فيه حكمة بالغة * ثم اعلم ان حروف التهجى التى ذكرت فى اوآئل اكثر السور ذكر بعدها الكتاب او التنزيل او القرءآن كقوله تعالى الم ذلك الكتاب الم الله لااله الا هو الحى القيوم نزل عليك الكتاب المص كتاب انزل اليك يس و القرءآن الحكيم ص و القرءآن ذى الذكر ق و القرءآن الم تنزيل الكتاب حم تنزيل الكتاب ولم يذكر بعدها شئ من ذلك فى ثلاث سور كهيعص الم احسب الناس الم غلبت الروم و الحكمة فى افتتاح السور التى ذكر فيها بعد حروف التهجى القرءآن او التنزيل او الكتاب بتلك الحروف المنبهة هى ان القرءآن عظيم الشان وكذا الانزال و الكتاب و انزال الوحى له ثقل عظيم لاتطيق القوّة الحيوانية ثقله قال الله تعالى انا سنلقى عليك قولا ثقيلا فكل سورة فى اوآئلها ذكر القرءآن او الكتاب او التنزيل قدّم عليها منبه يوجب ثبات المخاطب لاستماعه * ثم اعلم ان التنبيه قد يحصل فى القرءآن بغير الحروف التى لايفهم معناها كما فى قوله تعالى يا ايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شئ عظيم و قوله يا ايها النبى اتق الله و يا ايها النبى لم تحرّم لانها اشياء هائلة عظيمة فان تقوى الله حق تقاته امر عظيم فقدّم عليها النداء الذى للبعيد الغافل عنها واما هذه السورة فافتتحت بالحروف و ليس فيها الابتداء بالكتاب و القرءآن لان القرءآن ثقله بمافيه من التكاليف والمعانى وهذه السورة فيها ذكر جميع التكاليف لكونها مصدّرة بقوله احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا يعنى لايتركون بمجرّد ذلك بل يؤمرون بانواع التكاليف فوجد فيها المعنى الذى وجد فى السور التى فيها ذكر القرءآن المشتمل على الاوامر والنواهى **﴿قوله﴾** اوبما يضم معه **﴿** امابان تجعل هذه الالفاظ المفردة اسماء للحروف التى يتركب منها الكلام افتتحت السور بطائفة منها ايقاظا لمن تحدّى بالقرءآن وتنبيها على ان المتلوّ عليهم كلام منظوم مماينظمون منه كلامهم فلوكان من عند غيرالله تعالى لما عجزوا عن آخرهم مع تظاهرهم وقوّة فصاحتهم عن الاتيان بمايدانيه والمعنى هذا المتحدّى به مؤلف من جنس هذه الحروف او المؤلف منها هو الذى تحدّيتم به وعجزتم عن الاتيان بما يدانيه واما بان تجعل اسماء للقرءآن او السور ويكون المعنى هذه الم واياما كان تكون هذه الالفاظ كلاما مستقلا منقطعا عمابعدها كما هو مقتضى الاستفهام الواقع بعدها فانه يقتضى صدر الكلام **﴿قوله﴾** الحسبان مما يتعلق بمضامين الجمل **﴿** لما كان افعال القلوب من جملة نواسخ الابتداء وجب ان تدخل على الجمل التامة للدلالة على ان جهة ثبوت مضمونها هل هى ظن او علم ويقين و الواقع بعد فعل الحسبان ههنا هو الفعل المضارع المصدر بان المصدرية وهذا الفعل مع مافى حيزه مؤوّل بمفرد لابجملة مؤلفة من المبتدأ والخبر حتى يستوفى فعل الحسبان مفعوليه لكن الجملة الفعلية المؤوّلة بالمفرد فى محل النصب على انها مفعول اوّل و قوله ان يقولوا ثانى المفعولين فان قوله مع كونه علة لتركهم غيرمفتونين لكونه فى تقدير لان يقولوا فهو يصح ان يكون خبرا له كما فى قولك ضربه للتأديب وخروجه مخافة الشرّ فاذا اردت ان تبين ان ثبوت مضمون هذه الجملة عنده على وجه الظن دون اليقين قلت حسبت ضربه للتأديب فكذا قوله ان يقولوا آمنا خبر فى الاصل ثم جعل مفعولا ثانيا لفعل الحسبان وقوله وهم لايفتنون من تمام قوله ان يتركوا لكونه حالا من المرفوع المستتر فيه **﴿قوله﴾** اوانفسهم متروكين غيرمفتونين **﴿** عطف على قوله تركهم غير مفتونين و الفرق بين الوجهين ان فعل الحسبان على الوجه الاوّل استوفى مفعوليه المتلازمين بمعنى انه لايجوز الاقتصار على احدهما وعلى الثانى حذف كلاهما اكتفاء بذكر مايسدّ مسدّهما **﴿قوله﴾** خرعوا **﴿** بالخاء المنقوطة من فوق بمعنى ضعفوا وروى جزعوا **﴿قوله﴾** متصل بأحسب **﴿** بان يكون حالا من فاعله لبيان علة انكار الحسبان وتقرير جهة اشكاله والمعنى احسبوا ذلك وقد علموا انه خلاف سنة الله تعالى ولن تجد لسنة الله تبديلا والمقصود التنبيه على خطأهم فى الحسبان **﴿قوله﴾** اوبلا يفتنون **﴿** بان يكون حالا من فاعله لبيان ان لاوجه لتخصيصهم انفسهم بعدم الافتتان والمعنى احسبوا ان لايكونوا كغيرهم ولايسلك بهم مسلك الامم

اوبما يضم معه (احسب الناس) الحسبان مما يتعلق بمضامين الجمل للدلالة على جهة ثبوتها ولذلك اقتضى مفعولين متلازمين اوما يسدّ مسدّهما كقوله (ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لايفتنون) فان معناه احسبوا تركهم غيرمفتونين لقولهم آمنا فالترك اوّل مفعوليه وغير مفتونين من تمامه ولقولهم هو الثانى كقولك حسبت ضربه للتأديب او انفسهم متروكين غيرمفتونين لقولهم آمنا بل يمتحنهم الله بمشاق التكاليف كالمهاجرة والمجاهدة ورفض الشهوات ووظائف الطاعات وانواع المصائب فى الانفس والاموال ليتميز المخلص من المنافق والثابت فى الدين من المضطرب فيه ولينالوا بالصبر عليها عوالى الدرجات فان مجرّد الايمان وان كان من خلوص لايقتضى غير الخلاص من الخلود فى العذاب روى انها نزلت فى ناس من الصحابة جزعوا من اذى المشركين وقيل فى عمار وقد عذب فى الله وقيل فى مهجع مولى عمر بن الخطاب رضى الله عنه رماه عامر بن الحضرمى بسهم يوم بدر فقتله فجزع عليه ابواه وامرأته (ولقد فتنا الذين من قبلهم) متصل باحسب اوبلا يفتنون والمعنى ان ذلك سنة قديمة جارية فى الامم كلها فلا ينبغى ان يتوقع خلافه (فليعلمنّ الله الذين صدقوا وليعلمنّ الكاذبين) فليتعلق علمه بالامتحان تعلقا حاليا يتميز به الذين صدقوا فى الايمان

السابقة فيكون داخلا فى حيز متعلق الحسبان المنكر تخطئة لهم ﴿قوله فليتعلق علمه بالامتحان﴾ اى فليمتحنهم بمشاق التكاليف وبانواع السرآء والضرآء يبلو بذلك صبرهم بثبات اقدامهم وصحة عقائدهم ونصوع نياتهم ليتميز المخلص من غير المخلص والراسخ فى الدين من المضطرب والمتمكن فى العبادة من العابد على حرف فيتعلق علمه بوجود كل طائفة على ماهى عليه من الحال كما علم قبل ذلك بانه سيوجد موصوفا بتلك الحال ومقصود المصنف بهذا الكلام ان يجيب عما يقال انه تعالى عالم بجميع الكائنات فيما لم يزل فكيف قيل فليعلمن الله وهو بظاهره يقتضى ان يكون علمه تعالى حادثا متجددا عن الامتحان لاقبله * قال الامام الآية محمولة على ظاهرها وذلك ان علم الله تعالى صفة يظهر فيها كل ماهو واقع كما هو واقع فقبل التكليف كان الله سبحانه وتعالى يعلم ان زيدا مثلا سيطيع وعمرا سيعصى ثم وقت التكليف والاتيان يعلم انه مطيع والآخر عاص وبعد الاتيان يعلم انه اطاع والآخر عصى ولا يتغير علمه فى شئ من الاحوال وانما المتغير المعلوم ويتبين هذا بمثال من الحسيات وهو ان المرآة الصافية الصقيلة اذا علقت بموضع وقوبل بوجهها جهة ثم عبر عليها زيد لابسا ثوبا ابيض فظهر فيها زيد فى ثوب ابيض ثم عبر عليها عمرو فى لباس اصفر فظهر فيها كذلك فهل يقع فى ذهن احد ان المرآة فى كونها حديدا تغيرت او كونها صافية صقيلة مدورة مقابلة الى جهة فلانية تحولت وتبدلت لايقع فى ذهن احد تغيرها فى شئ من هذه الاوصاف بل يقطع كل احد بان المتغير الامور الخارجة عنها فعلم الله تعالى فى حكم تغيره وتجدده من هذا القبيل بل علمه تعالى اعلى واجل فان المرآة مخلوقة وعلمه تعالى ازلى قديم لكن يتجدد تعلقه على حسب تجدد المعلوم فقوله فليعلمن الله الذين صدقوا معناه انه يقع ممن يعلم الله تعالى انه سيطيع الطاعة فيعلم انه مطيع بذلك العلم وقوله تعالى وليعلمن الكاذبين يعنى من قال انا مؤمن وكان كاذبا فبفرض العبادات يظهر منه ذلك لانه يقع ممن علم الله تعالى منه انه سيعصى ولايطيع المخالفة والعصيان ليعلم انه كاذب فى دعوى الايمان والطاعة لقيام شواهد كذبه فيها فان اللسان ترجمان القلب والاعضاء شهود على مايدعيه المرء باللسان فمن ادعى بلسانه الايمان واستعمل الاركان على حسب مايقتضيه الايمان فقد صدقه شهوده فى دعواه وتحقق مافى علمه تعالى من انه سيطيع فعلمه بانه قد اطاع ومن لم يستعمل اركانه حسب مايقتضيه ايمانه فقد كذبه شهوده وتحقق مافى علمه من انه لايطيع وعلمه تعالى بانه من العصاة الكاذبين وفى قوله الذين صدقوا بصيغة الفعل وقوله الكاذبين بلفظ اسم الفاعل فائدة مع الاختلاف فى اللفظ ادل على الفصاحة وهى ان اسم الفاعل يدل فى كثير من المواضع على ثبوت المصدر فى الفاعل ورسوخه فيه والفعل الماضى لايدل عليه كما يقال فلان شرب الخمر وفلان شارب الخمر وفلان نفذ امره وفلان نافذ الامر لايفهم من صيغة الفعل التكرار والرسوخ ويفهم ذلك من اسم الفاعل اذا ثبت هذا فنقول وقت نزول الآية كانت الحكاية عن قوم قريبى العهد بالاسلام فى اوائل ايجاب التكليف وعن قوم مستديمين للكفر مستمرين عليه فقال فى حق المؤمنين صدقوا بلفظ الفعل اى وجد منهم الصدق وقال فى حق الكافرين الكاذبين بالصيغة المنبئة عن الثبات والدوام ﴿قوله لذلك﴾ اى لكون المراد بالعلم تعلقه الحالى الذى هو سبب التمييز والمجازاة فسر العلم بهما على طريق اطلاق اسم السبب وارادة المسبب وقيل المعنى فليميزن او ليجازين فان التمييز بين الشيئين والمجازاة على الشئ مسبب عن تعلق العلم به فاقيم قوله ليعلمن الله مقام ليميزن او ليجازين ﴿قوله ليعرفنهم الناس﴾ على ان يكون اعلم من علمت بمعنى عرفت نقل الى باب الافعال فعدى الى مفعولين احدهما الذين والآخر محذوف وهو الناس والمعنى ليعرفن الله الناس الذين صدقوا من الكاذبين ﴿قوله او ليسمنهم﴾ على ان يكون اعلم من اعلم القصار الثوب فهو معلم بالكسر والثوب معلم بالفتح يقال وسمه وسما اذا اثر فيه بكى او علامة يعرف بها والضمير فى ليعرفنهم وليسمنهم للصادقين والكاذبين ﴿قوله الكفر والمعاصى﴾ ذكر اولا ان الآية الاولى نزلت فى ناس من الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين ثم اشار الى ان هذه الآية نزلت فى حق الكافرين كانه قيل احسب الذين قالوا آمنا ان نكتفى منهم بالايمان بدون الامتحان ام حسب الكفار ان يعجزونا فتركوا لاجل ذلك الايمان فالكفار وان لم يطمعوا فى الفوت لانكارهم البعث والجزآء اصلا ورأسا لكنهم نزلوا منزلة من عرف وصدق به وطمع فى السبق اى الفوت وذلك لغفلتهم واصرارهم على المعاصى مع ظهور الدليل القائم على انه لابد من البعث والجزآء فانكر عليهم ذلك الطمع والحسبان فكان حاصل المعنى ان الجزآء يلحقهم البتة لانه لما انكر حسبانهم السبق اى الفوت تبين انهم لايفوتون فلامحالة يلحقهم العذاب لاجل ثباتهم على الكفر والمعاصى فكيف لايحترزون عنه ﴿قوله تعالى ان يسبقونا﴾ لما اشتمل على المسند والمسند اليه سد مسد مفعولى حسب والمعنى أظن المسيئون انهم يفوتونا فلانقدر على الانتقام منهم وهو فى قوة قولنا احسبوا انفسهم فائتين وأم منقطعة مقدرة ببل والهمزة والاضراب لاجل الانتقال لالابطال السابق لان انكار الحسبان الاول ليس بباطل الا ان الحسبان الثانى ابطل واولى بالانكار وذلك لان صاحب

والذين كذبوا فيه وينوط به ثوابهم وعقابهم لذلك وقيل المعنى وليميزن او ليجازين وقرئ وليعلمن من الاعلام اى وليعرفنهم الناس او وليسمنهم بسمة يعرفون بها يوم القيامة كبياض الوجوه وسوادها (ام حسب الذين يعملون السيئات) الكفر والمعاصى فان العمل يعم افعال القلوب والجوارح (ان يسبقونا) ان يفوتونا فلا نقدر ان نجازيهم على مساويهم وهو ساد مسد مفعولى حسب وأم منقطعة والاضراب فيها لان هذا الحسبان ابطل من الاول ولهذا عقبه بقوله (ساء مايحكمون) اى بئس الذى يحكمونه او حكما يحكمونه حكمهم هذا فحذف المخصوص بالذم (من كان يرجو لقاء الله) فى الجنة

الحسبان الاوّل يقرّر انه لايمتحن لايمانه وهذا يظن انه لايجازى بمساويه والثانى ابطل لانه خلاف ما يقتضيه العقل والنقل والاوّل انما يخالف النقل فقط ولم تجعل ام هذه متصلة معادلة لهمزة الاستفهام فى قوله احسب الناس لوجهين احدهما ان مابعدها ليس مفردا ولا فى قوّة المفرد والثانى انه لم يكن هنا مايجاب به عن احد الشيئين او الاشياء ﴿قوله اى بئس الذى يحكمونه﴾ يريد ان ساء بمعنى بئس وان مايجوز ان تكون موصولة بمعنى الذى ويحكمون صلتها والعائد محذوف والموصول مع صلته فى محل الرفع على انه فاعل بئس فيكون فاعل بئس كالمعرف باللام ويكون المخصوص بالذم محذوفا اى بئس الحكم الذى يحكمونه حكمهم هذا ويجوز ان يكون الفاعل مضمرا مفسرا بما وهى فى محل النصب على التمييز ويحكمون صفتها بحذف العائد والمخصوص ايضا محذوف والتقدير بئس الحكم حكما يحكمونه حكمهم هذا حين ظنوا ذلك * قال الامام لمابين حسن التكليف بقوله احسب الناس ان يتركوا بين ان من كلف بشئ ولم يأت به يعذب وان لم يعذب فى الحال فسيعذب فى الاستقبال ولا يفوت اللهَ شئ فى الحال ولا فى المآل ﴿قوله وقيل المراد بلقاء الله تعالى﴾ اى قال من ذهب الى ان لقاء الله تعالى بمعنى ابصاره غير ممكن ان المراد بلقاء الله عزوجل الوصول الى ثوابه او الى العاقبة بان استعير اللقاء للوصول المذكور حيث شبه الوصول باللقاء ثم ذكر اللقاء واريد ذلك الوصول على الاستعارة التصريحية ووجه الشبه بين الوصول واللقاء من وصل الى ثواب الله تعالى او الى عاقبة مكثه فى الدنيا من الموت والبعث والحساب والجزآء على حسب ماوعده فى الدنيا وقد انكشف له الامر وتبين مااعتقد فى الدنيا من امور الآخرة وصفات الله تعالى ووحدانيته ووعده ووعيده فصار كأنه لقى الله تعالى وكلمه بهذه الاشياء وبينها له فان وصول الآثار المختصة بالشئ تقوم مقام الوصول الى ذات الشئ ورؤيته اوصار حاله فى وصوله الى عاقبة مكثه فى الدنيا كحال من لقيه سيده بالبشر وطلاقة الوجه او بالسخط والعبوسة ﴿قوله فليبادر مايحقق امله﴾ مبنى على ما اختاره من ان المراد بلقاء الله تعالى النظر الى وجهه الكريم فى الجنة ﴿قوله اومايستوجب به القربة﴾ مبنى على ماقيل من ان المراد بلقاء الله تعالى الوصول الى العاقبة على تمثيل حال الواصل اليه بحال من لقى سيده المطلع على احواله ﴿قوله واذا كانت وقت اللقاء آتيا كان اللقاء كائنا لامحالة﴾ اشارة الى جواب مايقال وهو ان قوله من كان يرجو شرط وجزاؤه فان اجل الله لآت والمعلق بالشرط عدم عند عدم الشرط فيلزم منه ان من لايرجو لقاء الله تعالى لايكون اجل الله تعالى آتيا له والاجل آت لكل احد لامحالة فاوجه جعل رجاء اللقاء شرطا لاتيان الاجل والشرط لابدّ ان يكون سببا للجزآء او الاخبار به ولاتظهر السببية باحد المعنيين ههنا * ومحصول الجواب ان قوله فان اجل الله لآت ليس بجزآء بل هو قائم مقام الجزآء فان اصل الكلام من كان يرجو لقاء الله فليبادر للعمل الصالح الذى يحقق امله او الذى يستحق به القربة والرضى فان اجل الله لآت من قريب الا انه اقيم ماهو السبب لاجل الجزآء وهو كون اجل الله آتيا عن قريب مقام ذلك الجزآء المسبب ثم علل الامر بمبادرة الاعمال الصالحة بقوله وهو السميع العليم اى وهو المجازى لجميع صالحات اعماله فان العمل الصالح لايخرج عن ثلاثة اقسام احدها عمل القلب كالتصديق والنية الخالصة وغيرهما وهو لايرى ولايسمع ولايتعلق به الا العلم وثانيها عمل اللسان وهو يسمع وثالثها عمل الاعضاء والجوارح وهو وان كان من قبيل المبصرات الا ان علمه تعالى بذلك لمالم يكن باستعانة الآلة جعل من قبيل عمل القلب واشار الى احاطة علمه به بقوله العليم وهاهنا لطيفة وهى ان من اتى بهذه الاعمال الصالحة جعل الله تعالى لمسموعه مالا اذن سمعت ولمرئيه مالا عين رأت ولعمل قلبه مالا خطر على قلب احد كما ذكر فى الخبر الوارد فى وصف الجنة ﴿قوله على مضض الطاعة﴾ اى على تعبها وفى الصحاح المضض وجع المصيبة يقال امضنى الجرح امضاضا اذا وجعك وفيه لغة اخرى مضنى الجرح لمابين الله تعالى ان التكليف والامتحان حسن واقع بين ان نفعه يعود على المكلف وانه تعالى غنى عن العالمين والحصر المذكور فى الآية اضافى معناه ان جهاده لايصل منه الى الله نفع فلا يرد ان يقال كيف يستقيم الحصر المذكور مع ان جهاد المرء قد ينتفع به غيره كما ينتفع الآباء بصلاح الاولاد وينتفع من سن سنة حسنة بفعل من استن بها ثم انه تعالى لمابين اجمالا ان من عمل صالحا فانما يعمل لنفسه فصل ذلك النفع بعض التفصيل فقال والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرنّ والذين مبتدأ خبره جملة القسم المحذوف وجوابه اى والله لنكفرن والتكفير اذهاب السيئة بالحسنة والمعنى لنذهبن سيئاتهم حتى تصير بمنزلة مالم تعمل والعمل الصالح عندنا كل ماامر الله تعالى فانه صار صالحا بامره ولو نهى عنه لما كان صالحا فليس الصلاح والفساد من لوازم الفعل فى نفسه وقالت المعتزلة ذلك من صفات الفعل ويترتب عليه الامر والنهى فالصدق عمل صالح فى نفسه ويأمر الله تعالى به كذلك فعندنا الصلاح والفساد والحسن والقبح يترتب على الامر والنهى وعندهم الامر والنهى يترتب على الحسن والقبح

وقيل المراد بلقاء الله الوصول الى ثوابه او الى العاقبة من الموت والبعث والحساب والجزآء على تمثيل حاله بحال عبد قدم على سيده بعد زمان مديد وقد اطلع السيد على احواله فاما ان يلقاه ببشر لما رضى من افعاله او بسخط لما سخط منها (فان اجل الله) فان الوقت المضروب للقائه (لآت) لجاء واذا كان وقت اللقاء آتيا كان اللقاء كائنا لامحالة فليبادر مايحقق امله ويصدق رجاءه اومايستوجب به القربة والرضى (وهو السميع) لاقوال العباد (العليم) بعقائدهم وافعالهم (ومن جاهد) نفسه بالصبر على مضض الطاعة والكف عن الشهوات (فانما يجاهد لنفسه) لان منفعته لها (ان الله لغنى عن العالمين) فلاحاجة به الى طاعتهم وانما كلف عباده رحمة عليهم ومراعاة لصلاحهم (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم) الكفر بالايمان والمعاصى بما يتبعها من الطاعات (ولنجزينهم احسن الذى كانوا يعملون) اى احسن جزآء اعمالهم والجزآء الحسن ان يجازى بحسنة حسنة واحسن الجزآء هو ان يجازى الحسنة الواحدة بالعشر وزيادة (ووصينا الانسان بوالديه حسنا) بايتائه فعلا ذا حسن او كأنه فى ذاته حسن لفرط حسنه ووصى يجرى مجرى امر معنى وتصرفا وقيل هو بمعنى قال

اى وقلناله احسن بوالديك حسنا وقيل حسنا منتصب بفعل مضمر على تقدير قول مفسر للتوصية اى قلنا اولهما او افعل بهما حسنا وهو اوفق لما بعده وعليه يحسن الوقف على بوالديه وقرئ حسنا واحسانا (وان جاهداك لتشرك بى ماليس لك به علم) بالهيته عبر عن نفيها بنفى العلم بها اشعارا بان مالايعلم صحته لايجوز اتباعه وان لم يعلم بطلانه فضلا عما علم بطلانه (فلاتطعهما) فى ذلك فانه لاطاعة لمخلوق فى معصية الخالق ولابدّ من اضمار القول ان لم يضمر قبل (الىّ مرجعكم) مرجع من آمن منكم ومن اشرك ومن برّ بوالديه ومن عق (فأنبئكم بما كنتم تعملون) بالجزآء عليه والآية نزلت فى سعد بن ابى وقاص وامه حمنة فانها لما سمعت باسلامه حلفت ان لاتنتقل من الضح ولاتطعم ولاتشرب حتى يرتد ولبثت ثلاثة ايام كذلك وكذا التى فى لقمان والاحقاف (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم فى الصالحين) فى جملتهم والكمال فى الصلاح منتهى درجات المؤمنين ومتمنى انبياء الله المرسلين اوفى مدخلهم وهى الجنة (ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا اوذى فى الله) بان عذبهم الكفرة على الايمان (جعل فتنة الناس) مايصيبهم من اذيتهم فى الصرف عن الايمان (كعذاب الله) فى الصرف عن الكفر (ولئن جاء نصر من ربك) فتح وغنيمة (ليقولنّ انا كنا معكم) فى الدين فاشركونا فيه والمراد المنافقون اوقوم ضعف ايمانهم فارتدوا من اذى المشركين ويؤيد الاوّل (اوليس الله باعلم بما فى صدور العالمين) من الاخلاص والنفاق (وليعلمنّ الله الذين آمنوا) بقلوبهم (وليعلمنّ المنافقين) فيجازى الفريقين (وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا) الذى نسلكه فى ديننا (ولنحمل خطاياكم) ان كان ذاك خطيئة اوان كان بعث ومؤاخذة وانما امروا انفسهم بالحمل عاطفين على امرهم بالاتباع مبالغة فى تعليق الحمل بالاتباع والوعد بتخفيف الاوزار عنهم ان كانت ثمة تشجيعا لهم عليه

﴿قوله احسن جزآء اعمالهم﴾ يريد ان المضاف محذوف اى احسن جزآء الذى كانوا يعملونه يعنى ان للعمل جزآء حسنا وجزآء احسن فهو تعالى يجزيهم الجزآء الاحسن ﴿قوله بايتائه﴾ اى بايتاء والديه يعنى ان الباء صلة وصينا وحذف المضاف الذى هو المأمور به واقيم المضاف اليه مقامه وان حسنا منصوب على انه صفة لمفعول المصدر المحذوف اما بتقدير ذا او بجعل نفس ذلك الفعل حسنا للمبالغة لما بين الله تعالى حسن التكليف وحرض المكلف على طاعة مولاه فيما كلفه بقوله انما يجاهد لنفسه وانه يجزى باحسن جزآء اعماله حرضه على طاعة والديه لكونهما سببا بحسب الظاهر لوجوده وتربيته فقال ووصينا الانسان الى آخره ﴿قوله وقيل هو بمعنى قال﴾ فيكون حسنا منصوبا لوقوعه موقع المصدر للفعل المحذوف الذى تعلق به قوله بوالديه او بكونه مصدرا له بحذف الزوائد على ان يكون وصينا بمعنى قلنا ﴿قوله حسنا﴾ منصوب على انه مفعول به لفعل مضمر هو مقول قول مقدر مفسر للتوصية ﴿قوله اولهما﴾ امر المخاطب من قولك اوليته معروفا اى اعطيته اياه يقال اوليته الشئ فوليه ﴿قوله وهو اوفق لما بعده﴾ اى تقدير فعل الامر اوفق لقوله ولاتطعهما لانه اذا كان التقدير اولهما حسنا ولاتطعهما فى الشرك اذا حملاك عليه يكون عطف الانشاء على الانشاء بخلاف ما اذا جعل وصينا بمعنى امرنا فعلى هذا يكون جملة قلنا اولهما كلاما مستأنفا كانه لما قيل ووصينا الانسان بوالديه قيل ماتلك الوصية فاجيب قلنا اولهما ولاتطعهما فلذلك حسن الوقف على قوله بوالديه ﴿قوله وقرئ حسنا﴾ بفتحتين وهما لغتان كالبخل والبخل وقرئ احسانا كما فى قوله وبالوالدين احسانا قيل نزلت الآية فى سعد بن ابى وقاص رضى الله عنهما وامه حمنة فانه لما اسلم وكان من السابقين الاوّلين قالت امه ماهذا الدين الذى احدثته والله لاآكل ولااشرب حتى ترجع الى ما كنت عليه او اموت فتعير ابد الدهر ويقال لك قاتل امه ثم انها مكثت يوما وليلة لم تأكل ولم تشرب فجاء سعد اليها وقال لها ياأماه لوكانت لك مائة نفس فخرجت نفسا نفسا ماتركت دينى فكلى واشربى وان شئت فلاتأكلى فلما ايست منه اكلت وشربت فانزل الله تعالى هذه الآية وامره بالبرّ لوالديه والاحسان اليهما وان لايطيعهما فى الشرك * امر الله تعالى بالاحسان الى الوالدين لكونهما سببا ظاهرا لوجود الولد بالولادة ولبقائه بالتربية المعتادة كما انه تعالى سبب حقيقى لوجوده بالارادة ولبقائه بالاعادة للسعادة الدائمة فاوّل مايجب على العبد ان يحسن حاله مع مولاه ثم مع من ولده ورباه فلذلك وصاه الله تعالى بعدما بين حسن التكليف ووقوعه ليتبين به صدق العبد من كذبه وان نفع المجاهدة انما يرجع اليه وانه يجزى المحسن باحسن جزآء اعماله تحريضا له على طاعة مولاه فهذا وجه اتصال الآية بما قبلها والله اعلم ﴿قوله ولابدّ من اضمار القول﴾ بعد قوله حسنا على تقدير ان يكون ووصيناه بمعنى امرناه اى امرناه بكذا وقلنا ان جاهداك ليكون المعطوف جملة خبرية كالمعطوف عليه ولايلزم عطف الانشاء على الاخبار ومن هذا يعلم ان الجملة الشرطية انما تكون خبرية اذا لم يكن جزاؤها انشاء وقوله ان لم يضمر قبل يدل على انه لابدّ من اضمار القول على تقدير ان يكون وصى بمعنى قال وليس كذلك لان الجملة الشرطية الانشائية حينئذ تكون معطوفة على الانشائية المقدّرة الناصبة لقوله حسنا ﴿قوله من الضح﴾ وهو الموضع الذى يقع عليه ضوء الشمس وفى الحديث * لايقعد احدكم بين الضح والظل فانه مقعد الشيطان ﴿قوله تعالى والذين امنوا﴾ يجوز ان يكون فى محل الرفع على الابتدآء اوفى محل النصب على الاشتغال قيل الفائدة فى اعادة الذين آمنوا وعملوا الصالحات ان ذكرهم اوّلا لبيان حال المهتدين وثانيا لبيان حال الهادين ويدل عليه انه تعالى قال اوّلا لنكفرنّ عنهم سيئاتهم وقال ثانيا لندخلنهم فى الصالحين والمراد بهم الهداة لكون الصلاح المحض منصب الانبياء عليهم السلام ولهذا قال ابراهيم عليه السلام وادخلنى فى الصالحين هذا ماقيل والظاهر ان الاوّل ذكر لتقرير قوله فانما يجاهد لنفسه والثانى ذكر تحريضا للانسان على قبول ماوصى به وحاصل الاوّل وعد وتحريض على طاعة المولى فيما كلف به والثانى وعد وتحريض على طاعة الوالدين فى غير المعصية * ثم ان المكلفين ثلاثة اقسام مؤمن ظاهر بحسن اعتقاده * وكافر مجاهر بكفره وعناده * ومذبذب بينهما يظهر الايمان بلسانه ويضمر الكفر فى فؤاده * فالله تعالى لما ذكر القسمين بقوله فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين وبين احوالهما بقوله ام حسب الذين يعملون السيئات الى قوله والذين آمنوا وعملوا الصالحات ذكر القسم الثالث فقال ومن الناس من يقول آمنا بالله ﴿قوله ليقولن﴾ قرآءة العامة بضم اللام على اسناد الفعل الى ضمير الجمع حملا على معنى من بعد ان حمل على لفظها فى ثلاثة الفاظ ويؤيد هذه القرآءة قوله انا كنا وقرئ ليقولن بفتح اللام حملا على لفظ من كما عليه حمل سابقا فى مواضع فلما حكى الله تعالى قولهم وكذبهم بقوله اوليس الله باعلم بما فى صدور العالمين ذكر مايكون وعدا فى حق احد الفريقين ووعيدا فى حق الآخر فقال وليعلمن الله الذين آمنوا الى آخره ﴿قوله وانما امروا انفسهم بالحمل﴾ والحال ان الآمر غير المأمور

وبهذا الاعتبار ردّ عليهم وكذبهم بقوله ﴿وماهم بحاملين من خطاياهم من شئ انهم لكاذبون﴾ من الاولى للتبيين والثانية مزيدة والتقدير وماهم بحاملين شيأ من خطاياهم ﴿وليحملنّ اثقالهم﴾ اثقال مااقترفته انفسهم ﴿واثقالا مع اثقالهم﴾ واثقالا اخر معها لما تسببوا له بالاضلال والحمل على المعاصي من غير ان ينقص من اثقال من تبعهم شئ ﴿وليسألن يوم القيامة﴾ سؤال تقريع وتبكيت ﴿عما كانوا يفترون﴾ من الاباطيل التي اضلوا بها ﴿ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما﴾ بعد المبعث اذ روى انه بعث على رأس اربعين ودعا قومه تسعمائة وخمسين وعاش بعد الطوفان ستين ولعل اختيار هذه العبارة للدلالة على كمال العدد فان تسعمائة وخمسين قد يطلق على مايقرب منه ولما في ذكر الالف من تخييل طول المدّة الى السامع فان المقصود من القصة تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وتثبيته على مايكابده من الكفرة واختلاف المميزين لما في التكرار من البشاعة ﴿فاخذهم الطوفان﴾ طوفان الماء وهو لما طاف بكثرة من سيل او ظلام او نحوهما ﴿وهم ظالمون﴾ بالكفر ﴿فانجيناه﴾ اى نوحا ﴿واصحاب السفينة﴾ ومن اركبه معه من اولاده واتباعه وكانوا ثمانين وقيل ثمانية وسبعين وقيل عشرة نصفهم ذكور ونصفهم اناث ﴿وجعلناها﴾ اى السفينة او الحادثة ﴿آية للعالمين﴾ يتعظون ويستدلون بها ﴿وابراهيم﴾ عطف على نوحا او نصب باضمار اذكر وقرئ بالرفع على تقدير ومن المرسلين ابراهيم ﴿اذ قال لقومه اعبدوا الله﴾ ظرف لارسلنا اى ارسلناه حين كمل عقله وتم نظره بحيث عرف الحق وامر الناس به او بدل منه بدل الاشتمال ان قدر باذكر ﴿واتقوه ذلكم خير لكم﴾ مما انتم عليه ﴿ان كنتم تعلمون﴾ الخير والشر وتميزون ماهو شرّ مما هو خير او كنتم تنظرون في الامور بنظر العلم دون نظر الجهل ﴿انما تعبدون من دون الله اوثانا وتخلقون افكا﴾ وتكذبون كذبا في تسميتها آلهة وادّعاء شفاعتها عندالله او تعملونها وتنحتونها وهو استدلال على شرارة ماهم عليه من حيث انه زور وباطل وقرئ تخلّقون من خلق للتكثير وتخلقون من تخلق

وامر الشخص نفسه غير معقول والحاصل ان قوله ولنحمل وان كان على لفظ الامر الا ان مراد الكفار تعليق حمل خطايا المؤمنين باتباعهم سبيل الكفر فكان الاصل ان يقال اتبعوا سبيلنا نحمل خطاياكم على معنى ان اتبعتم سبيلنا نحمل خطاياكم الا انه عدل عنه الى ماعليه النظم ليفيد المبالغة في تعليق حمل الخطايا بالاتباع وفي الوعد بتخفيف الاوزار عنهم حيث ابرز الكلام في صورة امر انفسهم ولاشك انه يدل على المبالغة في الالتزام ﴿قوله وبهذا الاعتبار﴾ اى وباعتبار كون المراد تعليق الحمل بالاتباع توجه عليهم الردّ والتكذيب اذ لو كان المراد حقيقة الامر لما توجه عليهم ذلك لان التصديق والتكذيب انما يتوجهان على الخبر دون الانشاء وقد كذبهم الله تعالى بقوله وماهم بحاملين من خطاياهم الى آخره مع ان العجز عن الايفاء بالمضمون لايوجب الكذب على تشبيه حالهم بحال الكاذبين من حيث انهم ضمنوا بما لايصح الضمان به كما ان الكاذب اخبر بما لايصح الاخبار به ﴿قوله من الاولى للتبيين والثانية زائدة﴾ يعني ان قوله من شئ مفعول لقوله حاملين ومن خطاياهم حال من شئ لانه لما تقدّم عليه انتصب حالا والتقدير وماهم بحاملين شيأ من خطاياهم وهو المراد بقوله من الاولى للتبيين ﴿قوله من غير ان ينقص من اثقال من تبعهم شئ﴾ اشارة الى جواب مايقال انه تعالى نفى الحمل اولا حيث قال وماهم بحاملين من خطاياهم من شئ ثم انه اثبته ثانيا حيث قال وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم فما وجه الجمع بينهما وتلخيص الجواب انه ليس فيه اثبات مانفى اولا لانهم لايحملون من اوزار اتباعهم شيأ لانه اذا حمل احد عن آخر شيأ لزم ان يخف حمل الآخر فاذا لم يخف حمله فلا يكون قد حمل عنه شيأ بل يحملون اثقال مااقترفوه بانفسهم واثقالا اخر بسبب اثقال غيرهم لقوله عليه الصلاة والسلام *من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة من غير ان ينقص من وزره شئ* ونظيره قوله تعالى ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيامة ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم ﴿قوله من الاباطيل التي اضلوا بها﴾ قيل تلك الاباطيل التي افتروا بها تحتمل ثلاثة اوجه احدها ان قوله ولنحمل خطاياكم مبني على اعتقادهم ان لاخطيئة في الكفر والارتداد ثم يوم القيامة يظهر لهم خلاف ذلك فيسألون عن ذلك الافتراء وثانيها ان قولهم ولنحمل خطاياكم مبني على اعتقادهم ان لاحشر فاذا جاء يوم القيامة ظهر خلاف ذلك فيسألون ويقال لهم اما قلتم ان لاحشر وثالثها انهم لما قالوا ولنحمل خطاياكم يوم القيامة يقال لهم فاحملوا خطاياهم فلا يحملون فيسألون بان يقال لهم فلم افتريتم ﴿قوله بعد البعث﴾ اى وقبل الطوفان ﴿قوله ولعل اختيار هذه العبارة﴾ مع ان الظاهر ان يقال فلبث فيهم تسعمائة وخمسين سنة للدلالة على كمال القدرة فانه لو قال تسعمائة وخمسين لاحتمل ان يكون الكلام على المجاز بان يراد بالعدد المذكور مايقرب منه تنزيلا ويجعل الاكثر بمنزلة الكل فلما عدل الى ماعليه النظم لم يتوهم ذلك لان الاستثناء انما يذكر في العدد لتكميل العدد وبيان ان المراد كله ﴿قوله واختلاف المميزين﴾ حيث ميّز العدد اولا بالسنة وثانيا بالعام ثم انه خص لفظ العام بالخمسين ايذانا بان نبي الله عليه الصلاة والسلام لما استراح من قومه بالاغراق طاب زمانه وصفا عيشه فان العرب تعبر عن الخصب بالعام وعن الجدب بالسنة ﴿قوله اى السفينة او الحادثة﴾ قيل كانت السفينة آية من وجوه احدها انها اتخذت قبل ظهور الماء ولولا ان الله تعالى انبأ نوحا بما سيكون وبطريق النجاة بفضل الله تعالى منه لما اشتغل باتخاذها فلا يحصل لهم النجاة وثانيها ان نوحا امر بان يأخذ قوما معه ويرفع قدرا من القوت والبحر العظيم لايتوقع احد نضوبه ثم ان الماء غيض قبل نفاد الزاد فلولا ذلك لما حصلت النجاة فهو بفضل الله تعالى لا بمجرّد السفينة وثالثها ان الله تعالى كتب سلامة السفينة من الرياح المزعجة والحيوانات المؤذية ولولا ذلك لما حصلت النجاة ﴿قوله اى ارسلناه حين كمل عقله﴾ كأنه جواب عما يقال كيف يكون ظرفا لارسلنا والارسال يكون قبل الدعوة فكيف يجوز ان يقال ارسلنا ابراهيم حين دعا قومه الى عبادة الله تعالى وهو مرسل قبله * وحاصل الجواب ليس المراد بالامر بعبادة الله تعالى مايكون نتيجة الارسال بل مايكون نتيجة لكمال العقل وهو معرفة الحق ولم يكن الارسال قبل ذلك ﴿قوله ان قدر باذكر﴾ ولايجوز ان يكون بدلا منه على تقدير كونه معمول ارسلنا والا لزم ان يكون الوقت مرسلا ﴿قوله او كنتم تنظرون في الامور بنظر العلم﴾ اى بنظر البصيرة المؤدّي الى العلم فقوله تعالى تعلمون على هذا الوجه بمعنى تنظرون وتتفكرون فان النظر سبب العلم مستلزم له فاطلق اللازم واريد الملزوم على سبيل الكناية وجواب الشرط محذوف على الوجهين اى علمتم انه خير لكم ﴿قوله وتكذبون كذبا﴾ لان خلق الكلام اختلاقه من عند نفسه من غير ان يقصد الحكاية عن الواقع فيكون تخلقون بمعنى تكذبون فيكون انتصاب افكا على المصدرية وان كان الخلق بمعنى العمل والانشاء بمعنى وتعملون الاوثان يكون افكا مفعولا له وقرأ العامة تخلقون بضم التاء وكسر اللام المشددة مضارع خلق بالتضعيف للتكثير وقرئ تخلقون بفتح التاء والخاء واللام المشددة مضارع تخلق للتكلف والاصل تتخلقون بتاءين فحذفت احداهما يقال تخلق وتكذب اذا افتعل الكذب بالتكلف وقرئ

كالكذب او نعت بمعنى خلقا ذا افك (ان الذين تعبدون من دون الله لايملكون لكم رزقا) دليل ثان على شرارة ذلك
من حيث انه لايجدى بطائل ورزقا يحتمل
المصدر بمعنى لايستطيعون ان يرزقوكم وان
يراد المرزوق وتنكيره للتعميم (فابتغوا
عندالله الرزق) كله فانه المالك له (واعبدوه
واشكروا له) متوسلين الى مطالبكم بعبادته
مقيدين لماحفكم من النعم بشكره او مستعدين
للقائه بهما فانه (اليه ترجعون) وقرئ
بفتح التاء (وان تكذبوا) وان تكذبونى
(فقد كذب امم من قبلكم) من قبلى من
الرسل فلم يضرهم تكذيبهم وانما ضر انفسهم
حيث تسبب لماحل بهم من العذاب فكذا
تكذيبكم (وماعلى الرسول الاالبلاغ المبين)
الذى زال معه الشك وماعليه ان يصدق
ولايكذب فالآية ومابعدها من جملة قصة
ابراهيم الى قوله فماكان جواب قومه
ويحتمل ان يكون اعتراضا بذكر شان النبى
صلى الله عليه وسلم وقريش وهدم مذهبهم
والوعيد على سوء صنيعهم توسط بين
طرفى قصته من حيث ان مساقها لتسلية
الرسول عليه الصلاة والسلام والتنفيس
عنه بان اباه خليل الله كان ممنوا بنحو ما
منى به من شرك القوم وتكذيبهم وتشبيه
حاله فيهم بحال ابراهيم فى قومه (اولم يروا
كيف يبدئ الله الخلق) من مادة وغيرها
وقرأ حمزة والكسائى وابوبكر بالتاء على
تقدير القول وقرئ يبدأ (ثم يعيده)
اخبار بالاعادة بعد بالموت معطوف على
اولم يروا لاعلى يبدئ فان الرؤية غير
واقعة عليه ويجوز ان يأول الاعادة بان
ينشئ فى كل سنة مثل ماكان فى السنة
السابقة من النبات والثمار ونحوهما ويعطف
على يبدئ (ان ذلك) الاشارة الى الاعادة
اوالى ماذكر من الامرين (على الله يسير)
اذلايفتقر فى فعله الى شئ (قل سيروا
فى الارض) حكاية كلام الله لابراهيم
او محمد عليهما السلام (فانظروا كيف
بدأ الخلق) على اختلاف الاجناس
والاحوال (ثم الله ينشئ النشأة الآخرة)
بعد النشأة الاولى التى هى الابدآء فانه
والاعادة نشأتان من حيث ان كلا اختراع
واخراج من العدم

افكا بفتح الهمزة وكسر الفاء وهو امامصدر كالكذب لفظا ومعنى اى تكذبون كذبا او صفة لمصدر محذوف اى خلقا وعملا ذا افك ﴿قوله وتنكيره للتعميم﴾ فان النكرة فى سياق النفى تفيد العموم اى لايملكون شيأ من الرزق ثم عرف باللام الاستغراقية لتفيد ان الرزق كله لله تعالى ﴿قوله وان تكذبونى﴾ اشارة الى ان المخاطب بقوله وان تكذبوا هو قوم ابراهيم عليه السلام فان هذه الآية الى قوله فماكان جواب قومه من جملة ماقاله ابراهيم عليه السلام لقومه ثم جوّز ان يكون خطابا لقوم محمد عليه الصلاة والسلام والمعنى ان تكذبوه يامعشر قريش فقد كذب قبلكم اقوام هلكوا بسبب التكذيب فكيف لاتخافون ان يقع بكم ماوقع بمن قبلكم من المكذبين فتكون هذه الجملة معترضة فى اثناء قصة ابراهيم عليه السلام والجملة الاعتراضية لابدلها ان تتصل بطرفيها فبين وجه الاتصال ههنا بقوله من حيث ان سياق قصة ابراهيم لتسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى ابراهيم خليله وعلى آلهما اجمعين كأنه قيل انكم يامعشر قريش ان كذبتم محمدا فقد كذب ابراهيم قومه وكذا سائر الانبياء كذبهم اممهم ولم يضر تكذيب احدمنهم نبيه لان الرسل انما ارسلوا ازاحة لحجج قومهم ولايجب عليهم ان يصدقوا اممهم لانهم لايكلفون بفعل غيرهم ﴿قوله كان ممنوا﴾ اى مبتلى يقال منوته ومنيته اذا ابتليته * فان قيل كيف تكون هذه الآية من جملة ماقاله ابراهيم لقومه مع ان قوله فقد كذب امم من قبلكم يأبى ان يكون من قصة ابراهيم عليه السلام لان قوم ابراهيم لم يسبقهم الاقوم نوح وهم امة واحدة * قلنا ان نوحا عليه السلام بعث الى جميع بنى آدم ولاشك انهم طوآئف شتى وايضا كان قبل نوح اقوام اخر كقوم ادريس وقوم شيث وآدم عليه السلام ولا يبعد ان يكون فى اقوامهم من كذب نبيه ولقد عاش ادريس عليه السلام فى قومه الف سنة الى ان رفع الى السماء وآمن به الف انسان بعدد سنيه واعقابهم على التكذيب ﴿قوله وقرأ حمزة والكسائى وابوبكر بالتاء﴾ على الخطاب لقوم ابراهيم بتقدير القول اى قال ابراهيم لقومه اولم تروا ولم يتعرض لاحتمال ان يكون خطابا من الله لاهل مكة ولايكون محكيا بتقدير القول وقرأ الباقون بياء الغيبة ردا على الامم المكذبة وقرأ الجمهور يبدئ بضم الياء من ابدى وقرئ يبدأ مضارع بدأ ﴿قوله معطوف على اولم يروا﴾ فان قلت اوليس هذا من عطف الخبر على الانشاء * اجيب بان الاستفهام فيه لما كان للانكار وتقدير الرؤية كان اخبارا من حيث المعنى اى قد رأوا ذلك وعلموه فان الرؤية غير واقعة عليه * فان قلت الابداء كذلك لانه كان قبل وجود الامم * قلنا اللام فى الخلق للجنس وابدآء بعض الخلق مرئى وذلك يكفى فى صحة رؤية ابدآء الجنس * فان قيل علق الرؤية بالكيفية لابنفس الخلق حيث قال اولم يروا كيف يبدئ ولم يقل اولم يروا كيف خلق او بدأ الخلق والكيفية غير معلومة * والجواب هذا القدر من الكيفية معلوم وهو انه خلقه ولم يكن شيأ مذكورا وانه خلقه من نطفة هى مخلوقة من غذآء متكون من ماء وتراب وهذا القدر كاف فى حصول العلم بامكان الاعادة استدلالا بالابدآء وقد تقرر ان امهات علوم القرآن ثلاثة التوحيد والرسالة والحشر ولما بين الاصل الاول وهو التوحيد واشار الى الاصل الثانى وهو الرسالة بقوله وما على الرسول الا البلاغ المبين شرع فى بيان الاصل الثالث وهو الحشر وقد جرت العادة الالهية فى كلامه المجيد على ان لاينفصل بعض هذه الاصول عن بعض وفى اىّ موضع جرى ذكر اثنين منها يذكر الثالث معهما فلذلك ذكر الاعادة استدلالا عليها بالابدآء فقال اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق الآية ﴿قوله حكاية كلام الله تعالى﴾ وليس من مقالة ابراهيم عليه السلام لقومه من عند نفسه على تقدير ان تكون الآيات المذكورة من قوله وان تكذبوا الى قوله فماكان جواب قومه من قصة ابراهيم عليه السلام ولا من مقالة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم من عند نفسه على تقدير كونها معترضة واقعة فى اثبات قصة ابراهيم عليه السلام تذكيرا وانذارا لقريش اذلاوجه لهما ان يقولا من انفسهما قل سيروا فى الارض بل الظاهر انه كلام احدهما لقومه على حكاية كلام الله تعالى لهم ومقصود المصنف من هذا الكلام ان يجيب عما يقال كيف يكون هذا من كلام احدهما ولايصح لواحد منهما ان يقول ذلك محصول الجواب انه لايصح ان يقوله من عند نفسه الا انه يصح ان يقوله على حكاية كلام الله تعالى حكاه ابراهيم او محمد عليهما الصلاة والسلام لقومه اى قال الله قل لهم وقد يحكى رسولنا كلام الله تعالى على هذا المنهاج والمعنى قل لمنكرى البعث سيروا فى الارض شاهدوا كيف انشأ الله تعالى جميع الكائنات بدءا ومن قدر على انشائها بدءا اما يقدر على اعادتها كما قال ابراهيم لقومه اليه ترجعون ثم قال لهم وان تكذبونى فيما اخبرتكم به من البعث والجزآء فلا على فى تكذيبكم ثم التفت عن خطابهم وقال على طريق

التعجب من جهالة منكري البعث اولم يروا منكروا البعث ما يدل على صحته وهو انه تعالى انشأ الكائنات باسرها على وجه الابدآء ثم اخبر بانه يعيدهم لامحالة امر الله بان يحتج على هؤلاء المنكرين بما ذكره من الدليل فقال له قل سيروا هذا على تقدير كون الآيات المذكورة من قصة ابراهيم عليه السلام وقس عليه كونها معترضة فى اثناء قصته ﴿قوله و القياس الاقتصار عليه﴾ اى على الاضمار لانه ابرز اسم الله تعالى فى قوله كيف يبدئ الله الخلق كان المناسب ان يضمر بعده اذا ذكر كما اضمر فى قوله ثم يعيده و فى قوله كيف بدأ الخلق ﴿قوله للدلالة على ان المقصود بيان الاعادة﴾ ووجه دلالة الافصاح عليه انه اذا ابرز اسم الله تعالى وجعل مبتدأ يكون الكلام جملة اسمية مفيدة للثبوت و التأكيد بخلاف ما اذا اضمر وقيل ثم ينشئ مع ان ابراز الاسم الجامع يدل على اعادة جميع الاوصاف المعتبرة فى الابدآء من العلم و القدرة و الحكمة و الرحمة فهو كاسم الاشارة فى افادة هذا المعنى فكان بناء الحكم على الاسم الظاهر بمنزلة بنائه عليه ﴿قوله و الكلام فى العطف مامر﴾ فكما ان قوله ثم يعيده ليس بمعطوف على قوله يبدئ الله لكون الرؤية غير واقعة على الاعادة كما وقعت على الابدآء بل هو معطوف على جملة قوله اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق فكذا قوله تعالى ثم الله ينشئ ليس بمعطوف على قوله بدأ الخلق لكون النظر غير واقع على الانشاء الثانى بل هو معطوف على جملة سيروا فى الارض فانظروا كيف بدأ الخلق وكل واحد من المعطوف و المعطوف عليه داخل فى حيز القول ﴿قوله وقرئ النشاءة﴾ بالمد قرآءة ابن كثير و ابى عمرو و الباقون بالقصر وسكون الشين و هما لغتان كالرأفة و الرآفة و انتصاب النشأة على انه مصدر محذوف الزوآئد و الاصل الانشاءة او على حذف العامل اى ينشئ فتنشؤن النشأة و فى الصحاح انشأه الله اى خلقه و الاسم النشأة و النشاءة بالمد ثم انه تعالى لما ذكر النشأة الآخرة الواقعة بعد الموت ذكر ما يكون فيها و هو تعذيب اهل التكذيب و المعصية عدلا و حكمة و اثابة اهل الاثابة فضلا و رحمة فقال يعذب من يشاء و يرحم من يشاء ثم قال و اليه تقلبون مع ان هذه المسئلة قد سبق اثباتها وتقريرها تقريرا لامر المجازاة كأنه قيل ان تأخر عنكم جزآء اعمالكم فلا تظنوا انه فات فان اليه ايابكم وعليه حسابكم و عنده مدخر ثوابكم و عقابكم ثم قال و ما انتم بمعجزين من اراد تعذيبكم و تنفيذ قضائه فيكم بالهرب منه فى الارض و لا فى السماء و الخطاب لبنى آدم و هم من اهل الارض و ليس فى وسعهم الهرب فى السماء و المقصود بيان امتناع الفوات على جميع التقادير ممكنا كان او مستحيلا هذا ان حمل الارض على الغبرآء و السماء على الخضرآء و يجوز ان يراد بهما جهة السفل و جهة العلو و المهاوى جمع مهوى و هو ما بين الجبلين و نحو ذلك و قيل هو ما بين الشيئين المنتصبين حتى يقال لبعد ما بين المنكبين مهوى و القلاع جمع قلعة بسكون اللام و هى الحصن على الجبل ﴿قوله وقيل و لا من فى السماء﴾ ان عصوا فالكلام على هذا محمول على حذف الموصول الاسمى و بقاء صلته فيكون الموصول المحذوف معطوفا على انتم اى ما انتم بمعجزين فى الارض و لا من فى السماء بمعجزين ان عصوا كقول حسان بن ثابت رضى الله عنه شعر

۞ أمن يهجو رسول الله منكم ۞ و يمدحه و ينصره سواء ۞

اراد و من يمدحه و ينصره مساو لمن يهجوه فاضمر من لانه لولا ذلك لكان يمدحه عطفا على يهجو فكان داخلا فى حيز صلة من يهجو فكان الهاجى و المادح شخصا واحدا فيختل المعنى و لا يصح قوله سوآء لان الاستوآء انما يكون بين اثنين قيل ان اباسفيان بن حرب هجا رسول الله صلى الله عليه وسلم فعارضه حسان بن ثابت رضى الله عنه بقصيدة هذا البيت فيها و لما انتهى الى قوله

۞ هجوت محمدا فاجبت عنه ۞ و عند الله فى ذاك الجزاء ۞

قال له النبى صلى الله عليه وسلم * جزاك الله الجنة * و لما بلغ الى قوله

۞ فان ابى و والدتى و عرضى ۞ لعرض محمد منكم وقاء ۞

قال له النبى صلى الله عليه وسلم * وقاك الله حر النار * ثم لما بلغ الى قوله

۞ اتهجوه و لست له بكفؤ ۞ فشركما لخيركما فدآء ۞

قال من حضر هذا الطف بيت قالته العرب * وفيها

۞ هجوت مطهرا برا حنيفا ۞ امين الله شيمته الوفاء ۞

﴿قوله اى ييئسون منها يوم القيامة﴾ جواب عما يقال اليأس من الشئ مسبوق برجائه و تصوره و من كفر

والافصاح باسم الله مع ايقاعه مبتدأ بعد اضمار
فى بدأ و القياس الاقتصار عليه للدلالة على ان
المقصود بيان الاعادة و ان من عرف بالقدرة
على الابدآء ينبغى ان يحكم له بالقدرة على
الاعادة لانها اهون و الكلام فى العطف مامر
وقرئ النشاءة كالرآفة (ان الله على كل شئ
قدير) لان قدرته لذاته و نسبة ذاته الى كل
الممكنات على سوآء فيقدر على النشأة الاخرى
كما قدر على النشأة الاولى (يعذب من يشاء)
تعذيبه (و يرحم من يشاء) رحمته (و اليه
تقلبون) تردون (و ما انتم بمعجزين) ربكم
عن ادراككم (فى الارض و لا فى السماء) ان
فررتم من قضائه بالتوارى فى الارض او الهبوط
فى مهاويها و التحصن فى السماء او القلاع
الذاهبة فيها و قيل و لا من فى السماء كقول
حسان * امن يهجو رسول الله منكم * و يمدحه
و ينصره سوآء * (و ما لكم من دون الله من ولى
و لا نصير) يحرسكم من بلاء يظهر من الارض
او ينزل من السماء و يدفعه عنكم (و الذين
كفروا بآيات الله) بدلائل وحدانيته او بكتبه
(و لقائه) بالبعث (اولئك يئسوا من رحمتى)
اى ييئسون منها يوم القيامة فعبر عنه بالماضى
للتحقق و المبالغة او ايسوا فى الدنيا لانكار
البعث و الجزآء (و اولئك لهم عذاب اليم)
بكفرهم

بالله تعالى وبالبعث والجزآء لايرجو ولايتصوّر رحمة الله لانه لايتصوّر يوم البعث واللقاء فضلا عن ان يتصوّر رحمته تعالى عند لقائه فكيف يصح الحكم عليه بانه يئس من رحمته * وتقرير الجواب الاوّل انه ليس المراد انهم يئسوا فى الدنيا ليلزم ماقلت بل هو كناية عن الوعيد والمعنى انه يحصل اليأس من رحمة الله تعالى يوم القيامة والتعبير بلفظ الماضى لتحقق وقوعه * وتقرير الجواب الثانى ان اليأس من رحمته تعالى عبارة عن عدم رجائها على طريق ذكر الملزوم وارادة اللازم والكفار آيسون من رحمته تعالى فى الدنيا بمعنى انهم لايرجونها لما انهم لما انكروا البعث والجزآء امتنع منهم ان يرجوا الرحمة الواقعة يوم البعث ﴿قوله وقرئ بالرفع﴾ لان جواب قومه معرفة فصح كونه اسم كان الاان الجمهور نصبوه على انه خبر كان قدّم على اسمها لان قوله ان قالوا فى تأويل المصدر المضاف الى الضمير فيكون اعرف من جواب قومه لان المضاف الى الضمير اعرف من المضاف الى المضاف الى الضمير واعرف الاسمين اولى ان يكون اسم كان ﴿قوله وكان ذلك قول بعضهم﴾ جواب عما يقال قوله الا ان قالوا اقتلوه يستلزم ان يكون الآمر نفس المأمور لان ضمير قالوا عبارة عن قوم ابراهيم وكذا الضمير المرفوع فى اقتلوه ولاوجه لكون القوم آمرين لانفسهم بقتله * وتقرير الجواب ان الآمرين هم الاكابر والرؤساء والمأمورين هم الاتباع والاعوان فليس هنا اتحاد الآمر والمأمور الا انه اسند امر الاكابر الى الكل تنزيلا لرضى الاتباع بذلك منزلة الامر فقيل فما كان جواب قومه الا ان قالوا موضع ان يقال فما كان جواب الاكابر الا ان قالوا وكلمة او فى قولهم او حرّقوه ليست للعناد لانه لايصح ان يقال وان لم تقتلوه فحرّقوه لكون التحريق مشتملا على القتل غير مناف له فيكون قولهم اقتلوه او حرّقوه مثل ان يقال هذا حيوان او انسان ولامعنى له بل هى بمعنى بل كما فى قولك اعطه دينارا او دينارين كأنه قيل اقتلوه بل زيدوا على القتل وحرّقوه والفاء فى قوله فانجاه الله من النار فصيحة اشار اليه المصنف بقوله اى فقذفوه فى النار فانجاه الله منها وبين كيفية الانجاء بقوله بان جعلها عليه بردا وسلاما * فان قيل الحرارة للنار صفة لازمة ذاتية كالزوجية للاربعة فكيف يمكن ان تفارقها * فالجواب انا لانسلم ان الحرارة مقتضى ذات النار بل انما هى بارادة الفاعل المختار فجاز ان يزيل عنها تلك الكيفية فتبقى نورا محضا لااحراق لها كما ان الماء له كيفية البرودة لكن قد تزول عنه البرودة ويبقى ماء بلابرودة فكذلك النار يجوز ان يزول عنها الاحراق وتبقى نورا غير محرق وقيل كيفية انجائه منها انه تعالى خلق فى ابراهيم كيفية استبرد معها النار وقال بعضهم ترك ابراهيم على ماهو عليه وترك النار على ما كانت عليه ومنع اذى النار عنه والكل ممكن والله تعالى قادر عليه والبعد بحسب العادة لاينافى الوقوع لانه معجز والمعجز لابدّ ان يكون خارقا للعادة الا ان قوله تعالى قلنا يانار كونى بردا وسلاما يؤيد ماذكره المصنف حتى روى انه لم ينتفع بالنار احد يوم القى ابراهيم فى النار لذهاب حرّها ثم انه تعالى قال فى حق سفينة نوح عليه السلام وجعلناها آية وقال فى انجاء ابراهيم عليه السلام ان فى ذلك لآيات لان الانجاء بالسفينة شئ تسع له العقول ولم يكن فيها من الآيات الا انه تعالى اعلمه باتخاذها اوقت الحاجة فانه لولاه لما اتخذها لعدم علمه بالغيب واما الانجاء من النار ففيه آيات ذكرها المصنف وقال تعالى فى حق السفينة آية للعالمين وقال ههنا آيات لقوم يؤمنون لان السفينة بقيت اعواما ومرّ عليها طوآئف الناس ورأوها فحصل العلم بها لكل احد بخلاف تبريد النار فانه لم يبق فلم يظهر لمن بعده الا بطريق الايمان به بالفحص عنه والتأمل فيه ﴿قوله اى لتتوادّوا بينكم﴾ اشارة الى ان مودة منصوب على انه مفعول له للاتخاذ فتكون ما كافة واوثانا مفعول اوّل لاتخذتم ومفعول الثانى محذوف ومن دون الله حال من فاعل اتخذتم والمعنى انما اتخذتم اوثانا آلهة من دون الله لتكون سبب التوادّ بينكم لاجتماعكم على عبادتها واتفاقكم عليها كما يتفق الناس على مذهب ويجعلون ذلك سبب تحابهم وتصادقهم ﴿قوله ويجوز ان يكون مودّة المفعول الثانى﴾ معطوف من حيث المعنى على قوله اى لتتوادّوا فانه فى معنى انها مفعول له والمعنى انما اتخذتم اوثانا سبب المودة بينكم او مودودة بينكم من دون الله عز وجل ﴿قوله والوجه ماسبق﴾ اى وجه انتصاب مودّة كونها مفعولا له او مفعولا ثانيا بتقدير المضاف او بتأويلها بمودودة وبينكم حينئذ يكون منصوبا على الظرفية فان من اضاف مودّة جعل بينكم اسما لاظرفا ومن نوّن مودّة منصوبة او مرفوعة جعل بينكم ظرفا للمودّة ومن قرأ مودّة بالرفع فلا يخلو اما ان يجعل ما كافة اولا فان جعلها كافة رفع مودّة على انه خبر مبتدأ محذوف اى هى مودّة بينكم او سبب مودة بينكم وان جعلها موصولة بمعنى الذى منصوبة المحل على

(فما كان جواب قومه) قوم ابراهيم له وقرئ بالرفع على انه الاسم والخبر (الا ان قالوا اقتلوه او حرّقوه) وكان ذلك قول بعضهم لكن لما قيل فيهم اورضى به الباقون اسند الى كلهم (فانجاه الله من النار) اى فقذفوه فى النار فانجاه الله منها بان جعلها عليه بردا وسلاما (ان فى ذلك) فى انجائه منها (لآيات) هى حفظه من اذى النار واخمادها مع عظمها فى زمان يسير وانشاء روض مكانها (لقوم يؤمنون) لانهم المنتفعون بالفحص عنها والتأمل فيها (وقال انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم فى الحيوة الدنيا) اى لتتوادّوا بينكم وتتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها وثانى مفعول اتخذتم محذوف ويجوز ان يكون مودّة المفعول الثانى بتقدير مضاف او بتأويلها بالمودودة اى اتخذتم اوثانا سبب المودّة بينكم وقرأها نافع وابن عامر وابوبكر منوّنة ناصبة بينكم والوجه ماسبق وابن كثير وابو عمرو والكسائى ورويس مرفوعة مضافة على انه خبر مبتدأ محذوف اى هى مودودة او سبب مودّة بينكم والجملة صفة اوثانا وخبر ان على ان ما مصدرية او موصولة والعائد محذوف وهو المفعول الاوّل

انها اسم ان و اتخذتم صلتها بحذف العائد الذى هو مفعول اوّل لاتخذتم و اوثانا مفعوله الثانى جعل مودّة خبر ان و التقدير ان الذى اتخذتموه اوثانا مودّة اوسبب مودّة بينكم اوجعل نفس المودّة مبالغة وكذا ان جعلها مصدرية وحينئذ يجوز ان يقدر المضاف قبل اسم ان او قبل خبرها و التقدير ان سبب اتخاذكم اوثانا مودّة بينكم او ان اتخاذكم اوثانا سبب مودّة او مودود وجاز ان لايقدر شئ ولايؤوّل بل يجعل الاتخاذ نفس المودّة ﴿قوله ومضافة بفتح بينكم﴾ الاضافة للاتساع فى الظرف كقولهم ياسارق الليلة اهل الدار و فتح بينكم لكونه مبنيا بالاضافة الى غير متمكن كما فى قرآءة من قرأ لقد تقطع بينكم بالفتح مع جعل بينكم فاعلا و قرأ ابن مسعود رضى الله عنه اوثانا انما مودّة بينكم فى الحيوة الدنيا اى انما تتوادّون على عبادتها او تودّونها فى الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يحدث بينكم التباغض و التعادى ﴿قوله فى الحيوة﴾ يجوز ان يتعلق باتخذتم و بمودّة و بنفس بينكم لانه بمعنى الفعل اذ التقدير اجتماعكم و وصلكم ﴿قوله تعالى فامن له لوط﴾ عطف على قوله و قال انما اتخذتم اى صدقه لوط بعد هذه الدعوة بعد هذا التنبيه و اقامة الحجج من جملة من دعاهم الى عبادة الله تعالى و يلزم الوقف على لوط لان قائل مابعده ابراهيم عليهما السلام فلو وصل توهم ان يكون الفعل الثانى للوط فيفسد المعنى ﴿قوله الى حيث امرنى ربى﴾ بالهجرة اليه * فان قيل اذا كان المراد هذا المعنى فلم اختير ماورد عليه التنزيل مع انه يوهم الجهة * فالجواب انه اختير ذلك لكونه ادل على الاخلاص من ان يقال انى مهاجر الى حيث امرنى ربى فانه لو هاجر اليه لغرض نفسه يصدق ان يقول انى مهاجر الى حيث امرنى ربى و لايصدق ان يقول انى مهاجر الى ربى لانه لم يهاجر اليه خالصا لوجهه و طلبا لمرضاته و انما امره الله تعالى بالمهاجرة من قومه لان المقصود الكلى من بعثته اليهم الزام الحجة عليهم و قطع معذرتهم و قد حصل ذلك بان بالغ ابراهيم عليه السلام فى ارشادهم بتقرير الدلائل القاطعة و ازاحة شبههم الباطلة فلما حصل اليأس الكلى من ايمانهم وجبت المهاجرة من بينهم لانه لو بقى فيهم و دام على الارشاد و الدعوة لكان مشتغلا بما لاطائل تحته و ان سكت عن دعوتهم فربما قالوا انه رضى بافعالنا و اقرنا على مانحن عليه فلما كان بقاؤه فيهم لايخلو عن مفسدة وجبت المهاجرة من بينهم فهاجر من كوثى سواد الكوفة مع لوط و امرأته سارة فنزل فلسطين و هى قرية من قرى الشام و نزل لوط بسدوم و يقال لها المؤتفكة و هى على مسيرة يوم و ليلة من فلسطين ﴿قوله ولدا و نافلة﴾ فالمعنى و هبنا له اسحق ولدا بعد اسماعيل و يعقوب نافلة حيث ولد من اسحق ﴿قوله و لذلك﴾ اى و لكون المقصود الامتنان عليه بهبة الولد و النافلة فى كبر سنه لم يذكر اسماعيل مع انه من اولاده لان ابراهيم عليه السلام كان ابن ست و ثمانين سنة اذ ولدت هاجر له اسماعيل وكان ابن مائة سنة اذ ولدت له سارة اسحق عليه السلام و قد اتى عليها تسعون سنة و كان اسماعيل حينئذ ابن اربع عشرة سنة ﴿قوله فكثر منهم الانبياء﴾ عليهم الصلاة و السلام قيل ان الله تعالى لم يبعث نبيا بعد ابراهيم الا من نسله فان قيل كيف جاءت النبوّة فى اولاد اسحق اكثر من النبوّة فى اولاد اسماعيل مع استوائهما فى الانتساب الى شيخ الانبياء و كون اسماعيل اكبرهما سنا * قال الامام فى جوابه قسم الله تعالى الزمان من وقت ابراهيم عليه السلام الى يوم القيامة قسمين فالقسم الاوّل من الزمان بعث الله تعالى فيه انبياء فيهم فضائل جمة و جاؤا تترى و احدا بعد واحد و مجتمعين فى عصر واحد كلهم من نسل اسحق ثم فى القسم الثانى من الزمان اخرج من ذرية ولده الآخر و هو اسماعيل واحدا جمع فيه جميع ماكان فيهم و ارسله الى كافة الخلق و هو محمد المصطفى عليه افضل الصلاة و السلام و جعله خاتم النبيين و امام المرسلين و قد دام الخلق على دين اولاد اسحق اكثر من اربعة آلاف سنة و لايبعد ان يبقى الخلق على دين ذريه اسماعيل عليه السلام مثل ذلك المقدار و عد فى جملة ما آتاه الله من الاجر فى الدنيا انه كان اوّلا لاجاه له و لامال و هما غاية اللذة الدنيوية ثم آتاه الله تعالى اجره من المال و الجاه فكثر ماله حتى كان له من المواشى ماعلم الله تعالى عدده حتى قيل انه كان له اثنا عشر الف كلب حارس باطواق ذهب و اما الجاه فانه صار بحيث تقرن الصلاة عليه بالصلاة على سائر الانبياء الى يوم القيامة و صار معروفا بشيخ المرسلين بعد ان كان خاملا حتى قال قائلهم سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم و هذا الكلام لايقال الا فيمن كان مجهولا بين الناس ﴿قوله عطف على ابراهيم او على ماعطف عليه﴾ يجوز عطفه على ابراهيم سوآء كان ابراهيم معطوفا على نوحا او منصوبا باذكر و اما كون قوله و لوطا معطوفا على نوحا فانما يجوز على تقدير ان لايكون و ابراهيم منصوبا باذكر لانه لو كان منصوبا باذكر لزم ان يكون اذكر مع مافى حيزه فاصلا بين المعطوف و المعطوف عليه و يحتمل ان يكون قول

وقرئت مرفوعة منوّنة ومضافة بفتح
بينكم كما قرئ لقد تقطع بينكم وقرئ
انما مودّة بينكم (ثم يوم القيامة يكفر بعضكم
ببعض و يلعن بعضكم بعضا) اى يقوم التنا...
و التلاعن بينكم او بينكم و بين الاوثان
على تغليب المخاطبين كقوله و يكونون
عليهم ضدّا (ومأويكم النار ومالكم
من ناصرين) يخلصونكم منها (فآمن له
لوط) هو ابن اخته و اوّل من آمن به و قيل انه
آمن به حين رأى النار لم تحرقه (و قال انى
مهاجر) من قومى (الى ربى) الى حيث
امرنى ربى (انه هو العزيز) الذى يمنعنى
من اعدآئى (الحكيم) الذى لايأمرنى
الا بما فيه صلاحى * روى انه هاجر
من كوثى سواد الكوفة مع لوط و امرأته
سارة ابنة عمه الى حرّان ثم منها الى الشام
فنزل فلسطين و نزل لوط سدوم (و وهبنا
له اسحق و يعقوب) ولدا و نافلة حين أيس
من الولادة من عجوز عاقر و لذلك لم يذكر
اسماعيل (وجعلنا فى ذريته النبوّة) فكثر
منهم الانبياء (و الكتاب) يريد به الجنس
ليتناول الكتب الاربعة (و آتيناه اجره)
على هجرته الينا (فى الدنيا) باعطاء
الولد فى غير اوانه و الذرية الطيبة و استمرار
النبوّة فيهم و انتماء اهل الملل اليه و الثنا
و الصلاة عليه آخر الدهر (و انه فى الآخرة
لمن الصالحين) لفى عداد الكاملين فى الصلاح
(و لوطا) عطف على ابراهيم او ماعطف
عليه (اذ قال لقومه انكم لتأتون الفاحشة)

الفعلة البالغة في القبح وقرأ الحرميان وابن عامر وحفص بهمزة مكسورة على الخبر والباقون على الاستفهام واجمعوا على الاستفهام في الثانية (ماسبقكم بها من احد من العالمين) استئناف مقرّر لفاحشتها من حيث انها مما اشمأزت منه الطباع وتحاشت عنه النفوس حتى اقدموا عليها لخبث طينتهم (أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل) وتتعرضون للسابلة بالقتل واخذ المال او بالفاحشة حتى انقطعت الطرق او تقطعون سبيل النسل بالاعراض عن الحرث واتيان ماليس بحرث (وتأتون في ناديكم المنكر) في مجالسكم الغاصة ولا يقال النادي الا لما فيه اهله المنكر كالجماع والضراط وحل الازار وغيرها من القبائح عدم مبالاة بها وقيل بالخذف ورمي البنادق (فما كان جواب قومه الا ان قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين) في استقباح ذلك او في دعوة النبوّة المفهومة من التوبيخ (قال رب انصرني) بانزال العذاب (على القوم المفسدين) بابتداع الفاحشة وسنها فيمن بعدهم وصفهم بذلك مبالغة في استنزال العذاب واشعارا بانهم احقاء بان يعجل لهم العذاب (ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى) بالبشارة بالولد والنافلة (قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية) قرية سدوم والاضافة لفظية لان المعنى على الاستقبال (ان اهلها كانوا ظالمين) تعليل لاهلاكهم باصرارهم وتماديهم في ظلمهم الذي هو الكفر وانواع المعاصي (قال ان فيها لوطا) اعتراض عليهم بان فيها من لم يظلم او معارضة للموجب بالمانع وهو كون النبي بين اظهرهم (قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله) تسليم لقوله مع ادّعاء مزيد العلم به وانهم ما كانوا غافلين عنه وجواب عنه بتخصيص الاهلاك بمن عداه واهله او تاقيت الاهلاك باخراجهم منها وفيه تأخير البيان عن الخطاب (الا امرأته كانت من الغابرين) الباقين في العذاب او القرية (ولما ان جاءت رسلنا لوطا سيء بهم) جاءته المساءة والغم بسببهم مخافة ان يقصدهم قومه بسوء وان صلة لتأكيد الفعلين واتصالهما (وضاق بهم ذرعا) وضاق بشأنهم وتدبير امرهم ذرعه اي طاقته كقولهم ضاقت يده وبازآئه رحب ذرعه بكذا اذا كان مطيقا له وذلك لان طويل الذراع ينال ما لاينال قصير الذراع (وقالوا) لما رأوا فيه اثر الضجرة (لاتخف ولاتحزن) على تمكنهم منا (انا منجوك واهلك الا امرأتك كانت من الغابرين) وقرأ حمزة وابن كثير والكسائي ويعقوب لننجينه ومنجوك بالتخفيف ووافقهم ابو بكر في الثاني وموضع الكاف على المختار الجرّ ونصب اهلك باضمار فعل او بالعطف على محلها باعتبار الاصل (انا منزلون على اهل هذه القرية رجزا من السماء) عذابا منها سمي بذلك لانه يقلق المعذب من قولهم ارتجز اذا ارتجس اي اضطرب وقرأ ابن عامر منزّلون بالتشديد (بما كانوا يفسقون) بسبب فسقهم (ولقد تركنا منها آية بينة) هي حكايتها الشائعة او آثار الديار الخربة وقيل الحجارة الممطورة فانها كانت باقية بعد وقيل بقية انهارها المسودة (لقوم يعقلون) يستعملون عقولهم (اي لاتفسدوا)

المصنف هذا اشارة الى الاختلاف في المعطوف الثاني انه هل هو معطوف على المعطوف الاوّل او على ما عطف عليه المعطوف الاوّل وجه الاوّل قرب المعطوف من المعطوف عليه ووجه الثاني قرب المعطوف عليه من العامل **﴿قوله الفعلة البالغة في القبح﴾** وذلك لان كل واحد من الشهوة والغضب صفتان قبيحتان لولا المصلحة الداعية الى خلقهما لما خلقهما الله تعالى في الانسان والمصلحة في خلق الشهوة الفرجية هي بقاء النوع بتعاقب الاشخاص وذلك انما يكون بوجود الولد وبقائه بعد الاب فظهر به ان كل واحد من الزنى واللواطة فاحشة فان الزنى وان كان مؤدّيا الى وجود الولد لكنه لايؤدّي الى بقائه لان المياه اذا اشتبهت لايقرب الوالد ولده فلا يقوم بتربيته والانفاق عليه فيضيع الولد ويهلك فتبين ان الزنى ليس فيه مصلحة البقاء فلذلك قال الله تعالى ولاتقربوا الزنى انه كان فاحشة فاذا كان الزنى شهوة قبيحة خالية عن المصلحة مع انه يفضي الى وجود الولد تبين كون اللواطة فاحشة بطريق الاولى **﴿قوله في مجالسكم الغاصة﴾** اي الممتلئة باهلها فان النادي انما يطلق على المجلس مادام فيه القوم فاذا قاموا عنه لايسمى ناديا وكل ما كان اسراره معصية فابداؤه افحش واقبح فلذلك قيل من القى جلباب الحياء فلاغيبة له والخذف بالخاء المعجمة رمي الحصاة بين الاصابع روي عنه عليه الصلاة والسلام انهم كانوا يخذفون اهل الارض ويسخرون منهم وقيل كانوا يجلسون على الطرق وعند كل واحد قصعة فيها حصى فمن مرّ بهم خذفوه فمن اصابه منهم فهو احق به فيأخذ ما معه وينكحه ويغرمه ثلاثة دراهم ولهم قاض يقضي بينهم بذلك ومنه قولهم هو اجور من قاضي سدوم **﴿قوله لان المعنى على الاستقبال﴾** واسم الفاعل يعمل اذا كان للاستقبال فيكون مهلكوا مضافا الى معموله فتكون اضافته لفظية لما دعا على قومه بقوله رب انصرني استجاب الله دعاءه وارسل ملائكة لاهلاك قومه وجعلهم مبشرين ومنذرين حيث جاؤا ابراهيم وبشروه بذرية طيبة ثم قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية وقدموا البشارة على الانذار لكون البشارة اثر الرحمة والانذار اثر الغضب ورحمة الله تعالى سابقة على غضبه ثم ان ابراهيم لما سمع قول الملائكة انا مهلكوا اظهر الاشفاق على لوط ونسي نفسه وما بشروه به ولم يظهر له فرحا وقال ان فيها لوطا ثم ان الملائكة لما رأوا ذلك منه زادوا عليه وقالوا انك ذكرت لوطا وحده ونحن ننجيه وننجي معه اهله فانظر الى شفقة كل واحد منهم في حق اهل الخير **﴿قوله اعتراض عليهم﴾** يعني ليس مقصوده عليه الصلاة والسلام من القاء هذه الجملة الخبرية الى الملائكة افادة مضمونها لهم ولا افادة كونه عالما بمضمونها لان كل واحد منهما معلوم عند الرسل بل الفائدة في القائها اليهم ما اقتضاه المقام من الاعتراض واظهار الشفقة عليه ولما كان منشأ اعتراضه قول الملائكة انا مهلكوا اهل هذه القرية اجاب الملائكة عنه بما يحتمل ان يكون بيان تخصيص او بيان توقيت الاوّل مبني على كون قوله عليه الصلاة والسلام ان فيها لوطا اعتراضا والثاني مبني على كونه معارضة **﴿قوله صلة لتأكيد الفعلين واتصالهما﴾** فانه لولم يذكر كلمة ان لكان معنى الكلام وجود الفعلين اي مجيء الرسل ومساءة لوط عليه السلام بسببهم مرتبا احدهما على الآخر فزيادة ان اكدت هذا المعنى بحيث صارا كأنهما وجدا في جزء واحد من الزمان **﴿قوله لان طويل الذراع﴾** بيان لوجه كون طول الذراع وضيقه عبارتين عن القدرة والعجز وهو انه من قبيل اطلاق السبب وارادة المسبب والذرع والذراع من المرفق الى اطراف الاصابع فان لوطا عليه السلام لم يعلم انهم ملائكة بل ظن انهم غرباء ضافوه وخاف عليهم من قومه وما كان منهم بالغرباء من الفاحشة لانهم جاؤا على صورة البشر في احسن صورة **﴿قوله وموضع الكاف على المختار الجرّ﴾** باضافة اسم الفاعل اليه فلما لم يجز ان يعطف الاسم الظاهر على الضمير المجرور من غير اعادة الخافض قيل في نصب واهلك وجهان احدهما كونه منصوبا بعامل مضمر اي وننجي اهلك وثانيهما بالعطف على المحل هذا عند سيبويه وذهب الاخفش الى ان الكاف في موضع النصب وان اهلك منصوب بالعطف على محل الكاف لان الاضافة في حكم الانفصال لكون اسم الفاعل للاستقبال كما لو كان المضاف اليه اسما ظاهرا نحو منجوا لوط وسيبويه يفرق بين المضمر والمظهر في الاضافة ويقول الاضافة الى المضمر في حكم الاتصال لشدّة اتصال الضمير بخلاف الاضافة الى المظهر فانها في حكم الانفصال فيجعل المضمر في محل الجرّ والمظهر في محل النصب **﴿قوله تعالى والى مدين﴾** اي وارسلنا الى مدين عطفا على قوله ولقد ارسلنا نوحا فاقيم المسبب مقام السبب فان الايمان والطاعة سبب لرجاء ثواب اليوم الآخر فامر بالمسبب واريد الامر بالسبب **﴿قوله تعالى ولاتعثوا في الارض﴾**

(ولا تعثوا فى الارض مفسدين فكذبوه فاخذتهم الرجفة) الزلزلة الشديدة وقيل صيحة جبرآئيل لان القلوب ترجف بها (فاصبحوا فى دارهم) فى بلدهم او دورهم ولم يجمع لامن اللبس (جاثمين) باركين على الركب ميتين (وعادا وثمودا) منصوبان باضمار اذكر اوفعل دل عليه ماقبله مثل اهلكنا وقرأ حمزة وحفص ويعقوب وثمود غير مصروف على

تأويل القبيلة (وقدتبين لكم من مساكنهم) اى تبين لكم بعض مساكنهم او اهلاكهم من جهة مساكنهم اذا نظرتم اليها عند مروركم بها (وزين لهم الشيطان اعمالهم) من الكفر والمعاصى (فصدهم عن السبيل) السوىّ الذى بين الرسل لهم (وكانوا مستبصرين) متمكنين من النظر والاستبصار ولكنهم لم يفعلوا اومتبينين ان العذاب لاحق بهم باخبار الرسل لهم ولكنهم لجوا حتى هلكوا (وقارون وفرعون وهامان) معطوفون على عادا وتقديم قارون لشرف نسبه (ولقدجاءهم موسى بالبينات فاستكبروا فى الارض وماكانوا سابقين) فائتين بل ادركهم امر الله من سبق طالبه اذا فاته (فكلا) من المذكورين (اخذنا بذنبه) عاقبنا بذنبه (فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا) ريحا عاصفا فيها حصباء اوملكا رماهم بها كقوم لوط (ومنهم من اخذته الصيحة) كمدين وثمود (ومنهم من خسفنا به الارض) كقارون (ومنهم من اغرقنا) كقوم نوح وفرعون وقومه (وماكان الله ليظلمهم) ليعاملهم معاملة الظالم فيعاقبهم بغير جرم اذليس ذلك من عادته (ولكن كانوا انفسهم يظلمون) بالتعريض للعذاب (مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء) فيما اتخذوه معتمدا ومتكلا (كمثل العنكبوت اتخذت بيتا) مما نسجته فى الوهن والخور بل ذلك اوهن فان لهذا حقيقة وانتفاعا ما اومثلهم بالاضافة الى الموحد كمثله بالاضافة الى رجل بنى بيتا من حجر وجص والعنكبوت يقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث والتاء فيه كتاء طاغوت ويجمع على عناكيب وعناكب وعكاب وعكبة واعكب (وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت) لابيت اوهن واقل وقاية للحرّ والبرد منه (لوكانوا يعلمون) يرجعون الى علم لعلموا ان هذا مثلهم او ان دينهم اوهن من ذلك ويجوز ان يكون المراد ببيت العنكبوت دينهم سماه به تحقيقا للتمثيل فيكون المعنى وان اوهن مايعتمد به فى الدين دينهم (ان الله يعلم ماتدعون من دونه من شئ) على اضمار القول اى قل للكفرة ان الله يعلم وقرأ البصريان ويعقوب بالياء حملا على ماقبله وما استفهامية منصوبة بتدعون ويعلم معلقة عنها ومن للتبيين او نافية ومن مزيدة وشئ مفعول تدعون او مصدرية وشئ مصدرا وموصولة مفعول ليعلم ومفعول تدعون عائده المحذوف والكلام على الاوّلين تجهيل لهم وتوكيد للمثل وعلى الآخرين وعيد لهم (وهو العزيز الحكيم) تعليل على المعنيين فان من فرط الغباوة اشراك مالايعدّ شيأ بمن هذا شأنه وان الجماد بالاضافة الى القادر القاهر على كل شئ البالغ فى العلم واتقان الفعل الغاية كالمعدوم وان من هذا صفته قدر على مجازاتهم

اى لاتفسدوا ما اوجده الله فى الارض بقصد افساد التعبد والطاعة كالقتل بغير حق بخلاف قتل اهل الحرب والمرتد والقتل قصاصا ﴿قوله تعالى فكذبوه﴾ فان قيل كيف يكذب شعيب فى قوله اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر ولاتعثوا اولايكذب الآمر والناهى * قلنا ماذكره من الامر والنهى يتضمن جملا اخبارية فكأنه قال الله واحد فاعبدوه والحشر كائن فارجوه والفساد محرم فلاتقربوه فالتكذيب يرجع الى الاخبارات الضمنية فان قيل قال هنا وفى الاعراف فاخذتهم الرجفة وقال فى هود فاخذتهم الصيحة والحكاية واحدة * قلنا يجوز ان يجتمع على اهلاكهم سببان كل واحد منهما يصح ان يسند اليه هلاكهم وقيل ان جبريل عليه السلام صاح فتزلزلت الارض من صيحته فرجفت قلوبهم والاضافة الى السبب لاتنافى الاضافة الى سبب السبب ﴿قوله فى بلدهم﴾ اى ارضهم اى لم لم يكن جثومهم فى دار واحدة بين لافراد الدار وجهين الاوّل انه ليس المراد بالدار البيت بل هى بمعنى البلد والارض وهى واحدة والثانى ان المراد بالدار الديار وعبر عنها بلفظ الواحد للامن من الالتباس ﴿قوله اوفعل دل عليه ماقبل﴾ اى وهو منصوب بفعل مضمر دل عليه قوله فاخذتهم الرجفة فانه فى معنى اهلكناهم فذكراهلاكهم يدل على اضمار اهلكنا اى واهلكنا عادا ﴿قوله اى تبين لكم بعض مساكنهم او اهلاكهم﴾ يعنى ان كلمة من للتبعيض ان كان تبين مسندا الى المساكن وللابتدآء ان كان تبين مسندا الى مصدر اهلكنا المضمر ﴿قوله فيما اتخذوه معتمدا﴾ يعنى ان الآية من قبيل تشبيه الهيئة بالهيئة شبه حال من اتخذ الاصنام اولياء وعبدها واعتمد عليها راجيا نفعها وشفاعتها بحال العنكبوت التى اتخذت بيتا لايغنى عنها فى حرّ ولابرد ولامطر ولااذى فان البيت انمايكون بيتا بحائط يحول عن تطرّق الشرور الى مافيه وسقف مظل يدفع عنه الحرّ والبرد والذى لايكون له ذلك فهو كالبيدآء من حيث انه لم يحصل للعنكبوت باتخاذه شئ من معانى البيت فكذلك الكافر لم يحصل له باتخاذه الاوثان آلهة شئ من معانى الاله وانما قلنا انه من تشبيه المركب لان فى كل واحد من الطرفين اتخاذا ومتخذا واتكالا عليه وعدم ترتب شئ من المعانى المطلوبة من المعتمد عليه على اتخاذه فان العنكبوت وان انتفع بنسجه لكن تلك المنفعة ليست من المنافع المطلوبة من البيت ﴿قوله اومثلهم بالاضافة الى الموحد الى آخره﴾ فعلى هذا تكون الآية من قبيل التشبيه المفرد والغرض ابراز تفاوت المتخذين والمتخذ مع تصوير توهين امر احدهما وادماج تقوية الآخر ﴿قوله والتاء فيه كتاء طاغوت﴾ فى انها زائدة لالاجل التأنيث ﴿قوله يرجعون الى علم لعلموا ان هذا مثلهم﴾ يعنى انه لايجوز ان يكون متعلق العلم فى قوله لوكانوا يعلمون مضمون قوله وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت لان كل واحد يعلم وهن بيته فلايصح نفى العلم عنه بالنسبة الى احد مافلذلك نزل يعلمون منزلة اللازم وان جواب لومحذوف وهو قوله لعلموا ان هذا مثلهم وان دينهم اوهن من ذلك ثم اشار الى جواب ان يكون تعلق العلم بمفعوله مرادا ويكون متعلقه مضمون قوله وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت بان يراد جعل بيت العنكبوت معنى مجازيا هو مااتخذوه معتمدا فى دينهم على طريق اطلاق اسم المشبه به على المشبه فان المقصد منه تشبيه حال المشرك بحال العنكبوت فاطلق اسم المشبه به على المشبه تحقيقا للتشبيه المذكور فانه قد تقرّر ان الاستعارة لابتنائها على التشبيه تحقق التشبيه لامحالة ﴿قوله وقرأ البصريان﴾ اراد بهما اباعمرو وعاصما على التغليب فان المشهور ان عاصما كوفى لابصرى وهما قد قرآ بياء الغيبة حملا على ماقبله من لفظ الغيبة وهو قوله مثل الذين اتخذوا والباقون بتاء الخطاب على اضمار القول ﴿قوله وشئ مفعول تدعون﴾ كأنه قيل مايدعون من دون الله مايستحق ان يطلق عليه شئ فيكون تأكيدا للتشبيه السابق وزيادة عليه لانه بين بالتشبيه السابق وهن دين المشرك وضعفه وجعله ههنا عدما صرفا لايستحق لان يسمى شيأ ﴿قوله وشئ مصدر﴾ قيل فيه نظر اذ يصير التقدير يعلم دعاء من شئ من الدعاء ﴿قوله تعليل على المعنيين﴾ اى سوآء كان ماسبق تجهيلا لهم اووعيدا ﴿قوله يعنى هذا المثل ونظائره﴾ المثل الشبه وضرب المثل عبارة عن بيان الشبه بين المعانى المحتجبة عن الافهام والامور الجلية لذوى العقول والخواص تصويرا لتلك المعانى وتقريبا لفهمها كاشبه الله تعالى حال من اتخذ الشركاء معتمدا ومتكلا بحال العنكبوت فيما تنسجه وذلك لان التشبيه يؤثر فى النفس تأثيرا مثل تأثير الدليل فانك اذا قلت لمن يغتاب انك بالغيبة كأنك تأكل لحم ميت لانك وقعت فى هذا الرجل وهو غائب لايفهم ماتقول ولايسمعه حتى يجيبك كمن يقع فى ميت يأكل منه وهو لايعلم مايفعله فلايقدر على دفعه فقد كشفت قبح الغيبة بتصويرها بصورة ماجلا

(وتلك الامثال) يعنى هذا المثل ونظائره (نضربها للناس) تقريبا لما بعد من افهامهم (ومايعقلها) ولا يعقل حسنها وفائدتها (الا العالمون) الذين يتدبرون الاشياء على ماينبغى وعنه عليه الصلاة والسلام انه تلا هذه الآية فقال العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه (خلق الله السموات والارض بالحق) محقا غير قاصد به باطلا فان المقصود بالذات من خلقهما افاضة الخير والدلالة على ذاته وصفاته كما اشار اليه بقوله (ان فى ذلك لآية للمؤمنين) لانهم المنتفعون بها (اتل مااوحى اليك من الكتاب) تقربا الى الله بقرآءته وتحفظا لالفاظه واستكشافا لمعانيه فان القارئ المتأمل قد ينكشف له بالتكرار مالم ينكشف له اول ماقرع سمعه (واقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) بان تكون سببا للانتهاء عن المعاصى حال الاشتغال بها وغيرها من حيث انها تذكر الله وتورث للنفس خشية منه روى ان فتى من الانصار كان يصلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوات ولايدع شيأ من الفواحش الاركبه فوصف له فقال ان صلاته ستنهاه فلم يلبث الا ان تاب (ولذكر الله اكبر) ولا الصلاة اكبر من سائر الطاعات وانما عبر عنها به للتعليل بان اشتمالها على ذكره هو العمدة فى كونها مفضلة على الحسنات ناهية عن السيئات او لذكر الله اياكم برحمته اكبر من ذكركم اياه بطاعته (والله يعلم ماتصنعون) منه ومن سائر الطاعات فيجازيكم به احسن المجازاة (ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتى هى احسن) الا بالخصلة التى هى احسن كمعارضة الخشونة باللين والغضب بالكظم والمشاغبة بالنصح وقيل هو منسوخ بآية السيف اذ لامجادلة اشد منه وجوابه انه آخر الدوآء وقيل المراد به ذووا العهد منهم (الا الذين ظلموا منهم) بالافراط فى الاعتدآء والعناد او باثبات الولد وقولهم يدالله مغلولة او بنبذ العهد ومنع الجزية (وقولوا آمنا بالذى انزل الينا وانزل اليكم) هو من المجادلة بالتى هى احسن وعن النبى صلى الله عليه وسلم لاتصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وملائكته وبكتبه ورسله فان قالوا باطلا لم تصدقوهم وان قالوا حقا لم تكذبوهم (والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون) مطيعون له خاصة وفيه تعريض باتخاذهم احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله (وكذلك) ومثل ذلك الانزال (انزلنا اليك الكتاب) وحيا مصدقا لسائر الكتب الآلهية وهو تحقيق لقوله (فالذين آتيناهم الكتاب) (الكتب) يؤمنون به) هم عبدالله بن سلام واضرابه او من تقدم عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل الكتاب

فهم لما ضرب الله تعالى بالذباب وبيت العنكبوت مثلا لحال المشركين قالت الجهلة منهم ان الله لايستحيى ان يضرب المثل بالذباب والبعوضة والعنكبوت ولم يعرفوا حسن التمثيل وفائدته فرد الله تعالى عليهم وجهلهم فقال وتلك الامثال المضروبة فى القرآن بكل شئ نضربها للناس تقريبا لما بعد من افهامهم فان لم تكونوا كالانعام تعقلوا حسنها وفائدتها والافلا تهتدون الى حسنها ﴿قوله نضربها﴾ يجوز ان يكون خبر تلك والامثال صفة او بدل او عطف بيان وان يكون الامثال خبرا ونضربها حالا او خبرا ثانيا ثم انه تعالى لما بين اصرار الامم السالفة على الكفر والضلال بين ان اصرارهم ذلك ليس لانعدام الآيات الدالة على وحدانية الاله وكمال علمه وقدرته وحكمته لان خلق السموات والارض ملتبسا بالحق والحكمة البالغة آية دالة على ماذكر آية آية الا ان هذه الآيات العظمى لايجعلها مسرح النظار ومطرح الفكر ليستدل على وجود صانع حكيم يستحق لان يعبد ويطاع فى جميع ماامر به ونهى عنه الا من علم الله تعالى انه يؤمن ويتق فانه هو المتنفع بها دون من اعرض عنها وابى واستكبر واتبع هواه وآثر اللذات العاجلة على السعادة الابدية ثم انه تعالى لما بين ان من خالف الحق انما يخالفه عنادا واستكبارا لا لقصور فى البيان والبرهان امر رسوله عليه الصلاة والسلام بالمواظبة على تلاوة مااوحى اليه واقامة الصلاة وخصهما من بين سائر العبادات بالامر بهما لان العبادات المختصة بالعبد ثلاث قلبية وهى اعتقاد الحق * ولسانية وهى الذكر الحسن * وبدنية خارجية وهى العمل الصالح * لكن الاعتقاد لايتكرر فان من اعتقد شيأ لايمكنه ان يعتقده مرة اخرى بل يدوم ذلك الاعتقاد ويستمر الى ان يطرأ عليه ضده فلم يمكن تكرير العبادة القلبية امر بتكرير التلاوة الجامعة لجميع الاذكار وتكرير اقامة الصلاة التى هى معظم العبادات البدنية ﴿قوله بان تكون سببا للانتهاء الى آخره﴾ جواب عما يقال كم من مصل يرتكب الفحشاء وهى الفعلة القبيحة والمنكر وهو ماينكره الشرع والعقل ولاتنهاه صلاته عنهما * وتقرير الجواب ان الصلاة التى يصليها المرء بلا رياء ولا سمعة بان يصليها خالصا لوجهه الكريم مناجيا له بانواع التذلل والتواضع لاجرم تذكر الله تعالى وتورث النفس خشية منه تعالى فتكون سببا للانتهاء عن المعاصى حال الاشتغال بها وبعد الفراغ منها ايضا الى ان يطرأ عليه شئ من الغفلة ثم ان الصلاة متكررة واحدة بعد واحدة فيدوم ذلك التذكر والخشية وبدوامه يدوم الامتناع عن المعاصى فجعل الصلاة ناهية على طريق اسناد الحكم الى سبب سببه فان الصلاة سبب للتذكر والخشية وهما سببان لانتهاء العبد عن المعاصى ﴿قوله للتعليل﴾ اى للاشارة الى ان علة كونها افضل من سائر الطاعات اشتمالها على ذكر الله تعالى بحيث تصير كأنها نفس الذكر * عن ابن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم * لاصلاة لمن لم يطع الصلاة وطاعة الصلاة ان ينتهى عن الفحشاء والمنكر * قال الحسن وقتادة من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فليست صلاته بصلاة وهى وبال عليه وقد قيل من كان مراعيا للصلاة جره ذلك الى ان ينتهى عن السيئات يوما وقد روى انه قيل للنبى صلى الله عليه وسلم ان فلانا يصلى بالنهار ويسرق بالليل فقال * صلاته تردعه * ثم انه تعالى لما بين طريق ارشاد المشركين وانهم يحق ايذاؤهم وتنسب الى الضلالة آباؤهم عند المناظرة معهم ودعوتهم الى الاسلام بين بعده طريق ارشاد اهل الكتاب فقال ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتى هى احسن فانهم لما وحدوا وآمنوا بانزال الكتب وارسال الرسل والحشر والحساب والجزآء وجاؤا بكل حسن سوى الاعتراف برسول الله صلى الله عليه وسلم اى لاتخاشن معهم فى المناظرة بتجهيلهم وتجهيل آبائهم الاقدمين واستركاك عقولهم واكتفائهم بمجرد تقليد السفهاء ونحو ذلك فلا تجادل معهم فى امر الدين الا باحسن المجادلة وهو ان تبحث معهم بازالة شبههم وتبيين الحق لهم باقامة الحجة والبرهان وتلاوة القرآن ﴿قوله بالافراط فى الاعتدآء والعناد﴾ فسر الظلم بالافراط لان الكافر اذا وصف بالظلم يراد به ذلك ﴿قوله وجوابه انه آخر الدوآء﴾ يعنى انها لاتعارض هذه الآية لان المجاملة فى المجادلة انما هى فى حق من لم يظلم منهم بالافراط فى الاعتدآء وآية السيف فى حق من ظلم وافرط بمنع الجزية والاقدام على المحاربة ﴿قوله عليه الصلاة والسلام لاتصدقوا اهل الكتاب﴾ اى فيما يحدثونكم من الكتاب وهو من تمام الحديث فى بعض الروايات نهى عن تصديقهم لان الله تعالى اخبر انهم كتبوه بايديهم وقالوا هذا من عند الله ووجه النهى عن تكذيبهم ظاهر ﴿قوله ومثل ذلك الانزال انزلنا﴾ يريد ان ذلك اشارة الى مابعد اسم الاشارة وهو الانزال الذى يدل عليه انزلنا والمراد به انزال قوله وقولوا آمنا بالذى انزل الينا وانزل اليكم والكاف فى كذلك كلفظ المثل فى قولك مثلك لايبخل اى مثل ذلك الانزال العجيب الشان الداعى الى الايمان بجميع

الكتب المنزلة والى التوحيد انزلناه ولما كان من شأن الكتاب الكامل العجيب الانزال ان يكون موصوفا بما يفيده فضيلة ومزيد شرف بالنسبة الى سائر الكتب الالهية بين كونه عجيب الانزال فى كل مقام بما يناسبه وبين ههنا بقوله وحيا مصدقا لسائر الكتب الالهية لسبق قوله وقولوا آمنا بالذى انزل الينا وانزل اليكم فظهر بما ذكرنا وجه قوله وهو تحقيق لقوله فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به فانه لما كان كتابا كاملا عجيب الانزال لكونه وحيا مصدقا لسائر الكتب الالهية لزم ان يؤمن به اهل الكتاب لما شاهدوا فيه من دلائل تدل على انه كتاب سماوى ووحى الهى والفاء فى قوله فالذين آتيناهم لتفريع ايمانهم على كونه كتابا كاملا عجيب الانزال * واختلف المفسرون فى ان المراد بقوله فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ومن هؤلاء فقال بعضهم هم الذين سبقوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل الكتاب فيكون المراد بقوله ومن هؤلاء الذين هم فى زمان رسول الله عليه الصلاة والسلام كعبدالله بن سلام واصحابه قيل هذا اقرب يعنى ان صرف قوله ومن هؤلاء الى اهل الكتاب اولى لان الكلام فيهم ولا ذكر للمشركين ههنا اذ كان الكلام بعد الفراغ من ذكرهم والاعراض عنهم لاصرارهم على كفرهم وقال آخرون المراد بالاول مؤمنوا اهل الكتاب وبقوله ومن هؤلاء العرب او اهل مكة ثم انه تعالى لما وصف القرآن بكونه كتابا كاملا عجيب الانزال وبين من آمن به ذكر ان من لم يؤمن به انما لا يؤمن لتوغله فى الكفر من حيث ان توغله فى الكفر يمنعه عن التأمل فى دلائل حقيته واعجازه ثم بين كونه معجزة بالاضافة اليه عليه الصلاة والسلام بقوله وما كنت تتلو من قبله من كتاب اى من قبل انزال القرآن عليك من كتاب وهو مفعول تتلو ومن زائدة فى المفعول اى ما كنت قارئا كتابا قبل ذلك ولا تخطه بيمينك اى ولا تكتب الآن بيمينك كتابا وكذا كان صفته فى التوراة والانجيل انه امى لا يقرأ ولا يكتب ﴿قوله وذكر اليمين﴾ جواب عما يقال ما فائدة ذكر اليمين مع ان الكتابة انما تزاول باليمين فذكره فائدتين الاولى زيادة تصوير كونه كاتبا كما وصف الطائر بقوله يطير بجناحيه لذلك والثانية دفع التجوز فى الاسناد فان الفعل كثيرا ما يسند الى سبب الامر فلما قيل بيمينك اندفع ذلك الاحتمال ﴿قوله وانما سماهم مبطلين﴾ مع انه عليه الصلاة والسلام لو كان قارئا كاتبا وقال مشركوا مكة لعله تعلمه او التقطه من كتب الاقدمين لكانوا صادقين محقين فى الذهاب الى هذا الاحتمال وحاصل الجواب الاول انهم مبطلون الآن لكفرهم به عليه الصلاة والسلام مع كونه اميا وليس المراد انهم مبطلون على تقدير كونه عليه الصلاة والسلام قارئا كاتبا وحاصل الجواب الثانى انه ليس المراد انهم مبطلون فى الذهاب الى هذا الاحتمال على تقدير كونه قارئا كاتبا بل المراد انهم مبطلون فى الارتياب فى كون القرآن وحيا الهيا مع كثرة وجوه اعجازه سوى كون الموحى اليه اميا ﴿قوله فيكون ابطالهم باعتبار الواقع دون المقدر﴾ لانهم لا يكونون مبطلين فى ارتيابهم على تقدير كونه عليه الصلاة والسلام قارئا كاتبا لان ارتيابهم حينئذ يكون عن دليل الا انه سماهم مبطلين وان لم يكونوا مبطلين على ذلك التقدير لكونهم مبطلين فى الواقع حيث ارتابوا مع وجدانهم نعته عليه الصلاة والسلام على وفق ما فى كتبهم وهو كونه اميا ﴿قوله بل القرآن﴾ بل فيه للاضراب من بيان كونه منزلا انزالا عجيبا الى بيان ما هو اهم منه وهو كونه آيات بينات الاعجاز محفوظة فى صدور العلماء بحيث لا يقدر احد على تحريفه وبينات صفة آيات وفى صدور صفة ثانية اى هو آيات بينات الاعجاز محفوظات فى صدور العلماء وكل واحد من كونه آيات بينات الاعجاز وكونه محفوظا فى صدور حفاظه بحيث يتلوه كثير من الامة عن ظهر القلب من خصائص القرآن فان سائر الكتب لم تكن الفاظها معجزات وما كانت تقرأ الا من المصاحف نظرا فيها فاذا طبقت لم تعرف الامة من كتابهم شيأ وقد ورد فى صفة هذه الامة قرابينهم نفوسهم واناجيلهم صدورهم والاناجيل جمع انجيل وهو اسم كتاب عيسى عليه الصلاة والسلام والمعنى انهم يقرؤن كتاب الله عن ظهر قلوبهم وهو مثبت محفوظ فى صدورهم كما كان كتاب النصارى مثبتا فى اناجيلهم قال الله تعالى قبل بيان كون الآيات القرآنية معجزة بالاضافة اليه عليه الصلاة والسلام ببيان كونه اميا وما يجحد بآياتنا الا الكافرون وقال بعد بيان ذلك الا الظالمون مع انه لا تنافى بين الكلامين لان الكافر ظالم الا ان المناسب فى مقام ارشاد اهل الكتاب وتنفيرهم عن تكذيب القرآن لفظ الكافرين لان اهل الكتاب تميزوا عن المشركين بان آمنوا بجميع ما يجب الايمان به من التوحيد وارسال الرسل وانزال الكتب والحشر والجزاء سوى الايمان برسالة سيد المرسلين وحقية كتابه فهم يدعون الايمان ويستنكفون عن الكفر فالمناسب فى دعوتهم الى الايمان ان يقال لهم انكم قد حصل لكم مزايا الايمان فلا تبطلوها بانكار آيات الله تعالى مع ظهور حقيتها بقيام الحجة

(ومن هؤلاء) ومن العرب او اهل مك[...]
اومن فى عهد الرسول من الكتابي[...]
(من يؤمن به) بالقرآن (وما يجحد بآياتنا[...]
مع ظهورها وقيام الحجة عليها (الا الكافرون[...]
الا المتوغلون فى الكفر فان جزمهم به يمنعه[...]
عن التأمل فيما يفيدلهم صدقها لكونها معجز[...]
بالاضافة الى الرسول صلى الله عليه وس[...]
كما اشار اليه بقوله (وما كنت تتلو من قب[...]
من كتاب ولا تخطه بيمينك) فان ظهو[...]
هذا الكتاب الجامع لانواع العلوم الشريف[...]
على امى لم يعرف بالقرآءة والتعلم خارق[...]
للعادة وذكر اليمين زيادة تصوير للنفى ونف[...]
للتجوز فى الاسناد (اذا لارتاب المبطلون[...]
اى لو كنت ممن يخط ويقرأ لقالوا لعله تعل[...]
او التقطه من كتب الاقدمين وانما سماه[...]
مبطلين لكفرهم او لارتيابهم بانتفاء وج[...]
واحد من وجوه الاعجاز المتكاثر[...]
وقيل لارتاب اهل الكتاب لوجدانه[...]
نعتك على خلاف ما فى كتبهم فيكون ابطاله[...]
باعتبار الواقع دون المقدر (بل هو) بل[...]
القرآن (آيات بينات فى صدور الذين[...]
اوتوا العلم) يحفظونه لا يقدر احد على تحريف[...]
(وما يجحد بآياتنا الا الظالمون) ال[...]
المتوغلون فى الظلم بالمكابرة بعد وضوح[...]
دلائل اعجازها حتى لم يعتدوا بها (وقالوا لو ل[...]
انزل عليه آية من ربه) مثل ناقة صالح وعص[...]
موسى ومائدة عيسى وقرأ نافع وابن عامر[...]
والبصريان وحفص آيات (قل انما الآيات[...]
عند الله) ينزلها كيف يشاء لست املكه[...]
فآتيكم بما تقترحونه (وانما انا نذير مبين)[...]
ليس من شأنى الا الانذار وابانته بما اعطيت[...]
من الآيات (اولم يكفهم) آية مغنية عم[...]
اقترحوه

(انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم) تدوم تلاوته عليهم متحدين به فلا يزال معهم آية ثابتة لا يضمحل بخلاف سائر الآيات او يتلى عليهم يعنى اليهود بتحقيق مافى ايديهم من نعتك ونعت دينك (ان فى ذلك) فى ذلك الكتاب الذى هو آية مستمرة وحجة مبينة (لرحمة) لنعمة عظيمة (وذكرى لقوم يؤمنون) وتذكرة لمن همه الايمان دون التعنت وقيل ان ناسا من المسلمين اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتف كتب فيها بعض مايقول اليهود فقال كفى بها ضلالة لقوم ان يرغبوا عما جاءهم به نبيهم الى ماجاء به غير نبيهم فنزلت (قل كفى بالله بينى وبينكم شهيدا) بصدقى وقد صدقنى بالمعجزات او بتبليغى ما ارسلت به اليكم ونصحى ومقابلتكم اياى بالتكذيب والتعنت (يعلم مافى السموات والارض) فلا يخفى عليه حالى وحالكم (والذين آمنوا بالباطل) وهو مايعبد من دون الله (وكفروا بالله) منكم (اولئك هم الخاسرون) فى صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالايمان (ويستعجلونك بالعذاب) بقولهم امطر علينا حجارة من السماء (ولولا اجل مسمى) لكل عذاب او قوم (لجاءهم العذاب) عاجلا (وليأتينهم بغتة) فجاءة فى الدنيا كوقعة بدر او الآخرة عند نزول الموت بهم (وهم لايشعرون) باتيانه (يستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين) ستحيط بهم يوم يأتيهم العذاب او هى كالمحيطة بهم الآن لاحاطة الكفر والمعاصى التى توجبها بهم واللام للعهد على وضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على موجب الاحاطة او للجنس فيكون استدلالا بحكم الجنس على حكمهم (يوم يغشاهم العذاب) ظرف لمحيطة او مقدر مثل كان كيت وكيت (من فوقهم ومن تحت ارجلهم) من جميع جوانبهم (ويقول) الله او بعض الملائكة بامره لقرآءة ابن كثير وابن عامر والبصريين بالنون (ذوقوا ما كنتم تعملون) اى جزاءه (ياعبادى الذين آمنوا ان ارضى واسعة فاياى فاعبدون) اى اذا لم يتسهل لكم العبادة فى بلدة ولم يتيسر لكم اظهار دينكم فهاجروا الى حيث يتمشى لكم ذلك وعنه عليه السلام من فر بدينه من ارض الى ارض ولو كان شبرا استوجب الجنة وكان رفيق ابراهيم ومحمد عليهما السلام والفاء جواب شرط محذوف اذ المعنى ان ارضى واسعة ان لم تخلصوا العبادة لى فى ارض فاخلصوها فى غيرها

عليها فتكونوا كافرين بخلاف مقام التقريع عليهم باصرارهم على التكذيب بعد ماتبين كونها معجزة بالاضافة اليه عليه الصلاة والسلام فان المناسب بذلك المقام لفظ نفى عن الشرك لقوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم فكأنه قيل ان جحدتم بالآيات القرآنية بعد ماتبين كونها معجزة لمبلغها لزمكم انكار الرسالة والكتب المنزلة باسرها اذ لا طريق الى الاقرار بها سوى الاعتداد بالمعجزة فمن لم يعتد بالمعجزة لزمه ان يلتحق بالمشركين ويكون من جملة الظالمين بالاشراك ثم انه تعالى لما بين طريق المجادلة مع اهل الكتاب فى دعوتهم الى الايمان عاد الى حكاية ماتعنت به كفار مكة باقتراح آيات كما جاءت بها الانبياء عليهم الصلاة والسلام الى اممهم فقال وقالوا يعنى كفار مكة لولا انزل علية آية من ربه فارشد نبيه عليه الصلاة والسلام الى ان يقول فى جوابهم اولا انما الآيات عند الله وليس من شأنى الا انذار اهل المعصية بالنار بما اعطيت من الآيات ثم انكر عليهم ذلك الاقتراح ببيان ان القرآن آية فوق الكفاية واتم من كل معجزة تقدمتها فان تلك المعجزات وجدت مادامت فان قلب العصا حية واحياء الموتى واخراج الناقة من الحجر الصلد لم يبق لنا منه اثر فلو انكر احد شيأ من ذلك لم يكن اثباته له الا بالكتاب واما القرآن فانه آية باقية فى كل مكان وزمان لاتزول ولا تضمحل كسائر آيات الانبياء التى اضمحلت بعدما اختصت بمكان دون مكان فلو انكره واحد يقال له فأت بآية مثله ﴿قوله متحدين﴾ حال من ضمير عليهم والتحدى ان تعارض فعل الغير وتفعل مثل فعله على وجه المنازعة فى الغلبة وقيل فى تفسير الآية اولم يكفهم يعنى اليهود انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم بتحقيق مافى ايديهم من نعتك ونعت دينك فعلى هذا يكون القائلون لولا انزل عليه آية من ربه اليهود وتكون هذه ايضا متعلقة بحال اهل الكتاب ﴿قوله وقيل ان ناسا من المسلمين﴾ وفى التيسير روى ان بعض الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين كان فى يده رق فيه شئ مكتوب من كتبهم فقال النبى صلى الله عليه وسلم ماهذا قال كتبته من كتابهم لازداد علما الى علمى فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال امتهوكون كما تهوكت اليهود والنصارى كفى بقوم حمقا وضلالا ان يرغبوا عما اتاهم به نبيهم الى غيره فانزل الله تعالى هذه الآية ولم يرض المصنف بهذا القول واختار ان يكون المعنى اولم يكفهم آية مغنية عما اقترحوه من الآيات وذلك لان الظاهر من النظم انه جواب لقولهم لولا انزل وعلى ذلك القول يكون تصديقا له عليه الصلاة والسلام وانكارا لهم فى التجائهم الى غير ماأتى به نبيهم فلذلك عبر عنه بقوله وقيل ﴿قوله شهيدا بصدقى﴾ على ان تكون الآية جوابا لكعب بن الاشرف واصحابه حين قالوا يامحمد من يشهد لك بانك رسول الله وقوله او بتبليغى ما ارسلت به على ان تكون المقصود من الآيات تهديد المعاندين من اهل الكتاب كما يقول الصادق اذا كذب وقد اتى بكل مايدل على صدقه ولم يصدق الله يعلم صدقى وتكذيبك ايها المعاند وهو على ما اقول شهيد يحكم بينى وبينك ثم بين كونه كافيا ببيان كونه عالما بجميع الاشياء فقال يعلم مافى السموات والارض الى آخره ﴿قوله هم الخاسرون فى صفقتهم﴾ اشارة الى ان قوله والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله استعارة بالكناية بان شبه مافعلوه من اختيار الضلالة على الهدى بعقد المبايعة وقوله اولئك هم الخاسرون استعارة تخييلية قرينة للمكنية ولما هددهم الله تعالى بقوله اولئك هم الخاسرون قال نضر بن الحارث اللهم امطر علينا حجارة من السماء كما قال اصحاب الايكة فاسقط علينا كسفا من السماء اظهارا لقطعهم بعدم العذاب واستهزآء منهم وتكذيبا لمن هددهم به ﴿قوله ستحيط بهم﴾ يعنى ان اسم الفاعل بمعنى الاستقبال لكن جئ بالجملة الاسمية مؤكدة بان ولام الابتدآء للايذان بان وعد الله تعالى ووعيده كالمتحقق فى الحال لتحقق وقوعه البتة ويحتمل ان يكون اسم الفاعل بمعنى الحال ويكون المعنى ان جهنم لمحيطة بهم فى الدنيا باعتبار ان اسباب احاطتها من الكفر والمعاصى محيطة بهم فى الحال فنزل المسبب ايضا منزلة الواقع فى الحال ﴿قوله وكان رفيق ابراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام﴾ خص ابراهيم عليه الصلاة والسلام لكونه هاجر من كوثى الى الشام فرارا بدينه حيث قال انى مهاجر الى ربى ومحمد سيد المرسلين هاجر الى المدينة حيث تعذر عليه رعاية ماامر به فى امر الدين وامر المؤمنين بالهجرة من الموضع الذى لايمكنهم فيه عبادة الله وكذلك يجب على كل من كان فى بلدة تعمل فيها المعاصى ولايمكنه تغيير ذلك ان يهاجر الى حيث يمكنه ان يعبد الله فيه حق عبادته ﴿قوله فاياى﴾ منصوب بفعل مضمر يفسره الظاهر وهو فاعبدون تقديره فاعبدوا اياى فاعبدون فاستغنى بالثانى عن اظهار الاول ولايجوز انتصابه بالفعل الظاهر لاشتغاله عنه بالضمير الذى بعده ذهب صاحب الكشاف الى ان قوله تعالى

فاياى فاعبدون جواب شرط محذوف وجعل تقديم المفعول عوضا عن الشرط المحذوف مع افادة تقديمه معنى الاختصاص ثم انه تعالى لما امر المؤمنين بالمهاجرة الى ارض يمكنهم فيها رعاية وظائف العبادة صعب عليهم ترك الاوطان ومفارقة الاخوان فخوّفهم الله تعالى بالموت ليهوّن عليهم الهجرة والمعنى لا محيص لاحد من الموت والمعاد بعده فلابدّ من التزوّد لذلك وذلك باخلاص العبادة لله تعالى بعد توحيده على رجاء ان يثاب عليه فان لم يتيسر ذلك فى مكان فلابدّ من المهاجرة منه الى مكان تيسر ذلك ثم ذكر ثواب من هاجر فقال والذين آمنوا وعملوا الصالحات يعنى المهاجرين والذين يجوز ان يكون فى محل الرفع على الابتدآء او فى محل النصب على الاشتغال وعلالى جمع علية وهى الغرفة ووزنها فعيلة مثل صدّيقة واصلها عليوة فابدلت الواو ياء وادغمت

قوله وقرئ لنثوينهم بثاء مثلثة ساكنة بعد النون وياء مفتوحة بعد الواو من الثوآء وهو الاقامة يقال ثوى الرجل اذا اقام واثويته اذا انزلته منزلا يقيم فيه وهذه قرآءة حمزة والكسائى وقرأ الباقون لنبوّئنهم بباء موحدة مفتوحة بعد النون وهمزة مفتوحة بعد الواو من المباءة وهى الانزال اى انزلنهم من الجنة غرفا وانتصاب غرفا على قرآءة الاخوين اما على انه مفعول به على تضمين اثوى معنى انزل لان ثوى لازم فيعدّى بالهمزة الى واحد ويتعدّى الى اثنين باعتبار التضمين واما على الظرفية بتشبيه الظرف المحدود بالمبهم كما فى قوله لاقعدنّ لهم صراطك المستقيم اى باسقاط الخافض اتساعا اى فى غرف واما على قرآءة الباقين فهو منصوب على انه مفعول ثان لان بوّأ يتعدّى الى اثنين قال تعالى تبوّئ المؤمنين مقاعد للقتال وقوله تجرى صفة لغرفا **قوله وقرئ فنعم** بزيادة الفاء على ان الفاء لعطف الجملة على الجملة التى قبلها لا لتفيد ان مضمون الجملة التى بعدها واقع عقيب مضمون الجملة التى قبلها من غير ان يتخلل بينهما زمان فاصل كما فى نحو قام زيد فقعد عمرو بل هى للدلالة على ان المذكور بعدها كلام مرتب على ماقبلها فى الذكر لا ان مضمونها عقيب مضمون ماقبلها فى الزمان كما فى قوله تعالى ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين فان ذكر ذم الشئ او مدحه بعد جرى ذكره والمخصوص بالمدح محذوف والتقدير نعم اجر العاملين خالصا لوجه الله الغرف الموصوفة حذف لدلالة ماقبله عليه **قوله تعالى وكأين من دابة** كأين كلمة مركبة من كاف التشبيه واى التى تستعمل استعمال من ولما ركبتا جعل المركب بمعنى كم الخبرية وكأين مبتدأ ولا تحمل صفتها والله يرزقها خبره ومن دابة تمييز اى وكم من نفس دبت على وجه الارض عقلت او لم تعقل لا تطيق ان تحمل رزقها لضعفها عن حمله مع احتياجها الى الغذآء مثلكم اى لا تدخر شيأ من الرزق لغد انما تصبح فيرزقها الله من حيث لا تحتسب قيل لا يدخر شئ من الحيوان قوتا الا ابن آدم والفارة والنملة ويقال ان العقعق مخابئ الا انه ينسى خبيئته **قوله لا يرزقها واياكم الا الله** استفاد الحصر من تقديم الجلالة وبناء الفعل عليه فان مثل هذا التركيب يفيد الاختصاص كما ذكره الزمخشرى فى سورة الرعد فى قوله الله يبسط الرزق عن ابن عمر رضى الله عنهما قال خرجنا مع النبى عليه الصلاة والسلام حتى دخلنا بعض حيطان الانصار فجعل يلتقط من الثمر ويأكل فقال يا ابن عمر مالك لا تأكل فقلت لا اشتهيه يارسول الله قال انا اشتهيه وهذا صبح رابعة لم اطعم طعاما ولم اجده فقلت انا لله والله المستعان قال يا ابن عمر لو سألت ربى لاعطانى مثل ملك كسرى وقيصر اضعافا مضاعفة ولكنى اجوع يوما واشبع يوما فكيف بك يا ابن عمر اذا عمرت وبقيت فى حثالة من الناس يخبئون رزق سنة ويضعف منهم اليقين فوالله مابرحنا حتى نزلت وكأين من دابة لا تحمل رزقها الآية وقال عليه السلام لو انكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا **قوله لان رزق الكل باسباب** فانه تعالى لو لم يخلق النبات لم يكن للبهائم رزق وايضا ليس الغذآء بمجرّد الابتلاع بل لابدّ فى صيرورة الغذآء اجزآء من المتغذى بتحوّله لحما وعظما وشحما من ان يخلق الله تعالى فيه قوة جاذبة وماسكة وهاضمة ودافعة وغيرها من القوى التى لا تحصل الا بمحض قدرة الله تعالى وارادته فاذا تقرّر ان رزق الكل باسباب هو المسبب لها وحده ثبت انه تعالى هو الذى يرزق الدواب كلها ومباشرة الاسباب وسلوك طريق الاكتساب لا يمنعان التوكل وكذا جمع ما اكتسبه واعداده لوقت الحاجة لا يقدح فى التوكل بل الذى يقدح فيه ان يكون اعتماده على ما فى يده وعلى ما يتيسر له من طرآئق اكتسابه واما من تمسك بالاسباب وسلك سبيل الاكتساب اتباعا لسنة الله تعالى فى ترزيق العباد حيث جرت عادته فى افاضة الخيرات على الاستفاضة والطلب من قاضى الحاجات بالتسبب لما جعله سببا لنيل المرادات مع الاعتقاد بانه تعالى قادر على ان يرزقه من غير كدّ واهتمام وعلى ان يجعل سعيه فى تمسك الاسباب ضائعا غير مؤدّ الى المراد

(كل نفس ذآئقة الموت) تناله لا محا
(ثم الينا ترجعون) للجزآء ومن هذا عاقبت
ينبغى ان يجتهد فى الاستعداد له وقرأ ابو بكر
بالياء (والذين آمنوا وعملوا الصالحات
لنبوّئنهم) لننزلنهم (من الجنة غرفا)
علالى وقرئ لنثوينهم اى لنقيمنهم من الثوآ
فيكون انتصاب غرفا لاجرآئه مجرى لننزلنهم
او بنزع الخافض او تشبيه الظرف الموقت
بالمبهم (تجرى من تحتها الانهار خالدين
فيها نعم اجر العاملين) وقرئ فنعم والمخصوص
بالمدح محذوف دل عليه ماقبله (الذين
صبروا) على اذية المشركين والهجرة
للدين الى غيره ذلك من المحن والمشاق (وعلى
ربهم يتوكلون) ولا يتوكلون الا على الله
(وكأين من دابة لا تحمل رزقها) لا تطيق
حمله لضعفها او لا تدخره وانما تصبح ولا معيشة
عندها (الله يرزقها واياكم) ثم انها مع
ضعفها وتوكلها واياكم مع قوتكم واجتهادكم
سوآء فى انه لا يرزقها واياكم الا الله لان رزق
الكل باسباب هو المسبب لها وحده فلا تخافو
على معاشكم بالهجرة فانهم لما امروا بالهجرة
قال بعضهم كيف نقدم بلدة ليس لنا فيها
معيشة فنزلت (وهو السميع) لقولكم هذا
(العليم) بضميركم (ولئن سألتهم من خلق
السموات والارض وسخر الشمس والقمر)
المسئول منهم اهل مكة (ليقولن الله) لما
تقرر فى العقول من وجوب انتهاء الممكنات
الى واحد واجب الوجود (فانى يؤفكون)
يصرفون عن توحيده بعد اقرارهم بذلك

(الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له) يحتمل ان يكون الموسع له والمضيق عليه واحدا على ان البسط والقبض على التعاقب وان لايكون على وضع الضمير موضع من يشاء وابهامه لان من يشاء مبهم (ان الله بكل شئ عليم) يعلم مصالحهم ومفاسدهم (ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فاحيى به الارض من بعد موتها ليقولن الله) معترفين بانه الموجد للممكنات باسرها اصولها وفروعها ثم انهم يشركون به بعض مخلوقاته الذي لايقدر على شئ من ذلك (قل الحمد لله) على ماعصمك من مثل هذه الضلالة اوعلى تصديقك واظهار حجتك (بل اكثرهم لايعقلون) فيتناقضون حيث يقرون بانه المبدئ لكل ماعداه ثم يشركون به الصنم وقيل لايعقلون ماتريد بتحميدك عند مقالهم (وماهذه الحيوة الدنيا) اشارة تحقير وكيف لاوهي لاتزن عندالله جناح بعوضة (الالهو ولعب) الاكما يلهى ويلعب به الصبيان ويجتمعون عليه ويبتهجون به ساعة ثم يتفرقون متعبين (وان الدار الآخرة لهي الحيوان) لهي دار الحياة الحقيقة لامتناع طريان الموت عليها اوجعلت في ذاتها حياة للمبالغة والحيوان مصدر حيي سمي به ذوالحياة واصله حييان فقلبت الياء الثانية واوا وهو ابلغ من الحياة لما في بناء فعلان من الحركة والاضطراب اللازم للحياة ولذلك اختير عليها ههنا (لوكانوا يعلمون) لم يؤثروا عليها الدنيا التي اصلها عدم الحياة والحياة فيها عارضة سريعة الزوال (فاذا ركبوا في الفلك) متصل بمادل عليه شرح حالهم اى هم على ما وصفوا به من الشرك فاذا ركبوا البحر (دعوا الله مخلصين له الدين) كائنين في صورة من اخلص دينه من المؤمنين حيث لايذكرون الاالله ولايدعون سواه لعلمهم بانه لايكشف الشدائد الاهو (فلما نجاهم الى البر اذاهم يشركون) فاجاؤا المعاودة الى الشرك

فهو متوكل على العزيز العلام حيث كدّ وسعى معتمدا عليه لاعلى عمله واجتهاده ثم انه تعالى لما خاطب المؤمنين وامرهم بالمهاجرة الى ارض يتسهل لهم فيها عبادة الله قال على سبيل التعجب من كفار مكة ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ذكر في السموات والارض خلقهما وفي الشمس والقمر تسخيرهما لان الحكمة لاتتم بمجرد خلق الشمس فان الشمس لوكانت مخلوقة بحيث تستقر في موضع واحد لما حصل الليل والنهار ولا الصيف والشتاء فاذن الحكمة في تحريكهما وتسخيرهما ثم انه تعالى لما بين ايجاد الذوات بقوله خلق السموات والارض وبين ايجاد الصفات بقوله وسخر الشمس والقمر ذكر الرزق لان كمال الخلق ببقائه وبقاء الانسان بالرزق كانه قيل المعبود امالان يعبد لاستحقاقه العبادة فالاصنام ليست كذلك بل المستحق لها هو الله تعالى واما لكونه عظيم الشأن فالله تعالى خالق السموات والارض هو المنفرد بعظم الشان فله العبادة واما لكونه ولي الاحسان فالله الذى يرزق الخلق هو المنفرد بالفضل والاحسان فله العبادة فانى يشركون ﴿قوله ويقدر له﴾ اى يضيق فان القدر والقتر بمعنى واحد وهو التضييق ﴿قوله يحتمل ان يكون الموسع له والمضيق عليه واحدا﴾ هذا الاحتمال هو الظاهر لان من في قوله من يشاء موصولة اريد بها من افراد الانسان من تعين بكونه شاءالله التوسع له ولو غايره لما رجع ضمير يقدر له عليه ولما كان التوسع والتضييق متضادين لايجتمعان في محل واحد في زمان واحد وجب ان يكون اجتماعهما فيه على سبيل التعاقب واما اختلافهما ذاتا مع وجوب كون الضمير راجعا الى عين ماذكر اوّلا وهو من تعلق به مشيئة التوسيع فبعيد لان مفهوم من يشاء البسط له وان كان مبهما من حيث تناوله الافراد المندرجة تحته لا ابهام فيه من حيث تناوله الموسع له والمضيق عليه المختلفين ذاتا حتى يكون الضمير الراجع اليه مبهما مثله متناولا للضيق عليه الاان يقال المراد بقوله لان من يشاء مبهم ان مفهوم من يشاء مع قطع النظر عن تعلقه بالمفعول المحذوف يتناول الموسع له والمضيق عليه فان ذاتا تعلق به المشيئة كما يصدق على من تعلقت المشيئة بالتوسيع له يصدق ايضا على من تعلقت بالتضييق عليه فيكون الضمير الراجع اليه مبهما مثله فيختلف الموسع له والمضيق عليه ذاتا مع رجوع الضمير الى من يشاء كما اذا قيل يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر لمن يشاء فانه اذا قيل ويقدر لمن يشاء لايشتبه عند احد ان المبسوط له غير المقدور عليه فكذا اذا قيل ويقدر له لانه في قوة ذلك لان من يشاء مبهم بالتوجيه الذى ذكرنا فيكون ضميره ايضا كذلك فصلح لابهامه ان يراد به غير الاول ثم انه تعالى لما قال الله يبسط الرزق ذكر اعترافهم بذلك فقال ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء الآية لان تنزيل الماء سبب لوجود الرزق فالاعتراف بان موجد السبب هو الله تعالى اعتراف بان موجد المسبب ايضا هو الله فهو اعتراف بان الرازق هو الله تعالى ﴿قوله على ماعصمك من مثل هذه الضلالة﴾ وهي ضلالة المناقضة بين اعترافهم بان موجد الممكنات باسرها اصولها وفروعها هو الله عز وجل وبين اشراكهم به تعالى مالايقدر على شئ ﴿قوله او على تصديقك﴾ من اضافة المصدر الى مفعوله اى او على تصديق الله تعالى اياك بحملهم على الاقرار بما هو حجة عليه المستلزم لتبكيتك اياهم بالحجة ﴿قوله فيتناقضون﴾ يعني ان كلمة بل للاضراب عن الاول والاخذ فيما هواهم فانه تعالى ذكر اولا انهم اقروا بما يدل على التوحيد وبناقض سلوكهم طريق الشرك ثم انتقل الى ماهواهم وهو بيان انهم مسلوبوا العقول فلايبعد عنهم مثل هذه الجهالة والمناقضة فهو اضراب عن اظهار جهلهم الخاص الى بيان ان شأنهم الجهل مطلقا فعلى هذا يكون قوله قل الحمد لله اعتراضا بين المنتقل منه والمنتقل اليه وعلى الثاني يكون جملة الاضراب من تتمة قوله الحمد لله ومعنى الاضراب انهم اذالم يفطنوا بتلك المناقضة الظاهرة فاولى ان لايفطنوا انك لم حمدت الله تعالى عند اعترافهم بذلك ﴿قوله اشارة تحقير﴾ فانه قد ينزل قرب الدرجة ودناءة المنزلة منزلة قرب المسافة فيشار اليه بلفظ القريب كقول الكفرة في حق ابراهيم عليه الصلاة والسلام اهذا الذي يذكر آلهتكم واللهو ما يتلذذ به الانسان ويجعله مشتغلا به معرضا بسببه عما يهمه ويلهيه ساعة ثم ينقضي ﴿قوله لهي دار الحياة﴾ جواب عما يقال كيف اطلق الحيوان بمعنى الحياة او بمعنى النامي الحساس على الدار الآخرة مع انها ليست عبارة عن الحياة ولا بنام حساس وتقرير الجواب ان الحيوان مصدر بمعنى الحياة والكلام على تقدير مضاف او جعلت هي في ذاتها حياة للمبالغة فان ما فيها من الحياة لما كانت حياة مستمرة دائمة لاموت فيها صارت كانها في ذاتها حياة ﴿قوله متصل بما دل عليه الى آخره﴾ يعني الفاء عاطفة لدخولها على الجملة المدلول عليها بما ذكر قبلها ﴿قوله كائنين في صورة من اخلص دينه لله﴾ يعني ان تسميتهم مخلصين تهكم بهم من حيث انهم ليسوا مخلصين حقيقة حيث ان الذي الجأهم الى ان ذكروا الله تعالى خاصة وتركوا ماسواه

(ليكفروا بما آتيناهم) اللام فيه لام كى اى يشركون ليكونوا كافرين بشركهم نعمة النجاة (وليتمتعوا) باجتماعهم على عبادة الاصنام وتوادّهم عليها اولام الامر على التهديد ويؤيده قرآءة ابن كثير وحمزة والكسائى وقالون عن نافع وليتمتعوا بالسكون (فسوف يعلمون) عاقبة ذلك حين يعاقبون (أولم يروا) يعنى اهل مكة (انا جعلنا حرما آمنا) اى جعلنا بلدهم مصونا من النهب والتعدى آمنا اهله من القتل والسبى (ويتخطف الناس من حولهم) يختلسون قتلا وسبيا اذ كانت العرب حواليهم فى تغاور وتناهب (أفبالباطل) أبعد هذه النعمة المكشوفة وغيرها مما لايقدر عليه الا الله بالصنم او الشيطان (يؤمنون وبنعمة الله يكفرون) حيث اشركوا به غيره وتقديم الصلتين للاهتمام او الاختصاص على طريق المبالغة (ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا) بان زعم ان له شريكا (او كذب بالحق لما جاءه) يعنى الرسول او الكتاب وفى لما تسفيه لهم بان لم يتوقفوا ولم يتأملوا قط حين جاءهم بل سارعوا الى التكذيب اوّل ماسمعوه (أليس فى جهنم مثوى للكافرين) تقرير لثوآئهم كقوله * الستم خير من ركب المطايا * اى الايستوجبون الثوآء فيها وقد افتروا مثل هذا الكذب على الله وكذبوا بالحق مثل هذا التكذيب او لاجترآئهم اى ألم يعلموا ان فى جهنم مثوى للكافرين حتى اجترؤا هذه الجرأة (والذين جاهدوا فينا) فى حقنا فاطلاق المجاهدة ليعم جهاد الاعادى الظاهرة والباطنة بانواعه (لنهدينهم سبلنا) سبل السير الينا والوصول الى جنابنا او لنزيدنهم هداية الى سبيل الخير وتوفيقا لسلوكها لقوله والذين اهتدوا زادهم هدى وفى الحديث من عمل بما علم ورثه الله علم مالم يعلم (وان الله لمع المحسنين) بالنصرة والاعانة قال عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة العنكبوت كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل المؤمنين والمنافقين

﴿سورة الروم﴾

﴿مكية الا قوله فسبحان الله وهى﴾

﴿ستون او تسع وخمسون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم الم غلبت الروم فى ادنى الارض) ارض العرب منهم لانها الارض المعهودة عندهم او فى ادنى ارضهم من العرب واللام بدل من الاضافة

خوف الغرق والهلاك وفى الآية مضمر وتقدير الكلام فاذا ركبوا فى الفلك وهاجت الرياح واضطربت الامواج وكادت تغرق بهم دعوا الله ودل على هذا المحذوف ذكر التنجية بعده ﴿قوله اللام فيه لام كى﴾ اى يشركون ليكونوا اشراكهم كفرا بنعمة الانجاء والمعنى انه لافائدة لهم فى الاشراك الا الكفر والتمتع بما يستمتعون به فى العاجلة من غير ان يترتب عليه نصيب فى الآخرة ثم انه تعالى لما ذكر ان المشركين يخصون ربهم بالدعاء والتضرع عندما وقعوا فى الخوف الشديد من امواج البحر ثم يعودون الى الشرك القديم وقت الخلاص منه بالخروج الى البر ذكر حالهم عند غاية الامن وهو اشراكهم بالله الذى جعل لهم حرما آمنا يأمنون فيه على نفوسهم واموالهم فان اخوف احوال الانسان حال كونه فى بحر متلاطم الامواج فيضطرّ حينئذ الى التوحيد واخلاص الدين له فعاده الى الشرك بعدما نجاه الله تعالى الى البر اذا كان قبيحا فشركه فى حرم الله تعالى الذى ليس فى بلاد الله تعالى مايدانيه فى كونه مأمنا فى غاية القبح فلذلك انكر عليهم بقوله أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون ثم بالغ فى وجه الانكار بان بين ان مجرّد الشرك نهاية الظلم ولا احد اظلم من المشرك فكيف اذا كان الاشراك فى مقام يجب ان يكون العبد فيه احسن حالا منه فى سائر البلاد وانما قلنا الشرك نهاية الظلم لان الظلم وضع الشئ فى غير موضعه سوآء امكن وضعه فيه او امتنع فمن وضع شيأ فى موضع لايمكن ان يكون ذلك موضعه يكون اظلم لان عدم الامكان اقوى من عدم اللياقة وكذا تكذيب الحق ظلم ومن كذبه اوّل ماسمعه من غير توقف وتأمل يكون اظلم ﴿قوله الستم خير من ركب المطايا﴾ واندى العالمين بطون راح * الندى الجود يقال رجل ندى اى جواد وفلان اندى من فلان اذا كان اكثر خيرا منه قيل لما بلغ الشاعر هذا البيت من قصيدته وكان الخليفة متكئا استوى جالسا فرحا وقال من مدحنا فليمدحنا هكذا واعطاه مائة من الابل ولو كان مقصود الشاعر بقوله الستم الاستفهام لما اعطاه الخليفة مائة من الابل بل الهمزة فيه للانكار دخلت على النفى فافادت اثبات الخيرية وتقريرها فكذا فى الآية كانت لاقرار ثوآئهم فيها وكان المعنى الايثوون فى جهنم والايستحقون الثوآء فيها وقد افتروا مثل هذا التكذيب على الله تعالى ﴿قوله او لاجترآئهم﴾ عطف على قوله لثوآئهم اى وهو تقرير لاجترآئهم ثم انه تعالى لما فرغ من اقامة دلائل التوحيد وبطلان الشرك وتقريع المشركين وتهديدهم بتقرير ثوآئهم فى جهنم شرع فى تثبيت المؤمنين على ماهم عليه من المجاهدة مع كل مايجب مجاهدته من النفس الامارة بالسوء والشيطان واعدآء الدين فقال والذين جاهدوا فينا اى جدّوا وبذلوا وسعهم فى حقنا ولاجلنا ووجهنا خالصا لنهدينهم سبيل السير الينا والوصول الى جنابنا فان من جاهد فى الله حق جهاده وهو صرف الافتقار الى الله تعالى بالانفصال عن كل شئ سوى الله انكشف عنه الحجب النفسانية وحجب عالم الاكوان كلها وتجلى له اسرار الملكوت وانوار عالم الغيب ومن اجتهد برفض العادات البشرية ومخالفة الاهوآء الطبيعية وتهذيب ظاهره عن المخالفات المنهية بملازمة الاعمال السنية وباطنه عن الاخلاق الردية بالتحلى بالاخلاق المرضية انفتح له سبيل السير الى الله بالقوة القدسية والقابلية الملكية واللطافة الروحانية فانه بقدر الجد تكتسب المعالى * والى الله ابتهل فى ان يخلصنى من طريقة الذين يقولون مالايفعلون ويوفقنى للسعى والاجتهاد فى تهذيب الاخلاق واصلاح الاعمال انه قريب مجيب وقيل معنى الهداية ههنا التثبيت عليها والزيادة منها فانه تعالى يزيد المجاهدين هداية كما انه يزيد الكافرين ضلالة * تم مايتعلق بسورة العنكبوت * والحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لانبى بعده وعلى آله واصحابه الحائزين فضله * وهذا اوان الشروع فى ايراد مايتعلق بسورة الروم

﴿سورة الروم وهى مكية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

افتتحت هذه السورة الكريمة بحروف التهجى مع انه لايفهم منها معنى يقصد تبليغه لتنبيه السامع وايقاظه حتى يقبل على استماع مايلقى اليه بقلب حاضر فانه لما ذكر فى اوّل هذه السورة ماهو معجزة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو اخباره عن الغيب الذى هو غلبة الروم على فارس فى بضع سنين افتتحت بهذه الحروف ليتنبه السامع فيقبل بقلبه على استماع مايلقى اليه بعدها ﴿قوله لانها﴾ اى لان ارض العرب هى الارض المعهودة عندهم يعنى ان اللام فى لفظ الارض ان كانت للعهد فالمراد بها ارض العرب لان ارضهم هى المعهودة عندهم والمعنى غلبت فارس الروم فى اقرب ارض العرب الى الروم فقوله ارض العرب منهم اى من الروم ومن فى منهم صلة ادنى يقال

(وهم من بعد غلبهم) من اضافة المصدر الى المفعول وقرئ غلبهم وهو لغة كالحلب والحلب (سيغلبون في بضع سنين) روي ان الفرس غزوا الروم فوافوهم باذرعات وبصرى وقيل بالجزيرة وهي ادنى ارض الروم من الفرس فغلبوا عليهم وبلغ الخبر مكة ففرح المشركون وشمتوا بالمسلمين وقالوا انتم والنصارى اهل كتاب ونحن وفارس امّيون وقد ظهر اخواننا على اخوانكم ولنظهرن عليكم فنزلت فقال لهم ابوبكر لايقرن الله اعينكم فوالله ليظهرن الروم على فارس بعد بضع سنين فقال له ابيّ بن خلف كذبت اجعل بيننا اجلا انا حبك عليه فناحبه على عشر قلائص من كل واحد منهما وجعلا الاجل ثلاث سنين فاخبر ابوبكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال البضع مابين الثلاث الى التسع فزايده في الخطر وماده في الاجل فجعلاها مائة قلوص الى تسع سنين ومات ابيّ من جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد قفوله من احد وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية فاخذ ابوبكر الخطر من ورثة ابيّ وجاء به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تصدّق به واستدل به الحنيفة على جواز العقود الفاسدة في دار الحرب واجيب بانه كان قبل تحريم القمار والآية من دلائل النبوّة لانها اخبار عن الغيب وقرئ غلبت بالفتح وسيغلبون بالضم ومعناه ان الروم غلبوا على ريف الشام والمسلمون سيغلبونهم وفي السنة التاسعة من نزوله غزاهم المسلمون وفتحوا بعض بلادهم وعلى هذا يكون اضافة الغلب الى الفاعل (لله الامر من قبل ومن بعد) من قبل كونهم غالبين وهو وقت كونهم مغلوبين ومن بعد كونهم مغلوبين وهو وقت كونهم غالبين اي له الامر حين غلبوا وحين يغلبون ليس شئ منهما الا بقضائه وقرئ من قبلٍ ومن بعدٍ من غير تقدير مضاف اليه كأنه قيل قبلا وبعدا اي اوّلا وآخرا (ويومئذ) ويوم يغلب الروم (يفرح المؤمنون بنصر الله) من له كتاب على من لا كتاب له لما فيه من انقلاب التفاؤل وظهور صدقهم فيما اخبروا به المشركين وغلبتهم في رهانهم وازدياد يقينهم وثباتهم في دينهم وقيل بنصر الله المؤمنين باظهار صدقهم اوبان ولى بعض اعدائهم بعضا حتى تفانوا (ينصر من يشاء) فينصر هؤلاء تارة وهؤلاء اخرى (وهو العزيز الرحيم) ينتقم من عباده بالنصر عليهم تارة ويتفضل عليهم بنصرهم اخرى (وعد الله) مصدر مؤكد لنفسه لان ماقبله في معنى الوعد (لايخلف الله وعده) لامتناع الكذب عليه (ولكن اكثر الناس لايعلمون) وعده ولاصحة وعده لجهلهم وعدم تفكرهم (يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا) مايشاهدونه منها والتمتع بزخارفها (وهم عن الآخرة) التي هي غايتها والمقصود منها (هم غافلون) لاتخطر ببالهم وهم الثانية تكرير للاولى اومبتدأ وغافلون خبره والجملة خبر الاولى (بهم) وهو على الوجهين مناد على تمكن غفلتهم عن الآخرة المحققة لمقتضى الجملة المتقدمة المبدلة من قوله لايعلمون تقريرا لجهالتهم وتشبيها لهم بالحيوانات المقصور ادراكها

دنا منه اي قرب منه والمراد بادنى ارض العرب من الروم اطراف الشام وان كانت اللام فيه بدلا من المضاف اليه يكون المعنى غلبت الروم في ادنى ارض الروم من العرب وضمير ارضهم يعود الى الروم * فان قلت جعلت الارض التي غلبت الروم فيها للعرب تارة وللروم اخرى فاوجهه * قلت يجوز ان تكون تلك الارض مسكنهم جميعا بان يسكن فيها البعض من كل فريق فجاز اضافتها تارة الى العرب واخرى الى الروم ﴿قوله من اضافة المصدر الى المفعول﴾ والمعنى وهم اي الروم من بعد مغلوبيتهم سيغلبون فارس في بضع سنين واذرعات موضع بالشام وبصرى ايضا موضع بالشام والجزيرة موضع بعينه وهي مابين دجلة والفرات وليس المراد بها جزيرة العرب وحدها على ماروى عن الاصمعي انها من اقصى عدن الى ريف العراق طولا ومن جدة وما والاها الى اطراف الشام عرضا وسبب تسميتها جزيرة احاطة البحار والانهار العظام بها كبحر الحبشة وبحر فارس ودجلة والفرات ﴿قوله وقيل بالجزيرة وهي ادنى ارض الروم من فارس﴾ فعلى هذا يكون قوله في ادنى الارض بمعنى في ادنى ارض الروم من فارس كما روى عن مجاهد انه قال هي ارض الجزيرة وهي ادنى ارض الروم الى فارس فتكون اللام في الارض عوضا عن المضاف اليه ﴿قوله وشمتوا بالمسلمين﴾ اي فرحوا بانفعال المسلمين وتحزينهم فان الشماتة عبارة عن الفرح ببلية العدوّ وهي من باب علم وسبب نزول هذه الاية على ماذكره المفسرون انه كان بين فارس والروم قتال وكان المشركون يودّون ان يغلب فارس الروم لان اهل فارس كانوا مجوسا اميين والمسلمون يودّون غلبة الروم على فارس لكونهم اهل كتاب فبعث كسرى جيشا الى الروم فاستعمل عليهم رجلا يقال له شهربا وبعث قيصر جيشا واستعمل عليهم رجلا يدعى بحلس فالتقيا باذرعات وبصرى وهي ادنى ارض الشام الى ارض العرب والعجم فغلبت فارس الروم فبلغ ذلك المسلمين بمكة فشق ذلك عليهم وفرح به كفار مكة وقالوا للمسلمين انكم اهل كتاب والنصارى اهل كتاب ونحن اميون كاهل فارس وقد ظهر اخواننا من اهل فارس على اخوانكم من الروم وانكم ان قاتلتمونا لنظهرن عليكم فانزل الله تعالى هذه الآيات لبيان ان الغلبة لاتدل على الحق بل الله تعالى قد يريد ان يزيد في ثواب المحق فيبتليه ويسلط عليه الاعادي وقد يختار تعجيل العذاب الادنى دون العذاب الاكبر قبل يوم الميعاد والمناحبة المراهنة والقلائص جمع قلوص وهي من النوق الشابة وهذه المناحبة كانت قبل تحريم القمار وهو الظاهر لان السورة مكية وتحريم الخمر والميسر من آخر الآي نزولا ﴿قوله من قبل كونهم غالبين الى آخره﴾ يعني ان جمهور القرآء قرؤا من قبل ومن بعد مبنيان على الضمة من حيث انهما لماقطعا عن الاضافة مع كونها منوية مرادة صارا كبعض الاسم في عدم استحقاق الاعراب فلابدّ من تقدير المضاف اليه فقدره بقوله من قبل كونهم غالبين ومن بعد كونهم مغلوبين بناء على ان كلا من الوقتين اعني وقت كونهم مغلوبين ووقت كونهم غالبين بالنسبة الى الآخر له اعتبار القبلية والبعدية فان الروم كانوا في اوّل الامر مغلوبين وفي ثاني الحال صاروا غالبين فكونهم مغلوبين قبل كونهم غالبين وكونهم غالبين بعد كونهم مغلوبين وقد كان لله الامر في اوّل الوقتين وفي آخرهما اي حين غلبوا وحين يغلبون وعبر عن اوّل الوقتين بقوله من قبل كونهم غالبين لكون وقت مغلوبيتهم قبل كونهم غالبين وعبر عن ثاني الوقتين بقوله ومن بعد كونهم مغلوبين لكون وقت غلبتهم بعد ذلك ﴿قوله وقرئ من قبلٍ ومن بعدٍ﴾ مجرورين منونين لانه اذا لم يكن المضاف اليه المحذوف منويا يكون اسما برأسه فيعرب على حسب اقتضاء العامل كقول الشاعر

* فساغ لي الشراب وكنت قبلا * اكاد اغص من ماء الفرات *

﴿قوله في رهانهم﴾ هو مصدر بمعنى المراهنة والمناحبة والغالب فيما يستحق السبق وهو بفتحتين الخطر الذى يتراهن عليه ويوضع بين اهل السباق ويقال اخطر المال اذا جعله خطرا بين المتراهنين ﴿قوله وقيل بنصر الله المؤمنين﴾ عطف على قوله بنصر الله من له كتاب وهو الروم على من لا كتاب له وهو فارس ﴿قوله لان ماقبله في معنى الوعد﴾ فان قوله تعالى سيغلبون ويومئذ يفرح المؤمنون وعد من الله تعالى بالنصرة فاكده بقوله وعد الله وعامله مضمر اي وعدهم الله ذلك وعدا ثم قدر معنى هذا المصدر بقوله لايخلف الله وعده اي فيظهر الروم على فارس ولكن اكثر الناس يعني كفار مكة لايعلمون وعده حيث ينكرون الرسالة والوحي ﴿قوله وهو على الوجهين مناد على تمكن غفلتهم عن الآخرة﴾ يعني ان هذا الكلام سواء كانت هم الثانية تكريرا للاولى وكان غافلون خبرا للاولى اوكانت مبتدأ مابعدها خبرها وكانت الجملة خبر الاولى يدل على اختصاص الغفلة عن الآخرة

بهم و ان الغفلة لاتثبت ولاتستقرّ الافيهم و هو معنى تمكنها فيهم و قوله المحققة صفة غفلتهم و المراد بالجملة المتقدّمة قوله يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا و اشار الى ان هذه الجملة بدل من قوله لايعلمون وكل واحد من قوله تقريرا وتشبيها واشعارا منصوب على انه مفعول له لقوله المبدلة علل ابدال قوله يعلمون من قوله لايعلمون بثلاث علل الاولى تقرير جهالتهم المدلول عليها بالمبدل منه فان من لايتجاوز علمه عن بعض ظاهر الدنيا و لايتعلق بالبعض الآخر فضلا عن ان يتعلق بامر الدين واحوال الآخرة لايكون الاجاهلا و قوله تشبيها و ان كان في صورة العلة الثانية الاان المقصود منه بيان وجه كون جملة البدل تقريرا لجهالتهم ووجه كون الابدال مشعرا بما ذكره ان قوله يعلمون لمااقيم مقام قوله لايعلمون وجعل سادّا مسدّه علم منه انه لافرق بين عدم العلم وبين علمهم **قوله اولم يحدثوا التفكر فيها** على ان يكون قوله فى انفسهم ظرفا للتفكر والمعنى اولم يشغلوا قلوبهم الفارغة عن الفكر بالفكرة الصالحة والتفكر وان لم يكن الا فى القلوب الا انه زيد قوله فى انفسهم لزيادة تصوير حال المتفكرين كما قيل ولاتخطه بيمينك و ابصره بعينه و اضمره فى نفسه و نحو ذلك وتكون جملة ماخلق الله السموات الى آخره متصلة بما قبلها فى محل النصب بقوله اولم يتفكروا و المعنى اولم يتفكروا فى قلوبهم ان ماخلق الله السموات والارض الا بالحق باضمار ان الخفيفة ويكون التفكر واقعا فى خلقهما بالحق و اضمار ان للوصل جائز كما فى قوله تعالى فى هذه السورة ومن آياته يريكم البرق اى ان يريكم البرق كذا فى التيسير و حينئذ يحتاج الى اضمار فى ايضا والاظهر ماذكره المصنف من كونه متعلقا بقول او علم محذوف و التقدير اولم يتفكروا فيقولوا او فيعلموا ان ماخلق الله السموات الخ فعلى هذا لايكون المتفكر فيه مذكورا بخلاف الاحتمال الثانى الذى ذكره بقوله اواولم يتفكروا فى امر انفسهم على ان يكون قوله فى انفسهم مفعولا به غيرصريح ليتفكروا لاظرفا له كقوله اولم ينظروا فى ملكوت السموات و المعنى هلا تفكروا فى امر انفسهم التى هى اقرب اليهم من سائر المخلوقات و هم اعلم باحوالها و هى كلمة استبطاء كأنه قيل ينبغى لهم ان يتفكروا فيها ليتضح لهم كمال قدرة الله تعالى فان من تفكر فى تشريح بدن الانسان وما اودع فيه من غرآئب التدبير الالهى حصل له العلم القطعى بانه تعالى فاعل مختار كامل العلم و القدرة وان من يكون كذلك يكون منزها عن الشركاء والانداد و الاكان عاجزا عند ارادة شريكه ضدّما اراده وايضا حصل له العلم بحقيقة الحشر و الجزآء لانه اذا تفكر فى نفسه يرى قواه صائرة الى الزوال و اجزآءه مائلة الى الانحلال فيقطع بانه سيفنى عن قريب فلولم يكن له حياة اخرى لكان خلقه على هذا الوجه عبثا كما اشير اليه بقوله تعالى افحسبتم انما خلقناكم عبثا وهذا ظاهر لانه من بالغ فى تدبير شئ سيفنى عن قريب بالكلية و صوّره احسن تصوير و اعتنى فى انتظام احواله ابلغ مايمكن من الاعتناء مع علمه بانه عن قريب يصير كأن لم يكن شيأ مذكورا يضحك منه و يتعجب من سفاهته فمن تفكر فى شأن نفسه على هذا الوجه علم انه تعالى خلقه للبقاء ولابقاء الابالحشر والاحياء فظهر ان تفكر الانسان فى امر نفسه يؤدّيه الى القطع بان العالم له اله واحد قادر على الابدآء والاعادة فيكون قوله ماخلق الله السموات والارض و مابينهما الابالحق جملة مستأنفة لاتعلق لها بماقبلها ذكرت بعد اقامة دليل الانفس استدلالا بدليل الآفاق فمعنى الآية على هذا الوجه اولم يتفكروا فى خلق السموات والارض فيعلموا ان الله تعالى لم يخلقها عبثا ولاجزافا ولكن ليعتبر بها عباده و ليستدلوا بها على واحدانيته وكمال قدرته و انه انما خلقها لمنافع عباده بلاغا لهم فى دار التكليف وعونا لاكتساب مايسعدهم فى دار الجزآء و هو معنى قوله بالحق والباء فيه اما سببية او حالية اى ماخلقها الاللحق اوملتبسة بالحق مقرونة به لاباطلا ولاعبثا خاليا عن حكمة بالغة ولاتبقى خالدة و انما خلقها مؤجلة باجل مسمى ونفوس البشر مندرجة فى مفهوم قوله ومابينهما ثم انه تعالى لما ارشد الى مايؤدّى الى العلم بحقية الآخرة وان السموات والارض ومابينهما جميعا مخلوقة للانتهاء الى اجل مسمى هدد الغافلين من الآخرة المصرّين على الكفر وتكذيب الانبياء بقوله اولم يسيروا فى الارض وهو استفهام تقرير لسيرهم ونظرهم الى آثار المدمّرين قبلهم و بعد تقرير ذلك ذكر ان اهل مكة اولى بالهلاك لان من تقدّم من عاد وثمود كانوا اشدّ من اهل مكة قوّة واكثر مالا وعمارة ولم ينفعهم قواهم ولم يمنعهم من الهلاك اموالهم وحصونهم **قوله او الآيات الواضحات** اى دلائل الحق و براهينه و عن ابن عباس رضى الله عنهما بالحلال والحرام والحدود والاحكام **قوله تعالى فما كان الله ليظلمهم** قبله مضمر تقديره فلم يؤمنوا فاهلكوا فما ظلمهم الله بتعذيبهم من غير ذنب وثم فى قوله ثم كان لترتيب الاخبار * قرأ نافع وابن كثير وابو عمرو عاقبة الذين مرفوعا

واما باطنها فانها مجاز الى الآخرة ووصلة الى نيلها وانموذج لاحوالها واشعارا بانه لافرق بين عدم العلم والعلم الذى يختص بظاهر الدنيا (اولم يتفكروا فى انفسهم) اولم يحدثوا التفكر فيها او اولم يتفكروا فى امر انفسهم فانها اقرب اليهم من غيرها ومرءآة يجتلى فيها للمستبصر ما يجتلى له فى الممكنات باسرها ليتحقق له قدرة مبدعها على اعادتها من قدرته على ابدآئها (ماخلق الله السموات والارض ومابينهما الابالحق) متعلق بقول او علم محذوف يدل عليه الكلام (واجل مسمى) تنتهى عنده ولاتبقى بعده (وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم) بلقاء جزآئه عند انقضاء قيام الاجل المسمى اوقيام الساعة (لكافرون) جاحدون يحسبون ان الدنيا ابدية وان الآخرة لاتكون (اولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) تقرير لسيرهم فى اقطار الارض ونظرهم الى آثار المدمّرين قبلهم (كانوا اشدّ منهم قوّة) كعاد وثمود (واثاروا الارض) وقلبوا وجهها لاستنباط المياه واستخراج المعادن وزرع البذور وغيرها (وعمروها) وعمروا الارض (اكثر مما عمروها) من عمارة اهل مكة اياها فانهم اهل واد غير ذى زرع لاتبسط لهم فى غيرها وفيه تهكم بهم من حيث انهم مغترون بالدنيا مفتخرون بها وهم اضعف حالا فيها اذ مدار امرها على التبسط فى البلاد والتسلط على العباد والتصرّف فى اقطار الارض بانواع العمارة وهم ضعفاء ملجؤن الى واد لانفع له (وجاءتهم رسلهم بالبينات) بالمعجزات او الآيات الواضحات (فما كان الله ليظلمهم) ليفعل بهم مايفعل الظلمة فيدمرهم من غير جرم ولاتذكير (ولكن كانوا انفسهم يظلمون) حيث عملوا ماادّى الى تدميرهم

(ثم كان عاقبة الذين اساؤا السوأى) اى ثم كان عاقبتهم العقوبة السوأى او الخصلة السوأى فوضع الظاهر موضع الضمير للدلالة على ما اقتضى ان يكون تلك عاقبتهم وانهم جوزوا بمثل افعالهم والسوأى تأنيث الاسوء كالحسنى او مصدر كبشرى

نعت بهما (ان كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزؤن) علة او بدل او عطف بيان للسوأى او خبر كان والسوأى مصدر اساؤا او مفعوله بمعنى ثم كان عاقبة الذين اقترفوا الخطيئة ان طبع الله على قلوبهم حتى كذبوا الآيات واستهزؤا بها ويجوز ان تكون السوأى صلة الفعل وان كذبوا تابعها والخبر محذوفا للابهام والتهويل وان يكون ان مفسرة لان الاساءة اذا كانت مفسرة بالتكذيب والاستهزآء كانت متضمنة معنى القول وقرأ ابن عامر والكوفيون عاقبة بالنصب على ان الاسم السوأى وان كذبوا على الوجوه المذكورة (الله يبدأ الخلق) ينشئهم (ثم يعيده) يبعثهم (ثم اليه ترجعون) للجزآء والعدول الى الخطاب للمبالغة فى المقصود وقرأ ابو عمرو وابوبكر وروح بالياء على الاصل (ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون) يسكتون متحيرين آيسين يقال ناظرته فابلس اذا سكت وأيس من ان يحتج ومنه الناقة المبلاس التى لا ترغو وقرئ بفتح اللام من ابلسه اذا اسكته (ولم يكن لهم من شركائهم) ممن اشركوهم بالله (شفعاء) يجيرونهم من عذاب الله ومجيئه بلفظ الماضى لتحققه (وكانوا بشركائهم كافرين) يكفرون بآلهتهم حين يئسوا منهم وقيل كانوا فى الدنيا كافرين بسببهم وكتب فى المصحف شفعوآ وعلموآ بنى اسرآئيل بالواو والسوأى بالالف قبل الياء اثباتا للهمزة على صورة الحرف الذى منه حركتها (ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون) اى المؤمنون والكافرون لقوله (فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم فى روضة) ارض ذات ازهار وانهار (يحبرون) يسرون سرورا تهللت له وجوههم (واما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة فاولئك فى العذاب محضرون) مدخلون لا يغيبون عنه (فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد فى السموات والارض وعشيا وحين تظهرون) اخبار فى معنى الامر بتنزيه الله تعالى والثناء عليه فى هذه الاوقات التى تظهر فيها قدرته وتجدد فيها نعمته او دلالة على ان ما يحدث فيها من الشواهد الناطقة بتنزيهه واستحقاقه الحمد ممن له تمييز من اهل السموات والارض

على انه اسم كان وتذكير كان مبنى على ان تأنيث عاقبة غير حقيقى والسوأى خبر كان واختار المصنف هذه القرآءة حيث قال ثم كان عاقبتهم العقوبة او الخصلة السوأى وقوله ان كذبوا اما علة بتقدير لام العلة اى لان كذبوا او باء السببية اى بان كذبوا واما بدل او عطف بيان للسوأى ولا شك ان التكذيب خصلة سوأى وعقوبة سوأى فيصح ان يكون بدلا او عطف بيان للعقوبة السوأى والخصلة السوأى فمعنى الآية ثم كان التكذيب آخر امرهم اى ماتوا على ذلك فجازاهم الله تعالى بذلك على اساءتهم حيث طبع على قلوبهم حتى ماتوا على التكذيب ويحتمل ان يكون قوله ان كذبوا خبر كان وحينئذ يكون السوأى مصدرا بمعنى الاساءة منصوبا باساؤا او يكون مفعول اساؤا لتضمنه معنى اقترفوا والمعنى ثم كان عاقبة الذين اقترفوا الخطيئة التى هى اسوأ الخطايا ان طبع الله على قلوبهم حتى كذبوا الآيات واستهزؤا بها فان السوأى تأنيث الاسوء بمعنى الاقبح ثم ذكر احتمالا آخر وهو ان يكون السوأى مفعول اساؤا ايضا وان كذبوا عطف بيان له او بدلا منه ويكون الخبر محذوفا للابهام والتهويل والمعنى ثم كان عاقبة الذين اقترفوا الخطيئة السوأى وهى التكذيب والاستهزآء مالا يكتنه كنهه ولا يقادر قدره فى الشدة والفظاعة ثم انه تعالى لما ذكر ان عاقبة المسيئ العقوبة السوأى قرر ذلك ببيان ان المخلوقات باسرها يحشرون بعد الموت ثم اليه يرجعون للجزاء * ثم بين ما يكون وقت الرجوع اليه بقوله ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون اى ينقطع كلامهم وحجتهم ويبقون آيسين من كل خير ساكتين متحيرين ﴿قوله التى لا ترغو﴾ من الرغاء وهو صوت ذات الخف يقال رغا البعير يرغو رغاء اذا صوت وابلست الناقة اذا لم ترغ من شدة الضبعة وهى شدة شهوة الناقة للفحل ﴿قوله يكفرون بآلهتهم﴾ على ان الباء فى قوله بشركائهم صلة كافرين وما قيل بعده على ان الباء للسببية ﴿قوله وكتب فى المصحف شفعوآ وعلموآ بنى اسرآئيل بالواو﴾ قبل الالف على لغة من يميل الالف الى الواو وعلى هذه اللغة كتب الصلوة والزكوة والربوا ثم ان الالف المكتوبة على صورة الواو ان كانت فى الآخر جمع بينها وبين الواو فى الرسم كما فى الربوا وعلموا بخلاف الالف المتوسطة كما فى الصلوة والزكوة ﴿قوله لقوله فاما الذين﴾ وجه الاستدلال ان الفاء فيه لتفصيل ما اجمل بقوله يتفرقون ﴿قوله تهللت﴾ اى تلألأت ولمعت قال الراغب الحبر الاثر المستحسن ومنه ماروى انه يخرج من النار رجل ذهب حبره وسبره اى جماله وبهاؤه والتحبير التحسين والفاء فى قوله تعالى فاما الذين آمنوا لتفصيل ما اجمل فى قوله يومئذ يتفرقون اسند التفرق الى فريقى المؤمنين والكافرين على الاجمال ثم فصل حالهما وبين مصيرهما بما هو وعد فى حق احدهما ووعيد فى حق الآخر ثم فرع على هذا الوعد والوعيد قوله فسبحان الله الآية فان الفاء فيه فاء الجزآء لشرط محذوف والا لم يكن للكلام وجه ارتباط بما قبله كانه قيل اذا تقرر عندكم مصير كل واحد من الفريقين واتضح عاقبة المؤمنين من اهل طاعته المقبلين اليها فسبحوا الله تعالى تسبيحا فى هذه الاوقات وهذا معنى قول المصنف ان قوله تعالى فسبحان الله فى معنى الامر بتنزيه الله تعالى ولم يجعله امرا حقيقة بان يكون المصدر منصوبا بفعل الامر لكونه مصدرا بفاء الجزآء والامر بل الجمل الانشائية مطلقا لا يصح تعليقها بالشرط لان الانشاء ايقاع المعنى بلفظ يقارنه ولو جاز تعليقه لزم تأخره عن زمان التلفظ وانه غير جائز وانما المعلق بالشرط هو الاخبار عن انشاء التمنى والترجى وانشاء المدح والذم والاستفهام ونحوها فاذا قلت ان فعلت فعل كذا غفر الله لك او نعم ما فعلت كان المعنى فقد فعلت ما تستحق بسببه ان يغفر لك او ان تمدح بسببه الا ان الجملة الانشائية اقيمت مقامه للمبالغة فى الدلالة على الاستحقاق فمعنى الآية اذا كان الامر كما تقرر فانتم تسبحون الله تعالى فى الاوقات المذكورة وهو فى معنى الامر بالتسبيح فيها وكذا قوله تعالى وله الحمد اخبار فى معنى الامر بالثناء عليه فكأنه قيل اذا تقرر ذلك فعليكم بتسبيح الله تعالى وتحميده الذين يوصلان الى الوعد وينجيان من الوعيد * وقوله التى تظهر فيها قدرته اشارة الى وجه تخصيص هذه الآية بالتنزيه وقوله وتجدد فيها نعمته اشارة الى وجه تخصيصها بالثناء ﴿قوله او دلالة﴾ عطف على قوله اخبار فى معنى الامر لا على مجرد كونه اخبارا لما بينا ان كونه جواب الشرط يستلزم كونه اخبارا البتة وانما الاحتمال فى كونه فى معنى الامر او لمجرد الدلالة على ان ما يحدث فيها من الدلائل الدالة على تنزيهه تعالى عن سمات العجز والامكان واستحقاقه الحمد والثناء بكل لسان من السن الملائكة والانس والجان ﴿قوله لان آثار القدرة والعظمة فيهما اظهر﴾ من حيث انه يتبدل فيهما احد الضدين بالآخر كتبدل الظلمة بالنور وبالعكس وكتبدل ما يشبه الحياة بما يشبه الموت وبالعكس واصبح وامسى من الافعال الناقصة الا ان قوله تمسون وتصبحون فى الآية من الافعال التامة بمعنى تدخلون فى المساء وتدخلون فى الصباح

وكذا تظهرون اى تدخلون فى الظهيرة ﴿ قوله وتخصيص التسبيح بالمساء و الصباح ﴾ وتخصيص الحمد بالعشى والظهيرة مبنى على كون قوله وعشيا معطوفا على قوله فى السموات والارض لانه لوكان معطوفا على قوله تمسون كما ذهب اليه عامة المفسرين لكانت الاوقات المذكورة باسرها اوقات التسبيح ولكان المعنى سبحوه حين تمسون وحين تصبحون وعشيا وحين تظهرون وحينئذ يكون قوله وله الحمد اعتراضا بين المعطوف والمعطوف عليه وفائدة الاعتراض التنبيه على انهم انما يسبحون فى هذه الاوقات بتمكين الله تعالى اياهم وتوفيقه لهم فعليهم ان يحمدوا الله تعالى اذا سبحوه كما قال تعالى يمنون عليك ان اسلموا قل لا تمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم ﴿ قوله ومن ابن عباس رضى الله عنهما ﴾ عطف من حيث المعنى على قوله فى معنى الامر بتنزيه الله تعالى فانه بمنزلة ان يقال المراد بالتسبيح التنزيه وهذا المعطوف بمنزلة ان يقال المراد به الصلاة بطريق تسمية الشئ باسم مافيه ومابعده من الاحاديث تؤيد كون التسبيح على اصل معناه فانه اذا قيل سبح فلا يكون الا انه قال سبحان الله وكذا كبر وحوقل معناهما قال الله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله ﴿ قوله وقرئ حينا ﴾ بالتنوين فتكون الجملة بعده صفة له بحذف العائد كما فى قوله تعالى واخشوا يوما لايجزى والدهن ولده اى لايجزى فيه ثم انه تعالى بين استحقاقه للتحميد والتسبيح ببيان انه يخرج احد الضدين من الآخر وبيان ان الابداء والاعادة متساويان بالنسبة الى قدرته فقال يخرج الحى من الميت الى آخره فهذه الآية كالدليل على قوله الله يبدئ الخلق ثم يعيده ﴿ قوله تعالى ومن آياته ﴾ خبر مقدم لقوله ان خلقكم اى ومن آياته الدالة على كمال قدرته المستلزم لوحدانيته وتفرده فى الالوهية خلق اصلكم من تراب ثم شكم ونشركم على وجه الارض وثم للتراخى الرتبى بين بثهم وانتشارهم فى الارض وبين كونهم مخلوقين من اصل واحد واذا المفاجأة للدلالة على ان ذلك البث والانتشار لم يكن بعد انقضاء زمان مديد منذ زمان خلق اصلكم ﴿ قوله تنتشرون ﴾ صفة لبشر لان المراد به الجنس ﴿ قوله لان حواء خلقت من ضلع آدم عليه الصلاة والسلام ﴾ اى من عظم جنبه جعل ضميرلكم وانفسكم متناولا لآدم عليه الصلاة والسلام ولمن بعده من آباء النساء فهم اموات لايصلحون للخطاب بطريق تغليب الاحياء على الاموات اذ مقابلة الجمع بالجمع تقتضى انقسام الآحاد على الآحاد غير مرعى فى هذا التوجيه والظاهر انه جعل ذلك الاصل اكثريا لا كليا ﴿ قوله اولانهن من جنسهم ﴾ يعنى ان قوله من انفسكم بمعنى من جنسكم كما فى قوله تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم ويدل عليه قوله لتسكنوا اليها فان سكون النفس وميل القلب لايتوقف على كون المسكون اليه منفصلا منه وانما يتوقف على الاتحاد فى الجنس فان الجنسين المختلفين لايسكن احدهما الى الآخر ﴿ قوله حالة الشبق وغيرها ﴾ لف ونشر على ترتيب قوله مودة ورحمة فان كل واحد من الزوجين يود صاحبه حال شبابهما وغلبة شهوتهما ويعطف عليه ويرحمه حال كبرهما رعاية لحق قدم المصاحبة وان انقطعت حاجة نفسه اليه فان العطف الواقع فى تلك الحال ليس بسبب المحبة وانما هو بسبب الرحمة ﴿ قوله اوبان تعيش الانسان الى آخره ﴾ ناظر الى قوله او بين افراد الجنس مع قطع النظر عن علاقة الازواج ﴿ قوله لقوله ورحمة منا ﴾ قال تعالى فى حق عيسى عليه السلام ولنجعله آية للناس ورحمة منا والمراد بها عيسى عليه السلام جعله الله تعالى آية ورحمة ﴿ قوله تعالى ان فى ذلك ﴾ اى فيما ذكر من خلق الازواج وجعل المودة والرحمة بين الزوجين لآيات لقوم يتفكرون فى عظمة الله تعالى وقدرته فانه تدبير عجيب فى بقاء نوع الانسان بتعاقب اشخاصه وفى ضمن هذا التدبير خلق البشر السوى من شئ يسير من المنى وتربيته فى بطن امه تسعة اشهر من غير خادم يخدمه ويقوم بمصالحه ثم اخراجه من بطن امه مع سلامة نفسه وامه آيات عجيبة تدل على كمال عظمة الله تعالى وقدرته فان ذلك لو كان من عند غير الله لافضى الى هلاك الام وهلاك الولد ايضا فان الولد لو سل من موضع ضيق بغير اعانة الله تعالى لمات ﴿ قوله تعالى ومن آياته ﴾ الدالة على وحدانيته وقدرته على البعث والاحياء خلق السموات ورفعها فى الهواء واقرارها فيه من غير عمد وخلق الارض وبسطها واقرارها على الماء او على الريح وكانت العرب مقرين بان الله تعالى هو المنفرد بخلقهما فبكتهم الله تعالى بان من قدر على خلقهما وعلى مافيهما من عجائب الصنعة وبدائع الخلقة فلا يكون الا منفردا بالالوهية والربوبية قادرا على احياء الموتى ومجازاتهم على الاحسان والاساءة وفسر اختلاف الالسنة باختلاف اللغات لان انفس الالسنة ليست مختلفة بل هى على هيئة واحدة ﴿ قوله بان علم كل صنف لغة ﴾ على ان تكون اللغات باسرها توقيفية لا اصطلاحية كما ذهب اليه الجمهور وقوله او الهمه وضعها على ان تكون اصطلاحية ثم ان التعليم لايتوقف على تقدم اللغة وجريان

وتخصيص التسبيح بالمساء والصباح لان آثار القدرة والعظمة فيهما اظهر وتخصيص الحمد بالعشى الذى هو آخر النهار من عشيت العين اذا نقص نورها والظهيرة التى هى وسطه لان تجدد النعم فيهما اكثر ويجوز ان يكون عشيا معطوفا على حين تمسون وقوله وله الحمد فى السموات والارض اعتراضا وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان الآية جامعة للصلوات الخمس تمسون صلاة المغرب والعشاء وتصبحون صلاة الفجر وعشيا صلاة العصر وتظهرون صلاة الظهر ولذلك زعم الحسن انها مدنية لانه كان يقول كان الواجب بمكة ركعتين فى اى وقت اتفقت وانما فرضت الخمس بالمدينة والاكثر على انها فرضت بمكة وعنه عليه الصلاة والسلام من سره ان يكال له بالقفيز الاوفى فليقل فسبحان الله حين تمسون الآية وعنه عليه الصلاة والسلام من قال حين يصبح فسبحان الله حين تمسون الى قوله وكذلك تخرجون ادرك مافاته فى ليلته ومن قال حين يمسى ادرك مافاته فى يومه وقرئ حينا تمسون وحينا تصبحون اى تمسون فيه وتصبحون فيه (يخرج الحى من الميت) كالانسان من النطفة والطائر من البيضة (ويخرج الميت من الحى) النطفة والبيضة او يعقب الحياة بالموت وبالعكس (ويحيى الارض) بالنبات (بعد موتها) يبسها (وكذلك) ومثل ذلك الاخراج (تخرجون) من قبوركم فانه ايضا تعقيب الحياة بالموت وقرأ حمزة والكسائى بفتح التاء (ومن آياته ان خلقكم من تراب) اى فى اصل الانشاء لانه خلق اصلهم منه (ثم اذا انتم بشر تنتشرون) ثم فاجأتم وقت كونكم بشرا منتشرين فى الارض (ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا) لان حواء خلقت من ضلع آدم وسائر النساء خلقن من نطف الرجال او لانهن من جنسهم لا من جنس آخر (لتسكنوا اليها) لتميلوا اليها وتألفوا بها فان الجنسية علة للضم والاختلاف سبب للتنافر (وجعل بينكم) اى بين الرجال والنساء او بين افراد الجنس (مودة ورحمة) بواسطة الزواج حالة الشبق وغيرها بخلاف سائر الحيوانات نظما لامر المعاش او بان تعيش الانسان متوقف على التعارف والتعاون المحوج الى التواد والتراحم وقيل المودة كناية عن الجماع والرحمة عن الولد لقوله ورحمة منا (ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) فيعلمون مافى ذلك من الحكم

الاصطلاح عليها والا لتوقف ذلك الاصطلاح على لغة متقدّمة واصطلاح سابق وهلمّ جرا فاما ان يدور او يتسلسل بل طريق التعليم ان يخلق الله تعالى في كل صنف علما ضروريا بتلك الالفاظ و بتلك المعانى و باختصاص كل لفظ من تلك الالفاظ بواحد من تلك المعانى والضرورى ههنا بمعنى الاولى الحاصل بمجرّد التفات العقل من غير ان يتوقف على شئ آخر من حدس او تجربة او الهام وهو القاء المعنى فى القلب سوآء القاه الله بالذات او بواسطة الملك فالعلم الضرورى باىّ لفظ موضوع لاىّ معنى مقابل لما يحصل بالالهام ﴿قوله او اجناس نطقكم﴾ اى و يحتمل ان يكون المراد باختلاف الالسنة اختلاف الكيفيات العارضة للاصوات و الالفاظ المنطوقة مع اتحاد اللغة فانك لاتكاد تسمع منطقين متفقين فى همس واحد ولا فى جهارة ولا فى حدّة ولا لين ولا فصاحة ولا لكنة ولا نظم ولا اسلوب ولا غير ذلك من صفات النطق واحواله وكذا اختلاف الوانهم وصورهم وهيئاتهم مع انهم ولد رجل واحد وامرأة واحدة وان اصل الكل واحد وهو الماء والتراب فاختلاف النغمات واللغات وتفاوت الالوان والكيفيات بحيث لايشبه وجه وجها على اتحاد الصورة ولا تشبه نغمة نغمة على اتحاد الآلة دليل واضح على كمال قدرته ونفاذ مشيئته ولطف حكمته فان تمايز الاقارب والاجانب وتعارف اصحاب المعاملات بعضها مع بعض يتوقف على ماذكر من الاختلاف فانه لو اتفقت الافراد الانسانية بحسب العوارض والمشخصات لوقع الاشتباه والالتباس بينهم ولأدّى الى تعطيل الامور الجمة والمصالح الكثيرة ﴿قوله وحلاها﴾ جمع حلية بمعنى الصفة ﴿قوله لاستراحة القوى النفسانية﴾ وهى بحسب القسمة الاولى قوّتان محركة ومدركة والمحركة اثنتان شهوية تجذب بها النفس مايلائمها وغضبية تدفع بها مالايلائمها والمدركة عشر خمس منها الحواس الظاهرة وخمس منها الباطنة الحس المشترك الذى يجتمع فيه صور جميع المحسوسات والخيال الذى هو خزانة الحس المشترك والوهم الذى به تدرك النفس المعانى الجزئية والمتصرّفة التى هى مناط التركيبات والتحليلات وتعلق بها استنباط الصنائع العجيبة والافكار الغريبة والذاكرة وهى خزانة الصور الوهمية كما ان الخيال خزانة الصور الحسية * وللنفس قوى اخر لامدركة ولا محرّكة وتسمى القوى الطبيعية وهى سبع الغاذية التى تتصرّف فى مادّة الغذآء وتوصل الاغذية الى اعضاء المتغذى والنامية والمولدة والجاذبة والهاضمة والماسكة والدافعة وللنفس ثلاث قوى سوى هذه القوى المذكورة وهى روح حيوانى وروح طبيعى وروح نفسانى والروح الحيوانى هو البخار اللطيف الحاصل من غليان الدم الكائن فى تجويف الصنوبرى وذلك البخار مثبت فى الجانب الايسر من اللحم الصنوبرى والذى انفصل منه واتصل بالكبد يسمى روحا طبيعيا ويتعلق به احوال المعدة والطبخ والافعال النباتية والذى يتصاعد منه الى جانب الدماغ بواسطة الشرايين يسمى روحا نفسانيا وتنوط به الافعال الحيوانية وهو لغاية لطافته يسرى وينفذ فى جميع العروق والاعضاء والله اعلم * ولا شئ من القوى الطبيعية تتعطل بالنوم حتى يكون النوم استراحة لها لكنها تتقوى بسببه بخلاف القوى النفسانية فان اكثرها يتعطل بالنوم فيكون النوم سببا لاستراحتها ولما لم يكن النوم مختصا بالليل لكون القيلولة وقت الظهيرة عادة اكثر الناس وكذا لم يكن طلب المعاش مختصا بالنهار لوقوعه فى الليل ايضا قدّم احتمال ان لاتكون الآية من قبيل اللف والنشر حيث قال منامكم فى الزمانين وطلب معاشكم فيهما ثم ذكر احتمال كون الآية من باب اللف حيث ذكر فى تفسيرها مايدل على اختصاص كل واحد من الزمانين بواحد من الفعلين فقال او منامكم بالليل وابتغاؤكم بالنهار فخص كل واحد من الفعلين بزمان على حدة واقتصر على عطف احد الفعلين على الآخر ولم يعطف احد الزمانين على الآخر بل خص كل زمان بما وقع فيه من الفعل ليظهر ان النظم وارد على طريق اللف ثم قال فلف اى ذكر الزمانين ثم ذكر ماوقع فى كل واحد منهما من غير تعيين ان ماوقع فى كل واحد منهما اىّ فعل من الفعلين المذكورين اعتمادا على كون التعيين معلوما للسامع فان اللف عبارة عن ذكر متعدّد مع ذكر مالكل من آحاد ذلك المتعدّد من غير تعيين اعتمادا على ان السامع يردّ مالكل من آحاد المتعدّد المذكور الى ماهو له ثم قال ويؤيد الاحتمال الثانى قوله تعالى وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم وقوله تعالى وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا ﴿قوله فان الحكمة فيه﴾ اى فى جعل الزمانين محلا للفعلين ظاهرة اشار به الى وجه تخصيص هذه الآية بقوله لقوم يسمعون والآية السابقة بقوله لقوم يتفكرون ﴿قوله مقدر بان﴾ المصدرية حتى تكون مع مافى حيزها مبتدأ وماقبلها خبره على وفق نظائره ولما حذفت ان بطل عملها وعاد الفعل مرفوعا كما فى قوله * الا ايهذا الزاجرى احضر الوغى * ويروى

(ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف السنتكم) لغاتكم بان علّم كل صنف لغة او الهمه وضعها واقدره عليها او اجناس نطقكم واشكاله فانه لاتكاد تسمع منطقين متساويين فى الكيفية (والوانكم) بياض الجلد وسواده او تخطيطات الاعضاء وهيئاتها والوانها وحلاها بحيث وقع التمايز والتعارف حتى ان التوأمين مع توافق موادّهما واسبابهما والامور اللاقية لهما فى التخليق يختلفان فى شئ من ذلك لامحالة (ان فى ذلك لآيات للعالمين) لاتكاد تخفى على عاقل من ملك او انس او جنّ وقرأ حفص بكسر اللام ويؤيده قوله ومايعقلها الا العالمون (ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله) منامكم فى الزمانين لاستراحة القوى النفسانية وقوّة القوى الطبيعية وطلب معاشكم فيهما او منامكم بالليل وابتغاؤكم بالنهار فلف وضم بين الزمانين والفعلين بعاطفين اشعارا بان كلا من الزمانين وان اختص باحدهما فهو صالح للآخر عند الحاجة ويؤيده سائر الآيات الواردة فيه (ان فى ذلك لآيات لقوم يسمعون) سماع تفهم واستبصار فان الحكمة فيه ظاهرة (ومن آياته يريكم البرق) مقدر بان كقوله شعر

الا ايهذا الزاجرى احضر الوغى *
وان اشهد اللذات هل انت مخلدى *

او الفعل فيه منزل منزلة المصدر كقوله تسمع بالمعيدى خير من ان تراه اوصفة لمحذوف تقديره آية يريكم بها البرق كقوله

فما الدهر الا تارتان فنهما * اموت واخرى ابتغى العيش اكدح * (خوفا) من الصاعقة للمسافر (وطمعا) فى الغيث للمقيم ونصبهما على العلة لفعل يلزم المذكور فان اراءتهم تستلزم رؤيتهم او له على تقدير مضاف نحو اراءة خوف وطمع او تأويل الخوف والطمع بالاخافة والاطماع كقولك فعلته رغما للشيطان او على الحال مثل كلمته شفاها (وينزل من السماء ماء) وقرأ ابن كثير وابو عمرو بالتخفيف (فيحيى به الارض) بالنبات (بعد موتها) بيبسها (ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون) يستعملون عقولهم فى استنباط اسبابها وكيفية تكونها ليظهر لهم كمال قدرة الصانع وحكمته (ومن آياته ان تقوم السماء والارض بامره) قيامهما باقامته لهما وارادته لقيامهما فى حيزهما المعين من غير مقيم محسوس والتعبير بالامر للمبالغة فى كمال القدرة والغنى عن الآلة (ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا انتم تخرجون) عطف على ان تقوم على تأويل المفرد كأنه قيل ومن آياته قيام السموات والارض بامره ثم خروجكم من القبور اذا دعاكم دعوة واحدة فيقول ايتها الموتى اخرجوا والمراد تشبيه سرعة ترتب حصول ذلك على تعلق ارادته بلا توقف واحتياج الى تجشم عمل بسرعة ترتب اجابة الداعى المطاع على دعائه وثم اما للتراخى زمانه او لعظم مافيه ومن الارض متعلق بدعا كقوله دعوته من اسفل الوادى فطلع الى لا بتخرجون لان مابعد اذا لايعمل فيما قبلها واذا الثانية للمفاجأة ولذلك نابت مناب الفاء فى جواب الاولى (وله من فى السموات والارض كل له قانتون) منقادون لفعله فيهم لايمتنعون عليه (وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده) بعد هلاكهم (وهو اهون عليه) والاعادة اسهل عليه من الاصل بالاضافة الى قدركم والقياس على اصولكم والا فهما عليه سواء ولذلك قيل الهاء للخلق وقيل اهون بمعنى هين وتذكير هو لأهون او لان الاعادة بمعنى ان يعيد (وله المثل) الوصف العجيب الشأن كالقدرة العامة والحكمة التامة ومن فسره بقول لا اله الا الله اراد به الوصف بالوحدانية (الاعلى) الذى ليس لغيره مايساويه او يدانيه (فى السموات والارض) يصف به مافيهما دلالة ونطقا (وهو العزيز) القادر الذى لايعجز عن ابداء ممكن واعادته (الحكيم) الذى يجرى الافعال على مقتضى حكمته

برفع احضر ونصبها وحسن حذف ان فيه لدلالة مابعده عليه وهو قوله * وان اشهد اللذات هل انت مخلدى * وقد ينزل الفعل بنفسه منزلة المصدر كما فى قوله * تسمع بالمعيدى خير من ان تراه * اى سماعك به وهو مثل يضرب للرجل الذى له صيت فى الناس فاذا رأيته ازريته قيل المعيدى تصغير معدى منسوب الى معد خففت الدال استثقالا للجمع بين التشديد وبين ياء التصغير فتقدير الآية على تقدير ان ينزل الفعل منزلة المصدر اى ومن آياته اراءتكم البرق ووجه كونها آية ان السحاب ليس فيه الا الماء والهواء وخروج النار منهما بحيث تحرق الجبال فى غاية البعد فلابد له من خالق قادر على جميع مايشاء ثم ذكر لارتفاع يريكم وجها ثالثا وهو كونه صفة لمحذوف والتقدير ومن آياته آية يريكم الله تعالى بها البرق فحذف الموصوف وعائده كما فى قول الشاعر

* فما الدهر الا تارتان فنهما * اموت واخرى ابتغى العيش اكدح *

اى فنهما تارة اموت فيها ﴿قوله على العلة لفعل يلزم المذكور﴾ لا لنفس الفعل المذكور لان شرط انتصاب المفعول له ان يكون فعلا لفاعل الفعل المعلل والله تعالى منزه عن الخوف والطمع فاحتيج الى ان يقال فى تأويل الآية يريكم البرق فترونه خوفا وطمعا على طريقة اقامة عاقبة الفعل مقام علته ﴿قوله قيامهما باقامته لهما وارادته لقيامهما فى حيزهما﴾ فان السماء وان كانت تتحرك حركة وضعية الا انها ثابتة فى حيزها لاتخرج عنه ولا يميل بعض جوانبها بل تثبت على الهيئة التى خلقت عليها من غير عمد ترونها وكذا الارض مع غاية ثقلها تثبت فى مكانها ولا تنزل ولا تتسفل وما يمسكهما الا الله القادر على مايشاء ولم يفسر قوله تعالى بامره بان يقول اى بقوله لهما قوما فى حيزكما مع انه هو الاوفق لقوله انما امره اذا اراد شيأ ان يقول له كن فيكون لان كون الامر سببا لقيام الجمادات او تكونها لايخلو عن بعد فجعل الامر بالقيام مجازا عن الاقامة وارادة القيام بان شبه تكون الكائنات عند تعلق الارادة بتكونها بامتثال المأمور المطيع لامر الآمر المطاع فعبر عن تعلق الارادة بالامر للمبالغة فى الدلالة على كمال القدرة والاستغناء عن مزاولة الآلة وليس هناك امر اصلا حتى يقال الامر الذى للتكوين مستلزم للارادة بالاتفاق بيننا وبين المعتزلة بخلاف الامر الذى للتكليف فانه مستلزم للارادة عندهم ﴿قوله عطف على ان تقوم على تأويل المفرد﴾ يعنى ان مابعد كلمة ثم جملة شرطية عطفت على المفرد اقامة لها مقام المفرد لافادتها فائدة المفرد على اسلوب قوله تعالى فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا فانه فى معنى وأمن داخله وفائدة هذا الاسلوب الاشعار بانه مع كونه آية مستقلة خارجة من عداد ماسبق من الآيات حكم مقصود بذاته مع قطع النظر عن كونه آية ﴿قوله ولذلك نابت مناب الفاء فى جواب الاولى﴾ لاشتراكهما فى الدلالة على التعقيب ﴿قوله منقادون لفعله فيهم﴾ يعنى ان المراد بالقنوت الانقياد فيدل على جميع ماأراد الله تعالى فى حقهم ومافعل بهم من الاحياء والاماتة والصحة والسقم والحركة والسكون وغير ذلك لا الانقياد برعاية ماكلفوا به من امتثال الاوامر والاجتناب عن المعاصى وهو دليل على وحدانيته لان جميع الكائنات لما كانوا منقادين لارادته ومشيئته ثبت انه لاشريك له اصلا لان الشريك يكون منازعا للشريك الآخر فى مقتضى ارادته ثم استدل على الاصل الآخر وهو القدرة على الحشر والاعادة بقوله وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده ﴿قوله ولذلك﴾ اى ولعدم كون شئ اسهل من شئ بالنسبة الى قدرة الله تعالى وان كل واحد من الابداء والاعادة مساو للآخر بالنسبة اليه تعالى قيل ضمير عليه للخلق اى والعود اهون على الخلق وهذا على تقدير ان يكون اهون للتفضيل فانه يدل على كون الاعادة اهون عليه من الابداء وليس كذلك واما اذا كان صفة بمعنى هين كقوله الله اكبر فحينئذ لاحاجة الى التوجيه لانه لايدل على كون بعض الممكنات اهون من بعض بالنسبة الى قدرته تعالى ﴿قوله اى الوصف العجيب الشان﴾ استعير لفظ المثل من معناه العرفى وهو القول السائر المشبه مضربه بمورده للوصف العجيب تشبيها له بالمثل السائر لانه لايضرب الا مافيه غرابة وامر عجيب وقوله فى السموات متعلق بما تعلق به قوله وله او بمحذوف على انه حال من الاعلى او من المثل ومعنى ثبوته له تعالى فى السموات والارض انه تعالى عرف ووصف به فيهما على ألسنة الخلائق وألسنة الدلائل ثم انه تعالى لما استدل على وحدانيته بقوله وله من فى السموات والارض شرع فى بيانها بالمثل فقال عز من قائل ضرب لكم مثلا من انفسكم اى بين الله لكم ايها المشركون مثلا اى شبها لحالكم التى هى اثبات الشريك لله تعالى وذلك الشبه منتزع من احوال انفسكم ومن الاحوال التى لاترضونها فى حقكم ضربه لتقريب الامر من الافهام المشركين ثم بين ذلك المثل

فقال هل لكم مما ملكت ايمانكم ومن فى قوله من انفسكم لابتدآء الغاية وهو فى موضع الصفة لمثلا اى مثلا مأخوذا منها ومن فى قوله مما ملكت للتبعيض والجارّ والمجرور فى محل النصب على انه حال من شركاء لانه فى الاصل نعت نكرة هى شركاء والتقدير هل لكم شركاء كائنون مما ملكته ايمانكم فلما قدّم عليها انتصب على الحال ومن فى قوله من شركاء مزيدة لتأكيد الاستفهام الجارى مجرى النفى فانها لاتزاد فى الاثبات الا عند الاخفش والجار مع المجرور فى محل الرفع على انه مبتدأ ولكم خبره قدّم عليه وقوله فانتم فيه سوآء جملة من مبتدأ وخبر فى موضع فعل وفاعل وهما فتستووا وقوله فيه متعلق بسوآء ومحلها النصب على جواب الاستفهام الذى بمعنى النفى كأنه قيل هل لكم من كيت وكيت فتستووا والمعنى انهم لايملكون فيساووكم هذا ماذكره ابو البقاء بقوله فانتم فيه سوآء جملة اسمية فى موضع نصب جواب الاستفهام اى هل لكم فتستووا انتهى كلامه بعبارته وفيه نظر لانه كيف يجوز ان تجعل الجملة الاسمية حالة محل الجملة الفعلية ويحكم على موضع الاسمية بالنصب باضمار ناصب وهذا لايجوز الا ان يقال ان الحكم بهذه الجملة الاسمية جواب الاستفهام المذكور قبله وهذا كلام حق **قوله** تعالى فانتم فيه سوآء اى هل انتم ومماليككم فى شئ تملكونه انتم سوآء وليس كذلك ولما لم يكن لله تعالى شريك فى شئ كان لايملك الذى تدعون الهيته شيأ اصلا فلا يعبد لعظمته ولا لمنفعة تصل اليكم منه وقوله تعالى تخافونهم فيه وجهان احدهما انه خبر ثان لانتم تقديره فانتم مستوون معهم فيما رزقناكم خائفون كخوف بعضكم بعضا ايها الاحرار السادات والمراد نفى الاشياء الثلاثة اعنى الشركة والاستوآء مع العبيد وخوفهم اياهم وليس المراد نفى ثبوت الشركة ونفى الاستوآء والخوف كما هو احد الوجهين فى قولك ماتأتينا فتحدثنا بمعنى ماتأتينا محدثا بل تأتينا ولاتحدثنا بل المراد نفى الجميع كما تقدّم والوجه الثانى ان تخافونهم فى محل النصب على انه حال من ضمير الفاعل فى سوآء اى فانتم فيه مستوون خائفين عبيدكم خيفة مثل خيفتكم الاحرار الذين هم امثالكم اذا كان بينكم وبينهم شركة فاذا لم ترضوا ان يشارككم عبيدكم فى المال فكيف تشركون بالله من هو مصنوع له * واعلم ان المثل لابد ان يشابه الممثل به من وجه ويخالفه من وجه آخر ووجه المشابهة ههنا ظاهر واما وجه المخالفة فقد اشير اليه فى الآية بوجوه الاوّل اشير اليه بقوله من انفسكم اى من نسلكم مع حقارة انفسكم ونقصانها وعجزها وجلالته تعالى وعظمته وقدرته وكماله واشير الى الثانى بقوله مما ملكت ايمانكم اى من عبيد لكم عليهم ملك اليد الطارى القابل للنقل والزوال اما النقل فبالبيع وغيره واما الزوال فبالعتق * فمملوكه تعالى لاخروج له عن الملك بوجه من الوجوه فاذا لم يجز ان يكون مملوك يمينكم شريكا لكم مع انه يجوز ان يصير مثلكم من جميع الوجوه بل هو فى الحال مثلكم فى الآدمية حتى انكم ليس لكم تصرّف فى روحه وآدميته بقتل وقطع وليس لكم منهم من العبادة وقضاء الحاجة فكيف يجوز ان يكون مملوك الله تعالى الذى لايتصوّر خروجه عن ملك الله تعالى وهو مملوك له من جميع الوجوه شريكا له واشير الى الثالث بقوله من شركاء فيما رزقناكم يعنى فى الذى هو فى الحقيقة ليس لكم بل هو لله ومن رزقه حقيقة فاذا لم يجز ان يكون لكم شريك فيما هو لكم من حيث الاسم وفى ظاهر الامر فكيف يجوز ان يكون له تعالى شريك فيما هو له حقيقة بل كل شئ فهو لله تعالى وما تدعون الهيته لايملك شيأ اصلا فلا يعبد لعظمته ولا لمنفعة تصل اليكم منه واما قولكم هؤلاء شفعاؤنا فليس كذلك لانه اذا لم يكن لما ملكت ايمانكم مع مساواته اياكم فى الحقيقة والصفة حرمة عندكم كحرمة الاحرار فكيف يكون حال المماليك الذين لامساواة بينهم وبين المالك الحق بوجه من الوجوه هل يتصوّر أن يكون لهم حرمة عند المالك المطلق والى هذا اشير بقوله تعالى تخافونهم كخيفتكم ثم انه تعالى لما بين بطلان الشرك بما ضرب به من المثل بعد بيان دلائل الوحدانية وبعد مابين حسن ذلك التمثيل بقوله وكذلك نفصل اى مثل ذلك التفصيل العجيب والبيان الغريب نبين الآيات قال بل اتبع الذين ظلموا اهوآءهم اى لكن الذين اشركوا اتبعوا اهوآءهم فيما ذهبوا اليه من الشرك من غير دليل جهلا بما يجب عليهم ثم بين ان ذلك بارادة الله تعالى حيث قال فمن يهدى من اضل الله اى هؤلاء اضلهم الله فلاهادى لهم فلا يحزنك شأنهم ثم قال اذا بان لك بطلان الشرك بما اوضحنا لك من الآيات فاقم وجهك للدين حنيفا اى غير ملتفت يمينا وشمالا هذا على ان يكون حنيفا حالا من فاعل اقم او غير ملتفت عنه على ان يكون حالا من الدين والحنف من الحنف وهو الاعوجاج فى الرجل بان تقبل احدى ابهامى رجليه على الاخرى والرجل احنف وقد سمى المسلم المستقيم فى امر الدين حنيفا بطريق تسمية احد الضدّين باسم الآخر تلميحا كما يسمى الغراب اعور او لكونه مائلا

(ضرب لكم مثلا من انفسكم) منتزعا من احوالها التى هى اقرب الامور اليكم (هل لكم مما ملكت ايمانكم) من مماليككم (من شركاء فيما رزقناكم) من الاموال وغيرها (فانتم فيه سوآء) فتكونون انتم وهم فيه شرع يتصرّفون فيه كتصرّفكم مع انهم بشر مثلكم وانها معارة لكم ومن الاولى للابتدآء والثانية للتبعيض والثالثة مزيدة لتأكيد الاستفهام الجارى مجرى النفى (تخافونهم) ان يستبدّوا بتصرّف فيه (كخيفتكم انفسكم) كما تخاف الاحرار بعضهم من بعض (كذلك) مثل ذلك التفصيل (نفصل الآيات) نبينها فان التمثيل مما يكشف المعانى ويوضحها (لقوم يعقلون) يستعملون عقولهم فى تدبر الامثال (بل اتبع الذين ظلموا) بالاشراك (اهوآءهم بغير علم) جاهلين لايكفهم شئ فان العالم اذا اتبع هواه ربما رد عله (فمن يهدى من اضل الله) فمن يقدر على هدايته (ومالهم من ناصرين) يخلصونهم من الضلالة ويحفظونهم من آفاتها

الى الدين الحق فى كل حال وكل وقت ﴿قوله وهو تمثيل﴾ لان الدين هو الاقبال على طاعة الله تعالى بالجنان واللسان والاركان وهو ليس من قبيل الاعيان الخارجية حتى يتصوّر تقويم الوجه اليه حقيقة فلذلك جعله من قبيل التمثيل بمعنى انه شبه اقبال القلب على الدين وثباته عليه واهتمامه برعاية حدوده واركانه باقبال الشخص الى موضع معين وقصده اياه وتقويم وجهه الى سمته معتقدا بانه لو انحرف عنه ضل عن مقصده فعبر عن المشبه باسم المشبه به وهو التقويم ثم اشتق منه اقم ﴿قوله نصب على الاغرآء﴾ اى الزموا فطرة الله او عليكم فطرة الله او على المصدر اى المصدر المؤكد لمضمون الجملة كقوله صبغة الله وصنع الله اى فطركم الله فطرة فسر الفطرة بالخلقة ثم بين ان المراد بها احد ثلاثة اوجه فتكون الخلقة على جميع تلك الوجوه بمعنى ماخلق عليه المكلف * الوجه الاوّل ان تكون الفطرة عبارة عن قبولهم الحق وتمكنهم من ادراكه فانه تعالى خلق المكلفين على الجبلة السليمة والطبع المتهيئ لقبول الدين الحق وهو التوحيد والطاعة فلو تركوا عليها لاستمرّوا على لزومها لان هذا الدين موجود حسنه فى العقول ويقتضيه النظر الصحيح ولايعدل عنه احد الا بآفة عارضة كالتقليد واغوآء شياطين الانس والجن فمن سلم من تلك الآفات لم يعتقد غيره ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام * كل من يولد يولد على الفطرة فابواه يهوّدانه وينصرانه كما تنتجون البهيمة هل تجدون فيها من جدعاء حتى تكونوا انتم تجدعونها * قالوا يارسول الله افرأيت من يموت وهو صغير قال * الله اعلم بما كانوا يعملون * قال الامام القاشانى فى تأويلاته قوله تعالى ولله المثل الاعلى اى الوصف الاعلى بالفردانية فى الوجود والوحدة الذاتية وما احسن قول مجاهد فى معناه هو لا اله الا الله فاقم وجهك للدين التوحيد والوجه هو الذات الموجودة مع جميع لوازمها وعوارضها واقامته للدين تجريده عن كل ماسوى الحق قائما بالحق والوقوف مع الحق غير ملتفت الى نفسه ولا الى غيره حنيفا مائلا منحرفا عن الاديان الباطلة التى هى طريق الاغيار والانداد لمن اثبت غيره باشراكه بالله فطرة الله اى الزموا فطرة الله وهى الحال التى فطرت الانسانية عليها من الصفاء والتجرّد فى الازل وهى الدين القيم ازلا وابدا لايتغير ولايتبدل عن الصفاء الازلى ومحض التوحيد الفطرى وتلك الفطرة الازلية ليست الا من الفيض الاقدس الذى هو عين الذات من وقع عليها لم يمكن انحرافه عن التوحيد واحتجابه عن الحق وانما يقع الانحراف والاحتجاب من غواشى النشأة وعوارض الطبيعة عند الخلق والتربية والعادة اما الاوّل فلقوله عليه الصلاة والسلام فى الحديث القدسى * كل عبادى خلقت حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم وامروهم ان يشركوا بى غيرى * واما الثانى فلقوله عليه الصلاة والسلام * كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون ابواه يهوّدانه وينصرانه * لا ان تتغير تلك الحقيقة فى نفسها عن الحالة الذاتية فانه محال وذلك معنى قوله لاتبديل لخلق الله ولكن اكثر الناس لايعلمون تلك الحقيقة انتهى كلامه قدس سره * والوجه الثانى ان تكون الفطرة عبارة عن الدين الذى هو ملة الاسلام فان الدين والملة متحدان بالذات مختلفان بالاعتبار فان كل واحد منهما عبارة عما شرعه الله تعالى لعباده وسنه لهم على لسان انبيائه ليتوصلوا به الى اجل ثوابه الا ان ذلك يسمى ملة باعتبار انه تعالى ازل فى حقه ما يمليه العباد ويكتبونه ويتدارسونه فيما بينهم لان الملة من املت الكتاب اى امليت ويسمى دينا باعتبار طاعة العباد لمن سنه وانقيادهم لامره من قولهم دان له اى ذل واطاع والناس مفطورون على ملة الاسلام ضرورة انهم مخلوقون على قبول ماتطابقت الادلة العقلية على حقيته وصدقه والاتصاف به فكانوا مخلوقين على الاسلام الى ان صرفهم عنه صارف فالظاهر على هذا الوجه ان يكون فطرة الله منصوبا على الاغرآء اذليس لقولنا فطرهم الله فطرة هى الاسلام وجه ظاهر * والوجه الثالث ان يراد بالفطرة العهد المأخوذ عليهم بقوله تعالى ألست بربكم قالوا بلى وكل مولود فى العالم على ذلك الاقرار وهى الحنفية التى وقعت الخلقة عليها وان عبد غيره قال الله تعالى ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله وقالوا مانعبدهم الا ليقربونا الى الله ولكن لاعبرة بالايمان الفطرى فى احكام الدنيا وانما يعتبر الايمان الشرعى المأمور به المكتسب بالارادة والعقل الاترى انه عليه الصلاة والسلام بقوله * يهوّدانه وينصرانه * جعله فى حكم ابويه مع وجود هذا الايمان الفطرى فيه ﴿قوله لايقدر احد ان يغيره﴾ على تقدير ان يراد بفطرة الله خلقهم قابلين للتوحيد ودين الاسلام فان خلقهم على هذه القابلية امر تعلق به قضاء الله تعالى وارادته فمن يقدر على تغييره ﴿قوله او ماينبغى ان يغير﴾ على تقدير ان يراد بها الاسلام او الاقرار الفطرى فيكون لاتبديل نفيا فى معنى النهى ﴿قوله اذا رجع مرة بعد اخرى﴾ مبنى على ان همزة اناب للصيرورة

(فاقم وجهك للدين حنيفا) فقوّمه له غير ملتفت او ملتفت عنه وهو تمثيل للاقبال والاستقامة عليه والاهتمام به (فطرة الله) خلقته نصب على الاغرآء او المصدر لما دل عليه مابعده (التى فطر الناس عليها) خلقهم عليها وهو قبولهم للحق وتمكنهم من ادراكه او ملة الاسلام فانهم لو خلوا وماخلقوا عليه ادى بهم اليها وقيل العهد المأخوذ من آدم وذريته (لاتبديل لخلق الله) لايقدر احد ان يغيره او ما ينبغى ان يغير (ذلك) اشارة الى الدين المأمور باقامة الوجه له او الفطرة ان فسرت بالملة (الدين القيم) المستوى الذى لاعوج فيه (ولكن اكثر الناس لايعلمون) استقامته لعدم تدبرهم (منيبين اليه) راجعين اليه من اناب اذا رجع مرة بعد اخرى

بمعنى صار ذا ناب افعل من النوبة ﴿قوله من الناب﴾ وهو السن فكان القائل جعل همزة اناب للصيرورة بمعنى صار ذا ناب وجعله كناية عن التقوى بالانقطاع اليه تعالى ﴿قوله تعالى ولا تكونوا من المشركين﴾ قيل انه متصل بما قبله والمعنى فاقيموا الصلاة ولا تتركوها فشؤم تركها قد يفضى الى الكفر قال محمد بن اسلم الطوسى بلغنى عن النبى عليه الصلاة والسلام انه قال * من ترك صلاة متعمدا فقد كفر * وقد كان بلغنى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال * اذا روى لكم عنى حديث فاعرضوه على كتاب الله تعالى فان وافق كتاب الله تعالى فاقبلوه وان خالفه فردّوه * فطلبت صحة الحديث الاوّل فى القرآن ثلاثين سنة حتى وجدته فى هذه الآية كذا فى التيسير ﴿قوله ويجوز ان يجعل فرحون صفة كل﴾ والتقدير كل حزب فرحون بما لديهم كائنون من الذين فرّقوا دينهم وجعلوه اديانا مختلفة على حسب اختلاف اديانهم وانما رفع فرحون على انه صفة كل وان كان الشائع فى مثله ان يكون تابعا للمضاف اليه لان كلا كاسماء العدد فى ان الوصف الذى يجيئ بعدها ينبغى ان يكون للمضاف اليه فانك تقول جاءنى ثلاثة رجال كاملين ولا تقول كاملون ثم انه تعالى وبخ هذه الفرق المختلفة الاديان بقوله واذا مس الناس ضرّ اى شدّة كالمرض والقحط ونحوهما يعنى انهم يتفقون عند اصابة الضرّ فى دعاء رب العالمين راجعين اليه من دعاء غيره ﴿قوله اللام فيه للعاقبة﴾ اى لم يترتب على اشراكهم سوى الكفر بنعمة الانجاء من تلك الشدّة ثم انه تعالى اضرب عن تقريعهم على اشراكهم حال الرخاء وانابتهم اليه حال الشدّة الى تقريعهم بوجه آخر وهو اتخاذهم الدين من غير حجة تدل على صحته فقال ام انزلنا عليهم سلطانا فان ام فيه منقطعة والهمزة التى فى ضمنها للانكار اى انزلنا عليهم حجة تتكلم اى تدل وتشهد باشراكهم به اى بالله تعالى وصحته ويحتمل ان تكون ام متصلة ويقدّر عديلها قبلها والتقدير ايشركون بمجرّد التشهى واتباع الهوى ام انزلنا عليهم سلطانا فهم لذلك معذورون فى الشرك فى الرخاء مع اضلالهم فى الشدّة ﴿قوله او بالامر الذى﴾ على ان تكون ما فى قوله بما كانوا موصولة وان يكون المراد بالسلطان ملك معه برهان لان نفس الحجة لا تتكلم بالامر الذى بسببه يشركون فان المراد بالامر دليلهم الذى اشركوا بسببه ثم ذكر من جملة قبائحهم بطرهم عند النعمة ويأسهم عند الشدّة فقال واذا اذقنا الناس يعنى الكفرة رحمة فرحوا بها فرح البطر وتركوا الشكر وان تصبهم سيئة اى امر يسوءهم من قحط ومجاعة بما قدّمت ايديهم اى بسبب معاصيهم سواء كسبوها بايديهم ام لا وقيدها باليد اقامة للاكثر مقام الكل واتباعا للاقل بالاكثر لان اكثر المعاصى يقع باليدين لم يذكر الله تعالى ما يكون سببا لاذاقة الرحمة وذكر سبب اصابة السيئة اياهم لان الاوّل تفضل من الله تعالى ورحمة محض لا يقتضيه شئ من اعمال العبد بخلاف الثانى فانه مقتضى العدل فانه تعالى يجازى المعصية بما يماثلها من العقوبة * فان قيل الفرح بالنعمة مأمور به لقوله تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا فكيف ذمهم ههنا على الفرح بالرحمة * اجيب بان المأمور به الفرح برحمة الله تعالى من حيث انها مضافة اليه والمذموم ههنا هو الفرح بنفس الرحمة حتى لو كان المطر مثلا من عند غير الله تعالى لكان فرحهم به مثل فرحهم اذا كان من الله ولا شك ان قصر النظر على نفس النعمة مقتضى البهيمية بخلاف الفرح الناشئ من تذكر المنعم اياها وملاحظة ان المنعم نظر اليه بعين الرأفة ونظر الرضى وفرق بين الفرحين ثم انه تعالى انكر على فرحهم حال الرخاء وقنوطهم حال البلاء فقال اولم يروا ان الله يبسط اى كيف يفرحون ويقنطون حالى السرّاء والضرّاء اولا يعلمون ان ضرّ المرء ليس لهوانه على الله تعالى ولا سعته لكرامته عليه لكنه تعالى يمتحن عباده بما يشاء من العسر واليسر فعلى العبد ان يشكر حال السرّاء ويصبر على الضرّاء ويشتغل بالافتقار اليه فى الحالين لا ان ينقطع عنه ويتعلق بالنعمة ولا ان ييأس من رحمته حال النقمة ﴿قوله كصلة الرحم﴾ يعنى انه ليس المراد بحق ذى القربى حقا كان له عليك بل المراد به حاجته عندك من المواصلة بالبرّ كما فى قوله تعالى ما لنا فى بناتك من حق اى حاجة قال قتادة اذا كان لك ذو قرابة فلم تصله من مالك ولم تمش اليه برجلك فقد قطعته وقال الزجاج وكأن فرائض المواريث نسخت هذا واحتج ابو حنيفة رحمه الله بهذه فى وجوب النفقة للمحارم من ذوى القرابة اذا كانوا محتاجين عاجزين عن الكسب وعن الامام الشافعى رضى الله عنه لا نفقة بالقرابة الا على الولد والوالدين والمسكين اذا وقع فى ورطة الحاجة حتى بلغ الشدّة يجب على من له مقدرة دفع حاجته وان لم يكن ممن تجب عليه الزكاة وكذلك من انقطع فى مفازة ومع آخر دابة يمكنه ان يوصله بها الى من يلزمه ذلك واختلف فى ابن السبيل فقيل المراد به المنقطع عن ماله فيمان

وقيل منقطعين اليه من الناب وهو حال من الضمير فى الناصب المقدّر لفطرة الله او فى اقم لان الآية خطاب للرسول والامة لقوله (واتقوه واقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين) غير انها صدرت بخطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تعظيما له (من الذين فرّقوا دينهم) بدل من المشركين وتفريقهم اختلافهم فيما يعبدونه على اختلاف اهوآئهم وقرأ حمزة والكسائى فارقوا بمعنى تركوا دينهم الذى امروا به (وكانوا شيعا) فرقا تشايع كل امامها الذى اضل دينها (كل حزب بما لديهم فرحون) مسرورون ظنا بانه الحق ويجوز ان يجعل فرحون صفة كل على ان الخبر من الذين فرّقوا (واذا مس الناس ضرّ) شدّة (دعوا ربهم منيبين اليه) راجعين اليه من دعاء غيره (ثم اذا اذاقهم منه رحمة) خلاصا من تلك الشدّة (اذا فريق منهم بربهم يشركون) فاجأ فريق منهم الاشراك بربهم الذى عافاهم (ليكفروا بما آتيناهم) اللام فيه للعاقبة وقيل للامر بمعنى التهديد لقوله (فتمتعوا) غير انه التفت فيه مبالغة وقرئ وليتمتعوا (فسوف تعلمون) عاقبة تمتعكم وقرئ بالياء على ان تمتعوا ماض (ام انزلنا عليهم سلطانا) حجة وقيل ذا سلطان اى ملكا معه برهان (فهو يتكلم) تكلم دلالة كقوله هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق او نطق (بما كانوا به يشركون) باشراكهم وصحته او بالامر الذى بسببه يشركون به والوهيته (واذا اذقنا الناس رحمة) نعمة من صحة وسعة (فرحوا بها) بطروا بسببها (وان تصبهم سيئة) شدّة (بما قدّمت ايديهم) بشؤم معاصيهم (اذا هم يقنطون) فاجأوا القنوط من رحمته وقرأ ابو عمرو والكسائى بكسر النون (اولم يروا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) فما لهم لم يشكروا ولم يحتسبوا فى السرّاء والضرّاء كالمؤمنين (ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون) فيستدلون بها على كمال القدرة والحكمة (فآت ذا القربى حقه) كصلة الرحم

حتى يصل الى ماله وقيل المراد به الضيف الذي ينزل به فيحسن اليه الى ان يرجع ويرتحل وقيل اراد بحق المسكين وابن السبيل نصيبهما من الصدقة المسماة لهما في آية الصدقة ﴿قوله وجوب النفقة للمحارم﴾ اراد به المحارم بسبب القرابة فان مجرد المحرمية لاتوجب النفقة بالاجماع كالمحرمية بسبب الرضاع والمصاهرة كما لا يوجبها مجرد القرابة بدون المحرمية فان من كان ذا رحم ولم يكن محرما كاولاد العم والخال لاتجب النفقة لهم ﴿قوله وهو غير مشعر به﴾ لان الظاهر انه امر بتوفير حقهم من الصلة فان صلة الرحم من الواجبات المؤكدة وحمله على الامر بالانفاق مع ان الظاهر كونه امرا بتوفير حقهم من الصلة لاوجه له ولاسيما ان المراد بايتاء المساكين وابن السبيل التصدق عليهما بالانفاق مع ان تخصيص ذوى القربى بذى الرحم المحرم تخصيص بلا مخصص ﴿قوله ولذلك﴾ اى ولكون الخطاب لما ذكر رتب قوله فآت على ماقبله بالفاء فان الخطاب على تقدير كونه للنبي صلى الله عليه وسلم يدخل فيه امته اذا لم يكن الحكم المخاطب به من خصائصه عليه الصلاة والسلام ويكون تخصيصه عليه الصلاة والسلام بالخطاب تعظيما له فكأنه قيل اذا علمتم ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر لاينبغي لكم التوقف في الاحسان الى المحتاجين فانه تعالى اذا شاء ان يبسط لكم الرزق فظاهر انه لاينتقص بالانفاق وان شاء ان يضيق عليكم فلا يزداد بالامساك فلا يحصل لكم بالامساك الادناءة البخل ﴿قوله او عطية يتوقع بها مزيد مكافاة﴾ فان حمل الربا على هذه العطية لايخلو عن بعد لان نفس تلك العطية ليست بزيادة وانما الزيادة ما يتوقع بها فلا يكون معطيها مؤتيا للربا فضلا عن ان يكون اعطاؤه ليربو في اموال الغير بل يكون آخذا بخلاف من اعطى اكلة الربا فضلا خاليا عن العوض فانه معط للربا ليربو اى ليزيد في اموال من اخذه شيأ فحمل الربا المذكور في الآية على الزيادة المحرمة ظاهر الا انه لما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما وغيره ومن عامة اهل التأويل ان المراد بالربا هنا هدية الرجل يهديها ليثاب اكثر منها اقتفى المصنف اثرهم فسمى مهديها مؤتيا للربا ولعل اطلاق اسم الربا عليها لكونها سببا لاخذ الربا كما ورد في الحديث «المستغزر يثاب من هبته» وهو الذي يطلب اكثر مما يهدى فان الغزارة الكثرة قوله يثاب اى يعوض ويجازى فعلى هذا يكون قوله ليربو مسندا الى ضمير الربا بمعنى العطية والمعنى ليزيد ذلك الربا في جذب اموال الناس وجلبها وقوله فلا يربو عند الله اى ليس له اجر ثابت عند الله قال اهل التأويل هذا ربا حلال لاوزر فيه الا انه انما يباح في حق عامة الناس واما في حق النبي عليه الصلاة والسلام فلا يربو لقوله تعالى في حقه عليه الصلاة والسلام ولا تمنن تستكثر اى لاتعط لتعطى اكثر منه ابتغاء لثواب الدنيا ولكن اعط ابتغاء لثواب الآخرة وقرأ عامة القراء آتيتم بالمد بمعنى اعطيتم وقرأ ابن كثير اتيتم مقصورا وهو يؤول من حيث المعنى الى القراءة المشهورة لانه يقال آتى معروفا واتى قبيحا اذا فعلهما وقرأ نافع ويعقوب لتربوا بضم التاء الفوقانية وسكون الواو على الخطاب اى لتزيدوا او تصيروا ذوى زيادة من اموال الناس وقرأ الآخرون بفتح الياء التحتانية ونصب الواو وجعلوا الفعل مسندا الى ضمير الربا اى ليزداد ﴿قوله تريدون وجه الله﴾ صفة زكاة فلا بد فيه من ضمير يعود الى الموصوف اى تريدون بها او حال من فاعل آتيتم والمقصود من التقييد الاشارة الى ان الاعتبار بالقصد والنية لابنفس الفعل والظاهر ان يقال فانتم المضعفون ليوافق قوله وما آتيتم الا انه التفت الى الغيبة فقيل فاولئك هم المضعفون لكونه امدح لهم من ان يقال انتم المضعفون لما فيه من تشهير امرهم بين خواص خلقه واظهار الرضى عنهم بحسن صنيعهم فكأنه قال للملائكة وخواص خلقه فاولئك الذين يريدون وجه الله بصدقاتهم المضعفون ولو قيل فانتم المضعفون لما حصل التشهير المذكور لكونه كلاما جاريا بينهم وبين الله تعالى ﴿قوله ذووا الاضعاف﴾ فيكون بناء افعل لصيرورة الفاعل ذا ضعف كما في اعقر بمعنى صار ذا عقر واقوى وايسر بمعنى صار ذا قوة ويسار وعلى الثاني للتعدية كما في نحو اخرجته ﴿قوله وتغييره عن سنن المقابلة﴾ فان مقابلته بقوله وما آتيتم من ربا تستدعى ان يقال في خبره فيربو ويزداد عند الله وعدل عن عبارة الربا الى عبارة الضعف وعن نظم الفعلية الى نظم الاسمية المفيدة للحصر للمبالغة في بيان ثوابه ﴿قوله او للتعميم﴾ فانه لو قيل فانتم المضعفون لم يكن الحكم الا على ذوات المخاطبين ولو اورد بدل انتم اسم الاشارة لكان المشار اليه المخاطبين لامن حيث ذواتهم بل من حيث كونهم مؤتين للزكاة فيكون المعنى من فعل ذلك فاولئك هم المضعفون ﴿قوله ان جعلت ما موصولة﴾ فانه يجوز ان تكون شرطية وموصولة ويصح دخول الفاء في الجواب على الوجهين فان كانت شرطية كان محلها النصب بآتيتم وان كانت موصولة كانت في موضع رفع بالابتداء وعائدها محذوف

واحتج به الحنفية على وجوب النفقة للمحارم وهو غير مشعر به (والمسكين وابن السبيل) ماوظف لهما من الزكوة والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اولمن بسط له ولذلك رتب على ماقبله بالفاء (ذلك خير للذين يريدون وجه الله) ذاته اوجهته اى يقصدون اياه بمعروفهم خالصا اوجهة التقرب اليه لاجهة اخرى (واولئك هم المفلحون) حيث حصلوا بمابسط لهم النعيم المقيم (وما آتيتم من ربوا) زيادة محرمة في المعاملة او عطية يتوقع بها مزيد مكافاة وقرأ ابن كثير بالقصر بمعنى ماجئتم به من اعطاء ربوا (ليربو في اموال الناس) ليزيد ويزكو في اموالهم (فلا يربو عند الله) فلا يزكو عنده ولا يبارك فيه وقرأ نافع ويعقوب لتربوا اى لتزيدوا اولتصيروا ذوى ربوا (وما آتيتم من زكوة تريدون وجه الله) تبتغون به وجهه خالصا (فاولئك هم المضعفون) ذووا الاضعاف من الثواب ونظير المضعف المقوى والموسر لذى القوة واليسار اوالذين ضعفوا ثوابهم اواموالهم ببركة الزكوة وقرئ بفتح العين وتغييره عن سنن المقابلة عبارة ونظما للمبالغة والالتفات فيه للتعظيم كأنه خاطب به الملائكة وخواص الخلق تعريفا لحالهم اوللتعميم كأنه قال فمن فعل ذلك فاولئك هم المضعفون والراجع منه محذوف ان جعلت ما موصولة تقديره المضعفون به اوفمؤتوه اولئك هم المضعفون

اى و الذى آتيتموه و يكون قوله فاولئك هم المضعفون خبرا اى جملة خبرية وهذه الجملة لابدّ فيها من العائد الى المبتدأ فان كان الالتفات فيه للتعظيم يكون تقدير الكلام فاولئك هم المضعفون به و ان كان للتعميم يكون التقدير فمؤتوه اولئك هم المضعفون على ان مؤتوه مبتدأ ثان و اولئك ثالث و هم المضعفون خبر الثالث و الجملة خبر الثانى و الثانى مع خبره خبر الموصول * ثم انه تعالى ذكر دليل القدرة و فرع عليه صحة الحشر و استدل بذلك على تفرّده بالالوهية فقال الله الذى خلقكم الآية فقوله الله مبتدأ خبره الذى خلقكم مع ما عطف عليه و المعنى الله فاعل هذه الافعال الخاصة التى لا يقدر احد على شئ منها غيره و من المعلوم ان من قدر على الابدآء قدر على الحشر و الاعادة و من قدر على جميع ذلك يكون منزها عن الشركاء و الانداد كما دل عليه بقوله هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شئ و قوله من شركائكم خبر مقدم و من فيه للتبعيض و من يفعل هو المبتدأ و من ذلكم متعلق بمحذوف لانه حال من شئ بعده فانه فى الاصل صفة له فلما قدم عليه انتصب حالا و من الثالثة مزيدة فى المفعول به لانه فى حيز النفى المستفاد من الاستفهام و المعنى ليس من شركائكم من يفعل شيأ من ذلكم على ما دل عليه البرهان و العيان و وقع عليه الوفاق ﴿ قوله و يجوز ان يكون الموصول ﴾ اى و يجوز ان يكون قوله الذى خلقكم صفة للمبتدأ و يكون الخبر قوله هل من شركائكم و الرابط لهذه الجملة بالمبتدأ قوله من ذلكم لان معناه من افعالكم المختصة به لان المشار اليه بذلكم هو الخلق و الرزق و الاماتة و الاحياء و من المعلوم انها من افعال الله تعالى ﴿ قوله تفيدان شيوع الحكم فى جنس الشركاء و الافعال ﴾ و ذلك لان الاستفهام فيه فى معنى النفى و من المعلوم ان كلمة من الواقعة فى سياق النفى تفيد الشيوع و العموم فالاولى تفيد شيوع الحكم فى جنس الشركاء و الثانية تفيد شيوعه فى جنس الافعال فالمعنى ليس شئ من جنس الشركاء من يفعل شيأ من جنس الافعال المختصة به تعالى ﴿ قوله و الموتان ﴾ و هو بضم النون موت عام يقع فى المواشى و قيل فى الناس و الدواب * و الحرق و الغرق كل واحد منهما بفتحتين على وزن الشفق اسم بمعنى الاحراق و الاغراق * و الاخفاق الخيبة يقال اخفق الرجل اذا غزا و لم يغنم و أخفق الصائد اذا رجع و لم يصد شيأ و طلب حاجة فأخفق * و الغاصة جمع غائص و هو من ينزل فى البحر على اللؤلؤ و كثرة الغرق و اخفاق الغاصة مثالان لما ظهر فى البحر من الفساد على ان المراد بالبحر البحر المعهود قيل فساد البحر يكون بقلة المطر فانه اذا قل المطر قل الغوص لان الاصداف تفتح افواهها اذا مطر فما وقع فيها من ماء السماء فهو اللؤلؤ فظهر به ان قلة المطر كما تفسد البرّ تفسد البحر و قيل المراد به ههنا المدآئن و القرى التى كانت على شاطئ نهر او بحر و بالبرّ البرية التى ليست عند نهر او بحر قال السدّى البرّ كل قرية من قرى العرب بائنة من البحار كمكة و المدينة و البحر كالكوفة و الشام و البصرة و قيل كانت العرب تسمى الامصار بحرا قيل من اذنب ذنبا يكون جميع الخلائق من الانس و الدواب و الوحوش و الطيور و الذر خصماءه يوم القيامة لانه تعالى يمنع المطر بشؤم المعصية فيتضرّر بذلك اهل البحر و البرّ جميعا روى عن شقيق الزاهد انه قال من اكل الحرام فقد خان جميع الناس قيل اوّل فساد البرّ كان من قابيل حيث قتل اخاه هابيل و اوّل فساد البحر كان من جلندى الملك حيث كان يأخذ كل سفينة غصبا قال الضحاك كانت الارض خضرة مونقة لا يأتى ابن آدم شجرة الا وجد عليها ثمرة و كان ماء البحر عذبا و كان لا يفسد الاسد البقر و الغنم فلما قتل قابيل هابيل اقشعرّ ما فى الارض و شاكت الاشجار و صار ماء البحر ملحا زعاقا و قصد الحيوان بعضه بعضا ﴿ قوله او الضلالة و الظلم ﴾ عطف على قوله كالجدب و الموتان اى و يجوز ان يراد بالفساد الظاهر فى البرّ و البحر فساد الافعال و الاخلاق كالظلم و الضلالة كما جاز ان يراد به فساد اسباب المعاش كالجدب و نحوه مما فعله الله بهم بشؤم معاصيهم فكلمة ما فى قوله بما كسبت ايدى الناس على الثانى موصولة و الباء سببية اشار المصنف اليه بقوله بشؤم معاصيهم و على الاوّل مصدرية اشار اليه بقوله بكسبهم اياه و اللام فى قوله تعالى ليذيقهم على الثانى للتعليل و المعنى فعل الله بهم ما ظهر من فساد اسباب المعاش كالجدب و نحوه ليذيقهم بهذا الفساد و محق البركات بعض جزآء ما عملوا و على الاوّل للعاقبة فان ما ظهر من الفساد فى افعالهم و اخلاقهم ليس غرضهم من كسبه ان يذيقهم الله تعالى وبال ما كسبوا لكن لما ترتب ذلك على كسبهم اياه ترتب العلة الغائية على معلولها دخل عليه لام العلة كما فى قوله تعالى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوّا و حزنا ثم انه تعالى لما هدّد المفسدين ببيان ان المعصية سبب لتعجيل بعض العقوبة فى الدنيا عقبه بقوله قل سيروا فى الارض لتشاهدوا مصداق ذلك فان اهل مكة لو سافروا منها

﴿ الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شئ ﴾ اثبت له لوازم الالوهية و نفاها رأسا عما اتخذوه شركاء له من الاصنام و غيرها مؤكدا بالانكار على ما دل عليه البرهان و العيان و وقع عليه الوفاق ثم استنتج من ذلك تقدسه من ان يكون له شركاء فقال ﴿ سبحانه و تعالى عما يشركون ﴾ و يجوز ان يكون الموصول صفة و الخبر هل من شركائكم و الرابط من ذلكم لانه بمعنى من افعاله و من الاولى و الثانية تفيد ان شيوع الحكم فى جنس الشركاء و الافعال و الثالثة مزيدة لتعميم النفى و كل منها مستقلة بالتأكيد لتعجيز الشركاء ﴿ ظهر الفساد فى البرّ و البحر ﴾ كالجدب و الموتان و كثرة الحرق و الغرق و اخفاق الغاصة و محق البركات و كثرة المضارّ او الضلالة و الظلم و قيل المراد بالبحر قرى السواحل و قرى الجزر ﴿ بما كسبت ايدى الناس ﴾ بشؤم معاصيهم او بكسبهم اياه و قيل ظهر الفساد فى البرّ بقتل قابيل اخاه و فى البحر بان جلندى كان يأخذ كل سفينة غصبا ﴿ ليذيقهم بعض الذى عملوا ﴾ بعض جزآئه فان تمامه فى الآخرة و اللام للعلة او للعاقبة و عن ابن كثير و يعقوب لنذيقهم بالنون ﴿ لعلهم يرجعون ﴾ عما هم عليه

(قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل) ليشاهدوا مصداق ذلك وتحققوا صدقه (كان اكثرهم مشركين) استئناف للدلالة على ان سوء عاقبتهم كان لفشو الشرك وغلبته فيهم اوكان الشرك في اكثرهم ومادونه من المعاصي في قليل منهم (فاقم وجهك للدين القيم) البليغ الاستقامة (من قبل ان يأتي يوم لامرد له) لايقدر ان يرده احد وقوله (من الله) متعلق بيأتي ويجوز ان يتعلق بمرد لانه مصدر على معنى لايرده الله لتعلق ارادته القديمة بمجيئه (يومئذ يصدعون) يتصدعون اي يتفرقون فريق في الجنة وفريق في السعير كما قال (من كفر فعليه كفره) اي وباله وهو النار المؤبدة (ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون) يسوون منزلا في الجنة وتقديم الظرف في الموضعين للدلالة على الاختصاص (ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله) علة ليمهدون اوليصدعون والاقتصار على جزآء المؤمنين للاشعار بانه المقصود بالذات والاكتفاء على فحوى قوله (انه لايحب الكافرين) فان فيه اثبات البغض لهم والمحبة للمؤمنين وتأكيد اختصاص الصلاح بهم المفهوم من ترك ضميرهم الى التصريح بهم تعليل له وقوله من فضله دال على ان الاثابة تفضل محض وتأويله بالعطاء او الزيادة على الثواب عدول عن الظاهر (ومن آياته ان يرسل الرياح) الشمال والصبا والجنوب فانها رياح الرحمة واما الدبور فريح العذاب ومنه قوله عليه الصلاة والسلام اللهم اجعلها رياحا ولاتجعلها ريحا وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي الريح على ارادة الجنس (مبشرات) بالمطر (وليذيقكم من رحمته) يعني المنافع التابعة لها وقيل الخصب التابع لنزول المطر المسبب عنها اوالروح الذي هو مع هبوبها والعطف على علة محذوفة دل عليها مبشرات او عليها باعتبار المعنى اوعلى يرسل باضمار فعل معلل دل عليه (ولتجري الفلك بامره ولتبتغوا من فضله) يعني تجارة البحر (ولعلكم تشكرون) ولتشكروا نعمة الله فيها (ولقد ارسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات فانتقمنا من الذين اجرموا) بالتدمير (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) اشعارا بان الانتقام لهم واظهارا لكرامتهم حيث جعلهم مستحقين على الله ان ينصرهم وعنه عليه الصلاة والسلام مامن امرئ مسلم يرد عن عرض اخيه الا كان حقا على الله ان يرد عنه نار جهنم ثم تلا ذلك

الى الشام لشاهدوا بلاد عاد وثمود وقوم لوط ونحوها وعلموا انه تعالى اهلكهم بما كسبت ايديهم وخرب ديارهم واذاقهم بعض جزآء اعمالهم القبيحة في الدنيا وهو اعلم بما يفعل بهم في العقبى ﴿قوله استئناف للدلالة على ان سوء عاقبتهم كان لفشو الشرك وغلبته فيهم﴾ فمعنى الاستئناف على هذا انه تعالى اهلكهم جميعا بفشو الشرك فيما بينهم وانه تعالى اهلك العامة بسبب الشرك وحده وان لم يتفق الكل عليه الا انه لما شاع وغلب فيهم جعل الكل في حكم المشرك وهلكوا جميعا بسببه كما قال تعالى واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ﴿قوله اوكان الشرك في اكثرهم الى آخره﴾ فمعنى الاستئناف على هذا انهم اهلكوا جميعا بما كسبت ايديهم ولم يهلك احد من غير معصية الا ان سبب هلاك اكثرهم هو الشرك الظاهر وسبب هلاك الباقين مادون الشرك من المعاصي كاعتدآء اصحاب السبت ونحوهم ثم انه تعالى لما بين ان المعاصي سبب لسخط الله تعالى في الدنيا امر رسوله عليه الصلاة والسلام بان يستقيم على الدين القويم تثبيتا للمؤمنين على ماهم عليه الا انه تعالى خاطب به سيدهم تعظيما له ولكونه عليه الصلاة والسلام واسطة بينه تعالى وبين الامة ﴿قوله كما قال من كفر فعليه كفره﴾ يعني انه بيان لوجه التفرق ببيان انه تعالى غني عنهم وعن اعمالهم ﴿قوله والاقتصار﴾ جواب عما يقال اذا كان علة ليصدعون كان ينبغي ان يذكر جزآء الكافرين ايضا ﴿قوله فان فيه اثبات البغض لهم والمحبة للمؤمنين﴾ فان عدم محبة الكافر كما يتضمن محبة ضده وارادة اللطف والاكرام به يتضمن ايضا بغض الكافر وارادة الانتقام منه ولاشك ان بغضه تعالى لاحد وارادته الانتقام منه كمال العقوبة ومؤد الى اسوأ الجزآء والعياذ بالله فاكتفى بهذه الدلالة الضمنية عن التصريح بجزآء الكافرين ﴿قوله وتأكيد اختصاص الصلاح بهم﴾ اصل الاختصاص يفهم من تقييد من بقوله عمل صالحا وتأكيده يفهم من وضع الظاهر موضع الضمير في قوله ليجزي الذين آمنوا فان مقتضى الظاهر ان يقال ليجزيهم فلما وضع الموصول موضع الضمير وجعل الصلاح صلة له اكد به اختصاص الصلاح بهم وتمييزهم به عن اضدادهم فقصد بهذا التأكيد تعليل اثبات البغض للكافرين واثبات المحبة للمؤمنين وكونه علة لمجازاة المؤمنين من فضله ظاهر واما كونه علة لبغض الكافرين فلكون اختصاص الصلاح بالمؤمنين يتضمن فساد الكافرين وهو علة لبغضهم والانتقام منهم ﴿قوله وتأويله بالعطاء او الزيادة على الثواب عدول عن الظاهر﴾ طعن لصاحب الكشاف ووجه الطعن ان الفضل اسم لما يتفضل به من غير استحقاق واستيجاب والاثابة كذلك عند اهل السنة فانه تعالى لايجب عليه شئ وان المكلف لايستحق ان يثاب بعمله مع انه سبق من نعم الله تعالى عليه مالم يتهيأ له القيام بشكر واحدة منها فضلا عن ان يقوم بشكر كلها ويستحق بعد ذلك اجرا زآئدا عليها بخلاف العقوبات فانها انما تصل الى العبد بحسب استحقاقه لها عدلا والمعتزلة ذهبوا الى وجوب اثابة المطيع على حسب الاستحقاق ولم يتأت لهم القول بان اصل الاثابة تفضل فلذلك فسره صاحب الكشاف بما يتفضل به عليهم بعد توفية الواجب من الثواب او اراد من عطائه ﴿قوله الشمال والصبا﴾ الرياح اربع الجنوب والشمال والصبا والدبور فريح الشمال تجيئ من ناحية القطب والجنوب تقابلها والصبا تخرج من جانب المشرق والدبور تقابلها والنكباء مابين الريحين ﴿قوله يعني المنافع التابعة لها﴾ اي لبشارتها بالمطر اولنفس الرياح فتكون من قبيل التعميم بعد التخصيص ثم التخصيص بعد التعميم والاول اظهر واولى ﴿قوله والعطف على علة محذوفة﴾ اي يرسل الرياح مبشرات ليبشركم بها وليذيقكم اوعلى مبشرات باعتبار المعنى فان تقييد الفعل بالحال يدل على كونها علة له كانه قيل ليبشركم وليذيقكم وعلى التقديرين يكون حرف الجر متعلقا بقوله ان يرسل فان جعل من قبيل عطف الجملة على الجملة وكان تقدير الكلام ويرسلها ليذيقكم ولكذا وكذا كان الجار متعلقا بالفعل المضمر المعلل لتجري ووجه دلالة قوله ولتجري الفلك على اضمار الفعل ان جريان الفلك وابتغاء الفضل ليسا مرتبين على ارسال الرياح حال كونها مبشرات بل على ارسالها مطلقا فلما لم يتعلق بالفعل المقيد قدر فعل آخر يتعلق به ليذيقكم وقوله تعالى بامره اشارة الى ان الفلك لاتجري بطبع الريح بناء على انها قد تكون عاصفة وقد لاتكون ملائمة للقصد فحينئذ لابد من ارسال السفن والاحسان بحبسها وعلى التقديرين لاتجري الفلك بنفسها ولا بالرياح بل انما تجري بارادة الله تعالى وجعله الريح موافقة للقصد ثم انه تعالى لما بالغ في تعديد دلائل الوحدانية والقدرة التامة على البعث والجزآء ثم اصر من اصر على الشرك والتكذيب سلى رسوله عليه الصلاة والسلام على وجه يتضمن التهديد والوعيد للمكذبين فقال ولقد

ارسلنا من قبلك رسلا الى قومهم والفاء فى قوله فانتقمنا من الذين اجرموا فصيحة تفصح ان فى الكلام مطويا وتقدير الكلام فجاؤهم بالبينات اى بالدلائل الواضحة على صدقهم فى دعوى الرسالة فصدقت طائفة منهم رسولها وآمنت به وكذبه الآخرون واجرموا فانتقمنا من الذين اجرموا بان اهلكناهم وانجينا من آمن منهم بالرسل ولاشك ان اهلاك اعدآئهم وانجاءهم من شر اعدآئهم ومما اصابهم من العذاب نصر عزيز لهم فلذلك قال تعالى وكان حقا علينا نصر المؤمنين حيث انجاهم مع الرسل واهلك المكذبين وقيل فى تفسيره وكان حقا علينا نصر المؤمنين حيث جعل العاقبة للمؤمنين كقوله والعاقبة للمتقين وقيل معناه وكان حقا علينا نصر المؤمنين بالحجج التى اعطاهم اياها اى كان حقا علينا اعطاء الحجج لهم ونصرهم ومعونتهم بالحجج واورد الحديث لتأكيد ان اسم كان هو نصر المؤمنين وان المعنى دمرنا المجرمين نصرة للمؤمنين واظهارا لكرامتهم وعلى تقدير ان يوقف على حقا يكون اسم كان ضمير الانتقام وهو خلاف مايدل عليه الحديث لانه عليه الصلاة والسلام ذكر انه كان حقا على الله تعالى ان يرد عنه نار جهنم واستدل عليه بقوله تعالى وكان حقا علينا نصر المؤمنين **قوله فى سمتها** اى فى جهة السماء وجوها لا فى نفسها كقوله وفرعها فى السماء **قوله مطبقا** من قولهم طبق الغيم تطبيقا اذا اصاب مطره جميع الارض ومطر طبق اى عام والكسفة القطعة من الشئ وتجمع على كسف بفتح السين مثل حكمة وحكم والكسف بالسكون يجوز ان يكون مخففا منه ويجوز ان يكون صيغة اخرى لجمع كسفة قال الجوهرى يقال الكسف والكسفة واحد وقال الاخفش من قرأ كسفا من السماء جعله واحدا ومن قرأ كسفا جعله جمعا والكسف بالفتح مصدر كسفت البعير اذا قطعت عرقوبه وكذلك كسفت الثوب اذا قطعته ولم يذكر كون الكسف بالكسر مصدرا **قوله تكرير للتأكيد والدلالة على تطاول عهدهم بالمطر** لاخفاء فى دلالة التكرير على التأكيد ووجه دلالته على بعدعهدهم بالمطر انه لما صرفت العناية الى بيان قبلية الابلاس وتقدمه على نزول المطر بتكرير مايدل على القبلية دل ذلك على طول عهدهم بالمطر واستحكام شدتهم وحيرتهم من فقدان المطر فيكون استبشارهم بنزول المطر على قدر اغتمامهم بفقده انه حكى ان آدم عليه السلام ناجى ربه يوما فقال الهى اشهد انك عدل تحب العدل لاتظلم فى حكم تحكم به على خلقك اصلا ولاتجور فيما تقضى فالحكمة فيما قضيت على من الهوان بعد ان اكرمتنى بكرامة لم تكرمها احدا قبلى فاوحى الله تعالى اليه من لم يذق الم البعد لم يجد طعم القرب ومن لم يجد طعم القرب استخف به ومن استخف بقربى ووصلى فقد استوجب الحرمان **قوله وقيل الضمير للمطر** عطف على قوله تكرير للتأكيد فان الضمير حينئذ يكون للتنزيل ومن لم يجعله تكريرا جعل القول الثانى مضافا الى ضمير المطر وقد كان الاول مضافا الى تنزيله فلاتكرير لان تنزيل المطر قبل نزوله والمعنى كانوا مبلسين قبل تنزيل المطر الواقع قبل نزوله وقيل الضمير للسحاب لانه اسم جنس يجوز تذكيره وتأنيثه او لارسال الريح اى كانوا مبلسين من قبل ان ينزل عليهم المطر من قبل ارسال الريح او من قبل نشر السحاب لان بعد الارسال وبعد السحاب يعرف الخبير ان الريح فيها مطر وان لم ينزل بعد فقبل تنزيل المطر انما يكون الخلق مبلسين قبل ارسال الريح وبسط السحاب ثم انه تعالى لما ذكر ان الودق يصيب بلاد المبلسين واراضيهم فيستبشرون به ويفرحون فرحا يظهر اثره فى بشرات وجوههم طمعا فى الخصب قال فانظر الى اثر رحمة الله اى فانظر يامن انكر البعث وشاهد حياة الارض لسبب نزول الغيث من خلال السحاب الى اثر الغيث النازل والى انه تعالى كيف يحيى الارض بانواع النبات بعد موتها اى بعد يبسها وجفافها فالمراد برحمة الله ههنا المطر سمى المطر رحمة تسمية للمسبب باسم سببه لانه انما يتكون ويصل الى الخلق بسبب رحمة الله تعالى اياهم والمراد باثر تلك الرحمة مايترتب على نزول المطر من النبات والاشجار وانواع الثمار وقرأ العامة كيف يحيى بياء الغيبة على اسناد الفعل الى الله تعالى او الى اثر الرحمة عند من قرأ اثر بالافراد ومن قرأ بلفظ الجمع جعل يحيى مسندا اليه تعالى وقرئ تحيى بتاء التأنيث على اسناده الى ضمير الرحمة **قوله ومن المحتمل** عطف على قوله كما ان احياء الارض احداث لمثل ما كان فيها من القوى يعنى انه قول حقيق بالاخذ والقبول فان احياء الارض عبارة عن اعادة مثل ما كان فيها من القوى الا انه لاينافى ذلك ان يكون من الكائنات الراهنة اى الثابتة المتجددة مايكون من مواد الاشياء المتفتتة فى بعض الاعوام السالفة التى من جنس الكائنات الراهنة بان يحدث الله تعالى فى تلك المواد مثل ما كان فيها من القوى والصور الزآئلة منها ثم انه تعالى لما بين انهم عند تأخير الخير يكونون مبلسين وعند ظهوره

وقد يوقف على حقا على انه متعلق بالانتقام (الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه) متصلا تارة (فى السماء) فى سمتها (كيف يشاء) سائرا وواقفا مطبقا وغير مطبق من جانب دون جانب الى غير ذلك (ويجعله كسفا) قطعا تارة اخرى وقرأ ابن عامر بالسكون على انه مخفف او جمع كسفة او مصدر وصف به (فترى الودق) المطر (يخرج من خلاله) فى التارتين (فاذا اصاب به من يشاء من عباده) يعنى بلادهم واراضيهم (اذاهم يستبشرون) بمجيئ الخصب (وان كانوا من قبل ان ينزل عليهم) المطر (من قبله) تكرير للتأكيد والدلالة على تطاول عهدهم بالمطر واستحكام يأسهم وقيل الضمير للمطر او السحاب او الارسال (لمبلسين) لآيسين (فانظر الى أثر رحمة الله) اثر الغيث من النبات والاشجار وانواع الثمار ولذلك جمعه ابن عامر وحمزة والكسائى وحفص (كيف يحيى الارض بعد موتها) وقرئ بالتاء على اسناده الى ضمير الرحمة (ان ذلك) يعنى الذى قدر على احياء الارض بعد موتها (لمحيى الموتى) لقادر على احيائهم فانه احداث لمثل ما كان فى مواد ابدانهم من القوى كما ان احياء الارض احداث لمثل ما كان فيها من القوى النباتية هذا ومن المحتمل ان يكون من الكائنات الراهنة مايكون من مواد ما تفتتت وتبددت من جنسها فى بعض الاعوام السالفة (وهو على كل شئ قدير) لان نسبة قدرته الى جميع الممكنات على سوآء (ولئن ارسلنا ريحا فرأوه مصفرا) فرأوا الاثر او الزرع فانه مدلول عليه بما تقدم وقيل السحاب لانه اذا كان مصفرا لم يمطر واللام موطئة للقسم دخلت على حرف الشرط وقوله (لظلوا من بعده يكفرون) جواب سد مسد الجزآء

ولذلك فسر بالاستقبال وهذه الآيات ناعية على الكفار بقلة تثبتهم وعدم تدبرهم وسرعة تزلزلهم لعدم تفكرهم وسوء رأيهم فان النظر السوى يقتضى ان يتوكلوا على الله ويلتجئوا اليه بالاستغفار اذا احتبس القطر عنهم ولم ييئسوا من رحمته وان يبادروا الى الشكر والاستدامة بالطاعة اذا اصابهم برحمته ولم يفرطوا فى الاستبشار وان يصبروا على بلائه اذا ضرب زروعهم بالاصفرار ولم يكفروا نعمه (فانك لاتسمع الموتى) وهم مثلهم لما سدّوا عن الحق مشاعرهم (ولاتسمع الصمّ الدعاء اذا ولوا مدبرين) قيد الحكم به ليكون اشدّ استحالة فان الاصم المقبل وان لم يسمع الكلام تفطن منه بواسطة الحركات شيأ (وما انت بهادى العمى عن ضلالتهم) سماهم عميا لفقدهم المقصود الحقيق من الابصار اولعمى قلوبهم (ان تسمع الا من يؤمن بآياتنا) فان ايمانهم يدعوهم الى تلقى اللفظ وتدبر المعنى ويجوز ان يراد بالمؤمن المشارف للايمان (فهم مسلمون) لما تأمرهم به (الله الذى خلقكم من ضعف) اى ابتدأكم ضعفاء وجعل الضعف اساس امركم كقوله خلق الانسان ضعيفا او خلقكم من اصل ضعيف وهو النطفة (ثم جعل من بعد ضعف قوّة) وذلك اذا بلغتم الحلم او تعلق بابدانكم الروح (ثم جعل من بعد قوّة ضعفا وشيبة) اذا اخذ منكم السن وفتح عاصم وحمزة الضاد فى جميعها والضم اقوى لقول ابن عمر رضى الله عنه قرأتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم من ضعف فأقرأنى من ضعف وهما لغتان كالفقر والفقر والتنكير مع التكرير لان المتأخر ليس عين المتقدّم (يخلق مايشاء) من ضعف وقوّة وشيبة وشبيبة (وهو العليم القدير) فان الترديد فى الاحوال المختلفة مع امكان غيره دليل العلم والقدرة (ويوم تقوم الساعة) القيامة سميت بها لانها تقوم فى آخر ساعة من ساعات الدنيا اولانها تقع بغتة وصارت علما لها بالغلبة كالكوكب للزهرة (يقسم المجرمون مالبثوا) فى الدنيا او فى القبور او فيما بين فناء الدنيا والبعث وانقطاع عذابهم وفى الحديث مابين فناء الدنيا والبعث اربعون وهو محتمل للساعات والايام والاعوام (غير ساعة) استقلوا مدّة لبثهم اضافة الى مدّة عذابهم فى الآخرة او نسيانا (كذلك) مثل ذلك الصرف عن الصدق والتحقيق (كانوا يؤفكون) يصرفون فى الدنيا (وقال الذين اوتوا العلم والايمان) من الملائكة اوالانس (لقدلبثتم فى كتاب الله) فى علمه او قضائه او ماكتبه لكم اى اوجبه او اللوح او القرآن

يكونون مستبشرين ذكر بعده انهم لو اصابت زرعهم ريح مفسدة لكفروا النعمة السابقة وجحدوها ولم يعطوا شيأ من الاموال حقه فقال ولئن ارسلنا ريحا الآية قال تعالى اوّلا الله الذى يرسل الرياح على طريق الاخبار وقال ههنا ولئن ارسلنا ريحا بطريق الفرض والتقدير لان الرياح النافعة من رحمته وهى متواترة وهو تعالى رؤف بالعباد ليس من شأنه الافراط فى التعذيب فلذلك ترى الرياح النافعة تهب فى الليالى والايام وفى البرارى والآكام وريح السموم لاتهب الافى بعض الازمنة وفى بعض الامكنة وعبر عن الريح النافعة بلفظ الجمع وعن الضارّة بلفظ الواحد ومنه قوله عليه الصلاة والسلام «اللهم اجعلها رياحا ولاتجعلها ريحا» وذلك لان النافعة كثيرة الانواع والافراد والضارّة لاتهب الانادرا ﴿قوله ولذلك﴾ اى ولكونه سادّا مسدّ الجزاء فسر بالاستقبال لان كل واحد من الشرط والجزاء لابدّ ان يكون مستقبلا وان كان على لفظ الماضى ﴿قوله ناعية على الكفار﴾ اى شاهدة عليهم مفضحة اياهم بما ذكر من الفضائح يقال نعى عليه هفواته اذا شهره بها ثم انه تعالى لما اعاد من دلائل الآفاق قوله وهو الذى يرسل الرياح الآية اعاد دليلا من دلائل الانفس ايضا وهو خلق الآدمى فقال الله الذى خلقكم من ضعف ﴿قوله اى ابتدأكم ضعفاء﴾ اى خلقكم اوّل ماخلقتم فى حال كونكم اجنة واطفالا ضعفاء لاتقوون على شئ ولايقوى شئ منكم على شئ فصار كأن الضعف مبدأ تكونكم ومادّة خلقتكم فكلمة من لابتداء الغاية جعل حالة الضعف اساس امرهم ومبدأ جبلتهم والضعف على حقيقته وكون الانسان مخلوقا منه مجاز فانه لما كان فى بدء امره ضعيفا جعل كأنه خلق من الضعف وعلى التقدير ان يكون المعنى خلقكم من اصل ذى ضعف وهو النطفة يكون الضعف مجازا وكون الانسان مخلوقا منه حقيقة فعلى تقدير كون قوله خلقكم من ضعف بمعنى ابتدأكم ضعفاء يكون قوله ثم جعل من بعد ضعف قوّة بمعنى ثم جعلكم من بعد الضعف اقوياء تقوون على اشياء كثيرة ثم جعلكم من بعد تلك القوّة والقدرة ضعفاء شيوخا لاتقدرون على شئ مماتقدرون عليه قبل وعلى تقدير كونه بمعنى خلقكم من اصل ذى ضعف يكون معنى مابعده ثم خلق من بعد الضعف الكائن فى ذلك الاصل قوّة بتعلق الروح به وصيرورته انسانا يقوى على مالايقوى عليه ذلك الاصل ثم جعله شيخا فانيا كما قال ومنكم من يردّ الى ارذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيأ ﴿قوله والتنكير﴾ اى تنكير ماذكر ثانيا وهو الذى دفع به تكرير الاوّل لاجل ان المتأخر ليس عين المتقدم فان النكرة اذا اعيدت معرفة تكون الثانية عين الاولى وههنا لما لم تكن الثانية عين الاولى اعيدت نكرة وهذا ظاهر على تقدير ان يكون الضعف الاوّل بمعنى الضعيف او بتقدير المضاف والثانى على اصل معناه وليس بظاهر على الاوّل الا ان يكون المراد بالضعف المخلوق منه ضعف المخاطبين كما يشعر به قوله ابتدأكم ضعفاء وتنظيره بقوله تعالى خلق الانسان ضعيفا وبالضعف الثانى جنس الضعف وحقيقته ﴿قوله فان الترديد فى الاحوال المختلفة الخ﴾ اشارة الى وجه مناسبة قوله وهو العليم القدير بتقديم العليم على القدير بعد تخصيصهما بالذكر ثم فى الآية دلالة على صحة البعث من حيث ان من قدر على ان يردّ الحى فى آخر حياته الى اوّل حاله فغير بعيد ان يردّه بعد موته الى ماكان عليه فى اوّل امره ﴿قوله لانها تقوم فى آخر ساعة من ساعات الدنيا﴾ يعنى ان ساعات الدنيا اجزاء من اجزاء الزمان وسمى ماوقع فى آخر ساعة من ساعات الدنيا ساعة بطريق تسمية الحال باسم المحل مجازا اولان الساعة بمعنى السرعة والبغتة كما يقول المستعجل افعله فى ساعة والقيامة لما كانت بحيث تقع بغتة وفجأة سميت ساعة ولما ذكر الله دلائل قدرته التامة واستدل بذلك على صحة البعث وقال ان ذلك لمحيي الموتى ذكر حال المشركين الذين ينكرون البعث كما اخبر الله تعالى بقوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لايبعث الله من يموت فقال ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون اى يحلفون ﴿قوله وهو محتمل للساعات﴾ روى عن ابى هريرة رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «مابين النفختين اربعون» فقيل اربعون يوما قال ابوهريرة رضى الله عنه ابيت وقيل اربعون شهرا قال ابيت وقيل اربعون سنة قال ابيت قال صاحب الكشاف وهذا الوقت الذى ذكر فى الحديث وقت يفنون فيه وينقطع عذابهم ﴿قوله استقلوا مدة لبثهم الخ﴾ قيل انهم حلفوا بذلك كاذبين بدليل قوله تعالى كذلك كانوا يؤفكون قال الكلبى كذبوا فى قولهم غير ساعة كما كذبوا فى الدنيا بان قالوا لابعث ولاحساب ولاجزاء يقال افك فلان اذا صرف عن الصدق وعن الخير ايضا فيكون المعنى كما صرفوا عن الصدق فى حلفهم صرفوا عن الايمان فى الدنيا ﴿قوله فى علمه او قضائه﴾ الجوهرى الكتاب الفرض والحكم والقدر

وهو قوله ومن ورآئهم برزخ (الى يوم البعث) ردّوا بذلك ماقالوه وحلفوا عليه (فهذا يوم البعث) الذى انكرتموه (ولكنكم كنتم لاتعلمون) انه حق لتفريطهم فى النظر والفاء لجواب شرط محذوف تقديره ان كنتم منكرين البعث فهذا يومه اى فقدتبين بطلان انكاركم (فيومئذ لاتنفع الذين ظلموا معذرتهم) وقرأ الكوفيون بالياء لان المعذرة بمعنى العذر اولان تأنيثها غير حقيق وقد فصل بينهما

(ولاهم يستعتبون) لايدعون الى مايقتضى اعتابهم اى ازالة عتبهم من التوبة والطاعة كما دعوا اليه فى الدنيا من قولهم استعتبنى فلان فاعتبته اى استرضانى فارضيته (ولقد ضربنا للناس فى هذا القرءآن من كل مثل) ولقد وصفناهم فيه بانواع الصفات التى هى فى الغرابة كالامثال مثل صفة المبعوثين يوم القيامة ومايقولون ومايقال لهم ومالا يكون لهم من الانتفاع بالمعذرة والاستعتاب او بينالهم من كل مثل ينبئهم عن التوحيد والبعث وصدق الرسول (ولئن جئتهم بآية) من آيات القرءآن (ليقولن الذين كفروا) من فرط عنادهم وقساوة قلوبهم (ان انتم) يعنون الرسول والمؤمنين (الا مبطلون) مزوّرون (كذلك) مثل ذلك الطبع (يطبع الله على قلوب الذين لايعلمون) لا يطلبون العلم ويصرّون على خرافات اعتقدوها فان الجهل المركب يمنع ادراك الحق ويوجب تكذيب المحق (فاصبر) يامحمد على اذاهم (ان وعدالله) بنصرتك واظهار دينك على الدين كله (حق) لابدّ من انجازه (ولا يستخفنك) ولا يحملنك على الخفة والقلق (الذين لا يوقنون) بتكذيبهم وايذآئهم فانهم شاكون ضالون لايستبدع منهم ذلك وعن يعقوب تخفيف النون وقرئ ولايستحقنك اى لا يزيغوك فيكونوا احق بك من المؤمنين *عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الروم كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل ملك سبح الله بين السماء والارض وادرك ماضيع فى يومه وليلته

سورة لقمان مكية وقيل الا آية
وهى الذين يقيمون الصلاة
ويؤتون الزكاة فان وجوبهما
بالمدينة وهى ضعيف لانه لاينافى
شرعيتهما بمكة وقيل الا ثلاثا من
قوله ولو ان مافى الارض من
شجرة اقلام وهى اربع وثلاثون
آية وقيل ثلاث وثلاثون آية

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الم تلك آيات الكتاب الحكيم) سبق بيانه فى يونس (هدى ورحمة للمحسنين) حالان من الآيات والعامل فيهما معنى الاشارة ورفعهما حمزة على الخبر بعد الخبر او الخبر لمحذوف (الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون) بيان لاحسانهم او تخصيص لهذه الثلاثة من شعبه لفضل اعتداد بها وتكرير الضمير للتوكيد ولما حيل بينه وبين خبره (اولئك على هدى

(لان)

وقيل الكتاب عندهم العالم قال تعالى ام عندهم الغيب فهم يكتبون والكتب الجمع وجواب اولى العلم والايمان للكفار بقولهم لقدلبثتم فى كتاب الله الى يوم البعث يدل على ان مراد الكفرة مالبثوا فى القبور غير ساعة لان لبثهم فى الدنيا لم يكن منتهيا الى يوم البعث واللبث لايوصف به الفانى وهم فيما بين النفختين قدتفانوا ردّ المؤمنون بالبعث العالمون به ماقاله المشركون وحلفوا عليه بان قالوا لهم لقدلبثتم مدّة طويلة الى ان حضر يوم البعث وانقضت ايام الدنيا والمدّة التى بين النفختين ثم وصلوا ذلك الردّ بتقريعهم على انكار البعث فقالوا فهذا يوم البعث وهو جواب شرط محذوف يدل عليه الكلام كأنه قيل ان كنتم منكرين البعث فهذا يوم البعث اى فقد تبين بطلان قولكم ومثل هذه الفاء مافى قول الشاعر

* قالوا خراسان اقصى مايراد بنا * من البلاد فقد جئنا خراسانا *

والمعنى ان صح ماقلتم من ان خراسان اقصى المراد بنا فقد جئناها فان المخاطبين وعدوا الشاعر واتباعه انهم مكلفون بالسير للغزو الى خراسان ولايكلفون ابعد من ذلك فاذا بلغتم خراسان فليس عليكم مجاوزته للغزو بل ان اردتم القفول فلا نمنعكم فلكم ذلك فيقول الشاعر ان صح قولكم ذلك فنخبركم انا قدبلغنا خراسان ونطلب منكم ان لاتكلفونا مجاوزة ذلك **قوله** لايدعون الى مايقتضى اعتابهم اى لايقال لهم ارضوا ربكم بتوبة يقال عتب عليه يعتب ويعتب عتبا اى وجد عليه وغضب ويقال عتبته اذا ازلت عتبه وغضبه واستعتبنى فلان فاعتبته اى استرضانى فارضيته **قوله** مثل صفة المبعوثين كما قال ثم كان عاقبة الذين اساؤا السوأى وقال ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء وكانوا بشركائهم كافرين وقال من كفر فعليه كفره ويقولون حالفين مالبثوا غير ساعة ويقال لهم لقد لبثتم فى كتاب الله الى يوم البعث فيومئذ لاينفع الذين ظلموا معذرتهم ولاهم يستعتبون فهذه هى الصفات العجيبة الثابتة لهم يوم القيامة ويحتمل ان يكون المراد بقوله تعالى من كل مثل الدلائل العجيبة الدالة على التوحيد والبعث وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم تم هنا مايتعلق بسورة الروم وهذا اوان الشروع فيما يتعلق بسورة لقمان وهى مكية

سورة لقمان عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله سبق بيانه فى يونس اى قد سبق بيان اوّل هذه السورة فى سورة يونس هكذا الر تلك آيات الكتاب الحكيم قال المصنف فى تفسيرها تلك اشارة الى ماتضمنته السورة او القرءآن من الآى والمراد من الكتاب احدهما ووصفه بالحكيم لاشتماله على الحكم او لانه كلام حكيم او محكم آياته لم ينسخ شئ منها انتهى كلامه هناك فالظاهر على هذا ان يكون الم اسما لهذه السورة او القرءآن ويكون مبتدأ بتقدير المضاف اى آيات الم ويكون تلك مبتدأ ثانيا اشير به الى المضاف المقدّر وآيات الكتاب خبر للمبتدأ الثانى والجملة خبر الاوّل والتقدير آيات الم آيات الكتاب الحكيم واحتيج الى تقدير المضاف ليصح الاخبار بقوله تلك آيات الكتاب الحكيم **قوله** الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون صفة كاشفة للمحسنين كما ان الموصول مع صلته صفة كاشفة اللامعىّ فى قوله

* الالمعىّ الذى يظن بك الظن كأن قد رأى وقد سمعا *

فتكون اللام فى المحسنين لتعريف الجنس اى للذين يعملون الحسنات ليكون مابعده موضحا له وعلى قوله اوتخصيص لهذه الثلاثة من شعب الاحسان يكون تعريف المحسنين للاستغراق والمعنى هدى للذين يعملون جميع مايحسن اعتقادا وعملا ثم خص منهم القائمين بهذه الثلاث من بين شعب لفضل اعتداد بها ويرى من هذا التعبير ان يكون الموصول مع صلته صفة مخصصة مميزة للموصوف وليس كذلك لان الصفة المخصصة ماتدل على بعض الاحوال الخارجة عن مفهوم الموصوف كما فى قولك زيد التاجر حضر والصفة ههنا ليست بخارجة عن مفهوم المحسنين بالمعنى المذكور فينبغى ان تكون صفة مادحة وهى ماتدل على اشرف المعانى الفاضلة الداخلة فى مفهوم الموصوف كالصفات الجارية على اسم الله تعالى اختار ان يكون هم الاولى مبتدأ ويوقنون خبره وبالآخرة متعلقا به وهم الثانية تكريرا للاولى لفائدتين الاولى التأكيد اللفظى والثانية جبر النقصان الحاصل بتخلل الفاصل بين المبتدأ وخبره ثم انه تعالى لما بين ان القرءآن كتاب حكيم يشتمل على آيات حكيمة بين حال من يكفر به ويتركه يشتغل باللهو من الحديث واللهو كل باطل ألهى عن الخير فيكون اعم من الحديث

(ومن الناس من يشتري لهو الحديث) مايلهى عمايعنى كالاحاديث التى لااصل لها والاساطير التى لااعتبار فيها والمضاحك وفضول الكلام والاضافة بمعنى من وهى تبيينية ان اراد بالحديث المنكر وتبعيضية ان اراد به الاعم منه وقيل نزلت فى النضر بن الحارث اشترى كتب الاعاجم وكان يحدث بها قريشا ويقول ان كان محمد يحدثكم بحديث عاد وثمود فانا احدثكم بحديث رستم واسفنديار والاكاسرة وقيل كان يشترى القيان ويحملهن على معاشرة من اراد الاسلام ومنعه عنه (ليضل عن سبيل الله) دينه او قرآءة كتابه وقرأ ابن كثير وابو عمرو بفتح الياء بمعنى ليثبت على ضلاله ويزيد فيه (بغير علم) بحال مايشتريه او بالتجارة حيث استبدل اللهو بقرآءة القرآن (ويتخذها هزوًا) ويتخذ السبيل سخرية وقد نصبه حمزة والكسائى ويعقوب وحفص عطفا على ليضل (اولئك لهم عذاب مهين) لاهانتهم الحق باستئثار الباطل عليه (واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا) متكبرا لايعبأ بها (كأن لم يسمعها) مشابها حاله بحال من لم يسمعها (كأن فى اذنيه وقرا) مشابها من فى اذنيه ثقل لايقدر ان يسمع والاولى حال من المستكن فى ولى او مستكبرا والثانية بدل منها او حال من المستكن فى لم يسمعها ويجوز ان يكونا استئنافين وقرأ نافع فى اذنيه (فبشره بعذاب اليم) اعلمه بان العذاب يحيقه لامحالة وذكر البشارة على التهكم (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم) اى لهم نعيم جنات فعكس للمبالغة (خالدين فيها) حال من الضمير فى لهم او من جنات والعامل ماتعلق به اللام (وعد الله حقا) مصدران مؤكدان الاول لنفسه والثانى لغيره لان قوله لهم جنات وعد وليس كل وعد حقا (وهو العزيز) الذى لايغلبه شئ فيمنعه من انجاز وعده ووعيده (الحكيم) الذى لايفعل الا ماتستدعيه حكمته (خلق السموات بغير عمد ترونها) استئناف وقد سبق فى الرعد (والقى فى الارض رواسى) جبالا شوامخ (ان تميد بكم) كراهة ان تميل بكم فان بساطة اجزآئها تقتضى تبدل احيازها واوضاعها لامتناع اختصاص كل منها لذاته او لشئ من لوازمه بحيز ووضع معينين (وبث فيها من كل دابة وانزلنا من السماء ماء فانبتنا فيها من كل زوج كريم) من كل صنف كثير المنفعة وكأنه استدل بذلك على عزته التى هى كمال القدرة وحكمته التى هى كمال العلم ومهد به قاعدة التوحيد وقررها بقوله (هذا خلق الله فأرونى ماذا خلق الذى من دونه) هذا الذى ذكر مخلوقه فماذا خلق آلهتكم حتى استحقوا مشاركته وماذا نصب بخلق او ما مرتفع بالابتدآء وخبره ذا بصلته وأرونى معلق عنه (بل الظالمون فى ضلال مبين) اضراب عن تبكيتهم الى التسجيل عليهم بالضلال الذى لايخفى على ناظر ووضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على انهم ظالمون باشراكهم (ولقد آتينا لقمان الحكمة) يعنى لقمان بن باعورا من اولاد آزر بن اخت ايوب او خالته وعاش حتى ادرك داود واخذ منه العلم وكان يفتى قبل مبعثه والجمهور على انه كان حكيما ولم يكن نبيا والحكمة فى عرف العلماء استكمال

لان الباطل الذى يلهى عن الخير قد يكون حديثا وقد يكون غير حديث فاضافته الى الحديث من اضافة العام الى الخاص للبيان فقوله من يشترى لهو الحديث معناه من يشترى اللهو الذى هو الحديث فلما كانت الاضافة لبيان ان المراد باللهو الحديث وجب ان يقيد الحديث بالمنكر لان غير المنكر منه لايكون لهوا وان كانت الاضافة بمعنى من التبعيضية لايحتاج الى تقييد الحديث بالمنكر منه لان اللهو القولى الباطل بعض من مطلق الحديث فيصح ان تجعل من تبعيضية مع بقاء الحديث على اطلاقه بخلاف جعلها بيانية فانه مستلزم ان يراد بالحديث المنكر لان مدخول من البيانية يجب ان يكون اخص من المبين فلابد ان يصدق المبين على كل فرد من مدخولها ولايكون الا بان يكون الحديث منكرا والحاصل انه لما كان كل واحد من اللهو والحديث اعم من الآخر من وجه جاز ان يكون اضافة اللهو الى الحديث بمعنى من التبعيضية او البيانية فباعتبار عموم اللهو تكون من للبيان وباعتبار عموم الحديث تكون للتبعيض والاكاسرة جمع كسرى على خلاف القياس وكسرى لقب ملوك الفرس والقيان جمع قينة وهى الامة مغنية كانت او غير مغنية من قرأ ليضل عن سبيل الله بضم حرف المضارعة جعل المعنى ليضل غيره ولاشك ان من اضل غيره فقد ضل هو بنفسه ومن قرأ بفتح الياء جعل معناه ليثبت على ضلاله الذى كان عليه ولايصد عنه ويزيد فيه فان المخذول كان شديد الشكيمة فى عداوة الدين وصد الناس عنه **قوله تعالى بغير علم** حال من فاعل يشترى ومن قرأ ويتخذها بنصب الذال عطفا على ليضل جعله علة كالذى قبله ومن قرأ مرفوعا بالعطف على يشترى جعله صلة ولما كانت كلمة من مفرد اللفظ مجموع المعنى حمل قوله اولئك لهم على معناه فجمع وقوله واذا تتلى عليه على لفظه فافرد واصل كأن المخففة كأنه والضمير ضمير الشان **قوله لهم جنات وعد** وقوله وعد الله اكد مضمون هذه الجملة التى لايحتمل لها من جميع المصادر الا كونه وعدا فكان تأكيدا لنفسه كما فى قولك له على الف درهم اعترافا وقوله حقا اكد مضمون تلك الجملة ايضا الا ان مضمونها له محتمل غير الحقيقة لان كل وعد من حيث هو وعد ليس بحق فكان تأكيدا لغيره ثم انه تعالى لما وصف نفسه بانه هو العزيز الحكيم بين ذلك بقوله خلق السموات بغير عمد ترونها فالعمد جمع عماد وهو الاسطوانة سميت عمادا لكون مافوقها يعتمد عليها **قوله بغير عمد** حال من السموات وقوله ترونها صفة العمد والضمير الذى فيه راجع الى العمد اى بغير عمد مرئية وان كان هناك عمد غير مرئية هى قدرة الله تعالى وارادته ويحتمل ان يكون ترونها جملة مستأنفة لامحل لها من الاعراب جيئ بها لبيان ان السموات خلقت بغير عمد فيكون الضمير المنصوب فيها راجعا الى السموات كانه لما قيل خلق السموات بغير عمد قيل وما الدليل عليه فاجيب ترونها غير معمودة كما تقول لصاحبك انا بلاسيف ولارمح ترانى **قوله شوامخ** اى شواهق مرتفعات والرواسى من الجبال الثوابت الرواسخ واحدتها راسية من رسا الشئ يرسو اى ثبت **قوله وماذا نصب بخلق** على ان يكون ماذا بمنزلة اسم واحد وهو اى شئ فيحكم على موضعه بحسب مايقتضيه العامل وهو ههنا محله النصب وعلى الثانى تكون ذا بمعنى الذى وما للاستفهام والتقدير ارونى ما الذى خلقوا فما مبتدأ والموصول مع صلته خبره والعائد محذوف اى ما الذى خلقه الذين من دونه **قوله ومن حكمته** قيل اول ماسمع من حكمته ان مولاه دخل الكنيف يوما فاطال فيه المكث فلما خرج قال له لاتطل المكث فى الخلاء فان طول المكث فيه يورث الباسور واتفق العلماء على انه كان حكيما ولم يكن نبيا الا عكرمة فانه قال انه كان نبيا وقد تفرد بهذا القول فعلى قوله يكون المراد بالحكمة ههنا النبوة روى عن النبى عليه الصلاة والسلام انه لم يكن نبيا ولكن كان عبدا كثير التفكر حسن اليقين أحب الله فاحبه **قوله لان اشكر** على ان تكون ان مصدرية موصولة بفعل الامر كقولك امرتك ان قم اى بالقيام فكذا ههنا آتيناه الحكمة لان اشكر اى الشكر والظاهر انها مفسرة لان ايتاء الحكمة لكونه فى معنى التعليم والتلقين يتضمن معنى القول والمعنى اشكر الله تعالى فيما اعطاك من الحكمة بالتوحيد والطاعة له وقد نبه الله تعالى على ان الحكمة الاصلية والعلم الحقيقى فى حق المخلوقين هو عبادة الله تعالى وشكر نعمه حيث فسر ايتاء الحكمة بالبعث على الشكر ثم قال ومن يشكر انعام الله تعالى عليه بالطاعة له فنفع شكره يرجع اليه ومن كفر نعم الله عليه بترك التوحيد والطاعة له فان الله غنى عن شكر خلقه وعبادتهم **قوله تعالى واذ قال لقمان** اى واذكر حين قال لقمان لابنه وهو يعظه الجملة حال من لقمان اى قال واعظا له **قوله يابنى** تصغير اشفاق وقرأ ابن كثير يابنى لاتشرك باسكان الياء وقنبل يابنى اقم الصلاة باسكان الياء وحفص فيهما وفى يابنى انهما ان تك بفتح الياء

النفس الانسانية باقتباس العلوم النظرية واكتساب الملكة التامة على الافعال الفاضلة على قدر طاقتها ومن حكمته انه صحب داود شهورا وكان يسرد الدرع فلم يسأله عنها فلما اتمها لبسها وقال نعم لبوس الحرب انت فقال الصمت حكم وقليل فاعله وان داود قال له يوما كيف اصبحت فقال اصبحت في يدي غيري فتفكر داود فيه فصعق صعقة وانه امره مولاه بان يذبح شاة ويأتي باطيب مضغتين منها فاتى باللسان والقلب ثم بعد ايام امره بان يأتي باخبث مضغتين منها فاتى بهما ايضا فسأله عن ذلك فقال هما اطيب شئ اذا طابا واخبث شئ اذا خبثا (ان اشكر لله) لان اشكر او اى اشكر فان ايتاء الحكمة في معنى القول (ومن يشكر فانما يشكر لنفسه) لان نفعه عائد اليها وهو دوام النعمة واستحقاق مزيدها (ومن كفر فان الله غنىّ) لا يحتاج الى الشكر (حميد) حقيق بالحمد وان لم يحمد او محمود نطق بحمده جميع مخلوقاته بلسان الحال (واذ قال لقمان لابنه) انعم او اشكم او ماثان (وهو يعظه يابنىّ) تصغير اشفاق وقرأ ابن كثير يابنى باسكان الياء وقنبل يابنى اقم الصلاة باسكان الياء وحفص فيهما وفى يابنى انها ان تك بفتح الياء والبزى مثله فى الاخير وقرأ الباقون فى الثلاثة بكسر الياء (لاتشرك بالله) قيل كان كافرا فلم يزل به حتى اسلم ومن وقف على لاتشرك جعل بالله قسما (ان الشرك لظلم عظيم) لانه تسوية بين من لانعمة الامنه ومن لانعمة منه (ووصينا الانسان بوالديه حملته امه وهنا) ذات وهن او تهن وهنا (على وهن) او تضعف ضعفا فوق ضعف فانها لاتزال يتضاعف ضعفها والجملة فى موضع الحال وقرئ بالتحريك يقال وهن يهن وهنا ووهن يوهن وهنا (وفصاله فى عامين) وفطامه فى انقضاء عامين وكانت ترضعه فى تلك المدة وقرئ وفصله وفيه دليل على ان اقصى مدة الرضاع حولان (ان اشكرلى ولوالديك) تفسير لوصينا او علة له او بدل من والديه بدل الاشتمال وذكر الحمل والفصال فى البين اعتراض مؤكد للتوصية فى حقها خصوصا ومن ثمة قال عليه الصلاة والسلام لمن قال له من ابرّ قال امك ثم امك ثم امك ثم قال بعد ذلك ثم اباك (الىّ المصير) فاحاسبك على شكرك وكفرك

والبزى مثله فى الاخير وقرأ الباقون فى الثلاثة بكسر الياء ﴿ اعلم ان قوله تعالى يابنىّ مذكور فى القرآن فى ستة مواضع يابنىّ اركب معنا فى هود يابنىّ لاتقصص فى يوسف يابنىّ لاتشرك يابنىّ انها يابنىّ اقم الصلاة فى لقمان يابنىّ انى ارى فى الصافات فقرأ حفص بفتح الياء فى المواضع الستة وقرأ شعبة بفتح الاول وكسر الخمسة الباقية وقرأ البزى باسكان اول لقمان وكسر الخمسة الباقية وقرأ قنبل باسكان اول لقمان وآخرها وكسر الاربعة الباقية وقرأ نافع وابو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائى بكسر الياء مشددة فى الجميع ﴿**قوله** تعالى ووصينا الانسان﴾ قيل هذا كلام معترض فى قصة لقمان الى قوله بما كنتم تعملون كما قال المصنف والآيتان معترضتان الخ ثم عاد الكلام الى قصته وقيل هو متصل كله باضمار القول اى وقلنا له اى للقمان ووصينا الانسان بوالديه اى ببرّ والديه ثم نبه على المعنى الموجب لبرّهما فقال حملته امه وهنا فلا محل لهذه الجملة من الاعراب لانها جملة مستأنفة لبيان علة التوصية وقوله وهنا مصدر منصوب على انه حال من امه بتقدير ذات وهن ويحتمل ان يكون منصوبا بالفعل المقدر اى تهن وهنا وهذه الجملة المركبة من الفعل المقدر وما فى حيزه حال من فاعل الفعل السابق وقوله تعالى على وهن صفة لوهنا اى فوق وهن آخر وهى يتزايد ضعفها ويتضاعف بحسب تزايد ثقل الحمل وليس المراد بقوله وهنا على وهن وهنين اثنين بل المراد التكرار والكثرة ﴿**قوله** وقرئ بالتحريك﴾ اى بفتح الهاء فيهما فاحتمل ان يكونا لغتين كالشعر والشعر وان يكون مفتوح الهاء مصدر وهن بكسر الهاء فانه يقال وهن يهن وهنا مثل وعد يعد وعدا ووهن يوهن وهنا مثل وجل يوجل وجلا ﴿**قوله** وفطامه﴾ وهو ان يفصل الولد من الامّ كيلا يرضع الجوهرى فطام الصبى فصاله عن امه ويطلق الفطم على القطع فيقال فطمت الحبل وفطمت الرجل عن عادته اى قطعته ولما كان قوله وفصاله مبتدأ وقوله فى عامين خبره كان المعنى وفصاله يقع فى عامين وليس فيه تعيين مدة الرضاع فلذلك فسره بقوله وفطامه فى انقضاء عامين على معنى ان انقضاءهما هو الغاية التى لايتجاوز عنها الارضاع والامر فيما بين العامين موكول الى اجتهاد الامّ ان علمت انه يقوى على الفطام فلها ان تفطمه ويدل عليه قوله تعالى والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة وبه استشهد الامام الشافعى على ان مدة الرضاع سنتان لا تثبت حرمة الرضاع بعد انقضائها من وقت الولادة وهو مذهب ابى يوسف ومحمد رحمهما الله واما عند ابى حنيفة فمدة الرضاع ثلاثون شهرا استدلالا بقوله تعالى وحمله وفصاله ثلاثون شهرا حيث جعل المدة المذكورة مدة لكل واحد من الحمل والفصال لكن قول عائشة رضى الله عنها لايبقى الولد فى رحم امه اكثر من سنتين ولو بفلكة مغزل بين ان اكثر مدة الحمل سنتان لان مثله لايعرف قياسا بل سماعا من الشارع وبه يثبت النسخ وبقيت المدة المذكورة فى حق الفصال فلما كانت مدة الرضاع عنده ثلاثين شهرا قيل ان هذه الآية عنده لبيان الرضاع المستحق على الامّ لا لبيان المدة التى ينتهى حكم الرضاع عندها ﴿**قوله** تفسير لوصينا﴾ لان التوصية فى معنى القول الا ان الموصى به هو برّ الوالدين فالظاهر ان تفسير التوصية ببرّهما بالترغيب فى شكرهما بان يقال ان اشكر لوالديك لكونهما سببا ظاهريا لوجودك وتربيتك الا انه تعالى لما كان سببا حقيقيا لوجود الكائنات وتربيتها وكان شكر الوالدين والاعتراف بحقهما عليه من حيث ان نعمة الله تعالى ظهرت من جهتهما كانت الوصية ببرّ الوالدين فى الحقيقة عبارة عن البعث على شكره تعالى بالتوحيد والعبادة له وشكر الوالدين ببرّهما لمقابلة احسانهما اليه فلذلك فسرت الوصية ببرّ الوالدين بقوله ان اشكرلى ولوالديك ﴿**قوله** اوعلة له﴾ اى وصيناه ببرّ الوالدين لشكرنا ولشكر والديه قال سفيان بن عيينة فى هذه الآية من صلى صلاة الخمس فقد شكر الله تعالى ومن دعا لوالديه فى ادبار الصلوات الخمس فقد شكر والديه فان كان بدلا من والديه يكون التقدير ووصينا الانسان بان اشكرلى وعلى التقادير الثلاثة يكون قوله حملته امه وهنا على وهن وفصاله فى عامين جملة معترضة بين المفسر والمفسر او بين العلة والمعلول او بين البدل والمبدل منه تأكيدا للتوصية فى حقها خاصة فظهر بهذا جواب ما يقال وهو انه تعالى اوصى ببرّ الوالدين ثم بين ما يوجب برّ الامّ ولم يتعرض لبيان ما يوجب برّ الاب وتقرير الجواب ان الاب وان حمل الولد فى صلبه سنين ورباه بكسبه سنين الا ان ما تحملته الامّ من المشقة اشد وابلغ فلذلك اكد التوصية فى حقها خصوصا بعد التوصية ببرّهما معا روى ان صحابيا قال قلت يارسول الله من ابرّ قال امك قال قلت ثم من قال امك قال قلت ثم من قال امك قال قلت ثم من قال اباك ثم الاقرب فالاقرب ثم اشار الى ان خدمتهما وطاعتهما انما تكون واجبة مالم يكن فيها ترك طاعة الله تعالى وان افضت

اليه فلا تجوز طاعتهما حيث قال وان جاهداك الآية ﴿قوله اراد بنفى العلم به نفيه﴾ والمعنى على ان تشرك بى ما ليس لك به علم بشئ عبر عن هذا المعنى بنفى العلم به لان العلم بوجود الشئ لازم فى وجوده من حيث ان ما لا يكون موجودا فى نفسه لا يعلم بكونه موجودا فعبر بنفى اللازم عن نفى الملزوم ولم يرض المصنف به لان علم المخلوق بوجود الشئ ليس بلازم لوجوده فى نفسه بل اللازم له هو العلم الفعلى ﴿قوله مكثت لاسلامه ثلاثا﴾ فان سعد بن ابى وقاص رضى الله عنه لما اسلم وكان من السابقين الاولين وكان بارًّا بامه قالت له امه ما هذا الدين الذى احدثته والله لا آكل ولا اشرب حتى ترجع الى ما كنت عليه او اموت فتعير بذلك ابد الدهر ويقال لك قاتل امه ثم انها مكثت ثلاثا لا تطعم ولا تشرب حتى فتحوا فاها بعود وروى ان سعدا قال لو كان لها سبعون نفسا فخرجت واحدة فواحدة لما ارتددت الى الكفر فلما علمت انه لا يرتد عن دينه حذرا من هلاكها رضيت بان تأكل وتشرب ﴿قوله ولذلك﴾ اى ولكونهما نزلتا فى سعد قيل المراد بقوله تعالى من اناب الى ابو بكر الصديق رضى الله عنه فان ابابكر حين اسلم اتاه عثمان وطلحة والزبير وسعد بن ابى وقاص وعبد الرحمن بن عوف وقالوا له قد صدقت هذا الرجل وآمنت به قال نعم هو صادق فآمنوا به ثم جاء بهم الى النبى صلى الله عليه وسلم حين اسلموا فهؤلاء لهم سابقة الاسلام اسلموا بارشاد ابى بكر رضى الله عنه فلما كان سبيله الثبات على التوحيد والايمان ودعاء من كان خارجا عن تلك السبيل اليها قال تعالى واتبع سبيل من اناب الى ﴿قوله اى ان الخصلة﴾ يعنى ضمير انها عبارة عن الخصلة او الفعلة التى يأتى بها المكلف واسم تك مستتر فيه راجع الى ما يرجع اليه ضمير انها ومثقال منصوب على انه خبر كان والفاء فى قوله فتكن لافادة اجتماع الشرطين فى التحقق على سبيل التعاقب كأن لقمان لما نهى ابنه عن الشرك قال له ابنه يا ابت تزعم انه تعالى مطلع على ما يفعله الانسان من الخير والشر فيجازيه جزاء وفاقا ان خيرا فخير وان شرا فشر فان فعلت ما فعلته من الفعلة حيث لا يرانى احد كيف يعلم الله تعالى فقال له ابوه يا بنى ان الفعلة ان تك فى الصغر كحبة الخردل مثلا ومع صغرها تكون خفية فى موضع حصين كالصخرة لا تخفى على الله تعالى ومن قرأ مثقال مرفوعا جعل ضمير انها للقصة وجعل قوله ان تك تامة لا تحتاج الى الخبر ورفع مثقال على انه فاعل كان التامة وانث فعله مع ان المثقال مذكر من حيث انه اكتسب التأنيث باضافته الى حبة كما انث الصدر لاضافته الى القناة فى قول الشاعر

* وتشرق بالقول الذى قد اذعته * كما شرقت صدر القناة من الدم *

الشرق الشجى والغصة يقال شرق بريقه اى غص به وانسد حلقه بحيث لا ينزل ولا يخرج وذاع الخبر يذيع ذيعا وذيوعا اى انتشر واذاعه نشره عبر بذم شخص اذاع خبرا وكان من حقه ان يخفيه نقل الامام محيى السنة عن بعض الكتب ان قوله يا بنى انها ان تك مثقال حبة الآية آخر كلمة تكلم بها لقمان فلما تكلم بها لقمان انشقت مرارته من هيبتها فمات روح الله تعالى روحه ﴿قوله بجوف صخرة او اعلاه الى آخره﴾ اشارة الى دفع ما يقال من ان الصخرة لا بد ان تكون فى السموات او فى الارض فما يكون فى الصخرة لا بد ان يكون فى احداهما لا محالة فما وجه عطفهما بكلمة او وتقرير الجواب ان المراد بالصخرة ما يكون على وجه الارض وبما فى السموات ما يكون فى محدبها وبما فى الارض ما يكون فى مقعرها فيتحقق الانفصال وقيل هذه الصخرة ليست فى السموات ولا فى الارض بل هى تحت سبع ارضين عليها ملك قائم وقيل عليها الثور قيل خلق الله تعالى الارض على حوت وهو النون الذى ذكره الله تعالى فى قوله ن والقلم وما يسطرون والحوت فى الماء والماء على ظهر صفاة والصفاة على ظهر ملك والملك على صخرة وهى الصخرة التى ذكرها لقمان وهى ليست فى السموات ولا فى الارض والصخرة على الريح ثم انه لما نهى ابنه عن الشرك وخوفه بعلم الله تعالى وقدرته امره بما يتفرع على الايمان بالله وحده وابتدأ بالامر باقام الصلاة وعلم معه ان الصلاة كانت فى سائر الملل غير ان هيئاتها اختلفت ﴿قوله مصدر اطلق للمفعول﴾ فيكون العزم بمعنى المعزوم اى المقطوع الذى قطعه الله واوجبه ثم اضيف الى الامور اضافة بمعنى من التبعيضية اى المقطوع من الامور وان جعل العزم بمعنى العازم اى الموجب القاطع يكون اسناد العزم الى الامر مع ان العازم هو الشارع لا الامر المشروع للمبالغة فى وجوبه والاشارة الى انه لكونه متضمنا للحكم والمصالح الجمة كأنه اوجب نفسه وذكر لانتصاب مرحا ثلاثة اوجه * الاول انه مصدر واقع موقع الحال اى لا تمش مرحا فرحا * والثانى انه مفعول مطلق لفعله المحذوف اى لا تمش تمرح مرحا والجملة حال من فاعل تمش * والثالث انه مفعول له والمعنى

(وان جاهداك على ان تشرك بى ما ليس لك به علم) باستحقاقه الاشراك تقليدا لهما وقيل اراد بنفى العلم به نفيه (فلا تطعهما) فى ذلك (وصاحبهما فى الدنيا معروفا) صحابا معروفا يرتضيه الشرع ويقتضيه الكرم (واتبع) فى الدين (سبيل من اناب الى) بالتوحيد والاخلاص فى الطاعة (ثم الى مرجعكم) مرجعك ومرجعهما (فانبئكم بما كنتم تعملون) بان اجازيك على ايمانك واجازيهما على كفرهما والآيتان معترضتان فى تضاعيف وصية لقمان تأكيدا لما فيها من النهى عن الشرك كأنه قال وقد وصينا بمثل ما وصى به وذكر الوالدين للمبالغة فى ذلك فانهما مع انهما تلو البارى فى استحقاق التعظيم والطاعة لا يجوز ان يستحقا فى الاشراك فما ظنك بغيرهما ونزولهما فى سعد بن ابى وقاص وامه مكثت لاسلامه ثلاثا لم تطعم فيها شيأ ولذلك قيل من اناب اليه ابو بكر رضى الله عنه فانه اسلم بدعوته (يا بنى انها ان تك مثقال حبة من خردل) اى ان الخصلة من الاساءة او الاحسان ان تك مثلا فى الصغر كحبة الخردل ورفع نافع مثقال على ان الهاء ضمير القصة وكان تامة وتأنيثها لاضافة المثقال الى الحبة كقوله * كما شرقت صدر القناة من الدم * او لان المراد به الحسنة او السيئة (فتكن فى صخرة او فى السموات او فى الارض) فى اخفى مكان واحرزه كجوف صخرة او اعلاه كمحدب السموات او اسفله كمقعر الارض وقرئ بكسر الكاف من وكن الطائر اذا استقر فى وكنته (يأت بها الله) يحضرها فيحاسب عليها (ان الله لطيف) يصل علمه الى كل خفى (خبير) عالم بكنهه (يا بنى اقم الصلاة) تكميلا لنفسك (وأمر بالمعروف وانه عن المنكر) تكميلا لغيرك (واصبر على ما اصابك) من الشدائد سيما فى ذلك (ان ذلك) الاشارة الى الصبر او الى كل ما امر به (من عزم الامور) مما عزمه الله من الامور اى قطعه قطع ايجاب مصدر اطلق للمفعول ويجوز ان يكون بمعنى الفاعل من قوله فاذا عزم الامر اى جد

لا يكن غرضك فى المشى البطالة والفرح كما يمشى كثير من الناس كذلك لا لكفاية مهم دينى او دنيوى كقول عمر رضى الله عنه

يا فارغا مهملا مالى ارئيتك لا ❁ فى امر دنيا ولا فى امر آخرة

ويشهد بصحة هذا التوجيه قوله تعالى ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس اى ولرؤية الناس اياهم ﴿ قوله علة للنهى ﴾ يعنى ان الآية من قبيل اللف والنشر فان عدم محبته تعالى المختال علة لقوله لا تمش فى الارض مرحا وعدم محبته الفخور علة لقوله ولا تصعر خدك الا انه لم يراع فى النشر ترتيب اللف رعاية لفواصل الآى والاختيال مشية التكبر والفخر ذكر المناقب للتطاول بها على السامع ﴿ قوله وقول عائشة رضى الله عنها ﴾ جواب عما يقال كل واحد من قوله تعالى حكاية عن لقمان واقصد فى مشيك ومن الحديث المروى يدل على ان سرعة المشى ليس من دأب المؤمنين وقد روى عن عائشة رضى الله عنها انها نظرت الى رجل كاد يموت تهافتا وتضاعفا فقالت مالهذا فقيل انه من القرآء فقالت كان عمر رضى الله عنه سيد القرآء وكان اذا مشى اسرع واذا قال اسمع واذا ضرب اوجع فقد اسندت سرعة المشى الى عمر رضى الله عنهما فظاهرهما متنافيان * وتقرير الجواب ان الاسراع المذموم هو ما يكون متجاوزا حد القصد فى المشى وهو الاسراع المفرط والذى اسند الى عمر رضى الله عنه ليس كذلك بل المراد به ما فوق دبيب المتماوت وهو الذى يرى من نفسه الموت وليس بميت كالمتمارض الذى يظهر من نفسه المرض وليس بمريض ﴿ قوله وانقص منه ﴾ اى انقص شيأ منه فان الظاهر ان مفعول اغضض محذوف ومن صوتك صفة له ومن للتبعيض ويجوز ان يكون من صوتك مفعول اغضض على ان تكون من زآئدة على مذهب الاخفش ويؤيده قوله تعالى يغضون اصواتهم ﴿ قوله والحمار مثل فى الذم ﴾ يعنى انه اذا اطلق على غير مسماه الحقيقى انما يطلق عليه على طريق الذم البليغ والشتيمة تشبيها له باصل مسماه فى اخس اوصافه وهى البلادة والعرآء من خواص الآدمية فكان جاريا مجرى المثل السائر الذى يضرب فى مقام الذم والتهجين وكذا نهاقه فانه ايضا غاية فى ذم ما اطلق عليه من الصوت ﴿ قوله ولذلك ﴾ اى ولكون مسماه فى غاية الدناءة والحقارة يحترزون عن التصريح باسمه بل يكنون عنه بقولهم طويل الاذنين كما يكنون عن الاشياء المستقذرة ﴿ قوله وفى تمثيل الصوت المرتفع بصوته الخ ﴾ اشارة الى ان قوله ان انكر الاصوات لصوت الحمير جملة مستأنفة جئ بها لتعليل الامر بغض الصوت كأنه قيل له لم اغض الصوت فاجيب بانك اذا رفعت صوتك كنت بمنزلة الحمار فى اخس احواله اى كان صوتك بمنزلة النهاق فى نفرة الطباع عنه مع خلوه عن الفائدة ثم ترك المشبه واداة التشبيه واقتصر على ذلك المشبه به على طريق الاستعارة التصريحية للمبالغة فى ذم المشبه وتهجينه وفى حث المخاطب على غض صوته والاحتراز عن رفعه ﴿ قوله وتوحيد الصوت ﴾ يعنى ان الحمير جمع حمار فينبغى ان يعبر عن الصوت المضاف اليها بلفظ الجمع ايضا لان صوت الجماعة لا يكون واحدا الا انه وحد المضاف اما لانه مصدر فى الاصل فواحده يفيد لفظ الجمع منه او لانه ليس المراد ان يذكر صوت كل واحد من آحاد هذا الجنس ويقصد تفضيله على اصوات سائر الاجناس التى لها صوت حتى يجمع بل المراد تفضيل صوت هذا الجنس على اصوات غيره فيكون المراد من المضاف الجنس فلا وجه لجمعه فوجب توحيده * فان قيل اذا كان المراد تفضيل جنس الصوت المقيد بالاضافة الى جنس الحمير كان ينبغى ان يوحد المضاف اليه ايضا * قلنا الجمع المحلى بالالف يضمحل عنه معنى الجمعية ويراد به الجنس فانه اذا قيل العصبة كل من يأخذ بقية الفرآئض يكون المعنى من يأخذ ما بقى من جنس الفريضة وهى السهم المقدر ضرورة ان اجتماع الفروض فى المسئلة ليس شرطا فى العصوبة فكذا لفظ الحمير يراد به الجنس لا الآحاد ثم انه تعالى لما استدل على عزته وحكمته بقوله خلق السموات بغير عمد ترونها الآية ومهد به قاعدة التوحيد ثم بكت المشركين بقوله هذا خلق الله فأرونى ماذا خلق الذين من دونه ثم اضرب عن تبكيتهم الى التسجيل عليهم بالضلال المبين ثم اورد قصة لقمان للدلالة على ما امر به ونهى عنه وليس مما يتوقف معرفته على الوحى والنبوة بل كل ذلك على وفق الحكمة ونتيجة الفكرة فوجب على العاقل ان يهتدى بمجرد فكره الصحيح ونظره الصائب وان لم يهتد بذلك فبارشاد النبى المؤيد بالمعجزات الباهرة ومن لم يهتد بشئ من ذلك فهو ملحق بالحيوانات العجم واضل سبيلا انتقل بعد ذلك الى الاستدلال على وحدانيته تعالى بوجه آخر وهو كونه موليا للنعمة كلها ظاهرة وباطنة فان الملك كما يخدم لعظمته وان لم يتم يخدم لنعمته ايضا فلما بين انه المعبود

(ولا تصعر خدك للناس) لا تمله عنهم ولا تولهم صفحة وجهك كما يفعله المتكبرون من الصعر وهو دآء يعترى البعير فيلوى منه عنقه وقرأ نافع وابو عمرو وحمزة والكسائى ولا تصاعر وقرئ ولا تصعر والكل واحد مثل علاه واعلاه وعالاه (ولا تمش فى الارض مرحا) اى فرحا مصدر وقع موقع الحال او تمرح مرحا او لاجل المرح وهو البطر (ان الله لا يحب كل مختال فخور) علة للنهى وتأخير الفخور وهو مقابل للمصعر خده والمختال للماشى مرحا ليوافق رؤس الآى (واقصد فى مشيك) توسط فيه بين الدبيب والاسراع وعنه عليه الصلاة والسلام سرعة المشى تذهب بهاء المؤمن وقول عائشة رضى الله عنها كان اذا مشى اسرع * فالمراد ما فوق دبيب المتماوت وقرئ بقطع الهمزة من اقصد الرامى اذا سدد سهمه نحو الرمية (واغضض من صوتك) وانقص منه واقصر (ان انكر الاصوات) او حشها (لصوت الحمير) والحمار مثل فى الذم سيما نهاقه ولذلك يكنى عنه فيقال طويل الاذنين وفى تمثيل الصوت المرتفع بصوته ثم اخراجه مخرج الاستعارة مبالغة شديدة وتوحيد الصوت لان المراد تفضيل الجنس فى النكير دون الآحاد او لانه مصدر فى الاصل

لعظمته بخلقه السموات بلا عمد والقائه فى الارض رواسى وذكر بعض النعم بقوله وانزلنا من السماء ماء ذكر بعده عامة النعم فقال الم تروا ان الله سخر لكم مافى السموات ومافى الارض الآية اى ألم تعلموا العلم الذى يقوم مقام رؤية العين انه سخر لاجلكم وذلل مافى السموات بان جعله اسبابا لحصول ماتحتاجون اليه من المهمات وسهل لكم الانتفاع بتلك الاسباب على حسب مشيئته وارادته وسخر مافى الارض ايضا بان مكنكم من الانتفاع به بوسط اوبغير وسط والنعمة فى الاصل الحالة الطيبة ونعم الله تعالى وان كانت لاتحصى اشخاصها لكنها تنحصر فى جنسين دنيوى واخروى * والاول قسمان موهبى وكسبى والموهبى قسمان روحانى كنفخ الروح فيه واشراقه بالعقل ومايتبعه من القوى كالفهم والفكر والنطق وجسمانى كتخليق البدن والقوى الحالة فيه والهيئات العارضة من الصحة وكمال الاعضاء والكسبى هو تزكية النفس من الرذآئل وتحليتها بالاخلاق والملكات الفاضلة وتزيين البدن بالهيئات المطبوعة والحلى المستحسنة وحصول الجاه والمال * والثانى ان يغفر مافرط منه ويرقيه فى اعلى عليين مع الملائكة المقربين ابد الآبدين هذا ماذكره المصنف فى سورة الفاتحة واسباغ النعم توسيعها واتمامها يقال سبغت النعمة سبوغا اذاتمت روى عن ابن عباس رضى الله عنه انه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ماهذه النعمة الظاهرة والباطنة فقال *يا ابن عباس اما ماظهر فالاسلام وماسوى الله تعالى من خلقك وما افاض عليك من الرزق واما مابطن فستره مساوى عملك ولم يفضحك بهايا ابن عباس ان الله تعالى يقول ثلاثة جعلتهن للمؤمن ولم تكن له صلاة المؤمنين عليه من بعد انقطاع عمله وجعلت له ثلث ماله اكفر عنه خطاياه به والثالث سترت عليه مساوى عمله فلم افضحه بشئ منها ولو ابديتها عليه لنبذه اهله فن سواهم * وقيل الظاهرة شهادة ان لااله الا الله باللسان والباطنة الاعتقاد بالفردانية بالجنان وقيل الظاهرة اتباع الرسول والباطنة محبته روى ان موسى عليه الصلاة والسلام قال يارب دلنى على اخفى نعمتك على عبادك قال اخفى نعمتى عليهم النفس وروى ان ايسر مايعذب به اهل النار الاخذ بالانفاس ﴿**قوله** وقرأ نافع وابوعمرو وحفص نعمه﴾ بفتح العين على انه جمع نعمة مضاف الى هاء الضمير فقوله ظاهرة حال منها وقرأ الباقون نعمة بسكون العين وتنوين تاء التأنيث على انه اسم جنس فى معنى الجمع كقوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها فقوله ظاهرة بعده نعت لها ثم انه تعالى لمابين ماتفضل به على عباده واسبغ عليهم نعمه ظاهرة وباطنة ذكر بعده ان منهم من يجادل فى توحيده واخلاص طاعته فقال ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم قيل نزلت فى النضر بن الحارث وابى ابن خلف واشباههما الذين كانوا يجادلون النبى عليه الصلاة والسلام فى وحدانيته تعالى وصفاته من غير علم مستفاد من دليل العقل ومن غير هداية حاصلة من قبل صاحب الوحى ومن غير منزل من رب العالمين ثم اذا قيل لهؤلاء المجادلين الذين لاتمسك لهم اصلا هلموا الى كتاب الله تعالى واتبعوه تهتدوا اعرضوا عن كلام الله تعالى وقالوا بل نتبع كلام آبائنا ومن المعلوم ان بين كلام الله تعالى وكلام العلماء بونا عظيما فكيف مابين كلام الله وكلام الجهال ﴿**قوله** من التقليد او الاشراك﴾ من قبيل اللف والنشر الاول على ان يكون الضمير لهم والثانى على ان يكون لآبائهم ﴿**قوله** من اسلمت المتاع الى الزبون﴾ اى اسلمته الى الحريف اى العامل الذى يشارك فى الحرفة والعمل يعنى ان اسلم اذا عدى بالى كان بمعنى سلم وان عدى باللام كما فى قوله تعالى بلى من اسلم وجهه لله فذلك باعتبار تضمنه معنى الاخلاص فمعنى الآية ومن اسلم وجهه لله من جعل ذاته ونفسه سالما لله تعالى خالصا له ﴿**قوله** وهو تمثيل للمتوكل﴾ اراد التشبيه لا الاستعارة التمثيلية لذكر كل واحد من طرفى التشبيه غايته انه لم يذكر اداة التشبيه للمبالغة فيه * والوثقى تأنيث الاوثق واوثق العرى جانب الله تعالى لان كل ماعداه هالك منقطع وهو باق لاانقطاع له ذكر مايدل على وجوب اسلام الوجه الى الله تعالى فقال والى الله عاقبة الامور فان من تعين لتدبير عاقبة الامور كيف لايسلم المرء نفسه اليه ﴿**قوله** وليس بمستفيض﴾ فان اللغة الشائعة هى الثلاثى * الجوهرى حزن الرجل بالكسر فهو حزن وحزين واحزنه غيره وحزنه ايضا مثل اسلكه وسلكه ومحزون بنى عليه قال اليزدوى حزنه لغة قريش واحزنه لغة تميم وقد قرئ بهما انتهى كلامه ﴿**قوله** تعالى ثم نضطرهم الى عذاب غليظ﴾ بان نسلط عليهم ملائكة غلاظا شدادا يعذبونهم اغلظ عذاب فيختارون دخول النار عن اضطرار فرارا من عذاب هؤلاء الملائكة الذين يعذبونهم بمقارع من نار فان الاكراه انما ينافى الرضى دون الاختيار فان المضطر يعرف الشرين ويختار اهونهما قيل وفيه وجه آخر لطيف وهو انهم لما كذبوا الرسول ثم تبين لهم الامر وقع عليهم

(الم تروا ان الله سخر لكم مافى السموات) بان جعله اسبابا محصلة لمنافعكم (ومافى الارض) بان مكنكم من الانتفاع به بوسط اوبغير وسط (واسبغ عليكم نعمة ظاهرة وباطنة) محسوسة ومعقولة ماتعرفونه ومالاتعرفونه وقدمر شرح النعمة وتفصيلها فى الفاتحة وقرئ واصبغ بالابدال وهو جار فى كل سين اجتمع مع الغين اوالخا او القاف كصلخ وصقر وقرأ نافع وابوعمرو وحفص نعمه بالجمع والاضافة (ومن الناس من يجادل فى الله) فى توحيده وصفاته (بغير علم) مستفاد من دليل (ولاهدى) راجع الى رسول (ولاكتاب مبين) انزله الله بل بالتقليد كما قال (واذاقيل لهم اتبعوا ماانزل الله قالوا بل نتبع ماوجدنا عليه آباءنا) وهو منع صريح من التقليد فى الاصول (اولوكان الشيطان يدعوهم) يحتمل ان يكون الضمير لهم ولآبائهم (الى عذاب السعير) الى مايؤول اليه من التقليد او الاشراك وجواب لو محذوف مثل لاتبعو والاستفهام للانكار والتعجيب (ومن يسل وجهه الى الله) بان فوض امره اليه واقبل بشراشره عليه من اسلمت المتاع الى الزبون ويؤيده القرآءة بالتشديد وحيث عدى باللام فلتضمن معنى الاخلاص (وهو محسن) فى عمله (فقد استمسك بالعروة الوثقى) تعلق باوثق مايتعلق به وهو تمثيل للمتوكل المشتغل بالطاعة بمن اراد ان يترقى شاهق جبل فتمسك باوثق عرى الحبل المتدل (والى الله عاقبة الامور) اذ الكل صائ اليه (ومن كفر فلا يحزنك كفره) فانه لايضرك فى الدنيا والآخرة وقرئ فلا يحزنك من أحزنه وليس بمستفيض (الين مرجعهم) فى الدارين (فننبئهم بما عملوا) بالاهلاك والتعذيب (ان الله عليم بذات الصدور) فمجاز عليه فضلا عما فى الظاهر (نمتعهم قليلا) تمتيعا قليلا اوزمانا قليلا فان مايزول بالنسبة الى مايدوم قليل (ثم نضطرهم الى عذاب غليظ)

من الجهالة مايكون دخول النار اهون عليهم من الوقوف بين يدى ربهم بمحضر الانبياء مع تلك الجهالة فيختارون دخولها عن اضطرار ﴿ قوله يثقل عليهم ثقل الاجرام ﴾ يعنى ان الغليظ صفة مشبهة تنبئ عن الثقل والكثافة او عن التراكم والانضمام وعلى التقديرين لايوصف به العذاب حقيقة وانما يوصف به الاجرام والاجسام فتوصيف العذاب به تخييل لتشبيه العذاب الواقع عليهم بالجرم الثقيل او بالاجرام المتلاصقة المتطابقة الواقعة بعضها على بعض استعارة بالكناية وعلى التقديرين يكون اثبات الغلظة له سوآء كانت بمعنى الثقل او الانضمام تخييلا لتلك الاستعارة المكنية ثم انه تعالى بين استحقاق المشركين للعذاب الغليظ ببيان ان كفرهم اقبح الكفر من حيث انهم ينكرون مااضطرّوا الى الاقرار به فان اعترافهم بان خلق السموات والارض ومافيهما ومابينهما هو الله تعالى يستلزم الاعتراف بان لايستحق العبادة الا الله ومع هذا يناقضون انفسهم بالاشراك ثم امر رسوله صلى الله عليه وسلم بان يحمد الله تعالى على ظهور صدقه وكذب مكذبيه باعترافهم على انفسهم بالكذب والضلال ثم قرّر مااقرّوا به من تفرّده تعالى بالخالقية بتقرير ان مافيهما من الجواهر والاعراض لله تعالى ملكا وملكا فكيف يكون شئ منها شريكاله فقال لله مافى السموات والارض ثم لما بين ان انفس السموات والارض وجميع مافيهما محتاج الى الله تعالى من جميع الوجوه ثبت انه تعالى هو الغنىّ المطلق والحميد المطلق فان كل محتاج يحمد من يدفع حاجته بلسان الحال او المقال فمن كان غنيا مطلقا يكون حميدا مطلقا ﴿ قوله ولو ثبت كون الاشجار اقلاما ﴾ اشارة الى ان مابعد لو واقع موقع المفرد لكونه فاعلا لفعل مقدّر لان لو تطلب الفعل لفظا او تقديرا فقولك لو انك قائم تقديره لو وقع قيامك والفاعل يجب ان يكون مفردا فلذلك فتحت كلمة انّ الواقعة بعد لو وما فى قوله تعالى ولو ان مافى الارض موصولة فى محل النصب على انها اسم انّ واقلام خبرها ومن شجرة فى محل النصب على انه حال من المنوى فى قوله فى الارض ﴿ قوله وتوحيد شجرة ﴾ مع ان الظاهر ان يقال من شجر بلفظ اسم الجنس الدال على العموم لان المراد بما فى قوله مافى الارض العموم بدليل الاخبار عنه بالاقلام فالوجه ان يبين باسم الجنس الا انه بين بلفظ شجرة الدال على الوحدة لان المراد تفصيل الآحاد شجرة شجرة الى ان لايبقى من جنس الشجر آحاد كثيرة بل ولا شجرة واحدة الا وقد بريت اقلاما وهذا المعنى انما يستفاد من ايراد الشجرة ولو قيل من شجر لدل على انه لايبقى جنس من اجناس الشجر الا برى اقلاما فلا يدل على ان يتناول الحكم لكل فرد وهذا قريب مما قيل ان استغراق المفرد اشمل من استغراق الجمع ﴿ قوله ممدودا بسبعة ابحر ﴾ بان يكون سبعة ابحر مداداً للبحر المحيط الذى فرض كونه بسعته مدادا وهو النفس الذى يكتب به ويقال له المركب ﴿ قوله يمدّه ﴾ معناه يصير مدادا له يزيده وينصبّ فيه من بعده اى من خلفه والمقصود كما يتوقف على ان يفرض كون اشجار الارض اقلاما يتوقف ايضا على ان يفرض كون البحر المحيط ممدودا بسبعة ابحر مدادا فعلى هذا كان الظاهر ان يقال والبحر مدادا يمدّه من خلفه سبعة ابحر لكن لم يذكر المداد اكتفاء بذكر مايدل عليه وهو قوله يمدّه فانه من مدّ الدواة وامدّها اذا صب فيها المداد فيكون البحر الاعظم بمنزلة الدواة والابحر التى خلفه بمنزلة المداد له وفى الآية اقتصار يسمى حذف الايجاز لدلالة السياق على المحذوف وتقدير الكلام ولو ان اشجار الارض اقلام والبحر يمدّ بسبعة ابحر وكتبت بتلك الاقلام وبذلك المداد كلمات الله لما نفدت كلماته ونفدت الاقلام والمداد ونظير هذه الآية فى اشتمالها على حذف الايجاز قوله تعالى او به اذى من رأسه ففدية اى فحلق رأسه لدفع مابه من الاذى ففدية * قال الامام قوله سبعة ابحر ليس لحصر الابحر فى سبعة بل المراد الاشارة الى كثرة المدد ولو كان الف بحر وخصت السبعة بالذكر من بين اسماء الاعداد لكونها عددا يحصر اكثر المعدودات الا ترى ان كل احد لايخرج عن زمان ومكان والزمان منحصر فى سبعة ايام والمكان منحصر فى سبعة اقاليم وان الكواكب السيارة سبعة وكانت السموات سبعا والارضون سبعا وابواب جهنم سبعا وكانت ابواب الجنة ثمانية لانها الحسنى وزيادة فالزيادة هى الثامن ولما كانت السبعة عددا يحصر معظم الموجودات واكثرها عبر بها عن مجرّد الكثرة من غير اعتبار انحصار المعدود فى مرتبتها حتى ان العرب يجعلون السبعة نهاية العدد ويزيدون عند الثامن واوا يقول القرآء لها واو الثمانية ويزعمون ان العدد تم بالسبعة وان الواو المذكورة بعدها للاستئناف والمراد بالكلمات عند المفسرين معلومات الله تعالى ولما كان معلومه لايتناهى كانت الكلمات التى يعبر بها عنه لاتتناهى ايضا ﴿ قوله ورفعه للعطف ﴾ يعنى ان قوله تعالى والبحر قرأ ابو عمرو ويعقوب بالنصب والباقون بالرفع وفى الرفع وجهان الاوّل كونه معطوفا على محل ان ومعموليها

يثقل عليهم ثقل الاجرام الغلاظ اوتضم الى الاحراق الضغط (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله) لوضوح الدليل المانع من اسناد الخلق الى غيره بحيث اضطرّوا الى اذعانه (قل الحمد لله) على الزامهم والجائهم الى الاعتراف بما يوجب بطلان معتقدهم (بل اكثرهم لايعلمون) ان ذلك يلزمهم (لله مافى السموات والارض) لايستحق العبادة فيهما غيره (ان الله هو الغنى) عن حمد الحامدين (الحميد) المستحق للحمد وان لم يحمد (ولو ان مافى الارض من شجرة اقلام) ولو ثبت كون الاشجار اقلاما وتوحيد شجرة لان المراد تفصيل الآحاد (والبحر يمدّه من بعده سبعة ابحر) والبحر المحيط بسعته مداد ممدودا بسبعة ابحر فاغنى عن ذكر المداد يمدّه لانه من مدّ الدواة وأمدّها ورفعه للعطف على محل ان ومعموليها ويمدّه حال او للابتدآء على انه مستأنف او الواو للحال ونصبه البصريان بالعطف على اسم ان او اضمار فعل يفسره يمدّه

وقرئ تمده ويمده بالتاء والياء (ماتفدت كلمات الله) بكتبها بتلك الاقلام بذلك المداد وايثار جمع القلة للاشعار بان ذلك لايفي بالقليل فكيف بالكثير (ان الله عزيز) لايعجزه شئ

(حكيم) لايخرج عن علمه وحكمته امر والآية جواب اليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم اوامروا وفد قريش ان يسألوه عن قوله وما اوتيتم من العلم الاقليلا وقد انزل التوراة وفيها علم كل شئ (ماخلقكم ولابعثكم الاكنفس واحدة) الاكخلقها وبعثها اذلايشغله شان عن شأن لانه يكفي لوجود الكل تعلق ارادته الواجبة مع قدرته الذاتية كما قال انما امرنا لشئ اذا اردناه ان نقول له كن فيكون (ان الله سميع) يسمع كل مسموع (بصير) يبصر كل مبصر لايشغله ادراك بعضها عن بعض فكذلك الخلق (الم تر ان الله يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى) كل من النيرين يجرى فى فلكه (الى اجل مسمى) الى منتهى معلوم الشمس الى آخر السنة والقمر الى آخر الشهر وقيل الى يوم القيامة والفرق بينه وبين قوله لاجل مسمى ان الاجل ههنا منتهى الجرى وثمة غرضه حقيقة او مجازا وكلا المعنيين حاصل فى الغايات (وان الله بما تعملون خبير) عالم بكنهه (ذلك) اشارة الى الذى ذكر من سعة العلم وشمول القدرة وعجائب الصنع واختصاص البارى بها (بان الله هو الحق) بسبب انه الثابت فى ذاته الواجب من جميع جهاته او الثابت الهيته (وان ماتدعون من دونه الباطل) المعدوم فى حد ذاته لايوجد ولايتصف الابجعله او الباطل الهيته وقرأ البصريان والكوفيون غير ابى بكر بالياء (وان الله هو العلى الكبير) مترفع على كل شئ ومتسلط عليه (الم تر ان الفلك تجرى فى البحر بنعمة الله) باحسانه فى تهيئة اسبابه وهو استشهاد آخر على باهر قدرته وكمال حكمته وشمول انعامه والباء للصلة او الحال وقرئ الفلك بالتثقيل وبنعمات الله بسكون العين وقدجوز فى مثله الكسر والفتح والسكون (ليريكم من آياته) دلائله (ان فى ذلك لآيات لكل صبار) على المشاق فيتعب نفسه فى التفكر فى الآفاق والانفس (شكور) يعرف النعم ويتعرف مانحها او للمؤمنين فان الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر (واذا غشيهم) علاهم وغطاهم (موج كالظلل) كما يظل من جبل اوسحاب اوغيرهما وقرئ كالظلال جمع ظلة كقلة وقلال (دعوا الله مخلصين له الدين) لزوال ماينازع الفطرة من الهوى والتقليد بما دهاهم من الخوف الشديد (فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد) مقيم على الطريق القصد الذى هو التوحيد اومتوسط فى الكفر لانزجاره بعض الانزجار

فان أن مع اسمها وخبرها فى محل الرفع على انه فاعل فعل مقدر يقتضيه ويدل عليه كلمة لو فيجوز ان يرفع البحر ايضا بالعطف عليه وقوله يمده جملة حالية من البحر وتقدير الكلام ولو ثبت كون الاشجار اقلاما وثبت كون البحر مدادا ممدودا بسبعة ابحر والثانى ان يكون البحر مبتدأ ويمده الخبر والظاهر ان الواو حينئذ حالية والمعنى ولو ان الاشجار اقلام فى حال كون البحر ممدودا ولم يحتج الى ضمير رابط بين الحال وصاحبها استغناء عنه بالواو كما فى قولك خرجت والجيش قادم وجوز المصنف كونها استئنافية وفى النصب ايضا وجهان الاول ان يكون معطوفا على اسم ان وهو ما وخبره يمده والتقدير ولو ان البحر يمده على معنى ولو وقع هذان والثانى ان يكون من باب مااضمر عامله على شريطة التفسير ﴿قوله وقرئ تمده ويمده﴾ اى قرئ بتاء التأنيث لاسناد الفعل الى سبعة وقرئ بالياء من تحت مضمومة وكسر الميم من أمده وهما لغتان بمعنى ﴿قوله والآية جواب﴾ قال المفسرون نزل بمكة قوله تعالى ويسألونك عن الروح الى قوله وما اوتيتم من العلم الاقليلا فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه احبار اليهود فقالوا يامحمد بلغنا انك تقول وما اوتيتم من العلم الاقليلا أفعنيتنا ام قومك قال عليه الصلاة والسلام كلا قدعنيت قالوا ألست تتلو فيما جاءك انا اوتينا التوراة وفيها علم كل شئ فقال عليه الصلاة والسلام هى فى علم الله قليل وقد آتاكم ماان عملتم به انتفعتم قالوا يامحمد كيف تزعم هذا وانت تقول ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا فكيف يجتمع هذا علم قليل وخير كثير فانزل الله تعالى هذه الآية جوابا لهم فعلى هذا تكون الآية مدنية وقيل انما امر اليهود وفد قريش ان يسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بعد بمكة فسأله الوفد بمكة فنزلت فى مكة ﴿قوله تعالى ماخلقكم ولابعثكم﴾ جواب لكفار قريش حين قالوا ان الله تعالى خلقنا اطوارا نطفة علقة مضغة لحما فكيف يبعثنا خلقا جديدا فى ساعة واحدة ﴿قوله وثمة غرضه حقيقة او مجازا﴾ اى ان قيل يجرى لاجل مسمى يكون ادراك الاجل غرضا مطلوبا من الجرى حقيقة ان قلنا ان كل واحد من الكواكب السيارة والافلاك له شعور وحركة ارادية او مجازا مبنيا على تشبيه عاقبة الشئ بالعلة الحاملة ان قلنا انها جمادات لاشعور لها ولاغرض ﴿قوله تعالى وان الله بما تعملون خبير﴾ قرأ ابو عمرو فى رواية بياء الغيبة والباقون بتاء الخطاب والظاهر ان الخطاب للمشركين وان الآية احتجاج عليهم وتهديد ووعيد لهم وقوله الم تر خطاب عام والمراد من الرؤية العلم الجلى المنزل منزلة الرؤية والمشركون وان لم يعلموا احاطة علم الله تعالى بتفاصيل اعمال عباده الا انهم نزلوا منزلة من يعلم بها لتمكنهم من العلم بها بادنى التفات لكثرة دلائل العلم بها ووضوحها ﴿قوله اشارة الى الذى ذكر﴾ اى ذكره الله تعالى من عجائب صنعه واعتراف المشركين باختصاصه تعالى بخلقها ووصف نفسه بانه عزيز كامل القدرة لانهاية لمقدوراته وانه حكيم كامل العلم لانهاية لمعلوماته وانه هو الغنى الحميد وانه سميع بصير وانه بما يعملون خبير وانه عليم بذات الصدور وبعد اجراء تلك الصفات على الذات المتميزة بها اشار اليها من حيث ثبوتها لموصوفها بقوله ذلك وحكم بانها انما ثبتت له لانه هو الاله الثابت الهيته لما تقرر فى العقول ان هذه الصفات لوازم الالوهية المساوية لها وان تحقق الملزوم يستلزم تحقق لوازمه فاستدل فى الآية بتحقق لوازم الالوهية على كونه تعالى ثابتا فى ذاته او ثابتا الهيته ﴿قوله وقدجوز فى مثله﴾ اى قيل كل ماكان على فعلة يجوز فى جمعه ثلاث لغات فعلات بسكون العين وفعلات بفتحها وفعلات بكسرها نحو سدرة وسدرات وسدرات وسدرات ﴿قوله لكل صبار﴾ اى على مشاق التفكر فى اصابة الحق شكور بصرف القوى الفكرية الى ماخلقت هى لاجله مع قطع النظر عن كونه مؤمنا اولا ﴿قوله فان الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر﴾ وذلك ان التكاليف نصفان افعال وتروك والتروك صبر عن المألوف والافعال شكر على المعروف ذكر الله تعالى اولا آية سماوية حيث قال الم تر ان الله يولج الليل فى النهار ثم ذكر آية ارضية فقال الم تر ان الفلك تجرى فى البحر بنعمة الله التى هى الريح الملائمة لجريها ليريكم باجرائها بنعمته بعض آياته ثم قال ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور يستدلون بها على كمال علمه وقدرته ووحدانيته ويعترفون بها من غير ان يقعوا فى شدة تلجئهم الى الاعتراف بها ثم وصف الكفار بقوله واذا غشيهم موج كالظلل حين ركبوا البحر انابوا الى الله تعالى ودعوه مخلصين له الدين حين علموا انه لامنجى لهم غيره والظلل جمع ظلة وكذا الظلال كقلة وقلل وقلال وحد الموج وشبهه بالظلل اى بالامور التى تظلل كالجبال والسحب المتراكمة وغيرهما للدلالة على عظم الموج وكثرته وارتفاعه بحيث ينفصل منه وقت انحداره الى جانب السفل امثال الظلل ﴿قوله مقيم على الطريق القصد﴾ اى العدل السوى فقوله تعالى فمنهم مقتصد اى عدل فى الوفاء فى البر بما عاهد الله عليه

فى البحر من التوحيدله فالمعنى فمنهم من ثبت على ايمانه وههنا مضمر وهو قوله ومنهم من ينقض العهد اكتفى عنه بقوله وما يجحد بآياتنا الا كل ختار كفور والختار الكفور موازن للصبار الشكور لفظا ومقابل له معنى فان الصبار الشكور يتذكر ما فيه من الآيات حالة الرخاء من غير ان يلجئه اليه شئ من الشدآئد والختار الكفور وان اضطر الى الاعتراف بالحق حالة الضرورة الا انه اذا انجاه الله تعالى من الغرق وانتهى الى البر ينقض العهد ويعود الى ضلاله القديم وروى عن مصعب بن سعد عن ابيه انه قال لما كان يوم فتح مكة امن رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس الا اربعة نفر وقال اقتلوهم وان وجدتموهم متعلقين باستار الكعبة عكرمة ابن ابى جهل وعبدالله بن خطل ومقيس بن ضبابه وعبدالله بن سعيد بن ابى سرح فاما عكرمة فركب البحر فاصابتهم ريح عاصف فقال اهل السفينة اخلصوا فان آلهتكم لاتغنى عنكم شيأ ههنا فقال عكرمة لئن لم ينجنى فى البحر الا الاخلاص فلا ينجينى فى البر ايضا غيره ثم قال اللهم ان لك عهدا ان انت عافيتنى مما انا فيه ان آتى محمدا حتى اضع يدى فى يده فلأجدنه عفوا كريما فسكنت الريح فجاء واسلم وحسن اسلامه ثم انه تعالى لما ذكر الدلائل من اول السورة الى هنا ختم السورة بما يحملهم على التفكر فى تلك الدلائل والاهتدآء بها الى ما يؤديهم الى حسن العاقبة وينجيهم من شدآئد يوم القيامة فقال يا ايها الناس اتقوا ربكم ولاتخالفوا شيأ مما امر به ونهى عنه واكد الامر بتقواه بقوله تعالى واخشوا يوما اى عقاب يوم وقوله لايجزى والد عن ولده صفة لقوله يوما والعائد محذوف اى فيه ومعناه لايقضى عنه شيأ من الحقوق الثابتة عليه ولاينفعه بشئ لما كان بعض الاقرباء يتحمل عن البعض الآخر ما يتوجه اليه من المكاره والشدآئد بالوصلة التى كانت بينهم فى الدنيا والمنافع التى كان ينفع بعضهم بعضا بها فى الدنيا اخبر الله تعالى ان ذلك كله ينقطع فى الآخرة لهول ذلك اليوم واشتغال كل امرء بنفسه ولاينفع احد صاحبه وخاصة ما ذكر من الولد لوالده والوالد لولده فان ما بينهما من القرابة القريبة تستدعى ان يجتهد كل واحد منهما ويبذل وسعه وطاقته فى دفع ما يلحق الآخر من المكاره للشفقة والمحبة التى جعلت فيما بينهم ومع ذلك فقد اخبر الله تعالى انه لاينفع احدهما صاحبه لاشتغاله بنفسه كما روى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال كل نسب وسبب فهو منقطع الا نسبى وسببى ونسبه دينه الذى دعانا اليه وعلمناه وسببه شفاعته يوم القيامة فاخبر ان ذلك كله منقطع الا هذين فانه من تمسك بدينه فانه يشفع له يوم القيامة فيما فرط وقصر واما من لم يقبل دينه ولم يجبه الى ما دعاه فانه ليس له شئ من هذين وقد انقطع عنه باقى الانساب والاسباب ايضا وقال بعضهم هذه الآية فى الكفار واما المؤمنون فينفع الوالد ولده والولد والده فى الآخرة يدفع الاب الى ابنه فضل عمله وكذلك الولد الى ابيه لقوله تعالى آباؤكم وابناؤكم لاتدرون ايهم اقرب لكم نفعا وقال تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين وقد روى فى الاحاديث الشفاعة للاخيار وبعد ان يستنفع الاجانب دون الاقارب والله اعلم ﴿قوله وقرئ لايجزئ من اجزأ اذا اغنى﴾ على بناء افعل من المهموز اللام يقال اجزأت عندك مجزئ فلان ومجزأ فلان ومجزاة فلان اى اغنيت عنك مغناه واجزأت عنك شاة لغة فى جزت اى قضت وادت فان جزى غير مهموز بمعنى قضى ﴿قوله ولامولود عطف على والد﴾ فيه بحث لان المولود حينئذ يكون فاعل قوله لايجزى ويكون قوله هو جاز عن والده صفة للمولود فيلزم ان يكون المولود جازيا عن والده فى الدنيا وغير جاز عنه فكيف يجتمع فيه المتنافيان والجواب ان اللازم من التوصيف كون المولود جازيا عن والده فى الدنيا والمنفى كونه جازيا عنه يوم القيامة ولامنافاة بينهما لاختلاف الزمان ﴿قوله اومبتدأ﴾ ويجوز الابتدآء بالنكرة الواقعة فى سياق النفى كقولك ما احد خير منك والمبتدأ مع خبره جملة معطوفة على قوله لايجزى والد عن ولده ﴿قوله وتغيير النظم﴾ فان قوله ولامولود ان كان معطوفا على والد كان الظاهر ان يقال ولاولد عن والده فغير لفظ الولد الى المولود ووصف بكونه جازيا عن والده فى الدنيا للدلالة على ان الولد الصلبى الذى شأنه ان يقضى حقوق ابيه فى الدنيا لايقضى عنه شيأ من الحقوق يوم القيامة فضلا عن سائر الاولاد فان الولد يقع على الولد الصلبى وولد الولد بخلاف المولود فانه لايطلق الا على الولد الصلبى فتخصيص المولود بالذكر لقوة قرابته يدل على انه اولى بان لايجزى اى اولى بان يبين انه لايجزى وان كان قوله ولامولود مبتدأ وما بعده خبره فقد غيرت الجملة المعطوفة الى ما هو آكد من المعطوف عليه فان الاسمية آكد من الفعلية لاسيما اذا توسطت كلمة هو بين المبتدأ والخبر ومع ذلك فقد غير لفظ الولد الى لفظ المولود ووجه التغيير ما ذكر من ان الدلالة على انه اولى ببيان

(وما يجحد بآياتنا الا كل ختار) غدار فانه نقض العهد الفطرى او لما كان فى البحر والختر اشد الغدر (كفور) للنعم (يا ايها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لايجزى والد عن ولده) لايقضى عنه وقرئ لايجزئ من اجزأ اذا اغنى والراجع الى الموصوف محذوف اى لايجزى فيه (ولامولود) عطف على والد اومبتدأ خبره (هو جاز عن والده شيأ) وتغيير النظم للدلالة على ان المولود اولى بان لايجزى وقطع طمع من توقع من المؤمنين ان ينفع اباه الكافر فى الآخرة

(ان وعد الله) بالثواب والعقاب (حق) لا يمكن خلفه (فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور) الشيطان بان يرجيكم التوبة والمغفرة فيجسركم على المعاصي (ان الله عنده علم الساعة) علم وقت قيامها المروي ان الحارث ابن عمرو اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال متى قيام الساعة واني قد القيت حباتي في الارض فمتى السماء تمطر وحمل امرأتي ذكر ام انثى وما اعمل غدا واين اموت فنزلت وعنه عليه الصلاة والسلام مفاتح الغيب خمس وتلا هذه الآية (وينزل الغيث) في ابانه المقدر له والمحل المعين له في علمه وقرأ نافع وابن عامر وعاصم بالتشديد (ويعلم ما في الارحام) أذكر ام انثى أتام ام ناقص (وما تدري نفس ماذا تكسب غدا) من خير او شر وربما تعزم على شئ وتفعل خلافه (وما تدري نفس باي ارض تموت) كما لا تدري في اي وقت تموت روي ان ملك الموت مر على سليمان فجعل ينظر الى رجل من جلسائه يديم النظر اليه فقال الرجل من هذا قال ملك الموت فقال كأنه يريدني فمر الريح ان تحملني وتلقيني بالهند ففعل فقال الملك كان دوام نظري اليه تعجبا منه اذ امرت ان اقبض روحه بالهند وهو عندك وانما جعل العلم لله والدراية للعبد لان فيها معنى الحيلة فيشعر بالفرق بين العلمين ويدل على انه ان عمل حيلة وانفد فيها وسعه لم يعرف ما هو الحق به من كسبه وعاقبته فكيف بغيره مما لم ينصب له دليلا عليه وقرئ بأية ارض وشبه سيبويه تأنيثها بتأنيث كل في كلتهن (ان الله عليم) يعلم الاشياء كلها (خبير) يعلم بواطنها كما يعلم ظواهرها وعنه عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة لقمان كان له لقمان رفيقا يوم القيامة واعطي من الحسنات عشرا عشرا بعدد من عمل بالمعروف ونهى عن المنكر

سورة السجدة مكية وهي ثلاثون آية وقيل تسع وعشرون آية

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الم) ان جعل اسما للسورة او القرآن فمبتدأ خبره (تنزيل الكتاب) على ان التنزيل بمعنى المنزل وان جعل تعديدا للحروف كان تنزيل خبر مبتدأ محذوف او مبتدأ خبره (لا ريب فيه) فيكون (من رب العالمين) حالا من الضمير في فيه لان المصدر لا يعمل فيما بعد الخبر ويجوز ان يكون خبرا ثانيا ولا ريب فيه حال من الكتاب او اعتراض والضمير في فيه لمضمون الجملة ويؤيده قوله (ام يقولون افتراه) فانه انكار لكونه من رب العالمين وقوله (بل هو الحق من ربك) فانه تقرير له ونظم الكلام على هذا انه اشار اولا الى اعجازه ثم رتب عليه ان تنزيله من رب العالمين وقرر ذلك بنفي الريب عنه ثم اضرب عن ذلك الى ما يقولون فيه على خلاف ذلك انكارا له وتعجيبا منه فان ام منقطعة ثم اضرب عنه الى

حكمه وقطع طمع من توقع ان ينفع اباه الكافر ﴿قوله بالثواب والعقاب﴾ على ان يكون قوله تعالى ان وعد الله حق لتحقق اليوم المذكور على معنى اخشوا يوما هذا شأنه وهو كائن لا محالة لوعد الله تعالى بمجيئه ووعده حق ويحتمل ان يكون تحقيقا لعدم ان يجزي احد عن احد على معنى انه لا يجزي والد عن ولده لان الله تعالى قد وعد بان لا تزر وازرة وزر اخرى ووعد الله حق فلا يجزي احد عن احد ولما كان الموعود حقا واقعا لا محالة وكان الاغترار بزخارف الدنيا وزينتها والاغترار بحلم الله تعالى وامهاله صارفا عن التزود لذلك اليوم نهى الله تعالى عن الاغترار بهما فقال تعالى لا يغرنكم شئ منهما واجتهدوا فيما يسعدكم والغرة بالله عبارة عن ان يتمادى الرجل على المعصية ويتمنى المغفرة والغرور بالضم مصدر وبالفتح صيغة مبالغة كشكور ويسمى الشيطان غرورا الا من شأنه وحرفته ان يغر ﴿قوله لان فيهما معنى الحيلة﴾ فان الدراية هي العلم مع تكلف وحيلة ولهذا لم يجز اطلاق اسم الداري على الله تعالى ولما قال تعالى واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده وذكر انه كائن لا محالة حيث قال ان وعد الله حق كأن قائلا قال فمتى يكون اليوم فاجيب بان العلم بوقت قيام الساعة مما لم يحصل لغير الله تعالى فحقكم ان تعتقدوا بقيامها وتتزودوا لها ﴿قوله وشبه سيبويه تأنيثها بتأنيث كل في قولهم كلتهن﴾ يعني ان تأنيث اي لغة ضعيفة كتأنيث كل لان ايا اسم مبهم لازم الاضافة والجمع بين التاء والاضافة لا يخلو عن بشاعة لما فيه من الفصل بين المضاف والمضاف اليه باجنبي وهو تاء التأنيث فاللغة الشائعة ان يقال ايهن وكلهن فان انث كان حقها ان تقطع عن الاضافة نحو أية سلكوا الا انه قرئ بأية ارض بالاضافة تشبيها لها بكل في قولهم كلتهن * تم ما يتعلق بسورة لقمان بحمد الله تعالى وحسن توفيقه وهذا اوان الشروع في توضيح سورة الم السجدة

سورة الم السجدة وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قوله وان جعل تعديدا الحرف﴾ ليتنبه السامع ويقبل نحو المتكلم ويسمع ما يلقى اليه بقلب حاضر والسامع ههنا وان كان يقظان الجنان لكنه انسان يشغله شان عن شان فكان يحسن من الحكيم ان يقدم على الكلام المقصود حروفا كالمنبهات ليلتفت المخاطب بسببها اليه ويقبل بقلبه عليه ثم يشرع في المقصود فلا يكون لتلك الحروف محل من الاعراب لعدم تركبها مع العامل فحينئذ يكون تنزيل الكتاب خبر مبتدأ محذوف تقديره الذي يتلى عليك منزل الكتاب اي كتاب منزل ثم حذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه ثم اضيف للبيان كما في جرد قطيفة ونحوه مما اضيفت الصفة فيه الى موصوفها ولا ريب فيه خبر ثان او حال من الكتاب ومن رب متعلق بتنزيل ﴿قوله حالا من الضمير في فيه﴾ فيتعلق بمحذوف ولا يجوز حينئذ ان يتعلق بتنزيل لان المصدر قد اخبر عنه فلا يعمل فيما بعد الخبر ﴿قوله والضمير في فيه لمضمون الجملة﴾ يعني على تقدير كونه اعتراضا بين المبتدأ والخبر لتأكيد مضمون الجملة يكون الضمير لمضمونها كأنه قيل لا ريب في ذلك اي في كونه منزلا من رب العالمين واما على تقدير ان يكون تنزيل مبتدأ ولا ريب فيه خبره فالضمير حينئذ يكون راجعا الى تنزيل الكتاب وايد كونه اعتراضا بامرين الاول قوله ام يقولون والثاني قوله بل هو الحق ثم بين وجه انتظام الكلام على تقدير كون لا ريب فيه اعتراضا بانه تعالى اشار الى اعجاز الكتاب المنزل بافتتاح السورة بالم على سبيل التعديد قال المصنف في اول سورة البقرة ثم ان مسمياتها لما كانت عنصر الكلام وبسائطه التي يتركب منها افتتحت السورة بطائفة منها ايقاظا لمن تحدى بالقرآن وتنبيها على ان المتلو عليهم كلام منظوم مما ينظمون منه كلامهم فلو كان من عند غير الله لما عجزوا عن آخرهم مع تظاهرهم وقوة فصاحتهم عن الاتيان بما يدانيه وليكون اول ما يقرع الاسماع مستقلا بنوع من الاعجاز فان النطق باسماء الحروف مختص بمن خط ودرس فاما من الامي الذي لم يخالط الكتاب فمستبعد مستغرب خارق للعادة كالكتابة والتلاوة الى هنا كلامه ﴿قوله فان ام منقطعة﴾ علة لكون الاضراب الى ما يقولون فيه انكارا له فان ام المنقطعة متضمنة لهمزة الاستفهام الذي لا محل له في هذا الموضع سوى الانكار اثبت اولا ان تنزيله من رب العالمين وقرر ذلك بنفي الريب عنه ثم اضرب عن اثبات ان تنزيله من رب العالمين وليس الاضراب لابطال الكلام السابق بل بمعنى ترك الاول والاخذ فيما هو أهم فكأنه قيل اترك هذا الذي ذكرنا من كونه من رب العالمين وانظر في كلامهم الحمقاء وتعجب منها ثم أضرب عن ذلك ايضا فكأنه قال بل لا تلتفت الى قولهم وانظر الى كونه حقا واستغرق او قاتك في التفكر فيه وتبليغه والعمل بما فيه وقوله من ربك حال من الحق وعامله محذوف وهو العامل في لتنذر ايضا

ويجوز ان يتعلق لتنذر بعامل آخر اى انزله لتنذر كما يشعر به قول المصنف و بين المقصود من تنزيله فقال لتنذر و قوله قوما مفعول اوّل للانذار وقوله ماآتاهم جملة منفية فى محل النصب على انها صفة قوما و المفعول الثانى للانذار محذوف اى لتنذرهم العذاب ان أصرّوا على كفرهم ولم يؤمنوا بك و بكتابك فان أنذر يتعدى الى اثنين قال تعالى فقل انذرتكم صاعقة و يحتمل ان تكون كلمة ما فى قوله ماآتاهم موصولة فى محل النصب على انها المفعول الثانى للانذار و التقدير لتنذر قوما العقاب الذى اتاهم من نذير من قبلك على ان من نذير متعلق بأتاهم اى اتاهم العقاب على لسان نذير من قبلك وكذا الحال فى قوله تعالى لتنذر قوما ماانذر آباؤهم اى لتنذر قوما العقاب الذى انذره آباؤهم فما مفعوله فى الموضعين و المراد بالقوم اهل الفترة وهم الذى كانوا بين عيسى عليه الصلاة و السلام و محمد عليه الصلاة و السلام ومعنى عدم اتيان النذير اليهم انهم ضيعوا شريعة عيسى عليه الصلاة و السلام وضلوا بالكلية باتباع الاهوآء الفاسدة فاقتضت الحكمة الالهية ان يرسل اليهم رسولا يدعوهم الى التوحيد و الطاعة وينذرهم عذاب الله تعالى ان أصرّوا على الضلالة وما اتاهم من نذير مع احتياجهم الى اتيانه حيث لم يبق على وجه الارض عالم يهديهم و ينتفع بهدايته فبقوا على ذلك سنين متطاولة فلم يأتهم رسول قبل بعثة رسول الله عليه الصلاة و السلام فكانوا قوما ماأتاهم من نذير بعد الضلال الذى حدث بانطماس الشريعة المتقدمة وقيل المراد بالقوم العرب فانهم امة امية لم يأتهم نذير قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم و هذا بعيد فانهم كانوا من اولاد ابراهيم عليه الصلاة و السلام وجميع انبياء بنى اسرآئيل اولاد اعمامهم و كيف يتجاسر على ان يقال انه تعالى ترك قوما من ابتدآء نشأتهم الى زمان نبينا صلى الله عليه وسلم بلا دين ولا شرع و ان اريد بالعرب طائفة مخصوصة منهم و هى اهل العصر الواقع قبل عصر النبوّة لزم تخصيص العام بلا مخصص لان القوم الموصوفين بانه ماأتاهم من نذير من قبلك يعم جميع اهل العصر الواقع قبل بعثة النبى صلى الله عليه وسلم سوآء كان من مشركى العرب او من اهل الكتاب فحمله على العرب خاصة تخصيص بلا دليل و الترجى المستفاد من قوله تعالى لعلهم يهتدون من جهة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان ذلك من جهة موسى وهرون عليهما الصلاة السلام فى قوله تعالى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر فالمعنى لتنذرهم راجيا انت اهتدآءهم ثم انه تعالى لما بين حقيقة الرسالة و التنزيل و بين ما على الرسول من الدعاء الى التوحيد واقامة البرهان عليه قال الله الذى خلق السموات فقوله الله مبتدأ و الموصول مع صلته خبره وقد اتفق المشركون على انه تعالى لاشريك له فى خلقها فكذا لاشريك له فى الالوهية **قوله مرّ بيانه فى الاعراف** وهو قوله فى ستة ايام اى فى ستة اوقات كقوله ومن يولهم يومئذ دبره او مقدار ستة ايام فان المتعارف فى اليوم زمان من طلوع الشمس الى غروبها ولم يكن حينئذ وفى خلق الاشياء مدرجة مع القدرة على ايجادها دفعة دليل الاختيار و اعتبار للنظار وحث على التأنى فى الامور فلما كان تعالى منزها عن الاستقرار و التمكن جعل الاستوآء على العرش كناية عن نفاذ قدرته و تصرّفه فى مخلوقاته لان الجلوس على العرش من لوازم الملك والاستيلاء فاطلق اللازم واريد به الملزوم و الاستوآء على العرش من جملة المتشابهات التى لايعلم تأويلها الا الله عند بعض العلماء حتى قيل تأويله الايمان به و ان يفوّض العلم بان المراد منه ماهو الى الله قال

❊ ورب العرش فوق العرش لكن ❊ بلا وصف التمكن و اتصال ❊

قوله مالكم اذا جاوزتم رضى الله تعالى لما كان ظاهر اللفظ يدل على انه ليس لنا ولىّ ولا شفيع غير الله فان ولينا و شفيعنا هو الله تعالى وحده والله تعالى منزه عن ان يكون شفيعا يستشفع به الى احد ولذلك ردّ النبى صلى الله عليه وسلم على اعرابىّ قال استشفع بالله اليك اشار المصنف الى ان ذلك المعنى انما يفهم اذا كان قوله من دون الله بمعنى من غير الله وليس كذلك بل المعنى مالكم مجاوزين الله اى مجاوزين رضاه و امتثال امره و طاعته ولىّ ولاشفيع فيكون من دونه حالا من كم فى لكم و العامل معنى الاستقرار الذى تعلق به لكم اى ما استقرّ لكم مجاوزين رضى الله وامتثال امره شفيع يشفع لكم وناصر ينصركم وفى الكلام حذف مضاف اى من دون رضاه ومن استعمال دونه فى معنى المجاوزة قول الشاعر * يانفس مالك دون الله من واق * اى مالك اذا جاوزت وقاية الله احد يقيك ثم اشار الى توجيه آخر بقوله او مالكم سواه ولىّ ولاشفيع وتقريره سلمنا ان معنى من دون الله من غير الله لكن انما يفهم ذلك المعنى المهروب منه ان لو كان الشفيع على اصل معناه وليس كذلك بل هو بمعنى الناصر لان الشفاعة تستلزم النصرة فاطلق الملزوم واريد اللازم فيكون من دونه حالا من ولىّ ولاشفيع قدم على ذى الحال

اثبات انه الحق المنزل من الله و بين المقصود من تنزيله فقال (لتنذر قوما ماآتاهم من نذير من قبلك) اذ كانوا اهل الفترة (لعلهم يهتدون) بانذارك اياهم (الله الذى خلق السموات والارض ومابينهما فى ستة ايام ثم استوى على العرش) مرّ بيانه فى الاعراف (مالكم من دونه من ولىّ ولاشفيع) مالكم اذا جاوزتم رضى الله احد ينصركم ويشفع لكم او مالكم سواه ولىّ ولاشفيع بل هو الذى يتولى مصالحكم و ينصركم فى مواطن نصركم على ان الشفيع متجوّز به للناصر فاذا خذلكم لم يبق لكم ولىّ ولا ناصر (افلا تتذكرون) بمواعظ الله

لكونه نكرة * فان قيل كيف قدّم على ذى الحال المجرور وقد صرح ابن الحاجب فى الكافيه بان الحال لا يتقدم على ذى الحال المجرور فى الاصح * فالجواب ان حرف الجرّ هنا زآئد لا اعتداد به و وجه اتصال قوله تعالى مالكم من دونه من ولىّ بما قبله انه لما نزل قوله تعالى الله الذى خلق السموات والارض و ما بينهما فى ستة ايام الآية قال بعض المشركين نحن معترفون بان خالق السموات والارض واحد هو الله تعالى الان هذه الاصنام صور ملائكة مكرمين عند الله نرجو منهم انهم شفعاؤنا فقال الله تعالى اذا علمتم انه لا اله غيره فاعلموا انه لا نصرة من غير الله ولا شفاعة الا باذن الله فعبادتكم لهذه الاصنام باطلة ضائعة لانهم ليسوا بخالقيكم ولا ناصريكم ولا شفعائكم لان من بلغ فى القدرة وعلوّ الشان الى ان تمكن من خلق هذه الاجسام العظام والتصرّف فيها كيف شاء هل يكون عند هذا الملك العظيم الشان لهؤلاء الاصنام المكوّنة قدر وحرمة حتى ترجوا منها نصرة وشفاعة وتدبير الامر النظر فى دابره وعاقبته والتفكر فيه ﴿قوله يدبر امر الدنيا﴾ اى شأنها وحالها والامور التى تقع فيها والمراد بتدبير امرها القضاء السابق الذى هو الارادة الازلية المقتضية لنظام الموجودات على ترتيب خاص جعل القضاء مبتدأ من جانب السماء لكون المقضىّ منوطا باسباب سماوية منتهيا الى الارض لانتهاء آثار تلك الاسباب الى الارض وعروج امر الدنيا اليه تعالى مجاز عن ثبوته فى علمه تعالى موجودا وعطف عروج الامر على تدبيره بكلمة ثم وقدّر زمان العروج بالف سنة من سنى الدنيا استطالة لما بين التدبير والوقوع لا للتعيين والتوقيت ﴿قوله فى برهة من الزمان﴾ اى فى مدّة متطاولة منه ﴿قوله وقيل يدبر الامر باظهاره فى اللوح﴾ على ان يكون المراد بالامر امر الوحى وتدبيره اظهاره فى اللوح وان يكون قوله من السماء متعلقا بمحذوف اى فينزل به بعض ملائكته من السماء الى الارض فيلقى ذلك الى الذى امر بالقائه اليه من الرسل ثم يعرج ذلك الملك اليه اى الى الموضع الذى امر بالعروج اليه من السماء فى يوم كان مقداره فى نزول الملك الى الارض وعروجه منها الى السماء الف سنة مما تعدّون من ايامكم فى الدنيا واستطالة نفس اليوم عبارة عن امتداد مسافة نزول الملك وعروجه بكونها مسيرة الف سنة فانه لو سار احد من بنى آدم فيها لم يقطعها الا فى الف سنة والملائكة يقطعونها فى يوم واحد من ايام الدنيا بل فى الطف ساعة منها فالتدبير عبارة عن كتبه الوحى فى اللوح المحفوظ واظهاره فيه للملائكة الموكلين به حتى اذا رأوا انه قد وجد ذلك فى اللوح عرفوا انه تعالى اراد ان ينزلوا به الى نبيه فى الارض فيفعلون ذلك ثم يعرجون الى مكانهم الذى كانوا فيه والعروج بحسب الظاهر وان كان مسندا الى ضمير الامر الا انه عروج الملك المأمور بتبليغ ذلك الامر وكذا ضمير اليه يرجع بحسب الظاهر اليه تعالى الا ان المراد عروج الملك الى مكانه الذى فى السماء وقيل ضمير اليه يرجع الى السماء المذكور قبله وهو يذكر ويؤنث قال تعالى السماء منفطر به ﴿قوله وقيل يقضى قضاء الف سنة﴾ على ان يدبر بمعنى يقضى وان الامر امر الدنيا واحوالها الواقعة فى يوم واحد من ايام الله تعالى وهو الف سنة كما قال تعالى وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدّون وان قوله تعالى من السماء متعلق بمحذوف اى فينزل به الملك من السماء الى الارض ثم يعرج بعد الالف لانزال قضاء الف آخر وقوله فى يوم تنازع فيه الفعلان فاعمل فيه الفعل الثانى وهو يعرج وحذف ظرف الفعل الاوّل لدلالة الثانى عليه والمصنف اشار اليه بقوله يقضى قضاء الف سنة اى يقضى ماقضى وقوعه الف سنة وعبر عن الفعلين بلفظ المضارع الدال على الاستمرار التجددى للدلالة على ان شأنه تعالى الاستمرار على ان يقضى ماقضى وقوعه فى يوم واحد مقداره الف سنة فينزل به الملك فيوقعه فى الاوقات المقدّرة له ثم يعرج فى انقضاء ذلك اليوم ليوم آخر وهلم جرا الى ان تقوم الساعة ﴿قوله وقيل يدبر الامر﴾ اى يقضى شأن الدنيا وماقضى وقدّر فيها من الامور وقوله من السماء الى الارض بيان الامر اى يدبر الامر الذى مبدأه من السماء ومنتهاه الى الارض وهذا كما تقول من السماء الى الارض فى قبضة قدرة الله تعالى ومن المشرق الى المغرب كله لله تعالى واشار بقوله الى قيام الساعة الى ان قوله فى يوم غير متعلق بالتدبير وانه غير مقيد بالظرف المذكور بعده بل هو قيد للعروج والمعنى ثم يرجع اليه جميع ماقضى وقدّر يوم القيامة ليحكم فيه ويميز ماهو الحق منه من الباطل ويثيب المحق ويعاقب المبطل ووصف يوم القيامة بان مقداره الف سنة لان يوما من ايام الآخرة كالف سنة من ايام الدنيا ﴿قوله وقيل يدبر المأمور به من الطاعات منزلا﴾ يعنى قيل ان المراد بالامر المأمور به من الطاعات والاعمال الصالحة وتدبيرها الامر بها والترغيب فيها بالوحى وتعديته بمن والى لتضمنه معنى ينزل وان قوله ثم يعرج اليه

(يدبر الامر من السماء الى الارض) يدبر
امر الدنيا باسباب سماوية كالملائكة وغيره
نازلة آثارها الى الارض (ثم يعرج اليه)
ثم يصعد اليه ويثبت فى علمه موجودا (فى يو
كان مقداره الف سنة مما تعدّون) فى برهة
من الزمان متطاولة يعنى بذلك استطال
ما بين التدبير والوقوع وقيل يدبر الامر
باظهاره فى اللوح فينزل به الملك ثم يعرج الي
فى زمان هو كالف سنة لان مسافة نزول
وعروجه مسيرة الف سنة فان ما بين السم
والارض مسيرة خمسمائة سنة وقيل يقضى
قضاء الف سنة فينزل به الملك ثم يعرج بع
الالف لالف آخر وقيل يدبر الامر الى قيا
الساعة ثم يرجع اليه الامر كله يوم القيام
وقيل يدبر المأمور به من الطاعات منزّ
من السماء الى الارض بالوحى ثم لا يعرج الي
خالصا كما يرتضيه الا فى مدّة متطاولة لقل
المخلصين والاعمال الخلص

في يوم كان مقداره الف سنة ليس المراد به تعيين مدة العروج بذلك الوقت بل المراد به تقليل الاعمال الصالحة والعاملين بها لم يرض المصنف بشيء من هذه الاقوال المذكورة لكثرة مافيها من التكلف بالنسبة الى ما ارتضاه قيل في التلفيق بين قوله تعالى في هذه السورة في يوم كان مقداره الف سنة وبين قوله في سورة اخرى تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة ان الاول في وصف عروج الملائكة من الارض الى السماء والثاني في وصف عروجهم من الارض الى سدرة المنتهى التي هي مقام جبريل عليه الصلاة والسلام فان مسافة مابينها وبين الارض خمسون الف سنة بسير بني آدم ثم ان جبريل والملائكة الذين معه من اهل مقامه يقطعونها في يوم واحد من ايام الدنيا وقيل الف سنة وخمسون الف سنة كلها في القيامة يكون على بعضهم الحول كخمسين الف سنة وعلى بعضهم اقصر منها كالف سنة حتى جاء في الحديث انه يكون على المؤمن كقدر صلاة مكتوبة صلاها في الدنيا وقيل لايكون على المؤمن الا كما بين الظهر والعصر ويحتمل ان يكون هذا عبارة عن بيان مافيه من الشدائد والاهوال لا تحديده بذلك وروى ان ابن عباس رضي الله عنهما سئل عن هذه الآية وعن قوله خمسين الف سنة فقال ابن عباس ايام سماها الله تعالى لا ادري ماهي واكره ان اقول في كتاب الله تعالى مالا اعلم ﴿قوله وقرئ يعرج﴾ على البناء للمفعول والاصل يعرج به ثم حذف الجار فارتفع الضمير واستتر وقرئ تعدون بتاء الخطاب وياء الغيبة ﴿قوله وفيه ايماء الى انه تعالى يراعي المصالح تفضلا﴾ اتفق المسلمون على انه تعالى لايفعل فعلا خاليا عن حكمة ومصلحة الا ان تلك الحكمة لازمة للفعل وليست حاملة له على الفعل عندنا خلافا للمعتزلة ﴿قوله وخلقه بدل من كل﴾ يعني ان ابن كثير وابا عمرو وابن عامر قرؤا خلقه بسكون اللام على انه بدل اشتمال من كل شيء والضمير عائد على كل شيء ﴿قوله وقيل علم كيف يخلقه﴾ عطف على قوله خلقه موفرا عليه مايستعد فان المعنى حينئذ حسن هيئة كل شيء وصورته بان خلقه مشتملا على جميع مايليق به فيكون كل شيء مفعولا به وخلقه بدلا منه بمعنى احسن خلق كل شيء وان كان احسن الشيء بمعنى علمه يكون المعنى علم كل شيء قبل ان يخلقه انه كيف يخلقه وكيف يكون اذا خلقه فيكون كل شيء مفعولا اولا وخلقه مفعولا ثانيا ومن كون الاحسان بمعنى العلم قول من قال

* وقيمة المرء ما قد كان يحسنه * والجاهلون لاهل العلم اعداء *

اي ما قد كان يعلمه ويحسن علمه بان يعرفه معرفة حسنة بتحقيق واتقان لا مطلق العلم وقيل معناه ان من زاد علمه زاد في صدور الناس قدره وقيمته وكل من نقص علمه نقص عند الناس جاهه وحشمته ﴿قوله فالشيء على الاول﴾ يعني ان خلقه سواء جعل بدلا او مفعولا ثانيا لابد من تخصيص الشيء لانه تعالى لم يخلق كل شيء فضلا عن ان يحسن خلقه او يحسنه ويتم زينته والمخصص على الاول الدليل المنفصل وهو العقل فانه يدل على ان المراد الموجودات الممكنة وعلى الثاني الدليل المتصل وهو الوصف اعني خلقه ﴿قوله لانها تنسل منه اي تنفصل﴾ يقال نسل الطائر ريشه ينسل وينسل نسلا اي اسقطه ونسل الوبر وريش الطائر بنفسه يتعدى ولا يتعدى ﴿قوله تعالى وجعل لكم﴾ التفات من ضمير الغائب المفرد في قوله ثم جعل نسله الخ الى الخطاب ولم يخاطبهم قبل ذلك لان الخطاب انما يكون مع الحي فلما قال ونفخ فيه من روحه خاطبه بعد ذلك وقال وجعل لكم ﴿قوله تشكرون شكرا قليلا﴾ اشارة الى ان قوله قليلا صفة مصدر محذوف للفعل المذكور بعده وما زائدة لتأكيد القلة ﴿قوله تعالى وقالوا أئذا ضللنا﴾ معطوف على ماسبق منهم فان المشركين كانوا ينكرون الوحدانية والرسالة وقد اشير الى الثاني بقوله تعالى ام يقولون افتراه والى الاول بقوله الله الذي خلق السموات وقد تقرر ان معظم مقاصد القرآن العظيم تمهيد اصول ثلاثة وتقرير دلائلها التوحيد والرسالة والحشر وانه تعالى كلما ذكر اصلين من هذه الاصول الثلاثة يذكر الاصل الثالث معهما وههنا قد ذكر الرسالة بقوله تنزيل الكتاب الى قوله لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك وذكر الوحدانية بقوله الله الذي خلق السموات الى قوله وجعل لكم السمع والابصار ثم ذكر الاصل الثالث وهو الحشر بقوله وقالوا أئذا ضللنا اي ضعنا وهلكنا بان صرنا ضائعين وهالكين بان صرنا ترابا مخلوطا بتراب الارض لا نتميز منه كما يضيع اللبن في الماء يقال ضل الشيء يضل ضلالا اي ضاع وهلك واضله غيره اي اضاعه واهلكه ويقال ايضا ضل الشيء اذا غاب وخفي مكانه وتقول ضلت بعيري اذا ذهب منك وضللت المسجد والدار اذا لم تعرف موضعهما وكذلك كل شيء مقيم لايهتدى له فقولهم أئذا ضللنا في الارض اي غبنا فيها بسبب الدفن وقرأ العامة ضللنا بضاد

وقرئ يعرج ويعدون (ذلك عالم الغيب والشهادة) فيدبر امرهما على وفق الحكمة (العزيز) الغالب على امره (الرحيم) على العباد في تدبيره وفيه ايماء الى انه تعالى يراعي المصالح تفضلا واحسانا (الذي احسن كل شيء خلقه) خلقه موفرا عليه مايستعده ويليق به على وفق الحكمة والمصلحة وخلقه بدل من كل بدل الاشتمال وقيل علم كيف يخلقه من قوله قيمة المرء ما يحسنه اي يحسن معرفته او خلقه مفعول ثان وقرأ نافع والكوفيون بفتح اللام على الوصف فالشيء على الاول مخصوص بمنفصل وعلى الثاني بمتصل (وبدأ خلق الانسان) يعني آدم (من طين ثم جعل نسله) ذريته سميت به لانها تنسل منه اي تنفصل (من سلالة من ماء مهين) ممتهن (ثم سواه) قومه بتصوير اعضائه على ماينبغي (ونفخ فيه من روحه) اضافه الى نفسه تشريفا واشعارا بانه خلق عجيب وان له شأنا له مناسبة ما الى الحضرة الربوبية ولاجله من عرف نفسه عرف ربه (وجعل لكم السمع والابصار والافئدة) خصوصا لتسمعوا وتبصروا وتعقلوا (قليلا ما تشكرون) تشكرون شكرا قليلا (وقالوا أئذا ضللنا في الارض) اي صرنا ترابا مخلوطا بتراب الارض لا نتميز منه او غبنا فيها وقرئ ضللنا بالكسر من ضل يضل وصللنا من صل اللحم اذا انتن

معجمة ولام مفتوحة والمضارع منه بكسر العين وهى اللغة الشائعة وقرئ ضللنا بكسر اللام والمضارع منه يضل بفتح العين وهى ايضا لغة وقرئ صللنا بصاد مهملة ولام مفتوحة وبكسر اللام ايضا وهما لغتان يقال صل اللحم يصل ويصل بفتح الصاد وكسرها بمعنى انتن وتغيرت رآئحته وقرأ عاصم وحمزة ائذا ضللنا فى الارض ائنا بالجمع بين الاستفهامين بهمزتين للمبالغة فى انكارهم للبعث وقرأ ابن عامر اذا ضللنا بهمزة مكسورة على الخبر ائنا بهمزتين قال لانهم كانوا يقرّون بالموت ويشاهدونه وانما انكروا البعث فيكون الاستفهام فى البعث دون الموت وقرأ نافع والكسائى ويعقوب ائذا ضللنا انا بجعل اولى الكلمتين استفهاما والثانية خبرا اكتفاء بالهمزة الاولى عن الثانية ﴿قوله والعامل فيه﴾ اى فى اذا محذوف ولا يجوز ان يعمل فيه قوله خلق جديد لان ما بعد ان وهمزة الاستفهام لا يعمل فيما قبلهما ﴿قوله بالبعث﴾ متعلق بقوله بلقاء ربهم وليس بيانا له والالائق للاضراب وجه لان كفرهم بالبعث قد ذكر فى اوّل الآية ووجه الاضراب انه تعالى ذكر انكارهم للبعث بناء على استبعادهم دخوله تحت قدرة الله تعالى كما يدل عليه قولهم ائذا ضللنا فى الارض ثم اضرب عنه بما معناه ليس انكارهم للبعث مبنيا على استبعادهم قدرة الله تعالى عليه لما اقيم عليهم من الدلائل الدالة على قدرة الله تعالى عليه وانما انكروه لكفرهم بلقاء الله تعالى اى بلقاء ما وعد الله تعالى من اجتماع الخلائق فى موقف الحساب وتفرّقهم على حسب اعمالهم الى دار الثواب او العقاب فانكروا ما يفضى اليه من البعث والاحياء فعلى هذا كان الظاهر ان يكون قوله او بتلقى ملك الموت معطوفا على قوله بالبعث ويكون كل واحد منهما بيانا لطريق لقاء الرب ولقاء موعده الا ان عطف قوله وما بعده على تلقى ملك الموت يأبى ذلك لان لقاء ما يلقونه بعد تلقى الملك هو نفس لقاء ما وعده الرب لا طريق لقائه فينبغى ان يجعل قوله بالبعث وما عطف عليه بيانا او بدلا من قوله تعالى بلقاء ربهم تفسيرا له ويجعل الكفر بالبعث مغايرا الانكار البعث المدلول عليه بقوله أنبعث او يجدد خلقنا اذا ضللنا فان انكار الشئ يكفى فيه مجرّد استبعاده والكفر به انما يكون للقطع بعدم وقوعه فترتيب النظم انه تعالى ذكر اوّلا انهم قالوا ذلك استبعادا للبعث ثم اضرب عنه بقوله بل هم كافرون بالبعث قاطعون بعدم وقوعه او بقوله بل هم كافرون بتلقى ملك الموت وما يكون بعده من امور الآخرة باسرها لا بالبعث وحده ويؤيد هذا المعنى انهم خوطبوا بقوله تعالى قل يتوفاكم ملك الموت وتوفى الحق واستيفاؤه اخذه وافيا تاما من غير نقصان واستيفاء النفس وهى الروح ان تقبض كلها ولا يترك منها شئ او لا يبقى من اصحاب الارواح احد كتب عليه الموت * روى ان ملك الموت جعلت له الدنيا مثل راحة اليد يأخذ منها صاحبها ما احب من غير مشقة فهو يقبض انفس الخلق من مشارق الارض ومغاربها وله اعوان من ملائكة الرحمة واعوان من ملائكة العذاب فاذا قبض ارواح المؤمنين دفعها الى ملائكة الرحمة واذا قبض ارواح الكافرين دفعها الى ملائكة العذاب ﴿قوله ويجوز ان يكون للتمنى﴾ لان كلمة لو للتقدير والتمنى فيه معنى التقدير لان المتمنى لا يخلو من تقديره وطلب حصوله ولما كان فى التمنى معنى التقدير استعملت كلمة لو للتمنى كما فى قوله عليه الصلاة والسلام للمغيرة حين خطب امرأة لو نظرت اليها فانه احرى ان يؤدم بينكما اى يكون بينكما المحبة والاتفاق والادم الالفة والاتفاق يقال ادم الله بينكما ادما اى الف واصلح وعلى تقدير كون لو للتمنى لا تقتضى جوابا كما هو المشهور ثم ان التمنى يستحيل ان يكون منه تعالى فلابد ان يكون لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما ان الترجى له عليه الصلاة والسلام فى قوله تعالى لعلهم يهتدون بين الله تعالى انه صلى الله عليه وسلم ان يتمنى رؤيتهم على تلك الصفة الفظيعة لما تجرع منهم انواع الاذية والخلاف فكان عليه الصلاة والسلام حقيقا بان يتمنى ذلك ﴿قوله والمضى فيهما وفى اذ﴾ يعنى ان كلمة لو اذا لم تكن للتمنى بل كانت لوقوع الشئ لوقوع غيره فيما مضى اذا دخلت على المضارع تصرفه الى الماضى وكذا كلمة اذ ظرف للماضى فدلول الكلام ان يكون نكس المجرمين رؤسهم واقعا فيما مضى وان يفرض وقوع رؤية المخاطب اياهم على تلك الحالة الفظيعة فيما مضى ولا شك ان النكس امر استقبالى لم يقع بعد فلا وجه لدخول اذ عليه كما لا وجه لفرض وقوع الرؤية المتعلقة بالنكس المترقب فيما مضى الا ان الثابت فى علم الله تعالى لما كان بمنزلة الواقع كان نكس رؤسهم بمنزلة الواقع فيما مضى فصح دخول كلمة اذ عليه وصح فرض كون المخاطب رآئيا فى ذلك الوقت ان لم يقدّر لترى مفعول او فرض وقوع الرؤية المتعلقة به اى بالنكس فيما مضى ان قدر لترى مفعول يدل عليه صلة اذ ثم ان المجرمين لما قالوا حين شاهدوا ما وعده الله تعالى من البعث والحساب ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا قال تعالى فى جوابهم ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها اى رشدها وتوفيقها للايمان والعمل الصالح فان كل فعل من افعال

وقرأ ابن عامر اذا على الخبر والعامل فيـ
مادل عليه (ائنا لفى خلق جديد) وهو
أنبعث او يجدد خلقنا وقرأ نافع والكسائى
ويعقوب انا على الخبر والقائل ابىّ بن خلف
واسناده الى جميعهم لرضاهم به (بل هـ
بلقاء ربهم) بالبعث او بتلقى ملك المو
وما بعده (كافرون) جاحدون (قل يتوفاكم
يستوفى نفوسكم لا يترك منها شيأ او لا يبـ
منكم احدا والتفعل والاستفعال يلتقيا
كثيرا كتقصيته واستقصيته وتعجلته
واستعجلته (ملك الموت الذى وكل بكم
بقبض ارواحكم واحصاء آجالكـ
(ثم الى ربكم ترجعون) للحساب والجز
(ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهـ
عند ربهم) من الحياء والخزى (ربنا) قائلـ
ربنا (ابصرنا) ما وعدتنا (وسمعنا) منك
تصديق رسلك (فارجعنا) الى الدنيـ
(نعمل صالحا انا موقنون) اذ لم يبق لنا شك
بما شاهدنا وجواب لو محذوف وتقدير
لرأيت امرا فظيعا ويجوز ان يكون للتمنـ
والمضى فيها وفى اذ لان الثابت فى علم الله
بمنزلة الواقع ولا يقدر لترى مفعول لان المعنـ
لو يكون منك رؤية فى هذا الوقت او يقد
مادل عليه صلة اذ والخطاب للرسول صلى الله
عليه وسلم او لكل احد

العباد يقع بسبب يرجعه ويفيض عليه من عند الله تعالى وذلك السبب ان كان نحو طاعة يسمى توفيقا ولطفا وان كان نحو معصية يسمى خذلانا وطبعاء وتقرير الجواب ان الرجوع الى الدنيا انما ينفعكم ان لو شئت توفيقكم للايمان والعمل الصالح ولو شئت ذلك فيكم لهديتكم وانتم فى الدنيا ولما لم اهدكم فيها تبين انى ما اردت ايمانكم وصلاحكم فلا فائدة لكم فى الرجوع الى الدنيا وهو قوله تعالى ولو شاء ربك لآمن من فى الارض كلهم جميعا وكقوله ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فانه تعالى انما يوفق للايمان والطاعة من علم منه اختيار ذلك واما من علم منه اختيار الكفر والمعصية فانه تعالى يخذله ويطبع على قلبه وهذا صريح فى الدلالة على صحة مذهب اهل السنة فانهم يقولون ان الله تعالى ما اراد ايمان الكافر وماشاء منه الا الكفر والمعتزلة يقولون شاء الله تعالى ان يهدى كل نفس وآتى كل نفس ماتهتدى به لكنها لم تهتد فهذه الآية حجة عليهم ويقولون فى الجواب عنها فى توجيهها المراد بالآية ولو شئنا ايتاء كل نفس هداها على طريق القهر والجبر لفعلنا ذلك لكنا بنينا الامر على الاختيار دون الاضطرار فاستحبوا الكفر على الايمان فحقت كلمة العذاب على الكافرين ونحن نقول هذا التأويل فاسد لانهم زعموا انه تعالى شاء من الكافر ان يهتدى وآتاه ما به يهتدى الا انه لم يهتد ولم تنفذ فيه مشيئة الله تعالى فكيف يقدر ويملك لمن يشاء مشيئة تقهرهم وتجبرهم على الاهتداء وايضا يقال لهم ان الايمان والتوحيد فى حال الجبر والقهر لايكون ايمانا لان الاكراه يرفع الفعل عن فاعله ويحوّله عنه الى المكره روى عن الحسن انه قال خطبنا ابو هريرة رضى الله عنه على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليعتذرن الله تعالى الى آدم عليه الصلاة والسلام ثلاث معاذير يقول الله تعالى يا آدم لولا انى لعنت الكذابين وابغضت الكذب والخلف واعذب عليه لرحمت اليوم ولدك اجمعين من شدّة ما اعددت لهم من العذاب ولكن حق القول منى لئن كذبت رسلى وعصى امرى لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين ويقول الله تعالى يا آدم اعلم انى لاادخل من ذريتك النار احدا ولا اعذب منهم بالنار احدا الا من قد علمت بعلمى انى لو رددته الى الدنيا لعاد الى شرّ ما كان فيه ولم يرجع ولم يعتب ويقول الله تعالى يا آدم قد جعلتك حكما بينى وبين ذريتك قم عند الميزان فانظر ما يرفع اليك من اعمالهم فمن رجح منهم خيره على شرّه مثقال ذرة فله الجنة حتى تعلم انى لاادخل منهم النار الا من كان ظالما فقوله تعالى ولكن حق القول منى تقديره ولكن لم اشأ ايتاء توفيق الايمان لكل نفس فبقى بعض منهم غير موفق للايمان والطاعة فاختار الكفر والعصيان فسبق قضائى وسبق وعيدى فى حقهم وهو قوله تعالى لابليس لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين من كفار الفريقين لاختيارهم الكفر والتكذيب وفى قوله تعالى من الجنة والناس دلالة على انه تعالى قد عصم ملائكته من عمل يستحقون به جهنم وانهم مبرأون من دخول النار وهذا يقتضى ان لايكون ابليس من الملائكة وهو الصحيح وقوله تعالى اجمعين تأكيد لاجتماع الفريقين فى كونهما مالئين لجهنم المدلول عليه بعطف الناس على الجنة بواو الجمع ولايلزم منه دخول كل احد من آحاد الفريقين النار لان المراد اجتماع الجنسين فى ان يملأ بهما جهنم لااستغراق آحادهما فى ذلك كما اذا قلت ملأت الكيس من الدراهم والدنانير جميعا فانه لايقتضى ان لايبقى درهم خارج عن الكيس ﴿قوله وذلك تصريح بعدم ايمانهم لعدم المشيئة﴾ لان لو لانتفاء الثانى لانتفاء الاوّل الذى هو المشيئة وكون عدم المشيئة مسببا عن سبق الحكم بانهم من اهل النار مبنى على ان قوله تعالى ولكن حق القول منى جيء به تعليلا لعدم المشيئة كأنه قيل لو شئنا ايتاء كل نفس هداها لآتيناها ذلك لكن لم نؤتها ذلك لعدم مشيئتنا اياه ولم نشأ ذلك لثبوت الحكم وسبق الوعيد بان من اهل الفريقين من هو اهل النار وهم الذين ثبت فى علمه تعالى انهم يختارون الحظوظ العاجلة على السعادات الباقية ويتركون التفكر فى العاقبة ترك الشيء المنسى ﴿قوله ولابد فمع جعل ذوق العذاب الخ﴾ جواب عما يقال ان الآية تدل على ان جميع ماهم عليه من سوء الحال مستند الى القضاء السابق المتعلق بشقاوتهم لانه يفهم منه ان عدم ايمانهم يستند الى سبق الحكم بانهم من اهل النار فيلزم منه ان يكون ذوق العذاب مستندا الى الحكم المذكور فكيف جعل مستندا الى نسيانهم العاقبة أليس هما متدافعين* وتقرير الجواب انه لاتدافع بينهما لان نسيان العاقبة من العلل المتوسطة لذوق العذاب واستناده الى النسيان لاينافى استناده بالآخرة الى الحكم المذكور فانه تعالى انما قضى وحكم بذلك لعلمه بانه يترك تفكر العاقبة ترك الشيء المنسى *فان قيل النسيان معفوّ عنه لقوله عليه الصلاة والسلام *رفع عن امتى الخطأ والنسيان* فكيف يؤاخذهم الله تعالى بسبب نسيانهم* فالجواب

(ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها) ماتهتدى به الى الايمان والعمل الصالح بالتوفيق له (ولكن حق القول منى) ثبت قضائى وسبق وعيدى وهو (لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين) وذلك تصريح بعدم ايمانهم لعدم المشيئة المسبب عن سبق الحكم بانهم من اهل النار ولابد فمع جعل ذوق العذاب مسببا عن نسيانهم العاقبة وعدم تفكرهم فيها بقوله (فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا) فانه من الوسائط والاسباب المقتضية له (انا نسيناكم) تركناكم من الرحمة وفى العذاب ترك المنسى وفى استئنافه وبناء الفعل على ان واسمها تشديد فى الانتقام منهم (وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون) كرر الامر للتأكيد ولما نيط به من التصريح بمفعوله وتعليله بافعالهم السيئة من التكذيب والمعاصى كما علله بتركهم تدبر امر العاقبة والتفكر فيه دلالة على ان كلا منهما يقتضى ذلك

(انما يؤمن بآياتنا الذين اذا ذكروا بها) وعظوا بها (خرّوا سجدا) خوفا من عذاب الله (وسبحوا) نزهوه عما لايليق به كالعجز عن البعث (بحمد ربهم) حامدين له خوفا من عذاب الله وشكرا على ما وفقهم للاسلام وآتاهم الهدى (وهم لايستكبرون) عن الايمان والطاعة كما يفعل من يصرّ مستكبرا (تتجافى جنوبهم) ترتفع وتتنحى (عن المضاجع) الفرش ومواضع النوم (يدعون ربهم) داعين اياه (خوفا) من سخطه (وطمعا) فى رحمته وعن النبى صلى الله عليه وسلم فى تفسيرها قيام العبد من الليل وعنه عليه الصلاة والسلام اذا جمع الله الاوّلين والآخرين جاء مناد ينادى بصوت يسمع الخلائق كلهم سيعلم اهل الجمع اليوم من اولى بالكرم ثم يرجع فينادى ليقم الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل ثم يرجع فينادى ليقم الذين كانوا يحمدون الله فى البأساء والضرّآء فيقومون وهم قليل فيسرّحون جميعا الى الجنة ثم يحاسب سائر الناس وقيل كان ناس من الصحابة يصلون من المغرب الى العشاء فنزلت فيهم (ومما رزقناهم ينفقون) فى وجوه الخير (فلا تعلم نفس ما اخفى لهم) لاملك مقرّب ولانبىّ مرسل (من قرّة اعين) مما تقرّ به عيونهم وعنه عليه الصلاة والسلام يقول الله اعددت لعبادى الصالحين مالا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله مااطلعتهم عليه اقرؤا ان شئتم فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرّة اعين وقرأ حمزة ويعقوب اخفى على انه مضارع اخفيت وقرئ نخفى واخفى والفاعل فى الكل هو الله تعالى وقرّات اعين لاختلاف انواعها والعلم بمعنى المعرفة وما موصولة او استفهامية معلق عنها الفعل (جزآء بما كانوا يعملون) اى جزوا جزآء او اخفى للجزآء فان اخفاءه لعلوّ شأنه وقيل هذا القوم اخفوا اعمالهم فاخفى الله ثوابهم (أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا) خارجا من الايمان (لا يستوون) فى الشرف والمثوبة تأكيد وتصريح والجمع للحمل على المعنى (اما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى) فانها المأوى الحقيق والدنيا منزل مرتحل عنه لامحالة وقيل المأوى جنة من الجنان (نزلا) سبق فى آل عمران (بما كانوا يعملون) بسبب اعمالهم او على اعمالهم (واما الذين فسقوا فمأواهم النار) مكان جنة المأوى للمؤمنين (كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها) عبارة عن خلودهم فيها (وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذى كنتم به تكذبون) اهانة لهم وزيادة فى غيظهم

انه ليس المراد بالنسيان المذكور بقوله بما نسيتم نسيان السهو والغفلة اذلاتبعة بما فعل فى حال السهو والغفلة ولان النسيان انما يكون بطريان الجهل على ما علم سابقا والمشركون لم يعتقدوا حقيقة البعث حتى يلحقهم نسيان بل المراد به عدم التذكر به مع ظهور براهينه فان من انهمك فى اتباع الشهوات واعرض عن التفكر فى العاقبة والتزوّد لها بالايمان والطاعة مع وضوح دلائلها وفور دواعى التهيؤ لها بمنزلة من علمها ثم نسيها فلذلك عبر عن تذكرها والتفكر فيها بلفظ النسيان اشارة الى كونهم منكرين لامر ظاهر وقوله انا نسيناكم بمعنى جازيناكم بجزآء نسيانكم ويسمى جزآء النسيان نسيانا على طريق المشاكلة كما يسمى جزآء السيئة سيئة فى قوله تعالى وجزآء سيئة سيئة مثلها او بمعنى تركناكم ترك الشئ المنسىّ فيكون استعارة تبعية ثم انه تعالى لما ذكر ان المشركين ينكرون البعث ويقولون أئذا ضللنا فى الارض أئنا لفى خلق جديد وانهم لايؤمنون بآيات الله تعالى اى بالقرآن ثم اجابهم بان ذلك كائن لامحالة ثم وصف حالهم الفظيعة فى موقف الحساب ذكر المؤمنين بعد ذكر ذلك فقال انما يؤمن بآياتنا اى بالقرآن المتدبرون لها المستمعون الى مواعظها بحيث اذا قرئ عليهم القرآن ووعظوا به خرّوا سجدا لله على وجوههم تذللا له وتعظيما لآياته **قوله تعالى تتجافى جنوبهم** يجوز ان يكون مستأنفا وان يكون حالا وكذلك يدعون وان جعل يدعون حالا احتمل ان يكون حالا ثانية وان يكون حالا من الضمير فى جنوبهم **قوله سيعلم اهل الجمع** مقول قول مقدر اى ينادى قائلا سيعلم **قوله فيسرّحون** اى يرسلون يقال سرّحت فلانا الى موضع كذا اى ارسلته اليه قيل نزلت الآية فى الذين لاينامون حتى يصلوا العشاء الاخيرة والفجر فى جماعة قال عليه الصلاة والسلام * من صلى العشاء فى جماعة كان كقيام نصف ليلة ومن صلى الفجر فى جماعة كان كقيام ليلة * والمشهور منه صلاة الليل لقوله عليه الصلاة والسلام * افضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم وافضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل * وقال عليه الصلاة والسلام * ان فى الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها اعدّها الله تعالى لمن ألان الكلام واطعم الطعام وتابع الصيام وصلى بالليل والناس نيام * **قوله مما تقرّ به عيونهم** على ان القرّة مصدر وصف به الثواب الذى تقرّ بسببه عيونهم ولا تلتفت الى غيره من القرار فان القلب اذا اطمأن بالشئ ورضى به لايبقى للعين طموح والتفات الى غيره فتقرّ * قال الجوهرى القرار فى المكان الاستقرار فيه تقول منه قررت بالمكان بالكسر اقرّ قرارا وقررت ايضا بالفتح اقرّ قرارا وقرورا وقررت به عينا قرّة وقرورا فيهما ورجل قرير العين وقد قرّت عينه تقرّ وتقرّ نقيض سخنت واقرّ الله عينه اى اعطاه حتى تقرّ فلا تطمح الى من هو فوقه ويقال تبرد دمعة عينه ولا تسخن فان للسرور دمعة باردة وللحزن دمعة حارة فالقرّة بالضم البرودة والقرّ بالضم البرد ويوم قرّ وليلة قرّة اى باردة والقرّتان الغداة والعشى **قوله عليه الصلاة والسلام بله مااطلعتهم عليه** من جملة قوله عليه الصلاة والسلام حكاية عن الله تعالى وبله اسم فعل بمعنى دع واترك **قوله وقرأ حمزة ويعقوب اخفى** بضم الهمزة وسكون الياء على لفظ المضارع المرفوع المسند الى ضمير المتكلم وحده وقرئ نخفى بضم نون العظمة وقرئ اخفى ماضيا مبنيا للفاعل وهو الله تعالى وقرأ العامة اخفى على لفظ الماضى المبنى للمفعول ومن ثمة فتحت ياؤه وقرأ الجمهور قرّة اعين بافراد قرّة لكونها مصدرا والمصدر اسم جنس والاصل فيه ان لايجمع وقرئ قرّات اعين على لفظ الجمع بالالف والتاء على ان يراد بالقرّة نوع من القرار وما موصولة والمعنى فلا تعلم نفس الشئ الذى اخفى لهم ومن قرّة حال من ما او استفهامية فعلى قرآءة من قرأ ما بعدها فعلا ماضيا تكون ما فى محل الرفع بالابتدآء والفعل الذى بعدها الخبر وعلى قرآءة من قرأه مضارعا تكون مفعولا مقدّما **قوله جزوا جزآء** يعنى ان جزآء منصوب اما على انه مصدر لفعله المحذوف او على انه مفعول له لقوله اخفى فان اخفاء الجزآء عن الاعين والاسماع والقلوب لعلوّ شأنه فكأنه قيل فلا تعلم نفس اىّ ثواب عظيم اعدّ لهم جزآء بقى الكلام فى ان الثواب كيف يكون جزآء لعمل العبد مع ان اخلاص العمل لله عز وجل للنعم الواصلة منه تعالى اليه قبل العمل كالتخليق والترزيق وغيرهما والثواب الواصل منه تعالى اليه بعد العمل انما هو تفضل محض وعطية مبتدأة وليس جزآء للعمل السابق الا انه تعالى سماه جزآء تشبيها بالجزآء فى وقوعه بعد العمل واظهارا لكرمه وسبق رحمته حيث لم يعتد بما انعم به عليه سابقا ولم يطلب من العبد ان يشكره بمقابلة ذلك وجعله تفضلا محضا بل وعد الجزآء والثواب بمقابلة احسان العبد وقال له كلما عملت حسنة ضاعفت لك اجرا وثوابا ثم اذا عرف ان هذا من فضل الله تعالى وكرمه فالواجب من جانب العبد ان يقول فعلىّ جزآء نعم الله السابقة ولا استحق به جزآء

(ولنذيقنهم من العذاب الادنى) عذاب الدنيا يريد ما محنوا به من السنة سبع سنين والقتل والاسر (دون العذاب الاكبر) عذاب الآخرة (لعلهم) لعل من بقي منهم (يرجعون) يتوبون عن الكفر روى ان الوليد بن عقبة فاخر عليا يوم بدر فنزلت هذه الآيات (ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم اعرض عنها) فلم يتفكر فيها وثم لاستبعاد الاعراض عنها مع فرط وضوحها وارشادها الى اسباب السعادة بعد التذكير بها عقلا كما في بيت الحماسة ولا يكشف الغماء الا ابن حرة * يرى غمرات الموت ثم يزورها (انا من المجرمين منتقمون) فكيف بمن كان اظلم من كل ظالم (ولقد آتينا موسى الكتاب) كما آتيناك (فلا تكن في مرية) في شك (من لقائه) من لقائك الكتاب لقوله وانك لتلقى القرآن فانا آتيناك من الكتاب مثل ما آتيناه منه فليس ذلك ببدع لم يكن قط حتى ترتاب فيه او من لقاء موسى الكتاب او من لقائك موسى وعنه عليه السلام رأيت ليلة اسرى بي موسى عليه السلام رجلا آدم طوالا جعدا كأنه من رجال شنوءة (وجعلناه) اى المنزل على موسى (هدى لبني اسرآئيل وجعلنا منهم ائمة يهدون) الناس الى ما فيه من الحكم والاحكام (بامرنا) اياهم به او بتوفيقنا لهم (لما صبروا) وقرأ حمزة والكسائي ورويس لما صبروا اى لصبرهم على الطاعة او عن الدنيا (وكانوا بآياتنا يوقنون) لامعانهم فيها النظر (ان ربك هو يفصل بينهم يوم القيامة) يقضي فيميز الحق من الباطل بتمييز المحق من المبطل (فيما كانوا فيه يختلفون) من امر الدين (اولم يهد لهم) الواو للعطف على منوي من جنس المعطوف والفاعل ضمير ما دل عليه (كم اهلكنا من قبلهم من القرون) اى كثرة من اهلكناهم من القرون الماضية او ضمير الله بدلالة القرآءة بالنون (يمشون في مساكنهم) يعني اهل مكة يمرون في متاجرهم على ديارهم وقرئ يمشون بالتشديد (ان في ذلك لآيات افلا يسمعون) سماع تدبر واتعاظ (اولم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز) التي جرز نباتها اى قطع وازيل لا التي لا تنبت لقوله (فنخرج به زرعا) وقيل اسم موضع باليمن (تأكل منه) من الزرع (انعامهم) كالتبن والورق (وانفسهم) كالحب والثمر (افلا يبصرون) فيستدلون به على كمال قدرته وفضله (ويقولون متى هذا الفتح) النصر او الفصل بالحكومة من قوله ربنا افتح بيننا (ان كنتم صادقين) في الوعد به

فاذا اثابه الله تعالى بقول الذي اثبت به كان جزآء وهذا ابتدآء احسان من الله تعالى يستحق بذلك ثناء وشكرا فيأتي بمقابلته حسنة وطاعة فيقول الله تعالى بمقتضى كرمه وفضله اني احسنت اليه جزآء فعله الاول وما فعلته اولا انما فعلته تفضلا لا اطلب شكره فيجازيه ثالثا فيشكر العبد ثالثا فيجازيه رابعا وعلى هذا لا تنقطع المعاملة بين الرب والعبد ثم انه تعالى لما بين فظاعة المجرمين ونكس رؤسهم في موقف الحساب ووصف ثواب المؤمنين وما اخفي لهم من قرة اعين قال افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا ثم صرح بانهما لا يستويان ثم فصل طريق امتياز احدهما عن الآخر بقوله اما الذين آمنوا الآية والنزل ما اعد للنازل من طعام وشراب وصلة وانتصابه على الحال من جنات والعامل فيها الظرف قال الشاعر

* وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا * جعلنا القنا والمرهفات له نزلا *

وقوله تعالى في حق المؤمنين لهم بلام التمليك زيادة اكرام لهم لان من قال لغيره اسكن هذه الدار يكون محمولا على العارية وله استردادها واذا قال له هذه الدار لك يكون محمولا على نسبة الملكية اليه وليس له استردادها الا ترى انه تعالى لما قال لآدم اسكن انت وزوجك الجنة اخرجهما منها ولو قال لكما الجنة لما اخرجهما ولما لم يكن للمؤمنين الخروج من الجنة في الآخرة قال لكم الجنة ولهم جنات ثم انه تعالى لما هددهم بالعذاب الاكبر الذي هو عذاب النار وعدهم بعذاب الدنيا ايضا فقال ولنذيقنهم من العذاب الادنى اى الاقرب فان عذاب الدنيا قريب دون العذاب الاكبر يعني به عذاب الآخرة الذي هو اكبر من عذاب الدنيا لكونه شديدا مديدا بخلاف عذاب الدنيا ﴿قوله فنزلت هذه الآيات﴾ اى من قوله تعالى افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا قال الوليد بن عقبة لعلي رضي الله تعالى عنه الى كم تهددني فوالله اني لاحد منك سنانا واشجع منك جنانا وابسط منك لسانا واملأ منك حشوا في الكتيبة فقال له علي اسكت يا فاسق فانزل الله تعالى هذه الآيات تصديقا لعلي رضي الله عنه * فان قيل ما وجه الترجي المستفاد من قوله تعالى لعلهم يرجعون والترجي محال على الله تعالى * فالجواب ان المعنى ولنذيقنهم اذاقة من يرجى رجوعهم الى الايمان كما ان قوله انا نسيناكم معناه تركناكم كما يترك الناسي حيث لا يلتفت اليه اصلا ويجوز ان يكون المعنى ولنذيقنهم العذاب اذاقة من رآه لعلهم يرجعون بسببه ثم انه تعالى لما هدد الفاسقين واوعدهم بعذاب الدارين بين استحقاقهم لذلك بقوله ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه فان مجرمي مكة قد ذكروا بمواعظ القرآن ولم يتفكروا فيها ولم يؤمنوا بها فلا احد اظلم منهم فاستحقوا بذلك لان ينتقم منهم ﴿قوله بعد التذكير بها﴾ ظرف الاعراض وقوله عقلا متعلق بالاستبعاد تمييز له والغماء الكربة الشديدة التي تغطي اهلها والمراد بها ههنا شدة اقتحام الحرب اى لا يكشف الامر العظيم الا رجل كريم يرى فحم الموت ثم يتوسطها وانما قال ابن حرة ليهيجه ويحرضه على الزيارة والمعنى ان زيارة غمرات الموت بعد رؤيتها مستبعدة مستنكرة في العقل والعادة وهو مع ذلك يزورها بعد استيقانه بانها غمرات الموت والزيارة بعد اليقين مما يستبعد وفي ايثار لفظ الزيارة واشعاره بانه يلاقيها لقاء معظم لمحبوبه مبالغة على مبالغة جعل ثم للاستبعاد لا للتراخي امازمانا فظاهر لانه لا وجه لان يقال في مقام المدح انه يرى غمرات الموت ثم يمكث زمانا طويلا متفكرا ثم يزورها لانه ذم له واما رتبة فلانه لا يستقيم ان يقال ان الاعراض ارفع درجة من التذكير وكذا لا يصح ان يقال في البيت ان الزيارة ارفع رتبة من رؤية غمرات الموت ﴿قوله من لقائك الكتاب﴾ على ان اللقاء مصدر اضيف الى مفعوله والمقصود تقرير رسالته عليه الصلاة والسلام وتحقيق ان ما معه من الكتاب وحي سماوي وكتاب الهي لا كما زعمه المشركون من ان البشر لا يوحى اليه ولا يتلقى الكتاب من لدن حكيم عليم كأنه قيل لست بدعا من رسول اوتي الكتاب الا ترى الى موسى عليه الصلاة والسلام قد بعث رسولا واوتي الكتاب وهو بشر مثلك فلا تشك في كونك رسولا مؤيدا بالكتاب السماوي فانه تعالى لما قرر الاصول الثلاثة الرسالة والتوحيد والحشر عاد الى الاصل الذي بدأ به وهو الرسالة المذكورة في قوله لتنذر قوما ما اتاهم من نذير والآدم من الناس الاسمر والطوال بالضم الطويل ويقال رجل جعد لمن لم يكن شعره مسترسلا وشعر سبط وسبط اى مسترسل غير جعد وشنوءة حي من احياء اليمن وكانت الجعودة غالبة فيهم روى ان التوراة انما جعلت هدى لبني اسرآئيل خاصة دون بني اسماعيل ولما اشار بقوله وجعلنا منهم ائمة يهدون الى ان منهم من لم يهتد به فضلا عن ان يهدي الناس الى ما فيه قال ان ربك هو يفصل بينهم ثم انه تعالى لما اعاد ذكر الرسالة بقوله ولقد آتينا موسى الكتاب اعاد ذكر التوحيد بقوله اولم يهد لهم الآية اى

(قل يوم الفتح لاينفع الذين كفروا ايمانهم ولاهم ينظرون) وهو يوم القيامة فانه يوم نصر المؤمنين على الكفرة والفصل بينهم وقيل يوم بدر او يوم فتح مكة والمراد بالذين كفروا المقتولون منهم فيه فانه لاينفعهم ايمانهم حال القتل ولايمهلون وانطباقه جوابا عن سؤالهم من حيث المعنى باعتبار ماعرف من غرضهم فانهم لما ارادوا به الاستعجال تكذيبا واستهزاء اجيبوا بما يمنع الاستعجال (فاعرض عنهم) ولاتبال بتكذيبهم وقيل هو منسوخ بآية السيف (وانتظر) النصرة عليهم (انهم منتظرون) الغلبة عليك وقرئ بالفتح على معنى انهم احقاء بان ينتظر هلاكهم او ان الملائكة ينتظرونه * عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ الم تنزيل وتبارك الذي بيده الملك اعطي من الاجر كانما احيى ليلة القدر * وعنه عليه السلام من قرأ الم تنزيل في بيته لم يدخل الشيطان بيته ثلاثة ايام

سورة الاحزاب مدنية وهي
ثلاث وسبعون آية

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا ايها النبي اتق الله) ناداه بالنبي وامره بالتقوى تعظيما له وتفخيما لشأن التقوى والمراد به الامر بالثبات عليه ليكون مانعا له عما نهى عنه بقوله (ولاتطع الكافرين والمنافقين) اى فيما يعود بوهن في الدين روي ان اباسفيان وعكرمة بن ابي جهل واباالاعور السلمي قدموا عليه في الموادعة التي كانت بينه وبينهم وقام معهم ابن ابي ومعتب بن قشير وجد بن قيس فقالوا له ارفض ذكر آلهتنا وقل ان لها شفاعة وندعك وربك فنزلت (ان الله كان عليما) بالمصالح والمفاسد (حكيما) لايحكم الا بما تقتضيه الحكمة (واتبع مايوحى اليك من ربك) كالنهي عن طاعتهم (ان الله كان بما تعملون خبيرا) فيوحي اليك مايصلحه ويغني عن الاستماع الى الكفرة وقرأ ابو عمرو بالياء على ان الواو ضمير الكفرة والمنافقين اى ان الله خبير بمكايدهم فيدفعها عنك (وتوكل على الله) وكل امرك الى تدبيره (وكفى بالله وكيلا) موكولا اليه الامور كلها (ماجعل الله لرجل من قلبين في جوفه) اى ماجمع قلبين في جوف لان القلب معدن الروح الحيواني المتعلق بالنفس الانساني اولا

الم يلبه ولم يهد لاهل مكة كثرة من اهلكناهم من القرون الماضية الى ان مخالفة الرسول تؤدي الى الهلاك العاجل وان اتباعه فيما دعا اليه من التوحيد والطاعة واجب على الامة وقوله يمشون في مساكنهم حال من ضمير لهم ثم انه تعالى لما بين الرسالة والتوحيد بين الحشر بقوله ويقولون متى هذا الفتح والمراد بالفتح اما القضاء والفصل بالحكومة بين المحق والمبطل واما نصر المؤمنين واظهارهم على الكفار لان المؤمنين كانوا يقولون يبعث الله تعالى الخلائق اجمعين ويحكم بين المطيع والعاصي فيثيب المطيع ويعاقب العاصي فيقولون متى هذا الفتح والحكم وكذا كان المؤمنون يقولون ان الله تعالى سيفتح لنا على المشركين ويظهر دين الاسلام وينصرنا الله ويظهرنا عليكم فقالوا متى هذا الفتح والنصرة وقيل المراد به يوم فتح مكة وقيل يوم بدر وقد قتل بعض من كنانة يوم فتح مكة على يد خالد بن الوليد وقوله لاينفع الذين كفروا ايمانهم ظاهر على تقدير ان يراد بيوم الفتح يوم القيامة لان الايمان المقبول هو الذي يكون في دار الدنيا ولايقبل بعد خروجهم منها ولاهم ينظرون اى يمهلون بالاعادة الى الدنيا ليؤمنوا فيقبل ايمانهم ومن حمل يوم الفتح على يوم بدر او يوم فتح مكة قال معناه لاينفع الذين كفروا ايمانهم اذا جاءهم العذاب وقتلوا لان ايمانهم حال القتل ايمان اضطرار وقد قال تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا ولاهم ينظرون اى يمهلون بتأخير العذاب عنهم ولما فتحت مكة هرب قوم من بني كنانة فلحقهم خالد بن الوليد فاظهروا الاسلام فلم يقبل منهم خالد وقتلهم فذلك قوله تعالى لاينفع الذين كفروا ايمانهم والله اعلم **قوله وانطباقه جوابا** مبتدأ ومن حيث المعنى خبر يعني انهم سألوا عن وقت الفتح وقوله تعالى قل يوم الفتح لاينفع الذين كفروا ايمانهم ولاهم ينظرون لايطابق ظاهر السؤال لكنه مطابق لمعنى سؤالهم ولما ارادوا منه فانهم ارادوا به استعجال الفتح تكذيبا له واستهزاء واجيبوا بان قيل لهم لاتستعجلوا به ولاتستهزؤا فان في وقوعه مايسوءكم ويجعلكم نادمين على استعجاله والاستهزاء به وقوله تعالى فاعرض عنهم معطوف على قوله قل يوم الفتح فانهم لما كذبوا ما اخبروا به من نصرة المؤمنين عليهم ومن حشر الخلائق اجمعين والحكم بينهم بتمييز المحق من المبطل ومجازاة كل واحد منهما على حسب حاله واستعجلوه على سبيل الاستهزاء قال تعالى له عليه الصلاة والسلام اجبهم بان تقول لهم لاتستعجلوا فان في وقوعه ضررا عظيما لكم ثم اعرض عنهم وانتظر وقوع ما اخبروا به من النصر والفصل بالحكومة وقرأ العامة انهم منتظرون بكسر الظاء على لفظ اسم الفاعل وقرئ منتظرون بفتح الظاء فعلى هذا التفسير لاوجه لان يقال انه منسوخ بآية السيف اذ لامنافاة بينهما * روي عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في صلاة الفجر يوم الجمعة الم تنزيل وهل اتى على الانسان * تم هنا مايتعلق بسورة الم تنزيل السجدة والآن اوان الشروع فيما يتعلق بسورة الاحزاب وهي مدنية

سورة الاحزاب

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله وتفخيما لشأن التقوى فان تعظيم المنادى ذريعة الى تعظيم شأن المنادى له **قوله والمراد به الامر بالثبات عليه** جواب عما يقال المشتغل بالشيء لايؤمر به فلا يقال للجالس مثلا اجلس فكيف امر عليه الصلاة والسلام بالتقوى وهو مشتغل بها وتقرير الجواب المشتغل بالشيء اذا امر به لايكون المطلوب احداث اصل الفعل لانه طلب تحصيل الحاصل بل يكون المطلوب الثبات عليه بالجد والاهتمام وعدم الميل الى ماينافيه والموادعة المصالحة وترك الحرب روي في نزول هذه الآية ان اباسفيان بن حرب وعكرمة بن ابي جهل واباالاعور السلمي واسمه عمرو بن سفيان قدموا المدينة بعد قتال احد فنزلوا على عبدالله بن ابي رأس المنافقين وجد بن قيس وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطاهم الامان على ان يكلموه فكلموه بما شق عليه فقال عمر رضي الله عنه ائذن لي يارسول الله في قتلهم فقال عليه الصلاة والسلام قد اعطيتهم الامان فاخرجهم من المدينة فقال لهم عمر اخرجوا في لعنة الله تعالى وغضبه فانزل الله تعالى يا ايها النبي اتق الله ولاتطع الكافرين اى من اهل مكة والمنافقين من اهل المدينة **قوله وقرأ ابو عمرو بالياء** اى بياء الغيبة والباقون بتاء الخطاب كقوله يا ايها النبي لان المراد هو وامته او خوطب بلفظ الجمع تعظيما له كما في قوله * فان شئت حرمت النساء سواكو * **قوله لان القلب معدن الروح الحيواني المتعلق بالنفس الانساني** الروح الحيواني هو البخار اللطيف المتكون من غليان الدم الحاصل في جوف اللحم الصنوبري المثبت في الجانب الايسر منه وينفصل من هذا البخار قسم ويتوجه الى جانب الكبد وذلك القسم

يسمى روحا طبيعيا ويتعلق به احوال المعدة وطبخ الاغذية والافعال النباتية وقسم آخر يتصاعد الى الدماغ بواسطة الشرايين ويسمى روحا نفسانيا ويتعلق به الافعال الحيوانية وهذا القسم لغاية لطافته يسرى الى جميع اطراف البدن وعروقه واعضائه ويتعلق به النفس الناطقة الانسانية اوّلا وبواسطته تتعلق بالبدن ﴿ **قوله** وذلك يمنع التعدّد ﴾ اى وكون القلب معدنا للروح الحيوانى ومنبع القوى باسرها يمنع تعدّد القلب من حيث ان تعدّده يستلزم التناقض وهو ان يكون كل واحد منهما محتاجا اليه ومستغنى عنه فان كون كل واحد منهما قلبا يستلزم كونه اصلا لسائر القوى وكون الاخر قلبا يستلزم ان لا يكون الاوّل اصلا له كما ان يكون احدى العلتين علة تامة تستلزم كونها محتاجا اليها وكون الاخرى كذلك يستلزم كون الاولى مستغنى عنها هذا على تقدير ان يفعل بكل واحد منهما مثل ما يفعله بالاخر واما ان فعل باحد منهما غير ما يفعله بالآخر فحينئذ يلزم ان يكون الانسان راضيا كارها موقنا شاكا فى حالة واحدة وهو محال ﴿ **قوله** ولا الدعوة والبنوّة ﴾ الدعوة بفتح الدال مصدر يراد به الدعاء الى الطعام وبكسرها يستعمل فى التبنى وادّعاء النسب والادعياء جمع دعىّ بمعنى مدعوّ فعيل بمعنى مفعول واصله دعيو فادغم وجمع على ادعياء على خلاف الاصل لان افعلاء انما يكون جمعا لفعيل المعتل اللام اذا كان بمعنى فاعل نحو تقىّ واتقياء وغنىّ واغنياء واما ان كان فعيلا معتل اللام بمعنى مفعول فكان القياس ان يجمع على فعلى كقتيل وقتلى وجريح وجرحى ونظير هذا فى الشذوذ قولهم اسير واسرى والقياس اسرآء وقد سمع فيه الاصل فقوله تعالى وما جعل ادعياءكم ابناءكم معناه ما جعل من تبنيتموه ابناءكم نسخ الله تعالى التبنى وكان الرجل فى الجاهلية يتبنى رجلا فيدعوه الناس اليه ويرث ميراثه وكان النبى عليه الصلاة والسلام اعتق زيد بن حارثة وتبناه فلما تزوّج النبى صلى الله عليه وسلم ام المؤمنين زينب بنت جحش وكانت تحت زيد بن حارثة قال المنافقون تزوّج محمد امرأة ابنه وهو ينهى الناس عن ذلك فانزل الله تعالى هذه الآية ونسخ التبنى بها واللب العقل واللبيب العاقل وكذا الاريب من الارب وهو الدهاء وجودة الرأى وكان كل واحد من ابى معمر وجميل رجلا لبيبا حافظا لما يسمعه من الوقائع مكثرا لرواية الحوادث الماضية وكان لا يمرّ فى طريق من طرق البلدان الا ويعرفه بعد سنين متطاولة وكانت قريش تقول فى حقهما انهما ما يحفظان هذه الاشياء الا ولهما قلبان وكانا يدعيان بذلك وكان ابو معمر يقول لى قلبان اعقل بكل منهما افضل من عقل محمد صلى الله عليه وسلم وروى انه انهزم يوم بدر فمرّ بابى سفيان وهو معلق احدى نعليه بيده والاخرى فى رجله فقال له ابو سفيان ما فعل الناس فقال هم ما بين مقتول وهارب فقال له مالى ارى احدى نعليك فى رجلك والاخرى فى يدك فقال ما ظننت الا انهما فى رجلىّ فعلم الناس يومئذ انه لو كان له قلبان لما نسى نعله فى يده ﴿ **قوله** والزوجة المظاهر منها ﴾ منصوب بالعطف على اللبيب اى ومن ان الزوجة المظاهر منها كالام وان دعىّ الرجل ابنه وكان الظهار طلاقا فى الجاهلية وكانوا يتجنبون المرأة المظاهر منها تجنب المطلقة فردّ الله تعالى ما زعمته العرب من كونه مزيلا للنكاح الا انه قرر كونه موجبا لاصل الحرمة وجعل تلك الحرمة موقتة الى اداء الكفارة كما يجيئ فى سورة المجادلة من انه تعالى نهى عن الظهار وجعله منكرا من القول وزورا واوجب الكفارة على من ظاهر من امرأته ﴿ **قوله** او المراد نفى الامومة الخ ﴾ عطف على قوله والمراد ردّ ما كانت العرب يعنى ان المراد من الآية اما نفى كل واحد من الامور الثلاثة التى زعمتها العرب او نفى الاخيرين منها ونفى الاوّل انما هو ليقاس عليه انتفاؤهما من حيث اشتراك الجميع فى كونه تقوّلا محضا لا حقيقة له ﴿ **قوله** وقرأ ابو عمرو واللاى ﴾ يعنى ان جمع قولنا التى فيه ثلاث لغات قرئ بهن فقرأ الكوفيون وابن عامر اللائى ههنا وفى سورة الطلاق بياء ساكنة بعد همزة مكسورة وهو الاصل فى هذه اللفظة وقرأ ابو عمرو اللاى بياء ساكنة بعد الف محضة اصله اللائى فحذفت الهمزة تخفيفا فبقيت الياء الساكنة ومن قرأ بهمزة مكسورة بدون الياء حذف الياء اكتفاء عنها بالكسرة ﴿ **قوله** واصل تظهرون ﴾ بفتح التاء والظاء والهاء وتشديد الظاء والهاء بغير الف بينهما فانها قرآءة الجمهور اصله تتظهرون بتاءين فادغمت الثانية فى الظاء كما فى تذكرون وقرأ ابن عامر تظاهرون بفتح التاء والهاء وتشديد الظاء والف بعدها مضارع تظاهر واصله تتظاهرون بتاءين فادغمت الثانية وكذا فى الماضى الا انه اتى بهمزة الوصل بعد الادغام فيه ليمكن الابتدآء فصار اظاهر وحمزة والكسائى تظاهرون بتخفيف الظاء والاصل ايضا تتظاهرون بتاءين حذفت احداهما وعاصم تظاهرون بضم التاء وكسر الهاء وتخفيف الظاء والف بعدها مضارع ظاهر وقرئ تظهرون بضم التاء وفتح الظاء المخففة

ومنبع القوى باسرها وذلك يمنع التعدّد ﴿وماجعل ازواجكم اللائى تظاهرون منهن امهاتكم وماجعل ادعياءكم ابناءكم﴾ وماجمع الزوجية والامومة فى امرأة ولا الدعوة والبنوّة فى رجل والمراد بذلك ردّ ما كانت العرب تزعم من ان اللبيب الاريب له قلبان ولذلك قيل لابى معمر وقيل لجميل بن اسد الفهرى ذو القلبين والزوجة المظاهر منها كالام ودعىّ الرجل ابنه ولذلك كانوا يقولون لزيد بن حارثة الكلبى عتيق رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن محمد او المراد نفى الامومة والبنوّة عن المظاهر منها والمتبنى ونفى القلبين لتمهيد اصل يحملان عليه والمعنى كما لم يجعل الله قلبين فى جوف لادآئه الى تناقض وهو ان يكون كل منهما اصلا لكل القوى وغير اصل لم يجعل الزوجة والدعىّ اللذين لا ولادة بينهما وبينه امه وابنه اللذين بينهما وبينه ولادة وقرأ ابو عمرو واللاى بالياء وحده على ان اصله اللاء بهمزة فخففت وعن الحجازيين مثله وعنهما وعن يعقوب بالهمز وحده واصل تظهرون تتظهرون فادغمت التاء الثانية فى الظاء وقرأ ابن عامر تظاهرون بالادغام وحمزة والكسائى بالحذف وعاصم تظاهرون من ظاهر وقرئ تظهرون من ظهر بمعنى ظاهر كعقد بمعنى عاقد وتظهرون من الظهور

ومعنى الظهار ان يقول للزوجة انت علىّ كظهر امى مأخوذ من الظهر باعتبار اللفظ كالتلبية من لبيك وتعديته بمن لتضمنه معنى التجنب لانه كان طلاقا في الجاهلية وهو في الاسلام يقتضي الطلاق او الحرمة الى اداء الكفارة كما عدى آلى بها وهو بمعنى حلف وذكر الظهر للكناية عن البطن الذي هو عموده فان ذكره يقارب ذكر الفرج او للتغليظ في التحريم فانهم كانوا يحرمون اتيان المرأة وظهرها الى السماء والادعياء جمع دعىّ على الشذوذ وكأنه شبه بفعيل بمعنى فاعل فجمع جمعه (ذلكم) اشارة الى كل ماذكر او الى الاخير (قولكم بافواهكم) لا حقيقة له في الاعيان كقول الهاذى (والله يقول الحق) ماله حقيقة عينية مطابقة له (وهو يهدى السبيل) سبيل الحق (ادعوهم لآبائهم) انسبوهم اليهم وهو افراد للمقصود من اقواله الحقة وقوله (هو اقسط عند الله) تعليل له والضمير لمصدر ادعوا واقسط افعل تفضيل قصد به الزيادة مطلقا من القسط بمعنى العدل ومعناه البالغ في الصدق (فان لم تعلموا آباءهم) فتنسبوهم اليهم (فاخوانكم في الدين) فهم اخوانكم في الدين (ومواليكم) واولياؤكم فيه فقولوا هذا اخى ومولاى بهذا التأويل (وليس عليكم جناح فيما اخطأتم به) ولا اثم عليكم فيما فعلتموه من ذلك مخطئين قبل النهى او بعده على النسيان اوسبق اللسان (ولكن ما تعمدت قلوبكم) ولكن الجناح فيما تعمدت قلوبكم او ولكن ما تعمدت قلوبكم فيه الجناح (وكان الله غفورا رحيما) لعفوه من المخطئ واعلم ان التبنى لاعبرة له عندنا وعند ابى حنيفة يوجب عتق مملوكه ويثبت النسب لمجهوله الذي يمكن الحاقه به (النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم) في الامور كلها فانه لايأمرهم ولا يرضى منهم الا بما فيه صلاحهم ونجاحهم بخلاف النفس فلذلك اطلق فيجب عليهم ان يكون احب اليهم من انفسهم وامره انفذ فيهم من امرها وشفقتهم عليه اتم من شفقتهم عليها روى انه عليه الصلاة والسلام اراد غزوة تبوك فامر الناس بالخروج فقال ناس نستأذن آباءنا وامهاتنا فنزلت وقرئ وهو اب لهم اى في الدين فان كل نبىّ اب لامته من حيث انه اصل فيما به الحياة الابدية ولذلك صار المؤمنون اخوة (وازواجه امهاتهم) منزلات منزلتهن في التحريم واستحقاق التعظيم وفيما عدا ذلك فكالاجنبيات ولذلك قالت عائشة لسنا امهات النساء (واولوا الارحام) وذووا القرابات (بعضهم اولى ببعض) في التوارث وهو نسخ لما كان في صدر الاسلام من التوارث بالهجرة والموالاة في الدين

وتشديد الهاء المكسورة مضارع ظهر بتضعيف العين وقرئ تظهرون بفتح التاء والهاء وسكون الظاء مضارع ظهر مخففا ثلاثيا وقوله من الظهور بيان لكون البناء مأخوذا من الفعل الثلاثي ببيان مصدره وليس المقصود ان من قرأ تظهرون منهن يجعله مأخوذا من الظهور لتصريحه بان الافعال المستعملة في الظهار كلها مأخوذة من الظهر على طريق اخذ اللفظ من لفظ آخر كما يقال لبي المحرم بمعنى قال لبيك وامّن بمعنى قال آمين وسبح اى قال سبحان الله وان كان الاصل والاكثر في الاستعمال ان يعبر بالالفاظ عن المعانى لاعن اللفظ ومدلول نحو قولك اظهر واظاهر وظهر وظهر كلها الفاظ فان معنى الجميع انه قال لزوجته انت علىّ كظهر امى **قوله كما عدى آلى بها وهو بمعنى حلف** وحلف لايتعدى بمن الا انه لما تضمن معنى التجنب من قربان زوجته مدة الايلاء عدى بمن **قوله وذكر الظهر للكناية عن البطن** يعنى ان قصد المظاهر ان يحرم عليه قربان امرأته بتشبيه قربانها بقربان امه والمرأة انما يؤتى لها من قبل بطنها فكان الظاهر ان يقول المظاهر انت علىّ كبطن امى في الحرمة الا انه كنى عن البطن بالظهر احترازا عن ذكر البطن الذي ذكره قريب من ذكر الفرج ووجه الكناية التي هي ذكر اللازم وارادة الملزوم كون الظهر عمود البطن ولا زواله في قيامه واستمساكه **قوله او للتغليظ في التحريم** فان قربان الام من جانب ظهرها لما كان اغلظ في الحرمة كان تشبيه الزوجة بظهر الام اغلظ في تحريمها عليه وكان اهل المدينة يقولون اذا اتيت المرأة ووجهها الى الارض جاء الولد احول **قوله اشارة الى كل ماذكر الخ** اذ يصدق على كل واحد منها انه قول بالفم فحسب اذ ليس شيء منها اخبارا عن الواقع والله يقول الحق اى يقول القول المطابق للواقع ويهدى سبيل الحق اى افرد من جملة اقواله الحقة ماهو المناسب لهذا المقام فقال ادعوهم لآبائهم وكانت الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين يدعون زيد بن محمد الى ان نزلت هذه الآية فلما نزلت قالوا زيد بن حارثة **قوله ولكن الجناح فيما تعمدت** يعنى ان كلمة ما يجوز فيها وجهان احدهما ان تكون مجرورة المحل عطفا على ما المجرورة قبلها بفى والتقدير ولكن الجناح فيما تعمدت والثانى ان تكون مرفوعة المحل على الابتداء وخبرها محذوفا **قوله لعفوه من المخطئ** علة لكونه تعالى رحيما للمخطئ بمغفرته فان المغفرة هى ان يستر القادر قبيح من تحت قدرته حتى ان العبد اذا ستر عيب سيده مخافة عقابه لايقال انه غفر لسيده والرحمة ان يميل الى المرحوم بالاحسان اليه بمجرد عجز المرحوم من غير توقع عوض من قبله فاذا ذكرت المغفرة قبل الرحمة يكون المعنى انه ستر عيبه ثم رآه مفلسا عاجزا فرحمه واعطاه ما كفاه ولما كان هذا المعنى غير مناسب في هذا المقام اذ لا وجه لان يحمل الكلام على انه تعالى غفور للمخطئ متفضل عليه بعد ستر خطاه بالاحسان ازآئد على المغفرة فلذلك جعل ذكر الرحمة للاشارة الى علة عفوه عن المخطئ وهو الاحسان اليه بناء على عجزه عن الاحتراز عما ارتكبه لنسيانه او لسبق لسانه **قوله وعند ابى حنيفة يوجب عتق مملوكه** سواء كان المملوك معروف النسب او مجهوله وسواء كان اصغر سنا من المتبنى بحيث يولد مثله لمثله اولا وعند صاحبيه لايعتق اذا كان المملوك اكبر سنا من المتبنى ووافقا الامام الشافعى في هذه المسئلة **قوله منزلات منزلتهن** يعنى انه من باب التشبيه البليغ حذفت فيه اداة التشبيه للمبالغة ووجه الشبه وجوب تعظيمهن وحرمة نكاحهن قال تعالى ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا وهن فيما وراء ذلك كالاجانب وليس المراد التشبيه في جميع احكام الامهات الاترى ان النظر اليهن والخلوة بهن حرام كما في الاجانب قال تعالى واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ولايقال لبناتهن هن اخوات للمؤمنين الاترى انه عليه الصلاة والسلام زوّج بناته لعلىّ وذى النورين رضى الله عنهم اجمعين ولايقال ايضا لاخوتهن واخواتهن اخوال المؤمنين وخالاتهم حتى تزوّج الزبير اسماء بنت ابى بكر وهى اخت ام المؤمنين عائشة رضى الله عنها وهذا معنى ماروى مسروق ان امرأة قالت لعائشة رضى الله عنها يا امه فقالت لست لك بام انما انا ام رجالكن فتريدان معنى الآية التشبيه في بعض الاحكام وهو كونهن محرمات على الرجال كحرمة امهاتهم **قوله وهو نسخ لما كان في صدر الاسلام** وهو ان يكون التوارث مبنيا على كون المتوارثين متوافقين في الهجرة او في التعاون والتناصر في الدين فمن وجد فيه هذه الصفة وان كان من الاجانب يرجح على القريب المؤمن الذي لم توجد فيه هذه الصفة ويقصد بذلك تألف قلوبهم على التناصر في الدين وتحمل مشاق الهجرة كما يتألف قلوب قوم باعطائهم سهما من الصدقات ثم نسخ ذلك بقوة الاسلام وكثرة اهله كان الناس في اوّل الاسلام يتوارثون بالهجرة لكونها من آكد اسباب الديانة والمواخاة اذ هى اجتماع على نصرة دين الله تعالى ثم بعد

قوله عطف على اخذنا اى مادل عليه اخذنا فان بعثة الرسل واخذ الميثاق منهم بتبليغ الرسالة الى الامم ودعوتهم الى الدين القويم انما هو لاثابة المؤمنين فكأنه قيل ان الله تعالى اكد على الانبياء الدعوة الى دينه لاثابة المؤمنين واعد للكافرين **قوله وكانوا زهاء اثنى عشر الفا** اى قدرها لما ذكر الله تعالى فى اول السورة قوله ولا تطع الكافرين والمنافقين وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا ذكر شأن الكفار والمنافقين مع اهل الاسلام وما يدل على وجوب التوكل على الله وكفايته فى الامور كلها فقال يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله الآية وذكر النعمة شكرها * وغطفان ابو قبيلة وهو غطفان بن سعد بن قيس غيلان وقيس ابو قبيلة من مضر وهو قيس غيلان والصبا ريح تجيئ من قبل المشرق والدبور من قبل المغرب والنبل السهام العربية وهى مؤنثة لا واحد لها من لفظها **قوله فاخصرتهم** اى ابردتهم والخصر بالتحريك البرد وقد خصر الرجل اذا آلمه البرد فى اطرافه وسفت التراب سفيا اى ذرته وطيرته والذاريات الرياح **قوله فالنجاء** اى الزموا النجاء من قولك نجوت نجاء اى اسرعت والهمزة فيه منقلبة عن واو كما فى كساء * اقبلت قريش فى ايام الخندق فى عشرة آلاف من الاحابيش وهم الجماعات المتفرقة اجتمعوا على امر من بنى كنانة واهل تهامة وقائدهم ابو سفيان وخرج غطفان معهم فى الف ومن تبعهم من اهل نجد وقائدهم عيينة بن حصن وعامر بن الطفيل من هوازن ومعهم يهود قريظة والنضير وحين سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم باقبالهم اشار عليه سلمان رضى الله عنه بحفر الخندق على المدينة ثم خرج فى ثلاثة آلاف من المسلمين وضرب معسكره والخندق بينه وبين العدو وامر بالذرارى والنساء فرفعوا فى الآكام واشتد الخوف ومضى على الفريقين قريب من شهر لا حرب بينهم الا الترامى بالنبل والحجارة حتى انزل الله النصر روى ان شابا قال لحذيفة بن اليمان يا اباعبدالله هل رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اى والله لقد رأيت قال والله لو رأيناه لحملناه على رقابنا وما تركناه يمشى على الارض وقال له حذيفة يا ابن اخى افلا احدثك عنى وعنه قال بلى قال والله لو رأيتنا يوم الخندق وما بنا من الجهد والجوع والخوف ما لا يعلمه الا الله لما قلت ذلك قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى ماشاء الله من الليل فقال الا رجل يأتينا بخبر القوم جعله الله رفيقا لى فى الجنة فوالله ماقام منا احد مما بنا من الخوف والجهد والجوع ثم صلى ماشاء الله ثم قال الا رجل يأتينا بخبر القوم جعله الله رفيقا لى فى الجنة فقال حذيفة فوالله ماقام منا احد مما بنا من الخوف والجهد والجوع فلما لم يقم احد دعانى فلم اجد بدا من اجابته قلت لبيك فقال اذهب فجئنى بخبر القوم ولا تحدثن شيأ حتى ترجع قال فأتيت القوم واذا ريح الله وجنوده تفعل بهم ماتفعل ما يستمسك لهم بناء ولا تثبت لهم نار ولا تطمئن لهم قدر وانى كذلك اذ خرج ابو سفيان من رحله ثم قال يامعشر قريش لينظر احدكم من جليسه قال الراوى يخوفهم ان يكون عليهم عيون من المسلمين قال حذيفة فبدأت بالذى الى جنبى فقلت من انت قال انا فلان ثم دعا ابو سفيان براحلته فقال يامعاشر قريش فوالله ما انتم بدار مقام لقد هلك الخف والحافر واخلفتنا بنو قريظة وهذه الريح لا يستمسك لنا معها شيئ ولا تثبت لنا نار ولا تطمئن قدر فارتحلوا فانى مرتحل ثم عمد فركب راحلته وانها لمعقولة ماحل عقالها الا بعد ماركبها قال فقلت فى نفسى لو رميت عدو الله فقتلته كنت صنعت شيأ فوترت قوسى ثم وضعت السهم فى كبد القوس وانا اريد ان ارميه فاقتله فذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحدثن شيأ حتى ترجع قال فحططت القوس ثم رجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى فلما سمع حسى فرج بين رجليه فدخلت تحته وارسل على طائفة من مرطه فركع وسجد ثم قال ما الخبر فاخبرته فقال عليه الصلاة والسلام * نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور * فانهزموا بغير قتال كفى الله المؤمنين القتال والحمد لله رب العالمين **قوله الانواع من الظن** يعنى جمع الظن مع انه مصدر حقه ان لا يجمع من حيث انه قصد به ظنون مختلفة ظن كل فريق على حسب اختلاف بينهم قوة وضعفا وتعريف الظنون يحتمل ان يكون للاستغراق مبالغة بمعنى تظنون كل ظن لان كل احد يظن شيأ عند اشتداد الامر ويحتمل ان يكون للعهد اى ظنونهم المعهودة لان المعهود عن المؤمن ظن الخير بالله كما قال عليه الصلاة والسلام * ظنوا بالله خيرا * ومن الكافر الظن السوء قال تعالى ذلك ظن الذين كفروا **قوله والالف مزيدة فى امثاله** كقوله واطعنا الرسولا وقوله فاضلونا السبيلا قرأ نافع وابن عامر وابو بكر باثبات الالف فيها وصلا ووقفا موافقة للرسم لانهن رسمن فى المصحف بالالف وايضا فان هذه الالف تشبه هاء السكت فى كونها مزيدة لبيان الحركة وهاء السكت تثبت وقفا للحاجة اليها وقد ثبتت وصلا اجراء للوصل مجرى

(واعد للكافرين عذابا اليما) عطف على اخذنا من جهة ان بعثة الرسل واخذ الميثاق منهم لاثابة المؤمنين او على مادل عليه ليسأل كأنه قال فاثاب المؤمنين واعد للكافرين (يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود) يعنى الاحزاب وهم قريش وغطفان ويهود قريظة والنضير وكانوا زهاء اثنى عشر الفا (فارسلنا عليهم ريحا) ريح الصبا (وجنودا لم تروها) الملائكة روى انه لما سمع باقبالهم ضرب الخندق على المدينة ثم خرج اليهم فى ثلاثة آلاف والخندق بينه وبينهم ومضى على الفريقين قريب شهر لا حرب بينهم الا الترامى بالنبل والحجارة حتى بعث الله عليهم صبا باردة فى ليلة شاتية فاخصرتهم وسفت التراب فى وجوههم واطفأت نيرانهم وقلعت خيامهم وماجت الخيل بعضها فى بعض وكبرت الملائكة فى جوانب المعسكر فقال طلحة بن خويلد الاسدى اما محمد فقد بدأكم بالسحر فالنجاء النجاء فانهزموا من غير قتال (وكان الله بما تعملون) من حفر الخندق وقرأ البصريان بالياء اى بما يعمل المشركون من التحزب والمحاربة (بصيرا) رائيا (اذ جاؤكم) بدل من اذ جاءتكم (من فوقكم) من اعلى الوادى من قبل المشرق بنوا غطفان (ومن اسفل منكم) من اسفل الوادى من قبل المغرب قريش (واذ زاغت الابصار) مالت عن مستوى نظرها حيرة وشخوصا (وبلغت القلوب الحناجر) رعبا فان الرئة تنتفخ من شدة الروع فترتفع بارتفاعها الى رأس الحنجرة وهى منتهى الحلقوم مدخل الطعام والشراب (وتظنون بالله الظنونا) الانواع من الظن فظن المخلصون الثبت القلوب ان الله منجز وعده فى اعلاء دينه او ممتحنهم فخافوا الزلل وضعف الاحتمال والضعاف القلوب والمنافقون ماحكى عنهم والالف مزيدة فى امثاله تشبيها للفواصل بالقوافى وقد اجرى نافع وابن عامر وابوبكر فيها الوصل مجرى الوقف ولم يزدها ابوعمرو وحمزة ويعقوب مطلقا وهو القياس

(هنالك ابتلى المؤمنون) اختبروا فظهر المخلص من المنافق والثابت من المتزلزل (وزلزلوا زلزالا شديدا) من شدة الفزع وقرئ زلزالا بالفتح (واذيقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض) ضعف اعتقاد (ماوعدنا الله ورسوله) من الظفر واعلاء الدين (الاغرورا) وعدا باطلا قيل قائله معتب بن قشير قال يعدنا محمد فتح فارس والروم واحدنا لايقدر ان يتبرز فرقا ما هذا الاوعد غرور (واذقالت طائفة منهم) يعنى اوس بن قيظى واتباعه (يااهل يثرب) اهل المدينة وقيل هو اسم ارض وقعت المدينة فى ناحية منها (لامقام لكم) لاموضع قيام لكم ههنا وقرأ حفص بالضم على انه مكان اومصدر من اقام (فارجعوا) الى منازلكم هاربين وقيل المعنى لامقام لكم على دين محمد صلى الله عليه وسلم فارجعوا الى الشرك واسلموه لتسلموا اولامقام لكم بيثرب فارجعوا كفارا ليمكنكم المقام بها (ويستأذن فريق منهم النبى) للرجوع (يقولون ان بيوتنا عورة) غير حصينة واصلها الخلل ويجوز ان يكون تخفيف العورة من عورت الدار اذا اختلت وقد قرئت بها (وماهى بعورة) بل هى حصينة (ان يريدون الافرارا) اى مايريدون بذلك الاالفرار من القتال (ولودخلت عليهم) دخلت المدينة اوبيوتهم (من اقطارها) من جوانبها وحذف الفاعل للايماء بان دخول هؤلاء المتحزبين عليهم ودخول غيرهم من العساكر سيان فى اقتضاء الحكم المرتب عليه (ثم سئلوا الفتنة) الردة ومقاتلة المسلمين (لآتوها) لاعطوها وقرأ الحجازيان بالقصر بمعنى لجاؤها وفعلوها (وماتلبثوا بها) بالفتنة اوباعطائها (الايسيرا) ريثمايكون السؤال والجواب وقيل ومالبثوا بالمدينة بعد الارتداد الايسيرا (ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لايولون الادبار) يعنى بنى حارثة عاهدوا رسول الله يوم احد حين فشلوا ثم تابوا ان لايعودوا لمثله (وكان عهد الله مسئولا) عن الوفاء به مجازى عليه (قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل) فانه لابد لكل شخص من حتف انف اوقتل فى وقت معين سبق به القضاء وجرى عليه القلم

الوقف فكذلك هذه الالف وقرأ ابوعمرو وحمزة بحذفها فى الحالتين لانها لااصل لها والباقون باثباتها وقفا وحذفها وصلا اجرآء للفواصل مجرى القوافى فى ثبوت الف الاطلاق كما فى قوله

اقلى اللوم عاذل والعتابا ❊ وقولى ان اصبت لقد اصابا

فكما زادوا الالف فى القافية زادوها فى الفاصلة ايضا تشبيها رؤس الآيات باواخر الابيات من حيث ان كل واحدة منهما مقطع الكلام ولان هذه الالف كهاء السكت وهى تثبت وقفا وتحذف وصلا فكذا الالف وقوله تعالى هنالك منصوب بابتلى اى فى ذلك المكان البعيد وهو الخندق وبعده لكونه موضع الشدة والبلاء او فى تلك الحال والزمان على ان يكون هنالك ظرف زمان اختبر المؤمنون اى الذين اظهروا الايمان ليتبين المخلص من المنافق والابتلاء من الله تعالى ليس لابانة الامر له بل لاظهاره لغيره من الملائكة والانبياء كما ان السيد اذا علم من عبده المخالفة وعزم على معاقبته على تمرده وعصيانه وعنده غيره فانه يأمر ذلك العبد بامر بمحضر من عنده عالما بانه يخالفه لكى يتبين الامر عند الغير فتقع المعاقبة على احسن الوجوه حيث لايذهب وهم احد انه ظلم عبده ﴿قوله ماهذا الاوعد غرور﴾ وهو الاطماع فيما لامطمع فيه وهذا تفسير للظنون وبيان لظن من يرى كثرة العدو وضيق الامر بالمسلمين فيقول لوكان الله يريد ان ينصرهم لمابلغ الامر هذا المبلغ بل الظاهر انه يستأصلهم فى هذا الموضع وماوعده الله ورسوله من نصرة المؤمنين واعلاء الدين وفتح مدآئن كسرى وقيصر ليس الاوعد غرور وكيف لاونحن لاتأمن ان نذهب الخلاء روى انه عليه الصلاة والسلام ضرب بالمعول فى الخندق ضربات اضاءت له منها قصور الشام واليمن والعراق فبشر بانها ستفتح عليهم وهم حينئذ فى جهد شديد وخوف عظيم فقال بعض من المنافقين يعدنا محمد بهذا ونحن لانستطيع ان نبرز للخلاء ﴿قوله ضعف اعتقاد﴾ اشارة الى ان الذى مرض غير المنافقين لان المنافق كافر لااعتقاد له بخلاف الذين فى قلوبهم مرض فانهم مؤمنون معتقدون الاانهم ضعاف القلوب واليقين لابصيرة لهم فى الدين فالمؤمنون الذين اظهروا الايمان ثلاثة اقسام المخلصون الثبت القلوب وضعاف القلوب والمنافقون ﴿قوله فارجعوا الى منازلكم هاربين﴾ وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج مع اصحابه عام الخندق حتى جعلوا ظهورهم الى سلع جبل بالمدينة والخندق بينهم وبين القوم فقال هؤلاء المنافقون الذين يئسوا من نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس لكم ههنا موضع قيام لكثرة العدو وغلبتهم فارجعوا الى منازلكم ولامقام لكم على دين الاسلام فارجعوا الى الشرك واسلموا الرسول عليه الصلاة والسلام اى اجعلوه مخذولا يقال اسلمه اى خذله ولامقام لكم بيثرب مادمتم على الاسلام ﴿قوله واصلها الخلل﴾ الجوهرى العورة كل خلل يتخوف منه فى ثغر اوحرب وعورات الجبال شقوقها والعورة بكسر الواو صفة مشبهة يقال عور المنزل يعور عورا وعورة وجعله تخفيف عورة ﴿قوله دخلت المدينة اوبيوتهم﴾ وهم فيها من قولك دخلت على فلان داره فالرجل مدخول عليه والدار مدخولة وهى فى الحقيقة مدخول فيها لان الدار ونحوها من الظروف المحدودة لاتقبل النصب بتقدير فى بل لابد من التصريح بكلمة فى الاان مابعد دخلت حمل على المكان المبهم توسعا والمقصود ان دخلت فعل ماض مبنى للمفعول والقائم مقام الفاعل المنوى فيه راجع الى المدينة اوالى البيوت والاصل ولودخل الاحزاب المدينة او البيوت عليهم اى وهم فيها الاانه حذف الفاعل وبنى الفعل للمفعول للايماء بانه ليس المقصود بيان خصوص الفاعل بل المقصود بيان الحكم المرتب على الدخول من الفتنة وهى الشرك والكفر فى قول الجميع كما فى قوله تعالى حتى لاتكون فتنة والمعنى فلو دخلت البيوت او المدينة من جميع نواحيها ثم سئل اهلها الفتنة لم يمتنعوا من اعطائها ولوكانوا على معاندة المشركين وموافقة المؤمنين اعتقادا واخلاصا وكان استئذانهم للرجوع لمجرد حفظ البيوت لأبوا عن المسارعة الى اجابة المشركين فى سؤال الارتداد والكفر بعدما فات عنهم حفظ البيوت لان من فعل فعلا لغرض لايفعله بعد فوت ذلك الغرض ولوكانوا صادقين فى قولهم ان رجوعنا عنك لحفظ بيوتنا لمارجعوا عنه بعدما سقطت الاحزاب على بيوتهم واخذوها وليس كذلك فانها لودخلوها الاحزاب واخذوها منهم لرجعوا عنك ايضا فليس رجوعهم عنك الابسبب كفرهم وحبهم الفتنة ﴿قوله ريثما يكون السؤال﴾ تفسير ليسيرا اى مقدارا من الزمان يقع فيه السؤال والجواب وهو مصدر راث على خبرك يريث ريثا اى ابطأ وما مصدرية وكان تامة فالمعنى زمان حصول السؤال والجواب ﴿قوله من حتف انف﴾ الحتف الموت يقال مات فلان حتف انفه اذا مات من غير قتل ولاضرب ولا يبنى منه

فعل ثم انه تعالى لما هدّدهم بقوله وكان عهد الله مسئولا اى مسئولا عنه اخبر ان الفرار لا يزيد فى آجالهم وان الامور مقدّرة لا يمكن الفرار مما قدّره الله تعالى لانه كائن لا محالة وان فررتم فمتعتم بتأخر الاجل فليس ذلك لنفع الفرار فى تأخيره بل ذلك لعدم تمام المدّة المقدّرة للحياة فلا تمتعون بعد الفرار الا استيفاء مدة آجالكم لان ماهو زآئل قليل وماهو آت قريب ﴿قوله اى وان نفعكم الفرار﴾ اشارة الى ان فى الكلام حذفا وان اذا جواب وجزآء لذلك المحذوف ثم لما بين ان الفرار من قدرة الله تعالى لا ينفع الفارّ علله بانه تعالى ينفذ ارادته لا محالة فلا يوجد من ينازعه فى نفاذ ارادته فكيف ينفع الفرار فقال قل من ذا الذى يعصمكم من الله اى من عذاب الله تعالى والمعنى من ذا الذى يمنعكم من الله ان اراد بكم سوأ كالهزيمة والمغلوبية او اراد بكم رحمة كالنصرة والغلبة* ولما ورد ان يقال عطف قوله او اراد بكم رحمة على قوله ان اراد بكم سوأ يستلزم ان يكون المعنى من ذا الذى يعصمكم من رحمة الله ان اراد بكم رحمة والعصمة لا تكون من الرحمة ولا تكون الا من السوء* اشار الى الجواب عنه بقوله او يصيبكم بسوء ان اراد بكم رحمة يعنى ان الكلام من قبيل ما حذف فيه المعطوف مع ابقاء العاطف كما فى قوله

❁ ياليت زوجك فى الوغى ❁ متقلدا سيفا ورمحا ❁

اى وحاملا رمحا لان الرمح لا يتقلده المرء* واجاب ثانيا بانا سلمنا ان قوله او اراد بكم رحمة معطوف على المذكور قبله لكن لا نسلم انه باطل لان المعنى من ذا الذى يمنعكم من الله ان اراد بكم سوءا او رحمة وقوله تعالى ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا تقرير لقوله من ذا الذى يعصمكم من الله اى ليس لكم قريب ينفعكم ولا نصير ينصركم ويدفع عنكم السوء اذا اتاكم ثم انه تعالى هدّد المعوّقين الذى يخوّفون من كان فى معسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون ما محمد واصحابه الا أكلة رأس يبتلعهم ابوسفيان وحزبه بمرّة فخلوه وتعالوا الينا يقال عاقه اذا صرفه عن الوجه الذى يريده ونقل الى بناء التفعيل للتكرير والتكثير وثبطه عن الامر اى شغله عنه قال مقاتل المعوّقون هم المنافقون والقائلون هم اليهود ارسلوا الى اخوانهم من المنافقين ايام الخندق يخوّفونهم بابى سفيان ومن معه ويقولون لهم تعالوا الينا وما الذى يحملكم على قتل انفسكم بيدى ابى سفيان ومن معه فانهم ان قدروا عليكم هذه المرّة لم يستبقوا منكم احدا وقيل المعوّقون طائفة من المنافقين والقائلون لاخوانهم طائفة اخرى منهم تخوّف كل واحدة منهما المؤمنين من حرب ابى سفيان واصحابه لكثرتهم وقلة المؤمنين وفى تقرير المصنف نوع اشارة الى ان المراد منهما طائفة من المنافقين وان عطف احدهما على الآخر من قبيل عطف الصفات كما فى قوله

❁ الى الملك القرم وابن الهمام ❁ وليث الكتيبة فى المزدحم ❁

وقوله من ساكنى المدينة بيان لقوله لاخوانهم نبه به للدلالة على ان المراد بالاخوّة الاشتراك فى سكنى المدينة والا فالمعوّقون هم المنافقون والمراد باخوانهم جماعة الانصار الذين هم بمعزل عن النفاق فانه قد روى ان عبد الله ابن ابىّ واصحابه اقبلوا على المؤمنين يعوّقونهم ويخوّفونهم بابى سفيان وبمن معه قالوا لئن قدروا عليكم لم يستبقوا منكم احدا ما ترجون من محمد ما عنده خير ماشأنه الا ان يقتلنا ههنا انطلقوا بنا الى اخواننا يعنى اليهود فلم يزدد المؤمنون بقول المنافقين الا ايمانا واحتسابا ﴿قوله وقد ذكر اصله فى الانعام﴾ فى تفسير قوله قل هلم شهدآءكم اى احضروهم وهو اسم فعل لا يتصرّف عند اهل الحجاز وفعل يؤنث ويجمع عند بنى تميم فيقال للجماعة هلموا وللنساء هلممن واصله عند البصريين هالم من لمّ اى قصد حذفت الالف لتقدير السكون فى اللام فانه الاصل فيها وعند الكوفيين هل ام فحذفت الهمزة بالقاء حركتها على اللام وهو بعيد لان هل لا تدخل الامر ويكون متعدّيا كما فى هذه الآية ولازما كما فى قوله هلم الينا هذا ماذكره المصنف فى سورة الانعام الا ان كلامه فى هذه السورة يدل على انه متعدّ فى هذه السورة ايضا وحذف مفعوله وهو انفسكم ﴿قوله فانهم يعتذرون ويثبطون﴾ يعنى ان هؤلاء القائلين لاخوانهم لا يخرجون مع المؤمنين ولا يأتون موضع الحرب الا قليلا ويجمعون بين الوصفين ما امكن لهم فهم مثبطون لغيرهم ومتخلفون فى اكثر الاحوال بانفسهم يتعللون فى الاشتغال عن القتال وقت حضورهم مع المؤمنين ﴿قوله جمع شحيح﴾ على غير القياس لان قياس الذى عينه ولامه من جنس واحد ان يجمع على افعلاء نحو خليل واخلاء وعزيز واعزاء وصحيح واصحاء وقد سمع اشحاء وهو القياس لما وصفهم الله تعالى بالبخل وصفهم بالجبن ايضا فقال فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك فقوله ينظرون حال من مفعول رأيتهم

(واذا لا تمتعون الا قليلا) اى وان نفعكم الفرار مثلا فمتعتم بالتأخير لم يكن ذلك التمتيع الا تمتيعا او زمانا قليلا (قل من ذا الذى يعصمكم من الله ان اراد بكم سوأ او اراد بكم رحمة) اى او يصيبكم بسوء ان اراد بكم رحمة فاختصر الكلام كما فى قوله متقلدا سيفا ورمحا او حمل الثانى على الاوّل لما فى العصمة من معنى المنع (ولا يجدون لهم من دون الله وليا) ينفعهم (ولا نصيرا) يدفع الضرّ عنهم (قد يعلم الله المعوّقين منكم) المثبطين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم المنافقون (والقائلين لاخوانهم) من ساكنى المدينة (هلم الينا) قربوا انفسكم الينا وقد ذكر اصله فى الانعام (ولا يأتون البأس الا قليلا) الا اتيانا او زمانا او بأسا قليلا فانهم يعتذرون ويثبطون ما امكن لهم او يخرجون مع المؤمنين ولكن لا يقاتلون الا قليلا لقوله وما قاتلوا الا قليلا وقيل انه من تتمة كلامهم ومعناه ولا يأتى اصحاب محمد حرب الاحزاب ولا يقاومونهم الا قليلا (اشحة عليكم) بخلاء عليكم بالمعاونة او النفقة فى سبيل الله او الظفر والغنيمة جمع شحيح ونصبها على الحال من فاعل يأتون او المعوّقين او على الذم (فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور اعينهم) فى احداقهم (كالذى يغشى عليه) كنظر المغشى عليه او كدوران عينه او مشبهين به او مشبهة بعينه (من الموت) من معالجة سكرات الموت خوفا ولواذا بك

لان الرؤية بصرية وتدور اماحال ثانية واماحال من فاعل ينظرون وقوله كالذى اماصفة بتقدير المضاف اما لمصدر ينظرون او لمصدر تدور المحذوفين اى ينظرون اليك نظرا كنظر الذى او تدور اعينهم كدوران عين الذى واما حال من فاعل ينظرون او من اعينهم مشبهين بالذى او مشبهة بعين الذى قرب من حالة الموت وغشيته سكراته فذهب عقله وشخص بصره فلا تطرف كذلك هؤلاء تشخص ابصارهم وتحار اعينهم لما يلحقهم من الخوف و ينظرون اليك بهذه الهيئة لواذا بك اى التجاء اليك وعياذا يقال لاذبه اى لجأ اليه وعاذبه ﴿قوله ضربوكم﴾ اى آذوكم ورموكم فى حالة الامن والحداد جمع حديد يقال سلقه بالكلام سلقا اذا آذاه وهو شدة القول باللسان والذرب الحاد من كل شئ عن قتادة قال بسطوا السنتهم فيكم وقت قسمة الغنيمة يقولون اعطونا فانا شهدنا معكم القتال وبمكاننا غلبتم عدوكم وبنا نصرتم عليه ولستم احق بالغنيمة منا فهم عند قسمة الغنيمة اشح قوم وعند البأس اجبن قوم ﴿قوله لان كلا منهما مفيد من وجه﴾ فان المراد بالاول الشح بمعاونة المؤمنين ونصرتهم او الشح بالانفاق فى سبيل الله او بظفر المؤمنين وبالثانى الشح على الخير اى المال والغنيمة والثانى حال من فاعل سلقوكم ولما كان الاحباط يتعلق بالعمل المعتبر شرعا ومن لم يكن مخلصا فى ايمانه لاتعتبر اعماله شرعا لابطانه الكفر فى قلبه فلا يلحقها الاحباط والابطال اول قوله تعالى فاحبط الله اعمالهم بوجهين * مبنى الاول ان يراد بالاعمال مايكون على صورة الطاعة والقربة واحباطه اظهار بطلانه وبيان انه لاحكم له ولا اثر فان الاحباط عبارة عن الاعدام والاهدار والاعمال لكونها من قبيل الاعراض معدومة فى انفسها وبقاؤها انماهو ببقاء حكمها وآثارها وما كان منها مقرونا بالكفر والنفاق لايكون له فائدة واعتبار فهو معدوم حقيقة وحكما فقوله تعالى فاحبط الله اعمالهم معناه فاظهر الله تعالى كونها ضائعة فائدة لها * ومبنى الثانى ان لايكون المراد باعمالهم ماعملوه تصنعا ونفاقا حتى يقال انه لااعتبار لها ولافائدة فى اصل حدوثها فكيف يلحقها الاحباط بل المراد بها نفس تصنعهم ونفاقهم فانهم ارادوا به ان يحصل لهم بذلك قدر وجاه عند المؤمنين فاحبط الله ذلك التصنع حيث لم يترتب عليه ما ارادوا به ﴿قوله ففروا الى داخل المدينة﴾ عطف على يظنون ولفظ الماضى للمبالغة فى بيان جبنهم فكان طائفة منهم فروا عقيب انهزام الاحزاب بناء على ظن انهم لم يذهبوا ولم ينهزموا ﴿قوله تعالى بادون﴾ جمع باد وهو المقيم بالبادية يقال بدا يبدو بداوة اذا خرج الى البادية وقوله يسألون يجوز ان يكون مستأنفا وان يكون حالا من فاعل يحسبون والعامة على سكون السين بعدها همزة ونقل عن ابى عمرو وعاصم نقل حركة الهمزة الى السين وحذفها كقوله سل بنى اسرآئيل وقرئ يساءلون بتشديد السين والاصل يتساءلون فادغم اى يسأل بعضهم بعضا عجبا مما فعل محمد واصحابه ومافعل بهم فيتعرفون حالكم لا بالمشاهدة ﴿قوله خصلة حسنة من حقها ان يؤتسى بها﴾ اشارة الى ان الاسوة بكسر الهمزة وضمها وان كان اسما موضوعا موضع المصدر وهو الائتساء بمعنى الاقتدآء الا انه استعمل ههنا بمعنى مامن حقه ان يؤتسى به قرأ عاصم اسوة بضم الهمزة حيث وقعت هذه اللفظة والباقون بكسرها وهما لغتان كالقدوة والقدوة لفظا ومعنى يقال ائتسى فلان بفلان اى اقتدى به وظاهر المفهوم لقدكان لكم فيه قدوة اى اقتدآء والمراد لقدكان لكم فيه مامن حقه ان يقتدى به واسوة اسم كان وفى الخبر وجهان احدهما هو لكم وفى رسول الله متعلق بما تعلق به لكم او بمحذوف على انه حال من اسوة اذلو تأخر لكان صفة وثانيهما ان الخبر هو فى رسول الله ولكم على ما تقدم فى رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿قوله او هو فى نفسه قدوة﴾ على ان تكون كلمة فى تجريدية وتجرد من نفسه الزاكية ماهو قدوة كما فى قوله تعالى لكم فيها دار الخلد مع ان الجنة فى نفسها دار الخلد جرد منها أخرى مثلها فى كونها دار الخلد والمراد بالاسوة الحسنة الثابتة فى رسول الله عليه الصلاة والسلام الثبات فى الحرب ونصرة دين الله والصبر على مايصيبه من الشدآئد والمكاره كما فعل عليه الصلاة والسلام اذ كسرت رباعيته وجرح وجهه الكريم وقتل عمه واوذى بضروب من الاذى فواساكم مع ذلك كله بنفسه فافعلوا انتم كذلك فى نصرة دينه واظهار شرعه واستنوا بسنته ﴿قوله اى ثواب الله﴾ احتيج الى تقدير المضاف لان الذات من حيث انه ذات لايؤمل ولا يخاف فلا يتعلق به الرجاء سوآء بمعنى الامل او الخوف فان كان المقدر ثوابه او لقاءه او ما اعده للمتقين من نعيم الآخرة يكون الرجاء بمعنى الامل وان كان التقدير يرجو ايام الله اى شدآئده يكون عطف اليوم الآخر عليه من قبيل عطف الخاص على العام ويكون الرجاء بمعنى الخوف ﴿قوله وقيل هو كقولك﴾ فى ان عطف اليوم الآخر على الجلالة وان ذكر الجلالة تمهيد لما ذكر الله بعده من تفسير المبهم وتفصيل المجمل فان الذات من حيث انها ذات لما لم

(فاذا ذهب الخوف) وحيزت الغنائم (سلقوكم) ضربوكم (بالسنة حداد) ذربة يطلبون الغنيمة والسلق البسط بقهر باليد او باللسان (اشحة على الخير) نصب على الحال او الذم ويؤيده قرآءة الرفع وليس بتكرير لان كلا منهما مفيد من وجه (اولئك لم يؤمنوا) اخلاصا (فاحبط الله اعمالهم) فاظهر بطلانها اذ لم يثبت لهم اعمال فتبطل او ابطل تصنعهم ونفاقهم (وكان ذلك) الاحباط (على الله يسيرا) هينا لتعلق الارادة به وعدم ما يمنعه عنه (يحسبون الاحزاب لم يذهبوا) اى هؤلاء لجبنهم يظنون ان الاحزاب لم ينهزموا وقد انهزموا ففروا الى داخل المدينة (وان يأت الاحزاب) كرة ثانية (يودوا لو انهم بادون فى الاعراب) تمنوا انهم خارجون الى البدو وحاصلون بين الاعراب (يسألون) كل قادم من جانب المدينة (عن انبائكم) عما جرى عليكم (ولو كانوا فيكم) هذه الكرة ولم يرجعوا الى المدينة وكان قتال (ماقاتلوا الا قليلا) رياء وخوفا من التعيير (لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة) خصلة حسنة من حقها ان يؤتسى بها كالثبات فى الحرب ومقاساة الشدآئد او هو فى نفسه قدوة يحسن التأسى به كقولك فى البيضة عشرون منا حديدا اى هى فى نفسها هذا القدر من الحديد وقرأ عاصم بضم الهمزة وهو لغة فيه (لمن كان يرجو الله واليوم الآخر) اى ثواب الله او لقاءه ونعيم الآخرة او ايام الله واليوم الآخر خصوصا وقيل هو كقولك ارجو زيدا وفضله فان اليوم الآخر داخل فيها بحسب الحكم والرجاء يحتمل الامل والخوف ولمن كان صلة لحسنة او صفة لها وقيل بدل من لكم

يتعلق بها الرجاء كان كقولك رجوت زيدا مشتملا على نوع من الاجمال والابهام فى الدلالة على المعنى المراد فازيل ذلك الابهام بالعطف فكان معنى الآية لمن كان يرجو ثواب الله الا انه وضع اليوم الآخر موضع ثوابه لان ثواب الله تعالى يقع فيه فعبر به عن الثواب الواقع فيه على طريق اطلاق اسم المحل على الحال وعليه قوله تعالى واما الذين ابيضت وجوههم ففى رحمة الله اى فى الجنة وقوله لمن كان متعلق بنفس حسنة او بمحذوف على انه صفة لحسنة اى حسنة كائنة لمن كان ﴿قوله والاكثر على ان ضمير المخاطب لايبدل منه﴾ اى لايبدل منه الظاهر بدل الكل قال ابن الحاجب ولايبدل ظاهر من مضمر بدل الكل الامن ضمير الغائب نحو ضربته زيدا وهو مذهب جمهور البصريين واجازه الكوفيون و الاخفش تمسكا بقوله

* بكم قريش كفينا كل معضلة * وأم نهج الهدى من كان ضليلا *

والظاهر ان مقصود المصنف الاعتراض على صاحب الكشاف حيث جعله بدلا من ضمير المخاطب باعادة الجار الا انه انما يتجه على تقدير ان يجعل بدل الكل من الكل وليس بلازم لجواز ان يكون المراد انه بدل بعض من كل لان المخاطب بقوله لكم اعم مما كان يرجو الله وغيره وخصص ذلك العموم بابدال قوله لمن كان يرجو الله من لكم كقوله تعالى للذين استضعفوا لمن آمن منهم ولايلزم ان يكون مراده التشبيه فى كونه بدل الكل من الكل لجواز ان يكون مراده تشبيهه فى ان الظاهر بدل من المجرور باعادة الجار فلا يتوجه عليه اعتراض المصنف ﴿قوله كثيرا﴾ صفة مصدر محذوف اى ذكرا كثيرا ثم انه تعالى لما ذكر احوال المنافقين والذين فى قلوبهم مرض ضعف اليقين وصف حال المؤمنين الخلص حين لقاء الاحزاب فقال ولما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا الخطب او هذا البلاء ماوعدنا الله تعالى فى سورة البقرة بقوله ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله الا ان نصر الله قريب وعد الله المؤمنين بهذه الآية ان يزلزلوا الكفار ويخوفهم تخويفا شديدا ووعد ايضا ان يكونوا منصورين عليهم فلما رأوهم قالوا هذا ماوعدنا الله على لسان رسوله وكذا وعدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بمضمون هذه الآية فقال ان الاحزاب سائرون اليكم تسعا او عشرا اى آخر تسع ليال او عشر فلما رأوهم قد اقبلوا لميعاد قالوا ذلك ومازادهم مارأوه او مجيئهم الا ايمانا اى تصديقا بوعد الله وتسليما لامره وقضائه ﴿قوله كحمزة ومصعب﴾ روى ان الآية نزلت فى عثمان بن عفان وطلحة بن عبد الله وحمزة ومصعب بن عمير وغيرهم رضوان الله عليهم اجمعين فمن قضى منهم نحبه حمزة ومصعب وانس بن النضر ومن ينتظر عثمان وطلحة وفى الحديث من احب ان ينظر الى شهيد يمشى على وجه الارض فلينظر الى طلحة لانه طعن كثيرا ﴿قوله فقال عليه الصلاة والسلام اوجب طلحة﴾ اى اوجب لنفسه الجنة لانه وقى النبى صلى الله عليه وسلم فصارت يده شلاء بذلك فاستحق الجنة بسببه ﴿قوله من صدقنى اذا قال لك الصدق﴾ اعلم ان صدق يتعدى الى اثنين الى احدهما بنفسه والى الثانى بحرف الجر ويجوز حذفه ومنه المثل صدقنى سن بكره اى فى سن بكره وقوله تعالى صدقوا ما عاهدوا الله عليه يجوز ان يكون من هذا القبيل والمعنى صدقوا الله فيما عاهدوا الله عليه واليه اشار المصنف بقوله وان المعاهد اذا وفى بعهده فقد صدق فيه ويحتمل ان يكون قوله ماعاهدوا الله عليه هو الذى عدى اليه الفعل بنفسه كالذى فى قولك صدقنى زيد وكذبنى عمرو اى قال لى الصدق وقال لى الكذب ويكون المعاهد عليه مصدوقا مجازا كأنهم قالوا للشئ المعاهد عليه لنوفين لك وقد فعلوا فيكون ما بمعنى الذى فلذلك عاد اليه الضمير فى عليه وقوله تعالى وصدق الله ورسوله من تكرير الظاهر تعظيما له ولانهما لو اعادهما مضمرين وقال وقد صدقا لزم ان يجمع بين اسم البارى واسم رسوله فى لفظة واحدة وقد شنع عليه الصلاة والسلام على من قال من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى فقال له بئس لخطيب القوم ان يقول ومن يعصهما بل ومن يعص الله فقد غوى قصدا الى تعظيم الله تعالى ﴿قوله وظهر صدق خبر الله﴾ لما كان الصدق من اوصاف الخبر وان صدق المتكلم عبارة عن صدقه فيما اخبر به وجب ان تأول الآية اما بتقدير المضاف او بتقدير مايعدى اليه صدق المتكلم بكلمة فى ﴿قوله تعليل للمنطوق﴾ وهو عدم تبديل المؤمنين الذين صدقوا فيما عاهدوا الله عليه والمعرض به وهو تبديل اهل النفاق ومرض القلب وهذا القول منه اشارة الى جواب مايقال كون عدم تبديل العهد مؤديا الى جزائهم بصدقهم ظاهر فيصح تعليله بقوله ليجزى الله الصادقين ولايصح ان يكون سببا مؤديا الى عذاب المنافقين

والاكثر على ان ضمير المخاطب لايبدل منه (وذكر الله كثيرا) وقرن بالرجاء كثرة الذكر المؤدية الى ملازمة الطاعة فان المؤتسى بالرسول من كان كذلك (ولما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ماوعدنا الله ورسوله) بقوله تعالى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم الآية وقوله عليه الصلاة والسلام سيشتد الامر باجتماع الاحزاب عليكم والعاقبة لكم عليهم وقوله عليه الصلاة والسلام انهم سائرون اليكم بعد تسع او عشر (وصدق الله ورسوله) وظهر صدق خبر الله ورسوله او صدقا فى النصرة والثواب كما صدقا فى البلاء واظهار الاسم للتعظيم (ومازادهم) فيه ضمير لما رأوا اوالخطب اوالبلاء (الا ايمانا) بالله ومواعيده (وتسليما) لاوامره ومقاديره (من المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه) من الثبات مع الرسول والمقاتلة لاعلاء الدين من صدقنى اذا قال لك الصدق فان المعاهد اذا وفى بعهده فقد صدق فيه (فمنهم من قضى نحبه) نذره بان قاتل حتى استشهد كحمزة ومصعب بن عمير وانس ابن النضر والنحب النذر استعير للموت لانه كنذر لازم فى رقبة كل حيوان (ومنهم من ينتظر) الشهادة كعثمان وطلحة (وما بدلوا) العهد ولاغيروه (تبديلا) شيأ من التبديل روى ان طلحة ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد حتى اصيبت يده فقال عليه الصلاة والسلام اوجب طلحة وفيه تعريض لاهل النفاق ومرض القلب بالتبديل وقوله (ليجزى الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين ان شاء او يتوب عليهم) تعليل للمنطوق والمعرض به

فكأنّ المنافقين قصدوا بالتبديل عاقبة السوء كما قصد المخلصون بالثبات والوفاء العاقبة الحسنى والتوبة عليهم مشروطة بتوبتهم او المراد به التوفيق للتوبة (ان الله كان غفورا رحيما) لمن تاب (وردّ الله الذين كفروا) يعنى الاحزاب (بغيظهم) متغيظين (لم ينالوا خيرا) غير ظافرين وهما حالان بتداخل او بتعاقب (وكفى الله المؤمنين القتال) بالريح والملائكة (وكان الله قويا) على احداث ما يريده (عزيزا) غالبا على كل شئ (وانزل الذين ظاهروهم) ظاهروا الاحزاب (من اهل الكتاب) يعنى قريظة (من صياصيهم) من حصونهم جمع صيصة وهى ما تحصن به ولذلك يقال لقرن الثور والظبى وشوكة الديك (وقذف فى قلوبهم الرعب) الخوف وقرئ بالضم (فريقا تقتلون وتأسرون فريقا) وقرئ بضم السين روى ان جبرآئيل اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم صبيحة الليلة التى انهزم فيها الاحزاب فقال أتنزع لامتك والملائكة لم يضعوا السلاح ان الله يأمرك بالسير الى بنى قريظة وانا عامد اليهم فاذن فى الناس ان لا يصلوا العصر الا ببنى قريظة فحاصرهم احدى وعشرين او خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار فقال لهم تنزلون على حكمى فابوا فقال على حكم سعد بن معاذ فرضوا به فحكم سعد بقتل مقاتليهم وسبى ذراريهم ونسائهم فكبر النبى صلى الله عليه وسلم وقال حكمت بحكم الله فوق سبعة ارقعة فقتل منهم ستمائة او اكثر واسر منهم سبعمائة (واورثكم ارضهم) مزارعهم (وديارهم) حصونهم (واموالهم) نقودهم ومواشيهم واثاثهم روى انه عليه الصلاة والسلام جعل عقارهم للمهاجرين فتكلم فيه الانصار فقال انكم فى منازلكم فقال عمر اما تخمس كما خمست يوم بدر فقال لا انما جعلت هذه لى طعمة (وارضا لم تطئوها) كفارس والروم وقيل خيبر وقيل كل ارض تفتح الى يوم القيامة (وكان الله على كل شئ قديرا) فيقدر على ذلك (يا ايها النبى قل لازواجك ان كنتنّ تردن الحيوة الدنيا) السعة والتنعم فيها (وزينتها) وزخارفها (فتعالين امتعكنّ) اعطكنّ المتعة

فكيف قيل ويعذب المنافقين عطفا على يجزى فلما اعتبر فى الكلام منطوقا ومعرضا به وجعل الاوّل علة للمنطوق والثانى للمعرض به اندفع الاشكال فان تبديل اهل النفاق مذكور بطريق التعريض من حيث ان الكلام فى قوة ان يقال وما بدلوا كتبديل اهل النفاق ﴿ قوله فكأنّ المنافقين الخ ﴾ اشارة الى جواب ما يقال تعذيب اهل النفاق كيف يكون علة حاملة لهم على التبديل ومن المعلوم انهم ما قصدوا بالتبديل ان يعذبوا * وتقرير الجواب ان العاقبة المترتبة على التبديل شبهت بالغرض والعلة الحاملة فاستعملت لها لام العلة مجازا واللام الداخلة على علة المنطوق وان صح كونها لام العلة الحاملة بناء على ان المخلصين قصدوا بالثبات والوفاء العاقبة الحسنى الا انه يجب جعلها لام العاقبة لئلا يلزم استعمال اللفظ الواحد فى معنيين مختلفين وهذا التقرير مبنى على ان يكون قوله تعالى ليجزى الله متعلقا بقوله وما بدلوا منطوقا ومفهوما اى وما بدّلوا كتبديل اهل النفاق ليجزى اهل الصدق بصدقهم واهل النفاق بنفاقهم ويحتمل ان يكون متعلقا بقوله من المؤمنين رجال صدقوا فانه يدل على ان بعضا ممن اظهر الايمان لم يصدقوا ولم يوفوا بالعهد فيكون تعليلا للمنطوق والمعرض به ايضا ومفعول قوله ان شاء محذوف وكذا جواب الشرط وهو تعذيبهم والمعنى يعذب المنافقين ان شاء تعذيبهم بان يميتهم على النفاق عذبهم او يقبل توبتهم ان تابوا واخلصوا فان توبة الله تعالى على العبد عبارة عن رجوعه عن تعذيب من تاب ورجع عن المعصية فتكون التوبة عليهم مشروطة بتوبتهم كما ان تحتم تعذيبهم مشروط بموتهم على النفاق من غير توبة * فان قيل من مات على النفاق يتحتم تعذيبه بالنصوص القاطعة فكيف يصح تعليق تعذيبه على المشيئة قلنا المعلق على المشيئة حقيقة هو ما يستلزم ذلك التعذيب وهو الموتة على النفاق وبذلك الاعتبار يظهر كون قوله او يتوب عليهم مقابلا لما قبله كأنه قيل يعذبهم ان لم يتوبوا او يقبل توبتهم ان تابوا فان عطفه على يعذب يوهم ان تكون التوبة عليهم لاجل نفاقهم كما ان تعذيبهم لذلك ولما كان قوله تعالى او يتوب عليهم مشعرا بانه تعالى يقبل توبتهم ما داموا منافقين كما انه تعالى يعذبهم على نفاقهم ما داموا عليه لئلا يضيع اعتبار وصف النفاق فى التوبة عليهم وفى العذاب لهم ومن المعلوم انه تعالى لا يتوب على المنافق ما دام منافقا اجاب عنه اوّلا بان الكلام من قبيل قولك المحدث يجب عليه الوضوء اى بشرط ارادته اداء الصلاة وثانيا بان المعنى او يوفقهم للتوبة ان شاء الله تعالى ﴿ قوله تعالى وردّ الله الذين ﴾ معطوف من حيث المعنى على قوله ليجزى الله الصادقين فان اللام فيه لام العاقبة فكأنه قيل فكان عاقبة الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه ان جزاهم الله بصدقهم وردّ اعدائهم متغيظين وهذا الردّ من جملة جزائهم على صدقهم والباء فى قوله تعالى بغيظهم للمصاحبة فيكون حالا بمعنى متغيظين كالتى فى قوله تعالى تنبت بالدهن اى ملتبسة والغيظ غضب كائن للعاجز يقال غاظه فهو مغيظ ولا يقال اغاظه وتداخل الحالين ان تعمل الحال الاولى فى الثانية فيكون الحالان لشيئين مختلفين لفظا وتعاقبهما ان يكونا لشئ واحد ﴿ قوله تعالى وكفى الله المؤمنين القتال ﴾ اى لم يحوجهم الى قتال فى دفع عدوّهم وكفى يتعدى الى مفعولين يقال كفاه مؤنته كفاية ﴿ قوله يعنى قريظة ﴾ وكانوا ذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم فنقضوا العهد وصاروا يدا واحدة مع المشركين على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما هزم الله المشركين يوم الخندق بالريح والملائكة ولم تقاتل الملائكة يومئذ الا انه تعالى لما ارسل الريح عليهم كثر تكبير الملائكة فى جوانب عسكرهم فخافوا وانهزموا فامر الله تعالى رسوله بالمسير الى قريظة فجاء جبريل عليه الصلاة والسلام وقد وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم لامته اى درعه واغتسل واستحم فقال قد وضعت اللامة وما وضعناها بعد ثم قال له ان الله يأمرك ان لا تصلى العصر الا ببنى قريظة فنادى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فى المسلمين فخرجوا اليه وقوله عليه الصلاة والسلام * تنزلون على حكمى * يجوز ان يكون بمعنى الاستفهام حذف منه حرف الاستفهام ويجوز ان يكون خبرا بمعنى الامر اى انزلوا ﴿ قوله فوق سبعة ارقعة ﴾ اى سبع سموات يقال لكل سماء رقيع والجمع ارقعة ويقال ايضا الرقيع اسم سماء الدنيا سمى كل سماء باسماء والمعنى ان هذا الحكم مكتوب فى اللوح المحفوظ الذى هو فوق السموات وكان السبب فى رضى بنى قريظة بحكم سعد بن معاذ انه كان من الاوس وكان بنو قريظة موالى الاوس وحلفاءهم فظنوا منه ان يسعى لهم بخير ويحكم بما لا يكرهون ﴿ قوله اعطكنّ المتعة ﴾ وهى درع وخمار وملحفة على حسب حال الزوج من السعة والاقتار الا ان يكون لها نصف مهر اقل من ذلك فيجب لها الاقل منهما وتجب المتعة لمطلقة لم توطأ ولم يسم لها مهر

وتستحب لمن طلقت بعد وطئ سمى لها مهرا ولم يسم لا لمن سمى لها مهر وطلقت قبل وطئ فان نصف المسمى انما وجب لها على سبيل المتعة *قال الامام وجه تعلق الآية بماقبلها ان مكارم الاخلاق منحصرة فى شيئين التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله واليه اشار عليه الصلاة والسلام بقوله *الصلاة وماملكت ايمانكم *فالله تعالى لما ارشد نبيه الى مايتعلق بجانب التعظيم وبدأ بالزوجات لكونهن اولى الناس بالشفقة ولهذا قدمهن فى النفقة روى انه عليه الصلاة والسلام قسم غنائم بنى قريظة بين اصحابه وعائشة رضى الله تعالى عنها تنظر وكان له عليه الصلاة والسلام الخمس فى كل غنيمة فقالت عائشه فى نفسها اليوم يوم خمارى ومقنعى وصرف النبى صلى الله عليه وسلم الخمس ايضا الى الناس فلم يحصل لعائشة شئ فجادلت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك وابوبكر رضى الله عنه حاضر فرفع يده اليها ليلطمها فنعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال *دعها فانها صبية ثم وضع يده على كتفها وقال اخرج ياشيطان منها * وقيل قال * اخرج ياخبيث من هذه الطاهرة *فقامت وقالت والذى بعثك بالحق لقد خرج ونزلت هذه الآية فى عتابهن وفيها تخييرهن وهو انتظام حسن وقيل انتظامها بماقبلها انه نوع اذى كان منهن فى حقه عليه الصلاة والسلام والاول كان اذى فى حقه عليه الصلاة والسلام من الكفار والمنافقين وقيل سبب نزولها ان نساء النبى عليه الصلاة والسلام سألنه شيأ من ارض الدنيا وطلبن منه زيادة فى النفقة واذينه بغيرة بعضهن على بعض فامر عليه الصلاة والسلام باعتزالهن وآلى ان لايدخل عليهن شهرا فصعد الى غرفة له فمكث فيها ولم يخرج الى اصحابه ثم لمامضى شهر انزل الله هذه الآية وامره بتخيير نسائه وكان تحته عليه الصلاة والسلام يومئذ تسع نسوة خمس من قريش عائشه بنت ابى بكر وحفصة بنت عمر وام حبيبة بنت ابى سفيان وام سلمة بنت ابى امية وسودة بنت زمعة وغير القرشيات زينب بنت جحش الاسدية وميمونة بنت الحارث الهلالية وصفية بنت حيى بن اخطب الخيبرية وجويرية بنت الحارث المصطلقية فلما نزلت آية التخيير بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بعائشة وكانت احبهن اليه فخيرها وقرأ عليها القرآن فاختارت الله تعالى ورسوله والدار الآخرة وتابعها سائر نسوته * ظاهر الآية يدل على انه عليه الصلاة والسلام خيرهن بين ان يخترن الدنيا وبين ان يخترن الله ورسوله الا انهن ان اخترن الدنيا وزينتها فارقهن وليست بصريحة فى ان ذلك كان تفويض الطلاق اليهن حتى يقع بنفس اختيارهن انفسهن فلذلك اختلف العلماء فى هذا الخيار هل كان ذلك تفويض الطلاق اليهن حتى يقع بنفس اختيارهن من غير تطليق الزوج اياهن اولا فذهب الاكثرون الى انه لم يكن تفويض الطلاق وانما خيرهن على انهن اذا اخترن الدنيا فارقهن لقوله تعالى فتعالين امتعكن واسرحكن ويدل عليه انه لم يكن جوابهن على الفور فانه عليه الصلاة والسلام قال لعائشة لاتعجلى حتى تستشيرى ابويك وفى تفويض الطلاق يكون الجواب على الفور وذهب آخرون الى انه كان تفويض طلاق ولو اخترن انفسهن كان طلاقا فان الرجل اذا خير امرأته فاختارت زوجها لايقع شئ ولو اختارت نفسها يقع طلقة واحدة بائنة عندنا ورجعية عند الشافعية وقال زيد بن ثابت اذا اختارت زوجها يقع طلقة واحدة وان اختارت نفسها فثلاث وهو قول الحسن وبه قال الامام مالك وروى عن على ايضا انها اذا اختارت زوجها يقع طلقة واحدة رجعية وان اختارت نفسها فطلقة بائنة واكثر العلماء على انها اذا اختارت زوجها لايقع شئ **قوله وقيل لان الفرقة** اى قيل فى جواب مايقال ان حق التمتيع ان يؤخر عن التسريح لكونه مسببا عن التسريح وحق المسبب ان يتأخر عن سببه ان الفرقة لم تقع بتسريحه عليه الصلاة والسلام اياهن حتى يقال التسريح سبب للتمتيع فكان حقه ان يقدم بل الفرقة وقعت بارادتهن الدنيا بدل ارادة الله ورسوله وتلك الارادة هى سبب التمتيع فهو مذكور فى موقعه واصل تعال ان يقوله من فى المكان المرتفع لمن فى المكان المنخفض يطلب بذلك ان يرتفع الى مكانه ثم كثر حتى استوت الامكنة واستعماله فى طلب الاقبال مطلقا حتى يقوله من فى المكان المنخفض لمن فى المكان المرتفع يريد ان يقول انزل الى **قوله وقرئ امتعكن** قرأ العامة امتعكن واسرحكن بجزمهما على ان قوله فتعالين جواب الشرط وقوله امتعكن جواب لهذا الامر وقرئ برفعهما على الاستئناف وقوله سراحا اسم اقيم مقام التسريح كما اقيم نباتا موضع انباتا فى قوله وانبتها نباتا حسنا **قوله وان كنتن تردن الله ورسوله** اى تردن ما امر الله به ورضيه رسوله والدار الآخرة اى الجنة وثوابها فان الله اعد للمحسنات منكن ولم يقل لكن مع ان المقام موضع الضمير ايذانا بان كل الاحسان فى ايثار مرضاة الله تعالى ورسوله على مرضاة

(واسرحكن سراحا جميلا) طلاقا من غير ضرار وبدعة روى انهن سألنه ثياب الزينة وزيادة النفقة فنزلت فبدأ بعائشة فخيرها فاختارت الله ورسوله ثم اختارت الباقيات اختيارها فشكر لهن الله ذلك فانزل لايحل لك النساء من بعد وتعليق التسريح بارادتهن الدنيا وجعلها قسيما لارادتهن الرسول يدل على ان المخيرة اذا اختارت زوجها لم تطلق خلافا لزيد والحسن ومالك واحدى الروايتين عن على ويؤيده قول عائشة خيرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخترناه فلم يعد طلاقا وتقديم التمتيع على التسريح المسبب عنه من الكرم وحسن الخلق وقيل لان الفرقة كانت بارادتهن كاختيار المخيرة نفسها فانه طلقة رجعية عندنا وبائنة عند الحنفية واختلف فى وجوبه للمدخول بها وليس فيه مايدل عليه وقرئ امتعكن واسرحكن بالرفع على الاستئناف (وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله اعد للمحسنات منكن اجرا عظيما) يستحقر دونه الدنيا وزينتها ومن للتبيين لانهن كلهن كن محسنات

(يانساء النبيّ من يأت منكنّ بفاحشة) بكبيرة (مبينة) ظاهر قبحها على قرآءة ابن كثير وابى بكر والباقون بكسر الياء (يضاعف لها العذاب ضعفين) ضعفى عذاب غيرهنّ اى مثليه لان الذنب منهنّ اقبح فان زيادة قبحه تتبع زيادة فضل المذنب والنعمة عليه ولذلك جعل حدّ الحرّ ضعفى حدّ العبد وعوتب الانبياء بما لايعاتب به غيرهم وقرأ البصريان يضعف على البناء للمفعول ورفع العذاب وابن كثير وابن عامر نضعف بالنون وبناء الفاعل ونصب العذاب (وكان ذلك على الله يسيرا) لايمنعه عن التضعيف كونهنّ نساء النبيّ وكيف وهو بسببه (ومن يقنت منكنّ) ومن يدم على الطاعة (لله ورسوله) ولعل ذكر الله للتعظيم اولقوله (وتعمل صالحا نؤتها اجرها مرّتين) مرّة على الطاعة ومرّة على طلبهنّ رضى النبي صلى الله عليه وسلم بالقناعة وحسن المعاشرة وقرأ حمزة والكسائى ويعمل بالياء ايضا حملا على لفظ من ويؤتها بالياء ايضا على ان فيه ضمير اسم الله (واعتدنا لها رزقا كريما) فى الجنة زيادة على اجرها (يانساء النبي لستنّ كاحد من النساء) اصل احد وحد بمعنى الواحد ثم وضع فى النفى العام مستويا فيه المذكر والمؤنث والواحد والكثير والمعنى لستنّ كجماعة واحدة من جماعات النساء فى الفضل (ان اتقيتنّ) مخالفة حكم الله ورضى رسوله (فلا تخضعن بالقول) فلا تجئن بقولكنّ خاضعا لينا مثل قول المريبات (فيطمع الذى فى قلبه مرض) فجور وقرئ بالجزم عطفا على محل فعل النهى على انه نهى مريض القلب عن الطمع عقيب نهيهنّ عن الخضوع بالقول (وقلن قولا معروفا) حسنا بعيدا عن الريبة (وقرن فى بيوتكنّ) من وقر يقر وقارا اومن قر يقر حذفت الاولى من رآئى اقررن ونقلت كسرتها الى القاف فاستغنى بها عن همزة الوصل ويؤيده قرآءة نافع وعاصم بالفتح من قررت اقر وهو لغة فيه ويحتمل ان يكون من قار يقار اذا اجتمع

انفسهن ومن للتبيين لا للتبعيض لان كلهنّ محسنات والعظيم فى الاجسام ما امتدّت ابعاده فى جهة الطول والعرض والعمق جميعا حتى لو امتدّ بعده الكائن فى جهة الطول فقط يقال له طويل ولو امتدّ مافى جهة عرضه يقال له عريض ولو امتدّ ما فى جهة عمقه يقال له عميق ولا يقال للجسم عظيم الا اذا امتدّت ابعاده الكائنة فى جميع جهاته الثلاث وشبه اجر الآخرة به فى ارتفاع شأنه فى الجهات الثلاث فى لطافة ذاته و صفاء جوهره و فى خلوّه عن وجوه المشقة والتعب فى تحصيله وعن وجوه الضرر فى تناوله وفى دوامه وعدم انقطاعه فهو اجر عظيم بخلاف اجر الدنيا قال المفسرون لما اخترن الله ورسوله رفع الله محلهنّ واجلّ قدرهنّ بتمييزهنّ عن سائر النسوة فى العقوبة على المعصية والاجر على الطاعة حيث قال يانساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب فان زيادة قبح المعصية تتبع زيادة الفضل والرتبة وزيادة النعمة على العاصى من المعصىّ وليس لاحد من النساء مثل فضل نساء النبيّ ولا لاحد منهنّ مثل ماللّه عليهنّ من النعمة فان الله تعالى جعلهنّ زوجات نبيه فى الدنيا والآخرة وشاهدن افعاله واقواله واحواله بالليل والنهار فتكون المعصية منهنّ اقبح منها فى غيرهنّ ولما كانت المعصية اقبح كان عذابها اشدّ وازيد ولذلك فضل حدّ الاحرار على حدّ العبيد اظهارا لشرف الحرية عن ابن عباس رضى الله عنه قال المراد بالفاحشة ههنا النشوز وسوء الخلق وقيل هو كقوله لئن اشركت ليحبطنّ عملك وقيل المراد به العصيان **قوله وقرأ البصريان يضعف** بضم الياء وفتح الضاد والعين المشدّدة ورفع العذاب لقيامه مقام الفاعل وابن كثير وابن عامر نضعف بنون العظمة وتشديد العين مكسورة على بناء الفاعل ونصب العذاب لانّه مفعول به وقرأ الباقون يضاعف على بناء المفعول من المفاعلة ورفع العذاب لقيامه مقام الفاعل ولما بين الله تعالى تضاعف عذابهنّ على تقدير المعصية وتضاعف ثوابهنّ على تقدير القنوت وهو الطاعة وليس المراد احداثها وهو ظاهر قال المصنف ومن يدم على الطاعة **قوله للتعظيم اولقوله وتعمل صالحا** لامعنى لكلمة او ههنا فلذلك لم توجد فى بعض النسخ لان المقصود الاستدلال على ان ذكر الله للتعظيم ببيان ان طاعة الله تعالى قد فهم من قوله وتعمل صالحا فينبغى ان يكون ذكر الله تعالى لفائدة اخرى حذرا من التكرار فحمله على التعظيم لكونه هو المناسب للمقام واللام فى قوله مرّة على الطاعة للعهد والمعهود طاعة الله تعالى وقرأ الجمهور يانساء النبيّ من يأت ومن يقنت بالياء من تحت حملا على لفظ من وتعمل بالتاء من فوق حملا على معنى من لان المراد بها مؤنث ونؤتها بنون العظمة على طريق الالتفات من الغيبة الى التكلم وفيه لطيفة وهى انه عند ذكر ايتاء الاجر صرح بذكر المؤتى وهو الله عز وجل وعند ذكر العذاب لم يصرح بالمعذب فقال يضاعف اشارة الى كمال الرحمة والكرم وقرأ حمزة والكسائى ويعمل ويؤت بالياء من تحت فيهما لما ذكره المصنف **قوله والمعنى لستنّ كجماعة** حمل احدا على الجماعة ليطابق من قصد تفضيلهنّ بالمفضل عليهنّ فان نساء النبيّ صلى الله عليه وسلم جماعة فجعل المشبه بهنّ جماعة للمطابقة المذكورة فى الجمع **قوله مثل قول المريبات** هنّ اللاتى يوقعن الرجال فى الريبة والتهمة من جالسهنّ وصف قولهنّ بكونه خاضعا لينا للاشارة الى ان الباء فى قوله تعالى فلا تخضعن بالقول للتعدية **قوله تعالى ان اتقيتنّ** فى جوابه وجهان احدهما انه محذوف لدلالة ماتقدّم عليه اى ان اتقيتنّ مخالفة حكم الله ورضى رسول فلستنّ كاحد قال صاحب التيسير فى تفسيره اى هذه الخصلة لكن ان اتقيتنّ المعاصى ومخالفة الله ورسوله والرغبة فى الدنيا وزينتها فلايكن الكلام اذا كلمتنّ الرجال من وراء الحجاب كما يكلم الانسان من يخضع له بالطاعة ويتذلله فيما يريد والوجه الثانى ان يكون جوابه قوله فلا تخضعن واغلاظ القول لغير زوجها معدود فى جملة محاسن خصال النساء فى الجاهلية والاسلام كما عدّ منها بخلهنّ بالمال وجبنهنّ وفيه دليل على انه ينبغى للمرأة اغلاظ القول اذا خاطبت محرما لها بالمصاهرة الاترى ان الله تعالى اوصى امهات المؤمنين به وهنّ عليهم محرمات على التأبيد وقرأ العامة فيطمع بالنصب على انه جواب النهى بالفاء وقرئ بالجزم وكسر العين لالتقاء الساكنين عطفا على محل النهى لانه ليس بمجزوم بل هو مبنى لاتصال النون به فجزم المعطوف عليه ليس الا بالنظر الى محله فالمعنى لاتخضعن بالقول فلا يطمع اهل الفجور فى موافقتكنّ له **قوله من وقر يقر وقارا** اذا سكن وثبت واستقر اصله او قرن حذفت الواو تبعا للمضارع فاستغنى عن همزة الوصل فصار قرن بكسر القاف على وزن علن والمعنى كنّ اهل وقار وسكون واطمئنان وهى قرآءة العامة اومن قرّ بالمكان يقرّ بفتح العين فى الماضى وكسرها فى المضارع وهى اللغة الفصيحة فاصله اقررن ولما احتيج الى التخفيف لاجتماع حرفين من جنس

(ولا تبرجن) ولا تتبخترن في مشيتكن (تبرج الجاهلية الاولى) تبرجا مثل تبرج النساء في ايام الجاهلية القديمة قيل هي مابين آدم ونوح وقيل الزمان الذي ولد فيه ابراهيم
كانت المرأة تلبس درعا من اللؤلؤ فتمشي وسط الطريق تعرض نفسها على الرجال والجاهلية الاخرى مابين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام وقيل الجاهلية
الاولى جاهلية الكفر قبل الاسلام والجاهلية الاخرى جاهلية الفسوق في الاسلام ويعضده قوله عليه السلام لابي الدرداء
ان فيك جاهلية قال جاهلية كفر او اسلام
قال جاهلية كفر (واقمن الصلاة وآتين الزكاة
واطعن الله ورسوله) في سائر ما امركن به
ونهاكن عنه (انما يريد الله ليذهب عنكم
الرجس) الذنب المدنس لعرضكم وهو
تعليل لامرهن ونهيهن على الاستئناف
ولذلك عمم الحكم (اهل البيت) نصب
على النداء او المدح (ويطهركم) من المعاصي
(تطهيرا) واستعارة الرجس للمعصية
والترشيح بالتطهير للتنفير عنها وتخصيص
الشيعة اهل البيت بفاطمة وعلي وابنيهما
رضي الله عنهم لما روى انه عليه الصلاة
والسلام خرج ذات غدوة وعليه مرط
مرحل من شعر اسود فجلس فأتت فاطمة
فادخلها فيه ثم جاء علي فادخله فيه ثم جاء
الحسن والحسين فادخلهما فيه ثم قال انما
يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت
والاحتجاج بذلك على عصمتهم وكون
اجماعهم حجة ضعيف لان التخصيص بهم
لايناسب ماقبل الآية ومابعدها والحديث
يقتضي انهم اهل البيت لا انه ليس غيرهم
(واذكرن مايتلى في بيوتكن من آيات الله
والحكمة) من الكتاب الجامع بين الامرين
وهو تذكير بما انعم عليهن من حيث جعلهن
اهل بيت النبوة ومهبط الوحي وماشاهدن
من برحاء الوحي مما يوجب قوة الايمان
والحرص على الطاعة حثا على الانتهاء
والائتمار فيما كلفن به (ان الله كان لطيفا
خبيرا) يعلم ويدبر مايصلح في الدين ولذلك
خيركن ووعظكن او يعلم من يصلح لنبوته
ومن يصلح ان يكون اهل بيته (ان المسلمين
والمسلمات) الداخلين في السلم المنقادين
لحكم الله (والمؤمنين والمؤمنات) المصدقين
بما يجب ان يصدق (والقانتين والقانتات)
المداومين على الطاعة (والصادقين
والصادقات) في القول والعمل (والصابرين
والصابرات) على الطاعات وعن المعاصي
(والخاشعين والخاشعات) المتواضعين لله
بقلوبهم وجوارحهم (والمتصدقين
والمتصدقات) بما وجب في مالهم (والصائمين
والصائمات) الصوم المفروض (والحافظين
فروجهم والحافظات) من الحرام (والذاكرين الله كثيرا والذاكرات) بقلوبهم والسنتهم (اعد الله لهم مغفرة) لما اقترفوا من الصغائر لانهن مكفرات
(واجرا عظيما) على طاعتهم والآية وعدلهن ولامثالهن على الطاعة والتدرع بهذه الخصال

واحد نقلت حركة الراء الاولى الى القاف فاجتمع ساكنان فحذفت احداهما ثم حذفت همزة الوصل للاستغناء عنها
فصار قرن على وزن فعن او فلن ومن قرأ بفتح القاف يحتمل ان يجعله من قررت في المكان اقر فيه بكسر العين في الماضي
وفتحها في الغابر اصله اقررن فأعل كما سبق ويحتمل ان يجعله امرا من قار يقار كخاف يخاف اذا اجتمع ومنه القارة
وهي اسم قبيلة سموا قارة لاجتماعهم واتفاقهم فقيل في الامر منه قرن كخفن على وزن فلن وهذا وجه ظاهر الا
ان المقام مقام الامر بالوقار والسكون او بالاستقرار في البيوت والامر بالاجتماع فيها لايناسب المقام ﴿قوله
ولا تتبخترن﴾ اختار ان يكون التبرج التبختر وهو المشي المنبئ عن الغنج والدلال وقيل التبرج اظهار الزينة
وابراز المحاسن للرجال وعن الزجاج قال التبرج اظهار المرأة زينتها وما تستدعي به شهوة الرجال وعن قتادة هو
مشية في تغنج وتكسر ﴿قوله ويعضده﴾ اي يعضد ان الجاهلية تطلق على جاهلية الفجور والفسوق
في الاسلام كما تطلق على جاهلية الكفر ووجه التقوية ان ابا الدرداء رضي الله عنه سأل فقال اجاهلية كفر ام
جاهلية اسلام فقال عليه الصلاة والسلام * بل جاهلية كفر * فعلم بذلك ان الجاهلية تتحقق فيهما والمعنى ولا تحدثن
بالتبرج جاهلية في الاسلام تتشبهن بها باهل جاهلية الكفر قيل وهذا القول اشبه لانهم كانوا يتخذون البغايا
فيفعلن لهم ذلك ﴿قوله واطعن الله ورسوله﴾ تعميم بعد التخصيص وخص الاولين اي اعتناهما بالذكر
لكونهما اصلا للطاعات البدنية والمالية ومن اعتنى بهما جرتاه الى كل طاعة ﴿قوله الذنب المدنس لعرضكم﴾
اشارة الى ان الرجس مستعار للذنب وان وجه الشبه بينهما كون كل واحد منهما سببا للتدنس فالرجس يدنس
نحو الثوب والبدن والذنب يدنس العرض وجعل التطهير ترشيحا للاستعارة من حيث انه ملائم للمستعار منه
﴿قوله وهو تعليل لامرهن ونهيهن﴾ بيان وجه العدول عن خطاب المؤمنات اللاتي هن ازواج النبي
صلى الله عليه وسلم الى خطاب الذكور حيث قال ليذهب عنكم ويطهركم كأنه قيل انما امرتكن ونهيتكن لان ارادتي
الازلية قد تعلقت بتطهير اهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم من الذنوب والمعاصي ﴿قوله ولذلك﴾
اي ولكونه تعليلا على طريق الاستئناف عم الحكم باذهاب الرجس والتطهير من المعاصي من عدا ازواجه عليه
الصلاة والسلام حيث عبر عن جميع اهل بيته عليه الصلاة والسلام من الذكور والاناث بطريق التعبير عن
الذكور خاصة على تغليب الذكور على الاناث حيث قيل عليكم اهل البيت فان اهل البيت يتناول اولاده
وازواجه والحسن والحسين منهم وكذا علي رضوان الله عليهم اجمعين لانه كان من اهل بيته بسبب معاشرته اهل
بيت النبي صلى الله عليه وسلم وقرابته اياه وقيل المراد باهل البيت ههنا ازواج النبي صلى الله عليه وسلم لانهن في بيته
ولما تقدم وما تأخر من خطابهن وانما ذكر الخطاب في قوله عنكم ويطهركم لان النبي صلى الله عليه وسلم كان فيهن
فغلب المذكور وقال آخرون ومنهم الشيعة ازواجه عليه الصلاة والسلام ليست من اهل بيته بل المراد باهل بيته علي
وفاطمة والحسن والحسين رضوان الله عليهم اجمعين ﴿قوله وتخصيص الشيعة﴾ مبتدأ وقوله والاحتجاج
عطف عليه وضعيف خبره ﴿قوله والمرط المرحل﴾ ازار خز فيه علم ﴿قوله من الكتاب الجامع بين
الامرين﴾ يعني ان عطف الحكمة على آيات الله من قبيل عطف الصفات فان الكتاب كما انه آيات دالة على صدق
مدعي النبوة من حيث انه معجز بنظمه العجيب الشأن فانه ايضا حكمة من حيث كونه مشتملا على العلوم النظرية وطريق
الاصابة في القول والعمل ﴿قوله وهو تذكير﴾ اشارة الى ان المراد بقوله واذكرن مايتلى تلاوة القرآن
وذكره باللسان وقيل المراد ذكره بالقلب بتدبر اسراره ولطائفه واللفظ صالح للكل وبرحاء الوحي شدة الاذى
﴿قوله يعلم ويدبر مايصلح في الدين﴾ على ان يكون المقصود تقدير آية التخيير ومابعدها وقوله او يعلم من يصلح
لنبوته على ان يكون تقديرا لما ذكر من اول السورة الى هنا ﴿قوله المتواضعين لله بقلوبهم وجوارحهم﴾
وقيل المراد به الخشوع في الصلاة ومن الخشوع ان لايلتفت ﴿قوله والحافظات﴾ اي والحافظاتها ترك
مفعول الثاني لدلالة الاول عليه وكذا في قوله الذاكرات * عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم * اذا ايقظ الرجل اهله من الليل فتوضئا وصليا كتبا من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات * وعن ابن
عباس رضي الله عنهما قال جاء جبريل عليه السلام الى النبي عليه الصلاة والسلام وقال يا محمد قل سبحان الله والحمد لله
ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم عدد ماعلم وزنة ماعلم وملء ماعلم فانه من قالها
كتب الله له بها ست خصال كتب من الذاكرين الله كثيرا وكان افضل من ذكره بالليل والنهار وكن له غرسا

روى ان ازواج النبي عليه الصلاة والسلام قلن يارسول الله ذكر الله الرجال في القرآن بخير فما فينا خير نذكر به فنزلت وقيل لما نزل فيهن ما نزل قال نساء المسلمين فما نزل فينا شئ فنزلت وعطف الاناث على الذكور لاختلاف الجنسين وهو ضروري وعطف الزوجين على الزوجين لتغاير الوصفين فليس بضروري ولذلك ترك في قوله مسلمات مؤمنات وفائدته الدلالة على ان اعداد المعدّلهم للجمع بين هذه الصفات (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة) وما صح له (اذا قضى الله ورسوله امرا) اى قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر الله لتعظيم امره والاشعار بان قضاءه قضاء الله لانه نزل في زينب بنت جحش بنت عمته اميمة بنت عبد المطلب خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد بن حارثة فابت هى واخوها عبد الله وقيل في ام كلثوم بنت عقبة وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم فزوّجها من زيد (ان تكون لهم الخيرة من امرهم) ان يختاروا من امرهم شيأ بل يجب عليهم ان يجعلوا اختيارهم تبعا لاختيار الله ورسوله والخيرة ما يتخير وجمع الضمير الاوّل لعموم مؤمن ومؤمنة من حيث انهما في سياق النفي وجمع الثاني للتعظيم وقرأ الكوفيون وهشام يكون بالياء (ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا) بين الانحراف عن الصواب (واذ تقول للذى انعم الله عليه) بتوفيقه للاسلام وتوفيقك لعتقه واختصاصه (وانعمت عليه) بما وفقك الله فيه وهو زيد بن حارثة (امسك عليك زوجك) زينب وذلك انه عليه الصلاة والسلام ابصرها بعد ما انكحها اياه فوقعت في نفسه فقال سبحان الله مقلب القلوب وسمعت زينب بالتسبيحة فذكرت لزيد ففطن ذلك ووقع في نفسه كراهة صحبتها فاتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال اريد ان افارق صاحبتي فقال مالك أرابك منها شئ قال لا والله ما رأيت منها الا خيرا ولكنها لشرفها تتعظم علىّ فقال له امسك عليك زوجك (واتق الله) في امرها فلا تطلقها ضرارا او تعللا بتكبرها (وتخفى في نفسك ما الله مبديه) وهو نكاحها ان طلقها او ارادة طلاقها (وتخشى الناس) تعييرهم اياك به (والله احق ان تخشاه) ان كان فيه ما يخشى والواو للحال

في الجنة وتحاتت عنه خطاياه كما تحات ورق الشجرة اليابسة وينظر الله اليه ومن نظر الله اليه لم يعذبه **قوله روى ان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم** هذا على تقدير ان يكون قوله تعالى ان المسلمين والمسلمات الآية متقدما في النزول على قوله يانساء النبي لستن كاحد من النساء وقوله لما نزل فيهن ما نزل مبنى على ان يكون مؤخرا عنه فيه **قوله وعطف الاناث على الذكور الخ** يعنى انه تعالى ذكر عشرة اوصاف وجعل كل من اتصف بكل واحد منها زوجين باعتبار الذكورة والانوثة فصار اصناف من اتصف بها عشرين صنفا باعتبارهما وعطف اناث كل صنف ممن اتصف بتلك الخصال العشر على ذكورها كعطف المسلمات على المسلمين والمؤمنات على المؤمنين وعلى هذا عطف ايضا كل صنف من الزوجين المتعاطفين على الصنف الآخر منهما كعطف مجموع المؤمنين والمؤمنات على مجموع المسلمين والمسلمات والفرق بين العطفين المذكورين ان عطف الاناث على الذكور من قبيل عطف الذوات المختلفة بالذكورة والانوثة بعضها على بعض بعد اشتراكها في الاتصاف بوصف واحد وفي مثل هذا العطف يجب توسيط العاطف واما عطف مجموع الزوجين من صنف على المجموع من صنف آخر فهو من قبيل عطف الصفة على الصفة بحرف الجمع فكان المعنى ان الجامعين والجامعات لهذه الطاعات العشر اعد الله لهم ونظيره في دعاء صلاة الجنازة اللهم اغفر لحينا وميتنا وشاهدنا وغائبنا الى آخر المزدوجات الاربع ولا يجب تخلل العاطف بين المختلفين وصفا كما في قوله تعالى مسلمات مؤمنات لكنه تخلل في هذه الآية للدلالة على ان اعداد المعدّلهم للجمع بين هذه الصفات كأنه قيل ان الجامعين والجامعات لهذه الطاعات العشر اعد الله لهم **قوله بنت عمته** بدل من بنت جحش واميمة عطف بيان لعمته فأبت زينب عن قبول كون زيد بن حارثة زوجا لها لكونها قرشية وبنت عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو معتق من الموالي ولعل زيدا امتنع ايضا من تزويجها لاباتهما منه فانزل الله تعالى قوله وما كان لمؤمن ولا مؤمنة الآية والمراد بالمؤمن عبد الله بن جحش ويكفى في ارتباط الآية بما قبلها انه تعالى قال اوّلا واطعن الله ورسوله ومدح بعد ذلك المطيعين والمطيعات لله ورسوله فبين في هذه الآية وجوب طاعة الله تعالى وطاعة رسوله ووعيد من عصى الله ورسوله **قوله وقيل في ام كلثوم** وهى اوّل من هاجرت من النساء وهبت نفسها للنبي عليه الصلاة والسلام فقال عليه الصلاة والسلام قد قبلت وزوّجها زيدا فسخطت هى واخوها وقالا انا اردنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوّجنا عبده فعلى هذا القول المراد بقوله تعالى وما كان لمؤمن ولا مؤمنة ام كلثوم واخوها وعلى الاوّل زينب واخوها **قوله اذا قضى الله ورسوله امرا** اى حكما او اتقنا امرا من امور انفسهم والخيرة اسم من الاختيار ويدل عليه قوله ان يختاروا من امرهم شيأ لان ان مع الفعل في معنى المصدر وقوله والخيرة ما يتخير يدل على ان الخيرة بمعنى المختار كما في قوله محمد خيرة الله اى مختاره والمقصود بيان انه قد يكون بمعنى المختار الا انه في الآية بمعنى الاختيار وجمع ضميرلهم مع كونه راجعا الى لمؤمن بتنوين الوحدة لانه لما وقع في سياق النفي صار بمعنى كل مؤمن ومؤمنة في الدنيا وجمع الثاني اى جمع ضمير امرهم مع كونه راجعا الى الله ورسوله لتعظيم المرجع اليه والمعنى ليس لواحد منهم ان يريد غير ما اراده الله تعالى ورسوله ويمتنع عما اراده الله ورسوله **قوله وقرأ الكوفيون** ان يكون بالياء من اسفل لكون تأنيث الخيرة غير حقيقى وللفصل ايضا والباقون بالتاء من فوق اعتبارا للفظ الخيرة **قوله وانعمت عليه بما وفقك الله فيه** من الاعتاق والتبنى والاختصاص فان ذلك مسند اليه عليه الصلاة والسلام من حيث صدوره منه ومسند اليه تعالى من حيث كون ذلك الصدور بتوفيق الله تعالى اياه لذلك روى انه عليه الصلاة والسلام اتى زيدا لحاجة فابصر زينب قائمة وكانت بيضاء جميلة جسيمة من اتم نساء قريش فوقع في قلبه منها شئ فقال سبحان الله مقلب القلوب وانصرف فسمعت زينب الخ **قوله أرابك** يجوز ان تكون الهمزة فيه للاستفهام وان تكون همزة افعل كاكرم واخرج يقال رابه الدهر واراباه اى اقلقه **قوله والواو للحال** اى الواو في قوله وتخفى للحال وكذا الواو في كل واحد من قوله وتخشى الناس ومن قوله والله احق ان تخشاه الاوّل حال من فاعل تقول وقوله وتخشى الناس حال من الضمير في تخفى وقوله والله احق حال من الضمير في تخشى وهذه الاحوال متداخلة الا ان كل واحد من تخفى وتخشى مضارع مثبت والواو في المضارع المثبت انما تكون للحال بتقدير المبتدأ اى وانت تخفى وانت تخشى كما في قولك قمت واصك وجهك والمعنى على هذا تقول لزيد امسك عليك زوجك مخفيا في نفسك ارادة ان لا يمسكها وتخفى ذلك خاشيا قالة الناس وتخشى الناس حقيقا في ذلك بان تخشى الله ويحتمل ان تكون الواو ان الاوّلان للعطف على

تقول كأنه قيل واذكر اذ كنت تجمع بين قولك أمسك عليك زوجك واخفاء خلافه وخشيت الناس والله احق ان تخشاه حتى لاتفعل مثل ذلك وليس المعنى انه عليه الصلاة والسلام خشي الناس ولم يخش الله تعالى بل المعنى انه تعالى احق ان تخشاه وحده ولاتخشى احدا معه وانت تخشاه وتخشى الناس ايضا فاقصر خشيتك على الله تعالى كما قال تعالى الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولايخشون احدا الا الله قال عمر وابن مسعود وعائشة رضي الله عنهم مانزل على رسول الله آية اشد من هذه الآية وقالت عائشة رضي الله عنها لوكتم النبي صلى الله عليه وسلم شيأ من الوحي لكتم هذه الآية ارادت من شدتها عليه وروى عن عليّ بن الحسين زين العابدين رضي الله عنهم اجمعين انه قال في هذه الآية كان الله تعالى قد اعلم نبيه عليه الصلاة والسلام ان زينب ستكون من ازواجه وان زيدا سيطلقها فلما جاء زيد وقال انى اريد ان اطلقها قال له أمسك عليك زوجك فعاتبه الله تعالى وقال له لم قلت امسك عليك زوجك وقد اعلمتك انها ستكون من ازواجك وهذا هو الاولى والاليق بحال الانبياء ولعل الحكمة في ذلك انه كان من حكم العرب ان من تبنى ولدا كان كولده من صلبه في التوريث وحرمة نكاح امرأته على الاب المتبنى فاراد الله تعالى ان يبطل حكمهم بقول النبي عليه الصلاة والسلام وفعله ليكون انجع في قلوبهم واقطع لعادتهم واخبر الله رسوله ان زينب ستكون من ازواجك فزوجها لزيد ثم انهما يتفرقان بعد مدة فتزوجها انت لنفسك ليتقرر عندهم بطلان حكم العرب وكان عليه الصلاة والسلام يخفيه في نفسه الى ان يظهره الله تعالى في وقته ولما وقع هذا النكاح ومضت مدة ووقعت بينهما خشونة فجاء زيد يشكوها الى النبي عليه الصلاة والسلام ويذكر رفعتها عليه وسوء خلقها معه فقال له امسك عليك زوجك اى جاملها وبالخلق الحسن عاملها ولا تطلقها واتق الله يازيد في رعاية حقوق النكاح عاتبه الله على ذلك بقوله وتخفي في نفسك يامحمد ماالله مبديه اى مظهره وهو مااعلمك الله من انك تتزوجها اذا طلقها زيد برضاها واختياره وانقضت عدتها وتخشى الناس اى تكره مقالة الناس انه تزوج امرأة ابنه والله احق ان تخشاه فتفعل مااباحه لك واذن لك فيه ﴿قوله فانه وحده حسن﴾ اى اخفاء الميل الى نكاحها ان طلقها زوجها واخفاء ارادة طلاقها حسن لظهور قبح ان يقول له طلقها فانى اريد نكاحها فان الاولى له ان يصمت عند ذلك اويقول له انت اعلم بشأنك حتى لايخالف ظاهره باطنه فان اللائق للانبياء موافقة الظاهر الباطن ﴿قوله بحيث ملها﴾ الملال السآمة وانقطاع الرغبة وقوله ولم يبق له فيها حاجة عطف تفسير لملاله منها عن الزجاج قال معنى قضاء الوطر في اللغة بلوغ منتهى مافي النفس من الشئ يقال قضى وطرا منها اذا بلغ ماأراد من حاجته فيها من الوقائع واعتبر في قضاء وطره منها تطليقه اياها وانقضاء عدتها لان الزوجة مادامت في نكاح الزوج لايكون الزوج قاضيا الوطر بالكلية لبقاء التمكن من استيفاء حاجته منها وكذا اذا كانت في العدة يكون له بها تعلق لكونه في صدد تعوق برآءة رحمها من الشغل فلايكون قاضيا وطره منها بعد فاذا طلقت وانقضت عدتها استغنى عنها ولم يبق له تعلق بها فحينئذ قد قضى منها الوطر ﴿قوله اوجعلها زوجته بلاواسطة عقد﴾ روى انه عليه الصلاة والسلام ارسل رسولا يخطبها لنفسه فقالت ماانا بصانعة شيأ حتى أوآمر ربى فقامت الى مسجدها فنزل القرآن ودخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير اذن وقال الشعبي كانت زينب تقول للنبي صلى الله عليه وسلم انى لادل عليك بثلاث مامن نسائك امرأة تدل بهن جدى وجدك واحد وانى انكحنيك الله في السماء وان السفير لجبريل ﴿قوله وقيل كان السفير في خطبتها﴾ بكسر الخاء والمنوى في كان ضمير زيد ذكر في الكشاف انها لمااعتدت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مااجد احدا اوثق في نفسي منك اخطب لى زينب قال زيد فانطلقت فاذا هى تخمر عجينها فلما رأيتها عظمت في صدرى حتى مااستطيع ان انظر اليها حين علمت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرها فحولت لها ظهرى وقلت يازينب أبشرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطبك ففرحت وقالت ماانا بصانعة شيأ حتى أوآمر ربى فقامت الى مسجدها ونزل القرآن زوجناكها وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دخل عليها بغير اذن ولما بين الله تعالى ان الامر الذى اراده لتزويج زينب من رسول الله صلى الله عليه الصلاة والسلام كائن لامحالة بين انه لاحرج عليه في هذا الانكاح فقال ماكان على النبي من حرج اى من اثم وضيق ﴿قوله سنة الله﴾ مصدر مؤكد لفعله المحذوف اى سن الله ذلك سنة كصنع الله ووعد الله بين به ان انتفاء الحرج عن هذا النبي فيما فرض الله له سنة قديمة له تعالى في جميع

وليست المعاتبة على الاخفاء وحده فانه وحده حسن بل على الاخفاء مخافة قالة الناس واظهار ماينافى اضماره فان الاولى في امثال ذلك ان يصمت اويفوض الامر الى ربه (فلما قضى زيد منها وطرا) حاجة بحيث ملها ولم يبق له فيها حاجة وطلقها وانقضت عدتها (زوجناكها) وقيل قضاء الوطر كناية عن الطلاق مثل لاحاجة لى فيك وقرئ زوجتكها والمعنى انه امر بتزوجها منه اوجعلها زوجته بلا واسطة عقد ويؤيده انها كانت تقول لسائر نساء النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تولى انكاحى وانتن زوجكن اولياؤكن وقيل كان السفير في خطبتها وذلك ابتلاء عظيم وشاهد بين على قوة ايمانه (لكى لايكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا) علة للتزويج وهو دليل على ان حكمه وحكم الامة واحد الا ماخصه الدليل (وكان امر الله) امره الذى يريده (مفعولا) مكونا لامحالة كما كان تزويج زينب (ماكان على النبي من حرج فيما فرض الله له) قسم له وقدر من قولهم فرض له في الديوان ومنه فروض العسكر لارزاقهم (سنة الله) سن ذلك سنة (في الذين خلوا من قبل) من الانبياء وهو نفى الحرج عنهم فيما اباح لهم (وكان امر الله قدرا مقدورا) قضاء مقضيا وحكما مبتوتا

من مضى من الذين يبلغون رسالات الله وقرّر هذا الحكم بانه امر اراده الله وكان امر الله قضاء مقضيا يقع لا محالة كما قرّر تزويج زوجة دعيه عليه الصلاة والسلام اياه بقوله وكان امر الله مفعولا وقوله الذين يبلغون يحتمل ان يكون مجرور المحل على انه صفة قوله الذين خلوا وان يكون فى محل الرفع بتقدير المبتدأ او فى محل النصب بتقدير اعنى او امدح ﴿ **قوله** تعريض بعد تصريح ﴾ فانه تعالى صرّح بقوله وتخشى الناس والله احق ان تخشاه اى انه عليه الصلاة والسلام يخشى الله تعالى ويخشى الناس ايضا ثم قال والله احق ان تخشاه وحده ولا تخشى احدا معه وتوصيف الرسل المتقدمة بانهم يخشون الله ولا يخشون احدا الا الله تعريض له عليه الصلاة والسلام بانه يخشى الناس ايضا ﴿ **قوله** كافيا للمخاوف او محاسبا ﴾ الاوّل على ان يكون حسيبا من قولك حسبك درهم اى كفاك حتى صيرك قائلا حسبى والثانى على ان يكون من قولك حسبته احسبه بالضم حسبا وحسابا اذا عددته اى وكفى بالله حافظا لاعمال خلقه مجازيا بها فهو الاحق ان يخشى دون خلقه ثم انه عليه الصلاة والسلام لما تزوّج زينب قال الناس ان محمدا تزوّج امرأة ابنه فانزل الله تعالى قوله ما كان محمد ابا احد من رجالكم يعنى انه ليس باب لزيد فتحرم عليه امرأته وعبر عن هذا النفى بما دل عليه كتابه حيث قيل من رجالكم للمبالغة فيه وهو عليه الصلاة والسلام وان كان ابا للحسن والحسين رضى الله عنهما الا انهما لم يبلغا مبلغ الرجال حينئذ كما لم يبلغه ابناؤه الصلبية ولئن بلغاه لكانا من رجاله عليه الصلاة والسلام لا من رجالهم وايضا المنفى كونه عليه الصلاة والسلام ابا صلبيا للرجال وليس ابا صلبيا لولدى ولده ولعل وجه الاستدراك فى قوله تعالى ولكن رسول الله انه تعالى لما نفى كونه عليه الصلاة والسلام ابالهم على الحقيقة كان ذلك مظنة ان يتوهم ان ليس بينه عليه الصلاة والسلام وبينهم ما يوجب تعظيمهم اياه وانقيادهم وعدم اعتراضهم عليه فى شئ مما فعله فدفعه ببيان ان حقه آكد من حق الاب الحقيقى وكان قوله من رجالكم مظنة ان يتوهم كونه عليه السلام ابا احد من رجال نفسه الذين ولدوا منه فدفعه بعطف قوله وخاتم النبيين على قوله رسول الله فانه يدل على انه عليه الصلاة والسلام لا يكون ابا لواحد من رجال نفسه ايضا لانه لو بقى له ابن بالغ بعده لكان اللائق به ان يكون نبيا بعده فلا يكون هو عليه الصلاة والسلام خاتم النبيين روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال يريد لو لم يختم به النبيون لجعلت له ولدا يكون نبيا بعده على ما روى انه عليه الصلاة والسلام قال مثلى ومثل الانبياء قبلى كمثل قصر احسن بنيانه وترك منه موضع لبنة فطاف به النظار يتعجبون من حسن بنيانه الا موضع تلك اللبنة لا يعيبون منه سوى خلوّ موضعها فكنت انا موضع تلك اللبنة ختم بى البنيان وختم بى الرسل ﴿ **قوله** وآخرهم الذى ختمهم ﴾ على ان خاتم بكسر التاء وهى قرآءة من عدا عاصما من القرآء وقرأ عاصم بفتح التاء وهو اسم لما به يختم ويطبع ويقال له الطابع ايضا وفى الصحاح الطبع الختم وهو التأثير فى الطين ونحوه والطابع بالفتح الخاتم والطابع بالكسر لغة فيه فمن قرأ وخاتم بكسر التاء اراد انه عليه الصلاة والسلام فاعل الختم حيث ختم النبيين ومن قرأ بفتحها اراد انه عليه الصلاة والسلام آخر النبيين لا نبى بعده حيث ختموا به وتم به بنيان النبوّة واعتبر به كما يعتبر الكتاب بالخاتم ولما كان عليه الصلاة والسلام آخر النبيين صار بمنزلة الخاتم بالنسبة اليهم حيث ختموا به فسمى خاتم النبيين ﴿ **قوله** وقرئ رسول الله بالرفع ﴾ والعامة على تخفيف لكن ونصب رسول ونصبه اما على اضمار كان لدلالة كان السابقة عليها اى ولكن كان واما بالعطف على ابا احد والاوّل اولى لان لكن ههنا ليست بعاطفة لاجل الواو فالاليق بها ان تكون هى التى تدخل على الجمل كبل التى ليست بعاطفة وقرئ لكنّ بتشديد النون على ان رسول الله اسمها وخبرها محذوف ﴿ **قوله** يغلب الاوقات ﴾ كما قال مجاهد رضى الله عنه الذكر الكثير هو ان لا تنساه ابدا وقال مقاتل هو التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير على كل حال بان يقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر فان هذه الكلمات يتكلم بهنّ صاحب الجنابة والغائط والحدث والحيض والنفاس ﴿ **قوله** وتخصيصهما بالذكر ﴾ مع ان المقصود الامر بتسبيحه على الدوام بقرينة قوله وسبحوه بعد قوله اذكروا الله ذكرا كثيرا من قبيل التخصيص بعد التعميم اظهارا لشرف الخاص وايماء بانه لغاية فضله وزيادة شرفه لم يتناوله العام المذكور قبله فاحتيج الى ذكره على حدة وهى النكتة فى كل ما هو من هذا القبيل ولما كان المراد بالذكر الكثير الذكر على الدوام من غير تخصيصه بوقت دون وقت كان المراد بالتسبيح المندرج تحته التسبيح فى كافة الاوقات ايضا الا انه خص طرفى النهار بالذكر للدلالة على فضلهما وتمحيصا لما جرى بينهما يقال محصت الذهب بالنار اذا خلصته مما يشوبه ﴿ **قوله** وقيل الفعلان ﴾ اعنى اذكروه وسبحوه وهو عطف

(الذين يبلغون رسالات الله) صفة للذين خلوا او مدح لهم منصوب او مرفوع وقرئ رسالة الله (ويخشونه ولا يخشون احدا الا الله) تعريض بعد تصريح (وكفى بالله حسيبا) كافيا للمخاوف او محاسبا فينبغى ان لا يخشى الا منه (ما كان محمد ابا احد من رجالكم) على الحقيقة فيثبت بينه وبينه ما بين الوالد وولده من حرمة المصاهرة وغيرها ولا ينتقض عمومه بكونه ابا للطاهر والطيب والقاسم وابراهيم لانهم لم يبلغوا مبلغ الرجال ولو بلغوا كانوا رجاله لا رجالهم (ولكن رسول الله) وكل رسول ابو امته لا مطلقا بل من حيث انه شفيق ناصح لهم واجب التوقير والطاعة عليهم وزيد منهم وليس بينه وبينه ولادة وقرئ رسول الله بالرفع على انه خبر محذوف ولكنّ بالتشديد على حذف الخبر اى ولكن رسول الله من عرفتم انه لم يعش له ولد ذكر (وخاتم النبيين) وآخرهم الذى ختمهم او ختموا به على قرآءة عاصم بالفتح ولو كان له ابن بالغ لاق منصبه ان يكون نبيا كما قال عليه الصلاة والسلام فى ابراهيم حين توفى لو عاش لكان نبيا ولا يقدح فيه نزول عيسى بعده لانه اذا نزل كان على دينه مع ان المراد انه آخر من نبئ (وكان الله بكل شئ عليما) فيعلم من يليق بان يختم به النبوّة وكيف ينبغى شأنه (يا ايها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا) يغلب الاوقات ويعم انواع ما هو عليه من التقديس والتمجيد والتهليل والتحميد (وسبحوه بكرة واصيلا) اوّل النهار وآخره خصوصا وتخصيصهما بالذكر للدلالة على فضلهما على سائر الاوقات لكونهما مشهودين كافراد التسبيح من جملة الاذكار لانه العمدة فيها وقيل الفعلان موجهان اليهما

على ماقبله من حيث المعنى فانه فسر الفعل الاوّل بما معناه اذكروه فى عموم الاوقات والاحوال بما يعم انواع ماهواهله ثم جعل قوله بكرة واصيلا ظرفا لقوله سبحوه فقط قال الزمخشرى انه من قبيل صم وصل يوم الجمعة ولم يرض به لان حمل الذكر على مايعم انواعه وحمل كثرته على وقوعه فى كافة الاوقات والاحوال ثم ذكر التسبيح وطرفى النهار بخصوصهما اظهار لمزيد فائدة بليغة لاتوجد فيما قاله الزمخشرى ﴿قوله وقيل المراد بالتسبيح الصلاة﴾ فالمعنى صل لله بالغداة والعشى قال الكلبى امابكرة فصلاة الفجر واما اصيلا فصلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء كما قال تعالى وأقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل وكقوله تعالى فسبحان الله حين تمسون الآية ﴿قوله مستعار من الصلا﴾ لما فسر الصلاة المسندة اليه تعالى بالرحمة والى الملائكة بالاستغفار وورد عليه ان يقال كيف يصح ارادة معنيين مختلفين بلفظ واحد اشار الى جوابه بان الصلاة المدلول عليها بقوله تعالى يصلى عبارة عن معنى مجازى هو القدر المشترك بين المعنيين المذكورين وهو العناية بصلاح امر الانسان وظهور شرفه وهذا المعنى المشترك يصح ان يسند اليه تعالى والى الملائكة الا ان العناية المسندة اليه تعالى هى الرحمة وما اسند الى الملائكة هو الاستغفار فليس هنا ارادة معنيين مختلفين بلفظ واحد ووجه كون هذا القدر المشترك معنى مجازيا للصلاة ان الصلاة اسم موضوع موضع المصدر وهو التصلية فان القياس ان يقال صلى تصلية ولايقال كذا بل صلى صلاة وتصلية العصا مثلا عبارة عن اصلاحها وتقويمها يقال صليت العصا بالنار اذا لينتها بها وقوّمتها فشبهت العناية بصلاح امر الانسان وظهور شرفه بتصلية العصا فسميت باسم المشبه به على سبيل الاستعارة ﴿قوله وقيل الترحم﴾ معطوف على قوله وهو العناية اى وقيل الامر المشترك بين رحمة الله تعالى واستغفار الملائكة هو الترحم والانعطاف المعنوى اطلق لفظ الصلاة على هذا المعنى المشترك بينهما تشبيها له بالصلاة التى هى الانعطاف الصورى بالركوع والسجود ولفظ الصلاة مجاز فى الانعطاف الصورى ايضا لكونه مأخوذا من الصلا وهو العظم الذى عليه الاليتان يقال صلى صلاة اى حرك صلويه ثم نقل لفظ الصلاة الى الاذكار المعهودة والاركان المخصوصة لان المصلى ينعطف ويتحرك فى ركوعه وسجوده ويحرك صلويه فيهما فلما كان لفظ الصلاة مجازا مرسلا فى الاذكار المعهودة كان مجازا فى الانعطاف المعنوى فى المرتبة الثانية والانعطاف قدر مشترك بين الرحمة والاستغفار يطلق على كل واحد منهما على سبيل الحقيقة وهو قوله واستغفار الملائكة ودعاؤهم للمؤمنين ترحم عليهم ثم اشار بقوله سيما وهو سبب الرحمة الى جواز ان يكون الترحم والانعطاف المعنوى حقيقة فى الرحمة مجازا فى الاستغفار سمى استغفار الملائكة ترحما لكونه سببا للرحمة من حيث انهم مجابوا الدعوة فيكون لفظ الصلاة مجازا فى الترحم بالمعنى الاعم المتناول لرحمة الله تعالى حقيقة ولدعاء المؤمنين بالرحمة فى حقهم فان الملائكة لما قالوا اللهم صل على المؤمنين جعلوا كأنهم فاعلوا الرحمة فى حقهم لكونهم مستجابى الدعوة فليس لفظ الصلاة مستعملا فيما هو رحمة الله تعالى حقيقة وفيما هو رحمة مجازا وهو استغفار الملائكة ودعاؤهم بل هو مستعمل فى الترحم المتناول لهما على طريق عموم المجاز فلفظ الصلاة ليس فيه جمع بين الحقيقة والمجاز بل هو مستعمل فى الترحم الذى هو معنى مجازى له وذلك الترحم متناول لما هو رحمة الله تعالى حقيقة ولما هو رحمة مجازا على طريق عموم المجاز ﴿قوله يحيون﴾ يجوز ان يعظمهم الله تعالى بسلامه عليهم كما يفعل بهم سائر انواع التعظيم فقد ورد فى الخبر ان الله تعالى يقول السلام عليكم مرحبا بعبادى المؤمنين الذين ارضونى فى دار الدنيا باتباع امرى وروى ايضا ان الله تعالى يقول سلام عليكم عبادى انا عنكم راض فهل انتم عنى راضون فيقولون باجمعهم يا ربنا كل الرضى كل الرضى وقيل تحييهم الملائكة على ابواب الجنة بالسلام اذا دخلوها من كل باب وقيل يحييهم بذلك ملك الموت عند قبض ارواحهم لايقبض روح مؤمن الا سلم عليه وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال اذا جاء ملك الموت لقبض ارواح المؤمنين قال ربك يقرئك السلام وقيل تسلم عليهم الملائكة حين يخرجون من قبورهم تبشرهم بالجنة ويجوز ان يكون من اضافة المصدر الى فاعله على معنى يحيى بعضهم بعضا فى الجنة ويقول امن لنا ولكم من كل مكروه ﴿قوله يوم لقائه عند الموت او الخروج من القبر او دخول الجنة﴾ جعل لقاء احد هذه الثلاثة لقاء الله تعالى لان الانسان فى حال حياته غير مقبل بكليته على الله تعالى وكيف وهو حال نومه غافل عنه وفى اكثر اوقات يقظته مشغول عنه بتحصيل امور دنياه بخلاف هذه الاحوال فانه لاشغل لاحد فيها يلهيه عن ذكر الله تعالى فهى فى حكم لقاء الله تعالى حقيقة ﴿قوله ولعل اختلاف النظم﴾ حيث عطف الجملة الفعلية

وقيل المراد بالتسبيح الصلاة (هو الذى يصلى عليكم) بالرحمة (وملائكته) بالاستغفار لكم والاهتمام بما يصلحكم والمراد بالصلاة المشترك وهو العناية بصلاح امركم وظهور شرفكم مستعار من الصلا وقيل الترحم والانعطاف المعنوى مأخوذ من الصلاة المشتملة على الانعطاف الصورى الذى هو الركوع والسجود واستغفار الملائكة ودعاؤهم للمؤمنين ترحم عليهم سيما وهو سبب للرحمة من حيث انهم مجابوا الدعوة (ليخرجكم من الظلمات الى النور) من ظلمات الكفر والمعصية الى نور الايمان والطاعة (وكان بالمؤمنين رحيما) حتى اعتنى بصلاح امرهم وانافة قدرهم واستعمل فى ذلك ملائكة المقربين (تحيتهم) من اضافة المصدر الى المفعول اى يحيون (يوم يلقونه) يوم لقائه عند الموت او الخروج من القبر او دخول الجنة (سلام) اخبار بالسلامة من كل مكروه وآفة (واعدّ لهم اجرا كريما) هى الجنة ولعل اختلاف النظم لمحافظة الفواصل والمبالغة فيما هو أهم

(يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا) على من بعثت اليهم بتصديقهم وتكذيبهم ونجاتهم وضلالهم وهو حال مقدرة (ومبشرا ونذيرا
وداعيا الى الله) الى الاقرار به وبتوحيده
ومايجب الايمان به من صفاته (باذنه) بتيسيره
واطلق له من حيث انه من اسبابه وقيد به
الدعوة ايذانا بانه امر صعب لا يتأتى الا بمعونة
من جانب قدسه (وسراجا منيرا) يستضاء به
فى ظلمات الجهالة ويقتبس من نوره انوار
البصائر (وبشر المؤمنين بانّ لهم من الله
فضلا كبيرا) على سائر الامم او على اجر اعمالهم
ولعله معطوف على محذوف مثل فراقب
احوال امتك (ولا تطع الكافرين والمنافقين)
تهييج له على ماهو عليه من مخالفتهم (ودع
اذاهم) ايذآءهم اياك ولا تحتفل به او ايذآءك
اياهم مجازاة او مؤاخذة على كفرهم ولهذا
قيل انه منسوخ (وتوكل على الله) فانه
يكفيكهم (وكفى بالله وكيلا) موكولا اليه
الامر فى الاحوال كلها ولعله تعالى لما وصفه
بخمس صفات قابل كلا منها بخطاب يناسبه
فحذف مقابل الشاهد وهو الامر بالمراقبة لان
مابعده كالتفصيل له وقابل المبشر بالامر
ببشارة المؤمنين والنذير بالنهى عن مراقبة
الكفار والمبالاة باذاهم والداعى الى الله
بتيسيره بالامر بالتوكل عليه والسراج المنير
بالاكتفاء به فان من اناره الله تعالى برهانا على
جميع خلقه كان حقيقا بان يكتفى به عن غيره
(يا ايها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم
طلقتموهنّ من قبل ان تمسوّهن) تجامعوهن
(فما لكم عليهنّ من عدّة) ايام يتربصن فيها
بانفسهنّ (تعتدّونها) تستوفون عددها
من عددت الدراهم فاعتدّها كقولك كلته
فاكتاله او تعدّونها والاسناد الى الرجال
للدلالة على ان العدّة حق الازواج كما اشعر به
فما لكم وعن ابن كثير تعتدونها مخففا على ابدال
احدى الدالين بالتاء او على انه من الاعتدآء
بمعنى تعتدّون فيها وظاهره يقتضى عدم
وجوب العدّة بمجرّد الخلوة وتخصيص
المؤمنات دون الكتابيات والحكم عام للتنبيه
على ان من شان المؤمن ان لا ينكح الا مؤمنة
تخيرا لنطفه وفائدة ثم ازاحة ما عسى يتوهم
ان تراخى الطلاق ريثما يمكن الاصابة كما يؤثر
فى النسب يؤثر فى العدّة (فمتعوهنّ) اى ان
لم تكن مفروضا لها فان الواجب للمفروض لها نصف المفروض دون المتعة وهى سنة

على الاسمية فان التعبير عن مضمون الجملة الفعلية التى يكون فيها ماضيا مثبتا ابلغ فى بيان ثبوتها من الاسمية الدالة على مجرّد الثبوت ثم انه تعالى لما بين انه اخرج المؤمنين من ظلمات الكفر والمعصية الى انوار الايمان والطاعة برحمته وبسبب دعاء الملائكة واستغفارهم وقرّر ذلك بقوله وكان بالمؤمنين رحيما اشار الى ان معظم رحمته فى حقهم ارسال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فقال انا ارسلناك شاهدا على امتك وعلى جميع الامم بتبليغ الرسالة والتصديق منهم والتكذيب مقبولا قولك عند الله لهم وعليهم كما يقبل قول الشاهد العدل ومبشرا بالجنة لمن صدقك ونذيرا اى منذرا لمن كذبك بالنار ﴿قوله واطلق له﴾ اى اطلق لفظ الاذن واريد التيسير والتسهيل بطريق اطلاق اسم السبب على المسبب فان الدخول فى حق الغير متعذر فاذا صودف الاذن تسهل وتيسر فلما كان الاذن سببا لتيسر ماتعذر صح ان يراد به التيسير مجازا وانما صرف عن ظاهره وحمل على المجاز لانه قد فهم من قوله انا ارسلناك انه عليه افضل الصلاة والسلام مأذون له فى الدعاء الى الله وتوحيده وطاعته فلو لم يحمل على المجاز لما بقى له فائدة ﴿قوله وقيد به الدعوة﴾ فان قوله باذنه حال من المنوى فى داعيا اى ملتبسا باذنه او صفة مقيدة له وقوله تعالى وسراجا منيرا من قبيل التشبيه البليغ وقول المصنف يستضاء به ويقتبس من نوره بيان لوجه الشبه ﴿قوله او على اجر اعمالهم﴾ على ان المراد بالفضل مايتفضل به عليهم زيادة على الثواب الموعود لهم بمقابلة اعمالهم ﴿قوله ولعله معطوف على محذوف﴾ حذف اعتمادا على دلالة المقام لانه تعالى وصفه بخمس صفات وكلفه بمقابلة كل واحدة منها بتكليف على حدة ولما لم يذكر مايقابل قوله شاهدا مع انه قد ذكر مايقابل سائر الصفات علم انه ملحوظ فى الكلام وان لم يذكر لنكتة فصح العطف عليه وان العطف من جملة مايدل على كونه ملحوظا معتبرا فى الكلام فكأنه قيل ارسلناك شاهدا ومبشرا فراقب وبشر الخ عن عطاء بن يسار قال لقيت عبد الله ابن عمر وقلت له اخبرنى عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التوراة قال والله انه لموصوف فى التوراة ببعض صفته فى القرءآن يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للمؤمنين انت عبدى ورسولى سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب فى الاسواق ولا يدفع بالسيئة السيئة بل يعفو ويصفح ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء ويفتح به اعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا ثم انه تعالى لما ذكر فى ارشاد رسوله عليه الصلاة والسلام وتأديبه مايتعلق بجانبه تعالى فقال يا ايها النبي اتق الله ثم ذكر مايتعلق بجانب من تحت يده من ازواجه بقوله يا ايها النبي قل لازواجك ذكر فى ارشاد المؤمنين مايتعلق بجانبه تعالى فقال يا ايها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا ثم ذكر مايتعلق بجانب من تحت ايديهم فقال تعالى يا ايها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ﴿قوله تجامعوهن﴾ والخلوة الصحيحة بها تقوم مقام المساس عند الحنفية وهى ان يخلو بها من غير ان يكون فى احد الزوجين مانع شرعىّ كالاحرام والصوم الفرض والحيض او مانع حسى كالمرض او مانع عقلىّ بان يكون هناك شخص يستحيى منه الزوج فلو خلا بها على هذا الوجه ثم طلقها قبل الدخول بها يجب على الزوج المهر كاملا وعليها العدّة احتياطا واما اذا خلا بها مع احد الموانع المذكورة ثم طلقها قبل الدخول فعليه نصف المهر وعليها العدّة احتياطا ﴿قوله من عددت الدراهم فاعتدها﴾ اى استوفى عدّتها فقوله تعتدّونها تفتعلونها من العدد على ان بناء افتعل للاتخاذ بنفسه والمعنى فما لكم عليهنّ من ايام يتربصن فيها بانفسهنّ تستوفون انتم عددها بالاقرآء او الاشهر فقوله تعتدّونها صفة لعدّة ﴿قوله او تعدونها﴾ على ان يكون افتعل بمعنى فعل كما يقال صبر واصطبر وكذا عدّ واعتدّ ﴿قوله على ابدال احدى الدالين بالتاء﴾ كراهة اجتماع حرفى التضعيف كما فى تقضى البازى فتكون القرآءتان بمعنى واحد لكونهما من الاعتداد وان كان من الاعتدآء بمعنى الظلم يكون التقدير فما لكم عليهنّ من عدّة تعتدّون فيها فان الزوج المطلق ان الزمها العدّة ومنعها من ان تنكح زوجا آخر فقد ظلمها بغير حق فضمير تعتدّونها للعدّة اجرى الظرف مجرى المفعول به حيث لم يقدر كلمة فى اتساعا كما فى قولك الذى سرته اى سرت فيه يوم الجمعة وفى قوله ويوم شهدناه سليما وعامرا ﴿قوله والحكم عام﴾ فان من نكح كتابية ثم طلقها قبل المسيس فليس له عليها من عدّة كما فى المؤمنة فلا وجه بحسب الظاهر لتخصيص المؤمنات بالذكر وحاصل الجواب ان مفهوم المخالفة انما يثبت ان لو لم يكن للتخصيص فائدة سواه وهنا له فائدة سواه وهى التنبيه على ماذكر ﴿قوله تخيرا لنطفه﴾ اى اختيارا واصطفاء لها ﴿قوله وفائدة ثم الخ﴾ جواب عما يقال ما الفائدة فى الاتيان بكلمة ثم مع ان حكم من طلقت على الفور بعد العقد كذلك ﴿قوله اى ان لم تكن

مفروضالها﴾ يعني ان الامر للوجوب ولاتجب المتعة الالمن لم يسم لها مهر وقد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال هذا اذا لم يكن سمى لها صداق فانه تجب لها المتعة ان طلقت قبل المسيس وان كان قد فرض لها صداق فلها نصف الصداق ولامتعة لها ﴿قوله ويجوز ان يأوّل﴾ بان لايكون الامر بالتمتيع مشروطا بان لاتكون مفروضا لها بل يكون فى حق من طلقت قبل دخول مطلقا سوآء سمى لها اولم يسم بان يأوّل قوله فمتعوهن باعطاء مايستمتعن به وهو يتناول المتعة المتعارفة ونصف المفروض اوبان يحمل الامر على مايعم الايجاب والندب فان من سمى لهامهر حين العقدان طلقت قبل وطئ يستحب تمتيعها بشئ زآئد على نصف المسمى والمذكور فى كتب الحنفية ان المطلقات اربع مطلقة لم توطأ ولم يسم لها مهر فتجب لها المتعة وهى درع وخمار وملحفة ومطلقة لم توطأ وقد سمى لها فهى التى لم تستحب لها المتعة بل يجب لها نصف المسمى ومطلقة قد وطئت ولم يسم لها مهر ومطلقة قد وطئت وسمى لها مهر فهاتان يستحب لهما المتعة فالحاصل انه اذا وطئها يستحب لها المتعة سوآء سمى لها مهر اولم يسم لانه اوحشها بالطلاق بعد ماسلمت اليه المعقود عليه وهو البضع فيستحب ان يعطيها شيأ زآئدا على الواجب وهو المسمى فى صورة التسمية ومهر المثل فى صورة عدم التسمية وان لم يطأها ففى صورة التسمية تأخذ نصف المسمى من غير تسليم البضع فلا يستحب لها شئ آخر وفى صورة عدم التسمية تجب المتعة لانها لم تأخذ شيأ ﴿قوله ولايجوز تفسيره﴾ اى تفسير السراح الجميل بالطلاق السنى وهو ان يطلق غير الموطوءة طلقة واحدة ولو فى زمان حيض وان يفرّق طلقات الموطوءة فى ثلاثة اطهار لاوطئ فيها ان كانت ممن تحيض اوفى ثلاثة اشهر ان كانت آيسة اوصغيرة اوحاملا فان الاشهر فى حقهن قائمة مقام الحيض ﴿قوله لانه مرتب على الطلاق﴾ من حيث كونه معطوفا على ماهو مرتب على الطلاق وهو قوله فمتعوهن وغير المدخول بها بعدما طلقت لاتكون محلا للطلاق لزوال علقة النكاح بالكلية بطلاقها قبل الدخول فامتنع تفسيره بالطلاق ثم انه تعالى قال على سبيل الامتنان لنبيه صلى الله عليه وسلم ياايها النبى انا احللنا لك ازواجك اى نساءك اللاتى اعطيت مهورهن والمراد بالايتاء وهو الاعطاء حقيقة الاداء وقد يطلق على مجرّد القول والالتزام كما فى قوله تعالى حتى يعطوا الجزية اى يلتزموها وغيره عليه الصلاة والسلام ممن له اكثر من اربع نسوة امره ان يترك مازاد على الاربع وقد احل الله تعالى للنبى صلى الله عليه وسلم امساك التسع ولم يأمره بالفرقة عمازاد على الاربع وايضا قداختارله عليه الصلاة والسلام ماهو الافضل والاولى من المحللات كما اختار للمؤمنين نكاح المؤمنات لكونه الاولى لهم الاترى انه تعالى وصف الازواج المحللة له عليه الصلاة والسلام بقوله اللاتى آتيت اجورهن وبكونهن مهاجرات معه وبكونهن من اقاربه من جهة ابيه اوامه ووصف المملوكات منهن بقوله مما افاء الله عليك فان تسمية المهر واداءه افضل من تركها وكذا الجارية اذاكانت مسبية مالكها وخطبة سيفه ورمحه ومما غنمه الله من دار الحرب تكون احل واطيب ممن تشترى من اهل الجلب لانها لولم تكن مما غنمه الله من دار الحرب احتمل ان تكون من سبي خبثه بان سبيت من اهل العهد والذمة وكذا المهاجرة افضل من غيرها لان الهجرة حينئذ كانت من فروض الاعيان وكذا قرآئب النبى عليه الصلاة والسلام من جهة ابيه اوامه اقرب منه فى الكفاءة من غيرها فتوصيف المحللات بهذه الصفات ليس لبيان انحصارها فيما وجد فيه احدى الصفات بل للامتنان بان المسوق اليه عليه الصلاة والسلام منها انما هو اولاها وافضلها ﴿قوله فاعتذرت اليه﴾ قيل اعتذرت اليه عليه الصلاة والسلام بان قالت انى مصبية اى ذات صبية والطلقاء جمع طليق وهو فعيل بمعنى مفعول وهو الاسير اذا اطلق عنه اساره اى قيده وخلى سبيله ولما فتح عليه الصلاة والسلام مكة عنوة صار اهلها غنيمة وملكا فاعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فسموا الطلقاء ﴿قوله نصب بفعل يفسره ماقبله﴾ اى ويحل لك امرأة مؤمنة او عطف على مفعول احللنا اى واحللنالك امرأة موصوفة بهذين الشرطين قال ابو البقاء وقد اوردهنا قوم وقالوا احللنا ماض وان وهبت وهو صفة المرأة مستقبل فاحللنا فى موضع جوابه وجواب الشرط يكون ماضيا فى المعنى ثم قال وهذا ليس بصحيح لان معنى الاحلال ههنا الاعلام بالحل اذا وقع الفعل على ذلك كما تقول ابحت لك ان تكلم فلانا ان سلم عليك انتهى يعنى ليس المعنى ان وهبت لك نفسها فى المستقبل احللناك اياها فيما مضى بل المعنى ان وهبت فاعلم انا احللناهالك ﴿قوله ولذلك نكرها﴾ اى ولاجل ان الاحلال كان على تقدير ان تتفق الهبة نكر امرأة اذ لو كانت الواهبة محققة لكانت متعينة فكان المناسب

ويجوز ان يأوّل التمتيع بما يعمهما او الامر بالمشترك بين الوجوب والندب فان المتعة سنة للمفروض لها (وسرحوهن) اخرجوهن من منازلكم اذ ليس لكم عليهن عدة (سراحا جميلا) من غير ضرار ولامنع حق ولايجوز تفسيره بالطلاق السنى لانه مرتب على الطلاق والضمير لغير المدخول بهن (ياايها النبى انا احللنا لك ازواجك اللاتى آتيت اجورهن) مهورهن لان المهر اجر على البضع وتقييد الاحلال له باعطائها معجلة لالتوقف الحل عليه بل لايثار الافضل له كتقييد احلال المملوكة بكونها مسبية بقوله (وما ملكت يمينك مما افاء الله عليك) فان المشتراة لايتحقق بدء امرها وماجرى عليها وتقييد القرآئب بكونها مهاجرات معه فى قوله (وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتى هاجرن معك) ويحتمل تقييد الحل بذلك فى حقه خاصة ويعضده قول ام هانئ بنت ابى طالب خطبنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت اليه فعذرنى ثم انزل الله هذه الآية فلم احل له لانى لم اهاجر معه وكنت من الطلقاء (وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبى) نصب بفعل يفسره ماقبله او عطف على ماسبق ولايدفعه التقييد بان التى للاستقبال فان المعنى بالاحلال الاعلام بالحل اى اعلمناك حل امرأة مؤمنة تهب لك نفسها ولاتطلب مهرا ان اتفق ولذلك نكرها

التعريف ﴿قوله واختلف في اتفاق ذلك﴾ اى اختلف فى انه عليه الصلاة و السلام هل كانت عنده امرأة من التى وهبت نفسهاله فقال عبدالله بن مسعود و مجاهد لم يكن عنده عليه الصلاة و السلام امرأة وهبت نفسهاله ولم يكن عنده امرأة الا بعقد نكاح او ملك يمين و قوله تعالى ان وهبت نفسها على طريق الشرط والجزآء و قال آخرون بل كانت عنده موهوبة فقيل هى زينب بنت خزيمة الانصارية و قيل هى ميمونة بنت الحارث و قيل هى ام شريك بنت جابر من بنى اسد و قيل هى خولة بنت حكيم من بنى سليم ﴿قوله او مدة ان وهبت﴾ على أن تكون أن مع الفعل فى حكم المصدر الذى حذف معه الزمان المضاف كما فى قولك ترتحل صياح الديك و نظيره فى كون المصدر الأوّل محذوفا معه المصدر قولك اجلس مادام زيد جالسا بمعنى مدّة دوامه جالسا ﴿قوله شرط للشرط الاوّل﴾ اى قيدله و لذلك يقال فى اعرابه انه حال من الاوّل لان الحال قيد لعامله و لهذا اشترط الفقهاء ان يتقدم الشرط الثانى على الاوّل فى الوجود فلو قال ان اكلت ان ركبت فانت طالق فلابدّ ان يتقدم الركوب على الاكل لتحقق الحالية و التقييد اذلو لم يتقدم لخلا جزء من الاكل غير مقيد بركوب بجعل الاكل شرطا لطلاقها و جعل ركوب نفسه شرطا لكون الاكل مستلزما لطلاقها فلما كان الشرط الاوّل بمنزلة جزآء الشرط الثانى وجب ان يكون الشرط الثانى متقدما فى الوجود على الاوّل لان الشرط مقدم على الجزآء فى الوجود حتى لو وجد الشرطان على الترتيب الذى تلفظ به لاينحل اليمين مالم يوجد الاوّل بعده ثانيا فكأنه قيل و احللنالك امرأة مؤمنة ان وهبت نفسها لك اى ان ملكت نفسها اياك بالنكاح بلفظ الهبة من غير مهر حال ارادتك و محبتك ان تنكحها على ان يكون استنكح بمعنى نكح كما يقال نكر واستنكر وعجل واستعجل وعجب واستعجب كما اشار اليه بقوله الا بارادته نكاحها فينبغى ان يكون قوله بعد هذا و الاستنكاح طلب النكاح و الرغبة فيه بيانا لمعنى بناء الاستنكاح لغة لابيانا لما اريد به فى نظم الآية اذليس لان يقال ان اراد النبىّ ان يطلب نكاحها و ان رغب فيه معنى ظاهر فلذلك فسر الامام النسفى قوله تعالى ان اراد النبىّ ان يستنكحها بقوله ان أحب ان ينكحها كما يقال نكر واستنكر ﴿قوله واحتج به اصحابنا﴾ يعنى ان قوله تعالى خالصة لك لمادل على ان حصول التزوّج و حل مايتفرع عليه من الاستمتاع بلفظ الهبة من خصائصه عليه الصلاة و السلام لان اختصاصه بمعنى الهبة و حكمها يستلزم اختصاصه باللفظ ايضا * قال الامام قوله خالصة لك من دون المؤمنين قال الامام الشافعى رحمه الله معناه اباحة الوطئ بالهبة و حصول التزوّج بلفظها من خصائصك و قال ابو حنيفة معناه تلك المرأة صارت خالصة لك زوجة و من امّهات المؤمنين لاتحل لغيرك ابدا بالتزويج ثم قال و يمكن ان يقال فعلى هذا يكون التخصيص بالواهبة لافائدة فيه لان ازواجه عليه الصلاة و السلام كلهنّ خالصات له بهذا المعنى انتهى كلامه * وقال علماؤنا رحمهم الله ان النكاح ينعقد بلفظ الهبة اذا طلب الزوج منها النكاح حتى لو طلب منها التمكين من الوطئ فقالت وهبت نفسى منك و قبل الزوج يكون نكاحا و استدلوا عليه بان الآية قد دلت على احلال الواهبة و صحة نكاحها بلفظ الهبة و قد تقرّر انه عليه الصلاة و السلام و امّته سوآء فى الاحكام الا ماخصه الدليل و لادلالة لقوله تعالى خالصة لك على كون صحة النكاح بلفظ الهبة من خصائصه عليه الصلاة و السلام لما مرّ من ان معناه من كون الواهبة من امّهات المؤمنين لاتحل لاحد بعده ابدا فلو وهبت نفسها من احد بغير مهر و قبل الآخر بمحضر الشهود يصح النكاح و لها مهر مثلها ﴿قوله اى خلص احلالها﴾ اى احلال من وهبت نفسها بلامهر على ان يكون الخلوص من صفة المرأة الواهبة نفسها فقط ﴿قوله او احلال ما احللنالك على القيود المذكورة﴾ وهى الاصناف الاربعة المذكورة بعد قوله تعالى انا احللنالك و المراد بالقيود المذكورة كون الازواج اعطيت مهورهنّ معجلة و كون المماليك مسبيات و كون الاقارب مهاجرات و كون المرأة المؤمنة واهبة نفسها له عليه الصلاة و السلام فعلى هذا تكون صفة الخلوص متعلقة بالاصناف الاربعة المتقدمة * فان قيل ماوجه كون المسبيات و المهاجرات و من عجلت مهورهنّ خالصة له عليه الصلاة و السلام مع كونهنّ محللات لغيره عليه الصلاة و السلام * قلنا ليس المراد بالخلوص خلوص احلالهنّ مطلقا بل المراد خلوص احلالهنّ على القيود المذكورة كما اشار اليه المصنف بقوله على القيود المذكورة فانه متعلق بقوله او احلال فانهنّ احلت فى حقه عليه الصلاة و السلام بهذه القيود وهى ايتاء الاجور و الايفاء و الهجرة و الهبة و امافى حق غيره عليه الصلاة و السلام فانهنّ احلت غير مقيدات بهذه القيود و المصدر قد يجيئ على وزن فاعلة نحو عاقبة و كاذبة قال تعالى ليس لوقعتها

وأختلف فى اتفاق ذلك والقائل به ذكر اربعا ميمونة بنت الحارث و زينب بنت خزيمة الانصارية و ام شريك بنت جابر وخولة بنت حكيم وقرئ أن بالفتح اى لان وهبت او مدة أن وهبت كقولك اجلس مادام زيد جالسا (ان اراد النبىّ ان يستنكحها) شرط للشرط الاوّل فى استيجاب الحل فان هبتها نفسها منه لاتوجب له حلها الا بارادته نكاحها فانها جارية مجرى القبول والعدول عن الخطاب الى الغيبة بلفظ النبى مكرّرا ثم الرجوع اليه فى قوله (خالصة لك من دون المؤمنين) ايذان بانه مما خص به لشرف نبوّته وتقرير لاستحقاقه الكرامة لاجله واحتج به اصحابنا على ان النكاح لاينعقد بلفظ الهبة لان اللفظ تابع للمعنى وقد خص عليه الصلاة و السلام بالمعنى فيخص باللفظ و الاستنكاح طلب النكاح و الرغبة فيه وخالصة مصدر مؤكد اى خلص احلالها او احلال ما احللنالك على القيود المذكورة خلوصا لك او حال من الضمير فى وهبت او صفة لمصدر محذوف اى هبة خالصة (قد علمنا ما فرضنا عليهم فى ازواجهم) من شرآئط العقد و وجوب المهر بالوطئ حيث لم يسم و القسم (وما ملكت ايمانهم) من توسيع الامر فيها انه كيف ينبغى ان يفرض عليهم والجملة اعتراض بين قوله (لكيلا يكون عليك حرج) و متعلقه و هو خالصة للدلالة على ان الفرق بينه و بين المؤمنين فى نحو ذلك لا لمجرّد قصد التوسيع عليه بل لمعان تقتضى التوسيع عليه و التضييق عليهم تارة و بالعكس اخرى (وكان الله غفورا) لما يعسر التحرّز عنه (رحيما) بالتوسعة فى مظانّ الحرج

كاذبة اى كذب وقد يجيء على وزن فاعل نحو قاعد فى قوله * أقاعدا والركب قد سارا * وكذا خالصة فى الآية فانه يجوز ان يكون مصدرا مؤكدا لفعله المحذوف كوعدالله والتقدير خلص خلوصا ويحتمل ان يكون انتصابه على انه حال من فاعل وهبت اى ان وهبت نفسها حال كونها خالصة لك لاتحل لاحد غيرك فى الدنيا والآخرة او على انه حال من امرأة لانها وصفت فتخصصت وهى بمعنى الاوّل واليه ذهب الزجاج ثم انه تعالى لما بين انه احل له عليه الصلاة والسلام الاصناف الاربعة الموسومة بما فيهنّ من القيود المخصوصة قال بعده قد علمنا ما فرضنا عليهم اى على المؤمنين والمعنى انه تعالى قد علم ما يجب فرضه على المؤمنين فى الازواج والاماء وعلى اىّ وجه وصفة يجب ان يفرض عليهم ففرضه كذلك حيث فرض عليهم ان يقتصروا على الاربع وحرم عليهم الزيادة عليها وان ينكحوا الحرّة على الامة وجوّز ان يزيدوا عليها فى الجوارى المملوكة وان كثرن وفرض عليهم ان لايتزوّج الرجل امرأة الابولىّ وشهود ومهر بخلاف النبى عليه الصلاة والسلام فانه تعالى احل له الواهبة نفسها خذ بغير مهر وبغير ولىّ ولم يوجب عليه ان يقتصر على الاربع بناء على انه تعالى علم الحكمة فى اختصاصه عليه الصلاة والسلام بما خصه الله تعالى به ففعل ذلك وقوله تعالى لكيلا يكون عليك حرج متصل بقوله خالصة لك من دون المؤمنين والمعنى خلص احلالنا ما احللنا لك على القيود المذكورة خلوصا لك لينفى الحرج عنك فى دينك ودنياك اما الاوّل فلانه تعالى اختار له عليه الصلاة والسلام ما هو افضل واولى للاختيار وهى من سمى لها مهر وعجل هو لها ومن كانت مهاجرة ومن المماليك من كانت مسبية واما الثانى فلانه تعالى احل له اجناس المنكوحات وزاد له الواهبة نفسها من غير مهر وفى توسيعه عليه الصلاة والسلام بهذه الملاك المباحة عون له على القيام بما امر به **قوله وقرأ نافع وحمزة والكسائى وحفص ترجى بالياء** على ان ارجى افعل من الناقص وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر وابو بكر ترجئ بالهمزة وفى الصحاح ارجيت الامر اخرته يهمز ولايهمز فيقال ارجأت الامر وارجيته بمعنى اخرته نزلت الآية فى انه تعالى اباح للنبى عليه الصلاة والسلام مضاجعة نسائه ومعاشرتهنّ كيف شاء من غير حرج عليه تخفيفا له وتفضلا واباح له ان يجعل لمن احب منهنّ يوما او اكثر او يعطل من يشاء منهنّ فلا يأتيها وقد كان القسم والتسوية بينهنّ واجبا عليه فلما نزلت هذه الآية سقط عنه ذلك وصار الاختيار اليه فيهنّ فارجأ عليه الصلاة والسلام بعضهنّ وآوى اليه بعضهنّ وكان ممن آوى اليه عائشة رضى الله عنها وحفصة وزينب وامّ سلمة فكان يقسم بينهنّ سوآء وارجأ منهنّ خمسا امّ حبيبة وميمونة وسودة وصفية وجويرية فكان يقسم لهنّ ما يشاء وقيل ما اخرج واحدة منهنّ عن القسم مع انه تعالى فوّض امر القسم اليه بل كان يسوّى بينهنّ فى القسم الا سودة فانها تركت حقها فى القسم وجعلت يومها لعائشة رضى الله عنها ومن فى قوله تعالى ومن ابتغيت يجوز ان تكون شرطية فى محل النصب لما بعدها وقوله فلا جناح عليك جوابها والمعنى ومن طلبتها من النسوة اللاتى عزلتهنّ فليس عليك فى ذلك جناح ويجوز ان تكون فى محل الرفع على الابتدآء وحذف العائد وعلى هذا يجوز ان تكون من موصولة وان تكون شرطية وقوله فلا جناح عليك اما خبر او جواب ولابدّ حينئذ من ضمير راجع الى اسم الشرط والتقدير والتى ابتغيتها فلا جناح عليك فى ابتغائها وطلبها **قوله اقرب الى قرّة عيونهنّ** اختار المصنف قرآءة الجمهور وهى ان تقرّ بالفتحات الثلاث على بناء الفاعل وهو اعينهنّ من قرّت عينه تقرّ قرّة وقرورا بكسر العين فى الماضى وفتحها فى الغابر نقيض سخنت تسخن فان السرور له دمعة باردة والحزن له دمعة حارّة او نقيض طمحت وارتفعت الى ما هو فوقه ولم تستقرّ فالمعنى على الاوّل ذلك اقرب الى ان تبرّد اعينهنّ اى الى ان يصرن مسرورات وان تطيب انفسهنّ لانهنّ اذا علمن ان هذا جاء من الله كان اطيب لانفسهنّ واقل لحزنهنّ وعلى الثانى ذلك اقرب الى ان تستقرّ اعينهنّ فلا تطمح الى ما هو فوقه وقرئ ادنى ان تقرّ اعينهنّ بضم التاء وكسر القاف واسناد الفعل الى ضمير المخاطب ونصب اعينهنّ على المفعولية من اقرّ الله عينه اى اعطاه حتى استقرّت عينه او بردت وقرئ ايضا ان تقرّ على بناء المفعولية ورفع اعينهنّ لقيامه مقام الفاعل وقرأ العامة كلهنّ بالرفع على انه تأكيد نون رضين التى هى ضمير الفاعل وقرئ بالنصب على انه تأكيد لمفعول آتيتهنّ **قوله من بعد التسع** لما بنى بعد على الضم علم انه قطع عن الاضافة وان المضاف اليه محذوف منوىّ وذكر المصنف فى تعيين المضاف اليه احتمالين الاوّل انه التسع اللاتى اخترن الله ورسوله والثانى انه يوم نزول الآية واشار الى ان الفرق بين الاحتمالين ان يكون المقصود من الآية على الاحتمال الاوّل بيان ان التسع فى حقه عليه الصلاة والسلام نصابه من الازواج

فلايحل له ان يتجاوز النصاب وان جازله نكاح امرأة اخرى على تقدير ان تموت واحدة من التسع وعلى الاحتمال الثانى يكون المقصود قصره عليه الصلاة والسلام على هؤلاء التسع اللاتى اخترن الله ورسوله والدار الآخرة بدل الحياة الدنيا وزينتها حين خيرهنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بحيث لو ماتت واحدة منهنّ لم يحل له نكاح اخرى وقال الامام والاولى ان يقال لاتحل لك النساء من بعد اختيارهنّ الله ورسوله ورضاهنّ بما تؤتيهنّ من الوصول والهجران والنقص والحرمان انتهى كلامه يريد ان الآية لما نزلت بعد ما خيرهنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخترن الله ورسوله كان المناسب ان يكون المضاف اليه المقدّر ماذكره لكونه ادل على انه تعالى انما حرم عليه النساء سواهنّ ونهاه عن تطليقهنّ وعن الاستبدال بهنّ شكرا لهنّ على حسن صنيعهنّ وقول المصنف او من بعد اليوم خلاصة ماذكره الامام وقوله تعالى ولاان تبدل اصله ولاان تتبدل بهنّ بمعنى تستبدل يقال استبدل الشئ بغيره وتبدل به اذا اخذه به كأنه قيل ولاان تأخذ بمقابلتهنّ احدا من الازواج بان تطلق واحدة منهنّ وتنكح مكانها اخرى فحرم عليه طلاق النساء اللواتى كنّ عنده اذ جعلهنّ امهات المؤمنين وحرمهنّ على غيره حين اخترنه وقيل كانت العرب فى الجاهلية يتبادلون بازواجهم يقول الرجل للرجل بادلنى بامرأتك وابادلك بامرأتى تنزل لى عن امرأتك وانزل لك عن امرأتى فانزل الله عزوجل ولاان تبدل بهنّ من ازواج يعنى ان تبادل بازواجك غيرك بان تعطيه زوجتك وتأخذ زوجته ثم استثنى من هذا الحكم الاماملكت يمينك اى لابأس فى ان تبادل بجاريتك ماشئت واما الحرآئر فلا ويؤيد هذا القول ماروى عن ابى هريرة رضى الله عنه انه قال دخل عيينة بن حصين على النبى صلى الله عليه وسلم بغير اذن وعنده عائشة رضى الله عنها فقال له النبى صلى الله عليه وسلم ياعيينة اين الاستئذان قال يارسول الله مااستأذنت على رجل قط ممن مضى منذ ادركت ثم قال من هذه الحميرآء التى الى جنبك فقال هذه عائشة امّ المؤمنين فقال عيينة أفلا انزل لك عن احسن الخلق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قد حرم ذلك فلما خرج قالت عائشة من هذا يارسول الله قال هذا احمق مطاع وانه على ماترين لسيد قومه ﴿قوله تعالى ولو اعجبك حسنهنّ﴾ كقوله عليه الصلاة والسلام «اعطوا السائل ولو على فرس» اى اعطوه فى كل حال ولو على هذه الحال المنافية فمعنى الآية ليس لك ان تطلق احدا من نسائك وتنكح بدلها اخرى فى كل حال ولو فى حال انك اعجبك حالها ﴿قوله لتوغله فى التنكير﴾ والحال من النكرة لايجوز تأخيرها من ذى الحال قيل فيه نظر لانه اذا كان فى الحال واو جاز تأخيرها عن ذى الحال النكرة لان الواو ترفع التباسها بالصفة بناء على انه لايجوز توسيط الواو بين الصفة والموصوف واختلفوا فى انه عليه الصلاة والسلام هل ابيح له النساء من بعد بان نسخت هذه او هى محكمة قالت عائشة رضى الله عنها مامات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى احل له النساء وقال انس مات على التحريم ثم قال الزهرى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ومافعله يتزوّج النساء قال ابن عباس رضى الله عنهما انه عليه الصلاة والسلام ملك بعد هؤلاء مارية فكان الامر موسعا عليه فيهنّ كما هو موسع على امّته ﴿قوله وقيل المعنى﴾ عطف على قوله من بعد التسع قيل لابىّ بن كعب لو مات نساء النبى عليه الصلاة والسلام أكان يحل له ان يتزوّج قال ومايمنعه من ذلك قيل انما يمنعه قوله تعالى لاتحل لك النساء من بعد قال انما احل الله ضربا من النساء بقوله ياايها النبىّ انا احللنا لك ازواجك الآية ثم قال لايحل لك من بعد اى من بعد هؤلاء الاصناف المذكورة فله ان يتزوّج من نساء قومه المهاجرات ماشاء ولو ثلاثمائة والفرق بين القولين ان الآية على القول الاوّل فيها حكمان تحريم الزيادة على التسع وتحريم التبديل وعلى الثانى فيها حكم واحد وهو تحريم غير مانص عليه من الاجناس الاربعة المذكورة فى قوله تعالى انا احللنا لك الخ وقوله ولاان تبدّل بهنّ تأكيد لذلك فيجوز له ان يزيد على العدد المذكور وان يتبدل بكلهنّ او بعضهنّ ازواجا اخر من جنس مانص عليه ولم يرض به المصنف لان تخلل العاطف بين التأكيد والمؤكد غير معهود ﴿قوله استثناء من النساء﴾ فيجوز ان يكون فى محل النصب على أصل الاستثناء او فى محل الرفع على البدلية وهو المختار ولم يرض بكون الاستثناء منقطعا لابتنائه على ان تحمل النساء على الازواج حتى يكون استثناء الاماء من خلاف الجنس وهو خلاف الظاهر ﴿قوله الا وقت ان يؤذن لكم﴾ على ان يكون ان مع الفعل فى معنى الظرف قائما مقامه على خلاف مااشتهر عند النحاة من ان أن المصدرية لاتقع موقع الظرف فلا يقال آتيك ان يصيح الديك وانما يجوز ذلك فى المصدر الصريح نحو آتيك صياح الديك اى وقت صياحه ﴿قوله او الامأذونا لكم﴾ على ان يكون ان مع الفعل فى موضع النصب على الحال

(والمعنى)

(ولاان تبدل بهنّ من ازواج) فتطلق واحدة وتنكح مكانها اخرى ومن مزيدة لتأكيد الاستغراق (ولو اعجبك حسنهنّ) حسن الازواج المستبدلة وهو حال من فاعل تبدل دون مفعوله وهو من ازواج لتوغله فى التنكير وتقديره مفروضا اعجابك بهنّ واختلف فى ان الآية محكمة او منسوخة بقوله ترجئ من تشاء منهنّ وتؤوى اليك من تشاء على المعنى الثانى فانه وان تقدّمها قرآءة فهو مسبوق بها نزولا وقيل المعنى لايحل لك النساء من بعد الاجناس الاربعة اللاتى نص على احلالهنّ لك ولاان تبدّل بهنّ ازواجا من اجناس اخر (الاماملكت يمينك) استثناء من النساء لانه يتناول الازواج والاماء وقيل منقطع (وكان الله على كل شئ رقيبا) فتحفظوا امركم ولاتتخطوا ماحدّلكم (ياايها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوت النبى الا ان يؤذن لكم) الا وقت ان يؤذن لكم او الا مأذونا لكم

والمعنى على الاوّل لاتدخلوا منازله التى فيها نساؤه فى وقت من الاوقات الا وقت كذا وعلى الثانى لاتدخلوا منازله على اىّ حال من الاحوال الا حال كذا **﴿قوله غير منتظرين وقته﴾** على ان يكون الانى اسما بمعنى الوقت فيجمع على آناء قال تعالى ومن آناء الليل اى ساعاته فحينئذ يحتاج الى تقدير المضاف اى انى اكله او تقديمه اليكم لان الزمان لايضاف الى العين بل يضاف الى الحدث **﴿قوله او ادراكه﴾** على ان يكون الانى مصدرا تقول انى يانى انى مثل قلى يقلى قلى يقال انى الطعام انى بمعنى ادرك ادراكا والنظر قد يكون بمعنى الانتظار قال تعالى انظرونا نقتبس من نوركم اى انتظرونا ووجه كون قوله تعالى غير ناظرين اناه مشعرا بما ذكره انه لما نهى عن الدخول فى جميع الاحوال الا فى حال عدم انتظار الداخل وقت تناول الطعام دل ذلك على ان الدخول على الطعام من غير دعوة لايحسن وان اذن فان الداخل بالاذن اذا نهى عن الانتظار لادراك الطعام كيف يحسن للمستأذن فى الدخول على الطعام ان يستأذن ويدخل عليه من غير دعوة **﴿قوله وهو حال من فاعل لاتدخلوا﴾** ووقع الاستثناء على الوقت والحال معا كأنه قيل لاتدخلوا بيوت النبىّ عليه الصلاة والسلام فى وقت من الاوقات كانهوا عن الدخول من غير دعوة واذن نهوا ايضا عن انتظار وقت الطعام وتحينه ليدعوا اليه فيدخلوا الا وقت الاذن اى لاتدخلوها فى حال من الاحوال الا غير ناظرين او من المجرور فى لكم والعامل على هذا ان يؤذن **﴿قوله وقرئ بالجرّ﴾** يعنى ان العامّة قرأوا غير ناظرين بالنصب على الحال وفى ذى الحال وجهان كما تقدّم وقرئ بالجرّ على انه صفة لطعام على رأى الكوفيين فانهم يجوّزون ان يستتر الضمير فى اسم الفاعل الجارى صفة على غير من هى له كما جاز فى الفعل نحو مررت برجل تضربه ولايجب ان يقال تضربه انت لعدم اللبس فيجيزون ايضا ان يقال دعينا الى طعام غير منتظرين تقديمه الينا لعدم اللبس وعند البصريين لايجوز ذلك بل يجب ان يقال غير منتظرين نحن فانهم يقولون يجب اظهار الضمير الذى فى ناظرين بان يقال الى طعام غير ناظرين اناه انتم **﴿قوله لقوم كانوا يتحينون طعام رسول الله﴾** اى ينتظرون وقت تناول الطعام يقال تحين الوارش اذا انتظر وقت الاكل ليدخل والوارش الداخل على القوم وهم يأكلون ولم يدع مثل الواغل فى الشراب ولما كان مدلول الآية تحريم الدخول فى جميع الاوقات الا وقت الاذن الى الطعام وتحريم لبث من دخل بالاذن الى الطعام بعد الطعام لاجل قضاء مهم فيلزم ان لايجوز الدخول لمن اذن له لاستفتاء امر دينى واستماع حديث دنيوى ولا اللبث بعد الطعام لمهم شرعى دفع هذا الاشكال بجعل الخطاب لطائفة مخصوصة كأنه قيل يا ايها المتحينون لاتفعلوا ما انتم عليه من تحين الطعام والدخول بغير اذن والقعود منتظرين لادراكه وليس لكم الا الدخول بالدعوة والاذن والانتشار بعدما طعمتم من غير لبث وكان قوم منهم اذا طعموا جلسوا يستأنس بعضهم ببعض للحديث اى لاجله او لحديث اهل البيت بتسمعه فنهوا عن ذلك بقوله تعالى ولامستأنسين لحديث اى ولا طالبين انس بعضكم ببعض لاجل حديث يحدثه على ان يكون اللام فى قوله لحديث لام العلة او ولا طالبين انس حديث لاهل البيت او غيرهم على ان تكون اللام لتقوية العامل لانه فرع روى فى سبب نزول الآية ايضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اولم على زينب بتمر وسويق وشاة وامر أنسا رضى الله عنه ان يدعو الناس فترادفوا أفواجا يأكل فوج فيخرج ثم يدخل فوج الى ان قال يا رسول الله دعوت حتى ما اجد احدا ادعوه فقال ارفعوا طعامكم وتفرّق الناس وبقى ثلاثة نفر يتحدثون فاطالوا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخرجوا فانطلق الى حجرة عائشة رضى الله عنها فقال السلام عليكم يا اهل البيت فقالوا وعليك السلام يا رسول الله كيف وجدت اهلك فطاف بالحجرات فسلم عليهنّ ودعون له ورجع فاذا الثلاثة جلوس يتحدثون وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم شديد الحياء منعه حياؤه عن امرهم بالخروج فتولى فلما رأوه متوليا خرجوا فرجع فلما دخل الحجر ارخى الستر فنزّل قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوت النبى الا ان يؤذن لكم الى آخر آية الحجاب والذى سبق من الآية خطاب لقوم كانوا يتحينون طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيدخلون عليه قبل الطعام فينتظرون الى ان يدرك ثم يأكلون ولايخرجون وكان عليه الصلاة السلام يتأذى بهم لتضيق المنزل عليه وعلى اهله واشتغاله فيما لايعنيه فذلك مروىّ عن ابن عباس رضى الله عنهما **﴿قوله من اخراجكم لقوله الخ﴾** استدل بقوله تعالى والله لايستحيى من الحق على انه لابدّ من تقدير المضاف فى قوله منكم ووجه الاستدلال انه لو لم يقدّر لكان الظاهر ان يقال والله لايستحيى منكم ليكون متعلق النفى والاثبات شيأ واحدا فلما قيل والله لايستحيى من الحق ولم يمكن حمل الثانى على الاوّل اذ لامعنى

(الى طعام) متعلق بيؤذن لانه متضمن معنى
يدعى للاشعار بانه لايحسن الدخول على
الطعام من غير دعوة وان اذن كما اشعر به قول
(غير ناظرين اناه) غير منتظرين وقته او ادراك
وهو حال من فاعل لاتدخلوا او المجرور
فى لكم وقرئ بالجرّ صفة لطعام فيكون جار
على غير من هو له بلا ابراز الضمير وهو غير
جائز عند البصريين وقد امال حمزة والكسائى
اناه لانه مصدر انى الطعام اذا ادرك (ولكن
اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا)
تفرّقوا ولاتمكثوا والآية خطاب لقوم كانو
يتحينون طعام رسول الله صلى الله عليه وس
فيدخلون ويقعدون منتظرين لادراك
مخصوصة بهم وبامثالهم والا لما جاز لاحد
يدخل بيوته بالاذن لغير الطعام ولا اللبث
بعد الطعام لمهم (ولامستأنسين لحديث
لحديث بعضكم بعضا او لحديث اهل البيت
بالتسمع له عطف على ناظرين او مقدّر بفع
محذوف اى ولاتدخلوا ولاتمكثوا مستأنسين
(ان ذلكم) اللبث (كان يؤذى النبىّ
لتضييق المنزل عليه وعلى اهله واشتغاله ف
لايعنيه (فيستحيى منكم) من اخراجكم لقو
(والله لايستحيى من الحق) يعنى ان اخراج
حق فينبغى ان لايترك حياء كما لم يتركه الله تر
الحيى فامركم بالخروج وقرئ لايستح
بحذف الياء الاولى والقاء حركتها على ا
(واذا سألتموهنّ متاعا) شيأ ينتفع
(فاسألوهنّ) المتاع (من وراء حجاب) س
روى ان عمر رضى الله عنه قال يا رسو
يدخل عليك البرّ والفاجر فلو امرت امها
المؤمنين بالحجاب فنزلت وقيل انه عليه الصل
والسلام كان يطعم ومعه بعض اصحابه فاصاب
يد رجل يد عائشة فكره النبى عليه الصل
والسلام ذلك فنزلت (ذلكم اطهر لقلوب
وقلوبهنّ) من الخواطر الشيطانية

(وماكان لكم) وماصح لكم (ان تؤذوا رسول الله) ان تفعلوا مايكرهه (ولان

تنكحوا ازواجه من بعده ابدا) من بعد وفاته او فراقه وخص التي لم يدخل بها لماروى ان اشعث بن قيس تزوج المستعيذة في ايام عمر رضي الله عنه فهم برجمها فاخبر بانه عليه الصلاة والسلام فارقها قبل ان يمسها فترك من غير نكير (ان ذلكم) يعني ايذآءه ونكاح نسائه (كان عندالله عظيما) ذنبا عظيما وفيه تعظيم من الله لرسوله وايجاب لحرمته حيا وميتا ولذلك بالغ في الوعيد عليه فقال (ان تبدوا شيأ) كنكاحهن على السنتكم (او تخفوه) في صدوركم (فان الله كان بكل شئ عليما) فيعلم ذلك فيجازيكم به وفي هذا التعميم مع البرهان على المقصود مزيد تهويل ومبالغة في الوعيد (لاجناح عليهن في آبائهن ولاابنائهن ولااخوانهن ولاابناء اخوانهن ولا ابناء اخواتهن) استثناء لمن لايجب الاحتجاب عنهم روى انه لما نزلت آية الحجاب قال الآباء والابناء والاقارب يارسول الله اونكلمهن ايضا من ورآء حجاب فنزلت وانما لم يذكر العم والخال لانهما بمنزلة الوالدين ولذلك سمي العم ابا في قوله واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحق اولانه كره ترك الاحتجاب عنهما مخافة ان يصفا لابنائهما (ولانسائهن) يعني النساء المؤمنات (ولا ماملكت ايمانهن) من العبيد والاماء وقيل من الاماء خاصة وقدمر في سورة النور (واتقين الله) فيما امرتن به (ان الله كان على كل شئ شهيدا) لايخفى عليه خافية (ان الله وملائكته يصلون على النبي) يعتنون باظهار شرفه وتعظيم شأنه (ياايها الذين آمنوا صلوا عليه) اعتنوا انتم ايضا فانكم اولى بذلك وقولوا اللهم صل على محمد (وسلموا تسليما) وقولوا السلام عليك ايها النبي وقيل وانقادوا لاوامره والآية تدل على وجوب الصلاة والسلام عليه في الجملة وقيل تجب الصلاة كلما جرى ذكره لقوله عليه الصلاة والسلام رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي وقوله من ذكرت عنده فلم يصل علي فدخل النار فابعده الله وتجوز الصلاة على غيره تبعا له وتكره استقلالا لانه في العرف صار شعاراً لذكر الرسل ولذلك كره ان يقال محمد عز وجل وان كان عزيزا جليلا

لان يقال والله لايمتنع من انفسكم لان استحياء الله تعالى من شئ معناه الامتناع منه فان امثال ذلك يراد منها الغاية في حقه تعالى وامكن حمل الاول على الثاني بتقدير المضاف فيه فعل ذلك فكان المعنى فيستحيي من اخراجكم والله لايستحيي منه لكونه حقا روى انه لما نزلت آية الحجاب قال رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لوتوفي رسول الله لتزوجت عائشة رضي الله عنها فنزل قوله تعالى وماكان لكم ان تؤذوا رسول الله بوجه من الوجوه ولاان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا اي من بعد موته او فراقه اهله في حياته ﴿ قوله تزوج المستعيذة ﴾ وهي اسماء بنت النعمان الكندية وكانت من احسن النساء الا انها لم تكن من اقربائه عليه الصلاة والسلام بل كانت من الغرآئب ولما تزوج عليه الصلاة والسلام اياها ودخل عليها قالت اعوذ بالله منك فقال عليه الصلاة والسلام لقد عذت بعظيم الحق باهلك ولما كانت كل واحد من امهات المؤمنين خالصة له عليه الصلاة والسلام في الدنيا والآخرة نهى المؤمنون عن تزوجهن من بعده عليه الصلاة والسلام تعظيما من الله تعالى لرسوله وايجابا لحرمته حيا وميتا روى عن حذيفة انه قال لامرأته ان اردت ان تكوني زوجتي في الجنة فلا تتزوجي بعدي فان المرأة لآخر ازواجها فلذلك حرم الله تعالى على ازواج النبي عليه الصلاة والسلام ان يتزوجن بعده ﴿ قوله وفي هذا التعميم ﴾ اي تعميم متعلق الابدآء والاخفاء حيث قيل ان تبدوا شيأ اوتخفوه وتعميم متعلق علمه تعالى حيث قيل فان الله كان بكل شئ عليما مع ان الظاهر ان يقال وان تبدوا ماذكر من ايذآئه ونكاح نسائه اوتخفوه فان الله تعالى يعلم ذلك فوضع موضعها شيأ ليدخل تحت هذا العام ذلك دخولا اوليا لان المقصود ذكر الوعيد على خصوص ايذآئه عليه الصلاة والسلام ونكاح نسائه والمراد بالمقصود بيان حرمة الايذآء ونكاح النساء وببرهانه قوله تعالى ان ذلكم كان عندالله عظيما وفي كل واحد من اقامة البرهان على المقصود المذكور والتعميم المعتبر في الوعيد زيادة تهويل لمن تصدى لما بين تحريمه ﴿ قوله مخافة ان يصفا لابنائهما ﴾ وابناؤهما ليسوا بمحارم الا انهن لولم يحتجبن من الاعمام والاخوال لربما يحكي العم محاسن بنت اخيه لابنه وكذا الخال ربما يحكي محاسن بنت اخته لابنه فيكون سماع المحاسن والاوصاف منزلا منزلة المشاهدة عيانا في كونه مؤديا الى الفتنة ﴿ قوله يعني النساء المؤمنات ﴾ فيجوز للمسلمة النظر الى المرأة المسلمة سوى مابين السرة والركبة ولايجوز للمسلمة ان تكشف للكافرة لانها ليست من النساء المؤمنات روى ان عمر رضي الله عنه كتب الى ابي عبيدة ان يمنع الكتابيات من دخول الحمامات مع المسلمات فلا يجوز للمسلمة كشف بدنها للمشركة الا ان تكون امة لها فان المسلمة يجوز لها كشف بدنها عند امتها مسلمة كانت الامة اوكافرة لما في كشف مواضع الزينة الباطنة عند امتها الكافرة في احوال استخدامها من الضرورة التي لاتخفى فارقت الحرة المشركة ﴿ قوله من العبيد والاماء ﴾ يعني ان قوله تعالى ماملكت ايمانهن يدخل فيه العبيد ايضا اذا كانوا اعفة لماروى عن ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت لذكوان انك اذا وضعتني في القبر وخرجت فانت حر وهو قول ابن المسيب اولا ثم رجع عنه وقال لاتغرنكم آية النور فانها نزلت في الاناث دون الذكور ومثله روى عن سمرة بن جندب وعليه عامة العلماء ومن الائمة من قال المراد من كان دون البلوغ * قال الامام قوله تعالى واتقين الله عند ذكر المماليك دليل على ان التكشف لهم مشروط بشرط السلامة والعلم بعدم المحذور ﴿ قوله لايخفى عليه خافية ﴾ عن ابن عطاء الشهيد من يعلم خطرات القلوب كما يعلم حركات الجوارح ﴿ قوله يعتنون باظهار شرفه ﴾ يعني ان المراد بالصلاة القدر المشترك بين ما اسند الى الله تعالى من الرحمة والى الملائكة من الاستغفار للمؤمنين والاهتمام بما يصلحهم والى المؤمنين من التضرع والابتهال الى الله تعالى في ان يعظم شأنه ويرفع درجته ابد الآباد وهو العناية بصلاح امرهم وظهور شرفهم مستعار من صلاة العصا اي تصليتها بالنار وتليينها وتقويمها بها كما مر عن قريب فصح ان يكون قوله تعالى وملائكته منصوبا بالعطف على اسم ان وان يكون يصلون خبراً عن الله وملائكته وقيل هو خبر عن الملائكة فقط وخبر الجلالة محذوف لتغاير الصلاتين * لما امر الله تعالى المؤمنين بالاستئذان وعدم النظر الى نسائه احتراما له كل بيان حرمته في جميع حالاته وذلك لان حالاته منحصرة في اثنتين حالة كونه في بيته وحالة كونه في ملأ والملأ اما الملأ الاعلى واما الملأ الادنى فبين الله تعالى احترامه وهو في بيته بقوله تعالى لاتدخلوا بيوت النبي وبين احترامه في الملأ الاعلى بقوله ان الله وملائكته يصلون على النبي ثم ذكر كونه واجب الاحترام في الملأ الاسفل بقوله ياايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما اي ادعوا الله تعالى بان يترحم ويسلم سئل عليه الصلاة والسلام

كيف نصلي عليك يارسول الله فقال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد وكيفية السلام عليه ان يقال السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته وروى انه عليه الصلاة والسلام قال اخبرني جبريل عليه السلام عن الله تعالى قال من صلى عليك صلاة صليت بها عشر صلوات ومحوت عنه عشر سيئآت وكتب له عشر حسنات وروى انه عليه الصلاة والسلام قال ان الله عز وجل وكل بي ملكين فلا اذكر عند عبد مسلم فيصلي عليّ الا قال ذانك الملكان غفر الله لك وقال الله تعالى وملائكته جوابا لذينك الملكين آمين ولا اذكر عند عبد مسلم فلا يصلي عليّ الا قال ذانك الملكان لاغفر الله لك وقال الله تعالى وملائكته لذينك الملكين آمين والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم واجبة وقد اختلفوا في حال وجوبها فمنهم من اوجبها كلما جرى ذكره وان ذكر في مجلس واحد الف مرّة وهو المختار عند الجمهور ومنهم من قال تجب في كل مجلس مرّة وان تكرر ذكره فيه كما قيل في آية السجدة وتشميت العاطس وكذلك في كل دعاء في اوّله وآخره ومنهم من اوجبها في العمر مرّة وكذا قيل في اظهار الشهادتين والذي يقتضيه الاحتياط ان يصلي عليه كلما جرى ذكره عليه السلام عملا بما ورد في الاخبار ثم انه تعالى لما امر بالصلاة والسلام على النبي عليه الصلاة والسلام بين حال من يؤذيه ويؤذي رسوله ليتبين فضيلة من امتثل امره تعالى وفضيلة من يصلي ويسلم على النبي عليه الصلاة والسلام لان فضيلة الاشياء تتبين بانحطاط شأن اضدادها وايذآء الرسل حقيقة ممكن بحسب العقل الا ان ايذآءه تعالى حقيقة ممتنع غير متصوّر لانه تعالى لا يتأذى بشيء بل هو منزه عن ان يلحقه اذى فلو حمل ايذآء الله تعالى على المجاز وايذآء الرسول على الحقيقة لزم الجمع بين الحقيقة والمجاز فوجب ان يحمل الايذاء على معنى مجازي يعمهما ويصح اسناده اليهما وهو ارتكاب مايكرهانه ولا يرضيان به قولا كان او فعلا او اعتقادا كأنه قيل ان الذين يرتكبون ما لا يرضى الله ورسوله فان مخالفة الامر وفعل ما لا يرضى سبب الايذآء في الجملة فانا نتأذى به فاطلق السبب واريد المسبب ثم اشار الى توجيه آخر وهو ان المراد ايذآء رسوله صلى الله عليه وسلم وذكر الله تعالى تمهيد لذكره عليه الصلاة والسلام واشارة الى انه عليه الصلاة والسلام عند الله تعالى بمكانة حتى ان ايذآءه ايذآؤه ﴿ **قوله** فسره بالمعنيين باعتبار المعمولين ﴾ اى فسر الايذآء باعتبار تعلقه بمفعوله اصالة بمعنى يتصوّر فيه وهو ارتكاب مايكرهه ولا يرضاه وهو سبب للايذآء في الجملة فاطلق عليه اسم المسبب مجازا وباعتبار تعلقه بما عطف على مفعوله اصالة فسر بالايذآء حقيقة لكونه متصوّرا في حقه عليه الصلاة والسلام فلا وجه لحمله على المعنى المجازي في حقه ﴿ **قوله** بغير جناية استحقوا بها الايذاء ﴾ اطلق اذى الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وقيد ايذآء المؤمنين بكونه بغير جناية استحقوا بها ذلك لان اذى الله تعالى ورسوله يكون بغير حق يوجبه البتة واما اذى المؤمنين والمؤمنات فمنه يكون بحق ومنه ما لا يكون كذلك والموجب للعقوبة هو الثاني روى عن عبد الرحمن بن سمرة قال خرج النبي صلى الله عليه وسلم على اصحابه ذات يوم فقال رأيت الليلة عجبا رأيت رجالا يعلقون بالسنتهم فقلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين يرمون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا ﴿ **قوله** وقيل في زناة كانوا يتبعون النساء ﴾ اذا برزن بالليل لقضاء حوآئجهن فيغمزون المرأة فان سكتت اتبعوها وان زجرتهم انتهوا عنها ولم يكونوا يطلبون الا الاماء ولكن كانوا لا يعرفون الحرّة من الامة لان زيّ الكل كان واحدا يخرجن في درع وخمار فشكون ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات الآية ثم نهى الحرآئر عن ان يتشبهن بالاماء بقوله تعالى يا ايها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهنّ من جلابيبهنّ وهو جمع جلباب وهو الملحفة التي تشتمل بها المرأة فوق الدرع والخمار ليعلم انهنّ حرآئر ﴿ **قوله** وتلفع ببعض ﴾ اى تلتحف يقال لفع رأسه تلفيعا اى غطاه وتلفعت المرأة بمرطها اى تلحفت به ﴿ **قوله** عن تزلزلهم في الدين ﴾ متعلق بقوله لئن لم ينته ومبنى على ان يكون المراد بمرض القلب ضعف الايمان وقلة الثبات عليه وقوله او فجورهم مبنى على ان يكون المراد بالذين في قلوبهم مرض الزناة الذين يتعرّضون للنساء بالليل كما في قوله تعالى فيطمع الذي في قلبه مرض والارجاف ايقاع الخبر على غير حقيقة من الرجفة وهى الزلزلة فالمرجف هو المخبر بخبر متزلزل غير ثابت ﴿ **قوله** عن ارجافهم ﴾ متعلق ايضا بقوله لم ينته ﴿ **قوله** تعالى لنغرينك بهم ﴾ جواب قسم مضمر اى والله لئن لم ينته هؤلاء لنسلطنك عليهم بان نأمرك بقتلهم حتى تقتلهم وتخلى منهم المدينة

(ثم لايجاورونك) عطف على لنغرينك وثم للدلالة على ان الجلاء ومفارقة جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم اعظم مايصيبهم (فيها) فى المدينة (الاقليلا) زمانا اوجوارا قليلا (ملعونين) نصب على الشتم او الحال والاستثناء شامل له ايضا اى لايجاورونك الاملعونين ولايجوز ان ينتصب من قوله (اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا) لان مابعد كلمة الشرط لايعمل فيما قبلها (سنة الله فى الذين خلوا من قبل) مصدر مؤكد اى سن الله ذلك فى الامم الماضية وهو ان يقتل الذين نافقوا الانبياء وسعوا فى وهنهم بالارجاف ونحوه اينما ثقفوا (ولن تجد لسنة الله تبديلا) لانه لايبدلها او لايقدر احد ان يبدلها (يسألك الناس عن الساعة) عن وقت قيامها استهزاء او تعنتا او امتحانا (قل انما علمها عند الله) لم يطلع عليه ملكا ولانبيا (ومايدريك لعل الساعة تكون قريبا) شيأ قريبا او تكون الساعة عن قريب وانتصابه على الظرف ويجوز ان يكون التذكير لان الساعة فى معنى اليوم وفيه تهديد للمستعجلين واسكات للمتعنتين (ان الله لعن الكافرين واعد لهم سعيرا) نارا شديدة الاتقاد (خالدين فيها ابدا لايجدون وليا) يحفظهم (ولانصيرا) يدفع العذاب عنهم (يوم تقلب وجوههم فى النار) تصرف من جهة الى جهة كاللحم يشوى بالنار او من حال الى حال وقرئ تقلب بمعنى تتقلب ونقلب وتقلب ومتعلق الظرف (يقولون ياليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا) فلن نبتلى بهذا العذاب (وقالوا ربنا انا اطعنا سادتنا وكبرآءنا) يعنون قادتهم الذين لقنوهم الكفر وقرأ ابن عامر ويعقوب ساداتنا على جمع الجمع للدلالة على الكثرة (فاضلونا السبيلا) بمازينوا لنا (ربنا آتهم ضعفين من العذاب) مثلى ما أوتينا منه لانهم ضلوا واضلوا (والعنهم لعنا كثيرا) كثير العدد وقرأ عاصم بالباء اى لعنا هو اشد اللعن واعظمه

والاغرآء هو التحريش وتهييج شخص على آخر ﴿ قوله والاستثناء شامل له ايضا اى لايجاورونك ﴾ وقتا من الاوقات اوشيأ من الجوار او على كل من الاحوال الا وقتا قليلا او جوارا قليلا الا على حال كونهم ملعونين ولايجوز ان ينتصب على انه حال من فاعل اخذوا الذى هو جواب الشرط لان معمول الجواب لايتقدم على اداة الشرط فلا يقال خيرا ان تأتنى تصب كما لايتقدم معمول فعل الشرط على اداته فلا يقال زيدا ان تضرب اهنك وقول المصنف مابعد كلمة الشرط يتناول فعل الشرط وجواب الشرط واجاز الكسائى تقديم معمول كل واحد من فعل الشرط وجوابه على اداته واجاز الفرآء تقديم معمول الجواب عليها ولم يجوز تقديم معمول فعل الشرط فظهر ان المسئلة فيها ثلاثة مذاهب المنع مطلقا والتجويز مطلقا والتفصيل ثم انه تعالى لما بين حالهم فى الدنيا وهو انهم يلعنون ويهانون ويقتلون اراد ان يبين حالهم فى الآخرة فذكرهم اوّلا بالقيامة ومايكون لهم فيها وهو انه لعنهم واعد لهم سعيرا خالدين فيها ابدا واخفى وقت قيامها لحكمة وهى امتناع المكلف عن الاجترآء وخوفهم منها فى كل وقت والآية نزلت حين سئل رسول الله عليه الصلاة والسلام عن الساعة وعن وقت قيامها المانزل قوله تعالى فى وعيد المؤذين لعنهم الله فى الدنيا والآخرة قالوا متى الآخرة انكارا للبعث والجزآء واستهزآء ﴿ قوله شيأ قريبا ﴾ يعنى ان فعيلا بمعنى الفاعل حقه ان يميز فيه بين المذكر والمؤنث وقريبا فى الآية خبر تكون المسندة الى ضمير الساعة فحقه ان يقال قريبة الا انه ذكر لكونه صفة لموصوف مذكر هو خبر كان اى لعلها تكون شيأ قريبا ثم اشار الى وجه آخر لتذكيره وهو ان قريبا هنا ليس خبر كان بل هو ظرف فى موضع الخبر اى لعلها تكون فى زمان قريب فان قريبا كثيرا استعماله استعمال الظروف والمعنى اىّ شئ يعلمك امر الساعة ومتى يكون قيامها اى انت لاتعلمه ثم خوفهم فقال لعل الساعة تكون شيأ قريبا وقوله تعالى لايجدون حال ثانية او حال من ضمير خالدين والمعنى لاصديق يشفع لهم ولاناصر يدفع عنهم وقرأ العامة تقلب بضم التاء وفتح القاف على بناء المفعول ورفع وجوههم على النيابة وتقلب بفتح التاء والقاف واللام المشددة ورفع وجوههم على الفاعلية واصله تتقلب وقرئ تقلب بضم التاء وكسر اللام مشددة على بناء الفاعل ونصب وجوههم على المفعولية اى تقلب السعير او الملائكة وجوههم ﴿ قوله ومتعلق الظرف ﴾ اى عامله يعنى ان يوم معمول ليقولون بعده ويحتمل ان يكون معمولا لخالدين او لاذكر مقدرا فقوله يقولون حينئذ يكون حالا من الوجوه لان المراد بها اصحابها او من الضمير المجرور بالاضافة فان الحال قد ينتصب عن المضاف اليه ثم انهم لما علموا انه لايتخلص مما هم فيه من العذاب الامن اطاع الله ورسوله فى الدنيا وندموا على عصيانهم فيها حيث لاتنفعهم الندامة قالوا ياليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا والرسولا اشبعت فتحة اللام لاطلاق الصوت ورعاية الفواصل ثم انهم لما رأوا ان اضلالهم عن الطريق كان باضلال قادتهم اياهم سألوا الله تعالى ان يضاعف عذاب سادتهم والسادة يجوز ان يكون جمع سيد على خلاف القياس لان فعيلا لايجمع على فعلة وسادة فعلة لان اصله سودة ويجوز ان يكون لسائد نحو فاجر وفجرة وكافر وكفرة وابن عامر جمع هذا الجمع بالالف والتاء للدلالة على الكثرة كجدرات وطرقات وبيوتات وجمالات فى جمع جدر وطرق وبيوت وجمالة ﴿ قوله مثلى ما اوتينا منه ﴾ اشارة الى ان ضعف الشئ مثله وضعفاه مثلاه واضعافه امثاله كما ذكره الجوهرى فى صحاح اللغة حيث قال ذكر الخليل ان التضعيف ان يزاد على اصل الشئ فيجعل مثلين او اكثر وكذلك الاضعاف والمضاعفة يقال ضعفت الشئ واضعفته وضاعفته بمعنى وضعف الشئ مثله وضعفاه مثلاه واضعافه امثاله هذا كلامه بعبارته روى عن ابى عبيدة فى قوله تعالى يضاعف لها العذاب ضعفين انه قال معناه يجعل الواحد ثلاثة اى تعذب ثلاثة اعذبة وانكره الازهرى وقال هذا الذى يستعمله الناس فى مجاز كلامهم وتعارفهم وانما الذى قال حذاق النحويين انها تعذب مثلى عذاب غيرها لان الضعف فى كلام العرب المثل ﴿ قوله كثير العدد ﴾ يعنى ان جمهور القرآء قرأوا كثيرا بالثاء المثلثة وقرأ عاصم بالباء الموحدة ليدل على اشد اللعن واعظمه والاوّل يدل على كثرة اعداد اللعن ثم انه تعالى لما بين ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة وعظ المؤمنين ونهاهم عن ايذآء رسول الله صلى الله عليه وسلم بارتكاب شئ مما يكرهه كمقالة الناس فى تزوجه عليه الصلاة والسلام زينب بنت جحش وقول من قال حين قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قسمة ان هذه القسمة ماأريد بها وجه الله تعالى روى انه عليه الصلاة والسلام لما اخبر بهذا القول غضب حتى ظهر اثر الغضب فى وجهه الكريم ثم قال يرحم الله موسى لقد اوذى باكثر من هذا فصبر كأنه قيل ياايها الذين آمنوا اذا امركم الرسول بشئ فأتوا منه مااستطعتم باطمئنان قلب وصدق

رغبة فيما دعا كم اليه ولا تجدوا فى انفسكم حرجا مما قضى به عليكم وسلموا تسليما **قوله** فاظهر برآءته من مقولهم يعنى ان بناء فعل للنسبة كما فى قولك فسقه وبدعه لا للتعدية وما يقال من ان كلمة ما فى قوله تعالى مما قالوا اما مصدرية او موصولة فعلى الاول يكون المعنى فاظهر برآءته من تكلمهم وعلى الثانى من كلامهم ولا معنى للبرآءة من تكلمهم لان البرآءة انما تكون من نحو الدين والعيب لا من التكلم والكلام فالجواب ان الكلام وان كان مجردا منهما بحسب الظاهر الا انه ينبغى ان تجعل كلمة ما موصولة ويكون معنى البرآءة من كلامهم البرآءة من مؤداه ومضمونه **قوله** فاطلعهم الله تعالى على انه برئ منه روى ان موسى عليه الصلاة والسلام خلا يوما فى موضع ليغتسل فيه فوضع ثيابه على حجر ثم اغتسل فلما فرغ اقبل على ثيابه ليأخذها ففر الحجر بثوبه فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر فجعل يقول ثوبى حجر ثوبى حجر حتى انتهى الى ملأ من بنى اسرآئيل فرأوه عريانا احسن الرجال خلقا واظهر الله برآءته مما كانوا يقولون فوقف الحجر فاخذ ثوبه فلبسه وطفق بالحجر ضربا بالعصا فوالله ان بالحجر لندبا من اثر ضربه ثلاثا او اربعا او خمسا والادرة نفخة تكون فى الخصية **قوله** عند الله وجيها بيان لوجه تبرئة الله تعالى اياه كانه قيل ولو جاهته عنده اماط عنه ما نسب اليه من العيب والنقصان كما يفعل الملك بمن له عنده قربة وقدر والوجيه فعيل من وجه الرجل وجاهة بضم العين وعطف قوله فبرأه الله مما قالوا بالفاء على قوله آذوا صريح فى ان المشبه به من اتصف بامرين ترتب ثانيهما على الاول وهما ايذاء من له وجاهة عند الله وانتقام الله من المؤذى باظهار برآءة الوجيه وتفضيح المؤذى وتخجيله فكان مدلول الآية ايها المؤمنون لا تؤذوا نبيكم فانكم ان اذيتموه تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله تعالى مما قالوا فتفضحون باظهار شرفه وتنكيس رؤسكم **قوله** قاصدا الى الحق اى عدلا مستويا فى تأدية الحق والوصول اليه من القصد بمعنى العدل يقال سد قوله يسد بالكسر اى صار سديدا اى ذا سداد وهى الاستقامة والصواب وسدد السهم نحو الرمية اذا لم يعدل به عن سمتها واصاب والامر بالشئ نهى عن ضده **قوله** باستقامتكم فى القول والعمل متعلق بمجموع قوله يصلح ويغفر واشارة الى ان كل واحد منهما مسبب عما سبق وهو استقامة القول المدلول عليه بقوله وقولوا قولا سديدا واستقامة العمل المدلول عليه بقوله اتقوا الله **قوله** يعش فى الدنيا حميدا اى يعيش عيشا محمودا **قوله** تقرير للوعد السابق اى وعد الفوز العظيم لمن اطاع الله ورسوله بتعظيم الطاعة وهى الطاعة الاختيارية التى كلف الانسان بها وتعلق باداءها الثواب وبتضييعها العقاب عظمها الله تعالى وسماها امانة ببيان انها فى صعوبتها وعظم شأنها وثقل تحملها بحيث عرض على اعظم ما خلق الله تعالى من الاجرام واشده واقواه ان يتحملها ويرعاها حق رعايتها فابى حملها واشفق منها اى خاف منها ان لا يؤدى بها ويراعى حقها فلما فخم الله تعالى شأنها وعظم امرها بقوله انا عرضنا الامانة الآية ظهر ان من تحملها وراعى حقها فقد استحق بفضل الله تعالى ورحمته لان يفوز فوزا عظيما فكان تعظيم شأنها تقريرا للوعد السابق **قوله** والمعنى انها لعظمة شأنها بحيث لو عرضت يريد ان الآية من قبيل الاستعارة التمثيلية شبهت الحالة المحققة فى الطاعة التى عبر عنها بالامانة من عظم امرها وثقل رعاية حقها بالحالة المفروضة فيها وهى انها لو عرضت على السموات والارض والجبال لأبين ان يحملنها فكما يصح تشبيه الحال المحققة بالحال المحققة كما فى قولك لمن لا يثبت على رأى واحد اراك تقدم رجلا وتؤخر اخرى فانه شبهت حاله المحققة فى تردده واضطرابه بين الرأيين وترك المضى على احدهما بحال اخرى محققة ايضا وهى حال من يتردد فى ذهابه فلا يجمع رجليه للمضى على الذهاب فكذا يصح تشبيه الحال المحققة بالحال المفروضة كما فى الآية فان المفروضات تتخيل فى الذهن فيصح جعلها مشبها فان عرض الامانة على الجماد وأباءه واشفاقه وان كان امرا مستحيلا فى نفسه الا انه يصح فرضه وجعله مشبها به والغرض من التشبيه تصوير عظم شان الامانة والعرض والاشفاق والاباء على حقائقها والحمل بمعنى الاحتمال والالزام لرعاية حقها **قوله** وهذا وصف للجنس يعنى ان التعريف فى قوله تعالى وحملها الانسان تعريف الجنس وصح توصيف الجنس بوصف باعتبار وجوده فى بعض افراده فكيف اذا وجد فى اكثر افراده واحتيج الى هذا التوجيه لان الصديقين والابرار من بنى آدم حاشاهم ان يكونوا ظلوما جهولا **قوله** وقيل الخ اى قيل المراد بالامانة الطاعة المجازية المتناولة لما يليق بالجمادات والمكلفين من الحيوانات فينبغى ان يحمل العرض على معنى مجازى يصح تعلقه بالفاعل المختار وغيره وهو مجرد الاستدعاء وارادة صدوره من غيره ومعنى قوله فأبين ان يحملنها وحملها الانسان فأبين الخيانة فيها بان لا يؤدينها اى ولم يؤدها الى صاحبها ولم يخلص

وقيل انه تعالى لما خلق هذه الاجرام خلق فيها فهما وقال لها انى فرضت فريضة وخلقت جنة لمن اطاعنى فيها ونارا لمن عصانى فقلن نحن مسخرات على ماخلقتنا لانحتمل فريضة ولانبغى ثوابا ولا عقابا ولما خلق آدم عرض عليه مثل ذلك فحمله وكان ظلوما لنفسه بتحمله مايشق عليها جهولا بوخامة عاقبته ولعل المراد بالامانة العقل والتكليف وبعرضها عليهن اعتبارها بالاضافة الى استعدادهن وباباتهن الاباء الطبيعى الذى هو عدم القابلية والاستعداد وبحمل الانسان قابليته واستعداده لها وكونه ظلوما جهولا لما غلب عليه من القوة الغضبية والشهوية وعلى هذا يحسن ان يكون علة للحمل عليه فان من فوائد العقل ان يكون مهيمنا على القوتين حافظا لهما عن التعدى ومجاوزة الحد ومعظم مقصود التكليف تعديلهما وكسر سورتهما (ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات) تعليل للحمل من حيث انه نتيجته كالتأديب للضرب فى ضربته تأديبا وذكر التوبة فى الوعد اشعار بان كونهم ظلوما جهولا فى جبلتهم لايخليهم عن فرطات (وكان الله غفورا رحيما) حيث تاب على فرطاتهم واثاب بالفوز على طاعاتهم قال عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الاحزاب وعلمها اهله وماملكت يمينه اعطى الامان من عذاب القبر

سورة سبأ مكية وقيل الا وقال الذين اوتوا العلم الآية وآيها خمس واربعون

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الحمد لله الذى له ما فى السموات ومافى الارض) خلقا ونعمة فله الحمد فى الدنيا لكمال قدرته وعلى تمام نعمته (وله الحمد فى الآخرة) لان مافى الآخرة ايضا كذلك وليس هذا من عطف المقيد على المطلق فان الوصف الذى يدل على انه المنعم بالنعم الدنيوية قيد الحمد بها وتقديم الصلة للاختصاص فان النعم الدنيوية قد تكون بواسطة من يستحق الحمد لاجلها ولا كذلك نعم الآخرة (وهو الحكيم) الذى احكم امور الدارين (الخبير) ببواطن الاشياء (يعلم مايلج فى الارض) كالغيث ينفذ فى موضع وينبع فى آخر وكالكنوز والدفائن والاموات (ومايخرج منها) كالحيوان والنبات والفلزات وماء العيون (ومايزل من السماء) كالملائكة والكتب والمقادير والارزاق والانداء والصواعق (ومايعرج فيها) كالملائكة واعمال العباد والابخرة والادخنة (وهو الرحيم الغفور) للمفرطين فى شكر نعمته مع كثرتها او فى الآخرة مع ماله من سوابق هذه النعم الفائتة للحصر

ذمته من عهدتها روى عن الحسن انه قال الكافر والمنافق حملها اى الامانة اى خانا ولم يطيعا ومن اطاع من النبيين والصديقين والمؤمنين فلا يقال فيه كان ظلوما جهولا وتصديق ذلك مابعده من قوله تعالى ليعذب الله المنافقين والمنافقات الآية **قوله وقيل انه تعالى لما خلق هذه الاجرام الخ** فعلى هذا القول يكون العرض تخييرا لا الزاما والاباء لاختيار احد الامرين مخافة وخشية لالمخالفة ومعصية قالوا ان كان هذا عرض تخيير فقد تركنا الثواب مخافة العقاب نطيعك ولا نعصيك طرفة عين طاعة طبيعية على حسب ماخلقتنا عليه ولا نلتزم مايشق علينا رعاية حقه قال الحسن ومقاتل قال الله تعالى لآدم أتحمل هذه الامانة وترعاها حق رعايتها فقال آدم ومالى عندك ان حملتها قال ان احسنت واطعت ورعيت الامانة فلك الكرامة وحسن الثواب فى الجنة وان عصيت وأسأت فانى معذبك ومعاقبك قال قد رضيت وحملتها فقال الله تعالى قد حملتها فذلك قوله تعالى وحملها الانسان وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما فما كان بين ان تحملها وبين ان اخرج من الجنة الاقدر مابين الظهر والعصر وكان ظلوما لنفسه حين خالف امر ربه جهولا لايدرى ما العقاب عليه فيها **قوله وعلى هذا يحسن ان يكون** اى ان يكون ظلوما جهولا علة للحمل عليه فان الظاهر ان يكون قوله انه كان ظلوما جهولا استئنافا لتعليل حمل الامانة على الانسان لالبيان مايتفرع على حمله * تم مايتعلق بسورة الاحزاب والحمد لله وحده وصلى الله على من لانبى بعده والآن نشرع فيما يتعلق بسورة سبأ

سورة سبأ

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتى

قوله فله الحمد فى الدنيا لكمال قدرته وعلى تمام نعمته يعنى ان الحمد يقع بازاء الفضائل اللازمة لذات المحمود والفواضل المتعدية منه الى الحامد وان اختصاص ما فى السموات ومافى الارض به تعالى خلقا دليل على قدرته الباهرة وان اختصاص جميع ذلك به تعالى نعمة وصلة الينا دليل على كثرة موائد افضاله وانعامه علينا فظهر به انه تعالى يستحق حمد جميع الحامدين استحقاقا ذاتيا ووصفيا من جهة فضله الذاتى وافضاله المتعدى وتعريف الحمد سواء جعل للحقيقة او للاستغراق ثم الحكم باختصاصه به تعالى يفيد اختصاص جميع افراد الحمد به تعالى اذ لو ثبت شئ من افراد الحمد لغيره تعالى لزم ثبوت جنس الحمد لذلك الغير فى ضمن ذلك الفرد وجميع افراد الحمد مختص به تعالى فى الحقيقة اذ مامن خير الا وهو تعالى موليه بوسط او بغير وسط كما قال تعالى ومابكم من نعمة فمن الله وحاصل قوله وليس هذا من عطف المقيد على المطلق انه من عطف المقيد على المقيد وذلك لانه تعالى لما عقب الحمد بما يدل على كمال قدرته وافضاله علينا بالنعم الدنيوية عرف انه المحمود على نعم الدنيا ثم لما عطف عليه الحمد فى الآخرة علم انه ايضا على النعمة ليتلاءم الكلام ولما قيد الحمد هناك بان محله الآخرة علم ان الاول محله الدنيا كذلك ايضا فصار المعنى انه المحمود على نعم الدنيا فيها وانه المحمود على نعم الآخرة فيها وقدم الحمد اولا على الاصل فان حق المبتدأ التقديم واخره ثانيا ليفيد الحصر فان الحمد فى الآخرة ليس الا له واما فى الدنيا فقد يحمد غيره تعالى لوصول نعمة الله تعالى اليه من يد ذلك الغير بخلاف الآخرة فان الملك والنعمة فيها ليس الا له تعالى فدل على هذا المعنى تقديم الخبر والمعتزلة فرقوا بين الحمد الواقع فى الدنيا والواقع فى الآخرة بان الحمد فى الدنيا واجب لانه على نعمة متفضل بها بخلاف الحمد فى الآخرة فانه ليس بواجب لكونه بمقابلة نعمة واجبة الايصال الى مستحقها بناء على مازعموا من ان ثواب المطيع واجب عليه تعالى والجميل الذى يجب صدوره من الفاعل لايجب الحمد عليه لان الحمد لايكون الا على الجميل الاختيارى وعند اهل السنة لايجب عليه تعالى شئ لافى الدنيا ولافى الآخرة ويجب الحمد على المكلف فى الدنيا لكون الدنيا دار التكليف ولايجب فى الآخرة لانقطاع التكليف فيها ومع ذلك فاهل الجنة يذكرون الله تعالى ويشكرونه ويعبدونه اكثر مما يعبدونه فى الدنيا تلذذا وابتهاجا بذكره وكيف لا وقد صار حالهم كحال الملائكة الذين قال تعالى فى حقهم يسبحون الليل والنهار لايفترون غاية مافى الباب ان العبادة ليست عليهم بتكليف بل هى حال مجبية بمقتضى الطبع **قوله والفلزات** الفلز اسم جامع لجميع جواهر الارض **قوله تعالى يعلم مايلج** مستأنف لبيان كونه خبيرا فان الخبير هو الذى يعلم عواقب الامور وبواطنها والحكيم هو العالم الذى يفعل مايناسب علمه ويكون فعله على وفق علمه وقدم مايلج فى الارض على ماينزل من السماء لان الحبة تبذر اولا ثم تسق ولم يقل ومايعرج اليها بدل قوله ومايعرج فيها

لان كل واحد من الملائكة و الاعمال ليس منتهى عروجه نفس السماء بل ينفذ فيها و يصعد الى ان يصل الى منتهى صعوده فالملك يصعد الى ان يصل الى مقامه المعلوم و العمل يصعد الى محل الاعمال المقبولة و لو قيل مايعرج اليها لفهم الوقوف عند السموات فقال و مايعرج فيها ليفهم نفوذه فيها و صعوده منها و لهذا قيل فى الكلم الطيب اليه يصعد الكلم الطيب لانه تعالى هو المنتهى و لا مرتبة فوق الوصول اليه ثم قال و هو الرحيم الغفور رحيم بعباده بانزال ماينزل من السماء من الملائكة و الكتب و الارزاق و انواع الخيرات و البركات مما يلج فى الارض و مايخرج منها و الغفور للمفرطين فى شكر نعمته مع كثرتها حيث لايعاجلهم بالعذاب بل يغفر لمن تاب منهم و اناب فهو المستحق للحمد بذلك ايضا فعلى هذا يكون المراد بالرحمة و المغفرة مايكون فى الدنيا منهما و يحتمل ان يكون المراد بالرحمة سوابق النعمة ايضا و بالمغفرة مايكون فى الآخرة ثم انه تعالى لما اثبت الدار الآخرة و حكم بان الحمد فيها مختص به لاختصاص مافيهامن النعم به تعالى خلقا و نعمة حكى مقالة من ينكر البعث و القيامة و هى ماروى عن مقاتل انه قال قال ابو سفيان لكفار مكة و اللات و العزى لاتأتينا الساعة ابدا فلما حلف قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم قل بلى و ربى لتأتينكم امره بان يقسم باغلظ الايمان و هو الحلف بالله ﴿قوله تعالى بلى﴾ جواب لقولهم لاتأتينا و مابعده قسم على ذلك الايجاب و قوله لتأتينكم تكرير لذلك الايجاب حال كون ذلك الايجاب مؤكدا بالقسم و هو ظاهر و مقررا باتباع المقسم به بذكر اوصافه الدالة على امكان مانفوه فان من كان عالما بجميع الاشياء يعلم اجزاء الاحياء و يقدر على جمعها فتلك الاوصاف تدل على كون الساعة ممكنة القيام و اخبر عنه الصادق فتكون واقعة لامحالة فقوله تعالى لايعزب عنه مثقال ذرة فى السموات و لا فى الارض فيه لطيفة و هو ان الانسان له جسم و روح و الاجسام اجزاؤها فى الارض و الارواح فى السماء فقوله لايعزب عنه مثقال ذرة فى السموات اشارة الى احاطة علمه بالارواح و قوله و لا فى الارض اشارة الى احاطة علمه بالاجزاء الجسمية فاذا علم الارواح و الاشباح و قدر على جمعها انتفى استبعاد مانفوه من البعث و اتيان الساعة و ايضا من جملة الوجوه الداعية لهم الى استبعاد ذلك انهم زعموا ان احاطة العلم بتفاصيل اشخاص المكلفين عسير فكيف بتفاصيل اعمالهم من الخير و الشر و اذا كان العلم بتفاصيل الاعمال بعيدا يكون اتيان الساعة ايضا بعيدا لان اتيانها انما يكون للمجازاة على حسب الاعمال فازيل هذا الاستبعاد ايضا بوصف المقسم به بقوله تعالى عالم الغيب الى قوله ليجزى الذين الآية فان المقسم به انما يوصف بما يدل على حقيقة المقسم عليه و يزيل استبعاده * فان قيل كيف يصح التأكيد بقوله و ربى مع انهم ينكرون وجود الرب و ان كانوا يقولون به فان المسئلة الاصولية لاتثبت باليمين * اجيب بانه لم يقتصر على اليمين بل ذكر الدليل و هو قوله ليجزى الذين آمنوا الخ و بيان كونه دليلا هو ان المسيء قد يبقى فى الدنيا مدة مديدة فى سعة العيش و سرور الليالى و يموت عليها و المحسن قد يعيش فى الدنيا فى الآلام الشديدة و ضيق الحال الى ان يموت فاقتضى ذلك ان تكون الدنيا دار التكليف و ان يكون بعدها دار اخرى للجزاء و الابلجاز ان يكون المسيء احسن حالا من المحسن و التسوية بينهما خلاف مقتضى الحكمة فضلا عن ان يكون العاصى احسن حالا ﴿قوله جملة مؤكدة لنفى العزوب﴾ فان ماهو اصغر من مثقال ذرة و ماهو اكبر منه اذا كان معلوما و مكتوبا فى اللوح يعلم منه ان ماهو مثقال ذرة معلوم ايضا و جمهور القراء على رفع اصغر و اكبر على اصل الابتداء فان اسم لا مبتدأ فى الاصل فيجوز ابقاؤه على اصل حاله بعد دخول لا عليه و الخبر قوله الا فى كتاب و قراءة الرفع و ان جاز كونها مبنية على كونهما معطوفين على فاعل يعزب بحسب الظاهر الا ان قراءة الفتح تؤيد كونهما مرفوعين على الابتداء منقطعين عما قبلهما ليتحد مؤدى القراءتين ﴿قوله و لايجوز الخ﴾ جواب عما يقال لانسلم ان القراءة بالفتح تؤيد ذلك لجواز كون المرفوع معطوفا على مثقال و المفتوح على ذرة فيتحد مؤدى القراءتين ايضا ﴿قوله لان الاستثناء يمنعه﴾ و ذلك لان المعنى يصير حينئذ عالم الغيب لايعزب عنه اى عن علمه مثقال ذرة فى الارض و لا فى السماء و لا اصغر من ذلك و لا اكبر او و لا مثقال اصغر من ذلك و لا مثقال اكبر منه على ان يعطف على ذرة الا فى كتاب مبين فانه يعزب عنه فيه و فساده ظاهر و هذا الفساد انما يلزم على تقدير ان يكون الضمير فى عنه لعالم الغيب كما هو الظاهر و اما اذا جعل للغيب و جعل الغيب عبارة عما خفى على جميع الخلائق حتى على الملائكة و ذلك انما يكون قبل ان يكتب الامر الخفى فى اللوح لانه اذا كتب فيه يكون له نوع بروز حيث يظهر لمن ينظر من الملائكة فحينئذ لايلزم الفساد المذكور لانه يصير المعنى لايعزب عن الغيب اى لاينفصل عنه شىء و لايزول عنه

(و قال الذين كفروا لاتأتينا الساعة) انكار لمجيئها او استبطاء استهزاء بالوعد به (قل بلى) رد لكلامهم و اثبات لما نفوه (و ربى لتأتينكم عالم الغيب) تكرير لايجابه مؤكدا بالقسم مقررا لوصف المقسم به بصفات تقرر امكانه و تنفى استبعاده على مامر غير مرة و قرأ حمزة و الكسائى علام الغيب للمبالغة و نافع و ابن عامر و رويس عالم الغيب بالرفع على انه خبر محذوف او مبتدأ خبره (لايعزب عنه مثقال ذرة فى السموات و لا فى الارض) و قرأ الكسائى لايعزب بالكسر (و لا اصغر من ذلك و لا اكبر الا فى كتاب مبين) جملة مؤكدة لنفى العزوب و رفعهما بالابتداء و يؤيده القراءة بالفتح على نفى الجنس و لايجوز عطف المرفوع على مثقال و المفتوح على ذرة بانه فتح فى موضع الجر لامتناع الصرف لان الاستثناء يمنعه اللهم الا اذا جعل الضمير فى عنه للغيب و جعل المثبت فى اللوح خارجا عنه لظهوره على المطالعين له فيكون المعنى لاينفصل عن الغيب شىء الا مسطورا فى اللوح (ليجزى الذين آمنوا و عملوا الصالحات) علة لقوله لتأتينكم و بيان لما يقتضى اتيانها

الامسطورا فى اللوح ولا فساد فيه لان المثبت فى اللوح ماذب خارج عما خق لان ماثبت فيه يظهر لمن نظر فيه
﴿ **قوله** تعالى اولئك لهم مغفرة ورزق كريم ﴾ استئناف لبيان الجزآء المدلول عليه بقوله ليجزى الذين لما وصف من يستحق الجزآء بالايمان والعمل الصالح بين ان جزآءهم امران المغفرة والرزق الكريم فالمغفرة جزآء الايمان لانه كفارة لما قبله والرزق الكريم جزآء العمل الصالح فان من عمل لسيد كريم عملا فعند فراغه من العمل ينعم عليه السيد بمقتضى كرمه ووصف الرزق بكونه كريما لانه حسن خطير والكريم من كل شئ مايكون جامعا المحاسن ذلك الشئ ولانه يأتى من غير طلب وتعب فى حصوله بخلاف الدنيا ﴿ **قوله** بالابطال وتزهيد الناس فيها ﴾ المذكور مطلق السعى المتناول للسعى فى اصلاح آيات الله تعالى وافسادها بان يقال فى حقها انها سحرا وشعرا واساطير وصرف الناس عن التفكر فيها وقبول احكامها الا ان حمله على السعى بالابطال والافساد لان سعيهم حال كونهم مسابقين معاجزين لايكون الا بان يكون مقصودهم الابطال والتزهيد واطلق المعاجزة على المسابقة لكون كل واحد من المسابقين فى طلب اعجاز الآخر عن اللحوق به والمسابقة مع الله تعالى وان كانت مما لايتصور الا ان المكذبين بآيات الله تعالى لما قدروا فى انفسهم وطمعوا ان كيدهم فى الاسلام يتم لهم وان معاندتهم للحق تنفعهم شبهوا بمن يسابق الله تعالى بحسب زعمهم والفرق بين قرآءة معاجزين ومعجزين ان المعاجزة والمسابقة متقدمة على التعجيز والسبق يقال عاجزه اى سابقه فاذا سبقه قيل عجزه ﴿ **قوله** من سيئ العذاب ﴾ على ان الرجز سوء العذاب فتكون كلمة من لبيان جنس العذاب المذكور سابقا كما فى قولك خاتم من فضة واليم فى قرآءة الجمهور مجرور على انه صفة رجز اكد به مافى الرجز من الشدة والفظاعة ومن رفعه جعله صفة لقوله عذاب بين الله تعالى اولا حال الذين آمنوا وعملوا الصالحات يوم تقوم الساعة ثم بين حال من كذب بآيات الله تعالى وسعى فى ابطالها ثم بين جهالة المكذبين وفظاعتهم فى الدنيا بقوله ويرى الذين اوتوا العلم الخ وقوله الذى انزل والحق هما مفعولان ليرى لانها من رؤية القلب وقوله هو فصل ويسميه الكوفيون عمادا ومن رفع الحق جعل هو مبتدأ والحق خبره والجملة فى محل النصب على انها مفعول ثان ليرى ومن ربك حال على القرآءتين ﴿ **قوله** وهو مرفوع مستأنف ﴾ يعنى ان قوله تعالى ويرى مرفوع لكونه مجردا من الناصب والجازم وهو كلام مستأنف غير معطوف على ماقبله اخبر بذلك عنهم انهم يعلمون ان القرآن حق وانه يهدى الى الصراط المستقيم فيقطعون بان الساعة آتية لاريب فيها ثم عطف عليه قوله تعالى وقال الذين كفروا الآية فحصول الآية انه عليه الصلاة والسلام لما قال بلى وربى لتأتينكم اعتقد المؤمنون باتيانها وقالوا القرآن هو الحق وهو يهدى وقال الكافر المنكر لاتيانها متعجبا هل ندلكم على رجل يخبركم بحشر الاموات بعد ماتفرقت اجسادهم كل التفرق ﴿ **قوله** وعامله محذوف ﴾ يعنى اذا منصوب بمقدر اى تبعثون وتحشرون وقت تمزيقكم حذف لدلالة قوله انكم لفى خلق جديد عليه ولايجوز ان يعمل فيه ينبئكم لانه عليه الصلاة والسلام لم يخبرهم فى ذلك الوقت ولا مزقتم لانه مضاف اليه والمضاف اليه لايعمل فى المضاف ولا خلق جديد لان مابعد ان لايعمل فيما قبلها والممزق كما يحتمل ان يكون مصدرا ميميا بمعنى التخريق والتقطيع يحتمل ايضا ان يكون اسم مكان فان القياس فيما زاد على الثلاثى ان يجيئ مصدره وزمانه ومكانه على وزن اسم المفعول ﴿ **قوله** وجديد بمعنى فاعل ﴾ وهو قول البصريين من جد الشئ يجد بالكسر جدة اى صار جديدا وهو ضد الخلق وقيل بمعنى مفعول من جد الشئ يجده جدا اى قطعه وثوب جديد اى مجدود قال الكوفيون اى قطعه الحائك او الخياط الساعة وهذا القائل يقول كان لفظ الجديد فى الاصل لايستعمل الا فى الثوب المقطوع عن قريب ثم عم فى كل شئ ظهر عن قريب وان لم يتأت فيه القطع كبناء جديد وفرس جديد واستدل على مذهبهم بقولهم ملحفة جديد بغير تاء التأنيث قالوا ولولا انه بمعنى مفعول لوجب ان يقال جديدة لان الفعيل بمعنى الفاعل يفرق فيه بين المذكر والمؤنث بخلاف ماهو بمعنى المفعول واجابهم البصريون بان ماهو بمعنى الفاعل قد يستوى فيه المذكر والمؤنث حملا على ماهو بمعنى المفعول او بتقدير موصوف مذكر كقوله تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين ﴿ **قوله** واستدل ﴾ يعنى ان الجاحظ استدل على ان الخبر غير منحصر فى الصادق والكاذب بل بينهما واسطة بان منكرى البعث حصروا قول النبى صلى الله عليه وسلم انكم اذا مزقتم تبعثون فى الافترآء والاخبار حال الجنة على سبيل منع الخلو فظهر منه ان الاخبار حال الجنة ليس بكذب لانهم جعلوه قسيما للافترآء الذى هو الكذب وليس بصدق ايضا لانهم غير معتقدين صدقه عليه الصلاة والسلام

(اولئك لهم مغفرة ورزق كريم) لاتعب فيه ولامن عليه (والذين سعوا فى آياتنا) بالابطال وتزهيد الناس فيها (معاجزين) مسابقين كى يفوتونا وقرأ ابن كثير وابو عمرو معجزين اى مثبطين عن الايمان من اراده (اولئك لهم عذاب من رجز) من سيئ العذاب (اليم) مؤلم ورفعه ابن كثير ويعقوب وحفص (ويرى الذين اوتوا العلم) ويعلم اولوا العلم من الصحابة ومن شايعهم من الامة او من مسلمى اهل الكتاب (الذى انزل اليك من ربك) القرآن (هو الحق) ومن رفع الحق جعل هو ضميرا مبتدأ والحق خبره والجملة ثانى مفعولى يرى وهو مرفوع مستأنف للاستشهاد باولى العلم على الجهلة الساعين فى الآيات وقيل منصوب معطوف على ليجزى اى وليعلم اولوا العلم عند مجيئ الساعة انه الحق عيانا كما علموه الآن برهانا (ويهدى الى صراط العزيز الحميد) الذى هو التوحيد والتدرع بلباس التقوى (وقال الذين كفروا) قال بعضهم لبعض (هل ندلكم على رجل) يعنون محمدا عليه الصلاة والسلام (ينبئكم) يحدثكم باعجب الاعاجيب (اذا مزقتم كل ممزق انكم لفى خلق جديد) انكم تنشأون خلقا جديدا بعد ان تمزق اجسادكم كل تمزيق وتفريق بحيث تصير ترابا وتقديم الظرف للدلالة على البعد والمبالغة فيه وعامله محذوف دل عليه مابعده فان ماقبله لم يقارنه ومابعده مضاف اليه او محجوب بينه وبينه بان وممزق يحتمل ان يكون مكانا بمعنى اذا مزقتم وذهبت بكم السيول كل مذهب وطرحتكم كل مطرح وجديد بمعنى فاعل من جد فهو جديد كحد فهو حديد وقيل بمعنى مفعول من جد النساج الثوب اذا قطعه (أفترى على الله كذبا ام به جنة) جنون يوهمه ذلك ويلقيه على لسانه واستدل بجعلهم اياه قسيم الافترآء غير معتقدين صدقه على ان بين الصدق والكذب واسطة

فى هذا الاخبار فيكون واسطة بينهما و المصنف اجاب عنه بان كون الاخبار حال الجنة قسيما للافترآء لايستلزم كونه قسيما مباينا للكذب و انما يلزم ذلك ان لو كان الافترآء بمعنى الكذب مطلقا و ليس كذلك بل الافترآء اخص من الكذب لان الافترآء هو الكذب عن عمد و قسيم الخاص لايلزم ان يكون قسيما للعام فان الخبر الكاذب و هو الذى لايطابق الواقع قد يكون عن عمد و هو الافترآء و قد يكون عن غير عمد و هو الخبر المجنون فالذين انكروا البعث بعد ما قطعوا بكذب خبر البعث حصروه فى نوعى الخبر الكاذب وجعلوا احد نوعيه قسيما للآخر فدليل الجاحظ لايثبت دعواه وفسر الجاحظ الخبر الصادق بما يكون مطابقا للواقع مع اعتقاد انه مطابق و فسر الكاذب بما لايكون مطابقا مع اعتقاد انه غير مطابق و جعل الخبر المطابق مع اعتقاد عدم المطابقة او بدون الاعتقاد اصلا و الخبر الغير المطابق مع اعتقاد المطابقة او بدون الاعتقاد اصلا واسطة بين الصادق و الكاذب و قوله أفترى على الله كذبا يحتمل ان يكون من كلام السامع المجيب لمن قال هل ندلكم و همزة أفترى مفتوحة لكونها همزة الاستفهام وحذفت لاجلها همزة الوصل ﴿قوله ردّ من الله تعالى عليهم ترديدهم﴾ والمعنى ليس الامر على ما زعموا من ان يكون مفتريا او يكون به جنون بل الذين لايؤمنون بالآخرة اى بالبعث و الثواب و العقاب فى العذاب اى واقعون فى عذاب النار و فيما يؤدّيهم اليه من الضلال عن الحق و هم غافلون عن ذلك و ذلك غاية الجنون و الحماقة ﴿قوله وجعله رسيلاله﴾ اى جعل العذاب تابعا مقارنا للضلال حيث عطف احدهما على الآخر بالواو المؤذن بالاجتماع فى الوقوع مع ان ضلالهم كائن فى الدنيا والعذاب فى الآخرة و مع ذلك قدّمه على الضلال فى اللفظ للمبالغة فى استحقاقهم له و رسيل الرجل الذى يراسله مراسلة فى نضال او غيره و المراد هنا مطلق الاتصال و المقارنة والبعد عن الحق فى الاصل صفة الضال اسند الى ضلاله للملابسة بينهما و لما كان الضلال بعيدا عن الحق كان الضال ابعد ثم انه تعالى لما ذكر ما يدل على اثبات الساعة من كونه عالم الغيب و من اقتضاء حكمته ان يهيئ للمكلفين دار المجازاة ليجزى كل واحد من المحسن و المسيئ على حسب عمله ذكر دليلا آخر يتضمن التهديد و التوحيد فقال أفلم يروا الى ما بين ايديهم و ما خلفهم اى الى ما هو محيط بهم من جميع جوانبهم و هو السماء و الارض فان الانسان اينما توجه و حيث ما نظر رأى السماء و الارض قدّامه و خلفه و عن يمينه و شماله و هما يدلان على وحدانية الصانع و على كمال قدرته و من قدر على خلقهما قدر على الحشر و الاعادة لامحالة قال تعالى أوليس الذى خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم ثم هدّدهم بقوله ان نشأ نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السماء كأنه قيل انهم حيث كانوا فان ارضى و سمائى محيطة بهم و انى قادر عليهم ان شئت خسفت بهم ارضى و ان شئت اسقطت عليهم قطعة من سمائى ثم قال ان فى ذلك اى فيما يرون من السماء و الارض لآية تدل على قدرة الله تعالى على البعث و على ما يشاء من الخسف بهم و نحوه من وجوه القهر و الاهلاك ﴿قوله والمعنى أعموا فلم ينظروا﴾ يريد ان الفاء فى أفلم يروا للعطف على مقدّر بعد الهمزة و ان قوله فلم يروا معطوف على ذلك المقدّر و التقدير كما ذكره فصحح بذلك وجه الجمع بين الهمزة المقتضية لصدر الكلام و الفاء المقتضية لتقدّم المعطوف عليه ثم انه تعالى لما ذكر من ينيب من عباده ذكر منهم من اناب و اصاب و من جملتهم داود عليه الصلاة و السلام قال تعالى فاستغفر ربه و خرّ راكعا و اناب فبين ما آتاه على الانابة فقال و لقد آتينا داود منا فضلا و تنكير فضلا للتعظيم كما فى قوله تعالى و لقد آتينا داود و سليمان علما و اكد تعظيم الفضل بقوله منا فانه حال من قوله فضلا قدّم عليه لكونه نكرة و الفضل الذى آتاه الله اذا كان مما يختص به تعالى و يكون من عنده خاصة يكون فضلا عظيما و هو ما ذكر بعده من تسخير الجبال و الطير و الانة الحديد او ما يعم النبوّة و الكتاب و الملك و حسن الصوت و نحوه و قوله يا جبال محكيّ بقول مضمر ثم ان شئت قدّرت ذلك القول مصدرا و يكون بدلا من فضلا على جهة تفسيره به كأنه قيل آتيناه فضلا قولنا يا جبال و ان شئت قدّرته فعلا و حينئذ جاز لك ان تجعله بدلا من آتينا اى آتينا قلنا يا جبال و ان تجعله مستأنفا و قوله تعالى أوّبى معه قرأ العامة بفتح الهمزة و تشديد الواو على انه امر من التأويب و هو الترجيع و الترجيع ترديد الصوت و الرجوع الى الصوت الاوّل و منه الترجيع فى الاذان و التضعيف فى اوّبى و رجعى يحتمل ان يكون للتعدية و ان يكون للتكثير و المعنى رجعى معه ما يأتى به من ذكر الله و تسبيحه و كان داود عليه السلام اذا سبّح سمع تسبيح الجبال و كان يعقل معناه معجزة له كما سمع الخطاب من الشجرة و عقل معناه او كان ينوح على ذنبه بترجيع و تحزين و تسعده الجبال باصدائها و قرئ اوبى بضم الهمزة على انه امر من آب يؤب اذا رجع اى ارجعى معه بالتسبيح كما رجع فيه و ما ك

و هو كل خبر لايكون عن بصيرة بالمخبر عنه
و ضعفه بين لان الافترآء اخص من الكذب
﴿ بل الذين لايؤمنون بالآخرة فى العذاب
و الضلال البعيد ﴾ ردّ من الله تعالى عليهم
ترديدهم و اثباتلهم ما هو افظع من القسمين
وهو الضلال البعيد عن الصواب بحيث
لايرجى الخلاص منه وما هو مؤدّاه من العذاب
و جعله رسيلاله فى الوقوع و مقدّما عليه
فى اللفظ للمبالغة فى استحقاقهم له و البعيد
فى الاصل صفة الضال و وصف الضلال به
على الاسناد المجازى ﴿ أفلم يروا الى ما بين
ايديهم و ما خلفهم من السماء و الارض ان نشأ
نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا
من السماء ﴾ تذكير بما يعاينونه مما يدل على كمال
قدرة الله و ما يحتمل فيه ازاحة لاستحالتهم
الاحياء حتى جعلوه افترآء و هزؤا و تهديد
عليها و المعنى أعموا فلم ينظروا الى ما احاط
بجوانبهم من السماء و الارض و لم يتفكروا
أهم اشدّ خلقا ام هى و انا ان نشأ نخسف بهم
او نسقط عليهم كسفا لتكذيبهم بالآيات بعد
ظهور البينات و قرأ حمزة و الكسائى يشأ
و يخسف و يسقط بالياء لقوله أفترى على الله
و حفص كسفا بالتحريك ﴿ ان فى ذلك ﴾ النظر
و التفكر فيهما و ما يدلان عليه ﴿ لآية ﴾
لدلالة ﴿ لكل عبد منيب ﴾ راجع الى ربّه
فانه يكون كثير التأمل فى امره ﴿ و لقد
آتينا داود منا فضلا ﴾ اى على سائر الانبيا
و هو ما ذكر بعد او على سائر الناس فيندرج
فيه النبوّة و الكتاب و الملك و الصوت
الحسن ﴿ يا جبال اوّبى معه ﴾ رجعى معه
التسبيح او النوحة على الذنب و ذلك
اما بخلق صوت مثل صوته فيها او بحمله
اياه على التسبيح اذا تأمل ما فيها

القرآءتين واحد لان الجبال اذا رجعت معه مايأتي به من التسبيح فقد رجع فيه ؛ ومعنى تسبيح الجبال اما ان يخلق فيها صوت مثل صوته عليه الصلاة والسلام او يكون اسناد التسبيح اليها من قبيل اسناد الفعل الى السبب الحامل ﴿ قوله او سيرى معه ﴾ عطف على قوله رجعي قيل قوله اوّبي من التأويب في السير وهو ان يسير النهار كله وينزل ليلا فالمعنى سيرى معه حيث شاء وفي التيسير كانت الجبال تسير مع داود عليه الصلاة والسلام حيث شاء ﴿ قوله والطير عطف على محل الجبال ﴾ فان عامة القرآء نصبوا والطير عطفا على محل ياجبال لان كل منادى في موضع النصب او على فضلا بمعنى وسخرنا له الطير حكاه ابو عبيدة عن ابي عمرو بن العلاء وهو كقوله علفتها تبنا وماء باردا بتقدير وسقيتها ماء باردا ورد على جعله منصوبا على انه مفعول معه انه كيف يجوز ذلك وقد ذكر قبله لفظة معه والعامل الواحد لا يقتضي اكثر من مفعول معه واحد الا بالبدل او بالعطف فلا يقال جاء زيد مع بكر مع عمرو ﴿ قوله وعلى هذا ﴾ اى على جواز كونه مفعولا معه يجوز ان يكون ارتفاع والطير بناء على عطفه على ضمير اوّبي والتقدير اوّبي معه انت والطير كقوله تعالى اذهب انت وربك الا ان المرفوع المتصل في اوّبي لم يؤكد بمنفصل استغناء عنه بالفصل بينه وبين المعطوف بالظرف ﴿ قوله وكان الاصل ﴾ يعني لما كان قوله تعالى ياجبال اوّبي معه بدلا من فضلا او من آتينا باضمار القول كان الظاهر ان يقال لا يؤتى بصورة النداء او لا يحتاج الى الاضمار الا انه اوثر هذا النظم لما فيه من فخامة امر التأويب فان التصدير بالنداء يدل على ان ما يذكر بعده امر مهم يعتني بشأنه ومن الدلالة على عظمة شأنه تعالى قوله تعالى وألنا عطف على آتينا وجوز ان يكون كلمة ان في قوله تعالى ان اعمل مفسرة ومصدرية ولما كان من شرط المفسرة ان يتقدمها ما هو بمعنى القول ولم يتقدم هنا الا قوله ألنا قدر ما هو بمعنى القول اى وامرناه ان اعمل وان كانت مصدرية كان الكلام مبنيا على حذف حرف الجر المتعلق بألنا وكان المعنى ألناله ذلك لان يعمل دروعا سابغات واسند الفعل الى المخاطب نظرا الى جانب المعنى ﴿ قوله وهو اوّل من اتخذها ﴾ وكانت قبله الصفائح فحصل بصنعتها شيئان لين الكسر وخفة الحمل قيل كان داود عليه الصلاة والسلام يفرغ من صنعة درع في نصف يوم او نصف ليلة ويبيعها بالف درهم وقيل باربعة آلاف فينفق منها على نفسه وعلى عياله قدر ما يكفيهم ويتصدق بالفضل ﴿ قوله وقدّر في نسجها ﴾ يعني ان السرد نسج الدرع وهو في الاصل متابعة الشيء الشيء ومنه سرد الحديث اذا تابعه ولما بين تعالى ما آتاه داود على انابته بين ما آتاه سليمان عليه الصلاة والسلام على انابته فانه ايضا من جملة من اناب لقوله تعالى والقينا على كرسيه جسدا ثم اناب ﴿ قوله اى ولسليمان الريح مسخرة ﴾ فان قيل فعلى هذا يلزم عطف الجملة الاسمية على الفعلية وهو لا يجوز او لا يحسن ولسليمان الريح عطف على قوله وألناله الحديد والانة الريح عبارة عن تسخيرها ؛ قلنا لا يلزم كونها معطوفة على الفعلية المذكورة قبلها لجواز كونها معطوفة على اسمية مقدرة دلت عليها تلك الفعلية فانه لما بين حال داود فكأنه قيل ماذكرنا لداود ولسليمان الريح فانها كانت له كالمملوك المختص بالمالك يأمرها بما يريد ويسير عليها الى حيث يريد ولما سبحت الجبال وشرفت بذكر الله تعالى لم يضفها الى داود بلام الملك بل جعلها معه كالصاحب فقال ياجبال اوّبي معه والريح لما لم يذكر فيها انها سبحت جعلها كالمملوك له فقال ولسليمان الريح وايضا كان داود عليه السلام اصلا في التأويب وكانت الجبال تابعة له في التأويب فقيل اوّبي معه والريح لما لم تكن حركتها تابعة لحركة سليمان بل كانت تتحرك بنفسها بل تحمل سليمان وجنوده على تحريكهم بحركة نفسها لم يكن وجه لان يقال والريح مع سليمان لانه عليه الصلاة والسلام كان مع الريح ﴿ قوله جريها بالغداة مسيرة شهر ﴾ يعني ان الغدوّ مصدر قولك غدا زيد يفعل كذا يغدو غدوّا اذا فعله وقت الغداة وهي اسم الوقت من طلوع الصبح الى زوال الشمس وفعل الريح في هذا الوقت جريها بسليمان وجنوده على البساط فصار قوله تعالى غدوّها بمعنى جريها بالغداة وهو مبتدأ وشهر خبره ولما لم يصح حمل الوقت على الجرى احتيج الى تقدير المضاف في جانب الخبر فقيل مسيرة شهر وهي مصدر ميمي بمعنى السير ليصح حملها على الجرى لانها لو جعلت مكانا او زمانا لما صح الحمل وكذا الرواح مصدر قولك راح يروح رواحا اى فعل وقت العشيّ وهو من زوال الشمس الى الليل والمعنى وجريها بسليمان وجنوده مسيرة شهر والجملة الاسمية اما مستأنفة لبيان وجه التسخير او حال من الريح كانت الريح تسير به في يوم واحد مسيرة شهرين عن الحسن انه قال كان سليمان عليه الصلاة والسلام يغدو من دمشق فيقيل باصطخر وبينهما مسيرة شهر للراكب المسرع ثم يروح من اصطخر فيبيت بكابل الهند وبينهما

او سيرى معه حيث سار وقرئ اوبي من الاوب اى ارجعي في التسبيح كلما رجع فيه وهو بدل من فضلا او من آتينا باضمار قولنا او قلنا (والطير) عطف على محل الجبال ويؤيده القرآءة بالرفع عطفا على لفظها تشبيها للحركة البنائية العارضة بحركة الاعراب او على فضلا او مفعول معه لاوّبي وعلى هذا يجوز ان يكون الرفع بالعطف على ضميره وكان الاصل ولقد آتينا داود منا فضلا تأويب الجبال والطير فبدّل به هذا النظم لما فيه من الفخامة والدلالة على عظمة شأنه وكبرياء سلطانه حيث جعل الجبال والطيور كالعقلاء المنقادين لامره في نفاذ مشيئته فيها (وألناله الحديد) وجعلناه في يده كالشمع يصرفه كيف يشاء من غير احماء وطرق بالآته او بقوّته (ان اعمل) امرناه ان اعمل وان مفسرة او مصدرية (سابغات) دروعا واسعات وقرئ صابغات وهو اوّل من اتخذها (وقدّر في السرد) وقدّر في نسجها بحيث يتناسب حلقها او قدّر مساميرها فلا تجعلها دقاقا فتقلق ولا غلاظا فتخرق ورد بان دروعه لم تكن مسمرة ويؤيده قوله وألناله الحديد (واعملوا صالحا) الضمير فيه لداود عليه السلام واهله (انى بما تعملون بصير) فاجازيكم عليه (ولسليمان الريح) اى وسخرنا له الريح وقرأ ابو بكر الريح بالرفع اى ولسليمان الريح مسخرة وقرئ الرياح (غدوّها شهر ورواحها شهر) جريها بالغداة مسيرة شهر وبالعشيّ كذلك وقرئ غدوتها وروحتها

ايضا مسيرة شهر وقيل كان يتغدّى بالرىّ ويتعشى بسمرقند ويحكى انه وجد مكتوبا فى منزل بناحية دجلة كتبه بعض اصحاب سليمان عليه الصلاة والسلام نحن نزلناه ومابنيناه وجدناه غدونا من اصطخر فقلناه ونحن رآئحون منه فبائتون بالشام ان شاء الله **«قوله النحاس المذاب»** يعنى ان القطر النحاس المذاب من القطران واراد بعين القطر معدن النحاس ولو اريد به العين السائلة لما صح ان يتعلق به الاسالة لانها لاتعلق بالسائل فوجب ان يراد بعين القطر معدن النحاس ولما كان مآل المعدن الى السيلان وان كان فى نفسه جامدا قبل الاسالة سماه عينا باعتبار مآل اليه امره وهذا معنى قوله ولذلك سماه اى سمى المعدن عينا وهو جامد لكون ينبوعه كينبوع الماء متفرّعا على اسالة الله تعالى اياه واسال الله تعالى له معدن النحاس من غير معالجة بالنار كما الان الحديد لداود معجزة لهما قيل اجريت له ثلاثة ايام ولياليهنّ تجرى الماء ولذا لم يعمل الناس اليوم بما اعطى سليمان وقيل كانت تسيل من كل شهر ثلاثة ايام **«قوله بامره»** اى بان سخرها له وامرها بطاعته فهذا الامر مصدر مضاف الى فاعله وفى قوله عن امرنا بمعنى المأمور به وهو طاعة سليمان **«قوله وقرئ يزغ»** اى بضم الياء وكسر الزاى على بناء الفاعل من ازاغه بمعنى اماله فيكون مفعوله محذوفا اى ومن يزغ نفسه هذا هو المفهوم من تعبير المصنف ووجدت فى بعض التفاسير وقرئ يزغ على بناء المفعول من ازاغه والله اعلم ومن فى قوله تعالى من عذاب السعير لابتدآء الغاية او للتبعيض وفسر عذاب السعير بعذاب الآخرة لانه هو المتبادر من العبارة وانهم مكلفون كبنى آدم وقيل هو عذاب الدنيا وروى عن السدّى انه قال ان الله تعالى وكل بهم ملكا بيده سوط من نار فمن زاغ عن طاعة سليمان ضربه ضربة احرقته **«قوله قصور حصينة»** وكان مما عملوا له بيت المقدس ابتدأه داود ورفعه قامة رجل فاوحى الله تعالى اليه انى لم اقض اتمام ذلك على يديك ولكن ابن لك اسمه سليمان اقضى اتمامه على يده فلما توفاه الله تعالى واستخلف سليمان اتمه بايدى الجنّ والشياطين **«قوله على مااعتادوا»** متعلق بمحذوف منصوب على انه حال من الملائكة والانبياء **«قوله وصحاف»** جمع صحفة وهى الاناء من جنس القصعة قال الكسائى اعظم القصاع الجفنة ثم القصعة تليها تشبع العشرة ثم الصحفة تشبع الخمسة ثم الميكلة تشبع الرجلين والثلاثة ثم الصحيفة تشبع الرجل والجوابى جمع جابية كضاربة وضوارب والجابية الحوض العظيم من جبى الماء اذا جمعه سميت بذلك لانها يجبى اليها الماء اى يجمع واسناد الفعل اليها مجاز لانه يجبى فيها فقوله وجفان اى وقصاع فى العظم كحياض الابل يجتمع على القصعة الواحدة الف رجل يأكلون منها **«قوله لاتنزل عنها لعظمها»** قيل كان يضع فى كل قدر الف شاة وكان يصعد اليها بنصب السلالم وكان ذلك باليمن **«قوله حكاية لما قيل لهم»** اى محمول على اضمار القول اى قلنا لهم اعملوا بطاعة الله تعالى شكرا على نعمه وذلك لان امرهم به ليس فى زمان نزول الوحى لرسول الله عليه الصلاة والسلام وذكر لانتصاب شكرا خمسة اوجه الاوّل انه مفعول له لاعملوا والثانى انه مصدر على غير لفظ الفعل من حيث ان العمل هو الشكر له والثالث انه صفة لمصدر اعملوا تقديره اعملوا عملا شكرا اى ذا شكر والرابع انه مصدر واقع موقع الحال اى اعملوا شاكرين والخامس انه مفعول به لقوله اعملوا اى اعملوا الشكر الذى هو الطاعة لله تعالى فيما امر به ونهى عنه ويجوز ان يكون منصوبا بفعل مقدر من لفظه اى واشكروا شكرا **«قوله تعالى وقليل»** خبر مقدم ومن عبادى صفة له والشكور مبتدأ والمعنى ان العامل بطاعتى شكرا لنعمتى قليل من عبادى والشكور صيغة مبالغة وقوله المتوفر الى قوله اكثر اوقاته صفة كاشفة له واكثر اوقاته ظرف المتوفر وبعد ما كشف مفهومه وفضله قال ومع ذلك لايوفى حقه **«قوله وقيل آله»** يعنى ضمير دلهم قيل انه لآل سليمان روى ان داود عليه السلام اسس بناء بيت المقدس فى موضع فسطاط موسى عليه الصلاة والسلام فمات قبل ان يتمه فامر سليمان باتمامه فشرع فيه بعدما مضى من ملكه اربع سنين وامر الشياطين بذلك فلما بقى عمارة سنة دنا اجله فدعا الله تعالى ان يعمى عليهم موته حتى يفرغوا من بنائه وكان عمره ثلاثا وخمسين سنة ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة وعاش فى ملكه اربعين سنة وقيل كانت الشياطين تدعى انهم يعلمون الغيب وكانوا يسترقون السمع وزعم بعض الناس من الجهلة انهم يعلمون الغيب كما يدّعون فاخفى الله تعالى بدعاء سليمان موته على الشياطين ليعلموا انهم ليسوا فى شئ من علم الغيب فجاء ملك الموت وكان قائما فى محرابه متكئا على عصا فقال امهلنى حتى اوصى الى اهلى فقال لازمان فقال اتركنى حتى اجلس قال وكذلك امرت فقبض روحه على حاله فلما مات مكث قائما على عصاه حولا ميتا والجن تعمل

(واسلناله عين القطر) النحاس المذاب اسال
من معدنه فنبع منه نبوع الماء من الينبوع
ولذلك سماه عينا وكان ذلك باليمن (ومن الجن
من يعمل بين يديه) عطف على الريح ومن الجن
حال مقدّمة او جملة من مبتدأ وخبر (باذن
ربّه) بامره (ومن يزغ منهم) ومن يعدل
منهم (عن امرنا) عما امرناه من طاعة سليمان
وقرئ يزغ من ازاغه (نذقه من عذاب
السعير) عذاب الآخرة (يعملون له مايشا
من محاريب) قصور حصينة ومساكن
شريفة سميت بها لانها يذب عنها ويحارب
عليها (وتماثيل) وصورا وتماثيل للملائكة
والانبياء على مااعتادوا من العبادات ليراها
الناس فيعبدوا نحو عبادتهم وحرمة التصاوير
شرع مجدّد روى انهم عملوا اسدين فى اسفل
كرسيه ونسرين فوقه فاذا اراد ان يصعد
بسط الاسدان له ذراعيهما واذا قعد اظله
النسران باجنحتهما (وجفان) وصحاف
(كالجواب) كالحياض الكبار جمع جابية
من الجباية وهى من الصفات الغالبة كالدابة
(وقدور راسيات) ثابتات على الاثافى لاتنزل
عنها لعظمها (اعملوا آل داود شكرا) حكاية
لما قيل لهم وشكرا نصب على العلة اى اعملوا
له واعبدوه شكرا او المصدر لان العمل له
شكرا والوصف له او الحال او المفعول به
(وقليل من عبادى الشكور) المتوفر على
ادآء الشكر بقلبه ولسانه وجوارحه فى اكثر
اوقاته ومع ذلك لايوفى حقه لان توفيقه للشكر
نعمة تستدعى شكرا آخر لا الى نهاية ولذلك
قيل الشكور من يرى عجزه عن الشكر (فلما
قضينا عليه الموت) اى على سليمان (مادلهم
على موته) مادل الجن وقيل آله (الادابة
الارض) اى الارضة اضيفت الى فعلها
وقرئ بفتح الراء وهو تأثر الخشبة من فعلها

يقال أرضت الارضة الخشبة ارضا فارضت ارضا مثل اكلت القوادح الاسنان اكلا فأكلت أكلا (تأكل منسأته) عصاه من نسأت البعير اذا طردته لانها يطرد بها وقرئ بفتح الميم وتخفيف الهمزة قلبا وحذفا على غير قياس اذ القياس اخراجها بين بين وقرأ نافع وابو عمرو منساته على مفعالة كميضاة في ميضأة ومن سأته اى طرف عصاه مشتقا من سأة القوس وفيه لغتان كما في قحة وقحة (فلما خر تبينت الجن) علمت الجن بعد التباس الامر عليهم (ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين) انهم لو كانوا يعلمون الغيب كما يزعمون لعلموا موته حينما وقع فلم يلبثوا بعده حولا في تسخيره الى ان خر او ظهرت الجن وان بما في حيزه بدل منه اى ظهر ان الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب وذلك ان داود اسس بيت المقدس في موضع فسطاط موسى عليه الصلاة والسلام فمات قبل تمامه فوصى به الى سليمان فاستعمل الجن فيه فلم يتم بعد اذ دنا اجله فاعلم به فاراد ان يعمى عليهم موته ليتموه فدعاهم فبنوا عليه صرحا من قوارير ليس فيه باب فقام يصلي متكئا على عصاه فقبض روحه وهو متكئ عليها فبقي كذلك حتى اكلتها الارضة فخر ثم فتحوا عنه وارادوا ان يعرفوا وقت موته فوضعوا الارضة على العصا فاكلت يوما وليلة مقدارا فحسبوا على ذلك فوجدوه قد مات منذ سنة وكان عمره ثلاثا وخمسين سنة وملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة وابتدأ عمارة بيت المقدس لاربع مضين من ملكه (لقد كان لسبأ) لاولاد سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ومنع الصرف عند ابن كثير وابو عمرو لانه صار اسم القبيلة وعن ابن كثير قلب همزته الفا ولعله اخرجه بين بين فلم يؤده الراوي كما وجب (في مساكنهم) في مواضع سكناهم وهي باليمن يقال لها مأرب بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاث وقرأ حمزة وحفص بالافراد والفتح والكسائي بالكسر حملا على ما شذ من القياس كالمسجد والمطلع (آية) علامة دالة على وجود الصانع المختار وانه قادر على ما يشاء من الامور العجيبة مجاز المحسن والمسيء معاضدة البرهان السابق كما في قصتي داود وسليمان (جنتان) بدل من آية او خبر محذوف وتقديره الآية جنتان

تلك الاعمال الشاقة التي كانوا يعملونها في حياته لا يشعرون بموته حتى اكلت الارضة عصاه فخر ميتا فعلموا بموته فارادوا ان يشعروا وقت موته فوضعوا ارضة على عصا فاكلت منها مقدارا في يوم وليلة فحسبوا على ذلك النحو فعلموا بموته منذ سنة فذلك قوله تعالى ما دلهم على موته الا دابة الارض وهي السرفة التي تأكل الخشب والارض فعلها اعني اكلها الخشبة فاضيفت الى فعلها يقال ارضت الارضة اى السرفة الخشب ارضا فهو مأروض اى مأكول وقرئ الارض بفتح الراء من ارضت الخشبة بالكسر ارضا فهو من باب فعلته ففعل كقولك اكلت القوادح الاسنان اكلا فأكلت اكلا ﴿قوله وقرئ بفتح الميم﴾ قرأ نافع وابو عمرو منساته بالف ساكنة بدل من الهمزة والجمهور بهمزة مفتوحة كالمكيحة والمكنسة وقرئ منساته بفتح الميم مع تخفيف الهمزة وابدالها الفا وحذفها تخفيفا وقرئ منساءته على وزن مفعالته كما يقال في ميضأة ميضاءة وهي المطرة التي يتوضأ بها وكلها لغات وانشد على الابدال والحذف

❊ اذا دببت على المنساة من كبر ❊ فقد تباعد عنك اللهو والغزل ❊

﴿قوله ومن سأته﴾ بفصل كلمة من على انها حرف جر وان سأته مجرورة بها والسأة والسئة هنا العصا وهما في الاصل ما عطف من طرفي القوس سميت العصا سأة على وجه الاستعارة ووجه ذلك كما جاء في التفسير انه عليه الصلاة والسلام اتكأ على عصا خضراء من خروب والعصا الخضراء متى اتكئ عليها تصير كالقوس في الاعوجاج غالبا وفي سئة القوس لغتان كسر الفاء وفتحها نحو قحة وقحة يقال وقح الرجل بضم القاف اذا صار قليل الحياء قحة بفتح القاف وكسرها والهاء عوض عن الواو المحذوفة من سئة القوس وزنها فعة والهاء عوض عن اللام واختلف فيها أهي واو ام ياء وقيل كان رؤبة يهمز سية القوس وسائر العرب لا تهمز ﴿قوله او ظهرت الجن﴾ عطف على قوله علمت الجن يعني ان تبين يحتمل ان يكون متعديا من تبينت الشيء اذا عرفته معرفة جلية بعد التباس الامر وان يكون لازما من تبين الشيء اذا ظهر والمعنى ظهرت حال الجن انهم لو كانوا يعلمون الغيب لعلموا بموته عليه الصلاة والسلام حين وقع وما تكلفوا تلك المشاق وان هذه مع صلتها بدل اشتمال من الجن كقولك تبين زيد جهله والظهور للجهل في المعنى ثم انه تعالى لما بين حال الشاكرين لنعمه بذكر داود وسليمان عليهما الصلاة والسلام بين حال الكافرين لها بحكاية قصة اهل سبا فقال لقد كان لسبأ صرفه الجمهور اي قرأوه بالجر والتنوين على انه اسم حي أو رجل وهو عبد شمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان وقرأ البزي وابو عمرو لسبأ بفتح الهمزة من غير تنوين على انه اسم القبيلة سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سبأ ما هو أكان رجلا ام امرأة ام ارضا قال بل هو رجل من العرب ولد عشرة من الولد فسكن اليمن منهم ستة والشام منهم اربعة فاما الذين تيامنوا فالازد وكندة ومذحج على وزن مسجد والاشعرون وحمير وانمار ومنهم خثعم وبجيله واما الذين تشاءموا فعاملة وغسان ولخم وجذام ولما هلكت اموالهم وخربت بلادهم تفرقوا في غور البلاد ونجدها ايدي سبأ شذر مذر ولذلك قيل لكل متفرقين بعد الاجتماع تفرقوا ايدي سبأ فنزلت طوائف منهم الحجاز فمنهم خزاعة نزلوا بظاهر مكة ومنهم الاوس والخزرج نزلوا بيثرب فكانوا اول من سكنها ثم نزل عندهم ثلاث قبائل من اليهود بنو قينقاع وبنو قريظة والنضير فحالفوا الاوس والخزرج واقاموا عندهم ونزلت طوائف اخر منهم الشام وهم الذين تنصروا فيها بعد وهم غسان وعاملة ولخم وجذام وتنوخ وتغلب وغيرهم وسبأ يجمع هذه القبائل كلها ﴿قوله ولعله اخرجه بين بين﴾ فانه هو الاصل في تليين الهمزة التي تحرك ما قبلها ﴿قوله وقرأ حمزة وحفص﴾ في مسكنهم بفتح الكاف مفردا والكسائي كذلك الا انه كسر الكاف والباقون مساكنهم على لفظ الجمع اما الافراد فلعدم اللبس في ان المراد الجمع كقوله ❊ كلوا من بعض بطنكمو تعفوا ❊ والقياس فتح الكاف لان الفعل متى ضمت عين مضارعه او فتحت يجيء الزمان والمكان والمصدر منه على مفعل بفتح العين والكسر مسموع على غير القياس والمسكن ههنا موضع السكون واما الجمع فهو الظاهر لان كل واحد منهم له مسكن على حدة ورسم مسكنهم في المصاحف بدون الف بعد الكاف فلذلك احتمل القراآت المذكورة ﴿قوله بدل من آية﴾ وهي اسم كان قدم عليه خبره ابدل المثنى من المفرد بيانا له وتفسيرا بناء على ان البدل على تقدير المضاف اى لقد كان لهم آية قصة جنتين والا لكان الظاهر ان يقال آيتان جنتان ونظيره قوله تعالى وجعلنا ابن مريم وامه آية فان الظاهر ان يقال آيتين الا انه افرد آية لكون المعنى وجعلنا امرهما وحالهما آية وهي ولادتها اياه من غير ان يمسها بشر على ان الجنتين

(المحيطتين)

المحيطتين بمسكنهم آية واحدة فى نفسها دالة على وجود الصانع وعلى كونه قادرا على مايشاء من الامور العجيبة الخارجة عن وسع البشر فلما كان المفرد المذكور صادقا على هذا المثنى صح ابدالهما منه على سبيل البيـان والتفسير وقوله معاضدة صفة ثانية لقوله علامة اشـار به الى وجه مناسبة قصة سبأ لقصتى داود وسليمان عليهما الصلاة والسلام وهو ان فى قصتهما دلالة على وجود الصانع وكمال قدرته وانه مجاز للمحسن والمسيء حيث جازى كل واحد منهما بما يخصه من الفضل العظيم وقال فيمن يزيغ منهم عما امره الله تعالى من طاعة سليمان نذقه من عذاب السعير وكذا فى قصة سبأ دلالة على وجود الصانع وكمال قدرته لان مااعطاهم من انواع الشجر والوان الثمر خارج عن وسع البشر وفيها ايضا دلالة على انه تعالى مجاز للمحسن والمسيء حيث كلفهم شكر ماانعم عليهم من جلائل النعم ليزيد عليهم من فضله ثم قال فاعرضوا عما كلفوا به من الشكر فارسلنا عليهم سيل العرم فالعلامة التى اشتملت عليها هذه القصة معاضدة للبرهان السابق المدلول عليه بقصتهما ذكر الله تعالى هذه القصة لمشركى العرب تحذيرا لهم من ان ينزل بهم بشؤم شركهم وسوء افعالهم مانزل باولئك على كثرتهم وقوتهم ﴿ قوله والمراد جماعتان ﴾ جواب عما يقال كيف عظم الله تعالى جنتى اهل سبأ وجعلهما آية دالة على ماذكر مع ان المسكن المتوسط بين جنتين كثير فى الدنيا * وتقرير الجواب ان ماذكرت انما يرد ان لو كان المراد بستانين اثنين فحسب وليس كذلك بل المراد جماعتان من البساتين جماعة عن يمين بلدهم واخرى عن شماله سميت كل جماعة منها جنة لكونها فى تقاربها وتضامها كأنها جنة واحدة ﴿ قوله او بستانا كل رجل ﴾ عطف على قوله جماعتان ويجوز ان يكون المراد بستانين اثنين وتعظيمهما من حيث ان مسكن كل رجل متوسط بينهما وكون جميع المساكن هكذا حالة عظيمة ﴿ قوله اودلالة بانهم كانوا احقاء بان يقال لهم ذلك ﴾ عطف على قوله حكاية لما لم يكن الامر المذكور واقعا فى زمان نزول الوحى على نبينا عليه الصلاة والسلام وجب جعله محكيا بقول مضمر ومقولا بلسان من بعث اليهم من الانبياء او بلسان الحال او جعله منزلا منزلة الوحى المحكى القول لهم من حيث كونهم احقاء بان يقال لهم ذلك فكأنه قيل لهم ذلك فجيء بالجملة كما يجاء بها بعد القول ﴿ قوله استئناف ﴾ فكأنه قيل واشكروا له فان بلدتكم بلدة طيبة وربكم ان شكرتموه فيما رزقكم رب غفور فارتفاع كل واحد من بلدة ورب على انه خبر محذوف كانت بلدتهم اخصب البلاد واطيبها حيث كانت المرأة تخرج فتحمل مكتلها على رأسها وتمر بين تلك الاشجار فيمتلئ مكتلها من الوان الفاكهة من غير ان تمس شيأ بيدها وطيبها انه لم يكن فيها عاهة كالوباء والحمى وغيرهما من الامراض المتفرعة على وخامة الهواء ولاهامة وهى واحدة الهوام المؤذية قيل لم ير ببلدتهم بعوضة ولاذباب ولا برغوث ولاحية ولاعقرب وكان الرجل الغريب يمر ببلدتهم وفى ثيابه القمل فيموت القمل كله من طيب الهواء فذلك قوله تعالى بلدة طيبة اى طيبة الهواء ﴿ قوله تعالى فاعرضوا ﴾ اى عن القيام بما وجب عليهم من شكر نعم الله تعالى وكذبوا رسلهم قال وهب ارسل الله تعالى الى سبأ ثلاثة عشر نبيا فدعوهم الى الله تعالى وذكروهم نعم الله تعالى عليهم وانذروهم عقابه فقالوا مانعرف لله عز وجل علينا نعمة فقولوا لربكم فليحبس هذه النعم عنا ان استطاع فانتقم الله تعالى منهم بان ارسل عليهم سيلا غرق اموالهم وخرب ديارهم ﴿ قوله سيل الامر العرم ﴾ على ان يكون العرم صفة مشبهة من العرام وهى الشدة والصعوبة يقال عرم فلان فهو عارم وعرم اذا ساء خلقه وصعب ولما كان اضافة السيل الى العرم من قبيل اضافة الموصوف الى صفته اذ الاصل السيل العرم احتيج الى التأويل المعتبر فى هذا الباب وهو ان يحمل الكلام على حذف الموصوف واقامة صفته مقامه فقولهم مسجد الجامع مثلا تقديره مسجد الوقت الجامع فكذا سيل العرم اصله سيل المطر العرم او الامر العرم وجعل قوله المطر الشديد وجها آخر بناء على انه لم يعتبر فيه كون السيل موصوفا بكونه عرما وان اضافته اليه من قبيل اضافة الموصوف الى صفته ليحتاج الى التأويل بل جعلهـا مثلا مبتدأ من باب حذف الموصوف واقامة صفته مقامه ﴿ قوله اوالجرذ ﴾ اى قيل العرم اسم للجرذ وهو بضم الجيم وفتح الراء والذال ضرب من الفأر اعمى والجمع الجرذان ويقال له الخلد ايضا لاقامته عند جحره لعماه واضافة السيل اليه من قبيل اضافة المسبب الى سببه فانه كان سببا لخرابه السكر وانقلاب الماء المحتبس وراء السكر عليهم وذلك ان اهل سبأ كانوا يقتتلون على واديهم عند احتياجهم الى سقى بساتينهم فسدت لهم بلقيس الملكة مابين الجبلين بالصخور والقير فحبست بذلك السـماء العيون والامطار وجعلت لهم ابوابا ثلاثة بعضها فوق بعض وبنت من دونه بركة عظيمة وجعلت فيها اثنى عشر

وقرئ بالنصب على المدح والمراد جماعتان من البسـاتين (عن يمين وشمـال) جماعة عن يمين بلدهم وجماعة عن شماله كل واحدة منهما فى تقاربها وتضامها كأنها جنة واحدة او بستانا كل رجل منهم عن يمين مسكنه وعن شماله (كلوا من رزق ربكم واشكروا له) حكاية لما قال لهم نبيهم او لسان الحال او دلالة بانهم كانوا احقاء بان يقال لهم ذلك (بلدة طيبة ورب غفور) استئناف للدلالة على موجب الشكر اى هذه البلدة التى فيها رزقكم بلدة طيبة وربكم الذى رزقكم وطلب شكركم رب غفور فرطات من يشكره وقرئ الكل بالنصب على المدح قيل كانت اخصب البلاد واطيبها لم يكن فيها عاهة ولاهامة (فاعرضوا) عن الشكر (فارسلنا عليهم سيل العرم) سيل الامر العرم اى الصعب من عرم الرجل فهو عارم وعرم اذا شرس خلقه وصعب او المطر الشديد او الجرذ اضاف اليه السيل لانه نقب عليهم سكرا

مخرجا على عدد انهارهم الى اراضيهم و بساتينهم يفتحونها اذا احتاجوا الى الماء و اذا استغنوا سدّوها فاذا جاء المطر
اجتمع اليه ماء اودية اليمن فاحتبس السيل من وراء السدّ فاجتمع فيه الى ان صار كالبحر فامرت بالباب الاعلى ففتح
فجرى ماؤه فى البركة فكانوا يسقون من الباب الاعلى الى ان يتسفل الماء عنه ثم من الباب الثانى ثم من الثالث
الاسفل فلا ينفد الماء الى ان ينقطع احتياجهم الى سقى الاراضى ثم يجتمع فيه الماء اوان الشتاء فيصير كالبحر ايضا
فيسقون منه فى السنة المقبلة كما سقوا فى السنة الماضية فكانت تقسم الماء بينهم على هذا الوجه فى كل سنة فبقوا
على ذلك بعدها مدّة فلما طغوا نقب الجرذ السكر بسببه و انقلب البحر عليهم فغرق بلادهم و دفن الرمل بيوتهم
ومنازلهم و تفرّقوا فى البلدان ايدى سبأ ﴿قوله فخفنت به﴾ اى منعت من ان يسيل ماء الشحر وهو ساحل
البحر بين عمان و عدن ﴿قوله او المسناة﴾ اى و يحتمل ان يكون المراد بالعرم نفس البناء الذى يجعل سدّا قال
البغوى العرم جمع عرمة وهى السكر الذى يحبس الماء اضيف السيل الى العرم للملابسة بينهما من حيث ان السيل
انما انبسط وغلب على اراضيهم وخرب ديارهم بخراب العرم و فسر الجوهرى كل واحد من المسناة و العرم بالآخر
ثم انه تعالى بين دوام خراب بلادهم بعطف قوله و بدلناهم بجنتيهم جنتين على قوله فارسلنا عليهم سيل العرم فان
الرمل اذا دفن بيوت الناس و بساتينهم و ايس اصحابها من عمارتها و تركوها على حالها نبتت فيها الاشجار الخبيثة
بدل ما كان فيها من الفواكه الطيبة الحاصلة بسبب العمارة و قد تقرّر ان المجرور بالباء الواقعة بعد فعل التبديل
هو الخارج من اليد و المنصوب هو الداخل و سمى ما كان بدلا من الخارج جنة على طريق المشاكلة تهكما بهم
﴿قوله مرّ بشع﴾ اى كريه الطعم يأخذ بالحلق فلا يمكن اكله فسر الخمط بثلاثة اوجه الاوّل ما ذكره الزجاج
وهو انه كل نبت اخذ طعما من مرارة حتى لا يمكن اكله و الثانى انه شجر الاراك و الاكل ثمره و يقال له البرير و الثالث
كل شجر له شوك وما وجد فى نسخ القاضى كل شجر لا شوك له مخالف لرواية سائر الكتب قال الامام فى الكبير الخمط
كل شجرة لها شوك او كل شجرة ثمرتها مرّة لا تؤكل و الاثل نوع من الطرفاء و لا يكون عليه ثمرة الا فى بعض
الاوقات يكون عليه شئ كالعفص امرّ منه فى طعمه و طبعه الى هنا كلامه قرأ ابو عمرو ذواتى اكل خمط بضم
الكاف مضافا الى خمط من غير تنوين و قرأ نافع و ابن كثير اكل خمط بسكون كاف اكل و تنوينه و الباقون بضم
كافه و تنوينه و فى الصحاح الاكلة بالضم اللقمة يقال هذا الشئ اكلة لك اى طعمة لك و الاكل ايضا ما اكل و يقال
ايضا فلان ذو اكل اذا كان ذا حظ فى الدنيا و رزق واسع ثم قال و كل ما يؤكل فهو اكل و منه قوله تعالى اكلها
دائم فظهر منه ان المراد بالاكل فى الآية هو الثمر و الجنى وهو ما يجتنى من الشجر و الجناة واحدته و ان وجه
اضافته الى الخمط ظاهر فان قولك اكل خمط حينئذ مثل قولك اعناب كرم و ثوب خز و اما وجه التنوين فهو
ان يجعل تقدير الكلام ذواتى اكل اكل خمط على ان المضاف المقدّر بدل او عطف بيان للمذكور و لبيان ان
الاكل من اى شجرة هو ﴿قوله النبق مما يطيب اكله﴾ يعنى ان السدر شجر النبق و جناه ينتفع به اكلا
و كذا ينتفع بورقه لغسل اليد و لما كان التبديل مجازاة لهم على كفران النعمة ناسب ان يقال من البدل ما هو اكرم
ما بدّلوا و منه السدر فلذلك قلله الله تعالى و قيل السدر سدران سدر له ثمرة عفصة لا تؤكل و لا ينتفع بورقه
فى الاغتسال و هو الضال و سدر له ثمرة تؤكل وهو النبق و يغتسل بورقه و المراد بما فى الآية الاوّل و حاصل
الآية انه كانت اشجارهم خير الاشجار فصيرها الله تعالى من شر الاشجار بسوء اعمالهم ﴿قوله بكفرانهم﴾
يعنى ان ما فى قوله بما كفروا مصدرية و محل ذلك النصب على انه مفعول ثان لجزيناهم اى جزيناهم ذلك التبديل بسبب
كفرانهم النعمة او بسبب كفرهم بالرسل و لو كان تقديم المفعول للتخصيص لزم ان ينحصر عقابهم فى التبديل
المذكور و ليس كذلك لان الكافر لا ينحصر عقابه فى نوع من العقاب العاجل فلذلك جعله للاهتمام به و تفخيم
شأنه لان الاصرار على ترك الوطن المألوف لاسيما اذا كان فى اخصب البلاد و اطيبها فى غاية الصعوبة ﴿قوله
تعالى و هل يجازى﴾ قرآءة الجمهور بضم الياء و فتح الزاى على بناء المفعول و رفع الا الكفور لقيامه مقام الفاعل
و من قرأه بنون العظمة و كسر الزاى اعتبر موافقته لقوله جزيناهم فيكون قوله الا الكفور منصوبا على انه مفعول به
﴿قوله و هل يجازى بمثل ما فعلنا بهم﴾ يعنى ان المراد بالجزآء هو الجزآء المعهود فى قوله جزيناهم بما كفروا فان
المراد به العقاب العاجل فكذا فى قوله و هل يجازى فكأنه قيل ذلك عاقبناهم بسبب كفرهم و هل يعاقب بمثله الا
البليغ فى الكفر او الكفران و ليس المراد به مطلق الجزآء و الا لما صح قصره على الكافر فان مطلق الجزآء يعم المؤمن

ضربته لهم بلقيس فخفنت به ماء الشحر و تركت
فيه ثقبا على مقدار ما يحتاجون اليه او المسناة
التى عقدت سكرا على انه جمع عرمة وهى
الحجارة المركومة وقيل اسم واد جاء السيل
من قبله وكان ذلك بين عيسى و محمد عليهما
الصلاة و السلام (و بدّلناهم بجنتيهم جنتين
ذواتى اكل خمط) مرّ بشع فان الخمط كل نبت
اخذ طعما من مرارة وقيل الاراك او كل شجر
لا شوك له و التقدير اكل اكل خمط فحذف
المضاف و اقيم المضاف اليه مقامه فى كونه
بدلا او عطف بيان و قرأ ابو عمرو اكل خمط
بالاضافة (و اثل و شئ من سدر قليل)
معطوفان على اكل لا على خمط فان الاثل هو
الطرفاء و لا ثمر له و قرئا بالنصب عطفا على
جنتين و وصف السدر بالقلة فان جناه وهو
النبق مما يطيب اكله و لذلك يغرس فى
البساتين و تسمية البدل جنتين للمشاكلة
و التهكم (ذلك جزيناهم بما كفروا)
بكفرانهم النعمة او بكفرهم بالرسل اذ روى
انه بعث اليهم ثلاثة عشر نبيا فكذبوهم
و تقديم المفعول للتعظيم لا للتخصيص (و هل
يجازى الا الكفور) و هل يجازى بمثل
ما فعلنا بهم الا البليغ فى الكفران او الكفر
و قرأ حمزة و الكسائى و يعقوب و حفص
نجازى بالنون و الكفور بالنصب

والكافر ﴿قوله بالتوسعة على اهلها﴾ اى بالمياه والاشجار والثمار والخصب لكونها مهاجر الانبياء ومقرّهم والمعنى جعلنا بين اهل سبأ وهم باليمن وبين الشام قرى ظاهرة اى متواصلة يظهر بعضها لبعضها ويرى سواد القرية من القرية الاخرى لقربها منها كانوا يسافرون من اليمن الى الشام فيبيتون بقرية ويقيلون باخرى حتى يرجعوا ولا يحتاجون الى حمل زاد ولاماء من وادى سبأ الى الشام او ظاهرة للسابلة غير بعيدة عن مسالكهم حتى تخفى عليهم بل يرونها من متن لطريق وهذا بيان لما انعم الله تعالى به على سبأ بعدما ارسل الله تعالى عليهم سيل العرم فانه لما اهلك مالهم قالوا نحن نتوب ويردّ علينا خيرنا فتابوا فردّ الله عليهم خيرا اكثر مما هم عليه قبل ان يرسل عليهم سيل العرم* روى الامام ابو الليث عن الكلبي انهم قالوا للرسل انا عرفنا نعمة الله تعالى فوالله لئن ردّ فتنا وجاءتنا والذى كنا عليه لنعبدنه عبادة لم يعبدها اياه قوم قط فدعت لهم الرسل ربهم فردّ الله تعالى اليهم ما كانوا عليه فآتاهم نعمة وجعل لهم من ارضهم الى ارض الشام قرى متصلة بعضها الى بعض فذلك قوله تعالى وجعلنا بينهم وبين القرى التى باركنا فيها قرى ظاهرة ثم انهم عادوا الى كفرهم فاتاهم الرسل وذكروهم فكذبوهم فمزقهم الله كل ممزق وقال غيره قوله تعالى وجعلنا بينهم وبين القرى التى باركنا فيها حكاية ما كانوا عليه قبل ان يرسل الله تعالى عليهم سيل العرم بين الله تعالى حال بلدهم انها بلدة طيبة وان لهم فيها جنات غزيرة البركات مكنهم منها وامرهم ان يأكلوا من رزقه وان يشكروا الله ثم انهم كفروا النعمة واعرضوا عما وجب عليهم من الشكر فبدّل ما بهم من النعمة نقمة ثم ذكر حال خارج بلدهم وذكر عمارتهم بكثرة القرى من اليمن الى الشام فبطروا النعمة وملوا العافية فطلبوا الكدّ والتعب كما ملت بنو اسرآئيل المنّ والسلوى وسألوا الثوم والبصل فتمنوا ان يجعل الله بينهم وبين الشام مفاوز وبوادى ليحتاجوا الى ان يحملوا معهم ازوادهم وقالوا لو كان جنى الجنات ابعد مما هو عليه اليوم لكان اجدر ان نشتهيه فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا واجعل بيننا وبين الشام فلوات ومفاوز لنركب فيها الرواحل ونتزوّد الازواد فجعل الله تعالى لهم الاجابة ومعنى تقدير السير فيها جعل بعد ما بين كل واحدة منها فى نصف يوم بحيث يقيل الغادى فى قرية ويبيت الرآئح فى قرية الى ان يبلغ الشام لا يخاف جوعا ولا عطشا ولا عدوّا ولا يحتاج الى حمل زاد ولاماء خص الليالى والايام بالذكر مع ان السير لا يكون الا فيهما للاشعار بان الامر لا يتفاوت باختلاف الاوقات او للاشعار بان الامن يستمرّ وان تطاولت مدّة السفر على ان يراد بالايام والليالى الكثرة والمواظبة على السير وعلى الثالث يكون المقصود من ذكر الايام والليالى الاشعار باستمرار الامن وان استغرق السفر ليالى المخاطبين وايامهم مدّة اعمارهم بان يكون معنى قوله ليالى واياما لياليكم وايامكم فتركت الاضافة اعتمادا على دلالة المقام على كون الجمع المضاف مستغرقا ﴿قوله أشروا النعمة﴾ الاشر البطر يقال أشر بالكسر يأشر اشرا فهو اشر واشران كما يقال بطر يبطر بطرا والاشر والبطر الطغيان الحاصل بسبب كثرة النعمة ويحتمل ان يكون قولهم هذا لفساد اعتقادهم وشدّة اعتمادهم على ان ذلك لا يعدم كما يقول القائل لغيره اضربنى اشارة الى انه لا يقدر عليه ويحتمل ان يكون قولهم ربنا باعد مقولا بلسان الحال فانهم لما كفروا صاروا كأنهم طلبوا ان يبعد بين اسفارهم ويخرب المعمور من ديارهم قرأ العامة بنصب ربنا على النداء وباعد على لفظ الامر من باب المفاعلة وقرأ ابن كثير وابو عمرو وهشام بعد بتشديد العين على لفظ الامر من باب التفعيل وقرأ يعقوب ربنا باعد برفع ربنا على الابتداء وباعد على لفظ الفعل الماضى وقرئ ربنا بالنصب على النداء وبعد على لفظ الماضى المبنى للفاعل وبعد على لفظ الماضى المبنى للمفعول واسناد الفعل فيهما الى بين ورفعه كقرآءة تقطع بينكم برفع بين ﴿قوله تعالى فجعلناهم احاديث﴾ جمع حديث على غير القياس اى اهلكناهم كل اهلاك فصاروا عظة وعبرة لمن بعدهم فجعلناهم به مثلا للناس يتحدثون بما فعلوا وما فعل بهم ويتعجبون من احوالهم فى المجالس وقوله ومزقناهم كل ممزق بيان لجعلهم احاديث فان الناس ضربوا المثل بتفرقهم فقالوا ذهبوا ايدى سبأ وايادى سبا اى تفرقوا فى طرق شتى واليد فى كلام العرب تطلق على الطريق يقال اخذ يد البحر اى طريقه وقيل ايادى سبأ اولاده لان الاولاد اعضاد الرجل لتقوّيه بهم والمعنى تفرّقوا مثل تفرّق اولاد سبأ وفى المفصل الايادى الانفس كناية او مجازا وهو احسن من تفسيره بالطرق وبالاولاد وسبأ مهموز فى الاصل غير انه التزم التخفيف فى هذا المثل ولابدّ من اضمار لفظ المثل فى هذا المثل لان ايدى سبا وقع حالا من فاعل ذهبوا وهو معرفة لان اضافته حقيقية ومن حق الحال ان تكون نكرة والتقدير ذهبوا متفرّقين ﴿قوله صبار عن المعاصى شكور عن النعم﴾ وهما من صفة المؤمن كأنه قيل ان فى ذلك التمزيق او فيما ذكر من حال

(وجعلنا بينهم وبين القرى التى باركنا فيها)
بالتوسعة على اهلها وهى قرى الشام (قرى
ظاهرة) متواصلة يظهر بعضها لبعض
او راكبة متن الطريق ظاهرة لابناء السبيل
(وقدّرنا فيها السير) بحيث يقيل الغادى
فى قرية ويبيت الرآئح فى قرية الى ان يبلغ
الشام (سيروا فيها) على ارادة القول بلسان
المقال او الحال (ليالى واياما) متى شئتم من ليل
ونهار (آمنين) لا يختلف الامن فيها باختلاف
الاوقات او سيروا آمنين وان طالت مدة سير
فيها او سيروا فيها ليالى اعماركم وايامها لا تلقو
فيها الا الامن (فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا
أشروا النعمة وملوا العافية كبنى اسرآئيل
فسألوا الله ان يجعل بينهم وبين الشام مفاو
ليتطاولوا فيها على الفقرآء بركوب الرواحل
وتزوّد الازواد فاجابهم الله بتخريب القرى
المتوسطة وقرأ ابن كثير وابو عمرو وهشام
بعد ويعقوب ربنا بالرفع باعد بلفظ الخبر على ا
شكوى منهم لبعد سفرهم افراطا فى الترف
وعدم الاعتداد بما انعم الله عليهم فيه ومث
قرآءة من قرأ ربنا بعد وبعد على النداء واسن
الفعل الى بين (وظلموا انفسهم) حيث بطر
النعمة ولم يعتدّوا بها (فجعلناهم احاديث
يتحدث الناس بهم تعجبا وضرب مثل فيقولو
تفرّقوا ايدى سبأ (ومزقناهم كل ممزق
وفرّقناهم غاية التفريق حتى لحق غسان منه
بالشام وانمار بيثرب وجذام بتهامة والاز
بعمان (ان فى ذلك) فيما ذكر (لآيات لك
صبار) عن المعاصى (شكور) على ال

الشاكرين المنيبين ووبال الكافرين المعاندين لعبرا ولآيات لكل مؤمن ﴿قوله اى صدق فى ظنه﴾ يعنى ان ماعدا الكوفيين قرأوا بتخفيف دال صدق و ظنه نصب امابنزع الخافض اى فى ظنه اوبانه مفعول مطلق لفعل مقدّر من لفظه اى صدق ابليس يظن ظنا والجملة حالية من فاعل صدق كقولك فعلته جهدك اى فعلته تجهد جهدك وتعب تعبك ويجوز ان ينصب على انه مفعول به فان الصدق يعدّى الى ماهو فى معنى القول بنفسه فيقال صدق وعده اى جعل وعده صادقا والظن كالوعد فى انه نوع من القول ومن قرأ صدّق بتشديد الدال ونصب ظنه جعله مفعولا به وقال معناه حقق عليهم ظنه اى صار فيما ظنه على يقين لانه ظن اوّلا ان يغويهم حيث قال فى حق بنى آدم لاغوينهم ولاضلنهم ولاحتنكنّ ذريته ولاقعدنّ لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين ايديهم الى غير ذلك الاانه لم يكن على ثقة ويقين فى انه يتأتى له ذلك لانه لم يخبر به ولا كان عالما بالغيب وانما قاله استدلالا بنفاذ حيلته فى ابيهم آدم وبعلمه بما ركب فيهم من الشهوة والغضب وظن ذلك ايضا فى اولاد سبأ بما رأى من انهما كهم فى الشهوات ثم انهم لما اتبعوه وقبلوا وسوسته صار مظنونه معلوما له وحقق عليهم ظنه فيهم حقا ﴿قوله بمعنى وجده ظنه صادقا﴾ فكأنّ ابليس قال لظنه انى اغويهم فيتبعون اغوآئى ثم انه لما اغواهم فقبلوا منه وجده ظنه صادقا وان قرئ بنصب ابليس ورفع الظن مع تخفيف الدال يكون المعنى قال له ظنه الصدق حين خيله اغوآءهم اى حين خيل الظن لابليس اغوآءهم يقال صدق ظنك اذا ظهر المظنون كما خيل اليه وان قرئ بتخفيف الدال ورفع الاسمين يكون المعنى صدق عليهم ظن ابليس ويكون الثانى بدلا من الاوّل بدل الاشتمال ﴿قوله وذلك اماظنه بسبأ اوبنى آدم﴾ الاوّل على ان يكون الضمير فى عليهم واتبعوه لاهل سبأ والثانى على ان يكون لبنى آدم جميعا الاالمؤمنين منهم فانهم لم يتبعوه فى اصل الدين وان استزلهم الشيطان عن بعض الفروع ﴿قوله الافريقاهم المؤمنون﴾ اشارة الى ان كلمة من للبيان لاللتبعيض لانه يستلزم ان يكون بعض من آمن اتبع ابليس فى اصل الدين عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال فى قوله تعالى الافريقا من المؤمنين يعنى المؤمنين كلهم لانهم لم يتبعوه فى اصل الدين وقد قال الله تعالى ان عبادى ليس لك عليهم سلطان يعنى المؤمنين وقيل هو خاص بالمؤمنين الذين يطيعون الله تعالى ولايعصونه وهم المخلصون كما قال تعالى حكاية عنه لاغوينهم اجمعين الاعبادك منهم المخلصين ﴿قوله تعالى وما كان له عليهم من سلطان الالنعلم﴾ استثناء مفرّغ من العلل العامة تقديره وما كان له عليهم استيلاء لشئ من الاشياء الالهذا وهو ان يتعلق علمنا بالذى يؤمن بالآخرة مميزا من الشاك فيها والمعنى الالنعلم ايمان المؤمن بالآخرة ظاهرا موجودا ونعلم كفر الكافر الذى هو فى شك منها ايضا كذلك لان العلم بهما موجودين هو الذى يتعلق به الجزآء علق التسلط بالعلم والمراد ماتعلق به العلم وهو الايمان والكفر فانه تعالى لايجازى بما لم يختره ولم يكتسبه فى دار التكليف وانما يثيب من اطاع الحق وخالف الهوى والشيطان باختياره وسعيه ويعاقب من اطاع نفسه واتبع هواه وآثره على طاعة الرحمن بحمقه وغوايته فقوله الاليتعلق علمنا بذلك تعلقا يترتب عليه الجزآء معناه ليتعلق العلم بكل واحد من ايمان المكلف وكفره حال كونه موجودا واقعا وقد كان معلوما له تعالى فى الازل بانه سيقع ويترتب عليه الجزآء قال الامام علم الله تعالى من الازل الى الابد محيط بكل معلوم وعلمه لايتغير ولكن يتغير تعلق علمه فان العلم صفة كاشفة يظهر فيها كل ما فى نفس الامر فعلم الله تعالى فى الازل ان العالم سيوجد فاذا وجد علمه موجودا بذلك العلم واذا عدم علمه معدوما كذلك مثاله المرآة المصقولة الصافية يظهر فيها زيد ان قابلها ثم اذا قابلها عمرو تظهر فيها صورته والمرآة لاتتغير فى ذاتها ولاتبدّلت فى صفاتها وانما التغير فى الخارجيات فكذلك ههنا فالمراد من العلم مايترتب عليه من التمييز والانكشاف فى الوجود العينى فانه مرتب على الثبوت العينى الكائن قبل الوجود فقوله لنعلم اى لنعلمه موجودا حال وجوده كما علمناه قبل وجوده انه يوجد ﴿قوله اوليتميز المؤمن من الشاك﴾ اى ليتميز فى الخارج من هو مؤمن فى علمه تعالى ممن هو شاك فيه فان المكلف اذا كان له داعيان يدعوه احدهما الى الحق والآخر الى الباطل وتمكن من الانقياد والمتابعة لكل واحد منهما فان اتبع داعى الحق يكون مؤمنا مطيعا وان اتبع داعى الباطل يكون ضالا عاصيا فيكون مافى علم الله تعالى من حاله ظاهرا متميزا بتحققه فى الخارج ويحتمل ان يكون المراد من التميز تميز ذلك بالنسبة الينا الاتميزه باعتبار خروجه من العلم الى العيان ﴿قوله اوليؤمن من قدر ايمانه﴾ فيكون العلم مجازا مرسلا من قبيل ذكر المتعلق وارادة المتعلق والنكتة فى ايثار طريق التجوز المبالغة فى تحقق المتعلق فان العلم به متفرع على تحققه فكان بمنزلة ذكر الشئ بدليله

(ولقد صدّق عليهم ابليس ظنه) اى صدق فى ظنه او صدق يظنّ ظنه مثل فعلته جهدك ويجوز ان يعدّى الفعل اليه بنفسه كما فى صدق وعده لانه نوع من القول وشدّده الكوفيون بمعنى حقق ظنه اووجده صادقا وقرئ بنصب ابليس ورفع الظن مع التشديد بمعنى وجده ظنه صادقا والتخفيف بمعنى قال له ظنه الصدق حين خيله اغوآءهم ويرفعهما والتخفيف على الابدال وذلك اما ظنه بسبأ حين رأى انهما كهم فى الشهوات اوبنى آدم حين رأى اباهم النبى صلى الله عليه وسلم ضعيف العزم اوما ركب فيهم من الشهوة والغضب او سمع من الملائكة أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء فقال لاضلنهم ولاغوينهم (فاتبعوه الافريقا من المؤمنين) الافريقا هم المؤمنون لم يتبعوه وتقليلهم بالاضافة الى الكفار او الافريقا من فرق المؤمنين لم يتبعوه فى العصيان وهم المخلصون (وما كان له عليهم) على المتبعين (من سلطان) تسلط واستيلاء بوسوسة واستغوآء (الالنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها فى شك) الاليتعلق علمنا بذلك تعلقا يترتب عليه الجزآء اوليتميز المؤمن من الشاك اوليؤمن من قدر ايمانه ويشك من قدر ضلاله

والمراد من حصول العلم حصول متعلقه مبالغة وفي نظم الصلتين نكتة لا تخفى (وربك على كل شيء حفيظ) محافظ والزنتان

متآخيان (قل) للمشركين (ادعوا الذين
زعمتم) اي زعمتموهم آلهة وهما مفعولا زعم
حذف الاول لطول الموصول بصلته والثاني
لقيام صفته وهي من دون الله مقامه ولا يجوز
ان يكون هو مفعوله الثاني لانه لا يلتئم مع
الضمير كلاما ولا لا يملكون لانهم لا يزعمونه
(من دون الله) والمعنى ادعوهم فيما يهمكم
من جلب نفع او دفع ضر لعلهم يستجيبون
لكم ان صح دعواكم ثم اجاب عنهم اشعارا
بتعين الجواب وانه لا تقبل المكابرة فقال
(لا يملكون مثقال ذرة) من خير او شر
(في السموات ولا في الارض) في امر ما
وذكرهما للعموم العرفي اولان آلهتهم
بعضها سماوية كالملائكة والكواكب
وبعضها ارضية كالاصنام اولان الاسباب
القريبة للشر والخير سماوية وارضية والجملة
استئناف لبيان حالهم (ومالهم فيهما من
شرك) من شركة لا خلقا ولا ملكا (وماله
منهم من ظهير) يعينه على تدبير امر هم
(ولا تنفع الشفاعة عنده) فلا تنفعهم شفاعة
ايضا كما يزعمون اذ لا تنفع الشفاعة عند الله
(الا لمن اذن له) اذن له ان يشفع او اذن ان
يشفع له لعلو شأنه ولم يثبت ذلك واللام
على الاول كاللام في قولك الكرم لزيد وعلى
الثاني كاللام في جئتك لزيد وقرأ ابو عمرو
وحمزة والكسائي بضم الهمزة وكسر الذال
(حتى اذا فزع عن قلوبهم) غاية لمفهوم
الكلام من ان ثمة توقفا وانتظارا للاذن اي
يتربصون فزعين حتى اذا كشف الفزع عن
قلوب الشافعين والمشفوع لهم بالاذن وقيل
الضمير للملائكة وقد تقدم ذكرهم ضمنا
وقرأ ابن عامر ويعقوب فزع على البناء للفاعل
وقرئ فرغ اي نفي الوجل من فرغ الزاد اذا
فني (قالوا) قال بعضهم لبعض (ماذا قال
ربكم) في الشفاعة (قالوا الحق) قالوا
قال القول الحق وهو الاذن بالشفاعة لمن
ارتضى وهم المؤمنون وقرئ بالرفع اي
مقوله الحق (وهو العلي الكبير) ذو العلو
والكبرياء ليس لملك ولا نبي ان يتكلم
ذلك اليوم الا باذنه

﴿قوله وفي نظم الصلتين نكتة لا تخفى﴾ فان كلمة من في الموضعين موصولة جعلت صلة احداهما فعلية استقبالية وصلة الاخرى اسمية للدلالة على ان الايمان يحدث بالنظر في الدليل والكفر حالة اصلية ثابتة ﴿قوله والزنتان﴾ اي زنة فعيل ومفاعل كثيرا ما تجيئان بمعنى واحد كشريك ومشارك وعشير ومعاشر فسره بالمحافظ وهو المراقب المطلع على جميع الاحوال لان الحفظ لا يتعدى بعلى فلا يقال حفظ عليه بل حفظه ولان معنى الحفظ الحراسة والاستظهار وكل واحد منهما غير ملائم لهذا المقام بل الملائم هنا معنى المراقبة وفي الصحاح حفظت الشيء حفظا اي حرسته وحفظته ايضا استظهرته والمحافظة المراقبة والحفيظ المحافظ ومنه قوله تعالى وما انا عليكم بحفيظ ثم انه تعالى لما ذكر لمشركي العرب قصة سبأ وحذرهم بذكرها من ان ينزل بهم بكفرهم ما نزل باولاد سبأ بين لهم ان ما اتخذوه آلهة من دون الله ليس له شيء من آثار القدرة فمن زعم الوهيته واستحقاقه العبادة فقد ضل ضلالا مبينا فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم قل للمشركين توبيخا لهم وتجهيلا ادعوا الذين زعمتموهم آلهة من دون الله لجلب نفع او كشف ضر كما تدعون الله تعالى اوليكشفوا عنكم الضر الذي نزل بكم في سني المجاعة فانظروا هل يقدرون على قضاء شيء من حوائجكم ثم اخبر عن عجزهم فقال لا يملكون حذف اول مفعولي زعم وهو عائد الموصول طلبا للتخفيف لطول الموصول بصلته ثم حذف ثانيهما وهو الآلهة اكتفاء عنه بالصفة وهي قوله من دون الله ولا يجوز ان يكون قوله من دون الله هو المفعول الثاني لانه لا يلتئم مع الضمير كلاما فلا يقال هم من دون الله الا مع تقدير الموصوف ولا يجوز ايضا ان يكون لا يملكون هو الثاني لان المعنى يكون حينئذ زعمتموهم لا يملكونه ولا يزعمونه ﴿قوله وذكرهما﴾ مع ان المقصود بيان انهم لا يملكون مثقال ذرة في امر ما اما لتناولهما بحسب العرف لجميع الامور اولان الآلهة السماوية اذا لم تملك شيأ من ما في السموات لزم ان لا تملك شيأ ما اصلا وكذا الآلهة الارضية اولان ما لا يملك شيأ من الاسباب القريبة لزمه ان لا يملك شيأ اصلا ﴿قوله وماله منهم﴾ اي ما لله تعالى من ظهير يعاونه على خلق شيء منها او منهما حال كونه منهم اي مما زعموه آلهة ثم ان المشركين لما قالوا انا لا نعبد الاصنام لاستقلالهم في خلق الكائنات وتدبير امرها ولا لان لهم شركة في الخلق والملك ولا لكونهم اعوانا لله تعالى في الخلق والتدبير وانما نعبدهم ليشفعوا لنا فان الاصنام صور الملائكة المقربين فلا ترد شفاعتهم عند الله تعالى قال الله تعالى في ابطال قولهم ولا تنفع الشفاعة عنده ﴿قوله اذن له ان يشفع﴾ على ان تكون اللام داخلة في الشافع والمعنى لا تنفع شفاعة شافع في حال من الاحوال الا في حال كونها كائنة لمن اذن الله له ان يشفع فكلمة من عبارة عن الشافع ودخلت اللام عليه كما دخلت في قولك الكرم لزيد ﴿قوله او اذن ان يشفع له﴾ على ان تكون كلمة من عبارة عن المشفوع لاجله وتكون اللام لام الاجل كما في قولك جئتك لزيد اي لاجله فكأنه قيل الا لمن وقع الاذن للشفيع لاجله ﴿قوله ولم يثبت ذلك﴾ فانه تعالى لا يأذن للاصنام ان تشفع لعابديها وقدم الوجه الاول لان ابطال قول من قال هؤلاء شفعاؤنا عند الله انما يظهر على هذا الوجه ﴿قوله غاية لمفهوم الكلام﴾ يحتمل ان يكون المراد من الكلام مجموع قوله ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له فانه يفهم منه ان ثمة انتظارا للاذن وتوقفا وفزعا من الراجين للشفاعة والشفعاء هل يؤذن لهم او لا يؤذن وانه لا يطلق الاذن الا بعد بعد من الزمان وطول من التربص ويحتمل ان يكون المراد منه قوله حتى اذا فزع عن قلوبهم الآية على ان الكلام بمعنى التكلم لان التفزيع عن القلوب يدل على ان ثمة فزعا وانتظارا وكذا كلمة حتى لكونها للغاية تؤذن ان ثمة توقفا وانتظارا كأنه قيل لا تنفع الشفاعة يوم القيامة الا لمن اذن له فيتربصون ويتوقفون مليا فزعين حتى اذا فزع عن قلوبهم اي كشف الفزع عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم بكلمة يتكلم بها رب العزة في اطلاق الاذن تباشروا بذلك وسأل بعضهم بعضا ماذا قال ربكم قالوا الحق اي قالوا قال الله تعالى القول الحق وهو الاذن بالشفاعة لمن ارتضى والتفزيع ازالة الفزع كالتمريض ازالة المرض والتقريد ازالة القراد يقال قرد بعيرك اي ازل عنه القردان روي عنه عليه الصلاة والسلام انه قال فاذا اذن لمن اذن له ان يشفع فزعته الشفاعة اي ازالت الشفاعة الفزع عنه فعلى هذا يكون الضمير في قوله عن قلوبهم للشافعين والمشفوع لهم وقيل الضمير فيه للملائكة وقد تقدم ذكرهم ضمنا لان الآية نزلت ردا لقول من قال انا نعبد الاصنام لكونها صور الملائكة الذين هم شفعاؤنا عند الله فان الملائكة يفزعون حين يرد عليهم كلام الله بالاذن لهم بالشفاعة من هيبة ما يؤمرون به من الامر الهائل او لما يخافون من وقوع التقصير منهم في شفاعة الذين يشفعون

(قل من يرزقكم من السموات والارض) يريد به تقرير قوله لايملكون (قل الله) اذلا جواب سواه وفيه اشعار بانهم ان سكتوا او تلعثموا فى الجواب مخافة الالزام فهم مقرّون به بقلوبهم (وانا اواياكم لعلى هدى اوفى ضلال مبين) اى وان احد الفريقين من الموحدين المتوحد بالرزق والقدرة الذاتية بالعبادة والمشركين به الجماد النازل فى ادنى المراتب الامكانية لعلى احد الامرين من الهدى والضلال الواضح وهو بعد ماتقدّم من التقرير البليغ الدال على من هو على الهدى ومن هو فى الضلال ابلغ من التصريح لانه فى صورة الانصاف المسكت للخصم الشاغب ونظيره قول حسان

أتهجوه ولست له بكفو * فشرّ كما لخيركما الفداء *

وقيل انه على اللف وفيه نظر واختلاف الحرفين لان الهادى كمن صعد منارا ينظر الاشياء ويتطلع عليها اوركب جوادا يركضه حيث يشاء والضال كأنه منغمس فى ظلام مرتبك من قبل انه لا يرى شيأ او محبوس فى مطمورة لايستطيع ان يتفصى منها (قل لاتسألون عما اجرمنا ولانسأل عما تعملون) هذا أدخل فى الانصاف وأبلغ فى الاخبات حيث اسند الاجرام الى انفسهم والعمل الى المخاطبين (قل يجمع بيننا ربنا) يوم القيامة (ثم يفتح بيننا بالحق) يحكم ويفصل بان يدخل المحقين الجنة والمبطلين النار (وهو الفتاح) الحاكم الفيصل فى القضايا المنغلقة (العليم) بما ينبغى ان يقضى به

لهم حتى اذا كشف عنهم الفزع قالوا للملائكة الذين فوقهم وهم الذين بلغوا ذلك اليهم ماذا قال ربكم اى ماذا امر به وهو كلام الخاضع المتذلل والمعنى انهم مع منزلتهم هذه يفزعون ويشفعون فى شفاعة من لهم يشفعون وهم بامر الله يعلمون كيف يشفعون للكفار وقيل انما يفزعون من غشية تصيبهم عند سماع كلام الله تعالى لما روى ابو هريرة عنه عليه الصلاة والسلام انه قال * اذا قضى الله الامر فى السماء ضربت الملائكة باجنحتها خفقانا لقوله تعالى كأنه سلسلة على صفوان فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق * وقال عليه الصلاة والسلام * اذا اراد الله ان يوحى بالامر ويكلم بالوحى سمع اهل السموات صلصلة اخذت السموات منها رجفة او قال رعدة شديدة خوفا من الله تعالى فاذا سمع بذلك اهل السموات صعقوا وخرّوا لله سجدا فيكون اوّل من يرفع رأسه جبريل عليه الصلاة والسلام فيكلمه من وحيه بما اراده ثم يمرّ جبريل عليه الصلاة والسلام على الملائكة كلما مرّ بسماء سأله ملائكتها ماذا قال ربنا ياجبريل فيقول جبريل قال الحق وهو العلىّ الكبير فتقول الملائكة كلهم مثل ماقال جبريل فينتهى جبريل بالوحى حيث امره الله تعالى * وقيل انما يفزعون حذرا من قيام الساعة وذلك انه كانت الفترة بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام خمسمائة وخمسين سنة وقيل ستمائة سنة لم تسمع الملائكة فيها وحيا فلما بعث الله تعالى محمدا عليه الصلاة والسلام كلم جبريل بالرسالة الى محمد عليه الصلاة والسلام فلما سمعت الملائكة ذلك ظنوا انها الساعة لان بعثته عليه الصلاة والسلام كانت من اشراط الساعة عند اهل السموات فصعقوا مما سمعوا خوفا من قيام الساعة فلما انحدر جبريل جعل يمرّ باهل كل سماء فيكشف عنهم الفزع فيرفعون رؤسهم ويقول بعضهم لبعض ماذا قال ربكم قالوا قال الحق يعنى الوحى وهو العلىّ الكبير قرأ الجمهور فزع بضم الفاء وكسر الزاى وقرأ ابن عامر بفتحهما معا على بناء الفاعل وهو الله تعالى وقرئ فرغ بالغين المعجمة من فرغ الماء بكسر الرآء يفرغ بفتحها فراغا اى فنى وانصب والحق منصوب بقال مضمرة اى قالوا قال ربنا الحق اى القول الحق ومن رفعه جعله خبر مبتدأ محذوف اى مقوله الحق ﴿قوله اذلا جواب سواه﴾ علة لامره تعالى اياه عليه الصلاة والسلام بان يتولى الجواب بنفسه بعد ما امره عليه الصلاة والسلام بان يحملهم على الاقرار بان من يرزقهم المطر من السموات ومن يرزقهم النبات من الارض هو الله تعالى فان قوله من يرزقكم استفهام تقرير وكون السؤال والجواب من واحد يشعر بتعين الجواب فانهم لو اجابوا لايمكنهم ان يجيبوا الابه فانه اذا اتضح الامر وتعين الجواب لايحتاج الى ان ينطقوا به بالسنتهم والتلعثم فى الامر التمكث فيه والتأنى والذى حملهم على السكوت عن الجواب او التلعثم فيه مخافة الالزام انهم لو اجابوا وقالوا رازقنا هو الله وحده توجه اليهم ان يقال لهم فالكم لاتعبدون الذى تفرّد فى ترزيقكم وتؤثرون عليه من لايقدر على ان يرزقكم ﴿قوله تعالى وانا او اياكم لعلى هدى او فى ضلال﴾ داخل تحت الامر بالقول والمعنى وقل ان احد الفريقين منا ومنكم لعلى احد الامرين من الهدى والضلال المبين ﴿قوله وهو بعد ماتقدّم من التقرير البليغ﴾ جملة اسمية فانه تعالى امر نبيه صلى الله عليه وسلم اوّلا بأن يكالمهم ويوبخهم بقوله قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله ثم بأن يسألهم سؤال تقرير عن تعيين رازقهم ثم بأن يتولى الجواب بنفسه ايذانا بانهم مع كونهم معتقدين للحق يمتنعون عن الاقرار به بالسنتهم عنادا اوخوفا من الزام الحجة عليهم وتنزل من هذه الدرجة ثانيا وامره بان يرخى العنان معهم ويقول لهم انا واياكم الآية لينادى على تماديهم فى الضلال على وجه هو ادخل فى اثبات الغرض والغلبة على الخصم واوجب اسد طريق الشغب والجدال عليه وقوله تعالى او اياكم عطف على اسم ان وماذكر بعده خبر الاوّل وحذف خبر الثانى للدلالة عليه اى وانا لعلى هدى اوفى ضلال او انكم لعلى هدى او فى ضلال ويحتمل ان يكون ماذكر بعده خبر الثانى ويكون خبر الاوّل محذوفا كما فى قوله نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والرأى مختلف حذف خبر الاوّل اى نحن راضون وهذان الوجهان لاينبغى ان يحملا على ظاهرهما قطعا لانه عليه الصلاة والسلام لم يشك فى انه على هدى ويقين وفى ان الكافرين على ضلال مبين وانما هذا الكلام جار على مايخاطب به العرب من استعمال الانصاف فى محاوراتهم على سبيل الفرض والتقدير ﴿قوله وقيل انه على اللف﴾ اى واللشر والتقدير وانا لعلى هدى وانكم لفى ضلال مبين وفيه نظر لانه لوكان من قبيل اللف لوجب ان يكون كل واحد من المعطوفين معطوفا بالواو وكون كلمة او بمعنى الواو ليس بشائع ﴿قوله واختلاف الحرفين﴾ وهما كلمة على الداخلة على الهدى وكلمة فى الداخلة على الضلال والمنار علم الطريق وسمى ملك من ملوك اليمن ذا المنار لانه اوّل من وضع

المنار على طريقه فى مفازته ليهتدى به اذا رجع والارتباك الاختلاط والدخول فى الامر الصعب الذى لم يكد يتخلص منه والمطمورة الحفرة التى يطمر فيها الطعام الذى يخبأ ﴿قوله تعالى قل ارونى﴾ يحتمل ان يكون من الرؤية بمعنى العلم المتعدية قبل النقل الى اثنين فلما جيئ بهمزة النقل عديت الى ثلاثة اوّلها ياء المتكلم وثانيها الموصول وثالثها شركاء وعائد الموصول محذوف اى الحقتموهم ويحتمل ان يكون من الرؤية البصرية المتعدية قبل النقل الى واحد وعديت بالنقل الى اثنين اوّلهما ياء المتكلم وثانيهما الموصول فشركاء نصب على الحال من عائد الموصول اى ابصرونى الملحقين به حال كونهم شركاء له ﴿قوله والضمير لله او للشان﴾ يعنى ان هو فى قوله تعالى بل هو الله يحتمل ان يكون ضميرا راجعا الى الله تعالى والمعنى ليس الامر على ما انتم عليه من الحاق الشركاء به فى العبادة بل هو الله وحده فقوله هو مبتدأ والله خبره والعزيز الحكيم صفتان فيكون هو من قبيل الضمير المبهم المفسر بما بعده تفخيما لشأن المرجع اليه وتمكينا له فى الذهن فانك اذا قصدت الابهام للتفخيم تعلقت المرجع فى ذهنك ثم تعبر عنه بضمير الغائب لتشوّق نفس السامع الى المعبر عنه ثم تذكر المرجع ويحتمل ان يكون ضمير الشأن فلفظ الجلالة حينئذ مبتدأ والعزيز الحكيم خبران والجملة خبر هو والفرق بين الاحتمالين ان الجملة التى بعد ضمير الشان هى المبينة له بخلاف ما اذا كان ضمير الجلالة فان خبره اسم مفرد مفسر له ﴿قوله الا ارسالة عامة لهم﴾ على ان كافة صفة مصدر محذوف وان تعليل تفسير الكافة بالعامة المحيطة فكأنه قيل اريد بالكافة العامة لان الشمول والعموم مستلزم الكف فيكون كناية او مجازا بمعنى عامة لهم محيطة بهم لان الارسالة اذا شملتهم فقد كفتهم ان يخرج منها احد منهم من الكف وهو المنع يقال كف يكف اى منع ﴿قوله او الا جامعا﴾ على ان يكون كافة بمعنى جامعا ويكون حالا من كاف ارسلناك وتكون الهاء فيه للمبالغة كما فى علامة وراوية ونسابة ومن استعمال كف بمعنى جمع قول الفقهاء وكره للمصلى كف ثوبه اى جمع ما تفرّق من اطرافه ولا يجوز كونها حالا من المجرور مقدّمة عليه لان تقدّم حال المجرور عليه بمنزلة تقدّم المجرور على الجار من حيث ان حال المجرور تكون معمولة بحرف الجر ايضا وتقدّم المجرور على الجار ممتنع فكذا ما هو بمنزلته عند الجمهور وان جوّزه بعض النحاة استشهادا بقول الشاعر

❊ اذا المرء اعيته المروءة ناشئا ❊ فمطلبها كهلا عليه شديد ❊

ووجه ارتباط الآية بما قبلها انه تعالى حقق مسائل التوحيد اوّلا ثم شرع فى تحقيق الرسالة فقال وما ارسلناك الا كافة للناس اى الا ارسالة تكف ان يخرج منها احد منهم او الا جامعا لهم فى الابلاغ روى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال كان النبىّ يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس كافة عامة ثم انه تعالى لما ذكر الرسالة بين الحشر على وجه يتضمن تجهيل منكريه فقال ويقولون متى هذا الوعد ﴿قوله لكم ميعاد﴾ جملة اسمية والميعاد زمان الوعد او مكان لغة وهو ههنا الزمان الذى هو القيامة او وقت موتهم ويدل عليه قوله لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون اى لا تتأخرون عنه ولا تتقدّمون وزاد المصنف احتمال ان يكون الميعاد مصدرا مضافا الى زمانه حيث قال وعد يوم والميعاد يطلق على الوعد والوعيد قال ابو عبيدة الوعد والوعيد والميعاد بمعنى والاضافة الى اليوم سواء جعل مصدرا او زمانا بيانية لانها من اضافة العام الى الخاص كما فى سحق عمامة وثوب خز وبعير سانية فان السحق الشئ البالى اضيف الى العمامة للبيان وكذا الثوب والبعير والسانية الناضحة وهى الناقة التى يستقى عليها يقال سنت الناقة تسنو اذا سقت الارض وفى المثل سير السوانى سفر لا ينقطع ﴿قوله ويؤيده انه قرئ يوم﴾ اى قرئ ميعاد يوم منوّنين على ابدال يوم من ميعاد اى ويؤيد كون الميعاد عبارة عن زمان الوعد ابدال اليوم منه وقرئ ميعاد يوما على تعظيم اليوم بتقدير اعنى فيكون منصوبا على المدح والتعظيم اى يوما من صفته كيت وكيت ﴿قوله وهو جواب تهديد﴾ جواب عما يقال كيف انطبق هذا جوابا لسؤالهم مع انهم سألوا عن تعيين وقت الوعد من حيث ان متى سؤال عن الوقت المعين ولا تعرض فى الجواب لتعيين الوقت* وتقرير الجواب ان سؤالهم وان كان على صورة استعلام الوقت الا ان مرادهم الانكار والتعنت والجواب المطابق لمثل هذا السؤال ان يجاب بطريق التهديد على تعنتهم فلذلك اجيبوا بانكم ترصدون بيوم يفاجئكم فلا تستطيعون تأخرا عنه ولا تقدما عليه ثم انه تعالى لما بين الاصول الثلاثة التى هى التوحيد والرسالة والحشر وكان المشركون كافرين بكل

(قل ارونى الذين الحقتم به شركاء) لارى
باىّ صفة الحقتموهم بالله فى استحقاق العبادة
وهو استفسار عن شبههم بعد الزام الحجة عليهم
زيادة فى تبكيتهم (كلا) ردع لهم عن المشاركة
بعد ابطال المقايسة (بل هو الله العزيز الحكيم)
الموصوف بالغلبة وكمال القدرة والحكمة
وهؤلاء الملحقون به متسمة بالذلة متأبية عن
قبول العلم والقدرة رأسا والضمير لله او للشان
(وما ارسلناك الا كافة للناس) الا ارسالة
عامة لهم من الكف فانها اذا عمتهم فقد كفتهم ان
يخرج منها احد منهم او الا جامعا لهم فى الابلاغ
فهى حال من الكاف والتاء للمبالغة ولا يجوز
جعلها حالا من الناس على المختار (بشيرا
ونذيرا ولكن اكثر الناس لا يعلمون) فيحملهم
جهلهم على مخالفتك (ويقولون) من فرط
جهلهم (متى هذا الوعد) يعنون المبشر به
والمنذر عنه او الموعود بقوله يجمع بيننا ربنا
(ان كنتم صادقين) يخاطبون به رسول الله
صلى الله عليه وسلم والمؤمنين (قل لكم
ميعاد يوم) وعد يوم او زمان وعد واضافته
الى اليوم للتبيين ويؤيده انه قرئ يوم على
البدل وقرئ يوما باضمار اعنى (لا تستأخرون
عنه ساعة ولا تستقدمون) اذا فاجأكم وهو
جواب تهديد جاء مطابقا لما قصدوه بسؤالهم
من التعنت والانكار

(وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه) ولا بما تقدمه من الكتب الدالة على النعت قيل ان كفار مكة سألوا اهل الكتاب عن الرسول صلى الله عليه وسلم فاخبروهم انهم يجدون نعته في كتبهم فغضبوا وقالوا ذلك وقيل الذي بين يديه يوم القيامة (ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم) اى في موضع المحاسبة (يرجع بعضهم الى بعض القول) يتحاورون ويتراجعون القول (يقول الذين استضعفوا) يقول الاتباع (للذين استكبروا) للرؤساء (لولا انتم) لولا اضلالكم وصدكم ايانا عن الايمان (لكنا مؤمنين) باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم (قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين) انكروا انهم كانوا صادين لهم عن الايمان واثبتوا انهم هم الذين صدوا انفسهم حيث اعرضوا عن الهدى وآثروا التقليد عليه ولذلك بنوا الانكار على الاسم (وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار) اضراب عن اضرابهم اى لم يكن اجرامنا الصاد بل مكركم لنا دائبا ليلا ونهارا حتى اغرتم علينا رأينا (اذ تأمروننا ان نكفر بالله ونجعل له اندادا) والعاطف يعطفه على كلامهم الاول واضافة المكر الى الظرف على الاتساع وقرئ مكر الليل بالنصب على المصدر ومكر الليل بالتنوين ونصب الظرف ومكرّ الليل من الكرور (واسروا الندامة لما رأوا العذاب) واضمر الفريقان الندامة على الضلال والاضلال واخفاها كل عن صاحبه مخافة التعيير او اظهروها فانه من الاضداد اذ الهمزة تصلح للاثبات والسلب كما في اشكيته (وجعلنا الاغلال في اعناق الذين كفروا) اى في اعناقهم فجاء بالظاهر تنويها بذمهم واشعارا بموجب اغلالهم (هل يجزون الا ما كانوا يعملون) اى لا يفعل بهم ما يفعل الا جزاء على اعمالهم وتعدية يجزى اما لتضمين معنى يقضى او لنزع الخافض (وما ارسلنا في قرية من نذير الا قال مترفوها) تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما منى به من قومه

واحد منها بين كفرهم العام بقوله وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن فان الكفر بالقرآن يتناول الكفر بجميع ما نطق به القرآن ثم انه تعالى لما حكى عنهم الكفر المذكور بين عاقبة امرهم ومآل حالهم في الآخرة فقال ولو ترى يا محمد او يا من يتصور منه الرؤية اياهم على اذل حال محبوسين للسؤال يرد بعضهم الى بعض القول في الجدال كما يكون عليه حال جماعة اخطأوا في امر لرأيت امرا عجيبا وحالا فظيعا والعياذ بالله فحذف جواب لو للتهويل ﴿ قوله ولذلك ﴾ اى ولكون المقصود انكار كونهم صادين للاتباع عن الايمان واثبات انهم هم الذين صدوا انفسهم بنوا الانكار على الاسم فقالوا أنحن فان وقوع المسند اليه بعد حرف الانكار بلا فصل يفيد نفي الفعل عن المسند اليه المذكور وثبوته لغيره ومثل هذا الكلام انما يقال اذا اتفق المتكلم والمخاطب على تحقق الفعل وصدوره من فاعله وزعم المخاطب انه صدر من المتكلم فيقول المتكلم في رده أأنا فعلت ذلك بتقديم المسند اليه وايلائه حرف الانكار يريد بذلك انكار كونه الفاعل له واثبات كونه مفعولا لغيره كما في هذه الآية اى أنحن منعناكم من قبول الهدى وهو الايمان بعد اذ جاءكم اسبابه من دعوة الرسول وقيام المعجزة بل كنتم مجرمين بترك الايمان اختيارا والجرم الذنب تقول منه جرم واجرم واجترم بمعنى فقال لهم المستضعفون مجيبين لهم بل مكر الليل والنهار اى بل الذي صدنا هو مكركم لنا دائبا ليلا ونهارا والعاطف في قوله تعالى وقال الذين استضعفوا يعطفه على كلامهم الاول والمقصود بيان الفرق بين قوله تعالى قال الذين استكبروا وبين قوله وقال الذين استضعفوا حيث صدر الثاني بحرف العطف دون الاول ووجه الفرق ان الاول كلام مستأنف ذكر جوابا لمن قال ماذا قال المستكبرون في جواب المستضعفين فلا وجه لتخلل العاطف بخلاف كلام المستضعفين فانه لم يقصد به جواب لسؤال مقدر بل سيق منهم لكلام المستكبرين فعطف كلامهم الثاني على كلامهم الاول ﴿ قوله بل مكركم لنا دائبا ﴾ اى دائما اى بل صدنا مكركم لنا في هذين الوقتين على ان مكر الليل مرفوع على انه فاعل فعل مقدر ويحتمل ان يكون مرفوعا على انه مبتدأ حذف خبره على معنى بل مكركم لنا في الليل والنهار وحملكم ايانا على الشرك دائبا هو الذي اوقعنا في الكفر والضلال او على انه خبر مبتدأ محذوف اى سبب كفرنا مكركم ﴿ قوله حتى اغرتم ﴾ من قولك أغار على العدو يغير اغارة اى غلب عليه واستلب ما معه ونهبه ﴿ قوله واضافة المكر الى الظرف ﴾ يعني ان قوله بل مكر الليل والنهار معناه مكركم في الليل والنهار فاتسع في الظرف باجرائه مجرى المفعول به واضافة المكر اليه على طريق اضافة المصدر الى مفعوله كما اتسع في قوله * ياسارق الليلة اهل الدار * او جعل ليلهم ونهارهم ماكرين على الاسناد المجازي كما في قول جرير

* لقد لمتنا يا ام غيلان في السرى * ونمت وما ليل المطي بنائم *

فيكون من اضافة المصدر الى فاعله وكل واحد من الوجهين احسن من قول من قال ان الاضافة فيه بمعنى في اى مكر في الليل لان ذلك لم يثبت في غير محل النزاع ﴿ قوله ومكرّ الليل من الكرور ﴾ اى قرئ مكرّ بفتح الكاف وتشديد الراء مرفوعا ومنصوبا اما الرفع فعلى ما ذكر في القراءة بسكون الكاف اى بل صدنا كرورهما علينا واختلافهما من كرّ اذا جاء وذهب على معنى صدنا طول السلامة وطول الامل فيهما كقوله تعالى فطال عليهم الامل فقست قلوبهم واظهر منه أن يكون ارتفاعه على انه مبتدأ حذف خبره او خبر مبتدأ محذوف اى بل مكرّكم اى كروركم بالاغواء في الليل والنهار دائبا سبب كفرنا وصدودنا عن الهدى او سبب ذلك مكركم وخلاصة المعنى انا انما اشركنا بسببكم واما النصب فعلى انه مصدر فعل محذوف اى بل تكرّون الاغواء مكرّ الليل والنهار اى وقت كرورهما مثل آتيك خفوق النجم والمعنى بل تكرّون الاغواء مكرّا دائما لا تفترون عنه ﴿ قوله في اشكيته ﴾ فانه يجيء بمعنى اثبت له الشكاية وازلت عنه الشكاية وقد جمعهما من قال

* شكوت الى الايام سوء صنيعها * ومن عجب باك تشكى الى المبكى *
* فما زادني الايام الا شكاية * وما زالت الايام تشكي ولا تشكي *

اى تزيد شكايتي ولا تزيلها ﴿ قوله تنويها بذمهم ﴾ اى تصريحا به من ناه الشيء ينوه اذا ارتفع ونوّهته تنويها اذا رفعته ونوّهت باسمه اذا رفعت ذكره وقوله تعالى هل يجزون الا ما كانوا يعملون اى الاجزاء اعمالهم من الكفر والمعاصي اشار به الى ان ذلك حقهم عدلا وهو استفهام تقرير وعدّى يجزون الى اعمالهم مع ان جزى لا يتعدى بنفسه الى مفعولين بل يقال جزيته بما صنع اما على طريق الحذف والايصال وهو ظاهر او لتضمين جزى معنى اقضى وهو يتعدى الى اثنين يقال اقضيته سرى ﴿ قوله مما منى به ﴾ اى ابتلى يقال منوته ومنيته اى

ابتليته كأنه تعالى قال له عليه الصلاة والسلام يا ايها النبي لاتحزن على تكذيب الكفرة اياك فان ايذآء الكفار للانبياء ليس بدعا بل ذلك عادة قديمة لهم **قوله ولذلك** اى ولكون المفاخرة بزخارف الدنيا والاستهانة بمن لم يحظ منها معظم الدواعى الى التكذيب ضموا التهكم والمفاخرة الى التكذيب حيث تهكموا بقولهم بما ارسلتم به فانهم انما قالوا ذلك تهكما بالمرسلين ضرورة انهم غير معتقدين بالارسال وتفاخروا بقولهم نحن اكثر اموالا **قوله بما ارسلتم به** متعلق بخبر ان وبه متعلق بقوله بما ارسلتم والتقدير انا كافرون بالذى ارسلتم به من الايمان والتوحيد **قوله فنحن اولى بما تدعونه** اى من الرسالة جعل المترفون قولهم نحن اكثر اموالا واولادا بالنسبة الى الرسل وسيلة الى تكذيبهم وزعموا انهم اكرم على الله من الانبياء ومن المؤمنين قائلين انهم لولم يكرموا عليه تعالى لما رزقهم ذلك وان المؤمنين لولم يهونوا عليه تعالى لما حرمهم فابطل الله تعالى ظنهم ذلك بهاتين الآيتين وهما قوله تعالى قل ان ربى يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وليس البسط والقبض للكرامة والهوان فكم من موسر شقى ومعسر تقى وانما يوسع ويضيق بمشيئته لما رأى من الحكمة والمصلحة يبسط لمن يشاء لا لفضل ومنزلة له عنده ويقدر على من يشاء لا لجناية كانت منه اليه بل له ان يبتلى عباده بما شاء **قوله قربة** يعنى ان زلفى مصدر قوله تقربكم من غير لفظه او اسم لمصدره كقوله انبته الله نباتا لما استدل المترفون بكثرة اموالهم واولادهم على كونهم احسن حالا عند الله ابطل الله تعالى استدلالهم ذلك بان البسط والقبض لايدلان على الكرامة والهوان ثم اكد ذلك بقوله وما اموالكم ولا اولادكم الآية فكأنه قيل استدلالكم بكثرة الاموال والاولاد على كونكم احسن حالا عند الله ليس استدلالا صحيحا فانهما لم يدلا على قربة العهد من الله تعالى كيف وكل واحد من المال والولد يشغل عن الله فكيف يقرب منه بل الذى يقرب اليه تعالى هو العمل الصالح لانه اقبال على الله تعالى واشتغال بطاعته ومن توجه الى الله تعالى وصل ومن التجأ اليه ظفر بالامل **قوله والتى** يعنى ان الظاهر ان يقال باللاتى لان التى اسم مفرد فلاوجه لتوصيف الاموال والاولاد به وحمله عليها الا انه حمل عليها لتأويلها بالجماعة كأنه قيل وما جماعة اولادكم واموالكم بالجماعة التى تقربكم او لكون التى صفة لموصوف محذوف اى وماهى بالتقوى التى او بالخصلة التى تقربكم **قوله استثناء من مفعول تقربكم** وهو ضمير الخطاب المتناول لجملة بنى آدم فتكون الآية اشارة الى ان العمل الصالح بالنظر الى الاموال ان ينفقها اصحابها فى سبيل الله وبالنظر الى الاولاد ان يعلمهم آباؤهم الخير ويربوهم على الصلاح ويجوز ان يكون استثناء من اموالكم واولادكم على حذف المضاف اى الا اموال من آمن واولاده **قوله وقرئ بالاعمال** اى وقرئ جزآء مرفوعا منونا والضعف منصوبا فان الاصل ان يجازوا الضعف ثم جزآء الضعف بالاضافة ومن نصب جزآء ونونه ورفع الضعف جعل جزآء تمييزا او حالا اى فاولئك لهم الضعف جزآء والعامل فى الحال الاستقرار كما فى قوله تعالى فله جزآء الحسنى فيمن قرأ بنصب جزآء فى الكهف ويحتمل ان يكون انتصاب جزآء على انه مصدر لفعله الذى دل عليه لهم جزآء وذلك لان فاولئك مبتدأ والضعف مبتدأ ثان ولهم خبر الثانى والجملة خبر اولئك فكأنه قيل فاولئك الضعف لهم يجزون جزآء **قوله على ارادة الجنس** فانهم جميعا لايشتركون فى غرفة واحدة بل لكل واحد غرفة تخصه وفى الصحاح الغرفة العلية والجمع غرفات وغرفات وغرف بين الله تعالى اولا ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات تضاعف حسناتهم ثم زاد وقال وهم فى الغرفات آمنون اشارة الى داوم النعم وتأبيدها ثم بين حال المسيئ فقال والذين يسعون فى آياتنا معاجزين الآية اى مقدرين فى انفسهم ان يسبقوا الانبياء الذين شأنهم اظهار الآيات واثبات الحق المبين او ان يفوتونا فان المعاجز الهارب يهرب لكى يعجز يقال عاجز فلان اذا ذهب فلم يوصل اليه **قوله فهذا فى شخص واحد باعتبار وقتين وما سبق فى شخصين** فان ما سبق رد لحسبانهم انه تعالى اكرمهم بكثرة الاموال والاولاد فلا يهينهم بالتعذيب وانما يهين ويعذب من ضيق عليه فى الدنيا فرد عليهم بان اختلاف الاشخاص فى السعة والضيق لا يبتنى على كرامة الموسع عليه وهو ان المضيق عليه وانما يبتنى على مجرد مشيئته تعالى وههنا لما بين ان الايمان والعمل الصالح هو الذى يقرب العبد الى ربه ويكون مؤديا الى تضعيف حسناته بين ان نعيم الآخرة وتضاعف الحسنات فيها لاينافى سعة الرزق فى الدنيا بل الصالحون قد يبسط لهم الرزق فى الدنيا مع ما لهم فى الآخرة من الجزآء الاوفى والمثوبة الحسنى بمقتضى الوعد الالهى وان كانوا فى بعض الاوقات يضيق عليهم وكلمة ما فى قوله تعالى وما انفقتم شرطية فى محل النصب على انه مفعول مقدم لانفقتم ومن شيء بيانه وقوله فهو يخلفه جواب الشرط او موصولة

وتخصيص المتنعمين بالتكذيب لان الداعى المعظم الى التكبر المفاخرة بزخارف الدنيا والانهماك فى الشهوات والاستهانة بمن لم يحظ منها ولذلك ضموا التهكم والمفاخرة الى التكذيب فقالوا (انا بما ارسلتم به كافرون) على مقابلة الجمع بالجمع (وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا) فنحن اولى بما تدعونه ان امكن (وما نحن بمعذبين) اما لان العذاب لايكون او لانه اكرمنا بذلك فلا يهيننا بالعذاب (قل) ردا لحسبانهم (ان ربى يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) ولذلك يختلف فيه الاشخاص المتماثلة فى الخصائص والصفات ولو كان ذلك لكرامة وهوان يوجبانه لم يكن بمشيئته (ولكن اكثر الناس لا يعلمون) فيظنون ان كثرة الاموال والاولاد للشرف والكرامة وكثيرا مايكون للاستدراج كما قال (وما اموالكم ولا اولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى) قربة والتى اما لان المراد وما جماعة اموالكم والاولاد او لانها صفة محذوف كالتقوى والخصلة وقرئ بالذى اى بالشيء الذى يقربكم (الا من آمن وعمل صالحا) استثناء من مفعول تقربكم اى الاموال والاولاد لاتقرب احدا الا المؤمن الصالح الذى ينفق ماله فى سبيل الله ويعلم ولده الخير ويربيه على الصلاح او من اموالكم واولادكم على حذف المضاف (فاولئك لهم جزآء الضعف) ان يجازوا الضعف الى عشر فما فوقه والاضافة اضافة المصدر الى المفعول وقرئ بالاعمال على الاصل وعن يعقوب رفعهما على ابدال الضعف ونصب الجزآء على التمييز او المصدر لفعله الذى دل عليه لهم (بما عملوا وهم فى الغرفات آمنون) من المكاره وقرئ بفتح الرآء وسكونها وقرأ حمزة فى الغرفة على ارادة الجنس (والذين يسعون فى آياتنا) بالرد والطعن فيها (معاجزين) مسابقين لانبيائنا او ظانين انهم يفوتوننا (اولئك فى العذاب محضرون قل ان ربى يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له) يوسع عليه تارة ويضيق عليه اخرى فهذا فى شخص واحد باعتبار وقتين وما سبق فى شخصين فلا تكرير

مرفوعة المحل على الابتدآء وفهو يخلفه خبره ودخلت الفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط اى ماتصدقتم وانفقتم في الخير من نفقة فهو يعطى خلفه للمنفق امابان يعجل له فى الدنيا و امابان يؤخر له فى الآخرة وعن مجاهد من كان عنده من هذا المال مايقيمه ويصلحه فليقتصد فى الانفـاق فان الرزق مقسوم ولعل ماقسم له قليل وهو ينفق نفقة الموسع عليه فينفق جميع ما فى يده ثم يبقى طول عمره فى فقر وقوله تعالى وما انفقتم من شئ فهو يخلفه فان هذا فى الآخرة وفى الحديث * الرفق فى المعيشة من بعض التجارة * وماروى عن ابى هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال * مامن يوم يصبح العباد فيه الا وملكان ينزلان فيقول احدهما اللهم أعط منفقا خلفا ويقول الآخر اللهم أعط ممسكا تلفا * يؤيد ماذكره المصنف ﴿قوله تعالى ويوم نحشرهم﴾ قرأ يعقوب وحفص بالياء والباقون بالنون ﴿قوله اياكم﴾ منصوب بخبر كان قدّم لاجل الفواصل والاهتمام والكلام وان كان فى صورة الخطاب للملائكة الا ان المقصود تقريع المشركين فانهم لما اجابوا بتنزيه الله تعـالى عن ان يعبد احد معه وبانه لايستحق العبادة سواه اشتدّ خزى المشركين وتحالتهم ﴿قوله ولان عبادتهم مبدأ الشرك واصله﴾ لان عابديهم يزعمون انهم بنات الله تعالى من مصاهرة الجنّ قال تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا والاولاد تكون من جنس الاباء والقول بتعدّد الاله اصل الشرك بخلاف العبادة بناء على طمع الشفاعة فتبرأ الملائكة منهم ومن الرضى بعبادتهم اياهم بقولهم سبحانك اى تنزيها لك من ان يكون لك شريك فى الالوهية واستحقاق العبادة والولى فعيل من الموالاة وهى ضدّ المعـاداة ويقع على الموالى والموالى وهو ههنا بمعنى الموالى يعنون انما نواليك بالعبودية لك ولانواليهم بعبادتهم لنا والظاهر فى جواب قوله تعالى أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون ان يقال لااونعم الاانهم اجابوا باثبات موالاة الله تعالى ومعاداة الكفار ياتا البرآءتهم من الرضى بعبادتهم لهم بطريق ذكر الملزوم وارادة اللازم لان اختصاصهم بموالاة الله تعالى ومعاداة الكفار يستلزم عدم الرضى بعبادة الاعدآء اياهم ﴿قوله حيث اطاعوهم﴾ جواب عما يقال ان المشركين كانوا يقصدون بعبادة الاصنام عبادة الملائكة ولايخطر الشياطين ببالهم حين عبادتهم الاصنام فضلا عن ان يعبدوا الشياطين فاوجه قولهم كانوا يعبدون الجنّ * واجاب عنه بوجهين الاوّل ان الشياطين زينوا لهم عبادة الملائكة فاطاعوا الشياطين فى عبادة الملائكة فالمراد بقولهم يعبدون الجنّ انهم يطيعون الجنّ فى عبادة غير الله تعالى وان العبادة هى الطاعة وانهم لما اطاعوهم فكأنهم عبدوهم والثانى انهم عبدوا الجنّ حقيقة بناء على ان الجنّ مثلوا لهم صورة قوم منهم وقالوا هذه صور الملائكة فاعبدوها فلما عبدها المشركون فقد عبدوا الجنّ حقيقة ﴿قوله الضمير الاوّل للانس﴾ جواب عما يقال الظاهر ان ضمير اكثرهم عبارة عما رجع اليه ضمير كانوا يعبدون الجنّ وهم المشركون والمعنى اكثر المشركين مؤمنون بالشـياطين اى مصدّقون قولهم ومطيعون لهم وجميع المشركين كانوا عابدين للشـياطين مطيعين فاوجه قوله اكثرهم بهم مؤمنون فانه يدل على ان بعضهم لم يؤمن بهم ولم يطعهم * واجاب عنه بوجهين الاوّل انا لانسلم ان ضمير اكثرهم يرجع الى المشركين بل يرجع الى الانس المذكور حكما واكثر الانس كفار مؤمنون بالجنّ والثانى سلمنا ان ضمير اكثرهم للمشركين الا ان الاكثر بمعنى الكل كما فى قوله تعالى واكثرهم كاذبون وهو من ترقيق الكلام ثم انه تعالى بين ان ما كانوا يعبدونه لاينفعهم فقال فاليوم لايملك بعضكم لبعض والخطاب لمجموع العابدين والمعبودين والمراد بالبعض الاوّل الملائكة وبالثانى عابدوهم والمعنى ويوم القيامة لايملك الملائكة لعابديهم نفعا بالشفاعة ولاضرّا بالتعذيب فالكلام تنكيل للكافرين حيث بين لهم ان معبودهم لاينفع ولايضرّ كقوله تعالى لايملكون الشفاعة الالمن ارتضى ويحتمل ان يكون الخطاب متناولا للجنّ ايضا ﴿قوله وفى تكرير الفعل﴾ فانه لما ذكر قوله قالوا فى جواب قوله واذاتتلى عليهم آياتنا كان الظاهر ان يذكر مقول الكفرة بان يعطف بعضه على بعض بان يقال قالوا كذا وكذا من غير ان يعاد فعل القول مع كل مقول وقد اعيد ذلك ههنا حيث قيل واذاتتلى عليهم آياتنا قالوا كذا وقالوا كذا ثم قيل وقال الذين كفروا باعادة الفعل مرّة ثالثة وتصريح فاعله والمقام مقام الاضمار كما فى الاوّلين ﴿قوله ومافى اللامين﴾ اراد بهما اسم الموصول المذكور فى قوله وقال الذين كفروا ولام التعريف فى قوله للحق على سبيل التغليب وتعريف الموصول اشارة الى القائلين بانهم الكفرة المعاندون الذين حملهم كفرهم على الجرآءة على الله تعالى وان يقولوا فى حق نبيه وكتابه ودينه مالايتفوّه به من له ادنى تمييز والتعريف اللامى اشارة الى المقول فيه بانه الحق المبين الذى لايطعن فيه الاالمكابر المعاند والبت

(وما انفقتم من شئ فهو يخلفه) عوضا اما عاجلا او آجلا (وهو خير الرازقين) فان غيره وسط فى ايصال رزقه لاحقيقة لرازقيته (ويوم نحشرهم جميعا) المستكبرين والمستضعفين (ثم نقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون) تقريعا للمشركين وتبكيتا لهم واقناطا لهم عما يتوقعون من شفاعتهم وتخصيص الملائكة لانهم اشرف شركائهم والصالحون للخطاب منهم ولان عبادتهم مبدأ الشرك واصله وقرأ حفص ويعقوب يحشرهم ويقول بالياء فيهما (قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم) انت الذى نواليه من دونهم لاموالاة بيننا وبينهم كأنهم بينوا بذلك برآءتهم من الرضى بعبادتهم ثم اضربوا عن ذلك ونفوا انهم عبدوهم على الحقيقة بقولهم (بل كانوا يعبدون الجنّ) اى الشياطين حيث اطاعوهم فى عبادة غير الله وقيل كانوا يتمثلون لهم ويخيلون اليهم انهم الملائكة فيعبدونهم (اكثرهم بهم مؤمنون) الضمير الاوّل للانس او للمشركين والاكثر بمعنى الكل والثانى للجنّ (فاليوم لايملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرّا) اذ الامر فيه كله له لان الدار دار جزآء وهو المجـازى وحده (ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التى كنتم بها تكذبون) عطف على لايملك مبين للمقصود من تمهيده (واذاتتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ماهذا) يعنون محمدا عليه الصلاة والسلام (الارجل يريد ان يصدكم عما كان يعبد آباؤكم) فيستتبعكم بما يستبدعه (وقالوا ماهذا) يعنون القرآن (الا افك) لعدم مطابقة مافيه الواقع (مفترى) باضافته الى الله سبحانه (وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم) لامر النبوّة او للاسلام او للقرآن والاول باعتبار معناه وهذا باعتبار لفظه واعجازه (ان هذا الاسحر مبين) ظاهر سحريته وفى تكرير الفعل والتصريح بذكر الكفرة ومافى اللامين من الاشارة الى القائلين والمقول فيه ومافى لما من المبادهة الى البت بهذا القول انكار عظيم له وتعجيب بليغ منه

بهذا القول من مثل ذلك القائل فى مثل هذا المقول فى غاية القباحة و الفضاحة لاسيما اذا كان البث المذكور على سبيل المبادهة من غير تأمل يقال بادهه امر اى فاجأه وسلوك هذه الطريقة لايكون الاللايذان بان الامر عظيم وان ارتكابه عجيب غريب ثم انه تعالى بين ان جوابهم على هذه الاقوال الباطلة عند ماتلى عليهم الآيات البينات غاية الضلالة ونهاية الجهالة فان الآيات البينات لاتعارض الا بالبراهين العقلية اوالكتب السماوية او ببيان الرسول المؤيد بالمعجزات الباهرة وليس عندهم شئ من ذلك فى قولهم هذا رجل كاذب وان مايقرؤه افك مفترى وان ماجاءبه سحر مبين وهذا معنى مانقل عن الفرآء انه قال فى تفسير هذه الآية من اين كذبوك ولم يأت لهم كتاب ولانبي بين لهم صحة طريقهم وكذبك فيما دعوتهم اليه وقوله تعالى وماارسلنا اليهم اى الى اهل مكة ومن حولهم من العرب الذين بعثت اليهم ولا يراد من تقدمه عليه الصلاة والسلام من العرب لان اسمعيل عليه الصلاة والسلام كان مبعوثا قبله الى العرب ﴿ قوله وما بلغ هؤلاء ﴾ حال من الموصول اى هؤلاء المشركون عشر ماآتينا المتقدمين كعاد وثمود او مابلغ المتقدمون عشر ماآتينا مشركى مكة والمعشار العشر كالمرباع الربع والمعنى على الاول كيف أمن مشركوا مكة مع ضعفهم ان يلحقهم بسبب التكذيب مالحق من قبلهم من الاقوياء وعلى الثانى كيف امنوا ان يلحقهم بتكذيب البينات القاطعة المتكاثرة مالحق من قبلهم بتكذيب ماهو اقل من عشر ماكذب به المشركون ﴿ قوله ولاتكرير فى كذب ﴾ جواب عما يقال ماوجه قوله فكذبوا رسلى بعد قوله وكذب الذين من قبلهم ومالفائدة فى هذا التكرير * اجاب عنه اولا بان الاول لتكثير الفعل لاللتعدية والثانى للتعدية فلا تكرير وثانيا بان الاول مطلق حيث لم يقدر له مفعول به اجرى مجرى اللازم فكأنه قيل فعلوا التكذيب مطلقا واقدموا عليه والثانى مقيد بتعلقه بالمفعول وجعل تكذيبهم الرسل مسببا عن كونهم اهل التكذيب فعطف عليه عطف المسبب على السبب والمعنى فعلوا التكذيب فكذبوا الرسل بسببه ﴿ قوله وهو القيام من مجلس الخ ﴾ يعنى ان القيام يحتمل ان يراد به المثول على الرجلين من مجلسه عليه الصلاة والسلام لاجله تعالى وطلب وجهه ورضاه لالحمية وعصبية او القيام لامر والتشمير له لاجله تعالى بالجد والاهتمام من قولك قمت لامر كذا اذا هيأت نفسك لاجله وتشمرت له ﴿ قوله فان الازدحام ﴾ علة لتقييد القيام لله تعالى بكونهم متفرقين مثنى وفرادى يعنى ان الاجتماع ممايشوش الخواطر ويعمى البصائر ويقل معه الانصاف ويكثر فيه الاعتساف بخلاف الاثنين فانهما اذا جرى بينهما امر يتفكران فيه ويعرض كل واحد منهما محصول فكره على صاحبه سالكا مسلك العدل والانصاف متجانبا من التعصب والاعتساف فيؤدى فكرهما الصحيح الى الحق الصريح وكذلك الواحد فانه يفكر فى نفسه طالبا لاصابة الحق باتباع عقله السليم مجانبا عن معارضة المجادلين واغوآء المبطلين فيصيب الحق المؤيد بالبرهان وقوله ثم تتفكروا عطف على قوله ان تقوموا ومحل ان تقوموا الجر على انه بدل من واحدة على سبيل التفسير والبيان او عطف بيان لها او الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اى هى ان تقوموا او النصب باضمار اعنى ومثنى وفرادى حال من فاعل تقوموا ﴿ قوله فتعلموا مابه جنون الخ ﴾ يعنى ان قوله تعالى مابصاحبكم من جنة يجوز ان يكون متعلقا بفعل مقدر معطوف على تتفكروا معلق عنه بحرف النفى وهى كلمة ما وان يكون مستأنفا للتنبيه على طريقة النظر المؤدى الى العلم بصدقه عليه الصلاة والسلام فى دعوى الرسالة فان امر الرسالة امر عظيم تحته ملك الدنيا والآخرة ومن ادعاها لابد له ان يعادى الفراعنة الذين كانوا يقتلون من خالفهم فى ادنى شئ الى قبول ماجاء به من الدين وترك ماالفوه منه ولاشك فى انه امر عظيم لايدعيه الامؤيد من عندالله فاضطلع بصحة امره بما عنده من حجة وبرهان او مجنون لايبالى بافتضاحه على رؤس الاشهاد وهلاكه فى الدنيا ويوم التناد ومن المعلوم عندهم انه عليه الصلاة والسلام ارجح قريش عقلا واصدقهم قولا واجمعهم لما يحمد عليه الرجال فكان علمهم هذا كافيا لهم فى ترجيح جانب صدقه عليه الصلاة والسلام ﴿ قوله وقيل مااستفهامية ﴾ لكن ليس المراد حقيقة الاستفهام بل هو بمعنى النفى والانكار فلهذا لم يرض به لان الاستفهام لما كان بمعنى الانكار الذى مآله النفى كان الاولى ان يحمل كلمة ما من اول الامر على النفى قصرا للمسافة وحملا للكلام على المعنى المتعارف ﴿ قوله اى شئ سألتكم ﴾ يعنى ان كلمة ما شرطية منصوبة المحل على انها مفعول سألتكم قدم عليه وقوله فهو لكم جوابها قال عليه الصلاة والسلام * بعثت فى نسم الساعة * اى حين ابتدأت واقبل اوانها واصله من نسم الريح وهو اول هبوبها حين يقبل بلين قبل ان يشتد ﴿ قوله واياما كان يلزم احدهما ﴾

﴿ وما آتيناهم من كتب يدرسونها ﴾ فيها دليل على صحة الاشراك ﴿ وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير ﴾ يدعوهم اليه وينذرهم على تركه فقد بان من قبل ان لا وجه له فمن اين وقع لهم هذه الشبهة وهذا فى غاية التجهيل لهم والتسفيه لرأيهم ثم هددهم فقال ﴿ وكذب الذين من قبلهم ﴾ كما كذبوا ﴿ ومابلغوا معشار ما آتيناهم ﴾ ومابلغ هؤلاء عشر ما آتينا اولئك من القوة وطول العمر وكثرة المال اوما بلغ اولئك عشر ما آتينا هؤلاء من البينات والهدى ﴿ فكذبوا رسلى فكيف كان نكير ﴾ فحين كذبوا رسلى جاءهم انكارى بالتدمير فكيف كان نكيرى لهم فليحذر هؤلاء من مثله ولاتكرير فى كذب لان الاول للتكثير والثانى للتكذيب او الاول مطلق والثانى مقيد ولذلك عطف عليه بالفاء ﴿ قل انما اعظكم بواحدة ﴾ ارشدكم وانصح لكم بخصلة واحدة هى مادل عليه ﴿ ان تقوموا لله ﴾ وهو القيام من مجلس رسول الله او الانتصاب فى الامر خالصا لوجه الله معرضا عن المرآء والتقليد ﴿ مثنى وفرادى ﴾ متفرقين اثنين اثنين وواحدا واحدا فان الازدحام يشوش الخاطر ويخلط القول ﴿ ثم تتفكروا ﴾ فى امر محمد صلى الله عليه وسلم وماجاء به لتعلموا حقيته ومحله الجر على البدل او البيان او الرفع او النصب باضمار هو او أعنى ﴿ مابصاحبكم من جنة ﴾ فتعلموا مابه جنون يحمله على ذلك او استئناف منبه لهم على ان ماعرفوا من رجاحة كمال عقله كاف فى ترجيح صدقه فانه لايدعه ان يتصدى لادعاء امر خطير وخطب عظيم من غير تحقيق ووثوق ببرهان فيفتضح على رؤس الاشهاد ويسلم ويلقى نفسه الى الهلاك فكيف وقد انضم اليه معجزات كثيرة وقيل مااستفهامية والمعنى ثم تتفكروا اى شئ به من آثار الجنون ﴿ ان هو الانذير لكم بين يدى عذاب شديد ﴾ قدامه لانه مبعوث فى نسم الساعة ﴿ قل ماسألتكم من اجر ﴾ اى شئ سألتكم من اجر على الرسالة ﴿ فهو لكم ﴾ والمراد نفى السؤال فانه جعل التنبي مستلزما لاحد الامرين اما الجنون واما توقع نفع دنيوى عليه لانه اما ان يكون لغرض اولغيره واياما كان يلزم احدهما ثم نفى كلا منهما

يعني ان التنبي وهو ادّعاء النبوّة كاذبا سوآء لغرض او لغيره يستلزم احد الامرين اى اما ان يكون لغرض او لغير غرض وذلك يستلزم ان يكون مجنونا اومتوقعا لنفع دنيوىّ ولما نفى كل واحد منهما لزمه ان لايكون متنبئا بل صادقا فى دعواه ﴿قوله مااسألكم عليه من اجر الامن شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا﴾ بان يتقرب اليه بالايمان والطاعة يريد أنى ارضى بتقربه اليه واعتدبه كما يرضى المثاب بالثواب فالاجر المذكور فى هذه السورة ان حمل على اتخاذ السبيل فمعنى كونه لهم ان يكون نفعه عائدا اليهم وكذا مودّة اقربائه عليه الصلاة والسلام يعود نفعها اليهم من حيث ان قرباه قرباهم ثم ذكر ان اجره على الله تعالى وانه على كل شئ شهيد فعلم انه عليه الصلاة والسلام لايطلب الاجر على نصحهم وتبليغ الرسالة اليهم الامنه تعالى ﴿قوله يلقيه وينزله﴾ يعني ان القذف فى الاصل هو الطرح والالقاء مع الدفع والاعتماد واطلق ههنا على مجرّد الالقاء فهو مجاز مرسل بطريق استعمال المقيد فى المطلق والحق القرءآن او الوحى والباء فيه زآئدة كما فى قوله تعالى ولاتلقوا بايديكم ﴿قوله او يرمى به الباطل﴾ اى يدفع الباطل بالقذف اى بالقاء الشئ ويزيله بايراد الحق عليه كما يدفع القبيح بان يقذف عليه مايدفعه شبه ايراد الحق على الباطل لاذهاب الباطل بالقذف بالقاء الشئ على الشئ بدفع واعتماد ثم ذكر القذف واريد ايراد الحق على الباطل لاذهابه به فيكون قوله يقذف استعارة تصريحية تبعية وكذا على قوله او يرمى به الى اقطار الآفاق حيث شبه نشر الاسلام واظهاره فى الآفاق بالقاء الشئ على وجه الدفع والاعتماد ﴿قوله صفة محمولة على محل ان واسمها﴾ فان محلها الرفع على الابتدآء قرأ الجمهور علام الغيوب بالرفع على انه صفة تابعة لمحلها ومن نصبه جعله نعتا لاسم ان اومنصوبا على المدح وقرئ الغيوب بالحركات الثلاث فى الغين بالضم والكسر كما فى البيوت وبالفتح على انه صيغة مبالغة كالشكور والصبور وهو الامر الذى غاب جدّا وخفى والكلب الصيود هو الماهر فى امر الصيد ﴿قوله اى الشرك بحيث لم يبق له اثر﴾ يعني ان قولهم لايبدئ فلان ولايعيد عبارة يعبر بها عن هلاكه وموته كقولهم لايأكل فلان ولايشرب ولايقبل ولايدبر فان انقطاع آثار الشئ وتوابع وجوده من لوازم هلاكه وانتفائه فصح جعله كناية عنه روى ان المنذر بن ماء السماء كان ملكا وكان له يوم فى السنة يذبح فيه اوّل من يلقى فبينا هو يسير فى ذلك اليوم اذا شرف له عبيد بن الابرص فقال عبيد لرجل ممن كان معه من هذا الشقى فقال له انه المنذر بن ماء السما وافيناه يوم بؤسه فلما رأه المنذر امر بقتله فقيل له امدحه فقال حال الجريض دون القريض فقال المنذر انشدنا قولك

* اقفر من اهله ملحوب * فالقطبيات فالذنوب *

فقال * اقفر من اهل له عبيد * فاليوم لايبدى ولايعيد *

قوله اقفر اى صار الى القفر وهو مفازة لانبات بها ولاماء وملحوب موضع وكذلك القطبيات والذنوب والجريض الغصة من الجرض بالتحريك وهو الريق يغص به يقال جرض بريقه يجرض على مثال كسر يكسر وهو أن يبتلع بريقه على هم وحزن بالجهد والقريض الشعر فكلمة ما فى قوله تعالى ومايبدئ الباطل ومايعيد نافية ولامفعول ليبدئ ولاليعيد اذ المراد لايوقع الباطل هذين الفعلين وقيل مفعوله محذوف اى مايبدئ الشيطان لاهله خيرا ولايعيده كان كفار مكة يقولون لرسول الله عليه الصلاة والسلام انك ضللت حتى تركت دين آبائك فنزل قوله تعالى قل ان ضللت فانما اضل على نفسى قرأ العامة بفتح اللام فى الماضى وكسرها فى المضارع وقرئ بكسر اللام فى الماضى وفتحها فى الغابر وقرئ اضل بكسر الهمزة وفتح الضاد على لغة من يقول اعلم ﴿قوله فانه﴾ اى ضلال الشخص بسبب نفسه الجاهلة الامارة بالسوء وهو علة لكون وبال الضلال راجعا الى نفسه ﴿قوله وبهذا الاعتبار﴾ اى باعتبار ان النفس كل ماهو وبال عليها وضار لها فهو بها وبسببها وقع التقابل بين قوله فانما اضل على نفسى وبين قوله فبما يوحى الىّ ربى والافلاتقابل بينهما ظاهرا لانه انما يظهر التقابل بينهما ان اورد فيهما كلمة على اوكلمة الباء بان يقال ان ضللت فانما اضل على نفسى وان اهتديت فانما اهتدى لنفسى اوبان يقال ان ضللت فانما اضل بنفسى وان اهتديت فبما يوحى الىّ ربى فيكون مدلول الآية على الاوّل بيان مآل الضلالة والهداية وعلى الثانى بيان سببهما فلمجيئ بعلى فى الاوّل دلت على ان الضلال وبال على النفس ولمجيئ بالباء فى الثانى دلت على ان سبب الاهتدآء هو هداية الله تعالى وتوفيقه ومايوحى الى القلب من الحكمة والبيان ولاتقابل بينهما ظاهرا الا انهما متقابلان من جهة المعنى لان قوله فانما اضل على نفسى فى قوّة ان يقال

وقيل ما موصولة مراد بها ماسألهم بقوله مااسألكم عليه من اجر الامن شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا لااسألكم عليه اجرا الاالمودّة فى القربى واتخاذ السبيل نفعهم وقرباه قرباهم (ان اجرى الاعلى الله وهو على كل شئ شهيد) مطلع يعلم صدقى وخلوص نيتى وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائى باسكان الياء (قل ان ربى يقذف بالحق) يلقيه وينزله على من يجتبيه من عباده او يرمى به الباطل فيدمغه او يرمى به الى اقطار الآفاق فيكون وعدا باظهار الاسلام وافشائه (علام الغيوب) صفة محمولة على محل ان واسمها او بدل من المستكنّ فى يقذف او خبر ثان او خبر محذوف وقرئ بالنصب صفة لربى او مقدرا باعنى وقرأ ابن كثير وابن ذكوان وابو بكر وحمزة والكسائى الغيوب بالكسر كالبيوت والباقى بالضم كالشعور وقرئ بالفتح كالصيود على انه مبالغة غائب (قل جاء الحق) اى الاسلام (ومايبدئ الباطل ومايعيد) وزهق الباطل اى الشرك بحيث لم يبق له اثر مأخوذ من هلاك الحى فانه اذا هلك لم يبق له ابدآء ولااعادة قال

اقفر من اهل له عبيد *

فاليوم لايبدى ولايعيد *

وقيل الباطل ابليس او الصنم والمعنى لاينشئ خلقا ولايعيده اولايبدئ خيرا لاهله ولايعيده وقيل ما استفهامية منتصبة بما بعدها (قل ان ضللت) عن الحق (فانما اضل على نفسى) اى وبال ضلالى عليها فانه بسببها اذهى الجاهلة بالذات والامارة بالسوء وبهذا الاعتبار قابل الشرطية بقوله (وان اهتديت فبما يوحى الىّ ربى) فان الاهتدآء بهدايته وتوفيقه (انه سميع قريب) يدرك قول كل ضال ومهتد وفعله وان اخفاه

فانما اضل بنفسى فالموضعان مشتملا على بيان السبب وان اشتمل الاوّل على بيان مآل الضلال ايضا ﴿قوله تعالى ولو ترى اذ فزعوا﴾ تتمة لتهديدهم هدّدهم الله تعالى اوّلا بقوله وكذب الذين من قبلهم ومابلغوا معشار ما آتيناهم وساق الكلام الى هنا ثم بين ان قدّامهم امرا هائلا يفزعهم وهو انهم حيث ماكانوا فهم من الله تعالى قريب لايفوتونه بل يأخذهم من ظهر الارض الى بطنها عند الموت اومن الموقف الى النار عند البعث اومن صحرآء بدر الى القليب يوم بدر اومن تحت اقدامهم اذا خسف بهم على ماروى عن ابن عباس رضى الله عنهما من ان الآية نزلت فى خسف البيدآء وذلك ان ثمانين الفا يأتون من قبل المشرق يقال لهم السفيانية يقصدون الكعبة ليخربوها فاذا دخلوا بيدآء المدينة خسف بهم وقصتهم مذكورة فى تيسير الامام النسفى وقرأ العامة فلا فوت مبنيا على الفتح واخذوا فعلا ماضيا مبنيا للمفعول معطوفا على فزعوا وقيل على معنى فلا فوت اى فلم يفوتوا واخذوا وقرئ فلا فوت واخذ مرفوعين منوّنين وقرئ بفتح فوت ورفع اخذ على الابتدآء من حيث كونه معطوفا على محل فلا فوت ومحله الرفع على الابتدآء وخبره محذوف اى واخذ هنالك او على انه خبر مبتدأ محذوف اى وحالهم اخذ فيكون من عطف الجملة المثبتة على المنفية ولما تعين فى هذه القرآءة كونه معطوفا على قوله فلا فوت ايد ذلك كونه معطوفا عليه فى قرآءة اخذوا ايضا ﴿قوله تعالى وقالوا آمنا به﴾ اى قالوا ذلك وقت فزعهم وهو وقت نزول العذاب بهم عند الموت كقوله تعالى فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا او عند البعث فان الكفار كلهم يؤمنون حينئذ نفى الله تعالى نفع الايمان عنهم بقوله وانى لهم التناوش والتناوش مبتدأ وانى خبره بمعنى من اين ولهم حال وهو تناول ماقرب منك بسهولة ولما انقضى وقت تناول الايمان وان كان انقضاؤه من قريب صارا بعد مايكون لامتناع الوصول اليه ابدا بخلاف يوم القيامة بالنسبة الى اهل الدنيا فانه قريب لكونه فى صدد القرب والدنوّ شيأ فشيأ والغلوة مقدار رمية سهم وهو تمثيل حالهم فى الاستخلاص بالايمان اى ارادة الاتصاف به خالصا بعد فوات وقته ومضيه وبعده عنهم او انه جعله تمثيلا اذ ليس فى قوله آمنا به تناول الشئ من المكان بل ليس فيه الا ارادة الاتصاف بالايمان بعد فوات وقته وكونه ابعد مايكون لامتناع الوصول اليه فتعين حمله على التمثيل وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائى وابو بكر التناؤش بهمزة مضمومة بعد الالف وقرأ الباقون بواو مضمومة فاحتملا ان يكونا مادّتين مستقلتين مع اتحاد معناهما روى عن ابى عمرو انه قال التناؤش بالهمزة التناول من بعد من قولهم نأشت اى ابطأت وتأخرت وفى الصحاح التناؤش بالهمزة التأخر والتباعد وقد نأشت الامر انأشه نأشا أخرته فانتأش ويقال فعله نئيشا اى اخيرا قال الشاعر

تمنى نئيشا ان يكون اطاعنى ❊ وقد حدثت بعد الامور امور

اى انه تمنى اخيرا وان يكونا مادّة واحدة وتكون الهمزة مبدلة من الواو للزوم ضمة الواو كما فى ادؤر وأجوه فى ادور ووجوه قال الزجاج كل واو مضمومة ضمة لازمة فانت فيها بالخيار يقال ناشه ينوشه نوشا اى تناوله قال الشاعر

فهى تنوش الحوض نوشا من علا ❊ نوشا به تقطع اجواز الفلا

اى تتناول ماء الحوض من فوق وتشرب شربا كثيرا وتقطع بذلك الشرب فلوات فلا تحتاج الى ماء آخر والاجواز جمع جوز وجوز كل شئ وسطه ويحتمل ان يكون التناؤش بالهمز من النأش بمعنى التطلب كما فى قوله

اقحمنى جار ابى الجاموش ❊ اليك نأش القدر النؤوش

اى كتطلب القدر الطالب اقحمه اى كلفه واوقعه فى الامر الشديد من القحمة بالضم وهى المهلكة وقحم الطريق مصاعبه والجاموش لغة فى الجاموس ﴿قوله ويتكلمون بما لم يظهر لهم﴾ يعنى ان القذف بمعنى رمى اللفظة باللسان والتكلم من غير روية والغيب الشئ المغيب عنهم غير المعلوم لهم فان قولهم فى حقه عليه الصلاة والسلام انه شاعر ساحر مفتر كذاب ونحو ذلك تكلم بالغيب لانهم لم يشاهدوا منه عليه الصلاة والسلام شيأ من ذلك واتوا به من جهة بعيدة من حاله عليه الصلاة والسلام لان ابعد شئ مما جاء به السحر والشعر وابعد شئ من عادته التى عرفت بينهم الكذب والزور وكذا انكارهم احوال الآخرة رأسا وقولهم ان كان الامر كما تصفون من قيام الساعة والحساب والميزان والثواب والعقاب فانحن بمعذبين لانه تعالى اكرمنا بالاموال والاولاد فلا يهيننا بالتعذيب فى دار اخرى فانه ايضا تكلم بالغيب يقذفون به من جهة بعيدة حيث قاسوا امر

(ولو ترى اذ فزعوا) عند الموت او البعث او يوم بدر وجواب لو محذوف مثل لرأيت فظيعا (فلا فوت) فلا يفوتون الله بهرب او تحصن (واخذوا من مكان قريب) من ظهر الارض الى بطنها او من الموقف الى النار او من صحرآء بدر الى القليب والعطف على فزعوا او لا فوت ويؤيده انه قرئ واخذ عطفا على محله اى فلا فوت هناك وهناك اخذ (وقالوا آمنا به) بمحمد صلى الله عليه وسلم وقد مرّ ذكره فى قوله مابصاحبكم (وانى لهم التناوش) ومن اين لهم ان يتناولوا الايمان تناولا سهلا (من مكان بعيد) فانه فى حيز التكليف وقد بعد عنهم وهو تمثيل حالهم فى الاستخلاص بالايمان بعد مافات منهم وبعد عنهم بحال من يريد ان يتناول الشئ من غلوة تناوله من ذراع فى الاستحالة وقرأ ابو عمرو والكوفيون غير حفص بالهمز على قلب الواو لضمها او لانه من نأشت الشئ اذا طلبته قال رؤبة شعر

اقحمنى جار ابى الجاموش ❊

اليك نأش القدر النؤوش ❊

او من نأشت اذا تأخرت ومنه قوله شعر

تمنى نئيشا ان يكون اطاعنى ❊

وقد حدثت بعد الامور امور ❊

فيكون بمعنى التناول من بعد (وقد كفروا به) بمحمد عليه الصلاة والسلام او بالعذاب (من قبل) من قبل ذلك اوان التكليف (ويقذفون بالغيب) ويرجمون بالظن ويتكلمون بما لم يظهر لهم فى الرسول عليه الصلاة والسلام من المطاعن او فى العذاب من البت على نفيه

(من مكان بعيد) من جانب بعيد من امره وهو الشبه التي تمحلوا بها في امر الرسول صلى الله عليه وسلم وحال الآخرة كما حكاه من قبل ولعله تمثيل لحالهم في ذلك بحال من يرمي شيأ لا يراه من مكان بعيد لا مجال للظن في لحوقه وقرئ ويقذفون على ان الشيطان يلقي اليهم ويلقنهم ذلك والعطف على وقد كفروا على حكاية الحال الماضية او على قالوا فيكون تمثيلا لحالهم بحال القاذف في تحصيل ما ضيعوه من الايمان في الدنيا (وحيل بينهم وبين مايشتهون) من نفع الايمان والنجاة به من النار وقرأ ابن عامر والكسائي باشمام الضم للحاء (كما فعل باشياعهم من قبل) باشباههم من كفرة الامم الدارجة (انهم كانوا في شك مريب) موقع في الريبة او ذي ريبة منقول من المشكك او الشاك نعت به الشك للمبالغة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة سبأ لم يبق رسول ولا نبي الا كان له يوم القيامة رفيقا ومصافحا

الآخرة على امر الدنيا ومعلوم ان دار الجزاء لا تقاس بدار التكليف ﴿قوله ولعله تمثيل لحالهم﴾ وهي التكلم بما لم يظهر لهم من المطاعن في حقه عليه الصلاة والسلام ومن البت في نفي العذاب على وجه بعيد الاول من حاله عليه الصلاة والسلام والثاني من حكمة الله تعالى وعدله شبه حالهم هذه بحال من يرمي شيأ يكرهه من مكان بعيد ﴿قوله والعطف على وقد كفروا﴾ وهو جملة حالية فيكون ما عطف عليه ايضا حالا فكان الظاهر ان يقال وقذفوا بالغيب الا انه جيء بلفظ المضارع على حكاية الحال الماضية بان قدر ان ذلك الفعل الماضي واقع في حال التكلم كأنك تحضره للمخاطب ليتعجب منه ﴿قوله او على قالوا﴾ كأنه قيل ولو ترى اذ قالوا آمنا به ويقذفون بالغيب اي ما غاب وفات عنهم وهو الايمان في الدنيا ومعنى قذفهم اياه طلب تحصيله والاتصاف به بعد فوات وقته وعبر عنه برمي المطلب الغائب من مكان بعيد تشبيها له به في كون المطلب مستبعدا بحيث لا يطمع في حصوله ﴿قوله موقع في الريبة او ذي ريبة﴾ فالمريب على الاول اسم فاعل من ارابه المتعدي وعلى الثاني من اراب الرجل اذا صار ذا ريبة ووقع فيها وعلى التقديرين اسناد الارابة الى الشك مجاز اسند فعل صاحب التشكيك الى الشك على الاول وفعل صاحب الشك الى نفس الشك على الثاني حيث جعل الشك ذا شك كما جعل الشعر شاعرا فان المريب بالمعنى الاول هو المشكك وبالمعنى الثاني هو الشاك اطلق كل واحد منهما على نفس الشك للمبالغة * تمت سورة سبأ والحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده في اواسط آخر الجماديين من شهور سنة خمس وثلاثين وتسعمائة

﴿ طبع في المطبعة النفيسة العثمانية لازالت شرفها الى يوم القيامة ﴾
١٣٠٦

﴿ هذا فهرس الجزء الثانى من حاشية شيخ زاده على تفسير القاضى البيضاوى ﴾

﴿ هذا فهرس الجزء الثالث من حاشية شيخ زاده على تفسير القاضي البيضاوي ﴾

هذا فهرس الجزء الثانى من حاشية شيخ زاده على تفسير القاضى البيضاوى